الهلال

يوليه ١٩٧٩

مجلة الفكر العربى

كلمة الهلال

نحن العرب

● لم يولد العرب بالامس ، فهم من اقدم شعوب الارض هناك نقوش على الاحجار تدل على وجودهم فى صحرائهم قبل الميلاد بعشرين الف سنة .

ولكن العربى يبدو لنا دائما وكانه يبدا اليوم فقط تجربته مع الحياة انه يقع فى نفس الاخطاء التى وقع فيها فى عصور الرومان والساسانيين ، وطوال تاريخه تتكون نفس الاخطاء ، نفس المآسى ..

اسباب سقوط الدولة الاموية هى نفس اسباب تدهور الدولة العباسية .. واسباب ضياع الاندلس هى نفس اسباب ضياع صقليه .. وهى ايضا نفس اسباب ماساة فلسطين .

لماذا لا يتعلم العرب من التاريخ شيئا ؟

لماذا لا يفيد العربى من تجاربه قط ..

ولماذا لا يتبين العربى خطاه الا بعد فوات الاوان .. لماذا يندم بعد ان تقع الواقعة وينتهى كل شىء؟

فى الخطاب الاليم الذى كتبه السلطان ابو عبدالله اخر سلاطين غرناطة بعد ضياع غرناطة يعترف باخطائه .

ويعتذر باعذار هى اقبح من الذنوب ، لم يلقى اخر الامر المسئولية على القدر ويقال ان ضياع الاندلس كان قضاء لا مفر منه .. لماذا لم يقل عبد الرحمن الناصر ذلك ؟ وقد تولى امر الاندلس وهى ممزقة اشتاتا فلم شملها وجعل منها اقوى دولة اوروبية ؟ ..

السبب ان العربى ما زال لايعرف نفسه ..

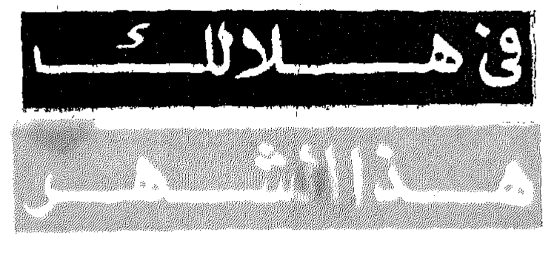
انه الانسان ((ذلك المجهول)) بالنسبة لنفسه ، ولكنه مع الاسف معروف جدا للاخرين ومدروس جدا عند خصومه ..

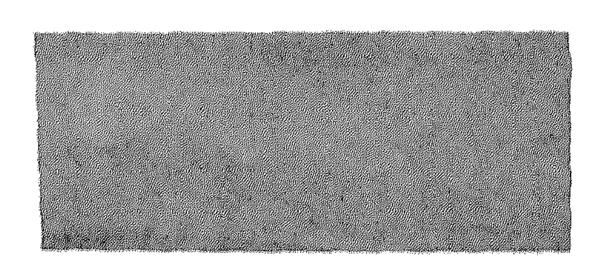
هل يعرف العرب ذلك ..

وهل يعرفون ان احفل ما كتب عن العرب بالفائدة هو ما كتبه عنهم خصومهم .. وان اقل ما كتب عنهم فائده هو ما كتبوه هم عن انفسهم

عجيب جدا ان هذا العربى ، هذا المجهول المعروف ، هذا المستور المكشوف ، هذا العجوز الذى يتصرف دائما وكانه ولد بالامس ، بالامس فقط ..

المحرر







شعبان ١٣٩٩ هـ

يولية ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
– أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
– السنة السابعة والثمانون –
اول يولية ١٩٧٩ – ٦ من شعبان ١٣٩٩ .

من « الهـــلال »

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر : ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها : ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد : نشرت أم لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورديى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .

فى الخارج بالبريد العــادى ٧ دولارات أو ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو ٩ ج.ك. تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمـد عز العرب ـ القاهرة ـ

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

أزمة الفكر السياسى المعاصر

بقلم : رئيس التحرير

في بحثنا الدائب عن كل ما ينفع الفكر العربي ويزيد ثقافة المواطن العربى ، وقعنا علي كتاب صغير يتضمن حواراً بين قطب من اقطاب الراسمالية وهو هربرت ماركيوز ومفكر يسارى معروف هو جان الينشتاين حول موضوع ازمة الفكر السياسي المعاصر والمشاكل التى يواجهها المواطن فى كل بلاد الدنيا المتطلعة الي حياة افضل ومستقبل احسن . وفى هذا المقال خلاصة لهذا الحديث وتشخيص للعلل التى تشكو منها النظم القائمة اليوم فى الغرب ايا كان لونها

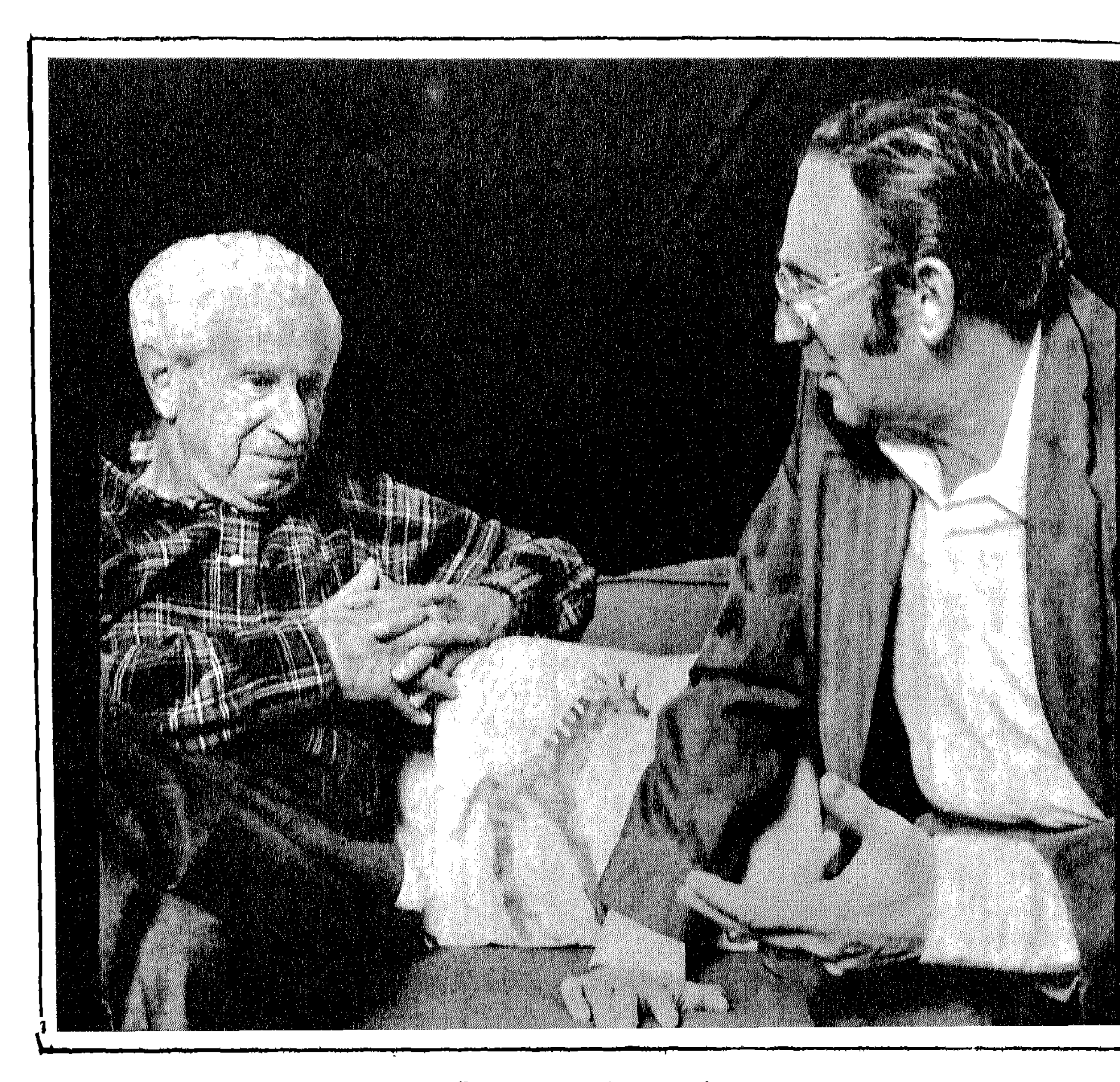
فى بلاد الغرب يعيدون النظر دائما فى كل شيء .

انهم يعيشون بعيون مفتوحة وقلوب واعية . وعيونهم المفتوحة وقلوبهم الواعية تقول لهم أن كل شيء فى الدنيا يتغير . لا شيء قط يبقى على حاله . ونحن جزء من الكون ، فلا يمكن أن نبقى علي حالنا ، وما نراه اليوم قد نرى غيره غدا . ومن اختلاف الرؤية وتعاقب الايام يكون التغيير ، ثم يكون التقدم ، لان التقدم هو التغيير الذى يصنعه الانسان بنفسه واعيا الى ما يصنع . فاذا لم يصنع الانسان التغيير بنفسه واعيا الى ما يصنع حدث التغير على رغمه وتأخر . لأن القطار اذا فاتك ، فان ذلك لن يضر القطار شيئا ، ولكنه يضرك انت . .

لهذا يحرص اولئك الواعون على الا يفوتهم قطار التفكير . لابد ان يكونوا فى القطار دائما ، بل لابد أن يكونوا هم القطار . هم الذين يقودون الاخرين . لهذا يسبقوننا ونظل مكاننا وبمرور السنين نجد أنفسنا فى نهاية الطابور .

وعندما كنت طالبا فى المدرسة الثانوية اعطونى كتابا فى الأدب العربى يقول ان أبا نواس شاعر المجون . وفى مطالعاتى بعد ذلك عرفت ان أبا نواس لم يكن شاعر المجون . كان رجلا حكيما وفنانا مبدعا فى صنعة القصيدة ، وكل ذنبه انه كان رجلا صريحا شجاعا يقول ما فى نفسه دون نفاق فى حين كان الاخرون ينافقون

ومن اسابيع وقع فى يدى الكتاب الذى الفوه لتلاميذ المدارس الثانوية فى الادب العربى . فتحته عند ابى نواس فوجدت الكتاب يقول انه شاعر المجون . خمسون سنة مضت والراى



هربرت مركبوت مفكر الراسمالية على اليسار
يتحدث مع جان الين مشتاين ـ مفكر اليسار

لا يتغير والحكم لا يتغير . هـؤلاء هم القوم الذين يفوتهم القطار دائمـا . هؤلاء هم المتأخرون . هـذه الجملة وامثالها هى المحطة التى نزلوا فيهـا وتركهم القطار ومضى !..

***

انهم ليسوا وحدهم فى هذه الحال . فنحن نفكر فى الامر مرة واحـدة ثم نضع عليه لافتة تقرر ماهو ، ولا نعود الى التفكير فيه مرة أخرى .. اننا نعمل كما يعملون فى حدائق الحيوان . يضعون لافتة على كل قفص تقول مثلا « غزال افريقى طويل القرن . موطنه شـمال نيجيريا » . وتظل هذه اللافتة مكانها سنوات بعد سنوات . تضربها الشمس وينزل عليها المطر حتى تزول الكتابة ، ولكنها تظل فى مكانها .. وقد يتغير ساكن المكان فيحل الطائر ابو مركوب محل الغزال طويل القرن . ولـكن اللافتة تظل مكانها . يظل أبو مركوب غزال نيجيريا طويل القرن رضى أم لم يرض ..

هكذا نفعل بالآراء والافكار . لانعيد النظر فيها ابدا . قلنـا مرة ان كارل كافر وملحد وانتهى الامر . حقا ان كارل

ماركس كافر ملحد، ولكنه اشياء اخرى كثيرة الى جانب ذلك ، وهذه الدنيا لا يسيرها المؤمنون وحدهم بل يسيرها الكفرة والملحدون ايضا . بالذات لانها «دنيا» اى وضيعة ، ومادامت وضيعة فلماذا لايكون للص والمجرم والكافر والملحد والمفسد مكان واثر فيها ؟

وابو نصر السراج الصوفى يقول :

«ان تصرف أهل الفساد فى الارض ووصولهم الى السلطان الدنيوى دليل على هوان قدر الدنيا على الله » ..

***

هـذا على وجه التقريب هو الذى يجعل لكارل ماركس وامثاله مكانا وأهمية فى هذه الدنيا . ومادمنا نعيش فيها فينبغى الا ننسى قط ان كارل ماركس ولد فى ٥ مايو سنة ١٨١٨ فى مدينة تريف فى المانيا ، وتوفى فى لندن فى ١٤ مايو ١٨٨٣ . وخلال السنوات الخمس والستين التى عاشها ، قلب الدنيا راسا على عقب ، ونشر من الكتب والمقالات وانشا من التنظيمات ما دفع الدنيا فى مسار جديد : مسار الشيوعية ومحاولة نقل القوة المحركة للسياسة والتاريخ من أيدى الملوك والقادة والسياسيين والمفكرين الى جماهير العمال ، وانه أدخل العمل قوة موجهة للتاريخ . وهو الذى انزل رأس المال من عرشه . وقال ان رأس المال نفسه ثمرة عمل متراكم . لان العمل سلعة تباع وتشترى . وكارل ماركس حرض العمال فى البيان الشيوعى المشهور ، أو « المانيفستو » الذى نشره ماركس مع فريدريش انجلز فى لندن ١٨٤٧ ودعا فيه عمال العالم ليتحدوا لكى يواجهوا الرأسمالية .

واغلب الظن ان الكثيرين ممن يحسبون انفسهم يحاربون الشيوعية لم يقرأوا « المانيفستو » فى حياتهم . دون ان يقرأوه علقوا عليه لافتة تقول : بيان ضال محرم القراءة .

ولكن الكثيرين من شباب العرب قراوه ولاننا لم نناقشه امامهم منذ قراوه فى السر وفهموه كما أراد ماركس أن يفهموه ثم قرأوا كتاباته الاخرى ، وأصبحوا شيوعيين ، لاننا نحن ـ الذين ينبغى ان نقرأ ونفسر ونرشد ـ اتبعنا أسلوب رجال حدائق الحيوان . علقنا لافتة الغزال النيجيرى على القفص الذى يعيش فيه أبو مركوب ..

***

فى بلاد الغرب لا يفعلون ذلك قط . انهم لا يكتفون بقراءة واحدة للشىء ، انهم يعيدون النظر فى اللافتات بصورة مستمرة . لهذا اثبتوا انهم اقدر على مواجهة افكار الشيوعية منا . لقد ناقشوا كل كلمة قالها ماركس واصحابه من امثال فريدريش انجلز وفرومينسان لاسال وكشفوا عن مواضع الخطا فيها، والشباب الاوروبى الذى تجتذبه الشيوعية وتعجبه آراء كارل ماركس يقرأ الى جانبها ما يقوله الذين يناقشون ماركس ويثبتون خطأ آرائه . لهذا نجد فى اوروبا شيوعيات كثيرة . هناك شيوعية فرنسية ، واخرى ايطالية ، وهما تختلفان كل الاختلاف عن الشيوعية اللينينية . فالشيوعى الفرنسى اليوم أقرب الى الرأسمالى : يعيش فى مسكن فاخر ويركب السيارة ويستمتع بكل مظاهر الترف . انه لم يعد خطرا على المجتمع . قد يكون خطرا ولكنه لا يريد الثورة ولا يفكر فى قلب الاوضاع لأنه مستفيد من العالم الرأسمالى الذى يعيش فيه وهو لهذا يحرص على المحافظة عليه والمشكلة عنده مسألة صراع احزاب لقد فهم اخيرا ان الانقلابات العنيفة وحمامات الدم لا تؤدى الا الى الخراب والدمار ، انه أقل شيوعية من الشاب العربى الذى قرأ كتابات الشيوعيين فى الظلام ، ولم يجد من يناقشها معه ويبين له أخطاءها وأخطارها ، فضل الطريق وحده وتحول الى عدو للمجتمع، بالذات لاننا اكتفينا بتعليق لافتة «كافر ملحد » واغلقنا الملف وحسبنا ان القضية حفظت . نسينا انه لا يمكن أن يحفظ ملف قضية كبرى كهذه ، فان روسيا شيوعية ، والصين شيوعية . وبلاد أوروبا التابعة للاتحاد السوفييتى

شيوعية ، وفيتنام شيوعية وكذلك كمبوديا ، وكل هذه البلاد تحاول ان تفتح لشيوعيتها طريقا ، واسوار مجتمعنا هى الاسوار التى يريدون ان يهدموها ليدخلوا دارنا ، فكيف نتصور اننا نفرغ من المشكلة بحفظ الملفات

ولعلنا لا نعرف بعد ان الشيوعية الآن فى مأزق خطر، فانها بالفعل لم تحقق اى خير يذكر للعمال على الرغم من الضجيج الذى احدثته . فالعامل فى البلاد الشيوعية اليوم فى حال سيئة ، واحواله فى البلاد الراسمالية احسن بكثير .

ذلك ان الطريق التى سار فيها قادة الشيوعية لاقامة ما سموه بدولة البروليتاريا ، اى دولة الطبقة العاملة كان طريقا استبداديا دكتاتوريا ، لكى يقيموا مجتمع الحرية كما زعموا بدأوا **بقتل الحرية ، واقاموا نظام الحزب الواحد يحكمه ويوجهه مجلس مستبد يسمى السوفييت الاعلى او المجلس الاشتراكي الاعلى . هذا المجلس يتكون من عدد قليل من الناس بيدهم كل شىء ، ولكي يحموا انفسهم الغوا الديموقراطية وانشاوا اجهزة المخابرات ونظم السجون والمعتقلات والتشريد بل القتل دون محاكمة . وفى روسيا نفسها لا يوجد انسان آمن على نفسه وماله من ليونيد بريجنيف الى العامل الصغير ...**

والعامل العادى فى المجتمعات الشيوعية رجل مضطهد محروم من كل ما يجعل الحياة مقبولة ، لقد الغت الدولة الشيوعية سيادة راس المال ولكنها اقامت مكانها سيادة الحزب . وقد دعا كارل ماركس العمال للاتحاد لكى يساوموا جماعة ويبيعوا عملهم باغلى الاسعار فلم يطبق هذا الا فى البلاد الراسمالية . هناك قامت النقابات القوية التى تتحدث باسم العمال وتطالب بحقوقهم وتساوم اصحاب المصانع وتحصل للعمال على احسن الشروط ، وهناك تجد التامينات الاجتماعية والتامين ضد البطالة وضد المرض والشيخوخة والمدارس والحضانات التى تنشئها المصانع خدمة لعمالها وتحسينا لاحوالهم .

كل هذا موجود فى البلاد الشيوعية ولكن بالاسم فقط ، واقرأوا حكايات سولسنيتسن لتفهم عن روسيا الكثير

فى البلاد والشيوعية لا توجد نقابات ولا مساومات ، والدولة هى الراسمالى الأعلى الذى يشترىعمل العمال بالسعر الذى يقرره ، بل انه يحدد لكل عامل ما يعمل ويقرر له اسلوب حياته .

والعمال فى الولايات المتحدة وفى انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا يعملون ويكسبون ، وبمكاسبهم يسكنون فى شقق فيها كل وسائل الراحة ، وهم يشترون السيارات ويتمتعون بالحياة . فاين من هذا تعب العامل فى البلاد الشيوعية وحرمانه من كل ما يعين على العمل ؟

والعمل فى البلاد الراسمالية متنوع : هناك الصناعات الحربية وصناعات المرافق الكبرى « مصانع السيارات والقطارات والطائراتوالنسيج والملابس والادوية والاطعمة المصنعة .. وما اليها وهناك ايضا صناعات الترف والرفاهية مثل اجهزة الراديو والتليفزيون وادوات التجميل واثاث البيت المريح او الفاخر . وهذا الاتساع الرحب فى ميدان الانتاج هو الذى يجعل العامل فى البلاد الراسمالية اسعد بكثير من العامل فى بلاد الشيوعية ، المفروض انها جنة العمل والعمال . حقا ان البلاد الراسمالية تعانى من مشكلة البطالة ، ولكن قوانينها تجبرها على ان تدفع للعامل المتعطل لاسباب خارجة عن سلطانه تعويضا شهريا له لكى يأمن على رزقه هو وآله .

ان البلاد الشيوعية تقول انها لا تعانى مشكلة بطالة . الحقيقة انها تعانيها ، ولكنها بطالة مقنعة . لكى يعمل العمال الذين لا يجدون عملا توضع مشروعات ضخمة وغير ذات فائدة فى أحيان كثيرة لمجرد تشغيل العمال واعطائهم حدا أدنى من الاجور او مواد الحياة .

أزمة الفكر السياسى المعاصر

كوبا بلغ بها الامر انها تبيع اولادها . فكل عامل عاطل ، وما اكثرهم فى كوبا اليوم ، يرغمونه على الاندراج فى الجيش ويدربونه ثم يرسلونه للقتال فى الحبشة والصومال وانجولا وموزمبيق . هذا هو العامل المتعطل فى كوبا ، وهذا هو مصيره . تلك هى الازمة التى تعانيها الشيوعية .

***

لقد اعلن كارل ماركس مبادىء تبهر الفكر ، وفتح للناس ابواب آمال واحلام واسعة . ولكن التطبيق هو الذى اثبت ان معظمها كان مجرد نظريات منطقية لا يمكن ان تحقق الاحلام والامال التى علقت عليها ...

وازمة الشيوعية اليوم تتلخص فى انها حتى فى بلادها اصبحت نظاما مفروضا بالقوة ، ولا يخدم الا مصالح رجال الحزب . وهم بالفعل مستفيدون منه ، لانهم الراسماليون الجدد الذين يتمتعون بكل شىء فى حين لا يتمتع الاخرون بشىء .. وليونيد بريجنيف لديه ثمانى سيارات ، وهو يسكن قصورا حتى ان الناس يسمون امثاله اليوم باسم شيوعيى الكافيار والشمبانيا .

ولو انك اطلقت الحريات فى روسيا وغيرها من بلاد الشيوعية لما بقيت الشيوعية يوما واحدا ، لانها نظام مخالف لطبيعة البشر والحياة ، نظام استبدادى يحكم الناس بالدم والحديد وبوجههم الوجهة التى تخدم مصالح الطبقة الحاكمة دون سواها .

حقا ان التكنولوجيين فى روسيا يعاملون معاملة خاصة ، والعلماء واهل الصناعات العسكرية الكبرى يعيشون فى رفاهية ورخاء ، ولكن امثالهم فى المجتمعات الراسمالية يعيشون احسن ويتمتعون اكثر ، ثم انهم ينعمون بالحرية ، لهم آمنون على انفسهم واموالهم ، ولهم الحرية فى ان يقولوا ويفعلوا ما يريدون فى حدود القانون .

وهذا الكلام لا تأتى به من عندنا ، انه خلاصة حديث طويل نشر فى اوروبا وامريكا بين رجل يمثل الفكر الراسمالى ، وهو المفكر الامريكى هربرت ماركيوز وكاتب فرنسى كبير يمثل الفكر الشيوعى وهو جان الينشتاين .

***

وفى هذا الحديث يتكلم ماركيوز عن ازمة الراسمالية ، ويقول ان اسبابها ترجع الى تراخى القواعد الاخلاقية التى لابد منها لنجاح النظام الراسمالى . فهو فى نظره ينبغى ان يقوم اليوم على ثلاثة اسس : جودة الانتاج ووفرته ، وحساب سعر البيع حسابا دقيقا يعطى المشترى حقه ، ثم تقديم رعاية حقيقية وخدمات للعمال الى جانب اعطائهم الاجور والتامينات والاجازات الضرورية ماداموا ينتجون انتاجا طيبا قابلا للتصريف باسعار مجزية للمصنع ومن اسف ان بعض العمال هناك لا يلتزمون بهذه القواعد فيلجاون الى الاضراب او استخدام الحقوق النقابية استعمالا انانيا سيئا ، ثم ان بعض الراسماليين لا ينظرون الا الى الكسب والاستغلال وخاصة فى الاعمال التى لا تحتاج الى عمال كثيرين مما يجعل تطبيق قواعد العمل عليهم عسيرة ومثال ذلك شركات المضاربة فى الاوراق المالية ووكالات المتاجرة فى العقارات ووكالات البيع والتوزيع والنقل وما الى ذلك .

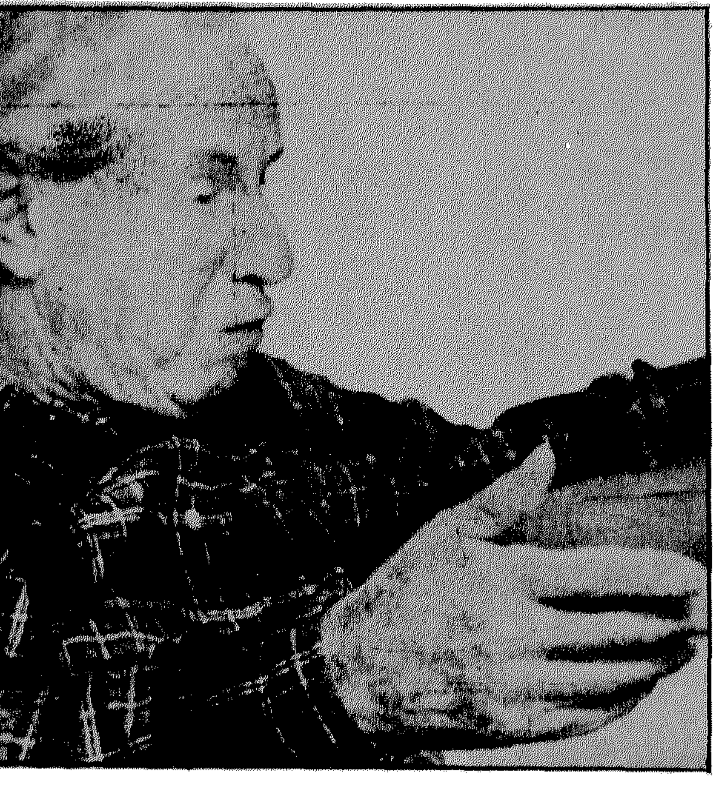
وكل هذه الشركات تضعف النظام الراسمالى لانها تتخلى عن اخلاقياته ، ونحن بطبيعة الحال نستطيع ان نسن القوانين ولكننا لا نستطيع تقنين الاخلاقيات ، وتلك هى المشكلة التى تعانيها النظم الراسمالية كلها . وهى مشكلة لا تنبع من النظام نفسه بل من سوء استخدامه .

واذا كان النظام الراسمالى يعانى ازمة فهذه هى اسبابها ، ومن الاسف ان كل وجوه النقص هذه تدفع خصوم الراسمالية الى مهاجمتها وتأييد النظم المعارضة لها .

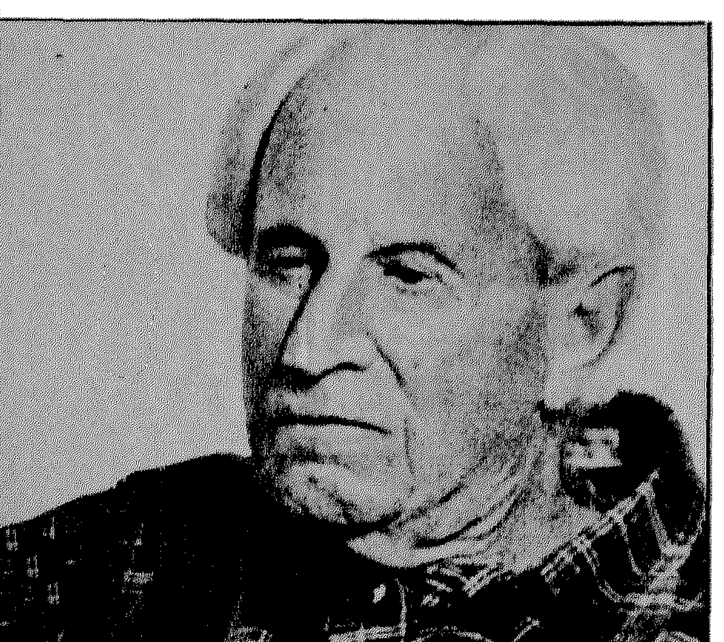
وفى هذا الحديث قال الينشتاين ايضا : ان نظريات كارل ماركس كما هى لا يمكن تطبيقها اليوم ، لان الدنيا تغيرت وعالم سنة ١٩٧٩ غير عالم سنة ١٨٥٠ ، فنحن



اينشتاين : اننا لم نقل قط بالغاء الدولة ، لقد كان كارل ماركس يفكر فى ذلك ، ولكننا الآن تخطينا كارل ماركس وهو بالنسبة لنا مفكر قديم ، اننا نريد الدولة ولكننا نريدها دولة العاملين ، فان العمل فى حسابنا هو كل شىء



اذن فانا لا ادرى موضوع الخلاف بيننا وبينكم ، اننا ايضا نقدس العمل ، ولكننا نقول ان ثمرة العمل ينبغى ان تعود على صاحبه ، اما ان يعمل انسان لكى يعول انسانا متبطلا او عضوا فى الحزب الشيوعى فهذا هو الذى نرفضه . .



ماركيوز : لابد من المحافظة على الدولة ، لا غنى للانسانية عن نظام يحكم الناس ، ولكن لابد من تخفيف عبء البيروقراطية الى اقصى حد ، لان الدولة نفسها لا غبار عليها ، ولكن الاوراق والدفاتر والسجلات كل ذلك يجعل الدولة عبئا ثقيلا على اكتاف المواطنين .



البنشتاين : انكم تخطئون اذ تظنون اننا نفكر فى اتجاه ماركس ، لقد تغير كل شيء ، ماركس اصبح من مخلفات الماضي ، نحن نبحث الانعن طريق وسط، لا هو راسمالى ولا هو شيوعى وربما تكون النهاية هىالبرجوازية المعدلةالمهذبة

فى عالم جديد لا يحب الثورة الدموية ولا يقبل قلب الأوضاع بين يوم وليلة ، ويفضل ان يتم التغيير بصورة طبيعية وعلى مراحل ، **وروسيا نفسها لا تطبق اليوم مبادىء كارل ماركس وان كانت تستخدم اساليبلينينوستالين فىالعنف والسعى لاحداث الثورات والانقلابات وهو اسلوب نرفضه لانه يؤدى الى مزيد من المتاعب والأحقاد .**

ويضيف ماركيوز ان اتجاه الجماعات اليوم سواء فى البلاد الشيوعية او الراسمالية تفكر الآن تفكير المياسير اى تفكير من تسميهم بالسورجوازيين اى الذين يجعلون هدفهم فى الحياة العمل للتمتع بحياة مريحة بل مترفة بعيدة عن الأيديولوجيات ، قريبة من تحقيق حلم الحياة الهادئة الرخية للانسان واولاده دون مراعاة لتقاليد او قيم . وهنا تكمن ازمة الانسان الاوروبى المعاصر .

وقد كان كارل ماركس يقول ، ان هدف الدولة هو الغاء نفسها ، اى ان مهمتها هى ان ترتقى بأخلاقيات الناس وتنمى شعورهم بالمسئولية حتى يقوم كل انسان بواجبه دونالحاجة الىدولة، ولكن الذى حدث هو العكس ، لقد جعلت النظم الشيوعية كل شىء فى يد الدولة والغت وجود الفرد واحساسه بواجبه وضاعفت اثقال البيروقراطية على كتفيه . ففى روسيا لا توجد الا الدولة ، اما الفرد فقد انمحى تماما ، فهل هذا يرضى كارل ماركس ؟

الجواب : نعم ، يرضيه ، لأنه فى صميمه كان رجلا مستبدا طاغيا ، كان يريد ان يلغى وجود الآخرين ليبقى هو، هو وحده ...

ومازال هنا هو هدفالنظم الشيوعية فى كل مكان : الغاء كل الاخرين ليبقوا هم ، هم وحدهم ...

مع الدكتور حسين فوزى فى عيده الثمانين



د . حسين فوزى

حركة دائمة نحو مرافئ الفكر

● محمد سعيد ●

●● هذا الانسان لا يعرف سوى الحركة ، يتحرك فى فروع المعرفة من موقع الى آخر .. يتجول فى المكان من ارض الى اخرى . ويرحل فى الزمان من حقبة الى حقبة .. يعشق الترحال ، ليس بمعناه القريب ، لكن حياته كلها رحلة سندبادية لا تستقر فى زمان او مكان ... فهو طبيب العيون ، المتخصص فى عالم البحار ، الذى تجول مع الفكر والحضارة فكان السندباد المصرى ..

عشق الموسيقى فاثرى النقد الموسيقى ، واحب الادب فكانت له كتابات مرموقة ناجحة . شغل ارفع المناصب العلمية والثقافية فكان صاحب الراى العالم المفكر ! وفى اغسطس من هذا العام يكمل رحالة الفكر الاستاذ الدكتور حسين فوزى اعوام الحلقة السابعة من العمر ليبدا باذن الله مرحلة جديدة مع الفكر والراى والبحث .

●● وعندما حدد لى الدكتور حسين فوزى موعد اللقـاء اختـار مسـاء يوم حار فى مسكنه بالجيزة ، وفى حجرة المكتب المزدحمة بالمجلدات والدوريات والكتب وجدت وجودا لكائنات اخرى .. القطط لها مكان خاص فى لوحات معلقة على الجدران ، ومن خلال حركة القطط الحية فى المكان الذى لم يبق فيه مكان لكائن بشرى سوى مقعد المكتب وأريكة فى مواجهته عليها آلته الموسيقية المفضلة ((**الكمان**)) وقط وديع يشاركك ايضا متعة الجلوس على هذه الاريكة .

قلت للدكتور حسين فوزى : ملامح شخصيتك هل اسهمت فى تكوينها عوامل معينة مما نطلق عليها علاقات التاثير والتاثر ؟

اجابنى ونبرات صوته تعلو وكأنها تنويعات آلة موسيقية وترية : ((أعتقد ان للاسرة ومؤثراتها الطبيعية وطبيعة المكان الذى تربيت فيه فى باب الشعرية ثم الحسين ، وحفظى وتعلمى للقرآن ، وتاملى لملامح آثار المماليك من حولى ـ كلها مجموعة مؤثرات وضح فيها توجيهى نحو ان اعرف وأن اتعلم ..

والدى المهندس المعمارى يحشر المنزل بالمؤلفات المعمارية وبعض الكتب الادبية .. مدرستى الثانوية واحدة من ثلاث مدارس فقط .. النشاط المدرسى فى السعيدية الثانوية افادنى ، التحقت بجمعية الاثار ، وبدأ احساسى بالقراءة الادبية بعدما تقويت فى اللغة الانجليزية ، وبدات اقرا الادب الانجليزى ، وتدعمت لغتى العربية ، فبدات اقرا فى التراث والادب العربى ، وادركت ان اهتماماتى اكبر بالادب رغم التحاقى بقسم العلوم ... وفى البكالوريا كنت الرابع ، وكان الاول **المرحوم الدكتور محمد كامل حسين** صاحب رواية ((**قرية ظالمة**)) ...

والتحقت معه بكلية الطب ، واكتشفت اننى احب العلم فى ذاته بالمعنى الاكاديمى دون ان ارجع حبى لتفسيرات نظرية وفضلت علوم الحيوان ووظائف الاعضاء وعلم الامراض بينما لم يكن لدى احساس بالميل لان أمارس الطب أو أن أصبح طبيبا لم يكن هذا اتجاهى !!

●● **ولماذا تحول اهتمامك من الطب الى علوم البحار مما غير حجم ونوعية اهتماماتك من مرحلة التكوين حتى الان ؟**

ـ ويسرح الدكتور حسين فوزى ببصره وادرك من طول انتظارى لاجابته انه قطع مسافة طويلة ويفاجئنى بقوله : ((تعرف اننى من **القاهرة** ، وحينما سافرت الى **الاسكندرية لاول مرة بهرنى شاطئها .. كنت احلم مع امواج بحر الاسكندرية ، وكنت اغيب فى اعماقه وانا لا ازال على الشاطىء وحينما قرات لافنة الاحياء المائية تقدمت لبعثة خاصة بالاحياء المائية وانا لا اعرف عنها شيئا سوى اننى اعشق البحر ...**

وفى **باريس** تعمق اهتمامى بالبحر وتوقف انتاجى الادبى ففى مصر بدات وضع قصائد الشعر ومحاولات كتابة الرواية والاوبريت وزادت معلوماتى الموسيقية التى بدات فى مصر مع ولعى بالموسيقى وتعلمى العزف على البيانو والكمان .

وحينما توطدت علاقتى بباريس ادركت اننى سافرت من مصر اليها وفى ذهنى معلومات حقيقية عن الحضارة الاوروبية من خلال قراءاتى التى اشعرتنى بقربى من طبيعة العصر الذى عايشته بعد سفرى .

بدات اهتماماتى الادبية وقمت بمحاولات قصصية تاثرا بجى دى موباسان الفرنسى وتشيكوف الروسى ومحمود طاهر لاشين ومحمود تيمور باللغة العربية .

وتطور حبى للموسيقى العالمية وتخطى اهتماماتى بالموسيقى العربية التى بدات بها لانها موسيقى بلدى ولكننى لا أريد التوقف وموسيقانا لا تتحرك راكدة ، واقفة ، لحن راصد او بياتى وكلمات لكن ماهى الموسيقى ؟ قشور !

●● **لكنك كتبت نص اوبرا او اوبريت**

● منذ النشأة ، أحب العلم بالمعنى الأكاديمى

● بحر الإسكندرية حول اهتماماتى من قاع العين إلى أعماق البحار !

● "سندباد" هو معلمى الأول ، وثروتى الحقيقية "المعرفة"



توفيق الحكيم



د . زكى نجيب محمود

على هيئة رواية شعرية لحنها داود حسنى .. هل نضع هذا العمل فى دائرة الضوء من خلال حديثنا منه ؟

— يرد فى هدوء : « هو اوبرا بالمعنى العالمى .. هذا الرجل الشرقى **داود حسنى** اخذ منى اوبرا شعرية هى « ليلة كليوباطرا » من خلال فهمى لشكل الاوبرا المقدم فى تلك الفترة ... قبل ان يلحنها داود حسنى عرضتها على الفنان العملاق **سيد درويش** وكانت سعادتى كبيرة لان نابغة عصره سيلحنها، ولكن سيد درويش طلب اجرا خياليا باسعار تلك الفترة بل وبالمقارنة باسعار اليوم ايضا ، ووقتها تعرفت بالصديق **توفيق الحكيم** الذى كتب عدة مسرحيات لحنها **كامل الخلعى** ، وتوسط لى الحكيم عند كامل الخلعى الذى لم يعجبه انتقالى من بحر الى آخر من بحور واوزان الشعر فاستقرت الاوبرا عند داود حسنى الذى وضع لها لحنا شرقيا له كل المواصفات العالمية ، وصور فيها تصوير كهنة ايزيس فى الصلاه وكذلك مواقف الصراع واقتحام حمام كليوباطرا وغيرها من المواقف الدرامية التى لحنها مغناة من بدايتها الى نهايتها .

●● اهتمامك الموسيقى الكبير هل جاء بمعاونة دراسة موسيقية متخصصة

من قراءة وكتابة « النوتة » والتوزيع الموسيقى والتاليف وما الى ذلك ؟

ـ حدث بالفعل ولكننى انكر حتى لا يعتبروننى موسيقيا كما حدث مؤخرا فى المجالس القومية المتخصصة حينما خيرونى بين شعبة الموسيقى وشعبة الثقافة .. والمسألة مسألة فكروليست ممارسة ثم اننى اجيد العزف على الكمان واختيارى لها لم يكن موفقا لانها آلة صعبة رغم ان أولادى فى الكونسرفتوار افضل منى ، لكنى لم استفد من الكمان فى التاليف لانها آلة ميلودية لا تزيد عن الرباعيات الوترية ، وفى أوروباوجدت تنمية لاهتمامى بهذه الالة لكننى هنا لم أجد الاهتمام فتراخيت لكننى اخترت مؤخرا التحليل الموسيقى من خلال القراءة الموسيقية والكتابة رغم ان كتابتى الموسيقية متوقفة عند مرحلة متخلفة من العمر ، ورغم أن تعليمى أكبر منها فتوقفت عند التحليل الموسيقى .

●● كنت اول عميد لكلية العلوم بجامعة الاسكندرية .. كيف ترى هموم التعليم العالى والبحث العلمى اليوم وانت تلاحظ النواة التى كونتها تنمو لتصبح كيانا علميا كبيرا ؟

ـ .. مسالة الكم من الدارسين أمر محير لا يعطى النتيجة المرجوة ، وهذا ماكنت اناقشه مؤخرا مع الدكتور **ابو العزم** وهى مسالة يجب أن يوضع لها حد حتى تحقق العملية العلمية غايتها وهدفها .

●● دكتور حسين فوزى .. انت عضو فى شعبة الثقافة بالمجالس القومية المتخصصة ، ماهى النظرة المستقبلية التى تتصورون الثقافة من خلالها ؟

ـ حقيقة نعالج مسائل فى غاية الدقة .. فالثقافة التى نعالجها ليست امور التعليم والوعى ، لكنها الثقافة على اساس فكرى جدير بالمناقشة فهى الثقافة بمعنى التخطيط لمستقبل الفكر وتحديد أبعاد هذا المستقبل .

●● لاحظت فى حديثى مع الدكتور حسين فوزى انه دائم الابحار من فكرة الى اخرى ولا يطيل البقاء فى موقع اكثر من لحظات يتركه الى موقع آخر فى المناقشة .. قلت له : اشتهر عنك « سندباد عصرى » هل يرجع هذا الى حب الترحال ام يعود هذا الى روابط اخرى تربطك بالسندباد ؟

ـ انا أعترف بأن السندباد هومعلمى الاول فى كتابى « **حديث السندباد القديم** » قلت هذا وانا اتصور أن رحلات السندباد مؤلفة فى الارض بعيدا عن البحر ولكننى ومع هذا حينما تجولت بسفينة البحث فى البحار وجدت العوالم التى كتب عنها السندباد القديم فكتبت « **سندباد عصرى** » وتنوعت اهتماماتى بالرحلات وبرحلات السندباد وتحقيقها فظهر لى أكثر من مؤلف عن السندباد آخرها « **سندباد يعود الى الهند** » واصبحت كلمة السندباد علم على رجل حياته هى الرحلة وما الحياة الا رحلة !!

●● هناك عدد من الكتب يحمل اسم د . حسين فوزى .. هل تناولت كتبك كل نواحى اهتماماتك المتعددة غير المتخصصة فى بعض الاحيان برغم عمق تجربتك فى كل مجال اقتحمته ؟

ـ معظم كتبى فى السندباديات ولم يخرج عن مجال اهتمامى الاساسى سوى كتابان هما «**الموسيقى العالمية**» و« **مع بتهوفن** » وكان فى مرور ٢٠٠ عام على ميلاده وكل السلاسل التى أصدرتها مسائل فكرية او رحلات وكلها تدور حول الحضارة ، **فانا اهوى الانسان الذى اقام الحضارات واشعل الحروب ومهد للسلام ، ولهذا اهتم بالحضارات من واقع اهتمامى بالانسان .. اهتمامى هذه الايام بحضارة عصر النهضة .**

●● هل يسمى الدكتور حسين فوزى علاقته بالادب علاقة ناقد متذوق ام علاقة كاتب ؟

ـ لا استطيع ان اقول اننى أديب صنعتى الادب ولست كاتبا حرفتى الكتابة .. لكننى أفضل أن أكون مفكرا وكل تفكيرى متجه الى الانسان .

●● ومن هم ابرز ابناء الجيل الذى

● كتبت الرواية الشعرية {ليلة كليوباترا} وتحولت إلى "أوبرا"

● الكم للدارسين مشكلة لاتحقق الغاية من التعليم الجامعى!

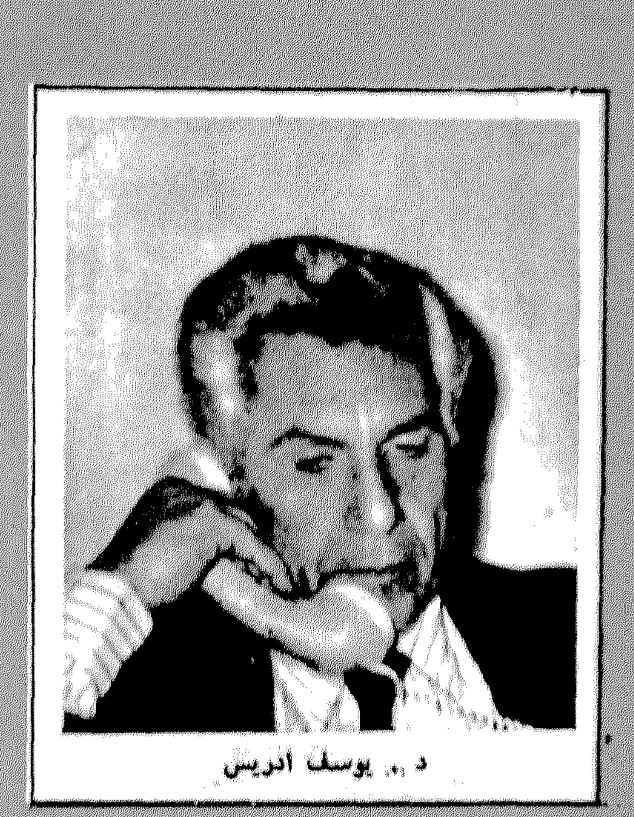
● الثقافة هى التخطيط لمستقبل الفكر الأنسانى



محمود تيمور — د . حسين مؤنس

الدكتور محمد كامل حسين — نجيب محفوظ


سيد درويش


د. يوسف ادريس

تنتمي اليه في المجالات التي امكن لك ان تؤثر فيها .. في مجال الدراسات الاكاديمية .. في مجال الفكر .. في مجال الفن ؟

ـ زملائي من نفس جيلي حولنا الآن ومنذ تعارفنا وحتى الآن ونحن في استمرار معا .. **توفيق الحكيم** منذ عرفته في العشرينات حتى الآن ونحن معا .. **الدكتور زكي نجيب محمود .. الدكتور حسين مؤنس .. بعدنا نجيب محفوظ . جيلنا يميزه الرجوع الى** الاصول .. نجيب محفوظ قارىء عظيم رجع للتراث وللاصول الادبية بلغاتها الاصلية .. معرفة توفيق الحكيم بالمسرح ليس لها ما يساويها ... حتى الجيل التالي **يوسف ادريس** يقرأ باللغات الاخرى غير العربية التي مكنته من القراءات الاساسية دون حاجة الى وسيط كما يفعل ابناء الجيل الحالي ممن لا يقراون باللغات ويكتفون بالقراءة عن اساتذة سبقوهم . . واستمرارا للمناقشة القائمة عندنا وحولنا بالنسبة للاصالة والابتكار ارى ان الحاجة تستدعي اهتمام الاجيال الحالية للتعرف على معارف الغير وتراث الاصول .

●● وهل يتعارض تنوع اهتماماتك مع مايقول به المتحدثون بلسان العصر من ناحية التخصص وتقسيم العمل ؟

ـ ليست مسالة تخصص او تعدد .. لكن اهتماماتي كانت على خطوات ... الموسيقى في مرحلة .. الادب في مرحلة اخرى وهكذا .. **اذا اجبت لك عن سؤال : ماهي الثقافة ؟** ان يؤدي الانسان مهمته في مهنته على اكمل وجه ولايعني هذا ان يكون مثقفا بل ان يتفتح ذهنه على المعارف الاخرى .. الثقافة شاغل اصيل واتساع افق في المجالات الاخرى .. الموسيقى لا تتعارض مع تخصصي

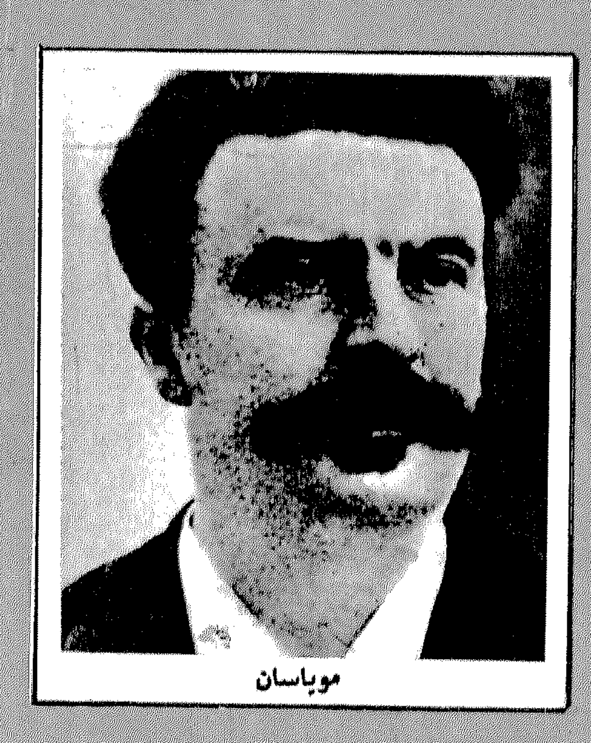
● إخترت التحليل الموسيقى بدلاً من التأليف والكتابة الموسيقية
● أهتم بالحضارات لأننى أهوى الإنسان صانع هذه الحضارات
● أنتمى إلى جيل غزير القراءات، يقرأ بأكثر من لسان وأكثر من لغة
● القدر أقوى وأكبر من إرادة الإنسان

العلمى مثلا د . على ابراهيم مؤسس كلية الطب كان يهتم بفن السجاد ونسيج السجاد ورسومه ، وانا اتصور ان هذا اهتمام ثقافى بجانب تفوقه فى مهنة الطب .. الثقافة نزهة لاتتعارض مع تخصص الانسان فى فرع يشغل اهتمامه .

●● تذكرت تشبيها اطلقه بعض الكتاب على الدكتور حسين فوزى بانه رحلة دائمة فى الزمان والمكان وتوقفت معه لحظة فى علاقته بالمكان فقال : « لو قرات كتابى ((سندباد مصرى)) لادركت صلتى بهذا الوطن وارتباطى بالانسان فيه .. المكان عندى هو الوطن ... وكتبى هى انفعالاتى تجاه الزمان والمكان .. فانا اعشق مصر المكان ومصر الزمان .. مصر الواقع والماضى والحاضر والمستقبل . وليس اعز على من ارض مصر » .

●● وقبل ان تتوقف رحلتى الحوارية مع السندباد المصرى صاحب الجولات الشهيرة فى الزمان والمكان قلت له سؤالا يحلو لى أن اكرره باحثا عن اجابة عند صاحب التجربة الطويلة والاستاذ الدكتور حسين فوزى يقترب من عامه الثمانين ولهذا قلت له قبل ان ارحل عنه لو افترضنا جدلا ان دورة الحياة عادت لتبدأ من جديد ــ هل تختار نفس الطريق الذى سلكته لتصل الى موقعك اليوم ؟ ام ان هناك سؤالا جديدا تبحث منه عن اختيار جديد تستفيد به من تجارب السنين وتقييم النتائج ؟

وقاطعنى الدكتور حسين فوزى قبل ان اكمل سؤالى قائلا : « اذا مر انسان بتجاربى واراد أن يرسم حياته من جديد فى حالة عودة دورة الحياة ــ اتصور أن **القدر سيكون اكبر واقوى من ارادة الانسان .. ولو ارحتك وأجبت عن سؤالك .. فاننى لو اخترت أن ابدأ من** جديد ماغيرت من حياتى شيئا ... لم اكن اريد مالا او جاها ... ثروتى الحقيقية هى المعرفة .. ولو قدر لى أن اعيد حياتى سأعيدها كما هى ، مع اعتبار اكرره: ان القدر اكبر من الارادة » ●


موباسان



الفراعنة و القانون

● فتحي رضوان ●

رسم صنعه رسام اوروبي تخيل فيه زوجة فرعون عندما حمل اليها سيدنا موسى من مياه النيـــل التي القته امه فيها بامر الله

● ان ما جاء في القرآن الكريم ، من فرعون مصر ، وما جـرى بينه وبين موسى عليه السلام ، القي في يقين المسلمين ، ان كل من حكم مصر ، في العهد القديم الـــذي تواضعنا على تسميتـــه بالعهـــد الفرعوني ــ كـــان على مثـــال هـــذا الملك ، الذي ابى ان يستمع لما جاء به رسول الله موسى واخوه هارون ، من هداية السماء ، والايمان بوحـــدانية الاله الصمد ، وبان الناس بعد الموت سيبعثون ويحاكمون ، وان الاوثان التي تصنع ، والهياكل التي تشـــاد لها ، وضروب التقديس والتبجيل التي تحاط بها ، ليست الا لونا من الخبل والجهل ، عاقبته وخيمة .

ولكن الناس ادركت شيئا فشيئا ان الملك الذي روى القرآن الكريم حكايته مع موسى عليه السلام ، لم يكن اســمه (فرعون) ، وان (فرعون) هذه ليست اسما لمنصب الحـــــاكم الاعلى في مصر القديمة ، ليست من قبيل (كسرى) لقب ملوك الفرس ، ولا (قيصر) لقب ملوك الرومان ، ولا النجاشي لقب حكام الحبشة ، وانما هي لفظان باللغة المصرية القديمة معناهما (البيت الكبير) ، وهما رمز على مقر السلطة التي كان يمارسها ملك مصر العظيم ، كان اجدادنا يقولونها كما كنا نقول على بيت الملك المصري في العهـــد الحديث (السراي) وكما كان الاتراك يقولون على مقر سلطانهم (الباب العالي) .

ومن لم فان القرآن الكريم لم يحكم على كل ملوك مصر ، اذ وصـــف فرعون موسى بما وصف من النعوت والخلال الذميمـــــة . مع ذلك الذي يجب ان يستوقفنا في كلام الله العظيم ، انه ذكر لفرعون موسى وزوجته ، واهـــــل بيته وحاشيته من المواقف ، ما دل في جلاء ، على صـــفات شعب المصريين ، ولطف معشرهم ، واخذهم الامور بالرفـق، وكرههم للعنف ، وايثارهم للاستماع الى النصـــيحة ، وحبهم للحق ، واكبارهم للعدل ، وتقديسهم للعائلة ، واعظامهم للمراة ، وحدبهم على الطفل ، والتزامهم المساواة بين الناس . .

وساضرب لك من آيات القرآن الكريم الامثلة على بعض هـــذا ، ليكون مدخلا لحديثنا عن فرعون والقانون ، واعني هنا بفرعون مصر ، ما جرت به الالسن من تسمية ملوك مصر قاطبة بهـــــذا اللفظ .

ولنستفتح حكاية موسى عليه الســـلام مع فرعون بمقدمة ، ليس ثمة افضل منها في الاشادة بخلق المصريين ودماثتهم ، وعظم مقام الزوجة عندهم .

فالمتواتر ، وما جاء في التوراة ، ان فرعون مصر ، ايا كان اسمه الحقيقي ، راى حلما افزعه ، راى فيه طفلا من بني اسرائيل ، يجلس على حجره ، ثم يمد يده ، الى راس فرعون والاخير يداعبه ، فيسقط من هـــــذا الراس تاج الملك ، فيتدحرج على الارض ، وتتناثر منـــــه فصوص الجواهر الثمينة والاحجـــار الكريمة .. ويصحو الملك من نومه فزعا لا يكاد يستطيع ان يجمع شتات نفسه ، ويبقى منقبض الصدر مكتئب النفس ، حتى تعرف منه زوجته ، سر ضـــيقه وتجهمه ، فتنصحه بان يستدعي اليه مفسري الاحلام فيفعل، فيفسر له الحكم بان طفـــــلا ذكرا من بني اسرائيل ، سيحاول خلع الملك من عرشــــــه ، واسقاط تاجه ، وحرمانه من سلطانه ، فيامر بذبح كل طفل ذكر يولد من ذلك العام .

فام موسى ، احتالت على امر الملك، بان استغنت عن خـــدمة القـــــابلات المحترفات اللواتي كن يتولين توليد بنات اسرائيل ، حتى يبقى سر ابنها المولود ، الذكر ، محفوظا لا يذاع .. ثم ان الله

تعالى أوحى الى ام موسى ، أن تلقيه فى النيل ، بعد أن تهيىء له سفطا ، تفرش ارضه باوراق الشجر على النحو الذى جاء فى كتاب الله العظيم :
« واوحينا الى ام موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه ، فالقيه فىاليم ،ولا تخافى، ولا تحزنى ، انا رادوه اليك ، وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون »
« وقالت امراة فرعون قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا او نتخذه ولدا »

فامراة فرعون هنا ما كادت تلمح الطفل يسبح على وجه الماء ، هادئا مستسلما فى سفط ، ليس معه من يحميه ، حتى فاضت فى نفسها ينابيع الرحمة ، وهتفت : لا تقتلوه !

ولم تقنع بهذا الامر بل اضافت **«عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا »** ..

والنفع هنا ، لا يعود الى استخدامه حينما يشب عن الطوق ، ويشتد عوده، فى شئون الدنيا ، بل انما المقصود بهذا اللفظ فى هذا الموضع ، وبهذه الصيحة التلقائية ، ان يؤنس الملكة كما يؤنس الابن أمه ، فيدخل على قلبها البهجة ، ويشعرها بالراحة والطمانينة ..

***

ولنقل فى تفسير هذه الواقعة الانسانية الكبرى ، مانشاء ، فهى من اية جهة جئتها شهادة للخلق المصرى ، وللانسانية المصرية ، ترفع من قدرهما الى اعلى عليين .. فان قلت ان هذه الواقعة تدل على أن الملك ، لايقوى على رد طلب لزوجته ، وانه يطيعها ،ويحب رضاها ـ وجب ان نذكر انه ملك طاغية ، وانه على مانظن ، يستبد برايه ، ولا يشرك فى حكمه احدا . فاذا كان حبه لزوجته ، وسروره برضاها ، هو الذى جعله ، يستجيب لصرختها ، التى انطلقت من قلبها ، وهى تسبح فى ماء النيل ، اذ رات الطفل الجميل الصبوح، يتهادى على صفحة الماء ، وقد أمن عوادى الدهر ، وراح يعلو ويهبط ، مع امواج هذا النهر الكريم السمح ـ فان هذا عنوان العائلة المتحدة المتماسكة :

وان كانت هذه الاجابة حبا للطفولة فى ذاتها ، انسته الخطر الكامن وراء مولد طفل من بنى اسرائيل ، وجعلته يؤمل الا يكون هذا الطفل ، هو المعنى بالحلم ، او الا يكون من اطفال بنى اسرائيل ، فهذه شهادة لخلق اسمى واعظم .

ولا يزال كتاب الله الكريم ، يقص علينا من انباء حضارة المصريين الجديد والعظيم معا ، قال الله تعالى وهو يروى ماجرى لموسى وأمه واخته ، بعد أن وضع الطفل فى التابوت واستودعته امه مياه النيل الجارى فى رفق ويسر :
« وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون . فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون . فرددناه الى امه كى تقر عينها ولاتحزن » .

وهذا الجانب من القصة كلنا نعرفه ، فموسى الطفل التقطته زوجة فرعون ، وفرحت به فرحا شديدا ، ولكنه لم يلبث حتى استحال مصدر فزع وألم شديدين لها ، لانه رفض المراضع كلها ، وراح فى صراخ يهز نفس هذه المراة الرقيقة الحنون ، فكادت تجن فاذا باخت موسى ، التى كانت تسير على الشاطىء ، وهى تراقب كل ما يجرى له ، حتى دخلت الى قصر الملك ، ووقفت على باب القصر ، فعلمت مما راته من اضطراب أهل هذا البيت الضخم ، وذهاب الرسل منه الى كل اتجاه بحثا عن المراضع ـ ان اخاها رفض أن يطعم من غير لدى أمه ، فراحت تعدو الى بيتها ، وعادت مع أمها ، ثم دخلت الى مخدع الملك ، لتعلن انها احضرت معها امراه ترضعه وتكفله ..

ولنا ان نتساءل كيف استطاعت اخت

موسى ان تصل الى اعماق قصر الملك ، حيث تعيش الملكة ، ومعها الطفل الذى التقطته منـــذ حين ، دون أن يردها الحرس ، وهى فتاة فقيرة ، لا تلبس الا ما رث ورخص من الثيـــاب ، وهى تنتمى الى طائفة مضـــطهدة ، أو على الاقل طائفة لا تتمتع بشىء من السلطة ولا الجاه .. ولك أن تعجب ، فى الوقت نفسه ان هذا الطفل الذى لايعرف له أب ولا أم ، قد أصبح شـــغل الملك وزوجته وبطانته الشـــاغل .. وانه ماكادت تظهر امه ، وتعلن أخته انهـــا مرضع قد يقبل ثديها ، حتى يفسح لها الطريق ، ويسلم اليها الطفـــل ، فاذا اطمأن على صدرها ، وسكت ، هدأت الملكة ، ورضى الملك ، وانقطع القلق ، وبقى الطفل فى قصر الملك ، بعد ذلك ، ليشب ويكبر ، مشـمولا برعاية الملكة وحبها ، وحب الملك وعطفـــه ، وهو مصداق لقول الله تعالى ، على لســان فرعون وهو يحاور موسى بعد أن بعثه الله نبيا ورسولا الى فرعون وملئه:

« الم نربك وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين » .

ولا احسب ان أذنا يمكن ان تخطىء تبين النغمة الابوية فى هذا العتـــاب الرقيق ، وهو العتاب الذى توجه به فرعون مصر الى رسول الله موسى ، حينما دعاه الى الدين الجديد ، واشتد فى حديثه معه نوعا ما ، فانهـا تفيض بالرغبة فى أن يذكر الابن يد ابيه عليه ، والايام التى قضاها فى حجره ، لم ينمو ويكبر ، ويلعب ويرتع ، فى رحاب ملكه، الامر الذى حدثنا عنـــه بعض مفسرى القرآن فقالوا ان فرعون لم يكن ليقوى على مفارقة الطفل موسى ،اذ كان يصحب الملك فى رحلاته وتنقـــلاته ، بل كان يجلسه الى جوار عرشه ، يتنسم بقربه، ويبتهج بصحبته .

ولقد نصح الله موسى ، حينما بعث به الى فرعون ، ومع موسى هارون ، أن يترفق فى الحديث مع الملك ، فقال لهما : فقولا له (قولا لينا) . عمـــلا بالقاعدة الاساسية فى الدعوة الى الله ، وهى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » من جهة، والقاعدة التربوية الموجهة الى الابناء بينما يقوم بينهم وبين الاباء خلف فى العقيدة : « وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا »

ولكن الامور لم تلبث ان دب بينهمـــا عنف ، وذلك بعد ان قتل موسى مصريا ، انتصارا منه لواحد من بنى عشيرته ، اى لاسرائيلى يقال انه كان يعمل بقصر الملك ، وبهذه النقلة ، خرجت العلاقة بين موسى وفرعون من نطـــاق مائدة القصر الملكى ، الى نطاق القـــانون والدولة . وهنا نرى من آيات حرص المصريين على القانون أعلى صور ، واسمى مراتبه ..

فموسى معــــروف لدى الكافة بانه ربيب الملك ، وحبيبه ، وانه مقرب الى الملكة ، وانه نشأ فى بيت السلطان ، وان مقامه علا ، ونفوذه اتسع ، وهو يتقلب فى نعمة حاكم البلاد الأعلى الذى كان يعبد من دون الله ، الامر الذى جعل هذا الملك يقول لحاشيته وموسى يدعو الى الدين الجديد ، بانه لايرى حاشيته الا مايرى ، وهو لايعرف للمصريين اله سواه . ومع ذلك فلما قتـل موسى مصريا ، طلبه القانون ، وتعقبته السلطة ليساق الى المحاكمة ، ولينزل به العقاب

وقد روى لنا القرآن الكريم هــذه الحقيقة العظيمة فى ســورة القصص ، قال الله تعالى : **« وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى . قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج منها خائفا يترقب»**

***

ولقد أسعدنى الحظ ، اذ اطلعت على جانب من مذكرات الدكتور محمد بدر استاذ تاريخ القانون بجامعة عين شمس،

فقد تفضل فاهدى الى ملازم لم يضمها كتاب بعد ، فاذا بها تزخر بالنصوص العديدة ، التى استنبطها عدد ضخم من علماء اوروبا ، انجليز وفرنسيين وطليان وغيرهم ، وكلها تخلص الى نتيجة واضحة جلية ، وهى أن فرعون مصر ، كان خاضعا للقانون ، مقيدا به ، وخادما له ، وراعيا لاحكامه ، وليس صانعا له ، متحررا منه ، وخارجا عن نطاقه ..

فمن هذه النصوص فى صفحة ٢٥ من هذه المذكرات :

« رغم الطبيعة الالهية لفرعون بجعله مصدرا سماويا للتشريع ، فهو يقول القانون ، وينهض بين الناس باقامة العدل من حيث هو أمين الهه «معات»

« غير ان سلطة فرعون هذه ــ المطلقة فى الظاهر ــ فى التشريع والقضاء بين الناس ، لم تكن فى الواقع كذلك اذ كان يقيدها قيد من فكرة الآلهة الفرعونية عند المصريين وضرورة انضباطها على المعايير الموضوعية للحق والعدل »

وقد اورد الدكتور محمد بدر فى هامش هذه الصفحة اقوالا للمؤرخين والاثريين دريشون ، وفانوييه ، واندريه ايمار ، مايؤكد ان عمل الملك الاسمى والاول ، هو اقامة العدل ..

ثم قال ان سلطة فرعون كان يقيدها كذلك واجب التزام التشريع القائم حتى يلغى أو يعدل بتشريع قانون ، بل ان قيدا أكبر أهمية من كل ذلك فى دقة تنظيم اجهزة الادارة حتى ليقول الشراح ان فرعون قد صار ، وهو رأس الادارة ، لا يسهل عليه ، واذ القضاء نوع من الحكم يلتزم الحاكم الوفاء بمسئوليته فى القيام على حسن أدائه ، واذ كان على فرعون أن يقيم حكمه على العدل وأن يقيمه بين الناس فى منازعاتهم ، فقد كان الاصل ان يقوم هو نفسه بين الناس فى اقضيتهم ، ولكن هذا الاصل لا يمكن اطلاقه فى مجتمع يكثر فيه الناس ، وتكثر فيه من ثم مشكلاتهم ومنازعاتهم . واذن كان يقتصر فرعون ، كسائر الحاكمين للشعوب على التوجيه والاشراف »

وليس فى تولى الملك أى الحاكم الاعلى مهمة القضاء ، مايعيب ، أو ما يخالف مقتضيات العدل ، ما دام الملك حتما يجلس كقاض ، يتحلى بصفات القاضى ، من الحيدة ، واحترام الخصوم ، مهما قل شأنهم ، وضعف مركزهم ، وفى التلطف لهم ، حتى يأنسوا به ، ويطمئنوا الى شخصه ، ومن الطبيعى أن يكون الوالى أو الامام فى المجتمع الانسانى الصغير ، هو قاضى القضاة ، وقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بين الناس ، وكان الخلفاء من بعده ، يجلسون فى مجلس القضاء ، حتى اذا اتسعت الدولة الاسلامية ، تخصص القضاة ، وانصرفوا الى أقضية الناس ، يحيطون بدقائقها ، ويبحثون عن النص القانونى الذى ينزلونه عليها . ولكن بعض الناس ظنوا ــ وهم يرون فيما سجلته نقوش المعابد الفرعونية ــ فرعون يقضى بين الناس ، ويجلس فى المحاكم العليا ، كقاضى القضاة ، أن ذلك من قبيل هيمنة فرعون على كل ضرب من ضروب السلطة ، وأنه قد يكون داعيا لايقاع الظلم بالمتقاضين ، لان الملك يحكم بهواه ، ولانه لا يجد من يرده عن خطئه .

ولقد أناب الملك ، من نفسه بعض وزرائه ليفصلوا فى المنازعات الكبرى ، ومن أشهر وزراء الدولة القديمة (نباح حوتب » وقد عثر على وثيقة تتضمن ما ينصح به هذا الوزير الحكيم من قواعد الحكم التى تدل على سيادة القانون فى هذه الدولة الموغلة فى القدم . قال :

اذا كنت الذى يتلقى الدعوى فكن لطيفا عندما تستمع كلام رافعها . لا تعامله بغلظة بل دعه يتكلم حتى يفرغ قلبه ويستطيع ان يقول لماذا جاء . ان الشاكى يحب الذى يستمع الى شكاته ، حتى ينتهى . وجلسة ملاطفة تريح القلب .

ثم يقول الدكتور بدر : ومن المسلم به – حتى من الذين يشكون فى المكانة الدينية للنظم القانونية الفرعونيه – ان المصريين جميعا رجالا ونساء كانوا امام سيادة القانون على سواء ، فالمحاكم تقضى بينهم ، فى المواد المدنية والمواد الجنائية ، وفى الاجراءات ، على نحو واحد ، لا محاباة فيه ولاتمييز» .

وقد جاء فىالوثيقة نفسها كما ترجمها الى الفرنسية العالم جاك بيرن : ان أحد الوزراء ينهى احد القضاة ان يقاطع الشاكى قائلا : لقد حكيت هذا من قبل ..

وهذا النص يدل – كما يقول جاك بيرن – تعليقا على هذه الوثيقة ان المصريين حتى فى عهد دولتهم القديمة كانوا قد تجاوزوا بكثير ، المرحلة التى كان فيها القضاء ، مجرد اداة لاقامة النظام ، واصبحت الغاية من القضاء توفير احترام الشخصية الانسانية ، وتحقيق اسباب طمانينتها .

ومن النصوص الاخرى ما نقله العالم « ديفرانششى »وهو :«الذىيجرىانه اذا تهرب الملك من المراعاة الدقيقة لما هو مفروض عليه منمبادىءفقداعتباره كاله ، فلا الالهة يعترفون به ولا الناس يطيعونه »

ويقول فلندرز نيرى فى كتابه «الحياة الاجتماعية فى مصر » الذى ترجمه للعربية حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم :« انالملك خاضعللقانون والنظام . وكانت سلطات الملك مقيدة كل التقييد . واذن فقد كانت نظرية الحق الالهى مقيدة تقييدا كبيرا بالنسبة لملوك مصر »

ويقول اوستين ليودوريدس : ان الملك – ابتداء من الاسرة الرابعة اصبح راس حكومة مركزية غاية فى القوة ، ولكن كان مجرد قيام جهازها ونظامها ، حائلا دون اى ميل عند الملك لان يحكم كما يبدو له ان الملك ذاته بلغ اعلى مراتب توجيه التشريع ، ولكنالقوانين كانت يتلقاها الشعب على انها التعبير عن العدالة فى اعلى مثلها .

والقانون الذى يصدر تبعا للاجراءات الشرعية الصحيحة ، يبقى نافذا ما دام لم يعدل أو يلغى بقانون اخر

ونحن نرى حالات يلغى فيها الملك اوامر صادرة من الادارة التابعةله اذا كانت مخالفة للقانون .

وقد ذكر جاك بيرن حالات تقدمت فيها ثلاث عرائض من معابد تشكو من اوامر صادرة من الملك مخالفة للقانون ، وقد استجاب الملك للالتماسات المقدمة والغى الاوامر الصادرة منه شخصيا

جملة القول ان فرعون مصر – دع منك فرعون موسى – لم يكن عدوا للقانون بل كان حاميه ، ولميكن يستطيع الخروج عليه ، أو الهزء به ، اذ كان الدين والتقاليد والمنظماتالمكونةللدولة لتعاون بعضها مع بعض ، لتؤكد أن ملك مصر ، هو سيد البلاد ، بفضلالقانون ، وباسمه . فالملك ينشأ منذطفولتهعلى حب القانون ، واحترامه ، والعمل به ، وتثبيت شعور الخضوع له والاذعان لاحكامه ، ولا يرى فى ذلك انتقاصا لمقامه ، ولا حطا من قدره ، ولا تقييدا من سلطته ، لانه والقانون ، يندمجان حتى يصبحا شيئا واحدا ويصبح الاقرار بهيبة القانون ومكانته ، وسمو سلطانه ، اقرارا بهيبة الملك ، والاذعان له . ولم يكن الحب الذى يملأ قلب الملك للقانون ، مرده أن القانون طيع فى يده ، وانه يصوغه ويشكله كيفما يشاء ، بل لانه يؤمن تماما بأن القانون العادل ، هو بركة الالهة ، وسرهم الذى يصون الملك من الشر والضعف .

على ان اهم من ذلك كله ان الشعب المصرى كله من كهنته وامراء جيشه وحكام اقاليمه وفلاحيه وعماله ، كان يؤمن بالقانون ويقدسه ويعلىمنمقامه، ومن ثم كان الملك ، رمزا للشعب فى حب القانون وبسط لوائه ونشر كلمته .

●

الإمام الشافعي في مصر

« كان الشافعي كالشمس للدنيا .. وكالعافية للناس ... »
« احمد بن حنبل »

● د. محمد عبدالمنعم خفاجي ●

● في يوم الخميس اول ربيع الثاني عام ١٩٩ هـ ـ التاسع عشر من نوفمبر عام ٨١٤ م ، اى منذ اثني عشر قرنا هجريا ، أو١١٦٥ عاما ميلاديا ـ وفد على مصر الفسطاط من مكة المكرمة عالم قريش وامامها ، محمد بن ادريس الشافعي ، ومعه ابنه ابو عثمان محمد (ـ ٢٣٢ هـ) ، ومعه كذلك زوجته حميدة حفيدة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، ثم بنتاه زينب وفاطمة ، وذلك للاقامة الدائمة فيها ، وكان في ركبه تلميذه ابو بكر الحميدي (ـ ٢١٩ هـ) .

وكانت شهرة محمد بن ادريس العلمية ملء الاسماع والبقاع ، فالعالم الاسلامي كله يذكره بالخير والتقدير والاكبار ...

وصادف دخوله الفسطاط دخول نائب والى مصر الجديد ، الامير العباسي ، عبدالله ابن العباس بن موسى . وكان الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) قد ولى العباس بن موسى على مصر ، فبعث ابنه عبدالله الى الفسطاط نائبا عنه في حكم البلاد . فدخلها في اليوم الذى دخل فيه الشافعي مدينة مصر وعاصمتها ، وقبلة الاسلام فيها ، الفسطاط ...

ونزل ابن ادريس فيها على أخواله من الازد ، ثم كان في ضيافة عبدالله بن عبد الحكم القرشي (١٥٥ ـ ٢١٤ هـ) ، وهو صديقه وزميله في طلب العلم في حلقة الامام مالك ، رضى الله عنه ، في المدينة المنورة ...

وأخذ ابن ادريس يتردد على جامعة ، أو جامع الفسطاط للصلاة ، ولحضور حلقات العلم فيها . وكان أبو رجب الخولاني العلاء بن عاصم يتولى امامة الجامع العتيق ، جامع عمرو ، أو تاج الجوامع ، ويلقي قصص السيرة والفتوح، في احدى حلقاته ، وكان الشافعي يصلي خلفه ، ويقول فيه : ما صليت خلف أحد اتم صلاة من أبي رجب (١٣٥ و ٢/١٣٦

حسن المحاضرة للسيوطى) •

وها هو ذا ابن ادريس عالم قريش، «الذى ملأطباق الارض علما »كماوصفه الامام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ) ، يجلس فى جامعة الفسطاط ، فى حلقة علمية خاصة به ، ومن حوله ابنه أبو عثمان ، وتلميذه الحميدى ، ومحمد (١٨٢ – ٢٦٨ هـ) ابن صديقه القرشى عبدالله بن عبد الحكم ، وكان محمد كابيه مالكيا ، ولكنه أنس بالشافعى ، ووثق بعلمه ، ورغب في الافادة منه ، فاخذ يتردد على حلقة صديق أبيه ، وخاف المالكيون ذلك وأنكروه لما فيه من وضوح الانصراف عن المذهب الى مذهب هذا القادم الجديد ، وشكوا الى أبيه ، فاخذ يخفف من حدتهم ، ويهدىء من ثورتهم ويقول لهم: ان ابنى محمداشاب صغير، يحب أن يستمع الى الآراء وأن يناقشها.

ثم كان اذا انفرد بابنه يقول له : يا بنى ، الزم ابن ادريس .وكان عبدالله اماما جليلا ، تصدر زعامة المذهب المالكى وتدريسه فى جامعة الفسطاط ، والف كتبا فيه ، وابناؤه الثلاثة : عبدالحكم (– ٢٣٧ هـ) ، ومحمد (– ٢٦٨ هـ) ، وعبدالرحمن المؤرخ ، كانوا نجوم الفسطاط ، ملأوا آفاقه علما وفضلا ، وقد جلسوا فى حلقة ابن ادريس ، وافادوا من علمه ، وكان عبدالرحمن من احرصهم على التردد عليها . وكانت اسرة عبدالحكم فى الفسطاط اسرة جاه ومجد وعلم ، ياوى اليها العلماء والادباء والشعراء ، ويستظلون بظلها ، ويلقون الكثير من برهم وكرمهم .

وتعهدت ابن ادريس بالبر والرعاية كذلك السيدة نفيسه بنت الحسن الأنور، حفيدة زيد بن الحسن بن على «١٤٥ – ٢٠٨ هـ) ، وكانت قد هاجرت الى الفسطاط عام ١٩٣ هـ ، وأقامت فيه ، فرارا من اضطهاد العباسيين للبيت العلوى، وظلت فى مصر هى وزوجها اسحاق بن الامام جعفر الصادق رضى الله عنهم، وعاشت في الفسطاط خمسة عشر عاما الى أن وافاها الاجل عام ٢٠٨ هـ ، وكانت حفاوتها بابن ادريس لا تعادلها حفاوة.

ورأى الناس عالما من قريش ، يجلس فى جامعتهم للتعليم ، يصلى فلا يرون احسن صلاة من صلاته ، ويتحدث فلا يسمعون أعذب حديثا من حديثه ، مع صباحة وجهه ، وواسع كرمه ، وعلو كعبه فى العلم ، فافتتنوا به ، وواظبوا على الجلوس فى حلقته .

وخف الى مجلس ابن ادريس العلمى فى جامعة أوجامع الفسطاط: البويطى – ٢٣١هـ والربيع الجيزى (– ٢٥٦هـ)، والمزنى (– ٢٦٤هـ) ، والربيع بن سليمان المرادى (– ٢٧٠ هـ) ، ويونس بن عبد الاعلى (١٧٠ – ٢٦٤ هـ) وغيرهم .

واتسعت حلقته اتساعا كبيرا ، حيث أخذ الشافعى يلقى محاضراته فى الفقه واصوله ، وفى التفسير والحديث ، وفى اللغة والادب ، على الطلاب ، ويملى عليهم رسائله وكتبه .

ومع أن حلقات العلم فى جامعة الفسطاط كانت كثيرة وكبيرة ، الا أن حلقة ابن ادريس كثر طلابها ومريدوها كثرة مذهلة ، وصارت بكثرة المترددين عليها أكبر الحلقات العلمية فى الجامع العتيق ، وأعظمها أثرا فى خدمة الدين واللغة والادب .

وكان ابن هرم يكتب للاستاذ الجليل ابن ادريس ، والبويطى يقرأ له الدرس ، والطلاب يسمعون ثم يكتبون، وفى زاوية الخشابية بالمسجد الكبير – الجامعة الاسلامية الاولى فى مصر – التى عرفت بابن ادريس كان نسكه وعبادته ، وكان يجلس فيها ليكتب ، ومن حوله تلاميذه ومريدوه .

وكان يبدأ دروسه بالقرآن وتفسيره ، ثم بالحديث وعلومه ، ثم بالفقه واصوله، ثم بالعربية وعلومها .

وكان يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى الفقه نبل قدره ، ومن نظر في اللغة رق طبعه ، ومن نظر في الحساب

جزل رأيه . وكان يناظر سرج الغول الشاعر الاديب في الادب والشعر والنقد ، وكان لسرج حلقة أدبية كبيرة في الجامع العتيق .

وكان لابد ان يغضب المالكيون خوفا على مكانتهم الروحية التي زعزعمنها ابن ادريس ، اذ لم يصبحوا في الصدارة كما كانوا من قبل ، حتىان « فتيان بن ابى السمح » المالكى الفقيه ناظر الشافعي ، واسرف في اللدد والخصومة في مناظرته ، ووجه الى ابن ادريس كلاما لا يصح ان يقال له ، فعلم امير مصر بالامر ، فعاقب ابن ابى السمح عقابا شديدا زاجرا . وأخذ تلاميذ « فتيان بن ابى السمح » يطاردون كل من يذهب الى محاضرات الشافعي ، غضبا لاستاذهم ، وجاء عيسى بن المنكدر قاضي مصر فيمابعد على مدى عامين « ٢١٢ ـ ٢١٤هـ » الى الاستاذ العظيم ابن ادريس يلقى عليه اللوم لانه احدث مذهبا جديدا. ولكن الجماهير كانت بالمرصاد لكل من حاول ان يمس مكانة الاستاذ الجليل ، كما كان والى مصر«السرى» « المتوفى عام ٢٠٥هـ» بالمرصاد لابن ابى السمح حيث عاقبه عقابا رادعا .

***

وكان الامام ابن ادريس يذكر مكة المطهرة في شوق كبير اليها ، ويذكر امام بغداد احمد بن حنبل « ١٦٤ـ ٢٤١ هـ » بالشوق والحب ، ويقول : « لقد وعدنى احمد ان يقدم الىمصر» ويقول لتلميذه يونس بن عبد الاعلى « ـ ٢٧٠ هـ » : يا يونس . ادخلت بغداد ؟ فرد عليه يونس : لا . قال : ما رايت الدنيا ولا رأيت الناس .

وكان ابن ادريس يقول عن ابن عبد الاعلى هذا : مارايت احدااعقل من يونس بن عبد الاعلى .. وكان احمد ابن حنبل يقول في الشافعي : « كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس » ويقول عنه : ما علمت احدا اعظم منه على الاسلام في زمن الشافعي من الشافعي . ويقول : ما رأيت أحدا افقه في كتاب الله تعالى من هذا القرشي .

***

وكان ابن ادريس قد ولد في غزة عام ١٥٠ هـ ، وبين غزة وعسقلان عاش مع أمه يتيما عامين ، ثم ذهبت به الام الى بلده مكة البلد الحرام ، فلما جاوز الرابعة من عمره أقبل على القرآن الكريم يحفظه ، وما أتم السابعة الا وقد أتم حفظه وتجريده.

ويقص عن نفسه قصة حياته الاولى فيقول :

« خرجت الى البادية ، فلزمت هذيلا ، اتعلم كلامها ، وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ، ارحل برحيلهم ، وانزل بنزولهم . فلما رجعت الى مكة ، جعلت انشد الاشعار ، واذكر الآداب والاخبار وايام العرب ، فمر بى رجل من الزبيريين ، فقال : لقد عز على ان لا يكون مع هذه اللغة ، وهذه الفصاحة والذكاء ، فقه ، فلو حصلت الفقه .. فتكون قد سدت أهل زمانك ..

فقال الشافعي : ومن بقي يقصد ؟ فقال : هذا مالك سيد المسلمين في المدينة .فوقع كلامه فيقلبي،فاستعرت « الموطا» وحفظته فيتسع ليال، وعزمت على الرحلة الى مالك » ..

ويقول محمد بن بنت الشافعي : اقام الشافعي على تعلم العربية وايام الناس عشرين سنة ، وقال : ما أردت منه الا الاستعانة على الفقه .

اصبح لابن ادريس شان في حلقات المسجد الحرام ، لما عرف به من حدة الذكاء . وجودة الطبع ، وجمال البيان ، وفصاحة اللهجة ، وحسبك به حفظه لكتاب الله وهو في السابعة ، وللموطا وهو في العاشرة ، وتصدره لحلقة في المسجد الحرام وهو في الخامسة عشرة من عمره ، ثم الاذن له

بالافتاء وهو فى العشرين ..

وكان يحفظ من شعر الهذليين وحدهم عشرة آلاف بيت، عدا ماحفظه من شعر العرب وخطبهم وبلاغاتهم .

اخذ فى المسجد الحرام العلم والفقه عن آئمة الفقه والتفسير والحديث واللغة ، وجلس فى حلقة مسلم بن خالد الزنجى ، مفتى مكة وفقيهها « ــ ١٨٠ هـ » ، وسفيان بن عيينة « ــ ١٩٨ هـ » شيخ المحدثين ، وكان سفيان يقول فيه : هذا افضل فتيان اهل زمانه .

ثم غادر مكة الى مدينة رسول الله، ليأخذ الحديث على مالك شيخ المحدثين « ٩٤ ــ ١٧٩ هـ » . وفى حلقته تعرف بالكثير من اترابه الشداة الناهجين نهجه فى التعلم والتعليم ..

ولم يلبث ان ولى قضاء اليمن ، بمساعدة مصعب بن عبد الله القرشى وتوصيته عليه عند والى اليمن ، وفى اليمن لقى جماعة من العلماء والمحدثين اخذ عنهم ، وافاد منهم ، كمطرف بن مازن الضعانى ، وعمرو بن ابى مسلمة صاحب الاوزاعى ، ويحيى بن حسان صاحب الليث بن سعد امام مصر . وهشام بن يوسف قاضى صنعاء ، وغيرهم . واتهمه حساده والحاقدون عليه بالعلوية ، ورفع أمره الى الرشيد فاستدعاه وساءله ، وكان ذلك عام ١٨٤ هـ فنفى الشافعى ذلك عن نفسه ، وشهد له محمد بن الحسن « ١٣٢ ــ ١٨٩هـ » لدى الرشيد ، وكان محمد زميلا للشافعى فى حلقة الامام مالك ، فى المسجد النبوى فى المدينة المنورة ، فعفا الرشيد عنه ، وأخذ يتردد على حلقات العلم فى بغداد ، ولم يلبث ان عاد الى مكة، حيث عاود تصدر حلقته فى المسجد الحرام .

وزار الامام احمد بن حنبل مكة عامى ١٨٧ ، و ١٩١ هـ وجلس الى الشافعى ، وملأ قلبه وعقله جميعا . وكان احمد يقول فيه لبعض أصحابه تعال حتى اريك اليوم رجلا لم تر عيناك مثله ، ان فاتك عقله فانى أخاف الا تجده الى يوم القيامة . ويقول : مارأيت احدا افقه فى كتاب الله تعالى من هذا القرشى . وجاء الاصمعى « ــ ٢١٦هـ » الى مكة ، ولقى الشافعى ، واخذ عنه اشعار هذيل كما اخذ عنه شعر الشنفرى ، ومع جلالة قدر الاصمعى وعظمة تحصيله للغة والادب والشعر ، ولكن ليس ذلك بعجيب على الشافعى ، وقد كان الجاحظ « ــ ٢٥٥هـ » يقول فيه: كأن لسانه ينفث الدر .

وبعد احد عشر عاما من رحلته الاولى الى بغداد ، عاد عام ١٩٥ هـ اليها ثانية ، فى خلافه الامين ، فقضى فى العراق عامين ، جلس فيهما الى علماء بغداد ، وجلسوا اليه ، الحسن ابن زياد اللسؤلؤى « ٢٠٤ هـ » ، والكرابيسى « ٢٤٥هـ » ، وابو ثور « ــ ٢٤٠هـ » ، والزعفرانى « ــ ٢٦٠هـ » وقرا كتب ابى حنيفة « ــ ١٥٠ هـ »، واصحابه : أبى يوسف « ١١٣ ــ ١٨٣هـ » ومحمد بن الحسن « ١٢٢ ــ ١٨٩هـ »: وأملى مذهبه القديم فى بغداد .

وعاد الى مكة عام ١٩٧ هـ ، ولم يلبث ان تركها الى بغداد ، فدخلها للمرة الثالثة عام ١٩٨ هـ ، ليقيم فيها عدة اشهر ، يرحل بعدها الى مصر الفسطاط ، والى جامعة الفسطاط، فى رحلته الخالدة ، التى جاءت فى نهايات حياته ..

***

وفى مصر الفسطاط كانت قد نشأت مدارس فقهية كثيرة ، ففيها نبغ عبد الله بن وهب « ١٢٤ ــ ٢٠٠ هـ » احد الائمة المجتهدين ، والليث بن سعد « ٩٤ ــ ١٧٥ هـ » فقيه مصر وامامها ومحدثها . ومن تلامذة الليث : اسحاق بن الفرات « ــ ٢٠٤هـ » ، واسحاق بن بكر « ــ ٢١٨ هـ »

وحل الشافعى بالفسطاط ، تقاد

حركة فقهية جديدة ، كان لها صداها العميق في العالم الاسلامي

كان اهل مصر يعتمدون على فتاوى عبدالله بن عمرو بن العاص «ـ٦٨هـ» من الصحابة ، ويزيد بن ابى حبيب « ـ ١٢٨هـ» من التابعين .

كما كان أهل المدينة يتبعون فتاوى عبدالله بن عمر «ـ٧٣هـ» وزيد بن ثابت « ـ٤٥هـ» من الصحابة ، وسعيد بن المسيب «ـ٩٤هـ» من التابعين . واهل مكة يتبعون فتاوى عبد الله بن مسعود «ـ٣٦هـ» ، وتلاميذه من التابعين . واهل البصرة يعتمدون على فتاوى ابى موسى الاشعرى وانس بن مالك من الصحابة ، والحسن البصرى ، وابن سيرين « ـ١١٠ هـ» من التابعين . واهل الشام يتبعون فتاوي معاذ بن جبل «ـ ١٨هـ » ، وعبادة بن الصامت « ـ ٣٤هـ» من الصحابة ، وعمر بن عبد العزيز «ـ١١١ هـ» واضرابه من التابعين .

وظهر اعلام من الفقهاء المشرعين ، الذين كانت لهم آراء ومذاهب أثرت التشريع الاسلامى اثراء واسعا ..وفي مقدمتهم :

- سعيد بن المسيب بالمدينة « ـ٩٤ هـ »
- عروة بن الزبير بالمدينة « ـ٩٤ هـ »
- سفيان بن عيينة بمكة « ـ ١٩٨ هـ »
- ابن ابى ذئب
- ابن جريج « ـ ١٥٠ هـ »
- عكرمة مولى ابن عباس «١٠٧هـ»
- الامام الزهرى « ٥١ـ١٢٥هـ »
- ربيعة الرأى « ـ ١٣٦ هـ »
- عبد الرحمن بن مهدى « ١٣٥ ـ ١٩٨ هـ »
- ابراهيم النخعى بالكوفة « ـ ٩٦ هـ »
- الحسن البصرى بالبصرة « ـ ١١٠ هـ »
- سفيان الثورى بالكوفة « ـ ١٦١ هـ »
- الليث بن سعد بمصر « ٩٣ ـ ١٧٥ هـ »
- الامام الاوزاعى بالشام

وتجمعت المذاهب التشريعية فى تيارين او مدرستين كبيرتين .

***

وفي عام ١٩٥ هـ رحل الشافعي الى بغداد ، رحلته الثانية ، في خلافة الامين ، وصارت له حلقة علمية فى دار السلام ، تتلمذ عليه فيها الكثيرون ممن اخذوا عنه ، وطرحوا مذهبهم مذهب اصحاب الرأى . والف الشافعي في هذه الرحلة التى دامت عامين كتابه المشهور « الحجة » ، الذي رواه عنه اربعة من البغداديين ، الكرابيسى ، والزعفرانى ، وابو ثور والامام احمد بن حنبل .

ولما وفد على مصر أملى فيها ، في جامع الفسطاط، على تلاميذه ، كتبه الجديدة ، التي يجمعها كتابه الخالد « الام » الذى حمل مذهبه الجديد، **وهو المذهب الذى وصل اليه باجتهاده في مصر .**

واساس مذهبه ان الاصل هو القرآن والسنة ، ثم القياس فالاجماع . يقول الكرابيسى « ـ ٢٠٤ هـ » : ماكنا ندرى ما الكتاب ولا السنة ولا الاجماع ، حتى سمعنا الشافعي يقول ذلك ..والسنة الصحيحة عند الشافعي تلى القرآن الكريم ، وقد كان يقول : « اذا صح الحديث فهو مذهبى » . وقد دافع دفاعا قويا عن العمل بخبر الواحد الصحيح ، مما نال عليه حظا كبيرا عند اهل الحديث ، ولذا سماه اهل بغداد « ناصر السنة » . وقال محمد بن الحسن فيه : « ان تكلم اصحاب الحديث يوما فبلسان الشافعي » ، وقال الزعفراني : « كان اصحاب الحديث رقودا حتى جاء الشافعي فايقظهم فتيقظوا » .

وقد ترك الشافعى الاستحسان الذى قالت به الاحناف والمالكية ،

بل لقد أنكره ، ولم يقل بالقياس الا اذا كانت علته منضبطة ، وردالمصالح المرسلة ، وانكر الاحتجاج بعمل أهل المدينة ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه واسعا . وهو بذلك يجمع بين فقه مدرسة أهل الرأى وفقه مدرسة أصحاب الحديث .

وكتابه «الرسالة » تحمل ابوابه أصول دفاعه عن السنة وحديث الواحد ، وشروط صحة الحديث والخبر المرسل ، ويقول تلميذه المزنى « ١٧٥ ــ ٢٦٤ هـ » « قرات كتاب الرسالة للشافعى خمسمائة مرة ، وما من مرة منها الا واستفدت فائدة جديدة لم استفدها فى الاخرى . وبالرسالة وضع الشافعى علما كاملا، هو علم أصول الفقه ، وقد عاصر الشافعى الامام احمد «١٦٤ــ ٢٤١هـ » الذى عرف بشدة اعتماده على الرواية ولقد اذهلت « الرسالة » للشافعى الامام أحمد وغيره من جلة العلماء كابن مهدى الذى قال فيها بعد أن قراها : لما نظرت الرسالة للشافعى اذهلتنى .

***

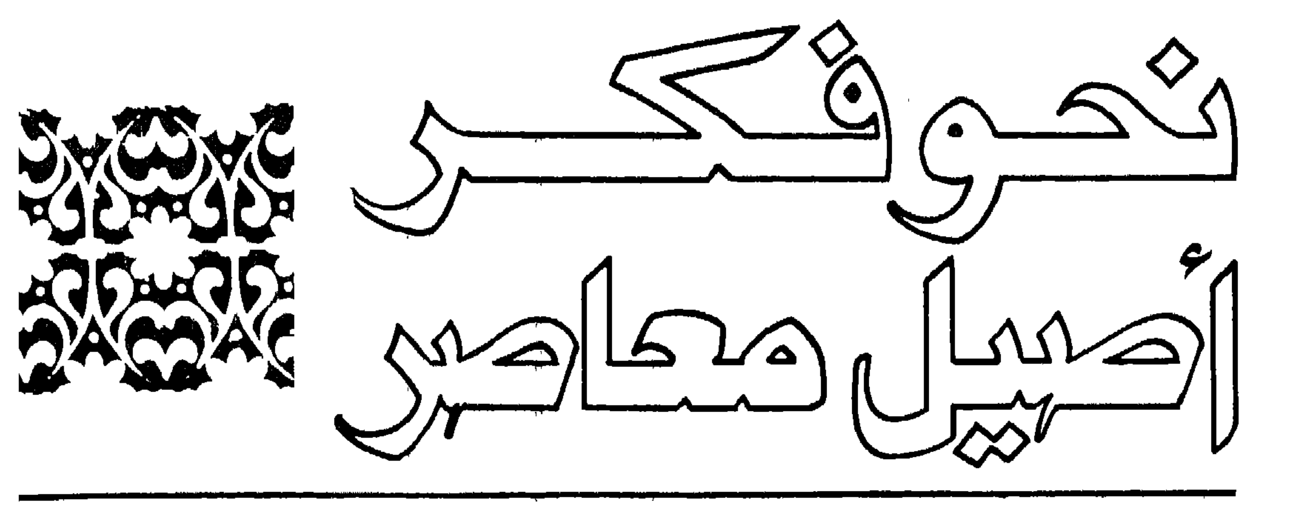
وفى مصر الفسطاط دون كتب الامام ابن ادريس الشافعى تلاميذه المصريون المزنى ، البويطى ، يونس بن عبد الاعلى ، الربيع الجيزى ، الربيع بن سليمان المرادى ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم «ــ٢٥٧هـ» .. وفى مقدمتها : « الرسالة » و « الام » .. وكان الشافعى قداملاهما على تلاميذه فى حلقته بجامعة الفسطاط .

ولم يزل الشافعى مقيما بالفسطاط ناشرا للعلم ، ملازما للتدريس بجامع عمرو ، « او جامعة الفسطاط » ،كما يقول السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة « ١٢٢/١ــ طبعة الشرفية»

وفى جامع عمرو ، جامعة الفسطاط، كان ابن ادريس الجليل يجالس العلماء والادباء والنقاد والشعراء ورجال البلاغة والبيان ، ويجالس جماهير الناس ، مع مرضه المزمن الذى عذبه طويلا ، « وهو ذلك البواسير » . وكان فى حلقته : عالم اللغة العميق الاطلاع على كنوزها ، وراوية الشعر الجيد المختار ، ومؤرخ الاحداث الموهوب الذكى ..

وفى آخر عمره تزوج الشافعى أم ولده « دنانير » ، بعد وفاة زوجته حميدة حفيدة الخليفة عثمان بن عفان ، وانجب من دنانيرابنه « أبا الحسن» عام ٢٠٢ هـ . وقد خصص له مرضعة اندلسية اسمها « فوز » . وبذلك كان له ولدان : ابو عثمان محمد ، وأبو الحسن ، وبنتان ، هما زينب وفاطمة .. وهؤلاء هم الذين مات عنهم هذا الامام الجليل .

وفضلا عن ((الرسالة)) التى وضع بها علم اصول الفقه ، والتى كتبها واملاها على تلاميذه فى جامعة الفسطاط فقد الف فى الفسطاط كتاب ((احكام القرآن)) ، وكتاب ((اختلاف الاحاديث)) ، وكتاب ((ابطال الاستحسان)) ، وكتاب ((جماع العلم)) ، وكتاب ((القياس)) ،وكتاب ((الرد على محمد بن الحسن)) ، وكتاب ((اختلاف مالك والشافعى)) ،وكتاب ((اختلاف على وعبد الله بن مسعود))، وكتاب ((ما اختلف فيه ابو حنيفة وابن ابى ليلى عن ابى يوسف)) ، و ((خلاف ابن عباس)) ، و ((سير الاوزاعى)) ، وكتاب ((مسند الامام الشافعى)) .. اما كتابه ((الحجة)) فقد الفه فى بغداد .. وهكذا افاد الشافعى الناس والمتعلمين والمثقفين فوائد جليلة ، وقد ظل يكتب ويقرا ويدرس ، والمرض يحاصره ، حتى سقط القلم من يده ، واستاثرت به رحمة الله . تعالى ، يوم الجمعة ، التاسع والعشرين من رجب عام ٢٠٤ هـ ، التاسع والعشرين من يناير عام ٨١٥ م ، رحمه الله تعالى



● د . محمد كمال جعفر ●

● لا تستغنى اية امة عن الافادة من حصيلة تراثها فى مجال الفكر او السلوك مهما تناءى عنهما زمن التراث أو تطاول العهد . حتى فى المواقف الفكرية التى قد يبدو فيها ان الأمة لم تستثمر رصيدها الفكرى من التراث نجد عند التحليل الدقيق لهذه المواقف ، انها استضاءت عفويا وتلقائيا بما تغلغل فى اعماق هذه الأمة من روح المعطيات الفكرية فى هذا التراث ، ان طوعا . وان كرها ، لان زبدة هذه الروح لصقت ولازمت اعمق اعماق هذه الأمة عبر تاريخ طويل زاد فى التعميق والترسيخ .

وتتفوق الامم بمقدار نجاحها فى وصل الماضى بالحاضر وصلا منطقيا وفكريا ووجدانيا فى صورة متسقة منسجمة لاتخرجها عن لحظة الحاضر ولاتميعها فى زحمة الفكر الغامر . فالامة التى يحمل فكرها طابع الاصالة والعراقة بامتداد جذوره الحقيقية الى الماضى البعيد ، كما يحمل نبض الحياة المعاصرة المعبرة عن هذه الاجيال فى نسق منسجم ، وتلازم مثمر ، ــ الامة التى يحمل فكرها هذا الطابع ــ جديرة بأن تتفوق فى المجالات المختلفة ، لانها أمة لم تفقد امسها ، ولم تخسر يومها ، ولم تهمل غدها .

ولا جدال فى ان الاسلام بمارسم من منهج ، وما قدم من حوافز ومابسط من قضايا ، وما ضرب من امثال ، وما قص من قصص وما ناقش من مسائل قد هيأ المناخ الطيب الذى يهيىء للقرائح والعواطف وانماط السلوك أن تؤتى أكلها وأن تبرز ثمارها الطيبة التى تبدو فى استجلاء أسرار الكون، واستطلاع آثار وصفات المكون جل جلاله . وبغير أن ندخل فى تفصيل يخرج هذا المقال عن حده نشير اشارة عابرة الى أن استكناه أسرار الكون يشمل كافة العلوم الطبيعية والانسانية على النحو الذى عرضه علماء المناهج وارباب التصانيف فى الشرق والغرب كما أن استطلاع آثار وصفات المكون سبحانه يغطى الجانب الميتافيزيقى

الغيبى الذى يبدأ من هذا العـــالم المشاهد المحسوس .

وبالفعل رأينا أثر الاسلام فى هذا الثراء العلمى الشامل الذى ضمـــه تراثنا فى المجالين الكونى والغيبــى ، ونحن وإن كنا قد شغلنـــا فى الآونة الاخيرة بابراز الجـــانب التجريبى أو العلمى بالمعنى الحديث فى تراثنـــا ، لا نغفل الجانب الميتافيزيقى اوالغيبى ملادامت اصوله ومصادره تمد بسبب وثيق بهذا العالم المشاهد المحسوس.

غير اننا وجـدنا ـــ نحن المعاصرين ـــ جانبا ضخما من فكرنا وتراثنـــا يعروه الهمود والجمود والخمود ويكاد يمحوه البلى ويأتيه الموت من كـــل مكان ، وليس ذلك الا لانه انحرف عن المسار الملتزم بتحرى الحقيقة لوجـه الحق سبحانه فى كثير من الاحيان . .

لقد عصفت بمساره الاهواء والميـول والاغراض الذاتية المحدودة ، ســواء أكان الحد فى نطاق الفرد او فى نطاق النظام السياسى لعصر معين اولفترة معلومة .

وبلا استرسال فى الكنايات والرموز نقول : إن جل التراث الـكلامى فى الفكر الاسلامى قـــد اضرت به روح التعصب واللجج والعنـــاد وتاريث الخصومة بين الآراء والفرق المختلفة.
وما كان ينتظر الاسلام من مثل هذا التراث الا أن يكون عونا على القـــاء الضوء على قضايا العقيدة ، وعلـى ماينا قضها بنفس الروح القرآنية التى توخت الدقة والامانة واعلاء الحقيقة

فوق كل اعتبـــار ، ولكنه سرعان ما انقلب الى سلاح فتاك يبددوحدة الامة ، ويذكى نار العـــداوة بين افرادها ، ويفتتهذا الكيان المتماسك لغير غاية حضارية . ولايعنى هـذا اننا نطالب بأن تكون الامة نسخـــة واحدة مصبوبة فى قالب متحجر من الفكر ، ولكننا **نقول ان افتراق علماء الكلام سادته روح التعصب والنعـرة الانانية المفرطة لدى كثير من المتكلمين الذين كانوا يزهون بافحام الخصـــم والقامه الحجر ـــ كمـا يقـولون ـــ ان بالحق وان بالباطل اى ان النزعـــة السوفسطائية غدت كثيرين من هـؤلاء فى جدالهم مع خصومهم .**

واذا تصفحنا الفرق الاسلامية فى ميدان علم الكلام او علم العقائد اوعلم التوحيد ، وهو الصـق ميدان فكرى بالمسلم ـــ هالنا هذا العدد الهائل من الفرق ، وهذا الهدير الـــزاخر من اختلاف الآراء وتناقضها لدرجـة يظن فيها الغافل عن حقيقة الصراع أن هذه الفرق لايمكن أن تصدر عن دين واحد.
فاذا اضفنا الى هذا ما تصف به كل فرقة خصومها من الكفر أو الالحاد أو الزندقة او الضلال تأكد للمـلاحظ أن الملاحظة الســابقة حقيقة يؤيدها الواقع .
مع أن الواقع أن هناك اســبابا سياسية ومنهجية واجتماعية لتاجيج الصراع وتوسيع الخلاف الذى اذكاه العناد وروح الغطرسة والاســتعلاء والاصرار فى بعض الاحيان .

ولن نخص فرقة معينة بالوســم بهذه الصفات ، وانما سنقف الموقف الاسلامى الخالص النزيه الذى يقـدر الحكمة والحقيقة من أى وجه جاءت . ولذا نعبر عن هذه الروح فى الســطور التالية :

اننا نؤمن بان كل فرقة لديها مـن الفكر الغث والثمين والحق والباطل ، والطيب والخبيث ، والعقيم والمثمر، على اختلاف فى معدلات او نسب هذه الافكار بهذه الطوابع .

ونؤمن كذلك بان الفـكر الاسـلامى لا يمكن ان يحصره علم الكـلام أو علم العقيدة او علم التوحيد . لأن الفكر الاسلامى يشمل فى الحقيقة ميـادين

نحو فكر أصيل معاصر

اربعة ، يشكل علم الكلام واحدا منها. فهنالك الفلسفة المدرسية الاسلامية ، وهنالك اصول الفقه كما ان هنالك ميدان التصوف في مجاله الفكري ، ولا ريب ان كل هذه الميادين اظلها الاسلام واسهم في تشكيلها تياره الدافق، ولا جدال في ان لجوء افراد هذه الميادين الاربعة دون استثناء الى القرآن شاهد يتحدى هؤلاء الذين اولعوا بالذم والطعن والسب والوسم بالكفر والزندقة والخروج من الملة لمجرد المخالفة لارائهم .

اننا نقول لهؤلاء الطاغين : انكم تجاوزون الروح الاسلامية السمحة والصدر الاسلامي الرحب ، والافق الاسلامي الواسع ، والمنهج الاسلامي الدقيق الذي يزن الاقوال والاراء بالموضوعية والنزاهة والثقة والغاية النبيلة التي تنشد هداية الحيران وارشاد الضال . وليس اقرب الى ارشاد الضال الذي يحسب نفسه محقا من أن نطبق منهج الرسول الكريم الذي علمه الله أن يخاطب مخالفيه بقوله ((وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين)) حيث لم يحكم على مخالفه بالضلال من اول الأمر فيوصد عليه باب الهدى والرحمة ــ وهو صلوات الله عليه رحمة الله العامة ــ وانما شد المخالف الى حكم لا يماري فيه وهو ان أحد الفريقين اما ضال واما محق وذلك يجذب المخالف الى ساحة هادئة فيها تناقش الحقائق باخلاص والتزام وهذا هو المناخ الصحيح للنقاش والحوار . من اجل ذلك ثارت تاملاتي فيما درسناه من جوانب عديدة في الفكر الاسلامي وبخاصة ما درسناه وما اشرفنا على دراسته في ميدان علم الكلام والتصوف وما عالجناه من موضوعات في الفلسفة المدرسية ، ووجهت الى نفسي هذا السؤال ؟

هب انك شاب معاصر لم يمر بنفس المراحل التي مررت بها في دراساتك في الفكر الاسلامي . فهل يمكنك ان تعثر على زاد فكري اسلامي يحمل طابع المعاصرة ؟ هل يمكن للشاب المسلم الآن ان يفهم الاصول الفكرية لعقيدته وان يربط معرفته بقضايا الحضارة المعاصرة ؟ هل يمكن للشاب المعاصر ان يحسم تصوره للحرية او الخير والشر او الصفات الالهية ، او حقائق الاخرة ، او رسالته في الحياة او غير ذلك من القضايا ؟

بعبارة اخرى اقول هل تمكن الجيل السابق وهذا الجيل من توظيف الفكر الاسلامي وتحديثه بحيث يصبح عدة لهذا الشباب في سعة ورحابة افق ، ومجنة للانتفاع بمحصلات التقدم البشري ؟

هل استطعنا الافادة من جهود الاجداد لنبني عليها جهودنا وفق ما تمليه ظروفنا ومواقفنا واوضاعنا الراهنة ؟

والجواب للاسف الشديد بالنفي قطعا ولكنه نفي لايتوخى التيئيس كما تتوخاه اقلام كثيرة .

إننا في الحقيقة اقتصرنا في دراساتنا الاسلامية على ابقاء ما كان على ما كان فالدراسات الاكاديمية والجامعية لا تزال تدرس موضوعات ميادين الفكر الاسلامي متدابرة منفصلة ، مبتورة ويتجلى ذلك بصورة صارخة ومقززة في ميدان علم الكلام حيث يتباهى بابراز تفاصيل الخلاف لكل علم في كل فرقة ، ثم في كل فرقة بالنسبة للفرق الاخرى . والنتيجة ، بلبلة من فوقها بلبلة ، وحيرة تتلوها حيرة .

انني بكل الاخلاص الذي يمليه القلب ادعو الاقلام النزيهة والعقول الناضجة الى تدبر هذه الدعوة : وهي أن ننحو في دراساتنا الاسلامية الى تلمس أوجه الاتفاق بين المفكرين ورجال الفرق لنركز عليها ونغمرها بالضوء والابراز ، وترك نقاط الخلاف لتعالج في حكمة واناة ، فقد نكتشف ان الخلاف ليس حقيقيا في الواقع وانما هو راجع الى اختلاف المفهوم في المصطلحات او العبارات ، وقد نكتشف ان مبررات الخلاف كانت مؤقتة وقد زالت الان دواعيه ، وقد نكتشف ان هناك عاملا خارجيا للغاية لا يتصل بحقيقة الراى او الفكرة التى نعالجها هذا العامل الخارجى هو المسئول عن مثل هذا الخلاف ومادام هذا العامل خارجيا ولم يعد ذا وجود الآن فلا داعى لاعتبار هذا الخلاف .

ان هذه الفروض السابقة ليست في الواقع فروضا ، بل هى ملاحظات مستنبطة من كثير من الدراسات التى مكننا الله من القيام بها او الاشراف عليها . ولقد ذكرت فى هذه المجلة الغراء فى عدد سابق انني سعيد بتنفيذ جزء من هذه الخطة الموحدة فى قسم الفلسفة الاسلامية بكلية دار العلوم عن طريق اختيار الدراسة حول الاعلام الموسوعيين ، غير المتعصبين من جهة ، واختيار الجوانب الاسلامية للاتفاق بين الفرق التى يظن انها متباعدة للغاية .

ولقد زادت سعادتى حقا حين وجدت صدق كثير من الفروض التى وضعتها فبالنسبة للاختيار الاول كانت شخصية ابن الوزير من الشخصيات التى قدمت حقا ما يشجع على تنفيذ الخطة ، وبالنسبة للاختيار الثانى تولد أمامنا فى القريب دراسة تبرز اتفاق المعتزلة واهل السنة من اشاعرة وما تريدية فى غير حيف أو تجن على الحقيقة والتاريخ

انني بكل الحب والاعزاز لكل ذى قلم فى ميدان الفكر الاسلامى بل الفكر الانسانى ادعو الى المعالجة الشمولية لكل قضية فى الميادين الاربعة التى اشرنا اليها بشرط ان تبرز الحصيلة موحدة متقنة الصياغة واضحة المعالم . فلا يكفى مثلا ان تعالج مشكلة كمشكلة الجبر والاختيار ، او الحرية الانسانية فنقول : قال المعتزلة وقال الجبرية وقال الخوارج وقال الفلاسفة وقال علماء الكلام وقال الصوفية وقال الاصوليون ثم نترك القارىء يضرب اخماسا فى اسداس .

بل يجب ان تعانى انت القراءة لجميع هؤلاء وتهضم وتستوعب وتستضىء بالقرآن وبروح الاسلام العامة ، ثم تصوغ ما هضمت وما استوعبت بحيث يظهر فى قلمك نصيبك انت من الفهم والبصر والتصبيرة والمعاصرة .

وقد يساعدنا فى هذا جهود المتخصصين فى كل ميدان على حدة ، اذ نحن نطلب منهم عرضا مهضوما مستوعبا لحصيلة وزبدة الاراء فى أهم القضايا المثارة ، وتلك مرحلة توحيد ضرورية ، تتلوها المرحلة الاخرى التى يتم فيها توحيد وتنسيق مافى الميادين الاخرى .

انني ادرك صعوبة وضخامة ماادعو اليه ، لكن الهدف المتوخى والثمرة المرجوة من هذا العمل تغريان بتحمل الصعاب ، وبذلك الجهد المضنى للوصول الى ما نريد . ولكى يذلل لنا الطريق علينا من الآن ان نتخلص من

نحو فكر أصيل معاصر

التعصب لارائنا او تخصصاتنا فحسب بل يجب ان نعتقد دائما ان بامكاننا اثراء افكارنا ، وذلك اعتراف بحاجتنا الى هذا الاثراء ، واعتراف بقلة بضاعتنا ، وقديما قال سلفنا : لا يزال الرجل عالما ماظن نفسه جاهلا ، فاذا رأى انه عالم فقد جهل . وواضح ان المراد عدم التوقف عن طلب الحقيقة وميدانها العلم .

علينا الا نبخس الناس اشياءهم فنعترف بالفضل لذويه وعلينا الا نحبس انفسنا فى قوقعة الذات على اى مقياس فارض الله واسعة ، وخلقه كثيرون ، وعطاؤه غير محظور ، وغير محصور فقد يكون عطاؤه ملكة او اداة يوجد بها التميز ، وقد يكون عطاؤه بسطة فى العلم والجسم ، او بسطا فى الروح والشعور ، او حزما فى السلوك وقوة فى التطبيق .

وباختصار كما اختلفت الاطعمة والروائح التى دبجتها صنعته فى عالم الطبيعة ، تختلف الالوان والمشارب والافكار والعواطف التى دبجتها صنعته فى عالم الانسان .

واذا كان سيرى آياته فى الآفاق وفى الانفس ، فما احرانا نحن المسلمين بأن نكون اكثر الناس تحضرا لادراك الحقيقة واثراء الفكر واثارة الوجدان وترقية السلوك .

ان الوفاء بتحقيق هذا التطلع رهن بهذه النظرة الموسوعية المستوعبة التى توحى بالايجابية وتغذية جوانب الفال والامن والسلام .

وقد يتاح لنا فى فرصة اخرى عرض مثال مفصل لما امكن انجازه فى هذا المضمار على يد هذه الزمرة الطيبة من ابنائى فى الله والعلم ، هذه الزمرة التى احتسبها دائما كتبا حية نابضة بالحب والود والرغبة فى العلم .

وفى ضوء ما سبق أحب ان انبه هؤلاء الذين يدعون الى ضرورة انطلاق الفكر المعاصر من هذه الفرقة او تلك الى انهم يلعبون بالنار التى ستحصد اقلامهم اول ما تحصد ، لا لان هناك تيارا يعادى هذه الفرقة او تلك ، ولكن لان جلال الفكر الاسلامى يسمو على افكارهم ، ويتجاوز حدود تطلعاتهم السطحية .

كما ننبه هؤلاء الذين تسيل اقلامهم بالياس ، وتنضح بالاسى لانهم لا يجدون فى زعمهم فكرا اسلاميا ، او لا يجدون فلاسفة بالمعنى الصحيح . وقد يكون لبعض هؤلاء العذر لاختفاء الصورة الموسوعية للفكر الاسلامى من اذهانهم وعدم تمرسهم بالتراث او مصاحبة القرآن الكريم .

ان من اعجب العجب ان نجد من لايكاد يقيم آية واحدة من القرآن يطلق الاحكام فى الفكر الاسلامى !! ! ان عددا غير قليل ممن يكتبون فى قضايا الفكر الاسلامى يلجاون الى المعاجم فى استخراج الايات القرآنية — شانهم فى ذلك شان المستشرقين . والمعاجم مفيدة ولاشك بالنسبة لتحديد الآيات ، ولتفسير بعض الكلمات ، لكنها لايمكن ان تفى بجوانب المراد فى الآيات القرآنية ، انها اذا صحت فى بعض الكتب فانها لا تصح فى القرآن حتى بعد استشارة كتب التفسير .

ان للقرآن ذوقا خاصا ، وروحا ذاتية تجعل من يطيل عشرته ومصاحبته ذا بصر يفوق من يتلقف آياته فى لحظات عابرة ليقيم رأيا او يحتج لفكرة ، وهمه كله مصروف الى تاييد الفكرة — وفى بعض الاحيان تسديد الخاتة .

لقد ورد كثير من العلماء على اختلاف تخصصهم معين القرآن فكان

منهم النحوى الذى اراد ان يستشهد لقواعده ، ومنهم البلاغى الذى تلمس اوجه الحسن والبلاغة فيه، وكان منهم اللغوى الذى تلمس دلالة المفردات وقراءاتها واصواتها ، وكان منهم المفسر الذى قصد الدلالات والمعانى وتوخى اسباب النزول وما الى ذلك ، وكان

منهم الفقيه الذى اراد استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها القرآنية وكثير غيرهم انتجع القرآن ليحقق غرضا محددا . ولكن هؤلاء جميعا وبلا استثناء — وقعوا واوقعونا معهم فى خطأ فادح مازلنا نعانى آثاره حتى اليوم .

هؤلاء جميعا بدأوا بالتخصص فى وسيلة معينة لتحقيق غاية معينة ، واطالوا صحبة الوسيلة وتفننوا فيها حتى انقلبت هذه الوسيلة على أيديهم غاية كبرى .

ولنأخذ مثالا على ذلك من النحو : لقد أريد من النحو ان يرشد طلاب العربية الى ابسط القواعد التى يجب مراعاتها لصحة الاداء فى المفردات والجمل ، ولصحة الفهم لكتاب الله وسنة رسوله، ولصحة الفهم والانتفاع بالحصاد الحضارى فى اللغة العربية . اذن كانت الغاية العون على صحة الاداء وفهم الاداء . لكن النحاة توسعوا وتفننوا فى قضايا النحو وابوابه ومشاكله وفرعوا مسائله الى حد جعل أحدهم يقول : اموت وفى نفسى شىء من حتى . وهكذا انقلبت الوسيلة الى غاية ، وتنوسيت الغاية الاصلية وقد تنبه كثير من الادباء والخلفاء الى هذه المشكلة ، ولكن جميع الظروف كانت تسير فى غير صالح اللغة العربية حيث يصرف الناس عن اللب ، وتستقصى جهودهم فى المظهر .

والغريب المريب حقا أن تعلم أن قواعد النحو لم تتخذ القرآن مصدرها مع انه من النظرة العلمية الخالصة لم يكن امام رجال النحو نص عربى موثق يبلغ فى الوثاقة ما بلغه القرآن، ومع ذلك صيغت قواعد النحو من التراث العربى ثم لجىء الى القرآن فما وافق هذه القواعد كان بها، وان لم يوافقها اعتبر شاذا !. وضع معكوس كما ترى . ولو تعاون رجال البلاغة مع رجال النحو لاخرجوا لنا عددا اقل من القواعد ، واخصب من جهة النفع والفائدة . وكذلك جميع الفروع العلمية ، انقلبت فيها الوسائل الى غايات .

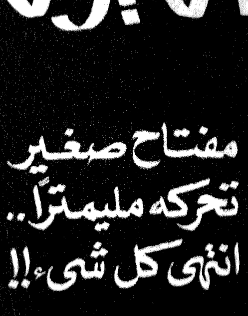
واخشى الآن ان اقول ان هذه العادة قد استشرت حتى فى حياتنا اليومية وفى حياتنا الثقافية ، بل وفى الحياة السياسية لكثير من الدول العربية .

هذا الداء يمكن أن نسميه بمرض الوسائل التى تنقلب غايات ولا يعوز القارىء اللبيب تشخيص موقف الرفض الحالي فى ضوء هذا المرض.

اننا نريد ان نسمى الاشياء باسمائها الحقيقية ، وان نفرق بين الغاية والوسيلة لا للتقليل من شأن الوسيلة ، بل لاعطاء كل ذى حق حقه فلا يطغى طرف على طرف .
ان تحديد الوسيلة وقدرها ، والغاية وقيمتها منهج علمى يلح الآن سواء أكان فى التعليم ، او فى الادارة ، او فى السياسة ، وهو الاتجاه الحضارى الذى يوفر علينا كثيرا من عناء السنين



من حوادث الطيران



مفتاح صغير تحركه مليمتراً.. انتهى كل شىء!!



● كانت اقصر رحلة يقوم بها طيار من اكبر طيارى شركة اوروبية كبرى: من مطار نيروبى الى مطار يوهانزبرج مدة الطيران ساعة ونصف ، ولكن الطيار الذى خلف وراءه عشرة الاف ساعة من الطيران ووصل الى درجة طيار اول وقع فى خطأ يسير جدا كلف الشركة: الطائرة وتسعة وخمسين ضحية ... والخطأ كلمة نطق بها ببساطة تامة لشدة ثقته بنفسه ..

● جلس الكابتن كريستيان كرارك « ٥٣ سنة » فى مكانه امام لوحة القيادة فى الطيارة الجامبو فى مطار نيروبى ..
جلس مسترخيا واثقا بنفسه لانه يعتبر اليوم الطيار الاول فى شركته التى تعتبر من اكبر شركات الطيران فى الدنيا ، وقد خلف وراءه اكثر من عشرة الاف ساعة من الطيران قطع فيها مسافات الطيران العالمية

عشرات المرات ، حتى الدوران حول الارض عن طريق القطب كان من اوائل من قاموا به ، وجربه عشرات المرات بعد ذلك وهو مغمض العينين . لهذا جلس الآن متراخيا لأن الرحلة التى امامه رحلة قصيرة ، او لا شيء كما كان يقول ، وان المسافة من نيروبى الى يوهانزبرج ، تقطع فى اقل من ساعة ونصف ساعة ..

كان رجلا طويل القامة نحيف الوجه، ملامحه تتحدث عن عزيمة وثقة بالنفس .. الساعة الآن السابعة والدقيقة ٣٢ والطائرة تاخذ وقودها من الكيروسين قبل ان تاخذ البنزين .

انها تاخذ ٤٢٧٠٠ من الكيروسين وحوالي ٧٢ الف لتر من البنزين .. الطائرة تسمى هسين ووزنها بحمولتها ووقودها ٧٠ طنا ، وبهذا الوقود يرتفع هذا الطائر العملاق فى الهواء .. والتفت الكابتن كرالك الى مساعده وقال :

سنبدأ بقوة مخففة للموتورات .. اضبطها على ناقص ٣ ثم اعط إشارة البدء ..

ونفذ مساعد الطيار الكابتن شاك امر رئيسه ، وابلغ بذلك مهندس الطائرة هان ، ونادى كرالك برج المطار : برج نيروبى : هنا طائرة رقم ٥٤٠ نرجو الاذن لنا فى تشغيل الموتورات .

ورد برج المطار ـ طائرة رقم ٥٤٠ شغلوا محركاتكم ..

كلمة خاطئة ثمنها ٥٩ ضحية !

وادار مهندس الطائرة هان ، محركات الطائرة الجامبو الاربعة ، بادئا بالمحرك رقم ١ ثم رقم ٤ ثم رقم ٣ على هذا الترتيب ، ولاحظ ان جهاز تسخين المحركات لا يعمل بالضبط كما يريد ، ولكن لا باس ، فتلك هى البداية وذلك امر عادى ، لان الموتورات لن تلبث ان تصل الى حرارة عالية ، وهنا يعمل الجهاز بصورة طبيعية .

وكانت الشركة التى يعمل فيها أولئك الطيارون وهى من اعظم شركات الدنيا قد طلبت بصفة خاصة من الشركة الصانعة للطائرات بان تصمم جهاز رفع حرارة الموتور بصورة خاصة ، لأن الفنيين فى الشركة لا تعجبهم اجهزة التسخين التى تعملها الشركة ، وبالفعل عدلت كل اجهزة التسخين بحسب ما اشار المهندسون والطيارون الالمان .

ونظر الكابتن كريستيان كرالك الى اللوحة امامه ووجد ان المحركات الاربعة تعمل عملا عاديا ، وقال مساعد الطيار الكابتن جاك ، الآن نحن فى حاجة الى تشغيل محرك الكهرباء لاننا سنفصل الطيارة من مورد الكهرباء من الارض . فالطائرات عندما تكون على الأرض تستخدم التيار من المطار وقبل الصعود تشغل المحرك الخاص بها قبل ان تفصل نفسها عن تيار المطار .

والتفت مساعد الطيار وقال للكابتن: الآن انفصلنا عن التيار الارضى والمحرك يعمل على مايرام ..

الساعة الآن السابعة وسبعة واربعون دقيقة ، وقال الكابتن كرالك مخاطبا برج المطار : الطائرة ٥٤٠ .. اسمحوا لنا بالتحرك نحو نقطة الصعود .

وجاء الرد : **طائرة ٥٤٠ تستطيعون التحرك فى المدرج رقم ٢٤ .**

ونظر الكابتن كرالك من مجلسه فى غرفة القيادة التى ترتفع عشرة امتار عن الارض ، وكان يقف على الارض قرب الطائرة المهندس كارل هاينس بركفس وهو المهندس الفنى التابع لشركة الطيران فى مطار نيروبى ، ولكل



شركة من شركات الطيران الكبرى مهندس طيران فنى خاص فى كل مطار تنزل فيه طائرات الشركة ، ووظيفته الأشراف على كل العمليات الفنية الخاصة بطائرات شركته ، وفى حالتنا هذه هو الذى قام بفصل تيار الكهرباء فى الطائرة عن التيار الارضي حتى تستطيع طائرة الجامبو الهائلة الانفصال عن الارض .

وبالفعل اشار بيده للكابتن بأن كل **شيء قد تم حسب الاصول** ، **وانزل الكابتن العصا التى تسمح للطائرة** بالتحرك للامام نحو المدرج ..

اسراب الطيور التى تحوم حول المطارات .

خطأ جسيم يهدد كل الطائرات النفاثة .

واخذت الطائرة الضخمة التى يبلغ طولها ٦٠ مترا وعرضها ١٩ مترا **لتتحرك نحو المدرج رقم ٢٤ لكى تقف فى النهاية عند النقطة التى توضع فيها كل محركاتها فى اقصى قوتها لتحلق فى الهواء ...**

وقال الكابتن جاك هل افحص الفرامل . . . فقال له كرارك ؟ فحصتها انا .

وقال مساعد الطيار : واجزاء اجنحة الطيارة ؟

وقال الطيار : لقد فحصتها وعليك ان تتأكد بنفسك .

وفعلا تأكد بنفسه وقال : عشرة على عشرة .

ومعنى ذلك ان كل أجزاء اجنحة الطائرة التى تتحرك وتقوم بعملية الفرامل تعمل بانتظام وانها الآن **موضوعة بزاوية عشر درجات .**

ثم قال الكابتن كرارك :

« جرين » .. ومعنى ذلك : الضوء الاخضر ، وهو الدلالة على أن جزء جناح الطائرة الامامى وضع فى وضعه الضرورى للحظة قيام الطائرة .

وكان هذا هو الخطأ الذى وقع فيه الطيار الكبير والذى كان سببا فى الكارثة !

وسجل جهاز التسجيل الموضوع فى « الصندوق الاسود » فى الطائرة هذه الكلمة ، وبعد الكارثة وبعد أن عثروا على الصندوق الاسود ، عرفوا

السبب الذى ادى الى الكارثة وهى كارثة بالنسبة للركاب والطائرة وبالنسبة للطيار ايضا ، فانه على الرغم من انه لم يصب فى الحادثة بضرر كبير الا ان حياته كطيار انتهت لان خطأ جسيما كهذا يعنى ان الشركة تستغنى عنه ، ومعنى ذلك انه لا يستطيع ان يعمل لشركة اخرى .

وقال مساعد الطيار : الان نستطيع ان نطلب الاذن بالطيران ...

وسكت بما يفيد موافقته وجاء الرد من برج المطار تستطيعون الطيران ـ الرياح ساكنة .

وكانت الطائرة قد وصلت الى نقطة الانطلاق فى الجو وشغل الكابتن كرارك محركات الطائرة الى اقصى قوتها ونسى ان وضع اجزاء الاجنحة التى تحكم سرعة الطائرة غير مضبوط.

وقال الكابتن مخاطبا برج المطار : كل شىء على مايرام !

وجاء الرد : نعم ، تستطيعون الطيران .

واخذ كل من الكابتن كريستيان كرارك ومساعده هانز يواكيم شالك مكانه امام اجهزته وثبتت انظارهم فى اللوحات والساعات ذات الارقام والمؤشرات ذات الالوان امامهما ..

وقال الكابتن كرارك لمساعده :نحن الان على ف ١ـ ١٢٠ عقده ومعنى ذلك ان الطائرة ستبدا بسرعة ٢٢٠ كيلو مترا فى الساعة وهذه السرعة ستزيد عندما تجرى الطائرة على المدرج فى طريقها فى ارتفاعها عن الارض .

فى تلك اللحظات كان ركاب الطائرة يثرثرون ويتحدثون وقد ربطوا الاحزمة غير عارفين بانهم على دقائق من كارثة كبرى !

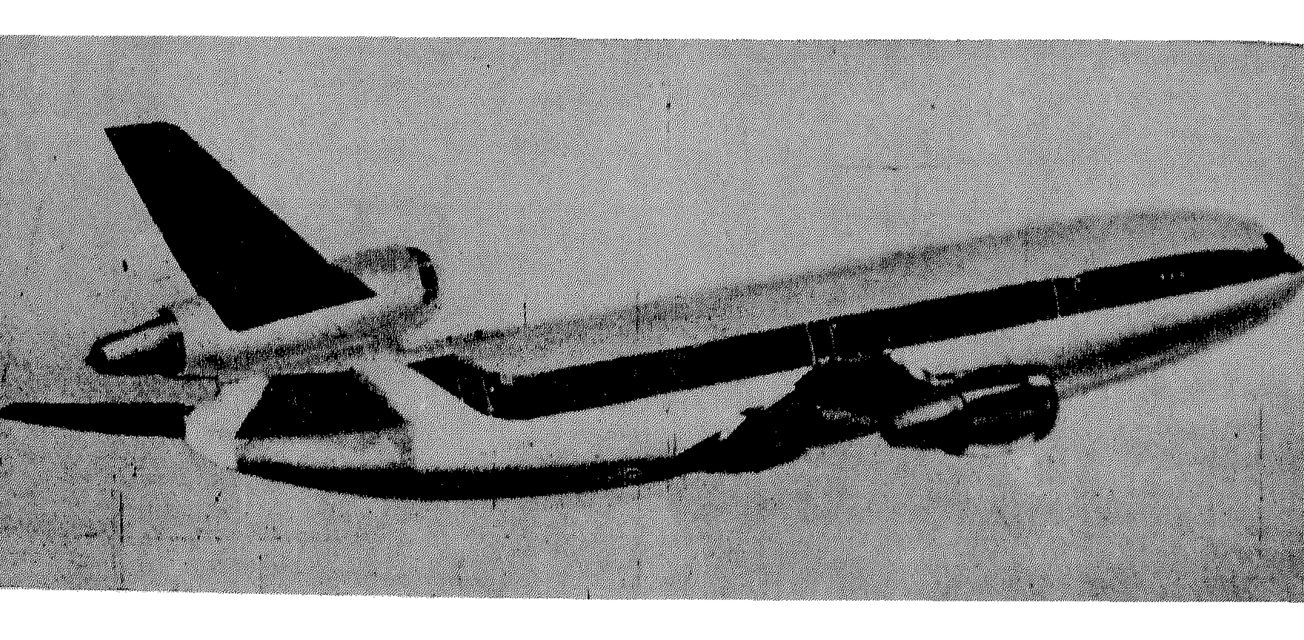
ونظر الكابتن كرارك الى الساعات والمؤشرات امامه فلم يجد فيها شيئا غير عادى ، ولكن لامر ما كان يحس ان صوت المحركات فيه شىءلايعجبه، واعاد النظر مرة بعد اخرى الى ما امامه ، ثم التفت الى صاحبه وقال : ولكن شيئا ما لا يعجبنى هنا .. لنراجع معا كل شىء قبل ان نتحرك .

وبالفعل راجع كل الاجهزة وكل المؤشرات حتى العجل ، فحصا معا الاجهزة التى ترفعه وتهبط به ،ولكن لسوء الحظ فاتهما معا ان ينتبها الى ان المفتاح الذى يحرك اجزاء الاجنحة ليس موضوعا فى وضعه تماما ، انه يعين حركة جزء من الاجنحة وارتفاعه بدرجة ١٠٪ ، وهذا امر لا يجوز عند شروع الطائرة فى الطيران وقد نسى الكابتن انه حرك هذا الجزء من الجناح باصبعه .

ولم يطمئن قلبه ولكن لم يكن من الطيران مفر فقد انقضت عليهم الان سبع دقائق وهم فى نقطة الانطلاق ومحركات الطائرة كلها تعمل ، والطريق امام الطائرة مفتوح وبرج المراقبة قد اعطى الاذن من ثمانى دقائق ..

وقال كرارك : اننى غير مستريح، ولكن لا بد ان نطير ساحرك عصا الطيران الى اسفل ، وليكن ما يكون .. ولكن قبل ان يفعل هذا قال مساعد الطيار : انتظر لحظة حتى اتاكد من جهاز العجلات ، ربما كان هو السبب فى هذا الصوت الذى لا يعجبك .

وانتظر دقيقة اخرى ثم انزل الكابتن كرارك العصى الى اسفل ايذانا بالشروع فى الطيران وبدات الطائرة ٥٤٠ فى التحرك الى الامام والكابتن ينظر الى كل الساعات والمؤشرات امامه فى حالة عصبية وقلبه يخفق ربما للمرة الاولى .



وانطلقت الطائرة باقصى سرعتهـــا ولكنها لم تصعد فى الجو فى الوقــت المحدد لذلك . ونظر الكابتن الى مؤشر السرعة فوجده لا يشير الى السرعــة المطلوبة للانطلاق .

لم يتنبه لسوء الحظ الى النظر الى محرك الاجنحة ، وكان لابد مــن ان تهبط قطعة الجناح المرتفعـــة الى مستوى الجناح كله لكى تاخذ الطائرة سرعتها المطلوبة ، وبدات الطائرة تهتز وتصبب العرق على جبين الـكابتن ، والتفت الى مساعده وقال : يا الهى! الا تلاحظ شيئا .. لماذا لا تصعــد هذه الملعونة ؟ .. ما الذى فعلته ؟!

وكانت الطـــائرة قد ارتفعت ثلاثين مترا عن سطح الارض ، ولكنها لا تريد أن ترتفع أكثر من ذلك فما الــذى حدث ؟

من الممكن جدا ان تصطدم الطائرة الآن بأى شيء ارتفاعه حــوالى ثلاثين مترا ، ثم ها هى تهبط .. وفى اللحظة الاخيرة تنبه مساعد الطيار الى المفتاح المحرك للأجنحة ، ومد يده لكى ينزله ، ولكن فى هذه اللحظة كانت الطائرة قد اصطدمت ببيت ، وانقلبت الدنيـــا واشتعلت الطائرة نارا ، فقد وقعت الكارثة !

ولم يعش مساعد الطيـــار الكابتن شالك لكى يقول ماشاهده ، ويكشف عن سر هذه الكارثة وربما كان هــــو المسئول عنها ولكن الطيـــار الكابتن كريستيان كرارك نجا من الموت . . وعندما افاق فى المستشفى تذكر كــل ما حدث وعرف ان ٥٢ مـــن ركاب الطائرة لقوا مصرعهم ، من بينهـــم مساعده الكابتن شالك واثنـــان من المضيفات ومهندس الطائرة وهــــو صديقه العزيز .

وهز راسه فى اسف وتامل جسمه المحطم ومرت على شفتيه ابتسامــــة مريرة .

وقال : ليتنى انا الآخر قد مت ، لان الشركة ستفصلنى الآن ولن تاخذنى شركة اخرى .. لقد اصبحت كالعضو المصاب بالسرطان لابد من استئصاله .. لقد انتهى كـــل شيء ، الخبرة والعمل والمستقبل .. ترى ما سبب هذه الكارثة . ؟

قصة نجاح أدبي ..

هي في ذاتها أسطورة

Ein Roman
von Johann Wolfgang
von Goethe

Die Leiden des jungen Werthers



عندما كتب فولفجانج جيته قصة آلام الفتى فيرتر ، كان يتحدث عن نفسه، فقد تعرف عندما التحق بخدمة كارل أوجوست أمير ساكس سنة ١٧٧٦ بالقاضي الشاب يوهان كريستيان كيستنر وزوجته شارلوت بوف ، واحب شارلوت ، ولكنه تبين ان هذا حب مستحيل فانصرف عنه ، ثم وقع في غرام فتاة بارعة الحسن هي التي وصفها في القصة باسم شارلوت وهي مكسمليان برنتانو ابنة الشاعرة المعروفة صوفي فون لاروش وعشقها عشقا ملك عليه نفسه كلها حتى استقال من عمله لكي يغادر فايمار ويبعد عن مكسمليان ... ثم بلغه نبأ انتحار شاب مسكين وقع في شراك حب ميئوس منه ، فاكتمل في ذهنه اطار قصة آلام فيرتر وكتبها في شهر واحد ، ولم تكد تخرج للسوق حتى بيعت الطبعات العشر الاولى في عام وأصبح جيته في طليعة أدباء عصره وشعرائه وهو بعد في الرابعة والعشرين من عمره .

آلام فرتر

هي والقصة والقصيد

هذه قصة تجمع المرأة والقصة والقصيد على اجمل بساطة واقربه الى الروح ...

انها قصة الشاب الفنان الطيب القلب «فيرتر» الذى احب « شارلوت » زوجة صديقه « كيستنر » حبا ملك عليه نفسه كلها وملأ حياته حتى لم تعد له حياة خارجه .. وقد نشأت مأساته من ان « شارلوت » كانت امرأة كاملة : كانت اجمل بنات زمانها في نظر « فيرتر » وكانت اشرفهن ايضا ، فلم ينل منها ((فيرتر)) شيئا،ولاهو طلب شيئا،لانه كان انسانا مهذبا شريف النفس ، طوى نفسه على حبها وقنع من حبه بالاحلام ، والنظر من بعيد ..

وأحست « شارلوت » بحبه وعطفت عليه . فلا هي صدمته ولاجرحت احساسه بكلمة ، وأحس بذلك الحب زوجها ، وعرف ان زوجته تستطيع ان تسوس أمرها سياسة حسنة ، فكان رفيقا كل الرفق مع «فيرتر» ، وكل ذلك كان يزيد آلامه ويملأ نفسه حسرات ، فان هواه يحرق قلبه ، والمحبوبة أمامه وبيتها مفتوح له ، فهو العطشان الذى يجرى الماء تحت قدميه ولا يستطيع ان يشرب !

ثم ان نفسه النبيلة تأبى ان تطوف بها أبسط فكرة سيئة ... ولم يستطع ان يتعزى عن حبه بحب آخر ، ولم يجد سبيلا آخر في الحياة يسلكه ، ولم يبق أمامه الا ان يضع حدا لحياته بيده ! ..

وبعد ظهر يوم من الايام وبعد ان كتب آخر خطاباته يصف فيها مشاعره ، ويؤكد انه يغادر الدنيا غير آسف على شيء فيها ، يستلقى على فراشه ويفرغ في راسه رصاصة ، وتنتهى بذلك أجمل قصة حب عرفها الادب الاوروبى ! ...

انها امرأة بديعة كل ما فيها جميل هى « شارلوت » وهى قصة كاحسن ما يكون القصص .

وهى قصيدة تروع النفس موسيقاها ..

انها هى والقصة والقصيد فى عمل ادبى فنى واحد ، يعد من روائع الاعمال الفنية فى التاريخ وصاحبها واحد من اربعة يعدون اقطاب الادب العالمى كله على مر العصور ، وهم وليام شيكسبير ، ودانتى اليجييرى ، وميجيل دثرفانتس ، وولفجانج جيته ، مؤلف « آلام فيرتر» هذه ..

ونوجز القصة فى سطور حتى تعرف عم تتحدث « فيرتر » ، وهو فى الحقيقة ـ « جيته » ـ شاب المانى متخرج فى كلية الحقوق ، انه من أسرة كريمة ميسورة الحال ، فالحقه « كارل اوجست » أمير ساكس فايمار فى خدمته واعجب به اعجابا شديدا ، فقد كان الامير فى الثامنة عشرة من عمره وكانت سن « فيرتر » ثلاثا وعشرين سنة ، وكانت الحياة فى بلاطات أمراء المانيا قبل توحيدها على يد « بسمارك » جميلة رخية قليلة التكاليف والمسئوليات ، وكان القائمون بالعمل فيها دائما من أبناء اسر النبلاء ، وكان « فيرتر » أو « جيته » من بينهم .

هناك دعى « فيرتر » الى حفل راقص ، فمضى بعربته التى يجرها حصانان الى

بيت جارة وأمها ليأخذهما معه ، وكان عليه بعد ذلك ان يمر الى دار القاضي « يوهان كريستيان كيستنر » ليأخذ زوجته « شارلوت » الى نفس الحفل ، وكان « كيستنر » قاضيا شابا موسرا جدا وعلى مستوى رفيع من الخلق والثقافة ، ولكنه كان مسافرا تلك الايام ليصفى مسائل تتعلق بتركته من أبيه ، وكان على « شارلوت » زوجته ان تذهب الى الحفل في رفقة بعض الاصدقاء ، وأرادت الصدفة ان يكون « فيرتر » هو صاحب الحظ .

ووصل بعربته وجارته وأمها الى دار « شارلوت » ، وهنا وقع نظره عليها للمرة الاولى ، وكانت النظرة القاضية ، فقد استقرت « شارلوت » فى أعماق نفسه ، ولم تخرج بعد ذلك أبدا ! ..

أول ما رآها حسد نفسه على حسن حظه ان كتب له ان يتعرف على هذه الانسانة الملائكية فى نظره واحساسه ، ولكن القدر كان يخبىء له ما لم يكن يحتسب ، فهذه المرأة « شارلوت » كانت القدر الذى كتب له ، فقد أحبها حبا عجز قلبه الضعيف عن حمله مع الزمن ، فقد كانت مخطوبة للقاضى الشاب « يوهان كيستنر » ، وكانت تحب خطيبها وتعجب به ، ولا تلبث ان تتزوجه ، ويوم الزفاف يحضر « فيرتر » مأتم نفسه وحبه ، ولكنه كان لابد ان يحضر لكى يرى «شارلوت» فى ثوب الزفاف ، ولكى يسعد بابتسامتها ويهنىء « يوهان كيستنر » بزواجه ويتمنى له السعادة ...

***

وقد وصف «فيرتر» مشاعره يوما بعد يوم فى خطابات بالغة الرقة والعمق والجمال كان يبعث بها اول الامر الى صديقة له تسمى « ليونور » ثم الى صديق يسمى « فلهلم » . وهذه الخطابات تحمل القصة كلها وتعبر عن مأساتها فى بلاغة لم نعد نحن نستريح اليها اليوم ، فهى بلاغة الرومانسيين ، بلاغة اللفظ الانيق والشاعرية المرهفة والتحليق مع الخيال الشاعرى الى مداه . ونحن اليوم لا نستريح لهذا الطراز من التعبير الادبى ، فان «فيرتر» ينفق أحيانا الصفحات بعد الصفحات فى وصف الطبيعة وجمالها ، أو فى الحديث عن جمال « شارلوت » ورقة صوتها وابداع مشيتها . ثم انه يؤله صاحبته ولا يرى فيها أدنى عيب ، فهى عنده صفوة الجمال وبدعة الخلق .

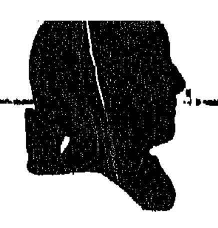
ولكن هذه كانت روح العصر ، «وجيته »فى صدر شبابه» وعندماكتب آلام « فيرتر » كان رومانتيكيا بل كان من طلائع أهل هذا المذهب ، بل هو الذى أعطاه الدفعة الكبرى بروايته البديعة تلك : آلام الشاب فيرتر .

***

وعندما نتأمل شخصية شارلوت كما يصورها « جيته » نجد ان صورتها شعر خالص ، فهى امرأة قصيدة ولقد تحدث عنها « جيته » صفحات بعد صفحات ، فاذا أردنا ان نتصورها فى هيئة آدمية لم نستطع ، لان « جيته » لم يعط محبوبته صورة آدمية ، انها جميلة جدا ولكننا لا ندرى أكانت شقراء أم سمراء ، أكانت طويلة أم قصيرة ، ولا ندرى ما لون عينيها لان الرجل لم يرد ان يعنى امرأة بذاتها ، وانما أراد ان يقدم لنا المرأة فى هيئة روح جميل ساحر ، بل انه يذكر ان مرآها يشفى العليل .

قال فى رسالته بتاريخ أول مايو :

« فى وسعى ان أعرف من تجربة قلبى مدى العزاء الذى تستطيع « شارلوت » ان تمنحه لمريض ، فقلبى يعانى من بعادها أو غيبتها أكثر مما يعانيه كثير من المساكين الذين يلزمهم المرض الفراش ، فقد رحلت « شارلوت » لقضاء بضعة أيام فى البلد مع امرأة فاضلة جدا تفض الاطباء أيديهم



منها ، فتمنت هـــذه السيدة ان تكـــون « شارلوت » بجوارها في لحظاتها الاخيرة، وقد صحبتها في الاسبوع الماضي في زيارة قس قرية س ، وهي قرية صـــغيرة على الجبل على مسافة مرحلة من هنا ، وقد وصلنا الى هناك في الساعة الرابعة ، وقد صحبت « شارلوت » أختها الصغيرة .

ولما دخلنا فناء بيت القس وجـــدنا الرجل المسن الطيب جالسا على مقعـــد امام البـــاب في ظل شـــجرتي لوز كبيرتين ، وما ان ابصر « شارلوت » قادمة حتى بدا وكانما دبت فيه حياة جديدة ، فنهض ونسي عصاه ، وغامر بالسير اليها»

واظن ان مثل هذا التسامي بالمحبوبة لم يخطر قط على بال كاتب قبله أو بعده . ونحن عنـــدما نقـــرأ هـــذا الوصف «لشارلوت» الذي يجرى به قلم «فيرتر» ندرك لماذا استحال عليه الزواج منها حتى لو لم تكن مخطوبة ، فهذه امرأة لم تخلق للزواج وانما للفرجة من بعيد ، فهي على الحقيقة ــ وكما يصفها « فيرتر » ــ لم تكن امرأة بل نموذج امرأة ، وهنا كانت مأساة « فيرتر » ، فهو يحب امرأة هي الجمـــال كله والطهر كله والعفـــاف كله ، امرأة شفافة كأنها بلا جسد ، ثم انهـــا كانت محرمة عليه فقد كانت مخطوبة لصديق له هو الآخر غاية في النبل والكمال ، فهـــو يفتح له قلبه وبيته ، ولا يكاد يعبس في وجهه مرة مع علمه بتعلقه بزوجته . فكان هذا الموقف من الزوج أقسى على « فيرتر » من موقف العداء والكراهيـــة ، ولو ان الزوج القـــاضي كيســـتنر ــ حرم على « فيرتر » دخول بيته أو ناله بكلمة لكانت تلك فرصة « لفيرتر » ليدخل في صراع كرامة وعنـــاد ، أما هـــذا الاكـــرام ففيه من بعض الوجوه احتقار أو عـــدم اكتراث ، كأن « فيرتر » رجل لا يخشى بأسه ولا تخاف صولته ، وكان ذلك في نهاية الامر سببا من أسباب يأس «فيرتر» ودافعا له الى الخلاص من حياته ، اذ انه أحس انها تافهة وبلا هدف ولهذا فقـــد سهل عليه ان يضع نهاية لها ..

***

وشيئا فشيئا يختل شـــعور هـــذا المسكين ، لان تفكيره كله أصبح يدور حول هذه المرأة ولا شيء ســـواها ، وزاد في آلامه انها في الحقيقة لم تكن بالســـمو الذي كان يتصوره فقد كانت تلجـــأ الى استثارته سخرية منه واستصغارا لشأنه، ولكن المسكين لم يكن يلاحظ شيئا . لقد أصبح مثله في ذلك مثل مجنون ليلى . تحول الحب في نفســـه الى عبادة ، ومن المؤكد ان قيس بن الملوح لو قد أتيح له ان يتزوج ليلى لما تزوجها ، لانه كان عاجزا عن ان ينظر اليها على انها امرأة من لحم ودم ، وانما هي في احساسه مخلوق من سحر ونور ، وكيف يتزوج رجـــل من سحر ونور ... وكما فارق قيس الحياة، وهام في الوديان ،كذلك «فيرتر» استقال من عمله في القصر وحطم بذلك مستقبلا زاهرا ، لان شيطان الحب سيطر عليـــه وقطع الصلة بينه وبين الحياة .

واقرأ معي هذا الخطاب الحزين الذي كتبه في أخريات أيامه الى صديقه فلهلم :

« لقد انتهى امري ، ولم اعد أطيـــق هذه الحال اكثر من هذا .. لقـــد كنت جالسا اليوم مع شارلوت وهي تعزف على البيانو مقطوعات بديعة بتعبير عميق جدا ، وكانت اختها الصغيرة تلبس دميتها ثوبها وهي جالسة في حجري وطفرت من عيني الدموع ، وانحنيت الى الامام ونظرت الى خاتم زواجها . فتساقطت عبراتي ..

وعلى الفور شرعت تعزف تلك المقطوعة الاثيرة على قلبي التي كثيرا ما سحرتني . وشعرت بالراحة لتذكر الماضي ، في تلك الايام الخوالي عندما كانت هذه المقطـوعة مألوفة لي ، وعندئذ تذكرت كل الاحـــزان وضربات القـــدر التي نزلت بي من ذلك

الحين ، ورحت أذرع الحجرة بخطوات سريعة ، وغص قلبي بمشـــاعر اليمة ، واخيرا ذهبت اليهـــا ، وهتفت بها فى لهفة :

ـ سالتك بالله ، لا تعزفى هـــذه المقطوعة بعد الان !

فتوقفت ونظرت الى فى اشفاق وقالت بابتسامة غابت فى أعماق نفسى :

ـ امريض انت يافيرتر؟ انى ارى احب طعامك اليك قد صار بغيضا ، ارجو ان تذهب حتى تهدأ نفسك ..

فانتزعت نفسى من مجلســـها انتزاعا وانصرفت ..

يا الهى ، انت مطلع على عذابى ، فاجعل له نهاية » .

***

وتلك كانت رسالته قبل الاخـيرة الى صاحبه «فلهلم» . بعد ذلك كتب خطابا أخيرا قال فيه : « لكم يراودنى طيفها !.. انها ملء روحى كلها يقظان ونائما ، فمـا ان أغلق عينى حتى أجـد عينيهـــا السوداوين مطبوعتين ها هنـا فى مخى ، حيث تتركز أعصـــاب البصر ، هاهنا ! ولا أدري كيف أصفهما، وكل ماعرفه انني متى اغمضت عيني وجدتهما مرتســمتين أمامى داكنتين كالهـــاوية ، مفتوحتين تبتلعان كل حواسى ! » .

***

بعد ذلك لم يكتب « فيرتر » شـيئا ، أصبح عاجزا عن التفكير المنظم ، وبقيـــة أخباره أتتنا عن طريق الناشر الذى تولى طبع رسائله التى تتضمن مأساة حياته ..

ويقول هذا الناشر ان جـــذور الاسى والسخط ضربت فى مسارب عميقـة من نفس « فيرتر » ، واختل نقاش تفكيره . وأدت الاثارة المتواصلة والاهتياج العقـلى اللذان أضعفا قواه العقلية الى أسوأ النتائج على نفسيته ، فاصبح فى نهـــاية المطاف فريسة اعياء شامل كان يحاول مكافحته بمجهود ضخم كان يهد ما بقى فى كيـانه من قوة هـــذا . وكان فى نفس الوقت يناضل تكباته الاخرى ، وأضعف قلقه النفسى ملكاته المتعددة الصافية ، وسرعان ما انتهى الى الكآبة والانقباض عن الناس ، فهو دائما حائر غير موفق فى أفكاره . مع تزايد تعاسته وشقائه ، وهذا على الاقـل كان رأى أصدقائه ومنهم زوج «شارلوت» وهو سبب شقائه كله .

***

واروع ما فى هذه القصة او القصيدة هو نهايتها .لقد قرر «فيرتر» ان يضـع حدا لحياته . ودون حزن او أسف أخـذ يعد العدة للرحيل عن هذه الدنيا ، وقال لبعض أصحابه انه سيقوم برحلة الى بلد بعيد ، واستعار مسدسين من « البرت » . قال له انه ذاهب للصيد . ولم يخطـــر ببال « البرت » ان « فيرتر » استعارهما ليضع بواحدمنهما حدا لحياته ، فأرسلهما اليه . وعلمت « شارلوت » بذلك فريعت للخبر ، لقد كانت تحس وتدرك بحسها الدقيق ما اراده « فيرتر » برحلته الى مكان بعيد ، وارادت ان تستعيد المســدسين ، ولكنها لم تستطع ...

واليك نهاية القصة كما رواها «جيته» بأسلوبه المبدع وكان آخر مافعله «فيرتر» خطابا أخيرا كتبه الى شارل والبرت وأغلقه وقال فيه :

« انظرى يا شارلوت ...

.. واريد ياشـــارلوت ان أدفن فى الثوب الذى أرتديه الان ، فقـد اكتسب قداسة من لمسك اياه .. وقد طلبت تلك الحـظوة ايضا من ابيـك .. ان روحى تحلق فوق لحدى .. ولا أريد ان يفتش احد جيوبى .. وهناك تلك الانشوطة من الشريط الوردى الذى كنت ترتدينه فوق صدرك أول مرة رايتك فيها ، والاطفـال من حولك ـ فقبليهم الف مرة نيابة عنى،



وابلغيهم مصير صديقهم المنكود .. يخيل الى انى اراهم يلعبون من حولى .

يا للاطفال الاعزاء ... لكم تعلقت بك بكل حرارة ياشارلوت ، منذ الساعةالاولى التى رأيتك فيها . وكم استحال على أن **افارقك .. تلك الانشوطة يجب ان تدفن**

معى ، فقد كانت هديتك الى فى يوم عيد ميلادى . لكم يبدو كل شىء مختلطا ، وما كان يخطر ببالى انى ساسلك هذا الطريق ، ولكن ليحل عليك السلام ياشارلوت

« **الغدارتان محشوتان والساعة تدق** الثانية عشرة وأنا أقول ان شارلوت .. شارلوت وداعا . وداعا » .

ورأى أحد الجيران الومضة ، وسمع دوى الغدارة ، ولكن لم يلبث السكون ان ساد ، فطرد ما رأى وما سمع من ذهنه ..

وفى الصباح فىالساعة السادسة دخل الخادم حجرة « فيرتر » وفى يده شمعة فالفىسيده ممدودا علىالارض، غارقا فى دمه ، والغدارتان الى جانبه . وناداه واحتواه بين ذراعيه ، ولكنه لم يفز بجواب . ولم تكن الحياة قد فارقته بعد ... فاسرع الخادم الى جراح ، ثم ذهب لاحضار « ألبرت » ، وسمعت «شارلوت»

صوت الجرس فاستولت عليها قشعريرة باردة وأيقظت زوجها ، ونهض الاثنان وافضى الخادم الغارق فى دموعه اليهما بالنبأ فوقعت « شارلوت » مغشياً عليها

ولما أتى الجراح الى «فيرتر» العاثر الحظ وجده لم يزل راقدا على الارض وقلبه ينبض . بيد ان أطرافه كانتباردة وكانت الرصاصة قد دخلت من الجبهة فوق العين اليمنى واخترقت الجمجمة ، وكان شريان فى ذراعه اليسرى مفتوحا والدم يسيل منه ، ولم تزل أنفاسه تتردد ...

لما كان هناك دم يتساقط من فوق الكرسى ، فلا بد انه أقدم على فعلته الطائشة وهو جالس الى مكتبه ، ثمسقط بعد ذلك على الارض .. حيث وجد ممددا على ظهره قرب النافذة بملابسه الكاملة .

وعلى الفور ساد الاضطراب الدار والجيرة والمدينة كلها ، ووصل « ألبرت» وكانوا قد سجوا« فيرتر»فى فراشه وربطوا دماغه بالضمادات ، وعلت وجهه صفرة الموت . وأطرافه لم يكن بها حراك ،ولكنه لم يزل يتنفس بقوة أحيانا وفى وهن أحيانا أخرى .. وصار موته متوقعا فى اى لحظة .

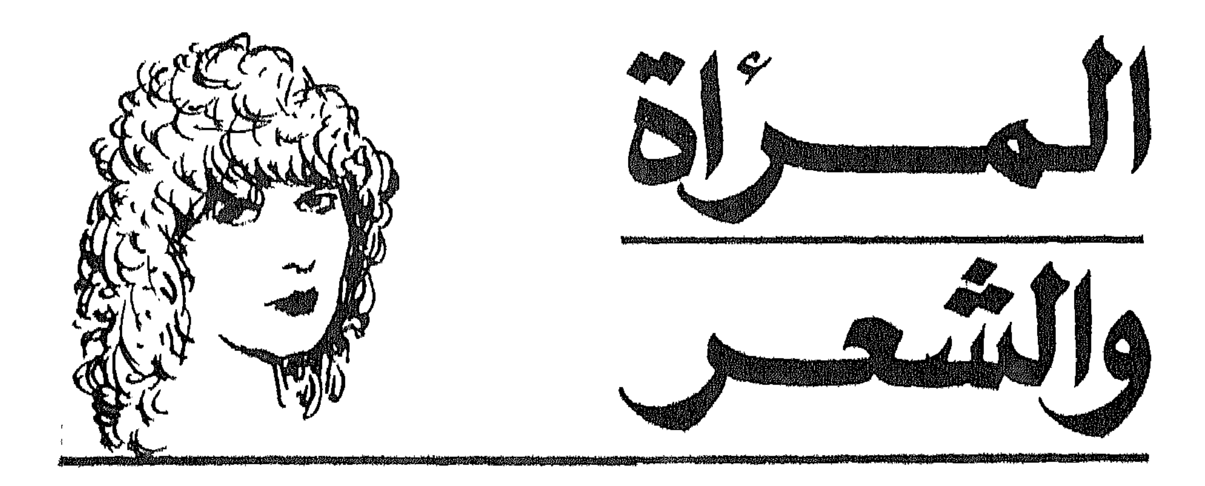
وكان قد شرب كوبا واحدا من النبيذ وزجاجته المفتوحة فوق المكتبة .

ولن اقول شيئا عن نكد « ألبرت » أو عن حزن « شارلوت » ...

واسرع ناظر الزراعة الشيخ الى الدار فور سماعه بالنبا ، وعانقصديقه المحتضر وسط فيض من الدموع ، وسرعان ماحضر الكبار من اولاده راجلين ، وفى حزن لا يوصف جثوا على ركبهم بجوار سريره وقبلوا يديه ووجهه . وكان أكبرهم وآثرهم عنده ، فتعلق به الى أن فاضت روحه ،ولم يبعدوه عنه بعد ذلكالا قسرا .

وفى الساعة الثانية عشرة لفظ «فيرتر» انفاسه الاخيرة وكانلحضور ناظر الزراعة وللاحتياطات التى اتخذها اثرهما فى منع الازعاج . وتحت جنح الليل فى الساعة الحادية عشرة تمت مواراة الجثمان فى المكان الذى اختاره فيرتر لنفسه .

وتبع ناظر الزراعة واولاده الجثمان الى القبر . ولم يتمكن « ألبرت » من مرافقتهم فقد كانت حياة « شارلوت » ميئوسا منها .. وقد حمل بعض الفلاحين الجثة، ولم يحضر الدفن قسيس ...



المرأة والشعر

● د . محمود على مكى ●

● **حديث المراة ، والحديث الى المراة ، وعن المراة – لابد ان يكون قريبا الى كل نفس سوية ، محببا اليها .. وقد تزايد هذا الحديث فى الآونة الاخيرة ، لاسيما منذ أن عدت السنة الماضية هى سنة المراة الدولية . ثم كان تولى احدى السيدات رياسة الحكومة البريطانية بعد ان انتخبت زعيمة لحزب المحافظين مناسبة اخرى للحديث عن مسيرة المراة فى التاريخ البشرى وحصولها على مزيد من الحقوق ، حتى لم يعد هناك من فرق بينها وبين الرجل . والواقع ان ماوصلت اليه السيدة البريطانية لم يكن شيئا جديدا ، فقد سبقتها الى رياسة الوزارة سيدات فى بلاد اخرى من العالم لم تبلغ من النمو والرقى مابلغته بريطانيا ، ولكنه كان شيئا جديدا بالنسبة لبلد مثل انجلترا تعد من اكثر بلاد العالم حفاظا على التقاليد ونفورا من البدع المستحدثة ، مما اعتبر ذلك معه انتصارا جديدا تسجله المراة فى رحلة كفاحها الطويلة .**

على أن حديثنا اليوم لن يكون عن كفاح المراة السياسى أو الاجتماعى ، وانما عن الدور الذى باشرته فى الفن الادبى ، وهو دور كان دائما يساير مكانة المراة بصفتها قسيمة الرجل وشريكته فى مسيرة الحياة . وان كانت هذه المكانة تتفاوت من عصر الى عصر ومن بيئة الى بيئة . وقد كان لهذا الدور دائما شقان : واحد بصفتها ملهمة للفنان موحية له بابدع ماتتفتق عنه قريحته ، والآخر اكثر ايجابية بصفتها هى فنانة مبدعة .

وقد جسم الاغريق معنى قوة المراة الموحية بكل الوان النتاج الفنى فى صورة جميلة فى اطار ماتصوره الميثولوجيا الاغريقية الوثنية من تنظيم للقوى المدبرة للكون وتوزيعها على عدد من الالهة وانصاف الالهة والالهات . فقد تخيلوا للفنون والعلوم تسع آلهات ملهمات ، يقول هزيود انهن كن بنات زيوس كبير الآلهة . وقد اطلق على كلٍّ منهن اسم musa وعلى مكان اجتماعهن اسم « Museion » وهذا هو اصل اسم museum الذى يعنى الآن « متحف الاثار الفنية » . فهناك ملهمة للشعر الملحمى « Caliope » : وأخرى للشعر الغنائى Euterpe ، وثالثة لشعر الغزل والحب Erato ورابعة للرقص والجوقات الدرامية Terpiscore ، وخامسة للمسرح الكوميدى Talia وهكذا .

كذلك عرف الادب الاغريقى القديم نساء كانت لهن مشاركة مباشرة فى الفن الادبى بصفتهن أديبات منشئات ، ولعل أشهرهن سافو Saffo التى عاشت فى القرن السادس قبل الميلاد وكانت شاعرة عاطفية عشقت فتى لم يبادلها الحب ، فانتهى الامر بها الى الانتحار . وقد بقى من نتاجها الشعرى نشيد فى التعبد بافروديت « فينوس » الهة الحب والجمال . ولكن عدد من اشتغلن بالفنون عامة من النساء فى الثقافات القديمة لايكاد يذكر بالنسبة لعدد من زاولوا العمل الفنى من الرجال .

***

فاذا انتقلنا الى الادب العربي وجدنا أن المراة باشرت فيه منذ القدم دورا ملحوظا بشقيه : ملهمة ومنشئة . والادب العربى الجاهلى حافل بما يثبت ذلك . ويدفعنا هذا الى الحديث عن مكانة المراة فى المجتمع العربى القديم . ونلاحظ أن الباحثين القدماء والمحدثين كثيرا ما الحوا على هوان شان المراة العربية فى الجاهلية ، مستندين فى ذلك الى ماورد فى القرآن الكريم من اشارات عديدة تندد ببعض العادات الجاهلية الممقوتة مثل واد البنات واساءة معاملتهن وماكان يتملك الرجال من الغيظ والحزن اذا اخبر احدهم بميلاد بنت له . وهذا حق بغير شك ، ولكن القرآن الكريم نفسه حينما شدد فى النهى عن هذه العادة الوحشية اشار الى اسبابها واهمها الفقر او خشية الفقر ، فهى اذن عادة كانت مقصورة على الفقراءالمملقين وان كان لها قدر من الفشو فى جميع قبائل العرب . ويقدر بعض الباحثين المحدثين ان نسبة من كانوا يئدون بناتهم فى الجاهلية ربما بلغت نحو العشر من مجموع عدد الرجال ، ونظنها اقل من ذلك . ولكن التشريع القرآنى الحكيم بشموله واحاطته ماكان ليهمل الدعوة الى القضاء على هذه العادة الهمجية الفظيعة حتى وان كانت نسبة مزاوليها ضئيلة لا تتجاوز اقلية صغيرة .

وانما نقول ذلك لان هناك شواهد كثيرة تدل على ان مكانة المراة الجاهلية لم تكن على العموم بهذا القدر الذىتصوره الناس من الهوان والانحطاط ، بل كان هناك تفاوت بين احوال النساء بحسب شرفهن واحسابهن ومكانة اسرهن وقد ساق ابن حبيب فى كتابه « المحبر » أسماء عدد كبير من النساء كان لهن من علو المكانة ومن احترام المجتمع لهن نصيب عظيم اما لشرف او لثروة او لمجموعة متنوعة من الفضائل .

بل ان بعض من درسوا أحوال المجتمع العربى القديم قد توقفوا امام ظاهرة الاسماء المؤنثة التى حملتها بعض القبائل مثل خندف وجديلة وسلول وباهلة . وكان من هؤلاء روبرتسون سميث Robertson Smith « فى كتابه عن الانساب والزواج فى بلاد العرب القديمة » ، اذ راى فى هذه الظاهرة دليلا على وجود مااصطلح على تسميته ب « دور الامومة » فى تاريخ المجتمع العربى القديم . ويقصد به تلك المرحلة التاريخية التى لم يكن فيها الزواج منظما حينما كان الرجل يتصل بالمراة ثم يتركها الى غيرها من النساء ، والمراة يتعاقب عليها عدد من الرجال فيكون النسب الصحيح هو العزو الى الام لا الى الاب . وهى مرحلة تاريخية اجتازتها غالبية الشعوب القديمة ، ثم بمرور الزمن ارتقت الحياة الاجتماعية وتنظمت علاقات الزواج واصبحت له اعرافه وتقاليده المرعية ، وازداد الترابط بين افراد الاسرة . وبهذا انتقل العرب الى مايمكن أن يسمى بالدور الابوى الذى اصبحت القبائل فيه تحمل اسماء آبائها لا أمهاتها . وقد اخذ بهذه النظرية ايضا العالم الالمانى السويسرى باخوفن

Bachofen الذى رأى ان هذه الظاهرة قد تكررت من قبل فى حياة الشعوب السامية القديمة ، وأن هذا الانتقال من دور الامومة الى دور الابوة لم يكن بدعا عند العرب .

ومهما يكن من أمر وسواء أصحت هذه النظرية أم لم تصح فعلينا ان نسجل انه على الرغم من هذا التطور فان وضع المرأة عند عرب الجاهلية خلال العصر السابق مباشرة على الاسلام لم يكن بالغ السوء كما اعتقد الكثيرون . صحيح انه فى مثل هذا المجتمع البدوى الجاهلى الذى كانت الحروب « المعروفة باسم أيام العرب » تشكل أهم مظاهرنشاطه الحيوى — لابد ان يكون للرجل فيه مركز الصدارة وأن يكون دور المراة ثانويا بالقياس الى الرجل .

ونعود الى الادب الجاهلى ، فنرى أن المراة تحتل فيه نصيبا ليس بالقليل، وان اسهامها فيه قد شمل النواحى الثلاث بصفتها ملهمة ومنشئة وناقدة .

أما كونها مصدر وحى للشعراء فان ذلك واضح من تأمل أجمل ما وصل الى ايدينا من نماذج الشعر الجاهلى ، فنحن لا نكاد نجد قصيدة تخلو من الافتتاح بالحديث عن المراة والتعبير عن احساس الشاعر نحوها واسترجاع ذكرياته مع الحبيبة وبكاء مابقى من آثار ديارها . وهذه المقدمة هى التى اصطلح على تسميتها بالنسيب ، وتتفرع منها مو ضوعات كثيرة ، الا أن محورها الرئيسى هو المراة .

هذا النسيب او الغزل يشغل من تراث الشعر الجاهلى مكانا واسعا ، وهو يكاد يكون مدخلا لا غنى للشاعر عنه للتحدث عن الاغراض الاخرى التى تهمه من فخر او حماسة او مديح . ثم هو غنى متنوع يفترق الى شعب كثيرة نجد من بينها الوقوف على الاطلال ، ووصف مشاهد الرحلة فى الصحراء وغير ذلك من الموضوعات الفرعية . اما شعر الغزل المباشر فانه ايضا يتفاوت ويتنوع حسب طبيعة الشاعر نفسه وذاتيته وحالته النفسية وسنه ، فمنه غزل عفيف محتشم ، ومنه غزل صريح جرىء ، وقد يكون حزينا متشائما وقد يبدو فيه التفاؤل والبهجة . والاقبال على الحياة ، والشاعر قد يتغزل فيه بعربية حرة شريفة ، وقد تكون صاحبته جارية او قينة او ساقية فى مجلس شراب ، وهو غزل قد تدور مشاهده فى بيئة صحراوية خشنة ، وقد توجد فى بيئة حضرية او آخذة بنصيب من الحضارة .

ولكن الغالب على وصف الشاعر للمراة هو الجانب الحسى ، فهو يتأمل مفاتن المراة الجسدية ويستعرضها ويشبه أعضاءها بما يراه محققا للجمال بينه وبينها ، ويظهر ذلك بصفة خاصة عند الشعراء الفرسان والصعاليك . مثل امرىء القيس وطرفة بن العبد والاعشى ، ومنهم من يقتصد فى ذلك فيجتزىء باللمحة السريعة والاشارة الموحية مثل عنترة . ولكنهم يتفقون فى الاهتمام بالمظهر الخارجى لجمال المراة ، وهذا أمر طبيعى فى تلك البيئة العربية الجاهلية التى كانت تتخذ المراة لونا من الوان المتاع الحسى .

ومع ذلك فلم يخل الشعر الجاهلى من سمو روحى يتوقف فيه الشاعر عند الحديث عن محاسن صاحبته ، بل تبدو لنا فيه العلاقة الروحية النبيلة بينه وبينها ، ويظهر ذلك بصفة خاصة عند الشعراء والصعاليك .

فالشاعر الفارس عنترة بن شداد الذى لا يكاد يصور لنا من جمال حبيبته عبلة الا سحر ابتسامتها وطيب ريحها لا يلبث أن ينتقل الى مخاطبتها فى اجلال



نبيل وان لم يكن فيه شيء من الخنوع والذل ، حريصا على ان يؤكد لها ان فروسيته وشجاعته ومآثره في الحرب انما هي من اجل مرضاتها :

ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم
يا عبل لو ابصرتني لرايتني ... في لحرب اقدم كالهزبر الضيغم
ان تغدفي دوني القناع فانني ... طب باخذ الفارس المستلئم
اثني علي بما علمت فانني ... سمح مخالقتي اذا لم اظلم !

وفي قصيدة اخرى يصور لنا عنترة سلوكه مع النساء ، فنرى فيه سموا وعفة لا نعهدهما كثيرا في الشعر الجاهلي :

ما استمت انثى نفسها في موطن ... حتى اوفي مهرها مولاها
اغشى فتاة الحي عند حليلها ... واذا غزا في الحرب لا اغشاها
واغض طرفي مابدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي ماواها
اني امرؤ سمح الخليقة ماجد ... لا اتبع النفس اللجوج هواها

ويحدثنا الشاعر الصعلوك الشنفرى الازدي عن زوجته اميمة ، فيرسم لها لوحة رائعة تثير الاعجاب لا بمحاسنها الجسدية ، وانما بصفاتها الروحية والخلقية ، ويدهشنا أن تصدر هذه الصورة عن رجل كانت حياته كفاحا من اجل لقمة العيش ينتزعها بصعوبة في تلك البيئة الصحراوية القاسية بالاغارة وقطع الطريق ، وهو مع ذلك يصفي زوجه مودة رقيقة وحبا روحيا ساميا ، وانها لجديرة بذلك ، فهي امراة محتشمة تمضي لشانها فلا تتلفت ولا تتبرج ، وهي كريمة ترعى جاراتها وتهاديهن ، وهي حفيلة على بيتها وشرف زوجها ، حيية قليلة الكلام ، عفيفة طيبة حنون تضفي على زوجها حنانها وحبها حينما يعود الى داره بعد كفاحه اليومي المضني ، فيجد عندها الراحة والسكينة ، وهو واثق بحسن سيرتها فلا يحتاج حتى الى سؤالها كيف قضت يومها وهو بعيد عنها :

لقد اعجبتني لا سقوطا قناعها ... اذا مامشت ولا بذات تلفت
تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها ... لجاراتها اذا الهدية قلت
تحل بمنجاة من اللوم بيتها ... اذا مابيوت بالمذمة حلت
كان لها في الارض نسيا تقصه ... على امها وان تكلمك تبلت
اميمة لا يخزي نثاها حليلها ... اذا ذكر النسوان عفت وجلت
اذا هو امسى آب قرة عينه ... مآب السعيد لم يسل أين ظلت

غير ان كل الزوجات لم يكن على نحو ما وصف لنا الشنفرى من حسن السمت وجمال الخلق ، فقد كان من بينهن ايضا ـ كما هو الامر في كل زمان ومكان ـ من تستحيل الحياة معهن الى جحيم مستعر . فهذا هو علباء بن أرقم اليشكري يصف لنا زوجة من طراز آخر : امراة شديدة المراس ، تستقبله بوجه عابس ، ولا تكف عن شكواه الى جاراتها دون أن ترعى له حرمة كبر سنه وشيبه ، وهي متقلبة غريبة الاطوار ، فهي تارة وديعة طيعة ، واحيانا اخرى شرسة جشعة تلح عليه في المطالب ، فاذا لم يستجب لها شرعت في الشجار والصياح ، فلا تنام ولا تدعه يخلد الى شيء من راحة ، ويظلان على هذا النحو والجارات يتسمعن مايدور في بيته من عراك . وينفد صبر الزوج المسكين فيتهددها بما لن ينجم عنه الا الندم في سوء المصير :

الا تلكما عرسي تصد بوجهها ... وتزعم في جاراتها ان من ظلم
ابونا ، ولم اظلم بشيء عملته ... سوى ما ترين في القذال من القدم
فيوما توافينا بوجه مقسم ... كان ظبية تعطو الى ناضر السلم



المرأة والشعر

ويوما تريد مالنا مع مالها ... فان لم ننلها لم تنمنا ولم تنم
نبيت كأنا في خصوم عرامة ... وتسمع جاراتي التالي والقسم
فقلت لها إن لا تناهي فانني ... اخو النكر حتى تقرعي السن من ندم

وقد يضيق الشاعر بالنساء عامة ، فيصطنع الحكمة ويلقى علينا بخلاصة تجاربه مع النساء كما فعل عقمة بن عبدة الفحل اذ يقول :

فان تسالوني بالنساء فانني ... بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب راس المرء او قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ شباب عندهن عجيب

ولكن المراة التي تحدث عنها الشاعر الجاهلي لم تكن الحبيبة او الزوجة فقط ، بل نحن نجد ايضا صورة الام التي اعتز بها الشاعر اعتزازا كبيرا . فهذا هو المتلمس الضبعي يبلغه أن بعض الناس قد عرض بامه ، فيغضب لذلك وتثور حميته ، فيلقى بهذه الكلمة :

يعيرني امي رجال ولن ترى ... اخا كرم الا بان يتكرما
ومن يك ذا عرض كريم فلم يصن ... له حسبا كان اللئيم المذمما
وهل لي ام غيرها ان تركتها ... ابى الله الا ان اكون لها ابما

وقد يحدث في حياة بعض الشعراء ما يوجب عليه أن يعقد مقارنة بين الزوجة والام . ويكون السبق في هذه المفاضلة للام بطبيعة الحال . تذكر الاخبار أن صخر بن عمرو بن لشريد « وهو اخو الخنساء ومرثيها » جرح في احدى المعارك جرحا خطيرا ، فمرض وطال مرضه ، وكان قومه يعودونه فاذا سالوا عنه امراته سلمى ابدت الضجر وقالت : لا هو حي فيرجى ولا ميت فينسى ، وصخر يسمع كلامها ، ويسالون امه فتقول : اصبح سالما بنعمة الله . فشق ذلك عليه وقال

ارى ام صخر لا تمل عيادتي ... وملت سليمى مضجعي ومكاني
فاي امرىء ساوى بام حليلة ... فلا عاش الا في شقا وهوان
اهم بامر الحزم لو استطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد ايقظت من كل نائما ... واسمعت من كانت له اذنان

***

واما المراة الشاعرة فاننا نعرف لها امثلة كثيرة في الجاهلية ، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب المختارات الادبية القديمة من اسماء العديد من النساء ، بل ان بعض المؤلفين قد اختص موضوع شاعرات العرب بالكتابة ، واورد ابن النديم في كتابه « الفهرست »اسماء كثير من هذه الكتب ، نذكر من بينهما كتاب « اشعار النساء » للمرباني الذى عاش في القرن الرابع الهجرى ، وهو كتاب ضخم بقيت منه قطعة مخطوطة نشرت مؤخرا في العراق .

وربما كانت اعظم شاعرات العرب في الجاهلية وصدر الاسلام الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد لسلمية ، وقد اشتهرت بمراثيها لاخيها صخر ، وتستغرق هذه المراثى ديواناكاملا نشر منذ سنوات طويلة في بيروت ، والحقت به مراثى ستين شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية والاسلام .

وشعر الخنساء يفيض بهذه اللوعة الانثوية المحرقة ونحس فيه بالصدق والاخلاص وعفوية التعبير ويكفينا ان نعرض نموذجا من نماذج من رثائها لصخر :

الا ما لعينك ام بالها ... لقد اخضل الدمع سربالها
أبعد ابن عمرو من ال الشريد ... حلت به الارض اثقالها

فآليت آسى على مـــــالك	واسـال باكيـة ما لها
لعمر ابيـك لنعـــم الفـتى	تحش به الحـرب اجذالهـا
حديد السنان ذليق اللسان	يجازى المقارض أمثالهـا
ساحمل نفسى على آلــة	فاما عليهـا واما لهـا
فان تصبر النفس تلق السرور	وان تجزع النفس اشقى لها
نهين النفوس وهـون النفو	س يوم الكريهة اشـقى لها
ونعلم ان منـــايا الرجـا	ل بالفـة حيث يخلى لهـا
فان تك مـــرة اودت به	فقد كان يكثر تقتالهـا
فخر الشوامخ من قتـــله	وزلزلت الارض زلزالهـا
وزال الكواكب من فقـــده	وجللت الشمس اجلالهـا

***

ونصل الى الناحية الثالثة من نشاط المراة الادبى وهو دورها بصفتها متذوقة للفن الادبى مسهمة فى تقويمه ونقده . ولعل أول من نعرف لها آراء فى نقد الشعر من نساء الجاهلية هى أم جندب زوجة امرىء القيس . فرواة الاخبار يزعمون ان علقمة بن عبدة الفحل كان ينازع امرا القيس الشعر ، فقال علقمة : قد حكمت امراتك ام جندب بينى وبينك . وقبل امرؤ القيس ذلك وتحاكما اليها فقالت ام جندب : قولا شعرا تصفان فيه الخيل على روى واحد وقافية واحدة . فقال امرؤ القيس قصيدته التى اولها :

خليلى مرا بى على ام جندب	نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال علقمة قصيدته التى اولها :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب	ولم يك حقا كل هذا التجنـــب

ثم انشداها جميعا فقالت ام جندب : علقمة اشعر منك . وذكرت سبب تفضيلها لشعره ، فغضب امرؤالقيس ولم يرض حكومتها وطلقتهـا فى إثـر ذلك .

والمثل الثانى نجده لدى الخنساء حينما تلاقت هى وحســـان بن ثابت فى سوق عكاظ فى محضر النابغة الذبيانى ، فطلبت الخنساء الى حسان ان يسمعها اجود شعره ، فلما فعل اقبلت على ابياته بالتحليل والنقد لفظا لفظا حتى أفحمته ولم يحر جوابا .

***

ويهم الاسلام بنوره جزيرة العرب ، وتتحقق بفضله للمراة ووضعها فى المجتمع مكاسب كثيرة ، ويعين ذلك على ان يصبح للمراة فى الحياة دور اكبر بكثير مما كان عليه فى الجاهلية .

اما شعر الغزل فقد تعددت اتجاهاته فى العصر الاسلامى والاموى ، واصبح اغنى واكثر تنوعا بكثير مما كان عليه فى الجاهلية ، واعان على ذلك ما اصابته مدن الحجاز من ثراء ونعيم بفضل ماصب فيها من اموال الفتوح ومن الرقيق الاجنبى وما ترتب على ذلك من نهضة فنى الغناء والموسيقى وكثرة عدد المغنين والمغنيات . وقد كان من آثار ذلك ان تطور الغزل تطورا واسعا فى شكله وموضوعه كما أوضح ذلك استاذنا الدكتور شوقى ضيف فى كتابين له جليلين « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » و « الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية » ، فقد اتجه الغزل الى الاوزان الخفيفة وأصبح تصــــويرا لاحاسيس الحب فى مجتمع تمتعت فيه المراة بقدر كبير من الحرية ، ولمتسع

الشاعر أيضا بمباهج هذه الحياة الحضرية ، فعبر عن نفسه تعبيرا صريحا رقيقا .
وكان من ممثلي هذا الغزل الصريح عمر بن أبي ربيعة المكي الذي صور نفسه بصورة يمكن أن نرى فيها سابقة لشخصية « دون خوان » الادب الاسباني ، فهو يعرف كيف يستهوي قلوب النساء ويتخذ من شعره حبالة يوقع بها القرشيات الجميلات أو النساء النبيلات ، ولا نكاد نجد في شعره حديثا عما يعانيه المحبون من آلام الهجر اذ ان المحبوبات هي اللاتي يتصدين له ويتهافتن عليه . ويوافق اتجاه عمر شاعران معاصران له ؛ أولهما العرجي المكي ، والاحوص الانصاري المدني ، وكلاهما كان أيضا من الاشراف الموسرين المترفين .

ويقابل هذا الاتجاه الحضري اتجاه آخر هو المعروف بالغزل العذري وهو من نتاج البادية العربية ، وهو غزل يصل الى ذروة النقاء والطهر والتجرد ، ويبدو فيه تأثير الاسلام وما أضفاه على العاطفية من مثالية وعفة . والشاعر هنا لا يكاد يلتفت الى محاسن محبوبته وانما همه هو تصوير وجده وعذابه وألمه وحرمانه ، فالحب العذري حب لا ينتهي أبدا الى نهاية سعيدة ؛ بل هو سعي وراء سراب خادع ومصير فاجع . ولا نطيل بذكر امثلة لهذا الغزل ، فهي كثيرة في الكتب التي تناولت قصص هؤلاء العشاق من امثال جميل ابن معمر وبثينة ، وقيس بن ذريح ولبنى الخزاعية ، وعروة بن حزام وعفراء ، والصمة بن عبد الله القشيرة وريا . ونلاحظ أن للنساء في قصص هذا الحب العذري مشاركة فعالة ، فكثيرا ماكانت المحبوبة شاعرة أيضا . ونضرب لذلك مثلا بقصة توبة بن الحمير وليلى الاخيلية ، وكانت ليلى شاعرة مجيدة تقرن دائما بالخنساء لكثرة مارثت به صاحبها حينما قتل في احدى الغارات .

وقد كان للحياة الاسرية أيضا صداها في الشعر الاسلامي ، وينعكس على هذا الشعر مانالته المراة من حقوق بفضل الاسلام ، بل يبدو أن المرأة قد تجاوزت الحدود في نظر بعض الشعراء ، مما جعلهم يضيقون بها ويتحسرون على مامضى من الزمان حينما كانت المراة طيعة سهلة الانقياد . فهذا الرخيم العبدي يقول في أسى ظاهر :

كنا ولا تعصي الحليلة بعلها	فاليوم تضربه اذا ما هو عصى
ويقلن بعدا للشيوخ سفاهة	والشيخ أجدر أن يهاب ويتقى

ولعل من أطرف صور المنازعات بين الرجال وازواجهم مانجده عند أحد الشعراء الامويين المغمورين ، وهو عامر بن الحارث النميري المعروف بلقبه « جران العود » ، وهو يشكو من زوجتيه وكانتا قد اجتمعتا عليه فضربتاه وخنقتاه .

ويبدأ جران العود بوصف تجربة زواجه المريرة وتحذير مجانسيه من الرجال من مغبة الاغترار بزينة النساء ، ثم يصف ليلة الزفاف وكيف بدت منذ أولها منذرة بالشر ، فقد اتفق فيها طيران عقاب وغراب وكلاهما مما كان يتطير به البدو . ويشبه زوجتيه بالغول والسعلاة ويقول ان احداهما بدأته بالعراك والضرب والطيب لم يجف بعد من ثياب زفافها . ويبدي الزوج المسكين استعداده لكي يقتسم معهما كل ماله لقاء أن تردا له حريته :

الا لا يغرن امرءا نوفلية	على الراس بعدي او ترائب وضح
ولا فاحم يسقى الدهان كأنه	اساود يزهاها لعينيك ابطح

واذناب خيل علقت في عقيصة ترى قرطها من تحتها يتطوح
جرت يوم جئنا بالركاب نزفها عقاب وشحاج من الطير متيح
فاما العقاب فهو منها عقوبة واما الغراب فالغريب المطوح
هما الغول والسعلاة حلقى منهما مخدش مابين التراقى مجرح
لقد عاجلتنى بالنصاء وبيتها جديد ومن أثوابها المسك ينفح
خذا نصف مالي واتركا لي نصفه وبينا بذم فالتعزب اروح

ويرى الشاعر نفسه مضطرا الى مرافقة هاتين الزوجتين الشرستين ، فيعمد الى عود « وهو الجمل العجوز » فينحره ويسلخ جرانه « وهوجلدظاهر العنق » ثم يمرنه ويتخذ منه سوطا يتهدد به المراتين :

عمدت لعود فالتحيت جرانه وللكيس امضى فى الامور وانجح
خذا حذرا يا خلتى فاننى رايت جران العود قد كاد يصلح

وبهذا البيت استحق الشاعر ذلك اللقب الذى عرف به من بعد .

وكان لجران العود صديق يدعى عروة الرحال اتخذ لنفسه ايضا مثله زوجة جديدة ، فلقى منها مالقى صاحبه ، وكان ان وصف زفافه بها على نحو ما صور جران العود :

وما غرنى الا خضاب بكفها وكحل بعينيها واثوابها الصفر
وجهزنها قبل المحاق بليلة فكان محاقا كله ذلك الشهر

***

ومن مظاهر مشاركة المراة للرجل مانراه خلال العصر الاموى من انخراط عدد من النساء فى الدعوات السياسية والدينية ، وهذا يدل على ما ادركته المراة من تقدم اجتماعى ورقى فكرى ، ومن وعى عميق بأنها قسيمة الرجل وشريكته فى كل مايهمه من امور دينه وسياسة امته . فنجد بين الشيعة نساء ينافحن عن قضية حزبهن ويبكين شهداءه . وقد كانت محنة كربلاء التى قتل فيها الحسين بن على « رضى الله عنهما » من الاحداث الهائلة التى ارتجت لها نفوس المسلمين وكان من الطبيعى ان تستجيب لها النساء بما فطرن عليه من رهافة الحس ورقة العاطفة . وقد حفظ لنا الزمن عددا كبيرا من مراثى النساء لمن سقط من الشهداء فى تلك الفاجعة ، نذكر منها قطعة من ابيات لام لقمان بنت عقيل بن ابى طالب :

ماذا تقولون ان قال النبى لكم ماذا فعلتم وانتم آخر الامم
بعترتى وباهلى بعد مفتقدى منهم اسارى ومنهم ضرجوا بدم
ماكان هذا جزائى اذ نصحت لكم ان تخلفونى بسوء فى بنى رحمى

وكما شاركت المراة فى قضية آل البيت رايناها ايضا تنخرط فى سلك الاحزاب الدينية الاخرى المعارضة لدولة بنى امية . وكان اشد هذه الاحزاب مراسا واضراها فى قتال بنى امية حزب الخوارج . ونحن نرى المراة تشترك فى ثورته العنيفة مع الرجال لا بلسانها فحسب ، بل هى تحمل السلاح ولخوض المعارك وتبدى من ضروب الشجاعة مايكاد الرجال يعجزون عنه . وقد كان من هؤلاء النساء المقاتلات غزالة الحرورية التى هاجمت الحجاج الثقفى والى العراق فى مقر حكومته بالكوفة هى وزوجها شبيب الصفرى ، وكادت الدائرة تدور على الحجاج لولا تحصنه فى قصره ، فقال فى ذلك عمران ابن حطان يسخر من والى العراق المخيف ويعيب عليه جبنه وتخاذله :

اسد على وفى الحروب نعامة ربداء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت الى غزالة فى الضحى بل كان قلبك فى جناحى طائر

وقد عقد هذا الايمان بقضية الخوارج بين رجالهم ونسائهم علاقة من المودة والحب تمتزج فيها العاطفة الانسانية بمثالية الدفاع عن قضـــية سـامية والاستعداد للاستشهاد فى سبيلها . فهذا هو قطرى بن الفجاءة يتحدث عن صاحبته ام حكيم حديثا فيه رقة المحب وشجاعة الفارس :

لعمرك انى فى الحياة لزاهــــد وفى العيش مالم الق ام حــكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها شفاء لذى بث ولا لســـــقيم
ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت طعان فتى فى الحرب غــير ذميم

وام حكيم هذه هى القائلة فى أحد معتركات الخوارج :

احمل راسا قد مللت حمــــله وقد سئمت دهنــه وغســـله
الا فتى يحمل عنى ثقله

وهكذا نرى كيف أدركت المراة فى ظل الاسلام من المكانة فى كل ضروب النشاط الانسانى والفكرى والفنى ما لا نظن له مثيلا فى اى مجتمع آخر من مجتمعات العصور القديمة والوسيطة .

***

ونمضى بعد ذلك الى العصر العباسى ، فنرى الحضارة الاسلامية تسير بخطوات واسعة نحو التقدم ، فقد ورث العرب حضارات الامم السابقة ، وأخذوا بكثير من أسباب الترف والبذخ ، ونهضت الثقافة نهضة هائلة ، وكان لذلك أثره بغير شك على وضع المراة . غير اننا نلاحظ ان الرقيق قد كثر فى هذا العصر كثرة مفرطة ، فامتلأت القصور والدور بالجوارى المستجلبات من جميع انحاء الدولة ، بل ومن خارج حدودها ايضا . وكان كثير من هـــؤلاء الجوارى يتلقين ثقافة عالية ، حتى كان من بينهن من يحسن نظم الشعر ، الى جانب ماامتزن به من اجادة الغناء ، والجراة على اقتحام مجالس الرجال والخوض معهم فى كل امورهم .

وعلى الرغم مما تشهد به كتب العصر وعلى راسها كتب الجاحظ ودواوين الشعراء من بلوغ بعض النساء مستوى رفيعا من الثقافة فانه لايسعنا الا الاشارة الى ظاهرة سلبية خطيرة ، وهى أن معظم هؤلاء النساء كن من الجوارى اللاتى اصبحن فتنة للمجتمع ، فقد رغب فيهن الناس جميعا ، لاســيما وانهن كن فى الوقت نفسه على قدر كبير من التهتك وعدم المبالاة ، فنشرن فى المجتمع الاسلامى من عوامل الفساد الشىء الكثير ، وكان فى ذلك الفســاد جناية على النساء الحرائر فقد توارين فى الظل ، ولم تعد المراة الحرة قادرة على مجاراة القيان لافيما يأخذن به من السلوك الاجتماعى ولا فيما يؤخذن به من اسباب الثقافة والتعليم . وقد صور الجاحظ لنا هذه المفارقة حينما تحدث عن أذواق الناس فى ايامه كيف تغيرت وكيف أصبحوا يعجبون من القينة بما يعدونه من نقائص الحرة ، ويضرب على ذلك عدة أمثلة يختمها بالتســاؤل فى دهشة : « فمن حسن هذا فى الاماء وقبحه فى الحرائر ؟ » . وهــكذا نرى ان ارتفاع المستوى الثقافى والفكرى لدى الجوارى كان يصحبه فى الغالب كثير من الانحطاط الخلقى والسلوكى . ومن هؤلاء الجوارى المشهورات عنان جارية الناطفى وصاحبه ابى نواس وسكن جارية محبوب الوراق وخنســـاء جارية هشام المكفوف وعريب جارية المأمون وفضل صاحبة سعيد بن حميد وغيرهن كثيرات تحفل بأسمائهن وأخبارهن كتب العصر مثل الاغانى والموشى وغيرهما .

وقد اصبحت الجارية المثقفة المحيطة بكل نتاج العصر من علوم وفنـــون

شخصية نمطية محبوبة مالوفة فى الادب العربى ، ولعل خير ما يجسمها ((قصة الجارية تودد)) التى دخلت فى مجموعة حكايات ((الف ليلة وليلة)) ، وهى جارية كانت قادرة على مجادلة كبار العلماء فى مجالات تخصصهم والتفوق عليهم . وهى صورة نجد لها نواة واقعية فى بعض الاخبار المروية عن الاصمعى حول جارية حملت الى هارون الرشيد من مدينة الرقة ، ثم نراها بعد ذلك فى احدى مقامات الحريرى ((المقامة السنجارية)) . ومما يستحق التنويه ان هذه الصورة قد كان لها من السحر والجاذبية ماجعلها تتجاوز حدود الادب العربى وتؤثر فى بعض الاداب الاجنبية ، فنحن نجد الشاعر والكاتب المسرحى الاسبانى لوبى دى فيجا Lope de Vega ت ـ ١٦٣٥ يدير احدى مسرحياته على شخصية فتاة عالمة من هذا الطراز ، وقد اختار لها اسما حرفه عن اسم الجارية تودد وهو La docella Teador

على ان هذا الاعجاب الكبير بالجوارى المثقفات كان يصحبه كما نقول اهمال فى تعليم الحرائر مما أدى الى أن مستواهن الاجتماعى والثقافى اخذ فى تدهور مطرد خلال العصور التالية على نحو يطول تتبعه .

***

وكما كانت للمراة بوجه عام مكانة عالية فى عالم الثقافة والادب فى المشرق فكذلك كانت فى طرف قصى من أطراف العالم الاسلامى : فى المغرب والاندلس بل اننا لا نسرف اذا قلنا ان المراة الاندلسية كانت اكثر اسهاما فى كل ميادين النشاط من رسيلتها المشرقية . ولعل ذلك يرجع فى المقام الاول الى اهتمام الاندلسيين بتعليم البنات . وتحدثنا المصادر الاندلسية عن كثير من المكاتب المخصصة لتعليم الفتيات . وكان بعضها فى قرطبة ـ على مايذكر الزبيدى الاشبيلى ـ مقسوما الى قسمين : قسم يدرس فيه المؤدب الصبيان على حين تدرس أخته فى القسم الآخر من يتردد عليه من الفتيات . ونحن لا نرى كتابا من كتب التراجم الاندلسية مثل « جذوة المقتبس » للحميدى أو « صلة » ابن بشكوال أو « تكملة » ابن الابار الا وجدنا قسما فى آخره مخصصا لتراجم النساء . وقد بلغ بعضهن من الثقافة والعلم مبلغا عظيما . وكان لكثير منهن مشاركة فى الوان الادب من شعر وكتابة .

واذا كانت الاندلس قد عرفت ـ كما عرف الشرق فى ظل العباسيين ـ عددا من الجوارى الشاعرات والاديبات فاننا نسجل أيضا أن معظم من نعرف من هؤلاء النساء كن من الحرائر ، بل كان بعضهن من بيت الخلافة . نذكر منهن ولادة بنت الخليفة المستكفى بالله صاحبة ابن زيدون وملهمته ارق مافى ديوانه من شعر عاطفى ، وكانت هى بدورها شاعرة متحررة ولكن فى غير تهتك ولا ابتذال كما يشهد بذلك ابن بسام . وكان لولادة منتدى يتردد عليه أدباء عصرها وشعراؤه مثل « الصالونات الادبية » التى عرفت بعد ذلك فى فرنسا القرن التاسع عشر .

وجدير بالذكر أن هؤلاء النساء الشواعر كن احيانا من قوة العزم والجرأة فى الحق بحيث لا يرين بأسا فى الوفود على الخلفاء والملوك اذا وقعت عليهن ظلامة أو اذا رأين من بعض ولاة الامور تقصيرا . فهذه حسانة بنت ابى المخشى التميمى الشاعر يلحقها بعض الضيم من جابر بن لبيد والى مدينة البيرة ، فتشد رحالها الى قرطبة وافدة على الامير عبد الرحمن بن الحكم الاوسط ، ومادحة اياه بشعر تطرح فيه ظلامتها وتقول :

الى ذى الندى والمجد سارت ركائبى على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعى انه خير جابر ويمنعنى من ذى الظلامة جابر
فانى وايتامى بقبضة كفه كذى الريش اضحى فى مخالب كاسر

ويحدثنا ابن الابار عن أديبة من مدينة شلب « فى البرتغال اليوم » رات من والى بلدها وصاحب الخراج فيه ظلما للرعية واجحافا بها ، فكتبت هذه الابيات الموجهة الى الخليفة الموحدى يعقوب المنصور :

قد آن أن تبكى العيون الآبيه ولقد أرى أن الحجارة باكيه
ياقاصد المصر الذى يرجى به ان قدر الرحمن رفع كراهيه
ناد الامير اذا وقفت ببابه : ياراعيا ان الرعية فانيه
ارسلتها هملا ولا مرعى لها وتركتها نهب السباع العاديه
شلب كلا شلب وكانت جنة فاعادها الطاغون نارا حاميه
حافوا وما خافوا عقوبة ربهم والله لا تخفى عليه خافيه

والقت برقعتها يوم جمعة على مصلى المنصور ، فلما قضى الصلاة وتصفح الرقعة استدعاها وعرف منها تفصيل الظلامة ، وأمر بانصاف المدينة من جور عاملها وصاحب خراجها . وهكذا نرى تلك المراة الشجاعة تنصب نفسها ممثلة لاهل بلدها ساعية لرفع الظلم عنهم .

ومن أديبات الاندلس حمدونة بنت زياد المؤدب الوادى آشية ، ويلقبها من ترجموا لها بخنساء المغرب . ومن عجيب شعرها ماتعبر به عن حبها فى غير تستر ولا مواربة :

ولما ابى الواشون الا فراقنا وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة وقل حماتى عند ذاك وانصارى
غزوتهم من مقلتيك وادمعى ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وتقول فى وصف متنزه من نواحى بلدها وادى آش ، وهو شعر ينم عن حساسيتها الانثوية :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
يروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ويروى المقرى ان بعض قضاة لوشة « مدينة صغيرة من اعمال غرناطة » كانت له زوجة فاقت العلماء فى معرفة الاحكام ، وكانت تشير عليه بما يحكم به ، فكتب اليه بعض أصحابه مداعبا :

بلوشة قاض له زوجة واحكامها فى الورى ماضيه
فياليته لم يكن قاضيا وياليتها كانت القاضيه

فاطلع القاضى زوجه على الرقعة فتناولتها وكتبت على ظهرها مجاوبة على البديهة :

ان الامام ابن الخطيب ذو شيوب عاصيه
« كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصيه »

ويبدو من هذين البيتين مدى علم هذه المراة وقدرتها لا على الارتجال فحسب ، بل وعلى تضمين آية من القرآن الكريم انتظمت لها فى بيتها الثانى .

وفى كتاب فقيه الاندلس وعالمها العظيم ابن حزم القرطبى « طوق الحمامة فى الالفة والالاف » مايشهد بهذه المكانة العظيمة التى بلغتها المراة الاندلسية فى ميادين الادب ، وكذلك بتلك الحرية التى تمتعت بها النساء الحرائر

والتي لم تصل الى حد تهتك جوارى المشرق وقيانه .
بل نحن نرى ظاهرة جديدة فى شعر القرن السادس الهجرى فى ظل دولة المرابطين ، وهى توجه الشعراء بالمديح الى الاميرات ونساء الاسرة الحاكمة . وفي ديوان الاعمى التطيلي وهو من كبار الوشاحين والشعراء فى هذا العصر قصائد عديدة يرفعها الشاعر لبعض الاميرات المرابطيات .

***

ويطول بنا الحديث لو اردنا تتبع اسهام الاندلسيات في ميدان الشعر ملهمات وناظمات ، فيكفينا هذا القدر ، وان كنا لا نريد ان نترك القلم الا بعد ان نشير الى مسالة كثر فيها الجدل وهى مرتبطة بموضوعنا وان كانت تبدو فى الظاهر بعيدة عنه ، ونعنى بها مسالة احتمال تاثير الشعر الغنائى العربى فى مولد أول شعر غنائى اوروبى وهوشعر « التروبادور » ، فقد كان جل انكار من رفضوا هذا الاحتمال من الباحثين الاوروبيين قائما على اساس فكرة عبر عنها الشاعر والمفكر الالمانى كارل فيلهلم شليجل Karl Wilhelm Shlegel « ت ١٨٢٩ » : « لست افهم كيف يمكن لشعر مثل شعر التروبادور يقوم على التعبد بالمراة وعلى الحرية المطلقة التى كانت تمارسها المراة المتزوجة ان يكون متاثرا بشعر ـ يعنى الشعر العربى ـ كان نتاج مجتمع مغلق تعيش فيه النساء جوارى حبيسات مقاصير الحرية » . وكرر هذا الراى وان كان على نحو اكثر اعتدالا آخر من بحث هذه المسالة وهو الباحث الفرنسى هنرى Henri ايرينيه مارو ـ Irénée Marrou فى كتابه Les Troubadours « باريس ١٩٧١ » اذ كرر ان الشاعرات الاندلسيات انما كن جوارى متعة ويبعد ان يكون ما يعالجنه من شعر هو الذى تاثر به شعراء التروبادور فى اجلالهم للمراة . فنحن نرى ان مارده هؤلاء الباحثون من كون الشعر الغنائى فى المشرق والاندلس على حد سواء انما هو نتاج الجوارى والقيان امر بعيد عن الصحة . اما من ناحية الشعر النسائى العربى وما يمثله من ناحية الكم ـ على كثرة ماضاع منه ـ فانه يمكن لنا ان نؤكد اننا لانعرف فى تراث امة من الامم فى العصور القديمة والوسيطة مايماثل هذا التراث العربى كثرة وخصوبة

ونود فى النهاية ان نشير الى ان المراة الاوروبية لم تبدا فى نيل حريتها والتمتع ببعض حقوق الرجل الا فى ظل النظام الاقطاعى منذ بداية القرن السادس الهجرى « الثانى عشر الميلادى » حينما اصبحت المراة ملهمة لهذا الشعر الغنائى الذى اشرنا اليه وهو شعر التروبادور . اما مشاركتها فى نظم الشعر او الاشتغال بالفنون الادبية فقد كانت بالغة الضالة والندرة . ولعل اول امراة اوروبية كان لها اسهام حقيقى فى فن الكتابة هى المركيزة الفرنسية دى سيفينييه De sevigné **« ١٦٢٦ ـ ١٦٩٦ » وتعاصرها فى انجلترا افرابن** Aphra Behn **« ١٦٤٠ ـ ١٦٨٩ » ولا تظهر اولى التشريعات الخاصة بتحرير المراة الا منذ اوائل القرن التاسع عشر وخلال هذا القرن تبرز الكاتبتان الفرنسيتان مدام ستايل** Mme Stael **وجورج صاند** George Sand **اللتان يبدا الادب النسائى بعدهما فى الازدهار فى مختلف بلاد القارتين الاوروبية والامريكية ، بينما نرى ان اشتغال المراة بفنون الادب فى العالم العربى لم يكد ينقطع منذ الجاهلية حتى عصرنا الحاضر .**

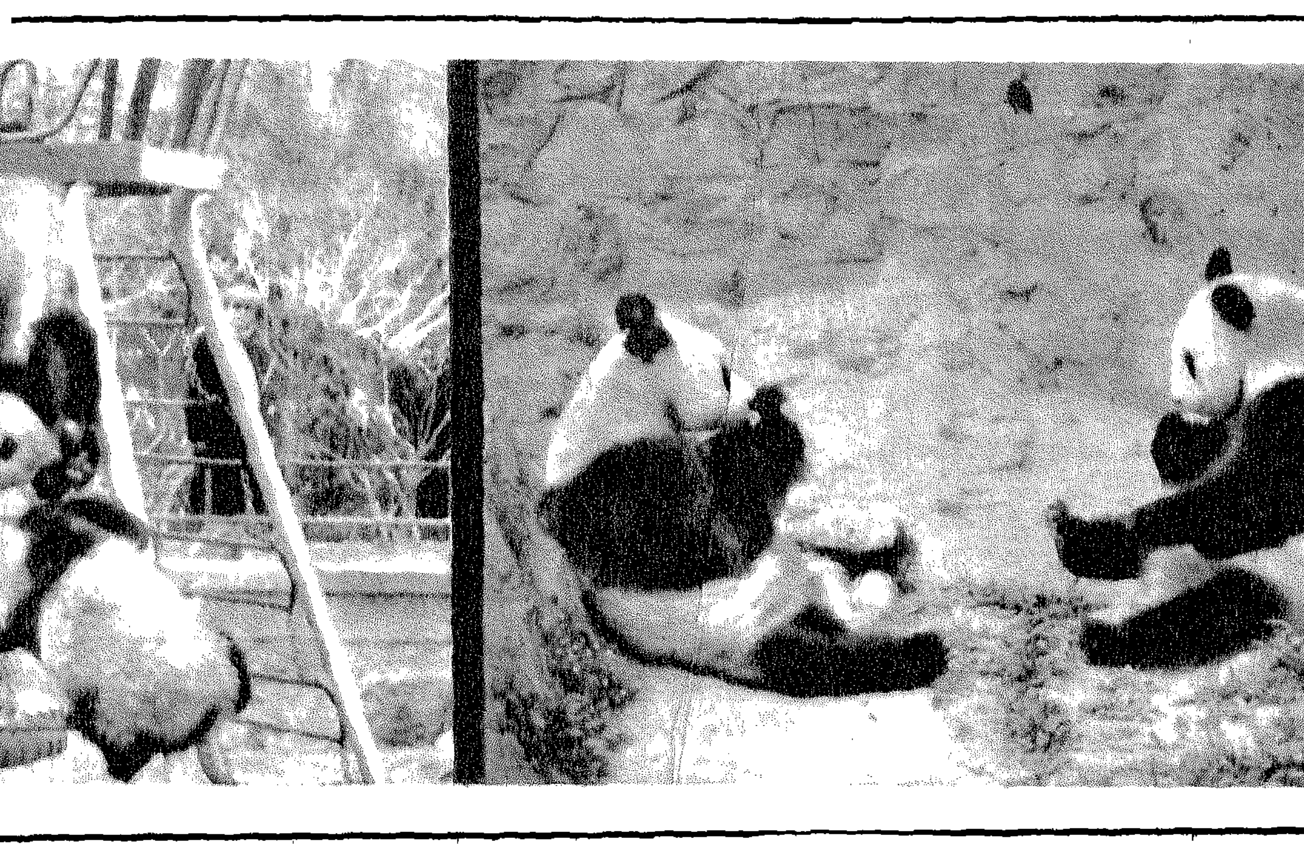
ابنتها أعادتها للحياة

كانت كريستينا اوبل ،وارثة ملايين آدم اوبل صاحب شركة السيارات المشهورة قد هبطت الى الحضيض . كانت قد جرت مع الشباب العابث الى مداه ، وجرفها تيار الحب لشاب غادر غير اصيل، فضبطوا في فيللتها في سان تروبيز في جنوب فرنسا ١٩٦٠ كيلو من الحشيش وأدخلت السجن ثم المستشفى .



ومن حسن حظها أنه كانت لها طفلة ، لم ترها أيام الطيش ، فلما استقرت في السجن والمستشفى طلبت ابنتها وآتوها بها،وتحركت فيها عاطفة الامومة ، ومع الامومة دب الاحساس الانساني كله في نفس كريستينا فعادت الى الحياة ، وتركت المستشفى وتركت سان تروبيز وعادت الى المانيا ماحنونا وسيدة بيت ، بل بدأت تمارس عملها في شركة اوبل عضوا في مجلس الادارة .





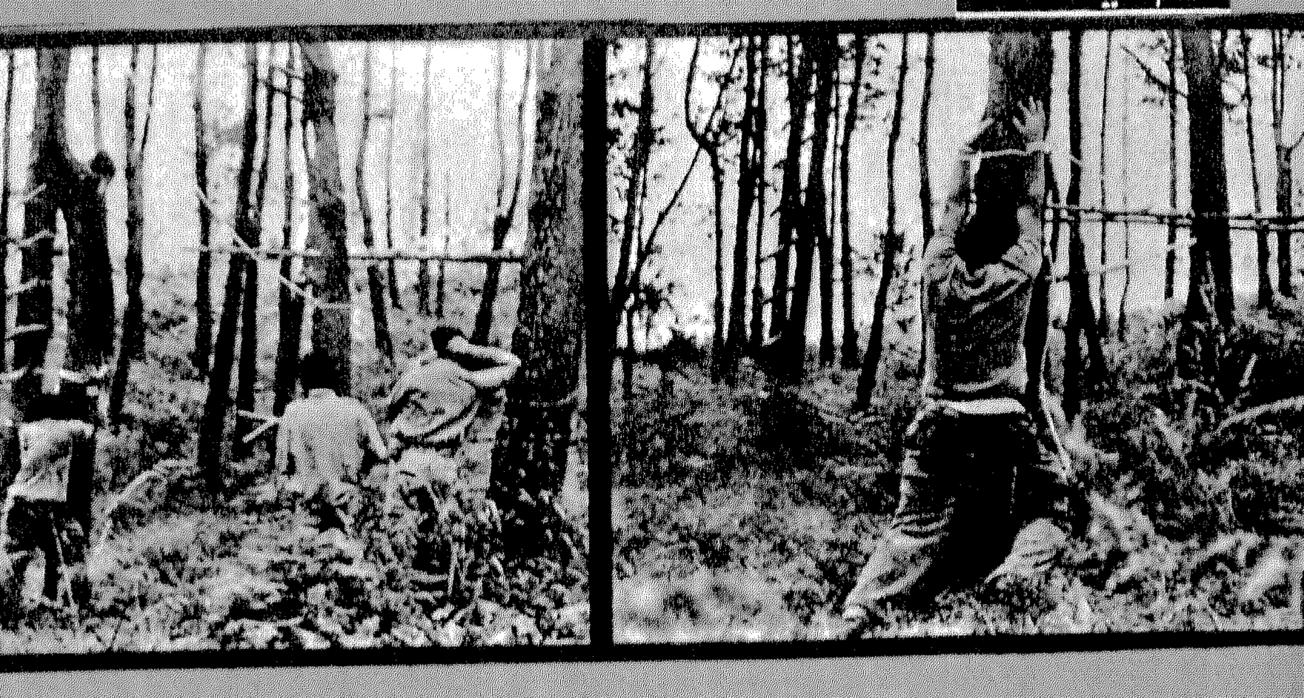
حيوان أو بهلوان؟

الباندا نوع من صغار الدببة موطنه الاصلى فى جزيرة بورفيو ولكنـه ينتشر فى نواحى الدنيا كلها وخاصة فى البرازيل والولايات المتحدة ..

والباندا حيوان لا يوصف الا بانه مضحك ، فشكله وتوزيع لون شعره يدعو الى الضحك ، وحركاته كلها بهلوانية ، وهو كسول جدا فلا يتحـــرك الا بعنـاء شديد ولكنه اذا تحرك أتى بكل طريف فهو يمشى على ظهره مثلا ! ولا يزال يتلوى وهو مستلق على ظهره حتى يصل الى ما يريد ..

لهذا تحرص حدائق الحيوان فى الدنيا على ان يكون لديها قفص كبير للباندا لان له جاذبية كبرى للكبار والصغار .





الكوبيون فى خدمة الشعوب

لا يفهم احد لماذا يعمل الكوبيون فى خدمة الروس فى كل مكان فى افريقية . ان حكومتهم تجندهم وترسلهم ليقاتلوا فيما تزعم لتحرير الشعوب او ليخدموا قضايا الحرية ، ولكنهم قد ينزلون بمن يحاربونهم من الافريقيين اشد التعذيب والقتل ، وقد اشتركوا فى الحرب فى الصومال وحاربوا ضد اريتريا وفى الجابون ..

والصور التى ننشرها هنا تعتبر وثيقة تدين اولئك الكوبيين ومن يرسلونهم ، ففى الحرب على الحدود بين الجابون وزائير اشترك الكوبيون ضد زائير ، وكان مع الزائيريين عدد من المقاتلين الانجوليين منهم واحد يسمى انخل هيريديا (تراه ملقى على الارض فى الصورة الكبيرة اعلاه امام السيارة) اسره الكوبيون مع اثنين من زملائه ، وترى اثنين من الكوبيين يضربون الاسرى الافريقيين حتى يغمى عليهم وفى الصور الثلاث الصغيرة ترى الكوبيين وقد ربطوا اثنين من الاسرى الزائيريين بالحبال وساقوهم الى الموت ، فربطوهما الى شجرتين تمهيدا لاعدامهما رميا بالرصاص وفى الصورة الثالثة ترى واحدا من الاسيرين بعد ان ربط فى الشجرة وقبل رميه بالرصاص .





حوار حول مضمونها النقدى

● د . محمد احمد العزب ●

– ١ –

● تتداخل فى تكوين التجربة الشعرية عناصر الذات ، والموضوع ، والخيال ، والعاطفة ، والاحساس ، والفكر ، والموسيقى ، والصورة ، واللغة ، وتقنية البناء ... ولكنها فى النهاية تصبح كلا متدامجا لا ينفصل فيه عنصر عن عنصر اى ان مانسميه بالفكر او الخيال او العاطفة لا يعيش داخل التجربة الشعرية مستقلا بخصائصه الاولية التى كانت له قبل أن يصبح جزءا من كل التجربة ولكنه يعيش حياة التجربة بكاملها ، بمعنى أن كل العناصر التى تشترك فى تكوين الشكل النهائى للتجربة الشعرية تصير عناصر التجربة والتجربة ذاتها ، اى أنها تفقد وجوداتها المستقلة فيماهى صائرة الى وجود واحد آخر ، فجميع العناصر التى جرت العادة على تمييزها فى الشعر ((الايقاع ، موسيقى الحروف المتحركة ، الصور ، المعنى ، الانفعال ، وما اليها)) – تشارك ، او بعبارة ادق يشارك تذوقها ، فى ايجاد التجربة الشعرية كما يقول هاملتون .

– ٢ –

والتجربة الشعرية تعنى فى النهاية معايشة كاملة لاحساس معين ، من بدء ملاحظته ، الى تخلقه فنيا ، الى تشكله النهائى عالما له وهجه واقتداره على الحلول فينا بشكل معين يدفعنا دوما الى خلقه فى اطار فنى ، كما خلقنا هو على مستوى عاطفى وفكرى ..

وبديهى أن معايشتنا لاحساس معين

لا تعد « تجربة شعرية» الا اذا تحققت بالفعل فى عمل شعرى يحمل بوحهما ومخاضها جميعا، فاذا استطاع العمل الشعرى أن يقتنص ايقاع هذه التجربة فى تناغم واتساق ، فقد أعطى تجربة شعرية ناجحة ، أما اذا أفلت الخيط من يده ، وتخبط فى رحلة التعبير من بدء الى ختام ، ومن ختام الى بدء ، ومن توهج الى انطفاء ، ومن انطفاء الى توهج دون وعى بنائى بما يفعل – فقد أحبط تماما فى اعطائنا تجربة شعرية حقيقية ...

قد يقصد الشاعر الى عبثية الترتيب المنطقى ، أو الى احداث نوع من الفوضى الذهنية والعاطفية فى القصيدة ، ليثير احساسا معينا ، أو يخلق حالة معادلة تشى بتشوش الأشياء ، وهنا تكون تجربته الشعرية تجربة ناجحة أما اذا حدثت الفوضى وعبث الترتيب على الرغم من ارادته الفنية . أو تحت ضغط قصور معين من وعيه البنائى ، فان التجربة الشعرية تصبح تجربة جهيضة وتصبح القصيدة خالية من حس التجربة بلا حدود .

وليس معنى التناغم فى معايشة التجربة أن يحبس الشاعر نفسه فى « موضوع » معين لا يتعداه من خلال القصيدة ، الى ماسواه ، كما يحاول بعض الباحثين ان يفهم من مصطلح التجربة .. « فالموضوع » أساسا لم يعد هما من هموم القصيدة الحديثة ، وربما أعطى تزاحم الاضداد فى مضمون القصيدة شعرا أروع بكثير مما يعطيه

الخاطر الواحد المستقصى ... المهم هو ان يظل الشاعر قادرا - من خلال وعيه البنائي - على حبسنا بين قوسين من عالم القصيدة فلا نفلت منه لا الى الملل ولا الى المراقبة من خارج القوسين، ولا الى الصحو الكامل الذى ينفينا خارج الحالة الشعرية ..

- ٣ -

ان الفرق الحقيقى بين شعر « التجربة » وشعر « الذاكرة » : أن شعر التجربة غائص فى قراءة الاشياء، بينما يكتفى شعر الذاكرة بالطواف من حولها.. وان شعر التجربة «يكتشف» فى كل مرحلة أصقاعا جديدة بينما « يتذكر » شعر الذاكرة معالم اكتشفها له سابقوه ..وان شعر التجربة « يخلق » عالما لم يكن مخلوقا . بينما يكتفى شعر الذاكرة « بوصف » عالم مخلوق بالفعل . **وان شعر التجربة يسبر فى استقصاء الخاطر سبرا « عمقيا »» بينما يكتفى شعر الذاكرة فى استقصائه للخاطر بالسير على مستوى « افقى »» . وان شعر التجربة يحاول الوصول من خلال الجزء الى الكل ، بينما يكتفى شعر الذاكرة بالتلكؤ على هوامش الاجزاء .. وان شعر التجربة يمثل مغامرة فى الكون بالفن، وفى الكون والفن، وفى الكون الفن، بينما يكتفى شعر الذاكرة بايلاف المكرور الذى يحتذى قامات من سبقوه ، ويكب على آثار اقدامهم تاملا وتقليدا .. وان شعر التجربة يعطينا وجه شاعره المنفرد الواضح ، بينما يكتفى شعر الذاكرة بارتداء كل اقنعة الاخرين ...**

وينبغى ان نعى حقيقة اولية ، وهى ان هذه الملامح الفارقة بين شعر التجربة وشعر الذاكرة هى هى الملامح الفارقة بين شعر « الصدق الفنى » وشعر « الصنعة الكلامية » لان الصدق فى النهاية هو الفيصل بين حقيقة التجربة وقشريتها، فالمعاناة الحقيقية الخالقة فى الفن هى المدخل الى الفن الحقيقى الخالق . ولكن من الضرورى أن نلاحظ أن الشاعر لا يعانى هنا - بالضرورة - معاناة مباشرة ، فالشاعر ليس الها ليعانى كل مفردات الظاهرة الكونية على نحو مباشر ، ولكنه قد يعانيها بالمعايشة العاطفية وديمومة التفكير فى ايقاعها كما هى ، أو كما هى عند الاغيار ، وهو حين يستدعى فكره وذاكرته وخياله وعاطفته ليعيش التجربة الغيرية ، فانما يؤهل نفسه بالضرورة لمعانقة « الصدق الفنى » فاذا استطاع أن يحتفظ للتجربة الغيرية فى ابداعه بوهجها اللاهب ، وبكارتها الناضرة ، فقد استطاع أن يمارس فعلا فنيا على مستوى ايجابى .. واذا كان الشعر يتولد من «الرغبة الجائعة» لا من الرغبة المشبعة التى لا يتولد عنها شىء ما - كما يقولون (١) - فان عطش الشاعر الى ممارسة الفعل الكلى ، فى نفس الوقت الذى هو فيه محاصر بمحدوديته البشرية ، يمكن أن يشعل فيه هذا العطش الاسطورى الكونى بلا ملال .

الا اننا هنا مضطرون الى التنبيه على أن « الصدق الفنى » ليس هو الصدق التاريخى الذى يطالب بالمطابقة بين الواقع الشعرى والواقع التاريخى. وليس هو الصدق الاخلاقى الذى يطالب بهذه المطابقة من منظور الالتزام بالوجهة الاخلاقية المفارقة للكذب الاخلاقى . ولكنه الصدق الفنى الذى يطالب بما وراء المطابقة او المفارقة ، من الالتحام العاطفى والفكرى والخيالى بموضوع التجربة ومفرداتها جميعا. وتجسيد هذا

---

١ - انظر النقد الادبى الحديث - للدكتور محمد غنيمى هلال .


التجربة الشعرية


الانلحام فى واقع شعرى يتجاوز حتى موضوع التجربة ومفرداتها ، الى خلق عالم آخر معادل ، فيمـــا هو مستقل لعالم التجربة الحقيقى ، من خـــلال اصالة ذاتية تمنح الشاعر جواز مروره الدائم الى ذاته وليس الى محفـــوظه عن الغابرين .

— ٤ —

وليست عظمة التجارب فى عظمـــة موضوعها الجليل او الجميل ، ولـكن التجربة قد تنحلى على الموضوع العادى او حتى الردىء ، ولا تزال تنفذ فى اقطاره من عمق الى عمق ، حتى يصبح عالما غنيا جليل الجمال أو جميل الجلال اذا شئنا ان نقول .

وهذا يؤكد ان الكون بكامله موضوع للقصيدة الشعرية ، وانه ليست هنـاك موضوعات غير شعرية ، مادامت هـذه الموضوعات تصـادف شاعرها الحقيقى القادر على تفجير الخـلود فى حصى الوادى ، وبائعة الخبز ، وواجهـــة الحانات ...

ان الشـــاعر الردىء لا يستطيع ان يعطى تجربة شعرية ممتازة حتى ولـو كان موضوعه الكون باسره ، ولـــكن الشاعر الممتاز يستطيع ان يعطى تجارب شعرية ممتازة حتى ولو كان موضوعه تذكرة ترام، اوحشرة من هوام الطريق كل ماهنالك هو ان يكون الشاعر على قدر من الوعى البنائى يتيح له ان يعـكس تجاربه فى اشكال شعرية تتسم بالمهارة الفائقة ، والتنظيم السليم ، فليست عظمة الموضوع ، حتى ولا حدة التجربة هى التى تهب التجربة قيمتها الحقيقية « وانما الذى يضفى قيمة على التجربة هو تنظيم الدوافع فيها تنظيما تنتج عنه الحرية والحياة الفنية » (٢)

واذن فسر قدرة الشاعر غير العادية كما يقول رتشاردز « هو الى حد ما فى ان هذه التجارب اثناء معاناته لها تتسم بقدر من النظام أكثر من العادى. ويرجع ذلك الى كون الشاعر يتميز بقسط غير عادى من اليقظة ، فتنشأ فى ذهنـــه علاقات لا تظهر فى ذهن الرجل العـادى الذى يتصف بالجمود ، والذى لاتتداخل دوافعه بحرية » (٣) .

واذن ، فليست قيمة التجربة فى كون موضوعها يكون جليلا او ضئيلا ، ولكن قيمتها الحقيقية فى كون شاعرها يكون شاعرا او غير شاعر ، كونه يكون قـد احس هذه التجربة الى حد المعـــاناة او يكون قد لفقها هكذا بلا حس وبـلا معاناة .

— ٥ —

ويبدو تحليل التجربة الشـــعرية « نقديا » عملا باهظا بلا حدود ، يقول هاملتون : « ان ناقد الشعر يبدو فى موقف صعب ، فالتجربة الشعرية شىء متماســـك ، وهى موضـــوع محـير للاستبطان ، فهى عضوية فردية لايمكن تقسيمها ، كما انها تتعدل اثناء نموها. فكيف اذن يستطيع الناقد ان يحللهـــا تحليلا مفيدا ؟ ماالذى يصنعه حينمـا يتحدث عن هذا العنصر من القصـيدة أو ذاك ، عن الشكل أو المضـمون ، الصوت أو الصور ، الفكر أو الانفعال ، كما لو كان فى الامكان تقسيم القصـيدة الى هذه الاجزاء ؟..

يجب علينا فى المقام الاول ان نوضح هذه النقطة ، وهى انه مامن ناقـــد يستطيع ان يفسر القصيدة تفســـيرا كاملا ، لانه مامن ناقد يستطيع ان يفسر تجربته تفسيرا كاملا حتى لنفسه ، فقد

---

٢ — رتشاردز — مبـــادىء النقد الادبى — ص ١٨٦ — ١٨٧
٣ — رتشاردز — مبادىء النقـــد الادبى — ص ٢٤٣



يجد عدة اسباب لاعجابه ، ولكن مجموع هذه الاسباب مهما كانت صحتها - وقد يكون الناقد مخدوعا فيها بلا شك - لا يوازي تجربته كلية ، تلك التجربة الفريدة المنسقة تنسيقا كاملا ، وفضلا عن ذلك فان تجربة القصيدة يستكمل نموها في نهاية عملية حيوية ، وتاخذ الصورة التي هي عليها بسبب هذه العملية .

وقد يقترب الناقد من الفهم الكامل لنفسه ان حاول ان يحلل لا اعجابه النهائي فحسب ، وانما ان حاول ايضا ان يتذكر كيفية نمو اعجابه ، فيبين ان الخطوات التي مر بها اثناء تطور اعجابه ، والاسباب التي يظهر انها دعته الى هذا الاعجاب ، هي حلقات منفصلة ، ومهما كانت جودة السلسلة فانها لا تعادل العملية الحيوية التي كانت متصلة ..

وهكذا ، فالاسباب التي هي مجردات لا يمكنها تفسير التجربة المحسوسة تفسيرا كاملا ، وان كان بمقدورها ان تلقي ضوءا عليها ، ان واجب الناقد ان يحلل ولكن متى ضاعت كلية التجربة وتفككت عراها عن طريق التحليل ، اصبح من المستحيل اعادة تركيبها بنفس الصورة التي كانت عليها من قبل «٤» .

ولعل مما يسهل على الناقد تتبع مراحل النمو في التجربة الشعرية احتفاظه بالانطباع الاول الذي يتلقاه عن هذه التجربة ، ثم مقارنته بين مرحلتها النهائية ومرحلتها السابقة ، ليس بمعنى انه يكتشف في المراحل النهائية عناصر جديدة اضيفت الى المراحل الاولى ، ولكن بمعنى انه يلاحظ ان تيار الابداع وايقاع الخلق قد تغير كله ، بحيث يولف في كل مرحلة كلا متكاملا وليس مرحلة ، وعلى هذا الاساس فان التجربة النهائية التي قد تتعدى اي تجربة سابقة لها « ليست» كلا اكبر نصل اليه عن طريق الجمع بين اكثر من كل اصغر يحتويه هذا الكل الاكبر ، كما لو كانت المسالة مكانية صرفا ، ولكنها كل متماسك بشدة ، واكثر تعقيدا في تركيبه وادق نظاما»(٥)

ومن هنا يصبح على الناقد ان ينظر الى التجربة الشعرية على انها كل متدامج يفقد فيه كل عنصر خصائصه الاولى ليستحيل حجرا في بناء خصائص كلية تتسم بها التجربة على نحو من العموم والشمول ، فان « كل عنصر من عناصر تجربتنا لقصيدة من القصائد ملون بلون جميع العناصر الاخرى ، فلولا معنى الابيات وايقاعها وتاثيراتها الحسية واللمسية وما اليها لما كان لهذه الابيات صوتها الذي يميزها . كذلك لولا صوتها وايقاعها وغير ذلك من الصفات الاخرى لما كان لها معناها الذي نجده فيها » (٦) .

واذن ، فلكي يصل الناقد الى فهم وتقييم التجربة الشعرية ، فان عليه ان يتلبس حالة الشاعر لحظة الخلق ، وان يسلح نفسه بالاقتدار المميز الذي يفصل بين نوعية من التجارب ونوعية اخرى ، وان يمتلك امكان الحكم السليم على القيم الفنية التي تنحني عليها التجربة (٧) .

---

٤ - هاملتون - الشعر والتامل - ص ٨٤ - ٨٥
٥ - هاملتون - الشعر والتامل - ص ٦٨
٦ - هاملتون الشعر والتامل - ص ٥٣ - ٥٤
٧ - انظر : مبادىء النقد الادبي - لرتشاردز - ص ١٦٦

ثقوب فى الفضاء تؤدى إلى عالم آخر

• محمد الحديدى •

الى جنوب جزيرة برمودا فى المحيط الاطلسى ، توجد المنطقة التى تسمى ((مثلث برمودا)) .. وقعت فى هذه المنطقة احداث غامضة كثيرة ، السفن ، تختفى ، انها لا تغرق ويبقى حطامها فى قاع المحيط ، حيث يمكن العثور عليه ، لا ، انها تختفى تماما ، لا يبقى لها اثر ، ووقع هذا ايضا لطائرات ، وعندما اقلعت طائرات اخرى للبحث عنها ، اختفت هذه ايضا .. بلا اثر لحطام ولا لشىء ..

هذه السفن والطائرات ، هل انتقلت الى عالم آخر ؟ وهل يوجد عالم آخر ؟ الله أعلم .

ولكن « العالم الآخر » ليس ضروريا أن يكون مكانا آخر ، ولا زمانا آخر ، ولا « توليفة » اخرى من الزمن والمكان .. ونحن ، طبقا لنظرية النسبية ، نعيش فى « مكان زمن » لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ، نعيش فى فراغ يتكون من ثلاثة أبعاد للمسافة وبعد رابع هو الزمن ، عالم آخر قد يكون مجرد عالم لا نحس نحن به ، وبالطبع قد يكون أيضا عالما يعيش زمنا يمضى فى اتجاه مخالف لاتجاه الزمن الذى نعيشه ، فماضينا عندهم مستقبل والعكس ايضا صحيح .

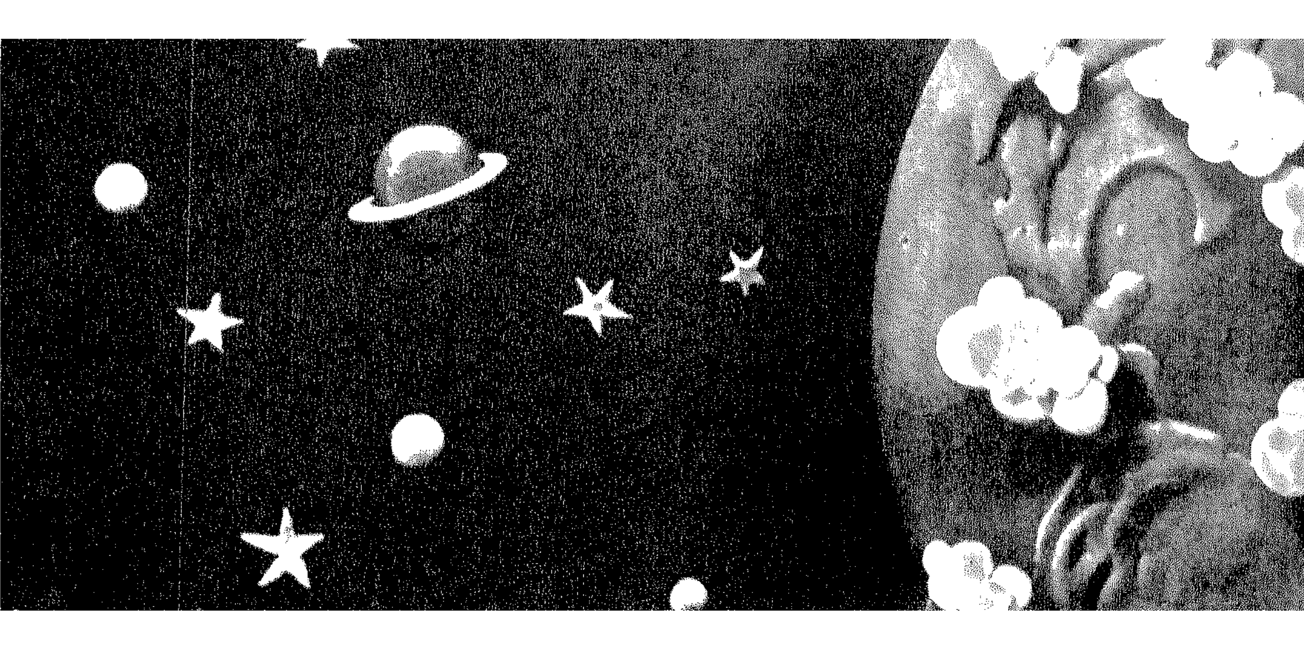
كائنا ما كان الامر ، هل يمكن الانتقال من عالم لآخر ؟ .

دعونا من مثلث برمودا ، وللاغراض العملية ، كما يقولون ، يمكننا ان نفترض أن شيئا ما قد حدث لهذه السفن والطائرات ، ولنرفض الخرافة ونلجأ الى العلم .. وسوف نجد أن العلم نفسه ، النسبية نفسها ، تحدثنا ان الفضاء مليء بالفتحات التى يمكن من خلالها الانتقال إلى عالم آخر .. أشياء كالمكانس الكهربائية ، « تشفط » اى شيء تجده فى الفضاء ويدخل فى جوفها الى غير رجعة .

لا يحتمل أن سفن الارض وطائراتها المختفية « واحيانا البحارة فقط يختفون ويبقى كل شيء فى السفينة كما هو ، الانوار مضاءة والطعام على النار » لا يحتمل أن تكون هذه قد « انشفطت » هكذا هى الاخرى ، لأن المنافذ التى تؤدى الى الاكوان الاخرى بعيدة جدا عنا ..

النجوم فى عز الظهر !

العلاقة بين هذه المكونات الثلاثة أوثق مما كنا نتصور بناء على المفهوم القديم لمطلقية كل واحد منها ، ولكننا نعرف الآن «انظر الهلال عدد ١/٤/٧٩» ان وجود المادة يؤدى الى التواء الفضاء والزمن حولها ، ويصبح مستحيلا على اى شيء أن يسير فى خط مستقيم ، وتصبح المسافات التى يقطعها جسم يتحرك بسرعة ثابتة ، فى ازمنة متساوية،



هذه المسافات لا تصبح متساوية ، نتيجة « لالتواء » الزمن .

وفى سنة ١٩١٩ حدث كسوف للشمس مكن العلماء من رصد النجوم من ورائها « أى رؤية النجوم فى عز الظهر ! » وبالتالى امكنهم التحقق من حدوث « الالتواء » فى الزمن والمكان برصد اشعة الضوء الآتية من النجوم وهى تتخذ مسارا منحرفا بسبب مرورها بجانب كتلة المادة الكبيرة التى تتكون منها الشمس ، والمعنى المجرد لذلك هو ان اقرب مسافة بين نقطتين لا تصبح خطا مستقيما ، بل ملتويا ، تماما كاقرب مسافة بين نقطتين على سطح كرة ، اذا كان الخط الواصل بينهما « حقيقيا » ــ اى ليس وهميا يتصور اختراقه للكرة ــ هذا الخط لا يمكن ان يكون مستقيما مهما بدا كذلك لكائن دقيق يعيش على سطح الكرة .

وكلما عظمت ((كمية المادة)) زاد اثرها على طبيعة الفضاء والزمن ، والمعتاد هو ان كمية المادة عندما تكون كبيرة فانها ايضا تشغل حجما كبيرا ، وحتى عندما يتكثف الغاز ويتحول الى سائل ، وعندما يتجمد السائل ويتحول الى ثلج ، فان المادة تظل تشغل حجما محسوسا وان كانت كثافتها تزداد بالطبع مع التقلص بفعل الضغط او البرودة او اى مؤثر آخر . والذى ينتج عن ذلك هو انه لا يمكن لجسم ان تكون له قوة جذب كبيرة الا اذا كان له حجم كبير ، وبالمثل فانه لا يستطيع ان يلوى الفضاء والزمن من حوله الا اذا كان كبيرا ايضا . ولكى يكون صغيرا ويمكنه هذا وذاك ، لابد ان تكون له كثافة تفوق التصور ، ولا توجد فى الدنيا كلها وسيلة يمكننا بها ان نضغط قدرا من المادة بحيث يصبح حجمه ــ مثلا ــ سنتيمترا مكعبا ، ولكنه يزن حوالى طن !! نحن لا يمكننا ذلك، ولكن هذا لا يمنع انه يحدث ، بعيدا فى اعماق الفضاء ..

ويقدر العلماء ــ باستخدام معادلات رياضية تعتمد على النظرية العامة للنسبية ــ ان هذا « البلى » الثقيل ينتشر فى الفضاء وقد يكون هناك ما لا يقل عن مليون جسم بهذا الشكل: ثقل عظيم جدا ، وحجم لا شىء.. وقوة جذب هائلة تنتج عن انبعاج الفضاء والزمن ، وكل شىء يدنو من هذا العفريت الكونى ــ حتى شعاع الضوء ــ ينجذب ويدخل فى قلب شىء اسود لا يرى ، ثم لا يظهر له اثر بعد ذلك ، «ينقطع خبره» ، بعبارة اخرى، ينتقل الى كون آخر !!

احتضار النجوم

نجوم السماء ، كنجوم السينما ، لها اعمار ، فهى فى حركة ولادة وموت دائمة ، وعندما تخبو حرارة النجم فان الغازات المتخلفة عن الاشتعال النووى

ثقوب في الفضاء ...
تؤدي إلى عالم آخر

الذي يكون قد استمر ملايين او بلايين السنين ، تتقلص بسرعة بفعل البرودة، مطبقة على نفسها نحو مركز النجم ، تتحطم الذرات ثم تنسحق المادة ولا يبقى منها سوى هذه الكرة الصغيرة المظلمة ، التي لا تمكن رؤيتها باقوى انواع التليسكوب ..

ادراك وجود هذه الثقوب التي تعبر عن انعدام الكون الفيزيائي ، هذا الادراك لا ياتي الا عن طريق المعادلات الرياضية، والملاحظة من بعيد ، ملاحظة اشعة الضوء وهي تنحرف وتسقط في الهوة السحيقة ، بل ونجم كبير يتصادف مروره ، فتنزلق اضواؤه فوق خطوط الفضاء الذي لم تعد به خطوط مستقيمة، مندفعة في النهاية الى هذا « الثقب » الذي تنعدم عنده قوانين المادة والزمن والمكان ..

وقد درج العلماء خلال القرون الماضية على ان يعدوا الفضاء مكانا هادئا صافيا، والنجوم التي « ترصع السماء » ... الخ ، مصابيح تضيء كون الشعراء :

نظرت اليها والنجوم كانهـــا
مصابيح رهبان تشب لقفـــال

هكذا يقول امرؤ القيس وهو يحدثنا عن لقائه الليلي بحبيبته ، ولكن الصورة الآن تصف فضاء ملءا بالانفجارات والمصادمات واحداث العنف ، والضجة المرعبة ، صورة مكبرة لشوارع القاهرة في ساعات الزحام ، وهي ـ فيما يتصورون ـ استمرار لبداية الخليقة والتي يظن انها كانت هي ذاتها حدثا هائلا من احداث العنف المنفجر .

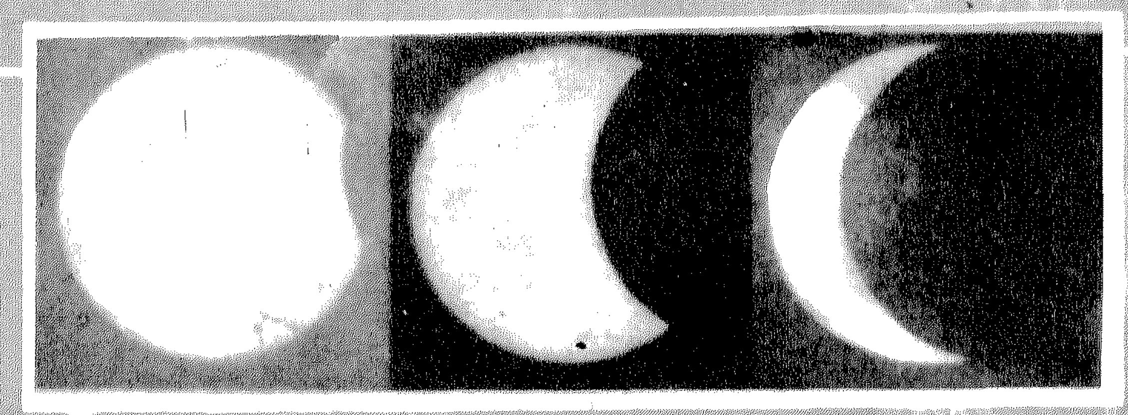
ويعتقد البعض ان «الثقوب السوداء» هذه ، باخلالها بالنظام العام ، هي التي تسبب هذه الفوضى وتفسد الجو بافعالها الغامضة .

وكان اينشتاين هو الذي « اكتشف» وجود هذه الاشياء بمعادلات النظرية العامة للنسبية ، ويعتقد علماء اليوم انهم قد تحققوا من وجود خمسة منها على الاقل في المجرى اللبني الذي تنتمي اليه مجموعة الشمس ، في هذه المجرة توجد عشرات الالوف من النجوم التي تسبح منفردة ، بعضها يتخذ مسارات متعرجة ومتلوية بشكل لا يتسنى تفسيره بقوانين الحركة الفلكية ، وقد تكون الثقوب السوداء التي لا ترى ، منتشرة حولها، تدفعها وتجذبها بتاثيرها الهائل، والذي قد ياتي من كثافة تجعل الكرة الصغيرة اثقل من ملايين الشموس .

الدين والعلم ..

ويلقى موضوع الثقوب السوداء اهتماما عظيما حتى من عامة الناس في الغرب ، تماما كما حدث لموضوع الـ « يوفو » (اجسام مجهولة طائرة في الفضاء) وتجد عبارة «الثقوب السوداء» الآن على النوافذ الخلفية للسيارات وعلى قمصان الشباب . ولعل السبب في هذا الاهتمام هو رغبة الانسان في العثور على موضع يلتقي فيه العلم بالايمان .. اذا كان يحدث للنجم ان ينطبق على نفسه وينتهي الى لا شيء، فلعل هذا هو المصير المحتوم لكل هذا الكون .. ما الذي يحدث بعد ان يتحول الفضاء الى هوة سحيقة مظلمة لا شيء فيها ؟ خلق جديد ؟. « **ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد** » ، هكذا يقول لنا الكتاب الكريم ..

ولكن الحقيقة تبقى ، وهي ان تعريف هذا الشيء ((الثقب الاسود)) بوصفه بالكلام العادي واللغة العادية ـ شيء لا سبيل اليه ، لقد ذهبت المادة التي كان النجم يتكون منها ، انتفت من الوجود ، كما نعرف ، تاركة خلفها جاذبية تتناسب مع ما كانت عليه اثناء ((الحياة)) ، تماما كما يفنى الجسد ويخلف وراءه روحا ليست مصنوعة من المادة ولكن فيها خصائص الكائن الذي



القمر يتحرك ليحجب الشمس تدريجيا

كانت تتلبس جسده الفــــاني ، ومــن بعيد ، يظل تأثير الجـذب كما هــو ، فاذا اقتربنا ، فان هذه القــوة تتزايد وتبتلع حتى اشعة الضوء، «اذا اقتربنا» هذه ، لها حدود تحيط بمركز الجذب، هذه الحدود تتخذ شكل سطح كــروى وهمى ، قطر هذه الكرة يتوقف ايضــا على حجم النجم فى حياته . والاشياء عندما تبتلعها هذه الهوة ، « تمط » على هيئة خيوط رفيعة ، كخيــوط المكرونة، ولكن المشاهد من بعيد، رائد فضاء مثلا ، يهجر مركبته ويتركهـــا لتغوص فى اعماق الثقب الاســــود ، ولاسـباب تتعلق بالنسـبية ، لن يرى ما يحدث على حقيقته ، سوى ان يخيل اليه ان المركبة تقترب متثاقلة من الكرة الوهمية ، بسرعة متناقصة ، دون ان تدركها ابدا .

عفاريت كونية صغيرة !

اذا صح هذا كله ، فليس هنــــاك ما يحدد نهايات صغرى او كبرى لهذه الثقوب السوداء ، وقد خرج فيزيائى بريطانى بنظرية ــ مؤيدة بالمعـــادلات الرياضية كما هى العادة ــ مؤداها ان هناك ثقوبا سوداء متناهية الصـــــغر نشأت عن الانفجار الكونى العظيم الذى يقدر انه حدث منذ خمسة عشر مليون أو عشرين مليون سنة وادى الى وجود النجوم ، ليس هناك بالطبع ما يمنــــع من تناثر قطع صغيرة ما تلبث ان تتقلص الى جسيمات دقيقة ذات جاذبية غير مألوفة فى مثيلاتها ، مثل هذا العفريت الكونى الدقيق قد يطير فى اى مكــــان محدثا خللا عظيما بقدرته على الجـــذب واستعصائه على الاستشعار ، وهــكذا تجد ان الدنيا تتراقص وتتوالب دون ان يدرى احد او حتى يستطيع ان يخمن ما حدث .

وقد وقع مثل هذا فى سيبيريا سنة ١٩٠٨، **زوبعة غير متوقعة وغير مفهومة اجتاحت منطقة تدعى « تونجوسكا » الاشجار طارت فى الهواء وانمسح وجه الارض بتاثير عفريتى ، ويظنون ان قطعة دقيقة جدا اقتربت من الارض بالصدفة، وعاثت فيها فسادا .. ومما يثــير المزيد من الذعر ، ان « شيئا » من هذا النوع ، عندما يكون متناهيا فى الصغر، لن يستطيع ، بخلاف نظيره الاكبــــر حجما ، ان يظل فى حالة توازن او ثبات، او ان يحتمل الحـرارة الناشــئة عن انبعاث الجسيمات النـــووية المختزنة فيه والتى نشأت عن السحق النــووى القديم الذى ادى الى تكونه اصـلا ، وانه قد ينفجر محدثا ضغطا وحــرارة لا ياتيـــان من مــــلايين القنـــابل الهيدروجينية .**

ومن ناحية اخرى ، فان مثل هذه الثقوب الصغيرة ، عندما تتهيأ الوسائل العلمية لاكتشاف مواضعها ، يمكن ان تجتذب بالقاء قطع من المادة فى الفضاء لـ « استدراجها » بفعل الجــاذبية ،

ثقوب في الفضاء ...

تؤدي إلى عالم آخر

تماما كما يلقى طعم فى الماء لاجتذاب الاسماك الكبيرة ، عندما يتحرك هذا الشيء فى الفضاء بسرعة كبيرة فانه يحدث حوله طاقة حرارية عظمى يمكن ارسالها الى الارض على هيئة موجات كهرمغناطيسية تحقق الحلم القديم الجديد وهو استمداد الطاقة من هذه الينابيع الهائلة التى يموج بها الفضاء ونحن نتضور على الأرض من أزمة الطاقة .

... وكبيرة ايضا

اما العفاريت الكونية الكبيرة فقد امكن - كما سبق - اكتشاف اعداد منها فى الفضاء البعيد ، الواحد منها تحيط به ((منطقة نفوذ)) تمتد ملايين الكيلو مترات ويصل وزنه الى الوف الملايين قدر الشمس ، وهناك حجرة يسمونها ((م ٨٧)) ، رصد بها مركز مضيء يلمع عشر مرات قدر بقية اعضائها ، تحيط به نجوم كأنها حفنة من راقصى ((روك اندرول)) ، مما ((يدل)) على وجود ثقب اسود يبلغ وزنه (او على الاصح : كتلته) خمسة آلاف مليون مرة قدر الشمس .

مثل هذا الوحش الهائل يبتلع النجوم فى جوفه ولايظهر لها اثر بعد ذلك ، ولاستحالة تصور هذا (العدم) غير المفهوم ، يقدر العلماء ان مادة النجوم التى تنسحب الى هذه ((البالوعة الكونية)) تتدافع من خلال المكان والزمن الى ان تظهر فى موضع آخر من الكون ، أو فى كون آخر، وانه قد تكون هناك (ثقوب بيضاء) تتلقى هذه المادة لتعيدها الى الوجود ، هذه الثقوب البيضاء توجد فى فضاء وزمن آخرين أيضا ، وأن المناطق البراقة التى نراها على بعد آلاف الملايين من السنين الضوئية قد تكون ((مآخذ)) لكوننا نحن ، تأتينا بالنجوم من حياة اخرى .

مم تتكون العفاريت الكونية ؟

كما ان الانسان الذى يعيش على الارض يتعرض لقوتين متضادتين : جاذبية الارض التي تشده اليها ، وقوة الطرد المركزية الناشئة عن الدوران ، وهذه تدفعه بعيدا عنها ، ((ولو زادت الأرض سرعتها لانحلت مشكلة البدانة والرجيم .. الخ !)) ، فان النجم يجتذب الى مركزه الفازات والسنة اللهب ، بينما تعمل الحرارة الهائلة فى قلب النجم على دفعها بعيدا، وعندما تخبوهده الحرارة فان التقلص ينشأ عن اختفاء قوة الدفع الى الخارج مع بقاء قوة الجذب لان الكتلة الناشئة عن وجود المادة لا تزال كما هى ، التدافع الى الداخل يحدث ضغوطا تصل الىحد سحق الالكترونات المحيطة بالنواة وادماجها فى بروتونات النواة وتحويل المادةالى عجينة من النيوترونات، الشيء الذى ينتجعن ذلك ليس هو المادة كما نعرفها .. والتخلص من قوة الجذب التى يحدثها شيء كهذا لابد له من التحرك بسرعة تفوق سرعة الضوء ، وهذا - طبقا للنسبية -هو المستحيل بعينه .

ماذا لو استمر هذا فى الحدوث؟ هل يمتليء نسيج الفضاء بالثقوب الى ان يصبح رداء باليا ؟ يتسع الى ان يبتلع كل شيء فى جوفه ، ويتحول الكون الذى نعرفه الى .. كمايقول شوقى ((سكون ، ووحشة ،وظلمة، وليل مالوش آخر .. ونجمة مالت ، ونجمة حلفت ما تتأخر .. ؟)) ويأتى كون جديد ..

لا شان لنا بهذا ، الان ، ولكن .. تبقى تساؤلاتنا ، مع فلاسفة العصر وعلمائه : المادة والفضاء .. الخ هل هى اشياء موجودة فعلا ، ام انها ((تهيؤات)) هى ايضا ؟..

كهف الذكريات



• د . سعد ظلام •

هاهنا الحب ... وأفراحي أنا وعذارى ذكرياتي ـ هاهنا
عشنا المسحور رقراق السنا وخطانا فوق رأس المنحنى
لم تزل سكرى ينشوى كأسنا والمنى .. آه على سحر المنى!

***

هاهنا عمري كالكهف الغريق يعبر الناس عليه للطريق
كل ما يغريه بالصمت العتيق بعض ذكرى وارتعاشات بريق
وابتهالات فؤاد ... في حريق كل خفقي ، كل نبض في عروقي
كل إطلالة نور في شروقي كل همس . كل إحساسي الوريق
كل شيء فيك يغري بالرحيق ...

***

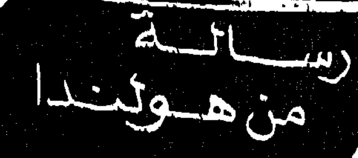
هاهي الكأس . فأين الندماء كل أحبابي والسمار .. جاءوا
غير قلب منعته الكبرياء آه ، لو يدنو .. ويدنيه الوفاء

***

غير أن الفجر لما عاد ، كنا قد مضينا ونسينا فرحة العمر التي كنا قضينا
وحرقنا في بخور الصمت أحلى مالدينا وأضعنا كل شيء .. بيدينا .. بيدينا!
وقضينا العمر أشواقا ، وإشفاقا ،وأينا وانتهى آخر فصل في هوانا .. وانتهينا!

***

وبقينا غرباء ومضى العمر هباء
وقضيناه نماء وانتهينا كبرياء



● أحمد أبو كف ●

كنوز عربية هامة في جامعة لايدن

كيف حصلت عليها

في يناير الماضي ، وداخل المعهد الهولندى للآثار المصرية والبحوث العربية ، التقيت بشخصيتين هامتين في هولندا هما : كورنيليس ي. كات ، رئيس مجلس ادارة جامعة لايدن الشهيرة ، والدكتور يان بروخمان استاذ اللغة العربية بالجامعة .

والمناسبة ، التي جاءا فيها الى مصر ، هي مناسبة الاحتفال بمرور اربعة قرون على تدريس اللغة العربية في جامعة لايدن ، وعلى انشاء كرسى بها للدراسات العربية هناك . وهذه المناسبة احتفلت بها جامعة لايدن بطريقتها الخاصة ، فالجامعة تمتلك مكتبة عربية وثائقية هامة تحتوى على نوادر المخطوطات والكتب العربية .. وقد جاء كل من كورنيليس وبروخمان على طائرة هولندية خاصة ، تحمل نماذج من المخطوطات والكتب العربية القيمة ، بل النفيسة حقا ، بالاضافة الى مجموعة من المطبوعات العربية ، التى طبعت فى مطبعة هولندية خاصة . وهى مطبعة « بريل » ، التى يعود انشاؤها الى اكثر من ثلاثة قرون من الزمان .

كان من بين المخطوطات ، مجموعة من الكنوز الاصلية والاصيلة ، منها المجلد التاسع من « غريب الحديث » .. وهو أقدم مخطوط نسخ فى أوروبا عام ٢٥٢ الهجرى (٨٦٦ الميلادى) ، والمجلد الثالث من تاريخ الطبرى (القرن السادس الهجرى) ، ومخطوط «المسالك والممالك» لابن حوقل . ونسخة تعود الى القرن السادس الهجرى من « مقامات الحريرى » ، ومخطوطة ابن شداد عن تاريخ « صلاح الدين الايوبى » ، و « كتاب الاضواء » لابن الانبارى ، ومخطوطة « طوق الحمامة » لابن حزم القرطبى ، و « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر ، و « البلدان » للهمذانى ، وشعر امرىء القيس مع الشرح المنسوب للسكرى .. بالاضافة الى مجموعة نادرة من المصاحف المخطوطة ، فضلا عن عدة معاجم وقواميس الفها مستشرقون هولنديون ، وأغلبهم شغل كرسى اللغة



العربية فى جامعة لايدن ، ومنهم دافلنخيوس ، وغوليوس ، وفرنانديوس •• والاخير أول من شغل كرسى اللغة العربية عام ١٥٩٩ الميلادى ، بالاضافة الى تحقيق ونشر نصوص كثيرة •

***

والسؤال الذى طرح نفسه وأنا أتنقل مبهورا بين هذه المخطوطات والكنوز هو •• كيف أتيح لهم فى هولندا أن يحصلوا عليها ؟ •• ولماذا تهتم هذه الدولة البعيدة على شاطىء بحر الشمال بالعربية ، وجمع ذخيرتها وتراثها ؟ ••

كان هذا السؤال يلح على قبل أن ازور جامعة لايدن ، وأرى قسم اللغة العربية بها •• واتجول فى مطبعة « بريل » وارى الحروف العربية التى صبوها واستخدموها فى الطباعة على أحدث نظم الطباعة •• والح على كذلك حينما ذهبت الى مكتبة الجامعة والتى تحوى هذه الكنوز من المخطوطات النادرة والتى أخبرنى المستشرق بروخمان أن المعروض منها هو أقل القليل •

والاجابة عن التساؤل وجدتها فى جامعة لايدن ••

فالهولنديون فى جامعة لايدن بدأوا الاهتمام بالدراسات الشرقية • بصفة عامة • ثم خصوا العربية بالاهتمام • لقد عرفوا مبكرا أن العرب المسلمين لم يكونوا ناقلين لثقافة اليونان وعلمهم وحضارتهم، وانما العرب المسلمون أيضا كانوا مبدعين • أضافوا الى ما ترجموه الكثير الكثير فى كل فروع العلم والمعرفة •

وكما قال المستشرق اربينيوس استاذ كرسى العربية فى جامعة لايدن عام ١٦١٠ :

« اننا نجد حتى فى العلوم الرياضية ، أن كثيرا من العرب قد تناولوا هذه العلوم وجلوها على نحو وفقوا فيه أكثر من الاغريق • ذلك أن الذى تيسر للاغريق فى الجغرافيا بطليموس واحد • ولم يتيسر للرومان فى هذا العلم أحد على الاطلاق ، وقد قاس بطليموس عروض الاماكن ووصفها •• أما العرب فلديهم

زمرة كبيرة من الجغرافيين كانوا أدق من بطليموس نفسه .. أما ان فن الطب مدين بالكثير للعرب ، فأمر يعرفه كل من سمع بأسماء ابن سينا ، والرازى . وللفلسفة درة تمثلت في المعلم الثانى ابن رشد ، ثم فى ابن سينا وكثير غيرهما ... »

ايضا فان الاهتمام قد نتج عن دوافع كثيرة ، منها فائدة اللغة العربية العملية ، ثم الغيرة والحماسة التبشيرية ، وأشياء أخرى كثيرة .

لقد هزنى الموقف وأنا أتجول في جامعة لايدن ، وداخل مطبعة « بريل »

وهزنى أكثر ما عرفته من أن العلاقات بين مصر وهولندا قد بدأت أول ما بدأت فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وفى عام ١٢١٥ الميلادى .. اذ أن بعض الامراء الاقطاعيين والنبلاء الهولنديين شاركوا فى الحروب الصليبية المتأخرة . شاركوا في الحملة الصليبية على دمياط ، التى انتهت بفشلها ، وهى الحملة التاسعة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا . حيث أسر لويس التاسع بدار ابن لقمان الشهيرة

لكن وكما قيل فى تاريخ العلاقات الهولندية العربية ، فان علاقتهم بالعالم العربى ـ أو منطقة الشرق الاوسط الحالية ـ بدأت قبل ذلك من خلال الحجاج الهولنديين الى أورشليم . بمعنى أنه لم يكن يعنيهم فى المنطقة الا أداء الحج الى بيت المقدس . حتى ليقال ان أحد أوائل الكتاب الهولنديين وهو « فان مارلانت » نظم قصيدة سنة ١٢٩٢ ، يرثى بها سقوط عكا فى يد المسلمين . وهذا يعنى أن العرب لم يستهووه فى قليل أو كثير .

ولا شك أن انشاء جامعة لايدن ، بعد سنوات قليلة من الثورة على التبعية الهولندية لاسبانيا ، كانت فتحا كبيرا فى الاهتمام بالعربية بصفة خاصة واللغات الشرقية بصفة عامة . وهذه الجامعة بدأت مشروعا قدمه الامير وليم أوف أورانج لمدينة لايدن التي عانت من الاحتلال الاسبانى ، ومن الحصار الاسبانى الطويل لها . فكانت المكافاة لاهلها أن افتتحت الجامعة رسميا فى ٨ من فبراير عام ١٥٧٥ الميلادى، حتى لايحتاج الهولنديون الى أن يلتحقوا بجامعات خارج بلادهم ..

على أنه سرعان ما بلغت دراسة العربية فى لايدن خلال القرن السابع عشر آفاقا حملت المستشرق الالمانى « فيك » على القول : « فى السباق بين الامم الاوروبية تصدرت الاراضى المنخفضة الصفوف فى الدراسات العربية قرنين من الزمان »

ومن أوائل المستشرقين الهولنديين ، الذين اهتموا بالدراسات العربية فى هولندا ، وأسس مطبعة، رسم لها الحروف العربية ، المستشرق رافلنخيوس عام ١٥٩٥ .. والذى يعتبر بحق رائدا للدراسات العربية . وقد قام بتدريس العربية فى الجامعة . ثم قام بعده المستشرق فرديناندوس وواصل رسالته.

وكرسى اللغة العربية أنشىء فى جامعة لايدن عام ١٥٩٣ . وشغله المستشرق يوسف سكالنجر ، الذى عرف بأمير المستعربين . وألف كتابا يحتوى على أكثر من ٢٠٠ مثل عربى . وبعده المستشرق اربينيوس ، الذى الف كتابا فى النحو العربى ، ثم خوليوس ، الذى الف معجما عربيا لاتينيا .. كما كتب الكثير من الدراسات ..

وقد قال المستشرق أربينيوس فى محاضرة له حول الاهتمام بالدراسات العربية :

« ان كل من يعرف هذه اللغة العربية، يستطيع أن يجوب كل أرجاء آسيا وافريقيا تقريبا . ذلك أن جميع أهالى موريتانيا ونوميديا ومصر ، وجزيرة العرب ، ـ أميين ومتعلمين ـ يستعملون



نماذج من خطوط المخطوطات المحفوظة في مكتبة جامعة لايدن ويرى بينها غلاف كتاب مفتاح كنوز السنة الذي ألفه الاستاذ فؤاد عبد الباقي على أساس فهرس للاحاديث النبوية عمله عام ... هولندا

هذه اللغة دون سواها ... ان هذه اللغة هي الاكثر شيوعا في تركيا ، وبلاد فارس ، والهند وغيرها من ارجاء آسيا الاخرى » .

***

ولكن يبقى التساؤل ايضا : كيف بدأ جمع ونشر المخطوطات العربية النادرة ؟

الواقع أن جامعة لايدن بدأت في جمع المخطوطات العربية من مراكش .. حيث سعى المستشرق خوليوس الى البحث عن هذه المخطوطات ، واشترى عدة متون هامة ، مثل « وفيات الاعيان » لابن خلكان ، ومقدمة ابن خلدون . ولم يكتف خوليوس بذلك بل سافر الى حلب واستطاع ايضا شراء الكثير منها

ومنذ هذا الوقت كثرت وفود الشراء من بلاد العالم العربي ، ومن الاستانة التي اشترى منها اول ما اشترى قصيدة كعب ابن زهير المشهورة « بانت سعاد » ، والترجمة اليونانية لقصيدة امرىء القيس ...

والحقيقة أن الدراسات العربية في هولندا قد ازدهرت في القرن الثامن عشر . فالنشاط لم يقتصر على جمع المخطوطات ، انما شمل نشرها والتعليق عليها . فالترجمة الهولندية الاولى للقرآن الكريم صدرت عام ١٦٤١ . كما اصدر المستشرق ريلاند كتابه « في الديانة المحمدية » عام ١٧٠٥ تحدث فيه عن مزايا القرآن الكريم ، وانكر الاحكام التقليدية المسبقة عليه وعلى الاسلام .. وهذا الكتاب في الواقع يعتبر مؤشرا هاما بالنسبة لموقف اوروبا المسيحية من الاسلام . وهو تطور كبير في الفكر الاوروبي ..

وفي القرن الثامن عشر لم تقتصر الدراسات العربية على جامعة لايدن فقط .. وانما تعدتها الى مالا يقل عن خمس جامعات هولندية تشتمل على كراسي استاذية اللغة العربية واللغات الشرقية بصفة عامة ، بالاضافة الى الكثير من المعاهد العليا ...

والواقع أن ادريان ريلاند المتوفى عام ١٧١٨ كان فيلسوفا ولغويا وعالما أثريا وجغرافيا وشاعرا . وهو الذي نشر كتاب « تعليم المتعلم » للزرنوجي ، وراجع الترجمة الهولندية لكتاب « حي بن يقظان » لابن طفيل الاندلسي

ومن المستشرقين الذين جاءوا بعده المستشرق سخونفنس ، المتوفى عام ١٧٥٠ والذي حقق عدة نصوص عربية منها : المقامات الست الاولى للحريري ، وتاريخ الامبراطورية اليقظانية في بلاد العرب السعيدة ، ومختارات من « ابو الفدا » ، وحمزة الاصفهاني ، والنويري ، والطبري ، والمسعودي ، وديوان من الشعر الجاهلي ، و « سيرة صلاح الدين » لابن شداد .. كما اختار قصائد من ديوان « الحماسة » لابي تمام ، حيث ضمنها الطبعة الثانية لنحو المستشرق اربينيوس .

***

في مكتبة جامعة لايدن ، أسأل المستشرق الهولندي يان بروخمان عن العلاقة مع مصر ، وعن المؤرخ الشهير رينهارت دوزي ، فيقول لي :

— ان رينهارت دوزي كان استاذا للتاريخ بجامعة لايدن ، وهو الذي ادرك الاهتمام بتاريخ مصر وشمال افريقيا ، لانه يتصل بحملة نابليون وغزو الجزائر .

والواقع أن رينهارت دوزي من الذين اهتموا بتاريخ مصر ، ونقل هذا الاهتمام الى جامعة لايدن . كما أن دوزي هو الذي وصفه الامير شكيب ارسلان في كتابه « الحلل السندسية » بانه « مؤرخ

اسبانيا الجليل ، العـــلامة شـــيخ المستشرقين » ،ولا شك ان كتابه الشهير عن « العرب فى اسبانيا » يعتبر من أمهات الكتب عن العرب . وقد ربى جيـــلا من المستشرقين الذين اهتمـــوا بتاريخ مصر والعــــرب ، ومنهم دى خويه ، وفان فلوتن .

ودوزى هو الذى كتب رسالة جامعية تضم منتخبات من كتابي الفتح بن خاقان « مطمح الانفس » و « قلائد العقبـــان » يتناولان الدولة العبادية فى اشبيليـه . كما صنف «المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب » وله ايضا « ملحق وتكملة القواميس العربية ، الذى وصفه ابراهيم اليازجى بانه جدير ان يدخـل فى عـداد اشرف كنوز الادب. وان صاحبه -دوزى- جدير بالثناء ، مابقى عربى ينطق بالضاد.

ومن كتب دوزى ايضا « مشرقيات » . كما نشر بالتعاون مع بعض المستشرقـين القسم الاول من كتاب « نفح الطيب مـن غصن الاندلس الرطيب وذكـــر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » للمقـــرى . وقد كان من المفـــروض ان يراس دوزى المؤتمر الدولى للمستشرقين فى عام١٨٨٣، لكنه توفى قبل ان يبدأ المؤتمر .

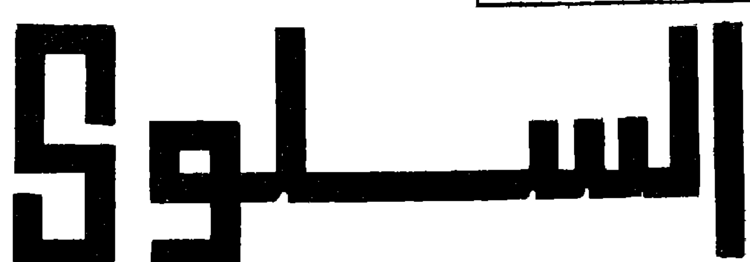
على ان هناك بعض المستشرقين المهمين، مثل هاماكر ، الذى نشر وصف المقريزى لحصار دمياط . ثم كتاب « فتوح مصر والاسكندرية » الذى نسب خطأ للواقدى. وبدأ باشراف دوزى ، وده يونـــج ، وده خويه وهاوشماوصف مجموعةالمخطوطات المحفوظة فى مكتبة جامعة لايدن ، فأصدر منها ستة مجلدات . ثم ده خــــويه الذى حقق كتاب «ابن حوقل» ويونبـــون الذى حقق المتنبى ، ونشر مختصر معجم ياقوت « مراصد الاقلاع » و « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى ...

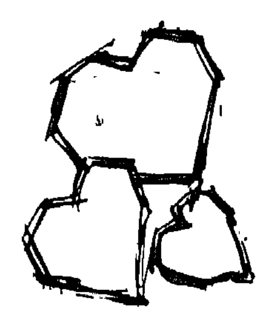
ويطول بناالحديث لوذكرنا مستشرقى جامعة لايدن .. لكن يبقى الحديث عـن المستشرق الهولندى جولدزيهـــر ، الذى درس فى الازهر وكتب «مقالات فى جريدة « البرهان » . ثم المستشرق ســنوك - الذى عاش فى مكة وحمل اسم عبدالغفار، ونشر « الامثال المكية » ، ودراســـة عن المهدى ، والف كتابا عن «مكة» بالالمانية . وفان آرندونك الذى كتب دراســـة عن ظهور الامامية الزيدية فىاليمن . ودهيور صاحب كتـاب « تاريخ الفلســـفة فى الاسلام » . وقد ترجمه محمد عبدالهادى أبو ريده . ثم ونســـنك صاحب كتـاب «العقيدة الاسلامية» ،وأيضاصاحب كتاب « فكر الغزالى » و « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » ، وكتاب « مفتاح كنوز السنة » ...

قال لى كورنيـــليس كات ، رئيس مجلس ادارة جامعة لايدن :

- ان الاهتمام بالدراسات العــربية كبير عندنا .. وان الاهتـــمام بدأ يزيد أكثر من خلال اهتمام هولندا الحـــديث بالعالم العربى . وخاصة من داخــــل مجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة.

وقال أيضا : ان التعاون الثقـافى بين مصر وهولندا يشـــمل مجالات كثيرة تجرى دراستها الان . فبرغم اهتمامنــــا بالدراسات العربية ، فنحن لنا اهتمامات اخرى . وخاصة فى المجـــالات الاثرية . وهذه الاهتمامات بدأت منـــذ القـــرن الماضى ، وتنامت ، حتى اننا اشتركنا فى انقاذ آثار بلاد النوبة ، قبل اقامة السد العالى . وقامت الحكومة المصرية باهدائنا معبد « طافا » الذى اقمناه فى فناء متحف الاثار بمدينة لايدن . كما ان لنا بعثات للتنقيب عن الاثار ، وقد اكتشفنا مقبرة حور محب ، ونقوم الان بترميم « وكالة بازرعة » فى حى الامام الحسين .





● محمد عبد الحليم عبد الله ●

كان جو الليلة مائلا الى البرودة ، وعلى الارض بلل من مطر يعكس الاضواء الزاهية بالوانها كلها على اسفلت الشارع .. والجمهور الخارج من السينما يتطلع الى السماء متعجلا عودته الى البيت . فقد كان الجو ينذر بمطر جديد ، والعشاق والازواج يلوذ بعضهم ببعض كأنهم يطلبون الدفء ..

ولم تكن سيارات الاجرة الواقفة على مقربة من السينما قليلة هذه الليلة ، ولذلك كان سائقوها يتعجلون كل نداء .. واول سيارة تحركت من المكان كانت قاصدة الى مصر الجديدة يقودها شاب على رأسه قلنسوة من الصوف نزلت حتى اذنيه لتمنع عنه البرد .

أما الراكبان فقد كانا رجلا وامرأة كل منهما في متوسط عمره ، عليهما طابع الاناقة ويبدو انهما غير متزوجين . وبعد ان اقفل باب السيارة ملأ العطر انحاء المكان ، وتنهدت المرأة وهي تضطجع في الركن ، وجلس صديقها على مقربة منها متلامسين واحدى كفيها مسترخية بين كفيه .

اما السائق فقد كان مرهف السمع . اذناه متأهبة لان تسمع كل همسة لانه كان يعيش في مأساة شخصية منذ ثلاثة اسابيع . وكان يسمع في ثرثرة بعض الركاب من خلفه ما ينسيه الهه احيانا . ثم يفيق الى الطريق حيث توقفه الانوار الحمراء أو تسمح له الانوار الخضراء بمواصلة السير .

وحتى ميدان باب الحديد لم تصدر كلمة من احدهما . ولما وقعت الانوار البنفسجية من المصابيح الساهرة في الميدان على وجه المرأة خيل لصديقها أنه يراها مسبلة الاجفان وكأنها تحلم فسألها بصوت سمعه السائق :

ــ لماذا انت ساكتة ؟

فاجابت وكأنها استيقظت من النوم :

ــ آه .. يمكن .. ربما .. لانني لا اريد ان اهوش الصورة العالقة في ذهني من بعض مناظر الفيلم !

وعندئذ تذكر السائق العنوان الكبير المكتوب تحت الاضواء على واجهة السينما وتذكر صورة رجل قد وضع كفه تحت ذقنه وهو جالس يفكر وعلى مقربة منه وجه حسناء . والفيلم نفسه اسمه « خيال حسناء » لكن السائق لا يعرف تفاصيله . غير انه أحس أن علاقة معينة وان كانت مجهولة تربطه بكل قصة حب . خصوصا في هذه الايام التي يعيشها وكأنه في دوامة فتنهد السائق في الوقت الذي سمع فيه تنهيدة اعلى درجة قد صدرت من الخلف ، من الرجل الاخر ..

وبدأت السماء تسكب مطرها ، واخذت المساحة على الزجاج الامامي للعربة تعمل في رتابة متئدة والشارع ممتد طويل يلمع كأنه نهير ساكن . وانطلقت من خلال هذا الصمت ضحكة عالية من الراكب قال بعدها لصديقته :

ــ وهل تذكرين منظر الوداع الذي كان بينهما ؟



وتنهد وعاد يمصمص شفتيه ..
وقالت السيدة الجالسة فى المقعدالخلفى هامسة فى اذن صديقها :
ـ يظهر ان النعناعة التى فى فمه لم تذب حتى الان ..
وضحكت فى خفوت واراد صديقها انيغطى على ما قالته خوفا من ان يكون الرجل قد سمع ما قالت فتنحنح وعاديتكلم بصوت مرتفع عن حوادث الفيلم:

ـ آه .. هذا ما لا أستطيع أن أنساه!
ـ هاها .. انه كان متناقضا بحيث ضحكت وانا ابكى . فعندما قابلته فى الكازينو والمكان خال حولهما اخرج كل منهما لفافة وقدمها الى صديقه فى صمت .. هاها .. هل تذكرين هذا المنظر .. كفانا الله شر ذلك .

ثم ضغط على كفها التى احس منها بالبرودة تسرى فى اطرافها ،ولم يستانف الحديث مباشرة . وفى هذه اللحظات التى ساد فيها الصمت الا من أزيز محرك السيارة ، رجع السائق بذهنه الى ايام يتذكر الخلاف الذى دب بينه وبين اهل خطيبته ، وكيف انه ذهب اليهم ذاتمساء فدخلت عليه حماة المستقبل وقدمت اليه لفافة .. تركها السائق موضوعة حيث كانت وظل يحملق فى وجه المراة بعينين تفيضان بالاتهام ..

ثم صدرت من الراكب سعلة خفيفة اعقبتها ضحكة صغيرة من السيدة قالت له بعدها بصوت هامس لا يخلو من الدعابة :

ـ الم أقل لك انه يجب ان تترك التدخين .
ـ وأنا ، الم أقل لك انه يجبان تتركى .. (وهمس بصوت خافت) الحب !
ـ نعم قلت ..
ـ لا التدخين ولا هو .. استطيع أن اتركهما !

وكان السائق فى هذه اللحظة على الرغم من سماعه ما قيل لا يزال واقفا بافكاره عند اللفافتين .. اللفافة التى قدمت اليه واللفافة التى تبادلها البطلان فى الفيلم .. واطفا شوقه سماعه للرجل يكمل الحكاية .

ـ ولما تبادلا الرسائل فاخذت ما سبق ان كتبته اليه ، واخذ ما سبق ان كتبه اليها ، وأوشك الموقف على الانتهاء تقدم اليها برجاء ما لبثت ان نفذته بسرعة وصمت واهتمام . هو أن ينسخ صورة بخطه هو من اول رسالة حب كتبتها له وفعلت هى مثل فعله . وقد أثار منظرهما الغاضب وهما منكبان على الكتابة ضحكى ودموعى ! ..

فشهقت السيدة وهي تضحك في اشفاق . وعاد الصمت فخيم على المركبة. وتذكر السائق ليلة اخذ اللفافة التي قدمتها اليه المرأة وفتحها فاذا هي تحتوي على القرط والدبلة اللذين قدمهما شبكة لفوزية ، ذات العينين السوداوين والقوام اللين . وكان على يقين وهو يضع الاشياء في جيبه بحماسة الرجل المطرود الذي يدافع عن كرامته ، كان على يقين من ان فوزية تبكي في الحجرة الاخرى .. ومنذ ذلك اليوم وهو يحس باحساس من يبحث عن شيء ضائع فهو يحملق في كل الوجوه كانه سيراها في خيال كل امرأة .. وهو يستمع الى كل قصة ليلتمس فيها الملهاة والسلوى ، وحدث نفسه :

ـ « لو كانت فوزية تعرف الكتابة لارسل اليها خطابا بطريقة ما وتلقى منها الرد . انه لا يشك في انها تحبه لكن امها تصرفت بالنيابة عنها . وابوها رجل كسير الجناح ضعيف لا كلمة له ، فلو كان ذا شخصية في بيته فربما تغير الموقف . »

وتنهد وعاد يمصمص شفتيه .
وقالت السيدة الجالسة في المقعد الخلفي هامسة في اذن صديقها :
ـ يظهر ان النعناعة التي في فمه لم تذب حتى الان .

وضحكت في خفوت ،وأراد صديقها ان يغطي على ما قالته خوفا من ان يكون الرجل قد سمع ما قالت فتنحنح وعاد يتكلم بصوت مرتفع عن حوادث الفيلم :

ـ « لقد رحل الى امريكا الجنوبية بعد ذلك ليغير الجو والناس .. مسكين .. تصوري انني رأيت لحاله كانني كنت اعرفه حين رأيته يحمل متاعه كئيبا ليهاجر الى بلد آخر .. و .. »

فقاطعته السيدة قائلة باعتزاز وثقة :
ـ ولسى ان الذكريات ترحل مع كثير من الناس . الم ترحل معه فعلا . بالعكس .. كان انكبابه على اعمال الزراعة هناك واغراق نفسه في العمل دليلا على انه عاجز عن المقاومة !
فتمتم الرجل قائلا :
ـ آه .. يعني .. ماذا اذن تظنين أن يفعل الناس !
وساد الصمت مرة اخرى . وكانت السيارة قد اجتازت ميدان العباسية واخذت في الاتجاه الى طريق مصرالجديدة والخرط السائق في الافكار :

ـ « هل من الممكن ان اهاجر من القاهرة .. لانسى .. مادام البعد عن اماكن الحوادث يساعد على النسيان . لكن .. انها هي ذي امامي .. انني اراها تهتز في هذه (العروسة) المعلقة أمام الزجاج في العربة .. كانها تنظر الى بعينيها . فقط لو انهم صارحوني بالسبب الذي من اجله عملت امها معي هذا العمل القبيح ..
وعاد يمصمص بشفتيه فغلبت السيدة ضحكة غالبتها وقالت تهمس :
ـ يظهر انه وضع في فمه نعناعة اخرى . !
فما كان من صديقها الا أن رفع صوته ليداري حماقتها قائلا :
ـ هل تذكرين السبب الذي حملها على الخلاف ؟
فاجابت بدلع :
ـ نعم .. لقد عذبها بغيرته عليها في كل مناسبة . وكان آخرها قصة غيرته من معلم الموسيقى العجوز الذي كان يتردد عليها في بيتها ، ثم قدم اليها هدية بمناسبة عيد ميلادها . وحاولت ان تقنعه ان الفنانين فيهم رقة فطرية بالنسبة لكل الناس .. لكن ، عبثا حاولت معه .. واتسعت شقة الخلاف حتى ادت الى الفراق .
ـ على أن اجمل شعور السائق اعجبني هو شعورنا نحوه بعد غيابه فكما كان هو يحرق نفسه في اعمال الزراعة لينسى كانت هي تحرق نفسها بطريقة اخرى .

وسكت واخرج علبة سجائره واشعل سيجارة وخيل للسائق انه نسي الموضوع وكاد يتدخل ليساله عن المسالة لكن لطف الله به جعل الراكب يقول :



ـ كانت المسكينة تسهر كل ليلة لتكتب له رسالة طويلة تقول فيها كل ما تشتهى ·· ثم تمزقها !

عندئذ خيم السكون مرة اخرى فعاد السائق يفكر :

ـ « آه ·· لو كانت فوزية تعرف الكتابة · مسكينة انها لا تملك ان تكتب حرفا ولا تملك ان تنطق حرفا ·· فى وجه امها ولا ابيهما حتى ولو كان مرتبطا بمستقبلها » ·

ومصمص بشفتيه واخذ يسترجع سلسلة الحوادث بينه وبين اسرة خطيبته منذ عام مضى حتى الليلة المعهودة فتذكر شيئا اثار شكوكه · سعد الدين افندى ناظر الزراعة الذى كان يتردد عليهم والذى قالت عنه فوزية ذات يوم انزوجته قد ماتت ثم اخذ يحمل الهدايا الكبيرة من مال غيره لام فوزية من بواكير العنب والمانجو والبطيخ بصرف النظر عن انه من سن ابيها · وقد رأت الام ان الفرق بينه وبين سائق تاكسى فرق كبير · نعم لقد راى ذلك فى عينيها ذات ليلة والضيف عندهم لكنه لم يكد يصدق ظنونه ··

ثم قال فى نفسه : لكن ·· اليس من الجائز ان تهب الرياح فى اتجاه آخر ·· ان تموت ام فوزية ·· أو أن يموت سعد الدين هذا ·· أو أن تهدد فوزية امها بالانتحار ان زوجتها منه فترجع الى ·· لكن ·· هناك حل اسهل من كل هذا هو ·· ـ كاد ينطق بافكاره ـ هو ·· أن اموت أنا ·

وأحس بغصة فى حلقه وبحاجة الى الدموع · وجاءه صوت السيدة من الخلف تقول : يالها من رواية ·· لعن الله الحب ·· لقد عذب الاثنين ·

فخرج الى القصة الاخرى وقال بينه وبين نفسه :

ـ سأجعلها فالا لقصتى فاذا عاد الحبيبان فى الفيلم كل الى الاخر عادت الى فوزية ·· والا ·· لا ··

وعندئذ جاءه صوت من الخلف يقول :

ـ البيت الثانى على اليمين بعد الناصية ·· من فضلك !

وهناك نزلت السيدة · وواصلت السيارة شوطها · فقال السائق فى نفسه لماذا لا اساله الان عن ختام القصة عسى ان يكون فيها امل ، فضلا على انها شىء مشوق ·

واخذ يجمع شتات شجاعته ليساله عن نهاية الفيلم ·· وتردد ·· وعاد يمصمص بشفتيه ·· واخيرا استجمع قواه وهتف :

ـ يا سعادة البيه

فرد عليه صوت مرح يقول ضاحكا :

ـ كانك تعرف البيت ·· نعم · نعم · هو التالى الى اليمين ·· لعلك جئت مس مرة قبل ذلك ·· قف !

فوقف ، ونزل الراكب ببقية القصة ، وتحرك السائق باثقال قصته ، وقبل ان يفيق من غمرة الاحداث التى بخلت عليه بالسلوى سمع صوت رجل مخمور ينادى بصوت متلعثم ويشير بحركات مضطربة قائلا :

ـ تاك ·· سى ·· تاك ·· سى !

فذهب اليه وهو يلقى نظرة على العروسة المعلقة فى مقدمة العربة التى تتارجح امام عينيه كانها طيف من الذكرى ·

تصحيح التاريخ

● د. احمد شلبى ●

● عندما دخلت غمار البحث فى التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، سرعان ما وجدت مجموعة كبيرة من الاخطاء شاعت وتقبلها الناس دون تمحيص ، ومن هنا أخذت نفسى بمبادىء صارمة هى أن أحقق الاحداث التى أواجهها وألا أتقبل ما كتبه الأقدمون على أنه حقائق لا تحتمل الشك ... وقد نتجت هذه الاخطاء عن الاسباب التالية :

١ ــ سوء تفسير النصوص التاريخية .

٢ ــ عدم التعرف على العوامل التى سيطرت على المؤرخين الاوائل ووجهت كتاباتهم وجهة معينة فى بعض المسائل.

٣ ــ عدم بذل الجهد بالنقدوالمقارنة للوصول الى الحقيقة

٤ ــ التاثر فى تدوين التاريخ بمؤثرات النسب او مكانة الأماكن المقدسة

٥ ــ الوقوع فى الشرك الذى ينصبه من يعملون على تشويه الفكر الاسلامى من غير المسلمين .

٦ ــ وجوانب كثيرة من تاريخ مصر مسها التحريف لسبب او لآخر ــ كما سنرى .

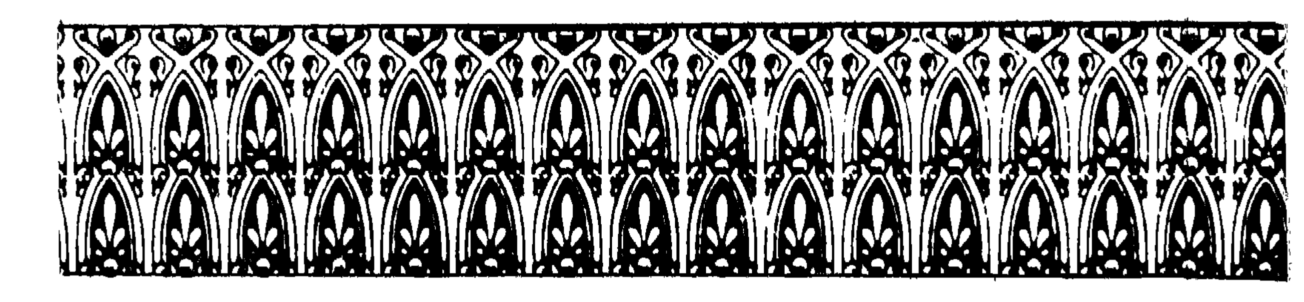
ومن أجل هذا عقدت هذه الدراسة لأفتح الباب الى تصحيح قضاياالتاريخ وقضايا الحضارة الاسلامية ، ولكن ينبغى لمن يطرق هذا الباب أن يكون هادئا يحاول البناء واحقاق الحق للحق ، لا رغبة فى تظاهر أو سخرية مما فعله السابقون، فالمؤرخ يتخذ من اقوال السابقين دعامته ، وليس له أن يدمر هذه الدعامة ، ولكن له أن يصححها كلما قابل انحرافا فيها او بعدا عن الجادة .

وأول ما نبرزه هنا أن النصوص التاريخية كثيرا ما أسىء تفسيرها فحدث الخطأ ، ومن ذلك أن ارنست ديز يقول فى دائرة المعارف الاسلامية عند الحديث عن مناهج الكتاتيب ما يلى :

كان الأدب الموضوع الرئيسى الذى يعلم للأطفال ، مما دعا الى أن تسمى الكتاتيب « مجالس الادب »

وقد ذكر ديز أن مرجعه فى هذا الاقتباس هو « الاغانى ١٨ : ١٠١ »

ولكن الأغانى لا يعنى هذا من قريب أو من بعيد ، فكل ما ورد فيه هو حديث الحسين بن عبد الله بن جبلة الذى يقول فيه : كان لجدى أولاد، وكان على أصغرهم ، وكان الشيخ يرق عليه فجدر ، فذهبت احدى عينيه فى الجدرى ، فأسلم فى الكتاب ، فحذق بعض ما يحذقه الصبيان ، فحمل على دابة ، ونثر عليه اللوز ، فوقعت على عينه الصحيحة لوزة فذهبت ... فقال الشيخ لولده، أنتم لكم أرزاق من السلطان ، فان اعنتمونى على هذا الصبى ،والا صرفت بعض أرزاقكم اليه ، فقلنا : وما تريد؟ قال : تختلفون به الى مجالس الادب»



فمجالس الأدب انضم اليها على بن جبلة بعد ان اتم دراسته بالكتاب بتفوق ، فهى مرحلة اخرى غير مرحلة الكتاب ...

ومثل ذلك ما يقوله الدكتور خليل طوطح فى كتابه « التربية والتعليم عند العرب » فقد ذكر تحت عنوان « البنت والمكتب » ما يلى : ومما يذكر فى كتاب الاغانى تردد البنات الى المكتب فى القرن الثانى للهجرة » ثم اورد الدكتور طوطح اقتباسات غير كاملة من الاغانى يرى انها تؤيد رأيه « وسنوردها فيما بعد » ويعلق على هذه الاقتباسات بقوله : فمن هذا يظهر ان الفتيات ذهبن للتعلم فى المكتب ، وفى بعض الاحيان تعلمن مع الفتيان كما هو معروف اليوم فى بعض الاماكن .

ومرجع الدكتور طوطح هو الاغانى ١٤ : ٤٩ ، ٢١ : ٤٨ فاذا ذهبنا الى الاغانى فى الموضعين المذكورين ، وجدنا النص الأول كالآتى : كان بالكوفة رجل يقال له على بن آدم ، وكان يهوى جارية لبعض اهلها « أهل الكوفة » ، وانه علقها وهى صبية تختلف الى الكتاب ، فكان يجىء الى المؤدب فيجلس عنده لينظر اليها ، فما ان بلغت حتى باعها مواليها لبعض الهاشميين ، فمات جزعا عليها .

اما النص الثانى فهو كما يلى :

حدثنى القطرانى المغنى عن محمد ابن حسن قال : « كان خليل المعلم يلقب « خليلان » وكان يؤدب الصبيان ويعلم الجوارى الغناء فى موضع واحد ، فحدثنى من حضره قال : كنت يوما عنده وهو يردد على صبى يقرا بين يديه قوله تعالى : « **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم** »

ثم يلتفت الى صبية يردد عليها :

اعتاد هذا القلب بلباله .

ان قربت للبين اجماله

وانا ، اذ انظر الى هذين النصين لا اوافق الدكتور طوطح على الاستنباط الذى استخرجه منهما ، لان البنت التى نقول انها تعلمت فى عصور الاسلام الاولى ونالت قسطا ملحوظا من الثقافة ، هى البنت الحرة قبل كل شىء .

وهذان الاقتباسان يتعلقان بالجوارى ، فلا يمكن ان ناخذ منهما حكما عاما على ان البنت تعلمت بالمكتب مع الاولاد ، لان تعليم الجوارى بالمكتب لا يدل بحال من الاحوال على تعليم الحرائر به ، اذ ان كراهية اختلاط الجنسين ما كانت تنطبق على الجوارى ، فقد كن مبتذلات منحن كثيرا من التسهيلات التى لم تستمتع بها الحرائر .

ولم يكن المراد بتعليم الجوارى هو الثقافة بقدر ما كان يراد به رفع اثمانهن بتعليمهن الكتابة ، كما فى الاقتباس الأول ، او الغناء كما فى الاقتباس الثانى ، على ان الاقتباس الثانى ابعد جدا عن الموضوع لتماقه بالغناء الذى هو صنعة أخرى صادف ان المؤدب كان يجيدها ، وكان يزاولها مع عمله البعيد عنها كل البعد ، كما يزاول بعض معلمى مكاتب الريف المصرى فى هذه الأيام بعض الصناعات اليدوية السهلة ، وهم يشرفون على

اطفال المكتب ، فلم تكن هذه البنت فى الحقيقة ملتحقة بالكتاب .

***

وعندنا من النصوص الصريحة ما يؤكد لنا ان البنت لم تلتحق بالكتاب صبية ، ولم تجلس فى حلقة الرجال شابة ، وكان الغالب ان تتعلم فى المنزل عن طريق احد اقاربها او بمؤدب يدعى لها :

يروى البخارى « ١ : ٣٨ » ان النساء قلن للنبى صلى الله عليه وسلم « غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك » — فعين لهن يوما يلقاهن فيه ويعلمهن .

وقد ثقف الأعشى ابنته وعلمها حتى أصبحت أديبة ناقدة ، ويروى ان الأعشى كان اذا قال القصيدة عرضها عليها ثم يقول لها : عدى لى المخزيات فتعددها له .

وكان عيسى بن مسكين يجلس للطلبة الى العصر فاذا كان بعد العصر دعا بنيته وبنات اخيه وحفيداته ليعلمهن القرآن والعلم ، وكذلك علم أسد بن الفرات ابنته أسماء ، والامام سحنون ابنته خديجة ، كما كان يدعى مؤدبون خاصون لتعليم البنات فى بيوت أهل الثراء وقصور الامراء .

وننتقل الى حدث رائع عظيم فى الفكر الاسلامى هو حدث الاسراء والمعراج ولكن الروايات اتجهت بهذا الحدث اتجاها ماديا يقلل من روعته وجلاله وقد عدت لهذا الحدث بدراسة عميقة مسترشدا بكتاب الله وسنة الرسول وما كتبه كبار المسلمين .

واول موضوع نناقشه فيه هو ذلك الموضوع الذى يثار دائما فى هذه المناقشة وهو : هل كان الاسراء والمعراج بالروح والجسد او بالروح وحدها ؟

والذى اراه ان المسلم الذى تلقى القرآن وآمن به لا يجوز ان يتردد فى ان الاسراء والمعراج حدثنا بالروح والجسد جميعا ، ففى القرآن الكريم آيات تصور حدثا قريب الشبه بالاسراء من ناحية الانتقال المادى من مكان الى مكان ، قال تعالى :

« ايكم ياتينى بعرشها قبل ان ياتونى مسلمين ... قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى امين . قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ، فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ... » — « سورة النمل الآيات ٣٨ — ٤٠ »

فهذه الآيات تقرر ان عرش بلقيس نقل هذه المسافة الطويلة من اليمن الى فلسطين فى لمح البصر ، وقبل ارتداد الطرف ، فاذا كنا قد آمنا بذلك فماذا يمنعنا من الايمان بنقل سيدنا رسول الله الى حيث شاء الله دون اعتبار للمادة او مقياس الزمان والمكان ...

ونقطة ثانية نشير اليها هنا هى ما يروى عن قصة صعود سيدنا رسول الله مع جبريل الى السموات العلى ، فالرواية تصور هذا الحادث الجليل تصويرا ماديا محضا وتصور السماء سقفا كسقف البيت ، وترى ان جبريل استفتح الباب فسئل من الذى يستفتح الباب ؟ فأجاب : جبريل . فسئل مرة اخرى . ومن معك ؟ فأجاب : محمد ... فسئل ثالثا : هل اذن له ؟ فأجاب : نعم ..

وهكذا يقف عند كل سماء على هذا النمط حتى يصل الى مكان لا يستطيع جبريل ان يتقدم اليه ، فيقول جبريل لمحمد : تقدم أنت ، اما انا فليس لى ان اتقدم خطوة واحدة بعد ذلك ..

وهذا التصوير مادى محض ، وعندما **يطلب سيدنا رسول الله لهذا اللقاء السامى فلابد ان تكون الاوامر قد صدرت لكل من بالطريق ليهيىء السبيل**

لهذا اللقاء، ولا يقف محمد بهذا النمط الذى تصوره الرواية ، ثم ان الرواية تصور الله جل وعلا كانه هناك فى مكان يسعى له محمد مع ان القرآن الكريم يقول : ((وسع كرسيه السموات والأرض)) ويقول علماء التوحيد ان الله فى كل مكان أو ينزهونه جل وعلا على المكان ، فيقولون ان الله ليس له مكان. وعلى هذا فالصورة السابقة مردودة تماما بنص القرآن وبحكم الفكر الإسلامى ، ثم الا تعرف الملائكة جبريل وهو يروح ويغدو بالوحى من مطلع البشرية ؟ وهل يوقفه الملك حارس الباب فى كل مرة ؟

والقرآن الكريم يوضح ان القمر فى السموات . قال تعالى. ((الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ،وجعل القمر فيهن نورا))

وقال : ((تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا))

وقد استطاع العلماء الأمريكيون ان يصلوا الى القمر وان يهبطوا عليه ، واننا نتساءل هل وقفوا يستفتحون أبواب السماء ، ومن الذى فتحها لهم؟

ونقطة أخرى جديرة بالذكر هى فرض الصلوات الخمس ، والرواية فى هذا الموضوع مادية للغاية فى تقديرى، فهى تصور موسى فى السماء السادسة او السابعة ، وتصوره يسأل محمدا: ماذا فرض الله عليك وعلى امتك ؟ فيقول: خمسون ركعة فى اليوم والليلة. فيقول له موسى : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف ، ويستجيب محمد ويعود فيجعلها الله أربعين اوخمسا واربعين . ولكن موسى يعيد محمدا مرة أخرى وثالثة ورابعة. فلما صارت الصلوات خمسا لم يقتنع موسى بذلك، وطلب من محمد ان يراجع ربه مرة اخرى ، وعاد محمد فعلا ولكنه تلقى من الله قوله : ما يبدل القول لدى ، جعلتها خمسا فى العمل وخمسين فى الاجر .

واعتقادى ان هذه القصة من الاسرائيليات التى ترمى الى وضع موسى فى موضع المعلم لمحمد وصاحب الفضل على المسلمين ، وكانه اعرف بأمة محمد من محمد ، وقد تسربت رائحة الاسرائيليات من الروايات المتصلة بهذا الموضوع ، فقد جعلت بعض الروايات موسى فى السماء السابعة وجعلته يقول عندما رأى محمدا يتخطى السماء السابعة الى ما فوقها: رب لم اكن اظن ان ترفع على احدا ، ثم ان الروايات تقسو فى تصوير اعتراض موسى لمحمد ليعود الى ربه وعبارتها هى : عندما عاد محمد احتبسه موسى وهو تعبير لا يليق بسيدنا رسول الله، وكم عانى المفكرون المسلمون من أشياء وضعها الوضاع، وتقبلها بعض المسلمين ، وراحوا يدافعون عنها بحماسة متصورين أن الشك فى حديث واحد من أحاديث البخارى أو مسلم يسقط كل احاديث البخارى او احاديث مسلم ، ولست أريد هنا ان أخوض فى دراسة عن الحديث ، ولكنى وانا اعرف أن حديث الغرانيق والسحر وغيرهما وردت فى هذه الكتب المهمة — أقرر أن هناك احاديثا موضوعة وجدت طريقها الى البخارى أو مسلم ولكنها قليلة جدا ، والحكم بوضعها لا يمس من قريب أو بعيد باقى الأحاديث ، فوجود خطأ او اخطاء محدودة فى اى كتاب من الكتب لايضيع من قيمته ،وكل كتاب يحتمل فيه الخطأ والصواب الا كتاب الله وليس من المعقول ان ترتفع بالبخارى ليصبح من العصمة فى درجة تساوى القرآن .

ومن العجيب اننا عندما نحاول ان نفند الاسرائيليات ونتقى منها الفكر الاسلامى ، يتصدى لنا بعض المسلمين

الذين وضعوا انفسهم حماة للاسرائيليات دون أن يشعروا ، واعتراضنا على القصة السابقة من عدة وجوه :

أولا ـ انها تصور الله سبحانه وتعالى كموسى فى وضع مادي يمشى له محمد ويعود لموسى ثم يرجع اليه ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثانيا ـ تصور الله تعالى على غير ماهو معروف عنه من وفرة المنح ومن الكرم العظيم ، فهى تصوره ينقص الخمسين الى خمس واربعين ثم ينقصها فى جولة اخرى الى اربعين ثم الى خمس وثلاثين ... ونحن نصرخ فى وجه من يقول هذا القول بأن كرم الله تصوره آياته « **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** » و « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة** » ولا يمكن ـ الا فى خيال مادى ـ أن تتم هذه الصورة ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثالثا : انها ترمى الى وضع موسى فى موضع المعلم لمحمد ، ومحمد خاتم الانبياء وافضلهم وامامهم .

رابعا : كيف يتصور العقل محمدا ذاهبا وعائدا عدة مرات ، بناء على طلب موسى ، والابن لايطيع اباه الى هذا المدى مهما كان فى ذلك خير له .

واعتقادى ان الصلوات فرضها الله من اول الامر خمسا فى العمل وخمسين فى الاجر ، او فرضها خمسين فاستعطفه سيدنا رسول الله فاستجاب الله اليه وجعلها خمسا فى العمل وخمسين فى الاجر .

ونقطة خامسة واخيرة هى ان حدث الاسراء والمعراج لم يتخذ معجزة من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن دين الاسلام لا يتخذ الخوارق معجزات ، لانه دين لا ينبنى على المعجزات التى تشده العقول وتفحم ، انما معجزات هادئة باقية كما وضحناها فى كتابنا « الاسلام » والدليل على اتجاه معجزات الاسلام هو قوله تعالى « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون »

ويقول الاستاذ العقاد فى ذلك : والنبى فى الاسلام ليس بصاحب الخوارق والاعاجيب التى تشل العقول ، وتهول الضمائر ، وتخاطب الناس من حيث يخافون ويعجزون .

وقد كتب فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى يؤيد هذه الاتجاهات ويرى ما سواها شطحات وخيالا ، ويؤكد أن الحديث الذى رواه البخارى قد ورد بسبع روايات مختلفة فى تحديد عام الاسراء وفى شهره وفى يومه ، وفى كيفيته ، وفى المكان الذى جاء الملك الى النبى فيه ، وفى ربط البراق بالصخرة ومن الذى ربطه وكيف ربطه ، وفى مراجعة الرسول لربه فى تخفيف الصلاة .

واختلاف الروايات فى حديث ما على هذا النمط ينفي عنه ـ عند علماء الحديث ـ صفة الحديث الصحيح والحسن . لقد حدث الاسراء والمعراج بالتاكيد ، فاسرى بالرسول الى بيت المقدس ثم عرج به الى مكان اختاره الله ، وهناك تجلى الله عليه وفرض عليه الصلاة خمسا فى العمل وخمسين فى الثواب .

وقد نتابع عرض القضايا التاريخية التى تحتاج لتصحيح ، ونضع معها الصورة الصحيحة لهذه القضايا .



ما تغيّرْ

● روحية القلينى ●

لا الوجهُ منكَ ولا الفؤادُ تغيّرْ ... مازلتَ ترعَى لى الهَوى وتقدّرْ
الحب فى عينيك شَوق لاهِف ... والشّوق كَم يُبدى الهَوى ويُصوّرْ
ويخامر الشكّ المعرْبدُ خاطرى ... فإذا لقيتُك ذابَ كلّ محيّرٍ ..!
وتحِن فى لَهَف بهمسَة هاتِفِى ... وأنا أحن لجرسه المتكررْ
نَغَم يداعبُ وحدتى بحنينِه ... أستاف منه معَ الخيال فأسكر !
مازلت تذكر لون ثوبى زاهِيا ... فجرَ اللقاء .. وكم تعد وتذكر !
مازلتَ تذكرُ رغم قسوة دهرِنا ... إنّى أنا الماضى الذى لا يُنكر !
إنّى أنا الماضى الحبيب بعمقه ... مرّ الزمان عليه لم يتأثر !
وتقول : إنّى ما نسيتُك لحظة ... والصّدق فى عينيكَ نور يبهر ..
من كُنّ حولى دائما ، ومض خبا ... مازلتِ وحدكِ لى الضّياء ينوّر !
كنّ السرابَ وأنت حلو حقيقتى ... قد كنتُ قبلك فى الحياة محيّر !
قدرى استبدّ ولم يُهادن يا ترى ... عادَ الزمان يُعيد ما قد دمّر !

***

رجعْتَ لى الماضى وأحلامَ الهوى ... رجعتَه حلوا كذوبِ السّكّر !
فى كبرياء قد مددتَ يدَ الهوى ... وتركتها فى كفّه لتفسر ...
وتذيع ما أخفيتُ فى صمت الهوى ... فالصمت للقلبين خير معبر
لا وقت للأيام بعدُ نضيعها ... فكفى من الأيام ما قد أدبر
أنا مانسيت ، وتلك أوراقى بها ... ذوب الفؤاد مع الأريج معطر !
إذ كيفَ أنسى ، وهو عمرى فى الهوى ... أو كيف يُنسى .. لا .. ولن أتصورا

مع الشعراء

● تاليف: الدكتور زكي نجيب محمود ●

● مما لا شك فيه ان حضارة العرب لها جذور عميقة في شتى العلوم والمعارف ، وان علماءها ومفكريها لهم بصمات مضيئة على حضارة الغرب التي تخلفنا عنها اليوم لظروف عديدة احاطت بامتنا العربية ، وهذا مما شغل استاذنا الدكتور زكي نجيب محمود بقضايا الفكر تنويرا للعقل حتى يهدى ويهتدى ، فكانت ثلاثيته الشهيرة التي ترسم طريقا يجمع فيه بين تراثنا القديم وحضارة الغرب الحديثة في مركب كيميائي تختلط فيه العناصر حتى لا تكاد تميز فيها بين القديم والجديد وبذلك جاءالكتاب الاول ((تجديد الفكر العربي)) ، ثم ((المعقول واللامعقول في تراثنا الفكرى)) ، وثالثهما ((ثقافتنا في مواجهة العصر)) ، وهي كتب تعالج قضية التراث والمعاصرة بعلمية من حيث التوفيق بين قضايا الفكر وقضايا الواقع .

وقد وقف الدكتور زكى نجيب محمود فى ساحة الفكر مشهرا سيفه يهوى على الخرافات والخزعبلات التى تكبل الفكر العربى المعاصر ، فيمسك بميزان العقل يريد له أن يتصدر كل الموازين وان ترتد اليه كل الامور ..

وعلى هذا النمط كان كتاب « مع الشعراء» الذي تناول فيه أعلاما كبارا لهم بصمات مضيئة على الفكر والادب ، لم تعرض لقضايا الشعر بنظرة موضوعية ومحايدة .

ومن الشعراء الذين تعرض لهم الكاتب بالدراسة والتمحيص عملاق الفكر والادب الاستاذ عباس محمود العقاد حيث يرى الدكتور زكى نجيب محمود أن شعر العقاد رؤية صادقة قد تكشف عن كل ما هو غامض لتزيل عنه ستار غموضه : فهو بذلك شعر يثير احساسات وخيالات كل من يتذوق الشعر وله دراية به ، وكان شعر العقاد الذى يصدر عن بحر واسع عميق يحمل فى طياته كل مفيد مبتكر وكل مضمون ذى نفع وقيمة فلسفية وعلمية لها أثرها فى الشعر والادب .

ويتضح هنا أن مهمة الشاعر مهمة نفاذة تظهر لنا كل ما هو معنوى فى صورة مادية جميلة لها معنى ومغزى فى هذا الكون حيث يقول العقاد :

والشعر من نفس الرحمن مقتبس
والشاعر الفذ بين الناس رحمن

وبهذا المقياس كانت النظرة الى شعر العقاد . وقد وضح لنا المؤلف عمق نظرة العقاد لما يراه من الوجود حيث يوجد له مضامين فى نفسه . وقد ربط المؤلف تلك الظاهرة بما للعقاد من قوة فكر وابداع لما يراه فى الخارج وذلك واضح فى ديوان العقاد ومن أول قصيدة فيه ، وهى « فرضة البحر » حيث

نجد أن القصيدة عند العقاد بناء من الصوان ، والقلم في يده ازميل النحات. وهنا نجد شعر العقاد اقرب شيء الى فن العمارة والنحت .

ومن آراء العقاد ان الوجود كأنه روح تفرعت عنها مادة تجسدت في الكائنات التي تراها من حولك ، وان المتتبع لشعر العقاد يحس بانه مؤمن بان الاصل الروحاني الاول قوامه وجدان وعاطفة لان جوهره الحب ، ومن الحب تنشأ الحياة وان هذه الحياة لتظل في كائناتها الاحياء برغم جمالها ـ كالخرساء التي لا تنطق لتفصح عن سرها حتي يتاح لها الشاعر الذي يحسها عميقة غريزة في نفسه :

الحب والشعر ديني والحياة معا
دين لعمرك لا تنفيه اديان
هي الحياة جنين بث من قدم
لولا التجاذب ما ضمتك اكوان .!

فالاصل عنده هي الحياة الشاعرة لا الحياة العاقلة .

وهذا جزء من ملامح العقاد الشاعرية والفلسفية كما رسمها المؤلف في كتابه « مع الشعراء » ..

ثم ننتقل الى شاعر آخر الا وهو امين الريحاني ، الفيلسوف الانساني الذي اتخذ من رحمة الانسان بالانسان معيارا للسلوك ، وقد قال عنه المؤلف هنا : انه بالنسبة للأمة العربية ما كان طاغور لأبناء الهند ، فكلاهما صوفي يدرك باحساسات مرهفة ما لا يدركه غيرهما من الناس، ووجد امين الريحاني في الطبيعة ملاذا كما يلوذ الوليد بحضن امه فيخاطب الطبيعة بقوله : ايتها الام الازلية ... عانقيني واهمسي في اذني بعض اسرارك ، املئي حواسي وكياني من نفحاتك ونسماتك ، افتحي امامي اعماق روحك المخيفة الهائلة اطرحيني على صدر عواطفك ..

وبذلك نجد ان خير موضع لشاعرنا امين الريحاني الصوفي الوجداني هو ان يكون بين جماعة الانسانيين . وهو بذلك كغيره من الفلاسفة الانسانيين ، يريد لعقله الحرية ولنفسه الانطلاق .

ثم قدم لنا المؤلف دراسة وافية عن الشعر الحديث وشعرائه الذين استطاعوا بحساسيتهم المفرطة وحبهم المتزايد لوطنهم ان يشعروا بكل ما اصاب مجتمعهم ودنياهم المعاصرة من احداث وكوارث وضغوط ثم ما اصاب الانسان من حيرة واضطراب وشد وجذب ، وبذلك نجد أن المؤلف اعطانا صورة حية نابضة عن الشعر الحديث من حيث ما له وما عليه بنظرة محايدة وموضوعية تامة .

ثم انتقل الكاتب ليتحدث عن الشاعر علي احمد سعيد وديوانه : « اغاني مهيار الدمشقي » ، وهو من أصحاب الشعر الحديث ايضا فتناوله بالدراسة والتحليل ليقدم لنا نموذجا وافيا عن هذا الشاعر وديوانه ممحصا كل افكار الشاعر من حيث المضمون والشكل فأعطانا صورة كاملة عن شعر علي احمد سعيد .

ولم يفت الكاتب هنا أن يبين لنا مسيرة جيل من الشباب الذين ضحوا بحياتهم ألما وولعا لما أصاب أوطانهم من حزن ومصائب وتخلف ، وهو الجيل الذي حمل بين جناحيه آمال امة أصابتها الكوارث والمحن مما جعله ينشد على قيثارته شعرا هو بصيص من نور وهاج لأمة لها ماض عريق مجيد .

والشعر عند هؤلاء الشبان رسالة تتلقى من السماء وحيها وتنشر للناس نورها .. تهدف رسالتهم السعي لازاحة ستار الجهالة والرق بنور الحرية وهؤلاء الشعراء هم الشابي في تونس ، والتيجاني في السودان ، والهمشري في مصر .. **وهم نماذج من الاحساس الملتهب الذي تأثر بما حوله وظلوا بين يأس وامل عازفين على قيثارة الشعر الحانا ، وشعراؤنا الثلاثة من اصحاب الشعر الجديد ايضا .**

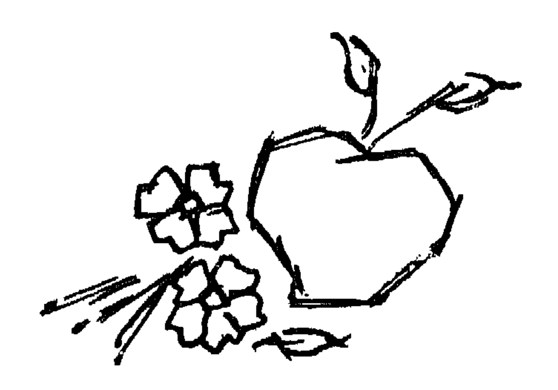
وبذلك كان شعراؤنا في الجيل الماضي : نفوسا ثائرة ملتهبة بوجدانها الملتهب ووطنية صادقة تهتدي بمثالية انسانية رفيعة وروح مشبوبة بالايمان وبذلك انطلقت احزانهم حزينة شاكية.

وعلى هذا نجد الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه « مع الشعراء » قد قدم لنا دراسة منصفة للحق واظهار عظمة هؤلاء الذين لهم آثار خالدة لا يستطيع انكارها الا كل حاقد . .

● اعداد عادل عبد الصمد ●

قصــــــة

سألت عنك أهل الهوى



● فتحى سلامة ●

● ١ ـ الصورة الاولى : العين تعشق :
ينط ، يقفز ، يرفع يده بالتحيه ، لا تكاد العين تلاحقه فهو سريع الخطو ، خفيف الحركة ، انصرف بالسرعة التى جاء بها ..
وحيدا اعود لاضع مبسم الشيشة فى فمى ، اتذكر ايامى الخوالى ، اتلصص على ذكرياتى ، ابتسم وانا اتذكرها ، امرأة لدنة الجسد ، حارة الانفاس ، فاقعة الرائحة ، يختلط العنبر برائحة العـــــرق ... اجفف وجهى ، انصرف عائدا . فارس انهكه الصراع ، انهد ، اقعد على مقهى الحلمية ...
مضت الايام ، لم يبق لى الا الجلوس على المقهى ، لا عمل الا متابعة المارة ، هذا ، موهوم مهموم ، رسمت الاحزان على وجهه حسابات الزمن . وذلك مسرع نضر الوجه ، يشبق رشاقة .. وتلك تخب فى ثيابها خبا ، اتابع فى رتابة ، فحم الشيشة خمد ، نام ، تركنى صـــــديقى وحيدا ، اتابع المارة ، سمراء تمضى فى ارتباك ، وهلة ... ولكن من تكون تلك التى تبتسم لى ؟! سعدية ؟! اتكون هى ؟
تذهب بى السنوات الى قاع العمر وتظل سعدية كما هى ! نضرة ، عطرة ، فواحة الشباب ، .. انها اوهام المقهى ، اليس للمقهى اوهـــام تجلبها استطالة الجلسة وطول القعاد !

***

... مازالت تبسم لى ، تالى وقد انحبس لسانى الغزل ، وتخشب حلقى وتاهت من عقلى عبارات الاعجاب ؟ ، .. انطلق خلفها ، المتعة تناديك والجنة بين يديك ، والهوى غـــلاب ، انطلق خلفها ، .. الارداف هى ، استدارة الخصر ، اندلاق الشعر على الظهر ، بياض الكعبين ، دقيق ورشيق هـــذا المخلوق ... الانسان . قل شيئا يا مرزوق ! خيبك الله ، أين لسانك الذرب ؟ وعباراتك الهيمانة ، قل فربما قصر بك وبها الطريق ...

***

اندلق الورق على قفاى ، ارتفع الســـم فى اذنى لسعنى صهد احمرار وجهها عنـــدما استدارت ، وقالت :

ـ الك عندى حاجة ؟

الحاجات مبعثرة فى الدماغ ، والصبر جميل ، ولا احب كلمة الوداع .

ـ لم لا تذهب اذا لم يكن بك شغف !؟

بى ماهو اعظم ، انطلق يا مرزوق ، ضحكت ، انفلق الصبح ، بان المستور ، انكشف الحنك الرطب ، حبات العنب ، عز الطلب ، سعدية فى كمال بدرها ، يوم ان سعدت معهــــــا باول قبلة [illegible]

ـ سوف اغضب !

يغضب معك الغضب ، تنطرح الكتف اليسرى ، تتطوح الذراع ، سمرة الشمس وحمرة الصحة ، لا تغضبى سوف امطرك باشعار ابن الملوح ، ولكن الحب عذاب ، لسعة عقرب لا ينجو منهـــا الانسان ، لا تسرعى انى مشتاق .

ـ اذهب يا [illegible]

مرزوق ، انا مرزوق الولهان ، انا وانت على ميعاد ، ليس الأمر كما يظهر للعيان ، فالمستور الى الكتمان ، ولا تسرعى فى الحكم قبل الاوان ، لان عيب هذا الزمان سرعة الدوران .

وجلسنا ، الحاجبه كث الشعر اســـوده ، والجبهة مفروزة فى فحمة الشعر ، والانف دقيق ، والفم رشيق والعنق به استطالة ، ورموش العين حراب ، وانا قلب لا يتحمل ، ..

ـ نتزوج .

هذا امل المتفرد ، ان يضم صدره شريكا ،



يكون له اكثر من صديق ، يرتشف حلال الحب ويعطى المزيد ، ولكن ... وهن العزم ودق العظم ، والحسرت الهمة .

ـ لا تخف فلا يزال الدهن فى العتاقى .

هذا لب الحكمة ، وعين العقل ، ورجاحة فى التفكير ، وكان المصير .. ،

٢ ـ الصورة الثانية : والقلب يدق :

الشعر الابيض تاج ، وعلامة الفراق ، ولحم ولريد يوم زواجى عيد ، اين انت يا صديق! منذ زمن لم نرك .جمر الشيشة يتوهج، يجذب نفسا عميقا ، ينفخه فى ثورة ، يتصاعد الدخان، حلقات حول الراس تطوف ، راسى مغلوق ، وصدرى مخنوق ، والخسوف من العودة الى البيت يطوقنى ، يشلنى ، يشدنى الى المقعد ، انظر اليه ، اتوسل ان ينطق ، ان يترك مبسم الشيشة ويقول :

ـ وجدت الحل .

الحلول موجودة ، ولكل سؤال جواب ، والقلب يدق فى خفقان ، تتصاعد حلقات الدخان وهو لا يكف ، انطلق يارجل ،انامرزوق الزوج الموضوع على خازوق ، ولا اعرف كيف افى بحاجات البيت ، ولا بحاجات امرأة شابة تنتظر العودة ، وكيف اعود ؟ واحساسى بالفشل .. وهن العظم ، وانقطع النفس . انظر اليه، وضع ساقا على ساق ، اهتزت يده التى طوحها خلف الكرسى ، قال :

ـ انت عطشان !

وانت ايضا ؟ ! ، الامر لا يحتاج الى برهان ولكنه يحتاج الى دواء

والعمل يامرزوق ؟ اشعر بالهمدان ، والقلب يدق ، اسمع دقاته فى آلانى ،وضحكات الانثى تلسعنى ، احاول النهوض ، كساح فى السيقان ، غيوم فى الدماغ ، رعد وبرق يعوى فى راسى ، اشعر بالرغبة فى القيء ، احس الغثيان ، رائحة العنبر تخنقنى ، قل شيئا يا رفيق .

ـ الطريق له نهاية .

وصل . هذه هى النهاية !! ايمكن ان تكون بهذه السرعة ، عربة اسماك ، رائحة الخبز الريفى الطازج ! وسمن مبثوث ، وشراب مثلوج ، والقشة احملها ملوحا بخيوط متشابكة من عجين الكنافة .. آه يا امى ، العربة تسرع نحو الدار ، ورفيقى يرنو نحوى فى اسى .

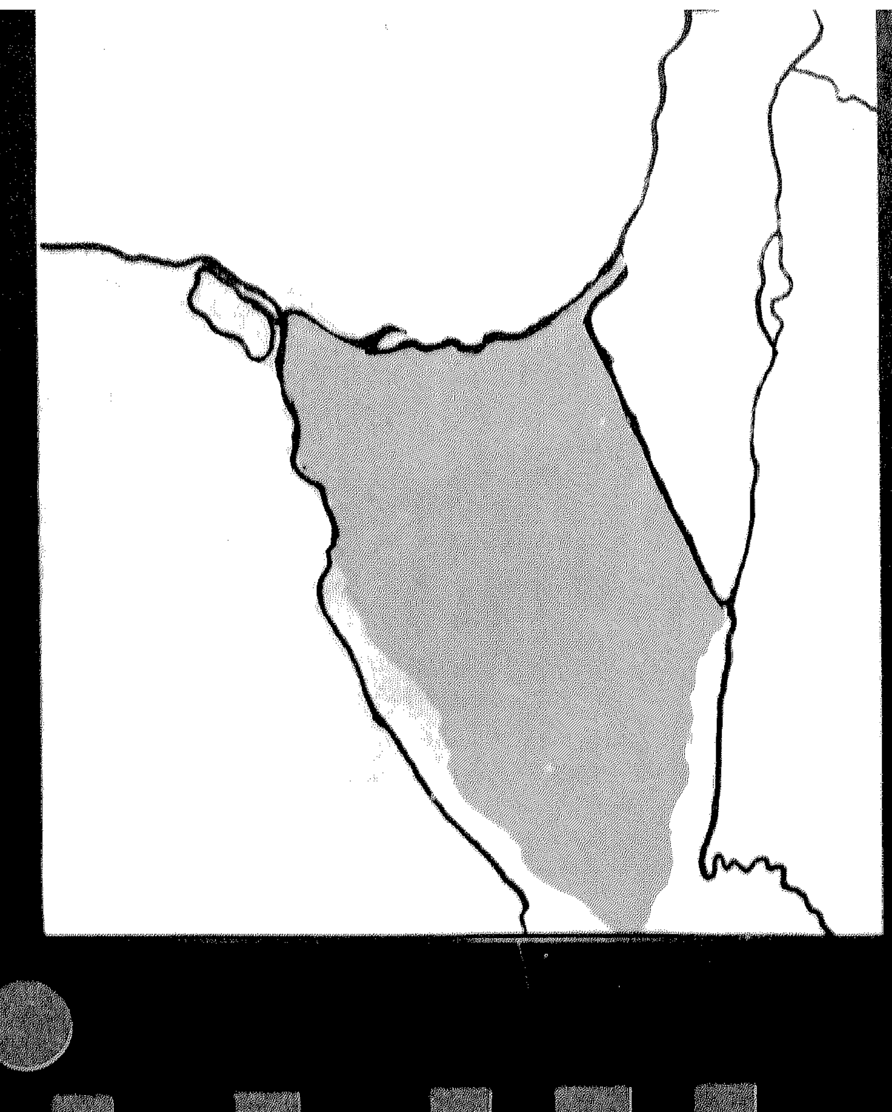
ـ ها قد وصلنا .

الى القبر ! سعدية تبحلق فى قسوة !
تشير اليهم .

ـ دعوه .
الشباب قساة ، ونحن الكهول لا نملك الا العيون ، عيون ميتة مفتوحة تلمع كزجاج ، سعدية تطرقع اللبان فى نشوة ، لم تعد تنظر الى ، لم اعد موجودا ، كم من العظام تنتظر اللحاد ، استدار اليها ، لا يزال فى فمه دخان الشيشة، اقترب منها، ضحكت فى خلاعة، استدارت نحوى ، اغمضت عينى ، قال :

ـ يالطيف .

تمايلت فى دلال ، مشت بدلع ، استدارت، ضحكت ، فغر فمه ، تدلى لسانه، مشى خلفها، انغلق الباب ، ران الصمت ، عمت الظلمة ، ساد السكون ، اسمع دقات قلبى ، دقات طبول لها رنين فى غابة ، اعد الدقات ، اشعر بالراحة ، اغمض عينى استسلم ، القلب يدق .. يدق .. يدق .



سيناء

أرض الأديان والتاريخ والمعارك

ليس في الدنيا احد لم يسمع بسيناء، فان شهرتها التاريخية والدينية جعلتها من اقرب معالم الدنيا الى قلوب الناس . انها جزء من الوطن العربي المصرى ولكنها كذلك قطعة من تاريخ البشر . وعلى طول تاريخ مصر كانت عنايتها بسيناء عظيمة لا لاهميتها الاستراتيجية فحسب بل لان لها مكانة روحية فى قلوب البشر اجمعين وستتحول سيناء باذن الله الى مركز من اكبر مراكز العمران والصناعة فى العالم العربي وستظل تحتفظ بمكانتها الروحية والتاريخية .



حزان صغير من خزانات المياه التى تنتشر فى سيناء ويجلب الماء الى هذه الخزانات من الابار المجاورة لكى تستطيع الجمال ان تحصل على حاجاتها منه .

امرأة من سيناء فى كامل زينتها التى تخرج بها فى الطريق وهذه الهيئة عامة بين جميع البدو سواء فى سيناء او فى الجزيرة العربية

تروى المزارع آليا عن طريق شبكة أنابيب تتصل بخزانات يجلب اليها الماء من أماكن بعيدة .

● لا يتصور القارىء العربى مقدار الخطر الذى كانت تتعرض له سيناء ، والذى تتعرض له الاراضى المحتلة كلها اذا ترك الامر على ما هو عليه سنوات اخرى ..

ذلك ان سيناء ارضنا ما فى ذلك شك ، وكذلك الضفة الغربية والقدس ــ ارض الفلسطينيين والجولان ارض السوريين .

نحن نتمسك بارضنا ولا نفرط فى شبر منها . ذلك حق .

ولكن هذه الارض المحتلة بعيدة عنا طالما ظل الاحتلال قائما . انها محرمة علينا . كل ما نستطيعه هو أن نحلم بها ونفكر فى الوقت الذى تعود فيه الينا ..

ولكن ، الى أن تعود الينا ، اذا مضينا على أسلوب العمل الذى سرنا عليه منذ ١٩٦٧ بل منذ ١٩٤٨ ، فماذا يحدث على أرضنا السليبة منا ؟ ..

اننا نتصور أنها هناك فى انتظارنا ، وأننا سنجدها كما هى حتى لو غبنا عنها مائة سنة ...

ولكن الامر على خلاف ذلك ...

لاننا اذا كنا لا نستطيع اليوم الا الحلم بالارض ، فان غيرنا عنده هذه الارض ، وهو يتصرف فيها ويعمل ويرسم ويخطط، ثم يبنى وينشىء ...

والعالم الذى حولنا عالم حقائق لا عالم احلام ، أو قل هو عالم الاحلام التى تتحول الى حقائق ، لان الاحلام لا تساوى أكثر مما هى ! أحلام . تسعد صاحبها . ولكنها لا شىء عند الاخرين .

***

والاسرائيليون قوم خطرون . انهم أقوياء من نواح شتى ، فلهم رصيد قوى من التأييد فى الغرب ، ولديهم علم وقدرة على العمل العلمى المنظم وملكات فى التخطيط المنظم ، ثم ان لديهم المال . لديهم كل ما يحتاجون اليه من مال ليقيموا أى مشروع ..

وهم عندما وقعت فى أيديهم أراضينا المحتلة فريسة سهلة فى حرب يوليو ١٩٦٧ ظنوا ــ بل أيقنوا ــ ان العرب لن تقوم لهم قوة يحسب لها حساب خلال الخمسين سنة التالية ..

وفى غمرة النصر الذى كسبوه فى يونيو ١٩٦٧ وفدت على اسرائيل الوف من اليهود من شتى البلاد وفى أذهانهم ان أرض اسرائيل قد تضاعفت وانهم يستطيعون ان يعيدوا على الارض المحتلة كل الاسطورة التى حققها المهاجرون الامريكيون . وبالفعل قالوها بصراحة : هذه الاراضى هى الحدود المفتوحة لاسرائيل لكى تمتد وتتوسع ، والامر متوقف على شجاعة الاسرائيليين وروح المغامرة ، هنا يستطيعون أن يمتدوا وينشئوا ويعمروا ...



منظر عادى يراه السائح فى سيناء قرب واحاتها والنخلة هى الشجرة الاساسية التى تنبت فى شبه الجزيرة الواسعة وعليها اعتماد الناس فى الحياة

وكان بن غوريون قد رسم لهم الطريق لذلك ، وقال بالفعل ان أراضى العرب هى الحدود المفتوحة لاسرائيل ...

ومن الجزائر وحدها وفد على اسرائيل خلال ما بقى من سنة ١٩٦٧ وما تلاها من سنوات حوالى ٦٠٠ر٠٠٠ يهودى فرنسى ومغربى هاجروا من هناك بعد الاستقلال ...

هؤلاء أقبلوا وفى نفوسهم آمال وفى رءوسهم مشروعات ومن ورائهم دولة تشجع وتدفع ، ورءوس أموال كثيرة تعينهم على البدء فى تحقيق المشروعات ..

وبدأت قصة المستوطنات ...

والمستوطنات هى الاسلوب الذى لجأت اليه اسرائيل لكى تأكل الاراضى المحتلة قطعة قطعة ، ونحن بعيدون . ثم انستارا



سيناء

هذا المنظر تاريخي ففي كل نواحي الصحارى العربية يبني العرب هذه الخيام الصغيرة المصنوعه من وبر الجمل وتحاط الخيمة في العادة بمبان من الصخور يوضع بعضها فوق بعض تحيط بالخيمة لتحميها من الرياح والرمال

كثيفا هبط بيننا وبين أراضينا ، ولم نعد نعرف ماذا يجرى هناك ..

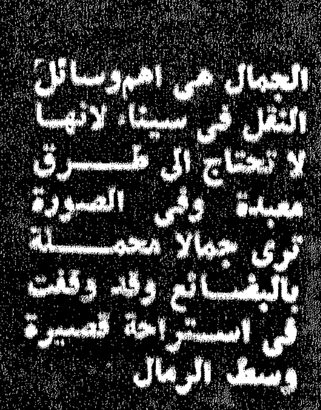
ويتصور البعض ان المستوطنة مجرد مجموعة من البيوت والمرافق تنشأ فى مكان ما من الارض المحتلة يعيش فيها وعليها بضع مئات من الاسرائيليين . ولكن الحقيقة ان المستوطنة اخطر من ذلك . انها جزء من مخطط عام رسمته الصهيونية للاستيلاء على اراضى العرب تحت ستار قرى تنشأ فى ارض فراغ او الى جانب مدينة عربية ، لان لكل مستوطنة مساحة ارضية تتبعها لا تقل مساحتها عن ثلاثة آلاف دونم مربع . هذه الارض تعتبر ملك الدولة الاسرائيلية ، وان كان المستوطنون يزرعونها ، وينشئون فيها مصانع او مشروعات .فمستعمرة ياميت التى انشئت غربى العريش تتبعها فى الاوراق السرية الاسرائيلية مساحة عشرين الف كيلومتر مربع . وهذه المساحة محددة عندهم على الخرائط ، فاذا انتظرنا عشرين سنة مثلا وجدنا ان منشآت هذه المستعمرة ومزارعها قد غطت هذه المساحة ، واصبحت من وجهة النظر الاسرائيلية ملكا للوطن الصهيونى ...

ثم ينشئون بعد ذلك مستعمرة أخرى وهكذا ، ومعنى ذلك ان اسرائيل كانت ماضية فى أكل الارض تحت ستار هذه العملية البريئة المظهر . والزمن كما نعلم عامل رئيسى فى موضوع الملكية ، فاذا استقر ناس فى أرض لمدة خمسين سنة وزرعوها وفلحوها دون ان يطالبهم احد بالجلاء أو ينازعهم فيها ، أصبحت ملكهم . لهذا يعتبر استخلاص سيناء من أيدى الاسرائيليين عملا حاسما بالنسبة لمصر وارضها ، ولو تأخرنا عن ذلك عشرين سنة أخرى لكانت استعادتها مستحيلة الا بالحرب ، وقد يحدث أن ننتصر ونستعيدها ولكن فى سبيل ذلك ينبغى ان نفترض أن مدن القناة وكثيرا من مدن مصر كانت ستتخرب بفعل القنابل ، ومعنى ذلك اننا سنحتاج الى سنوات وسنوات والوف الملايين من الجنيهات لكى نستعيد سيناء ونعمر أراضيها ثم نعمر ماتخرب من أراضينا الاخرى . وهذه مسألة لا يفكر فيها الكثيرون ممن ما زالوا يحسبون ان الحرب مسألة بسالة وجرأة ، وانك تستطيع ان تشن الحرب اليوم كما كان يشنها صلاح الدين فلا يزيد الامر على مبارزات فرسان ومواقع رجال ولا زيادة ...

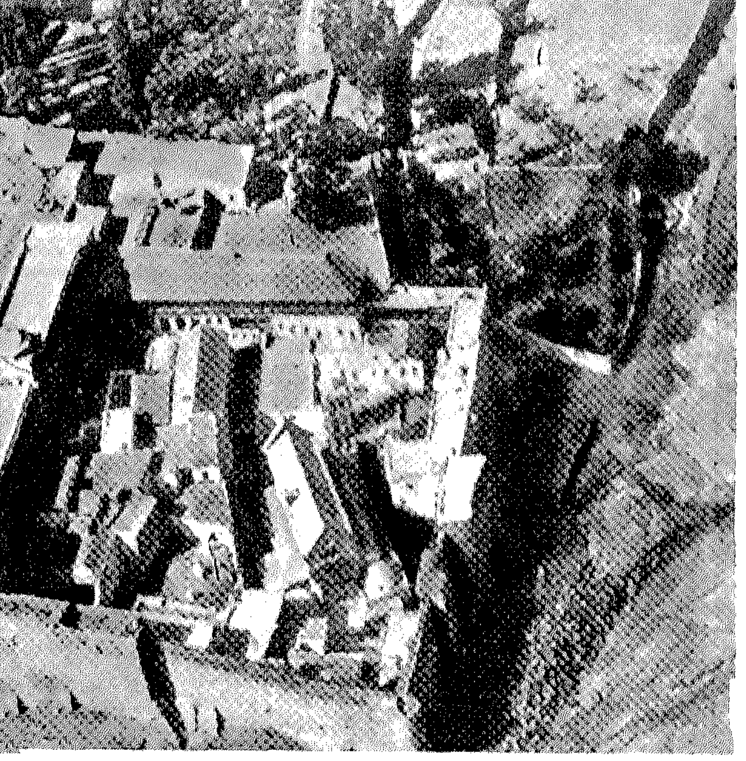
***

لنضف الى ذلك ان الاسرائيليين يصورون موضوع المستوطنات هذا عند الرأى العام العالمى على انه موضوع لنشر حضارة وعمران ، ويضربون على الوتر الحساس فى قلوب الغربيين فيزعموا أن الاسرائيليين مكافحون مساكين لا يبحثون الا عن الارض والتعمير لكسب القوت ، وهم ماهرون جدا فى هذا النوع من الدعاية ، والصحفيون الغربيون يضعون أقلامهم فى خدمتهم ، وينشرون الاساطير الكاذبة التى ينشئونها حول أنفسهم وما يزعمون من تضحياتهم فى سبيل

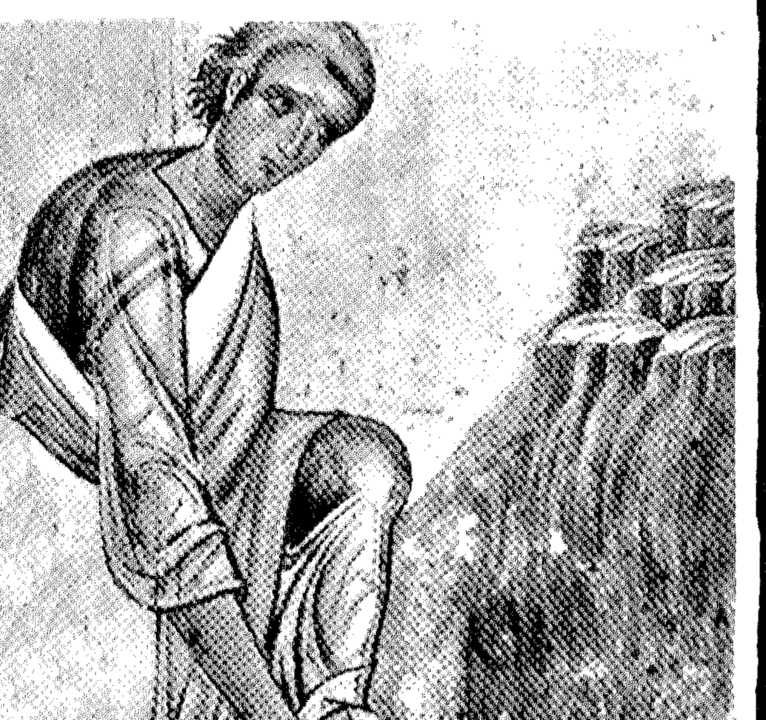




الجمال هى اهم وسائل النقل فى سيناء لانها لا تحتاج الى طرق معبدة وفى الصورة ترى جمالا محملة بالبضائع وقد وقفت فى استراحة قصيرة وسط الرمال

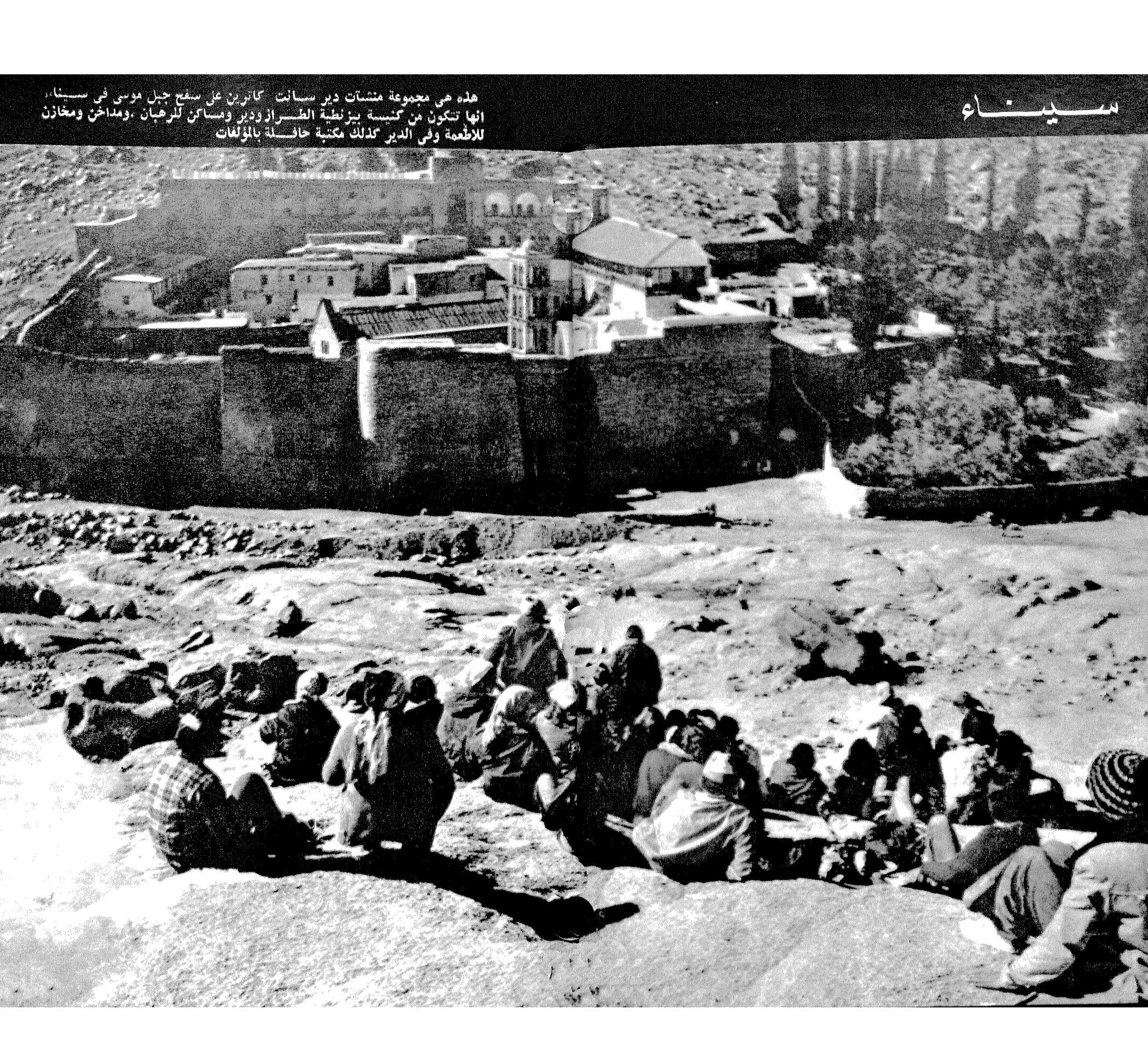


صورة لجانب من دير سانت كاترين الذى يرجع الى القرن السادس الميلادى فقد انشىء فى عهد الامبراطور جوستنيان وما زال عامرا الى اليوم



صورة بالفسيفساء على احد جدران كنيسة سانت كاترين • انها تمثل سيدنا موسى عليه السلام امام الشراب الملتهب الوارد ذكره فى الكتب المقدسة النصرانية واليهوديه •

سيناء



هذه هي مجموعة منشآت دير سانت كاترين على سفح جبل موسى في سيناء،
انها تتكون من كنيسة بيزنطية الطراز ودير ومساكن للرهبان ،ومداخن ومخازن
للاطعمة وفي الدير كذلك مكتبة حافلة بالمؤلفات

التعمير . بل انهم يزعمون أنهم يخدمون العرب بهذه المستوطنات ، فهم يعلمونهم كيف يزرعون على احدث الاساليب ، ويفتحون أمامهم أبواب الرزق والحياة الحرة الكريمة ، فى حين ان حكوماتهم نفسها لاتقدم اليهم أى معاونة ، ثم يزعمون انهم اذ يعمرون هذه الاراضى انما يقومون بعمل شرعى وقانونى أيضا ، ويجدون من يصدقهم فى ذلك ...

ثم ان لهم قدرة كبيرة على الكذب وتزييف الحقائق . واليك مثلا فقرة من مقال نشرته مجلة « البارى ماتش » وسمته ((وثيقة)) عن قطاع غزة : ((فى هذا الشريط الضيق من الارض كانوا يكدسون ٤٠٠ر٠٠٠ فلسطينى مساكين ، قطعوهم عن الحياة وارغموهم على العيش فى خيام وبيوت من الطين ، وحالوا بينهم وبين ان يتمتعوا بالمزايا التى تعرضها عليهم اسرائيل . ومنذ سنة ١٩٤٨ والعرب يستعملون هؤلاء المساكين مادة للدعاية لما يسمونه بقضية فلسطين ، ويتقاضون من وكالة الغوث معونات غذائية لهم بما قيمته فرنك ونصف فى اليوم لكل نفس ، ومن المشكوك فيه جدا أن هذه المعونة تصل الى أصحابها ..

« أما الآن فمنذ تولت اسرائيل أمر القطاع فقد اختفت الخيام وبيوت الطين ، وقامت البيوت والشوارع الواسعة وارتفعت فوق أسطح البيوت ساريات التليفزيون ... أما مستوى حياتهم فمهما قيل فيه فهو أعلى بكثير من مستوى الحياة فى البلاد العربية المجاورة ... وقد نجح الاسرائيليون فيما فشل فيه العرب، وهو عقد الصلح بين أهل غزة واللاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون حول البلد ، فاصبحوا الان شعبا واحدا يعيش فى سلام ورخاء ... »

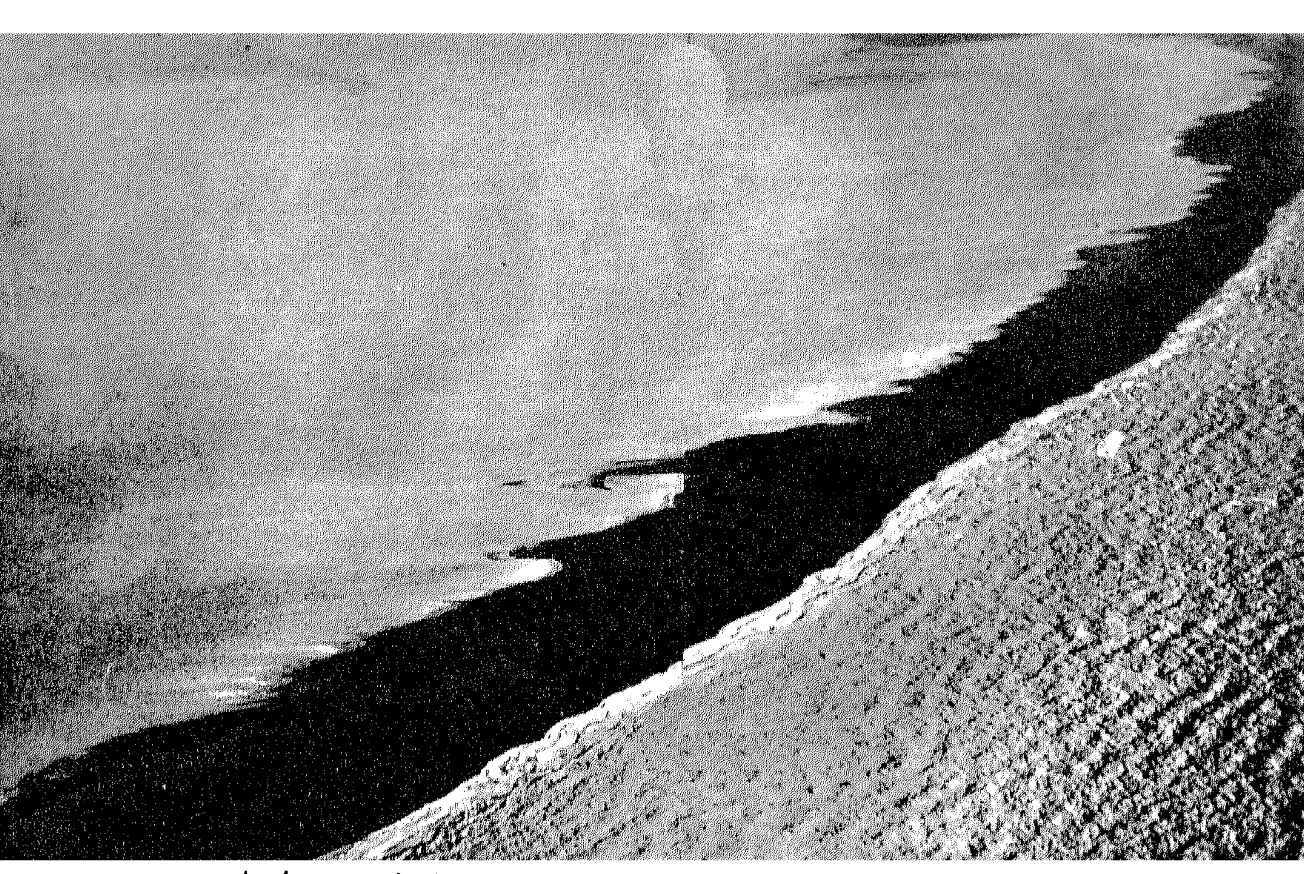
هذا طراز من كلامهم !

ثم يتحدث المقال عما يسميه « المعجزة » معجزة « تحويل الرمال الممتدة من غزة الى الموضع الذى أنشأوا فيه مستوطنة ياميت على مبدأ بحيرة البردويل الى جنة خضراء تخرج كل الثمرات ، وكل ذلك بالجهد والعرق والاموال اليهودية . ان البدو فى هذه المنطقة يستقرون ويتحولون الى زراع منتجين بعد ان ظلوا الوف السنين همجا لايعرفون استقرارا ولا حضارة » .

ويزعم الاسرائيليون انهم ابتكروا وسائل علمية جديدة لم يسبقهم اليها أحد لاستزراع الرمال والاستفادة من المياه الى اقصى حد ، ويقولون ان مؤسسات اوروبية وامريكية تستفيد اليوم من « العبقرية » الاسرائيلية ! وتعمر اراضيها بالاساليب الاسرائيلية ، وتقدم المعونات المالية السخية للباحثين الزراعيين الاسرائيليين ، فى الصحراء ، لانهم فى الحقيقة ينشئون حياة من العدم ، ويجددون فى عالم الزراعة والرى على نحو لم يسبقوا اليه » !

***

ثم يضربون على الوتر الدينى عند

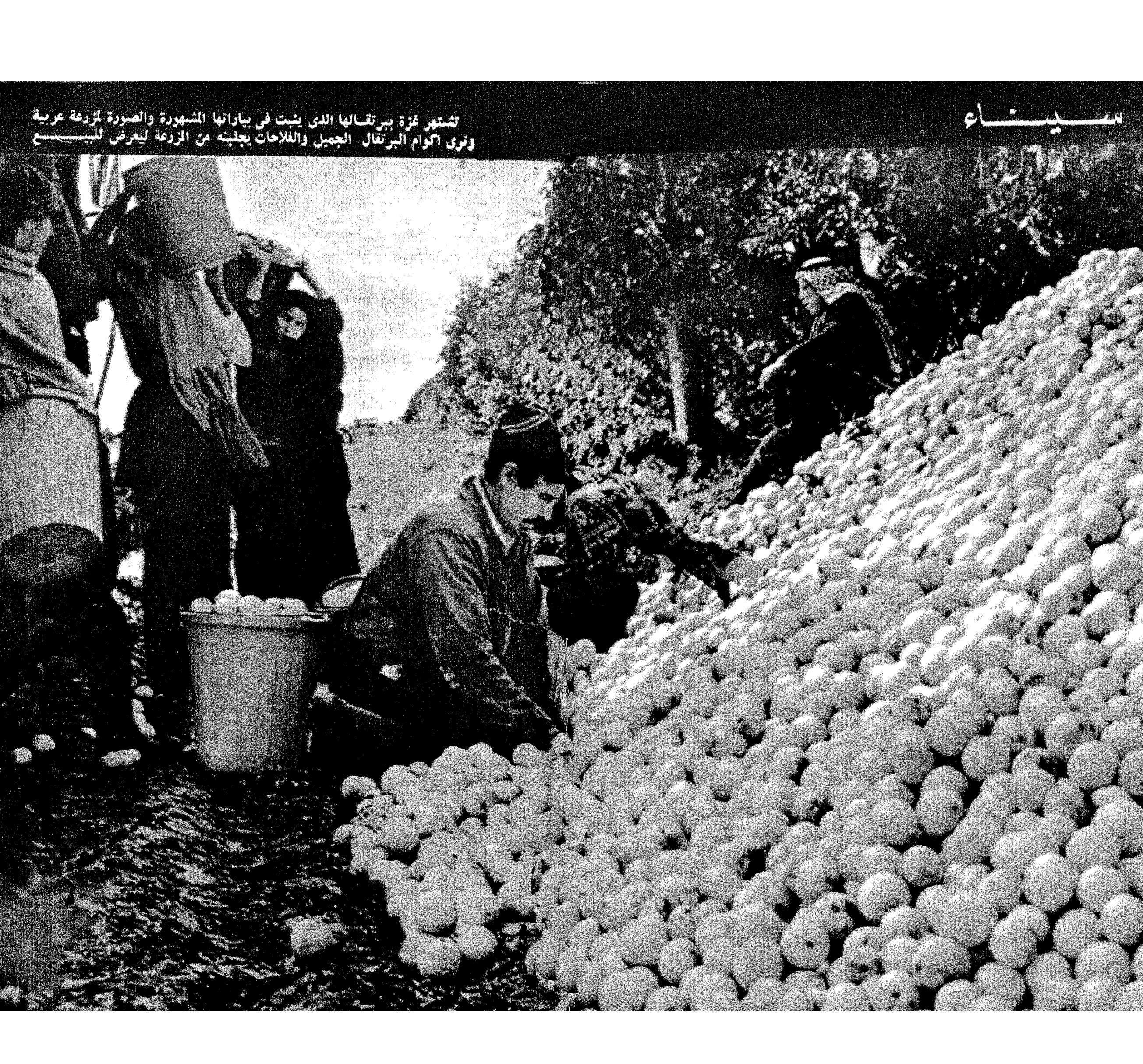


هذا هو جزء من شاطىء بحيرة البردويل فى سيناء وهى بحيرة مثـــل البرلس والمنزلة متفرعة من ماء البحر ، وهى تقدم امكانات سياحية واسعة

يهود العالم ، فيزعموا أنهم اكتشفوا على الحدود بين النقب وسيناء فى موضـــع يسمى « نيريم » معبدا يهوديا تاريخيـــا يرجع الى القرن الســـادس الميلادى ، اكتشفوه ورمموه وازالوا عنه الرمـــل واعادوه الى أصله ٠ وزعم الكاتب انه رأى هناك جماعة من اليهوديات اليمنيات اللاتى طـردن من ديارهن التى عشن فيهـــا فى اليمن من أجيال «!» يأتى بعضهن الى هذا الموضع ليعشن الى جانب المعبد القديم ، **وانشـــان لهن مســـتوطنة صغيرة وزرعن قطعة من الارض وانشان منازل لكى يتمكن من العناية بامر ذلك المعبـــد ٠٠ والان يستطيع كل يهود الدنيا ان يفدوا على ذلك الموضع حيث يقضون فترة من الصـــلاة والاعتكاف والعبادة فى معبد الاجـــداد وأرض الاجداد «!» ٠ وكلهن يشكرن الله على ان « وهبهن » هذه الارض ليزرعـــن فيها من كل الثمرات ويربين شتى أصناف الحيوان حتى ان بعض المستوطنات يربين الطواويس لانهن سمعن ان أجدادهن كان لهم الى جانب البئر الذى حفرنه حـدائق غناء فيها طيور وطواويس ! ٠٠**

***

ولكى يثبت اليهود دعواهم فى ان لهم حقا تاريخيا فى سيناء ، أثاروا ضجة فى العالم حول جبل موسى الواقع فى الجـزء الجنوبى من شبه الجزيرة فى مدخـــل المثلث الاخير الذى ينتهى برأس محمـــد ، ومن المعروف ان الاسرائيليين عنـــدما وضعوا أيديهم على شرم الشيخ ، أنشأوا هناك ما سموه بمدينة سياحية حديثـة ،



سيناء

تشتهر غزة ببرتقالها الذى ينبت فى بياراتها المشهورة والصورة لمزرعة عربية
وترى اكوام البرتقال الجميل والفلاحات يجلبنه من المزرعة ليعرض للبيع

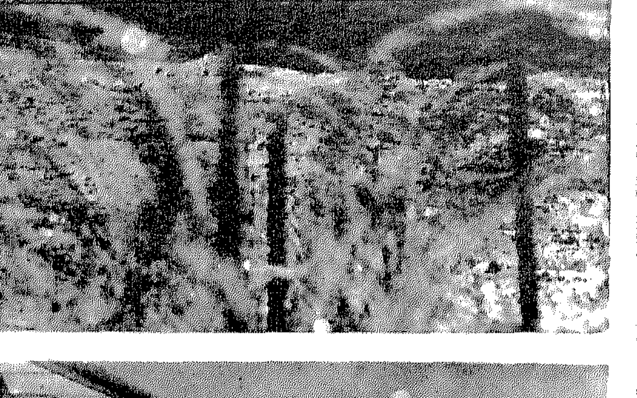
وانفقوا عليها أموالا طائلة ونشروا حولها دعاية كبرى ، وسنتحدث عنها بعد قليل ...

والذى يعنينا هنا هو أن نعرض على القارىء العربى كيف يزيف الاسرائيليون الحقائق لكى يوقعوا فى أذهان الناس ، ان لهم حقوقا تاريخية مشروعة على ذلك الجزء من سيناء ، فيزعموا أن منطقة جبل موسى لاتزال تسمى الى اليوم باسم حورب ، وان حورب هذا هو اسم حصن أقامه سيدنا موسى لكى يحمى الجبل من اللصوص ... ويقولون ان سيدنا موسى عندما مر بقومه بهذه المنطقة ، وجد فيها معبدا لاله مصرى قديم يسمى « سن » كان البدو يقدسونه ، وقد ازال موسى عليه السلام ذلك المعبد بامر من الله ، ثم بدأ فى تعمير منطقة جبل موسى الذى يبدأ فى سفحه الشمالى بمثلث من حجر البازلت يقوم عليه الجبل بعد ذلك ، وكانت هذه المنطقة فيما يقولون رمالا مقفرة لا يسكنها احد ولا يعرف مكانها الا البدو ... فاقبل المستوطنون اليهود وانشاوا عددا من الكيبوتس اى مستعمرات الصحراء تمتد من الجبل الى الساحل الجنوبى لسيناء ثم اكتشفوا مناجم للنحاس ومعادن اخرى فى وسط هضبة من الحجر الجيرى ..

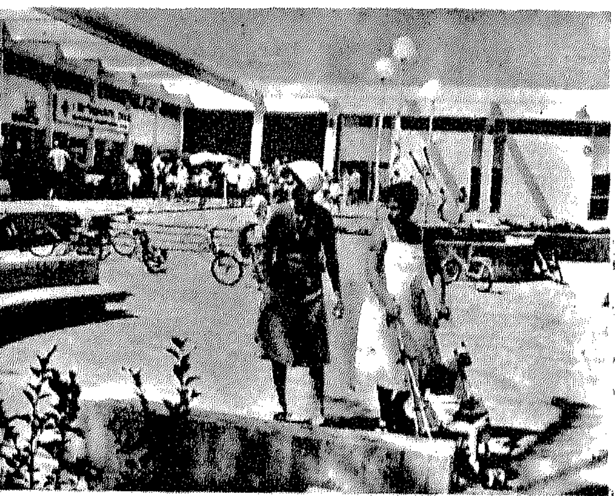
واقبل علماء اليهود يحفرون ويبحثون حتى تبينوا ان ما سمى فى الكتاب المقدس بجبل سيناء ، هو جبل موسى أو جبل حورب وهو جبل يرتفع ٢٢٨٥ مترا فوق سطح البحر ويصعد الانسان الى قمته عن طريق سلم من ثلاثة آلاف درجة . ويقول بعضهم ٣٧٥٠ درجة . ويزعمون ان اليهود القدامى هم الذين انشاوا ذلك السلم ، لكى يصعدوا الى قمة الجبل ، ويشهدوا الموضع الذى كلم الله فيه نبيه موسى تكليما .

وعندما يتكلمون عن جبل موسى وما قاموا به من أعمال التعمير واحياء القديم عنده يقولون ، ان هنا ـ وعلى أيدى الاسرائيليين ـ ولدت الحضارة الغربية .

وهكذا ترى كيف ان وجود سيناء فى أيدى أولئك الاسرائيليين كان فرصة لهم لكى ينشئوا أساطير ومزاعم يثبتونها فى أذهان الناس ، ترمى كلها الى القول بان الاسرائيليين الجدد يتابعون تقاليد أجدادهم فى العمل الحضارى الاخلاقى ! فمن والله يقرأ مثل ذلك الكلام من أهل الغرب ولا يصدقه ؟! .. اذا نحن تركنا الاسرائيليين على هذا الحال عشرين أو ثلاثين سنة أخرى فهل هناك شك فى أننا لن نستطيع بعد ذلك المطالبة بسيناء ، لان العقلية العالمية تكون قد اقتنعت حين ذاك بأن سيناء كانت على طول التاريخ أرضا اسرائيلية وأن المصريين العرب كانوا فيها غازين معتدين ؟! ومن ناحية أخرى قام اليهود بدراسات كثيرة حول خروج موسى عليه السلام من مصر والطريق الذى يمكن ان يكون قد سلكه . وهنا نجد الباحثين اليهود يجعلون الطرق المفترضة تخترق سيناء كلها من غرب الى شرق على كل مستوى ، وهم يريدون بذلك أن يقولوا ان سيناء كلها كانت مقاما لموسى وقومه أربعين سنة .. فاذا ربطنا هذه



صورة نادرة التقطت بمحطة من محطات الانذار المبكرعند مدخل ممر الجدى



مدرسة انشاها الاسرائيليون على طرف مستعمرة ياميت في شمال سيناء وستسلم هذه المدرسة بما فيها للسلطات المصرية قريبا



طفلة عربية مصرية في سيناء

الفكرة بفكرة المستوطنات الحالية تبينا ان الاسرائيليين في الحقيقة كانوا يرمون الى تحويل سيناء الى أرض اسرائيلية في الواقع الحاضر وفي التاريخ .

***

كل ذلك يلفت النظر الى أهمية مافعلته مصر الان من استرداد سيناء .. ان هذا العمل يعتبر انقاذا للوطن العربي كله . لان سيناء لا تمثل جزءا من مصر فقط بل هي جزء رئيسي من الوطن العربي كله ، فان سيناء هي التي تربط مصر بالعالم العربي ، وهي التي تربط البحر الابيض بالبحر الاحمر ، وهي أرض غنية بالبترول والغاز والمعادن ، وهي أرض معارك وتاريخ طويل .. ولو اننا تركناها عشر سنوات أخرى لما كان من الممكن قط ان نستردها الا بعد حروب طاحنة ، لا مع اسرائيل فحسب بل مع حليفتها الولايات المتحدة ايضا .

في مثل هذه الجميلة
قالوا



● لوحة .. ●

لوحَة السِّحر استباحت شغَفى
فاتنَنى قلْبى وغنّى طَـــربا
أذكرَتنى شـــالِفا من عهدنا
وزمانا ـ ويح قلبى ـ ذهبـــا
«همسة الحب» ـ وقد همت بها ـ
قد أمدَّت للتّـــلاقى سبَبـــا
من رآهـــا وهى فى روْعتِهـا
قدْ رأى ذوقا وفنّـــا عجَبا !

● مبارك المغربى ●
● السودان ●

● عندما نادتنى عيناك ●

أى سِحْر كامِن فى عُمْق عينيْك ؟ أجيبى
يا ربيعا مزهرا ، فى قَفر أيامِى الجـــديب
أنتِ إشراقَة شَمسى بعدَ إطلالِ المغيـــبِ
أنتِ أنشودة عُمرى ، أنتِ فى الدنيا نصيبى !

أى صوت نابع من سحر عينيك ، ينـادى
همسة كالحلم نادتْنى ، فلبَّاها فـؤادى
أرجعتنى لوجودى .. أيقظتْنى من رقـادى
هذه النَّظرة كانت جرعـة الماءِ لصـاد !
إنَّها كل مرامى ، إنهـا أقصَى مـرادى
فاذا بى سـابح كالنـور ، من واد لواد
وإذا بى مُفلت من قبْضة الصمتِ الرهيبِ
فمضى قلبى يُغنِّى ، كغنـاءِ العنـدليب
أى سِحر كامن فى عُمق عينيـك ؟ أجيبى
أنتِ يافرحةَ عُمرى ، أنت ياكلَّ نصيبى !

● عبد المنعم عواد يوسف ●
● دولة الامارات العربية ●

● زهرتان ●

متى تُطْفئينَ اللَّظى فى دمى
ويسنخو صِبالِك على موْسمى
بصدرِكِ قد صرَخت جمرتانِ
فـكـدتُ على نارهِ أرتمى
لقد وُلِدتْ فـوقه زهـرتان
وأخشى مراهقـةَ البُرْعُمِ !

● ابراهيم عيسى ●

● موعد ... ●

يا خطرة الأنسام فى لُطفِـه
ورنَّة العيـدان فى نبْـره
رحماك بالصَّبِّ الذى أضرمت
عيناك نـار الوجـد فى صدْرِه

ففرَّ عن عينيـــه طـــيرُ الكرى
وحطَّ طـيرُ الهمِّ فى فـــكره !
ولا يرى للصبح من موعِـــــد
إلاَّ مع الزلزال فى حَشْـــرِه !

● سعد عبد الرحمن ●
● الحمراء ـ اسيوط ●

● فى انتظار كلمة ●

بكلِّ الصـدق قلوابهــا
ولا تخفى ... أجيبينى
بلفظ سَـاحِرٍ غــرِّد
يقرِّبنى ويُدْنينى ....
من الجنَّــاتِ مـورقة
وينعشنى ... ويحيينى !
إلامَ تفـــرق الإلفيْـ
ين بَيْن الصدِّ واللينِ
وهَــذا حبــك المو
رُ يهـدِرُ فى شرايينى :
فأبقى ، ليس بى وهـــن
ولا الأفـكارُ تُردينى !
حبيبى عَادَ بينَ يَـدىَّ
أغنية ... تنَــاجينى
فَقَولى لفظَــة خُضرا
ءَ ساحِـرة ، فتَروينى !

● حسين على محمد ●

قصة

المستندات

● سعد رضوان ●

● حياني الرجل بترحاب وود ، ولم ادر كيف أبدأ الحديث معه ، فهي قد أخبرتني انه دقيق ، وانه يجب أن اعد كل الأوراق والمستندات اللازمة، فلاأترك ورقة تنفع في موضوعي دون احضارها ..

وكنت قد اعددت العدة ، وحملت حقيبة صغيرة بها ما يحتاجه الامر من أوراق .. وحسب مفهومي لاهمية الاوراق فقد رتبتها ووضعتها في جيوب الحقيبة المختلفة بطريقة تمكنني من اخراجها واحدة واحدة حسب الحاجة اليها .

وقال الرجل : « لقد شرفتني بهذه الزيارة » .

فقلت مجاملا :

ـ انا الذي تشرفت وتجرات ، ولكنى فهمت انه يمكنني أن أحضر اليوم فهو اليوم الوحيد الذي تسمح ظروفكم بمقابلتي فيه و .. واني آسف ..

فقاطعني : « يا رجل لا داعي للمجاملة. لندخل في الموضوع » ..

فقلت : « آه .. » وسكت .. وفكرت في أن الرجل ما دام يهوى الاوراق والمستندات فيحسن أن أقدم له نفسي بالمستندات ... وهكذا وضعت يدي في جيبي الخلفي المتضخم واخرجت الاوراق التي أضعها به دائما ، ولا أستطيع السير بدونها ..

ووضعت كومة الاوراق على المائدة امامي ثم بحثت حتى أخرجت بطاقتي الشخصية وقدمتها له :

ـ هذه بطاقة هويتي ..

وأمسكها ، ونظر اليها ، وقلبها وفتحها ، ثم وضعها جانبا قائلا :

ـ حسنا .. انها توضح اسمك ، ومهنتك ، وعنوانك ، ومكان وتاريخ ميلادك .. ولكنها ليست مستندا كافيا ، فكل الناس تحمل هذا المستند !

وفتحت الحقيبة ، وقدمت له جواز سفري ، فقلبه ببطء وتدقيق ، ثم وضعه جانبا قائلا :

ـ لا يوجد أي اختلاف بين بيانات الجواز والبطاقة .

ـ اختلاف !

ـ لا تؤاخذني ، فاحيانا يحمل الناس اوراقا مزورة ، لذا فانا اعتدت أن ادقق .

ـ معك حق ، ولكن .. هذا ترخيص سيارتي ..

واطلع عليه ، ثم وضعه جانبا بعد أن راجع بياناته على بيانات البطاقة ، ثم قال :

ـ البيانات واحدة ، ولكن الختم غير واضح فوق صورتك ! ..

ودهشت ، ووقفت أنظر الى الرخصة ، ثم قلت :

ـ يظهر انه لم يكن هناك حبر كاف بالختامة عندما ختمها الموظف .

وذكر الرجل : « آه ... جائز ، على العموم هذا لا يهم ! »

ومضت لحظة صمت قبل أن اقدم له ورقة أخرى قائلا :

ـ وهذه هي رخصة تسيير السيارة .

فامسك بها ، ودقق فيها قليلا ، ثم سألني وهو يضعها جانبا :

ـ هل تسير هذه السيارة ؟ .



ـ اعرف انها قديمة .. ولكني اعتني بها ، وهي تنفعني في اغلب انتقالاتي ، وان كنت لا اذهب بها الى عمل لانى اعانى من مشكلة عدم وجـود موقف اتركها فيه ، ولهـذا استخرجت لنفسي اشتراكا فى الاوتوبيس ـ ها هو ..

فامسك بالاشتراك ووضعه جانبا قائلا:

ـ عظيم .. ولكن ليست هذه مستندات كافية !

ـ آه ... تذكرت ، هـذه بطـاقة المؤسسة التي اعمل بها ، والتي بدونها لا استطيع الدخول او الخروج من بابها .

ووضعها فوق باقي الأوراق على الطاولة وهو يسال :

ـ الا توجد معك مستندات ؟

وكانت مازالت بيدى بعض الاوراق التى يحملها جيبى الخلفى ، ونظـرت فيها ، بطاقة عضوية نادى الزمالك ، ولكن هذا لا يهم ، فوضعته بيدى فوق باقى الاوراق الاخرى ، ولكنه مد يده وأخذه ونظر اليه وسالنى :

ـ هل انت رياضى ؟ .

ـ الحق انى لسـت رياضيا ولكنى امارس السباحة والعب التنس .

ـ اظن ان هذا يكلفك كثيرا .

ـ ليس بالكثير و ..

ـ مهما يكن فالنادى خير من الجلوس بالمقهى او الوقوف بالنواصى ، ولكن المهم ، ماذا معك أيضا .. اعطنى هـذه الاوراق كلها ، وسأفحصها مرة واحدة ..

ومددت يدى بباقى الاوراق التى كانت بجيبى وسلمتها له ..

وقال: «آه » دفتر توفير بالبريد .. ولكنك لا تدخر كثيرا ! »

ـ الحـق انى غير منظم فى حيـاتى ومصروفى ، ولكنى أعتقد انى سأنظم نفسى من الان ..

ـ هذا هو الواجب ... وهذه مفـكرة صغيرة ، هل تسمح لى بالاطلاع عليها ؟

ـ طبعا ، طبعا .. ليس بها غير عناوين أصدقائي ومعارفي وأرقام تليفوناتهم و .

وتوقفت حين وجدته يقلب في المفكرة غير منتبه الى كلامى .. ثم اكتشف اسما بمفكرتي كان يعرفه فعلق على شخصه ، ثم وضع المفكرة وهو يزم شفتيه ويعيـد سؤاله :

ـ الا توجد عندك مستندات ؟

وفكرت ثم فتحت حقيبتي ، ومن احد جوانبها أخرجت أوراقا قدمتها له : « هذه شهادة تخرجي فىالجامعة.. »ونظراليها ثم وضعهـا جانبا : « وهـذه شـهادة استخرجتها من ادارة شئون العـاملين بجهة عملي بقيمة مرتبى » . فنظر اليها ، ثم علق :

ـ لا اظنه يكفى للمعيشة .

ومن جانب آخر من الحقيبة اخرجت عقد تملك شقتي التي اسـكنها ، وكان تعليقه بعد الاطلاع عليه :

ـ رغم ان الشـقة فى حى غير راق ، ولكنها مع مرتبك ربما تمكنك من العيش المتوسط .. هل لديك مستندات اخرى ؟

لست ادرى اية مستندات يريدها هذا الرجل ..

وفتحت الحقيبة مرة اخرى واخـرجت اوراقا من احد جيوبها ، واخذت اقلب فيها لاقدم له ما قد ينفع .. ولاحظ الرجل بين



الاوراق التي بيدي دفتر شيكاتي ، فمد يده وامسكه وسال :

ـ هل لديك رصيد ؟

وكان معي كشف البنك ، وكان الرصيد ليس بذي قيمة ، فلما اطلع عليه القى بالكشف والدفتر جانبا واعاد سؤاله عن المستندات ! ..

وقدمت له شجرة العائلة ، وهي شجرة بتسلسل افراد أسرتي ابا عن جد ، كان قد اعدها ناظر لوقف استحققت فيه حصة ، فلما حل الوقف قدم الناظر الشجرة الى لجنة القسمة لتحديد الاصول والفروع والحصص ، الخ .. وكنت قد حصلت على نسخة من الشجرة احتفظت بها واحضرتها معي ..

وكان تعقيبه : « انت من اسرة قديمة » كان هنالك اناسا من اسر حديثة، وليست كل الاسر تنتهي بجدنا المرحوم آدم ..

ثم وضعها جانبا ..

وقدمت له بعد هذا عقود شراء ثلاجة ، وتليفزيون ، وسخان ، وموقد غاز و .. وبالجملة جميع الادوات الكهربائية بالمنزل ... وكذا عقود شراء أثاث ثلاث حجرات: صالون ونوم وطعام ، واثاثات أخرى أثثت بها شقتي ، بل وقدمت له مستندات تثبت اني لا أعول أحدا ، فوالداي لهما حياتهما الخاصة ..

ولكنه بعد كل هذا عاد يسال عن المستندات ! ..

ان هذا الرجل ليس دقيقا كما قالت ، بل هو مجنون ..

وأحسست بالرغبة فى أن انهي الزيارة وان أترك الموضوع باكمله ، فلا يمكن لانسان أن يعد مستندات واوراقا اكثر مما أعددت .. لابد أن ...

وفجأة ، دخلت الفتاة الى الصالون تحمل صينية فوقها زجاجات من المياه الغازية ..

وقمت واقفا بسرعة ، ونظرت الى المنضدة التى امتلأت بالاوراق فلم يعد بها محل لوضع الصينية ... وبدت الحيرة على الفتاة ، ومددت يدى أفسح مكانا فسقطت حقيبتى فوق الارض ولم أكن قد اغلقتها فتناثرت منها رزمة الاوراق التى كنت قد أعددتها بداخلها ولم أطلع الرجل عليها لعلمي انها ليست بمستندات ..

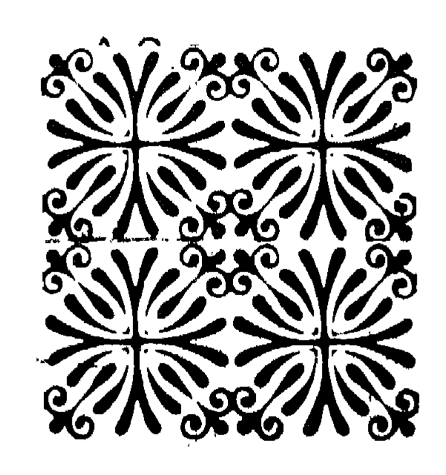
وتبسمت أسارير الرجل وهو ينظر الى الاوراق وينحنى يلتقطها ..

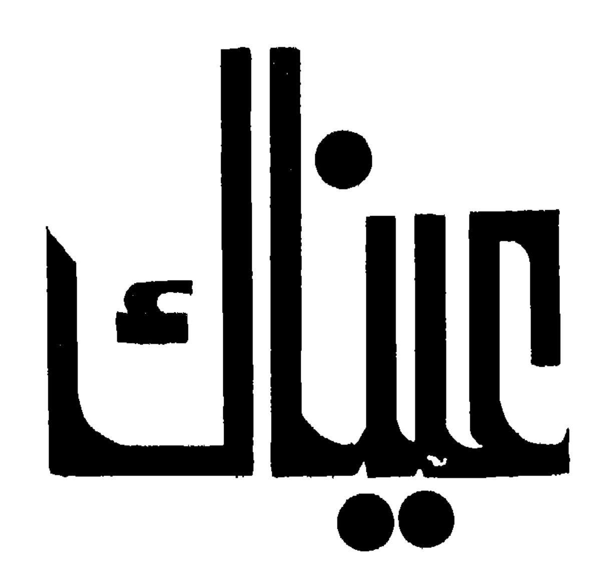
وامسك الرجل برزمة النقود التي سقطت من الحقيبة ، وهش فى وجهى وهو يبتسم قائلا :

ـ يا أخي ! .. مادامت معك هذه المستندات .. فلماذا لم تطلعني عليها من قبل ؟! . الان استطيع ان اتفق معك على تزويجك ابنتي !

ثم قال لابنته :

ـ اجلسي يا عروسة حتى اعد المستندات ... !





• محمد حليم غالى •

لملمي ومضةَ عينيك ضميها فى الجفونِ

إنها ترشُقُ أرواح ظمآء فى جنــــونِ !

وأبينى كيفَ قال المبدعُ الخلاقُ : كونى ..

جُنَّ « فستانك » مصبوبا على جسم أنيق !

وحنين ضمَّ أزرارك فى خصــر رقيــق

مُخْملُ القدِّ .. فيا مجنونة الثوب أفيقى !

أتراك فيه طيفا صِيغَ من نَفْضِ العبير ؟

أتراك فيــه أحلاما عذارى فى الصــدور ؟

ضمَّ أسرارَ جمال وفنــونْ فى سطور ؟

باكتاب الحبِّ مكنونَ الرؤى من كلِّ فــنٍّ

تكتب الفتنة فيــهِ صبوات من تمَــنٍّ

يوقظ القلبَ .. ويحيى الروحَ فى لحن أغنِّ

رسالة غرام

للشاعر : و. هـ. أودن

• د. سليم الاسيوطى •

ولد الشاعر وأيستان هيو اودن فيمدينة يورك بانجلترا ولكنوالديه حملاه الى برمنجهام عندما بلغ سنه من عمره . كانت المناظر الريفية الطبيعية الرائعة فى اواسط البلاد الصناعية ذات تاثير قوى عميق على شعره . كان مولده فى عام ١٩٠٧ وتوفى فى التاسع والعشرين من سبتمبر لعام ١٩٧٣ ، وهو فى السادسة والستين من عمره ، فى فندق فيينا اثر نوبة قلبية بعد محاضرة القاها على « الجمعية النمساوية للأدب » .

كان والده طبيبا لامعا وفى الوقت نفسه عالما سيكولوجيا واثريا معا . ذهب الى المدرسة الخاصة، « جريشام سكول ، هولت » ، فى « نورفولك » . ثم من بعدها الى كلية « كرايست تشيرس في اكسفورد » بمنحة تعليمية من الجامعة لدراسة البيولوجيا (علم الاحياء او علم الحياة) . وبعد هذه الدراسات ، شعر برغبة ملحة لدراسة اللغة الانجليزية ، وكان له ما اراد، وفى هذه الاثناء تعرف على شاعرية جياشة يمور بها كيانه . فقبل الاشراف على تحرير « مجلة اكسفورد للشعر » بالاشتراك مع سيسل دياى لويس .

وفى عام ١٩٢٨ سافر الى المانيا أولا ثم أيسلندا فيما بعد . وفى عام ١٩٣٩، ذهبالى اسبانيا وخدم فىاللواء الدولى. وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية بتسعة اشهر ذهبالى الولايات المتحدة الامريكية حيث أصبح مواطنا أمريكيا فى عام ١٩٤٦ .

وفى عام ١٩٥٦ انتخب استاذا للشعر فى اكسفورد . كان محاضرا محبوبا من الجميع يأسر القلوب ويأخذ بمجامع الالباب ، فجمع حوله جماهير حاشدة من المعجبين المحبين لفنه .

كان « أودن » يتمتع بموهبتين رفيعتين كشاعر. احدى هاتينالموهبتين هى علمه الفذ باللغة فلم يترك بحرا من بحور الشعر الا وملك ناصيته ومارسه بقدرة فائقة ونجاح باهر ، فلم يمتنع عليه لفظ ولم تستعص عليه كلمة ، بدا أن كنزه من المفردات لا ينضب. . كما انه ايضا كان يتمتع بموهبة أن يعيش شخصيات الآخرين ، وبذا تمكن من التعبير عن روح كل كاتب آخر . .

كانت الصور البلاغية تنساب فى كل عبارة من عباراته فاكسبته هذهالبلاغة جمهورا عظيما يعظمه ويتعلم منه طريقة جديدة للشعور والاحساس، مما أضفى على حياتهم معنى واعطاها اهمية لم يالفوها من قبل .

وهكذا بدا حتى عام ١٩٣٩ الداعية الملهم ، الى الحب ، والثورة على الظلم والطغيان وتحطيم الانظمة التى تنطوى على الغش والخداع .

ويقول الناقد فريزر عن أودن : ان أودن تنقصه « الفورية الذاتية » أعنى البداهة الشخصية .

والحق أن اودن لم يهتم حتى وفاته بتجربته الذاتية ولا بتجربة الآخرين ، من أجل التجربة للتجربة ، ولكنه كان يهتم لها كمثال لحال عامة .

وحينما كان اودن يحقق ولو القدر الأدنى من وضوح الحجة وصفاء الاسلوب وتبصر الرأى ، فاننا نلمس تاثيره قويا يفرض نفسه علينا . .

وليس هناك قصيدة لاودن تتصف بهذه الصفة ويظهر فيها هذا الاتجاه واضحا جليا مثل قصيدة « رسالة غرام » :

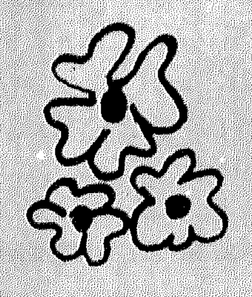
قصيدة رسالة غرام

منذ المجىء الاول الحقيقى
الى واد جديد والوجه عابس
بسبب الشمس والطريق الضليل
تمكثين بالتاكيد . واليوم
حيث انا ، جاثم خلف حظيرة اغنام ،
سمعت صوتا مفاجئا ، لطائرة مسافرة
تزار فى وجه العاصفة ، وابصرت
فى السماء بقوس كهربى لدائرة مغلقة
ودائرة الحب التى خمدت ، يعاودها
تيار رتيب لا يتوقف
سوف نرى ، سوف نعبر ، كما رانا
طائر السنونو فوق القرميد وخضرة
الربيع
بنسماته العذراء قد مرت
دفيئة وحيدة ، وكانت الاخيرة
التى تغير خط سيرها فى الخريف ،
ولكن الان ،
وحتى اواجه جرف التل المالوف
واستشعر التفكير المطمئن ، حتى المساء
تجىء رسالتك تتحدث الى كشانك حين
تتحدثين عن كثير ، ولكنها لا تجىء .
والكلام ليس سرا مكتوما والاصابع غير
خدرة
اذا لم يكن الحب قد تلقى ردا ظالما
او وعدا خادعا
وانا محتشم ، على مدار العام ، اتحرك
كشخص مختلف ، او بحب مختلف ،
ولا اسرف فى الشك فى الايماءة ،
ولا الابتسامة الحجرية لمعبود هذا البلد،
الذى لم يكن قط اكثر كتمانا
يخاف دائما ان يفضى باكثر مما يعنى.



و. هـ. اودن

From the very first coming down
Into a new valley with a frown
Because of the sun and a lost way
You certainly remain. Today
I, crouching behind a sheep-pen, heard
Travel across a sudden bird,
Cry out against the storm, and found
The year's arc a completed round
And love's worn circuit rebegun
Endless with no dissenting turn.
Shall see, shall pass, as we have seen
The swallow on the tiles, Spring's green
Preliminary shiver, passed
A solitary truck, the last
Of shunting in the Autumn; but now,
To interrupt the homely brow,
Thought warmed to evening through and through,
Your letter comes, speaking as you
Speaking of much but not to come.
Nor speech is close, nor fingers numb
If love not seldom has received
An unjust answer, was deceived;
I, decent with the seasons, move
Different or with a different love,
Nor question overmuch the nod,
The stone smile of this country god,
That never was more reticent,
Always afraid to say more than it meant.



تبدو هذه القصيدة من خطابين، عن رسالتين ، لا رسالة واحدة ، الرسالة التي تلقاها صاحبها ، ثم الاجابة عنها وهو نص القصيدة . وأقل ما يقال فى هذا الشأن أن القصيدة ستتعدى هذا النطاق ، فهى رسالة موجهة اليك . فالشاعر يستهلها بتعليق وجيز وتصريح مكبوح عن بداية الحب ودوامه ــ « فانت تمكثين بالتأكيد » تعبر عن الشعور بالحب تعبيرا هادئا .

ويحدث مرتين فى القصيدة : جهل بالماضى حينما كان وحيدا فى العاصمة، يذكر وهو مازال يؤمن بالمستقبل: «دائرة الحب الكهربية التى خمدت ، يعاودها تيار رتيب لا يتوقف » .

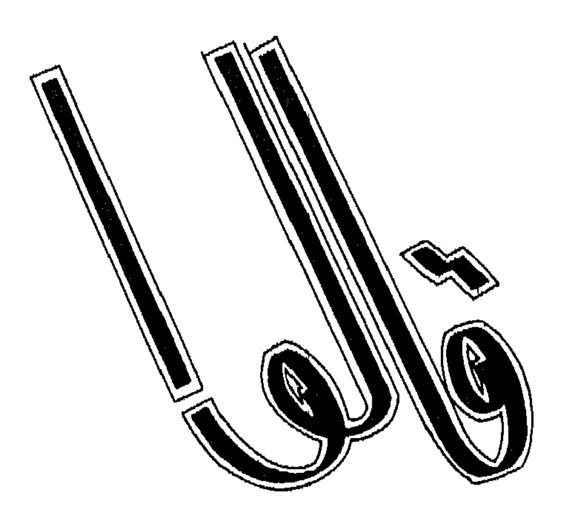
واللحظة التى تسلم فيها الخطاب ، الذى يلقى بظله على ذلك الماضى حتى أن « العبوس » ــ « والطريق الضليل» ــ « والدائرة الكهربية الخامدة » ــ « والتيار » تصبح كلها من خصائص الماضى والمستقبل ، كليهما ، وتلائم ملاءمة صادقة ، للماضى ، وبصورة عامة للمستقبل .

أما الكلمات : « العاصفة » ، « وزئير الطائرة » و « الوحدة » فكلها مصادر ضغط وتعبير فى قانون موجز عن الوضع كيف كان وكيف يكون الآن. ان الرسالة (الخطاب) التى تأتى بالاخبار تجىء فى صورة موجزة ايضا . « يتحدث عن كثير ولكنه لا يجىء » .

ان (الرسالة) لا تصف شعور الحب والأمل واليأس وصفا مفصلا . اما الاحساس فلا يظفر بوصف قط ، ولكن تلمح اليه فحسب الصورة واللفظة المكتومتان ، اللتان تنقلان ، فى لياقة واحتشام ، الاحساس العظيم ، فى صمت مهذب . ان النص المعقد فى قوله : « والكلام ليس سرا مكتوما » وصيغة المبنى للمجهول « اذا لم يكن الحب قد تلقى ردا ظالما » وضغط سلسلة الاحداث من « خدع » ، ثم حذف كلمة أو اكثر والانتقال المفاجىء من زمن الى زمن الذى يبدو أنه يكشف عن حقيقة هذه الحال الخاصة ، تسهم جميعا في تأكيد الكتمان .

ان الزمن المزدوج والازدواج العاطفي فيه ، والاسلوب المحكم الموجز ، ورفض التعبير عن الشعور الصريح ، تزن جميعها ، فى هدوء ، الشعور وتقدر قيمته . ومن ثم فان هذه القصيدة ليست مقصورة على احداث توتر بين الصورة المتزمتة ، والشعور الكامن القوى ولكنها قصيدة عن « الكتمان » ثم « وأنا محتشم ، مع مرور الفصول » هنا يستخدم الشاعر لفظ « الاحتشام » بمعنى الأسبقية ، وهو يعبر مجتازا بثقة واطمئنان ، كما تعبر الايام والفصول . وهذه ايضا توحى بالاحتشام فى اخذ الامور ماخذا سهلا، هادئا ، دونما جلبة أو ضوضاء .

ان الخسارة يمكن احتمالها والاسراف فى الحزن غير مجد ولا ملائم وربما يكون خادعا ومضللا . ان القسوة والكبت فى القصيدة يعطيان صورة صادقة لما نبحث عن علاقته وأسبابه ، وصورتهما فيها ديناميكية تبعث الحزن فى النفوس وتشيع فيها الأسى والمرارة فى الوقت المناسب ، وتحملنا عبر شعور مثير ، ونحن فى مرحلة من المراحل نظن أن « الكتمان » يعني « تحمل الشدائد» ولكنه يبدو فى النهاية انه يعنى «الأمانة» فان غيبة التاريخ ، والصفة المميزة والعلة تلقى كلها بثقلها كاملا على الشعور غير البارد وغير الغامض ، ولو أنه من المحتمل أن وضوح هذا الشعور قد يؤدى الى اساءة فهمه بوصفه تجردا عاطلا من العاطفة ، وأن الغموض الذى يحيط بالعناصر غير الضرورية فى هذا الشعور قد يبدو كذلك للقراء الذين ينشدون وضوحا أكثر واثارة أوفر فيما يقرأون .



● فتحية النميرى ●

اديرى طرفك الفتـــان رفقا
بعشاق اللحاظ مـن التمـنى
سرى منه شعاع فى ضـلوعى
كسهم قر فى الاحشـــاء منى
اديرى غصنك الفينان ، كيلا
تشب النار من وهج التثنى !

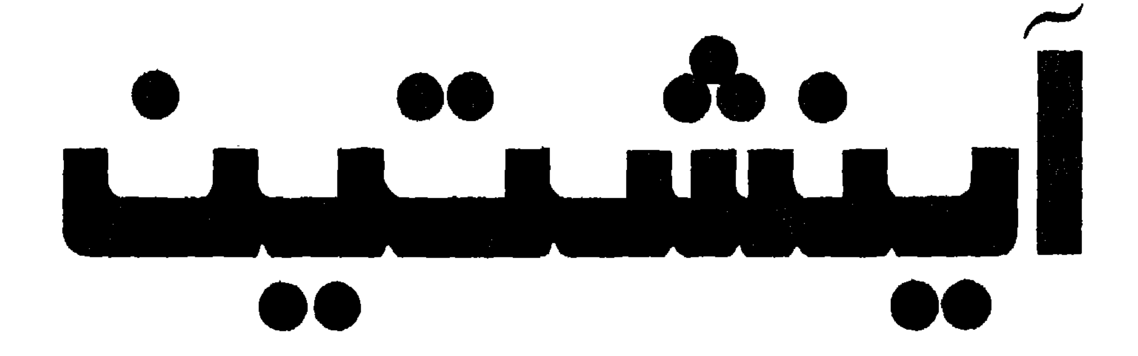
***

افيروز على شـط خصـيب
ام الدر النضير سـناه يبهر
اذا ما صافحته الشمس اغضى
حيـــاء وانتشى بالعطر يزخر
فانت على المـدى للروح انس
واجل ما صـنع الاله وانذر
وما بينى وبينك من هيـــام
يتوجه جمـــال فيـــه ابحر
كعصفور على صدر الغـدير
ويغمـرنا رحيق فاض عنبر

***

وفى جفنيك رغم الصـمت سر
فهذا الهدب كم اضنى ودمر
لانت مليكة بالحسن تســمو
فما لسواك اشعار تســطر

في ذكرى مرور مائة عام على مولده :



آينشتين

● عزت محمد ابراهيم ●

● لم ينحدر « البرت آينشتين » (۱۸۷۹ ـ ١٩٥٥) من اصلاب علماء أفذاذ ، ولم ينشأ في بيئة علمية ، وانما عاش في بيئة متوسطة في المانيا من عائلة لا يذكر فيها احد بنبوغ أو ذكاء غير مألوف ولا يكاد يستثنى من ذلك غير عمه الذى كان له اهتمام بالرياضيات ، واشراف فنى على مصنع للمواد الكيماوية، وغير أمه صاحبة الذوق الرفيع في الموسيقى • وكان لهما اثر كبير في حياته ، جعله يقرن الرياضة بالموسيقى ، ويشيد بالتناسق والترابط بين عالم الارقام وعالم الانغام ، كما كان يرى في اغلب أحواله متابطا القيثارة ، آلته الموسيقية المحببة الى نفسه ، والتى يؤثرها على سواها ، فهو يعزف عليها ، ويستمتع بانغامها ••

وفيما عدا ذلك لم يكن هناك ما ينبىء بمستقبل مرموق ل « أينشتين » ، بل ان بوادر الامور كانت تدل على نقيض ذلك ، فهو يكره الدرس ، ولا يحب من علوم المدرسة غير الرياضة ، ويترك المدرسة الثانوية في « ميونيخ » ليذهب الى « سويسرا » ويكتسب جنسيتها ، ويضع مصيره في يد القدر يغالب أمواجه وحده، بعد ان نفض أبوه يديه من رعايته والانفاق عليه ، معلنا عجزه وخلو وفاضه •

ويتقلب « اينشتين » بين العديد من الاعمال التى تعينه على تحقيق مآربه ، ويكون من بينها عمله مربيا لطفلين في مدرسة صغيرة ••

وقد كان موظفا صغيرا في مكتب لتسجيل الاختراعات حين زلزل الاوساط العلمية بآرائه في الرياضة والفيزياء التى انتهت فيما بعد بنظريته في النسبية والكم •

ويسترعى « أينشتين » انتباه جامعة سويسرا وتعرض عليه مع غيرها من الجامعات مناصب الاستاذية فيها ، وتستيقظ المانيا على الضجة التى احدثها واحد من بنيها ، فتسعى الى اعادته الى حظيرتها بعد أن كان قد خرج منها يائسا

حزينا ،فيفد اليه فى غربته «ماكس بلانك» و « وولتر نرنست » وهما وقتــذاك من أعلام برلين المرموقين : يعرضان عليـــه العودة اليها رئيسا لمؤسسة علمية يفكران فى انشائها ، وليصبح عضوا فى « المجمع الملكى للعـــلوم الروســية » الذى يعد الانضمام اليه شرفا يطمح اليه الكثيرون من الافذاذ ولا يناله غير القليلين منهم ٠

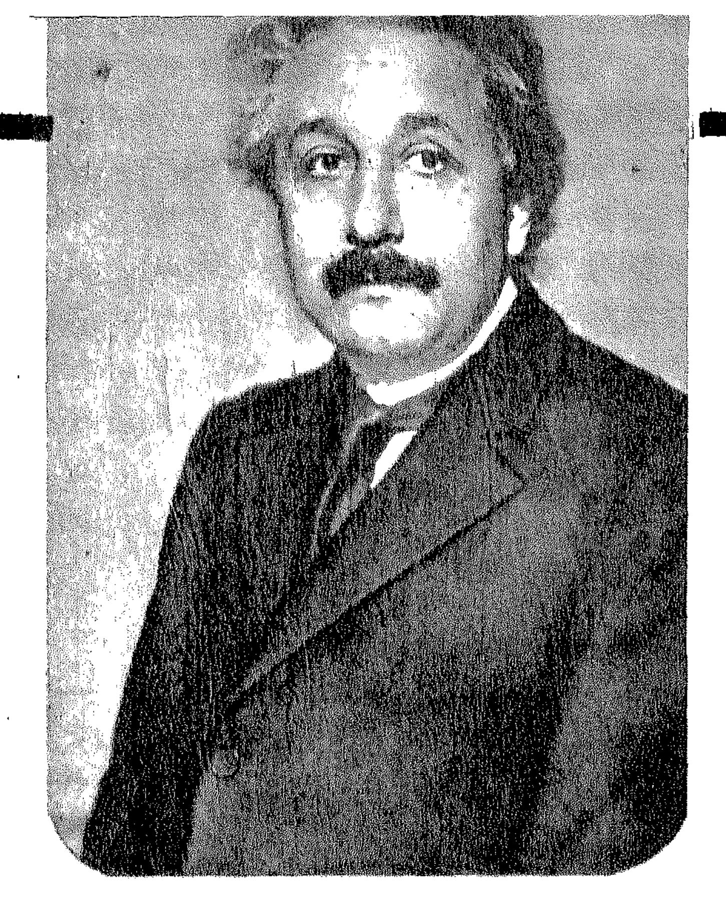
وتثبت بعثة فلكية بريطانية فىمرصدى « كمبردج و جرينتش » صدق نظريته عن انحراف الضوء ، فتدوى له شهرة فــى انحاء العالم ، ويصدق عـلى حاله اذ ذاك قوله : « الان وقد صحت نظريتى فــى النسبية ، فان المانيا ستطالب بى كالمانى، بينما تعلن فرنسا اننى مواطن عالمى ، ولو تبين أدنى خلل فى نظريتى لقالت فرنسا انى المانى ، وقالت المانيا انى يهودى »

***

ويعود « أينشتين » الى « برلين » التى سبق أنتنكرت له صغيرا،ليصبح استاذا فى جامعتهـــا ، وهو ــ بعد ــ لم يتجاوز الثلاثين عاما الا بسنوات قليلة ، ويكون الشباب الوحيد بين جماعة من شيوخ العلم فى المجمع الملكى ، وهو بينهم الذى يلمع كالشهاب الساطع ، يوضع فى كفة وحده، ويوضعون جميعا فى كفة أخــرى ، وقد ترجح كفته عليهم مجتمعين ، فكان كما قال فيه الفيزيائى الالمانى « ليندنبرج » :

« كان فى برلين نوعان من الفيزيائيين : البرت أينشتين ، وسائر الفيزيائيين » !

وقد كان من الجائز أن يظــــل اسم أينشتين حبيس قاعات العلم والمجامــع العلمية ، شأن سواه من العــلماء أمثال



اينشتين

«بلانك» و «مليكان» و «ماكس فون لامر» فلا تطير له شهرة ،ولا يبعد لاسمه صوت، الا انه كان يمتاز عن هؤلاء ــ غير امتياز العلم والتفوق فيه ــ بمرحه وانطلاقه وحبه للضحك وميله للنادرة ، وهى خصـــال ورثها عن أمه ، مع ميل الى الاغراب فــى القول والفعل ، يظهر حين يقف أمام جمع من المقدرين لشأنه العارفين بفضله ليقول:

« اننا جميعا متساوون فى العقــــل تساوينا فى الجنون » !

ومن غرائبه وبدواته ما كان منه خلال زيارة لبلجيكا ، وقد هبط وحده حاملا فى يد آلته الموسيقية ، وفى الاخرى حقيبـة ثيابه ، ولعل اللجنة الملكية التى كانت فى انتظاره لم يخطر ببالها أن يكون صاحب هذه الهيئة الزرية هو « اينشتين » الذى

طبقت شهرته الافاق ، فعادت معتذرة الى الملكة ترجع عدوله عن زيارة بلادهم ، وليصل هو بعد ذلك الى القصر الملكى معربا عن ارتياحه لاستمتاعه بهذه النزهة الجميلة سيرا على قدميه ! •• وكان ذلك مادة طيبة للصحافة تتحدث عنه أحاديث طلية غير أحاديث العلم ونظرياته ، ومكانها المجلات العلمية التى لا يقرؤها غير اربابها والمثقفين بثقافتها :

وقد زاد شهرة «اينشتين» مشاركته فى السياسة الى حد ما، ودعوته الى السلام ـ على غرار دعوات « برتراند راسل » ـ ووقوفه الى جانب « مكسيم جوركى » و «رومان رولان» فى الدعوة للسلام وامتناعه عن مشاركة أعلام الفكر الالمانى فى التوقيع على بيانهم لتاييد موقف المانيا العسكرية ولم تكن عقيدته فى السلم ، والترويج له بالتى ترضى المانيا العسكرية الطامحة وقتذاك الى الفتح والغزو ، وكان العالم على أبواب الحرب العالمية الثانية حين سئل عن موقفه منها اذا نشبت ولم يتردد فى اعلان امتناعه عن تأدية الخدمة العسكرية، فأثار خصومه عليه ،وأصبح هدفا للسخط والكراهية من خصومه فى السياسة وفى العلم معا ••

وكان على « أينشتين » بعد ذلك أن يعد نفسه للرحيل ايثارا للسلامة ، فاتجه الى هولندا ، ولكن لم تطل اقامته بها فان وزير التربية البروسية « فان هانيش » الح عليه فى العودة الى برلين ،فعاد واسترد جنسيته الالمانية ، ولكنه لم يهنأ باقامته فيها ، فقد اشتد ساعد النازية ، وكان فى سفرة له حين صودرت أملاكه ، وأوغر أعداؤه صدر السلطات عليه فأضمرت له الشر ،وألصقت به العديد من التهم •

ولكن شهرته كانت لا تزال مطمعا لالمانيا فى تأييد موقفها العسكرى ، فحاول هتلر كسبه الى صفه فى تأييد النازية ، ولما لم يفلح فى تحقيق ماربه ، رصد مبلغا كبيرا من المال لمن يقضى على حياته ، وآثر «أينشتين » أن يعيش فى أمريكا مكتسبا لجنسيتها لتصبح ثالث جنسية يتمتع بها ••

***

واذا كانت لاينشتين فلسفة فلابد ان تكون مستمدة من تصوره الفيزيائى والعلمى ، ومن العسير ان يكون لعالم مثله فلسفة مجردة ، ولذلك كان ينكر المعرفة اليقينية التى تاتى عن طريق الحواس ، وكان لا يرى للزمان تصورا ووجودا خارج تصور الانسان وفهمه له ، وهى حقيقة ملموسة ، فليس للزمان وجود الا على سبيل فهم الحوادث التى تقاس عليه وتنسب اليه ، وهو رأى مستمد من النسبية ، فالساعة التى تقضيها جالسا فى مقهى أو متسليا بقراءة صحيفة ، هى ساعة بدقائقها وثوانيها ، ولكنها تختلف من حيث الفهم والتصور والشعور اختلافا بينا عظيما عن ساعة يقضيها محكوم عليه بالاعدام انتظارا لتنفيذ الحكم ••

وهنا يختلف زمان عن زمان ، ويصبح لكل منهما معنى مغاير تماما لا يمكن أن يحسب معه وجود مستقل خارج الشعور والتصور ، وذلك تفسير قول «اينشتين»: « لكل فرد زمانه الذاتى الخالص ! »

وبالرغم من ان « اينشتين » قد نشأ فى عائلة منكرة للدين فانه قد ارتد الى حظيرة الايمان بعد ان توغل فى معرفة حقيقة العالم الذى لا يمكن الا أن يكون نتيجة تدبير محكم لاله قادر عظيم ، وقد استبعد دور المصادفة فى خلق العالم ، وقوى عنده الشعور الدينى فقال بان كل بحث علمى دقيق هو ما قام على شعور دينى يستند الى ان العالم نتيجة عقل مدبر وليس وليد صدفة وخبط عشواء .

والدين فى غنى عن كل ذلك ، وهو فى صفائه ونقائه يخلص الى نفس الانسان وشعوره صافيا نقيا بعيدا عن تفكير العلم وبعيدا عن النظريات التى لا يمكن الجزم بصحتها جزما قاطعا مهما طال الزمان بها ، وقد ظلت نظريات « اقليدس » فى الرياضة حقيقة واقعة لا يجرؤ انسان على مناقشة صحتها حتى جاء اينشتين فنقضها وكان يعد فى نظر العلماء ـ وقد أتى بغيرها ـ مجنونا ، وهى اليوم من القضايا العلمية الرائعة ، ولكن من يدرى ما يأتى به الغد ؟

***

وكان المفكر الامريكى جورج فيرك قد سأل «البرت اينشتين» عن آخر ما اكتشف من قوانين ، فقال انه قانون يعبر عن الجاذبية بعبارات كهربية وان نظريته لا تزال فى حدود الحدس والتخمين ..

وسئل عما يعنى بالكهربية فقال انها قد تكون القوة التى تسيطر على الكواكب باسرها .

وبديهى أن وجود قوة كهربية تمسك الكواكب وتجعلها تسير فى فلكها المرسوم لا ينفى وجود خالق لها ، بل هو يؤيده ويقويه ، وها نحن نرى الالات الكهربية التى تعمل تلقائيا هى نتيجة لعقل صممها ورسم لها طريقة عملها ، وفى حياتنا العملية الكثير من الالات والمحركات التى تدور بالقوة الكهربية ولا ينفى ذلك وجود العقل الذى صنعها واشرف على عملها ..

***

وقد كان « جورج فيرك » قد بدأ حديثه مع « اينشتين » عن النسبية قائلا : انه كان أحد العشرة الذين فهموها ثم نسيها فنقصوا واحدا .. وابتسم اينشتين وعاد يشرحها له بقوله :

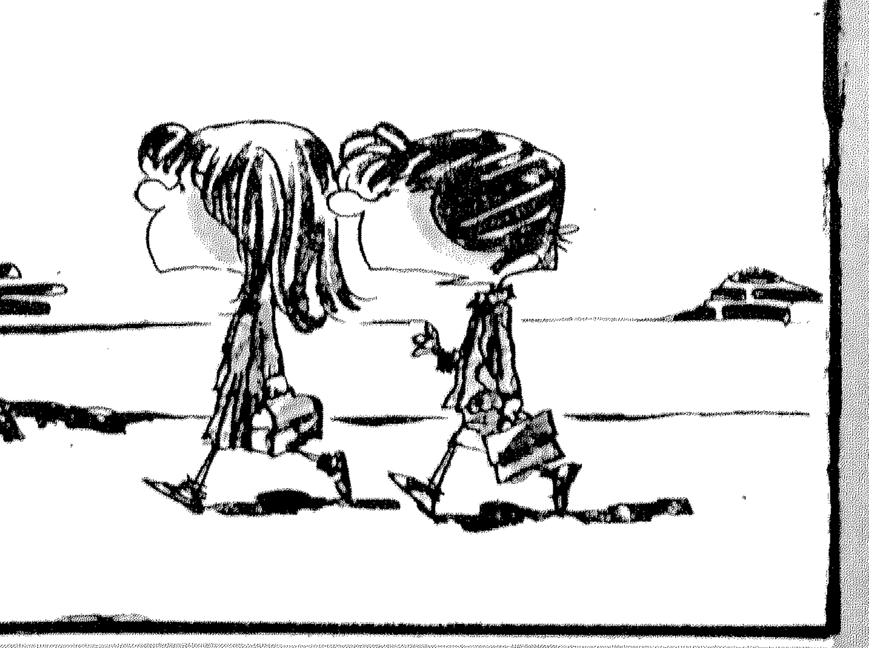
.. معنى النسبية انه يستحيل على العالم الفيزيائى ان يستعمل مقاييس معينة لقياس الفضاء من غير أن يعين نسبتها الى نقطة محدودة من الزمان ، فالزمان هو البعد الرابع ، والضوء هو الياردة التى يقاس بها الفضاء !

هل هى من البساطة الى هذه الدرجة ؟ وهل من الميسور فهمها واستيعابها ؟

على كل حال ان كنت قد فهمت هذا الشرح ، فانت الحادى عشر بعد « جورج فيرك » ان كان قد فهمه ، او العاشر ان لم يكن قد فهمه ، او كان قد عاد الى نسيانه .

كاريكاتير

جيل جديد جداً



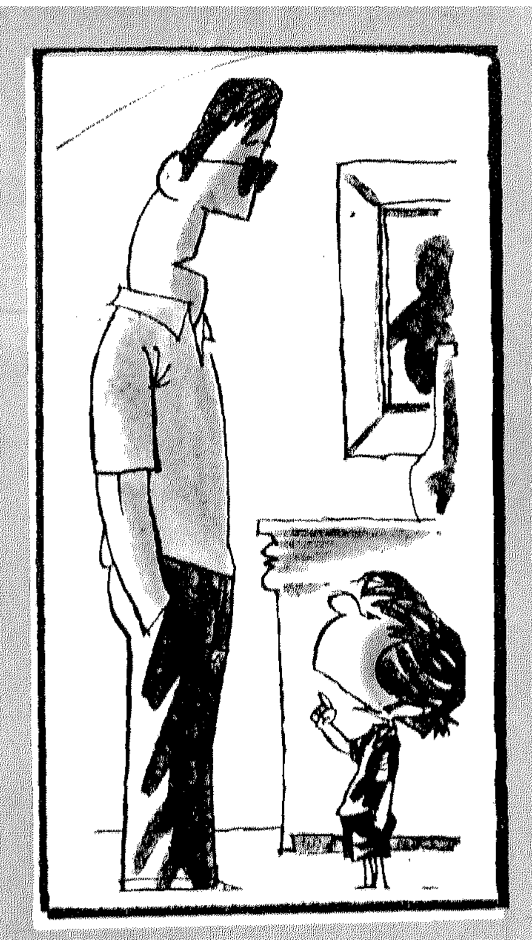
الولد للبنت : طالعه فيها قوى ومش مهتمه بى ليه ؟ .. علشان استاذالفصل بيهتم بيكى ؟! انا لازم اوقفه عند حده!



الولد لابيه : والله عال ! .. سيادتك تقرا نص الجورنال فى الشغل ، وتيجى تكمله فى البيت ! .. يعنى اللى بيشتغل فى البيت بس هو انا !

الولد للجاره : ابدا يا تانت .. احنا مش بندبح قطط .. ده انا بس باتمرن على الكمانجة !..

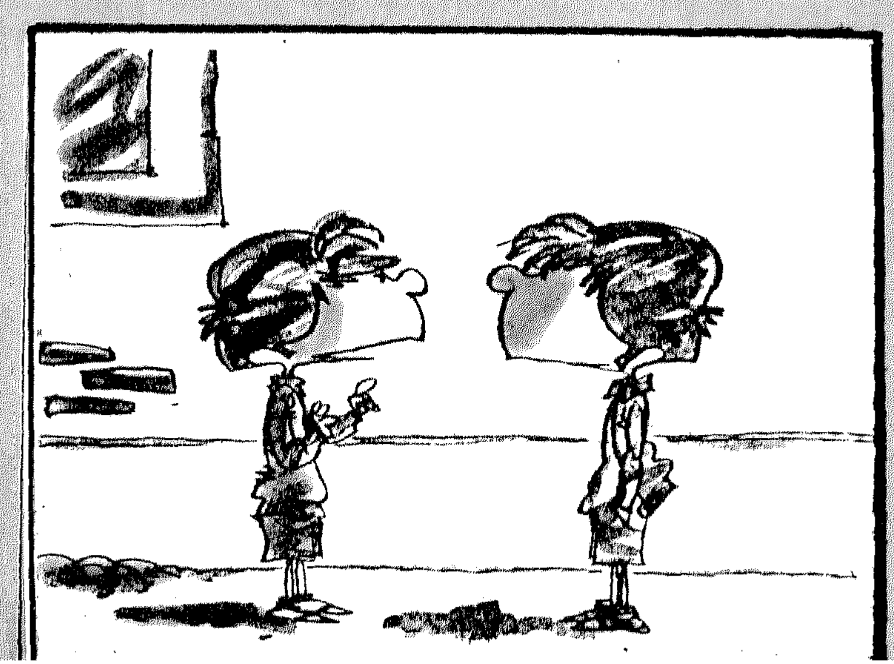




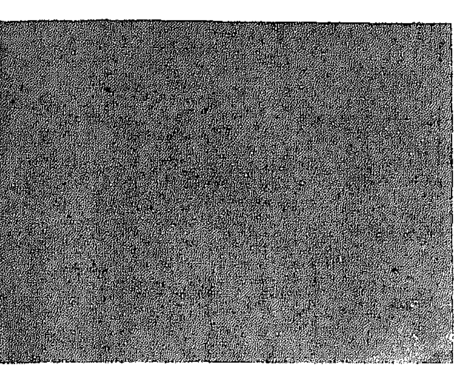
الولد لابيه : ماما راحت المصيف .. يعنى انا وانت دلوقت احنا الاثنين عزاب !



الولد لأبيه : واذا كنت انتمش قادر على ماما ، يبقى بلاش انانية واديني انا فرصة !



الولد لصاحبه : حاجة تجنن .. عمالين يقولوا مستقبل الاولاد ، مستقبل الاولاد ، ومفيش للاولاد ولا حتى كرسى فى مجلس الامة !



هناك أيضاً يؤمنون بالحسد

كنا نحسب اننا وحدنا نؤمن بالحسد ونخشى العين ، ولكننا نرى الان ان الامريكيين والانجليز والالمان وغيرهم من الشعوب التى لا تؤمن الا بالعلم ، تؤمن أيضا بالحسد وتخاف العين .. بل انهم يذهبون الى مدى لا يذهب اليه الا العوام عندنا من عمل مايشبه الاحجبة التى تضم كتابات توصف انها سحرية تحمى الانسان من العين ...

ولا ينتشر هذا الايمان بالحسد فى وسط كما ينتشر هناك بين الذين نسميهم بنجوم السينما أو الكواكب ، لان الكثيرين والكثيرات منهم فعلا تصيبهم العين ، ولا يكاد الواحد منهم يصل الى الشهرة والغنى حتى تبدأ العيون تتجه نحوه ، ومن بين هذه العيون عيون حسود ، فلا يلبث النجم المشهور حتى يصاب بالامراض والكوارث ، وقد ينتهى الى نهاية محزنة .

ويتجلى هذا بصورة خاصة فى حياة النجمات اللاتى يتالقن ويكسبن المال الكثير دون عمل يذكر ، وينتقلن من الفقر الى الغنى ومن الشظف الى الترف .. وهنا تصيبهن العين ، وتبدأ الممثلة الجميلة الشابة تصاب بالامراض أو تبتلى بسوء الحظ فتتحول سعادتها الى شقاء . وقد تنتهى حياتها الى مصير محزن .

وقد اشار الى هذه الظاهرة عالم اجتماعى كبير هو كلود ليفى شتراوس المعروف بدراسته فى علم الاجتماع والنفس .. وقد كتب قبل عصر نجمات السينما ــ يقول : ان النجاح السريع الذى تحققه النساء الجميلات فى عالم الفن يجلب اليهن النحس ، ربما لان أعداءهن كثيرون ، وهم يتمنون ليل نهار زوال نعمة الشابة الجميلة التى تتمتع بكل شىء وتتقاضى مبالغ لا تخطر على البال لكى تقف أمام الكاميرا وتمثل أدوار الهوى ، وتلبس الملابس الانيقة ، ويترامى الرجال على أقدامها فى حين ان غيرها من النساء يشقين عمرهن كله ولا يبلغن فى العمر الطويل ما تبلغه فى أسبوع واحد من حياتها !

وقد استلفتت هذه الظاهرة أنظار



جنوريا سوانسون ،فاتنة العشرينات والثلاثينات ذات الشعر الاسود والعينين الساحرتين : كسبت مئات الالوف من افلامها : وماتت مفلسة .

جين هارلو : الحسناء ذات الشعر البلاتيني ، كانت جين هارلو أول امرأة فى التاريخ تظهر بشعر فى لون البلاتين ، وقد سحرت الدنيا فى الثلاثينات ، وماتت محترقة فى حادث طائرة ..

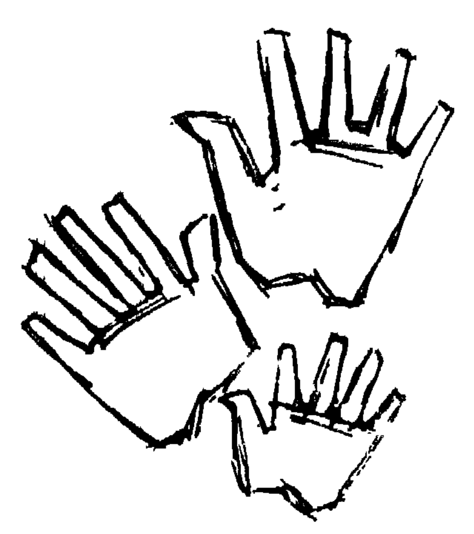
الناس فى منتصف الثلاثينات عندما ظهرت الممثلة المشهورة جين هارلو ، تلك الشقراء التى يصفونها بأنها فاتنة ، والتى وصلت الى قمة الشهرة فى أقل من سنة بفضل المنتج والمخرج هوارد هيوز ، وأصبحت توصف بأنها أجمل وأغنى امرأة فى أمريكا ، وخاصة بعد ان مثلت رواية الاجنحة المتكسرة أمام كلارك جيبل ، واستلفتت الانظار بشعرها الذهبى وقوامها البديع .. وقال الناس يومها انها أسعد امرأة فى الدنيا !

وهنا اتجهت اليها عيون الحاسدين لفشلت فى زواجها بعد ان أجهضت مرتين ، ثم توفيت بعد سنوات من الشقاء محترقة في حادث طائرة ...

وتكررت المأساة مع جريتا جاربو ، المرأة التى كانوا يصفون جمالها بانه جمال ربانى ، ولم تشتهر امرأة فى تاريخ السينما قدر ما اشتهرت جريتا جاربو ، لقد كانت افلامها تكسب الملايين ، وشهرتها تغطى القارات الخمس ، حتى انها عندما مثلت رواية « الملكة كريستينا » حرم عليها رجال البوليس الخروج الا بحرس نظرا لتزاحم الناس عليها وجريهم وراءها لكى يحصلوا على نظرة أو امضاء على صورة ..

هذه المرأة التى كسبت فى فيلم واحد ما لا تكسبه اليوم أكبر الممثلات فى عشرة أفلام ، توقفت فجأة عن العمل فى أواخر الثلاثينات ، وأصيبت فيما يقول الذين عرفوها بمرض نفسي ، جعلها لا تستطيع





بولا نجرى المرأة الساحرة التى اشتهرت بروايانها مع رودلف فالنتينو ، وجمعت ثروة بلا حدود .. ماتت منتحرة بعد موت رودلف فالنتينو

محادثة الناس او الظهور أمام الكاميرا . فاختفت من الحياة وأصبحت منـــذ ذلك التاريخ شبحا يجول فى نواحى الدنيــا دون حياة ودون متعة ...

هذا وملايينها فى البنوك ، ثم انها لم تتزوج ولم تنجب ... وفى أخــريات أيامها لم يعد لها صديق واحد ، بل بلغ بها الامر انها أصبحت لاتخرج الا محجبة، كانها تخشى ان تقع عليها عيون الناس.!

بماذا نعلل ذلك ؟ .. اننا لا نتردد فى القول بأن عينا أصابتها فنكبتها وحرمتها من الاستمتاع بالمال الوفير الذى تكدس باسمها فى البنوك ، وبالشهرة الواســعة التى كانت تتيح لها الفرصة لتحيا أسعد أيامها ...

***

شىء شبيه بذلك حــدث لممثلة بلغت شهرة واسعة فىأواخر العشرينات ، وهى جلوريا سوانسون ذات العيــون الجميلة التى بهرت الدنيا وكسبت الملايين أيضا

وفى يوم من الايام كانت اشهر امرأة فى الدنيا ... ولكنها مع جمالها وغناها لم تســـعد فى زواجها ، ولا هى انجبت طفلا . وعاشت بقية عمرها حزينة كئيبة وخاصــــة بعد ما انصرف عنها كبــار المخرجين ، واندرجت فى طى النسيان ، حتى ظهرت مرة أخرى فى الخمسينات ،



مارلين مونرو الشقراء التى احدثت عاصفة فى عالم السينما وتصدرت فاتنات الدنيا ، ماتت منتحرة بحبوب منومة ..

ريتا هيوارث فى مشهد من مشاهد فيلم «جيلدا» الذى مثلته مع جلين فورد ، انهـا الان امراة منتهية ، وقد اهلكها الادمان على الشراب .

جريتا جاربو المراة ذات الحسن الالهى ، وملكة السينما الى آخر الثلاثينات ، لقد اصيبت بمرض نفسى فى اوائل الاربعينات واختفت عن الدنيا والناس

ومثلت رواية ناجحة تصور عودة نجمة منسية ... وبعد هذا النجاح الاخير لم يسمع احد عنها خبرا ..

***

ويتحدثون كذلك عن بولا نجرى ، وهى ممثلة اشتهرت بادوارها امام نجم العشرينات رودلف فالنتينو ، وكان يقال انها تملك اجمل عينين فى الدنيا ... هذه المراة اصيبت وهى فى شرخ الشباب واوج الشهرة بمرض معضل فى الكلى وبالتسمم البولى واضطروا لازالة احدى كليتيها ، وانتهت حياتها بان انتحرت عقب موت رودلف فالنتينو ، ويقال انها عشقته عشقا بالغا ، ولكن الحقيقة ان العين اصابتها فذهبت بكل سعادتها وجعلتها من اتعس نساء العالم !

***

ومثل ذلك يقال عن بيتى جريبل وهى ممثلة اشتهرت فى الاربعينات بادوار الرقص والغناء ، وقد كسبت هى الاخرى الملايين ، وقد كانت شركة وارنر التى تعمل فيها تعتمد على ايرادات افلامها اثناء الحرب العالمية الثانية ...

هذه المراة التى كانت على كل لسان والتى كانت معشوقة الملايين ، اصيبت

هناك أيضاً يؤمنون بالحسد



من اليمين الى اليسار مارلين دتريتش، ليبيتي جريبل ، ثم مارى بيكفرد – مع شارلى شابلن فى شبابها .. كلهن اصابتهن العين ولم يستمتعن من حياتهن الا بالقليل فيما عدا مارلين دتريتش .

هى الاخـــــرى بالسرطان ودخـــلت المستشفيات مرة بعد اخـــرى ، وانتهت حياتها وذهبت دون ان تتمتع بشىء من غناها او جمالها او شهرتها ...

***

هذه نماذج قليلة من كثير جـــدا من مآسى الحسد الذى يصيب هؤلاء الممثلات فيحرمهن من كل سعادة ومتعة ولاتنفرد النساء بذلك ، بل الذين تعذبوا وقاسوا من مشاهير رجال السينما كثيرون جـدا ومثلهم الممثل المشـــهور همفرى بوجـارد **الذى توفى بالسرطان وهو فى الاربعينات ... وكذلك الحال مع رودلف فالنتينو الذى مات شابا ومثل ذلك يقال عن عدد لا يحصى من الممثلين المشاهير ..**

بل ان العين تصيب أيضا غير الممثـلين ... وما رأيك فيما أصاب عائلة كيندى **التى قيل فى يوم من الايام انها أسـعد واغنى أسرة فى الدنيا حتى ألفت فيهـــا** الكتب وزعم الناس أن جوزيف كيـنـدى **مؤسس هذه الاسرة وهـــو والد الرئيس جون كيندى ولد فى ساعة اجتمع فيهـــا حظ الدنيا السعيد كله ، هـــذه الاسرة نعرف كلنا ماذا جرى لها ؟ فقد قتل جون** كيندى ، وروبرت كيندى ، وارتكب تد كيندى الاخ الثـــالث جناية برأه منهـــا **القضاء ، ولكن الرأى العـــام الامريكى لا يغفـــرها له ، وتلك هى حادثة موت بنت كانت معـــه فى السـيارة ووقعت فى بحيرة شابا كويدك – ونجا هو ... أما الفتاة فقد غالها الموت**

وهنـــاك ابن لروبرت كيندى أصيب بالسرطان فى ساقه ... اى ان الاسرة كلها نكبت نتيجة للحسد الذى اصـــابها وهى فى أوج الشهرة والقوة ...

***

انتا ما كنا لنتكلم عن الحســــد خارج نطاق بلادنا ، لولاأنالموضوع مطروحاليوم على نطاق واسع وتؤلف فيه الكتب ، وقد **اتسعت تجارة مضادات الحســد فى كل**



بلاد اوروبا وامريكا ، بل قرأنا مقالا فى مجلة المانية تقول : ان الامهات يحذرن أبناءهن من الخروج جماعة حتى لا يصيبهم الحسد !

ومن الطف ما قرأنا فى موضوع الحسد ما يقال ان الازمة التى يعانيها الدولار اليوم ترجع الى انه اصيب بالعين ، نظرا لما كان يتمتع به من القوة والشهرة ، فاصبح « المسكين » اليوم من اضعف عملات الدنيا ، بل انه يوصف بانه الرجل المريض الذى يجرون له بين الحين والحين عمليات نقل دم لكى يستطيع مواصلة الحياة !

●

رسالة مهرجان كان السينمائى ..

المضمون الجديد وراء أزمة السينما العالمية

● مارى غضبان ●

●● فى مايو من كل عام يقام مهرجان « كان » السينمائى الدولى الذى يجعل فرنسا مركز الاهتمام للمشتغلين بالسينما فى العالم ..

زائر المهرجان والقادم الى « كان » يحضر لتبادل الافكار ، او بيع وشراء الافلام ، او لمجرد الاحتكاك بالتيارات الجديدة فى الفن السابع ...

والغريب أن الدولة المضيفة ، فرنسا لم تعد تحظى بالتقدير والجوائز فى السنوات الاخيرة ، بل لقد ابتعدت الاضواء عن نجوم السينما الفرنسية وفنانيها وفنييها ، لتذهب الى أصحاب الجنسيات السينمائية الاخرى فالسنوات الماضية حفلت بأسماء كلود شابرول ، وفرانسوا تريفو ، وكلود ليلوش ، وروجيه فاديم ، وغيرهم من أصحاب الاتجاهات السينمائية المبتكرة وأصحاب الموجة الجديدة ــ لكن الحال اليوم يختلف ...

نقاد وكتاب فرنسا المشتغلين بالسينما يرون أن المشكلة السينمائية فى فرنسا نتجت عن الثغرة التى تركتها الطفرة التى ظهرت بها افلام الموجة الجديدة ، ثم ما ترتب عليها من هدوء بعد ذلك ..

كان المضمون الجديد والرؤية الدرامية والفكرة من أسباب كبوة السينما الفرنسية لعدم تجدد هذه الموضوعات فيها ، بجانب العامل الاقتصادى الذى أدى الى انكماش الانتاج السينمائى الفرنسى ، نتيجة الضريبة المرتفعة على الانتاج السينمائى ونتيجة لانكماش الاسواق وضعف توزيع الفيلم الفرنسى فى الداخل والخارج .

وحتى وجوه السينما الفرنسية او نجومها اصابها فى الشكل العام قدر من الكبر والابتعاد عن بؤرة النشاط وهذا ما اصاب بريجيت باردو وايف مونتان ، وسيمون سينوريه ، وميشيل مورجان ، وجان مورو ، وجان لوى ترنتيان ، وجان بلموندو .

واللغة الفرنسية رغم انتشارها فى العالم ، الا أن أسواق السينما العالمية تفضل اللغة الانجليزية ، او عمل دوبلاج للفيلم الى اللغات الوطنية فى أسواق التصدير ، مما يصعب من موقف السينما الفرنسية اليوم ...

بل ان الفيلم الذى اشتركت به فرنسا فى مهرجان « كان » هذا العام « اخوات برونتى » من اخراج اندريه تشينيه ــ موضوعه مستمد من حياة أسرة بريطانية ، عن الأخوات الثلاث : ايملى .. شارلوت .. آن برونتى : اللائى صورتهن رواية جين اير : « مرتفعات وذرنج »

ويحكى الفيلم حياتهن وتطورها مع شقيقهن برانويل وكيف اتجهت الشقيقات الى فن كتابة الرواية .



مشهد من الفيلم الالمانى ، « الطبلة » لفولكرشولندورف

والفيلم يدور موضـــوعه حول بريطانيا فى القرن الماضى فى جو كئيب ومن خلال « تكنيك » ممل بطىء ..

وقد تصورت الاوساط الثقافيـــة الفرنسية أن هذا الفيلم سيحقق قدرا من النجاح واثارة الاهتمام ، لكـــن الفيلم فشل ، ولم يحقق أى نجاح..

وكذلك لقى فيـــلم « المسلســـل الاسود » فى المهرجان نفس الفشـــل الذى أصاب فيلم « اخوات برونتى» والفيلم من اخراج آلان كورنو وموضوعه مقتبس كذلـــــك من رواية للكاتب الانجليزى جيم سمبســـون « امراة الجحيم » واحداث الفيلم تدور حول بائع متجـول يبحث عن شخص سرق حاجيـاته ، وفى رحـلته للبحث عـن اللص تقابله صعوبات ومغامرات أدت الى اتهامه هو بالسرقة !

واذا كان هذا حال الفيلم الفرنسى فان الحال يكاد يكون متشابها مـــع الفيلم البلجيكى .. وقـــد اشتركت بلجيكا بفيلم « امراة بين ذئب وكلب » للمخرج اندريه دلفو وتقوم ببطولتـــه الممثلة الفرنسية مارى كريستين بارو ... وتقع احداث الفيلم فى سنوات الحرب العالمية الثانية حينما احتـــل الالمان جزءا من بلجيكا وقصته تدور حـــول امراة تتـوزع مشـــاعرها بين زوجها المتعاون مع الالمان المحتلين ، وصديقها الفدائى الذى يحارب ضـــد النازيين ...

والموضوع جيد ، وكان من الممكـــن أن يكون سينماليا افضل من الشكل



بزيك ديوير فى الفيلم الفرنسى ، ((المسلسل الاسود))

الذى انتهى به عند العرض ..

اما ايطاليا فقد اشتركت باربعة افلام من اهمها فيلم المخرج فزدريكو فيلينى ((بروفة الاوركسترا)) انتاج التليفزيون الايطالى الرسمى ، وقد رفض مخرجه أن يعرض داخل المسابقة لانه يتصور أن مقارنته بغيره من المخرجين تقلل من قيمته ..

ويتفق معه فى الراى المخرج انجمار برجمان . وتدور أحداث الفيلم حول « مايسترو » المانى يقود «أوركسترا» كل العازفين فيه من الايطاليين ، مما يؤدي الى عدم الانسجام والتجانس .. الفيلم انتقادى يمزج الواقعية بالسخرية الايطالية اللاذعة ..

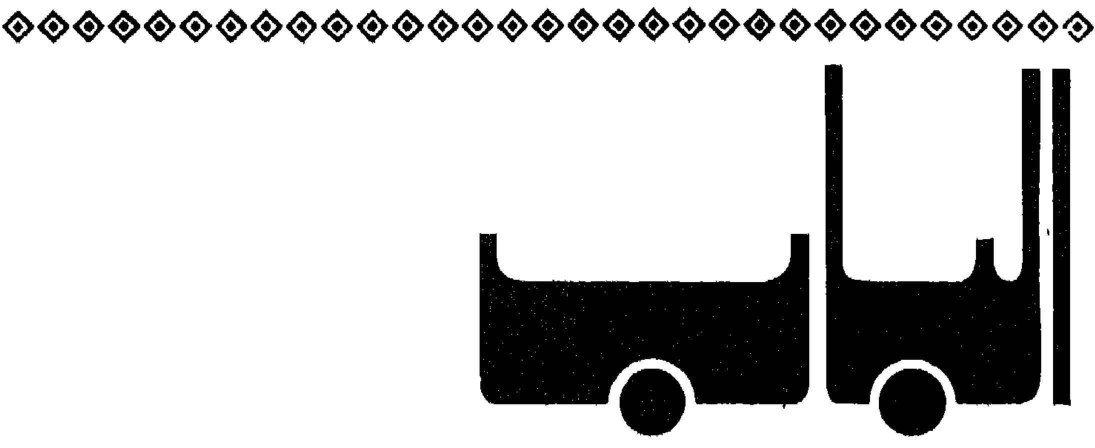
أما المجر فقد قدمت فيلمين هما جزءان لموضوع واحد هو ((المقطوعة الموسيقية المجرية)) اخراج ميكلوش يانشو ، وتصوير يانوش كيندى وهو من افضل مديرى التصوير فى العالم ...

والفيلم يروى قصة المجر عبر التاريخ ، وعن طريق الرموز والاسقاطات يقدم أهم الاحداث والانفعالات التى مرت بالانسان المجرى .

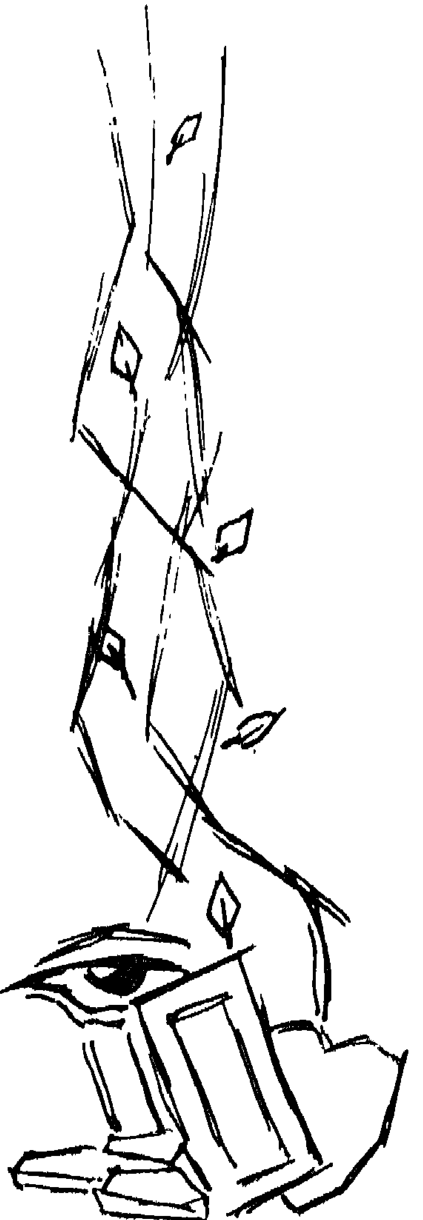
ورغم ان المجرى ميكلوش يانشو من اعظم مخرجى العالم الا أن هذا الفيلم لم يحصل على جائزة محددة ، لكن لجان التحكيم منحت هذا المخرج جائزة عن كل اعماله الفنية ...

●● خلاصة ما خرجت به من متابعة نشاط مهرجان «كان» السينمائى أن « الموضوع » أصبح مشكلة السينما اليوم .. والسينما الفرنسية على سبيل المثال لم تجد الا اقتباس الأعمال الاجنبية وخاصة **من الروايات البريطانية ، بينما وجدت السينما الأيطالية والمجرية والبلجيكية اعمالا ادبية تستمد منها موضوعاتها ...**

والفيلم الالمانى خرج من هذا المنعطف فهو ماخوذ عن سيناريو جيد ((الطبلة)) اخراج فولكور شيلندورف ولهذا حصل على جائزة النخلة الذهبية التى اقتسمها مع الفيلم الامريكى ((الآن ـ اليوم الموعود)) اخراج فرانسيس فورد كوبولا ، ومضمونه مستمد من البشاعات التى تركتها الحرب الفيتنامية على الانسان المعاصر . ●



• محمد حلمى حامد •



انا منكم ...
فهل تاتون فى صمت الى دارى
وتبتسمون — ترتعشون — فى فرح
وتحتملون احلامى — واخبارى ...
ساعطيكم منى عينى
ساعطيكم منى قلبى
وافرح مثلكم — معكم
واقطع بينكم دربى ...

***

لعلك انت دون الناس
تحتملين اغنيتى الخرافية
ساقفز فوقها حبا
لكى تاتين فى حلل اثيرية
تعالى .. انهم يقفون خلف الباب
ينتظرون معجزة سماوية !

***

وخلف الباب كان الناس
ينتظرون كالموتى ..
سالت صغيرهم مرحا
فلم يفهم
سالت كبيرهم مرحا
فلم يفهم . وصبوا فى محاجرهم
شمور الظل — والظلمه

***

انا منكم تعالوا اننى معكم
اصب الظل فى عينى — فى اذنى
لانى مثلكم انتم ! ..

ذات الرّداء الأسود

● عبد الجواد طايل ●

وعينيك : ما سر هــذا الرداء
وذاك التبتل كالانبيـــــاء
وما سر هذي العيـون اللواتي
تكحلن .. بالطهـر والكبرياء
شفافية كانبــلاج الصباح
وصفو الغدير وصمت المساء
وديباجـة ليت شـعري ونور
غزير .. وفور .. وقار السماء
فاما مشيت حواليك ، رحت
اعلل نفسي بنيل اللقـــاء
لعلي احـدثكم عن هيـامي
فادنو وارتد خـوف الجفاء !

***

وماذا اذا قلت يا صـب كـلا
وقلبي تهجد شـوقا وصلى
اذا لاح طيفـــك ، دق ورق
وانـكر كل الملـذات ـ الا ..
هياما تمادى ، ونورا تهـادى
ودوحا تسامى ، وفكرا تجلى !
فذا قلبي الكهل بين الندامى
لعمري .. قد رده الحب طفلا !
وشعري يذوب كل العـذراى
ويقتل من يجحد الحب قتلا !
اموت من الشـوق لما اراك
وكل الدواوين في الحب تبلى !

***

لما ثغرك الحلو لا يبتسم ...
فينســاب انقى وارقى نغم
كان الحيـاة لديك صـلاة ..
مقدسة كلهـا ـ كالحـرم
اذا شئت اعرضت عن كل شيء
بذاك الحياء ، وتلك القيـم
فصار الجميع ـ كسفح الجبال
واصبحت في ناظري كالهـرم
اطالعها باشـتياق المسـافـ
ـر خلف الحياة وكالنهزم ...
وامضي ومازال بي الف شـوق
كشوق السفين لشط الخضـم

قصة

الدوران في المتاهة

● عزت معوض مصطفى ●

لم يعد في داخلي بقايا هواء نقي لأتنفسه بانتعاش .. رغم هذا صحوت كالعادة ارقب الوجود من خلال فتحة ضيقة في الجدار تطل على القبور الغارقة في صمتها ، لألتمس شيئا يحرك الجمود الذي غشيني فجأة .. لكن الكون كساه الضباب ، ولم أر الا عيونا مصلوبة تحملق في .. باحثة عن الطريق حتى لا تصطدم بجدار اليأس ..

حاولت أن أهرب من النظرات المهزومة المنكسرة .. اغلقت الفتحة الضيقة في الجدار .. وقبعت في ركن الحجرة المظلم حتى لا اسمع تلك الضحكات المثيرة المطشي الصادرة من احساس جائع الى احساس اكثر جوعا ، وهذا الصوت راودني كثيرا .. حاولت ان اهرب منه لكنه دائما يجذبني الى ان اعيش في عالمه، التمس بين احضانه اللذة الجامحة حتى ولو كان حلما .. لكن ياتيني صوت خاشع من مئذنة ((الرائد المبارك)) ، يهدهد في داخلي الكائن المتوحش ويعيد الى لحظة السكون .

***

رذاذ المطر الذي تناثر خارج الحجرة ارجعني الى باشياء طالما احببتها في طفولتي قبل ان أعرف من انا وتاخذني طريقة التفكير المهلكة ــ كنت انطلق وانطلق مع الطبيعة ،مع العواصف الصارخة ، لم اكن ابدا بنذير الخوف والعقاب الذي ياتيني مع صدى صوت امي المهدد المتوعد ..

يالها من ايام ، ليتها تعود حتى اطرد الخوف والحياء والتخاذل الذي يعتريني دائما، فانا ارغب في اشياء ولكني اتجمد عند لحظة عملها .. لماذا ؟!

ربما لاني لم استطع ان ابدد قسوة اللون الرمادي وانقذ فكرى من الاقتراب في هذا المكان المظلل القفر الذي لا ينبت الا شجرا محملا بالشوك .. فلارقب وافكر وانا جائع عار .. لاتعلم كيف أبحث عن قصاصات كتاب الرؤيه وافتح فمي لانتظر قطرة تروي جفاف حلقي ، تعيد الى النطق ، فالخرس كاد يغلب فصاحتي .. لكن ما تلك الضوضاء ، وما هذه الهمسات بجوار صاحب المقام المبارك .

***

انها هي التي في الحجرة المجاورة صاحبة البنطلون « الجينز » التي تتفجر انوثة ..كم اريد ان اودع عند قلبها سر قلبي .. ان اسرق من شفتيها المكتنزتين قبلة ، ان اضم صدرها الثائر الى صدري ، ان اداعب خصلات من شعرها الفاحم المنسدل فوق جبينها ،واطارحها الغرام .. لكن ماهذا العبث ؟! ما هذه الرعشة التي اصابتني ؟! ولماذا العرق يتصبب فوق جبيني وانفاسي لهيب ..

صوت المؤذن بحشرجته يطن في اذني ، فيبعث من خيال اوقعتني في لحظة ضعف لكن الظلام والسكون والحرمان يقتلني .. فلاجلس القرفصاء وانظر في الفتحة الضيقة التي في الجدار .. لا .. لا . لكنني لابد ان انظر ، فاني اسمع وقع خطوات تقترب ، ربما تكون هي .. وما سر هذا الاهتمام ؟!

سلواي .. انها سوف تفتح الباب وتتركه كالعادة « نصف مفتوح» ، واراها وهي تخلع ثوبها ، وتنثر شعرها في الهواء ، وتدلك بشرتها عندما تضع العطر فوق عنقها وخلف اذنها .

لكن الصوت اختفى .. اين ذهب ؟ اين ذهب وقع الاقدام ! انني لم اعد ارى الا اشباحا هلامية تتداخل ، فلانتظر حتى اراها .. لكن لم يعد عندي قدرة على تحمل هذا المكان قبل ان انفجر .. فلانتظر مستغرقا في طينيتي التي ربما خرجت سهوا من بطن صخرية الى حيز الوجود وهي ممسوسة بنبضة مشحونة بصورة الالم من اجل الاخرين والاحساس بهم وتلك في حد ذاتها مجاهل قاتلة !

لكن ما كل هذه الارهاصات ؟! ولماذا لا احاول الاحتجاب من الاخرين ؟! كيف ؟ اقرا الكتب ، او احاول أن أخوض تجربة جديدة لذيذة او مرة او ...

لا .. لا يمكن . انني ساطل النظر من خلال الفتحة حتى اراها .. أرى كل شيء ، انى أدرك انها تناجيني ، تبعث الى بلغة صامتة.. تقول لي :

لا يمكن ان تقتل في النشوة ولا الأحلام ولا الحب الكبير .. رغم انك تعذبني وتلون لي الحياة بالذبول الا اني ادرك انك تعشقني من اعماق قلبك .. لولا أنك تكابر وتخدع نفسك، فعيناك لا تكذبان . اريد أن تحس بي .

ولكن لماذا ينقبض قلبي هكذا ؟! لماذا اصبح كل شيء في الحجرة صامتا الان اكثر ؟! انفاسي مكتومة .. اين ذرات النور .. الهواء ؟! إني المح وجه شيء مفتول الشارب يغمض عينيه .. يغط في نوم عميق وهو قابض على الفراغ .

ليتها تعود الان حتى استريح من الخوف ، فالزمن قد طال والانتظار مؤلم . يا الهي ماذا اسمع ؟! ربما تكون هي .. ولكن الهمسات غريبة ومضطربة وآثمة ! ..

تحسست الظلام .. حدقت في كل شيء من خلال الفتحة الضيقة لافترس في الحقيقة الخفية للوجود عبر ارجاء الكون المترامي الاطراف ..

لماذا خدعتني عيني البراقة ؟ ان جسدها المتالق يلمع ، فلانتظر ..

ولكن صوت المؤذن .. آه قلبي ، قلبي !

وعند الاذان تحركت. وقطرات الماء السابت وتوالت عليها الايام والليالي .. دون ان تعرف سر الدائر في دوران المتاهة ●

روّح عن نفسك ..

• مصطفى الشهابى •

هذه الصفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعلومات المفيدة والاجابات أسفل الصفحة ..

اولا : لغز بالشعر

يحكى اذا قشرته
أنياب أفيال صغار
ذو باطن مثل الاقاح
وظاهر مثل البهار !

ثانيا : مسالة حسابية

احذف تسعة أرقام من عملية الجمع الاتية ليصبح المجموع صحيحا :

١١١
٣٣٣
٥٥٥
٧٧٧
٩٩٩
_____
١١١١

ثالثا : اختبر ذكاءك

قال نبيل لصديقه سعيد : « أمامك ثلاث زجاجات اثنتان منها مليئتان بالكولونيا والثالثة ملأى بالماء ، وهي كما ترى متساوية في الحجم والشكل . فاذا تناولت احدى الزجاجات الثلاث وذكرت لى ما تحتويه وصح قولك ، اعطيتك زجاجتي الكولونيا ، واذا أخطأت ، كان لك حق الاقتراع على الزجاجتين الباقيتين ، فاذا أصبت أخذت زجاجة كولونيا واحدة .. »

ففكر سعيد قليلا ثم اهتدى الى حل ضمن به احدى زجاجتي الكولونيا على الاقل ، فماذا فعل ؟

رابعا : اختبر معلوماتك

من القائل ؟

١ ـ لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ، ما تركته .

٢ ـ أيها الجنود ، ان أربعين قرنا تنظر اليكم من أعلى هذه الاهرام •
٣ ـ أنا وبعدى الطوفان •
٤ ـ أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا •
٥ ـ الحق فوق القوة ، والامة فوق الحكومة •
٦ ـ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا •
٧ ـ أنا الدولة •••
٨ ـ انا افكر ، فانا اذن موجود •
٩ ـ لقد جئت ورايت وانتصرت •
١٠ ـ الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا •

الإجابات

أولا : لغز بالشعر : هو الموز •

ثانيا : مسالة حسابية

١٠٠
٠٠٠
٠٠٥
٠٠٧
٩٩٩
———
١١١١

ثالثا : اختبر ذكاءك

قرر سعيد أن ياخذ اية زجاجة ويقول ان بداخلها كولونيا •• فاذا صح قوله نال زجاجتى الكولونيا • واذا ظهر أن بها ماء فانه بذلك قد تأكد أن الزجاجتين الباقيتين مليئتان بالكولونيا ، وما عليه الا أن يختار احداهما ويقول ان بها كولونيا •

رابعا : اختبر معلوماتك : من القائل ؟

١ ـ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
٢ ـ نابليون
٣ ـ لويس الخامس عشر
٤ ـ مصطفى كامل
٥ ـ سعد زغلول
٦ ـ عمر بن الخطاب
٧ ـ لويس الرابع عشر
٨ ـ ديكارت
٩ ـ يوليوس قيصر
١٠ ـ رديارد كبلنج الشاعر الانجليزى

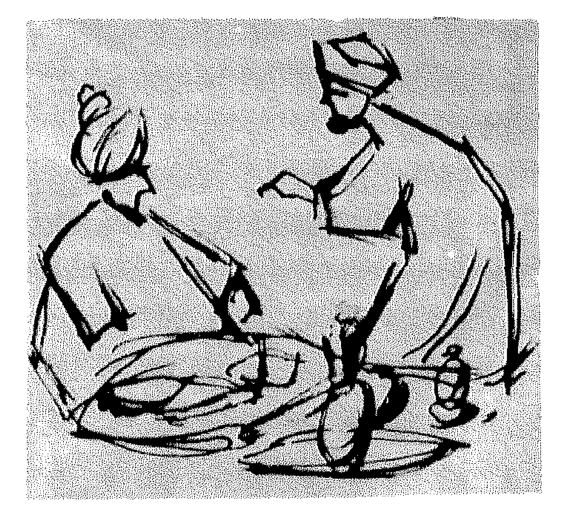
زهرات من رياض العرب

● عزة ●

حج هشام بن عبد الملك ايام خلافته ، فدخل الكعبة ، فوجد فيهما سالم بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، فقال له : يا سالم ... سلني حاجتك . فقال سالم: اني لاستحي من الله ان أسال في بيته غيره ..

فلما خرج سالم من الكعبة خرج هشام في اثره ، وقال له : الان خرجت من بيت الله فاسالني حاجة .. فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الاخرة ؟

فقال هشام : من حوائج الدنيا . فقال سالم : اني ما سالت الدنيا ممن يملكها ، فكيف أسالها ممن لا يملكها ؟! .

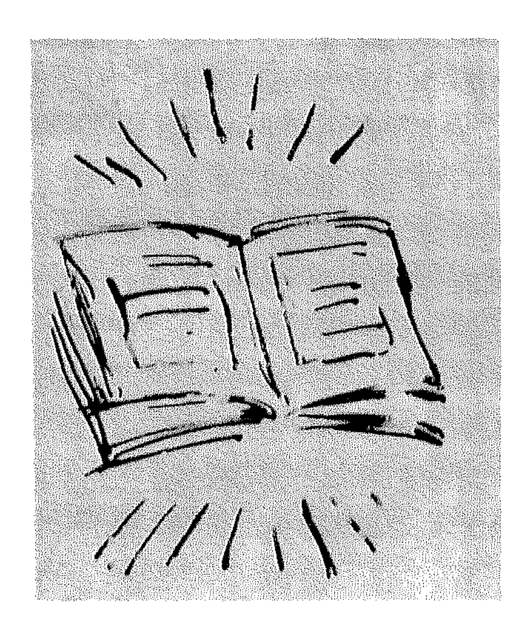


● صيام الليل ●

دخل أحد الحمقى على الخليفة هارون الرشيد في احدى الليالي وهو ياكل ، فقال له الرشيد : « هل لك في العشاء » فأجابه : « انى صائم يا أمير المؤمنين » . فسأله الرشيد : « أمواصل انت ؟ » ـ أى انه يصوم يومه وليلته حتى يمسى ، فقال : « لا . ولكنى وجدت صيام الليل أسهل من صيام النهار » .

● قراء القرآن ●

قال الامام علي ـ كرم الله وجهه : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ، ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الثمرة ، طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ، طعمها مر ولا ريح لها .



● السماحة ●

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: رحم الله عبدا سمحا اذا باع ، واذا اشترى ، واذا قضى ، واذا اقتضى (طالب بحقه) .

● أخزى الله المال ●

مرض قيس بن سعد بن عبادة ـ رضى الله عنهما ـ فلم يزره أحد من اخوانه ، فسأل عنهم ، فقيل له : انهم يستحيون مما لك عليهم من ديون.

فقال : أخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة .

ثم أمر مناديا بأن ينادى : من كان لقيس عنده مال ، فهو منه فى حل !.

فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد !

● محسن فهمي ●



متابعة لتقليد جرى عليه
الهلال
عدد رمضان من كل سنة
يخصص لدراسات عن:
محمد
صلى الله عليه وسلم
خير ما نقرأ
عن خير البشر
الهلال
عدد "رمضان" أول أغسطس ١٩٧٩



الهلال
يونيـة ١٩٧٩
الخيط المقطوع بين التوجيه الديني والشباب
حوار مساحته الزمنية نصف قرن
نجيب محفوظ.. بدأ في طريق وسار في طريق آخر
الفسطاط.. الجامعة الأولى في مصر الإسلامية
الهلال
جرجي زيدان
August 1893
Faggaleh, Cairo, Egypt
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي:
في الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات
بالبريد الجوي:
في البلاد العربية:
سوريا ٣٠٠ ق.س الكويت ٣٥٠
لبنان ٢٥٠٠ ق.ل العراق ٤٠٠
الأردن ٢٥٠ فلسا
تسدد بشيك مصرفي مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلال
١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
١٩٧٩م
العدد الأول من الهلال والأخير منه
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
مجلة الهلال عميدة المجلات
وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
نفسك وأسرتك من سلاح العصر

الهلال

مجلة الفكر العربي

محمد

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم

أربعة عشر قرنا فى ظل رسالته

- فتحى رضوان
- أنيس منصور
- يوسف إدريس
- نجيب محفوظ
- د. محمد الظواهرى
- محمود شلتوت
- د. عبد الحليم محمود
- د. عبد الجليل شلبى
- د. محمود على مكى
- د. أحمد شلبى
- د. كمال جعفر
- رشيد رضا

كلمة الهلال

عودة إلى نقطة البداية



للمرة الثانية نخصص الجزء الاكبر من عدد اغسطس / رمضان للسيرة النبوية الكريمة ، وسيكون هذا باذن الله تقليدا لهذه المجلة :
تخصيص العدد الموافق لشهر رمضان من كل سنة للسيرة المباركة وما حولها ..

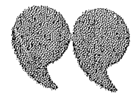
ولنا من وراء ذلك هدفان: الاول تجديد دراسات السيرة ، فان هذه الدراسات مازالت راكدة عند الصورة التى صنعها الدكتور محمد حسين هيكل لسيرة ابن هشام ، وتلك بدورها صورة محرفة لسيرة ابن اسحاق اى أننا واقفون فيما يتصل بالسيرة عند القرن الهجرى الثانى ، الثامن الميلادى ..

والهدف الثانى هو ان نجعل من شهر رمضان شهر تأمل فى احوال العرب ما مضى منها وما هو كائن وما سيكون ..
لماذا ؟
هذا هو ما ندعوك أن تفكر فيه .

وهذا ايضا هو مايدعونا الى أن نجعل شهر الصيام هو شهر السيرة الكريمة ، لأن السيرة هى البداية ، ومن القواعد المقررة أن القافلة اذا ضلت طريقها فان خير ما تفعله هو أن تعود الى نقطة البداية لتبدأ السير من جديد .
وها نحن عند السيرة ، عند البداية .

فلنفكر معا ، لنقرأ ولنفكر ولنبحث على ضوء سيرة المصطفى عن طريق جديد لهؤلاء العرب ـ قومنا ـ الذين عاهدوا الله ـ نحسب ـ على الا يستريحوا قط ولا يسيروا على الطريق السليم قط ..
أو أكون مخطئا فى تصورى ؟
أرجو ..

وعلى أى حال فلنفكر ، ولنتأمل ، فهذا شهر الصيام والتأمل ..



المحرر

في هلال هذا الشهر

● اسلاميات ●

● من التراث المعاصر ●

● أدب ودراسات ●



رمضان ١٣٩٩ هـ
أغسطس ١٩٧٩ م

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبوالمجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصرالدين عبداللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى عمبد

من الهلال

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير (الهلال) غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد
أحمد فاضل وأحمد الوردى

● صورة هدية العدد تصوير الفنان خالد خضر ●

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صافا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج.ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط) .

حصيلة أربعة عشر قرناً

في ظل رسالة محمد

بقلم رئيس التحرير

ان ما حققناه خلال الاربعة عشر قرنا الماضية كثير، ولكنه قليل جدا بالنسبة لما كان ينبغي ان نحققه ..

فقد بدأنا من قاعدة الاسلام ، وهي قاعدة حضارية متينة وثيقة ، وقد ارتفعنا بها الى مستوى عال جدا من الحضارة والتقدم والقوة خلال القرن الهجري الاول . فأنشأنا عالما جديدا يقوم على مبادىء الخير والحق والعدل والعلم والقانون ..

ولكننا توقفنا بعد ذلك لم نستطع مواصلة السير في الطريق الذي رسمه لنا الاسلام ، ظهر اننا اقل من مستوى المسئولية .. فتخطانا الزمان ..

معنى هذا الانحراف واهم اسبابه واردة في المقال ، ولكننا نقول في كلمات :

ـ اننا فقدنا الاطار السياسي السليم الذي اعطانا اياه الاسلام

ـ أن أهل العلم عندنا قصروا في حق الامة وجبنوا عن مواجهة الظالمين ، فضاعت حقوق الامة وسارت بغير قيادات .

والعلم في الاسلام لا يقتصر على علوم الدين بل يشمل علوم الدين والدنيا ، ولا فرق اساسا بين هذه وتلك ولكننا اقتصرنا في فهم العلوم على انها علوم المعاد وانصرفنا الى علوم المعاش .

ثم اننا اخفقنا في ان نسير في خطى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم نفد من المثل الاعلى الذي ضربه في سياسة الدنيا وصراع الحياة .

بعد قليل تنتهي اربعة عشر قرنا من التاريخ في ظل الرسالة الاسلامية التي حملها الى البشر خير البشر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتلك مناسبة طيبة لكي نقوم بعملية حساب نفسي لننظر ماذا حققنا وما لم نحقق من مطالب هذه الرسالة ، وهل قمنا بحقها حقا ، وهل انتفعنا بها كما ينبغي ان ننتفع ؟ وهل خدمناها بحقها أي هل قمنا بواجبنا نحوها .

وقبل أن امضي في الاجابة عن تلك الاسئلة اقول ان تلك الرسالة جليلة جدا ، وأنها حملت للبشر خيرا بلا حدود ، وفتحت لهم أبواب العمل والاجتهاد والابداع في النهوض بمستوى البشر أنفسهم اخلاقيا ومعنويا ، وفي توجيههم الى العمل الصالح النافع الذي يعود عليهم وعلى غيرهم بالخير .

والمفروض اساسا أننا ـ أمة الاسلام ـ مكلفون بنشر الاسلام في نواحي العالم اجمع ، وأن الجهاد في سبيل الله ينبغي أن يستمر حتى يصبح الدين كله لله .

واذا كان الجيلان الاولان من أجيال المسلمين قد استطاعا قبل نهاية القرن الهجري الاول توسيع رقعة الاسلام حتى مدوا رواقه على نصف المعمور في تلك العصور ، حتى سنة ١٠٠ هجرية، في منتصف خلافة عمر بن عبد العزيز القصيرة كان الاسلام قد أظل الناس من فرغانه في قلب آسيا الى ساحل المحيط الاطلسي ، وصعدنا في فرنسا حتى اقتربنا من باريس ..

على هذا القياس كان ينبغي ان يكون العالم كله قد دخل في الاسلام في نهاية القرن الهجري الثاني أو الثالث على الاكثر ، لأن الاسلام الذي فتح نصف العالم في اقل من قرن لم يتغير فيه شيء بل ألفت فيه الكتب فبدىء في تفسير القرآن وجمع الاحاديث ، وبدأ الناس يضعون أسس المذاهب ، اى أن الاسلحة التي كان الاسلام يفتح بها الدنيا زادت قوة وحدة وفاعلية ، مما كنا نتوقع معه أن تزداد سرعة انتشار الاسلام ، وأن يزداد فهم الناس له بفضل مؤلفات التفسير والحديث والفقه

ولكن الذي حدث كان خلاف ذلك .

الدفعة الاسلامية الاولى التي انتهت سنة ١٠٠ للهجرة توقفت ، ودخلنا في خلافات وحروب أهلية ومتاهات اساءت الينا والى الاسلام ، والناس الذين كانوا ينظرون الى العرب الاول نظرتهم الى حملة الرسالة العليا ورسل عهد جديد تجتمع فيه الانسانية كلها على شريعة واحدة ومبادىء اخلاقية واحدة تحقق العدالة والمساواة والرخاء للجميع

والاسلام هو الاسلام ، ما تغير فيه شيء وما تبدل ، بل زادت عقيدته وشريعته وضوحا ، ودخلت الشريعة في بلاد شتى وطبقت فيها ، وقام العلماء والفقهاء بما يمكن ان يسمى توفيقا بين اصول الشريعة وروحها ومطالب البشر مما جعل شريعة الاسلام وقانون الخلق أيسر على الادراك والتطبيق وأقدر على

● يستكثر بعض الناس ماحققناه ، ويقولون إننا أطلعنا في الطب فلانًا ، وفي الصيدلة فلانًا ، وفي الفلك فلانًا .. وهذا حق ، ولكن ذلك كله قليل : كان ينبغي أن يكون عندنا عشرات الأطباء مثل الرازى وابن سينا والزهراوى ، وعشرات علماء الطبيعة مثل الحسن بن الهيثم وعشرات الجغرافيين مثل الإدريسى ..!

الانتشار والاتساع .

فما الذى حدث اذن ؟

ما الذى أوقف الدعوة عن الانتشار كما كان ينبغى لها أن تنتشر وتظل الناس أجمعين .

الذى أوقفها هم المسلمون أنفسهم .

فالذين نشروها أول الامر وقاموا برسالتها مسلمون على مستوى هذه الرسالة وقادرون على القيام بحقها ..

والذين أوقفوها مسلمون آخرون مستواهم أدنى من مستوى الرسالة وقدراتهم أقل من النهوض بالواجب العظيم .

وقد آن لنا أن نفيق من حلمنا الذى ظللنا نتعلل به قرونا طويلة زاعمين لانفسنا أننا قمنا بما لم يقم به غيرنا . لان الذين قاموا بذلك كانوا أهل جيلين منا، أما بقية الاجيال فما أقل ماعملت وما أكثر ما ضيعت .

وهذا كلام ينبغى أن يقال اليوم .

فقد آن أن نشب عن الطوق .

وآن ان ندرك أن الانسانية كلها تدخل اليوم فى دور حاسم خطر من الصراع لاثبات الوجود على وجه هذا الكوكب .

ذلك أن الناس يزيدون بالملايين ومواد الحياة من غذاء وكساء ومعاش لا تزيد بل هى تنقص ، وعلى قدر المساحة التى سنحوزها نحن المسلمين ستكون قدرتنا على الصراع وفرصتنا للبقاء ، ونحن بعدالجهد الجاهد لانحتل من سطح الارض غير السدس معظمه صحار وبلاد قاحلة ، وسحابة البترول التى تمطر على بعض بلادنا سوف تجف يوما ما وتعود صحارينا الرهيبة صحارى أرهب ، لان اعداد سكانها ستكون قد تضاعفت عشرات المرات ، فاذا نضب الزيت فماذا تفعل الملايين التى ستخرج الى الوجود ..

ثم ان المسلمين اليوم خمس البشر ، وهى نسبة جد ضئيلة بل معيبة ..

وتصور أن الله أمرنا بأن نجاهد فى سبيله حتى يصبح البشر كلهم مسلمين فكيف والله نلقى ربنا وقد قصرنا فى حق دينه هذا التقصير المعيب ؟

بل ليتنا حافظنا على ما فتحه اجدادنا الاولون .

لقد أضعنا منه الاندلس وصقلية وجزائر البحر الابيض ، وتركنا منه بلاد ما وراء النهر يرعاها الشيوعى الكافر بالله ويطارد الاسلام فيها ، وتأخرنا الى الصفوف الخلفية بين الامم، وكان من واجبنا أن نكون فى الطليعة لان لدينا دين طليعة .

كان ينبغي أن نكون دائما وفى كل العصور طلائع العلم والعرفان وطلائع الخير ومبـادىء الحريه والعـدالة والفضيله ، وطلائع العلوم جميعـا لان قرآننا يفتح لنا الأبواب ويقـودنا الى معارج الرقى .

فأين نحن من هذا كله ..

وما اقل ماتتقدم به فى كفة حسناتنا فى نهاية أربعة عشر قرنا من الزمان !

تلك حقائق لا يمكن تجاهلها .

ولقد كذبنا على أنفسنا سنين طويلة، وسـكتنا على الكـذب على ظن أن فى التحـدث بما ادركنـاه من توفيـق « لا يجارى » فيه تشجيع وتقوية للروح المعنوية .

ولكننا اقتربنا من نهـاية الاربعـة عشر قـرنا وبدأنا نتأخـر بدلا من أن نتقدم .

ولم تعد هناك مندوحة عن أن نواجه انفسنا بالحقيقة وهي اننا لم نوفق فى اداء الرسالة التى تطلبها الاسلام منا .

ولم نـوفق لاننـا قصرنا ولم نقم بواجبنا ، واظهرنا اننا اقل من المسئولية الموكولة الينا ..

ونسأل الآن :

ما السبب ؟ أو ما هى الاسباب ؟

***

السبب الاول أننا تخلينا عن رسالة الإسلام .

وأنا هنا لا أتحـدث بمنطـق رجال الدين وأسـلوبهم فى النظر الى هـذا الموضوع .

فهم يتهمون المسلمين بأنهم تخلوا عن الاسـلام ، بمعنى أنهم لم يقوموا بفرائض الاسلام من عبادات .

وأنا أخالفهم فى الـرأى فى هـذا الموضوع وأقول :

ـ على العكس ، ان المسلمين قامـوا في كل عصر بفرائض الاسـلام ، كلهم صلوا وصاموا وحجوا .

بل ان أحدا لم يصـل ويصم ويحج كما صلى وصام وحج المخالفـون لروح الاسلام والمتسببون فى متاعب المسلمين

وهل صلى انسـان أكثر مما صـلى الحجاج بن يوسف الثقفى ؟

وهل صلى وصام رجل مثلمـا صـلى أبو العباس السفاح وداود بن على وأبو جعفر المنصور ..

وهل اعتدى على المسلمين أحد كمـا اعتدى عليه الحجـاج وأبو العبـاس السفاح وأبو جعفر المنصور ؟

وكلمة صريحة نقولها :هل كل الذين يحجون ويتكلفون مشاق الحج وتكاليفه متخلقون بأخـلاق الاسـلام ، قائمـون بمطالب الاسلام ؟

وهل كل الذين بنوا المساجد وأعلوا ذراها وتأنقوا فيها كانوا فعلا مسـلمين صالحين أم هم بنوها للزهـو والكبرياء والتكفير عن جنايات يرتكبونها واظهـر مثالين لذلك نادر شاه قولى شاه ايران من الاسرة الافشـارية ، فهذا الرجل اقتحم دلهي عاصمة اسلام الهند وقتل من أهلها عشرين الفـا ، ثم أخـذ رخام بيوتها ومساجدها ليبنى به مسجدا في اصفهان ..

وكذلك قنصوه الغورى السـلطان المملوكي الذىسرقالناس كما لم يسرقهم احد ، بل سرق كل المواد التى انشا بها مسجده المشهور فى القاهرة من مساجد أخرى حتى تندر الناس به فقالوا ان هذا هو المسجد الحرام لان كل ما فيه حرام ..

فالمسلمون لم يهملوا فرائض الاسلام وانما اهملوا اشـياء لا تقل اهمية بالنسـبة للاسـلام عن الفـرائض والعبادات وهي روح الاسلام واخلاقيات الاسلام .

وقد اهملوها لانهم لم يعرفوها ، لم يعرفهم بها أحد .

وهذا هو الذى قصر فيه رجال الدين فى العصور الماضية .

لم يحدث الا فى القليل النادر أن عدا سلطان على حريات الناس ودماء الناس وأموال النـاس ثم نهض رجـل دين يعرف قدر الاسـلام وقال للظـالم فى وجهـه : أنت ظلمت وخـالفت روح الاسلام ..

وهذا أبو العباس السـفاح قتل من قتل فأين رجل الدين الذى وقف ولطمه على وجهه بكلمة الحق ..

وبعد المعتصم توقف الخلفاء عن الجهاد فأين رجال الدين الذين قالوا للخلفـاء انهم قصروا في واجب الجهاد ..

معظمهم أحاطوا برجال السـلطان

● إن الإسلام قدم لنا قاعدة حضارية عالية جدًا ورسم لنا الرسول صلى الله عليه وسلم منهاجًا رفيعًا في تنظيم الجماعة ، فأخفقنا في الإفادة من القاعدة وعجزنا عن السير على منهاج الرسول الأعظم ..

وأيدوهم وحسنوا لهم أعمالهم ..

والقليلون منهم هم الذين تصونوا وابتعدوا عن السلطان ، أى أنهم اتخذوا موقفا سلبيا . نجوا بأنفسهم وتركوا الآخرين يغرقون ..

وأخص رجال الدين الماضين باللوم لانهم كانوا وحدهم هم المتعلمين وهم الذين يقرأون الكتاب الكريم والحديث الشريف ويفهمون المعانى ويعرفون الاصول ، وكان من واجبهم ان يضعوا هذه المعرفة فى خدمة الجماعة الاسلامية لا فى خدمة السلطان .

حتى كبار الائمة مثل أبى حامد الغزالى وقفوا هذا الموقف السلبى ، فقد عاش أبو حامد فى عصر العدوان الصليبى على عالم الاسلام ، فماذا فعل الغزالى لاستنهاض الهمم وجمع صفوف المسلمين والدعوة الى انقاذ القدس الشريف ..

ان كتاب احياء علوم الدين على العين والرأس .

ورسائل « المنقذ من الضلال » و « ايها الولد » و « المضنون به على غير أهله » على العين والرأس ..

ولكنها كلها بعيدة عما كانت تتطلبه أحوال العالم الاسلامى من ايجابيات .

والذين انقذوا الاسلام وجمعوا الصفوف وأعادوا وحدة الأمة لم يكونوا رجال دين ، بل كانوا رجالا من طراز بناة عالم الاسلام الاول : رجال يفهمون ان قوة الاسلام فى اجتماع صفوف أهله وبث الشجاعة فى نفوسهم والسير بهم الى ميدان الجهاد ..

ونور الدين محمود نفسه لم يعجبه أسلوب رجال الدين في أيامه ، وعندما قرأ له خطيب مسجده في حلب مسودة خطبة الجمعة التي سيلقيها في الغد استهجنها ولام الرجل على الاسراف فى المديح وقال له : قل اشياء فى معنى التحميس والتشجيع وفضل الجهاد ، واذا دعوت لى فقل اللهم ارحم المشار المكاس ..

ومعذرة اذا نحن وضعنا المسئولية كلها على رجال الدين في الماضى ، .. والسبب فى ذلك انهم هم وحدهم كانوا المتعلمين العارفين ، وكانوا قادرين على رد الناس الى جادة الاسلام ..

والا ، فمن غيرهم كان يستطيع ذلك؟

وتلك هي القرون التى اضعناها وأفاد منها غيرنا ..

فبينما كان أبو حامد الغزالى معتزلا فى جامع دمشق ليكتب احياء علوم الدين كان البابا اريان الثانى يخطب فى مجمع كلير مونت ويدعو الناس الى حرب المسلمين والعدوان على بيت المقدس .

وبينما كان امراء المسلمين فى الشام يحارب بعضهم بعضا فلا يجد الواحد منهم من يدخل عليه ويلومه كان اساقفة المسيحية يعلنون أن حرب المسيحى مع المسيحى كفران ، وان كل القوى ينبغى ان تتجه لحرب المسلمين ..

***

الذى أريد أن أقوله هو أن رجال الدين هؤلاء عرفوا مواقف الاسلام وشريعة الاسلام وحفظوا عن ظهر قلب كتب التفسير والصحاح والمسانيد وكتب السنن بل كتب الاربعينات ..

ولكنهم لم يذكروا بديهية واحدة قالها أبو بكر فى حديث له مع صاحبه ابى عبيدة : يا أبا عبيدة هذا الدين عدل وسماحة وبذل للنفس والمال ، وهؤلاء معك اخوانك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضون معك لحرب الروم وقد جادوا بأنفسهم فأكرمهم ووقرهم وأحبهم فوالله ما وصلنا الى هذا الا بحبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ·

ولقد قرأت فى كتبهم ما شاء الله لى أن اقرأ فما رأيت واحدا منهم يذكر حاكما بما قاله عمر بن الخطاب لخالد ابن الوليد بعد ما فعله بالناس فى معركة نهر الدم أو قس الناطف : ماهذا الذى فعلته بالناس من اراقة الدماء · هذا الدين صون للدماء وعز لصاحبه ·

وكان ذلك من أسباب عزل خالد بن الوليد ·

***

ولقد بلغنا فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ذروة نهوضنا الحضارى فهـذا هو قرن العلم والفكر والفن والابداع ··

وفى هذا القرن أيضا بلغنا الحضيض من الضعف السياسى وتفرق القلوب الا فى الاندلس ·

فما السبب فى ذلك ؟

السبب هو ان الذين كان عليهم أن يربوا هـذه الأمة تربية سياسية واجتماعية لم يقوموا بواجبهم ·

والذين كان عليهم أن ينهضوا بالعلوم والآداب قاموا بواجبهم ·

وأنت اذا نظرت الى هـذا الدين - عقيدة وشريعة - وجدت أن لكل عبادة من عباداته ولكل حكم من أحكام شريعته جانبا دينيا وجانبا حضاريا : جماعيا واجتماعيا ··

فاما الجانب الدينى فقد فهموه ووضحوه وكتبوا وابدعوا فيه ·

وأما الجانب الحضارى الجماعى فهو الذى تركوه ·

وواجبنا نحن ان نحدث الناس عنه ، فاننا لا نريد أن تكون حصيلة القرن الخامس عشر مثل حصيلة القرن الرابع عشر ··

وواجبنا ان نذكر الناس بما سبق أن قلناه وهو ان القرن القادم قرن صراع مصير ،فان الارض تضيق والناس تزيد ، وخيرات هـذه الارض محدودة بينما قدرة النـاس على النسل غير محدودة ·

فاذا نحن لم نفتح عيوننا ونتنبه الى مطالب العصر القادم فان مستقبلنا مع الأسف الشديد ظلام ·

وأول ما ننبه الناس له هو أن أقوى ما يتسلح به الافراد والجماعات فى صراع الحياة هى الاخلاق ·

والاخلاق فى عصرنا هـذا قد تغير معناها ، فلم تعد تقتصر على الفضائل المعروفة ، وهى أساسية ولا غنى عنها ولكنها أصبحت تضم كذلك التعاون والتساند والتفكير بروح المجموع لابروح الفرد ، والنظافة ورعاية ممتلكات الأمة ومرافقها ·

ومن الواضح أن اخلاقياتنا التعاونية ضعيفة جدا ·

فمن مجتمع القرية - وهو مجتمع ناس بسطاء معظمهم لا يفكون الخط الى مجتمع الجامعات ، وهو مجتمع ناس المفروض أنهم قمة العلم والفهم فى الأمة لا نجد اثرا لروح التعاون والتساند والتفكير بعقلية المجموع ·

واذا كنا نلوم بسطاء القرى على ما ينصرفون اليه من منازعات شخصية وفردية ، فاننا نلوم سادة الجماعات ودكاترتها على تفكيرهم الفردى الانانى ، فكل منهم لا يفكر فى غير نفسه ، وكل منهم لايقوم الا بالضرورى الذى لايصرف راتبه بدونه ، والقليلون جدا منهم هم الذين يفكرون فى الجامعة كجامعة ، ككل عضوى متكامل ، كحصن من حصون العلم والمعرفة والتقدم فى بلده ·

واذهب مثلا الى اى جامعة أمريكية أو فرنسية أو انجليزية ترى الاساتذة فيها من الصباح الى المساء فى مكاتبهم يعملون ويدرسون ويوجهون ويبحثون ويكتشفون ويخدمون مجتمعهم والمجتمع الانسانى ··

وتعال الى جامعاتنا تجد اساتذتنا ينظرون اليها مصدرا للرزق فقط : الواحد منهم يلقى درسه ويطير ، وكيف يلقيه ؟ تلك مسألة أخرى ··

بل هناك من يقصرون حتى فى هذا ، فلا يلقون الدروس ويستحلون الرواتب وبمثل هـذه النمـاذج من التصرفات

● إذا كان هذا كله قد فاتنا فى الماضى، فينبغى ألا يفوتنا فى الغد.. علينا أن ندخل فى القرن الخامس عشر الهجرى بصورة تختلف تماما عما عشنا عليه خلال القرون الماضية

لا يمكن أن نطمئن على مستقبلنا العلمى أبدا •

ولنا عن الجامعات العربية حديث طويل، بل قضية كبرى ليس هذا موضعها •

***

المهم لدينا أن اخلاقيات التعاون، هى اخلاقيات اسلامية غير موجودة عندنا، ولابد من البحث عن طريقة لجعلها جزءا من البرنامج التعليمى التربوى لذلك المجتمع الاسلامى كله •

لابد أن نتعلم كيف ننسى نفوسنا فى سبيل المجموع •

ولابد أن نفهم اننا نكسب اذ ننسى أنفسنا، لاننا نستفيد بقوة المجموع وهذه فكرة واضحة، وردت فى القرآن الكريم والحديث الشريف، ولكننا نحن لم نطبقها وطبقها الآخرون فصاروا هم جماعيين يفكرون بروح الجماعة ويكسبون بقوة الجماعة؛ وصرنا نحن فرديين نفكر بتفكير الفرد القاصر ونخسر بتضارب مصالح الأفراد •

ومن غريب الامر أن الفكر الدينى عندنا القديم منه والجديد لم يتنبه لهذه الناحية الاساسية فى حياة الجماعات قط، فلم يؤلف شيخ من الشيوخ الكبار القدامى كتابا أو يكتب فصلا طويلا فى فكرة الجماعة وقيمة العمل الجماعى، مع أن الفكرة فى حاجة الى تثبيت فى الاذهان لأن الانسان بنفسه فردى انانى والأديان والمفكرون والفلاسفة هم الذين يلفتون نظر الانسان الى أهمية العمل الجماعى والى ما يكسبه الانسان اذا عمل مع الجماعة وبالجماعة •

***

والسبب الأخير الذى اقف عنده من اسباب تأخرنا هو قصور تربيتنا السياسية •

لقد أتانا القرآن الكريم بأصول سليمة للبناء السياسى، فنص على العدل والمساواة والحقوق والواجبات، وتوخى رسول الله صلى الله عليه وسلم تربية جماعية، فكان لا يقطع أمرا فى شأن من شئون الدنيا الا شاور فيه أصحابه واخذ بما يتفق عليه رأيهم فيه وفى هذه الناحية جعل قيادة الأمة فى شئونها الدنيوية جماعية، وفى الصحيفة التى كتبها الرسول بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم وجاهد معهم من اليهود توضيح كاف لذلك، فقد كانت كل وحدة قبلية مسئولة عن شئونها ومصالح افرادها ومكلفة بتوجيه افرادها فى خدمة الجماعة فيما يخصها حتى تتفرغ القيادة العليا لشئون الصالح العام من أمن وجهاد وانشاء المرافق التى تخدم الجماعة كلها مثل انشاء المسجد الجامع وتهيئة بقيع الغرقد ليكون مدفنا للمسلمين، وانشاء طريق من المسجد الى الجامع الى جبل سلع وتعمير الارض الغامرة أى غير

المزروعة فى سهل المدينة وما الى ذلك ،
وكان الرسول يوجه الجماعة دائما الى ما فيه خيرها دون نظر الى صالح شخصى ، فما كان له فى المدينة الا حجراته ،وكان وقته كله مكرسا لصالح الأمة وتوجيهها ،ولم يستعمل فى حياته العنف فى أى أمر من أمور الجماعة ، انما هو عمل على رفع مستوى الجماعة الى مستوى مسئولياتها عن طريق التدريب فى الغزوات والسرايا واقناع الناس بما يعود عليهم من الخير اذا خدموا جماعتهم ، ثم تركهم بعد ذلك يتصرفون ، وتولى تقويم مسارهم وتصحيح أخطائهم وارشادهم الى الطريق السوى دون اللجوء الى العنف قط .

وكانت الى جانبه جماعة كبار الصحابة الذين تربوا على يديه وتأدبوا بأدبه وكانوا أصحاب شوراه ، وقد أحسن تأديبهم كما أدبه ربه سبحانه وتعالى فأحسن تأديبه ،فساروا بطريقته وفهموا عنه ما يريد وفهموا الاسلام كذلك فهما صحيحا .

وهذا هو الاطار السياسى الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم لجماعة المسلمين ، وقد نجحت الجماعة نجاحا لا كفاء له فى حياته صلى الله عليه وسلم ، وعلى طريقته تلك سار الخلفاء الراشدون فنجحوا وسارت سفينة الأمة رخاء حتى وقعت فتنة عثمان ، ونزل بالجماعة كلها البلاء ، واستمرت الفتنة حتى العصر الراشدى ، وبنهاية العصر الراشدى قامت الملكية الأموية ، وقام بناء سياسى جديد يخالف طبيعة الاسلام ، فانحرفت مسيرة الأمة كلها ، ففى أعقاب الأمويين سار العباسيون ، وتوقفت الشورى وفقدت الجماعة دورها ، وارتدت الانسانية من جادة التوجيه السياسى خطوات شاسعة الى الوراء .

هنا أيضا قصر العلماء وأهل الفكر وكان الامر يحتاج الى شجاعة ونصيحة ولكنهم ضنوا بانفسهم ، واكتفوا بالتوجيه من بعيد أو من وراء ستار دون مواجهة حقيقية مع أهل الحكم ..

وأمامك كتب الفقه كلها تجدها تبدأ بالعبادات وتنتهى بالبيوع ، أو الجراحات دون أن يكون هناك اهتمام حقيقى بالناحية الدستورية من شئون الجماعة ، وكان أقصى ما وجهه أهل العلم الى الحكام هو النصح الرقيق كما نرى فى « التبر المسبوك فى نصائح الملوك » للغزالى أو سراج الملوك للطرطوشى ، بل ان واحدا من المفكرين السياسيين وهو أبو الحسن على الماوردى كتب كتابه الاحكام السلطانية لكى يبرر كل أخطاء الحكام ويثبت الواقع المعوج ويضفي عليه صيغة قانونية فاباح الحجر على الخليفة، واباح ولاية المريض والمجنون والظالم ونصح الأمة بالصبر والامتثال لامر الله .

وجاء الوعاظ فقالوا ان الأمة ينبغى أن تصبر على الحاكم الظالم لأنه عقوبة من الله سبحانه وتعالى ولا يجوز الاعتراض على عقاب الله .

فساد الاطار السياسى هذا هو الذى أفسد أمور المسلمين جميعا فى كل عصر ، فلا تقدم ولا حضارة ولا رخاء الا فى اطار سياسى سليم يلزم الحاكم بالعدل ، لأن العدل لا ينبغى أن يكون منحة من الحكام، ويلزم الأمة بالقيام على الحاكم الظالم وانتزاع الحكم من يده ..

وهذا الذى لم نفعله نحن هو الذى فعله أهل الغرب بالثورات الدستورية الدائمة على الظلم والانحراف وأنانية الحكام ليتمكنوا من اصلاح الاطار السياسى الذى يعيشون ، ومنحوا لأنفسهم الحرية والامان على النفس والمال والسيادة فى بلادهم .

واذا كان هذا كله قد فاتنا خلال القرون الماضية فلا ينبغى أن يفوتنا خلال القرون الآتية ..

اننا ندخل القرن الخامس عشر بحصيلة لا بأس بها ولكنها قليلة جدا ، بل هى أقل مما كان ينبغى أن يكون لدينا .

والأمل فى ان ننتفع بما ضيعناه فى الماضى لنكسب فى المستقبل ..

وما ضاع من مالك ما علمك .

● د . حسين مؤنس ●

محمد رسول الله ومشكلات القرن العشرين

● فتحي رضوان ●

● تداولت السن المسلمين فترة عبارة نسبت الى الكاتب الارلندى المسرحي العظيم : برنارد شو، مؤداها ان مشكلات القرن العشرين ، لا يقوى على حلها ، الا محمد رسول الاسلام ، وأضاف الى هذا قولة اخرى خلاصتها ان الاسلام هو دين المستقبل ، وان فيه من الخصائص والمزايا ما يفوق ما اجتمع فى أى مذهب حديث ٠

ونسب الى تولستوى الكاتب الروسي ، وزعيم كتاب روسيا ، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والعقد الاول من القرن العشرين ، كلاما من هذا القبيل ٠

والحق انني على طول مصاحبتي لادب تولستوى وفكره فى القصص القصيرة والروايات الطويلة والكتب والرسائل ، لم أعثر على شيء من قبيل ما نسب اليه ، ولم اقع فيما قرأته من ادب برناردشو، على شهادته العظيمة لمحمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ٠

ولكن نبى الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، فى غير حاجة الى هذه الشهادة لتتضح لغير المسلمين ــ دع عنك أتباعه والسائرين على شريعته ــ هذه العظمة غير المتناهية التى حققت فى عالم الفكر ثم عالم الواقع والتنفيذ ، ما لم تستطع شخصية سواها ، الوصول الى عشر معشاره ، فى غير مبالغة ولا تعصب ٠٠

ولقد الف الكاتب الامريكي المعاصر «مايكل هارت» كتابا عن مائة عظيم، ثم انتهى الى القول بأن محمدا هو رأس هؤلاء العظماء جميعا ،والمعيار الذى اعتمده هذا الكاتب ليصل الى هذه الشهادة ، صحيح لكنه غير كامل ٠

فالمتفق عليه بعامة ، أن العظماء الذين صنعوا تاريخ الانسانية ، لا ينتمون الى طائفة واحدة ، بل تتوزعهم ثلاث فرق فرقة المفكرين ، وفرقة المنفذين ، وفرقة أهل البيان ٠

والاوائل ، يتركون المناهج التى تحلل مشكلات الانسان ، وتردها الى أسبابها ، ثم تخرج عالما جديدا له أسسه وطرائقه ونظرياته ، ووسائله ٠ ثم لا يضيفون الى هذا الخلق النظرى شيئا ٠ فيتركون لواحد من أتباعهم أو لعشرات منهم أن يتحمسوا لهذا البناء ،ويبتدعوا من وسائل الدعوة اليه ، والتعصب له ، الجديد والمؤثر والجذاب ٠٠

ثم يتوالى الانحياز لهذا اللون الجديد

من الفكر ، جموع ، حتى يتاح لهم قائد قد يرى فى هذا المذهب الجديد ، الذى استحوذ على اعجاب الجيل الجديد ، أو على رضا الساخطين فى النظام القديم ، وسيلة لتحقيق وصوله هو الى الزعامة فالسلطة فاذا الحيال قد انقلب فى يد هذا الزعيم الجسور ، المقتحم ، المدبر ، الذى يخلب الالباب بلسانه ، ويستثير الحماسة ببيانه ، حقيقة واقعة ، وبناء ضخما .

والفريق الثانى ، هو فريق أهل العمل أصحاب الهمة الفائقة ، والارادة النافذة ، ومعرفة أسباب النجاح ، واستجماع الوسائل اليها ودواعى الفشل واتقاء الوقوع فيها . أهل الحساب الدقيق ، وجمع الاحاد ، وجبر الكسور ، وتدبير المال ، واصطناع الانصار ، وتجهيز الجيوش ، وارسال الارصاد والعيون .. بالجملة فريق بناة الدول ، ومؤسسى الامبراطوريات والامارات .

والفريق الثالث، اهل بيان، لايستحوذ عليهم الفكر الذى يفلسف الامور ويبحث عن مصادرها ، ويهتدى الى لنتائجها ، ولا يسوق الكلام القائم على الحجة المقنعة ولا البرهان الذى لا يرد ، وانما هم خلقوا ، ليضعوا فى النفوس اليائسة الامل ، والجموع المغلوبة على أمرها العزم ، والذين يخلقون بألفاظهم الجميلة وأخيلتهم العذبة ورؤاهم الساحرة ، دنيا غير دنيا الناس ، ترتفع بهم وتعلو ، وتبدو لهم قوى غير منظورة ، تبعث فيهم طاقات ، لم يحسوها فى انفسهم ، ولم يدركوها قط .

هؤلاء الذين امسكوا فى أيديهم التاريخ وهو طينة لم تتخلق ، فشكلوها على هواهم ، وصنعوها كما بدا لهم .

وقل أن تجتمع المواهب الثلاثة بخصائصها وسماتها ، فى رجل . فاهل الفكر ، لا يحسنون التدبير ، والصبر على مكائد السياسة ، هم افلاطون وجمهوريته ، والفارابى ومدينته الفاضلة .

وأهل البناء والتشييد ، يبحثون عن الافكار المعدة ، ويتبنونها ، ولا يحملون أنفسهم مشقة التأمل ، والاستنباط ، والمقابلة والمراجعة ، وهم ان مالوا الى شيء من الفلسفة ، صرفهم ذلك عن المكائد والدسائس ، فانكشفت للاعداء وجوه الضعف فيهم .

واهل البيان ، لا يحبون النزول الى دنيا الواقع ، وأقذار السياسة ، وحقائق النفوس الانسانية لا عن جهل بها ، أو تجاهل لها ، ولكن الله لم يمنحهم الجلد على الجزئيات والتفاصيل .

وقد بقى مكان الرجل الذى يجمع هذه الفضائل جميعا فى شخصه ، وأن ينتفع بها كلها من أجل مذهب بعينه أو عقيدة بذاتها ، حتى بعث محمد رسول الله نبيا للانسانية كافة ، يخاطب الشعوب كلها ، ويدعو الامم بأسرها ، ويقيم بناء يحفل بالجسم والنفس والمشاعر ، وينظم الحكم ويفكر فى الحرب ، والسلم ، والقضاء والحكم ، ويجيش الجيوش ، ويرسل الدعاة والهداة ، ويحالف ويعاهد ، ويتزوج ، ويعانى فى حياته الخاصة ، ويعرف كل ما عرفته الناس من آلام.. فقد عرف اليتم ، كما عرف أحزان من فقد الوالد ، بفقد جده وعمه ، وآلام من فقد العائل والراعى ، اذ فقد زوجته خديجة ، وفقد أولاده المرة بعد المرة ، حتى مات على حجره ابنه ابراهيم ، وهو يهتز من الاعماق ... ولكنه يتماسك لكيلا يقول أو يفعل ما يغضب الرب .

عرف الفقر ، وآلام الجوع ، والهزيمة فى السياسة والحرب ، ثم عرف النصر الساحق والفوز المبين ، واجتمع له فى أمة



لم تسلم قيادها من قبله لملك ولا لامير ولا لكاهن ، ولا لشيخ من قبله .. اجتمع له من السلطة ما لم يجتمع لملك ، ولا لقيصر ولا لنبى . فغدا أمير العرب ، ونبيهم ، وقاضيهم ، ومربيهم ، وقائد جيوشهم ، وواضع سياستهم ، ومنفذها ، وموفد السفراء ، ومقنن القوانين ، وشارحها ، وخطيب القوم ، ومفتيهم ... اليه المرجع فى كل ما يخطر لهم من مشكلات ، وما يعترض حياتهم من أزمات .

ولقد كانت دعوته للاسلام ، ثم احتمال الاذى فى سبيله ، ثم التدرج نحو النجاح والعودة الى الفشل ، واليأس من النصر ثم اجتماع العرب ، حوله شيئا فشيئا ـ شيئا لا نظير له فى تاريخ الحركات كافة ... ما كان منها فى ضخامة الاديان وعمق أثرها ، وبقاء تراثها ، وما كان من قبيل الحركات السياسية المحلية أو الدولية ، أو المواهب العقلية والفلسفية ، التى أسست على قواعدها دول ، وقامت أمم ..

فصاحب الدعوة ، قد يبذر بذورها ، ويموت وهى ليست سوى دعوى تتناقلها أو تتناقل أنباءها قلة صغيرة وقد يكتب له النجاح ، فيراها وقد اجتمع حولها المؤمنون ، وكثر لها الدعاة ، ثم يموت وهى دعوة .. وقد يراها قد انتقلت الى نظام قائم ، ولكن الامر فيه الى غيره ، يديره ويغير فى أصل الدعوة طبقا لظروف الايام ، وظروف السياسة .

أما صاحب الدعوة الذى بذر بذورها ثم تتحول الى شجيرة فشجرة ، فدوحة تظل بظلها الالوف فالملايين ، فيتحول من داع الى قائد ، ومن قائد الى رأس المجتمع كله ، يوجهه ويعلمه ، ويوسع أطرافه ، ويضع له الانظمة ، ويرسم الخطط ، ويختار الولاة والحكام ، والقادة وأعوانهم وينظم المال ، والزرع ، والدواوين ـ فهذا مثل لم يشهده التاريخ الا مرة واحدة ، حينما خرج محمد بن عبدالله فى القرن السادس الميلادى (سنة ٥٧٠ ميلادية) ليدعو الناس الى عقيدة بسيطة ولكن شاملة ، تغير المجتمع الانسانى من أساسه ولا تدع فيه حجرا على حجر : تلك عقيدة لا اله الا الله ..

***

عقيدة خلقت فلسفات ، وولدت حضارات ، وأنشأت دولا ، وثلت عروشا ، وهزمت جيوشا ، والهمت شعراء ، وأوحت الى مفكرين ، واصطدمت بأقوى القوى فى ميادين السياسة والحرب ، والاقتصاد والمال وهزمتها وفرضت عليها الرأى .

فأية قوة تنطوى عليها هذه الحركة التى دعا اليها محمد رسول الله عليه السلام ، بأمر ربه ؟ ـ وما الذى جعل الاستجابة لها والتأثر بها ، بهذا الاتساع والعمق ، وبتلك السرعة ؟ ..

ولكى نعرف اسرار هذه القوة الكامنة فى حركة الاسلام ، والتى رفعت رسول هذه الحركة الربانية ، الى مكانه الفذ الفريد ، لا بين العظماء ، وقادة الشعوب ، وزعماء حركات الفكر ، ولكن بين الانبياء المرسلين من عندالله ، فقد ختم الله به الرسالات ، وهذا فضل من الله ، عظيم .

لكى نعرف أسرار هذه القوة ـ فى غير افاضة ولا تفصيل ـ يجب أن نعرف أمرين :

أولهما ـ الظروف القاسية ، التى لا تبشر بأدنى فوز ، التى ولد فى ظلها الاسلام .

ثانيهما ـ عناصر نجاح هذه الدعوة ، وعدم اجتماعها لحركة انسانية ، أو دين آخر ..



وبعد تبين هذين الامرين ، ننتقل الى جوهر هذا البحث ، وهو هل تقوى هذه الحركة التى أوشك أن يتم الدهر على مولدها اربعة عشر دورة كاملة ، كل دورة بلغت قرنا من الزمن — على أن تواجه مشكلات العصر الحديث ، التى تفاقمت واستفحلت وأخذت بعضها برقاب بعض • هل تقوى على حل مشكلة الفقر والجوع الذى يسود نحو نصف الكرة الارضية والذى يصيب بآلامه وأوجاعه المذلة المهينة نصف أبناء الانسانية أيضا ؟

هل تقوى على حل مشكلة التسليح الذى يلتهم فى العام الواحد من أقوات البشر الجياع المهزولين أكثر من خمسمائة مليار اى خمسمائة ألف مليون ؟ •• هل تقوى على حل مشكلة التضخم الذى يزداد ويهدد الدول الكبرى ، كغول ، لا يقبل التفاهم ، ولا يجد مروضا له ، ولا منجما يستطيع أن يقول متى يقف نموه ، ولا يقل متى يموت ؟ •• هل تقوى على حل مشكلات السياسة التى نذكر منها على سبيل المثال: المانيا التى أصبحت قسمين ، وايرلندا التى أصبحت شطرين ، وقبرص التى باتت جزءين ، وفلسطين التى تحولت الى ثلاثة أجزاء ، وكوريا التى هى دولتان ، والصين التى هى اليوم عملاق وقزم ؟ •

أما العنصر الاول ، الذى يستحق منا التأمل ، والدهشة فى آن واحد . ان الاسلام بدأ حياته فى بلد يعانى الفقر والجدب ، واليأس من اصلاح الحال ، فلا أرض تزرع ، ولا صناعة تمارس ، وتدر الرزق ويعانى فى الوقت نفسه أقصى درجات الجهل ، فالامية هى سمة المجتمع العربى ، ثم الفرقة الشديدة ، والعصبية المتقدة ، فلا أمة بالمعنى المعروف ، يضمها اطار واحد ، ولا يظلها حكم مستقر ، ولا عقيدة مشتركة والحروب بين قبائلها لا تنتهى والغارات لا تهدأ • والعمران فيها قليل ، والمسافات بين مجتمعاتها قد باعد الله فى اسفارها ، ونثرها فى بواد وفيافٍ تنقطع لها أكباد الابل •

فكان المطلوب من الدعوة أن تحيل هذا المجتمع المتنائى ، الذى تمزقه الخصومات على مدى القرون والحقب ، أن يوجد أو يولد أولا ، فان ولد كان فى حاجة الى قرون ليلحق بركب حضارات الدول العظيمة التى تحف به ولا تكاد تحفل بوجوده • الاعاجم بملكهم الباذخ ، والروم بعزهم الشامخ •

***

ولكن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حقق معجزة حضارية وعمرانية ، لم يستطع اعظم مؤسسى الدول ، أن يفعل شيئا يشبهها ، فقد استحالت هذه الامة المتحاربة المتدابرة ، الى مجتمع بلغ أقصى الغاية فى الاتحاد ، والاندماج ، فاصبح يدين بعقيدة واحدة ، ويخضع لنظام روحى وسياسى واحد ، وأصبح اعضاء هذا المجتمع القبلى ، اخوة كاصفى ما يكون الاخاء ••

واستطاع محمد عليه السلام وخلفاؤه ان يوجهوا هذا المجتمع الذى يتناثر فى اعطاف الجزيرة المجدبة القاحلة المترامية الافاق واطرافها ، وهم فى مسجد المدينة ، لا يجدون فى ذلك عناء ، ولا تصادفهم صعوبة ، فى وقت لم تكن وسيلة الانتقال والاتصال أكثر من الناقة • ولم يكن هذا الاتساق والتطابق فى نسيج هذا المجتمع الجديد ، الحديث العهد بالنظام والحكومة المركزية ، مجرد طاعة للحاكم الاعلى فى عاصمة الدولة ، وانما كان اذعانا روحيا ، قوامه الحب الخالص ، والانقياد الكامل ، تدفع اليه عقيدة يتساوى الجميع امامها ، ويتساوى الجميع فى الايمان بها والتصديق بما تقوم عليه وما تدعو اليه • مهما اختلفت طبقاتهم وأصولهم وأنسابهم والموطن الذى ينتسبون اليه ، ويعيشون فيه •



وحدث بعد هذا التطور الذى لا يكاد يصدقه من يدرس تاريخ هذه الحقبة الباهرة ، تطورات أخرى كلها غريب وعجيب وغير مسبوق ٠ فهؤلاء الاميون استحالت مضارب قبائلهم المتواضعة ، وقراهم المتناثرة ، الى مواطن علم ودرس وثقافة ، وبعد أقل القليل من الزمن خرج منهم الفقهاء والعلماء ، والمفكرون والمحدثون والمشرعون ٠٠

ومع هؤلاء برز قادة الجيوش ، ومنشئو المدن والامصار والعواصم ، ومشيدو العمائر، ومخططو البلدان ومنسقوها . ثم تدفقت الارزاق على هؤلاء الفقراء حتى لم يعد بينهم من يسأل الناس ، أو يتكففهم ٠٠

فى كم من الزمن تم كل هذا ؟ ٠٠ أفى قرن أو بعض قرن ؟ ان تغيرا كهذا ، لا يتم ولم يتم فى أى عهد من عهود التاريخ ، الا على يد أجيال متطاولة ٠٠ ولكن الاسلام حققه فى أقل من خمسة وعشرين عاما لا تكفى لاصلاح وحدة ادارية في وزارة ، أو تخطيط قرية أو تحويل ترعة ، أو شق مصرف ٠ وفي بلادنا مشروعات يستمر الحديث عنها أكثر من ربع قرن ثم لا ترى النور ! ٠٠

***

أما العنصر الثانى ، فهو النتيجة لهذا التطور الرائع المذهل ، فقد ولدت أمة كاملة وخلقت خلقا جديدا ، وكأنها لا تمت الى الامة التى كانت تعيش بين ظهرانى الناس ، قبلها بأدنى صلة ٠٠

وكان لابد أن تفيض هذه الامة ، على كل من حولها ، بما امتلأت به هى من طاقات الروح والفكر والجسم ، فى ميادين العلم والفن ، والسياسة والحكم ، وقد حدث هذا الفيض ، ولكن بسرعة ، طويت لها المسافات والازمنة ، حتى شملت حضارة العرب المسلمين أو المسلمين العرب العالم المعمور ، فجلس هذا العالم بين يدى العلماء والفقهاء الذين ولدوا وشبوا فى مكة والمدينة ، والطائف ، ونجد ، وفى أعماق البادية ـ مجلس التلميذ ، يتلقى العلم ، ويتفهمه ويخلقه بدوره خلقا جديدا فنشأت حضارة جديدة تتوازن فيها الروح والجسد ، والمعنويات والماديات ، ويتلاقى فى ظلها البسيط والمركب ، والظاهر والباطن ، ويسود الناس سلام عميق لم يعرفوا مثله ، ولم ينعموا بخيرات تشبه خيراته ٠

فهل فى وسع هذه الحركة الربانية الانسانية بعد أربعة عشر قرنا ، أن تنقذ الانسانية مما تردت فيه ٠٠ أم انه كتب على العالم الذى جن ، فأخذ لقمة العيش من فم الجياع وأنفقها على الصواريخ عابرة القارات ، والاسلحة الجديدة التى لا تزال طى الكتمان ، أن يترك لقنبلة ذرية أو نيترونية أو ايدروجينية ، تنطلق من الغرب الى الشرق ، أو تنطلق من الشرق الى الغرب ، فتقابلها فى الطريق أخرى تماثلها فتشتعل النار ، وتتهاوى المدن العظمى ، كبيوت من ورق ، ويختفى الانسان من وجه البسيطة ، عقابا له على سوء تدبيره ،وعناده ،واستسلامه لغرائزه الحيوانية. أفى وسع الاسلام أن يمنع الكارثة التى تزداد كل يوم اقترابا ،والتى تتوالى النذر بأنها القضاء الذى لا مفر منه ولا مهرب ؟ ٠٠

وماذا يكون لدى الاسلام من وسائل الانقاذ ، ما لا وجود له ، فى الاديان الاخرى والمذاهب الحديثة ؟.

والاجابة ليست عسيرة ، فالاسلام منذ البداية ، هو دين الانسانية ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يرسل لا للعرب ولا للعجم فهو رحمة للعالمين كافة ٠

واله المسلمين هو رب العالمين والقرآن الكريم يفيض بالايات الدالة على انسانية الاسلام ولكن قد يكفينا أن نذكر الاية الكريمة التى قال فيها الله تعالى ((يا أيها



الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم »

وقد كان لرسول الله دعاء عند القتال وهو موطن تشتد فيه الخصومة ، وتتأجج الكراهية يدل على هذه الروح الانسانية العميقة فقد كان عليه السلام يتوجه الى الله ويقول : « اللهم انا عبادك ، وهم عبادك ، ونواصينا ونواصيهم بيدك ، فاللهم انصرنا عليهم واهزمهم »

فالمسلم وهو يحارب غيره ، لا يزعم انه وحده من عباد الله وينكر على أعدائه أنهم مخلوقات رب العالمين ، ومن حقهم ان يشملهم برحمته ، الا ان المسلم يحارب من أجل حق ، لا من أجل ثأر ، ولا من أجل مطمع ، ومن ثم فهو احق بتأييد الله ، ونصره

وقد صاحبته هذه الروح الانسانية ، وهو ضعيف يطارد ، الى أن دانت له الدنيا واتسعت رقعة الوطن الاسلامى ، فقد واظب الخلفاء ومن جاء بعدهم على تحريم التمثيل بالموتى ، ولا الاجهاز على الجرحى ولا قتل الطفل او المرأة أو الشيخ او من انقطع للعبادة ·· بل تحريم قطع الاشجار وحرق المدن ، ولا يستطيع مؤرخ ان يدعى ان المسلمين فى جميع تاريخهم الطويل ، خرجوا على هذا الدستور ، فاستباحوا الحرمات ، أو أفزعوا الآمنين ، أو تعرضوا لمن نأى عن الحرب ولم يشارك فيها ، او يعين الاعداء ·

ولقد بقى شعار**((ولقد كرمنا بنى آدم))** هو شعار الاسلام فى الحرب والسلم ، وعند المهادنة أو القطيعة · فالانسان مقدس ، وهو مصون ، حيا وميتا ، عدوا أو صديقا ، مجرما أو بريئا· وقد استظل مسيحيون ويهود بالحكم الاسلامى ، فلم يلاقوا اضطهادا ولا ارهابا ، ولم ينكر عليهم خليفة ولا وال مسلم حقهم فى أن يمارسوا طقوسهم أو أن يقيموا مقابرهم وهياكلهم ، بل ان اليهود فرحوا بمقدم المسلمين الفاتحين فى اسبانيا والاندلس، ويعتبر العهد الاسلامى فيهما العهد الذهبى لليهود ، وفى كل مكان كان الرقيق يستقبلون جيوش المسلمين ، فرحين ، فقد حررهم وأطلقهم من الاسر ، ورفع قدرهم ، وفتح لهم باب المشاركة فى السعى الانسانى وجنى ثماره ·

فمنذ البداية ، كان الخلفاء الراشدون، لا يطيقون ان يروا مجرد شبهة اضطهاد اهل الكتاب ، ولعل ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، مع القيم على أحد المعابد اليهودية ، هو الدستور الذى سار عليه حكام المسلمين بعد ذلك ، فقد مر يوما الخليفةالثانى على «كنيس» يهودى فرأى أن التراب طمسه ، فسأل عن سر هذه الحال فقيل له ان القيم على هذا المعبد أهمله ، لقلة عدد يهود تلك الناحية ، فشمر ثوبه وأمر من معه من المسلمين ان يعاونوه فى ازالة ما اجتمع على المعبد من أتربة ، فلما حضر القيم وبخه الخليفة وهدده بأشد العقاب ان اهمل هذا المعبد، وأتى بشىء من المال من بيت المال كى يتسنى لليهود المقيمين فى **الناحية ان يمارسوا عبادتهم** ·

***

ومما يجب ان يذكر هنا أن تاريخ الاسلام خلا من الصراع الدامى الطويل والعنيف الذى دار بين الدولة والكنيسة فى القسم الغربى من أوروبا · وهو صراع لم يشهده القسم الشرقى ، لان الدولة فى الامبراطورية البيزنطية احتوت الكنيسة وأدخلتها ضمن **المؤسسات المكونة** لها · أما فى الكنيسة الغربية ، فقد بقيت **الكنيسة مستقلة ،وحاول عدد من الاباطرة والملوك ان يخضعوها لسلطانهم ، وان يستولوا على ممتلكات الكنيسة الواسعة ، واموالها الطائلة ، وطال هذا الصراع ،**

وتمزق له المجتمع ، ولنشأت بسببه عهود الاضطهاد الديني ،التي نجمت عنهاحروب خربت أوروبا ، وذهب ضحيتها مئات الالوف من شباب اوروبا المسيحيين . كل هذا أدى الى نزعة العلمانية التي تقصد ان تحرر الدولة من سلطة الكنيسة ، وتقصر نشاط الكنيسة على العبادة وحدها . ومع الزمن اعان ذلك على تفاقم النزعة غير الدينية التي انتهت بالالحاد ، والسخرية من كل ما هو ديني أو كنسي .

لم يحدث من هذا في ظل الاسلام شيء ، لانه لا كهنوت في الاسلام ، ومن ثم فالخليفة خاضع للقانون الاسمى ، وهو احكام الاسلام والقرآن ،خضوع أي مسلم وليس في وسع اي مسلم ، وان علت مكانته واتسع سلطانه ، أن يستثني نفسه أو من يحب ، من حكم الله ، بل ان الحاكم ان خرج على حكم الله ، وجب عزله ، وجاء الحكم بموته ، ان وقع في معصية . فالمجتمع الاسلامي ،هو في الواقع ،مجتمع القانون اى الشريعة ، ومن آيات هذا انك تسمع في اليوم الواحد في حديث المسلمين العاديين كلمتي الحلال والحرام، وهما مرادفان لكلمتي القانوني وغير القانوني ، أو المشروع والباطل .

ولما نفض المجتمع الغربي المسيحي عن نفسه نهائيا حكم الكنيسة ، والبابوات ، الامر الذي تقرر كمبدأ من مبادىء ثورة فرنسا سنة ١٧٨٩ ، عوضت الكنيسة نفسها عن نفوذها الضائع داخل دول اوروبا ، في مستعمرات هذه الدول ، ولما انتعشت حركة الاستعمار ، رأت الدول الاستعمارية الكبرى ،ان تتخذ من البعثات التبشيرية وسيلة لنشر نفوذها السياسي، وتجارتها ، وتجارب منافساتها .

فقد لاحظ غاندي ، وهو الذي كان يؤمن بأن موعظة المسيح على الجبل ، هي اسمى ما دعا اليه الانسان ، والذي طبق تعاليم السيد المسيح عليه السلام ــ لاحظ هذا الزعيم ، ان رئيس البعثة التبشيرية في الهند ، يجري في ركاب الحاكم البريطاني العسكري فاحزنه ذلك كثيرا، لانه كان يؤمل في أن تعين تعاليم السيد المسيح على انقاذ الانسانية مما تردت فيه وفي مقدمة الشعوب جميعا ، الهند ، التي هبطت الى الدرك الاسفل فقرا وجهلا وضعفا .

***

ولما ضيعت اوروبا الغربية على نفسها ما كانت ستمنحها اياه المسيحية ، لو أنها جعلتها دستور حياتها العملية والسياسية، ولم تنفها من حياة كل يوم، تأثرا بحروب الكنيسة مع الدولة، وبعهد التفتيش ، فقد رفعت مبادىء « الديموقراطية » ، ليتساوى الناس امام القانون ، وليخضعوا الحاكم لسلطان الشعب ، ولكن كان قوام الديموقراطية هو نظام الانتخاب ، وقد قصرت أوروبا حق الانتخاب في أول دساتيرها على الذين يملكون وحرمت منه الفقراء والخدم والمحرومين ، مع ان الديموقراطية جاءت لتحرر هؤلاء وتعينهم على التمتع بحقوق الانسان العادي .

وقد بقيت هذه الديموقراطية قاصرة لان الانتخابات لم تنجح قط من الطعن فيها بأنها كانت مزيفة وباطلة ، ولان الديموقراطية التي **نفت من جنتها أحوج الناس اليها ، بقيت قاصرة ومتحيزة . فان أوروبا ضنت بها على الدول التي خضعت لسلطانها ولمستعمراتها ، بل حاربت الديموقراطية في تلك الدول بلا هوادة .**



وقد أريد ان تكون الشـــيوعية هي البديل عن الديمـوقراطية السـياسية ولكن هذه الديموقراطية الاجتماعية اعتبر ((العنف)) جزءا من انجيلها رغبـــة في تحقيق اهدافها وغاياتها من أقرب طريق• فانتهى الامـر لا الى تكامل الديموقراطية السياسية بالديموقراطية الاجتمـاعية بل الى المجابهة بينهما • وهى مجابهة لا يمنع من وقوع آثارها الرهيبة الا توازن الرعب النووى • وكان هذا آخر المطاف •

***

فهل يستطيع النظام الاسلامى ، الذى قدم للعالم تجربة عمليـة طبقت فى اكبر جزءمن العالم المعمور لمدةقرون، فاثمرت ثمارا باهرة ، أقلها الجزء العلمى والثقافى الذى ننعم بآثاره الآن ، والتى لا يعـكر علينا هذا التمتع الا ما أضافته الحضارة التي تجردت من روحانية الدين وسماحته ولطفه وأخوته •

هل يستطيع النظام الذى انشأ الحضارة العربية الاسـلامية التى أهـدت الى الانسانية قاطبة مدائن زاهرة ، ومكتبات عامرة ،وتحقيقات وكشوفا علمية باقية. فى غير عنف ولا استعلاء ، أن يمد يده الى الانسانية التى تصبح وتمسى على أنباء القتل والتدمير، والانقلابات، والمخاوف؟

هل يستطيع النظام الذى يؤمن بوحدة الانسانية هذا الايمان الذى عبر عنـه القرآن كثيرا ، كما سلف القول ، والذى لخصه الرسول عليهالسلام: «كلكم لآدم، وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » •• كما يؤمن بوحدة الرسالات السماوية : « **آمن الرسول بما أنزل اليه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله لا نفرق بين أحد من رسله»**

وهو نظام يحرم العنف « **لا اكراه فى الدين » « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » « ادفع بالتى هى أحسـن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »**

وهو نظام يحب الحياة ، ويدعـو الى تجميلها : « **قل من حرم زينـة الله التى أخرج لعباده والطيبـات من الرزق » •• ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا))** •

وهو يقيم للمال وزنه ، ويعـرف حب الناس له ، ولكنه يقيده ويكبله حتى لا يكون سيدا للناس •

وآخر الامر هو نظام اساسه القانون ، ولحمته وسداه القانون ، يخضع الجميع له ولا يستثنى أحدا من احكامه ، حتى خليفة رسولالله: «أطيعونى ماأطعت اللهفيكم»

« أقواكم عندى الضعيف حتى آخـذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه)) •

لقد خلقت الشريعة التى جاء بها محمد رسول الله ، من أشد الامم ضعفا وفقرا ، وأنآها عن مجتمع الدول والشعوب ، قوة خير ، وتعمير ، وتشييد وتعليم فىفترة من عمر الانسـان كأنها لمـح البصر ، وعاشت هذه الدولة بعده قرونا طـويلة ، ووصلت الى أقصى الشرق وأقصى الغرب ، وحينما ذهبتتركت مواخر تموجبطنين التلاميذ ، وبأصوات العلماء يتناقشـون ويتباحثون فى وقار وحب عميق للحـق والعلم والحرية •

أفيعجز هذا النظام كله ، بهذا التراث كله ، أن يكرر التجربة وينقذ الانسانية ؟ لا أظن ؟ ••

مثل في تسامح محمد وعفوه

● د. عبد الجليل شلبي ●

● كان رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ـ كما هو معروف ـ أطهر الناس قلبا وأزكاهم نفسا ، لا يحمل لاحد حقدا ولا يكن لعدو ضغينة ، بل على العكس ، كان يرثي للذين يصرون على عدائه . ويحزن لاستمرارهم على ماهم فيه من غي وضلال .

وهم حين اغروا به سفهاءهم يسبونه ويرمونه بالحجارة ، لا يزيد على ان يرفع يديه الى السماء فينادي ربه : « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » .

كاد لايمانه الثابت برسالته ويقينه في وعد ربه يتوقع أن أعداءه سيفيئون الى أنفسهم ويرجعون الى الاسلام . لهذا كان يدعو لهم بالهداية ولا يدعو عليهم بالهلاك ومن وقع منهم أسيرا تحت يده آثر العفو عنه على الانتقام منه . وبهذه الاخلاق السامية والقلب الكبير استحق أن يوصف بأنه رءوف رحيم وهفت اليه قلوب المنصفين ، ولو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله ، وله ، صلوات الله وسلامه عليه من هذه الاحداث مايطول ذكره ويندر وقوعه من غيره .

***

كان سهيل بن عمرو العامري خطيب قريش ومتكلمها ، من أشد القرشيين تحريضا على الرسول ، وأسوئهم تشنيعا على الاسلام وصدا عنه . وقد وقع أسيرا يوم بدر ، وتوقع المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأمر بقتله ، لكنه لم يفعل ، واقترح عمر عليه ان يخلع ثنيتي عمرو ، وكان عمرو أعلم « مشقوق الشفة العليا » ـ فاذا نزعت ثنيتاه صار عاجزا عن الخطابة .. لكن رسول الله « عليه الصلاة والسلام » أبى ذلك أيضا ، وقال لعمر : لعلك تجده في موقف يسرك وتحمده عليه « أو كما قال » ..

ومع ذلك كان سهيل هو الذى فاوض رسول الله فى صلح الحديبية ، وأبى أن يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » او



« من محمد رسول الله » وقال : لو كنت أعلم انك رسول الله ماحاربتك..

واسلم سهيل يوم الفتح ، فلما مات رسول الله وارتد من العرب من ارتد ، وقف سهيل يخطب الناس بمثل خطبة ابي بكر قائلا « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، والله لقد علمت ان هذا الدين سيمتد امتداد شروق الشمس ، .. ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ... »

فقال عمر : صدق رسول الله ، هذا موقف احمد سهيلا عليه .

وجاء كبار المسلمين مرة ليقابلوا عمر وهو خليفة . فامر بادخالهم حسب منازلهم فى الاسلام ، فادخل صهيبا وبلالا ، واخر سهيلا واباسفيان، فغضب ابو سفيان واشماز ، فقال سهيل له ولمن معه : « على انفسكم فاغضبوا ، دعيتم الى الاسلام كما دعوا فاسرعوا وابطاتم . والله لما فاتكم من السبق الى ابواب الجنة لاكبر مما فاتكم من السبق الى باب عمر ... وليس لكم ماتعوضون به الا السبق الى الجهاد »

ثم كان له دور مشكور فى الجهاد وفى الدعوة الى الاسلام ولو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد قتله يوم بدر ، او نزع ثنيتيه لحرم الاسلام جهاده بسيفه وبخطابته ..

وصدقت فراسة رسول الله ، وكانت عاقبة امره يسرا وخيرا .

***

ويوم فتح مكة عفا النبى الكريم عن اعدائه الذين ناصبوه العداء وعبأوا ضده الجيوش وشنوا عليه الحملات وقتلوا عمه حمزة واصحابه وانصار دينه ، كان عفوا اهتزت له قلوب القوم واذعنت ، ولكن النبى صلوات الله وسلامه عليه استثنى سبعة عشر شخصا كانوا اسرفوا فى ايذاء المسلمين ودعوة الاسلام ، قال اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة ... وكان من هؤلاء من اسلم وارتد وقتل من المسلمين اشخاصا غدرا واخذ مالهم

ومن هؤلاء السبعة عشر ابن خطل الذى اسلم وغدر ونهب ثم ارتد ، وتقلد سيفه يوم الفتح وقال لايدخل المسلمون مكة ، فلما راى قوتهم رجع يختفى وراء أستار الكعبة ، ولم يسلم ، فقال رسول الله عليه افضل صلاة وازكى سلام ان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب ... فقتل قصاصا وكفرا .

اما الذين اسرعوا الى الاسلام واعلنوه فقد عفا عنهم .

ومن هؤلاء هبار بن الاسود . بلغ من عدائه رسول الله ، انه تعرض لزينب بنته ، وقد بعث بها زوجها ابو العاص الى المدينة . وكان معه عدد من سفهاء قريش فنخس هبار بعيرها

فاجفل وسقطت هي علي صخرة ،وكانت حاملا فاجهضت وانزفت دماؤها ، وقد ظلت تعاني هذا المرض حتى مـاتت ، وتهدده النبي وامر بقتله ، ولكنه اختفى ثم اسلم واعلن اسلامه ، فلما جاء الى رسول الله اخذ الناس يسبونه بماحدث منه ، فذكر ذلك للنبي صـلى الله عليه وسلم فعفا عنه ، وقال له :سبمن سبك .فانتهى الناس عن سبه.وهوحين قدم مسلما اعتذر عما كان منه ، وقال: اصفح عن جهلي وعما كان مني ، فاني مقر بسوء فعلى معترف بذنبي ، فقـال رسول الله : ياهبار عفوت عنك وقـد أحسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام، والاسلام يجب ماقبله .

***

ومن هؤلاء عكرمة بن أبى جهل ، كان هو وابوه من اشد أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لددا ، ومن أشد الناس على المسلمين ، وقد فر يوم الفتح يريد الهرب الى الحبشـــة ، ولكن زوجته اسلمت واستأمنت له رسول الله عليه الصلاة والسلام فأمنـــه فلما جاء الى رسول الله . قال : يامحمد هذه أخبرتنى أنك امنتنى قال« صدقت ، انك آمن »

ولم يكن عكرمة حتى الان أسـلم . ولكنه دهش لهذا العفو فاغضى حياء ،ثم جهر بالشهادتين ، وقـال له النبى : ماتسالنى شيئا اقدر عليه الا اعطيتكه، قال: استغفر لى كل ماعاديتك به، فقال: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به. ورمى عليه رداءه تقديرا له وترحيبا به ، وتناسي له سـيئاته العديدة . وصار عكرمة بعدمن أبطـال المسلمين المحاربين .

فانظر الى عظمة النبى وكبر قلبه ، حتى ينسى ضغائن عكرمة وسوء أفعاله، ثم يدعو له بالمغفرة ، وفوق ذلك قـال لاصحابه لا تسبوا اباه ، فان سب الميت يؤذى الاحياء ولا يلحق بالاموات .

***

وهكذا بدا تسامح رسول الله فتـرك الحارث بن هشام ، وزهيرا بن اميـة، وصفوان بن أميه ، وكان يظن ان النبى لا يسامحه ابدا ، فذهب يرمى بنفسه فى البحر فأمر النبى أن يدركوه ، وقال هو آمن .

وهند زوج أبى سـفيان التى مثلت بحمزة عم رسول الله ، وكعب بن زهير ووحشى قاتل عمه .. وهكذا ، وهكذا. نفس كبيرة تعيش للمبادىء ولا تعيش للاهواء .

وهذا حديث يطول ويمتد ، فلم تكن حياته صلى الله عليه وسلم الا رحمة ، ولا كانت أعماله الا مثلا للمحسنين . وخليق بالشباب الناهض أن يغترف من هذه السيرة الكريمة ما ينفعه فى شبابه وشيخوخته ، ودنيـاه وآخـرته والله يهـدى من يشـاء الى الطـريق المستقيم . . .

من التراث المعاصر

جوانب شخصية محمد

•• والواقع أن ذكرى الرسول لها جانبان :

جانب عام يشمل المؤمنين جميعا ، وهى ذكرى اخلاقه ، وحسن معاملته التى اجملها بقوله « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » •• واجملها الله سبحانه وتعالى بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » •

وجانب خاص ، وهذا الجانب له فى شخصية الرسول جهات متعددة قد اجتمعت كلها فى شخصيته عليه السلام ، وهى لا يمكن ان تجتمع فى غيره ، وانما توزع على الناس توزيعا .

فهو قد كان عاملا بالأجر ، يرعى الغنم لغيره ، ويتجر لغيره ، فيحسن رعيه ، ويحسن أمانته ، وهو بذلك كان خير قدوة للعمال ••

وهو قد كان داعيا الى دين ، يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل بالتى هى أحسن ، وهو بذلك كان خير قدوة للدعاة والمرشدين .

وهو قد كان مجمعا لاخوانه واتباعه مؤلفا لقلوبهم حريصا على خيرهم ، رءوفا رحيما بهم ، وهو بذلك كان خير قدوة للزعماء الذين يفنون فى خير أمتهم .

وهو قد كان قاضيا عادلا وحاكما منصفا لا ترده عن عدالته أبوة أو بنوة ، وهو بذلك كان خير قدوة للقضاة والحكام .

وقد كان محاسبا لعمال المصلحة العامة يأخذ منهم ما أخذوه باسم الوظيفة ، ويترك لهم ما اكتسبوه باسم أشخاصهم ، وكان يدير توزيع المالية على مصارفها دون حيف ولا محاباة ، وهو كان بذلك خير قدوة للمحاسبين والمديرين .

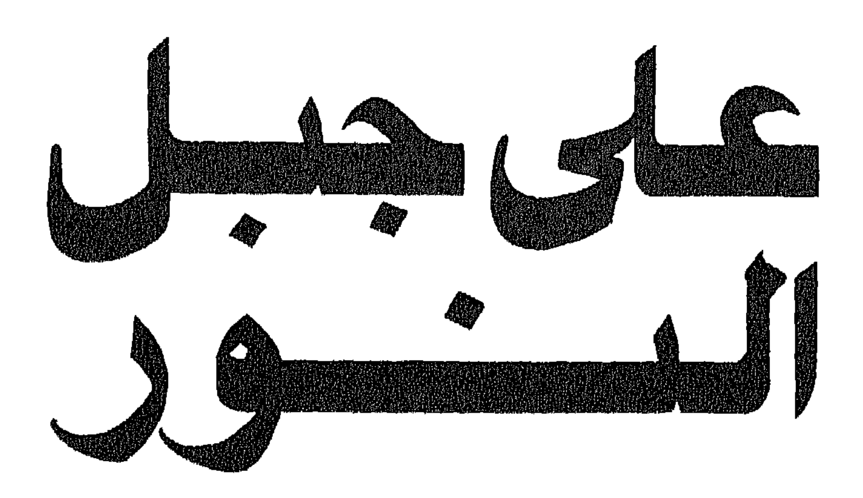
وهو بعد ذلك كله كان يرتب الجيش ، ويعين المواقع ، ويختار أماكن الردء والامان ، وكان يستعرض الجنود ، ويستعرض السلاح ، ويتقدم الصفوف ، ومواقفه فى غزوتى «أحد» و « الخندق » لا تخفى على أحد ، فقد كان فى «أحد» أقرب المجاهدين الى العدو ، وكان أصحابه يتقون به ، وكان فى غزوة « الخندق » وهى المعروفة بغزوة الاحزاب يعمل مع أصحابه فى حفر الخندق ، الذى أشار به سلمان الفارسى فى شمال المدينة ، وكان ينقل التراب بنفسه ، متمثلا بشعر ابن رواحه :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا
وان ارادوا فتنة ابينا ••

ويا حبذا لو ان كل طائفة ذات اختصاص معين من جوانب ذكراه ، اتخذت من ذكراه الجانب الذى يمسها ويتصل بها ، فالعمال يعرفونه كعامل محسن أمين ، والدعاة يعرفونه كداع مؤثر حكيم ، والزعماء يعرفونه كزعيم مؤلف حريص ، والقضاة يعرفونه كقاض عادل منصف ، والمشرعون يعرفونه كمشرع نافذ البصيرة ، والمحاسبون يعرفونه كمحاسب دقيق ، والبلغاء يعرفونه كبليغ يمتلك القلوب ، والمحاربون يعرفونه كمحارب ظافر منتصر .

للامام الراحل
الشيخ محمود شلتوت — من كتابه :
من توجيهات الاسلام

● انيس منصور ●



••• ومن الذى لا يحاول ان يسير فى نفس الطريق الذى سار فيه محمد العظيم •••

فى هذا الطريق الى غار حراء سار الرسول اكثر من الفى يوم ، طالعا نازلا ، متفكرا ، متاملا ـ خفيفا بصفاء روحه ، وثقيلا بهموم قومه وكل الناس ••

الناس يسمونه ((جبل النور)) فمنه وفيه ظهر جبريل ، ومنه خرج نور يهدى الناس الى سواء السبيل ، الى كلمة سواء ، الى ماهو انفع وارفع •• الطريق صعب •• وانا لم استعد لهذا الصعود ، ولا خبرة لى به . وكلما عرضت هذه الفكرة لم يفلح احد فى ان يخفى استخفافه ـ او دهشته ••• اما الدهشة فلأنه طويل صاعد صعب ولانه من الصعب على من اقترب من الخمسين ويزيد وزنه على الثمانين ان يصعد كل هذه الصخور الى ارتفاع شاهق •••

ووجدت الناس على حق . ولكن اريد ان ارى ، ان أمشى ، ان المس ، ان استذكر ، ان استرجع ••

ان اكون على مقربة من مكان تغيرت فيه الدنيا .. هناك متنفس رجل عظيم .. هناك ، كان الرسول وحده مع الله وحده .. كانت السماء تعد جسمه لان يكون جهاز استقبال فريدا يستقبل كلمة الله التى هى السماء والأرض وما بينهما .. ان جسم الرسول لابد أن يعد اعدادا خاصا ، لابد ان يروض على الصفاء أكثر ، والنقاء اشد ، والاحساس أرهف ... لابد أن يتعرض للضوء الباهر ليعاد ترتيب خلاياه وذرات عقله وقلبه ..وفى هذا الغار ، فى هذه الغرفة الصخرية وعلى هذا الارتفاع ، وفى مواجهة نور السماء ، أعيد تكوين الرسول ليقدر على أن يتحمل الضوء الالهى والصوت المليء والكلام المنزل .

***

ووقفت عند سفح الجبل من الناحية الاخرى .. لا توجد أية معالم لاحد قد صعد . ولكن من المؤكد ان كثيرين أشد ايمانا وأخف وزنا واكثر حيوية قد

صعدوا كالغزلان ... ولكن ما الذي صعدوه .. الصخور متقاربة ، مثل أنياب من الجرانيت مفتوحة .. لا اكاد أتقدم خطوة حتي اقع بين نابين ! .. قدمي على ناب ، ويدي على ناب ... وأمامي وورائي أنياب ! والصخورنظيفة يمسحها الهواء أولا بأول ..

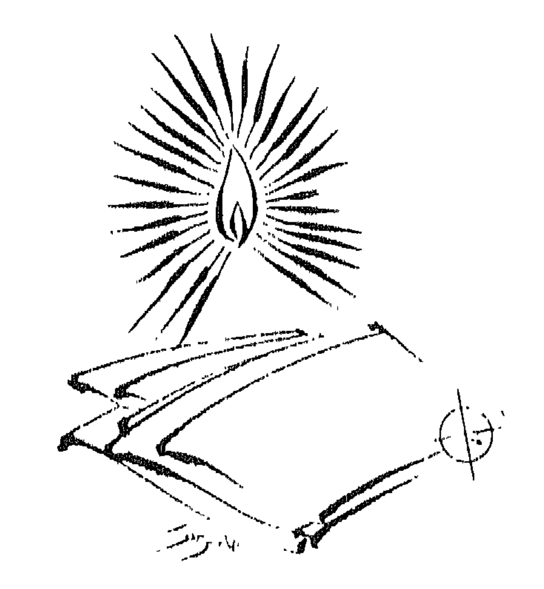
وقد نصحني كثيرون أن اخطو الى الامام والا انظر ورائي . فالطريق امامي طويل صاعد عصبي ، لا يكاد ينحني يمنة حتي ينحني الي اليسار وبحدة وشدة .. وفي اول « الطريق » — وليس هناك طريق — أشجار ..

وفي الطريق الى الغار وجدت الناس يكتبون أسماءهم علي الصخور ، ولكن الطريق ليست له معالم ... وكنت انظر الى القمة التي لا اراها بوضوح وامد يدي الي الصخور ، وارفع ساقي واتسلق ولا اعرف ما بعد ذلك . واقول : كان الرسول انسانا آخر .. وكان شابا . وكانت عنده قضية كبرى ، تنتظره نداءات السماء

وطال الطريق . وتوقفت الهث ... واحسست انني ارتكبت مجموعة من الاخطاء . فلم أرتد حذاء يمسك قدمي فلا تنزلق . وكنت ارتدي جلبابا وكنت اذوب عرقا ، والجلباب لا يمتص العرق .. وانما يتركني وحدي في مهب الهواء البارد .. ولو كنت ارتدي قميصا وبنطلونا لالتصق القميص يمتص عرقي ويمتص خوفي من لفحة هواء لصدري وحلقي .. ولم آت بعصا اتوكأ عليها .. ولم أتعلم تسلق الجبال ... بل انني لا أقوم بأية رياضة في مصر ، ورياضتي الوحيدة هي هبوط سلالم « أخبار اليوم » بأدوارها التسعة !..

وانا الان أصعد الجبل ، وأحاول ان أقرأ الاسماء على الصخور — ولم تكن محاولة القراءة الا حيلة لكي اتوقف بعض الوقت لاشم نفسي ، ولتبرد حرارة جسمي — ولكني في نفس الوقت لا أستطيع أن أقف طويلا فأنا أخشى ان تغرب الشمس فلا اعرف كيف أهبط الجبل .. وهذه غلطة كبرى أنني صعدت الجبل قبل الغروب بقليل !..

وبعد دقائق طويلة ، واستراحة بعد اخرى ، وجدت مكانا على شكل حوض ماء .. الحوض الجاف كانت اذا نزلت فيه الامطار بقيت بعض الوقت . ولابد ان الماء يكون باردا على هذا الارتفاع . ولابد ان الناس كانوا يشربون منه . ولكنني لم اجد ماء ، وانما بقايا الماء على الجدران .. ووجدت سلما صغيرا ينزل الى عمق الحوض الذى يبلغ المتر — اما طوله فمتران وعرضه متر ونصف متر ... وبعد ذلك عاودت الصعود ، الاحجار لاتزال حادة باردة ... كانها انياب او اضراس حيوان متوحش كلفته السماء بان يحرس صاحب الغار ، بعيدا حتى عن الهواء



اذا فكر أن يتسلل الي هدوئه الـكريم وعند قمة جبل حراء ..

هذا هو الغار ، او الجانب الخلفي من الغار .. له فتحة على شكل شفتين متجمدتين من الحجر الاحمر الجرانيت كأن الغار أراد ان يقول شيئا ، ولكـن فجأة تحولت صرخـاته الي شـــفاه جامدة فسكت منذ ذلك الوقت .. انما الذى نطق بالحق هو الرسول الكريم .

والغار له فتحة من الناحية الاخرى في مواجهة مكة ، في مواجهة الكعبة ، وكان الرسول عليه السلام يقف في هـذا المكان ثم ينزل بساقيه ويتساند على هذه الصخرة بالذات ، ثم يدخل الغار وقد حنى رأسه قليلا ، ثم يضع طعامه من لبن الماعز وبعض الخبز ، ثم يجلس ، ثم يسند ظهره الى داخل الغار ويتوجه الى السماء ــ فاذا جاء الليل ، دخـل الرسول الي عمق الغار واسند ظهـره وراح يفكر في أمر الناس ماكان منهـم وما سوف يكون .. ولكنه لا يـدرى ما الذى يدفعه الى هذا المكان .. انه مدفوع الى هنا ..

وعلى الغار كانت قبة انهدمت ولم يبق من هذه القبة البيضاء الا جداران صغيران طليا بالجير الابيض فيراهمـــا الإنسان من مكة ومن عرفات ... امــا مدخل الغار فمسدود بالاحجار ايضا ، فقد كان من عادة الناس أن يجيئوا الى هذا المكان ، وهى رحلة شاقة ، وبعضهم كان يسقط ميتا وبعضهم تحطمــــه الصخور ، وبعض الناس كان يقيم الليالى الطويلة في الغار ، والغار ضـيق . والناس يتزاحمون وبعضهم يتعبد . ولم يأمر الرسول أحدا بأن يفعل ذلك . ولكن التعبد في هذا المكان بدعة ومشـــقة ، ولذلك سدت فتحة الغار حتى لايذهب احد اليه ...

***

ولا اخفى شعورى بالفزع والرجفـة عندما وقفت فوق الغار ، مع ان الغار احجاره ككل الاحجار . احجار عادية .. ولكن المعنى ، المناسبة ، التاريخ . شيء يخيف ويهز . ولا يجد الانسان مايقوله فما الذى يمكن ان يقوله احـد بعـد الذى قاله صاحب الغار .. مـا الذى يمكن ان يقوله عنه وعن الذى قال .. ان صاحب الغار قد كان له راى في كل شيء .. وله وقفة عند كل قضية . انني قرات ماكتبه الدكتور هيكل عـن محمد . وما كتبه العقاد . وما كتبـه طه حسين .. كل واحد حاول ان يجـد طريقا مريحا الى المعنى الذي يريده ..

الدكتور هيكل حـاول أن يعـرض قضيته وأن يدافع عنها .. والعقـــاد حاول أن يعرض نفسيته وعقليته وان يجلوها وأن يقنع بها .. وطه حسين حاول أن يجد قصة . حكاية يســـهل عليه روايتها ، ويمتع الناس اذا تحدث عنهم ..

ويبقى الرجل كبيرا عظيما لا نعـرف من اين نأتى اليه .. الطرق اليـــه كثيرة جدا ، متشعبة ومتـــداخلة ومضيئة حتى لا تقدر أن تطبق عينيك ... والذى قاله لؤلؤ وماس واحجـار كريمة اخرى .. ولا تعرف كيف تصنع منها عقدا أو قرطا أو خاتمـــا .. ولا

تستطيع ان تدع شيئا ، ولا تقـــوى على أن تأخذ كل شيء .. انه شخصية باهرة . كيف استطاع كل ذلك وحده .. كيف واجه الظلام بالنور ، والضلال بالهدى ، والقوة بالحق ، والعذاب بالرحمة ، والهوان بالايمان ..

كيف هاجر من مكة ، كيف خرج منها ليعود بعد ذلك فاتحا لها محطما أصنامها . منظما فوضاها .. ثم ليعود مرة اخرى الى المدينة يلقى ربه ويدفن فيها ...

ويكون له المكان الطاهــــر ، قبره ومسجده ، وتكون قبور زوجـــاته وصحابته وانصاره ...

لقد دخلت قلب الكعبة عشر مرات .. وغمرتنى الراحة واحسست كأن شرايينى من « النيون » الهادىء بلا حرارة ولا صوت وانني فى حالة بين الحياة والموت .

فلا انا حى اشعر بجسمى ، ولا انا ميت بلا جسم . وعندما خرجت مـــن الكعبة اخذت اشعر بجسمى قطعة قطعة حتى اصبحت ثقيلا على وجدانى وعلى فكرى .. واعيدت لى حياتى العادية .

وفى داخل الكعبة كل شيء غمسوه فى ماء الورد . ماء زمزم ، مـــع مـــاء



الورد .. الارض غسلوها والجدران بللوها ، وفى ركن داخل الكعبة ستار ... وينصحك بعض حراس الكعبة أن تختفى وراء الستار وان تطلب من الله أن يتوب عليك ، فهو ركن التـــوبة . ودعوت الله .. وفى الظلام اصطدمت بالذى يركع والذى يسجد والذى يبكى والذى يبلل ملابسه فى ماء زمزم . ولكن احساسى فى مسجد الرسول شيء آخر ، من نوع آخر .. فهنا كان يقيم الرسول وهنا كانت زوجاته ، وفى بيت عائشة وعلى صدرها مات - وفى ملابســـه غسلوه وبها دفنوه .. وعنـــد كتفى **الرسول دفن ابو بكر .. وعند قدمى الرسول دفن عمر .. وكان المســـجد النبوى صغيرا - عشرين مترا فى عشرين مترا - فقد كان عدد سكان المدينة بفقراها السبع ثلاثة آلاف نسمة . والنـــاس لا يطوفون حول قبر الرسول .. كمـــا يفعلون حول الكعبة .. من هنا كـــان يخرج من بيته . وهنا كان يصلى . وهنا كان يتحدث الى الناس . وهنا خـــرج مريضا ، وهنا مرض ، ولقى ربه .**

لابد أن الرسول كان شخصية ساحرة فالذى يقرأ ماقال ، والذى يقرأ مافعله الناس عندما سمعوا ماقال .. ولم يكن له مال ولا سيف . وانما فقط مايقول . وقدرته على اقناع الناس بصـــــدق شخصيته وامانته والقدوة النادرة التى كان عليها .. ثم انه كان بشرا ينتصر وينهزم ، ويغضب ، ويمــــرض ، ويموت ..

والقــرآن يقول : « انك ميت وانهم ميتون » ويقول : «وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » .

ومات الرسول ــ عليه السلام ــ في يوم الاثنين ، وهو اليوم الذى ولد فيه، والذى هاجر فيه ، وبلغ المدينة فيه ، وفيه نزل الوحى ، وفيه خرج من غار ثور ، وفي هذا اليوم رفع الحجر الاسود .

***

وفى المدينة المنورة بحثت عن الشيخ ابراهيم ، وهو أعلم علماء المدينة بآثارها اريد أن اجلس اليه أن أسمع منه . وكان الرجل مريضا ، فأحزننى ذلك ، وأسفت له . واعتذرت ، ولكنه اصر . فلم يخرج من بيته وقتا طويلا ووجدها فرصة ليشم هواء منعشا . ــ قل ياشيخ ابراهيم : أريد أن أعرف بالضبط من أين دخل الرسول المدينة المنورة ؟ وكيف ؟ وماذا فعل يوما بيوم؟ ومن الذين قابلهم ؟ وما الذى اكلهوشربه وأين صلى ؟ وما الذى كان يرتديه ؟ وما الذى قاله ؟

وقال الشيخ ابراهيم وهو لا يقوى على أن ينطق أو يحرك عنقه : افعل ان شاء الله ...

وعند أطراف المدينة قال : من هنا دخل الرسول . وهنا أقام بعض الوقت واستقبله اقارب امه من اسرة بنى النجار ، وغنوا له والطبول فى أيديهم: « طلع البدر علينا » ... وفى هذا **المكان وعلى هذه الصخرة وقف رجل يهودى يصرخ قائلا : جاء حظكم . جاء الذى كنتم تنتظروه . وهنا انطلقت ناقة الرسول ، وهنا بركت . واقيماول مسجد ، وهنا صلى ..**

وظل الشيخ ابراهيم العياشى ينتقل من مكان الى آخر ، ويقول : هنا بالضبط كانت معركة ((احد)) ..هذا هو الجبل .. وهنا كانت معركة الخندق وهنا كانت بيوت اليهود وحدائقهم . وهنا وتحت هذا الشارع المرصوف كانت قوات المسلمين . وعند هذه البئر كان يقف الرسول ويحثهم على الجهاد .. وتحت هذه العمارة تماما وقف اليهود يحاولون ان يجدوا وسيلة للتغلب على قوات المسلمين ..

***

جوانب من قصة حياة يتيم عبقرى . بعد شهر من حمل أمه فيه مات أبوه..

وبعد ست سنوات من مولده ماتت آمه فى مكة .. وبعد ثلاث سنوات ماتجده عبد المطلب .. ثم جاءت سيرته الكريمة واخلاقياته الفريدة فجعلته يتيما مرة رابعة ... الناس على شاكلة ، وهو على شاكلة أخرى ..

وترفع عن الناس وارتفع وما زال يعلو « جبل حراء » ويستقر فى غاره وينتظر حتى جاءته السماء بكل مافيها من نور وحكمة لهداية كل الناس ..

كأن الارض ارتفعت فأصبحت جبلا .. الجبل لما ارتفع بالرسول ، فان الرسول قد ارتفع به . كأن الغار حضن من حجر ..

كأنه « رحم » الكون كله ، والرسول وليد السماء والارض .

أو هدية السماء الى الارض ..

وسواء بقي الغار مفتوحا أومسدودا في وجه الهواء أو الشمس او الناس..

فالمعنى ابقى والمكان اشرف ، والعناء المتواضع جدا يساوى اضعافه من المعاني الانسانية .. لاشيء يغير من معنى المكان وصاحب المكان ..

وقديما احترقت الكعبة وانهدمت مرتين ، وبقيت الكعبة بمبناها ومعناها ..

وبعد ذلك أحرق المسجد النبوى مرتين ، وتهدم وتحول تحت الامطارالى ركام . ولكن بقي المكان وصاحبالمسجد وصاحب القبر : رسول الله والىجواره ابو بكر وعمر . وفي ليلة من سنة ٧٥٧هـ صحا السلطان نور الدين زنكى من نومه في حالة من الفزع فقد راى رسول الله في نومه يشير الى اثنين من الغرباء ويقول له :

انجدنى من هذين !

رسول الله يقولها للسلطان ؟!

وروى السلطان على حاشيته ما رأى ، وسألهم ما العمل ؟

قالوا : نذهب الى المدينة المنورة .

وسافروا . وطلب السلطان منحاكم المدينة ان ياتيه باسماء سكانها جميعا. وأن يدعوهم لتحية السلطان . ووقف السلطان يتفحص وجوه الناس حتى لم يبق احد . وسأل السلطان : الم يبق في المدينة احد لم اره ؟ قالوا :بلهناك رجلان غريبان من اطيب الناس خلقا واكرمهم وارحمهم ، انهما يتصدقان على الناس . وانهما يصليان الليل والنهار ! وطلب السلطان ان ياتوا بهما، وجاءوا بهما ، ووجد السلطان انهما اللذان رآهما في نومه . وامسك بهما. وفتش بيتهما . فوجد على الارض بساطا ، رفع البساط فوجد تحته سردابا طويلا ..

واعترف الرجلان انهما كافران من المغرب ، وانهما تقاضيا مبلغا كبيرا من المال ليخطفا جثمان الرسول الطاهر وضج الناس .. وحوكم الرجلان .. واعدما ...

وامر السلطان بان يحاطقبرالرسول بجدران من الرصاص حتى لا تمتداليه يد شريرة ، وشاء الله ان يحمي رسوله حيا وميتا ، وان يبقى المبادىء الرفيعة لتكون كل مدينة منورة وكل سيرة له عطرة ، وكل طريق اليه ومنه الى خير وسلام الناس ..

ـ آمين ..



من التراث المعاصر

وقفة عند غار حراء

● نحن الان يوم الاحد رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة والف ، ونحن فى البلد الامين مكة وقد قضينا مناسك الحج .. قلت لبعض الرفقاء : هلم الى غار حراء .

فاخذنا سمتنا صوب الشمال ضحوة النهار ، منا الراكب ومنا الراحل ، وملء القلوب اشتياق وسرور ، وعلى الوجوه التهلل والبشر بلغنا جبل النور — جبل حراء — بعد اربعين دقيقة . وملنا مع الدليل ذات الشمال فاذا امرأة تنحدر من السفح مسرعة تصيح بنا ، فقلنا : «ما تبغين ؟» . قالت : «هنا الطريق» . فاتفقنا على ان تهدينا السبيل الى الغار . ونظرنا الى الجبل فاذا السفح ينتهى الى قمة شاهقة ملساء ، قطعة واحدة من الصخر قائمة .

سارت فاطمة امامنا مصعدة خفيفة سريعة لاتبالى الشوك والحصى واطراف الصخور الجديدة كأنها أروى ترتع على السفح ، سارت فى الطريق معلمة يبين فيها بين الحين والحين تمهيد الانسان . هنا حجارة مرصوصة يرتقى عليها الصاعد ، وهناك جدار صغير من حجارة مركومة او مبنية تعصم المرتقى ان يزل عن الطريق ..

تتابعنا صاعدين جاهدين منحنين على المرتقى الصعب ، وما فى النفوس من رفعة الذكرى اجل وارفع ، وما يبهر النفس من رهبة المكان ابهر واروع مما يبهر العين فى هذا الطود العظيم . وكأنما نرتقى فى التاريخ وعبرته ، ونصعد فى جلال الحق وعظمته ، ونطمح الى السماء ، لا الى قمة حراء ..

صعدنا ثم صعدنا حتى انتهينا الى صخرة مظلة ، فأوينا اليها قليلا نستجمع ونمسح العرق . ثم رقينا تتلوى بنا الطريق ذات اليمين وذات الشمال حتى بلغنا مستوى فيه حوض كبير طوله ثمانية أمتار وعرضه ستة وعمقه أربعة ، بعض جوانبه الصخور وبعضها جدار من الحجر ، تجتمع فيه مياه المطر .

وقد صادفنا فيه ماء صافيا باردا فشرب من شرب ، وتوضأ من شاء ، وجلسنا هناك جلسة شربنا فيها الشاى واسترحنا وجمعنا قوانا لبلوغ القمة . على ذروة الجبل بقية جدار تحيط بمستوى ضيق فى وسطه صدع فى الصخر يزعم العامة ان عند هذا الصدع شق صدر الرسول .

وقفنا على الذروة نسرح العيون حولنا بين جبال واودية ، ونرى مكة وجبالها وقلاعها ودورها .

هذه قمة حراء فأين الغار ؟ جنوبى هذه القمة درجات هابطة على السفح منحوتة ومبنية ، هبطنا زهاء ثلاثين درجة .. ثم أسرنا فملنا نحو اليمين .

الى صخرة هائلة مائلة على الجبل ، وتخللنا مسلكا ضيقا قصيرا بينهـــا وبين السفح الى مستوى صغير ، فاذا امامنا سفح منقطع ينحدر الى ارض سحيقة ، وعن يميننا قمة حراء التى كنا فوقها ، وعن يسارنا الغـار : غار حراء العظيم .. فجوة ضيقة تميــل على مدخلها صخور تدعم بعضها حجارة مبنية . فاما سعة الغار فمرقد لثلاثة متجاورين ، واما علوه فقامة رجــل ، وفي نهايته صدع ترى منـــه الارض والجبال الى مكة .

***

هنا .. فر محمد بن عبد الله بنفسه ـ فر الى ربه من ضـــوضاء الحياة واكاذيبها ، من مظالم الناس، ومفاسدهم ، ومن باطل العقـــائد وزورها .. آوى الى هذا الجبل، الى هذا الغار ، الى قلب الخليقة ! هنـا طود اشم يطل على اودية الحت عليها الشمس المحرقة ليس بها من معنـى الحياة الا نبت ضئيل ، وليس بها من ذكرى الحياة الا اثر السيل بعد المطر .

ووراء الاودية والجبال وتحت هذه السماء الصافية حقائق لا يشـــوبها تمويه ولا تزوير ،ولا يلحقها تبديل ولا تغيير ، ولا يمسها رياء ولا نفاق ، فـر محمد الى هذه الحقائق لافرار الراهب يترك الناس لينجو بنفسه ، ولكـــن كما يلجا الى الشاطىء من يحاول انقـاذ اخوانه الغرقى . هنا جمع محمـــد نفسه وفتح قلبه وناجى ربه ، وهنـــا تجلى الله لهذه النفس الزكية ، واضاء على هذا القلب الطاهر ..

هنا جاء الوحي ونزلت الايات :((اقرا باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرا وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم)) وهى فاتحة القرآن ، وغرة الاسلام، وبسملة سعادة الانسان ..

لله ما وعى هذا الغار من آيات ! ويا عجبا كيف ثبت على هذه الرجفات، و ((لو انزلنا هذا القرآن على جبـل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله))

قلت من قبل فى شعر الصبا :

لعل جبال مكـــة لايزال
يجلجل فوقها هذا المقال
ويخفض راسها ذاك الجلال
ومانسيت بغار حراء ذكرى

والآن اقول :

الا يسمع هنا ذلك الصـــوت مـدويا مرددا ؟ الا يرى هنا هذا النور طائفـا بحراء متلألئا ؟ الا يجد الواقف هنـــا روحا من الايمان ويسمع وحيا مـن القرآن ؟

***

وخرج محمد صلوات الله عليه من هذا الغار ، من حضن هـــذه الخليقـــة وهو اشبه شيء بها ، خرج حقيقة من حقائق الله نقية جلية صريحة ، لا تبديل فيها ولا تزوير ، ولا لبس ولا تغرير، ولا خفاء ولا اضطراب .

تمثل الرسول هابطا من حراء وقد حمل عبء النبوة واضطلـــع بامانة الرسالة ، وافضى الله اليه بوحيـــه وكلفه هداية خلقه .

ليت شعري ، اهبط ونفسه حائشة مجلجلة كما ينزل الغيث بيـن الـرعد والبرق ؟

لست ادرى .. ولكنه نزل دينـــا جديدا ، وعصرا وليـــدا ، وتاريخــا مديدا ، واصلاحا شاملا ، وهـــدى كاملا ، ورحمة للعالمين .

ايها الغار ! ..

يا مولد الحق ومطلع النبوة ومأوى محمد ! لولا أن محمدا الكريم نهـانا لقبلت احجارك واكتحلت بترابك ..

أيها الغار ! .. من لي فيك بخلوة ، من لي بخلوة فيك !

ناداني صحبي : هلم فقد حان الرجوع .

فعدنا الى مكة ..

عبد الوهاب عزام
من كتابه ((رحلات))

حوار

مساحته الزمنية ربع قرن مع :

يوسف إدريس

● محمد سعيد ●

●● آيات القرآن الكريم نغمات متكاملة تعلمت منها تكنيك الكتابة .

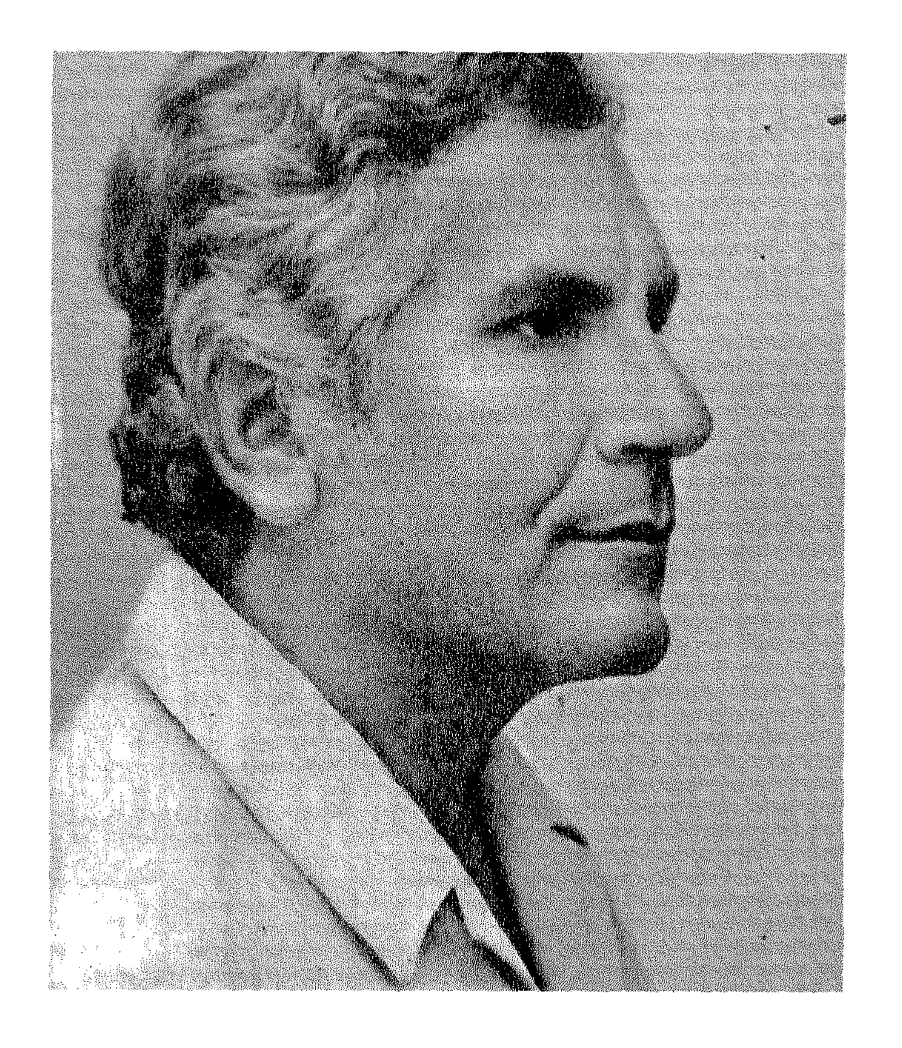
●● أبعاد شخصية النبي واضحة في قدراته التأثيرية بعيداً عن التقديس

●● الإسلام دين عقلاني يرتبط بالإنسان وله أعماق واقعية

●● كان المتعاملون في الحركة الأدبية مجموعة تعيش على هامش الناس

●● مع بداية الخمسينات ادركت الاوساط الثقافية وجود تيار جديد يهل على فن القصة من خلال وافد جديد من خارج الحركة الادبية ... كانت البدايات قصصا قصيرة منشورة في الصحيفة اليومية « المصرى » ثم فى المجموعة القصصية « ارخص ليالى » ، وبدا اسم يوسف ادريس يلمع فى صفحات الفكر العربى من خلال رواياته ومسرحياته ومقالاته التى احتلت مكانتها فى الوعى العربى المعاصر ...

وهذا الشهر يمضى ربع قرن على صدور مجموعته القصصية الاولى التى كانت تجميعالسنوات الابداع الخمس الاولى من العمر الادبى ليوسف ادريس منذ نشر اول قصة قصيرة « نظرة » قبل صدور اول مجموعة قصصية له ..





والیوم وبعد ثلاثین عاما من نشر اول قصة ، وخمسة وعشرین عاما من صدور اول مجموعة قصصية ـ نجرى حوارا طويلا مع الاديب المتميز الملامح الذى استطاع أن يغوص بقلمه فى وجـــدان وضمير الانسان العربى فى حياتنا المعاصرة .

قلت للدكتور يوسف ادريس : لنبدأ بالسؤال عن المكونات الفكرية والثقافية ليوسف ادريس وهو فى عمرمبكر من التجربة والخبرة ... وكيف تعرف يوسف ادريس على مواهبه القصصية والادبية ؟

ويرد بعد انشغال قصير باشعال سيجارة : « كثير من الناس لا يعـرفون حقيقتهم ، فقد تجد محاسبا ينشغل بالحسابات وقدراته الحقيقية تؤهـــله لكي يكون عازفا على آلة القانون !.. وقد تجد رياضيا يصلح لنوعية أخـرى من الاهتمامات ... السبب فى هذا وغيره عملية البحث التى تذهب بالبعض الى مكانه الصحيح ، والبعض الاخر على غير مايجيدون .

والشعور بالموهبة وتوجيهها يشبه ((**قرن الاستشعار الاعمى**)) يبحث عن الموقع الانسب ، وهذه الطريقة غالبا ماتنجح او قد لا تنجح ، وطريقة رفض عمل والبحث عن عمل افضل من البقاء فى موقع لا يتيح للانسان اظهـــار قدراته ...

بالنسبة لى كانت اهتماماتى فى البداية علمية ، كان يســـتهوينى عالم الذرة والانشطار النووى ، وكل تفكيرى يتجه بى الى أن أصبح عالما فى الطبيعـــة النووية ، ولم يكن فى ذهنى حتى أن أصبح طبيبا ، ومعظم قراءاتى الى الان فى هذا التخصص ، واعتقد اننى لو عملت فى البحوث النووية فانه قديمكننى أن انتج قدر انتاجى الادبى ، لكننى التحقت بالطب ارضاء لاهلى ولنظـــرتى

حـــوار مــع

يــوســف إدريـــس

•• "ما يكل هارت" رد بكتابه "الخالدون مائة" على الكتاب المتعصبين وأصحاب الأفق الضيق ..
•• يستهويني ما يسمى "إعادة كتابة التاريخ" ..

لقيمة الطبيب الانسانية ، لكن الميل للكتابة بدأ يعمل داخلي حتى خرج في كتاباتي في مجلة كلية الطب وايام تظاهرات الطلاب الوطنية في اواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات .

•• تذكرت مع يوسف ادريس مجموعته القصصية الاولى « أرخص ليالى » وسألته : بجانب الموهبة المؤكدة كيف عرفت طريق النجاح والاستمرار ... وهل لو لم تنشر « ارخص ليالى » هل كان يوسف ادريس يحقق نفس القدر من التقدم الادبي ؟

ــ ويقول في تأكيد : هذا ماكنت أحس به فى تلك السنوات الاولى حتى اننى وانا احضر جمع الحروف في مطبعة **روزاليوسف** قلت للمرحوم عم **حسن** رئيس المطبعة وقتها : « الا تدرك اهمية ما تجمعه ؟» وكان مقتنعا بما يقرأ من حروف كتاباتي الاولى ، وكانني كنت ادرك خطورة هذه الخطوة ورد فعل نشرها .

وفي البداية ايضا وبعد نشر اربع قصص قصيرة في صحيفة المصرى قرر الاستاذ **احمد ابو الفتح** تعييني كاتبا في الصفحة الادبية برغم انى كنت طبيب امتياز بقصر العينى ، واحدث هذا التعيين اثرا لم يرض بعض الزملاء العاملين في اقسام « المصرى » الاخرى مثل الاساتذة **عبد الرحمن الشرقاوى، وفتحي غانم ، وعبد الرحمن الخميسي** . واعترضوا على تعييني كاتبا في الصفحة الاخيرة ، واستجاب لهم احمد ابو الفتح واقترح مكافاتى بما ينشر لى من روايات وقصص قصيرة ، وكان مقابلها في تلك الفترة اكثر بكثير من مصروفاتي !

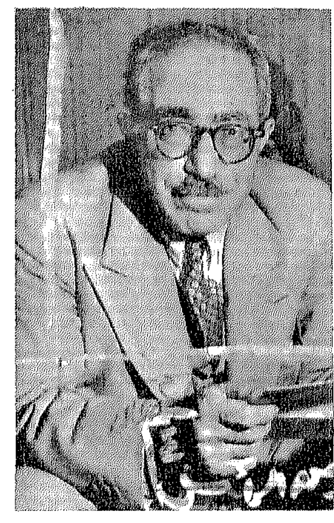
•• وماهى قصصك الاولى التى احدثت ردود افعال عند القراء ، لها نفس الصدى الذى احدثته عند النقاد والمشتغلين بالحركة الادبية ؟

ــ قد تكون قصة « نظرة » أو « ارخص ليالى » أو « الهاجاناه » أو قصة « بصرة » .

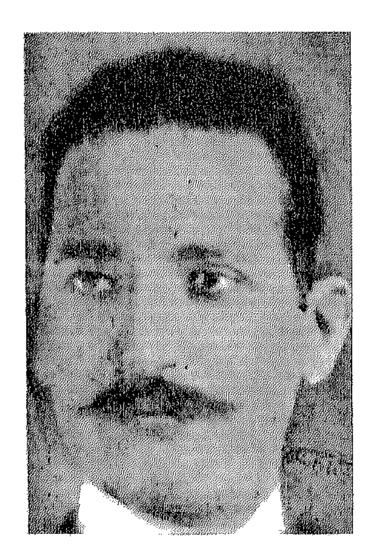
•• قلت : حتى تصل الى هذا التمكن كان للقراءة اثر كبير عليك .. ماهى



د . طه حسين



د. محمد حسين هيكل



عباس محمود العقاد

الخطوط الرئيسية لمكونات يوسف ادريس فى القراءات المختلفة ؟

ـ عندما بدأت اكتب توقفت عن القراءة لاننى احسست بأن قراءاتى تؤثر على كتاباتى ، وكان بودى أن أسطر احساسى النقى بالبيئة المصرية لاننى كنت أنوى ان اقدم قصة مصرية فى الطريقة والحدوتة والشكل والمضمون ، وتوقفت عن قراءة القصة بالذات ، وذلك حتى عام ١٩٥٦ فى سبيل اكتشاف حقيقة الرواية المصرية ، ولكننى لم اتوقف عن القراءات الاخرى الفكرية والعلمية ومازلت أرى ان مرحلة التجريب مستمرة فى البحث عن الصيغة المصرية .

●● ولكن القراءة كان لها دور هام فى صقل قدرات يوسف ادريس قبل ان يبدأ الكتابة .. ماهى مكونات ثقافتك فى تلك الفترة من سنوات التكوين ؟

ـ القرآن الكريم هو اهم قراءاتى الاساسية ، وقراته كله ، وخاصة جزء عم ، وجزء تبارك، لانه مركز فىهذين الجزءين موسيقى اللغة العربية التى يتميز نثرها بالتنسيق والانغام ، ولا يمكن لانسان ان يكتب كتابة عربية صحيحة دون أن يحفظ هذين الجزءين من القرآن الكريم بموسيقاهما ...

تأمل الآيات القرآنية « **قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد** » **هذه الآيات عبارة عن دائرة مغلقة فيها نغمة مكتملة .. ثم ((فبأى آلاء ربكما تكذبان)) لماذا تعاد وبقية الآيات تتبعها موسيقيا وغير هذا من معان عظيمة وصياغة وتراكيب معجزة .**

والكتاب الثانى من قراءاتى وفى حياتى ((**الف ليلة وليلة**)) فانا اذكر اننى تفرغت اسبوعا فى صباى بدون اهتمام بالماكل والمشرب لكى انتهى من طبعة عثرت عليها عند جدى لحكايات الف ليلة وليلة .. استهوانى فيها الخيال وخاصة انها كانت مملحة بالجنسيات .

والامر الثالث فى قراءاتى كانت **روايات الجيب** ، ولعب صاحبها **عمر عبد العزيز امين** الذى ترجم الاعمال البوليسية والروايات العالمية مثل البؤساء **لفيكتور هوجو** ، والفرسان الثلاثة وبائعة الخبز وغيرها دورا فى تعريف جيلى بالاعمال العالمية المبسطة والمترجمة ، وهو ماكانت تفعله سلاسل اخرى مثل ((**روايات الهلال**)) وغيرها ايضا .

●● «ديستوفيسكى» أعظم من كتب الرواية .. وذروة تفوقه فى تجسيد الشخصية

●● من يثيرون موضوع مشكلة الأجيال استراحوا لهذا التصنيف العاجز

●● هل كانت لهذه الخطوط فى القراءة بجانب وجود الموهبـة مؤثرات على اتجاهك الى فن الرواية ؟

- يسرح محدثى مع ذكرياته لحظات ، واسمع منه الاجابة : « من صغرى أحب سماع القصص والحكاوى ، كنت أسمعها من جدتى ثم من والدى ... والدى كان عنده قدرة غريبة على رواية الحدوتة والحكاية ... اذا شهد فى محكمة مثلا وعاد الى البيت لا نجلس لتناول الطعام حتى يحكى لنا كل ماشهده فى المحكمة ، وكان عند والدى هذه القدرة على الحكاية التى لا استطيعها رغم كتابتى للقصة .

●● وفى فترة التكوين الفكرى ، هل ربطتك علاقات بكتاب الادب فى مصر ؟ ..

- الحركة الادبية لم أكن قريبا منها ، ولكنى كنت ارى من يتعاملون فى الادب وقتها مجموعة من الناس بعيدة عن الناس والمجتمع بل ويعيشون على هامش هذا المجتمع والشعب بعيد عن هذا الادب .

●● ومتى اكتشفت اعمدة فن كتابة الرواية عالميا وعربيا ؟

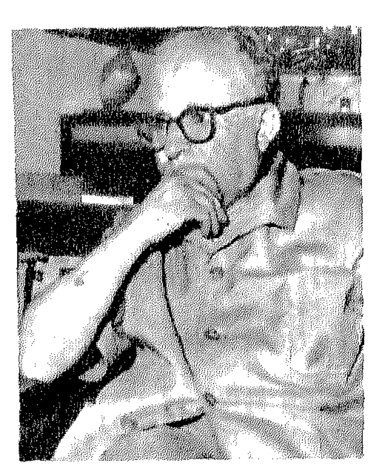
- لم أقرأ لاى منهم قبل كتابتى للقصة ، ولكن قرأت لهم واكتشفتهم بعد ممارسة الكتابة ، وانا ارى ان دستويفسكى هو أعظم من كتب الرواية ، ولكنى ارى ان اعجابى به ليس مطلقا . انه اعجاب بجوانب معينة فى اعماله ... فالموهوب قد يكون فى الحوار أو فى السرد أو فى رسم الشخصيات ... دستويفسكى كان فى ذروة تفوقه فى تجسيد الشخصية من خلال الحوار ... لهذا فانا ارى ان دستويفسكى هـو شيكسبير الرواية .. بينما شيكسبير فى مسرحياته نجد الحكاية المتطورة التى تصل الى حد الرواية ..

اما تشيكوف فهو فى رايى افضل من كتب الحدوتة الصغيرة البسيطة، ولكنه فى الاعمال الطويلة لم يكن على نفس مستواه فى الاعمال القصيرة ، ومسـرح تشيكوف مسرح مقفول ولم يكن فى تطور شيكسبير وموليير ، بينما تشيكوف وابسن مراحل متشابهة لا تصل الى شيكسبير ..

واذا قارنا اى عمل حديث بأعمال شيكسبير ، فان الاخير يتفوق ، وفى الادب



ابراهيم عبد القادر المازنى



يحيى حقى





د . على الراعى

لايوجد مايسمى بالاجيال ، فبعد اعتزال شيكسبير كان من المفروض ان يظهر من هو افضل منه ، ولكن شيكسبير بقى وحيد مجاله حتى الآن ، لدرجة انني كنت فى لندن فى الربيع الماضى ووجدت أربعة مسارح تعرض اعمالا لشيكسبير .

●● ومن متابعة هذه الاعمال على المسرح .. هل تقدم باسلوب التناول الموجود فى تراث شيكسبير ام من خلال معالجة جديدة ؟

ـ هناك محاولات تنويع التقديم ، فهناك فرق تقدمه كما هو وفرق أخرى تقدمه من خلال معالجة روائية بعضها تقدمه فى قالب موسيقى ، وهكذا .

●● معنى هذا ان لك رايا فيما يقال حول ادب كل جيل وتعبير كل جيل عن العصر الذى شب فيه ؟

ـ أريد ان أرد على من يثيرون مشكلة الاجيال لانه يبدو انهم استراحوا لهذا التصنيف .. أعجبهم أن يقال ان هذا اديب شاب وكفى .. المهم عطاء هذا الكاتب .. ماهى قدرته على أن يعطى ، وماهى امكانياته فى العطاء القادم ؟ وهل مايعطيه هذا الشاب يستمر أو قد ينتهى بعد عام أو اثنين ...

ومن الصعب أن تحكم على كاتب فى جيله ، فالكاتب يجب ان يمر بما يسمى **بحساب الزمن** ، هل تعيش الاعمال أم لا ... هل تلبى حاجات مجتمعات قادمة أم لا ... الشباب يتعجلون الاعتراف . قصاص شاب كتب أشياء بسيطة ويسمى نفسه أو يسميه البعض زعيم مدرسة ... اى مدرسة ؟!

●● وفى راى يوسف ادريس من الذى يؤدى الى شعور البعض بتضخيم الذات او الاحساس الوهمى بفورة الموهبة او تصور تقديم عمل دون ردود افعال حقيقية ؟

ـ المسئول عن هذا حركة النقد فى مصر .. فالحركة النقدية محدودة ومشكلة النقد فى مصر تساعد البعض على هذا التصور ... فلو انصف النقاد لعالجوا الاعمال الجديدة بموضوعية تضع كل شخص فى حجمه .. لكن أين النقاد بعد **الدكتور محمد مندور والدكتور على الراعى والدكتور عبد القادر القط وغيرهم** .

●● مشكلة نجيب محفوظ أنه يريد أن يكون مفكراً مع انه فنان قدير!

●● يجب أن يمر الكاتب بحساب الزمن .. لهل تلبى أعماله احتياجات مجتمعات قادمة؟

●● قلت ليوسف ادريس ... من هو المفكر او الاديب الذى كنت تعتبره النموذج او القدوة قبل اقتحامك مجال الرواية والمسرحية ؟

ـ **ماحدث** انني كنت من خارج الحركة الادبية ، كتبت دون اتعرف على اى منهم .. بدأت أكتب بالسليقة .. طالب طب يدرس فى قصر العينى يرى ماحوله ويعكسه فى كتاباته ، ولما بدات اتعرف على الحياة الادبية حولى وجدت **محمود تيمور** ، ولكنى لم اجد المحتوى الفنى الذى بهرنى فى التراث لاعمال مثل البخلاء للجاحظ والاغانى للاصفهانى ...

بعدها عرفت **نجيب محفوظ** ، وكان أول أعماله قربا منى « زقاق المدق » ثم « خان الخليلى » ، وبكيت عندما قرأتها . وأنا أرى أن مشكلة نجيب محفوظ انه يريد أن يكون مفكرا لكنه كفنان أعظم من ذلك كثيرا . رغم أن الفن هو الاساس فالقصة لا تفكر لكن القصة تروى ، والناس تفكر .

ولكنى قبل ذلك تعرفت على **الدكتور طه حسين** أديبا فى كتابه « الايام » ومازلت اتذكر وصفه لصورة المشايخ عند الاكل وتعرفت على **عباس محمود العقاد** الشاعر وانا اتصوره نقلة فى الشعر العربى ...

وكان **يحيى حقى** أول كاتب اثارنى وبهرنى عندما قرات ((**دماء وطين**)) . ويحيى حقى فيه فحولة سبعة كتاب ، ولكن للاسف انتاجه كان نادرا ..

والمازنى كان يراعى فى كتاباته الحياء العام وما يسمى بالاداب العامة حتى أننى أذكر أننى قرأت له رواية قال فى آخر الصفحة ان البطل تبادل القبلات مع البطلة وفى الصفحة التالية عرفت أن البطلة حامل تنتظر مولودا ولم اكن احس فى كتاباته مايقولون عنه روح السخرية !

والغريب اننى لم أقرأ رواية ((**زينب**)) للدكتور **محمد حسين هيكل** لان التخطيط لم يكن أساس قراءاتى ، ولكنى كنت أقرأ بالرغبة ، وكتاب يدفعنى لاخر وهكذا ! وما قرأته فى العلم كان أكثر من قراءاتى فى الادب.

●● واذا تركنا الادب والعلم وهما خطان اساسيان فى فكر يوسف ادريس

ماهو المجال التالي لهما فى اهتماماتك وقراءاتك ؟

ـ احب قراءة معالجة المسائل التاريخية ويستهويني مايسميه المؤرخون اعادة كتابة التاريخ وفى الفترة الاخيرة عثرت على كتاب حول **نابليون**، فى مناسبة مرور مائتي عام على مولده احتفلوا بهذه المناسبة فى فرنسا وفى بريطانيا ايضا ووجدت في الكتاب صورة اخرى لنابليون لم اعرفها من قبل، قدموا فيه جوانب من شخصية نابليون لم يتطرق اليها المؤرخون من قبل، ومن هنا فانني اود ان اقرا عن اعلامنا بهذا المفهوم ... **احمد عرابي** مثلا انصفه كتاب الدكتور الخفيف « عرابي المفترى عليه » انصافا تاريخيا، لكن هل تحدث عنه كانسان فلاح منذ كان متمردا شابا فى الارض التى يعمل بها ؟..

مصطفى كامل قدموه خطابيا وصحفيا وسياسيا، ولكن لم يقدموه من خلال الابعاد الاخرى التى تفيد فى تحليل شخصيته وجوانب تأثيرها فى المجتمع ..

●● فى اكثر من مجموعة قصصية لك وخاصة فى « لغة الآى .. الآى » وجدت لغة الايمان واضحة في حوار شخصياتك .. ذكر اسم النبي عليه الصلاة والسلام فى كل مناسبة ... هذه الجوانب لم يفض اليها النقــاد وهم يتابعون تحليل اعمالك الروائية ؟

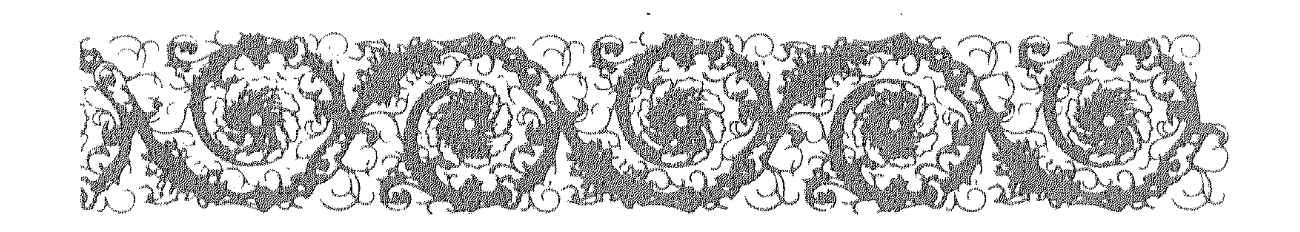
ـ شخصية النبي عليه الصلاة والسلام لها ابعاد هامة في نفسي، فانا انظر اليه كرجل وشخص له هذه الطاقات والقدرات العقلية والتاثيرية بعيدا عن هالة التقديس . **تعجبني جدا شخصية محمد، رجل لا يقرا ولا يكتب يعيش فى الجزيرة العربية منذ ١٤ قرنا او اكثر، ثم يهبط عليه الوحى ويدعو لرسالة سماوية فى مواجهة رسالتين :المسيحية واليهودية ومعتقدات اخرى سائدة .** انا اتصور ان الشعب المصرى يعشق النبى محمدا من خلال **الفلكلور** ونفس الحب ينعكس على اهل البيت ايضا .

●● هل تساءلت لماذا اختار الكاتب الامريكي مايكل هارت النبى محمدا لكي يضعه فى صدر قائمة « الخالدين المائة » ويقول ان اعظمهم محمد رسول الله ؟..

ـ اعتقد ان النبى يستحق ان يوضع على راس من اثروا فى تاريخ البشرية فالنبى خلال عشرين عاما من الوحى بالرسالة استطاع ان يحقق مايغير حياة البشر، واعتقد ان **مايكل هارت استطاع بكتابه ان يرد على الكتاب المتعصبين ممن لم يفهموا شخصية النبى وتاثيره** وبالتالى تجاهلوا عوامل العظمة فى شخصيته وفى رسالته واهتموا بقشور اخرى تشفى غليل تعصبهم غير الموضوعى .

●● وكيف تتصور كاتبا مسيحيا يضع رسول الاسلام فى المكانة الاولى ويفضله على كافة الرسل ـ على اعتبار انه متدين ـ كما يفضله على كافة الفلاسفة والزعماء والمفكرين ـ لو اعتبرناه علمانيا ؟

ـ ميزة الاسلام انه دين لم ينتظر المعجزات لكى يقربها من العامة .. معجزة النبى القرآن الكريم .. فالأجيال التى لم تعاصر ظهور بعض الأنبياء الآخرين لم يشاهدوا احياء الموتى أو ابصار الاعمى . فى مسرحية للكاتب الانجليزى **برناردشو** يقول فى الحوار انه لا علاقة بين قيام معجزة والفكرة



●● عناصر الثقافة مثل جناحي الفراشة والحركة الثقافية في حاجة إلى الحركة النقدية

.. فالاسلام أكثر عقلانية وأكثر ارتباطا بالانسان .. فالاسلام دين واقعي وأكثر اقترابا من الانسان في مسائل الزواج والعلاقات الاجتماعية والاحوال الشخصية حتى في مسائل التحريم ، فأنا أرى ان الخمر طبيا ضارة .. واجتماعيا ضارة ، وكذلك هناك فلسفة وراء المحرمات الاخرى .. وفكرة الوحدانية كانت ضرورية حتى في معالجة مشكلات وقضايا الاجناس والشعوب وحتى في الجزيرة العربية حينما نزل الاسلام كانت القبائل العربية تحتاج الى الوحدانية ، فالجزيرة العربية كانت مكونة من اكثر من ٨٢ قبيلة يتحدثون عنها حتى اليوم . فالوحدانية أعطت العرب والعالم معنى لقيمة الاتحاد وتقارب البشر .

●● قلت للدكتور يوسف ادريس: ماهي خصال وصفات النبي محمد التي جعلته ((أسوة حسنة))أوقدوة للسلوك الانساني .. وماهي اقرب مكونات شخصيته اليك كروائي متفوق في تجسيد الشخصيات ؟

ــ بعيدا عن النظرة الى النبي محمد الرسول ، لو تناولنا النبي محمدا قائل الاحاديث النبوية ، محمدا الكاتب ، نراه شخصا حكيما ، انسانا بشرا يواجه مشكلات عادية ومتغيرة « **انما أنا بشر مثلكم** » وفي احدى الغزوات سألوه هل هذا منزل من الوحي أم رأيك أنت ؟! قال لهم النبي تعالوا نتناقش ، وهذا مكمل لرسالته .. ولكن تقديس النبي وأفعاله ليس من الاسلام في شيء ، وهناك فارق بين القدوة والتقديس ، فليس هناك مبرر لكي يحلف الناس بالبخاري ، وهو كتاب يجمع الاحاديث النبوية .. والنبي كانسان في مجتمع كان صادقا مخلصا امينا مبتسما محاربا .. شجاعا يحب الجمال ويقدر الغير .

●● هل فكرت في الكتابة عن النبي .. وهل قرات ما كتب عن النبي في السيرة النبوية وفي كتابات المعاصرين ؟

ــ أرجو أن اتمكن من الكتابة عن الانسان محمد بن عبد الله ، ولكني لم أتجاوب مع كتب السيرة النبوية لأنها لم تكتب بالأسلوب الذي يروقني .. قليلون كتبوا عن النبي بشكل جيد مثل **احمد امين** في ضحى وفجر الاسلام وكتاب الدكتور **هيكل حياة محمد**) ولكن كتاباتهم تقترب كثيرا من القداسة بينما كان **عباس محمود العقاد** قريبا من العقلانية في تناوله لعبقرية محمد

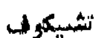


د. عبد القادر القط



محمود تيمور





تشيكوف

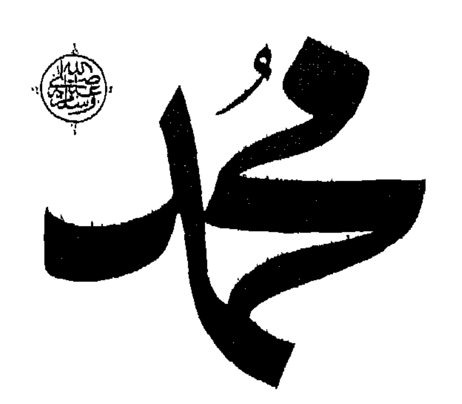
●● قلت لصاحب الروايات العديدة التى صورت الشخصية المصرية : حبك لمصر والمصريين يصل الى حد الشفافية والوضوح فى معالجة المزايا والعيوب ما هى فى رأيك سمات الشخصية المصرية ؟

ـ المصريون لديهم طموحات ولديهم مشكلات ، ولم تصل مشكلاتنا الى حد الامراض التى تصاب بها بعض الشعوب .. **وحبى لمصر والمصريين لايصيبنى بالعمى عن رؤية مشكلاتنا ولكن يعطينى القدرة على الادراك والانسجام مع هذه الشخصية ..** وقد تجد فى المصريين صفات عند الاكثرية ، وأخرى عند الأقلية .. مثلا الموظف المصرى تنتشر عنه صور من الخناعة أو النفاق فى مسألة التعامل مع الرؤساء . أحيانا لا تكون الكفاءة هى مقياس التقدير ، بل يكون التعامل بين الرئيس والمرءوس ولا يبذل البعض الوقت فى العمل بل فى اظهار قدرات النفاق لرؤساهم وهكذا .. والمصرى يختلف من مكان لآخر فالمصرى فى الاسكندرية غيره فى القاهرة ، يختلف عنه فى الصعيد ، وعن المصرى فى الشرقية .. الاسكندرانى يفضل منطق القوة و « الجدعنة » ويتصوره شهامة ، لكنها عدوانية فى بعض الاحيان ، الشرقاوى يمتاز بالطيبة والقاهرى يجمع خصالا متنافرة ولا تجمعه سمة مع غيره ، فالقاهرة وعلى مدى التاريخ كانت فى طريق القوافل والحركة فهى مقر لتجارة « الترانزيت » ، وكان أصدق من صور القاهرة الحقيقية نجيب محفوظ فى الثلاثية ..

فالقاهرة لم تنشأ مدينة مثل الاسكندرية ولكن نشأتها مجموعة من الناس تجمعوا لهدف معين ومن اختلاف ظروف النشأة عن ظروفها كعاصمة اليوم . الا أن القاهرة ليس فيها سمات وخصائص شخصية لسكانها بل والشعب الذى يعيش فيها .

●● اذا قلنا ان يوسف ادريس يعبر عن وضوح وتفوق فى مجال الرواية العربية وكذلك نجيب محفوظ الذى يمزج بين الفن والفكر فى رواياته .. هل تجد من يماثلك على المستوى العربى ؟

ـ **الطيب صالح** فى السودان ، وهو فنان حقيقى .. **حنا مينا** فى فى سوريا . **عبد المجيد الربيعى** فى العراق .. **ابراهيم الفقيه** فى ليبيا ، وغيرهم كثيرون فى لبنان والجزائر وتونس وغيرها من الاقطار العربية.



بناء الجيل الجديد في عهد الرسول

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

— ١ —

● لست اعني بالمعجزة هنا المعجزة التي ايد الله بها رسوله الكريم، محمدا صلوات الله عليه، وهي المعجزة الباقية الخالدة، معجزة القرآن الكريم ...

ولست كذلك اعني بها ماظهر على يدى محمد، صلى الله عليه وسلم من معجزات اخر باهرات كانشقاق القمر، وكالاسراء والمعراج، وغير ذلك — انما اقصد هنا نوعا آخر من المعجزة.

ولقد كانت حياة محمد بن عبدالله معجزة كبرى فى حياة الانسانية منذ ان بلغ سن الشباب، حتى وفاته صلوات الله عليه. كانت حياته فى اخلاقه، وفى طموحه، وفى غنى نفسه الكبيرة، وفى رجولته وبطولته وصموده ونضاله ثم فى حمله أمانة الرسالة، واعباء هداية الناس الى التوحيد، والى السلوك الانسانى الرفيع، والى كل قيم الحياة النبيلة، والى الايمان بالله وحده، والى طاعة الله حق طاعته، وعبادته حق عبادته: ذلك كله كان معجزة كبيرة صنعت المعجزات، وبنت للبشرية صرحا شامخا من المبادىء والمثل الرفيعة التى لم يكن الناس يفكرون فيها من قبل ولا كان أحد يحلم بأنهم سيفكرون فيها فيما بعد ..

ومع ذلك فانى لا أقصد أن اتحدث عن المعجزة فى هذه الحياة العظيمة، بكل مقاييس العظمة، ولا أن اتحدث عن أثر هذه الحياة فى بناء ودعم الأسس الجديدة لحضارة عالمية جديدة.

وانما اقف هنا متاملا فى جانب من جوانب المعجزة فى حياة محمد، وهى بناء هذا الرسول الكريم للجيل الذى سوف يحمل أمانة الرسالة من بعده، ليقود بها الانسانية، وليملك بها زمام العالم، وليضع أصول البناء الجديد لعصر جديد، يؤمن بالحق والعدل،



وبالحرية والمساواة والاخاء ، ويحترم حقوق الانسان ويدافع عنها ، ويعمل على حمايتها بشريعة الله التى نزلت على رسول الله ، محمد بن عبد الله .

ولابد أن يدرك المفكر أهمية بناء الجيل الجديد فى مستقبل الامم والشعوب ، بل وفى مستقبل الحضارة والانسانية قاطبة .

واظن أن الانسان المتأمل فى أعماق دروس التاريخ يدرك تمام الادراك أن جميع قادة الشعوب ، قد فشلوا فشلا ذريعا فى بناء الجيل الذى سوف يخلفهم ، من بعدهم ، وكان لهذا الفشل أثره فى انهيار اعمال كبيرة ، وامم كثيرة ، ومجتمعات راقية ، وفى ضياع كثير من الدعوات والمبادىء التى كان يمكن أن تخدم التقدم الانسانى وهذه الظاهرة تراها فى القديم وفى الحديث .

— ٢ —

ومن البدهى الواضح فى حياة رسول الله ، محمد بن عبد الله انه اتى بمعجزة مابعدها من معجزة ، وانه نجح فى هذا الصدد نجاحا باهرا ، اذ استطاع — بقدرة معجزة باهرة ، وبالهام وتسديد من الله جلت قدرته — ان يبنى جيلا رائدا ، اخذ الراية من بعده ، صلى الله عليه وسلم ، ورفع الراية خفاقة حيث حملها وركزها فى كل ركن من اركان العالم ، دون أن تطيش يده ، أو يختل تفكيره ، او تضيع مثله ، او تسقط مبادئه .

وبناء الرسول الاكرم لهذا الجيل الذى خلفه ، هو فى رأيى اعظم المعجزات فى حياته ، صلوات الله عليه .

أما كيف بنى الرسول هذا الجيل . فأمره وشرحه يطول .. ولا تسل عن ذلك ، ولكن تتبع تاريخ صحابة رسول الله ، وقل لى : ماذا رأيت ؟ وبماذا فكرت ؟ وانت تقرأ بطولاتهم ، وسير حيواتهم ، ومعجزات الاعمال التى قاموا بها على امتداد الايام ، حتى مع ظهور الخلافات الدينية والسياسية فى مجتمع المسلمين الاولين ...

ونحن نعلم أن أكثر الزعماء والقادة كثيرا مايكرهون أن يوجد معهم جيل قوى رائد يشاركهم الاعباء ، ويحمل معهم المسئولية ، اما اثرة ، واما خوفا أن يسلبهم ماكدحوا فى بنائه من الملك العريض ، أو الجاه الواسع . وانهم كثيرا مايطفئون الانوار من حولهم ، ويعملون على اطفاء الشخصيات القوية التى تتحرك معهم وفى محيطهم ، وكثيرا ما يحددون المنطلقات التى يمكن أن يتحرك فيها اعوانهم وانصارهم ، حتى لا يفكر احد منهم فى ان يستحوذ على النفوذ فى يديه .

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مبرأ من ذلك كله ، فقد أوقد الانوار كلها ، وفتح الابواب واسعة امام طموح القيادات الشابة ، وشجع الكثيرين منهم على حمل مسئولية كاملة ، والقى اليهم بأعباء التوجيه والقيادة والتنفيذ كلها ، واوجب عليهم الالتزام الكامل بالمبادىء ، ولم يفرط فى محاسبة الصغير ولا الكبير على مايرتكبه من انتهاك لحرمات الله وحرمات قانون الاسلام ، أو من تعد على حقوق الانسان وكرامته فى الحياة .

وعندما سرقت امراة مخزومية وجاء اهلها لرسول الله بشفاعات كثيرة ، حتى لا تنفذ فيها حدود الله ، ابى الرسول الاعظم ، وغضب ، وقال : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »

تربية الرجال او الجيل الجديد على المبادىء الشريفة وعلى الالتزام الكامل بامانة المسئولية ، وعلى الشعور العميق بان ذلك كله هو ارادة الله ، وهو الالتزام التام باحكام دين الله وشريعته .. هذه التربية الناجحة القوية ، هى تربية محمد لاصحابه .. لم يكن فى



وسط صحابة رسول الله احزاب ولا شيع ، ولا طائفية ، ولم تفسد المجتمع الاسلامي الجديد مفاسد ((الشللية)) والانصار والاتباع والاصهار، ولم ينقسم هذا المجتمع الى سادة وعبيد ، والى اباطرة ومقهورين .. بل خضعوا كلهم ودون استثناء لقانون واحد ، شريعة واحدة ، نظام واحد ، عقيدة واحدة .

حين دعا رسول الله بني عامر بن صعصعة الى الاسلام ، قالوا له : أرأيت أن نحن تابعناك على امرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الامر من بعدك ؟ قال محمد لهم : الامر لله يضعه حيث يشاء .

وحين ذهب عروة بن مسعود الثقفي الى المدينة في الرابع والعشرين من ذي الحجة عام ٨ هـ ، ولقي رسول الله ، وأعلن بين يديه اسلامه عاد الى قومه ، فقال لهم : « ياقوم ، اني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في دولته ، والنجاشي في سلطانه ، والله **مارأيت ملكا قط مثل محمد في أصحابه))**

وفي فتح مكة خرج ابو سفيان بن حرب ليلا ليشهد جيش محمد في الصحراء، وليختبر مدى قوة هذا الجيش ، ومدى صمود مكة امامه ، ولم يلبث ان التقى بعم محمد ، بالعباس بن عبد المطلب ، فامنه العباس على نفسه ، وخرج به الى عرين الجيش ، ليشهد بعينيه ما لا يستطيع عقله أن يدركه ، ولما تيقن أبو سفيان ان لا قبل لقريش على ملاقاة جيش محمد ، التفت الى العباس وقال له : لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما ، فقال له العباس : يا ابا سفيان انها النبوة لا الملك .

سيادة المبادىء ، والمثل الشريفة ، والالتزام الكامل بأحكام القرآن، وبتعاليم الشريعة ، واتاحة الفرص المتساوية للافراد المتساوين ، وفتح المنافذ والنوافذ امام كل انسان ، واغلاق أبواب الاثرة والمحسوبية والشفاعات والحزبية والطائفية والقبلية والشللية .

ذلك كله هو أساس تربية الجيل الجديد، الذى رباه رسول الله على يديه ، وصنعه بأعينه ، ووضعه على طريق المسئولية الكاملة ، والزمه حدود ماشرعه الله ، وجعله مسئولا عن كل عمله صغيرا أو كبيرا ، خيرا أو شرا ..

— ٣ —

وفي الجيل الذى رباه رسول الله: ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وابو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن الوليد ، واضرابهم ، ومئات وآلاف من أشباههم . ومع ذلك كله كان الجيل الجديد موحد العقيدة واللغة والهدف والنزعة والغاية وكانت قلوب هذا الجيل الرائد العظيم مملوءة بحب الخير ، والايثار ، والنصفة ، والعدل والاحسان ، والرحمة ، والمروءة ، والاريحية ، والشهامة ، والبطولة .

كان جيلا فذا ملهما عظيما ، ليس مستعدا لان تسقط الراية من يده ابدا، وكان جيلا يعرف قيمة الكلمة والالتزام بامانة المسئولية ، ويعرف الحق والباطل ، ويقف مع الحق دائما وأبدا ، وكانت الكلمة عنده هي الحقيقة الناصعة ، لا تزيفها الشعارات ، ولا تناقضها الحقائق ، ولا تبطلها احكام الواقع ، ولا صدق الرؤية ، وكان حب الدين وحب الرسول عنده من حب الله ..

ابو سفيان المشرك الذى حارب رسول الله ، ورسول الله هو صهره وزوج ابنته ام حبيبة ، يقدم الى المدينة ، ليفاوض رسول الله في اطالة مدة الهدنة بينه وبين قريش ، ويذهب ابو سفيان الى ابنته أم حبيبة يزورها ، ويدخل حجرتها ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلوات الله عليه طوت ام حبيبة الفراش دونه ، وقالت لابيها : انه فراش رسول الله وانت امرؤ مشرك فلا تجلس عليه ، وكان الى أبي سفيان راية الرؤساء في « قريش مكة» وكانت هذه الراية تسمى « العقاب » فاذا قامت الحرب اجتمعت قريش



فوضعتها فى يدى أبى سفيان ، وكان أعظم قريش رأيا فى الجاهلية ثلاثة : أبو سفيان ، وأبو جهل ، وعتبة ، وجميعهم تولوا قيادة قريش فى معركتها ضد رسول الله . وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو جهل بن هشام ، والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ، والاسود بن المطلب ، وزمعة بن الاسود ، يمثلون فى مكة وفى قريش جبهة المعارضة لدعوة رسول الله ورسالته ، حتى ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، وهو عبد اللهبن أبى امية المخزومى ، وحتى ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان أخا للرسول من الرضاعة ، أرضعتهما معا حليمة السعدية ، حتى هذان مع قرابتهما لرسول الله،كانامن اشد الناس عداوة له ، ولما جاء به من الحق والدين والشريعة ، قال له ابن عمته عبد الله بن امية : « والله لاأومن بك أبدا ، حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا انظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتى معك أربعة من الملائكة يشهدون لك انك رسول الله . وايمالله أن لو فعلت ذلك ماظننت انىاصدقك» وكان كذلك من جبهتهم : الاخنسالثقفى وأبى بن خلف الجمحى ، والعاص بنوائل السهمى ، وغيرهم ، ولما قتل أمية بن خلف فى بدر خلفه ابنه صفوان فى معارضة رسول الله وفى عداوتهللدين، وهزم صفوان وانتصر محمد ، وهزمت المعارضة ، وانتصرت الرسالةوالرسول ولا ننسى أن صفوان قد دبر مؤامرة لقتل رسول الله بعد غزوة بدر ،فأرسل لهذه المهمة افتك شاب فى قريش ، وهو ابن عمه عمير بن وهب الجمحى ، وفشلت المؤامرة ، وأسلم المتآمر عمير ، وكان صفوان فى مكة يقول : أبشروا بحادثة تأتيكم قريبا فى أيام تنسيكم هزيمة بدر ، فلما علم بأن ابن عمه عميرا قد أسلم ، صار مهموما مغموما ،يحلف أن لا يكلم عميرا أبدا ، ولا يؤدي لهمنفعة

وكان عمير هذا زوج عمة النبى ، وهى أروى بنت عبد المطلب . وبعد فتح مكة هرب صفوان الى جدة ليركب منها سفينة تذهب به الى اليمن فرارا من رسول الله ، فجاء عمير للرسول يسأله أمانا لصفوان، فأمنه رسول الله وذهب عمير فأدرك صفوان فى جدة ، وقال له : ياصفوان ، انه ــ أى محمدا ــ ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك . وأخذ يستعطفه حتىعاد معه الى مكة ، وكان يمكن لمحمد أن يحاكم صفوان ، ولكنه وفى بأمانه له ، وهو الوفى دائما أبدا ، وانتهى الامر بصفوان الى الاسلام . وفهم صفوان بعد اسلامه انها النبوة وليست الملك .

ولننظر الى مروءة الرسول الاكرم ، فتحت حائل ودخلت فى الاسلام ، وهرب شريفها عدى بن حاتم الطائى الى الشام ، وأسرت اخته ، فذهب بها المسلمون الى المدينة ، وعفا عنها رسول الله ، وأرسلها مكرمة الى اخيها فى الشام ، ولم يلبث « عدى » أن رأى ذله وهوانه فى المنفى . فذهب الى المدينة ، ولقى رسول الله ، فاكرمه ، لكرم بيته فى العرب ، ولم يلبث عدى ان دخل فى دين محمد .

أمثلة كريمة من معاملة رسول الله لاعدائه ولانصاره كذلك معا .

* وكانت هذه الاخلاق النبويةهىالرابط الحقيقى بينمحمد وأصحابه . . وهذاهو عثمان بن مظعون القرشى الجمحىيعيش فى مكة فى أمان الوليد بن المغيرة . وفى ليلة جلس الى نفسه ، يقول لها : أيلقى رسول الله وأصحابه مايلقون من أذى قريش والمشركين ، وأنا أغدو وأروحفى أمان الوليد ، لن يكون ذلك أبدا . وسار مسرعا الى دار الوليد ، يقول له : يا أبا عبد شمس ، وفتذمتك، قد كنتكريما فى جوارك ، وقد أحببت أن أعيش فى جوار الله وحده ، فقال له الوليد : لعلك ياابن اخى أوذيت أو انتهكت حرمتك ، فرد عليه عثمان : لا ، ولكنى



أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أكون فى جوار غيره ، فقال له الوليد : اذن ، فانطلق الى المسجد الحرام فأعلن ذلك فى الناس . فقال له عثمان: نعم ، وكرامة .

وخرج الوليد ومعه عثمان بن مظعون الى المسجد الحرام ، فوقف على الناس يقول لهم : هذا ابن مظعون قد جاء ليرد على جوارى ، ويقول عثمان : صدق ولقد وجدته وفيا ، كريم الجوار ، وقد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فرددت عليه جواره ..

واستهزأت قريش بابن مظعون ، وقام اليه فتى قرشي فضربه حتى ادمى وجهه ولطم عينه ، فقال له الناس من حوله : والله لقد كنت فى ذمة منيعة ، وكانت عينك غنية عما لقيت ، فرد عليهم عثمان : « بلى جوار الله آمن وأعز وأمنع ، وعينى الصحيحة فقيرة الى مالقيت أختها ، ولى برسول الله وبمن معه أسوة حسنة » .

وكان كذلك عبد الله بن مسعود أول من جهر بالاسلام وبالقرآن فى مكة بعد رسول الله ، فقامت قريش اليه فجعلوا يضربونه فى وجهه ، حتى أثروا به ، فقيل له : هذا ماكنا نخشى عليك، فيرد على القائلين : ماكان أعداء الله قط أهون على منهم الآن .

ولننظر الى جيل أصحاب رسول الله ، فسنرى عجبا ، عظمة فى الفعل وعظمة فى القول وعظمة فى العقيدة لا تدانيها عظمة ، الرجال والنساء فى ذلك منهم على حد سواء ...

ـ ٤ ـ

وهذا الجيل العظيم هو الذى فتح العالم ، وملك الدنيا ، وحكم الشعوب ، وهز الامبراطوريات ، ونشر دين الله فى كل مكان ، وأثل الملك ، وبنى الحضارة، ونشر العلوم والفنون والاداب فى كل مكان .. انه جيل محمد ، ومدرسة محمد ، انه غرس تعاليم القرآن الكريم .

وهذا الخليفة عمر يضرب القدوة للحاكمين ... كان هو وخلفاء رسول الله يحرصون على تربية الجيل الثانى الذى يخلفهم حرصا شديدا ، وكان عمر يولى ذلك عناية كبيرة : يجتمع بالشباب المسلم فى المدينة كثيرا ، ويناقشه ، ويعرض أمامه المشكلات ، ويفكر معهم فى الحلول العاجلة لها، ويقول ابن شهاب الزهري لتلاميذه : لا تحقروا أنفسكم لحداثة أعماركم وأسنانكم ، فان عمر ابن الخطاب كان اذا نزل به الامر المعضل دعا الشباب الفتيان ، فاستشارهم ، يريد أن يختبر قدرتهم فى حل المشكلات ويبتغى كذلك حدة عقولهم .

وكانت تربية الجيل الجديد فى عصر الرسالة تعتمد على تكوين عقائدهم وعقولهم قبل كل شيء ، وترتكز على الحقائق والاعمال دون ماسواها .

كان عمر يرحب بالنقد والناقدين ، لا يضيق بذلك صدره ، ويحرص على العدالة التامة حرصا شديدا ، ولو على حساب نفسه ، جاءته حلل ثمينة من حلل النساء ، فقال أحد أصحابه له : لو أرسلت بهذه الحلة ــ وأشار الى أنفسها جميعا ــ الى امرأة ابنك عبدالله ابن عمر ، وهى صفية بنت أبى عبيد ، وكانت حديثة عهد بالزفاف اليه ، فرد عمر فى شدة وصرامة ، وقال له: سأبعث بها الى من هى أحق بها منها، الى أم عمارة ، نسيبة بنت كعب . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد : « ما التفت يمينا وشمالا الا وأنا أراها تقاتل دونى »

هؤلاء هم أصحاب رسول الله الذين تخرجوا على يديه ، وفى مدرسته الكبرى ، فأضاءوا الدنيا ، ونشروا هداية السماء ، وهدوا الانسانية الى كلمة الله ودينه وكتابه الحكيم ، رضى الله عنهم ، وعن سيد الخلق ، محمد بن عبد الله .

من التراث المعاصر

محمد وعلماء الأفرنج

درس علماء الافرنج تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده على طريقتهم فى النقد والتحليل ، ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلوها فليا ، ونقشوها بالمناقيش ، وقراوا القرآن بلغته ، وقراوا ما ترجمه به اقوامهم ، وكانوا على علم محيط بكتب العهدين القديم والجديد ، وتاريخ الاديان ، سيما الديانتين اليهودية والنصرانية ، وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من الافتراء على الاسلام والنبى والقرآن ، مما اشرنا الى بعضه آنفا ـ فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الاتيه :

« إن محمدا كان سليم الفطرة ، كامل العقل ، كريم الاخلاق ، صادق الحديث ، عفيف النفس قنوعا بالقليل من الرزق غير طموع بالمال ، ولا جنوح الى الملك ، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر والمباراة فى تحبير الخطب ولا قرض الشعر ، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية ، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية ، كالخمر والميسر وأكل أموال الناس بالباطل .

وبهذا كله وبما ثبت من سيرته ويقينه بعد النبوة ، جزموا بانه كان صادقا ، فيما ادعاه بعد استكمال الاربعين من سنه من رؤية ملك الوحى ، واقرائه اياه هذا القرآن ، وانبائه بانه رسول من الله لهداية قومه ، فسائر الناس » .

وزادهم ثقة بصدقه : ان كان اول الناس ايمانا به واهتداء بنبوته اعلمهم بدخيلة امره ، واولهم زوجته خديجة المشهورة بالعقل والنبل والفضيلة ومولاه زيد بن حارثة الذى اختار أن يكون عبدا له على ان يلحق بوالده واهل بيته ويكون معهم حرا، ثم ان كان الذين آمنوا به من اعظم العرب حرية واستقلالا فى الرأى ولا سيما أبى بكر وعمر .

فاما المؤمنون بالله وملائكته وبان للبشر أرواحا خالدة من هؤلاء الافرنج فقد آمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم على علم وبرهان .

وهم يزيدون عاما بعد عام ، بقدر ما يتاح لهم من العلم بالاسلام .

وأما الماديون فلم يكن لهم بد من تفسير لهذه الحادثة او الظاهرة التى لاريب فى صحتها وثبوتها ، وتصويرها بالصورة العلمية التى يقبلها العقل الذى لا يؤمن صاحبه بما وراء المادة او الطبيعة من عالم الغيب .

قدحوا زناد الفكر ، واستوروا به نظريات الفلسفة ، فلاح لهم منه سقط أبصروا فى ضوئه الضئيل الصورة التى اجملها الاستاذ «مونتيه» فى عبارته التى نقلها عنه آنفا ، وفصلها « اميل درمنغام » وغيره ..

السيد محمد رشيد رضا

من كتابه : « الوحى المحمدى »



محمد بين الأنبياء

● د. محمد كمال جعفر ●

● كان الكلام اذن اول الدروس الالهية لنا فى شخص أبينا آدم ، وكانت المعرفة اليقينية مضمون هذا الكلام ، فكانت الزاد السماوى لآدم وذريته فى الأرض •

وكما بدأ الله مع آدم بمعجزة الكلام ختمها مع محمد صلى الله عليه وسلم بنفس المعجزة ، فكما علم آدم الأسماء ، آتى محمدا القرآن ، جامع الصفات والأسماء •

وكما شرف آدم بالادناء والقرب ، توج شرفه بدعوة محمد الى حضرة القرب فعز البادىء بالخاتم ، فتاه برفعته آدم •

●

ولكي ندرك القيمة الحقيقية للدعوة المحمدية التى بدأت بالرحمة واختتمت بالرحمة وعمتها الرحمة فيما بين ذلك ـ لكى ندرك هذه القيمة علينا أن نتأمل طبيعة الديانات السماوية الثلاث الكبرى ، لنصل الى ما يقرب الى أذهاننا ما نعنيه •

ان المتأمل فى الديانة اليهودية فى تطوراتها المختلفة يدرك على الفور أن كثرة القوانين وصرامتها فى هذه الديانة تدل على أنها ديانة أعدت لشعب يصعب عليه الالتزام ، ولذا كثرت أخطاؤهم مع الله ، وكثر عتابهم ثم العفو عنهم •

لقد اوغلوا فى حب المادة لدرجة جعلتهم يعبدون العجل فى حياة النبى موسى عليه السلام بينما هو كان على موعد مع ربه • ولما كان اخلاد هؤلاء الى المادة والتشبث بها متمكنا فى أعماقهم ومسيطرا عليهم ، لم يكن لهم ليسمعوا لمن يدعوهم الى الزهد أو احتقار المادة والتعامل بأسلوب التسامح • ولو استمر الأمر على هذا النحو من توغل فى المادية المفرطة والظلم الفاحش ،لهلك الناس وتوقفت الحياة ، فكان لابد من شيء يهز هؤلاء من الأعماق ، لابد من شيء يذهلهم ويوقظهم الى أن المادة ليست كل شيء ، ان فوق المادة خالقها وميسر الانتفاع بها •

فكان مجيء سيدنا عيسى عليه السلام ـ على النحو الذى جاء به ـ هو هذا الشيء الذى يهز من الاعماق ، ويفيق سكارى المادة ، ومخدرى الجاه والسلطان •

•• وليد من مصون عفيفةلم تتزوج، ينطق مفصحا عن برنامج حياته والمهمات التى أوكلت اليه حتى النهاية ـ هذا الوليد يتولى عن والدته موقف

المواجهة الصعبة بمعجزة اصعب .

ان كل ذى بصر وكل ذى عقل لابد وان يتوقف ويدهش ليسال نفسه : ما معنى هذا ؟

ومما لاشك فيه أن الدفق الروحى العيسوى كان غلابا بمقدار تشبث القوم بالجاه والمادة ، حتى ان كثيرا ممن أوقدتهم حياة المسيح وأقواله قرروا الفرار من الدنيا والانقطاع كلية الى حياة العبادة والنسك والرهبنة .وهكذا وجد فى الحياة قطبان متعارضان . أحدهما ينزع الى القسوة والمادة فى صلف وبطش ، والآخر ينزع عن كل أعراض الحياة الا ما لاغنى عنه .وهذان المنزعان بالطبع لم يولدا من نفس الديانتين وانما تطور بهما أهلهما .

***

ووفاء بحق الرحمة التى كتبها سبحانه على نفسه ، كان لابد من بعث نسق من الحياة يجمع بين المادة والروح فى اتزان ينسجم مع حكمة الله فى الأرض ، ويتفق مع طبيعة المرحلة التى كانت تمر بها البشرية حين أشرقت الارض بنور ربها المتمثل فى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا يتصور عاقل أن تظل السماء مرسلة رسلا وديانات الى ما لانهاية ، بعد أن تبين الرشد من الغى وبعد أن رشدت الانسانية ، واهتدت الى هذا الكنز الثمين ـ العقل ووجهته الوجهة الناجحة فى عالم المادة .

ومما لاشك فيه أن الله جل جلاله قد بث فى كونه آيات ودلائل وشواهد تدعو كل عقل نزيه منصف الى التأمل والاعتبار والوصول الى الحق الصريح غير المزوق .

ولذلك كان الاسلام خاتم الأديان ، وكان محمد خاتم النبيين لأن الاسلام هو النسخة الالهية الجامعة ، ولأن محمدا هو النسخة النبوية الجامعة ، كلاهما جمع من مكارم الله وآدابه وأحكامه ما وعاه سائر النبيين والرسل وهذا واضح من النص القرآنى فى قوله تعالى « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ..** »

***

واذا كان اشتمال الاسلام على خلاصة المكارم والآداب والأحكام والعقائد الالهية المبثوثة فى الأديان السماوية فىصورها النقية أمرا واضحا من القرآن والسنة ومن الدراسات الفقهية والتاريخية ، فان أمر جمع محمد لمكارم الأنبياء قد يحتاج الى ايضاح .

لكن الذى يلفت الأنظار حقا ما ورد فى القرآن فى غير موضع من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يتبع ملة ابراهيم حنيفا ، ويعرض القرآن صورة ابراهيم فاذا هو حقيقة كما يقول القرآن « كان أمة » وتعرض مواقفه الخالدة فاذا هى المثل الأعلى للحب والفداء والتضحية والسخاءولين الجانب والرحمة والمروءة والشهامة وكلها مسجلة بصور تجليها فى القرآن فى مواضع كثيرة .

وربما غابت عن الكثيرين قيمة مروءة ابراهيم لأنهم فى غمار الاعجاب بمحبته لله وايثاره على ما ومن سواه ، حتى فلذة الكبد ـ فى غمار الاعجاب بهذا



ينسون الدور الحقيقى الذى كان يؤديه ابراهيم فى شتى المجالات . لقد كان ابراهيم فى كل موقف ، قناة رحمة يرتوى منها الصادر والوارد ، حتى العصاة لم يحرموا رحمة ابراهيم . والالمام بمكارم الشخصية الابراهيمية لا يتسع له المقام ، ولكننا نعرض من هذه الجوانب ما يكشف عن المدى الرحب الذي تنفسح له هذه الشخصية وعن الحكمة في تسميته عليه السلام بأبى الأنبياء فكرا وفعلا ، فمنه تتابعت حلقات الانبياء فى هذه السلسلة النوارنية من ولد يعقوب ، وجاء الاوحد والأحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل .

***

وباستقراء الحياة المحمدية والسيرة النبوية نعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان كما قال عن نفسه « دعوة ابراهيم» المتحققة المتجسدة الخالدة التى لاينتهى اثرها حتى تقوم الساعة .

لقد أخبرنا القرآن بأن الله ماارسل محمدا الا رحمة للعالمين ، وكما يقول أسلافنا بحق ان الرحمة من صفات الذات ، والغضب من صفات العدل ، والعدل فعل ، وفرق كبير بين صفات الذات وصفات الفعل ، ولهذا نقول : الله الرحمن الرحيم ، ولا نقول « الله الغاضب » أو الغضبان . ولذلك يقال أيضا ان حكم الرحمة لازم ، وحكم الغضب عارض ، وبهذا يعلل تقديم البشارة على الانذار ، والرحمة على الغضب او العقاب كما قال سبحانه « **نبىء عبادى انى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الاليم** » .

وهذه الرحمة العامة افاضها الله على يد محمد حتى عمت الأحياء من انس وجن وحيوان ونبات وبرزت الرحمة من فمه صلى الله عليه وسلم ومن يده ومن قلبه ومن كيانه كله حتى صاغ مجتمعا كاملا تتخلل الرحمة والمودة قلوب افراده . لم يكن الرسول رحيما فقط ، بل كان مربى الرحماء الذين اصبحوا بدورهم قنوات رحمة تستمد فيضها من خال النبى ومقاله .

ولا غرو أن يقول صلوات الله عليه « **أصحابى كالنجوم ، بايهم اقتديتم اهتديتم** » .

فكلهم من رسول الله ملتمس
غرفا من البحر أو رشفا من الديم

***

ويسفر الصبح عن مقام محمد حقيقة بليلة الاسراء والمعراج اذ بلغت به البشرية اقصى ما أريد لها — وهل بعد هذا التقريب والتشريف مطمع ؟ وهل بعد حشر النبيين وائتمامهم به صلوات الله عليه مقالة لقائل ؟

لقد فتح الله لنا فى محمد سبيلا اليه، وخلد هذا التشريف لنبيه بفرض الصلاة التى هى الصلة الدائمة بين العبد وربه مهما غلظت الأرض وقست الحياة . لقد عاد الينا صلوات الله عليه وقد أتاح لنا أن نذوق من بعض نفحات القرب ما يسمح به نقاء قلوبنا وحضور أرواحنا خمس مرات فى اليوم والليلة

وشاءت الارادة الالهية أن تسجل كل حركة فى الصلاة اشارة الى هذا التقريب والتشريف فكأنها معراج لكل انسان ، وهكذا يحمل كل انسان أداة رقيه واتصاله حتى يضمن سلامة الأداء لقواه وملكاته وينعم بالحياة الطيبة .

ولو شاء الله أن تكون حادثة المعراج هى النهاية بغير عودة لقبضت



رحمة الله عنا، ولخيم الظلام على ربوعنا وعدنا الى التيه والحيرة ٠

لقد قال بعض المفكرين المسلمين على سبيل الاستظراف«لو اننى كنت موضع النبى ما عدت الى الارض ثانية بعد ان ذقت حلاوة القرب وعز الجوار » ولكن هؤلاء يغفلون عن الحقيقة التى بدأت بآدم ولابد أن تختم بمحمد٠ لقد خلق آدم ولم يكن يدرى أو يعى شيئا فعلمه الله تعليما مباشرا وأهبطه الى الأرض ليصارع التراب ويعود الى ربه كما براه سليم القلب نقى الضمير ، ولابد أن يعين ذريته على ذلك ٠ ولابد أن تستمر رسالة هذه الكواكب السيارة بالضياء والهدى ٠ حتى اذا جاء أوان محمد « الخاتم » كان لابد أن يرى موضع القرب الذى نعم به أبوه من قبل ،ليعود الى الأرض كما هبط اليها أبوه ، مع هذا الفارق الضخم ، وهو ان تقرب محمد يتم فى غمار الحياة ، بينما تقريب آدم بدأت به الحياة ،وأن هبوط آدم كان عقوبة وان أدت الى مثوبة ، وهبوط محمد كان رحمة محبوبة ٠

لقد صدق القائل :

ان الكمل جميعا من أمته ، فمن تقدم عنه بالزمان سمى نبيا او رسولا ومن تاخر عنه بالزمان سمى وليا وكلهم من أتباعه ولم يكن ذلك الا له ٠

لقد بدت حركية الدفع المحمدى واستمراره لان شريعته أوضحت طبيعة الحياة وحركيتها ، وقد رسم القرآن الكريم لنا الحياة حركة دائبة لا تتوقف ٠٠ **فالطير صافات ويقبضن ٠٠والرياح مرسلات ٠ والنخل باسقات ٠ والافلاك سائرة ٠وكل فى فلك يسبحون ٠والمياه تجرى ٠٠** كل هذه الحركية ألهمت الكتاب المسلمين كثيرا من الأفكار الجيدة البناءة التى أسهمت فى دفع عجلة التقدم الحضارى على مدى العصور ٠

فالحياة الروحية سير مع الله ، والحياة العلمية سير مع الطبيعة والظواهر ، والفكر حركة دائبة مع القضايا والمشكلات والعواطف ،والمشاعر هادرة ، والخواطر والنوازع صاخبة ، وعجلة الحياة تدور بلا توقف ٠

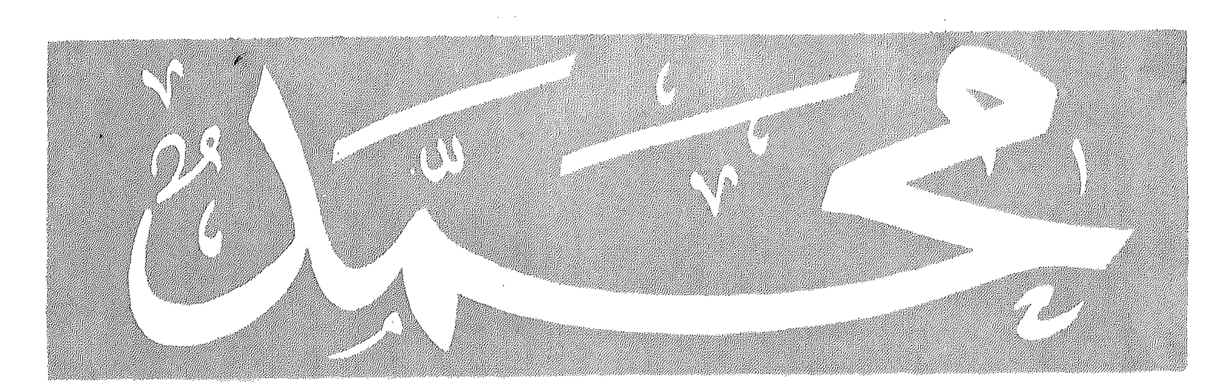
***

ان الصور الابراهيمية فى حياة محمد كثيرة ومتنوعة ، ولكن أبرزها صورة الرحمة المطلقة والرفق الذى لا يعرف الحدود ، وذلك يتجلى فى دعوته صلى الله عليه وسلم لقومه اثر اهانتهم له ٠

ولا يعتقدن انسان أنه يمدح الرسول ،فان مدحه يقتضى الالمام الكامل بمكارمه وفضائله والهيمنة الشاملة على مستواه الخلقى ، وهذا ليس فى طاقة انسان ، ولابد فى المدح أن تكون فيه بعض المبالغات ، فما بالك ونحن لم نستوعب بعض الجوانب الظاهرة لهذه الشخصية المثلى ٠

ونحن لانريد ان نكون من هؤلاء الذين نزل فى شانهم قوله تعالى مخاطبا نبيه « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » ولا نريد أن نلم بحمى يعز على العقول والمدارك ان تطأ حرمه الا ان يؤمنها الخالق بقول سديد وخبر معصوم ٠٠

صور من الحياة في بيت النبوة



أباً ورب أسرة

د. مصطفى الديواني

كانت السيدة خديجة رضي الله عنها نعم الزوج والقرين ، عاقلة رصينة ، مصون كريمة، وكانت موضع تقدير الرسول صلى الله عليه وسلم فملكت قلبه ، ولم يتزوج امراة قبلها ولم يتزوج عليها قط الى ان قضت نحبها ، وقد هلع لفقدها ، ولا عجب فقد كانت نعم القرين ، وقد امر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ان يبشرها ببيت فى الجنة.

وقد رزق الرسول منها بذرية صالحة : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم وعبد الله ،وشاء الله أن يسترد الوديعتين من الذكور فى سن مبكرة احدهما بعد الاخر ، وله فى ذلك حكمة

وفى العام العاشر من الزواج الطاهر استعدا لاستقبال ثمرة جديدة هي موضع حديثي اليوم ، فقد صادف مولدها حدثا جليلا فى تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ مكة اجمع ..

ففى هذا اليوم ــ وكانت قريش تقوم بعملية اعادة بناء الكعبة بعد أن تصدعت جدرانها ، وكانت الظروف مهيأة للقيام بهذا المشروع ــ وصلوا بالبناء مكان الحجر الاسود الذى يعرفون له مكانة خاصة تصل حتى التقديس ، اختلفوا فيما بينهم .

فعندما أرادوا وضع الحجر الاسود فى مكانه فى الجانب الشرقي، اختلفت بطون قريش على من يحوز هذا الشرف ، وكاد القتال ينشب بينهم حتى وقف ابو أميمة بن المغيرة ــ وكان من كبارهم ــ فقال يا معشر قريش : « اجعلوا بينكم اول من يدخل من هذا المسجد ، يقضى بينكم فيما تختلفون فيه»

فكان اول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا : هذا الامين ..هذا محمد . رضينا به..

فلما انتهى اليهم اخبروه بالخبر ،فقال صلوات الله وسلامه عليه : « هلم الى ثوبا ».. فأتوا به ،فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : « لتاخذ كل قبيلة بناحية الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ».. حتى اذا مابلغوا به موضعه وضعه هو بيده الكريمة ، ثم بنى عليه .. وحل الوفاق محل الشقاق على يد محمد الامين .. فى هذا يقول الشاعر هبيرة ابن وهب المخزومى .

فلما رأينا الامر قد جد جده
ولم يبق شيء غير سل المهند ..

رضينا وقلنا الصدق اول طالع
يجيء من البطحاء من غير موعد
فاجانا هـذا الامين محمد
فقلنا رضينا بالامين محمد .

ورجع الرسول صلى الله عليه وسلم الى منزله ليطمئن على سلامة زوجته خديجه بنت خويلد وقد تركها تعاني من آلام الوضع ، فاذا به يتلقى طفلته الرابعة فاطمة الزهراء «أى المشرقة الوجه» .

درجت فاطمة الزهراء فى بيت النبوة ونشات نشاة جد ووقار ، وشاهدت خلال السنين الاولى من بعثة ابيها الوانا من العذاب والاضطهاد ، وعاشت مع والديها تحت الحصار الدامى سنين عدة ، ثم عادت الى مكة بعد انهيار الحصار لتشهد بعينيها موت أمها الطاهرة خديجة ، ثم هجرة أبيها الى يثرب ، وعلى اثره هاجر على بن أبى طالب وكان قد تمهل ثلاثة ايام فى مكة ريثما يؤدى عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه الودائع التى كانت عنده للناس ..

وبقيت فاطمة واختها ام كلثوم ، حتى جاء رسول من ابيها فصحبهما الى يثرب ، وعند مشارف أم القرى ـ رآهما الحويرث بن عبد قصى ، وهو الذى آذى الرسول بمكة ، فلحق بهما وطاردهما حتى نخس بعيرهما فالقى بهما على الارض ..

وكانت فاطمة الزهراء ضعيفة البنية نحيلة القوام لم تسترد قواها بعد من آثار الحصار المنهك ، واضطرت الى السير بقية الطريق الى يثرب .

ومرت الاعوام دون استرخاء ، وبلغت فاطمة الزهراء الثامنة عشرة من عمرها زهرة متفتحة يتمناها كل رجل شريكة لحياته ، ولا عجب فقد تفتحت عيناها فى بيت النبوة فتعلمت فى دار أبيها مالم تتعلمه طفلة غيرها فى مكة : آيات القرآن الكريم ، وعادات مثالية على اعلى المستويات ، وادارة لمنزل والديها لا يعينها أحد من النساء .

ولا عجب اذا تسابق الاشاوس من قومها الى دار أبيها يطلبون يدها ، وكان اول المتقدمين ابو بكر الصديق ، ثم تلاه عمر بن الخطاب يخطبان فاطمة فكان صلوات الله وسلامه عليه يطرق قليلا ثم يقول : « انتظر القضاء » فلم يدركا ماذا يقصد الرسول بهذا القضاء .. وبعد ترو فطن ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ادخر الزهراء لعلى بن ابى طالب ، فذهبا اليه يأمرانه أن يخطبها فنبهاه لامر كان عنه غافلا ، فذهب الى الرسول عليه الصلاة والسلام وحياه بتحية الاسلام ، ثم جلس على استحياء لا يذكر شيئا مما جاء من أجله ، فسأله الرسول الكريم فى رقة : « ماحاجة على بن أبى طالب ؟ » فيجيبه على بصوت خفيض : ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيجيب الرسول « مرحبا واهلا » ولم يزد وطال الصمت وانصرف على حائرا قلقا قد كان يريد افصاحا اكثر ..

وخرج ليجد فى انتظاره اخوانه يترقبون مودته يسألونه ماذا اجاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فأجاب وهو لا يزال فى حيرة « عندما تحدثت الى الرسول لم يرد على قوله لى « مرحبا واهلا » . فطمأنوه قائلين : « يكفيك من رسول الله احداهما » .

فعاد اليه الامل فتوجه الى الرسول فى اليوم التالى ، وقال بصوت يسمعه النبى : اردت أن أخطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته . فتهلل وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لانس بن مالك انطلق وادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعض الانصار . فلما اخذوا مجالسهم التفت عليه الصلاة والسلام الى

محمد أبــــا ورب أســـرة



علي بن ابي طالب وقال يا علي : اخطب لنفسك ، فقام وفعل ما طلب منه ، ثم قام الرسول عليه الصلاة والسلام والقى خطبة قال في نهايتها : « **ان الله امرني ان ازوج فاطمة من علي واشهدكم انني زوجتها من علي على اربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك ، على السنة القائمة والفريضة الواجبة . فجمع الله شملهما وبارك لهما واطاب نسلهما** » .

فخر علي ساجدا شكرا لله ولما رفع راسه قال الرسول صلى الله عليه وسلم : بارك الله لكما وعليكما وأخرج منكما الكثير الطيب . ثم أمر لاصحابه بطبق فيه تمر .

وجهزت الزهراء ، وكان جهازها مكونا من سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف واناء يغسل فيه وسقاء ومنخل ومنشفة وقدح ورحاءين وجرتين .

كانت حياة الزهراء في كنف زوجها أقرب الى الخشونة والفقر ، ومن هذه القصة ندرك الكثير من مزايا وصفات سيد المرسلين وهو المعجزة البشرية التي لن تتكرر مهما طال الزمن ، فقد روى من علي بن ابي طالب انه قال :

«بتنا ليلة بغير عشاء فأصبحت فخرجت ثم رجعت الى فاطمة عليها السلام ، وهي محزونة ، فقلت : مالك ؟ فقالت : لم نتعش البارحة ولم نتغد اليوم ، وليس عندنا عشاء ... فخرجت فالتمست فاصبت ما اشتريت طعاما ولحما بدرهم ، ثم اتيتها به ، فخبزت وطبخت ، فلما فرغت من انضاج القدر قالت : لو اتيت ابي دعوته ، فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مضطجع في المسجد ويقول « أعوذ بالله من الجوع » ، فقلت : بابي انت وامي يا رسول الله عندنا طعام ، فهلم . فتوكأ على حتى دخل والقدر تفور . فقال : اغرفي لعائشة ، فغرفت في صحفة ، ثم قال : اغرفي لحفصة ، فغرفت في صحفة ، حتى غرفت لجميع نسائه التسع ، ثم قال « اغرفي لابيك وزوجك » فغرفت فقال : « اغرفي فكلي » فغرفت ثم رفعت القدر وانها لتفيض فأكلنا منها ما شاء الله »

كانت الزهراء تقاسي من الشظف والفاقة ، حتى أن عليا رضي الله عنه اشفق عليها يوما من أعباء البيت فتمنى لو كانت عنده خادم تحمل شيئا من عبء البيت الثقيل ، فانتهز فرصة مواتية ، اذ كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عاد من احدى غزواته الظافرة بغنائم وسبايا ، فطلب من فاطمة ان تذهب الى رسول الله تلتمس منه خادما تخدمها ، فوافقت وتوجهت الى أبيها صلى الله عليه وسلم .

ولكن منعها الحياء أن تساله فيما جاءت من اجله .

عادت فاطمة من حيث أتت لتنبىء زوجها انها استحيت أن تطلب من أبيها شيئا ، فعاد بها علي ، وصحبها الى الرسول ، وعرض عنها سؤالها وهي تستمع مطرقة في حياء .

أجاب رسول الهدى :

— لا والله ، لا اعطيكما وادع أهل الصفة تتلوى بطونهم لا أجد ما انفق عليهم ، ولكن أبيع وانفق عليهم من الثمن .

وانصرف علي وفاطمة شاكرين . وما يدريان ان شكواهما مست قلب الاب الحنون وشغلته نهاره كله .

وجاء الليل . وكان البرد قارسا ، فرقدا على فراشهما الخشن يحاولان النوم فلا يجدان اليه سبيلا لفرط ما يشعران به من قسوة البرد ، وبينما هما كذلك يحتالان على النوم اذا برسول



الله صلى الله عليه وسلم يقبل عليهما وقد انكمشا فى غطائهما مقرورين ، فهبا للقاء الضيف الكريم ، لكنه صلى الله عليه وسلم ابتدرهما قائلا فى رفق:

ـ الا اخبركما بخير مما سالتمانى ؟

ـ بلى يارسول الله .

ـ كلمات علمنيهن جبريل ، تسبحان الله فى دبر كل صلاة عشرا ، وتحمدان عشرا ، وتكبران عشرا . واذا اويتما الى فراشكما تسبحان ثلاثا وثلاثين ، وتحمدان ثلاثا وثلاثين ، وتكبران ثلاثا وثلاثين .

وقد سمع على بن ابى طالب ، بعد ثلث قرن ، يذكر القصة لبعض اصحابه ويقول :

ـ فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن .

زار الرسول فاطمة يوما وهى تطحن بالرحى ، وعليها كساء من وبر الابل ، فبكى نبى الرحمة اشفاقا بها وقال لها :

ـ تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة .

وكانت رضى الله عنها تشكو حينا بعد حين ويعودها الرسول يواسيها فى مرضها ، وذات يوم زارها فوجدها مريضة فقال لها :

ـ كيف تجدينك يابنية ؟

فاجابت بصوت واهن :

ـ انى لوجعة . وانه ليزيدنى انى ما لى طعام آكله .

فاستعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لها مواسيا :

ـ يا بنية ، اما ترضين انك سيدة نساء العالمين .

كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعد أن مات بنوه ولم يبق منهم الا فاطمة يريد ان يرى أبناءها يدبون على الارض من حوله فيملأون قلبه بالسعادة . وكان يسعد برؤية الحسن والحسين وزينب من حوله يمرحون فى براءة الطفولة . . وكان حبه لهم مضرب الامثال فى تواضع الانبياء وبر الاباء بالابناء . وكان يقدم احدهما اذا سأله سائل عنه بقوله : هذا ابنى وابن ابنتى ، اللهم انى أحبه فأحببه واحب من يحبهما (أى الحسن والحسين)

ولقد أحب الرسول الحسين كما أحب الحسن سواء بسواء ، وروى عنه انه قال : الحسن والحسين ريحانتان من الدنيا . . وكان لايطيق اذاهما ، ولايحب أن يستمع الى بكاء أحدهما ، ويحكى أنه خرج ذات يوم من بيت عائشة رضى الله عنها فمر على بيت الزهراء فسمع حسينا يبكى . فقال : الم تعلمى ان بكاءه يؤذينى .

هذا الحسين الذى كان يستأثر بحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان المدلل المفضل عند أكرم خلق الله ، قدر له أن يستشهد فى كربلاء فى العاشر من شهر محرم من عام ٦١ هـ ، ولم يكن قد اتم الستين بعد لانه ولد فى النصف من شهر رمضان بالمدينة المنورة سنة ثلاث من الهجرة .

ولقد كان للرسول الكريم بمثابة فلذة الكبد ، **وهو الذى سماه باسمه عند مولده . . ويروى على بن أبى طالب انه لما ولد الحسن ثم الحسين ثم محسن على التوالى ، كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: «أرونى ابنى ، ماسميتموه؟» . ثم سماهم بنفسه صلى الله عليه وسلم .**

وولدت زينب فى شعبان من السنة الخامسة للهجرة وكان الرسول فى سفرة له فانتظروا مجيئه ، ولما سئل عن اسمها فقال : ماكنت لاسبق ربى تعالى .

فنزل عليه جبريل وقال : « سم هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم » ـ او كما قيل .

سيرة محمد

السيرة في أدوارها المختلفة

● محمد قنديل البقلي ●

علم التاريخ قديم قدم الانسان، غير أنه كانت له صوره المختلفه على مر الازمان ،فما كان الانسان الاول يعنى الا بالتاريخ الخاص ، تاريخ الابطال ، وتاريخ الرجال البارزين ، يتناقلها الناس رواية ويتحدثون بها فى انديتهم ومجالسهم حين لم يكن ثمة تدوين وكانت هذه هى نشأة التاريخ الخاص فى منطق المؤرخين ، ثم كانت بعد ذلك عناية الناس بما يحيط بهم ، وكانت هذه هى نشأة التاريخ العام

فالتاريخ الخاص الذى عرف بعد بعلم السير ، كان اسبق فى الوجود من التاريخ العام ، اذ وجود الافراد سابق على وجود الجماعات ، وحديث الناس عن افراد بعينهم ، اسبق من احاديثهم عن الجماعات وما يحدث بين الجماعات ، وهذا التاريخ وذاك سبقا لاشك الاحاديث عن البيئات وما يمت الى البيئات بسبب .

تلك مراحل التاريخ فى نشأتها ، كما ذهب اليها المؤرخون ، وعلى هذا لم يكن للعرب فى جاهليتهم وقبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من مادة تاريخية الا ماتوارثوه رواية اولا عن حياة الافراد، وما فى حياة الافراد من قصص فيها بطولة وفيها الكرم وفيها الوفاء

وحين استقر بهم المقام شيئا وكانت لهم الجماعات ، كان حديثهم عن هذه الجماعات فى حروبها ودفاعها وغاراتها

وحين استوت تحت أرجلهم الارض وكانت لهم مقار مذكورة وموصوفة كان حديثهم عما على هذه الارض من مثل البيت وزمزم وما كان من امرهما ، وحين تحضروا شيئا وكانت لهم بيوت فيها الامرة وفيها السيادة كان حديثهم العام عن تلك البيوتات امرة وسيادة يقوم اللسان مقام القلم يعى الناس عنه شيئا ثم يحفظون ويؤدون ، الى أن كان التدوين فى صورته الاولى لمدونوا من ذلك شيئا نقشا على الحجارة او نحوها

وكان ظهور الاسلام ومجىء الرسول صلى الله عليه وسلم بتلك الرسالة السماوية فنشأت أحاديث عامة مع الاحاديث الخاصة ، ونهض التاريخ الخاص مع التاريخ العام ، وكان من هذه

وتلك مادة في التاريخ العام أولا ثم للتاريخ الخاص وهو السيرة ثانيا

●

وكان تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم الحافل الطويل أخصب مادة للتاريخ الخاص ، أعني تاريخ السير ، فلم تكن ثمة سيرة بين أيدي المسلمين أغنى من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا أحفل ولا أعذب ولا أشهى ولا أحلى للمسلم يسمعها ويرويها ويتروّها . وانسى بها المسلمون أو كادوا ينسون ما كان لهم في جاهليتهم من سير للابطال والسادة والزعماء

وكان مرقوبا ان يأخذ المسلمون في كتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مبكرين ، وان تكون لهم محاولات في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام او بعد وفاته بقليل ، غير انا لو علمنا انه كان ثمة شغل آخر شغل المسلمون به يمس العقيدة ويمس الدين ويمس اللغة ، وهو حرصهم على جمع القرآن الكريم وتدوينه وابرازه للمسلمين في صورته التي نزل بها ، ثم حرصهم الثاني على القرآن الكريم ، وكان هذا الحرص الثاني يتصل باللغة وتدوينها نحوا خوفا من أن تفسد الالسنة فيصيب السنة القارئين للقرآن الكريم من ذلك شيء

وهكذا تاخر تاريخ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا ، وتاخر اخذ المسلمين في كتابة التاريخ العام شيئا ، فلقد كان للعرب مع الرغبة في كتابة السيرة رغبة في كتابة تاريخهم العام الذي اتسع بين أيديهم اتساعا عظيما ، ولكن هذا وذاك اي كتابة السيرة وكتابة التاريخ العام تاخرا وقعد العرب عن الاخذ فيهما للسبب الذي قدمت وهو شغل المسلمين بتدوين القرآن الكريم وتدوين النحو .

فلما ان كانت أيام معاوية ، راينا الميل الى تدوين التاريخ يتمثل فيه ، وكان معاوية كما يقال يحب ان يبدا بالتاريخ العام لا ايثارا لهذا العام على ذلك الخاص فيما اظن ، بل أكاد أجزم انه كان لسبب آخر وهو ان السيرة على الالسنة جميعها يعيها الناس حفظا ورواية ، فمادتها محفوظة لن تفقد شيئا ان تخلف بها الزمن قليلا . اما التاريخ العام فمادته في صدور نفر قليل ، ان ذهبوا ذهب معهم ذلك التاريخ العام .

من أجل هذا بدأ معاوية التفكير في أن يدون كتابا في التاريخ العام ، ولم يكن فيمن حوله من يحقق له تلك الامنية ، من اجل هذا استقدم من صنعاء عبيدة بن شرية وناط به ما يحب ، فكتب له عبيدة ابن شرية كتاب : الملوك واخبار الماضين

بدء تدوين السيرة

وحين بدأ المسلمون يظفرون بشيء في التاريخ العام ، أغناهم شبه غناء ، التفتوا الى التاريخ الخاص وهو سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما خافوا على القرآن حين جمعوه أن يذهب حافظوه ، وعلى النحو حين دونوه أن يغيب لاقنوه ، كذلك أخذ الخوف يساورهم أن يغيب عنهم حفاظ السيرة وروادها ولاقنوها ، حتى اذا كانت ايام عمر بن عبد العزيز رأينا من ينبرى منهم لهذا التاريخ الخاص تاريخ السيرة نذكر منهم : عروة بن الزبير ابن العوام احد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ ، ولقد مكنه نسبه من قبل أبيه الزبير بن العوام وأمه أسماء بنت ابى بكر ، ان يروى الكثير من الاخبار والاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن تلك الحياة الحافلة في صدر الاسلام .

●

وحسبك أن تعلم ان ابن اسحاق ، والواقدى ، والطبرى اخذوا عنه الكثير ، ولاسيما فيما يتعلق بهجرة المسلمين الى الحبشة ، ثم بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وكذلك مايتصل بغزوة بدر .

وكان بعد ابن الزبير ممن كانت لهم مشاركة فى التاريخ الاول للسيرة: أبان بن عثمان بن عفان ، فألف فى السيرة صحفا جمع فيها أحاديث حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت وفاة أبان سنة ١٠٥ للهجرة .

ثم كان بعد أبان مؤرخ فى السيرة ايضا هو وهب بن منبه ، ولكنه كان فى موطن آخر غير موطن أبان ، فلقد كان أبان مدنيا ، وكان وهب بن منبه يمنيا ، وكانت وفاة وهب سنة ١١٠ هجرية — وفى مدينة هيدلبرج بالمانيا قطعة من كتاب له الفه فى المغازى

وثمة غير هؤلاء الثلاثة كثيرون منهم من ترك الدنيا مع الربع الاول من القرن الثاني الهجرى ، مثل: عاصم بن عمرو بن قتادة، وكانت وفاته سنة ١٢٠ من الهجرة

وشرحبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ هجرية

وابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هجرية .

كما كان منهم من جاوز الربع الاول من القرن الثاني الهجرى بقليل ، منهم : عبد الله بن ابى بكر بن حزم ، وكانت وفاته سنة ١٣٥ هجرية

وكان هؤلاء الاربعة — اعني عاصما وشرحبيل ، وابن شهاب ، وابن حزم — ممن عنوا باخبار المغازى وما يتصل بها ، والمتصفح لكتب التاريخ والسير يعلم كم ترددت الرواية عنهم

كما كان من هؤلاء المؤرخين من عاش حتى أدرك منتصف القرن الثاني الهجرى و جاوزه بقليل منهم :

موسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ

ومعمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٠ هـ

ثم شيخ رجال السيرة والواضع الاول لبنائها وهو محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥٢ هـ

وتوالى بعد ذلك اى بعد ان أسس ابن اسحاق لعلم السيرة الكامل — رجال نذكر منهم :

زياد البكائي المتوفى سنة ١٨٣ هـ

والواقدى صاحب المغازي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

ومحمدا بن سعد صاحب الطبقات الكبرى ، المتوفى سنة ٢٣٠ هـ

ولكن قبل أن تستأثر المنية بابن سعد عدت على الرجل الثاني فى علم السيرة الجامعة وهو ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ .

ولقد كان ابن هشام هو الرجل الذى انتهت اليه سيرة ابن اسحاق فتناولها تهذيبا وشرحا واختصارا واضافة

وما من شك فى ان مجهود ابن اسحاق ثم مجهود ابن هشام بعده كانا هما المدد للمشتغلين بعلم السيرة بعد ذلك، يختلف جهد عن جهد ، فالجهد الاول الذى كان لابن أسحاق ثم لابن هشام بعده جهد الجمع والتصنيف ، أما جهد من جاء بعدهم فهو جهد النقد والتعليق

وهكذا كان هذا التراث بين أيدى من جاء بعد ابن اسحاق وابن هشام شيئا غير قابل لجديد فى جوهره ، بل كان كل ما يبدل فيه مما يمس الشكل والصورة فحسب .

السيرة نظما وصياغة

ولقد رأينا للمؤلفين فى السيرة بعد تلك الجهود الاولى التى كان مبناها الجمع والتبويب، جهودا ميسورة تتناول السيرة اما : شرحا واختصارا — واما نظما ليسهل حفظها — واما صياغة فيها لون من الابداع مستأنسة بما سبق فتبدو وكانها تأليف جديد وهى فى الحقيقة ليست الا لما سبق

وكان من هذا الفريق الثالث ابن فارس اللغوى المتوفى بالرى سنة ٣٩٠ هـ وله سيرة تنسب اليه ، ولا يزال منها خطيات محفوظة فى دور الكتب .

ومحمد بن على بن يوسف الشافعى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ

وابن ابى طى يحيى بن حمى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

وظهير الدين محمد بن على الكازرونى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ



وعلاء الدين على بن محمد الخلاطى الحنفى المتوفى سنة ٧٠٨ هـ

ولهؤلاء مؤلفات فى السيرة ولكن دور الكتب لا تحتفظ بشىء منها

وابن سيد الناس اليعمرى الشافعى والمولود سنة ٦٦١ هـ والمتوفى سنة ٧٣٤هـ وله كتاب « عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » ـ وبدار الكتب المصرية نسخة خطية منه

وشهاب الدين الرعينى الغرناطى المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، وله رسالة فى السيرة والمولد النبوى ، وبدار الكتب المصرية نسخة خطية منها .

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن على ابن جابر الاندلسى المتوفى سنة ٧٨٠هـ وله رسالة فى السيرة والمولد النبوى ، وبدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة منها

ثم محمد بن يوسف الصالحى المتوفى سنة ٩٤٢هـ وهو صاحب السيرة الشامية التى سماها : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ، ومنهـا بدار الكتب المصرية مخطوطة .

ثم على بن برهان الدين المولود بمصر سنة ٩٧٥ هـ ، والمتوفى بها سنة ١٠٤٤هـ، وهو صاحب السيرة الحلبيـة التى سماها : انسان العيون فى سيرة الامين المامون عليه الصلاة والسلام

وثمة غير هؤلاء من رجال هذا الفريق الثالث كثيرون وفيما أوردنا منهم ما يغنى .

اما عن رجال الفريق الاول ، وهم من تناولوا السيرة شرحا فنذكر منهم :

السهيل صاحب الروض الانف

وابا ذر صاحب الشرح اللغوي للسيرة .

وقطب الدين عبد الكريم الجماعيلي المتوفى سنة ٧٣٥ هـ وله شرح على سيرة محمد بن على بن يوسف وسمى كتابه : المورد العذب الهنى فى الكلام على سيرة عبد الغنى

وقاسم بن قطلوبغا صاحب سـيرة الحافظ علاء الدين مغلطاى المسماة : الاشارة الى سيرة المصطفى وآثار من بعده من الخلفا ، وقد انتهى فيها الى الدولة العباسية ، اى الى سنة ٦٥٦ هـ

ثم ابا الحسن على بن عبد الله بن احمد السمهودى ، المتوفى بالمدينة سنة ٩١١هـ

اما عن رجال الفريق الثانى وهم ممن نظموا السيرة وصاغوها شعرا فنذكر منهم :

عبد العزيز بن احمـد المعروف بسعد الديرى المتوفى حوالى سنة ٦٠٧ هـ

وابا الحسن فتح بن موسى القصرى المتوفى سنة ٦٦٨ هـ

ثم كانت نشأة الموالد ، وهى لاشك فن يتصل بالتاليف فى السيرة اذ هى نوع من التلخيص ولكنـه تلخيص خاص يتصل بمولده صلى الله عليه وسلم ، وما سبقه من ارهاصات ، وعن نشأته صلى الله عليه وسلم فى طفولتـه وما صحب تلك الطفولة من خوارق

العصر الحديث والسيرة

وكم فى العصر الحديث من مؤلفين فى السيرة النبوية كانوا من نمط الفـريق الثالث الذى قدمنا شيئا عنه وعن رجاله، فكانت لهم نظرة جامعة فاحصة ناقدة ملخصة معقبة فى جميع ما الف من قبل، ليخلصوا من هذا كله ، وبهذا كله الى سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب العصر الحديث ، غير انها لا تمس جوهر ما كان قبل بل تعرضه فى ابداع وابتكار





● د . محمد الظواهري ●

● تعددت الدراسات وكثرت حول رسولنا الكريم ، محمد صلى الله عليه وسلم ، في مختلف جوانب حياته ، ودعوته ورسالته .. سواء من الشرق او الغرب ..

ولقد تفرقت الدراسات واختصت كل منها بجانب من الجوانب المتعددة في نبينا الكريم ، فمنها ما ركز على سيرة الحبيب المصطفى ، ومنها ما ركز على جهاده واظهار العبقرية العسكرية التي كان يمتلكها ..

ومن اصحاب الدراسات من افصح عن خبرة محمد صلى الله عليه وسلم بالامم والشعوب وكيفية التعامل معها ، وهي ما نطلق عليها بمصطلح عصرنا الامور السياسية .

وهكذا اكتظت المراجع بالدراسات القيمة عن الرسول الكريم . لكني ، ومن قراءاتي المتعددة ، تنبهت ان هناك جانبا اغفل المختصون في تناوله عن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الرسول طبيبا ..

والحقيقة ان للرسول منهجا في هذا الجانب ، جديرا بالبحث والنظر اليه ، لنعرف ان طبيب الانسانية الاول منذ اربعة عشر قرنا ، كان يعرف بفطرته وذكائه ، المناهج التي يدرسها الان الطلاب في اقسام الطب المختلفة ..

اليك هذا الحديث الذي يبين لنا منهج الرسول عليه الصلاة والسلام في العلاج .

« قيل ان الناس قد حموا في فتح خيبر ، فشكوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال « **ايها الناس.. ان الحمى رائد الموت، وسجن الله في الارض ، وقطعة من النار ، فاذا وجدتم ذلك فبردوا لها بالماء في الشنان ، ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء** »..

ففعلوا ذلك ، فزالت عنهم » ..

***

ومن هذا الحديث نتعرف على منهاج

الرسول الكريم فى مداواته للناس :

اولا : أوضح للمسلمين نوع المرض وخطورته ، وهو الحمى ، ثم قام بشرحه للمسلمين حتى يكونوا على بينة من أمرهم عن هـذا المرض ..

ثانيا : وضع الرسول « الروشتة » أو العلاج بالتبريد ، وهو العلاج الامثل فى ذلك الوقت ثم حدد الاوقات التى يجب ان يتناول فيها المريض علاجه .. واعتقد ان اى طبيب فى العالم اليوم لا يختلف منهجه عن هذا المنهاج الذى وضعه الرسول صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .. ففى البداية يكتشف الطبيب المرض ، ثم يقوم بشرحه للمريض ، ثم يضع العلاج والخطوات التى يجب على المريض أن يتبعها ، وهكذا ..

ومن تعاليم الرسول الصحية انه امر المسلمين بالتداوى ، واستشارة الاطباء بل والحاذق منهم ، ولا ضير ان يجمع المريض بين أكثر من طبيب على شكل مشاورة ، وهو ما نسميه حاليا « بالكونسلتو » .

والرسول الكريم هو اول من اشار الى عسل النحل والتداوى به بعد أن جاء ذكره فى القرآن الكريم ..

ولقد عالج الرسول امراضا كثيرة مختلفة ، فمثلا نصح العلاج من الامراض الجلدية بلبس الحرير والنظافة والاغتسال ، واتباع اطعمة معينة فى الغذاء ، كما امر بالصوم لعلاج بعض الامراض ، واستعمال كئوس الهواء وقد نبه الى خطورة الكى ومضاعفاته ، بل وفى بعض الاحيان دعا الى النهى عنه ، واستخدام المشرط فى بعض الجراحات وبعض العلاجات الموضعيه .

ولقد نبه الرسول الكريم كذلك الى خطورة الامراض المعدية الخطيرة كالجذام والطاعون ، ونبه الى ضرورة الحيطة منهما .

أما اكثر الاشياء التى تدعو الباحث ان يقف ويمعن النظر فيها مليا فهو دعوته صلى الله عليه وسلم الى رفع الروح المعنوية والنفسية للمريض ، فلا جدال فى ان اكثر العمليات الجراحية التى تجرى تتطلب شجاعة من المريض وروحا معنوية عالية ..

وكلما ارتفعت روحه المعنوية ، تجاوز المريض مرحلة المرض ..

***

والرسول الكريم كان يحرص على عيادة المرضى وزيارتهم للتخفيف عنهم بل ودعا أصحابه ان يفعلوا فعله . واعتقد ان هذا السلوك من اهم واول « الادوية » التى تقدم لعلاج المريض ، وهى رفع حالته النفسية وازالة الوهم الذى يصيبه ..

اخيرا ارجو ان اكون قد كشفت بعض الشىء عن روعة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فى جانب واحد هو الجانب الطبى . والذى سبق به الرسول العلم قبل ان يتطور تطوره الحديث . وصدق الله عز وجل اذ يقول :

((لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم)) .

وفى وصفه صلى الله عليه وسلم قال :

((وما ارسلناك الا رحمة للعالمين))

فحقا نبينا رسول الله عليه الصلاة والسلام الرحمة المهداة ، وحقا انه نبى المرحمة ، وها هى تعاليمه الكريمة خير نبراس يستنير به البشر كى ينجوا وينعموا فى الحياة الدنيا والحياة الاخرة .

شباب فجر الإسلام

حول محمد

● مصطفى الشهابى ●

● الشباب فى كل امة طاقة وذخيرة قومية حية ، له آماله ومثله التى تنبعث من قدراته الانســـانية وظروفه الاجتماعية ..

وطاقة الشباب هى مجمـــوعة مهارات مكتسبة يتشبع الشباب بهـا غالبا فى المراحل الاولى من العمر .. وهى تضفى على المجتمع حيوية بما تحتويه من فكر ووجدان وانفعالات .

وبتفاعل الطاقة مع الخبرات والعلاقات الاجتماعية والظروف الخاصة لكل شاب ، تتشكل صورة الشـباب التى تختلف من شباب لآخر بقدر اختلاف هـذه الخبرات والعلاقات والظروف .

ومن ثم كان الشباب دائما ، وسيظل ، مصدر كل القوى والساعد الذى يتحمـل كل التبعات فلا ينوء بها .

وسيبقى مستقبل الانســـانية رهنا بطموح الشباب الى المثل العليـــا ، لان الشباب هو الذى يستطيع أن يجعـــل الحياة جديرة بالحب ، واذا صحت عزيمته امكنه ان يستنقذها من العبث والفساد .

وعندما بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اغلب شـــباب قريش وغيرهم ، ينفقـــون أيامهم وصحتهم فى شرب الخمر والانغماس فى الشـــهوات واللهو والاغـــارة وغير ذلك من ضروب العبث .

وكان من الضرورى أن يتغـــير ذلك الاسلوب من الحياة .

وما كاد محمد يبدأ رسالته ويدعـو لمبادىء الاسلام الكريمة السمحة ، حتى انفعلت بها نفوس بعض الشباب فانساحوا ينشرون رسالته ، رسالة الحب والرحمة والعدل والمساواة ، وكانت القوة الروحية تدفع قوتهم الجسمانية للخير والحق .

وقد ضرب بعض الشباب فى فجـــر الاسلام اروع الامثلة فى التضحية والفداء ومكارم الاخلاق ، وتحملوا اعباء جسيمة ، سجلها لهم التاريخ ، كفاحا من أجل نشر الاسلام ليعيش الناس أحرارا فى ســلام ورخاء .

وكان عدد الشبان الذين اسـلموا فى فجر الاسلام نحو أربعين شـــابا ، أما الشابات فكن نحو احدى عشرة . وفيمـا يلى صور من بطولة بعض هؤلاء الشباب .

على بن ابى طالب

ابن عم النبى ، وكان يقيم معه فى بيته ليربيه ، أسلم وهو ابن ثمان عندما جمع

النبي بني عبدالمطلب ليدعوهم الى الاسلام، بعد ما نزل عليه قوله تعالى: ((**وأنذر عشيرتك الاقربين** •)) ولم يستجب لدعوته يومئذ سوى علي ، فحاز بذلك شرف السبق الى الاسلام بعد خديجة .

وأول موقف بطولي سجله له تاريخ الاسلام هو نومه في فراش النبي ليخدع قريشا ، فلا تطلب النبي حتى يبعد عن مكة ، فنام علي الفراش وهو يعلم انهم يريدون قتل النائم عليه ، ولكن عليا لم يفكر الا في افتداء النبي، ونجحت الحيلة .

وبعد الهجرة اشترك علي في اغلب الغزوات ، وله في بعضها مواقف مجيدة، منها موقفه في غزوة « احد » عندما انهزم المسلمون ، يومئذ ثبت علي في القتال واصابته ست عشرة ضربة ، كل منها توقعه على الارض ، ولكنه يقوم ثانية ويحمل على المشركين غير مبال بما اصابه .

وموقفه في غزوة الخندق، عندما حاصر المشركون المدينة ،ولما طال الحصار خرج عمرو بن ود ، وكان من اشهر فرسان العرب ونادى طالبا من يبارزه ، ولم يتطوع لمبارزته الا علي • ولكن النبي قال لعلي : « اجلس انه عمرو بن ود • » وكرر عمرو تحديه مرتين اخريين ، وعلي يعيد على مسامع النبي تطوعه لمبارزته ، واخيرا وافق النبي ، وانتهت المبارزة بين الاثنين بقتل عمرو ••• ويضيق المقام عن ذكر بطولاته الاخرى •

جعفر بن ابي طالب

هو شقيق علي بن ابي طالب ، اسلم وهو ابن ثماني عشرة وقد عذبه اعمامه وآذوه ،ولكنه تحمل وصبر ، وكان ممن هاجروا الى الحبشة من الشبان • فلما ارسلت قريش عمرو بن العاص بهدايا الى النجاشي طلبا لرد هؤلاء المهاجرين ، أبى النجاشي ان يسلم احدا حتي يسالهم عن صحة ما قاله عمرو عنهم، فانبرى جعفر ليفند ما زعمه عمرو ، واقتنع النجاشي بما ذكره جعفر ورفض طلب عمرو ورد اليه هدايا قريش •

وعاد جعفر في السنة السابعة من الهجرة الى المدينة ، وكان ذلك بعد فتح خيبر ، فلما رآه النبي قبله بين عينيه وقال : « ما أدري بايهما أنا اشد فرحا ؟ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر ؟ •• »

وأخذ جعفر بعدئذ يشارك اخوانه في الجهاد ، وعندما ارسل النبي جيشا الى الشام للاقتصاص من أمير بصرى الرومي لقتله رسول النبي ، جعل أمير الجيش زيد بن حارثة وقال : « ان اصيب زيد فالامير جعفر بن ابي طالب فان اصيب فالامير عبد الله بن رواحة • »

ولما وصل الجيش الى مؤتة ، قاتل الاعداء ببسالة على الرغم من كثرتهم ؛ ولكن زيدا لم يلبث أن قتل فبادر جعفر واخذ الراية وقاتل حتى قطعت يده اليمني حاملة الراية ، وادرك جعفر أن العدو تعمد قطع يده حتى تسقط راية المسلمين تحت اقدامهم ، ولكنه لم يدعها تسقط بل امسكها بيساره فقطعت ، فاحتضنها بعضديه حتي قتل بعد أن اصابه تسعون جرحا ما بين ضربة سيف أو طعنة رمح • وقبل أن يهوى بجثمانه اخذ الراية عبدالله ابن رواحة الذي قتل أيضا .

وتولى قيادة المسلمين خالد بن الوليد الذي استطاع أن يخلص جيش المسلمين بحيلة بارعة من تلك الجموع الهائلة من الروم •

الارقم بن ابي الارقم

أسلم الارقم وهو في الثانية عشرة من عمره ، في الوقت الذي كانت فيه دعوة النبي لا تزال سرا ، ولم يتخذ النبي من داره مقرا للدعوة لان اعداءه كانوا يراقبونها ، ولذلك كانت لقاءات المسلمين الذين ربوا على الثلاثين، تتم في فترات متباعدة وفي اماكن متفرقة •

وكاشف النبي من احاطوا به بالحاجة الى دار لا يعرفها قومه ليجتمع فيها بمن يؤمنون به ليعلمهم الدين الاسلامي ويمكن



العقيدة فى نفوسهم حتى اذا جاهروا بها ، لا يستطيع المشركون ان يثنوهم عنهـا لرسوخها فى اعماق قلوبهم ، وحينئذ يفتدونها بالمال والنفس ٠

وتطوع الارقم بداره لتكون مركزا للدعوة السرية ، وهو على يقين من ان قريشا لو علمت بما يجرى فى تلك الدار لهدمتها وجعلت عاليها سافلها ٠

ودخل النبى دار الارقم فى السنة الرابعة من بعثته وجعل يدعو فيها قرابة عامين ٠ واصبحت تلك الدار اول مسجد فى الاسلام للعبادة وأول مدرسة لتعليم اصول الدين وأول ندوة للشورى بين المسلمين ٠

وقد حقق النبى بفضل تلك الدار غرضين عظيمين :

أولهما : غرس اصول رسالته فى نفوس اصحابه ، وثانيهما : الدعوة من هذه الدار فى جميع آفاق المجتمع المكي ٠

ولقد كان النبى يتلو على من احاطوا به ما يتنزل عليه من الوحى من تلك السور المكية الاولى بما اشتملت عليه من أمر بعبادة الله وحده وترغيب فى ثوابه وتحذير من عقابه ، فيتلقف اصحابه كل كلمة ينطق بها وحيا كانت أو حديثا ، ثم ينقلبون دعاة للاسلام فى أرجاء مكة ، فيستجيب لهم من آمنوا بدعوتهم ويهرعون الى دار الارقم ليعلنوا دخولهم فى دين محمد ٠

وظل روادتلك الدار يأتون اليها تسللا وخفية حتى السنة السادسة للبعثة عندما طرق بابها عمر بن الخطاب والتقى بالنبى وأعلن إسلامه ٠

وهاجر الارقم الى المدينة عندما هاجر النبى اليها وشهد معه بدرا وغيرها من غزواته حتى مات سنة خمس وخمسين من الهجرة ٠

طلحة بن عبيد الله

اسلم طلحة وهو ابن احدى عشرةسنة، ولقى عقب اسلامه من أخيه الاكبر معارضة بلغت حد منعه من اقامة الصلاة وشد وثاقه وتعذيبه ،ولكن ذلك كله لم يغير من ايمانه ، ولذلك يئس منه أخوه فتركه وغض الطرف عنه ٠

وقد شهد طلحة كل غزوات النبى ولم يتخلف عن أية غزوة ٠

ومن مواقفه البطولية يوم « أحد » ، اذ وقف الى جانب النبى يقيه بنفسه ويتقى النبل المسددة اليه بيده حتى شلت اصابعه ٠

وحدث أن وقع النبى فى احدى الحفر فبادر طلحة الى حمله على ظهره وخرج به منها ٠

وفى تلك الغزوة اصيب طلحة باكثر من سبعين جرحا ، إما من طعنة برمح او ضربة بحربة أو رمية بسهم، ولذلك كثر نزيف دمه فغشى عليه ٠ ولما رآه ابو بكر رش الماء على وجهه حتى افاق ٠

وما كاد يستجمع حواسه حتى بادر بسؤال ابى بكر عن النبى ، ولما طمأنه ابو بكر قال : « الحمد لله ، كل مصيبة بعده هينة » ٠

أما جهاده بالمال فقد كان بلا حدود، اذ أنفق فى هذا السبيل مبالغ طائلة وعندما كان المسلمون فى عسرة تبوك انفق

مالم ينفقه غيره ، حتى دعاه النبي « طلحة الفياض » .

الزبير بن العوام

أسلم في صغره فغضب عليه عمه الذي تفنن في تعذيبه حتى كان يعلقه في حصير ويدخن عليه ليكفر بدينه ولكنه كان يقول: « لا أكفر أبدا . »

ورأيت نفسه الصبر على هذا العذاب فهاجر فيمن هاجر الى الحبشة ، ولما عاد منها هاجر الى المدينة وحاز بذلك شرف الهجرتين .

وكان الزبير أول من سل سيفه دفاعا عن النبي عندما بلغه أن النبي قد قبض عليه المشركون ، يومئذ سل سيفه وخرج يشق طريقه ، دون مبالاة بكثرة المشركين، حتى وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال : «مالك يا زبير ؟ » فأجاب : « اخبرت أنك اخذت . » فسر به النبي ودعا له .

وقد ابلى الزبير في غزوة بدر اعظم بلاء ، فرغم كثرة جروحه وعمقها لم يتوقف عن القتال حتى انتصر المسلمون .

وفي غزوة احد جعله النبي على ميمنة المسلمين في مواجهة خالد بن الوليد الذي كان على ميسرة المشركين ، فلما تبارز الجيشان خرج رجل من المشركين ،فاحجم عنه المسلمون ، فلما كرر دعوته تصدى له الزبير وقتله ، فسر النبي بذلك .

ولما انضم الزبير الى الثائرين على علي بن ابي طالب المطالبين بدم عثمان، تنحى عن القتال اثناء موقعة الجمل ، وندم على اشتراكه في تلك الحرب التي مزقت شمل المسلمين ، وغادر مكان الموقعة وقصد الى مكان بعيد للصلاة وبينما هو يشرع في تاديتها طعنه أحدهم طعنة قاتلة وحمل سيفه الى علي بن ابي طالب ، فلما رآه عرف انه سيف الزبير وأدرك أنه قد قتل فقال: « بشر قاتل ابن صفية (بنت عبد المطلب) بالنار . »

البراء بن عازب

أسلم صغيرا ، وأراد هو وفريق من الصبية المسلمين الاشتراك في غزوة «أحد» ولكن النبي ردهم لصغرهم اذ كان لكل واحد منهم خمس عشرة سنة .

وقد غزا البراء مع النبي بعد ذلك خمس عشرة غزوة اولها الخندق ، وكانت كل أمانيه أن يقتل شهيدا في احدى معارك الاسلام . وقد ذهب اخوانه يعودونه ذات يوم فقال : « لعلكم ترهبون أن أموت على فراشي ، لا والله ، لن يحرمني رب الشهادة . » ولذلك كان يلقي بنفسه في المعارك ، يريد الجنة ، حتى قيل عنه «عاشق الموت» ولكن الموت كان يفر وعاش حتى مات سنة ٨٠ هـ .

وبعد ...

فالى شباب اليوم ، شبابنا الذي اعاد للعروبة وجهها المشرق واكد امجاد اجداده ، والى غيرهم من الشباب، نقدم تلك الباقة من السير العطرة ، حتى تكون نبراسا وحافزا اوضع جهودهم الفتية وطاقاتهم الخلاقة في اطار من الوحدة والتعاون والمحبة ، في سبيل رفعة هذا الوطن ، حتى يحققوا لابنائهم ما لم يحققه ــ وأكثر مما حققه ــ شباب الامس ..



محمد الداعية

● د . احمد شلبى ●

● عندما نتدارس سيرة الرسول صلوات الله عليه، نجد في هذه السيرة معالم بارزة تصوره بين البشر قمة شامخة، ومن الممكن أن نتحدث عن محمد الانسان ، أو محمد القائد ، أو محمد الزوج او الاب، .. ولكن هناك صفة في الرسول نحتاج ان نتدارسها في وقتنا الحاضر ، لتنير امامنا طريقا يكتنفه الغموض ، وتزيل سحبا أوشكت ان تتراكم ، وتلك الصفة هي : محمد الداعية ...

ومحمد الداعية جاء انبثاقا من آيات الذكر الحكيم ، ففيه تتمثل الآيات التالية :

— ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

— فذكر انما انت مذكر . لست عليهم بمسيطر .

— ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .

— وعلمك ما لم تكن تعلم .

فالرسول كان داعية الى الهدى يتخذ الحكمة وسيلة للدعوة ، ويقدم الموعظة الحسنة لتجد طريقها الى نفوس الناس ، وكان يدرك انه يعرض الفكر ولا يرغم احدا على اتباعه ، فليس مسيطرا على الناس ، وكان جدالا سمحا ، تهفو له القلوب وتحيط به النفوس ، ولا ينفض عنه من عرفه ، وكان واسع العلم ، يروى ظمأ من حوله لان الله منحه من علمه ما يحتاج له.

ونجح الرسول أعظم نجاح في تبليغ الدعوة وتثبيتها ، وخطا الرسول خطوة اخرى مهمة هي انه ربى الدعاة واطلقهم فحققوا أعظم درجات النجاح، اطلق ابا بكر بالدعوة فضم لها في مطلع العهد بالاسلام خيرة شباب قريش ممن سموا «السابقين الأولين» وأطلق الى المدينة مصعب بن عمير فلم يمض عام حتى كان الاسلام قد دخل كل بيت في يثرب ... وأطلق علي بن أبي طالب الى اليمن وابا عبيدة بن الجراح الى نجران ... وترك بمكة عقب فتحها معاذ بن جبل وكان هؤلاء وسواهم خير دعاة للاسلام ، نجحوا اعظم نجاح في تبليغ الدعوة وشرحها ، واتخذوا من الرسول صفاته وسماته ، ومن الاسلام فكره وتعاليمه ، فانتشر بهم الاسلام .

وبعد هؤلاء جاءت جماعات وجماعات حملت الاسلام الى مختلف البقاع بالعالم ، وثبتوا اركانه هنا وهناك .

ونحن في عصر نشطت فيه الدعوة للاديان أوسع نشاط ويمكن القول ان نشاط المسلمين في الدعوة لدينهم خلال القرون السابقة هو الذي دفع سواهم من أتباع الديانات الاخرى ليسيروا سيرتهم في الدعوة لاديانهم ، وعلى هذا عندما نستعرض الحركات الدينية بالعالم خلال القرون الماضية نجد أن الاسلام قد انتشر بطريقة رائعة ومتصلة في مختلف البلدان ، فيما يسمى اليوم بالعالم العربي وفي شبه جزيرة الهند « الهند وباكستان فيما بعد » وفي الاندلس ، وفي جنوب الصحراء الافريقية ، وأن انتشار الاسلام في تلك النواحي وسواها جاء على حساب أديان ومعتقدات اخرى كانت موجودة في تلك المناطق وآثرت الانكماش والتخلي عن بعض مناطق نفوذها للزحف الاسلامي الذي كان يهدر ولا تستطيع قوة أن تقف امامه .

ولكن هذا النشاط الاسلامي دفع بعض



الديانات التى تراجعت الى اعـداد نفسها للصمود والمقاومة ، وبينما كان هؤلاء يتجهون هذا الاتجاه كان الدعاة المسلمون يرجعون القهقرى، وينكصون عن الاستعداد ، واصبح اكثر هؤلاء الدعاة لا يتمتعون بالكفاءة والمثابرة التى كان يتمتع بها اسلافهم ممن حملوا الاسلام الى مختلف البقاع .

وهذا الوضع يصور كارثة كبرى ومحاولة لقلب كفتى الميزان لترجح الكفة التى كانت شائلة ، ولتشيل الكفة الاسلامية التى كانت راجحة ، وهذا يدعونا الى سرعة التصرف لنعد للدعوة رجالا افذاذا يحملون العبء الذى كان يحمله المسلمون فى العهود السابقة .

واعداد هؤلاء الدعاة يجعلنا نحتاج الى شباب لهم مواهب عالية ، والى مناهج تنمى هذه المواهب ، وتسكب فى هذه العقول صور الفضائل ،وصور الفكر ليحملوا المشعل ، وليسيروا بالهداية الى كل مكان ، أما الشباب ذوو المواهب فيجب البحث عنهم وتشجيعهم بكل الوسائل ليتجهوا هذا الاتجاه ، ومن عجب اننا نلاحظ قوى هائلة تبحث عن الاصوات الجديدة للغناء ، وتبحث عن الوجوه الجديدة للتمثيل ولا نجد من يبذل أى اهتمام أو اى جهد للبحث عن القدرات التى تحمل الهداية للبشرية ، وتقدم للناس خاتم الاديان .

والداعية الذى نريده انسان له تربية دينية من مطلع حياته ، حفظ القرآن الكريم، كما حفظه الكثيرون من جيلنا مع نعومة الاظفار ، وأجاد تلاوته ، وعرف قدرا من الدراسات الاسلامية من فقه وتفسير وحديث ، وله قدرات خاصة فى التعبير والابانة، وسمت طيب، فى المنظر ، وخلق كريم، وحب للعمل والعطاء ، مع معرفة باللغة الانجليزية أو الفرنسية .

ويختار هؤلاء بامتحان مسابقة من بين الحاصلين على الشهادة الثانوية الازهرية ، أو الثانوية العامة ، ويكون عددهم كل عام خمسين طالبا فقط ويلتحقون بكلية داخلية تسمى «كلية الدعوة» مدة الدراسة بها اربع سنوات تسبقها سنة تمهيدية تهتم بحفظ القرآن الكريم بالنسبة للحاصلين على الثانوية العامة، وتهتم بمزيد من اللغات الاجنبية بالنسبة للحاصلين على الثانوية الازهرية ، وتدفع لكل طالب مكافأة تشجيعية لا تقل عن عشرة جنيهات شهريا .

ويختار لهذه الكلية الداخلية خيرة الاساتذة المتخصصين فى الدراسات الاسلامية وعلوم الدعوة واللغات ، وتشمل خطة الدراسة العلوم الآتية :

١ ـ علوم القرآن الكريم من مستوى رفيع ، مع العناية بدراسة مناهج المفسرين .

٢ ـ علوم السنة ، مع حفظ مجموعة كافية من أحاديث الرسول صلوات الله عليه ، ومع دراسة منهج المحدثين فى ضبط السنة .

٣ ـ الفقه المقارن مع ابراز روعة التشريع الاسلامي

٤ ـ الدراسة العميقة لعلم مقارنة الاديان ، ودراسة مقارنة الاديان ستضع ايدينا على جمال الاسلام ، وعلى النور الذى يحمله ليكمل به محاولات الاديان لهداية البشرية ، وسيستفيد الداعية من « مقارنة الاديان » فى مواجهة المبشرين ، فهؤلاء

محمد الداعية

يعرفون الاسلام ويتلمسون مايعتقدونه نقاط ضعف فيه ، ليهاجموه عن طريقها كتعدد الزوجات والطلاق وانتشار الاسلام بالقوة ، ولا يجوز أن يقف الداعية موقف المدافع فقط بل يجب ان يعرف كيف يهاجم أحياناً ، ولن يكون ذلك الا اذا تعرف على هذه الاديان ، ودرسها ، وأدرك ما حدث بها من تحريف على مر السنين .

ويشمل علم مقارنة الاديان عدة قضايا دينية مثل قضية الالوهية وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس .. وغيرها من القضايا التى تبرز روعة الاسلام وجلاله ، كما يشمل التعرف على الاديان ، والمعتقدات المنتشرة فى المناطق التى سيرتادها الداعية كالطوطمية والبوذية الخ . . .

٥ ـ الدراسة العميقة للحضارة الإسلامية بنوعيها ، اى دراسة الحضارة الاسلامية الاصيلة ، التى جاء بها الاسلام ، ولم تكن معروفة قبل الاسلام كاتجاهات الاسلام فى السياسة والاقتصاد ، وفى المجال التربوى والاجتماعى والعسكرى ، تلك الجوانب الحضارية التى تعد منحة الاسلام لهداية البشرية ، وتشمل الدراسة مقارنة النهج الاسلامى بالمناهج المعاصرة فى السياسة والاقتصاد وغيرها .

ثم دراسة الحضارة التجريبية التى كانت موجودة قبل الاسلام ، ثم ذبلت واختفت كالطب والرياضة والفلك مع ابراز دور المسلمين فى احياء هذه الحضارة وشرحها والكتابة فى نطاقها بما أضاف اليها من ابتكارات وفكر .

وتختم دراسة الحضارة الاسلامية ببيان انتقال هذه الحضارة من العالم الاسلامى الى الهند والصين ثم الى أوروبا ، ومن أوروبا الى العالم بأسره ، حتى أصبحت الحضارة الاسلامية أساسا للحضارة العالمية ، ويقتبس عن ذلك اعترافات الغربيين أمثال :

جورج سارتون وكيرك وغوستاف لوبون وريتشار كوك وغيرهم .

٦ ـ دراسة تاريخ العالم الاسلامى من مطلع الاسلام حتى العهد الحاضر مع العناية بالسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين ، وسيرة السلف الصالح والمصلحين المسلمين ، مع العناية بتصحيح ما حدث فى تدوين التاريخ من اخطاء ، ومع العناية بتاريخ المسلمين من غير العرب ذلك الذى تجاهله السابقون أو أوشكوا .

٧ ـ دراسة خريطة العالم الاسلامى مع بيان انها خريطة مفتوحة ، اى تحتمل مزيدا من الاتساع والامتداد ، وان بها منافذ جغرافية وفكرية لمزيد من العمق والاتساع .

٨ ـ دراسة تاريخ الدعوة الاسلامية وتحركات الدعاة المسلمين ، ووسائلهم التى اتبعوها هنا وهناك لنجاح مهمتهم .

٩ ـ الاستمرار فى تقوية اللغات الاوروبية التى يعرفها الطالب ، وتقديم لغة شرقية تمثل المنطقة التى يتشوق الطالب لارتيادها والدعوة للاسلام بها ((مثل الهوسا او اللغة الاندونيسية .))

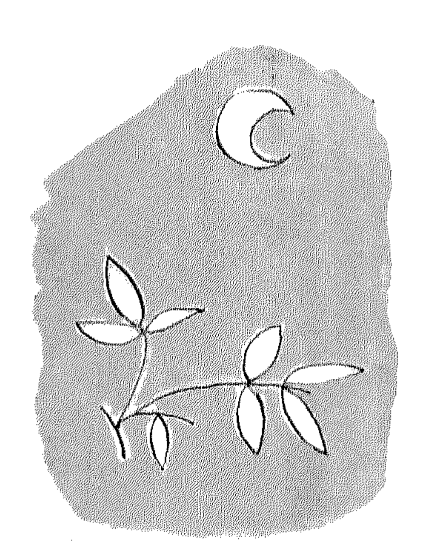
وبعد ، ذلك هو السبيل لتكوين الداعية ، وهو طريق ليس شاقا ، ولكنه مهمل ، ونحن نطالب ان يبرز ذلك الجهد للوجود فلا يشغل عنه شيخ الأزهر أو وزير الاوقاف اووزير التعليم ، ونرجو الا تشغل عنه جماهير **المسلمين .**

فليبرز هذا العمل للوجود ولو بجهود ذاتية ، لنخدم بذلك ديننا وعن طريق خدمة الاسلام سنخدم وطننا ونخدم المسلمين ، وارجو ان تنال هذه الصيحة ما تستحقه من اهتمام ..

وبالله التوفيق

بين يدى سيدى

● ابراهيم عيسى ●



بعد ان ادى الشاعر فريضة الحج ، وقف بين يدى سيدى رسول الله فى المدينة المنورة ، وبينما هو يتمتم بالدعاء اذا بهذه الابيات تنساب من بين شفتيه :

لَدَى سَيدى قد سمعتُ الضياءْ

يُنَادى فؤادى فلَبّى النِّداء

ولَبّتْ دموعى .. وحَنّتْ ضلوعى

وشَعّتْ شموعى .. بساحِ الرجاءْ

فَرحت أهرولُ نَحو ثَراه

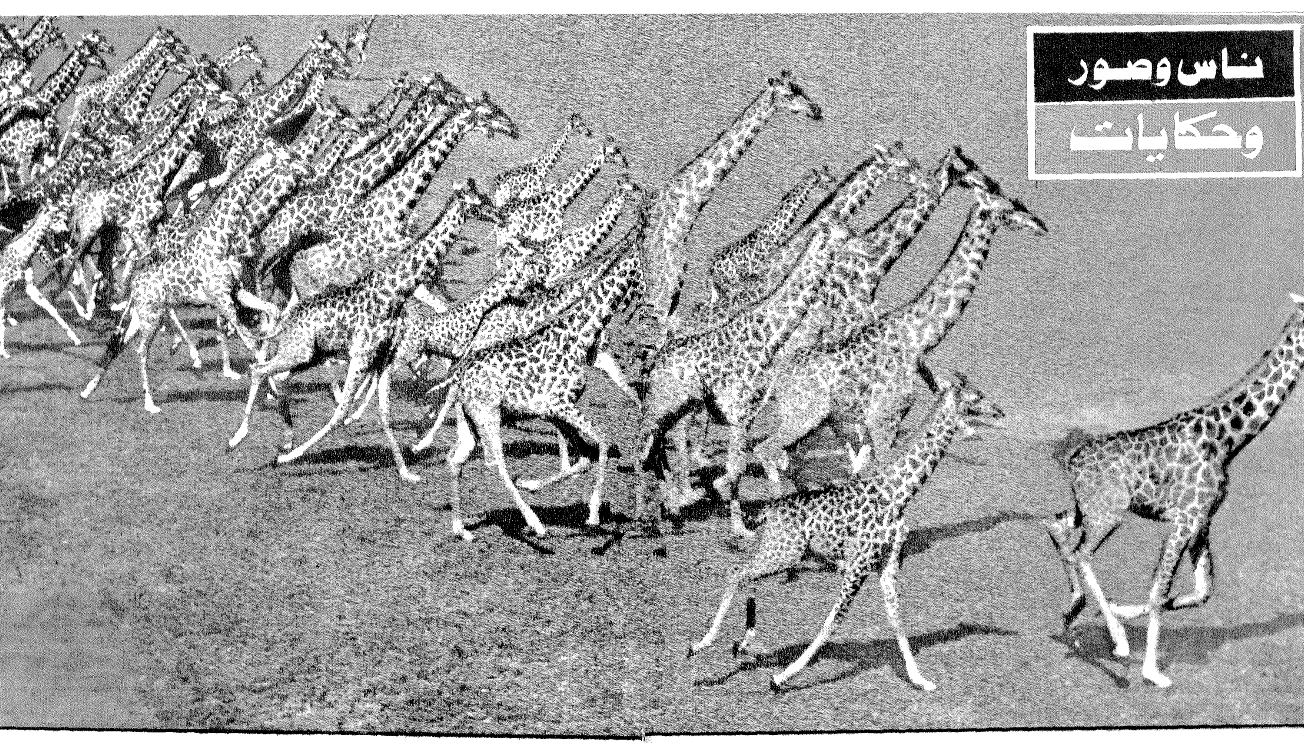
بشَوق محبٍ دعَاه اللّقَاءْ

فما أبْصرَ القلبُ أرضا ولكِن

رأى مارأى فى انسِكابِ السَّناءْ

فيا قَدَمىَّ احمِلانى هَوْنا

فمَا تلك أرضٌ ، ولكن سَمَاءْ



لحظات مع زرافات ظريفات

● الزرافة من الطف خلق الله شكلا وهيئة ..

فان عنقها الطويل مشكلة لها ، ولكنه متعة لنا ، واقدامها الطويلة كذلك والسؤال الآن : هل طال عنق الزرافة لأن اقدامها طويلة ، أو ان اقدامها طالت لأن عنقها طويل .

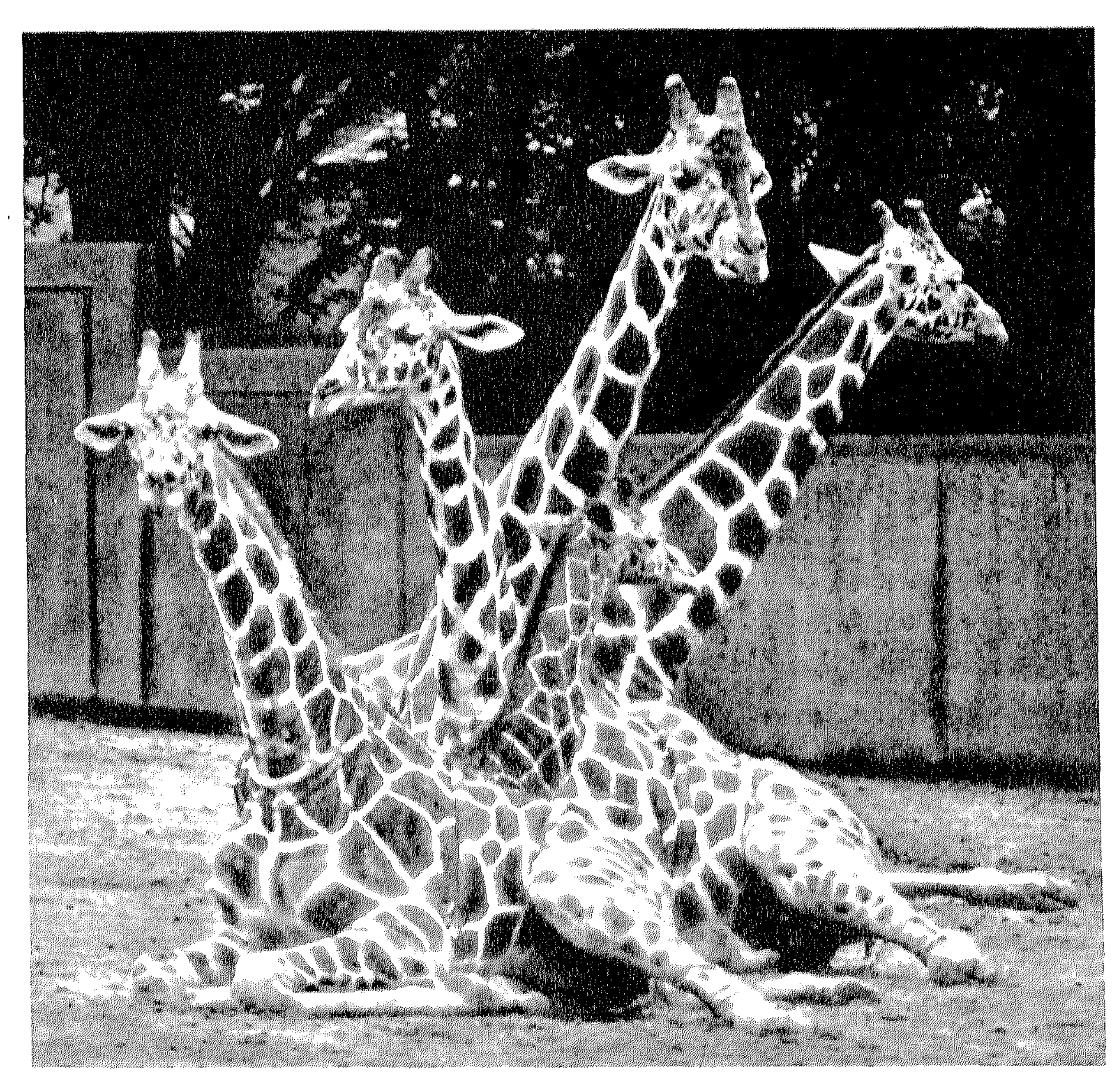
ثم ان جلدها الأزرق ببقعه الملونه تشبه رسم قماش مصنوع فى مصنع نسيج ، وهو متعة وزينة ، وسمة من سمات الجمال التى تنفرد بها هذه المخلوقة الظريفة .

وهى من آنس الحيوانات بعضها مع بعض ، فهى تتجمع وتتآنس وتتحدث بلغتها ، وباستثناء صورة قطيع الزرافات الذى تراه فى صفحتين مما يلى فان بقية الصور لاناث من جنس الزراف يتحدثن فيما بينهن كما تتحدث النساء فى مجالسهن .. حديث الزينة والأزياء وآخر الصيحات .. وفى احدى الصور أنثى زراف ظريفة تقدم ابنها للسادة القراء .

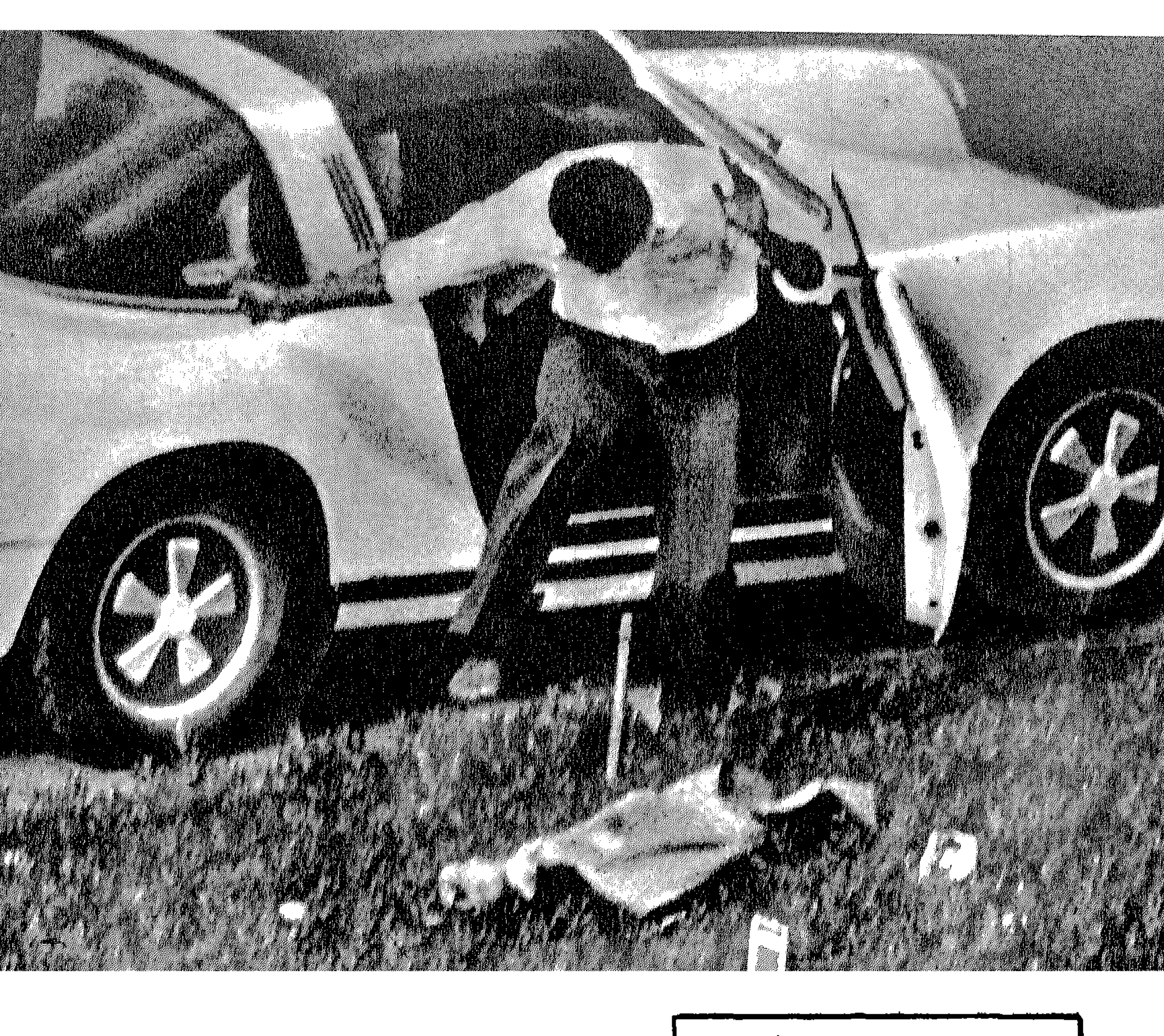
لقد كان الملوك فى الماضى يتهادون الزرافات على اعتبار انها من الطف الحيوانات واغربها هيئة ، وقد كانت بين السلطان المنصور محمد بن الناصر قلاوون عداوة مع احد رؤساء النوبة ومضى فى اعداد حملة لتاديبه ، فاسرع ذلك الرئيس بارسال زرافة الى قلاوون فزال غضبه ، ولم يرسل الحملة ... ولكنه طلب الى ذلك الرئيس ان يرسل

لحظات مع زرافات ظريفات

له زرافة ثانية ، لان زرافة واحدة لابد ان تقتلها الوحدة اذا ظلت تسرح وحدها فى حدائق القصر ، فابدى ذلك الرئيس استعداده ، ولكنه سال اولا عن جنس الزرافة الاولى : هل هى ذكر ام انثى ، فابلغوه بانها انثى ، فارسل لها زوجا شابا سعدت به ، وسعد بهما المنصور محمد بن قلاوون ..







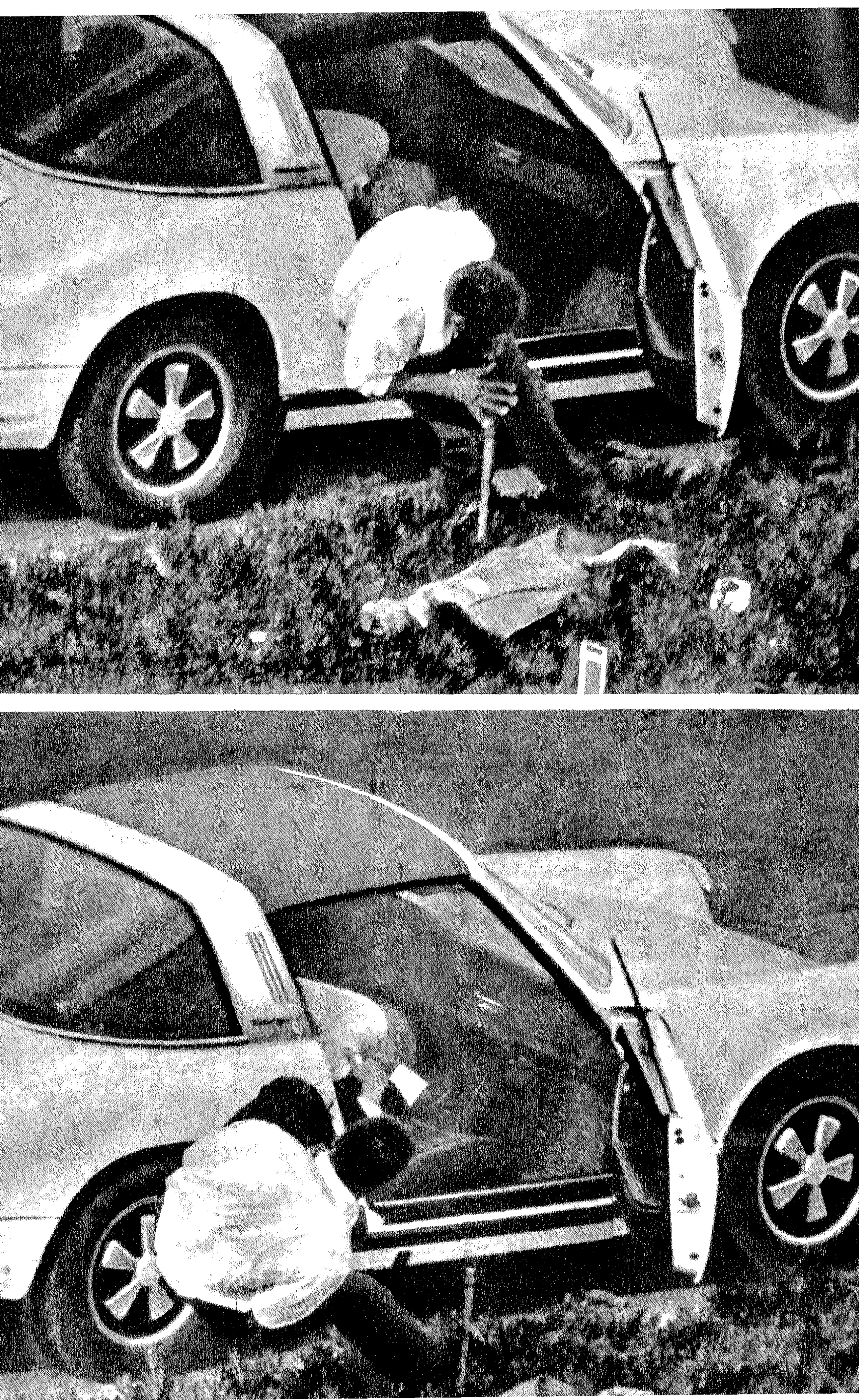
ناس وصور وحكايات

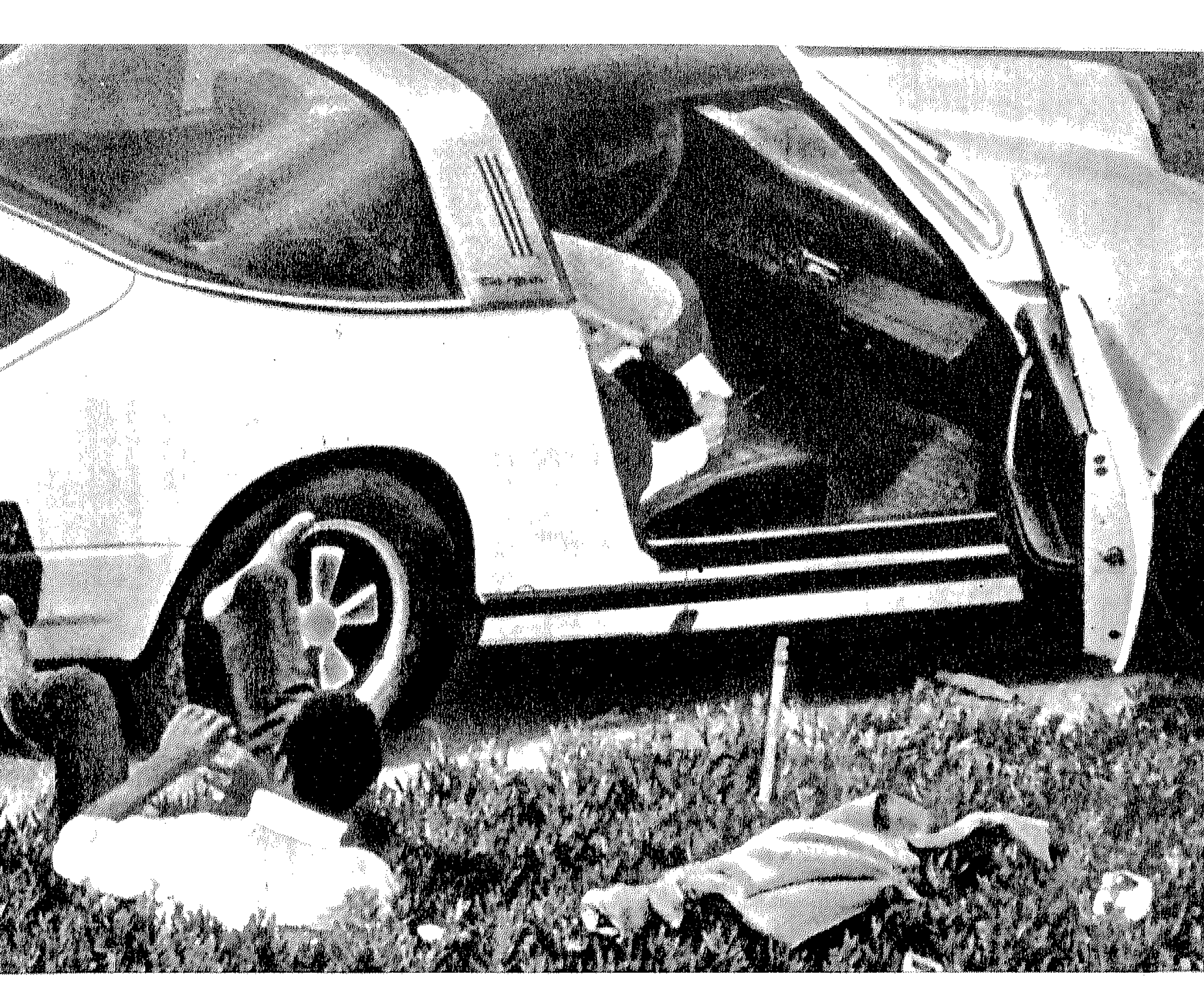
أنقذوا الضحية.. في الوقت المناسب

● في صباح يوم من ايام شهر مايو الماضي دخل شاب طويل القامة شاحب اللون احد البنوك في مدينة سان دييجو في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة . كان يسير خلفه ويكاد يلاصقه شاب زنجي زائغ البصر ويده في جيب بنطلونه

الشاب الاول يسمى ادوارد توتسنت وهو طالب في الجامعة معروف في البنك فله فيه حساب ولكنه في ذلك اليوم كان في حالة غير عادية كانت يده ترتعد ، وعندما طلب من موظف البنك ان يصرف له شيكا بالف دولار اضطر الى التوقيع على الشيك مرتين قبل ان تخرج الامضاء دقيقة. كل ذلك والزنجي خلفه .

وصرف الموظف المبلغ ووضعه الشاب في جيبه ، وخرج والزنجي في اثره وركب الاثنان سيارة المانية الصنع ماركة بورجي وهي من سيارات الشباب الغالية الثمن التي تنطلق بسرعة تصل ٢٥٠ كيلو مترا في الساعة





وشك موظف البنك فى الامر ، وقع فى ذهنه أن هذا الزنجى اختطف ذلك الشاب وارغمه على صرف الشيك لحسابه فابلغ البوليس وما كاد الشاب ادوارد توتسنت يدخل السيارة ومن خلفه الزنجى واسمه نيومان اوزيبود وهو طالب اصله من افريقيا معروف لدى البوليس بملف لا يشرف ، وتحركت السيارة وخلفها البوليس واطلق الرصاص على العجلات الخلفية فتوقفت

وطلب البوليس بالميكروفون من نيومان اوزيبور ان يسلم نفسه فرفض ، وظل يرفض سبع ساعات ثم تكلم فى الميكروفون وطلب الى البوليس ان يسمح له بالخروج والذهاب حيث يشاء وسمحوا له

وفتح باب السيارة ونظر فى حذر. كان فى يده مسدس . المسالة هنا مسالة سرعة . من يطلق الرصاصة الاولى ...

وكان البوليس صاحب تلك الرصاصة وهو بوليس خاص دقيق التصويب، فلم يكد المجرم يخرج حتى اصابته رصاصة فى راسه ووقع على الارض وحاول ان يطلق الرصاص على ضحيته، ولكن البوليس عاجله برصاصة اخرى فى رقبته ..

وانتهى الامر

ونجا الشاب ...

وفى غرفة المجرم نيومان اوزيبور وجدوا صاحبة البيت الذى يسكن فيه ((٤٣)) سنة وابنتها ((٤ سنوات)) قتيلتين بالرصاص

والصور على هذه الصفحات فيلم كامل لهذه المأساة لا يحتاج الى تعليق

ليس إلا الحب..

● محمد كمال الدين امام ●

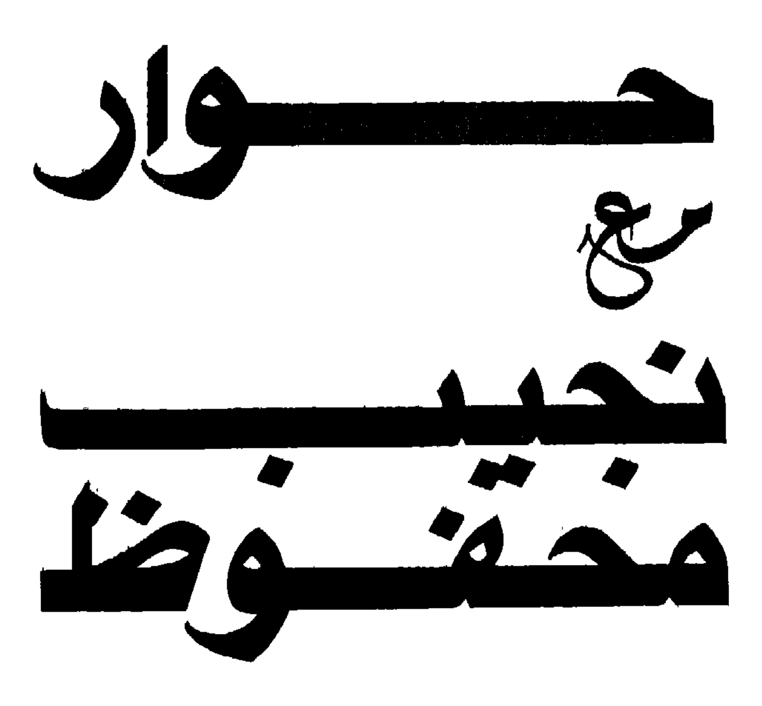
اليك يشدنى الالق   ويهتف بى فانطلق
واهجر يا رسول الله   دنيا آدهـا الارق
والقواما بغير الله   واسم الله ـ قد نطقوا
وازمانا بغربتها   تضيق النفس والافق
لعلى فى طريق النور   اعرف فتية سبقوا
اذا ما جاهدوا ثبتوا   واما عاهدوا صدقوا !

***

اتيتك يا حبيب الله   نفسا شفها القلق
فان مسحت يداك على   جبينى تسطع الطرق
وانك ان نظرت الى   لاحزن ولا رهق !

***

وكان الليل كان الليل   كهفا فيه نختنق
وانسانا يباع لكى   تجىء الخمر و « الورق »
وارضا اينما تمتد   يسرع خلفها الغسق
وجندا من اسنتهم   يسيل الحقد والفرق
الى ان جئت ، يا للفجر   يغمر كل من عشقوا
زوارقهم بامر الله   لا ريح ولا غرق
ورحلتهم مع الايمان   نور فيه نعتنق
فتزدهر المنى فى الروح   والاحزان تحترق
فليس لمن طغى فى الارض   حين اتينها رمق
وليس لنا وقد اقبلت   الا الحب والالق !



● عاطف فرج

●● والحقيقة أن إيمان المصريين ، حقيقة جوهرية ولقدمها في نفوسهم فهي متأصلة فيهم .. والحقيقة المصرية لا يمكن فهمها من غير هذا العنصر الهام ..

● **قلت له : أستاذنا نجيب ٠٠٠ ان الحركة القصصية فى العالم العربى تحتاج الان الى تقييم ، فما هو تقييمك لها ، خلال العشرين سنة الماضية ؟**

أجاب ، بعد لحظة صمت ، لم تطل ، ارتشف خلالها من فنجان القهـــوة الذى أمامه ، واشعل سيجارته ، وتابع بعينيه من خلف زجاج النظارة الطبية ، اتجـاه الدخان المتصاعد فى فضاء الحجرة :

« لقد كانت العشرون سنة الماضية ، فى جملتها ، سنوات حروب ، وازمات ، كانت سنوات عجافا ، وكانت الحرية أولى ضحاياها ٠٠٠

فى مثل هذا المناخ ، لا ينتظر الانسان ، ازدهارا حقيقيا للفكر ، والفن ٠ وعليه فاذا ما تابعنا ، ما أنتج من قصص فى العالم العربى ، وما ظهر من قصاصين فى أجيال مختلفة ، يجب أن نعتبره نهضة تستحق التقدير ٠٠ والشكر ٠

رغم ما اعتراها من عجلة فى التأليف أحيانا ، ومن توقف أحيانا أخرى ، ومن عثرات فى طريق النشر ٠ مرة ثالثة ٠ فهذه الظروف هى التى يجب أن نحكم على ضوئها بموضوعية ٠٠ وأن نقيم بمقتضاها الحركة القصصية فى العالم العربى ٠

قلت : يعتبرونك أول من أنشأ الرواية العربية ، بمعنى الكلمة ، ويقولون ان رواية « زقاق المدق » تعتبر الرواية العربية المكتملة البناء ـ ما هو تقييمك لهـذه البذرة التى غرستها ـ بعد هذه التجربة الطويلة لك فى عالم القصة ٠

● أجاب ٠٠ واشارات يديه ٠٠ تقطع الهواء ٠٠ تأكيدا لما يقول :



ـ لا ··· لا أعتبر نفسى كذلك ، فقد سبقنا « المويلحى » وكان همزة وصل بين التراث والمعاصرة ··· ثم جاء « المنفلوطى » ، فأثر باقتباساته التى جعلها مصرية ، تأثيرا لا يستهان به ، في خلق الرؤية القصصية ··· ثم جاء جيل الرواد ، فقدم ما قدم من نماذج خالدة فى حياة أدبنا ·

ثم جاء جيلنا وبه بدأ جيل التخصص ، ومحاولة كتابة القصة ، على أسس سليمة ، مما يعترف به الفن القصصى ، كفن له أجروميته العالمية ، ونحن الان نتطلع الى اصالة أصيلة تشمل الموضوع والشكل معا ·

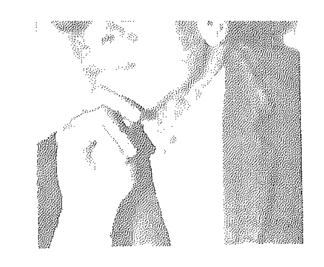
وقد يكون من الصعب على الانسان أن يحسن تقييم نفسه ، بموضوعية ، ولكن نستطيع أن لقول ، ان عملنا قد تمخض ، بقدر الامكان ، عن انجازات هامة ، نجملها فى ثلاثة عناصر :

أولها : بلورة العناصر فى الرواية ·

ثانيها : تقديم أشكال متتابعة فى فترة قصيرة ، مختصرين بذلك تاريخا طويلا لفن الرواية فى الغرب ·

ثالثها : تطويع العربية للغة الروائية على قدر الطاقة ·

وقبل ان ابتدره بسؤالى الثالث ·· قال لى ـ « لحظة يا مولاى » ·· وهب واقفا يصافح عملاقا اطل بوجهه من فتحة الباب ·· انه استاذنا الكبير توفيق الحكيم يحييه تحية الصباح ·· رحلة عمر وزمالة قلم فى عالم الادب ·· وعندما عاد قال



« توفيق بيه .. قبل ان يدخل مكتبه .. لابد ان يطمئن على نجيب . »
ثم اردف بابتسامة .. « نواصل حديثنا .. »

قلت له : الاستاذ نجيب محفوظ ، لم يكتب ، أدب الاعترافات ، فما هى الرواية التى تمثله أكثر من غيرها ، ولماذا ؟! ..

قال ، وهو يستند بظهره الى المقعد :

« صحيح أننى لم أكتب فى أدب الاعترافات ، لكن الحقيقة ، أن كل عمل من اعمالى ، يمثلنى بطريقة ، أو باخرى ، والا انقطعت الصلة بينى وبين أصالته ، وقد تكون ملحمة « الحرافيش » هى أقرب الى نفسى ، لاننى أعبر فيها عن أشياء كثيرة تهمنى .. عن رواية « الحرافيش » قال الناقد رجاء النقاش « ان نجيب محفوظ يريد أن يقدم الينا صورة واضحة من « المدينة الفاضلة » كما يتصورها » .

قال الاستاذ نجيب عن هذه الملاحظة .. « هذا صحيح .. » .

قلت له : على وقع طرقات النحاسين ، وروائح « المبخراتية » وفى مواقع كثيرة تشكلها شخصيات رواياتك .. تتردد كلمة « صل على النبى » ـ فالى أى حد يشكل الايمان جانبا فى حياتهم ، والى اى مدى تكون شخصية الرسول الكريم والايمان به جزءا من نفسية وتكوين الانسان المصرى ؟

قال الاستاذ وهو يقترب منى أكثر ، ساحبا مقعده الى الامام :

ـ الحقيقة أن ايمان المصريين ، حقيقة هوجرية ، ولقدمها فى نفوسهم فهى متأصلة فيهم . والشخصية المصرية لا يمكن فهمها من غير هذا العنصر الهـــام . ولا يمكن فهمها الا عن سبيل هذا العنصر المتمثـــــل فى الايمـــان القوى بالدين وبالرسول الكريم ، وهو لنا أسوة حسنة . يجب أن نقتدى بها .

ولم يكن مصادفة أن يتبلور المعنى الدينى أول ما يتبلور فى مصر ، والتعلق برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ظاهرة ملموسة جدا فى نفوس الناس ، لا يمكن للعين أن تغفلها .. والروائى بطبعه يتغلغل فى نفوس شـــخصياته ، ويعلن ما بداخلها ، وينطق ما ينطقون به ، لذا فان شـــخصيات رواياتى كل فى صنعته ، وكل فى مكانه ، أو فى حرفته ، حتى ولو كانت دورا للهـــو يرددون الصلاة على النبى الكريم . وأنا ككاتب واقعى أشعر باحساس عميق بالنسبة للواقع الذى أكتب عنه .

واذا كان التعلق بالرسول عليه أفضل الصلاة وأعظم الســـلام .. ظاهـــرة ملموسة جدا كما قلت ، الا أنه عليه السلام حذر من التعلق به الى درجة المبالغة فيه .. ولعله من الغريب أيضا أن المصريين لم يميلوا للمذهب الشـــيعى رغم تواجده منذ مدة طويلة فى مصر ورغم حبهم الشديد للرسول الكريم وآل بيته ، رضوان الله عليهم جميعا .

ونحن نردد على السنتنا كلمات « صل على النبى » حتى ولو كنا نعـــلن عن سلعة نريد بيعها . فهى جزء لا ينفصل من وجدان الشعب الدينى ، ومن ثم فانه ينتقل الى شخصيات رواياتى لانها جزء لاينفصل عن الواقع الذى يدورون فيه .

قلت له : أنت كقارىء أولا ، ثم ككاتب ثانيا ، قد تأثرت بغيرك . من هو اذن الكاتب الاجنبى غير العربى الذى تأثرت به وما هى الرواية أو ما هو الكتاب ؟!.

قال : وهو يدق بأنامله على طرف المكتب ، ويدور بعينيه فى فضاء الحجرة ـ التى علقت على حوائطها لوحات تجريدية لاناس مثقلين بأحمـالهم المعنـوية من الهموم ..

« ـ لقد تأثرت بكثيرين من الادباء ، أقول على سبيل المثال لا الحصر ، ان أحب الكتاب الى نفسى : « تولستوى » و « بروست » و « كافكا » و « ميلفـل » ، و « دستويفسكى » و « موم » و « هيمنجـواى » .. وأحببت من الروايات « البحث عن الزمن المفقود » و « الحرب والسلام » و « الشيخ والبحر » .

قلت له : ومن من الكتاب العرب القدامى ، كان له اثر كبير فى تكوين اسلوب نجيب محفوظ ، وطريقة كتابته ؟!

أردف باجابة سريعة :

« اذا اخترنا واحدا فقط ، فانه توفيق الحكيم »

قلت له : الا يعتبر الاستاذ توفيق الحكيم من جيلك ؟!

قال : لقد تأثرت بالقدامى ـ ان كنت تريد ذلك ـ وخصوصا الشـعراء أمثال «المتنبى» و « أبى العلاءالمعرى» .. ومن الصعب أن أعرف الاسلوب أو طريقة الكتابة التى أكتب بها ، لاننى لا أستطيع أن أحدده ، والذى يقدر على تحديده هو القارىء والناقد اكثر من الكاتب نفسه .

قلت له : ومن من المعاصرين غير الاستاذ توفيق الحـكيم تأثر به نجيب محفوظ ؟!

قال : الاستاذ العقاد ، وطه حسين ، والمنفلوطى ..

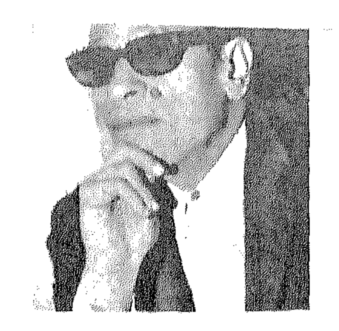
قلت : عادة يقدم الادباء الكبار نصيحة للادباء الشـبان ، نريدك أن تقدم نصيحة بأن تختار لهم ثلاث روايات من الادب العالمى كى يقراوها .. فمـا هى ؟! ..

قال : « انا ياسيدى لا أملك ان انصحهم فى هذا المجال .. لان القـراءة تعتبر رغبة شخصية ، وان كنت ألمس بعض رغبـاتهم ، فمنهم من يقـرأ لـ « مكسيم جوركى » وتأثروا به ، ومنهم من تأثر بأسلوب اللا رواية ، أو الرواية الضد . »

قلت له : لقد صورت بقلمك ثورة ١٩١٩ بدقة بالغة ، فى الثلاثية وخاصـة فى الجزء الثانى ، وهو ((قصر الشوق)) فالى اى شىء ترجع هذه الدقـة فى الوصف وماهو اثرها فى نفسية الانسان المصرى ؟!

قال وهو يستجمع الذكريات من رحلة الحياة الطويلة ، يرتب فيهـا الصـور مرة كاحداث عاشها وهو صغير فى سن السابعة ، ومرة وهو يدون هذه الاحداث فى الثلاثية :

ـ لقد صورت الاحداث بدقة ، لانها جزء من مجرى الموضوع الذى أكتب عنه وكان بالنسبة لى تجربة حية .. عشتها فى مهدها أى فى قيام الثـورة العظيمة بقيادة سعد زغلول ، وعايشتها فى نتائجها ، فلقد شاركت فى نتـائج احداث الثورة ، بعد ان تطورت ، لقد عاش سعد زغلول فى وجدانى ووجدان غيرى من الناس ، لقد تأكد حب سعد فى نفوسنا ، فى البيت لا حديث الا عـن سعد ومواقفه ، فى الشارع ليس هناك من أخبار وتعليقات الا عن سعد . فى



المدرسة لا ينتهي اليوم الدراسي الا ونكون قد ازددنا علما بما يحدث بين سعد الذى يمثل الامة فى ذلك الوقت والانجليز المحتلين ..
والثورة بالنسبة للانسان المصرى كانت بمثابة البعث ، من موت السلبية ، الى الحياة الايجابية ، ومن التشتت الى الوحدة الوطنية ، والى الايمان العملى بالحرية ، والاستقلال ، والديمقراطية ، وكان من أهم نتائج هذه الثورة تفجر مواهب الشعب فى كل مناشط الحياة ، من فن وادب وفكر وفلسفة وغيرها ... لقد خرجت أنا لنفسى من هذه الثورة وفى داخلى حب للوطن شديد وعدم حب للملك والباشوات ، واعتقاد فى الدستور يوازى الايمان بالاستقلال .. هذه العناصر جعلتنى أصور ثورة ١٩ فى الثلاثية بدقة متناهية

سالت الكاتب الكبير : هل يمكن ان تكون هناك الرواية الحوارية الكاملة ، وهل هذا يعتبر شكلاً جديدا من اشكال الرواية ؟!

قال نجيب محفوظ بعد أن استعادنى السؤال مرة اخرى :
ـ حقيقة لا استطيع ان أجزم بشىء ، لكن الاستاذ توفيق الحكيم قال لى أثناء مناقشة بيننا ، انه توجد رواية من هذا النوع لكاتب أسبانى من القرن الثامن عشر على ما أعتقد ، وكان ذلك بمناسبة ماكتبت من قصص حوارية قصيرة ، هذه القصة كان قد قرأها الاستاذ توفيق فى قاموس أدبى ، فلربما لم تترجم بعد من الاسبانية الى لغةثانية .. والا لكنا قد قرأناها » .

قلت له : ماذا يقرأ الاستاذ نجيب محفوظ الان سواء من الكتب العربية ، او الاجنبية ؟!

قال : « أقرأ الان قراءات متنوعة من التراث العربى ، واحب ان أقرأ فى الموضوعات التى تتكلم عن الحضارة ، او الكتب التى تتناول العلوم والتى تكتب خصيصا للجمهور ، واقرأ فى الدين أحيانا عن التصوف » .. وضحك وهو يقول : « وأقل القليل فى الادب ! »

سالته : هل فى ذهن نجيب محفوظ قصة كبيرة من النوع الذى انشأ اتجاها جديدا فى الادب العربى مثل زقاق المدق أو الثلاثية ؟!

قال : « أنا الان فى حالة تفكير ، ومن المحتمل أن أبدا فى اكتوبر شيئا جديدا ، وعندى الان ثلاث روايات مكتوبة منذ سنة ١٩٧٧ ، وان كنت اعتبر ان ملحمة الحرافيش من هذا الشكل الذى وضع أساسا مثل زقاق المدق ، والثلاثية . »

وعن شباب مصر المعاصر ومشكلاته والازمات التى تصادفه وكيف يمكن مساعدته ـ سالت اديبنا الكبير ، فقال : وهو يعد على اصابعه .. الواحدة تلو الأخرى :

« شبابنا يعانى من الاتى :

اولا : لا يلقى تعليما وتربية يعدانه للعصر كما ينبغى له .

ثانيا : بعد التخرج وبسبب ظروفنا ، لا يجد الأجر المناسب الذى يمكنه من الحياة كما ينبغى له أيضا .

ثالثا : لا يستطيع ان يشبع الجانب الوجدانى من الزواج ، بسبب ضيق ذات اليد . الى مضايقات فى المسكن والمواصلات ـ وهو يشارك بقية الشعب فى ذلك ..

رابعا : لا يجد الفرصة الكافية لتحقيق ذاته ، اجتماعيا ، وسياسيا ..

فاذا ما استطعنا أن نجد حلا لهذه المشكلات أمكننا أن نساعد الشباب بأن نجعله يحقق ذاته في كل شيء ..

قلت له : أستاذ نجيب يدور الحديث عن ازمة الثقافة العربية في الوقت الحاضر ، ماهو رايك فيها وكيفية علاجها ؟!

قال : الكلام كثير عن أزمة الثقافة ولكنه لا يقوم على احصاء دقيق ، كان يقدم مثلا عن عدد الكتب التي تطبع في البلد في العشر سنين الاخيرة ، ونوعيتها وعدد مايباع منها ، لكي نعلم ماذا يزدهر . وماذا يذبل وماهو تحصيل ذلك كله .

لكن الواقع أن كل انسان شاعر أن الجو الثقافي بصفة عامة ليس على ما يرام ، فلا فكر يتسم بالجرأة والاقتحام ، ولا شيء يمكن أن نعتبره من الروائع .

قلت له : هل يعتبر نجيب محفوظ نفسه من المدرسة الطبيعية في الكتابة او المدرسة الواقعية ، وما الفرق في نظرك بين الاثنين ؟!

قال : الحقيقة لم يشغلني ذلك ، ولا أفكر في اى مدرسة ، وعلى وجه اليقين ، فانا لست من المدرسة الطبيعية ، فلقد كتبت في الواقعية ، والسريالية والرمزية .. فالمدرسة الطبيعية في الكتابة تقوم على تفسير السلوك الانساني بالغريزة والوراثة ، ومما لاشك فيه ، أن أبطالي تدخل عناصر أخرى غير الغريزة والوراثة في تفسير سلوكهم ، مثل تأثير البيئة والارادة الشخصية ، والثقافة الروحية ..

قلت له : هل تعتبر نفسك رائدا للواقعية في مصر ..؟!

قال : « لا ... فرائد الواقعية في مصر هو « المويلحي » ، وحديث « عيسى بن هشام » الذى كتبه خير دليل على ذلك ، ففيه صفحات كثيرة في نقد المجتمع المصرى وتبيان أوجه النقص فيه .. »

قلت له : اذا جاز لنا ان نعرج قليلا الى حياتك الشخصية .. وسالتك :

هل انت سعيد الان وراض عن نفسك ، وما هى اسباب ذلك ..وكيف يمكن ان تحقق السعادة للاخرين .. بكلمة تقولها لهم ؟!

قال وهو يهز راسه علامة النفى ، مصحوبة بابتسامة عريضة :

ـ انا فى السن التى يحاول فيها الانسان أن يرضي نفسه ، أما السعادة فشيء آخر .. اذ كيف يسعد الانسان نفسه وهو فى هذا الزمان وهذا الموقع الجغرافى الممزق ، ولكن يجب أن نذكر هذا أن باب الامل قد فتح بالسلام أولا ، وبالسير في حل القضية الفلسطينية ثانيا وبالتركيز على التنمية الاقتصادية والاجتماعية ثالثا ..

سألته : هل يعنى ذلك انك قلق ؟!

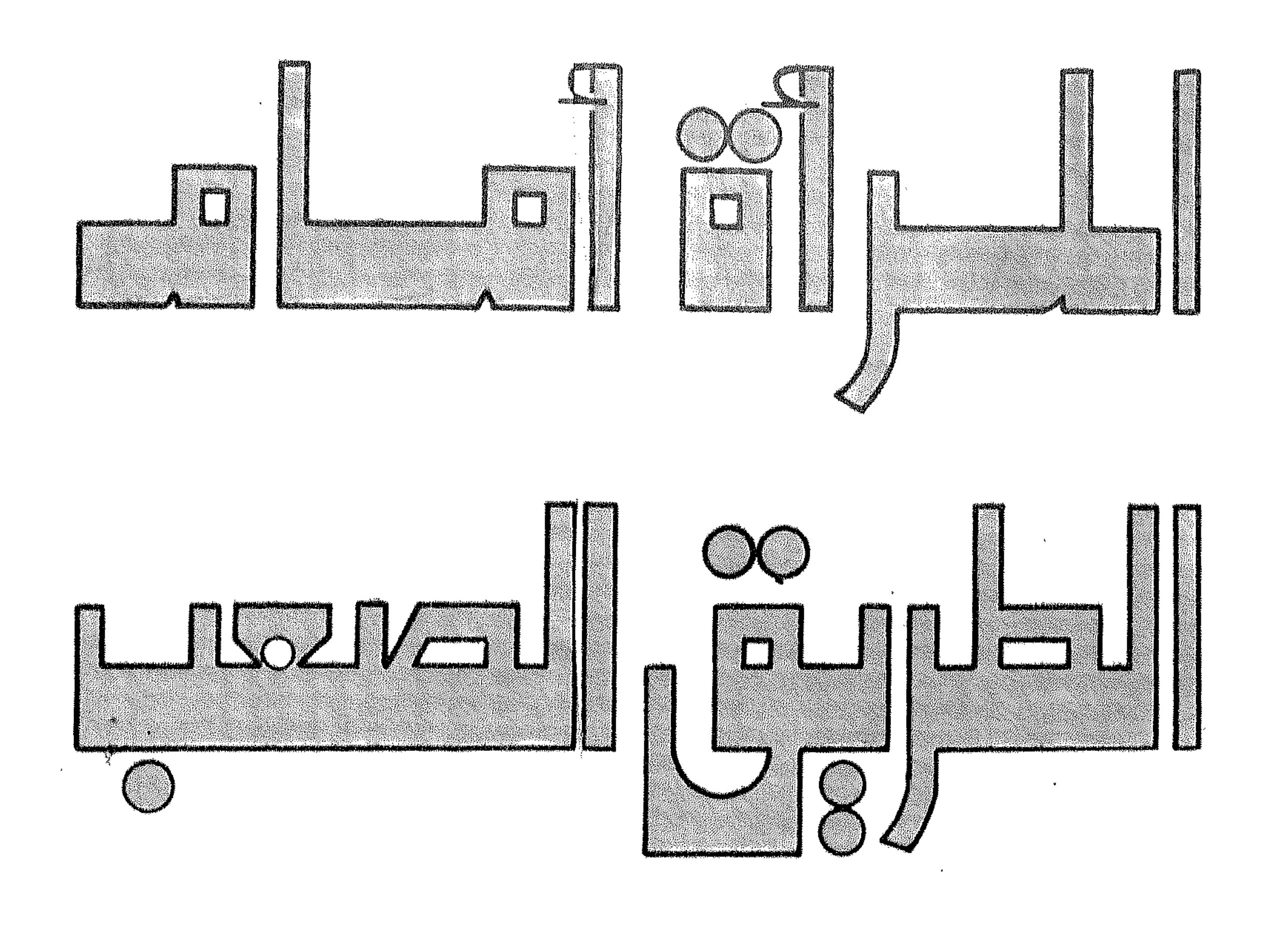
قال : لا يخلو الانسان من القلق ، وخصوصا الكتاب ، ويوم أن يزول القلق لتوقف عند الانسان الرغبة فى الكتابة ...

قلت له : هل كتب الاستاذ نجيب محفوظ قصة حبه الحقيقية ؟!

ابتسم الرجل وقال : « لم أكتبها بعد ، ولكننى استفدت منها فى كتاباتى ... »

كان هذا سؤالى الاخير عندما اطل علينا انية استاذنا الكبير توفيق الحكيم قائلا : « هل انتهيت يا نجيب .. معى كاتبة اجنبية تريد ان تجرى معك حديثا »

ودعت العملاقين على أمل لقاء جديد ، ودعاء لهما بطول العمر ..



● منى مؤنس ●

● اول ما سمعت عن موضوع المراة والقصة والشعر خطرت ببالى الكاتبة الانجليزية فيرجينيا وولف وذلك لاسباب شتى قد يكون اولهـا اعجابى بها ككاتبة روائية ،ثم اعجابى بها ايضـا كامراة عاشت وكافحت فى سكون وحصلت على مكانة فى الادب الانجليزى بالذات ثم العالمى بعد ذلك يدهش لها كل من يعرف كتاباتها .

ان اعجابى بها ككاتبة روائية يشاركنى فيه الكثيرون من قراء ومحبى الرواية، وذلك لأن لها طريقتهـا الخاصـة فى الكتابة . فمن حيث الأسلوب نجد اسلوبها اقرب الى الشعر منه الى النثر ، اما تناولها للموضوعات فمعظم رواياتها قد يشعر الكثيرون بانها خالية الاحداث كما هو الشأن فى معظم الروايات، او من حيث تركيب الرواية ، فأحيانا يشعر القارىء المسرع ان أعمالها تبدو مجردة من ذلك التركيب الروائى الذى يعتمد على بداية واضحة ونهاية تعرف القارىء بأن المؤلفة اتمت ما تريد قوله، ومن ناحية تكنيك الرواية نجد أنهـا مع جيمس جويس ـ ادخلت على الادب الروائى الانجليزى ما نسـميه فى مصطلحاتنا « بتيار الشـعور » أو بالحوار الداخلى .

ان فيرجينيا وولف ولو انها لم تبتكر فكرة « تيار الشـعور » ، وتأثرت فى ذلك بكتاب سبقوها اليه ، مثل الكاتب الروائى الانجليزى لـورنس سـتيرن والفرنسي مارسيل بروست الا انهاطورت هذه التقنية لدرجة انه اذا ذكر اسمها فى أيامنا هذه ارتبطت به تلقائيـا فكرة « تيار الشعور » ... ومعنى ذلـك انها لم تطور هذه التقنية ، فقط ، بل




فرچينيا وولف

ضبطتها لحد كبير ..

من خلال كل ما ذكرناه انتشر اسم فيرجينيا وولف فى حياتهـا ، وتزايدت شهرتها وعظمتها بعد ذلك ، بل انهـا تعتبر من كبار المجـددين فى الرواية الانجليزية فى بداية القرن العشرين ، ثم تركت اعمالها الادبية بصمات عميقة فى الادب الانجليزى أثرت من خلاله على كثير من كتاب العالم .

***

اما اعجابى بها كامراة فيرجع الى ضميرها وشعورها بالالتزام نحو اعمالها ونحـو مجتمعها وعشقها الجاد للأدب وتطوره ، ثم اهتمامها بوضع المراة الانجليزية فى المجتمع ، واهتمامها بالذات بالراغبات فى دخول ميدان الفن من النساء . فالى جانب ما قدمته فيرجنيا وولف مـن روايات اصبحت عالمية ، كتبت اعمالا اخرى كثيرة ذات اهمية كبرى ، ولكنها لم تجد الشعبية التى وجدتها رواياتها وذلك لاسباب غير واضحة قد يرجـع بعضها الى انها صدرت عنها كأفكـار خاصة بها كامرأة ، أو لانها ملاحظات حول الحياة الدنيا ، أو مجرد كلام فى موضوع ما كان يشد انتباهها ، فهناك مثلا كتابها المسمى « حجرة خاصـة » وهو الذى فكرت فيه عندما سـمعت بموضوع المراة والقصة والشعر . ففى هذا الكتاب الذى يعتبره الكثيرون مجـرد كتيب ، اذ انه لا يتعدى المائة صفحة ـ تتناول فيرجينيا وولف موضوع المراة التى تريد أن تشق لنفسها طريقا فى مجال الادب والصعوبات التى تواجهها حينما تتجه فى هذا الطريق . فترجع بنا فيرجينيا وولف فى كتابها هذا الى القـرن السـابع عشر أى العصر الاليزابيثى او عصر شيكسبير فى انجلترا ، وتتساءل عن سبب عدم وجود اى كاتبة ذات شهرة فى ذلك الحين . ثم تحاول أن تبرر هذه الظاهرة وتقول انه يجب أن نأخذ فى الاعتبار مكانة المراة الانجليزية فى مجتمعها فى ذلك الحين ، فنجـد مثلا انها لم يكن لها فى الواقع اى مكانة ذات اعتبار ، فكانت مسلوبة الحقوق ، لا سلطان لها على مالها . فقـد كانت

خاضعة لابيها اولا ، ثم لزوجهـــا اذا تزوجت .

والمدهش أن شيكسبير نفسه خـلق شخصيات نسائية مذهلة فى مسرحياته مثل «ليدى ماكبيث »و « كليوباترا » وغيرهما ممن اثرن على حياة من حولهن داخل احداث المسرحية ذاتها. ولذلك تقول فيرجينيا وولف انه يجب الفصل بين المراة فى الادب الانجليزى فى عهـد شيكسبير ، وبين ما كانت هى عليه فى الحقيقة ، فالمقارنة تظهر الاختلاف وتثير الدهشة . فتتصور فيرجينيـا وولف **مثلاً انه لو كانت لشيكسبير اخت تتميز بنفس الموهبة الفنية التى كان يتمتـع بها شيكسبير نفسه، لما وجدت الفرصة لتعريف الناس بعبقريتها .**

وبطريقة منطقية تجد فيرجينيا وولف ان مثل هـــذه المراة الموهوبة كانت ستواجه ولابد عقبة هائلة تتمثـــل فى المجتمع كله ، اذ أن ذلك المجتمع كان سيقف ضدها لا محالة ، ولم يكن احد ليسلم بان لها اى موهبة ، ويرجع ذلك الى أن المراة كانت تعتبر فى ذلك الحين انسانا من الدرجة الثانية من حيـث القوة العقلية والبدنيـة والروحيـة ، ولذلك كانت وظيفة المراة فى الحياة العامة محدودة ولا تذكر .

***

ثم تتجول فيرجينيا وولف عبر تاريخ الادب الانجليزى وتقف عند القـــرن الثامن عشر ، وتجد نفس الظاهرة التى وجدتها فى القرن الســابق ، وتبررها بنفس السبب ، وهو وضـــع المـراة الانجليزية فى مجتمعها الذى لم يتغير . وتندهش عندما تلاحظ أن المراة فى حد ذاتها كانت تلهم كثيرا من الشعراء للكتابة عنها ، ولكنها فى حقيقة الواقع التاريخى كان مقدرا لها أن تلـــزم حدودها ، وأن تعلم تمام العلم بانهـا محدودة النبــاهة والذكاء ، وأن كل



ما يتصل بالموهبة الفنية بعيد عنها كل البعد ، فكل النساء اللائى حاولن أن يكتبن او أن يعبرن عن شعورهن كتابة — وهؤلاء كن قليلات على اى حال — وصفهن المجتمع بالجنون او الشذوذ ، وكان مصيرهن مؤلما للغاية فمعظمهـن اضطررن للهرب والاختفاء عن انظـار الناس .

وعندما تدخل بنا فيرجينيا وولف القرن التاسع عشر تســـتلفت نظرنا ببضعة اشياء تؤكد أن الحال بدأ يتغير. فتجد مثلا أنه ظهرت بعض النســاء اللاتى حاولن الكتابه ونجحن فيهـــا نجاحا فائقا ، فهناك جين أوســـتين والاخوات برونتى وجورج اليوت وقدالفن عـــددا من أعظم الروايات التى كتبت فى الادب الانجليـــزى ، بل فى الادب العالمى . وتقف هنا فيرجينيا وولف وقفة طويلة معجبة بهؤلاء النساء ، ثم تتساءل عن الســـبب الذى جعلهن لا يكتبن الا فى ميدان الرواية ، ولم



تحاول واحدة منهن ان تجرب حظهـا فى الشعر مثلا أو فى المسرح ... ثم تعود فيرجينيا وولف فترجع ذلـك الى الخصائص التاريخية للعصر ، فهى ترى انه رغم أن مكانة المرأة لم تتغير فى المجتمع الانجليزى حينذاك الا انها ـ وبالذات ما يخص المرأة الموهوبة ـ بدأت تحاول الاعتراض على مكانتها المنخفضة فى مجتمعها ، وتعمل عـلى التغلب على نظرته اليها . واستمدت المرأة صاحبة الموهبة شجاعتها ممن سبقنها الى مواجهة قسوة المجتمع .

وتذكر فيرجينيا وولف على سـبيل المثـال الرائدات التى قـدمت اعمالا جديرة بالذكر واخريات غيرها اختفت اسماؤهن بسبب ضعف اعمالهن الفنية. ورغم ان اعمالهن اختفت بمرور الزمن الا انهن ـ على الاقل ـ قمـن بشىء هام جدا بالنسبة لمن جئن بعدهن من الفنانات فمهدن بذلك الطريق . اى انهن كسرن الحاجز الذى كان يحول بين اى امرأة تفكر فى دخول المجـال الفنى .

ومن ضمن كاتبات الرواية فى انجلترا فى القرن التاسـع عشر اذن ظهرت رائدات الرواية الانجليزية الـلائى ذكرناهن آنفا ـ اقصد جين أوسـتن والأخوات برونتى وجورج اليـوت . والنوع الوحيد من الكتابة الذى كان من الممكن لهن ممارسته هى الرواية ، ففى ذلك الحين كانت الرواية تعتبر فنـا جديدا أى انه لم يكن له تقليد طويل يمكن الاستناد اليه ولم تكن هنـاك أشكال فنية مقررة لابد من اتباعها ـ ثم انهن كن يكتبـن رواياتهن فى نفس الوقت الذى كن يقمن فيه بدورهـن الطبيعى فى مجتمعهن ، وبالواجبـات التى كانت منتظرة منهن ، وكثيرا ماكن يخفين عن معارفهن ـ وبالذات فى بداية فترة كتاباتهن ـ انهن يكتبن حتى لا يثرن الكلام حولهن . ولذلك كان مـن المؤكد انهن لم يكن يستطعن الكتـابة طول الوقت فكانت اعمـالهن تتم فى أوقات فراغهن . ولذلك كان السـماء القصصى يناسبهن لان الرواية كـانت فنا جـديدا يعطى حرية التصرف لمن يمارسه .

***

وعلاوة على هذا كانت حياتهـن ـ وكلهن من الطبقة الوسطى ـ اجتماعية ولذلك ومن خلال معرفتهن بالنـاس والكلام معهم كن يرسمن بعـد ذلك شخصيات رواياتهن المسـتمدة من خيالهن الغزير .

وتمتدح فيرجينيا وولف هـؤلاء النساء وأعمالهن وهى تذكر القارىء وتلفت نظره الى قوة موهبة هـؤلاء النساء اللائى اضطرتهن الظروف الى التعبير عنها فى الأسلوب الفنى الوحيد الذى كان متاحا لهن .

***

ثم تشير فيرجينيا وولف الى شجاعة وجرأة هؤلاء النساء ـ اى جين اوستين والأخوات برونتى وجورج اليـوت ـ لأنهن دخلن مجال الفن وهن على علم تام بانه من العسـير عليهن تثبيت اقدامهن فيه . فمن المعروف ان اى انسان ذا موهبة فنية يريد ان يعبر عنها بعمل فنى ، فان اول ما يلقـاه هو عدم المبالاة من جانب النـاس . وتقول فيرجينيا وولف أن هذا الادراك اى ادراك الفنان لعدم مبالاة الناس لما ينشئه من اعمال فنية يسبب له اقسى الالام ويجعله يعيش فى تعاسـة مريرة وبالذات عندما يكون فى بداية حيـاته الفنية . وتضرب فيرجينيا وولف المثل بجون كيتـس ، وتوماس كارلايل والفريدتينيسـون فى الادب الانجليزى وبجوستاف فلوبير فى فرنسا .

وتعود فيرجينيا وولف الى الاشارة للكاتبات الانجليزيات السابق ذكرهـن وتقول وهى تشير الى شجاعتهن بانهن



كن يعلمن انهن سيواجهن عدم اهتمام الناس بهن بالاضافة الى ما قد يصادفهن من عداوة المجتمع لهن وما ينتظرهن ـ وذلك فى معظم الأحيان ـ من عدم التشجيع وتثبيط الهمة وبالذات من أولئك الذين كانوا مصممين أن يعتبروا المراة اقل عقلا وذكاء من الرجل، وكان ذلك هو الرأى السائد فى ذلك الوقت.
وتتصور فيرجينيا وولف أولئك الروائيات فى مواجهة هذه الصعوبات وكأنهن يصرخن بأعلى صوت واقصى قوتهن قائلات :

((اغلقوا المكتبات بالترابيس اذا شئتم ولكنه ليس هنالك باب ولا قفل ولا ترباس تستطيعون ان تغلقوا به حرية ذهنى وعقلى !؟))

***

ثم تدخل بنا فيرجينيا وولف القرن العشرين وتجد حولها مؤلفات كثيرات من النساء يكتبن فى شتى المجالات ويطمئن قلبها لهذه الظاهرة لحد كبير وبالذات انها رات ان حقوق المراة اخذت فى الاعتبار مثل حق الملكية وحق التصويت على سبيل المثال ، وترى حينئذ انه فى يد المراة بل من مسئوليتها ان تقدم للعالم ادبا جديرا بها ، وتحذر النساء اللائى تدفعهن موهبتهن الى المجال الفنى الا يحاولن تقليد الرجال بل يجب عليهن التعبير عن مشاعرهن وأفكارهن واهتماماتهن بمنتهى الحرية كما فعلت من قبلهن جين أوستين فهذه هى الطريقة الوحيدة التى تمكن المراة من تثبيت اقدامها فى المجال الادبى .
وفى نهاية كتابها وبعد تشجيع مطول تؤكد فيرجينيا وولف ـ وتكتب كل ذلك فى أسلوب يشد الانتباه مثل افكارها ـ انه لو أرادت أى أمراة أن تحصل على نجاح ما فى الميدان الادبى فلابد ان يكون لها دخل مادى تستند اليه وغرفة خاصة بها تنفرد فيها . فهذا الاستقرار علاوة على الشجاعة والجراة والثقة بالنفس والموهبة الفنية التى لا غنى عنها ـ هو السبيل الوحيد الذى يقودها الى النجاح .

***

فهذا الكتيب اذن ـ الذى نشر فى ١٩٢٨ ـ الى جانب مؤلفاتها العديدة جعلنى اعجب بهذه المراة اكثر واكثر وتصورت من خلال قراءته العقبات التى اضطرت أن تواجهها فيرجينيا وولف حتى وصلت للمكانة الادبية التى حصلت عليها فى الادب العالمى ، وجعلنى أشعر أيضا أنها تتكلم عن تجربة ذاتية ، وأن كل ما ذكرته عن كفاح النساء فى سبيل اثبات وجودهن فى المجتمع ثم فى المجال الادبى لم يكن تخويفا لهن بل انه كان ـ بالعكس ـ تشجيعا ونوعا من الاشارة الى أن الطريق صعب والمجال عسير ولكنه من الواجب على المراة ـ وأشعر انها تكلم المراة بصفة عامة وليس الانجليزيات منهن فقط ـ بالا تخشى الصعوبات وأن تحاول أن تكمل الطريق الذى مهدته الرائدات السابقات وذلك فيما يخص الادب ومنه المسرح والقصة والشعر .

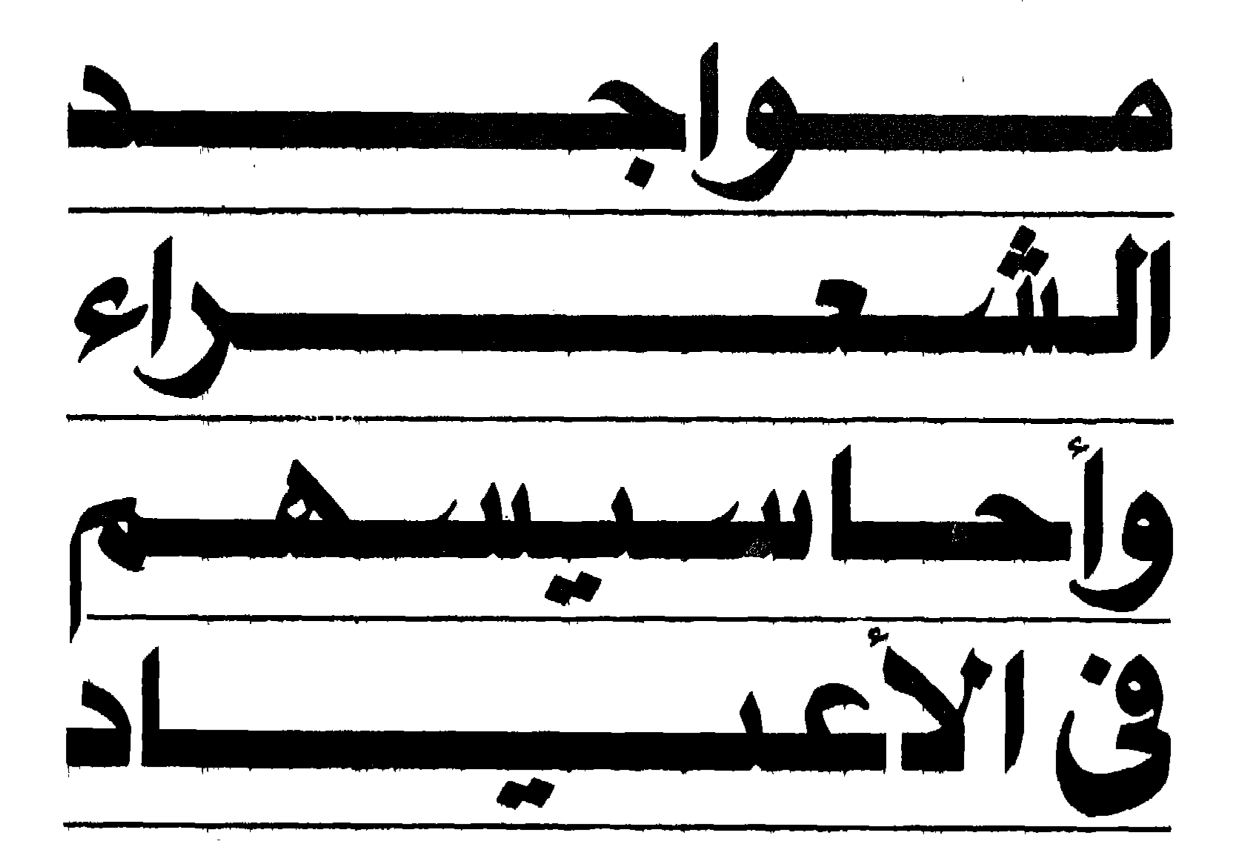
●●

حسبى !

● عبد المنعم الانصارى ●



لملمتُ عطرك فى قوارير المهانة وارتحلتُ ..!
وتركتُ نيرانى تضىء ظلامَ قلبك واحترقتُ ...!
وظننتِ أنّى قد أعودُ إليكِ من حيث انتهيتُ
هيهاتَ أرجعُ بعد أن هدّمت ظنونك ما بنيتُ
فلكم أسأتِ ؟ وكم غفرت لك الإساءةَ واحتملتُ !
وجعلتُ منك إلهتى .. وإليك بالشعر ابتهلتُ ...
وبكيت فى محرابك الخالى وبالدمع اغتسلت
يامَن جعلتك ربتى وأضأت ليلك ، وانطفأت
ماعدتُ عبدك ـ يامعذبتى ـ فهأنا قد صبأت
ووجدتُ نفسى بعد أن ضاعت ، وحسبى ما وجدتُ !



● محمد عبد الغني حسن ●

الأعياد فرص متاحة من السماء ، أو من الناس أنفسهم ، يلتقون فيها على الأفراح ، ويستعيدون أقدس الذكريات وأجملها ، ويتطلعون الى توالبها على تتابع الايام ... ولعل نغمة شاعرنا « أبي الطيب المتنبي » لا تزال ترن في آذاننا وهو يستقبل العيد بعيدا عن أحبابه ، مشغولا بمطامحه نحو العلا وهمومه من أجلها ، فيقول :

عيد بأية حال عدت يا عيد ؟ بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟

وقد يمر عيد من الأعياد الدينية أو القومية على شاعر وهو في ظروف غير موالية ، فيعبر عن ذلك بشعر يصف فيه حالته ، ويصور مشاعره ، على حين يهنأ الناس بأفراحهم في أعيادهم : كالذي نجده عند الشاعر « أبي فراس الحمداني » حين نزل به العيد وهو أسير فعبر عن مواجده بشعر يقول فيه :

يا عيد ! قد عدت على ناظر عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التي ربها أصبح في أثواب مربوب
قد طلع العيد على أهله بوجه لا حسن ، ولا طيب !

وتذكرنا هذه النغمة الحزينة عند الشاعر الأمير « أبي فراس » ، بنغمة مثلها عند الشاعر الملك « المعتمد بن عباد » الأندلسي حينما نفاه « يوسف بن

تاشفين » الى المغرب وادخله السجن ، فلما جاء يوم العيد دخل عليه بنساته السجن ليزرنه ، وكن يغزلن للناس بالاجرة لكسب العيش ، فرآهن والدهن في اطمار بالية ، فصدعن قلبه ، ونظم « عيدية » حزينة يقول فيها :

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا   فساءك العيد في « أغمات(1) » ماسورا
ترى بناتك في الاطمار جائعة   يغزلن للناس لا يملكن قطميرا ...

واذا كانت الاعياد مناسبات يلتقى فيها الناس على السعادة أو على تأميلها ، فان عددا غير قليل من شعراء العربية ينتهز فرصة الاعياد للتطريب بمواجعه وآلامه . ولعلها رواسب من مواريث « الحزن » التي اثقلت بها كواهلنا ...

فنرى « محمود غنيم » يوحي اليه « العيد » بقصيدة يقول فيها :ـ

يا عيد عذرا ان نظمت نشيدى   لك حافلا بالنوح لا التغريد
عزف السكان فند عنه مسمعى   وبكت مطوقة ، فقلت : اعيدى !
استودع الرحمن عمرا ضاع ، لى   في كل يوم منه اجر شهيد !

ونرى الشاعر الفلسطيني « ابراهيم الدباغ » يدركه اليأس في عيد الاضحى منذ أكثر من اربعين عاما ، ولكنه يعود ليشيع الامل في نفوس امته قائلا :

تهلل وابتسم ياعيد يمنا   على الثقلين من جن وانس
وقل للغرب : هذا الشرق باق   على النورين من قمر وشمس !

ونرى الشاعرة الفلسطينية « فدوى طوقان » تشارك أختها « اللاجئة » ضياعها ووجومها في أفراح العيد وبشاشات فجره ، واايامه ، فتقول :

اختاه ! مالك ان نظرت الى جموع العابرين
ولمحت اسراب الصبايا من بنات المترفين
من كل راقصة الخطا كادت بنشوتها تطير
العيد يضحك في محياها ويلتمع السرور
اطرقت واجمة كانك صورة الالم الدفين .

ولا يختص شعراء المشرق في القديم والحديث بأحزان الأعياد ومواجعها ومباكيها ، فقد كان شعراء الاندلس يبكون في فرحة العيد ... كما نرى بعض شعراء المهجر الامريكي : الشمالي والجنوبي اليوم يذرفون دموعهم وسط ابتسامات الياسمين . فالشاعر « الياس فرحات » تلذعه مواجع الغربة الطويلة في البرازيل فيبكي في العيد قائلا :

يا عيد ! لا تنكر بكاى فانما   انا بلبل مسخ الزمان صداحي
يا عيد عدت وادمعى منهلة   والقلب بين صوارم ورماح
والنفس يائسة فليس بنافع   عذل العذول وغيرة النصاح
مرت ليالي العيد بي وكانما   وجه العبوس بوجهها الوضاح

وظل « فرحات » يستقبل الاعياد في مهاجره البعيد ـ باناشيد الحزن ، من طول مانعلت به الغربة ، فنراه يستقبل احد الأعياد بقوله متحرقا الى وطنه والى امه :

اطل العيد جذلانا يغني   ويضحك للطفولة من بعيد
ولما صار في بيتي رآني   شقي القلب في بيت سعيد
انا الباكي على ايام انسى   ونادب لذة العيش الرغيد
ايفرحني بعيدا عنك عيد   وقربك فرحتي الكبرى وعيدى ؟

وقد الف الناس في الاعياد ان يتهادوا : كل واحد على قدره ، وأن يقدموا الهدايا الى احبابهم وابنائهم . ويصادفنا الشاعر المهجرى « ايليا ابو ماضي » وهو يتحير : أية هدية يقدمها الى حبيبته ؟ وقد استعرض طائفة من الهدايا

(1) أغمات . بسكون الغين ، بلدة بالمغرب قرب مراكش نفى اليها المعتمد بن عباد الاندلسى .

المادية الثمينة ، فوجدها دون قدر المحبوبة ، أو عندها منها ماهو اغلى وانفس ... فآثر أن يهدي اليها « روحه » ، وهي أعز مايملك ، قائلا : ـ

اى شيء فى العيد اهدي اليك ... يا ملاكى ؟ وكل شيء لديك
اسوارا ام دملجا من نضار ؟ ... لا احب القيود في معصميك !
ام ورودا ، والورد اجمل مافيـ ... ـه حياء يفيض من وجنتيك
ام عقيقا كمهجتي يتلظى ... والعقيق الثمين في شفتيك ؟
ليس عندي شيء اعز من الرو ... ح ، وروحي مرهونة فى يديك !!

ولكن شاعرنا ايليا ابا ماضي ـ على عهده في الخطرات الفلسفية ، والنبضات الفكرية العميقة ـ راى أن يقدم فى العيد هدايا الى طوائف من الناس ترضي غرورهم ، وتطامن من كبريائهم . فهي هدايا يقدمها على سبيل السخرية والتهكم على مطامع الناس وتفاهاتهم . فيقول من قصيدته : « هدايا العيد » : ـ

خرج الناس يشترون هدايا ال ... عيد للاصدقاء والاحباب
فتمنيت لو تساعفني الدنيـ ... ـا فاقضي فى العيد بعض رغابى!
كنت اهدى ـ اذن ـ من الصبر ارطا ... لا الى المنشئين والكتاب !
والى كل عاشق مقلة تبـ ... ـصر كم من ملاحة في التراب !
والى الغادة الجميلة مرآة ... تريها ضمائر العزاب !
والى الصاحب المراوغ وجها ... اسودا ، حالكا كوجه الغراب !..

وما أشق أن يحل العيد فى بيت فلا يجد الاب من المال مايعينه على أن يقدم هدية مناسبة لابنه الحبيب ، وقد عبر « الشاعر المدنى » المهجرى : « قيصر سليم الخورى » ـ شقيق الشاعر القروي ـ عن هذه الظاهرة المؤسفة بقوله :

راى بني صغار الحي قد غنموا ... فى ليلة العيد اشياء ، وما غنما
فجاء يسال مالا لست مالكه ... ولو اتى طالبا روحى لما حرما
وعدته .. وجفونى حشوها ارق ... وعدا تعلق فى اجفانه حلما
لما رات امه حالى ، وحالته ... مالت لناحية تذرى الدموع دما!..

ولا يليق فى شرع الانسانية والمشاركة الوجدانية أن تشغلنا افراح العيد عندنا عن الاحزان عند غيرنا . كما لا يجوز أن تنسينا ابتساماتنا فى العيد تجهمات العابسين فيه .. ففرحة العيد لا تتم لدينا الا اذا أضفينا منها قدرا على الآخرين المحزونين ... وما اصدق الشاعر الاديب الباحث السعودى : « أحمد محمد جمال » حين عبر عن هذه اللفتة بقصيدته : « سيازف العيد » التى نشرت فى « طلائعه » ، والتى يقول فيها :

سياتى العيد .. يابشراى بالعيد ... يقولها مرح الاعطاف والجيد
ابوه يلقمه حلوى ، ويلبسه ... استبرقا بين تدليل ، وتمجيد
وامه تتلقاه باذرعها ... بسامة بين ترقيص ، وتغريد
وبيته معرض الالعاب مختلفا ... الوانها ، من هدايا او تقاليد
فاين منه يتيم غير مكتفل ... واين منه عجى غير مودود ؟
واين منه وليد بين عارية ... ومفلس ،ياتسين العمر من عيد ؟

واذا كانت مناسبات الاعياد تختلف مابين مشرق ومغرب ، وتتنوع من قديم الى حديث ، وتتعدد مابين عيد الفلر ، وعيد الاضحى ، وعيد النيروز ، وعيد شم النسيم ، وعيد الغطاس ، وعيد الام ، وعيد الربيع ، وعيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعيد ميلاد المسيح ، وعيد الاستقلال ، وعيد الجلاء ، وعيد العلم وغيرها مما ليس هنا مجال حصره ــ فان بعض شعرائنا المحدثين قد جعل يوم التقاء الاحباب « عيدا » يجب أن ينضم الى قائمة الاعياد .. كما جعل يوم اللقاء هو سر الوجود ، ومعنى العيد . وقد أحسن شاعر الحب والوجدان : « الدكتور ابراهيم نجى » ، التعبير عن هذا المعنى بقوله :

اليوم منـــك عرفت سر وجودى — وعـــرفت من معنـــاك معنى العيد
ماكنت بالفانى ، وسرك حافظى — وبمقلتيـــك ضمنت كل خـــلودى
الان اعرف ما الحيـــاة وطيبهـــا — واقول للايام طبت ! فعـــودى !
عاد الربيع على يديك ، واشرقت — روحى ،واورق في ربيعك عودى!

ولعل شاعرنا « ناجى » لم ينفرد بهذه الفكرة التى تناولها الشاعر « خليل مطران » من زاوية أخرى : فقد ناجأ فى ليلة سربا من الغيد يصنعن حلوى العيد .. وهن يخرجن من كتل العجين أشكالا بديعة صنعنها بانامل بيض رقيقة موردة ، تكاد تظنها مخضوبة بالدم .. وأوحى المشهد الى شـــاعر الاقطار العربية : « خليل مطران » بقصيدة يقول فيها : ــ

ولعل غـــاية كل طـــالب رفعـــة — ارضـــاء ذات ســـلاسل وعقـــود
فيكون عيد العمر ساعة ملتقـــى — واعز مانرجوه حلوى العيد ... !

***

وبمناسبة الحديث عن عيد مولد النبى صلى لله عليه وسلم يسرنا أن نشير هنا الى مشاركة كثير من اخواننا المسيحيين فى لاحتفال به ، والاحتفاء بمقدمه ويستوى فى ذلك شعراء الوطن العربى ، وشعراء المهجر الامريكى بشـــماله

وجنوبه .. وهل ننسى هنا اســـماء الشعراءخليل مطران ،ووديعالبستانى، واسكندر الخورى البيتجالى ،وعبدالله يوركى حلاق ، وامين نخلة ، والشاعر القروى ، والياس فرحـــات ، وجورج صيدح ، والياس قنصـــل ، وزكى قنصـــل ، وميشـــيل مغربى ، ونبيه سلامة وغيرهم ممـــن انطق الله السنتهم بالصدق ، واقلامهم بالحق!.

لماذا نتوقع المخاوف فى الاعياد ؟ ولماذا يخاف بعض شعرائنا الجوى فى ليالى العيد ، كانهم يتوقعون البلاء قبل وقوعه ؟ الا ما اشد حاجتنا جميعـــا الى الفرح والامل فى الاعياد ، فننشد مع الشاعر اللبنانى المتفائل : « رشدي معلوف » ، قوله :

صلى معى : اصغى ضمير العيـــد — فى مطـــلع الامـــل الجـــديد
وعادت الارض ــ على غصـــتها ــ — تحـــلم بالانداء والـــــورود
وفى غد نحن صـــباح كـــوثر — الوانه من امـــل الوجـــود ...

مرآة الفكر العربي

الدعوة الإسلامية والإعلام الدينى

● تاليف : د . عبد الله شحاته ●

ان الله تعالى اختار بلاد العرب لتكون مقر الرسالة الاخيرة التي جاءت للبشرية كلها ، والتى تتضح عالميتها منذ ايامها الاولى ، حيث جاء الأسلام لينقذ البشرية جمعاء من الجاهلية العمياء والظلام الفادح ، والجهل المطبق على العقول فى ذلك الوقت ، فامتد نور الاسلام خارج الجزيرة العربية ، وكان الذين حملوا مشعل الاسلام هم اصلح خلق الله لحملها حيث خرجوا بها من اصلح مكان فى الارض لميلادها .

الدكتور عبد الله شحاتة من الاساتذة المتخصصين فى الدراسات الاسلامية وقد جاء كتابه ((الدعوة الاسلامية والاعلام الديني)) من خيرة الكتب التي تعرضت لكثير من القضايا التى تخص الاسلام وايقاظ الوعى الاسلامى فى قلب كل مسلم ومسلمة .

تناول الكتاب فصولا عن الدعوة الاسلامية واطوارها وثقافة الداعية وعن الخطابة الدينية وكيفية النهوض بها ، وعن الاعلام الدينى ، والحديث الدينى بالاذاعة والتليفزيون .. ثم قدم بعض البحوث فى العقيدة ونظام الاسر .. ثم تعرض الدكتور عبد الله شحاته بعد ذلك لعدد من الاحاديث فى فنون متعددة شملت العبادات والاداب الاجتماعية والمراة ، والجهاد، والاخلاق ، والذكريات الاسلامية ، ممايبرز أن الهدف الاساسى من هذا الكتاب هو عرض الفكر الاسلامى بأسلوب العصر حتى تتضح عالمية الاسلام فى اجلى صورة ..

وقد تحدث الدكتور عبدالله شحاته عن دور الاعلام الدينى فى ايقاظ الوعى الاسلامى السليم المبنى على الايمان والعلم ، وبين لنا فى كتابه كيف ارسل الله الرسل لهداية البشرية ، وانزل عليهم الكتب والصحف وأمرهم أن يبلغوا الرسالة للناس . قال تعالى :((**يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته**)).

وقد يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه بالقلم والحديث والخطبة والكتاب والجهاد وكل ما أتيح له من وسائل الاعلام فى عهده ..

وفى عصرنا الحاضر تطورت وسائل الاعلام وتعددت ، وبعد أن كانت الكلمة والخطبة تمثل ٨٠٪ من وسائل الاعلام، أصبحت لا تمثل الا ٢٠٪ حيث

استخدمت وسائل كثيرة للاعلام مثل الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والتمثيليات والملصقات والمنشورات والمجلة والكتاب والصحيفة والاناشيد وغيرها ..

وعلى الدعاة الى الله - كما يبين الدكتور شحاته في كتابه - ان يستغلوا جميع الوسائل المتاحة لنشر الدعوة ، وان يستخدموا سلاح العصر وأسلوبه، فالله تعالى يقول : « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » . وعلينا ان نقدم الاسلام بلغة العصر حتى تؤدي فريضة الله ، لان أسلوب الدعوة يكون في كل عصر بما يناسبه حتي يمكن ابلاغ الناس دين الله بطريقة تحرك فيهم الاقتناع والقبول ، قال تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » ..

وفي فصل آخر ، تحدث الدكتور شحاته في كتابه عن شهر رمضان المعظم مبينا فضائل هذا الشهر واحكام الصيام ومراتبه ..

كما تعرض لبيان الاركان الخمسة للاسلام وما تحمل من معنى عظيم ، حيث انها تتعاون جميعا في بناء شخصية المسلم وارساء دعائم التعاون والتراحم بين المسلمين ، فالشهادتان اعتراف بالتوحيد ، والصلاة صلة بين المخلوق والخالق ، والزكاة دعامة التعاون والتكافل بين الغني والفقير .. والصوم صفاء للنفس ورقة للقلب ، وطهارة للروح .. والحج توحيد بين المسلمين في الهدف ..

وشهر رمضان تتحد فيه اهداف المسلمين وتصفو قلوبهم ، وهنا نجد ان الصوم وقاية من المعاصي ، وحماية للنفس ، وتدريب على الطاعة ، وصفاء للقلب ، وصلة بين الانسان وربه ، ورياضة روحية تصفو فيها النفس وتصل الروح نفسها بالملأ الاعلى ..

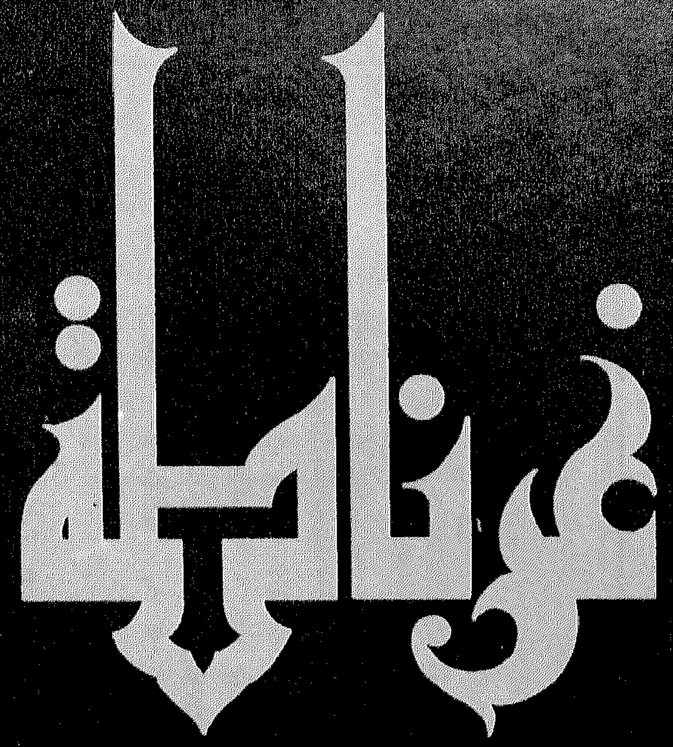
قال صلى الله عليه وسلم «الصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ خاصمه او شاتمه فليقل انى صائم ، انى صائم ... والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله تعالى من ريح المسك » .

يقول الله تعالى : « ايها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه من اجلي، انت عندي كبعض ملائكتي » .

كذلك تناول الدكتور عبد الله شحاته في كتابه نظام الاسرة في الاسلام ، وقدم لنا دراسة لبعض الجوانب في شئون الاسرة تؤكد سمو الاسلام وتوضح ان الشريعة الاسلامية تحتوي على جميع المبادىء اللازمة للنهوض بالمجتمع في شتى نواحيه ، وانها شريعة حية صالحة للتطور وانها كرمت السانية الانسان رجلا كان او امراة ، وسوت بينهما في خمس نواح هامة هي القيمة الانسانية ، والحقوق المدنية ، وحق التعليم والثقافة ، وحق العمل، وشئون المسئولية والجزاء ..

وقد قدم لنا الكاتب في فصل آخر تحت عنوان الايمان سبيل السلام للفرد والمجتمع صورا من السلام في الاسلام من حيث ان الله جعل شهور العام اثنى عشر شهرا ، منها اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب : ثلاثة اشهر متتابعة في نهاية العام الهجري وبدايته ، وشهر منفرد هو شهر رجب ، والاشهر الحرم اشهر مباركة يضاعف فيها الثواب ويحرم فيها القتال حتى تهدأ النفوس ويكون هناك فرصة عملية للسلام والامان ..

● اعداد : عادل عبد الصمد ●





إبداع فنى فريد من نوعه عبر القرون ، ومأساة شعب لم يعرف كيف يعيش ، ولم يعرف كيف يموت ؟

حصن الحضارة الأندلسية الاخير ..

على طرف من جبال الثلج ـ سييرا نيفادا ـ تشبثت بقية من حضارة الاندلس وبسالة أهله ، وظلت تصارع الفناء قرنين من الزمان ..

خلال هذين القرنين انشأ أهل غرناطة اثرا من اجمل الآثار الفنية التى انشاها البشر « قصور الحمراء » .
هندسة بديعة تروع النفس .

تنسيق رائع بين خضرة النبات وزرقة السماء وحمرة مبانى الحمراء ، وفضة مياه النوافير وعطر الريحان .

يزور الحمراء كل عام اكثر من عشرة ملايين سائح ، لان اسبانيا تستقبل فى السنة ٤٠ مليون سائح .

هؤلاء جميعا يقفون مبهورين امام حضارة بلغ من قوتها انها اقامت هذه الروعة وهى فى سباق الموت ..
الحمراء توجز تاريخ العرب وحضارتهم فى سطرين ..

ناس موهوبون انشأوا مجدا حضاريا وفنيا لا تغيب عنه الشمس ..
ناس عرفوا معنى الحياة ، وهو أنها عمل وصدق واخلاص وتعاون وبناء وراحة قلب . أجل ، قبل كل شىء : راحة قلب !

ثلاثة مشاهد يتجلى فيها ابدا
الحمراء : المشهد الاول أعلى الى
اليمين بهو النافورة ويقع بين
القصر الكبير والقصر الصغير في
جنة العريف ونرى فيه كيف ان
مياه النوافير تصنع أقواس تص
تصب في البركة وعلى الجانبين
شجيرات الريحان . وفي خلفية
الصورة القصر الصغير واطراف
أشجار الحور والصورة الثانية
أعلى الى اليسار أعمدة أحا
جواسق بهو السباع وهي أعمدة
رفيعة رقيقة تحمل بوائك في
غاية الرقة والجمال ، والصورة
الثالثة أسفل جوسق من جواسق
بهو السباع ببوائكه البديعة
وزينته الجصية وزخارفه المتشابكة
التي تشبه الدنتيللا ونافورة
السباع في الوسط .

غرناطة

في هذا العدد الذى خصصنا معظمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، احسستا أن الاستطلاع الملون ينبغى ان يرتبط بصورة ما بتاريخ الاسلام وعبر هذا التاريخ ، ولأمر ما اتجه الفكر الى غرناطة ، فهى فى ذاتها علم من اعلام الابداع الفنى فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، وهى كذلك عبرة لا ينبغى أن ينساها عربى ، عبرة الملك الذى يضيع بسبب الاحقاد والخلافات والانانية وقصر النظر ،وهى ادواء عربية لا نزال نشكو منها منذ دخلنا ابواب التاريخ الى اليوم ..

وغرناطة اسم جميل ومنظر بديع ، ولكنها عبرة أليمة ودرس دروس التاريخ ندرسه لكيلا يتكرر ونستعيده حتى تنفعنا عبرته فى حاضرنا ومستقبلنا ، فاذا كنا فى القسم المصور من هذا الاستطلاع سنهديك صورا من أجمل ما خلفته الحضارة العربية ، فاننا سنحدثك فى هذه السطور حديثا لا تطرب له نفسك ولا يهش له قلبك .

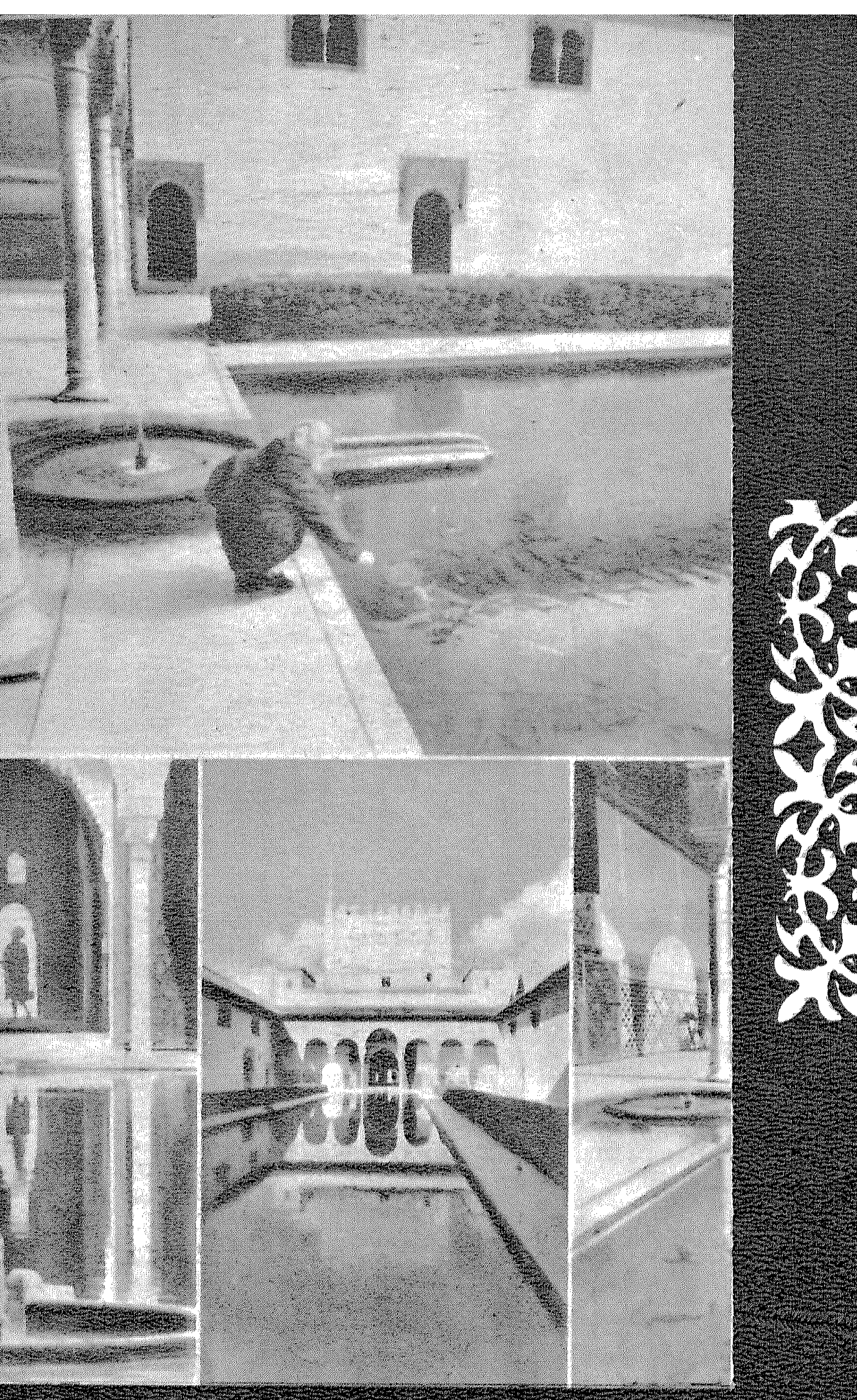
ذلك أن حديث ضياع غرناطة ليس حديث ضياع بلد أو مملكة صغيرة ، انه ضياع الاندلس كله ، لان غرناطة كانت الحلقة الاخيرة من مأساة طويلة هى مأساة الاندلس ، ومأساة الاندلس انما هى فى الحقيقة صفحة من صفحات كتاب ضخم هو مأساة تاريخ العرب ، والمسلمين خلال العصر الوسيط .

ولهذا نعنى خلال وصفنا لغرناطة وبدائع الفن فيها بالتحدث عن تاريخ غرناطة وما جرى عليها من الاحداث حتى تجمع العبرة الى الاستمتاع بالجمال ..

***

مملكة غرناطة هى المحاولة الاخيرة التى قام بها المسلمون فى الاندلس للاحتفاظ بآخر جزء تبقى لهم من شبه الجزيرة . بعد أن ضيعوا سبعة اثمان شبه الجزيرةتمسكوا تمسك المستميت بالثمن الباقى ، وكان صاحب هذه المحاولة الاخيرة رجل من عظماء الرجال يسمى محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر يقولون انه من نسل سعد بن عبادة سيد الخزرج على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . كان هذا الرجل من عامة الجند ، يرأس جماعة منهم فى بلدة صغيرة قرب قرطبة ارجونه ، وكان يتولى امر الدفاع عن الاندلس بعد انهيار قوة الموحدين رجل يسمى محمد بن يوسف بن هود ، ولم يفلح هذا الرجل فيما اراد لانه لم يكن أهلا للمهمة ، بل ترك قرطبة تسقط فى يد النصارى سنة ١٢٣٦ دون ان يحرك ساكنا ، ثم لم يلبث أن قتل وقد تكالب الاعداء على بقية الاندلس وقد حزموا امرهم على القضاء عليه .

هنا ظهر محمد بن يوسف بن نصر ابن الاحمر ونادى بانقاذ الاندلس ، فالتف حوله نفر من الفرسان وايدته مدائن الاندلس الباقية فى ايدى المسلمين ، وكان ذلك سنة ١٢٣٢ ، واستقر أول الامر فى مدينة جيان قرب قرطبة ، ثم وجد انها مكشوفة تقع فى سهل فسيح ، فانسحب الى الجنوب وصعد الى تلال غرناطة وحصنها وجعلها له موئلا فى سنة ١٢٣٨ ، وتسمع انجاد الرجال فى الاندلس بأمره فأسرعوا اليه ، وتضخمت قواته العسكرية ، ودخل أولا فى ولاء ملك قشتاله حتى يكسب وقتا ، ثم استقل بنفسه ووسع مملكته فضم اليها عددا من مدن جنوب شرق الاندلس ، وقامت بذلك مملكة غرناطة ، التى ظلت تواجه الضغط النصرانى قرنين ونصف قرن من الزمان فلم تسقط فى يد ملكى قشتاله وارجون الا فى يناير ١٤٩٢ .



• مجموعة من اجمل ما تقع عليه العين داخل قصور الحمراء وكلهـــا ماخوذة لبهو الريحان ..



قصة مملكة غرناطة ماساة اليمة ، لان هذه المملكة الصغيرة التى احتفظت بايسر جزء من الاندلس ابتليت بالداء العياء الذى ظل على طول العصور يضنى كيان بلاد العرب والمسلمين .. الخلاف والشقاق والاحقاد وتضحية صوالح الجماعة والاسلام فى سبيل مصالح شخصية واشفاء احقاد ، ولقد درست تاريخ الاسلام عمرى كله فما استوقف نظرى شيء قدر ما استوقفه استمرار داء الحقد والخلاف هذا كانه جزء من طبيعة العرب ، وقد بدا لى فى حين من الدهر أن ادعو الى عقد مؤتمر عربى لبحث ذلك الموضوع ، لان الحقيقة أنه داء او مرض عربى متوطن اخطر علينا من أى مرض آخر ، ولابد لنا من علاجه ، والا فستظل قصتنا مع التاريخ على هذا المنوال المؤسى الذى يضيع علينا ثمرات اعمالنا ويحرم هذه الامة من ثمرات اعمالها ـ وهى عظيمة ـ وسنرى بعد قليل ـ أن أهل غرناطة انشأوا فيها حضارة تفيض ابداعا وجمالا ، ولكن رجال السياسة باختلاف بعضهم مع بعض وحقد بعضهم على بعض ، ورث حضارة غرناطة اعداء غرناطة وفى قصور الحمراء التى انشأها الفنان العربى الملهم استقر الاعداء يستمتعون بثمرات ما انشأنا وطردنا نحن خارج الاسوار ، ولم تبق لنا الا الحسرات ، وهاهى قصور الحمراء قائمة الى اليوم تسحر الالباب بجمالها ، ونحن اصحابها نزورها كما يزورها أى غريب ولقد طالما تمشيت فى ابهاء الحمراء وحدائق جنة العريف الملحقة بها وشعرت بالاعجاب بامة العرب والغضب على أمة العرب فى آن واحد ، ووجدت نفسى اردد قول الشاعر العربى الذى قال :

قومى همو قتلوا اميم اخى
فاذا رميت يصيبنى سهمى

فبنو الاحمر مثلا كان لهم أول الامر حلفاء اقوياء من قادة العرب يسمون بنى اشقيلولة ، وكانت بينهم وبين بنى

منظر عام لابراج الحمراء وحصونها وقصورها فوق تل الحمراء ماخوذة من
ن البيازين المقابل لتل الحمراء وبين التلين يجرى نهر حداره نهر غرناطة .



ـ نماذج من الزليج وهو القاشاني الذى يلصق على الجدران وكذلك اشرطة
الكتابة الزخرفية بالخط الغرناطي وفي أسفل الصورة نرى سقف قاعة الاختين
المزين بالمقرنصات .

الاحمر صحبة ومصاهرة ، فولاهم محمد بن نصر مدينتي وادى آش ومالقة واستمرت الصداقة والتعاون سنوات طويلة .

ثم بدأ الجو يظلم بين الجانبين - بسبب الغيرة والحسد ، ثم انقلب بنو اشقيلولة فاصبحوا اعداء بنى الاحمر ، واسوأ ما في الموضوع انهم لجأوا الى التحالف عليهم مع النصاري ، اعداء الاندلس،وليست هذه أول مرة يتحالف فيها العرب على العرب ويستعينوا بالعدو لشفاء غليل احقاد شخصية ، المهم أن بنى اشقيلولة - وهم عرب مسلمون - اصبحوا شوكة في جنب غرناطة ، وكان المستفيد الوحيد من ذلك العداء هو العدو الذى اسلم له بنو اشقيلولة بلادا اسلامية كاملة وشفوا بذلك غليلهم ، ولكن العدو الذى استعانوا به أكلهم وقضى عليهم ، فأكلتهم احقادهم كما اكلت حلفاءهم القدماء ..

***

وفي أواخر سنوات غرناطة ظهر لهم اعداء آخرون من بنى عمومتهم العرب ، وهم بنو سراج ، وكانوا أسرة فرسان مقاتلين ، بل صاهروا بنى الاحمر ، وتولوا لهم الولايات الواسعة ، ثم عادت الاحقاد فدبت في القلوب ، ووقعت الحروب ،وهرب بعض زعماء بنى سراج الى ملوك قشتالة ليستعينوا بهم على اخوانهم ، ودخلت في الصراع امرأة بارعة الحسن تسمى شريفة حاولت جهدها أن توفق بين الاخوة الاعداء لانها عشقت فارسا من فرسان بنى سراج ، وانتهى الامر بضياع بنى سراج في مذبحة انزلها بهم سلاطين بنى الاحمر، وفي قاعات الحمراء قاعة تسمى قاعة بنى سراج ، سنذكرها بعد قليل ، ويحكى ادلاء الحمراء من الاسبان أن بنى سراج قتلوا في تلك القاعة ، ويشيرون الى بقع حمراء من الرخام ويقولون لك : وهذا هو مجرى دماء بنى سراج التى انتهت الى حوض لا يزال يوجد الى اليوم في تلك القاعة الجميلة.

وقد روى مأساة بنى سراج الاديب الفرنسي الاشهر شاتوبريان في رواية جميلة تسمى آخر بنى سراج تعتبر من عيون الادب الفرنسى ، ولكن صفحاتها حافلة بما يدمى قلب العربى .

***

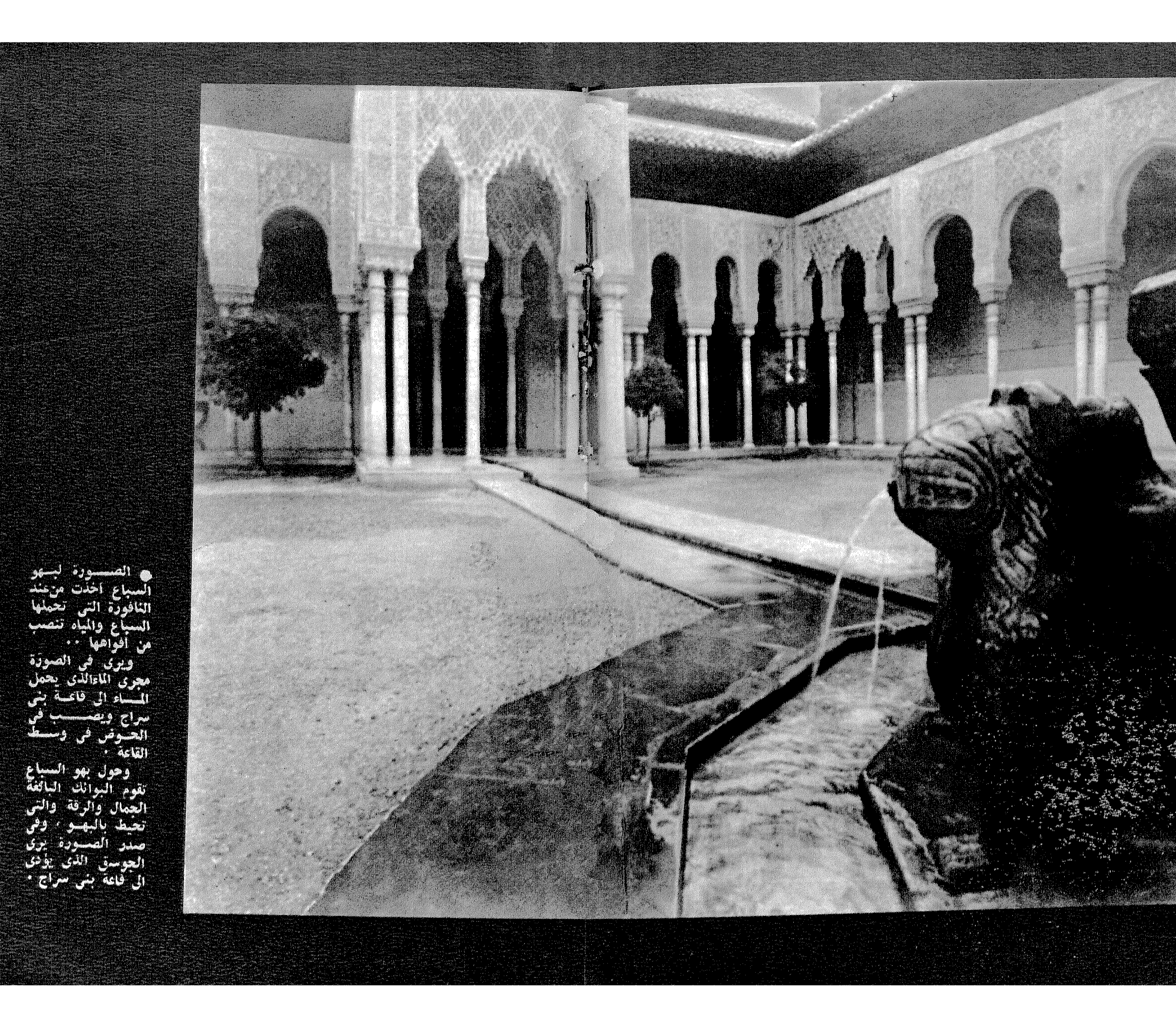
وما ضاعت غرناطة من ضعف ولا جبن ، فقد قاتل عنها اهلها قتال المستميت عاما بعد عام ، ومات منهم في مرج غرناطة وفي الدفاع عن بلادها الوف بعد الالوف ولكن قتلتهم خيانة الرؤساء واحقاد الزعماء ومن جميل ما يذكر في مأساة غرناطة أن رجلا من كبار الفرسان حضر مجلس المشورة الذى عقده ابو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة ليبحث فيه امر تسليم غرناطة لفرناندو وايزابيللا ، نهض واعترض على التسليم وقال : واذا كنا سنسلم وطننا وديننا للعدو فلماذا نعيش بعد ذلك ؟ فقالوا له ، وماذا تريدنا أن نعمل ؟ قال نخرج ونقاتل عن ديننا ووطننا واحسابنا واعراضنا حتى نلقى الشهادة كما لقيها الصحابة رضوان الله عليهم . وسكت الآخرون ولم يجيبوا ، فعاد يقول : انني الآن خارج لكى اقاتل الاعداء ، فما استطيع لقاء الله سبحانه أو النظر في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وقد بعت الدين والوطن . وخرج هذا الرجل لم يتبعه الا رجل آخر ، وانقض على الاعداء فقتل منهم ثمانية قبل أن يقتلوه .

هذا الرجل يسمى موسى بن ابى الغزان ..

وهو دون شك من أمجد ابطال الاسلام ..



منظر حصون الحمراء وقصورها كما يبدو للناظر اليها من الوادى ساعة الغروب المبانى اشباح سوداء فى فضة السماء الملبده بالغيوم



● الصـــورة لبـهو السباع أخذت من عند النافورة التى تحملها السباع والمياه تنصب من أفواهها ..

ويرى في الصورة مجرى الماءالذى يحمل المـاء الى قاعة بنى سراج ويصـب في الحـوض فى وسـط القاعة .

وحول بهو السباع تقوم البوائك البالغة الجمال والرقة والتى تحيط بالبهو ، وفى صدر الصورة يرى الجوسق الذى يؤدى الى قاعة بنى سراج .

انه الشهيد الاخير ..

***

وكل ما تراه من جمال الفن في منشآت الحمراء انما انشأه عرب مؤمنون بدينهم وعروبتهم انفقوا اعمارهم في انشاء هذه التحفة الفنية التي لا تزال تبهر العيون الى اليوم ..

وانت اذا تأملت في هندسة قصور الحمراء ملكك العجب وآمنت معنا بما نقول بأن هذه الأمة موهوبة مبدعة ، وأن مصيبتها جاءت من أن بناءها السياسي كان اضعف من أن يحتمل وزنها الحضاري فناء تحت الثقل ثم آل امره الى السقوط .

***

ان قصور الحمراء تتالف من مجموعات من المباني منشأة كلها على تخطيط هندسي واحد .

فهناك القسم العام ، اى المباني الرسمية الخاصة بشئون الدولة والجمهور ،وهي الشور والمسجد والبهو المكشوف الاول ثم قاعة السفراء التي تسمى بقاعة القمريات او قاعة قمارش وهي دون شك من أجمل قاعات الاستقبال التي انشأها المسلمون ،فهي قاعة فسيحة عالية السقف ، وقرب سقفها صفوف من النوافذ الصغيرة التي تسمى بالقمريات (جمع قمرية بكسر القاف وسكون الميم) وكلها مغطاة بالزجاج الملون ، وهي تفيض على القاعة نورا ذا ألوان .

وسقف القاعة آية من آيات فن الزخرفة الاسلامية ،وقد بلغ من جمالها وتفنن صانعها في انشائها أن باحثا اسبانيا كتب عن ذلك السقف وحده كتابا كاملا .

والجدران كلها مغطاة بشرائط من الزخارف العربية العجيبة ، وبعض هذه الشرائط آيات قرآنية وأبيات شعرية . شيء يحير العقول بجماله حقا .

وخارج هذه القاعة ، قاعة أصغر تسمى قاعة البركة ، وهي بهو مفتوح يفضى الى بهو الريحان المكشوف وبهو الريحان نفسه تركيب فني فريد في بابه .

فأنت اذا وقفت فيه وجدت نفسك في بهو واسع مستطيل مكشوف تتوسطه بركة ماء مستطيلة تحف بها اشجار الريحان وللمرة الاولى في تاريخ الفن يجمع فنان بين خضرة الزرع وزرقة السماء وحمرة ألوان المباني وفضة الماء ويؤلف من ذلك كلا فنيا واحدا ..

فالعين تتملى ذلك الجمال كله وتسعد به ،والاذن تطرب بخرير الماء وموسيقاه والانف تمتلىء بعطر الريحان .

ذلك كله صنعه الفنان المسلم الطيب الموهوب .

وصنعه لملوك لم يعرفوا في حياتهم غير الاحقاد والدماء ، وعندما اجلس في هذا البهو يملكني العجب ، كيف أن هذا الجمال كله لم يوجه الى اولئك الملوك شيئا من صفاء النفس الذى يتيح لهم الاستمتاع بالحياة ..

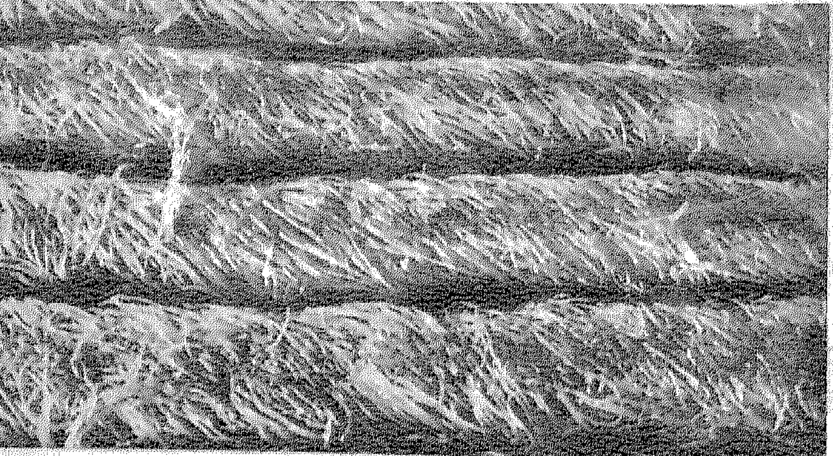
لقد قتل من سلاطين غرناطة خمسة: اغتالهم اعداؤهم بعد حياة قضوها في ظلال الخوف والموت .

وتلك هي العبرة التي اريد أن انقلها الى قارىء هذه السطور في شهر رمضان أن اجمل نعمة في هذه الحياة هي صفاء القلوب وخلاصها من اوزار الاحقاد ، وليس في الدنيا ما يستحق أن يحقد الانسان بسببه على اخيه المسلم العربي

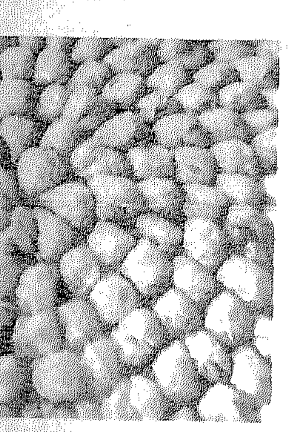


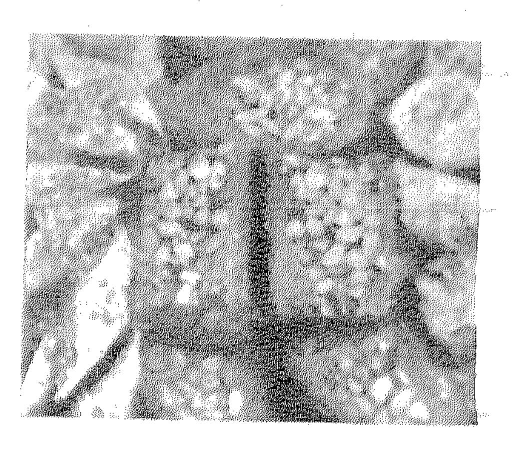
ما زالت الحلوى العربية باصنافها المختلفة تصنع وتباع في غرناطة ،وفي هذه الصورة ترى محلا من محلات بيعها وفيه اصناف لا تغيب معرفتها عن اى عربي

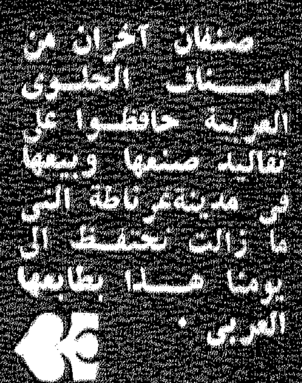




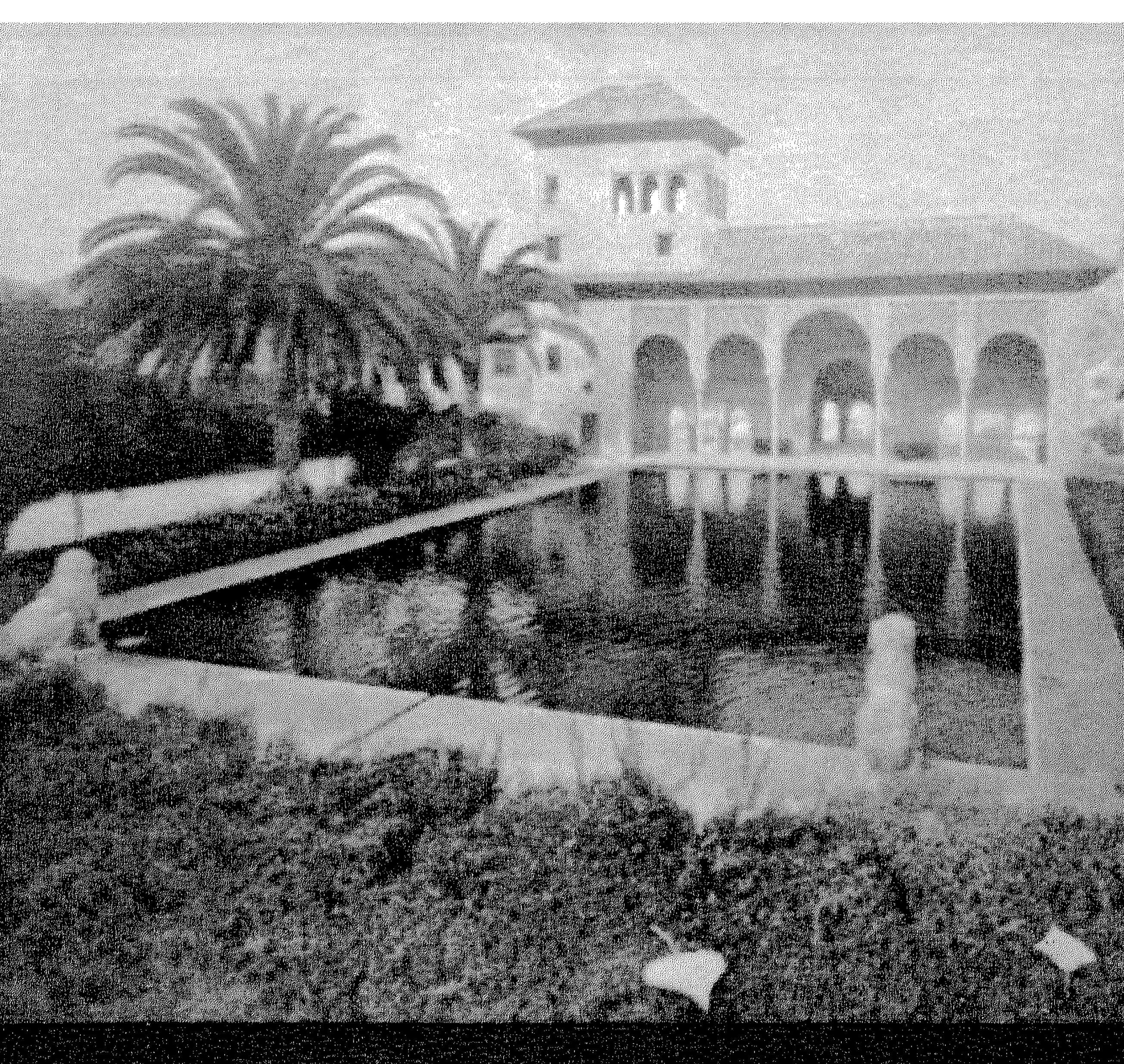
هذه هي الكنافه الشرقية ما زالت تصنع بنفس الطريقة التي نعرفها في بلادنا وهي تباع في شوارع غرناطة وخاصة في الطريق المؤدي الى قصور الحمراء







صنفان آخران من اصناف الحلوى العربية حافظوا على تقاليد صنعها وبيعها في مدينةغرناطة التي ما زالت تحتفظ الى يومنا هذا بطابعها العربي .



ـ مبنى البرطل من اجمل اجزاء الحمراء ويتكون من جوسق بديع وبركة واسعة مزينة بالسباع تحيط بها اشجار الريحان والنخل والزهور .

ومهما يكن بينك وبين أخيك فانك ستجد فى النهاية أن الانتقام والخصومة لا تشفى غليلا فى النهاية ، وان المغفرة من نعم الله الكبرى على الانسان ، ولو كان فى قلوب العرب شىء من الغفران لكانوا دون شك فى طليعة أهل هذه الدنيا ..

ذلك انهم شعب موهوب ، وها نحن فى الحمراء نتأمل جمالها وما ابدعت العبقرية العربية فيها ، وكل ركن فيها يؤكد لك هذه الموهبة ..

وعند بهو الريحان ينتهى القسم العام من مبانى الحمراء وندخل فى الاجزاء الخاصة التى كان السلاطين وآلهم يعيشون فيها ..

هنا نجد التخطيط الهندسى يسير على نفس المنوال .
وحدات معمارية كل منها تتكون من بهو مكشوف مزين بالريحان تحيط به غرف هى فى ذاتها قطع من الفن الأصيل .
وأبدع هذه المجموعات مجموعة بهو السباع .



جانب من جوانب مبانى قصور الحمراء وترى فيه الجدران الحجرية المتينة البناء الى جانب القطع الهندسية الهشة لانها مصنوعة من الجص الزخرفى وكل ذلك يجتمع فى اطار من الفن والجمال .

ففي وسط البهو المكشوف حوض ماء يحمله ستة من السباع ، والمياه تنساب من افواه هذه السباع الحجرية ..

وعلى جانب من البهو الجميل تجد قاعة الاختين،وهي قاعة مثقلة بالزخارف تفضي منها الى قاعة بالغة الحسن هي قاعة عين دار عائشة التي ترى صورة نوافذها في آخر هذا الاستطلاع .

أى ابداع وأى جمال ..

كان الزخارف الجصية قطع من الدنتيللا البالغة الرقة والجمال .

وفي الجهة الاخرى ، في مقابل قاعة الاختين تجد قاعة بني سراج ، وسقوفها مثقلة بزينة القرنصات ، وهي أشكال زخرفية من الجص تتدلى من السقف في هيئة هندسية كأنها القناديل ..

اتدرى لماذا جعلواهذه الزينة الحافلة في سقف القاعة ، والسقف نادرا ما تقع عليه العين ؟

السبب هو أن هذه القاعة جعلت للاضطجاع !

يدخل رب البيت ويضطجع فيها على الوسائد وينظر الى السقف ، وخرير الماء ينساب في أذنه ، ورائحة الريحان تملأ صدره ، ويدب الى عينيه النعاس .

لأن أهل الحمراء لم يكونوا ينامون. كانت المخاوف تعيش معهم . خلف كل عمود كان من الممكن أن ينتظرهم قاتل في يده سكين . كان الموت يترصدهم في كل وسادة،عشرات ماتوا مختنقين : وضع اعداؤهم الوسادة على افواههم وجلست عليها جارية فماتوا .

وراء ذلك الجمال الذى تراه كله كان يرقد شبح الموت العنيف الرهيب.

وغرناطة كلها كان يتربص بها الموت الرهيب : ملوك قشتاله وليون جعلوا يسنون السكين قرنين ونصف قرن لكي تقتل بمجرد اللمس ..

كان سقوط غرناطة أبشع عملية اغتيال في التاريخ ،اغتيال أمة ،واغتيال حضارة واغتيال دين .

***

وبعد فحديث الحمراء طويل

انه حديث الفن والابداع والحضارة

وهو حديث مأساة التاريخ القاسي.

وهو الحديث المتجدد في تاريخ العرب مع بالغ الأسى ..

لكي يستريح قلبك بعض الشيء تعال نخرج معا الى جنة العريف ..

انها حدائق الحمراء الملحقة بها ..

رياض وجواسق وزهور وبرك ماء وخضرة وزهر وسماء زرقاء وهدوء وراحة قلب .

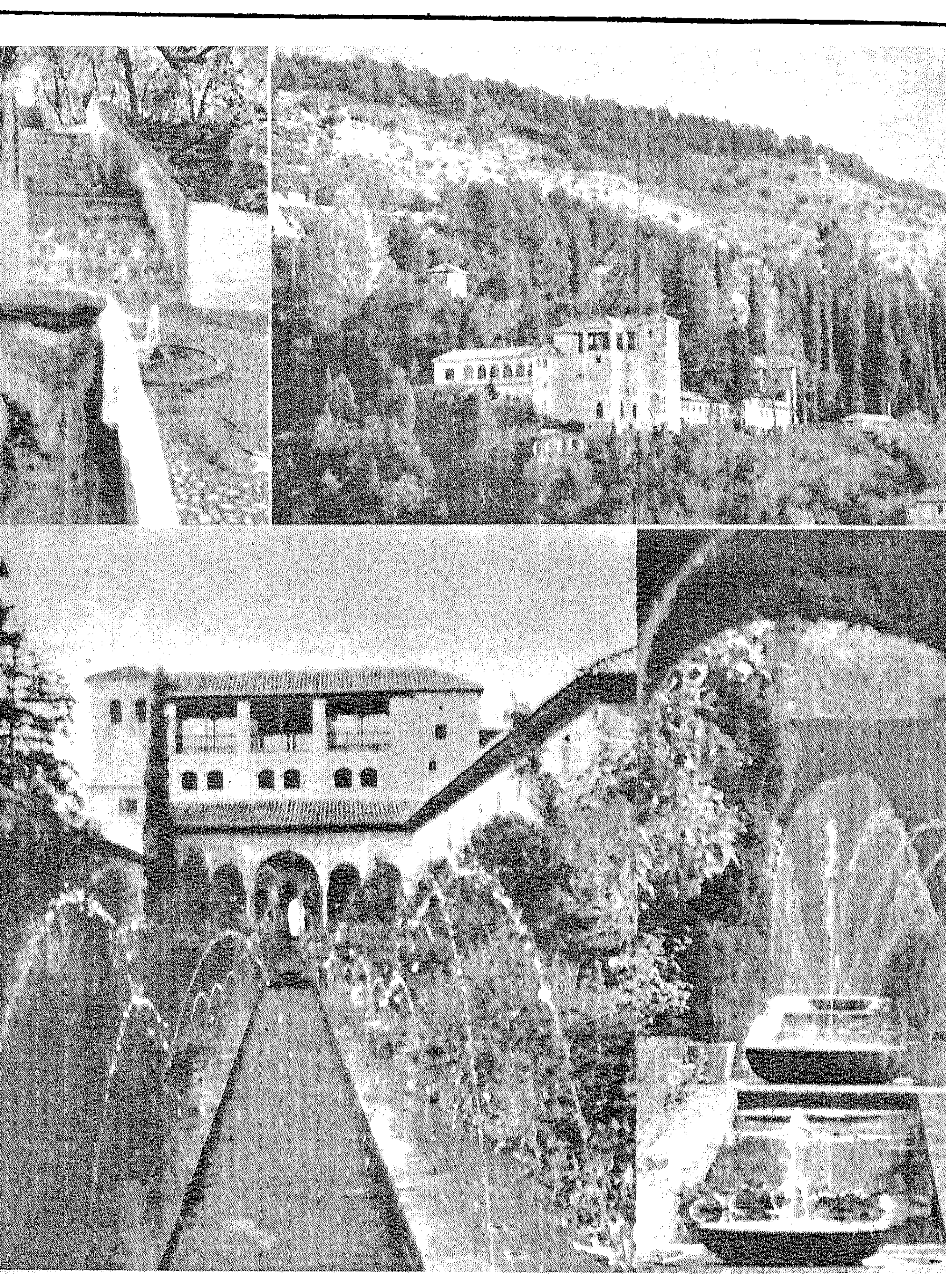
لنجلس هنا في هذا الجوسق الساجي ، حيث لا نسمع الا اصوات العصافير تتنادى وخرير المياه يتهدر الينا من بعيد ..

هنا نجلس ونتأمل ونتفكر في شهر الصيام ونقول ..

اللهم اهد قومنا ، اللهم أرح قلبنا ، اللهم افتح عيوننا وارح العرب من العرب ..

آمين يارب العالمين ..

د : ح . م



ـ أربعة مشاهد تصور أربع نواح من نواحي جمال الحمراء وجنة العريف والصورة الاولى أعلى على اليمين تمثل قصر السيد وهو من القصور القليلة الباقية في الوادى .



– دار عين عائشه نافذة فريدة من نوعها فى العمارة الاسـلامية فى قاعة
الاختين تمتاز بالنافذة ذات الباكيتين والنقوش الجص فوقها التى تشبه
الدنتيلا ، وعين عائشة هى النافورة التى تراها فى الحديقة خارج النافذة .

القبلة الأولى

• سالم حقي •

وحينَ قال فتنتاها … وفي يديهِ ... يداها
يا فتنتي ... وغرامي ! … ضجّ الظما ... وتناهى !
ما ضرَّ لو أنْ تلبّي … هذي الشفاه .. الشفاها ؟!
ونلتقي في عناق … يروي غليل ظماها
يا قبلة ... اشتهيها … ولا يغيب شذاها
وليسَ يندم ... يوماً … من ذابَ في رياها !

***

قالت .. تحدّث قلباً … نزَّ التجاريب .. همسا :
يا قلب .. ماقال .. صدق … ولا أرى فيه لبسا !
ما بالنا ... نتقيها ؟! … كأن في الأمر بأسا
وإنني ، أشتهيها … أحلى من الشهد كأسا !
وأسلمتْ شفتيها … عذراءَ ، تشتاق عرسا
فعبّ ما شاءَ منها … وطابَ بالحبّ نفسا !

***

وبعد حين ، أفاقت … من نشوة عبقريه
وجلى ، تساءل .. ماذا … يمور في شفتيه
ومرّرت أصبعيها … فوق الشفاه النديه
ربّاه ! ماذا دهاها ؟ … في رحلتي الشاعريه ؟!
هذي الشفاه ... أراها … ليست .. شفاهَ صبيه !
لكنْ .. أرقّ وأحلى … شفاه أنثى ، شهيه !

الأدب العالمى..

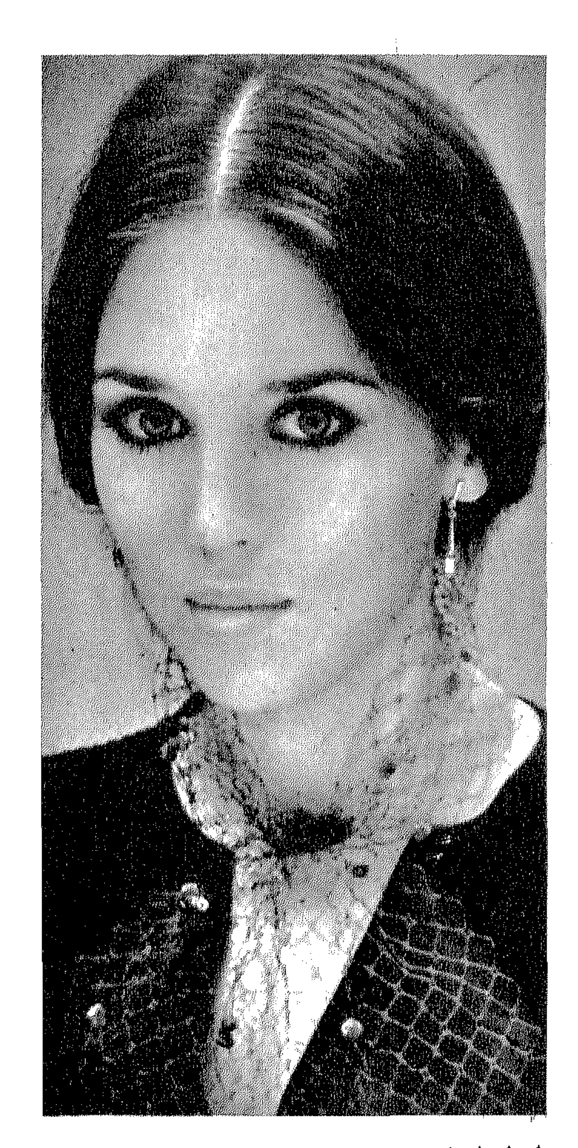
المصدر الأهم في سينما المضمون

● مارى غضبان ●

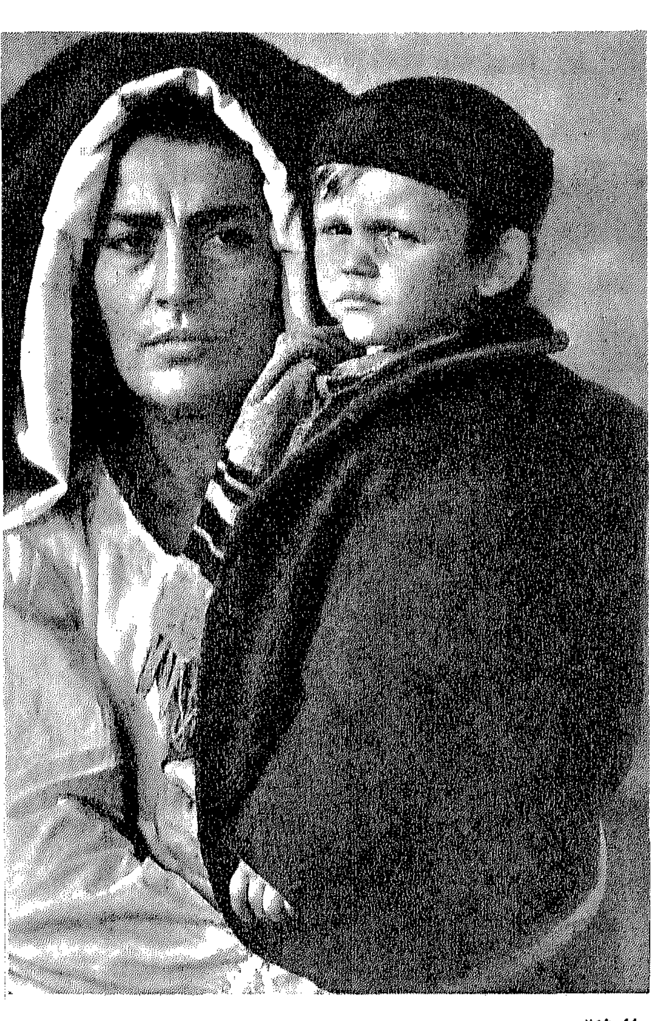
●● في السنوات الاخيرة تصور السينمائيون انه يمكن للسينما ان يكون لها فكرها الخاص ، بمعنى ان يكون هناك ادب سينمائى يعتمد على الكتابات الموضوعة خصيصا للسينما ...
وتحقق هذا التصور فعلا ، بانجاز بعض الكتابات التى نجحت فى تغذية ما يعرف باسم سينما المضمون ... لكن السينما وجدت نفسها تعود مرة اخرى الى الاعمال الادبية كمنهل خصب لسينما المضمون ... واتضح من مراجعة نشاط احدث المهرجانات السينمائية العالمية ان الادب العالمى لا يزال هو المصدر الأهم لموضوعات ومضامين افلام السينما اليوم .

● والادب الامريكى ، على سبيل المثال ، اكثر من اهتمامه باكتشاف القارة الامريكية وتمجيد المكتشفين الاوائل ، ودور رجال الدين . وقد تنوعت هذه الكتابات فى الأدب الامريكى وحولتها السينما الامريكية الى افلام ناجحة ، كانت هى محور الاهتمام فى صناعة السينما ، ومنها « طريق التباك » لارسكين كولدويل ، ورواية « الناموتي » التى وضعها وليم فولكنر ، ورواية « حشائش الهارب » لترومان كابوتى — و « الرجل النادر وجوده » تأليف فالنرى أوه كونر ، وهى روايات تسعى لتغيير الانسان نحو الخير والبعد عن الشر والاتجاه الى القيم المستمدة من الدين فى فترة بناء الدولة والمجتمع الامريكى الجديد.

● ومن بين هذا اللون من الافلام المستمدة من اعمال ادبية كلاسيكية ، تلك الرواية التى عرضت فى مهرجان كان السينمائى الثانى والثلاثين ، والذى عقد مؤخرا على الساحل الفرنسي — رواية « الدماء الحكيمة » تأليف فالنرى أوه كونر اخراج جون هوستن ، وهو من أعرق مخرجي امريكا .. وقد عمل فى كتابة السيناريو وتصميم « الديكور » وعمل بالتمثيل حيث قام بدور سيدنا نوح فى فيلم « الأسقف الكبير » . وحصل على عدة جوائز أوسكار فى الاخراج من فيلم « عندما تنام المدينة » الذى مثلته



ايزابيل ادجانى بطلة فيلم « الاخوة برونتى » .



الممثلة اليونانية ايرين باباس فى فيلم « قرية ابلولى » ..

مارلين مونرو فى اوائل الخمسينات ، والملكة الافريقية بطولة كاترين هيبورن وهمفرى بوجارت عام ١٩٥٢ ، ومولان روج بطولة الممثلة الامريكية المجرية الاصل زازا جابور وجوزيف فيرير ، وجلور السماء بطولة ايرول فلين .. وحظيت افلامه الاخرى بتقدير النقاد والجماهير مثل فيلم « انعكاس فى العين الذهبية » بطولة اليزابيث تايلور ومارلون براندو ... وفيلم « كازينو رويال » بطولة ديبورا كير ودافيد نيفن ، و« التوراه » بطولة آفاجاردنر وبيتر اوتول وريتشارد هاريس ، وفيلم « خطاب الكريملن » بطولة جورج ساندوز وبيبى اندرسن.

ورغم كل هذا النجاح فى افلام بعضها مكتوب خصيصا للسينما والبعض الآخر مستمد من اعمال ادبية ــ فان فيلمه الأخير« الدماء الحكيمة » المأخود عن رواية ادبية بنفس الاسم قد اثار جدل النقاد ومناقشاتهم ، لأن موضوع الفيلم يدور حول شاب تربى فى بيئة دينية حيث يعمل والده واعظا وقسا فى كبرى كنائس المدينة ، لكنه أى الابن لا يعترف بان هناك خطيئة ، ولهذا يدعو الى تعاليم جديدة لا تقوم على نفس الاسس التى تقوم عليها دعوة المسيحية ، مثل التطهر من الخطايا وان المسيح سيطهر العالم منها . وينتهى الصراع بالشاب الذى يجد معارضة من كل المحيطين به فيصاب فى عينيه بالعمى بعد أن يضع وجهه فى



مشهد من الفيلم الايطالي « قرية ايبولي » ..

الجير المشتعل مفضلا الظلام عن متابعة معارضيه فى نور الحياة التى يرفضها.
وكاتبة هذه الرواية فالنرى أوه كونر تأثرت بنشأتها الدينية حيث كان والدها من رجال الدين فى ولاية جورجيا فى الجنوب الأمريكى ، وقد ماتت عام ١٩٦٥ فى سن التاسعة والثلاثين بعد اصابتها بسرطان الدم .

● وهناك كاتب أمريكى آخر اهتمت السينما البريطانية بموضوعاته فى أفلامها الجديدة ، هو هنرى جيمس وروايته هى « الأوروبيون » ويدور موضوعها حول من يتصورون ان امريكا ماهى الا أرض الذهب والمال .
وموضوع الرواية حول اسرة مكونة من اخ واخت تفككت اواصرهما العائلية فى أوروبا ، فهاجرا الى بوسطن لكى يلتقيا بأبناء عمومتهما الأثرياء ، وفى بوسطن يبدو لهما التناقض بين الحضارة التى تركاها فى أوروبا والوضع البدائى لامريكا فى تلك الفترة ....
وقد نجح الفيلم فى ان يجسد هذه الرواية من خلال اسلوب سينمائى رفيع اشرف عليه المخرج البريطانى جيمس أيفورى .

وللكاتب هنرى جيمس رواية مشهورة هى « الابرياء » التى سبق ان قدمتها السينما فى فيلم من اخراج جاك كلايتون بطولة ديبورا كير فى دور المربية لطفلين تعود الى المنزل فتفاجأ بكوارث تجعلها مسئولة عن الطفلين بعد المأساة التى حلت بوالديهما ... وفى الفيلم قام مارلون براندو بدور الحارس وهو من أوائل ادواره السينمائية .

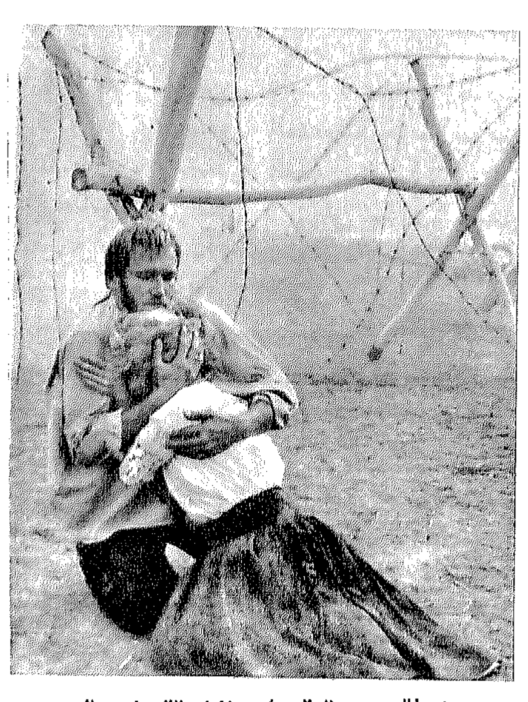
● والسينما الايطالية تهتم بالأعمال الادبية ومعظم افلام صناعة السينما الايطالية مأخوذ عن أعمال أدبية عالمية

ويساعدهم على العودة .

● واذا كانت السينما الاسترالية حديثة العهد بالنسبة لغيرها من النوعيات التى اشتركت فى مهرجان « كان » الا أنها قدمت فى المهرجان فيلما ذا مستوى جيد، مأخوذا عن رواية نشرت عام ١٩٦٥ للكاتب الاسترالى مايلز فرانكلين ، والفيلم يدور أيضا حول بداية الحياة فى القارة الاسترالية فى أواخر القرن التاسع عشر ، ويركز الفيلم على عائلة فقيرة تعيش فى منطقة الجفاف ، وتنتقل العائلة الى مكان اخر وتجد الابنة مناخا اخر وحياة اخرى مفتوحة ، ويربط الحب بين الفتاة الرومانسية وشاب مادى يبحث من الثروة . وينتهى الحوار العاطفى بينهما بتفضيل العودة الى البقعة الفقيرة التى عاشت فيها ورغم ان الفيلم « مهنتى اللامعة » لم يكن على مستوى جيد فى المضمون الذى اخذوا عنه الموضوع فى الرواية التى كتبها مايلز فرانكلين ، الا ان الفيلم يمتاز بتصوير جيد ومعالجة رقيقة للاحداث والفيلم من اخراج امراة تعمل لاول مرة فى السينما الروائية وهى جيل ارمسترونج .

●● **وليست الاعمال الامريكية والايطالية والاسترالية هى الوحيدة فى مهرجان « كان » المأخوذة عن اصل ادبى لكن الحال كذلك بالنسبة للسينما الالمانية التى قدمت فيلم « فوجتسك » المأخوذ عن رواية جورج بوشنر ، اخراج فرنارد هيرتسوج .**

والسينما الفرنسية عرضت « الاخوة برونتى » عن رواية الاخوات الاديبات « برونتى » اخراج اندريه تشينيه بينما قدمت السينما المجرية فيلم « رابسو دى انجرواز » أى « المعزوفة الموسيقية المجرية » اخراج يانشوميكلوش



معزوفة موسيقية على الطريقة المجرية ..

او ايطالية ، واحدث افلام ايطاليا المأخوذة عن عمل أدبى معروف فيلم « قرية ايبولى » قصة كارلو ليفى ، واخرج الفيلم فى السينما فرانسيسكو روزاى الذى اشتهرت له افلام المافيا ، ونقد العدالة الايطالية ، واحتكار الاسكان .

ومضمون الفيلم يدور حول طبيب يرسله الفاشيست الى افقر قرى جنوب ايطاليا « ايبولى » ويكتشف هناك اسباب الفاقة التى تفوق التصور التى تعيشها هذه القرية حتى أن الحكومة تناست وجود قرية بهذا الاسم ، ويحاول انقاذ الاهالى من المرض وتوجيههم الى العمل الذى ينقذهم من الفقر ، ولكن المركزية الفاشية فى روما تحاربه وتطالبه بالعودة الى روما ، لكن فلاحى واهالى القرية يودعونه ويطالبونه بالبقاء



زكي مبارك في ذكرى ميلاده

● كريمة زكي مبارك ●

« ولدتني أمي في الخامس من أغسطس سنة ١٨٩١ فاضيف الى الوجود خير جديد وشر جديد »

زكي مبارك

عن يوم مولده كتب أيضا الدكتور زكي مبارك في السادس من أغسطس سنة ١٩٥٠ على صفحات جريدة البلاغ:

أنا لا افكر في غدي
فالله دفاع الكروب
سيثيبني عما صنعت ..
هو وحده الروح المثيب
لغة « الكتاب » نشرتها
كالزهر في الوادي الخصيب

ولقد كان زكي مبارك وطنيا صادقا ، وناقدا جريئا له صولات وجولات ، اتصل بالصحافة في فترة مبكرة من حياته ، وفي سنة ١٩٢١ كان رئيسا لتحرير جريدة الأفكار ، وشارك في ثورة ١٩١٩ وكان من خطباء الثورة وشعرائها وأسهم في اشعال الثورة ضد الانجليز بخطبه النارية واشعاره الحماسية التي كان ينشرها في الصحف والمجلات . وكان كثيرا ما يثير ثائرة الجماهير بخطبه الملتهبة في الأزهر الشريف فاعتقله الانجليز ..

وتحدث زكي مبارك في كتابه البدائع صفحة ٤٩ عن ليالي الاعتقال وعن الخطابات التي وصلته في المعتقل . ونشر خطابا أرسله الى صديقه أنيس ميخائيل والذي كان يلجأ الى منزله بحي القللي حتى لاتعرف السلطات البريطانية مكانه ، وجاء في الخطاب :«سأضرب صفحا عن الدمعة التي سكبتها على القرطاس لأن مثلي لا يبكي له ولا يبكى عليه ، وانما خلقت لأكون مثلا في الشمم والاباء .. ولو كان بي حب الدعة والطمانينة لما مكثت في المعتقل هذه الشهور الطوال ، فقد فكر القوم في مساومتي لأول لحظة وطئت فيها ثكنة قصر النيل ، ولكني افديت عيونهم حين أريتهم كيف يطيب لي الشقاء في سبيل البلاد . واقسم لو سلم المصريون جميعا وخرج مصطفى كامل من قبره ليصافح الانجليز لما كان في ذلك ما يزحزحني قيد انملة عن معاداتهم حتى يكون الجلاء . ليست انجلترا هي العدو الوحيد للامة المصرية بل هناك عدو آخر ما زال من قبل يبطش بالامة غير وان ولا راحم ، وهو الجهل ..

« هذا العدو اللدود الذي تستعين به انجلترا لاغتصاب وادي النيل ، وسأعرف ماأصنع يوم أعود الى القاهرة ولو بعد حين ، سأعرف كيف أصب الصواعق على رءوس من يستغلون جهل الأمة فينالوا به ما لهم من سيء الأغراض ومنكر الشهوات »

وخرج زكي مبارك من المعتقل ، وعاش يتغنى بمصر ، وكان صادق الايمان بالقومية العربية غيورا على اللغة العربية ، يرى أن اللغة العربية هي أهم مظاهر الاستقلال ، وان حفظ اللغة هو الأساس في حفظ الاستقلال .

واشار زكي مبارك الى أن العرب مقبلون على تاريخ جديد لا تنهض قواعده بغير الاخاء الصحيح ، وفي سبيل معتقداته خاض زكي مبارك الكثير من المعارك الأدبية .

● تحية عطرة الى زكي مبارك في ذكرى مولده ، وسلام الله على احباب الوطن والحرية .

منوعات

يانيل

هل شق مجراك البشر أم أنت من صنع القدر
يا نيل انت حياتنا لله درك من نهر

روضتنا

لنا روض به الاطيار تهفو لموعدنا اذا حان الاصيل
وان سرنا وقد ذبنا غراما يزف غرامنا شدو جميل

أيام

اين من عينى أيام الوصال ياحبيب العمر يارمز الجمال
حين كان القلب يشدو بالهوى يجتلى الاحلام فى دنيا الخيال

سابحات

حول حمام السباحة سابحات . . فاتنات
فى رداء البحر سرن غاديات . . رائحات
تحت شمس الصيف نمن كاسيات ، عاريات
فى خضم الماء حينا ثم حينا قافزات
قد حسدت الماء لما ضم جمع السابحات

البحترى الصغير
« عمر شاهين »

مرآة الفكر
الغربي

بودلير زهور الشر

● شاهيناز حسين عمر ●

ولد شارل بودلير فى باريس عام ١٨٢١ لوالد فى الستين من عمره . وقد ترملت امه فى عام ١٨٢٧، وتزوجت فى العام الذى يليه من القومندان أوبيك الذى أصبح فيما بعد جنرالا وسفيرا وعضوا فى الجمعية الوطنية .

ثار بودلير على هذا الزواج وهو بعد طفل ، ولم يكن متفاهما مع زوج أمه ، فوضع للاقامة فى « بنسيون » فى ليون وبعده فى مدرسة لويس الأكبر .

فبدت مواهبه ، وظهرت إتجاهاته فى السخرية ، وأقبل على هواية الرسم وعلى الفلسفة ، والاحزان الثقيلة والاحساس الدائم بالوحدة ..

عاش الأعوام الثلاثة من حياته – من ١٨٣٩ الى ١٨٤١ – حياة بوهيمية فى الحى اللاتينى ، يقرأ كثيرا وينفعل كثيرا ، وتنقله أسرته ، لتنقذه

حديث

انت سماء خريف جميلة ، صافية وردية
ولكن الحزن الكامن فى عيني يعلو كالبحر ، ويترك ، وهو ينحسر ، على شفتي المريضة ذكرى حارقة حطمها طعم ليمون مر
ان يدك تنزلق دون جدوى فوق صدرى الواهن
انهما تبحثان يا صديقتى عن موضع جريح
عبثت به وشعثته اظافر امرأة وحشية واسنانها
لا تبحثى عن قلبى بعد الان ، فان الوحوش قد اتت عليه
ان قلبى قصر عبثت به يد الزمان
ففى هذا القلب الواهن يسكرون ويتقاتلون ، ويتماسكون بالشعور.

ان عطرا عاصفا يثور حول رقبتك
آه يا جميلة ، انك عذاب للارواح، وانت تريدين ذلك
بعيونك التى تبعث الشرر ذات بريق الاعياد .
احرقى هذه الخرق رمادا
تلك الخرق التى اعفى من لهبها العجماوات

من حيـــاته البوهيمية ، الى بوردو على مركب شراعي مســـافر الى الهند عـام ١٨٤١ ، وبسبب دوار البحر لم يستطع مواصلة السفر لأبعد من جزيرة بوربون ويعود بعد ذلك خلال عشرة أشهر على المركب ، وكان وحيدا يتصرف بكبرياء لا يحفل بشيء غير الأدب .. وقد زادت هــذه الرحلة من حســاسيته وفتحت اهتماماته بالســـفر والبحر والشمس وكل ما هو غريب فى عالمه ..

وبعد عودته حصل على نصـــيبه فى ميراثه عن والده وبدأ يعيش حيـــاة بوهيمية باذخة كان يعتبرها رمـزا على تفوقه الارستقراطى الفكرى .

وتلجأ عائلته الى القضاء ، ثم تحــدد له دخلا لا يتجاوز مائتى فرنك شهريا ــ فى عام ١٨٤٤ ، ومنذ ذلك الحين بدأ يعيش فى ضيق مادى ، ويقع أخيرا فى غرام جان دوفال ، التى بقيت رفيقتــه الأثيرة حتى أواخر أيامه .

بالنســبة لنشـــاطه فلقد تفــرغ فى البداية للنقــد الفنى ، ثم اجتــذبته السياسة لفترة خــلال ثورة ١٨٤٨ ،وأسس جريدة ينشر فيها مقالات عنيفة ولكنه يعود سريعا للأدب منذ ١٨٤٦ الى ١٨٤٧ ــ ويكتشف فى أعمــال ادجار بو ما يتردد فى نفسه ، فيترجم اعمــاله وقصصه فى عام ١٨٥٥ .

ويوالى نشر قصــائده فى مجــالات مختلفة من عام ١٨٥٢ الى ١٨٥٥ .

وفى عام ١٨٥٧ نشرت اعمــاله فى كتاب « زهور الشر » ، وينشر الطبعة الثانية مضافا اليها ٣٥ قطعة شـــعرية جديدة .

وفى عام ١٨٦٤ ينفى الى بلجيكا ثم يعود الى باريس عام ١٨٦٦، وقد حطمه المرض ، ليموت عام ١٨٦٧ .

BAUDELAIRE : LES FLEURS DU MAL

CAUSERIE

Vous êtes un beau ciel d'automne, clair et rose !
Mais la tristesse en moi monte comme la mer,
Et laisse, en refluant, sur ma lèvre morose
Le souvenir cuisant de son limon amer.
Ta main se glisse en vain sur mon sein qui se pâme;
Ce qu'elle cherche, amie,est un lieu saccagé
Par la griffe et la dent féroce de la femme.
Ne cherchez plus mon coeur; les bêtes l'ont mangé.
Mon coeur est un palais flétri par la cohue;
On s'y soûle, on s'y tue, on s,y prend aux cheveux !
Un parfum nage autour de votre gorge nue ! .
O Beauté, dur fléau des âmes, tu le veux !
Avec tes yeux de feu, brillants comme des fêtes,
Calcine ces lambeaux qu'ont épargnés les bêtes !

عنق الزهرة يلتوى

• هدى جاد •

كفها تقبض على كفه ... خطوتها تسبقه . صدى سيرهما يؤلف لحناً موسيقياً عزف من عصور خلت.. تلمح أخريات وآخرين وراءهما، امامهما ، على جانبى طريقهما .

قامتها ترتفع ، تطل عليه من شاهقها ، يخفق قلبها .. امومتها تغزو أفكارهارغم عدم ارتباطها بالزواج ... آه ، الزواج ... كلمة يرن صداها فى زوايا عقلها.. كلمة توارثها الخلف عن السلف ... همست اليها جدتها وهى تمصمص بشفتيها : حسرتى عليها وداد هذه ،فاتها قطار الزواج !

وتدعم أمها هذه المأثورات بقولها

ـ نفيسة تحتاج لاقراص !

وتعقب هىبسذاجة واخلاص ـ اتشكو من علة ما ... نفيسة !؟

ـ أبدا .. لكن موصوف لها اقراص لتحتفظ بنضارتها فلم يطرق بابهاعريس!

كل يوم تحدق فى المرآة ، لتؤكد لنفسها ، أنها ما زالت شابة نضرة ، ثم في طريق سيرها الى عملها تواصل عملية التحديق الى المارة لتستوعب لغة الاعين الشاخصة اليها .. أهى استحسان وتمن ، أم رثاء ورفض ؟ أرادت أن تمنح نفسها اجازة ليستريح العقل وتهدأالنفس فماذا صنعت ؟

راقبت الطير ، الحيوان ، النبات ... أحق أنها طبيعة قادرة مهيمنة ؟ وكيف لقنت كائناتها الحب، الوئام، التلاقى ؟ كائنات خرساء صماء ، لا ... ليست صماء ، والا فكيف تتغابى عن موسيقى زقزقة العصافير وهديل الحمام ؟ . .. هناك أيضا حروب ، والحروب لابد أن يكون من ورائها دوافع ـ استرداد حق ، بناء وتعمير ، حب .. سلام .

النبات .. بعضه يمثل القوة ، الالفة، الجمال ...

لابد لفريق أن يتسلط على آخر ، لا يعقل أن تنشأ حياة لا يسودها الا الحرب ولا يعقل أيضا أن تخلق دنيا لا تمثل الا الحب ... كيف ؟ كيف تستنكر حياة يسودها حب فقط ؟ الحب الذى ينشده كل كائن يدب على الارض .. لكنهاوجهة نظر والا ... فسيصاب العالم بالكساد فى كل شىء ... يتراخى الفرد ،تستكين عضلاته وأجهزته ، فكل شىء باق ، يزرع يحصد يؤتى ثماره .

والعالم يحب بعضه بعضا ، يتوالد ، يتكاثر ، يستمر ... لكن لب المشكلة هى .. من يهيمن على من ؟ الذى تقبض كفها على كفه ؟ الذى تقصر قامته فلا يكاد يشب عن الارض ؟

الرجل يهيمن دائما وأبدا ـ لم ؟ أهى شريعة الغاب أم السماء أم هما معا ؟.

هناك فى أقاصى العالم ، هناك فى بلدة ما هناك فى الصين لعلها الصين ...قامت تقاليد تلقن : عليك أيتها المرأة الانثى ، الاترتبطى الابواحد من أسرة معينة . ربما لم يولد بعد . فانتظريه .. سنوات . لتكن عشرا بل هى تعدت العشر ، صارت عشرين !.

هذا الذى تقبض كفك على كفه ، طفل فى الثامنة من عمره .. زوجك أهلك منه وزوجه أهله منك ... صدى سيركما يؤلف لحنا موسيقيا ، لكنه نشاز ... **يدفع هذه العصافير كى تطير من فوق أعشاشها ، وتشمئز انثى الحيوان من ذكرها ، ويلتوى عنق الزهرةبعدالتفاتتها. المرأة صاحبة الثمانية والعشرين منعمرها تلك التى تقبض كفها على كفه ـ تطالب بالطلاق، فلقد صدر قانون يحث علىانهاء وضع خاطىء سنته قوانين متحجرة عفا عليها الزمن ! ..**

يقولون لها اتريدين حربا ؟

قالت ـ لا !

لم يسألوها هذه المرة ...

طرحت هى السؤال ، وتطوعت بالاجابة :

ـ كانت حربا لاسترداد حق ... اما اليوم فسلام ، سلام ، لا للتسليم او التفسير ، لكنه سلام تغيير... سلام بناء !.

من العدل الإسلامي

● ساوم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – رجلا على شراء فرس . وركب الخليفة الفرس ليختبره ، فأصيب الفرس بعطب في اثناء جريانه بالخليفة، فرده الى صاحبه، فأبى قبوله ، واصر على الحصول على ثمنه، لأنه سلمه الى الخليفة سليما بدون عطب ..

واحتكما الى شريح القاضي ، فلما استمع القاضي الى كلام الرجل والخليفة أصدر حكمه قائلا : يا أمير المؤمنين ، خذ الفرس وادفع ثمنه ، أو رده سليما الى صاحبه !.

ونفذ عمر حكم قاضيه ، واخذ الفرس ، واعطى صاحبه ثمنه .

● خير المعروف ●

جلس الامام على بن ابى طالب وعمه العباس بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب – رضى الله عنهم – ينتظرون خروج النبى – صلى الله عليه وسلم – وجرى بينهم الحديث ، فتذاكروا المعروف ، فقال عمر : خير المعروف تعجيله ، وقال العباس : خير المعروف تصغيره ، وقال الامام على : خير المعروف ستره ..

وخرج عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسألهم : فيم تتذاكرون ؟ فذكروا له ما قال كل منهم، فقال عليه الصلاة والسلام : خير المعروف ان يكون هذا كله فيه ، فاذا عجلته هنأته ، واذا صغرته عظمته ، واذا سترته تممته ..

● تركة الرسول ●

عن عمرو بن الحارث قال : ما ترك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا الا سلاحه ، وأرضا كان قد جعلها صدقة لابن السبيل ، وناقته العضباء التى كان يركبها ، والتى حزنت عليه ، فلم تأكل ولم تشرب حتى ماتت ..

● الشهادة ●

تقدم رجل ليشهد في خلاف بين جماعة أمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقبل أن يتكلم نبهه الرسول الى خطر الشهادة ، وأمره برفع بصره الى السماء . ثم سأله : هل ترى الشمس ؟ قال : نعم . قال : هل يسترها سحاب أو حجاب ؟ قال : لا . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : على مثلها فاشهد !.

● الخير ●

عن ام سلمة رضى الله عنها قالت : هذا ما سال محمد ربه : « اللهم انى اسالك خير المسالة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير العمل وخير الثواب ، وخير الحياة وخير الممات ، وثبتنى ، وثقل موازينى ، وحقق ايمانى ، وارفع درجتى ، وتقبل صلاتى ، واغفر لى خطيئتى ، واسالك الدرجات العلا من الجنة .. آمين » ..

● محسن فهمى ●

قصة

التطهر

● محمد عثمان صالح ●

● وابكى والبكاء مر ، وابحث عن أى شيء التمس منه بصيصا من النور ، واظل اهيم على وجهى باحثا عن مرفأ يطمئن قلبى ، ويودع به شيئا من الامان ، واشعر كما لو اننى قد رحت فى غيبوبة عميقة .

واسأل نفسى سؤالا مريرا :

ترى هل انا موجود الان ؟

واظل ارفع صوتى المتحشرج المكتوم فى اعماقى ، واصرخ بحدة ..

عسى ان يأتينى صوت اى صوت ، ولكن لا صوت يأتى .. هانا استغرق فى وحدتى بلا انيس ... واسأل نفسى مرة أخرى :

ترى هل ظلمت نفسى ، ترى هل وقعت فى متاهة أو دوامة من دوامات القلق ... هل اخطأت فى شيء ما ؟ .. وابحث ، ابحث ، افكر ...

واشعر ان تفكيرى باهت الملامح بلا مذاق ... دائما انا هكذا !

كريشة فى مهب الريح تحلم وتحلم وتحلم ، وعندما اعلو انسى ان الرياح هى التى تحركنى كيفما شاءت .. واخرج مما انا فيه ، اعود الى الماضى البعيد ..

كان الفجر ورديا ، وكانت الاحلام والمنى تغدو رائحة امامى ، وانا انهل من معينها الاثيل رشفات هى نبض الحياة ، وخفقات القلب ، وانوار الروح . ترى لم تبدد كل هذا الامل ؟ .. لم بدأ اليقين يزوغ عن بصيرتى ويتوه ؟ واين هويتى الآن ؟ اين هى ؟ ولم تلك الظنون الشاحبة المليئة بالاوهام ؟

وتعلو أصوات من داخلى :

انت غرقت فى بحر بلا قرار ، وحجب عنك ضوء النهار .

وارتعد .. انتفض !

اشعر ان ضوء النهار مازال يعشش داخل قلبى وضاء منيرا ، وأن أسارير الوجه منبسطة بعض الشيء .

وها هى ابتسامتها التى تنفث فى قبس روحى نورا ونارا تتألق فى نوازع نياط قلبى وتختلط .. تمتزج بها لتشعل داخلى رغبة فى الحياة .. رغبة فى البقاء .

وها هو بريق شعرها يلمع تحت شعاع الشمس يضاهيه مختالا والقا ، يسلب من فؤادى الأحزان

وتأتى الى .. تقترب منى .. اقترب انا منها ولهان مشتاقا . احس ان روحى تتوحدالان معهـا . يظل الحب . الحب فقط . الروحان اوشكتا على التلاحم .. وتنهال على فيوضات النعيم ، وارتع فى مرافىء الاحلام المرصعة . وفجأة بلا مقدمات ...

يحيط مكاننا ـ انا وهى ـ ايقاع همجى من زمن بدائى .. وتذبل وردة الروح ، والجسد يرقص على انغام وحشية . وتركض اقدامى ، وتقفز فى ضراوة هستيرية ، واظل اصرخ .. اصرخ حتى تتقطع انفاسى ، وتتهدج دقات قلبى .. وافقد الوعى تماما .

واستيقظ .. استيقظ حزينا محروما ، وابكى والبكاء مر ، وابحث عن اى شيء التمس منه بصيصا من النور ، واظل اهيم على وجهى ، باحثا عن مرفأ يطمئن قلبى ، و .. ، واتطهر.
اتطهر فى دموعى ..

روح المنى

• د . مصطفى الجندى •

يا منيتى فاضـت اليك مدامعى
وتالبت ، لما ذكـرت مـواجعى
تهفو لرؤياك الحبيبـــة اعينى
وتتوق للشدو الطروب مسـامعى
فاقبل الوجنات رائعـة السنا
وادغدغ الثغـر الحبيب باصبعى
يا منيتى ، تاقت لحملك اذرعـى
مهدت صدرى مرجعاـهل ترجعى
ومددت من عينى للهوك مرتعـا
وجعلت مهدك ناعمـا فى اضـلعى
تتضاحكين ، فتضـحك الدنيا لنا
وتغـردين ـ يلذ عيش السـامع
او تعبثين فكل عبثك صـائب
يافتنة اخذت بكل مجـامعى !
كيف الصباح ونور وجهك غائب؟
كيف الشروق وشمسنا لم تطلع ؟
انسيت احلام الحيـاة وسحرها
كيف الحياة ومنيتى ليست معى !
يا فرحة .. باتت بقلبى حسـرة
أين اللقا .. ام ذاك حلم مودع ؟!

استاذ بجامعة كامبيناس
البرازيل





● د . السيد الجميلى ●

● اكثر امراض الصيف انتشارا حمى التيفود والباراتيفود وكلتاهما تنتقلان خلال الأغذية غير النظيفة .

هبوط كلوى

تبدى الكلى قصورا تاما وعجزا كاملا لقلة حيلتها فى التكيف مع المتغيرات الفسيوبيولوجية للجسم نتيجة بعض التفاعلات البيوكيميائية الحيوية الداخلية به، وعادة مايصحبها ارتفاع نسبة البولينات فى الدم اكثر من ٥٠ مجم فى كل ١٠٠ سم٣ من الدم، وهنا يتعذر على البول النزول تماما من الحالبين . وقد ينزل الى المثانة البولية القليل جدا منه بنسبة لاتزيد على ٤٠٠ سم٣ من البول كل ٢٤ ساعة . وهذا كله ناجم عن الالتهاب الكلوى الحاد ، أو الانسداد المزدوج لكلا الحالبين وهذا بالطبع يؤدى الى تلف النسيج الكلوى .

الامساك

كثير من الرجال وقليل من النسوة يميلون ويملن الى تقبض الامعاء حيث أن افراغ محتويات امعائهم لا يتم الا مرة كل يومين او ثلاثة أوأربعة بينما المعدل الطبيعى هو مرة واحدة كل يوم ، من ثم نراهم يلوذون بالملينات على كافة انواعها بل ويدمنون تعاطيها ويجدون فى الحرص عليها ، طول العمر ، ويتجاهلون وقد يجهلون ما تحمله اليهم من أضرار ، فالارتباك المعوى بالمصارين يزداد حدة بالقلق النفسي والاضطراب الذهنى أشد تسببا لبعض هذه الامراض .

وننصح مرضى الحميات على وجه العموم بأخذ شربة زيت الخروع للقضاء على تقبض الأمعاء ، وازالة الامساك الذى يؤذيهم ويؤلمهم أشد الايلام .

الاسقربوط

هذا المرض ناتج عن نقص فيتامين ج فى الغذاء وهذا يكثر عند كبار السن والذين يعيشون وحدهم فى عزلة ويخلو غذاؤهم من الفواكه والخضروات الطازجة التى تحتوى على هذا الفيتامين والذى تنجلى اعراضه بعد ستة اشهر على الاقل من نقصه فى الغذاء ، وفى هذه الحال يشعر المريض بأنه منهوك **البدن خائر القوى مع الميل للنزيف الشديد من الانف واللثة دون سبب ظاهر ومع مجرد التماس بها معظهور طفح جلدى ، ونزيف فى المفاصل والركبتين مع نقص تخليق الهيموجلوبين وانيميا حادة وبطء التئام كسور العظام .** ●

قصة البرتقالة

● محمد صلاح الدين ●

يجيء ابوها كل حين يسكب في العربة الخشبية حصاد العمارات الشاهقة المنمقة بالفسيفساء في الحي الراقي ، وتقوم الفتاة ذات الثماني سنوات بالقفز فوق قمة الكومة الجديدة ، تفترشها .. وتعيد القفز عليها مرة اخرى ، حتى تغوص قدماها وتصطدما بقاع العربة ، حينئذ تلتقط اى شيء وتذهب به الى احد اركان العربة فتجلس تعبث به في ضيق من انه ليس ثمة شيء نادر عثرت عليه .. ولكن هناك دائما املا تترقب تحقيقه في كومة جديدة حتما ستصلها بعد دقائق طالت او قصرت ..

***

تمر دقائق الانتظار عليها ثقيلة وكأنها الدهر .. الشارك سلواها في الانتظار تلك الوريقات الملونة الصغيرة التى تتمزق بين أصابعها فتكون لونا وشكلا زخرفيا جميلا وسط الوان واشكال متنافرة !.

وتجيئها الكومة الجديدة ، كبيرة هذه المرة .. مليئة بفضلات لها اشكال والوان جديدة عليها ، تبرق عيناها على منمنمات تتسربل على الكومة كسيل ممطر على قمة هرم ضخم .. وجرى من هذا السيل شيء دائرى جرت عينا الفتاة الصغيرة معه حتى استقر عليه في الركن الآخر من العربة وكان ذلك الشيء : برتقالة .

تذوقت طعم الفرحة لاول مرة .. ومن جلستها تفزت قفزة واحدة الى البرتقالة غير مصدقة ، تتحسسها كأنها كنز عثرت عليه .. تداعبها كدمية تمتلكها .. تقذفها الى اعلى وتلتقطها .. ثم تعود تقذفها وتلتقطها ! .

جاء ابوها ، والقى بحمله غير مبال .. زفت اليه الفتاة البشرى ، مط شفتيه غير مصدق انها وجدتها يرضى المعدة في هذا المكان .. اخبرها عن امله في البحث عما يفيد من مواد اخرى فضية او غيرها .. لم تبال هى الاخرى بما قاله ، طار عقلها وحط في جو برتقالي ساحر .. حلمت بوجبة فول بالزيت الحار وفلافل وطحينة .. جلست تلتهم كل الطعام وحدها دون مشاركة احد، وفي النهاية تتلذذ بتذوق ((الحلو))، فتقسم البرتقالة على اربعة ، ولانها ليست بخيلة ستعطى الربع منها لابيها، وتلتهم هى الثلاثة ارباع في قضمة واحدة .. حتى ولو بقشرها !

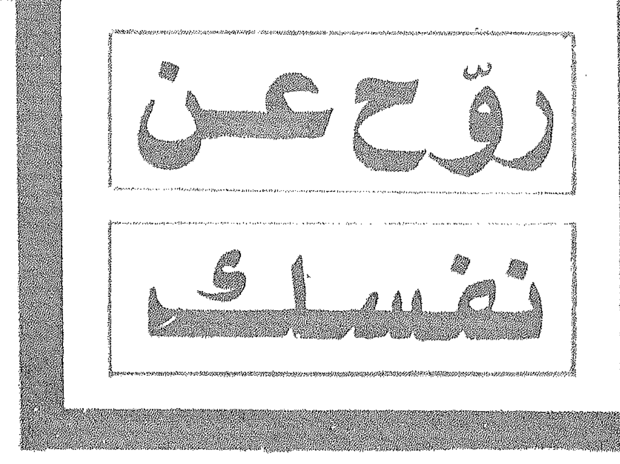
***

افاقت من حلمها اليقظ على صوت قرقرة تخرج من جوفها ، واحساس بفراغ المعدة ، وبارتطام جدرانها ... سارعت بمحاولة شق البرتقالة ، بحثت عن آلة حادة فلم تجد ، اخذت تعمل في البرتقالة باسنانها الحادة المشرشرة ، فانفجر بطن البرتقالة ، وتمخض عن عدة نافورات حمراء في لون الدم ، وشظايا انتشرت بسرعة على وجهها .. مرة اخرى تذوقت طعم الفرحة .. وطعم البرتقالة !.

رشقت اظافرها الطويلة في الفتحة التي صنعتها باسنانها ، وعلى صدرها شقتها نصفين غير متساويين .. وجحظت عيناها على دودة سوداء طويلة اطلت عليها فجاة من البرتقالة .. في لحظتها القت بها وصرخت فزعة : ـ «الصبان» !!

جلست منهارة في ركن العربة تتامل احلامها وهى تنهار ، وتتامل البرتقالة .. حدقتاها ترتكزان على شقيها ، ثم تغوصان الى الداخل حيث مكان الدودة التى قفزت واختفت ، وتغوص اكثر الى لاشيء ..

وبخطوات متثاقلة مضطربة اقتربت من البرتقالة ، والتقطتها .. ومرة اخرى نظرت اليها ، ثم اخذت تلتهمها في شغف !.



الأسئلة

أولا : لغز بالشعر :

عجبت لمحرومين من كل لذة
يبيتان طول الليل يعتنقان
اذا امسياكانا على الناس مرصدا
وبعد طلوع الفجر يفترقان !

ـ فما هما ؟ ..

ثانيا : اختبر ذكاءك :

١ ـ متى يتكلم الحمار ؟
٢ ـ من مات ولم يولد ؟
٣ ـ متى ترقص السمكة ؟
٤ ـ اى المخلوقات لم يكن مع نوح فى سفينته ؟
٥ ـ ما الاعداد الثلاثة التى حاصل جمعها يساوى حاصل ضربها ؟

ثالثا : اكمل الامثال الاتية :

١ ـ ان غدا ...
٢ ـ ... الخبر اليقين
٣ ـ اياك اعنى ....
٤ ـ ان كنت كذوبا ...
٥ ـ العبد يقرع بالعصا ...
٦ ـ عدو عاقل خير من ...
٧ ـ خير الكلام ما .....
٨ ـ من حفر حفرة لاخيه ...
٩ ـ عند الشدائد ....
١٠ ـ مكره اخاك لا ...

رابعا : اختبر معلوماتك :لماذ؟

١ ـ لماذا لانتألم من قص الشعر أو الاظافر ؟
٢ ـ لماذا سمى النيكوتين الموجود فى التبغ بهذا الاسم ؟
٣ ـ لماذا كانت مياه البحر الميت شديدة الملوحة ؟
٤ ـ لماذا لا يمكن عمل فنجان شاى جيد على قمة جبل شديد الارتفاع ؟.
٥ ـ لماذا يدهن الزنوج وجوههم بالالوان المختلفة وقت الحرب ؟
٦ ـ لماذا ـ لا يزال اغلب المصريين يحتفلون بأربعين الميت ؟
٧ ـ لماذا سميت الازبكية بهذا الاسم ؟

الإجابة

٨ ـ لماذا يطرق الطبيب ركبة المريض احيانا ؟

٩ ـ لماذا يظهر القمر عند شروقه وغروبه اكبر مما هو عندما يتوسط السماء ؟

١٠ ـ لماذا كان الأطفال الذين يولدون فاقدى السمع ، لا يستطيعون الكلام ؟

اولا : لغز بالشعر : هما مصراعا الباب .

ثانيا : ١ ـ يتكلم الحمار فى القصص .

٢ ـ ادم :

٣ ـ عندما تصاد بالسنارة

٤ ـ السمك .

٥ ـ الاعداد ١ ، ٢ ، ٣ .

ثالثا : ١ ـ ... لناظره قريب

٢ ـ عند جهينة .....

٣ ـ ... واسمعى ياجارة .

٤ ـ ... فكن ذكورا .

٥ ـ ... والحر تكفيه المقالة.

٦ ـ ... صديق جاهل .

٧ ـ ... قل ودل

٨ ـ ... وقع فيها .

٩ ـ ... تعرف الاخوان .

١٠ ـ ... بطل

رابعا : لماذا ؟

١ ـ لأنه ليست بهما اعصاب

٢ ـ نسبة الى جان نيكوت أول من ادخل التبغ الى اسبانيا .

٣ ـ لان الماء يدخله ولا يخرج منه ، ثم يتبخر بحرارة الشمس تاركا الأملاح .

٤ ـ لان المياه هناك تغلى عند درجة حرارة منخفضة

٥ ـ ليخيفوا اعداءهم !

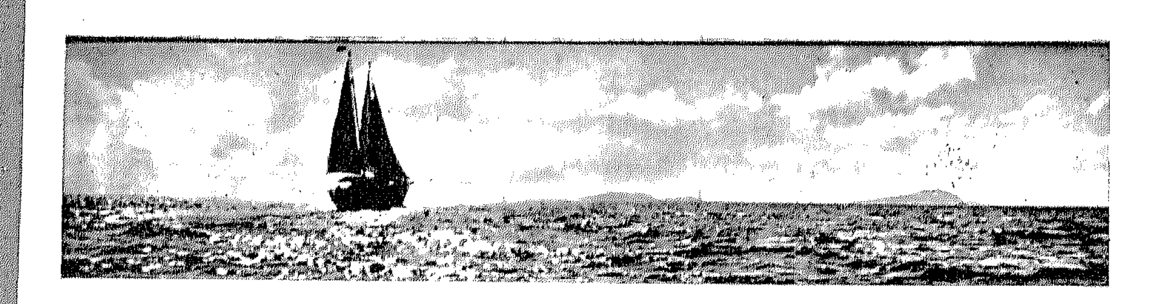
٦ ـ لان تحنيط الجثة عند قدماء المصريين كان يستغرق اربعين يوما ، ثم تدفن بعد ذلك، ومن ثم ورثنا عادة الاحتفال باليوم الاربعين .

٧ ـ نسبة الى الامير المملوكى ازبك التركمانى .

٨ ـ ليختبر سلامة اعصابه .

٩ ـ بسبب وجود بخار الماء فى الجو وبعد القمر عند شروقه وغروبه عنه عندما يتوسط السماء

١٠ ـ لأن فقدهم للسمع يحول دون تقليدهم للاصوات .



صفاء الحقيقة ..

● مديحة ابو زيد ●

سألتك والقلب في لهفة
وشوق لعطر زهور الحقيقه !
بهذا اللقاء ، وبعد الغروب
أصابك صمت غريب كئيب
وقد غبت عنك ..
حسبت بأنك عند اللقاء
ستأتي بلهفة شوق الحبيب
فماذا وراءك ؟ هل من جديد ؟
لأن بفكري ظنونا
وأخشى ضياع الأماني الجديده ..
أريدك تكشف سر الغيوم
لكي تتلاشى هموم القلق !
ويطلع بدري بحضن السماء
فتجلو لعقلي صفاء الحقيقه ..
وأوقن أني لست غريبه
وما زلت تشتاق عطر القصيده
وكان الجواب كثير الشجون ، عميق الأسى
تريدين ماذا .. وكيف الجواب ؟
وماذا أقول ؟
لأني بمفترق الدرب أخشى
بماض عذاب
وآت سراب
فآثرت الا أقول الجواب
لأني أحب بكل التفاني
ولست كمن ليس يهوى سواء
لأني على الدرب أمشي بخطو
يجيد الرؤى في ظلام المساء
واعرف كيف يكون الطريق
وكيف البداية والانتهاء ..
وكيف يكون سنا البدر حين ،
تزول الغيوم ، وتصفو السماء
خشيت الهوى بالأسى يحتويني
ويطفو على السطح عند اللقاء !



من خلال عينيها

● د . عبد الحميد محمود ●

قالت ودهشتها ليست تداريهـا
والعتب فى جملة رفت معانيهــا
أطلت فى نظرة باحت بمـا فيهـا
حتى سمعناالهوى ينساب من فيها
طال المقــام بنا والناس ترصدنا
ماذا تريد بها لو كنت تعنيهــا
فقلت عيناك آه من جمالهمـــا
عيناك احلى من الدنيــا وما فيها

***

انى اسير بلاد لست ((اعرفها))
الحب زهر نما فى حضن واديها
والعشق نهر جرى وانساب مؤتلقا
يختال موج الصبا من فوقه تيها
قولى .. باى بلاد الله آسـرتى
قرت عيونى على احلى مغانيها !

***

قالت .. اطلت طوافا فى مدينتنا
وزدت فى حسنها وصفا وتشبيها
فقلت يا فتنتى عينــاك امنيــة
لفارس قد طوى الصحراء والتيها
انى لجات الى عينيك يسـبقنى
شوقى الى بلد ـ الحب راعيهـا
هلا قبلت فتى .. الشوق يملؤه
بفرحة للهوى ضجت اغانيهـــا

أغنية لهواها ..

● احمد مرتضى عبده ●

ومنصهرا يذوب معـــى رجـــائى
وهـــذا العشـق ادويتـــى ودائى
تراك الآن يا قلب اســـــترحت
أم الاصـــداء قد ملت نـدائى !
وبى شـــوق غريب للتنـــاجى
ولى ليل يهنئـــه عـــزائى ٠ ٠ ٠
اذا ما ضاقت الدنيـــا ســبيلا
وصرت بوحـدتى احســـو بكائى !
ولى حلم يراودنى وينـــــــاى
بقبض القلب لا يالو دعـــائى ٠ ٠ ٠
ايا مـن مـن هواكم قـد بلينـــا
وخالط شقوتى بـــكم غنـــائى !
انا اهـــوى وايم الله اهـــوى
ولا يدرى صـــــداكم مـــا بلائى
اذا قفـــل المســـاء سهرت قلبـــا
وان فضح الصباح صبا مســـائى !
وبين ظهـــيرتى انحـــو طريقى
برغم البعد ٠ ٠ اجمله ابتـــدائى
ايا مـن ذقتمـــوا منا حيـــاء
اذا اقتربت عيـــونى فى لقـــاء !
ويا من ان مددن لنـــا ســـلاما
تارجح كفنا خلف الهـــواء !
احبكمـــو ولـو ملكت ذراعى
ذرا فلك ٠ ٠ لجادت بالعطـــاء
ولو دانت نجـــوم من فضـــاء
لقدمت الفضـــاء علـى فضـــاء
ولكنى من الخلق ٠٠ ضـــعيف
فرفقـــا بالضعيف ، وبالنـــداء
ورفقـــــا بالذى يحبو بقلبى
فقد ولدت خطاه عـلى دمـائى !

احمد ابو كف

ذكريات فى الخليج العربى

الإنسان العربى .. حين تتاح الإمكانيات يصنع المعجزات



« وامرهم شورى بينهـــم » .. ان الشـــورى لم تغب عن الخليج . والشيخ زايد عربى مسلم مـؤمن بالشورى التى مارسها فى المنطقـة الشرقية حين كان حاكمـا للعين .. وكان مجلسه فى قرية « المويجعى » .. قمة الشورى . ومن المويجعى الى دولة الامارات يتاكد حكم الشورى ..

ذكريات فى الخليج

● فى نوفمبر من عام ١٩٦٨ .. أتاحت لى الاقدار ، أن اذهب الى امارة ابو ظبى ، تلك الامارة الصغيرة الفقيرة ــ وقتها ــ على ضفاف الخليج .. والتى بدأ البترول يتدفق فى ارضها البكر ، خاصة من حقل كبير داخل مياه الخليج ، وبالقرب من جزيرة نالت شهرة كبيرة ، فيما بعد ، واسمها جزيرة « داس » ..

كان الهدف من هذه الرحلة ، التى استمرت اكثر من شهر من الزمان ، محاولة التعرف على تلك الامارة البارزة ، وشيخها المهيب الذى ملأت شهرته الافق العربى ، وكتب عنه الكثير من الرحالة والمؤرخين الاجانب .. وكان هذا الشيخ قد تولى امارة أبو ظبى فى السادس من اغسطس عام ١٩٦٦ ، وكان قبل توليه حاكما على منطقة البوريمى ، او المنطقة الشرقية .. كما تسمى .. ولقد تولى الشيخ زايد مقاليد الامارة ، بعد حكم طويل لاخيه الشيخ « شخبوط » .. الذى كان قد كتبت عنه الكثير من الصحف .. حول العائدات البترولية .. وحول انه كان يفضل هدم تحديث الامارة .. واشياء اخرى كثيرة .

●

المهم ان العربى المسافر الى امارة ابو ظبى ، كان لابد له من اجراءات معقدة للموافقة على السفر .. يتدخل فيها البريطانيون . ولم يكن هناك خط جوى مباشر بين القاهرة وابو ظبى . بل كان المسافر عليه أن يركب طائرة الخطوط الجوية البريطانية الى البحرين . ومن البحرين يستقل المسافر طائرة صغيرة بمحركات تملكها شركة بريطانية ايضا باسم « طيران الخليج » . وهذه الطائرة تظل تسير بك فوق الساحل الغربى للخليج ، حتى تهبط فى مطار صغير ، ليس فيه التجهيزات فى أرض أبو ظبى .

ووصلت الى امارة ابو ظبى بينما الحرارة اللافحة تقسو على الجلد والجسد ، والرطوبة الشديدة تكاد تخنق الانفاس . واركب سيارة تسير فى طريق مرصوف ، طوله حوالى العشرين كيلو مترا ، لادخل المدينة ــ مدينة ابو ظبى ــ التى لم يكن فيها تقريبا طريق مرصوف غير هذا الطريق .

ولكن ماذا عن ابو ظبى المدينة نفسها ؟ .

كانت المدينة عبارة عن خلاء صحراوى ، رمال ملحية ، ترى فيها مجموعات العشش هنا وهناك .. مع القليل جدا من المبانى ذات الدور الواحد .. بالاضافة الى ما يسمى « مضيف » من دورين مخصص لضيوف الامارة .. وقصر الحاكم ، الذى هو عبارة عن قلعة قديمة عمرها مائة عام .. ثم بناء واحد لدوائر الموظفين ، لان « الوزارات » لم تكن قد انشئت بعد .. بالاضافة الى فندقين ــ تجاوزا ــ لا ثالث لهما ، فندق جميلة .. ويمتلكه باكستانى وهو من خمس غرف ارضية ، وفندق العين ، وهو عبارة عن مجموعة اكشاك خشبية مكيفة الهواء ولا شىء غير ذلك ، ثم سوق قديم للبيع والشراء ، لا يغريك ان تذهب اليه .

ولقد جاءت زيارتى لابو ظبى فى رمضان ..

ورمضان فى ابو ظبى له طعم خاص ومذاق خاص ، استطاع بلياليه ، ان يخفف كثيرا من الرتابة الشديدة والحرارة الشديدة والرطوبة الشديدة . فالشعب هناك متدين ومتمسك بالمذهب المالكى .. ويقيم ليالى رمضان فى العبادة داخل جامع او جامعين صغيرين فقط .. ومع ذلك تحس انك فى بلد يتمسك بدينه وقيمه .. رغم انه لم يكن بعد قد تحرر من السيطرة البريطانية . فبريطانيا هناك كان لها مقيم فى الخليج يتحدث باسم الامارات فى الشئون الداخلية والخارجية معا . وكان هذا المقيم طبقا لمعاهدة عام ١٨٨٧ التى ابرمت مع مشايخ الخليج .. وقد انتهت هذه السيطرة البريطانية فى عام ١٩٧١ .. حينما بدأت دولة الامارات العربية



« يارب » .. الدعاء له وحده .. في عيد الفطر المبارك يذهب رئيس الدولة الى صلاة العيد بالمسجد الكبير ، قرب القصر القديم .. ويرى الشيخ زايد ، وولي عهد ابوظبي الشيخ خليفة بن زايد . ثم الشيخ احمد بن حامد وزير الاعلام في ابو ظبي ..

ذكريات فى الخليج

المتحدة ترتفع اعلامها في حفل كبير اقيم في دبي ، وكان لي الشرف في حضور هذا الاحتفال .

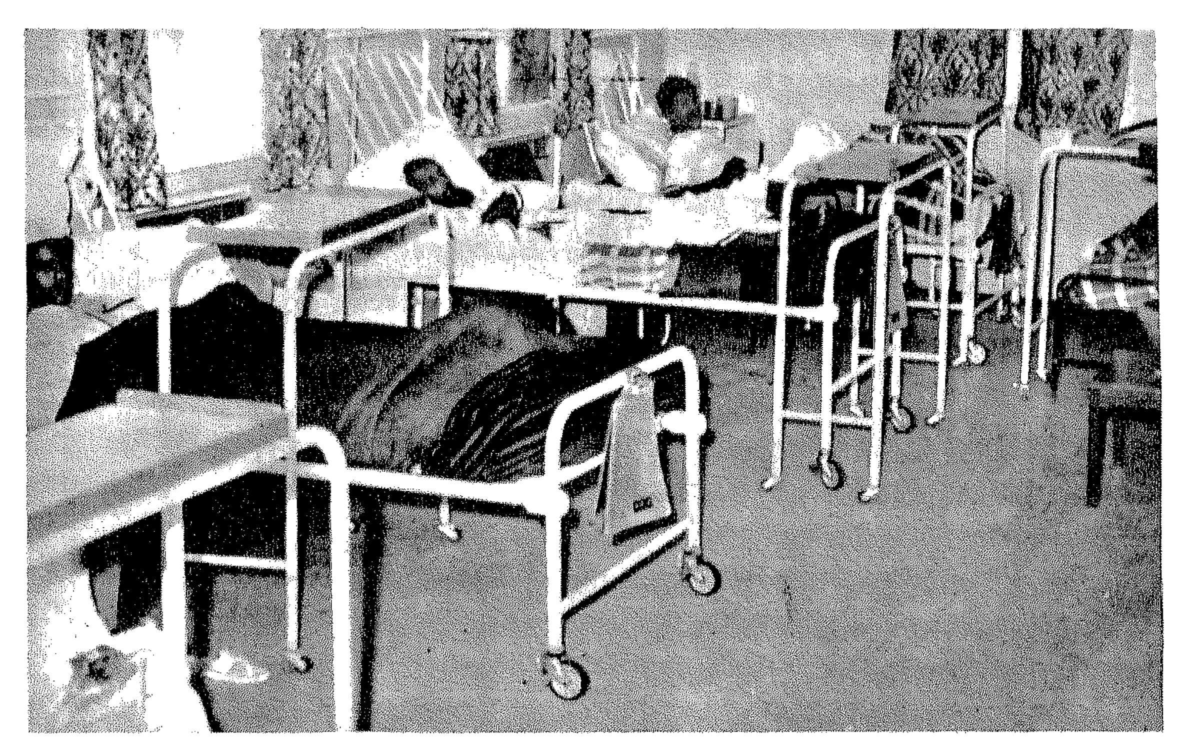
●

البترول فى ابو ظبى ، تدفق فى البر والبحر في الاربعينات .. ومع ذلك ، فقد تحركت اول ناقلة بترول من مياه ابوظبى الاقليمية فى ٣ من يوليو عام ١٩٦٢ من حقل ((ام الشعيف)) القريب من جزيرة داس . كما تحركت اول ناقلة بترول فى البحر من ميناء (جبل الظنة) فى عام ١٩٦٣ .

وكانت ابو ظبى تعتمد فى اقتصادها القـــومي البسيط على ((الغـــوص)) فى مياه الخليج لاستخراج اللؤلؤ ، الذى كانت له مواســـم لاستخراجه ، وهي تعرف باسم مواسم ((القيظ)) .. لكن تجارة اللؤلؤ كسدت ، بعد ان استطاع اليابانيون زراعة اللؤلؤ الصناعي . وبذلك فان ابو ظبى – واغلب امارات الخليج – كانت تعانى ازمة اقتصادية حادة ما بين كســـــاد الغوص واستخراج اللؤلؤ ، وبين ظهور البترول . وقد كانت الازمة الاقتصادية العـــالمية ايضا والتى بدات عام ١٩٢٩ لهـــا تاثيرات قوية على امارات الخليج .

المهم ان ظهور البترول واستخراجه بكميات تجارية ، وعائداته بدات تدخل خزينة ابو ظبى ، فى عهـــد الشيخ شخبوط . وكان الشيخ زايد حاكما على المنطقـــة الشرقية من قبل . وكانت عاصمة هذه المنطقة مدينة العين .

والواقع ، ان الشيخ زايد قد تولى شـــئون



العلاج مجانا ..والوقاية ايضا مجانية فى كل المستشفيات التى كثر عددها فى المدينة والبادية على السواء فى عصر الخير ،عصر زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية المتحـــدة ...

الشيخ زايد بن سلطان يرأس المجلس الاعلى لحكام الامارات الأعضاء في دولة الامارات العربية المتحدة .. التي ولدت عام ١٩٧١ .. لتكون اول تجربة وحدوية ناجحة في تاريخ العرب الحديث

المنطقة الشرقية في عهد اخيه الشيخ شخبوط في عام ١٩٤٦ . وحينما نعرف انه تولى الامارة في عام ١٩٦٦ .. فمعنى ذلك انه قضى حاكما للعين مدة عشرين سنة ..

ورغم انه كان حاكما للعين .. فقد كان الشيخ زايد معروفا في ساحل عمان كله .. وقد زاره المؤرخ ويلفرد ثيسجر ، ووصف هذه الزيارة في كتابه الشهير « رمال العرب » . وقد قال ثيسجر عن الشيخ زايد في الاربعينات : « انه يتمتع بشهرة واسعة بين البدو . فهم يحبونه لانه بسيط معهم وودود . وهم يحترمون ذكاءه وشخصيته وقوته البدنية ، ويرددون باعتزاز : زايد رجل بدوى .. لانه يعرف الكثير عن الجمال ، كما يجيد ركوب الخيل ، مثل اى واحد منا ، بمهارة ، ويعرف كيف يقاتل » .

ويصف ويلفرد ثيسجر مجلس الشيخ زايد في قرية المويجعي ـ احدى قرى البوريمي السبع ـ وكيف كان يصرف الامور ببساطة وود ، وكيف كان يحل مشكلات الناس ..

والحقيقة ان الشيخ زايد ، كما وصفه ج . ب . كيلي في كتابه « الحدود الشرقية لبلاد العرب » .. كان نموذجا من صنف الرجال العظام ، من امثال جده زايد الكبير ، وكانت له آمال كبار مثل جده يحملها بين جوانحه وداخل قلبه ، من اجل شعبه . وكان جده زايد الكبير الذي تولى الامارة عام ١٨٥٥ ، وامتد حكمه حتى عام ١٩٠٩ حاكما قويا شجاعا . وقد حكم امارة مترامية الاطراف ، وكان اقوى شخصية في امارات ساحل عمان ، او الساحل المتصالح ، كما كان يسمى ..

●

والواقع ان الشيخ زايد منذ تولى امور المنطقة الشرقية ، كان ذهنه يمتلىء باحلام كبيرة واصلاحات اكثر . كان يحس بمسئوليته الكبيرة تجاه تعويض مواطنيه وشعبه عما لاقوه في سنوات القحط وبوار تجارة اللؤلؤ .

ورغم ان الحال كان صعبا ، والاموال لم تكن متوفرة في هذه الفترة من حكمه للمنطقة الشرقية ، فانه استخدم القليل المتوفر لديه من المال للاصلاح . وكانوا يراقبون مسيرته هناك .. يعرفون انه حفر (فلج الصاروج) والذى



ذكريات في الخليج

استغرق العمل فيه ١٨ عاما .. وهو عبارة عن قناة طويلة تنقل الماء تحت الارض من عند جبال حفيت ، جبال عمان ، كما انه اصلح الافلاج القديمة . وهذا يعني انه اهتم اول ما اهتم بتوفير المياه في المنطقة .. والماء في هذه المناطق اغلى من الذهب .

وبعد ان وفر المياه ، اعلن الشيخ زايد قرارا جريئا ، لكي يشجع الاهالي على الزراعة . وهذا القرار الجرىء هو اعلانه ان كل مزارع يصلح ارضا ، يكون من حقه الحصول على المسطحات اللازمة مجانا . وايضا فقد جعل الشيخ زايد حق « السقاية » ـ سقاية الزرع ـ حرا متاحا لكل مواطن ، بعد ان كانت هناك احتكارات وملكيات للآبار ، والذى يريد ان يسقى عليه ان يدفع . وقد بدأ الشيخ زايد بحق اسرته في الماء ، فاطلقه وجعله مشاعا للجميع .

ويضاف الى ذلك انه في هذه الفترة المبكرة من حياة الشيخ ، والتي لم يكن يتعدى فيها الثلاثين من عمره .. انه كان ببصيرته يدرك قيمة العلم والتعليم.وكان يردد دائما جملته البسيطة القوية الشهيرة « العلم بصر » . ويحلم باليوم الذى تقوم فيه المدارس ومعاهد العلم ـ خاصة الدينية منها ـ في امارة ابو ظبي . وفي هذه الظروف الصعبة استطاع الشيخ زايد في المنطقة الشرقية ان ينشىء المدارس الاولية ، وينشىء ايضا المدرسة النهيانية في عام ١٩٥٩ .

يقول الكاتب كلارنس مان في كتابه « ابو ظبي .. مولد مشيخة » .. وهو الكاتب الذى عمل في المنطقة فترة طويلة ، وشاهد الشيخ زايد في العين في اواخر الخمسينات واوائل الستينات « ان الشيخ زايد بن سلطان يكرس المال القليل الذى توافر لديه ، للقيام باصلاحات في منطقة البوريمي . ويرجع اليه بسط نفوذ ابو ظبي على البادية ، ويرشحه ذلك ، الى جانب عدالته وبعد نظره وروحه الاصلاحية ، وقدرته السياسية .. الى أن يكون رجل البلاد المنتظر » .

على انه لم يمض سوى عامين او ثلاثة على ما قاله الميجور كلارنس مان البريطاني .. حتى تولى الشيخ زايد بن سلطان الامارة ، خلفا لاخيه الشيخ شخبوط في السادس من اغسطس عام ١٩٦٦ . وقد بدأ يتعامل مع شعبه من الصفر ليحقق ما يرجوه له ويتمناه . وقد انتقل الشيخ زايد من العين الى مدينة ابو ظبي . وكانت نقلة هامة في حياة شعب ابو ظبي ، بل شعب الخليج .. انه اخذ بكل الانظمة المتقدمة في ادارة الدولة ، وفي مناحي الحياة المختلفة ، وجند كل الجهود وكل عائدات البترول ، لينقل بلاده من حضارة العصور الوسطى الى حضارة القرن العشرين . واعتنق دائما المبدأ القائل ، والذى قاله لي في احد لقاءاتي به : « انه لا قيمة للمال اذا لم يسخر لخدمة الشعب ، والحاكم اذا عاش لنفسه ، وسخر اموال الشعب لمصالحه الشخصية ، يغدو لا قيمة له عند الله والناس ».

على انه لم يكن ينظر لاهله في ابو ظبي فقط .. انه ايضا كانت عيناه على توحيد امارات الخليج التى قسمها الاستعمار في عصور خلت .. وقد سعى حتى قامت دولة الامارات العربية المتحدة ، والتى ضمت الامارات السبع وهي : ابو ظبي ، دبي ، الشارقة ، راس الخيمة ، عجمان ، ام القيوين ، والفجيرة .. ليكتب التاريخ الوضىء على ضفاف الخليج العربي .

●

والحقيقة ، انه في الماضي كانت امارة ابو ظبي تعاني التخلف الشديد .. ولكنها الان صارت درة متألقة على الجبين العربي في الخليج ..

ولقد واجه الشيخ زايد الكثير من التحديات الحضارية ، التى استطاع ان يتغلب عليها . فالذى يذهب الى ابو ظبي الان يستطيع ان يلمس الجهد والعرق والدم الذى بذل،والاخلاص الشديد لكي تصبح هذه الامارة الصغيرة المتخلفة .. دولة من دول العروبة الناهضة المتطورة .. بغاباتها من الانشاءات والتعمير ، وبانسانها الذى توفرت له كل الامكانيات .

ان الانجازات بدأت تتوالى منذ ٦ من اغسطس عام ١٩٦٦ ، وهو اليوم الذى تولى فيه الشيخ



الاعمار والانشاء لا ينتهى فى ابو ظبى العاصمة .. لقد رايتها فى عام ١٩٦٨ ورايتها هذه الايام وقد تهت وسط غابات من العمارات والمبانى .. لدرجة ان البعض قال : ان الارض الفضاء صـــــــارت نادرة



زايد .. وهى تتواصل بالليل والنهار وفى كل يوم ، وتضاعفت هذه الانجازات بعد قيام دولة الامارات العربية المتحدة .

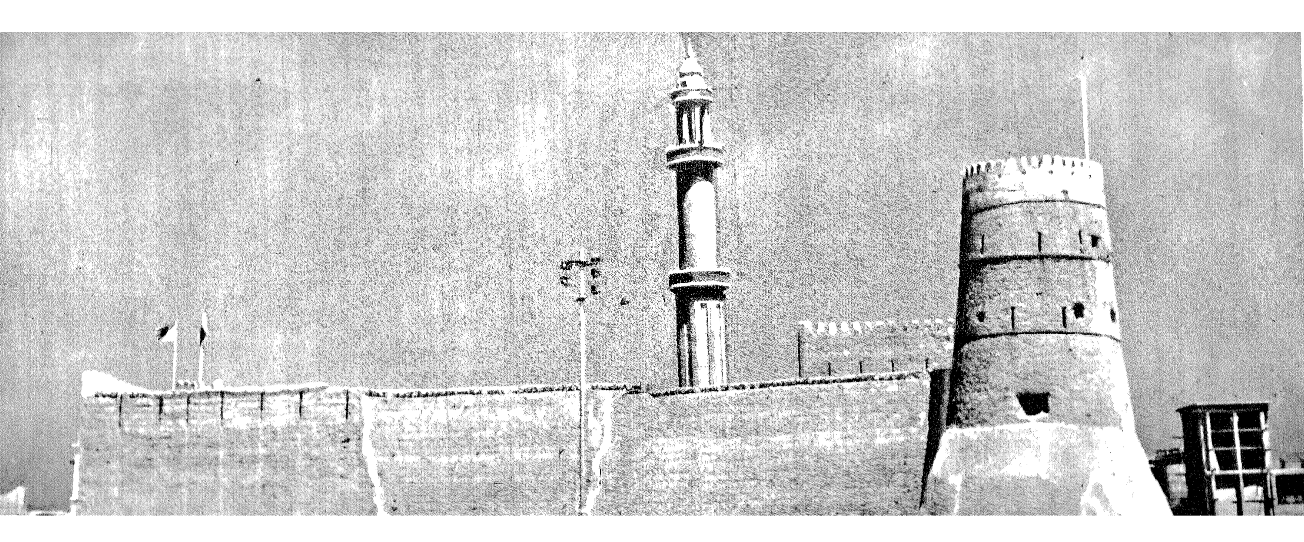
ان الخير ـ كما يقولون فى ابو ظبى ـ قـد شاءت ارادة الله ان ينفجر ينبوعه فى عهد الشيخ زايد .. فتفجر النفط ، وكان تفجره بكميات كبيرة نقطة التحول الكبرى ، حيث يبلغ الانتاج الان حوالى المليونى برميل يوميا . وقد استغل الشيخ زايد عائد البترول استغلالا اقتصـاديا مثاليا لصالح البلاد والإنسان والمستقبل .

وانعكس ذلك فى صورة نهضة شاملة فى كافة المجـــــالات الصناعية والزراعية والعمرانية والتعليمية والتجارية .

ورغم ان امارة ابو ظبى تتكون من حوالى ٢٠٠ جزيرة ، فان كل بقعة فيهـــا تصلها يد الاصلاح والتعمير والانشاء . وكل بقعة لها دورها فى حركة التنمية الشـــاملة ، فاذا كانت جزيرة ابو ظبى هى العاصمة ، التى صارت احـدى العواصم الكبرى فى العالم العربى ، بمبانيها وطرقها ومطـــاراتها وكورنيشها ، ونافوراتها وحدائقها وقصورها وجسورها ومعاهد علمهــــا وجامعتهــــا .. فان جزيرة داس تعتبر المركز الرئيسى لثروتها البترولية .. والتى اقيم فيهـا مصنع تسييل الغـاز ، اول مصنع من نوعه فى الخليج . اما جزيرة ((دلما)) فهى تتوفر فيهـــا مياه الشرب وجزيرة ((صير بنى ياس)) ـ التى سميت باسم القبيـــلة الاولى الاصيلة للاسرة الحاكمة ـ فهى ميناء تصدير النفط الخام . وجزيرة ((ام النار)) ، التى تضم مشروع مصفاة النفط الجديدة . ثم جزيرة السعديات ، التى توجد بها محطة البحوث الزراعية ، التى تحول اللون الاصفر الى خضرة وارفة ، وتحمـــل مسئولية التحدى بالنسبة لنهضـة الزراعة فى ابو ظبى .

لكن ماذا عن ((العين)) عاصمة المنطقــــة الشرقية ؟ .

العين تعتبر الان المدينة الثانية فى الامارة ، وهى تقوم بدور حيوى وفعال فى مجال النهضة الزراعية ، حيث تنتج الخضروات والفـــاكهة والبلح ، وحيث تقع فى جنوبها مراعى الاغنام الواسعة التى تتيح تربية الماشية بكميات هائلة وتضم مدينة العين تسع قرى ، كما تضم مجموعة



ـد الجوامع الكبيرة فى ابو ظبى غير بعيد من آحدى القلاع التاريخية آلتى تمتلىء بها الأرض هناك. وهناك
ـطيط دقيق لبناء الجوامع .. ومعاهد العلم الدينى .. لتكون النشأة مسلمة ويكون الدين لله ...

ذكريات فى الخليج

ـمن القلاع والحصون القديمة التاريخية مثل قلعة المويجعى التى بناها الشيخ زايد ، وقلعة الجاهلى ، والحصن الشرقى .. وفيها متحف يضم اهم الاثار .. والى جانب ذلك فتوجد كل مظاهر الحياة العصرية والفنادق الحديثة ، مثل فندق هيلتون العين ، كمثيله هيلتون ابو ظبى .

والعين تبعد حوالى ١٦٠ كيلو مترا فى داخل البلاد ، وهى على مشارف منطقة ((الظفرة)) ، او ارض الظفرة .. حيث صحراء (ليوا) .. التى هى جزء من ((الربع الخالى)) .. وارض الظفرة تضم الان اكثر من ٦٠ قرية لم تكن موجودة حينما اصبح الشيخ زايد حاكما لابوظبى .. وجاهد فى انشائها ورعايتها ، وتحدى فيها الصحراء من خلال مشروعه الجسرىء لتوطين البدو .. وقد حقق نجاحا باهرا فى هذا التحدى .

•

ولابد من كلمة هنا حول توطين البدو .. فهى تجربة جديرة بالحديث ..

والواقع أن هذه التجربة من ضمن التجارب العديدة لتحدى الصحراء وهى تنبع من فلسفة الشيخ زايد التى تقول ((ازرع الارض تحصد الخير)) .. كما جاءت اعترافا بفضل هؤلاء

الذين عاشوا سنوات قاسية من التنقل داخل الصحراء الشاسعة وتحت شمسها اللاهبة . انها معالجة مشكلات البدو كظاهرة اجتماعية لابد من حلها ، لانها تتعلق بنصف سكان دولة الامارات . وتوطين البدو لا ياتى بنقلهم من الصحراء الى المدينة ، وانما اتاحة المناخ الملائم ليعيشوا ويستقروا فى اماكنهم التى عاشوا فيها ، وعاش فيها آباؤهم واجدادهم ..

وقد جاء هذا التوطين ، بان تعنى الدولة وتهتم بالموارد الطبيعية للبادية ، عن طريق استكشافها وتقدير امكانياتها ، واعانة اهل البادية لينموها ويحسنوا الاستفادة منها . وبالفعل فان وزارة الاسكان خططت واختارت المناطق ، وبنت فيها بيوتا على الطراز البدوى ، بيت داخل كل قطعة ارض مستصلحة مساحتها ٢٤ كيلومترا مربعا .. بالاضافة الى الخبراء والفنيين فى الزراعة والاستصلاح الزراعى ، وفى اعمال الرى بالرش والرى بالتنقيط ، احدث مبتكرات الرى فى العالم ـ وتوزع البذور وسلالة الحيوانات .. لكى يقوم هذا المجتمع البدوى المستقر ، وقد قام هذا المجتمع فعلا .. بل ان الصحراء تشهد فى كل يوم حركة البناء والحياة الدافقة . وسرعان ما تغير وجه الحياة فى هذه المناطق القاحلة الجرداء .

وهذه المناطق صارت الان تقوم فيها دور العلم ، وكل ما من شانه أن يؤكد حياة الاستقرار .. وهجر حياة الترحال . وصار البدوى منتجا فى الدولة ، ويشعر بالتزام ازاء اهله ومواطنيه ودولته .

ان هذه القرى فى الواقع .. بكل ما فيها من منافع وخاصة المدارس ، صارت تشعر البدوى

بالاستقرار الكبير . بل انها وفرت عليه ان يقطع آلاف الاميال والفراسيخ ليلتحق بالمدرسة فى العاصمة او المدن الكبرى .. وهذا كله ياتى تدعيما لما نادى به الشيخ زايد واكده ، فهو يعتبر نفسه رب عائلة كبيرة هى الشعب . وان واجب رب العائلة ان يرعى افراد عائلته ، ويعمل على سعادتهم وعلى رفاهيتهم .

●

والحقيقة اذا كنا بصدد الحديث عن التطورات التى حدثت فى امارة ابو ظبى فى عهد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، فاننا لو تابعنا هذه التطورات ، لوجدنا ان العطاء والبذل متواصلين ..

فالبترول يتحول من مجرد كونه ثروة فى باطن الارض الى صناعات بترولية حديثة اهمها صناعة تسييل الغاز وهى من الصناعات المتقدمة فى ابو ظبى ، والتى تتجاور مع الصناعات البتروكيمائية ، وصناعة الاسمنت وغيرها من الصناعات .

والتربية والتعليم تتحول الى رسالة من اجل الانسان فى ابو ظبى ، وهو اغلى ما يركز عليه المسئولون فى البلاد وعلى راسهم رئيس الدولة. فدور العلم تتزايد يوما بعد يوم ، وياتى التركيز ايضا على دور العلم الدينية . ومراحل العلم تتعدد ما بين عادية وفنية وتخصصية ، ودرجاته قفزت ما بين ابتدائية وجامعية .. والقافلة تسير .

والرعاية الصحية يتمتع بها كل ابناء البلاد من خلال توفير المستشفيات والاطباء والعلاج والدواء ، وهذه الرعاية تمتد من العلاج الى الوقاية .

والمساكن والانشاءات تتضاعف وتنتشر يوما بعد يوم .. والتمليك للمعدمين يتم فى هدوء .

والرعاية الاجتماعية مكفولة للضعفاء والعجزة والمحتاجين .. كما ان هناك تركيزا على الرعاية للامومة والطفولة ، وصرف الاعانات للاسر المحتاجة .

ولعل منطلق كل هذه الانجازات يتحدد فيما قاله الشيخ زايد : « اذا كان الله عز وجل قد من علينا بالثروة ، فان اول ما التزمنا به ، ابتغاء لمرضاة الله ، هو ان نوجه هذه الثروة لاصلاح البلاد وسوق الخيرات لشعبها ، وذلك عن طريق بناء مجتمع تتوافر فيه وسائل التعليم والصحة والسكن والماكل والملبس ، للجميع ودون استثناء » .

وهكذا يجد الانسان فى ابو ظبى كل الرعاية والاهتمام ، باعتبار انه هو الهدف الاصيل من كل تطور تشهده البلاد ، وهذه هى الرسالة التى يعمل فى اطارها كل المسئولين فى البلاد .. فى مجتمع الحب بين ابناء الاسرة الظبيانية الواحدة .

●

اخيرا .. يبقى الحديث عن دولة الامارات العربية المتحدة التى وضع اساسها فى الثانى من ديسمبر عام ١٩٧١ على ارض امارة دبى ، حيث ارتفع علم الاتحاد ، وكنت من بين الذين شهدوا ميلاد هذه الدولة على ضفاف الخليج العربى .

وهذه التجربة التى قامت على ضفاف الخليج

في الخليج

كانت محاولة رائعة للعودة بسواحل عمان الى وحدته التى كان عليها قبل قرون ، وقبل أن يتعرض الخليج لتلك الغزوات الاستعمارية البرتغالية والفرنسية والانجليزية .. ومؤتمرات الاستعمار .

وهى تجربة منطلقة من اخلاقيات والقناعات الرجل العربى الصميم زايد بن سلطان آل نهيان، هى محاولة تكاملية ليكون ابناء العمومة والجيران فى حزمة واحدة كبيرة تستطيع ان تعوض الانسان فى الخليج تلك السنوات الصعبة التى شاهدها .. وتستطيع أيضا ان تفيد ابنـاء الخليج من البترول الذى ظهر فى امارات دون ان يظهر فى امارات اخرى ..

وهذه التجربة تستحق الدراسة فى عالم العرب ، لانها اول تجربة وحدوية يكتب لهـا النجاح فى العصر الحديث ، ومع انه تصادفها فى مسيرتها بعض التحديات وبعض الاشواك ، فهى تسير فى طريقها انطلاقا من القناعات شـيوخ الخليج بالوحدة والتعاضد والتلاحم .

لكن تبقى المبادرة فى قيام دولة الاتحـاد للرجل الذى عمل بكل جهـده ان تقوم دولة الامارات العربية المتحدة ، وبذل من اجل ذلك جهودا خارقة بالتعاون مع اشقائه شيوخ الامارات .. والقصد بالرجل هو الشيخ زايد بن سلطان .

والواقع ان المراقب السياسى لقيـام دولة الامارات العربية المتحدة ، وتطورها فى هـذه السنوات السبع وبعض الاشهر ، لا يستطيع أن يلم باطرافها ، اذا لم يكن له المام بطبيعة المنطقة واهلهـا . وطبيعة المنطقة كانت تعدد الكيانات فيها وهى كيانات ليست غريبة ، بقدر ما هى تنبع من نبع واحـد . بمعنى ان دولة الاتحاد تشكلت من مجموعة موحدة لشعب واحد قام بتقسيمه الاستعمار . ولذلك فقد كان قيام هذه الدولة ضرورة حتميه ، او تصحيح وضـع خاطىء ظل طويلا ..

ولذلك فان الوحدة جاءت .. ورغم ماحدث ويحدث فيها من بعض التناقضات والمعوقات التى حدثت فعلا ، وبشدة فى العام الماضى .. فان الرجل الكبير الذى ضحى بالكثير من اجل شعبه فى ابو ظبى .. ضحى ايضا بالكثير من اجـل اهله فى دولة الامارات .. لان حسه الوطنى نابع من شعور قومى ، لا ينظر الى الثروة اوالسلطة بمقدار ما ينظر الى ضرورة ان يؤدى خدمات موصولة لافراد امته .

ولهذا فان التناقضات التى ظهرت فى دولة الاتحاد .. استطاع الرجل بايمانه ومروبته ان يواجهها بكل جراة وشجاعة العـربى .. واجه هؤلاء الذين لا يزالون يفـكرون بعقلية الـكر والفر ، وعقلية العصبية القبلية ، وهؤلاء الذين يحاولون الحصول على مكاسب اقليمية ضيقة ، والذين يريدون القضاء على المنجزات التى حققتها تلك الوحدة الرائدة لشعب الخليج .

والان تسير دولة الاتحاد فى طريقهـا المرسوم ، وهو طريق صعب على اية حال ، لكنها تؤدى رسالتها ، بروح الفريق الملتزم ، الذى يعمل من اجل تقدم ورفاهية انسان الخليج الى الرقى والتطور . وايضا الى القـوة العربية الواحدة والشعب العـربى الواحد .. بل الوحـدة العربيـة الشاملة ..

ذكريات فى الخليج !

واخضرت الأرض فى الصحراء بعد صفرتها ، وبدأت تعطى ثمارها . وصار البدوى المتنقل مواطنا مستقرا فى قرى توطين البدو .. ويصبح البدوى عضوا منتجا فى الدولة الفتية . . .



مع الأدباء والشعراء والظرفاء

● امين سلامة ●

استقل أينشتين ، العالم الكبير ، القطار الى شيكاغو لحضور مؤتمر علمى . وفى اثناء الطريق شعر بالجوع فذهب الى عربة الاكل ، حيث قدم له الخادم قائمة الطعام . وبحث أينشتين عن نظارته فلم يجدها ، فطلب من جاره أن يقرأ له القائمة واذا به يفاجأ بالرجل يرد عليه قائلا :

ـ آسف يا سيدى .. فانا اجهل القراءة مثلك !

* كان هارون الرشيد يتواضع للعلماء . قال ابو معاوية الضرير وكان من علماء الناس : اكلت مع الرشيد يوما . فصب على يدى الماء رجل فقال لى : يا ابا معاوية أتدرى من صب الماء فى يدك ؟ فقلت : لا ، يا امير المؤمنين .

قال : أنا . قلت : يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا اجلالا للعلم . قال : نعم .

*** سئل الأديب الصينى لين بوتانج : من هو اعظم رجل فى العالم ؟ فقال : « هو الرجل الذى يستطيع أن يعيش بغير حب ! »**

ـ ومن هى اعظم امراة فى العالم ؟ فقال : هى المراة التى تعيش على الحب ..

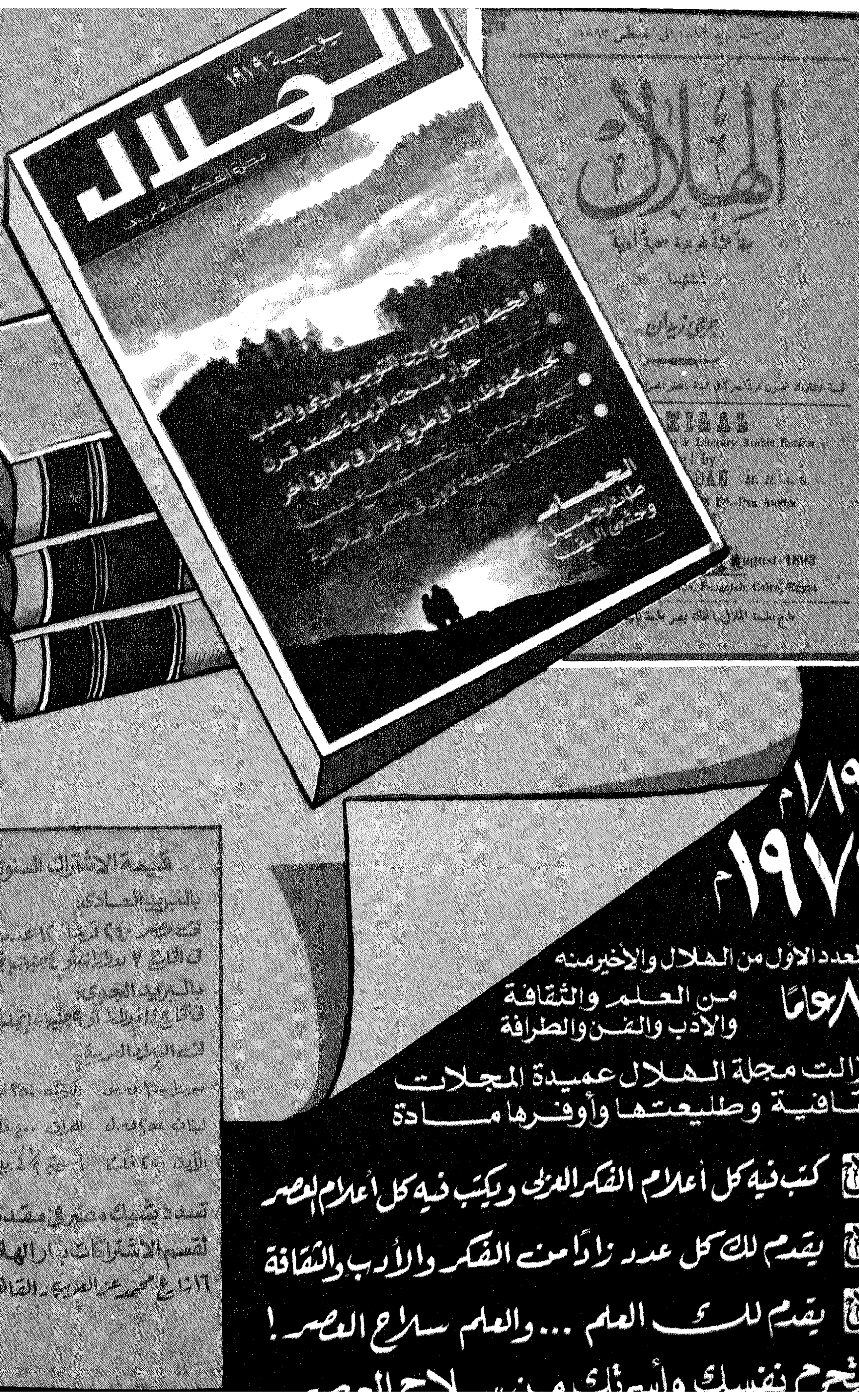
* سئل برناردشو عن حبه للوحدة والابتعاد عن المجتمع ، فأجاب : احب ان اكون وحيدا لسببين ، أولهما انى أحب أن اتحدث الى رجل ذكى ... والثانى لانى أحب أن أستمع الى رجل ذكى !

* كان لابوبنيير شاعرا فرنسيا فقيرا ينام ليله دون أن يتناول شيئا من الطعام ، حتى أصبح الجوع عنده عادة ألفها ولم يعد يأبه لها .

والتقى ذات مرة بصديق له يعرف حالته ويشفق عليه ، فدعاه الى تناول طعام الغداء معه ، ولكن لابوبنيير شكره واعتذر قائلا :

ـ شكرا يا صديقى . ولكنى تغديت أمس !

*** كانت زوجة ملتون ، الشاعر الانجليزى الكبير ، امراة جميلة ، ولكنها مثيرة للعكننة . واراد لورد بكنجهام أن يجامله يوما فوصفها بانها جميلة كالوردة .. فقال الشاعر الاعمى : « اننى لا استطيع ان اتبين وجه الشبه من حيث اللون .. ولكننى ارى أن التشبيه صادق بما احسه من اشواكها ! » .**



الهلال
يونيه ١٩٧٩
مجلة الفكر العربي
الهلال
مجلة علمية تاريخية صحية أدبية
جرجي زيدان
August 1893
Faggalah, Cairo, Egypt
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زاداً من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
قيمة الاشتراك
بالبريد العادي
بالبريد الجوي
لقسم الاشتراكات بدار الهلال

سبتمبر ١٩٧٩

العربي

مجلة الفكر العربي

معنى الحياة

كلمة الهلال

خمسون ألف ضحية

في هذا العدد عن معنى الحياة نحب ان نسال : ما معنى موت خمسين الف انسان لكى يظل انسان واحد حاكما على بلد بعد ان امتص دماءها هو واهله خمسة واربعين عاما ، ثم يريد ان يزيد ، كأن الله خلق نيكاراجوا اقطاعية له واهلها رقيقا له ولآله ..

وقبل أن يمضي خرب انستاسيو سوموزا كل ما كان بنـاه من مال النيكاراجويين : خرب المدن ،وهدم المباني ، وحرق المزارع ،وترك الدنيا صفصفا ..

ثم مضى الى فلوريدا لكي يستمتع بمال سرقه من اهل بلاده ..

الى متى يظل البشر في كل مكان ضحية لضباع وكواسر يأكلون ارزاق الناس ويأتون على خيرات البلاد ولا يجدون بعد ذلك عقوبة من مجتمع البشر ..

سيظل هذا ما دام أهل الخير مفرقين ، وأهل الشر مجتمعين .. فان الدنيا كلها خير ، والله الذى خلق العباد والبلاد خلق الرزق لكل مخلوق ولكن هناك ثعابين في كل ركن من أركان الارض يستغلون البشر ... وكل ما يقوله أهل القانون لا ينطبق الا على صغار اللصوص اما كبار اللصوص فما زالوا فوق القانون ..

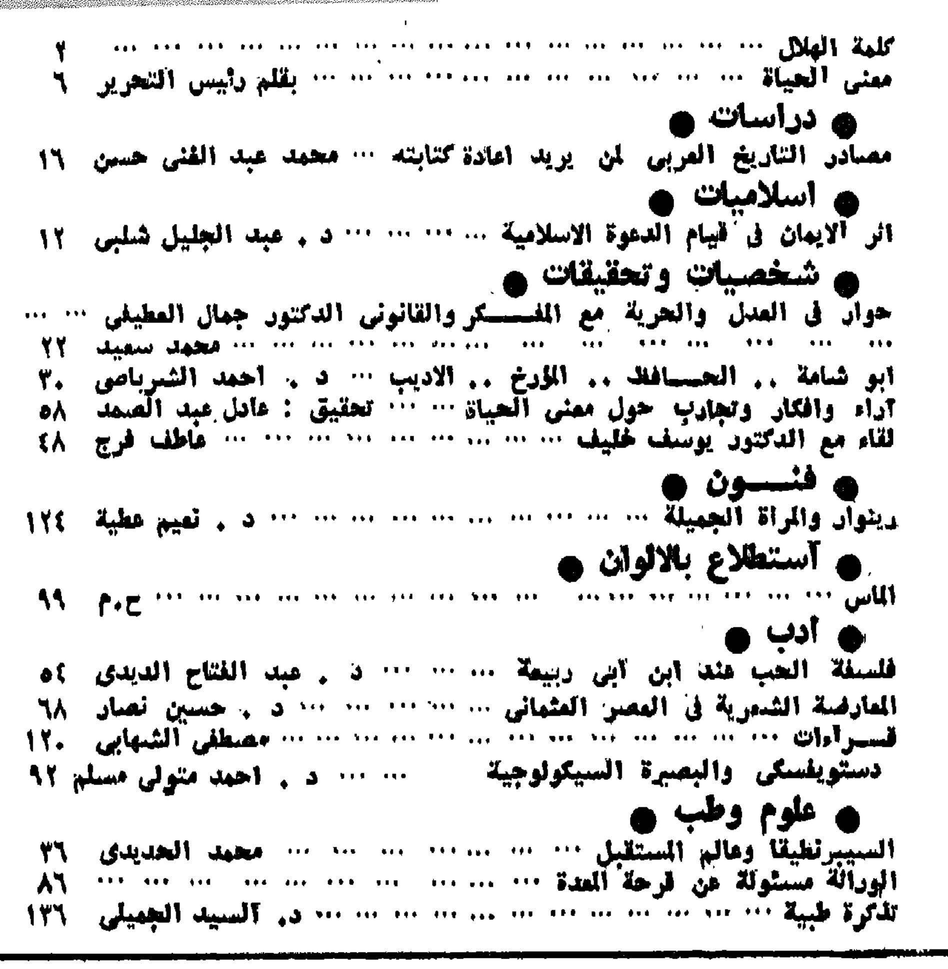
ولو أن انستاسيو سوموزا كان قد سرق عشرة آلاف دولار لكان اليوم طلبة « الانتربول » ، أى البوليس الدولى ، ولكن سوموزا سرق الملايين . وهو لهذا فوق الملايين ..

لن تسعد الدنيا قط ما دام هناك من يقضي على خمسين الف انسان ثم يمضي الى فلوريدا ليستمتع بما سرق ..

لن تسعد الانسانية ما دام الناس ينكرون معنى الحياة ، ولا يعرفون انها حق وكرامة وحرية واحترام للانسان وقيمة الانسان ..

المحرر

فى هلال هذا الشهر





الهلال

مجلة الفكر العربى

شوال ١٣٩٩ هـ
سبتمبر ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السابعة والثمانون ـ
اول سبتمبر ١٩٧٩ ـ ٩ من شوال
١٣٩٩ .

من « الهــلال »

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل بالشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت أم لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الورديجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم . قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية .

فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤جـ . ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ جـ.ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العـرب ـ القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



بقلم رئيس التحرير

● **مما يؤثر عن الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر أنه قال : لقد نيفت على السبعين ووليت الخلافة خمسين سنة ، وما صفا لى العيش فيها الا خمسة عشر يوما ، يوم كذا من شهر كذا ، ويوم كذا من شهر كذا ، ويوم كذا من شهر كذا ·· الى آخره ·**

وتعجب أحد الحاضرين وقال : سبحان خالق الكون ·· اعطاك العمر والصحة والملك والسلطان ، ثم حبس عنك حلاوة العيش الا خمسة عشر يوما !

فقال الخليفة العظيم اللبيب : لم تفهم عنى يا أبا القاسم ، لقد أعطانى الله سبحانه من حلاوة العيش فوق ما كنت أؤمل،ولكن تلك هى الايام التى صفا فيها عيشى وطاب خاطرى واستراحت نفسى واحسست معنى الحياة ! ··

والايام الخمسة عشر التى ذكرها عبدالرحمن الناصر كلها أيام دعة وسكون ، قضاها يستجم من وعثاء سفر الحياة ، جالسا مع بعض نسائه ممن يستريح اليهن فى حدائق القصر ، يغفو ساعة ويفيق ساعة ، فاذا فتح عينيه وقعتا على وجه حلو باسم أو زهرات رائعة المنظر وسماء صافية وخضرة تشرح الصـــدر ·· ذلك كان معنى العيش فى رأى رجل عظيم ··

وهذا الرجل كان أقوى ملوك عصره ، كان يحكم الاندلس كله وجزءا من المغرب ، وكان ملوك أسبانيا النصرانية قد دانوا له بالطاعة والولاء ، فاذا اختصم بعضهم مع بعض حكموه فيما شجر بينهم من خلاف ، وكان عادلا لا يقارف ظلما · طاهرا لا يرتكب معصية ، وكان يراعى الله فى كل مايصدر عنه من قول أو فعل،ولهذا استراح بالله وأمنت نفسه ، واتيحت له من أيام العمر هذه الايام المعدودات فاستمتع بها رضى البال راضيا عن نفسه عامرا مابينه وبين الله ..

● أريد أن يفهم الناس معنى معنى الحياة ، لأنني في الحقيقة أحس ان الناس من حولي لا يفهمون معنى الحياة وبدلاً من أن يسعدوا أنفسهم بما في ايديهم يجتهدون في إشقاء أنفسهم بأنواع من الظلم ينزلونه بأنفسهم لأنهم لا يعرفون معنى الحياة .

وكان أكبر ما فخر به هذا الرجل هو انه على طول حياته واتساع سلطانه لم يعتد على دم أحد ظلما ، ولا هو أطلق لنفسه شهوة الانتقام من عدو ، ولا غصب أحدا مالا ... وقد حدث ان احتاج يوما الى شيء من المال لنفقة الغزوات فاشار بذلك تلميحا الى أحد التجار الذين أثروا من توريد الاطعمة للجيش ، فتصنع الرجل عدم الفهم ، فخرج الخليفة العظيم من التلميح الى التصريح ، فما كان من الرجل الا أن وقف وأقسم انه لن يعطى الخليفة شيئا ، لانه ماله الذى كسبه بجهده ..

وبلغ الخوف بالرجل أن تهوع اى أفرغ مافى بطنه ، فلما عادت اليه نفسه وجد الخليفة العظيم عبدالرحمن الناصر يمسك برأسه ويقول له : لا بأس عليك يا أبا القاسم ،استرح والق ما فى بطنك،فوالله لا مسسنا لك درهما فما فوق!

وهذه مقالة رجل احترم الرجال وعرف حقوق الرجال ولم يمس كرامات الرجال، وشاد بالفضيلة والاحسان ملكا لم يشده غيره ، فاستراح وامن . جلس يوما فى شرفة قصور الزهراء يستروح النسيم ، ومن بعيد رأى جنديا يضرب راعيا ، فأمر احد الخدم باستدعاء الراعي والجندى ، وقال للجندى : لست منى ولا أنا منك ، ومن اليوم تترك خدمتي لان قلبك جاحد لنور الاسلام .. وأما انت ايها الراعي فانت مثلي ترعي ما ملكك الله اياه فماذا تبغي .. فقال الراعي : يا أمير المؤمنين، ما أتمني على الله الا أن يطيل عمرك فى العافية ، فان الدنيا بخير ما دام فيها عدلك وشفقتك وبرك بالناس .

وتنفس أبو الحكم من اعماق نفسه ، وقام فصلى ركعتين وقال : مافوق هذا أبغي : رضا الله ، ورضا الناس ..

***

ذلك رجل احس معني الحياة ..

لان معني الحياة فى تصورى صفاء النفس والضمير ،وخلو القلب من الاحقاد، وشعورك بأنك لا تدين احدا بفضل ، ولا يدينك احد بفضل ، لان الحياة لا تصفو الا مع القلب الصافى ولا تحلو الا اذا أحس الانسان بكرامة نفسه وأمنها واطمئنانها على ما تحب ومن تحب ، وغناها عما فى يد الناس .. وكسبك من جهد يدك وأكلك من حلال رزقك ، وقيامك بحق وطنك ، ووضعك راسك على الوساد آخر النهار، وحمد الله على العافية والخير وصفاء الايمان، ثم اغراقك فى النوم الى ان يطلع فجر اليوم التالى فتصليه ..

***

ولقد سالت الناس قبل ان أخط هذه السطور عن معنى الحياة ، فما راعني الا واكثرهم يقول : أتزوج وأنجب !

وأنظر فى الصحف فأرى شكوى الناس من قلة السكن ، ولماذا يريدون السكن ؟ .. لكي يتزوجوا ، ولماذا يتزوجون ؟ لكي ينجبوا ابرياء جددا ينحشرون فى زحمة هذه الحياة ، ويجاهدون حتى يجمعوا رزق اليوم بشق الانفس ، وفى

يوم من الايام يجدون أنفسهم امام صف من العفاريت ـ أولادهم اقصد ـ كل منهم يريد سكنا ليتزوج ويخرج عفاريت آخرين ، فماذا صنعنا ؟ كما يقول المثل : كانك يا جحا ما تعبت وما شقيت !

والجواب الوحيد الذى كنت أبحث عنه ولم اسمعه هو : معنى الحياة هو أن اعمل عملا نظيفا أسعد به ، واخدم هذا الوطن الكريم وارد اليه بعض فضله ، وأن اعين اخواني المواطنين على ان يذوقوا طعم الحياة • واقوم بحق ربي سبحانه • وان تصفو نفسي ولا أخطىء فى حق احد ، ولا اقصر فى واجب ••

***

وعندما أعود بالذكرى الى ما مضى من أيام عمرى أجد أن أسعد أيام حياتى ، تلك التي شعرت فيها بمعنى الحياة ـ هى تلك التى انقضت بين تخرجي فى الجامعة ودخولى عالم الزواج ، فخلال سنوات عشر لم يكن امامي الا أن انعم بالحلال الطيب من متع الحياة وأولها العمل المستمر •• كنت اقرأ وادرس وأحيط نفسى فى أوروبا بجماعة من الاصحاب • وكلما ملت نفسى العمل خرجنا الى جبال سويسرا • وفى جبال الالب •• أنت تسير فى رياض كأنها قطع من الجنة ، فاذا تعبت ألقيت عصاك وجلست وسط خضرة زاهية ، ومن بعيد يترامى الى سمعك خرير نبع من ماء الجبل كانه رحيق الجنة ، وتقوم وتحضن الماء بيديك وتشرب، ثم تتوسد الارض الخضراء وتغمض عينيك وتشعر بمعني الحياة ! ••

لان الحياة معناها صفاء النفس وشعور الانسان بانه مفيد لغيره مفيد لنفسه قائم بواجبه موفور الكرامة متمتع بحريته فى حدود حريات الاخرين • قانعا بما يؤتيه اياه عمله الحلال المتقن غير ناظر الى ما فى يد غيره ، خالى القلب من الحقد والكراهية والاطماع سليم البدن معافى النفس ••

تلك هى الايام التى شعرت فيها بمعنى الحياة حقا ، ولهذا فما أعجب الا من اولئك الذين لا ينفضون ايديهم من هم الدراسة حتى يفكروافى همالزواج•وانا اعرف أن الزواج متعة وضرورة واكمال للحياة ، ولكن ما الداعى الى السرعة فيه ؟ لماذا لا يتروى الشباب وينتظر حتى تكتمل امكانياته لبناء حياته ثم يضع في يده أى قيد يريد ، وهل الزواج الا قيد ••• وليته يقتصر على ذلك ، بل تأتى بعد ذلك قيود الاطفال ، ومنذ اللحظة التى يسمع الاب فيها صرخة الابن الخارج الى الحياة ـ تنتهى حريته ••• انه يصبح عبد هذا الصغير الذى يجعل الدنيا ترقص حوله : يبكى فيهب الجميع قياما ، ويضحك فتشرق الوجوه ابتساما ، وبين بكائه وابتسامه يشقى الاب والام ويتلاشى من حياتهما معنى الحياة ، لان ذلك المعنى ينتقل الى ذلك الصغير فى اللفة •

لهذا أرى اننا نحن العرب والمصريين خاصة ، بعيدون عن الحياة ومعناها ، اننا نحيا ولا نعيش ، وما أبعد الفرق بين الحياة والعيش ! الحياة حياة النبات والحيوان والانسان ، والعيش هو الاحساس بالحياة •• الاحساس بمعنى الحياة •

***

ولقد عرفت فى حياتى ناسا أعطاهم الله كل ما يمكن ومع ذلك فلا يكادون يشعرون بمعنى من معانى الحياة ، لانهم يحيلون كل نعمة أنعم الله عليهم بها

● إن الحياة ليست مالاً ولا هي متاعاً .. إنها عمل شريف وكسب كريم وحرية ورأس مرفوع وتقدير للقيم والفضائل .. بهذا وحده تكون الحياة نعمة ولها معنى ، وبدونها لا تكون شيئاً ويكون الإنسان دودة أرض يعيش تحت الأرض في ظلام ...

الى نقمة : المال عندهم هم وتفكير .. كيف يحتفظون به ، وكيف يستغلونه على أبشع نطاق دون عمل .. والاولاد عندهم عنصر استغلال ، فهم يريدون أن يكون كل أبنائهم أطباء ، لا ليعالجوا الناس بل ليكسبوا المال ... والزوجة عندهم خادمة تقوم بشئونهم ولا تكاد تحصل منهم على شيء الا بشق النفس .. وانت لاتدرى كلما جلست اليهم ــ لماذا يعيشون ؟! ..

اريد ان يفهم الناس معي معنى الحياة ، لانني في الحقيقة احس ان الناس من حولي لا يعرفون معنى الحياة ، وبدلا من ان يسعدوا أنفسهم بما في أيديهم يجتهدون في اشقاء انفسهم وتعذيبها بانواع من الظلم ينزلونه بانفسهم لانهم لا يعرفون معنى الحياة ..

واعتقد اننا أيضا في تاريخنا الماضي لم نعرف معنى الحياة ، فعشنا كما اتفق . ومرت بنا القرون ، وصدق علينا قول أناتول فرانس : ولدوا وقاسوا ثم ماتوا.

ولاشك أن الناس في الغرب يعيشون احسن مما نعيش، لانهم يفهمون معنى الحياة ..

واول معاني الحياة هو الانتفاع بها في العمل النافع الذي يعود على الانسان وغيره بالخير ، وحسن التصرف في المال ، انفاقه في الاستمتاع الحقيقي بأحسن ما في الحياة وهو النظافة والاعتدال ومعاملة الناس بالحسنى وبما يرضي الضمير ...

وثاني معاني الحياة فيما ارى هو التعود على ان يعيش الانسان في جماعة ، والحياة مع الجماعة وبالجماعة وللجماعة ، لاننا في الحقيقة فرديون ، نعيش لانفسنا فقط ، وعلى رغم ماشقينا بها طوال تاريخنا الماضي لم نتعلم كيف نعيش جماعة ، كيف نتعاون ، كيف يفكر الواحد منا بفكر الجماعة التي يعيش فيها ، وكيف يخدمها لان خدمتها خدمة لنفسه . لقد رايت الناس في المجتمعات الاسعد يفكرون دائما تفكير جماعة . لا يحاول الواحد منهم ان يخدع المجموع لصالح نفسه . انني ادهش دائما عندما أرى الناس يحاولون دائما أن يخدعوا الاخرين لصالح انفسهم .. مارايت الا القليلين يعرفون كيف يحترمون

القانون . اذا تعارض صالحهم مع القانون فان التفكير يتجه الى خداع القانون أو التحايل عليه ...

كنت ناظرا لمدرسة ، وما كان يدهشنى شىء قدر اجتهاد كل انسان فى أن يكسر القانون لصالح ابنه أو بنته .. وعبثا تحاول أن تفهم أولئك الناس أن القانون وجد لصالحهم جميعا ، لانهم يحسون ان الدنيا خلقت لهم وحدهم ، وان كل شىء ينبغى ان يكون لصالحهم هم ، وانه ليس فى الدنيا الا اولادهم ، وان كل شىء ينبغى ان يذلل لخدمة أولئك الاولاد وحدهم من دون الناس .

لهذا تجدنا لا نسعد بحياتنا ، لاننا غافلون عن معنى الحياة ، وهو اننا نعيش فى جماعة واسرة انسانية كبيرة خيرنا خيرها ، وان الطمع لا يجدى والشر لا يجدى والانانية لا تجدى ..

اننا نقول فى هذا البلد اننا كثيرون ...

وأنا أقول اننا كثيرون حقا . ولكن الكثرة فى ذاتها ليست عبئا ، انما العبء هو الكثرة بدون فائدة ، بدون ان ينتج الانسان فوق ما يستهلك . والمشكلة عندنا اننا فى مجموعنا ننتج أقل مما نستهلك ، فنحن دائما مدينون ، واذا أنتج كل منا قدر ما يستهلك لما كان هناك دين ، وبلد مثل اليابان سكانه ١٢٠ مليونا ، ولكنهم لا يحسون بكثرة لانهم ينتجون اكثر مما يستهلكون .وهذا هو الذى يجعل اليابان اليوم من اقوى واغنى دول العالم ، لانهم يعرفون معنى الحياة ، فان الحياة مع الفقر موت ، واليابانى لايقبل الفقر ، ولكننا مع الاسف الشديد لا نعمل شيئا للتخلص منه ، وكل منا يريد أن يعمل أقل مايستطيع ويأخذ اكثر مايستطيع ... والسؤال : من أين ؟

الجواب :

من اللحم الحى ...

نعم نحن اليوم بأسلوبنا فى الحياة نأكل لحم مصر ... ولهذا فاننا لا نحس معنى الحياة ..

***

ان لباب الحياة هو الحرية .

والحرية لا تكون الا اذا تخلص الانسان من اسار الفقر الاسود الذى يحول بين الانسان وبين الشعور حتى بمجرد الحياة ..

والذين يشعرون بمعنى الحياة هم الذين لا يحتاجون الى الاخرين ، لا يذلون رقابهم للاخرين ، ولا يحرمون انفسهم متعة الشعور بالكرامة الانسانية .

اننى افضل الف مرة أن أعمل بيدى واكسب رزقى واحرر نفسى من الحاجة الى الناس ، على ان أحصل على شهادة لا تعطينى من المال ما يغنينى عن الحاجة والحرمان ...

معنى الحياة هو الشعور بالكرامة الانسانية ، هو الشعور بالحرية ، هو الشعور بانك سيد نفسك لاسيد الاخرين فان السيادة الحقيقية هى سيادة النفس ، أو الشعور بسيادة النفس .

والاتجاه الى سيادة الاخرين يحرم الانسان من كل معنى من معانى الحياة ، وماذا يفيد الانسان اذا ساد غيره ؟

ان الناس يشقون انفسهم دون داع لانهم ياخذون الحياة على انهـــا حيلة او احتيال ، والحياة ابعد ماتكون عن الاحتيال ، انها عمل شريف كـــريم يحرر الانسان من ربقة الذل والحاجة الى الاخرين ...

***

الننا غير سعداء لاننا نتجافى عن المعنى الحقيقى للحياة وهو الشعور بالحرية والكرامة والشعور بأن الانسان مفيد لنفسه ومفيد لغيره ، ونحن نصيح ليـل نهار : تحيا مصر ... فماذا نعمل لمصر ؟ كلنا ناكل لحم مصر ، كلنـــا نريد أن نستمتع دون أن نعمل ، كلنا نريد أن نعيش دون أن نضحى ...

لقد عشنا فى ذل المماليك ثلاثة قرون ــ من عام ١٢٥٠ الى ١٥١٧ .

هل تعرف كم كان عدد اولئك المماليك الذين سيطروا علينا .. ؟ لا يزيدون على عشرة آلاف ..

فتصور انه لم يكن فينا عشرة آلاف رجل يعرفون معنى الحيـاة ويخرجـون بالسيوف ليقضوا على أولئك الطواغيت ويستمتعون بالحرية والكرامة .

لقدنا معنى الحياة ثلاثة قرون لاننا لم نفهم معنى الحرية ومعنى الكرامة ..

فى عصرنا هذا الحرية عمل وكرامة وكسب شريف واحترام للاخرين ..

ان الحياة ليست مالا ولا هى متاع .... انها عمل شريف وكسب كـريم وحرية وراس مرفوع وتقدير للقيم .. للفضائل .. بهذا وحده تكون الحياة نعمة ولها معنى ، وبدونها لا تكون شيئا ، ويكون الانسان دودة ارض تعيش تحت الارض فى ظلام ... ●

د . حسين مؤنس

ارآء وتجارب وأفكار حول :

معنى الحياة

تحقيق يشترك فيه نخبة من الكتاب والمفكرين والعلماء ..

إقرأ صفحة ٥٨ وما بعدها فى هذا العدد ..

أثر الإيمان في قيام الدعوة الإسلامية

● د. عبد الجليل شلبي ●

● في التربية الحديثة ، وفي وسائل الدعاية المبنية على قواعد فنية ونفسية ، يوضع ايمان الداعية واقتناعه بالفكرة التي يدعو اليها في المقام الاول من مؤهلاته .. وبقدر ثباته على عقيدته وتملئه بصحتها يكون نجاحه في اقامة مبادئها واقناع الناس بها ، فاذاخفتت حرارة العقيدة فىنفسه او اعتراها شيء من التردد ، هان ايضا نشاطه في الدعوة ونال همته الضعف والفتور ..

وعلى هذا الاساس تختار الدول الآن سفراءها في البلاد الاجنبية ، كماتختار على اساسه كتابها في الصحف ، ومن يقومون بوسائل الاعلام والمبادىء التي تقوم عليها .

هذا المبدأ نفسه هو ما نهجته الدعوة الاسلامية ، ربى الله — تعالى — عليه نبيه ، وربى النبي « صلى الله عليه وسلم » عليه اصحابه .. فقد شاءت الحكمة الالهية أن يعد الله نبيهاولا اعدادا شخصيا به ترسخ الفكرة الاسلامية في كيانه وتتملا بها روحه ويقينه، ثم يقوم بعدذلكبىلاغها ودعوة الناس اليها .. وهذا أمر طبيعي ، فانظر كيف كان اعداده صلى الله عليه وسلم لذلك !

لم ينزل الله عليه القرآن جملة واحدة ، وكان العرب يتوقعون ذلك . بل نزل عليه منجما في فترات تختلف طولا وقصرا ، وذلك حتى تختمر الفكرة في طبيعته البشرية ويرسخ الايمان في فؤاده . والقرآن يوضحذلك اذ يقول : « **وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلكلنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ..** »

بدأت نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم ،بالرؤيا الصالحة . ثم تلقى أول وحى قرآنى لم يكن فيه شيء غير الأمر بالقراءة،ثم اخطر انه نبيولكن لم يؤمر بتبليغ رسالته .. ولم تكن الآيات القرآنية التي أنزلت عليه فيهذه الفترة تشتمل على أحكام دينية للتبليغ، ولكنها اعلنت وحدانية الله ، وتحدثت عن الدار الاخرة ، وتوعدت المكذبين ، وثالث سورة انزلت عليه اشتملت على اعداده الروحى وتهيئته لابلاغالرسالة تلكم هي سورة المزمل ، وفيها يقول الله له :

« **يا ايها المزمل .قم الليل الاقليلا. نصفه او انقص منه قليلا . او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ...** »

هذا القول الثقيل هو اعباء الرسالة ومشقات تبليغها . وهو عبء ثقيل ولاريب ، ولكن الله لم يعد نبيه له اعدادا ماديا ، لم يامره ان يستكثر من الاسلحة والخيول ، او ان يتدرب على



فنون الحرب واساليب المصارعة والبراز، وانما امره بقيام الليل للتهجد وترتيل آيات القرآن . امره أن يقوم بعبادة تقوى صلته بالله وتثبت يقينه فيه ، وقيام الليل انجح فى هذا الغرض ، لانه أبعد عن مشاهدة الناس وادعى الى الاخلاص والخلوة الى الله .

وهذا القيام بما فيه من مشقة السهر وترك راحة النوم ، وبسبب انقضاء مشاغل النهار واعمال الحياة — اشد بعثا على الاخلاص وايقاظا للمشاعر الروحية — ولهذا تقول الآية ايضا : ((**ان ناشئة الليل هى اشد وطئا واقوم قيلا ..**))

***

هذه القوة الروحية والمعنوية هى العدة الاساسية فى بلاغ الدعوة لرسول الله ولمن ينهج نهج رسول الله، وان كانت التعبئة تختلف بينه كنبى ورسول وبين الدعاة الآخرين وهم مجرد اشخاص من البشر ، كما انها تختلف بين شخص وآخر من الدعاة .

ومهما يكن من امرها فانها لا تغنى عنها قوى مادية مهما عظمت ، ولكنها تغنى عن القوى المادية ، وتبعث على البحث عن الوسائل الاخرى ، فالجيش الذى يعتمد فقط على اسلحته وقواه المادية اذا صادف هزيمة تذهب بعدته ، خسر معركته الى الابد وذهبت الاسلحة والجيش جميعا .. أما الجيش او الامة التى تتسلح بالايمان والعقيدة فقد تخسر معركة وعددا من المعارك وتخسر اسلحتها المادية ، ولكنها بايمانها وعقيدتها تظل حية باقية . ومن السهل أن تعوض ما فقدت من مادياتها ، كما انها دائما تبقى على مبادئها ومعنوياتها .

هذا المبدأ واضح جدا من ان الاسلام انفق ثلاثة عشر عاما يدعو الى تصحيح العقيدة وثبات الايمان ، ولم يأت بأى تشريع اجتماعى ، لأن التشريع الذى لا يبنى على ايمان وعقيدة لا قداسة له ولا بقاء .

***

واثر العقيدة الثابتة واضح ايضا فى اصرار النبى على بلاغ دعوته وتحمله المشاق الشداد فى سبيلها ، لانه واثق كل الثقة ان قومه فى غفلة وانهم سيفيئون فى يوم ما الى الاسلام ، ولهذا لايدعو عليهم حين يهينونه ولكنه يقول : اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون

وابرز شىء يذكر فى هذا الصدد هو خطابه صلى الله عليه وسلم الى هرقل ، لقد بعث فى الوقت نفسه رسائل ورسلا الى رؤساء القبائل والملوك واشباه الملوك . وكان فى هؤلاء المناذرة والغساسنة ، وكسرى ملك الفرس ، ولكن خطابه الى هرقل يعتبر اجرأ خطاب ، واقوى الاعمال على رسوخ ايمانه صلى الله عليه وسلم بدعوته .

كانت هذه الرسائل فى السنة السادسة من الهجرة وعقب صلح الحديبية، ولم يكن المسلمون ادوا عمرة القضاء ، فانظر كيف يقدم رجل طريد من بلده ، لما يتمكن بعد حتى من زيارتها — على دعوة اكبر الرؤساء فى ايامه الى اتباعه !!



كان هذا عجيبا فى نظر الكثيرين ، وكان النبى يدرك غرابته، لان الاخرين ليس لهم مثل ايمانه ، ولا مثل ثباته.

خرج يوما على أصحابه نخطبهم وحذرهم ان يختلفوا عليه كما اختلف الحواريون على عيسى ، ثم انبأهم بعزمه على هذه الرسائل ، وقال : **ان الله قد بعثنى للناس كافة فلا تختلفوا على ...**

كان هذا العام ختام حروب طويلة بين اكبر عاهلين فى هذا الوقت ، هما كسرى عاهل الفرس وهرقل عاهل الروم. وكانت المعارك قدانتهت بفلبة هرقل بعد ان استولى الفرس ثلاثة عشر عاما على أخصب ما يملك البيزنطيون فى الشرق وهى أراضى الشام كلها ومصر . وكان الفرس امعانا فى كيد اعدائهم قد انتزعوا الصليب الاكبر من كنيسة القيامة ، فلما انتصر هرقل واسترد هذا الصليب ،نذر ليحجن الى القدس ماشيا ، وليعيدن الصليب الى مكانه فى حفل يناسب جلال هذا الانتصار . وقطع رحلته الطويلة من القسطنطينية الى دمشق ، ثم أقام اياما فى بصرى ليستريح من رحلته وليستكمل القوم للحفل ما يلائمه من ابهة وجلال.

فى هذا الوقت ــ قبل اعادة الصليب .. وصل خطاب رسول الله الى هرقل وفى فاتحته : ((**من محمد عبدالله الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم البريسيين من بعدك ..**))

ترى كان ذلك تهورا من محمد واندفاعا ؟ .

لا . لا تهور ولا اندفاع ، ولكنه الايمان

ويقابل هذا الايمان الراسخ زعزعة الايمان فى نفس العاهلين الكبيرين . أما كسرى فان مجوسيته لم يكن بها من المشاعر الروحية ما يشبع وجدان معتنقيها ، وهو نفسه حين استولى على الصليب لم يجرؤ على ادخاله بيته، بل تخوف لعنة تصيبه فاودع الصلب فى مكان آمين فى حديقة الايوان ، وأما هرقل فكان رجل دين قبل أن يكون رجل حرب ، وكان يترقب ظهور نبى اظل اوانه ، ولابد ان نفسه اهتزت لهذا الخطاب ..

وكان المنذر الغسانى قد تلقى خطابا مماثلا لهذا فكبر عليه أن يدعوه بدوى من الحجاز الى الدخول فى طاعته، واسرع يطلب من هرقل ان يجهز له حملة يؤدب هذا المدعى المغرور كما ظن، لكن هرقل لم يفعل .

ويروى لنا البخارى فى باب الايمان كيف استدعى جماعة من العرب كان فيهم ابوسفيان بن حرب ، فسالهم عن رسول الله عدة اسئلة تناولت شخصيته وسيرته وحال اتباعه ، فلما سمع اجاباتها جميعا أقسم ان كان ماسمعه حقا فان هذا النبى سيملك ما تحت قدميه ، وأردف أنه كان يتوقع ظهوره ولكن لم يكن يظنه من العرب !

***

لقد كان الفارق بعيدا جدا بين قوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ الحربية ، وبين قوة كل من هذين العاهلين ، ولكن الفارق كان ايضا كبيرا بين ايمانه وايمانهما ،ولم تمض بضعة أعوام حتى كان المسلمون حقا قد امتلكوا الارض التى كانت تحت قدمى هرقل ، وهى ارض ايلات ، ثم ارض الشام كلها . كذلك دخلوا بلاد كسرى



وحطموا ملكه ــ وانتصرت قوة الايمان على قوة المادة .

***

ونستطيع ان نمضى مع هذا المبـدأ فنرى أن رسول الله يقوم اصحابه على حسب ايمانهم وقوة عقيدتهم ، كان يقول عن أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ انه لو وزن ايمانه بايمان الامة كلهـا لرجح ايمان أبى بكر . وبهذا التقدير أصر على ان يكون هو امام المسـلمين حين مرض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مرضه الأخير ، وكان فى ذلك اشارة الى ان يكون خليفة المسلمين من بعده ، ولما تقدم عمر مرة ليصـلى بالناس ــ غضب رسول الله ، وقال : يأبى الله ذلك والمسلمون ، مروا أبابكر فليصل بالناس .

وقوة ايمان ابى بكر التى لا تعدلهـا قوة أخرى هى سبب هذا التقديم ، أو هى سبب هذا الاستخلاف ، وصدقت الاحداث بسرعة هذا التقدير ، وصدق هذا المبدأ ، اذ ما كاد العرب ــ وهم حديثو عهد بالايمان يعلمون بوفاة رسول الله حتى منعوا الزكاة ، وواجه أبو بكـر هذه المشكلة فى بداية خلافته ، فماذا عسى أن يفعل ؟

جمع كبار الصحابة ــ وفيهم عمـر وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيـدة وعثمان وغيرهم ــ وعرض عليهم الموقف وسألهم ماذا يفعل ، وماذا سيفعلون ، وتراخى القوم ، وقال عمر : لقد كان رسول الله يمد بوحى من السماء وأنت لا تمد ، فكيف تحارب العرب جميعا . ؟ وخشى أبو بكر ان يتثاقل القـوم عن الجهاد ، فسـألهم ان كانوا على رأى عمر ؟ فلما أجابوا انهم على رأيه ، أصر على جهاد العرب ولو كان وحيدا !

التفت الى عمر وقال : أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام ؟ أما والله لو منعونى عقالا كانوا يعطونه رسـول الله لحاربتهم عليه !

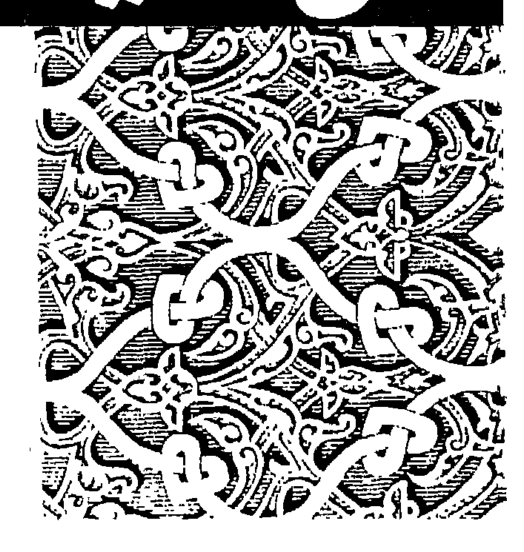
ورجح ايمان أبى بكر على ايمـان الامة ...

وشرح الله صدر القوم لما شرح له صدر أبى بكر ــ لقد رأوا ان الرجل على استعداد أن يحارب وحده ، وعلى استعداد ان يموت فى سبيل دينـه ، وانه لا يقبل الحياة وركن من الاسلام غير مقام ..

انه يعرف موقف رسول الله يوم ان اجتمعت به القبائل عند عمه أبى طالب يعرضـون عليه الملك والسيادة والمال ، فيصر على ان يجاهد فى سبيـل دينه حتى يظهره الله أو يهلك دونه ، وانه يعرف ان الله قال لنبيه ــ : ((واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك)) والعرب يريدون ان يغضـوا عن ركن من اركان الاسلام ، فليكن موقفـه كموقف رسول الله ، اما ان يؤدى القوم الزكاة أو يحاربهم هو حتى يهلك دون مبدئه ــ دين الله الذى ارتضاه .

وهكذا كان الايمان اساس قيـام هذه الدعوة ــ فهى اذن دعوة لم تقم على خيل ولا سلاح ، لم تقم على الماديات أياكانت ، وانما قامت على المعنويات واخلاص الايمان .

مصادر التاريخ العربى لمن يريد إعادة كتابته



● محمد عبد الغنى حسن ●

● ان مصـــادر التاريخ العـــربى الاســـلامى المتوفـــرة حاليا ـ ســـواء منهـــا المطبـــوع فى الشرق او الغرب ، أو المخطوط المودع خزائن عامة وخاصـــة ـ تكون منبعـــا فياضا للمؤرخ الذى يود الكتابة عن ابة حقبة من حقب التاريخ العربى على مدار الزمن كله .. وليست هذه المصـــادر الكثيرة المتنوعة ـ بالطبع ـ ســـواء من حيث قيمتها التاريخية ، واصـــالتها ومناهج بحثها ، وحيدتها ، وبعدها عن التعصب والميل والهوى ، وتمحيصـــها للاخبار والوقائع ، وتوثيق روايتهـــا ، ومناقشتها للقضاياالتاريخية او تسليمها بها كمسلمات لا تقبل النقاش،وتحقيقها للاحداث والتواريخ ، ومقابلتها للحادثة الواحدة فى روايات متعددة ، وتحقيق الاعلام وضبط الاســـماء ، ومن حيث الاسلوب الذى كتبت به ، ودونت فيه والذى قد يجنح احيـــانا الى الزخـــرفة اللفظية والتزويق ومحســـــنات الكلام ككتاب عماد الدين الاصبهانى من مؤرخى القرن السادس الهجرى ، الذى ارخ به فتح صلاح الدين الايوبى لبيت المقدس واسترجاعها من يد الغاصـــبين ، وهو كتاب مسجوع العبارة ، منمق الالفاظ مزخرف الاسلوب ، حتى قال فيه احد المؤرخين المعاصرين انه : (يكاد يكـــون مغلقـــا على قـــراء هذا العصر ، لغـــرابة أسلوبه وألفاظه) .

وقد يرتفع الى القوة فى العبـــارة ، والبعد عن الزخارف اللفظية ، وتأصل البيان العربى ،كالذى نجده فى أسلوب المؤرخ الطبرى ، الذى يعد من أقـــدم المؤرخين العرب وأصلهم ، وأقربهم الى التحفظ فى الرواية التـــاريخيـــة ، عن طريق الاسناد والعنعنة ، كما كان يفعل رجال الحديث النبوى أول الامر ، وكما فعل رجال الادب بعد ذلك ، كأبى الفرج الاصفهانى صـــاحب كتاب « الاغانى » الذى يعد ـ مثل كتـــاب الطبرى فى التاريخ ـ من أقدم المصادر وأصـــلها وأجمعها للشعر العربى وأخبار الشعراء وتراجمهم ..

علينا أن نسوى من مصادر تاريخ العرب المتعددة، المتضاربة أحيانا، والمتشابهة فى أكثر الأحيان، مصدرا يطمئن إليه التارئ الحديث ويعتمد عليه فى كتابة تاريخ سوى صادق أو قريب جدا من الصدق للعرب القدامى والمحدثين..

وقد ينحدر الاسلوب فى كتب التاريخ ويهبط الى مهوى العامية أو العربية الركيكة • كالذى نجده فى كتاب « مذكرات تاريخية » الذى صنفه أحد كتاب الحكومة الدمشقية فى عهد حروب محمد على ، وحملة ابنه ابراهيم باشا على الشام ، وشحنه بملاحظاته ومشاهداته التى أتيحت له بحكم مكانته فى الديوان ، وقربه من مسرح الحوادث • ولما جاء ناشر هذه المذكرات ـ واسمه الخورى قسطنطين الباشا المخلصى ـ لينشرها فى كتاب مطبوع ، رأى أن يبقى أسلوب صاحبها على حاله ، ما دام يؤدى المعنى ، ويبلغ المراد ••

***

وقد يجمع أسلوب المؤرخ بين اللغة الفصحى حينا والعامية حينا آخر ، فيزاوج بينهما ،كما فعل المؤرخ الدمشقى شمس الدين محمد بن طولون ، الذى ترك لنا جملة طيبة من الكتب التاريخية منها كتابه الذى ظهر من عهد غير بعيد بعنوان : (مفاكهة الخلان ، فى حوادث الزمان)ويحتوى على تاريخ مصر والشام حتى سنة ٩٢٦ هـ ، أى بعد الغزو العثمانى باربع سنين •• وقد كتبه الرجل باسلوب لغوى ، صحيح ، سليم، سهل العبارة ، الا أنه كان يلجأ فى كثير من الاحيان الى استعمال بعض تعبيرات عامية ، أو بعض مصطلحات شامية دمشقية محلية ، مما كان لغة الحديث والتخاطب فى ذلك العصر •

ونلمح هذه الظاهرة :ظاهرة المزج بين الاسلوب الفصيح ، والاسلوب العامى الدارج ـ عند مؤرخ مصرى ، هو أبو البركات محمد بن أحمد المشهور بابن اياس ، وقد عاصر أيضا الفتح العثمانى لمصر والشام ، وأودع كتابه الثمين : (بدائع الزهور ، فى وقائع الدهور) كثيرا من أخبار تلك الايام ••

كما نلمحها ـ كذلك ـ عند المؤرخ المصرى الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، الذى عاصر الحملة الفرنسية على مصر فى أخريات القرن الثامن عشر الميلادى، وكتب فيها كتابه : (مظهر التقديس ، بذهاب دولة الفرنسيس) ، كما عاصر ظهور حكم محمد على ، وأودع كتابه المشهور : (عجائب الآثار ، فى التراجم والاخبار) المعروف بتاريخ الجبرتى ـ كثيرا من أخبار محمد على وابنه ابراهيم

وأكثر المصادر المتوفرة حاليا فى التاريخ العربى عربية الأصل ، أو عربية اللسان ، وهناك مصادر كتبها قوم من غير العرب بلغاتهم ، واتيح لبعضها أن يترجم الى اللغة العربية ، وظل جزء منها لايزال ينتظر من يترجمه حتى يتمكن العربى الذى لا يعرف لغة أجنبية أن يتعرف الى ما يقوله الاجانب عن العرب وعن تاريخهم القديم والحديث •

مصادر التاريخ العربي

لمن يريد إعادة كتابته

ومن الكتب الاجنبية التى كتبت عن العرب والاسلام طائفة امتازت بالتحقيق والتوثيق ، عكف عليها علماء أجالب من المستشرقين ، واستخرجوا مادتها مما تجمع لديهم من معلومات مبعثرة فى مصادر تاريخية قديمة ، أو من كشوف أثرية - وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام - أو من مصادر قديمة غير عربيةمعاصرة لاحداث قديمة ، أو من استنباطات واستظهارات وصلوا اليها بالمقارنه والموازنة ، كالذى نجده فى كتب « هالفى » عن نجران واليمن ، و « فلهاوزن » عن تاريخ العرب قبل الاسلام و « **هيوار** » **فى كتابه عن تاريخ العرب - وهو غير كتابه المشهور فى تاريخ الادب العربى - و « سلفستر دى ساسى » فيما كتبه عن تاريخ العرب فى الجاهلية و « برسفال » الابن فى كتابه عن العرب قبل الاسلام ، و « جوستاف فايل » فى كتابه عن تاريخ الخلفاء ، و « فون كريمر » فيما كتبه عن تاريخ الحضارة العربية ، و « دوزى » فيما كتبه عن تاريخ الاندلس ، و « كاتيانى » فيما كتبه عن تاريخ الاسلام ، و « أمارى » فيما أمله عن تاريخ العرب فى صقلية ، و « بروكلمان » فى كتابه عن تاريخ الشعوب الاسلامية ، وكالذى كتبه أخيرا القائد العسكرى « جون باجوت جلوب » - أو جلوب باشا - عن الفتوحات العربية الكبرى ، فدخل بذلك ميدان المؤرخين ، كما دخل من قبل ميدان العسكريين السياسيين الاستعماريين .**

****

وبالطبع لا تخلو بعض هذه المصادر الاجنبية من غمزات فى تاريخ العرب والاسلام لا تخفى على الفطن اللبيب .. وقد يكون الجهل أحد بواعث هذه المغامز اذا أحسنا الظن بأصحابها ، والا فهى مطاعن خفية مقصودة لا تدخل فى باب احسان الظنون .. وقد يأتى الرد على هذه المغامز والمطاعن حين تدعو المناسبة ، أو يقتضى الموضوع ... الا أننا وجدنا معرب كتاب (الفتوحات العربية الكبرى) لجلوب باشا وهو صديقنا المرحوم خيرى حماد - قد تصدى للرد على اتهامات جلوب ومغامزه أينما جاءت فى موضعها من الكتاب .. وبهذا جمعت ترجمة كتاب جلوب الى العربية بين النقل والتعليق الحاضر العنيد ، الذى يرد به المعرب - رحمه الله - افتراءات المؤلف الانجليزى واتهاماته للعرب والمسلمين ونبى الاسلام

واذا كان (أحفل ما كتب عن العرب بالفائدة هو ما كتبه عنهم خصومهم) - كما قال صديقنا العالم المؤرخ المفكر محرر الهلال فى استهلاله العميق لعدد يوليو سنة ١٩٧٩ من الهلال - فان وقفة هنا لابد أن تنصف هذه الفكرة .. فقد تكون كتب خصوم العرب التاريخية حافلة بالمادة ، مزدحمة بالمعرفة،ولكنها مع ذلك لا تخلو من السم المنفوث فى الدسم ..

ولن يعوزنا مثال واحد حديث من عشرات الامثلة التى يضيق هذا المقام عن تعقبها .. فكتاب (الفتوحات العربية الكبرى) لجلوب ، عظيم حافل بالمعارف التاريخية ، وبالنظرات الصائبة ، والاستنباطات الجيدة حين تصح النية وتصفو الطوية .. ولكنه فى مواطن كثيرة يغمز العرب والاسلام والمسلمين والنبى الكريم غمزا يذكرنا بحملات المبشرين ، فتارة يتهم النبى والمسلمين بالارهاب وأعمال الاغتيال متناسيا محاولات الغدر والاغتيال من خصوم الدعوة الالداء ، من أمثال أبى براء ، وعامر بن الطفيل ، وغدر بنى النضير ومحاولتهم اغتيال الرسول نفسه .. وتارة يتهم النبى عليه السلام بخلوه من المواهب العسكرية ، والمهارة التى

بتطلبها فن القيـــادة ، مع أن نتيرا من المؤرخين الاجانب يخالفونه فى هـــذه النظرة المغرضة غير الموضوعية • وثالثة نراه يتهم القائد الفاتح عمرو بن العاص بسلوك سياسة الغلظة والشدة والعنف والقسوة فى خلال الفتح العربى لمصر ، ونسى مســلكه اللطيف الرحيم نحو الاقباط الذين أعانوه على تسهيل الفتح كراهة منهم للرومان المستعمرين ••• فلا بأس ـ اذن ـ أن نأخذ معارفنا التاريخية الخاصة بالعرب والمســلمين من المصادر الاجنبية التى كتبها الخصوم ولكن لا يجوز أن نغفل فيما نأخذ ـ عن الحذر الشديد ••

وبمناسبة الحـديث عن المصـادر التاريخية التى كتبها مؤرخـون اجانب عن العرب والاسلام ، أود أن اشير هنا الى ظاهرة تلفت النظر،وهى أن مؤرخينا الاوائل ـ فى أواخـر القـرن الاول الهجـرى ، والقـرن الثانى ـ كانـوا اخباريين ورواة اخبار •• ولم يكونـوا مؤرخين بالمفهوم الذى نصادفه بعد ذلك فى القرن الثالث وما تلاه من القرون • لقد كانوا يروون اخبار حوادث معينة ، كأخبار النبى ، واخبار قريش ، وأخبار النساء ، وكتاب الردة ، وكتاب وقعـة الجمل ـ بين أنصـار على ومعاوية ، ووقعة صفين ••

ولقد كان هؤلاء الاخباريون والرواة عربا أقحاحا ، وان كان بعضـــهم من الموالى • ومن هؤلاء الاخبـاريين : أبو مخنف لوط بن يحيى ،وعوانة بن الحكم وابن اسحاق ـ مؤرخ السيرة النبوية ـ والمدائنى ، والواقدى ، وهشام الكلبى، والزبير بن بكار ، والهيثم بن عدى ••

فاذا انتقلنا الى القرن الثالث وأوائل الرابع الهجرى ، رأينا الاعاجم المسلمين الذين اسـتعربوا يؤلفون فى التاريخ العربى الاسلامى ـ كما كانوا يؤلفون حتى فى اللغة العربية نفسها وفى الفقه وعلى رأس هؤلاء المؤرخين الاعاجم الامام المفسر المؤرخ أبو جعفر بن جرير الطبرى وأحمد بن طاهر طيفـــور ـ الذى كان معـاصرا للطبـرى ـ وأحمـد بن يحيى البلاذرى ، وقد اشتهر بكتابيه عن فتوح البلدان ، وأنســـاب الاشراف ، وابن مسكويه ـ أو مسكويه ـ المؤرخ الذى كتب التاريخ عن تجربة وملاحظة دقيقة وتفطن الى أسرار الاشـــياء •• كالذى لاحظه ـ بحق ـ من أن الاتراك كانوا يتعمدون أن يختاروا للخلافة العباسية من بنى العباس ، الحديثى السن، الاغرار ، أو من فيهم بله وغفلة •• أو العاكفين على الملذات والملاهى •• ثم يتعمدون أن لا يطلعوه على كتاب فيه جد ، أو فائدة ، حتى لا يتفتح ذهنه بالمعرفة فيحاسبهم على أعمالهم •• ! فهم ـ يعنى الاتراك المتغلبين على الدولة العباسية ـ فى أمن وعافية واطمئنان على مناصبهم ما دام الخلفاء غافلين أو جهلاء !

ونلاحظ أن كتابة التـاريخ العـربى بعد القرن الخامس الهجرى قد عادت الى العرب أنفسهم ، بعد أن اختص بها الاعاجم أكثر من قرنين •• ولم نعـد نلاحظ من المؤرخين الاعاجم غير العرب الا قلـة نادرة • ومن هؤلاء المـؤرخين العرب : جمـــال الدين القفطى المؤرخ المصرى الصــعيدى ، وابن القـلانسى الدمشقى من مؤرخى القرن الســادس الهجرى ، وهو تميمى عربى أصـــيل ، وابن عساكر الدمشقى ـ صاحب تاريخ مدينة دمشق المشهور ـ وكان من حظى أن أشـارك فى مهرجان ذكراه ، الذى أقيم بدمشـــق فى أبريل سنة ١٩٧٩ ، ببحث عن تقييمه فى نظـر القـدامى والمحدثين ، وعمارة اليمنى الشـــاعر المؤرخ المشهور المعروف بولائه للفاطميين وحزنه على ضياع دولتهم ، والسـهيلى مؤرخ السيرة النبوية المشـــهور والمفسر لها والمعقب على أحداثها فى كتابه الجليل: (الروض الانف) ،وابن عذارى المراكشى **صاحب كتاب (المغرب فى اخبار المغرب)**

مصادر التاريخ العربي
لمن يريد إعادة كتابته

وابن الأثير الجزرى المؤرخ صاحب كتاب (الكامل) ، وصلاح الدين الصفدى ، وتقى الدين المقريزى البعلبكى الاصل ، صاحب « الخطط » و « السلوك » وغيرهما ، وابن كثير صاحب (البداية والنهاية) فى التاريخ ، وهو قرشي ، بصروى - نسبة الى بصرى - من مواليد دمشق سنة ٧٠٠ هـ ، وابن خلدون عبقرى العرب فى التاريخ وفلسفته، ولسان الدين بن الخطيب الاندلسى والنويرى المصرى الصعيدى الموسوعى ، والامام السيوطى الصعيدى المصرى صاحب « حسن المحاضرة » ،ونجم الدين الغزى الدمشقي صاحب « الكواكب السائرة ، فى المائة العاشرة » وقد نشرت جامعة بيروت الامريكية قسما منه ..

***

وفى هذا المزدحم من المؤرخين العرب ظهر مؤرخون من الاعاجم ، كالعماد الاصفهانى ، وابن تغرى بردى صاحب « النجوم الزاهرة »،وهو تركى تمصر، ومغلطاى ، وهو أحد كتاب السيرة النبوية ، وأصله تركى ..

وهذه المصادر التى ذكرنا بعضا منها على سبيل المثال - ولا سبيل لحصرها هنا فى هذا المجال الضيق - لاغنى عنها لمن يريد أن يتوفر على اعادة كتابة تاريخنا العربى بطريقة تلائم روح العصر ومقتضياته واتجاهاته . فلابد لمن يؤرخ - مثلا - للقومية العربية أن يرتد الى الاصول العربية القديمة لها ، وأن يتلمسها حتى فى العصور الجاهلية ، وأن يجد من حوادث الفتوحات العربية، وامتداد حركات التوسع ما يؤيد به كلامه .. وهنا لانحجر على مؤرخ حديث، ولا نضيق أمامه واسعا من مذاهب البحث والدرس ، فان منابع التاريخ العربى ومصادره كثيرة بين يديه ، وعليه - كمؤرخ حقيقى صادق المنهج - أن يجمع الاحداث ، وأن يقابل بين النصوص ، وأن يعارض الاخبار بعضها ببعض ليخرج منها ، ويصل عن طريقها الى الرأى الذى يرتئيه ..

ومن عجائب الرجوع الى المصادر واستشارتها ، ومقابلة بعض نصوصها ببعض ، أننى كنت أقرأ من عهد قريب عن حركة عبدالله بن الزبير ودعوته لنفسه بالخلافة بعد مصرع الشهيد الحسين بن على فى عهد يزيد بن معاوية . لقد انهالت على ابن الزبير النجدات وهو متحصن فى الكعبة اتقاء لغزوات يزيد .. فجاءته نجدة من أهل المدينة المنورة ونجدة من ابن عامر الحنفى الذى كان عاملا على اليمامة ثم ثار على الحكم الاموى .. ونجدة من الخوارج الازارقة - وهو على غير مذهبهم - فقبل معونتهم على الرغم من اختلاف المبادىء بينه وبينهم .. ونجدة من المختار بن أبى عبيد الثقفى ، على شروط تشارطا عليها ... وهذه النجدات قد اشتركت فى روايتها أكثر مصادر التاريخ العربى القديمة الا خبر النجدة التى أرسلها « النجاشى » من الحبشة للدفاع عن الكعبة ، فقد انفرد بهذا الخبر مؤرخ واحد ، هو البلاذرى .. فهل نقبل هذا الخبر على علاته،أم نناقشه ونرى مبلغ الصدق فيه؟

الحق أن مصادر تاريخ العرب كثيرة متنوعة ،ولا يزعم مصدر أنه انفرد بذكر وقائع التاريخ العربى كله ، أو انه لايمكن الاستغناء به عن غيره .. فلكل مصدر قيمته ، وعلى كل مصدر مآخذ لا تخفى على المؤرخ الفطن البصير المحايد وعلينا أن نسوى من هذه المصادر المتعددة ، المتضاربة أحيانا ، والمتشابهة فى أكثر الاحيان مصدرا يطمئن اليه القارىء الحديث،ويعتمد عليه فى كتابة تاريخ سوى صادق أو قريب جدا من الصدق للعرب القدامى والمحدثين ..

باقة سوسن

● د . انس داود ●

أسعفتني ...
أشعلتِ برق الحبّ في روحي ، وبين ملاحني
لما خطرتِ بموطني ..
وطلعتِ كالصبح المنوّر ضمّ باقة سوسن
وبوجهك الطفل البريء
و « زيِّك » المتديّن .
أنسيتني ...
أن الذي بيني وبينك في حساب الأزمن ! ...
عشرون ... أطفأن الرماد بخافقي وأعينني ؟
وقرأن فاتحة الكتاب على رفات سفائني !

***

علّقتيه في الصدر « قرآنا » ، تميمة مؤمن !
قنديل هذا العصر
أمطار الربيع المحسن
فبكيتُ من عاري الذي لم أنسه .. لم ينسني
عبر الموانيء كان يبكي أرغني
عبر الموانيء كم تسوّلت الهوى
وضممتُ أشباح الهوان المزمن
ونسيت .. ياقمري الوحيد ، ودفء هذا المسكن
قلبي الذي ضيّعته
قلبي الذي كم بعته
وتراث أجدادي الذي لم أبكه ... لم يبكني !

***

عادت إليّ سفائني
ومدى البحار
وأغنيات الشوق بين ملاحني
وأتيتني ...
عذراء في توق الربيع ،
وفي طهارة سوسن
غار الفتوحات التي لم أنسها ، لم تنسني
فوق الجبين
وفي العيون
وفي ضمير الأزمن !



حوار فى العدل والحرية مع المفكر والقانونى الدكتور جمال العطيفى



د . جمال العطيفى

● محمد سعيد ●

●● فى رســـالة من الكاتب الكبير توفيق الحكيم الى الدكتور جمال العطيفى الذى نشرها فى كتابه ((من منصة الاتهام)) الذى صدر عام ١٩٦٨ ـ قال الحكيم للعطيفى : ((على انك من حيث الاسلوب أيضــا ، قد استطعت ان تثير الاهتمام فما من لحظة واحــدة شعرت فيها بالملل من قراءة ماتكتب ، فاســـلوبك مشرق مستقيم ، يذهب توا الى الهدف دون التواء ، وبغير زيادة او نقصان فانت من طراز اولئك القلائل من رجال القضاء فى كل جيل ممن جمعوا بين التضلع فى القانون والتذوق للادب .. بل انت فوق ذلك من أولئك الذين يعملون فى الحياة العامة ويخالطــون طوائف من الناس فلا يمرون بهم دون ان يقفوا منهــم على جوانبهم الانسانية ... تلك هى علاقة المأســاة بالنفس البشرية .. قد فهمها الشعراء والفنانون ، كما فهمها المتعمقون المثقفون من رجال القــانون . وانت واحد من هؤلاء)) .

●● يجب أن تكون العبرة بالقدرة على الإبـداع الفكري والفني أيا كانت الينابيع الفكرية للكاتب والفنان

●● من إنجازاتي التي أعتز بها في مجال الفكر والثقافة إلغاء الرقابة على الكتب

●● **وقد عبر توفيق الحكيم عن اهم جوانب التفكير عند الدكتور جمال العطيفي : رجل القانون ، المشرع ، البرلماني ، الاستاذ الجامعي ، المستشار القانوني ، عضو اللجنة الدولية للاعلام بمنظمة اليونسكو ، وزير الاعلام والثقافة السابق و ... و ... وقبل كل هذا ، أحد المشتغلين بالفكر الانساني والعلوم الانسانية .**

ورجل يحمل هذه المهام في فكره قادر على أن يكون له وجهة نظر واضحة في أهم ما يشغل الفكر الانساني « **الحرية والعدل** » **وهو يقول انهما لا ينفصلان** الحرية حق والعدل ضمان له ...

●● **قلت للاستاذ الدكتور جمال العطيفي رجل القانون واستاذ القوانين والتشريعات الصحفية بجامعة القاهرة : كيف اتضح ميلك الى الدراسات القانونية مع سنوات التكوين الاولى ؟**

يرد متأملا عشرات المجلدات الضخمة تطل علينا من مكتبة حجرته : هناك أسباب عامة ، وهناك أسباب خاصة لاختياري القانون ، والاولى ترجع الى ظروف مصر في الاربعينات ، فقد التحقت بالحقوق عام ١٩٤٠ بالنسبة للاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وقتذاك وهي أمور هزتنا ونحن في هذه السن ، ولهذا تطلعنا لدراسة القانون وكانت الدراسات السياسية والاقتصادية وقتها جزءا من دراسة الحقوق ، وهي علوم تعين في فهم أمور الحياة العامة ...

أما الاسباب الخاصة فهي نشأتي في بيئة قانونية تأثرت فيها بخالي الذي كان يعمل بالنيابة العامة وقتها ، وكان أخي - نائب محكمة النقض الان - قد سبقني في دراسة القانون ، ووقتها سمعت عن **الدكتور وحيد رافت والدكتور وايت ابراهيم والدكتور السنهوري ...**

وعندما كنت طالبا بالمدرسة الثانوية كنت أسطو على كتب أخي القانونية ، لكي أعد منها الخطب والمقالات التي كنت أعدها وأنا طالب في مدرسة **الخديو اسماعيل** - الموجودة في الدواوين قرب دار الهلال حاليا ..

وقتها كان أستاذي **الدكتور راشد البراوي** وكان يدرس لنا مادة التاريخ ولا أنسى ما قاله عن توزيع **محمد علي** للملكية الزراعية في مصر .. وكيف وجهتنا هذه الدروس الى أفكار كبيرة بعد ذلك ..

ولم يتغير ميلي للقانون والدراسات السياسية والاقتصادية بعد التحاقي بكلية **الحقوق** . وانا اتصور انه لايمكن فصل الدراسات السياسية والاقتصادية عن القانون مع احترامي للدارسين والخريجين في **كلية الاقتصاد والعلوم السياسية** - وابنتي خريجة متفوقة في هذه الكلية ، فان اولئك

حوار في العدل والحرية

المتخصصين فى الاقتصاد والعلوم السياسية ممن درسوا القانون فى مرحلة الجامعة أصبحوا من المع الاقتصاديين مثل **الدكتور محمد زكى شـافعى ، والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ،والدكتور رفعت المحجوب ، والدكتور حسين خلاف ، والدكتور فؤاد مرسى** ... وانا لا اريد ان أعقد مقارنة بين من درسوا الاقتصاد فى كلية الاقتصاد وفى كلية التجارة وفى كلية الحقـوق ، لكنى ارى من تخصصوا فى الاقتصاد وأساسات دراستهم القانون كانوا فى صدارة الاقتصاديين .

ولعل انشاء الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع التى اتشرف برئاستها الان ، يوضح الرابطة بين الاقتصاد والقانون . **ومن خـلال الجمعية نشأت اول نظم ضريبية واول نظم جمركية . وكان رئيسها فى البداية الدكتور عبد الحميـد بدوى** القانونى الضليع الذى كان نائبا لرئيس محكمة العدل الدولية فى لاهاى .

●● **قلت للدكتور جمال العطيفى وماهى علاقة القانون بالادب وهنـاك عدد من المؤلفات تحمل اسمك من بينها : من منصة الاتهـام ـ والطـريق الى الديمقراطية ـ وحرية الصحافة ـ وسنوات عبد الناصر .**

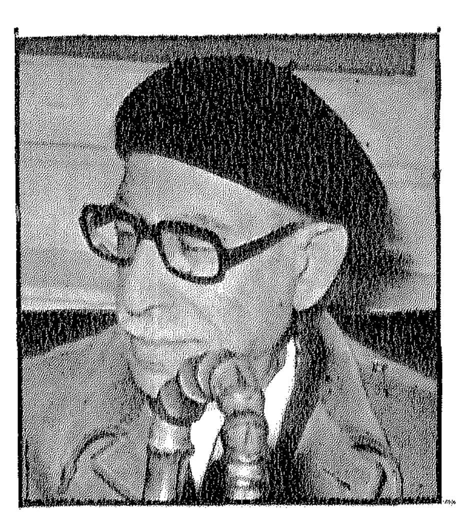
يرد الدكتور جمال العطيفى وهو يمسك بعدد ((يونية)) من **الهـلال** مشيرا الى حديث **الدكتور زكى نجيب محمود** ، ثم يقول : فى مطلع شـبابى بدات اهتماماتى الادبية الواضحة ، فأستاذى فى اللغة العربية فى المدرسـة الثانوية **الشاعر المجيد محمد عبد الغنى حسن** ، واستاذى فى الفلسفة **الدكتور زكى نجيب محمود** ... تصور من يدرس الفلسفة على يد زكى نجيب محمود ، والتاريخ على يد الدكتور راشد البراوى ، والادب على يد محمد عبد الغنى حسن ...

كانت لنا مجلات ادبية متخصصـة نتبارى فى الكتابة فيها ، وقتهـا نشرت قصة لى عنوانها ((**سلمى**)) وفى هذه السن المبكرة حينما يبدأ الاحسـاس بالكتابة تبدأ تجارب الشبان اما بالشعر واما بالقصة . وبعدها بدات فى كتابة الدراسات التاريخية ... وكنت اتحمس لفريق التمثيل وان لم التحق به ، وكان الممثل الفنان الراحل صلاح منصور زميلا لنا فى تلك الفترة .

لكن اهتمامى بالادب والقانون فى وقت واحد مرجعه اعجابى بتوفيق الحكيم من خلال متابعة كتاباته فى مجلة الثقافة وكذلك كتـابات الاخـرين **احمد حسن الزيات ومحمد فريد ابو حديد واحمد امين** وغيرهم ، فى الهلال والرسالة والمقتطف ...



منصور حسن



توفيق الحكيم





د . زكى نجيب محمود

على ان توفيق الحكيم كان أكثر هؤلاء تأثيرا فى نفسى منذ قرأت له « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الارياف » و « عصفور من الشرق » حتى اننى حينما سافرت الى باريس وجدت تأثير الحكيم فى تشكيل ثقافتى ، فقد اعطانى فى كتابه عصفور من الشرق اطلالة على الثقافة الغربية والموسيقى ...

وعندما وصلت باريس كنت ابحث عن الاماكن والاسماء والناس والاوبرا ، وشاهدت أوبرا كارمن وأنا اقرأ النص الكامل للمسرحية الغنائية حتى أتابع الحوار الغنائى كلمة كلمة ، وشعرت بلذة كبيرة حينما وجدت كارمن تقول « الحب طفل بوهيمى لايعرف أبدا قانونا » !..

وقبل الحكيم تعرفت على **مصطفى صادق الرافعى** ، وكذلك **المنفلوطى** ، وأنا مدين بالتعرف عليه لقريب لى ضرير كان يرجونى فى بلدتى أبو تيج أن أقرأ له مؤلفات **المنفلوطى** ، وكذلك أشعار **شوقى وحافظ** .

بعدها فى مرحلة لاحقة تعمقت فى كتابات **عباس محمود العقاد** «العبقريات» ثم كتابات **طه حسين**((**اديب والايام**)). أيضا احببت السير الشعبية التى تعرفت عليها من خلال اخى الاكبر نائب رئيس محكمة النقض .. ولعلك تلاحظ على باب مكتبى لوحة بها عبارة تقول ((**اننى والملل صنوان ، غير اننى لا استعين بكلمات محفوظة ولكنى اخلق من الحقائق والاحلام جوا صالحا ـ لان هذه هى المحاماة**)) هذه الكلمة لشيخ المحامين فى بريطانيا **مارشال هول** ، ولهذا اختلطت عندى دراسة القانون والسياسة والادب ...

ولا استطيع ان انسى كتابات **الدكتور محمد حسين هيكل** التى مزجت الادب والسياسة ، وهنا اتذكر أهم كتبه ((**حياة محمد**)) ...

ولقد استفدت كثيرا فى قراءة كتب التراث وخاصة منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر بحكم اعجابى **بالمرحوم البرلمانى الضليع يوسف الجندى** ، ومن خلال صداقتى لابنائه،كنت أحصل على الكثير من امهات الكتب فى الفكر السياسى المترجمة من مؤلفات **ديزرائيلى وهارولد لاسكى** .

●● هل بدأ تعلقك بالبرلمان وقد أمضيت فيه تسع سنوات من خلال علاقتك بزعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ المرحوم يوسف الجندى ؟

ــ من خلال مواصفات الفترة التى عاش فيها **يوسف الجندى** كان برلمانيا ممتازا جديرا بالاعجاب ، **فهو** قوى وعف اللسان ، يعد مادته التى يلقيها أمام

المجلس بعناية شديدة ولقد تابعت وأنا صغير وضوح وقوة وموضوعية يوسف الجندى زعيم المعارضة الذى يتميز بعفة اللسان . وكان بالنسبة لى المثل الذى اتمناه لنفسى .

عندما مرت الايام وأصبحت وكيلا لمجلس الشعب كنت أتخيل يوسف الجندى وأنا أرأس بعض جلسات الاستماع فى قاعة مجلس الشيوخ .

وكانت تستهوينى مناقشات **عبد الحميد عبد الحق واسماعيل غنام** ، وفى فترة لاحقة **الدكتور عزيز فهمى** الملىء بالسمو الروحى والايمان بالقضية . وكذلك البرلمانى القوى الجاد **مصطفى مرعى** .. وللتاريخ فاننى أقول ان مضابط المجلس كلما رجعت الى سوابق برلمانية كنت اجد آراء **فكرى اباظة** واضحة تثير الاهتمام ، وهى وغيرها تراث برلمانى جدير بالاحترام .. وهذا لاينفى دور البرلمانيين فى المجلس بعد عام ١٩٧١ فبعضهم لايقل عن البرلمانيين الافذاذ القدامى .

●● والدكتور جمال العطيفى هل اتيح له القيام بكل مهام البرلمانى ؟

يرد فى هدوء: بحكم ظروفى ورئاستى للجنة التشريعية منذ دخولى المجلس ثم جمعت وكالة المجلس مع اللجنة التشريعية . وفى العام قبل الاخير لجنة العلاقات الخارجية ، ولهذا لم يتوفر لى أن أقوم بالأدوار الاخرى للبرلمانى ، ولكن هذا توفر لى نسبيا فى العام الاخير فى مقاعد المعارضة ... ولقد أسهمت اسهاما أرضى عنه فى اقامة بنيان وأساس البناء التشريعى الديمقراطى من خلال منجزات المجلس القانونية مثل قانون الغاء موانع التقاضى والغاء العزل السياسى وقانون الحريات ، وقانون الخطة الاقتصادية ، وتغيير الوضع الخاص بالقرارات بقوانين التى تصدر فى غيبة المجلس ، واثبات رأى الاقلية واختيار مقرر لها وغيرها من الأمور فى تعديل اللائحة الداخلية لمجلس الشعب .

●● هذا الاجتهاد الواضح فى مجال التشريع ... لماذا لم ينعكس على مجالات الفكر الانسانى الاخرى فى حياتنا .. ولماذا لم تكن من المنادين مثلا بالدعوة مع زكى نجيب محمود الى تجديد الفكر العربى ؟

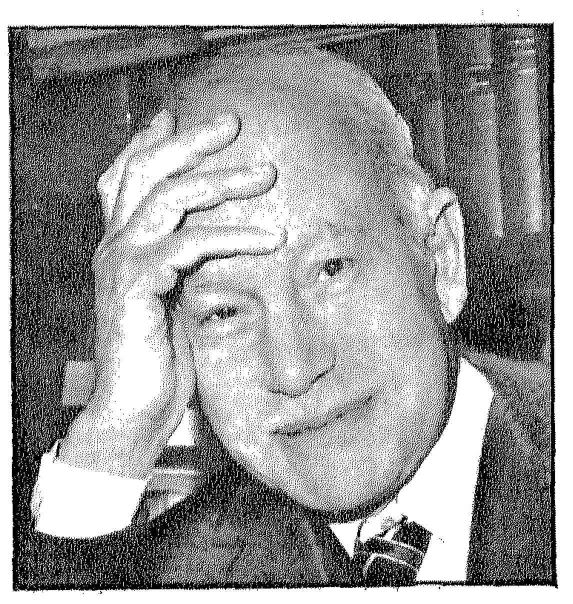
لم يفاجئه السؤال ويجيب قائلا : فى الفترة القصيرة ، ١١ شهرا ، التى توليت فيها وزارة الاعلام ووزارة الثقافة حاولت البحث عن شكل للتعبير عن هذا الاجتهاد فى المجال الفكرى ، ولعلك تتذكر ندوات التليفزيون السياسية والثقافية والاقتصادية والفنية فى سهرة الاربعاء ..

●● ومتى بدأت صلة الدكتور جمال العطيفى بالصحافة ؟

ــ بدأت منذ كنت وكيلا لنيابة الصحافة ومستشار هيئة الرقابة فى أوائل



د . عبد الحميد بدوى





د . وحيد رأفت

الخمسينات .. وصلتى بالاعلام تطورت مع مشاركتى فى تأسيس وكالة أنباء الشرق الاوسط ، ووضعت عقد تأسيس الدار القومية للطباعة والنشر ، غير علاقتى القديمة بالاهرام وروزاليوسف ودار الهلال ، ثم حصولي على درجة الدكتوراه وموضوعها يتصل بالصحافة فى موضوع « **الحماية الجنائية للخصومة من تاثير النشر** » وهو موضوع هام جدا يتعرض لحدود حق النقد وحرية الصحفى ومتى يجوز منع النشر ...

بعدها وفى عام ١٩٦٤ بدأت تدريس مادة التشريعات الصحفية فى قسم الصحافة بالاداب ثم فى كلية الإعلام .. بجانب العديد من المقالات والدراسات التى نشرتها فى الاهرام وغيرها من المجلات الدورية والمتخصصة .

●● وماهى اهم انجازات جمال العطيفى فى فترة عمله مسئولا عن الاعلام ؟

ـ الندوات السياسية التى أتاحها المناخ السياسى باتاحة الفرصة أمام كل الاراء للتعبير عن وجهات نظرها . وكنت أشرف على هذه الندوات بالتخطيط والاعداد لها وكان يديرها **المهندس سيد مرعى والدكتور مصطفى خليل** بالتناوب وكانت أهم الندوات تمكين الاحزاب السياسية من ممارسة حقها الديمقراطى ثم ندوة الحالة الاقتصادية ولمن يذهب الدعم ...

وكان لى اهتمام خاص بالشريعة الاسلامية واقترحت برنامج « شريعة الله » وبدات اذاعته فى شهر رمضان ، وكان الهدف من البرنامج التعريف بالشريعة واصول الفقه ...

بدأ البرنامج ممتازا لكنه خرج عن هدفه ، فانه لا يشرح ولا يغوص فى أعماق احكام الشريعة .

وكان لى اهتمام بتنظيم قواعد الرقابة على المصنفات الفنية ، ووقتها وجدت معارضة من السينمائيين ولم يكن معظمهم يدرك أن هذا الاجراء لصالحهم .

وكنت أجتمع بالنقاد أسبوعيا وأقرأ واتابع كل مايقدم فى الصحف والمجلات وأناقشهم فيما يكتبون ، وحذرت من تحول الانتاج التليفزيونى المصرى الى الخارج ، وانشاء محطات منافسة قبل ان ندعم التليفزيون الوطنى .

ولغياب الفن المسرحي الجيد عقدت مؤتمر المسرح ونجح المؤتمر واصدر توصياته واهتم بفكرة البيوت المسرحية .

ثم كان اهتمامي بالانضمام **الى اتفاقية ((برن)) لحق المؤلف** ، لان المؤلف المصرى تغتصب اعماله دون اى حقوق تترتب على هذا الاغتصاب ، ولذلك كلفت استاذى الدكتور **عز الدين عبد الله** رئيس شعبة القانون بالمجلس الاعلى للفنون والاداب ، بوضع دراسة عن حق المؤلف ، وتم الانضمام وله نتائج كبيرة ستظهر حتما على المؤلف المصرى .

وكان لي ايضا اهتمام خاص بالغاء الرقابة على الكتب بعد أن الغيت الرقابة على الصحف فى ورقة أكتوبر ١٩٧٤ ، وكان الكثير من الكتاب يهربون من الرقابة ويطبعون كتبهم فى الخارج فى بيروت وغيرها وكانت رقابة الكتب الخارجية تتجاوز كثيرا عما تفرضه رقابة الكتب الداخلية ، **وبعد هذه الخطوة اصبحت الرقابة على الكتب فى خبر كان ..**

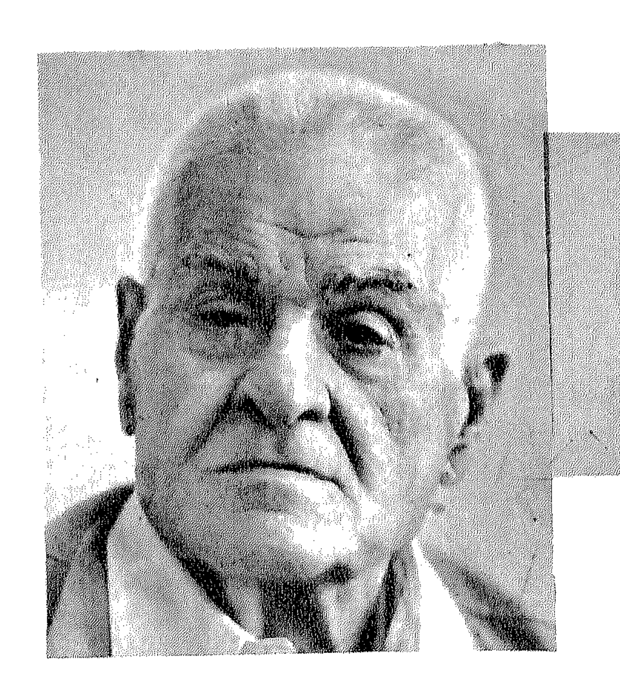
●● قلت للدكتور جمال العطيفى .. اذا كانت هذه بعض الاهتمامات التي امكن ان تحولها الى وجود حقيقى .. ماهى الاهتمامات الاخرى التي لم تتحقق وتتمنى ان يحققها غيرك ؟

ـ كنت بدأت اعداد تشريع للصحافة وكانت فكرتى تقوم على تبسيط الامور فى أن هناك صحفا قائمة بالفعل يجب أن تدار بطريقة ذاتية ، ثم هناك صحف تعبر عن الاحزاب وصحف اخرى تصدر بعد اخطار . وحتى نضمن جدية هذه الصحف نطلب منها أن تتخذ شكل الشركة المساهمة التي تضمن مراقبة مواردها وتمويلها بعد نشر ميزانيتها في الصحف حتى لاتتأثر يمينا او يسارا بموارد خارجية .

ايضا كنت اتمنى انجاز قانون حماية الاثار في مواجهة تهريب الاثار وفى مواجهة حيازة الاثار التى تهرب الى الخارج ولقد درست قوانين الاثار فى ايطاليا واليونان والاردن لدراسة وضع قانون لحماية الاثار المصرية المختلفة .

وهذا الذى لم أحققه انا شديد التفاؤل **بالزميل منصور حسن وزير الدولة المشرف على الاعلام والثقافة** بحكم زمالتى له فى مجلس الشعب مابين ١٩٧٣ ـ ١٩٧٦ ، واشتراكه معى وقتها فى العديد من المؤتمرات البرلمانية قد كشف عن معدن هذا الشاب المتفتح الذى يتسم بالموضوعية والافق الواسع ، ومن المحاسن التى بدأها اتصاله بزملائه وزراء الاعلام والثقافة السابقين فى محاولة لكى يقف على آرائهم ومقترحاتهم .

●● والمعروف ان الدكتور جمال العطيفى عضو فى لجنة حكماء اليونسكو



فكرى اباظة





محمد فريد ابو حديد

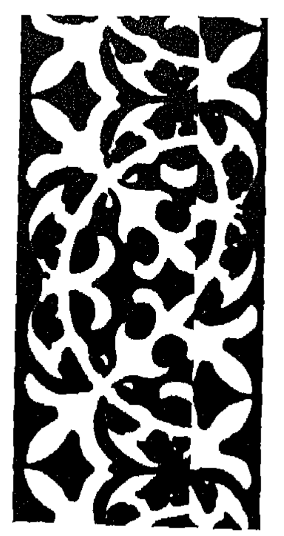
●● هدف التعريف بالشريعة الإسلامية السمحاء أن يعرف الناس معنى "الإباحة" ومعنى "المحظور"

او اللجنة الدولية للاعلام التى شكلها اليونسكو لبحث وسائل الاعلام فى العالم وهو يعكف الان على كتابة تقريره الذى سينضم للتقرير النهائى لليونسكو الذى يقدم للمنظمة الدولية فى عام ١٩٨٠ بعد أن شارك فى صياغة الاعلان العالمى الذى أصدره اليونسكو بالمبادىء التى تحكم دور وسائل الاعلام فى نبذ الحروب والتطلع الى السلام ورفض العنصرية .

●● واسال الدكتور جمال العطيفى: بعد ان اشتركت فى وضع وفى صياغة الاعلان العالمى للاعلام والثقافة .. الا تجد من بينه مايتعلق بهموم هذا القطاع الهام فى اعلامنا وثقافتنا العربية ؟

ـ نعم ... اننى أتمنى لو نجحنا فى اعادة من نسميهم الطيور المهاجرة من كتاب واعلاميين وفنانين ، وان نقضى نهائيا على محاولات تصنيف المواطنين وفق عقائد سياسية وان تكون العبرة بالقدرة على الابداع الفكرى والفنى أيا كانت الينابيع الفكرية للكاتب والفنان .

ولقد استطعت فى الاعلام وقبل ان اترك الوزارة ان أصدر قرارا يلزم الاذاعة والتليفزيون بكفالة حق الرد للتصحيح لمن يتناوله اى حديث او خبر فى الاذاعة والتليفزيون وقد كان هذا الحق مقصورا على النشر فى الصحف فقط مع انه التزام أخلاقى .




الحافظ . المؤرخ . الأديب

• د. احمد الشرباصى •

● « أبو شامة » كلمة تذكرنا بالشامة ، والشامة علامة تخالف البدن الذى هى فيه ، وقيل الشامة أثر أسود فى البدن .. وأبو شامة كنية لشخصية من أكبر الشخصيات العلمية التى عرفتها دمشق فى العصر الايوبى ، وهو صاحب آثار جليلة ، كلها جديرة بالنشر والدراسة ، وقد اطلقت عليه كنيته ((أبو شامة)) لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر . وقد اشتهر هذا الامام بكنية أبى شامة اكثر من اشتهاره بألقابه ونسبه ، وهو يعرف أيضا بأبى محمد وأبى القاسم .

وأبو شامة هو الامام العالم الحافظ ، المحدث الفقيه المؤرخ ، العلامة المجتهد المقرىء النحوى صاحب التصانيف الجليلة ، ولم يكن فى وقته مثله فى علمه وديانته ، وعفته وأمانته . وأبو شامة هو شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ابن ابراهيم بن عثمان بن أبى بكر بن أبراهيم بن محمد المقدسى الدمشقى الشافعى .

وأصل اجداد أبى شامة من بيت المقدس ، وكان جده الأكبر محمد بن أحمد الطوسى مقرئا وصوفيا واماما لمسجد الصخرة ، قتله الفرنج يوم دخلوا بيت المقدس سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة ، فرحلت أسرته الى دمشق فيمن رحل واستوطنت بها .

وقد ولد أبو شامة ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وكانت ولادته برأس درب الفواخير بدمشق ، داخل الباب الشرقى . واذا كان أبو شامة أصله من القدس ، فمولده كان فى دمشق ، وبها نشأته ، وفيها وفاته .



بريشة : احمد الوردجي

وما كادت عينا أبي شامة تتفتحان للحياة حتى جذبه جاذب خفي علوى الى مائدة القرآن الكريم ، فحفظ كتاب الله تبارك وتعالى وهو في سن العاشرة ، وانصرف الى جمع القراءات السبع ، فختمها وهو في السابعة عشرة ..

وقد حبب الله اليه من صغره حفظ الكتاب العزيز وطلب العلم ، فجعل ذلك همته ، فلم يشعر به والده الا وهو يقول له : قد ختمت القرآن حفظا . وقد أخذ بعد حفظ القرآن في معرفة القراءات السبع والفقه والعربية والحديث ، وأيام الناس ومعرفة الرجال وغيرها من العلوم ، وصنف في ذلك مصنفات كثيرة ، كما حدثنا عن ذلك في كتابه « ذيل الروضتين » . وقد قرأ القراءات سنة ست عشرة وستمائة على شيخ له اسمه البخارى ، وسمع من الشيخ الموفق ، وعبد الجليل بن مندويه . وقال عنه صاحب « فوات الوفيات » : قرأ القرآن دون العشر وجمع القرآن كله سنة ست عشرة وستمائة على الشيخ علم الدين السخاوى وسمع بالاسكندرية من الشيخ أبي القاسم عيد بن عبد العزيز وغيره وحصل سنة تسع وثلاثين عناية بالحديث ، وكتب الكثير من العلوم وأتقن الفقه ودرس وأفتى ، وبرع في العربية .

***

وكان أبو شامة يتردد على مجالس الوعظ التي يعقدها سبط بن الجوزى كل سبت وقد أفاده ذلك ومكنه أن يشارك في علوم مختلفة ، فظهر نضجه في العلم ، وابيض شعر رأسه ولحيته مبكرا وهو في الخامسة والعشرين .. وبرع في الفتوى ، وسمع جماعة من المشايخ والعلماء منهم الحافظ أبو طاهر السلفي وأبو الفرج الثقفي وأبو طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعي ، ولازم كبار الشيوخ في عصره ـ مثل علم الدين السخاوى ، والموفق المقدسي ، والفخر بن عساكر والعز بن عبد السلام والتقى بن صلاح .

ويحدث عن نفسه أنه كان في صغره يحفظ القرآن في جامع دمشق ، وينظر الى مشايخ العلم كالشيخ فخر الدين أبي منصور بن عساكر ، ويرى طريقته

فى فتاوى المسلمين ، وحاجة الناس اليه ، وسماع الحديث النبوى عليه وهو يمر من مقصورة الصحابة الى تحت قبة النسر لسماع الحديث ، الى المدرسة التقوية لالقاء دروس الفقه ، ويرى اقبال الناس عليه — على ابن عساكر — ويتمنى رتبته فى العلم ونشره ، وانتفاع الناس بفتاويه ، وقد بلغه الله من ذلك فوق ما يتمناه .

وقد حج أبو شامة مع والده سنة احدى وعشرين وستمائة ، ثم حج فى السنة التى بعدها أيضا ، ثم سافر الى بيت المقدس زائرا سنة اربع وعشرين وستمائة ، وسافر الى الديار المصرية سنة ثمان وعشرين وستمائة ، واجتمع بشيوخ البلاد فى ذلك الوقت بالقاهرة ودمياط والاسكندرية ، ثم لزم الاقامة بدمشق عاكفا على الاشتغال بالعلم وجمعه فى مؤلفاته ، والقيام بفتاوى الاحكام وغيرها .

وكان أبو شامة يدرس فى بعض مدارس دمشق كالأشرفية والركنية ، وكان يفتى فى العادلية ، وقد عرف بجرأته فى الجهر بالحق ومحاربة البدع ، ولعل هذا من أثر شيخه العز بن عبد السلام . وقد ولى أبو شامة عدة وظائف منها مشيخة القراء بتربة الاشرفية ومشيخة دار الحديث الاشرفية ، والتدريس بالركنية ، وقد بلغ أبو شامة رتبة الاجتهاد ، وكان له تلاميذ ينتفعون بعلمه ، فكان يحضر عنده بالجامع والتربة الاشرفية جماعة من الاكابر والفضلاء لسماع كتابه فى التاريخ ، وكتابه الروضتين وغيرهما من تصانيفه ، ونظم أحد تلاميذه — وهو الرئيس الاصيل محسن الدين بن على بن محمد التميمى من بنى القلانسى — أبياتا يقول فيها :

انا والله والجماعة طرا — من سماع التاريخ فى بستان
ورياض انيقة اطلقتها — بازاهيرها لنا الروضتان
أيد الله شيخنا فلقد — أبدع فى الاختصار والتبيان
فهو قطب الحجى وبدر المعالى — وشهاب الفتيا وشمس البيان

وكذلك أخذ عنه القراءات الشيخ شهاب الدين الكفوى وشهاب أحمد اللبان رزين الدين ابو بكر بن يوسف المزى وجماعته ، وقرأ عليه شرح الشاطبية الشيخ شرف الدين الفزارى الخطيب .

***

وأبو شامة لم تنج حياته من مصائب سببتها له الخصومة التى كانت مشتعلة حنيئذ بدمشق بين الحنابلة والشافعية ، وأبو شامة شافعى ولعل متاعب حياته كانت السبب فى ظهور الشيب فى لحيته وراسه وهو فى سن الشباب ، فجعل الله تعالى له الشيخوخة صورة ومعنى ، ونظم فى ذلك أحد الفضلاء أبياتا يقول فيها :

ان يشب اذا بلغ خمسا وعشرين — فما كان الشيب فيه يعاب
جهل الناس قدر شيخوخة العلم — تجلت انواره فى الشباب
نور الله الوجه والقلب منه — ان فيه هداية المرتاب
فحوى الفضل يافعا ومسنا — ان زلفى له وحسن مآب

وكان أبو شامة رجلا متخيرا متواضعا مطرحا للتكلف ، قضى حياته محببا للعزلة والانفراد ، لا يتردد على أبواب أهل الدنيا ، وكان يتجنب المزاحمة على المناصب ، لايفضل على العافية والكفاية شيئا ..



وقد تحدث أبو شامة فيما كتبه عن حياته على منامات رويت له ، وتفيد أن معاصريه كانوا ينظرون اليه اماما ومجتهدا في العلم والورع والتقوى والفقه ٠
أورد من هذه المنامات رؤيا رأتها والدته ، اذ أخبرته رحمها الله ـ وهو اذ ذاك صغير يتردد الى المكتب وأبوه رحمه الله يعجب من حبه للمكتب وحرصه على القراءة على خلاف المعروف من عادة الصبيان ـ انها لما كانت حاملا به رأت فى المنام كأنها فى أعلى مكان من المئذنة عند هلالها وهى تؤذن ، فقصت المنام على عابر فقال : تلدين ذكرا ينتشر ذكره فى الأرض بالعلم والخير ٠
ويقص أبو شامة أنه رأى فى صفر سنة أربع وعشرين وستمائة كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد اقبل الى الشام منجدا لاهله على الفرنج خذلهم الله ، وكان له به خصوصية من إفضاء أمره اليه ، والتحدث معه فى امور المسلمين ، وهو يمشى الى جانبه ملاصقا منكبه ، حتى كان الناس يسألونه عنه وعما يريد أن يفعل ، وهو يخبرهم ، وكأنه واسطة بينه وبين الناس .
وفى تلك السنة أيضا « ٦٢٤هـ » رأى أبو شامة كأنه والفقيه العز بن عبد السلام ـ سلمه الله ، داخل باب الرحمة بالبيت المقدس وقد أراد فتحه ،وهناك من يمنعه من فتحه ، ويدفعون الباب لينغلق فمازال العز وابو شامة يعالجان الامر حتى فتحا مصراعى الباب فتحا تاما ، بحيث أسند كل مصراع الى الباب الذى خلفه .

وبعد ان يسرد ابو شامة طائفة من رؤاه او رؤى الناس له يعتذر عما فيها قائلا : « وانما سطرت هذه المنامات وغيرها تحدثا بنعمة الله عز وجل ، كما امر سبحانه وتعالى فى قوله : « واما بنعمة ربك فحدث » وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ٠ « لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » ٠ اللهم أوزعنا شكر هذه النعم ، واختم بخير ، واسترنا فى الدنيا والاخرة وآمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك » ٠

***

وكان أبو شامة ينظم اشعارا كثيرة يقول بعض المؤرخين عنها : « منها ما هو مستحلى ، ومنها ما لا يستحلى فالله يغفر لنا وله » . ومن شعره أبيات فى العزلة التى كان يحبها ويميل اليها ، وفى هذه الابيات يقول :

نزهت نفسى وعرضى — وصنت هذى البقيه
لما انعزلت ببيتى — قولا وفعلا ونيه
وبقيت علقتى بالمـ — ـدارس الفقهيه
وسوف اخلص منها — حقا ورب البريه
انى لعبد ضعيف — اخاف نعت المنيه
ولست ارضى لنفسى — دوام هذى البليه
الى الممات ، فربى — له هبات عليه

وكثيرا ما كان يقول فى القناعة والعزة مثل قوله :

انا فى عز القناعة — رافل فى كل ساعة
رب اممها بخير — بمعافاة ـ وطاعة

ومثل قوله :

الثوب واللقمة والعافية — للقانع من عيشة كافية
وما يزدفالنفس ليستابه — وان تكن مملكة راضية

أبو شامة
الحافظ - المؤرخ - الأديب

وكتب يوما الى رجل عنده أصل المصنف بكتاب « الوسيلة الى كشف العقيلة» بخط مصنفه الشيخ السخاوى رحمه الله ، يستعيره منه :

يا من نراه وسيله ... يحوز كل فضيله
ومن مدى الدهر يسعى ... فيما يسر خليله
مازال يتعب صب ... يهوى وصال العقيله
وطالب العلم يهوى ... كثيره - وقليله
فابعث اليه معينا ... له كتاب الوسيله

وكان يحلو لأبى شامة ان ينظم أبياتا تجمع أمورا وردت فى الحديث من الموبقات المهلكات ، فقد جاء فى الحديث المتفق عليه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : يارسول الله وماهن ؟ قال : الشرك بالله، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» ، فحصرهن أبو شامة فى قوله :

اكل مال اليتيم والشرك والسحر ... واكل الربا وقذف المبرا
والتوالى يوم زحف وقتل نفس ... سبع قد اوبقت من تجرا

وجاء الحديث الصحيح يقول : سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله . امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال : انى اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

وجاء أبو شامة فحصر السبعة فى قوله :

امام محب ناشىء متصدق ... وباك مصل خائف سطوة الباس
يظلهم الله الجليل بظله ... اذا كان يوم العرض لا ظل للناس
أشرت بالفاظ تدل عليهم ... فيذكرهم فى النظم من بعدهم ناسى

وقال فى المعنى نفسه :

وقال النبى المصطفى ان سبعة ... يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشىء متصدق ... وباك مصل والأمام بعدله

ويقال : ان بعض آراء أبى شامة كانت سبب قتله : فقد اتهموه برأى تظهر براءته منه فألبوا عليه حنبليين اغتالاه . ويرى جماعة من أهل الحديث أنه كان مظلوما ، وكان الذين قتلوه جاءوه قبل ذلك فضربوه ليموت فلم يمت .. فقيل له : الا تشتكى ؟ فأبى وقال :

قلت لمن قال لى الا تشتكى ... ما قد جرى فهو عظيم جليل
يقضى الله تعالى لنا ... من ياخذ الحق ويشفى الغليل
اذا توكلنا عليه كفى ... فحسبنا الله ونعم الوكيل

وعادوا اليه فقتلوه بدمشق ليلة الثلاثاء التاسع عشر من رمضان سنة خمس وستين وستمائة للهجرة ، ودفن فى باب الفراديس ، وقيل . دفن بمقابر باب كيسان .



وقد قامت شهرة ابي شامة في التاريخ على كتابه « الروضتين » ،وهو مصدر مهم جدا لدراسة الدولتين النورية والايوبية ، ودراسة الحروب الصليبية ، وقد استمد كتابه من مصادر موثوق بها لابن الاثير والعماد الاصبهانى وابن شداد والقلانوسي والقاضي الفاضل وابن طيء المؤرخ الشيعي الحلبى ، وقد وقف في حوادث الكتاب عند سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، اى سنة وفاة صلاح الدين الايوبى ، ثم اظهر كتابه ((الذيل)) الذى يبدو فيه دقيق الملاحظة جيد الانتقاء ، وفيه سجل حوادث عصره احسن تسجيل وقد انتهى فيه الى سنة خمس وستين وستمائة .

ولابى شامة باع طويل فى التصنيف والتاليف ، فقد جمع والف وهذب ، وصنف فى فنون من العلوم النافعة كتبا كثيرة ومصنفات جليلة ، مختصرة ومطولة ، فمنها :

- شرح القصائد النبوية ، فى مجلد .
- شرح قصيدة الشاطبى ، وسماه : ابراز المعانى فى حرز الامانى . وهما شرحان أكبر واصغر ، والأصفر فى مجلدين .
- اختصار تاريخ دمشق ، لابن عساكر ، وقد اختصره مرتين ، الاولى فى عشرين مجلدا ، والثانية فى خمسة مجلدات .
- كتاب الروضتين ، فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، فى مجلدين ، واختصره فى مجلد صغير .
- الذيل على الروضتين .
- الكتاب المرقوم فى جملة من العلوم ، وهو يجمع عدة مصنفات فى مجلدين : الاول فيه خطبة العلم الكبرى التى سماها : « خطبة الكتاب المؤمل للرد الى الامر الاول » .
- كتاب نور المسرى فى تفسير آية الاسرا .
- شرح الحديث المقتفى فى مبعث النبى المصطفى .
- ضوء السارى الى رؤية معرفة البارى .
- المحقق من علم الاصول فيما يتعلق بأفعال الرسول .
- نظم شيء من متشابه القرآن .
- شرح عروس السمر .
- جامع أخبار مكة .
- رفع النزاع للرد الى الاتباع .
- المذهب فى علم المذهب .
- نية الصيام وما فى يوم الشك من الكلام .
- شرح نظم المفصل .
- الاعلام بمعنى الكلمة والكلام .
- شرح لباب التهذيب .
- الارجوزة فى الفقه .
- ذكر من ركب الحمار .
- مشكلات الايات .
- مشكلات الاخبار .
- كتاب القيامة .
- شرح أحاديث الوسيط .

الإنسان الآلى .. هل سيوجد ؟

السيبرنطيقا وعالم المستقبل !

● محمد الحديدى ●

● هل سيوجد الانسان الميكانيكى؟ او كما يتنبأ بعض العلماء ،هل سيتطور الانسان فيتخلص من الحدود المفروضة على تكوينه الجسدى والتى تشل حركته وتحتم عليه ان يوجد فى مكان واحد فى زمن واحد ؟

انسان المستقبل ، ((السوبرمان)) ، قد يتخذ شكل مخ بشرى ثابت ، يشبه « الكومبيوتر » ، وعشرات من الالات التى تشبه الانسان ، تقضى له حوائجه هنا وهناك ، وكلها مزودة بعقول الكترونية تتلقى التعليمات وترسل المعلومات الى المخ البشرى المركزى .. والا ، فماذا سيكون شكل الانسان بعد الف سنة من الان ؟

هل ستبقى الاختراعات على حالها ويتوقف التقدم الالكترونى والنووى ؟ مستحيل طبعا ..

ان كل هذا التقدم الذى تم حتى الان تم فى لحظة خاطفة . فى اقل من مائتى سنة من عمر الانسان الذى يمتد الى ثلاثة ملايين ..منها مائة الف سنة فقط هى عمر «الطراز » السائد الان ..

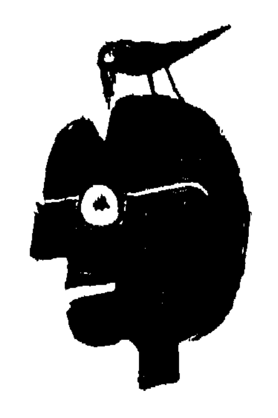
والانسان الالى لم يعد شيئا بعيد المنال ، لقد تم اختراعه منذ سنوات عديدة ، اصبح ممكنا باختراع « الكومبيوتر » ثم تصغير«الكومبيوتر » الى حجم يمكن من ادخاله فى راس هذا الـ « روبوت » ، وبذلك اسبغت عليه صفة « الاستقلال » الذهنى الذى قد لا ينعم به الذين اخترعوه ..

وقد بدأ استخدام الوسائل الاوتوماتيكية مع بدء الصناعة، ولكن الجديد فى الامر هو استحداث الوسائل التى يمكنها ان تتلقى الاوامر وتنفذها، او تتلقى اى معلومات اخرى و«تتصرف» طبقا لهذه المعلومات . والانسان الالى لن يتعدى أن يكون « جسدا » ميكانيكيا قادرا على المشي وتحريك الذراعين لاداء الأعمال المختلفة ، والى هنا وهو لا يزيد كثيرا على لعب الإطفال : تملأ اللعبة بالطاقة بواسطة الزنبرك ثم تتركها فتتحرك طبقا لبرنامج ، كأن ترقص او تغنى .. الخ . اما الشيء الثانى الذى يزود به الـ « روبوت » كما يسمى ،فهو الجهاز الالكترونى المركب فى رأسه والذى يحتوى عدة برامج وليس برنامجا واحدا هو الحركة الراقصة ، وهذا

الجهاز الالكترونى مزود بوسائل لـ « الاحساس » فهو يرى بالعدسات ويسمع بالسماعات ، ويمكن تزويده بما يناظر بقية احساسات الانسان اذا لزم هذه الاحساسات آلية كلها بالطبع ، ولكنها تحدث اثرها فى دوائره الكهربائية وتعلق اجهزته الميكانيكية للعمل ، وهكذا فاذا كنت صاحب مخزن فانه يمكنك ان تشترى واحدا من هذه الاجهزة التى تشبه الانسان وتكلفه بان يقف على الباب ، فاذا جاء لص وحاول ان يعالج الباب فان عليه أن يهشم راسه ، وسوف ينفذ تعليماتك بالضبط مادمت تحسن « برمجته » ! ..

لم يعد الانسان الالى مجرد موضوع للقصص العلمى ، وقد ياتى اليوم الذى يصبح فيه سلعة تجارية ، ويعمل فى المنازل : يتلقى المكالمات التليفونية ويرد عليها ويسجلها ويعد الطعام انتظارا لعودة ((اصحابه)) ، ويستقبل الضيوف ، ويقبض على اللصوص حتى ولو كانوا هم ايضا آليين ! .. وينصرف فى الحوادث كالحريق او تسرب الغاز او اسعاف المرضى ، وكل شىء ..

الصعوبات مالية فقط ، هذا « الشىء » يتكلف كثيرا ، فى البحوث والانتاج ، ولكن قد تم صنع وتجربة الاجهزة التى يمكن بها تقليد حواس الابصار والسمع واللمس وتقليد القدرة على تلقى المعلومات وارسالها ، ولم يبق الا تجميع هذه الاشياء فى « ماركات » مختلفة ، انسان آلى طراز كذا ، « موديل » كذا .. يعمل كذا وكذا ..



ثمرات السيبرنطيقا

هذا هو اسم العلم الذى جاء بهذه النتائج ، وهو يرجع الى اوائل الخمسينات ، وتعريفه هو انه « العلم الذى يختص بالاتصالات والتحكم فى الحيوانات والالات » . بمضى الزمن وتزايد المشتغلين بالسيبرنطيقا وجد انه عند التطبيق يمكن ادخال اى شىء على الاطلاق فى دائرة السيبرنطيقا ، الفن مثلا ، ان الفنان يؤدى اعماله بقصد توصيلها الى الاخرين ، والاخرون ينتمون لمملكة الحيوان ، وهكذا فانه عندما يعقد مؤتمر دولى للسيبرنطيقا فانك تجد نحاتين مع مهندسى انتاج الـ « روبوت »

ويمكن القول بأن السيبرنطيقا بدات بالجهود التى بذلها « ديكارت » وزملاؤه ، بحثا عن حقيقة الجسم الانسانى والقوى التى تنظمه ، والرجوع الى هذه البحوث والتمعن فيها بما نعرفه الان يجب ان يثير فينا اعجابا كبيرا بما استطاع هذا العلامة ان يتوصل اليه فى زمن يرجع الى ثلاثمائة سنة لم يكن فيها العلم الحديث قد ارسى قواعد ثابتة . فقد كانت خواطر « ديكارت » رغم ذلك تتميز بالحداثة ، وكانت معلوماته بالنسبة لهذا العصر تشمل آفاقا عديدة متنوعة ، وكان الكثير منها بالطبع من ضروب التخمين ، ولكن الحاجة الى مائتى سنة لتصحيحها هى فى ذاتها دليل على أن صاحبها كان يتميز بنظر بعيد وبصيرة ثاقبة .

فى مواجهة مختلف المواقف

عندما اكتشف العلماء أن الجهاز العصبى فى الانسان والحيوان يعمل على تنظيم أشياء مثل درجة حرارة الجسم وضغط الدم وابقائها داخل حدود معينة ، بدأوا يحاولون ايجاد أوجه الشبه بينه وبين أجهزة التنظيم التى تستخدم فى الالات الصناعية ، كجهاز الترموستات فى الثلاجة مثلا ، والذى يحس بارتفاع الحرارة داخلها نتيجة تكرار فتح الباب وغلقه ، فيعمل على توصيل دائرة المحرك الكهربائى ، ثم يحس بالوصول الى درجة البرودة المطلوبة فيوقف المحرك ، وهناك أيضا منظم الفولت والتيار .. الخ . وقد كان عندئذ أن استحدث هذا التعبير : « سيبرنطيقا » ، اشتقاقا من كلمة يونانية هى « كوبيرنيتس » ومعناها « قائد سفينة » ، وكان عالم المانى يدعى « فاينر » هو الذى استحدث هذه التسمية ..

وقد سبقت ذلك محاولات لصنع « كائنات » ميكانيكية ، منها سلحفاة آلية يمكن التاثير على حركاتها بالاشعاع الضوئى الذى يؤثر على خلايا فوتوكهربية تحس وتتاثر بشدة الضوء وتعمل بالتالى على توصيل الدوائر الكهربية المحدثة للحركة المطلوبة ، ثم جاءت الصواريخ الموجهة البعيدة المدى وادت البحوث الحربية الهادفة لتطويرها الى تاكيد الفكرة وايقان العلماء بامكان صنع الانسان الالى .

ولكن الحدود ظلت ضيقة ، بحكم كون مجال عمل الانسان المعدنى محدودا بحدود جهاز التحكم الذى يحوى المعلومات والذاكرة ، والذى يجب الا يكون ضخما بشكل تستحيل معه الحركة . ثم باستحداث الحاسبات الالكترونية الرقمية ، تزايد الامل فى مجال عريض للتحكم وفى تنوع الاعمال التى يمكن ان يقوم بها « الروبوت » ، بعد أن اصبح جهاز « المخ » ياتى بحجم مناسب ، متضمنا الامكانيات المطلوبة لـ « التصرف » فى مواجهة مختلف المواقف .

اهم شىء : البرمجة

كائنا ما كان نوع « الكومبيوتر » وحجمه ، فهو لا يزيد على ان يكون مجموعة من الدوائر الكهربائية تؤدى ما يلى :

استقبال المعلومات

اختزان المعلومات (وهذه هى « الذاكرة »)

التحكم (الكونترول)

معاملة المعلومات ، او اجراء العملية المطلوبة .

ثم فى النهاية : الارسال او اعطاء النتائج المطلوبة .

اهم شىء فى الموضوع هو « البرمجة » ولكى نتصور الفارق العظيم بين المخ الميكانيكى والامخاخ التى نحملها فى رءوسنا « مهما كان مستواها » لناخذ هذا المثال : لنفرض ان انسانا ميكانيكيا يمشى فى الطريق ويوشك أن يعبره ، البرنامج يقول له انه اذا كانت هناك سيارات آتية من على يساره فان عليه ان يتوقف الى ان يصبح الطريق خاليا .. حسنا ، اذا لم يدخل فى البرنامج أن هذه السيارات يجب ان تكون فى حالة حركة ، فان سيارة فى الانتظار الى يساره ستجعله يقف ايضا ، ويظل واقفا الى ان ياتى صاحبها لياخذها بعيدا ..

هذا هو الفارق العظيم ، ليست لدى العقل الالكترونى اية قدرة على التصرف الا طبقا لبرنامج وبحرفية تامة .

هذا المثال البسيط يبين لنا كيف أن اى خطأ فى البرمجة سيؤدى الى فشل العملية كلها ، لانه لا يمكن تقييم موقف واعادة التفكير فيه تمهيدا للتصرف ، الا اذا كان هناك آدميون بعقول كالتى اعطاها لنا الله ، ومهما كنا ننفقها فيما فيه الاضرار بأنفسنا وبغيرنا ، فان هـذا لا ينفى انها هى وحدها التى تعبر عن شخصية صاحبها والتى تختلف من كائن لآخر ، من الانسان هبوطا ، وكلما هبطنا تشابهت التصرفات والقرارات ، وكذلك فى العقل الالكترونى ، الف واحد منها ستعطى نفس النتيجة فى الظروف المتشابهة .

وتزداد اهمية العناية بالبرمجة كلما كان « الروبوت » مطلوبا منه ان يعمل بمفرده فترة طويلة . وكثيرا ماتصور كتاب قصص العلم وغيرهم من اصحاب الخيال الخصب انه لو ان كوكبا من الكواكب التى يمتلىء بها هذا الفضاء الرحب يحمل على ظهره اناسا اعظم تقدما فى الحضارة التكنولوجية من اهل الارض ــ او المتقدمين منهم على الاصح ــ **فاننا قد نفاجأ يوما بسفن الفضاء تهبط لتخرج منها جيوش من هذه الماكينات القاتلة التى لا يجدى معها سلاح مما نعرفه ، وحتى لو دمرنا عددا منها فان هذا لا يعدو أن يناظر تدمير بعض العربات او الجنزرات ، ولكنه ليس « خسائر فى الارواح » تؤثر على الروح المعنوية او تتطلب العلاج أو نقل الجرحى ــ ياالها من معركة هذه !**

من المهم ان نعرف انه فى هذا الفرع من فروع الهندسة لا احد يحاول ان ينتج تقليدا متقنا للكائن الحى او نموذجا كاملا لاية وحدة حيوية او بيولوجية، الفكرة هى مجرد الاستفادة من التركيب العام وطريقة عمل الكائنات ، فعلمنا بالخلية الحية وطريقة تكوينها لا يزال صفرا وقد يظل كذلك ..

وقد حاول مخترعو الطائرات ان يقلدوا الطيور ولكن هذا لم يعط اى نتيجة عملية . وكذلك فان دراسة عين الحشرة مثلا قد يوحى للمهندسين باستحداث جهاز فوتوكهربى يمكنه التأثر بالضوء ثم توصيل الاثر الى العقل الالكترونى فيحدث الاثر المطلوب ، ولكن هذا بالطبع لا يعنى ان الجهاز المصنوع يشبه من قريب أو من بعيد عين الحشرة أو الحيوان ، وان كان مطلوبا من المهندس الذى يشتغل فى هذا المجال ان يتقن معرفته بعلم الاحياء وبطريقة عمل الجهاز العصبى فى الانسان والحيوان .

فن تطبيق المعرفة

كما لو كان الغموض فى تعريف السيبرنطيقا لا يكفى ، جاء السلاح الجوى الامريكى بهذه التسمية، وعرف هذا الشيء الجديد بأنه « فن تطبيق المعرفة بالانظمة والطرق البيولوجية على المشاكل الهندسية » ، وربما كان أصوب أو ان الذين ابتدعوا هذا التعبير اتخذوا له تعريفا آخر هو « علم الاجهزة التى تبنى طريقة عملها على الانظمة التى تعمل بها الوظائف الحيوية ، او التى تشترك مع



السيبرنطيقا وعالم المستقبل

الكائنات الحية فى خواصها ، او التى تتشابه معها فى هذه الخواص » .

ولكى توجد تفرقة بين هذين التعبيرين المألوفين الان ، قيل فى تعريف علم البيونيات انه علم الانظمة الفيزيائية التى تدرس وتنفذ بالتشابه مع الكائنات الحية .

أما السيبرنطيقا فهى العلم الذى يتناول الانظمة الحيوية بمشابهتها مع الانظمة البيونيات أنه علم الانظمة الفيزيائية الامر لا يتطلب كل هذا العناء ، لان البيونيات تشبه هندسة السيبرنطيقا ، وان الخلط جاء من كلمة «بيونيات» ذاتها والتى يظن لاول وهلة انها مزيج من « البيولوجيا » و « الالكترونيات » ، ولكن الواقع انها ليست سوى مجرد اشتقاق من الكلمة اليونانية « بيون» وتعنى « وحدة حيوية » ، والذى أتى بها هو العالم الالمانى الاصل « فلهلم رايخ» وجعل منها حقيقة ، وادى بكتاب قصص العلم وحلقات التليفزيون الامريكى الى ابتداع شخصية «المرأة البيونية» الى جانب « الرجل الذى تكلف ستة ملايين دولار» وهى قصة رجل أصيب فى حادث ولجأ العلماء الى تعويضه عن أعضائه المفقودة باستخدام هندسة السيبرنطيقا

وكما يقول الفيلسوف صمويل الكسندر يجدها الفلاسفة - فى ترتيب تصاعدى ، وكما يقول الفيلسوف صمويل الكسندر فى كتابه الشهير « الزمن والمكان والربوبية » : « ان كل نمط جديد من انماط الوجود حين ينشأ فانه بمكن التعبير عنه تعبيرا كاملا بلغة المرحلة السابقة » .

واذا أمكن لعلماء السيبرنطيقا - ونكرر أنه اذا أمكنهم - فسيمكنهم بالعقول التى وهبها الله لهم وبقوانين الكون والمادة كما اراد لها الله ان تكون - اذا امكنهم ان يمدوا من حدود قدرة الانسان باستخدام الإلة - وهذا لا يختلف فى شىء من حيث المبدأ عن استخدام الطائرة فى الطيران أو أستخدام المطرقة فى الدق - فان الانسان قد يتحول فى المستقبل الى مخ بشرى ثابت يشبه « الكومبيوتر» يعمل على تشغيل عدد من الالات « الروبوت » التى تسعى فى مصالحه هنا وهناك .

لا يختلف الموضوع كثيرا ...

والهدف الاساسى لعلم السيبرنطيقا هو بحث وتصميم وانتاج هذا الانسان الالى بأنواعه المختلفة المحتملة ، وهو حلم قديم كان الى عهد قريب ينتمى الى عالم القصة الخيالية ، ولكن التكنولوجيا قد تقدمت الان الى الحد الذى يجعل ذلك امكانية سهلة التحقيق ، بصفة فورية .

وقد مضت عشرات السنين والاجهزة « الروبوتية » التى تدار بالتحكم البعيد تستخدم فى الصناعات ذات الطبيعة الخطرة ، بصفة خاصة فى الحالات التى يوجد فيها اشعاع ذرى يستحيل معه وجود انسان لمواجهة مواقف الانتاج المختلفة ، وهناك مصانع كثيرة يوجد فيها « الروبوت » الثابت الذى « يدرب » على أداء عملية معينة ثم يترك ليستمر فى أدائها ، وهى مسألة تزداد شيوعا كل يوم .

ويجهز « الروبوت » المتحرك الحديث بـ « الحواس » ، فالرؤية هى استقبال الصور المرئية على هيئة اشعاع يتطابق مع الصور المختزنة فى العقل الالكترونى ، وهكذا اذا اردنا ان نتصور مثالا فليكن هذا : **لنفترض ان انسانا آليا يحرس مكانا لا يسمح لاحد بدخوله، فاننا نودع فى ذاكرته صورة انسان يقترب ليقتحم الباب ، و « نبرمج» جهاز**

التحكم بحيث انه عندما يحدث هذا فان « الروبوت » يهب واقفا بتاثير التيار الكهربي الذي ستطلقه مطابقة الصورة المواجهة له مع الصورة المختزنة في ذاكرته الالكترونية ، هذا التيار سيؤدي الى تشغيل المحركات بحيث تجعله يقترب من هذا الشخص ويرفع ذراعه الفولاذية ويطبقها فوق راسه ، فاذا حاول هذا الشخص ان يهرب فان البرنامج يجعل « الروبوت » يتحـــرك بسرعة هائلة ويمسك به .. الخ .

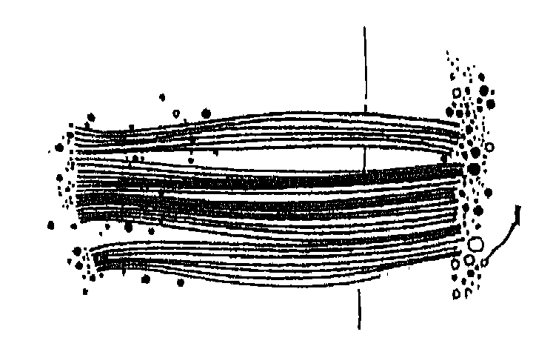
لا يختلف الموضوع كثيرا عن انواع حديثة من لعب الاطفال سوى من حيث اتساع مجال « الكومبيوتر » الذي يخزن فيه البرنامج وتعقد الدوائر الكهربائية التي تشغل « الروبوت » .

وهكذا فانه اذا لم تتدهور احوال الحياة على الارض بسبب حرب نووية او فناء مصادر الطاقة ، أو كارثة تصيب النوع الانساني : عصر جليدي جديد مثلا أو غزو من الفضاء الخارجي ، سواء كان « بشريا » أو « روبوتيا » ـ فان من يعيشون طويلا منا قد يجدون ذات يوم انه في امكان الفرد أن يضغط زرا في جهاز في بيته يتصل ب «كومبيوتر» كبير في مكان ما وفي الحال تنطلق سيارة سريعة وتقف امام بيته وينزل منها « روبوت » يصعد الى الشقة ويخرج من جيبه مفتاحا ويدخلها ويسير الى المطبخ ليغسل الصحون ثم ينتقل الى بقية الغرف فيرتب السرائر وينظف الارض ثم يغادر الشقة ويجد السيارة، التي يقودها « روبوت »آخر ،في انتظاره لتنقله الى العمارة السكنية التي يقيم فيها شعب من « الروبوت » ـ وهم العبيد الذين لا يجدون غضاضة في هذا النوع من الحالة الاجتماعية ..

وفي الحال ايضا يجد صاحب الشقة ان حسابه في البنك قد نقص بمقـــدار اتعاب الشركة التي تقدم هذا النوع من الخدمات، وكل هذا يتم الكترونيا بواسطة « التخاطر » او التليباثي » الالكتروني الدقيق !

الواقع أن شركة يابانية قـد صنعت منذ سنوات « روبوت » يمكنه قـراءة الرسوم الهندسية بعين الكترونية ، ثم يبدا في تجميع الاجزاء وتركيبها مستخدما عينا تليفزيونية أخــرى وذراعا ويدا آليتين ، ولكن هذا يتم بمســـاعدة « كومبيوتر » رقمي كبير وببطء شديد لان كل خطوة تستلزم وقتا طويلا يضيع في البرمجة والتطبيق وارسال التعليمات .

ولكن هذه المشاكل سهلة الحـل من الناحية العلمية ، وعندما يبدا تعميم هذه الاشياء ، فان تكرار الانتاج سيؤدي الى خفض التكلفة حتى تصبح هذه الكائنات في متناول الانسان العادي ، ومن يدري، قد ياتي يوم يجد فيه المرء انه من الاسهل ـ ولا شك انه ايضا ارخص ـ ان يعاشر انسانا من هذا النوع يقضي حوائجـه ويتولى تسليته بالالعـاب والاذاعـة والمحادثة ، ويقوم على كل حاجياته ، فلا يحتاج لذلك «النوع» من الزوجـة الحـديثة التي تستعصي على « البرمجة » !



امرأة في الظل

ظاهرة جديدة من ظواهر الانحلال الذى يجتاح عالم الغرب فى عصرنا هذا ظاهرة النساء اللاتى يفضلن ان يكن عشيقات بدل ان يكن زوجات ، ذلك محافظة منهن على الاستقلال والتحرر من سيطرة الرجل ومتاعب الاولاد !

من أكبر الظواهر الاجتماعية التى تستوقف النظر فى عصرنا هو اتساع نطاق ظاهرة ((المرأة الثانية)) او العشيقة فى نفس العصر الذى بلغت فيه المرأة اقصى مابلغته فى التاريخ من التحرر واظهار الكفاية الشخصية وكسر الحاجز الذى كان يفصل فى الماضى بين الرجال والنساء ...

فالى الامس القريب كان احد لا ينازع فى أن المرأة دون الرجل كفاية واستعدادا وشخصية . بل كانت المرأة نفسها تسلم بذلك ، حتى انه عندما قالت الاديبة الفرنسية المشهورة جورج صاند انها تساوى الرجال وتفوقهم ذكاء ، اضطرت الى أن تخلع ملابس النساء وتلبس ملابس الرجال لكى تثبت انها ند للرجال ....

اما فى يومنا هذا فان رئيسة وزراء بريطانيا مسز تاتشر ترأس مجلس الوزراء متزينة متجملة محافظة على كل خصائصها كامرأة ، وبهذه الانوثة الجميلة تتولى عملها وتقود الرجال وتعالج اعقد مشاكل السياسة والمجتمع ..

فى عصرنا هذا بالذات لا تأنف الكثيرات جدا من اعلى السيدات مركزا ومسئولية أن تكون عشيقة أو زوجة فى الظل لرجل يعجبها . فى المانيا وحدها يقدرون عدد هذا الطراز من زوجات الظل بمليون امرأة ، ليست فيهن امرأة خليعة أو قبيحة أو عاطلة او عالة على غيرها ، بل كلهن نساء عاملات موظفات يشغلن وظائف ذات مسئوليات كبرى ، فهن لسن مضطرات الى مشاركة امرأة أخرى فى رجل يتولى نفقتهن وانما هن يفعلن ذلك بمحض اختيارهن ، وهن راضيات بذلك لايشكين منه ، بل ان واحدة منهن أجابت على استفتاء أجرته مجلة المانية بمقال طويل قالت فيه انها



● مدام ريكاميه عشيقة لويس الخامس عشر بريشة الفنان لوى دافد ، كانت سيدة معترفة بها فى عصرها ولها قصرها الذى انشأت فيه صالونا ادبيا .

فضلت وضعها كامراة ثانية فى حياة رجل اعمال المانى كبير على ان تكون زوجته ، وانه عرض عليها ان يطلق زوجته ويتزوجها فرفضت قائلة انها اولا لا تريد أن تسيء الى امراة اخرى بتطليقها من زوجها ، وثانيا لا تريد أن تتحمل وحدها مسئولية لخدمة رجل ، فان الزوجة الاولى تخدم الزوج وتقوم بمسئولياته ، أما هى فتستمتع به فحسب فى الاوقات التى لا تضير الاخرى دون أن تحمل اى مسئولية ، وكل مايضايقها فى الموضوع هى السرية اى انها لا تستطيع أن تظهر مع الرجل فى المجتمع ، لا لانها تخشى ذلك بل لان المجتمع فى رايها لا يقبل فكرة المراة الثانية ، ويعتقد أن فى ذلك خطرا على المجتمع او تهديدا لكيان الاسرة ، مع أن الاسرة فى عصرنا هذا وفى المجتمعات التى تعتبر نفسها مجتمعات متقدمة لم يعد لها وجود بالمعنى الصحيح ...

***

وقد الف كاتب المانى كتابا جميلا عن الموضوع قال فيه :

ان الاسرة ذات المراة الواحدة التى تعيش مع زوجها واولادها تحت سقف واحد فى هناء وسعادة ، ((ابتكار)) جديد لم يظهر فى أوروبا الا فى القرن الثامن عشر .. لان الاسرة من وجهة النظر الاجتماعية تعتبر اسرة سليمة التكوين بامراة أو امراتين او ثلاث او اكثر مادامت هناك عدالة من جانب الرجل نحو نسائه ومادامت النساء يعشن فى سلام ــ ولو نسبى ــ بعضهن مع بعض .

ومنذ ايام المصريين القدماء والاغريق والرومان ، لم تكن هناك تلك الاسرة ذات المراة الواحدة لانه يبدو ان الرجل بطبعه ميال الى أن تكون له اكثر من امراة وهو يستطيع ان يحب امراتين او ثلاثا فى نفس الوقت وكذلك المراة عندها استعداد غريزى لقبول امراة اخرى الى جانبها تشاركها زوجها .. والغيرة فى هذه الحالة لاتكون غيرة فى الحب وانما فى الناحية المالية فقط .

وقبل القرن الثامن عشر لم تكن فى أوروبا امراة تستطيع الاعتراض

على زوجها اذا كانت له امراة اخرى غير شرعية ، وانما المجتمع نفسه هو الذى كان يرفض المراة غير الشرعية لانه كان يرى فى ذلك نوعا من البغاء . وكانت المراة الثانية او امراة الظل موضوع هجوم وطمع من المجتمع ، وبطبيعة الحال لم تكن هنالك نساء عاملات بالمعنى المعروف ، ومن ثم فان المراة الثانية كان المفروض انها تعيش على مال رجل متزوج بأخرى ، ومعنى ذلك انها تبيع نفسها لقاء مال ، وهذا رأى صحيح ..

اما فى طبقات المجتمع العليا حيث كانت النساء موسرات لا يعتمدن على مال رجل آخر ، فان المجتمع كان يقبل دون أى استنكار فكرة العشيقة ..وفى القرن السابع عشر والثامن عشر فى فرنسا وانجلترا وغيرهامن بلادأوروبا، كانت العادة بين الطبقات الراقية أن يكون للزوج عشيقة وأن يكون للزوجة صديق أو أكثر . وكلنا نعرف أخبار عشيقات الملوك من أمثال مدام ريكامييه ،ومدام بومبادور ،وهن عشيقات كانت لهن المرتبات الثابتة من مال القصر الملكى ، وكانت لهن بيوتهن المعروفة ، وكانت فى هذه البيوت صالونات ادبية يجتمع فيها علية القوم ويقدمون تحياتهم واحترامهم للمراة الثانية ، بل انه كان من القواعد الثابتة فى الطبقات العليا الروسية ، انه لايوجد رجل ليست له امراة ثانية او اكثر ... وهذه المراة الثانية محترمة ومعترف بها ،واولادها لهم حق فى الميراث ما دام الرجل قد اعترف بهم ..

وفى انساب العائلات الارستقراطية الروسية نقرأ ان فلانا ابن غير شرعى للامير الفلانى ، وكأنه يفخر بذلك ... وفى رواية آنا كارنينا للقصصى الروسى تولستوى يقول احد النبلاء مفتخرا ان اسرته صاهرت آل رومانوف اربع مرات ، اثنتين شرعيتين واثنتين غير شرعيتين ... ولم يكن الاولاد يعيرون بذلك بل كانوا يجدون فى ذلك شرفا جديرا بالذكر .

والحقيقة انه لايوجد دين يحرم فى قواعده الاساسية الزواج باكثر من امراة ، فالمسيحية الاولى لم تعرف الزوجة الواحدة ، وكان الرجل يستطيع الزواج باى عدد من النساء يريد بشرط أن يكون الزواج رسميا .. اما تحديد الزواج على النحو المعروف الان فى العالم المسيحى فامر وضعته الكنيسة فى مجامعها المختلفة والغرض منه وضع نظام واحد للاسروالعائلات.

وقد كان هذا التحديد موضع متاعب ومازال الامر كذلك الى اليوم . وفى الكنيسة الكاثولوكية يستطيع الاغنياء ان يحصلوا على الطلاق لان لديهم الوسائل والعلاقات الكفيلة بتيسير استصدار حكم الفصل . اما الفقراء فلا يستطيعون ذلك قط .

ويقول الدارسون فى علم الاجتماع ان الاسرة ذات المراة الواحدة امر غير طبيعى ، لان الرجل بطبعه يميل الى تعدد الزوجات وبعض علماء الاجتماع يرون ان فى ذلك خيرا للاسرة لانه على الاقل يوفر متاعب الطلاق اذا كانت هنالك قيود كبيرة عليه،ويغلق الباب امام الرشاوى التى تدفع للحصول على الطلاق او الفصل فى حالة اذا لم يكن هنالك حب او وفاق بين الزوجين .

ومن المعروف انه ليس هنالك اتعس من زيجة غير متوافقة وان تحريم الطلاق فى هذه الحالة يؤدى الى كوارث

ومعظم الزوجات او الازواج الذين يلجأون الى قتل زوجاتهم يفعلون ذلك لاستحالة الطلاق ، وفى هذه الحالة يبدو لنا ان الزوجة الثانية تعتبر حلا معقولا للمشكلة ولو لم يكن حلا اخلاقيا وقد قررت ذلك سيدة المانية فى كتاب



● مدام بومبادور المحظية الخالدة لملوك فرنسا ، لم تتزوج قط ولكنها عاشت فى ظل الملك بعلم الملكة والدولة وقدر لها راتب على أعتبار أنها صاحبة صالون ادبى .

نشرته عن موضوع المراة الثانيـــة ولم تنشر الكتاب باسمها ، بل أطلقت على نفسها : انجريد وتلف ولكن كل المانيا تعرف من هى الكاتبة لانها صــحفية مشهورة وعشيقة لرجل كبير من رجال الاعمال !..

***

والحقيقة اننا اذا فكرنا مليـــا فى موضوع زوجة الظل نجد أنه من الافضل بكثير ان تعدل القوانين فى الغرب وان يسمح للرجل ، بموافقة الزوجة ، بأن يتزوج ثانية اذا كان فى ذلك ضرورة ، لان فكرة الاقتصار على زوجة واحدة ثبت انها تعتمد اولا وآخرا على ضمير الرجل وعلى مقدار السعادة التى يتمتع بها فى زواجه ، وكذلك تعتمد عـــلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية .

ويقول الكاتب الالمانى الذى ننقل عنه هذا المقال : انه قــد طاف بنواحى العالم بصفته عالما فى الاجتماع ، ودرس شئون الاسرة فى بلاد شرقية وغربيــة كثيرة ، فوجد أن مشاكل الاسرة اقــل ماتكون وأخف ماتكون فى البــلاد التى تتيح قوانينها الزواج بأكثر من واحدة بشرط ضمان القدرة الماليــة للزوج ، وموافقة كلا الزوجتين على ذلك الزواج.

... ويقــول ذلك الرجــل ايضا : ان تيسير أمور الطـــلاق يزيد روابط الأسرة متانة بشرط توفر درجـــة من الثقافة والفهم وحسن التقدير عنــد الرجل والمراة معا ، فاطلاق امر الطلاق وعدم وضع ضوابط له فيه ضرر بليغ بالجهلاء والفقراء ، وهذا الطــراز من الناس الذى لا يقــــدر المسئولية الاجتماعية او القومية ، ولــكنه دون شك مخرج معقول من التعاســـــد الزوجية فى حالة استحالة الوفـــاق بين الزوجين ..

وقد اجرى استفتاء فى الولايات المتحدة عن موضوع الزواج فتبين ان ٩٠٪ من الازواج لهم ، او كان لهم فى فترة ما ، امراة جانبية ،ولم ينتج من ذلك ضرر بليغ . بل اعترفت احدى الزوجات أن زوجها كان أحسن حالا واكثر حبا لها ولاولاده عندما كانت له عشيقة هى سكرتيرته ، فكان يجتهد فى تعويض زوجته واولاده بالمزيد من الحب والمال حتى يغطى ماكان يتصور انه جريمة ...

وقالت الزوجة : انها حاربت لكى تخرج السكرتيرة من حياة زوجها ، فلما تم لها ذلك أسفت لان زوجها عندما فقد عشيقته أصبح مريرا غضوبا وبخيلا ، وانصرف الى السهر مع أصحابه وكره زوجته كرها شديدا ..

ومن هذا الاستفتاء تبين ان نسبة عالية من السكرتيرات يعتبرن فى نفس الوقت زوجات ثانيات لرب العمل ، وخاصة اذا لم يكن رب العمل فى سن عالية . وبعض الشركات الامريكية تتعمد اختيار السكرتيرات الجميلات لان ذلك يحبب الرجال فى المكتب والعمل ، فقد لوحظ أن السكرتيرة الجميلة لها جاذبية خاصة على المدير او الرجل ذى المسئولية .

وفى بعض الشركات الاجنبية الان بدعة جديدة هى الحاق مطبخ صغير بغرفة المدير او رئيس العمل فتطهو له السكرتيرة طعامه وتاكل معه .. وشيئا فشيئا تصبح كزوجة ثانية ، والنتيجة ان الرجل يعمل فوق الخمس عشرة ساعة دون ملل ، بل لوحظ ان السكرتيرة وهى الزوجة الثانية فى نفس الوقت تعمل سائقة لمديرها فتنتقل معه من مكان لمكان بحسب مطالب العمل ، وهى لا تطالب قط بالزواج من مديرها لانه فى الغالب اكبر منها سنا . فهى تقنع بالقليل الذى ياخذه منها ..

ويقول الاستفتاء ان ذلك لا يضير الحياة الزوجية فى شىء الا ربما من الناحية الاقتصادية ، وهذا تتكفل به الشركات فى كثير من الاحيان .

وتلك الشركات تقوم بذلك العمل بعد دراسات طويلة قام بها علماء النفس والاجتماع الذين كلفتهم الشركات بدراسة هذا الموضوع ، وقد اتضح لاولئك العلماء ان الزوجة ، أيا كان الحب الذى يربطها بزوجها قبل الزواج وفى شهوره أو سنواته الاولى ، تفقد بريقها فى نظر زوجها بعد خمس سنوات على الاكثر من الزواج ، وخاصة اذا انجبت اطفالا .. وقد لوحظ أن الزوجة بعد المولود الثانى ولدا كان أم بنتا تتجه معظم عواطفها نحو الاولاد ويتراجع الزوج الى المكان الثانى من ناحية الحب ، وان لم يكن من ناحية الاحترام .. فهى تظل قائمة له بواجباته حافظة له بيته ، ولكن العلاقة بينه وبينها تتحول الى نوع من الروتين وان لم ينقص الحب ... واذا كان الرجل من رجال الاعمال الذين تتطلب اعمالهم الابتكار والتجديد فانهم يحتاجون دائما الى مايثير عواطفهم ويجدد نشاطهم الذهنى والعاطفى ، ومن هنا ينفتح الباب أمام المرأة الثانية .. وليس من الضرورى أن يكون الدافع الى ذلك شريرا أو جنسيا بل قد يكون مجرد رغبة فى الخروج من الملل ..

ومن الملاحظ أن الانسان اذا أراد ان يروح عن نفسه ذهب الى السينما او الى ملهى مثلا حيث يرى أشكالا وألوانا ويسمع موسيقى تطربه وتخرجه عن الروتين المألوف .. هذا بالنسبة للناس العاديين ، وبالنسبة لرجال الاعمال فى الغرب ومرءوساتهم تجاوز حد التصور ، فانهم لا يذهبون الى السينما فى العادة ، وانما يأتون بالسينما الى

بيوتهم أو محال اعمالهم ، وقد سمعنا بما كان يحدث في البيت الابيض الى حين قريب من أن بعض الشيوخ يستخدمون فتيات جميلات في مكاتبهم **وعند التحقيق تبين ان اكثر ما كان الشيوخ يطلبونه هو تغيير الجو والحصول على شيء من التجديد في المظهر والمحيط على الاقل ، ومما يؤسف له ان الكثيرات من الزوجات يهملن الازواج اهمالا تاما ويتصورن ان الزواج مسالة ادارة البيت ، ناسيات ان الرجل بطبعه صياد وانه في معظم الاحوال لا يتوجه الى الصيد لانه جائع بل لان الصيد جزء من طبعه ـ هكذا يقول ذلك الكتاب .**

***

ولكن هذه ليست مشكلة النساء اللائى يجرى عنهن الحديث في الكتاب الذى نوجزه هنا ، لان هؤلاء لسن عشيقات بالمعنى المعروف ، بل هن نساء مستقلات يعملن ويكسبن ويعشن عيشة مترفة ، ولكنهن لا يردن أن يتقيدن بقيد الزواج ، لانهن لا يرين ما يدعو الى الارتباط برجل وخدمته وطاعته. ومن ثم فانهن يكتفين بنصف رجل على أن يكون ذلك الرجل ممتازاً من كل ناحية في عيونهن ، ولا يعنيهن بعد ذلك ان كان متزوجا او غير متزوج ، فان كل ما يطلبنه منه هو شيء من الوقت والاهتمام لانهن لو أردن أن يتزوجن كغيرهن ماعسر عليهن ذلك ، ولكن تحرر المرأة واستقلالها عن الرجل وخروجها على طاعته ، كل ذلك يجعلهن يرضين بأن يكن نساء ثانيات أو نساء في الظل ، لان النور في ذلك لا يهمهن ..

هذا ملخص ذلك الكتاب الذى نشر عن المرأة الثانية ، وهى ظاهرة اجتماعية خطرة ظهرت في الغرب اليوم ، ولا يستطيع أحد في الغرب مناهضتها



أو محاربتها ، لانها كما قلنا ناتجة من تحرر المرأة ووصولها الى المهارات الادارية والفنية التى تمكنها من الاستقلال بنفسها والتصرف في حياتها على النحو الذى تريد ..

انه شر من الشرور الكثيرة التى يجلبها لنا العصر الحديث . وما دامت اولئك النساء يرضين باختيارهن ان يكن نساء في الظل ، فكيف يستطيع المجتمع تغيير افكارهن وهن نساء مستقلات لكل منهن بيتها ومالها وعملها واستقلالها ..

ان الشيء الوحيد الذى يمكن عمله في هذه الحالة هو القضاء على عادة استخدام السكرتيرة كامراة ثانية فذلك يؤدى قطعا الى افساد وظيفة السكرتارية بالنسبة للنساء . والامر الثانى هو اقناع الزوجات بعدم قبول ذلك الوضع ، والعمل على القضاء عليه محافظة على ذلك التقليد الذى لاشك في أنه من اسس سلامة المجتمع : تقليد الزواج وبيت الزوجية والامانة الزوجية .

ح.م .



● عاطف فرج ●

● دكتور يوسف خليف ، استاذ الادب العربى القديم ، ورئيس قسم اللغة العربية فى كلية الاداب ، جامعة القاهرة .
صاحب آخر دكتوراه ناقشها الدكتور طه حسين قبل أن يعتزل العمل فى الجامعة ..
بدأت رحلته مع اللغة العربية عندما اجتذبته شخصية الدكتور طه حسين ورأى فيه مثله الاعلى .. ظهرت موهبة الشعر عنده مبكرة وقت ان كان تلميذا فى المرحلة الثانوية بمدارس الاسكندرية .
من انتاجه الادبى: الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى ، والحب المثالي عند العرب ، وحياة الشعر فى الكوفة ، وتاريخ الشعر فى العصر الاسلامى ، ودراسات فى الشعر العباسى ، وكتاب عن مناهج البحث الادبى ، ويقوم الان بكتابة قصة الشعر العربى ، حيث يدرس تاريخ الشعر العربى فى صورة قصة .. الى جانب ذلك ، له ديوان شعر باسم «نداء القمم» ويعد لاصدار ديوان جديد باسم « مواقع النجوم » .. ●

سألته فى البداية :

هل تتفق مع الذين يقولون بان هناك أزمة فكرية وتدهورا ثقافيا ، وما هى أسباب ذلك فى نظرك ؟!

قال : لاشك أن هناك أزمة ثقافية ، تعانى منها مصر ، والعالم العربى وترجع الى أسباب كثيرة ، ربما أهمها :

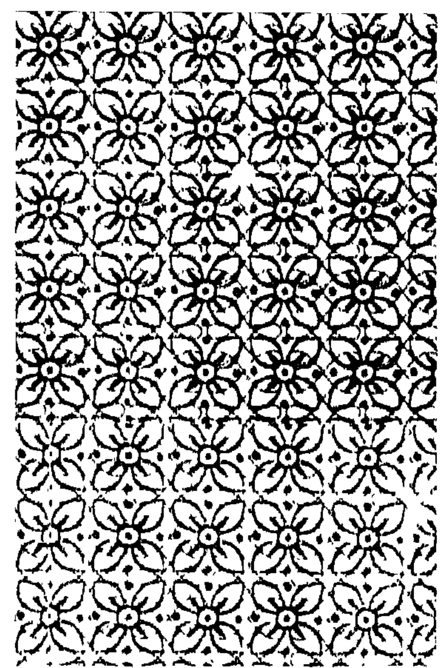
١ ـ انقطاع الصلة بيننا وبين الحركة الثقافية فى أوروبا ، وأمريكا ، والعالم الخارجي عموما بسبب ظروف الحرب التى شغلت الناس فترة طويلة ، مما جعل صلتنا بهذه الثقافات شبه منقطع .

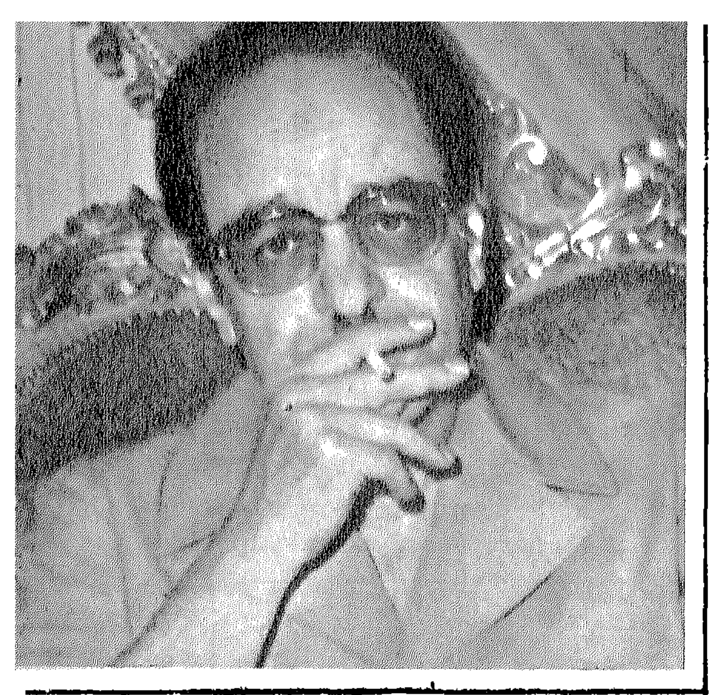
٢ ـ سرعة ايقاع الحياة من حولنا ، والتى جعلت الناس تقبل على الثقافة السريعة الميسرة لهم فى وسائل الاعلام ، بدلا من الوقوف المتأنى امام الثقافات العميقة فى مصادرها الاصيلة .

٣ ـ اسلوب التعليم فى مدارسنا وجامعاتنا ، لا يشجع ولا يدفع على الاتصال بما تتيحه الثقافات الاجنبية ، فى اصولها وفى ترجماتها .. فضعف مستوى اللغات الاجنبية ، واللغة العربية ، وركود حركة الترجمة ـ فالترجمة فى العصر العباسى كانت مزدهرة الى درجة ان نقلوا الثقافة الفارسية ، واليونانية ، والهندية ، واتصلوا بكل الثقافات التى كانت موجودة فى عصرهم سواء اكانت « وافدة ، ام محلية » .

٤ ـ وسائل النشر ليست متاحة لكل مثقف ، لكى يرى انتاجه النور ، وليست متاحة على المستوى الجماهيرى لكل الشعب .

قلت له : هذا يجرنا الى الحديث عن الفكر المستورد وغير المستورد ، مارايك فى هذه العبارة ، وكيف يكون الفكر مستوردا ، ومتى لايكون كذلك ؟!





د . يوسف خليف

قال : لا اعتقد أن هناك شيئا يسمى فكر مستورد ، لان الفكر نشاط انساني ، يشترك فيه الناس جميعا ، ومن حق كل انسان ان يتصل بكل اتجاهات الفكر الانساني ، لتتكون شخصيته الثقافية ، ثم من خلال عملية انتخاب واعية يأخذ ما يصلح له ، ويدع ما لا يصلح له .

فالفكر المحلي والمستورد ، يستويان في الموقف ، اتجاهات متباينة من الضروري أن يتصل بها الانسان ، ليعرفها ثم يبدأ في عملية الاختيار .

● باعتبارك استاذا للادب العربي القديم ورئيسا لقسم اللغة العربية ، هل انت راض عن مستوى اللغة العربية .؟ واذا لم تكن فما هي العيوب الرئيسية ، وماهو العلاج في نظرك ؟

ـ هناك أزمة في اللغة العربية ، ومن ثم فانا غير راض من هذا المستوى وترجع الازمة الى اسباب كثيرة ..

من البداية لابد أن نميز بين مجالين :

أولا : اللغة العربية كلغة تدرس .

ثانيا : اللغة العربية كلغة حديث للشعب كله في الحياة العادية .

في المجال الاول : اعتقد أن العامل الاساسي ، يرجع الى اسلوب التدريس بداية من مراحل التعليم العام وانتهاء بالمرحلة الجامعية ، وهذا الضعف يرجع الى المدرس القائم على التدريس ، والكتاب المدرسي المقرر .

من ناحية المدرس ، فان اعداد المدرس يقودنا للحديث عن أسلوب تدريس اللغة العربية في مرحلة التخصص في الجامعات ، وهي تعاني من مشكلة الاعداد الكبيرة ، هذا التضخم لايتيح الفرصة للاستاذ لكي يتصل بطلابه ، اتصالا قريبا موجها ومرشدا ، ورفيقا لهم في حياتهم الجامعية .

وأيضا لايتيح للطلبة الفرصة للاتصال بالمكتبة ، التي تشكل عنصرا اساسيا ، في الحياة الجامعية ، يضاف الى هذا أن الكتاب المدرسي لا يقدم للطلبة بالصورة

التي تحقق الهدف ، من تدريس اللغة العربية ، في مراحل التعليم العام .

فالتركيز على القواعد النظرية من ناحية ، واختيار نصوص ادبية بعيدة عن اذواق التلاميذ في هذه المرحلة ، وبعيدة عن ذوق العصر حولهم ـ من ناحية اخرى ، تجعل الكتاب المدرسي يبدو وكأنه لا يدرك الهدف من تدريس اللغة العربية ، في هذه المرحلة . لان الهدف في هذه المرحلة ، ليس التخصص في اللغة العربية حتى نحشد في أذهان التلاميذ كل مانستطيع حشده من قواعد نظرية ، ونماذج ادبية لا تلائم ذوقهم ، ولا ذوق العصر من حولهم ، وانما الهدف هو خلق التلميذ الذي يستطيع انيقرأ اللغة العربية قراءة سليمة ، ويكتب الجملة العربية الصحيحة . ثم ترغيب التلاميذ في هذه المرحلة المبكرة ، في اللغة العربية .

ولذلك اعتقد انه من الضروري تخفيف الجانب النظري في دراسة قواعد النحو العربي ، وتخفيف النماذج الادبية البعيدة عن ذوق العصر ، وتراثنا ضخم ، ورصيدنا منه رصيد ثرى ، وتاريخ الادب العربي يمتد أكثر من خمسة عشر قرنا ، وفيه نماذج كثيرة جدا تصلح لعرضها على دارسي اللغة العربية في عصرنا الحديث .

غاية مافي الامر أن المسالة تحتاج الى عملية اختيار دقيقة .. وعملية عرض سليمة تحقق الهدف من هذه الدراسة ، ونتيجة هذا ، أن الطالب ينتهي من مرحلة التعليم العام وقد استقر في أعماقه أن اللغة العربية لغة اثرية غريبة عليه . فيستشعر الغربة ازاءها مع انها في حقيقة أمرها هي اللغة نفسها التي يتكلمها في حياته العادية ، مع تغيير لغوى أصابها ، ولكنه تغير لم يتحول بها الى لغة أخرى .

في المجال الثاني ، وهو اللغة العربية كلغة حديث في الحياة العامة ـ فالمسالة ترجع الى ان محاولة فرض اللغة الفصحى بكل قواعدها وقوانينها اللغوية على أسلوب الحياة العامة يبدو أمرا غير طبيعي . كما أن التمسك باللغة العامية يبدو ايضا عاملا آخر على احساس الناس بغربة اللغة العربية عليهم .

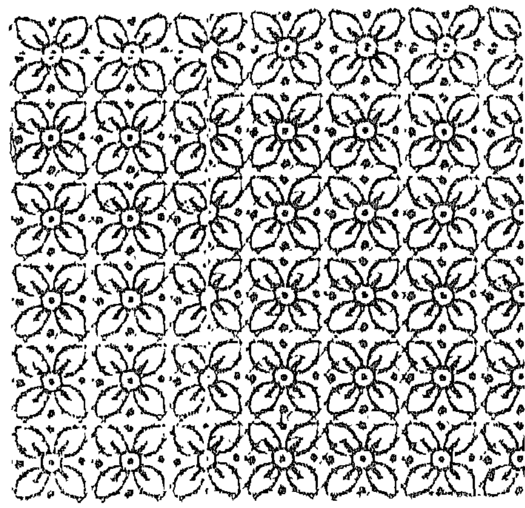
ومن هنا أرى انه لابد من العمل على ظهور اللغة الثالثة ، وهي اللغة التي تتوسط بين الفصحى والعامية لتكون لغة الحياة العامة ، على الاقل في وسائل الاعلام المختلفة ، وهي وسائل تتحمل مسئولية كبيرة في خلق هذه اللغة الثالثة وتحويلها الى لغة لا يجد الشعب مشقة في الحديث بها .

قلت للدكتور يوسف خليف : هذا عن اللغة بصفة عامة في مرحلة التعليم العام ، فمن المسئول عن شباب الجامعة الذي لايعرف كتابة اللغة العربية وماهو العلاج ؟!

قال : في مرحلة التعليم الجامعي المشكلة ترجع الى أن أقسام اللغة العربية في الجامعات ، نظرا للعجز في مدرسي اللغة العربية ، تقبل الطلاب بها بدون شروط ، بل أحيانا تفرض هذه الاقسام على بعض الطلاب الذين لا يقبلون في أقسام أخرى .

فكانت النتيجة أن نوعيات كثيرة غير صالحة لدراسة اللغة العربية دخلت هذه الاقسام ، وساعدت الحوافز المادية التي قررتها الجامعات لطلاب أقسام اللغة العربية على أن تجتذب طلابا ليس لديهم الاستعداد لدراسة اللغة ، مما نتج





د . يوسف خليف فى مكتبته الخاصة

عنه ضعف المستوى العام فى هذه الاقسام .. مما أدى الى :

١ ـ قلة الذين يتخرجون فى هذه الاقسام ، بسبب محاولات التصفية لهم على مدار السنوات الاربع .

٢ ـ ضعف مستوى الخريج الذى سيعهد اليه بتدريس اللغة العربية فى المدارس .

والحقيقة التى يؤسف لها أن طائفة من خريجى هذه الاقسام انصاف متعلمين، لم يصلوا الى المستوى الذى نريده لهم ، والعلاج فى رايى يتجه الى جانبين :

أولا : علاج البداية فى مرحلة التعليم العام .

ثانيا : وضع شروط للقبول بأقسام اللغة العربية تبعد عنها من لا يصلح لها ... كاشتراط مجموع معين أو نسبة فى درجة اللغة العربية واللغات الاجنبية فى الثانوية العامة .

● نعود مرة اخرى الى الانتاج الادبى ، هل انت راض عن مستوى الانتاج الادبى ؟ ولماذا ؟

ـ لاشك أن هناك نهضة ملحوظة فى الحياة الادبية ، ولكنها نهضة لم تصل الى الدرجة التى نتمناها لها ، فهناك انتاج كثير ، ولكن الممتاز منه قليل ، وهى نهضة تحاول تحقيق تجديد فى حياتنا الادبية ، ولكنها لم تستطع أن تصل به الآن الى صورته المستقرة ، المتكاملة . فاذا قارنا النهضة المعاصرة بنهضة الحياة الادبية فى الجيل الماضى لادركنا أن نهضتنا لم تستطع على الرغم من كل محاولاتها ، أن تصل الى المستوى الممتاز الذى حققته الحياة الادبية ، على أيدى جيل العمالقة الماضى .

هناك محاولات كثيرة الآن لم تحقق الصورة التى كنا ننتظرها من ورائها . وببساطة ، لماذا لم يظهر شوقى جديد ؟! لماذا لم يظهر طه حسين وعقاد جديدان ؟!

اعتقد ان السبب يرجع الى اننا نمر فى مرحلة انتقال او تطور ادبى بين المدارس التقليدية ، والمحاولة التجديدية ، ومازلنا حتى الان فى مفترق الطرق لم نستقر على مدارس جديدة متكاملة فى مذاهبها الادبية ، ولم نواصل الطريق الذى بداه الجيل الماضى فى كل مذاهبه التقليدية . فكانت النتيجة ان

حوار مع الدكتور
يوسف خليف

الارض الفنية تحركت تحت اقدامنا ، واصبحت ارضا غير مستقرة نقف عليها فيتجاذبنا تياران : تيار يشدنا الى القديم بجلاله وروعته ، وثباته ، وخلوده ... وتيار يشدنا الى الجديد ، ببريقه ، ولمعانه ، وطرافته .

والى أن تستقر الارض الفنية تحت أقدامنا ، ستظل حياتنا الادبية غير مستقرة . وغير واضحة المعالم ، وعلى سبيل المثال الشعر ، وفيه تتجلى هذه الظاهرة فى أقوى صورها ٠ فالمدرسة الجديدة ، مدرسة الشعر الحر ، تحاول شق طريقها فى اندفاع متطرف ، يحاول الغاء القيم الطيبة التى استقرت لنا فى الشعر العربى عبر تاريخه الطويل ، ويحاول خلق قيم فنية جديدة لا ترتبط بالقيم الفنية القديمة التى لم تكتسب الخلود فى حياة شعرنا القديم الا لانها صالحة للبقاء ..

ومن هنا أعتقد أن المدرسة الجديدة ، أخطأت الطريق الذى كان يجب أن يقوم على الانتفاع بكل ما استقر فى شعرنا القديم ، من تقاليد فنية ومقومات ثابتة تميز هذا الشعر بطابعها الخاص .

أما التجديد من فراغ ، أو من لا بداية ، فلا نتيجة له الا زعزعة الثقة بالتراث القديم ، وانصراف ناشئة الشعر من حوله ، وعدم الوصول الى معالم ثابتة محددة ، يقوم عليها هذا التجديد .

والنتيجة أن ناشئة الشعر فقدت الثقة بالتراث ولم تجد البديل الذى يستطيع أن يقف على قدمين ثابتتين ليعبر عن كل حاجات العصر ،وحاجات الانسان فيه . أما الفنون الادبية الاخرى ، كالمسرحية والرواية ، فلعلها اسعد حظا من الشعر ، واشد تمثيلا للحياة الادبية المعاصرة منه ، وذلك لان هذه الفنون جديدة على اللغة العربية ، وليس لها تراث عربى قديم ، يجعل الناس تعانى من هذا الازدواج بين القديم والجديد الذى نحسه فى مجال الشعر .

ومن الحق أن تجربة الشعر الجديد حديثة العهد ، وقصيرة العمر بحيث لا نستطيع الحكم عليها حكما دقيقا ، ولكن الاحظ انها بدأت بداية غير طبيعية وكأنها تحاول البناء على غير أساس حين تلغى كل الثوابت والاصول ، التى قام عليها الشعر العربى .

وفى رأيى أن هذا الخطأ انما يظهر أكثر مايظهر فى الشعر الغنائى الذى استقرت له تقاليده عبر القرون المتطاولة وربما صلحت هذه التجربة الجديدة فى الشعر المسرحى أو الشعر القصصى وذلك لأن هذين اللونين من الشعر ليست لهما أصول قديمة .

قلت : دكتور يوسف ، انت تلميذ دكتور طه حسين وهو مثلك الاعلى .. فاين انتاجك الادبى من الرواية والمسرحية ؟

قال : اذكر ان الاستاذ احمد امين قال لى : اتمنى لك الا تشتغل بالجامعة حتى تتفرغ للابداع .. وقد صدقت نبوءته .

.. والحقيقة أن موهبتى الابداعية هى فى الشعر ، ومن هنا كان اقتصارى عليه ، ثم ان قلة ابداعى فى هذا المجال ترجع الى الحياة الجامعية ، وماتتطلبه من بحث أكاديمى يملأ على الانسان أكثر وقته . فالحياة الجامعية تستغرقنا وتجور الى حد بعيد على النشاط الفنى ..

● وهل تقرأ للادباء الشبان ؟!

ـ هناك كثيرون من الادباء الشبان يحاولون محاولات طيبة فى الشعر والقصة والرواية والمسرحية ، نرجو أن يظهر من بينهم من يصعد الى الصف

الاول ، ولكن المسألة تحتاج بصفة أساسية الى بذل مزيد من الجهد والقـراءة والثقافة . وتحتاج الى تشجيع من الدولة لنشر الانتاج الذى يبدعه هؤلاء الشبان .

وانا على صلة وثيقة بانتاج هؤلاء الادباء الشبان ، ولا اتردد فى تشجيع كل من أعتقد أن لديه موهبة تحقق له فى يوم من الايام مكانة أدبية مرموقة .. ولكنى الاحظ ان المحاولات الجديدة فى حياتنا الادبية بما تتسم به من سهولة وسرعة اغرت كثيرا من الدخلاء على الدخول فى ميدان هذه الحياة .

● دكتور يوسف ، انت لست بعيدا عن مجمع اللغة العربية ، فهل انت راض عن دوره ، ولماذا يخلو من امثال توفيق الحكيم ونجيب محفوظ كمـــا لا يوجد بينهم مؤرخ ؟!

— مجمع اللغة العربية أسس وله رسالة محددة ، وهى تحقيق ما يربط اللغة العربية بتطور العصر ، على أساس لغوى سليم ، وهذه الرسالة رســـالة جليلة ومقدسة ونتمنى أن ينجح المجمع فى تحقيقهـــا ، ولكنى ألاحظ أن المجمـــع لايزال يعيش فى شبه عزلة عن حياتنا العامة . ولم ننجح حتى الان فى أن ندخل هذه الحياة بصورة فعالة ، كما الاحظ شيئا من البطء فى حركة المجمع كانت نتيجته أن بعض مشروعات المجمع أستغرقت سنوات طويلة فى انجـــازها . مثلا :

المعجم الوسيط ، وهو معجم كما يدل عليه اسمه ، متوســـط صدر فى جزءين ، ولكن بعد عمل استمر من سنة ٣٦ الى سنة ٦٦ ، اى أكثر من ثلاثين سنة .. وعلى هذا القياس فما الزمن الذى يحتاجه اصدار المعجم الكبير ، الذى بدا فيه المجمع منذ سنوات بعيدة .

وأعتقد أن المجمع يجب أن يتسع برسالته ، لكى يدخل فى مجالات الحيـــاة المختلفة . مجالات الاعلام والتعليم والحياة العامة . ولا يقف دوره فى الدائرة الاكاديمية البحتة المحدودة .

ومن هنا أعتقد أنه من الضرورى ، أن يتسع المجمع لطوائف أخرى من العلماء المتخصصين ، فى مجالات العلوم المختلفة .. وان يبذل جهدا كبيرا فى محاولات تيسير النحو العربى ، لان النحو العربى بصورته التى وصلت الينا من النحـــاة القدماء ، يمثل مشكلة وثيقة الصلة بأزمة اللغة العربية ، التى نشـــكو منهـــا الان . وفى المجمع الان محاولات لتيسير النحو العربى ، وأتمنى أن يفرغ المجمع منها قريبا ، وأن نرى آثارها فى حياة اللغة العربية المعاصرة .

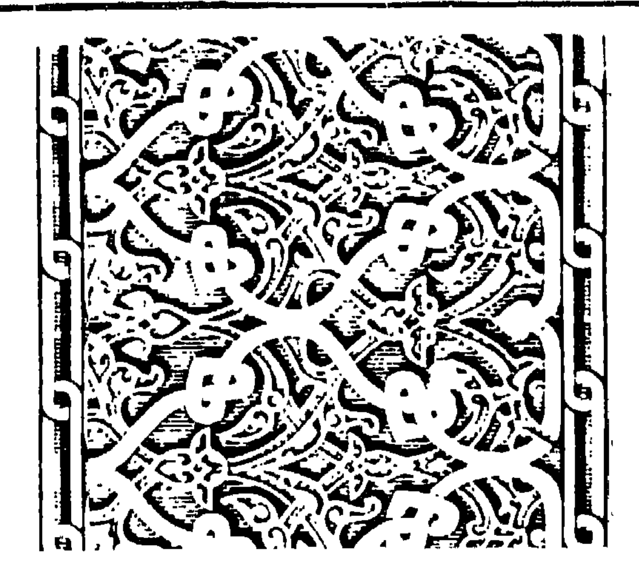
قلت له : دكتور يوسف خليف شاعر له دراســـات عديدة عن الشعر فى عصوره المختلفة ، فهل يوجد شعراء جدد . وهل قام نقاد الادب والشـــعر بدورهم نحو هؤلاء الشعراء ؟!

قال : فى الساحة الفنية شعراء كثيرون ، ومن بينهم شعراء استطاعوا ان يحققوا لهم دورا فى الحياة الادبية ، ولكن الشاعر العبقرى الذى يمثل قيمة فنية ، لم يظهر حتى الان .

كما أن هناك حركة نقدية واسعة ، يتحرك فيها نقاد كثيرون ، ولكن بصـــفة عامة اكثر النقاد يتحركون من منطلق شخصى وليست هناك مذاهب محـــددة ينطلق منها هؤلاء النقاد . وبصفة عامة فحركة النقد الادبى فى حياتنا المعاصرة تدور او تتجه الى الانطباعية الشخصية ، ولا تدور فى دائرة مذاهب نقـــدية محددة المعالم والاتجاهات .



فلسفة الحب عند إبن أبى ربيعة ..

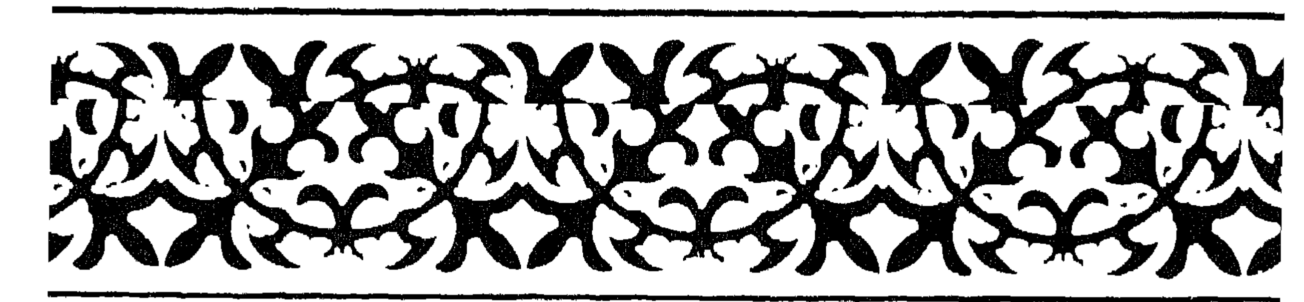


● د. عبدالفتاح الديدى ●

● يلعب الفن دورا اساسيا فى حياة الانسان العربى . والانسان العربى هو ذلك الذى عاش فى هذه المنطقة منذ آلاف السنين وما لبث يعيش بين ربوعها . وظل تفكيره على مدى كل هذه العصور والازمات وثيق الصلة بمعنى الفن .. وقد صادف أن ظلت حضارة العربى ذات طابع شفوى يجعلها دائما قريبة من ينابيع البدائية ويصبغها بصبغة خاصة فى تطلعها الى المعرفة والحساسية الجمالية . فالحضارة التى تصبح عريقة مع استمرار بدائيتها تخلق الفن من أبسط الاشياء وتحيله الى عبادة .. واللغة تظل قريبة من انغام التصاوير فى الكهوف ، ووسائل التعبير تكتسى موسيقية باطنية مضمرة ، وتنحصر جماليات كل شىء فى القول وفنونه البديعة . ويصبح الكلام محورا ظاهريا لمعنويات الحياة بكل ضروب الجدية والتعامل ، وبكل أساليب الرقة والمرح والدعابة. ويحتل الاهتمام بمنافذ المتعة اللفظية مكانته عند فاقد البصر . فاذا بالكلمة تحيي وتميت ، واذا بالكلمة شرف ووعيد ، وتؤدى فى حد ذاتها الى كل سعادة يعرفها الانسان .

واستمرت الحضارة العربية السابقة على الاسلام تحاول الاحتفاظ بكل المعارف والتواريخ والاحداث فى قالب لغوى يخدم غرضها فى نقل التراث الحضارى بدون تدوين واسع وبدون تسجيل فنى محدد الوسائل والاساليب والادوات . فاعتمدت على النقل الشفوى قرونا طويلة ، وأصبح هذا النقل من عصر الى عصر طابعا أساسيا جوهريا اعتمدوا كل الوسائل التى تضمن بقاءه وخصصوا له النقلة والرواة والعارفين والشعراء . وأصبحت صدور الناس سجلا حافلا بكل جزئيات الفن الكلامى وبكل ذكريات أصحابه .

ولم تخلص الجزيرة العربية من هذا الطابع الحضارى الشفوى الا بنزول القرآن الكريم الذى دفع باتجاه هذه الحضارة الى منحى التسجيل والتدوين . ولكن على الرغم من ذلك بقيت خصائص عربية قديمة سائدة فى المجتمعات الضيقة ، وظلت بعض هذه المظاهر الفنية الشفوية قائما .



وقد اقترن الابداع الفنى الكلامي بعد الاسلام بشيء من الاحساس بالخطيئة . ولكن القرآن الكريم أكد أن الله قد تبارك بوصفه أحسن الخالقين . وابداعه سبحانه وتعالى هو أرفع أنواع الابداع بالنسبة طبعا الى ما يبدعه البشر . وكأن ابداع البشر اذن أمر مسلم به . كذلك خص القرآن الكريم الشعر بأنه صناعة غير مرتبطة بالواقع الفعلى لانه صناعة من يهيمون بدون التزام بالواقع . فهو تهويم خالص ، كل خطيئته انه من قبيل صناعة السحر بالكلام وهى « خطيئة » حضارة بأسرها

ووصف اشبنجلر حضارة العرب بأنها حضارة سحرية . وتلك خاصية الفن الاصيل الذى يريد أن يبلغ باتقانه درجة السحر ..

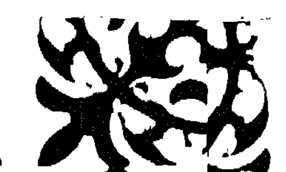
ولذلك سمحت ظروف الاسلام فى القرن الاول للهجرة بان يظهر شاعرنا عمر ابن أبى ربيعة لانه يحمل حلاوة الفن الذى تذوقه العرب أجيالا وأجيالا كترويح لا ينتهى فى هدأة الليل بعد قسوة الحر وشظف الحياة نهارا .

وليس الغزل بالذات الا صورة من صور هذا الفن الذى يقبل على مجالس الناس بالليل فيملأ قلوبهم طربا وأنسا . والغزل أقرب شيء الى طبيعة الانسان العربى الذى يحرص على تعويض ما فاته من الأنس فى الصحراء الموحشة . والغزل فى الحياة العربية حاجة من **حاجات الانسان فيها لا يفرغ ولا يشبع منها كما قال العقاد . بل يكون شعر الشاعر الواحد فى التعبير عن هذه الحاجة اقل من ان يفى بها وهى تعم بنيه وبناته وتشغل كل متحدثيه ومتحدثاته .**

واشار العقاد (شاعر الغزل ص ٢٢) الى انهم كانوا يحسون حاجتهم الى مثل ذلك الشاعر ويبوحون فى كلامهم بانهم يحسونها ويفتقدونها .
وذاك أكبر دليل على فنية الاحساس العربى الاصيل .

وعمر بن أبى ربيعة لم يشأ أن يقول الا القليل جدا فى الغزل والنسيب . ومعظم أشعاره بعد ذلك تحليل لأحداث الحب وطبيعة أسرار الانثى وأعمق دلالات الحياة الانسانية التى تجمع بين الرجل والمرأة .

ولم يعرف عمر بن أبى ربيعة سوى نوعيات رفيعة من النساء . فهو لم يتعامل مع المرأة من أوساط الغانيات وانما تعامل مع الحرائر وبنات الاسر . وتعرف على حب المرأة الصادق الذى لم يكن مقصودا الا لذاته . وليس أسهل اليوم على الشاب من أن يجالس رفيقاته من بين زميلاته أو قريباته . ولكن الحياة الاسلامية فى صدر الاسلام الأول كانت تفرض نفسها وتبيح ذلك من أجل الفن الشعرى على الرغم من ذلك . واشتهر ابن أبى ربيعة بأن فنه الشعرى كان ممارسة لصناعة

فلسفة الحب عند إبن أبى ربيعة

لا علاقة لها بما جرى له فى حياته • ولذلك كان شعره يمثل جانبا فنيا خالصا خاليا من صدام المجتمع • أو على حد تعبيره :

انى امرؤ مولع بالحسن أتبعه … لا حظ لى منه الا لذة النظر

ولم ترد المطارحات الغرامية داخل أشعاره الا كمناسبة للاداء الفنى الذى اراد تسجيله ••

ويحسن هنا أن نلاحظ أن العديد من الالفاظ الواردة فى شعر عمر بن أبى ربيعة مما نحسبه اليوم كلفا بالعبارات المفضوحة هو من قبيل المسميات اللغوية المعتادة فى كلام وأوصاف ذلك العصر • مثال ذلك قوله « ناهدة الثديين » فهو تعبير لتحديد السن • ولغة العصر أيام ابن أبى ربيعة كانت تستعير الكثير من أوصاف الحيوان •

وترنو بعينيها الى كما رنا ••• … الى ربرب وسط الخميلة جؤذر !

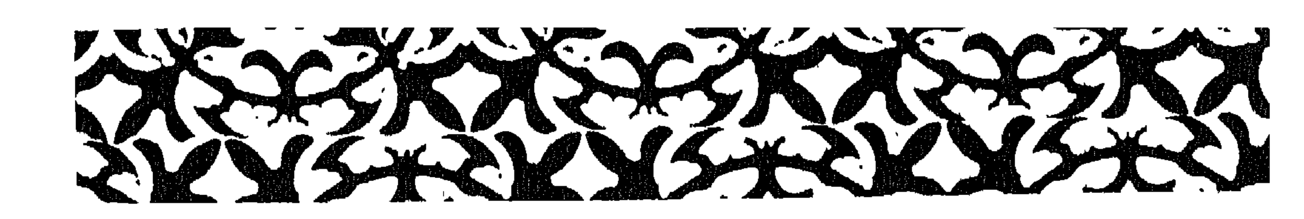
ويعمد شاعرنا الى تحليل الطبيعة الانسانية فى العشق فيقول :

لا تجعلن أحدا عليك اذا … أحببته وهويته ـ ربا ••
وصل الحبيب اذا شغفت به … واطو الزيارة دونه غبا !
فلذاك احسن من مواظبة … ليست تزيدك عنده قربا !
لا بل يملك عند دعوته … فيقول اف ••• وطالما لبى !

والحب فى نظر شاعرنا هو أن يعشق الانسان فتاة وأن يكون فى الوقت نفسه موضوعا لعشقها • ولا يمل تكرار هذا المعنى فى أشعاره التى تمتلىء بالحوار الموحى بدلالة العشق الاصيل • وتكتمل له معانى الرجولة الكاملة فى تعلقه بالانثى فلا يبدى اللوعة والوله كانسان عاشق محروم من التجاوب الحقيقى •• والحب عنده يزيد من احساسه بالغير ويعمق مشاعر الغير نحوه • فليس هو طرفا فى علاقة غرام بدون طرف مقابل • ولا يبخس حقيقة قدره فى الحب ويجعل من الحب نغما طائرا يرفرف على مقلتى عاشقين •

بنفسى من شفنى حبه … ومن حبه باطن ظاهر !
ومن لست اصبر عن ذكره … ولا هو عن ذكرنا صابر
ومن ان ذكرنا جرى دمعه … ودمعى لذكرى له مائر !
ومن أعرف الود فى وجهه … ويعرف ودى له الناظر !

والحب عنده للثريا ولهند ولغيرهما من النساء ليس تهالكا على الحب بقدر ما هو تأمل لانواع العلاقات القائمة على التآلف لتكون أعمق فى الشعور ولتكون أكثر دلالة على حواس الانسان فى تعلقه بالغير وارتباطه بحياة الاخر • فالمحب يتمسك بمحبوبه ويود لو يغمر حواسه بكل مشاعر المحبوب وأن يخلق لنفسه مأوى آمنا فى احساس المحبوب وان خلت مغامراته من أى معنى من معانى الامان • والايواء الامن هدف يحرص عليه المحب كأنه ارتباط بقدر معين فى مواجهة كل الوان الاستجابة للعشق الدفين وكأنه التماس لامان طبيعى فى زوايا النسيان وفى زوايا الاركان الهادئة التى يطمئن اليها الحيوان • ولذلك لا يخامره الشك



فى أن الحب الذى يضمره فى قلبه يتوزع على كل الكائنات الحية وعلى الدواب التى يستخدمها فى الانتقال والحركة • فالحيوان يحمل أثرا من آثار الحب الذى ينبع من وجدانه • ولهذا يقول عمر بن أبى ربيعة :

خليلى ما بال المطايا كأنمـــا ... نراها على الادبار بالقوم تنكص
وقد قطعت أعناقهن صــبابة ... فأنفسنا مما يلاقين شـــخص
وقداتعب الحادى سراهن وانتحى ... بهن فما يالو عجــول مقلص
يزدن بنا قربا فيزداد شوقنـــا ... اذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ومن هنا ارتبط شاعرنا بعالم المحسوس كأنه مصور غارق فى لغة الالـوان والطعوم والحركات • وحسية ابن أبى ربيعـة ستظل نمطا فريدا فى الشـعر العربى لانهاترتبط بالاشياء وبالخصائص وبالصفات ارتباطا قريبا كلفا معمقا • فامرأته تنوف على الغصن الرطيب بريقها • وهى ترتاع وتفزع • وهى مثله تميل الى الستر كما أنه يضع غطاء على هواه • والاحداق كأنها أحداق المها والجآذر • وهو يلثم فاها آخذا بضفائرها فكأنه الشراب المبرد من الماء فى فم الظمآن • وفمها عذب اللثات لذيذ طعم المشرب . ويرى النساء كالتماثيل التى موهت بالذهب •

واخبروا فتاته انه قد تزوج فاذا بها تخفى غضبها أول الامر :

••• فظلت تكاتم الغيظ سرا

ثم قالت لاختهـــا ولاخـرى ... جزعا ••• ليته تزوج عشرا
وأشـارت الى نســاء لديها ... لا ترى دونهن للسر ســترا
ما لقلبى كأنه ليس منى •• ... وعظامى اخال فيهـــن فترا
من حديث نما الى فظيـــع ... خلف فى القلب من تلظيه جمرا

ومن المؤكد أن فلسفة الحب عند عمر بن أبى ربيعة تمثل موقفا فنيا أصيلا فى كيان الانسان العربى • واستطاع هذا الفن الاصيل أن يجد سبيله الى الظهور خلال لغة الشاعر الاسلامى • فاذا بالتراث الحضارى يزدان بعمق حسى ضرورى للموازنة مع التجريد ولاعطاء حياة الانسان نوعا من البهجة اللازمة للكائن الحى • واستطاع شاعرنا أن يتلمس فنه فى فلسفة حسية تمثل خواطر الانسان الخفية كمطلب ملازم للوجدان الحضارى الذى يعايش الناس فى حياتهم اليومية ويضطرب ويهتز لكل خلجات الفـن القابع فى ضمير الشـــاعر والمصور والمثال وعازف الموسيقى ••

وهنا استطاع وجدان الشاعر ان يحل محل الصورة والنغم وان يغطى ارض الفنون بالنتاج الذى يعوض ابناء الحضارة ما قد يكون فى معزل عـن الظــروف القائمة لسبب او لآخر الى أن يحين الحين وتعمر قلب الانسان ثقافة عميقة ممتـدة الى كل الفنون التى يحتاج اليها الانسان احتياجا حقيقيا فى حيــاته كانسان • ولذلك ففلسفة الحب عند عمــر بن أبى ربيعة هى محاولة البرهنة على الفن ذاته قبل كل شىء •

معنى الحياة

من معانى الحياة ، فى رأينا ، الحرية ، والعمل ، والكرامة والكسب الشريف ، واحترام الاخرين ...

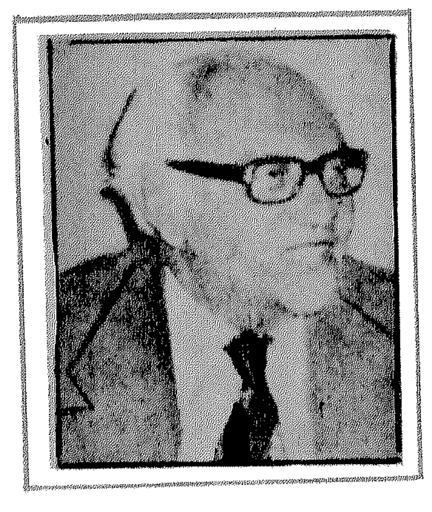
ليست الحياة فقط مالاولامتاعا ... انما هى مع الحرية رأس مرفوع وتقدير للقيم والفضائل.

والسؤال هنا ، ماهو، فى رأيك معنى الحياة ؟

● تحقيق : عادل عبد الصمد ●

فى نور الفكر الإسلامى

● د. احمد شلبى ●



● فى تقديرى ان الحياة ، كما هو معروف ، قصيرة العمر . ويتحتم على الانسان ان يستفيد بتجارب الاخرين بعد دراستها ، ثم يبدأ فى اخذ اهم العناصر التى ثبتت صحتها،ثم يبدأ جولته باضافة بعض العناصر الجديدة التى ترتبط بجهده وعمله وبدينه ووطنه ..

اما بالنسبة لى استطعت ان افكر فى كل الدراسات التى ترتبط بعملى ، وأن أضيف اليها ما يحقق معنى الحياة وبذلك فالحياة عندى ليست الا اضافة لما بحثه السابقون وكتبوه فيما يرتبط بالتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية، ومقارنة الاديان .. ومن هنا كانت حياتى جهداً فى هذا الميدان .

وربما كنت صادقا كل الصدق حينما أقرر أن معنى الحياة عندى يجرى فى هذا النطاق لأضيف كل يوم ما أستطيع

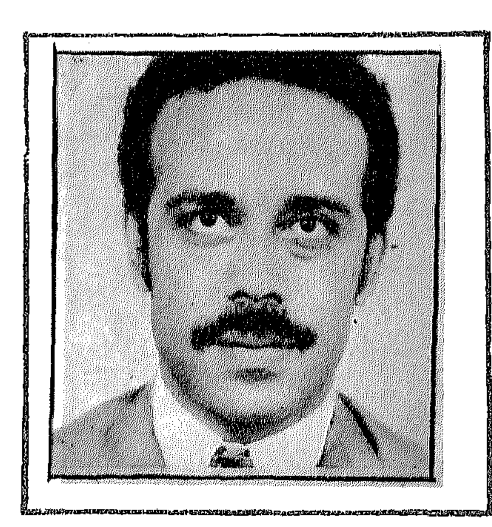
اضافته فى تحقيق هذا الهدف ، وهو تصحيح التاريخ الاسلامى ، والسير به الى عهدنا الحاضر ، وازالة ألوان من الضباب دخلت عليه على مر القرون .. ثم بعث الحياة فى الحضارة الاسلامية التى اوشكت ان تختفى أو اختفت فعلا فلم يتبق منها الا مظاهر شاحبة ، كما يقال عن قصر الحمراء بفرناطة ، والمسجد الاموى بدمشق ، وليست هذه الاشياء وامثالها الاجانبا قليلا من الحضارة العمرانية التى عرفها الاسلام ، اما الحضارة الاسلامية الحقيقة التى بذلت العمر فى كتابتها فهى شطر من حياتى ، سواء كانت حضارة أصيلة أو تجريبية ،ويمثل عام مقارنة الاديان جانبا من جوانب المثلث الذى عنيت برسمه وابرازه ..

وفى حدود معرفة علم الحضارة الاسلامية على حقيقته وعلم مقارنة الاديان على اصوله الثابتة ، تبرز معان أخرى للحياة عندىهى الحب، والتعاون وحسن اداء العمل ، وجميع القيم التى تحدثت عنها الحضارة الاسلامية لتنقل الإنسان من الكلام الى الواقع ، فان الملاحظ ان هناك مفارقات كبيرة بين الدراسات الاسلامية من جانب ، وبين واقع حياة المسلمين من جانب آخر .

ومعنى الحياة عندى كمصرى مسلم ان نجعل الفكر الاسلامى كما جعله الله دستورا للحياة ، وان تسير اخلاقنا فى ضوء نوره ووفق تعليماته ..

إلى الأمام وإلى أعلى

• د. مصطفى الجندى •



معنى الحياة بالنسبة لى هو التطور .. هو الحركة المستمرة الى الامام .. الى اعلى .. ان الحياة تنتهى بالموت .. والموت هو الجمود والتوقف بمقاييسنا الحيوية المعتادة ، ومن ثم فالحياة هى الحركة الدائبة ، حركة الجزيئات فى المركبات،وحركة المركبات فى الخلايا ، والخلايا فى الانسجة ، وهكذا تدرجا حتى حركة المجرات فى الكون العظيم .. وهى دائما حركة تبغى ايصال المتحرك الى الاتزان الكامل ..وهكذا يملؤنى الاحساس بان معنى الحياة هو الرقى والتطور .. هو ان تحس فى يومك انك قد ارتقيت عن امسك ... وانك اليوم اقدر على خدمة الاخرين ، وعلى فعل شىء يجعل

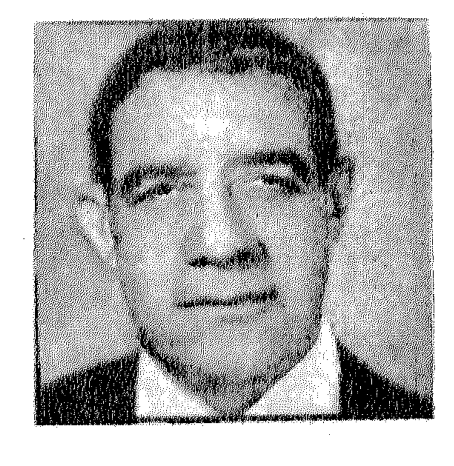
الحياة للجميع .. افضل وايسر ..

ان الحياة تبلغ اصدق وأعمق معانيها عندما يجرى فى دمائنا الاحساس الصادق بان الحياة رسالة قدسية ، واننا نحيا لنؤديها .

ولعل اجمل مثال لمعنى الحياة ، هو مثال الطيور .. تلك المخلوقات البريئة التى ترسل غناءها العذب كل يوم منذ آلاف السنين لتملأ القلوب نشوة والارواح سعادة ، بدون ان تلقى ابدا تصفيقة اعجاب ، او صيحة ثناء .

رضى النفس أولا..

• د. محمد عبد المنعم خفاجى •



ان الحياة مجموعة من التجارب العميقة التى يعيشها الانسان ويخوض تيارها الهادىء حينا والصاخب حينا آخر ، وبقدر صخب هذا التيار تكون الحياة اعمق ، وتكون التجارب اكثر فائدة لصاحب العقل والروح والمشاعر والوجدان .

وليست الحياة اياما تمر بقدرمايودع الانسان الحى صبغته وشخصيته وذاته فى هذه الايام ،وعندما يصادف الانسان النجاح يكون معنى ذلك ان تجاربه كانت اكثر واقعية ، وعندما يمنى بالفشل يكون واقع الحياة بعيدا عن صدى تفكيره واحلامه .

وعندما اتحدث عن صدى تجاربى فى الحياة اقول :

لقد عشت الحياة فى القرية والمدينة ... من القرية تعلمت بساطتها وصدقها والابتسامة الحلوة فيها ، وفى المدينة لابد لابن الريف أن يشعر بالغربة وأحشاء المدينة تحتويه بكل ثقلها ، ومن ثم فان فرص النجاح المواتية لابن الريف فى المدينة لا تجىء الا بعد وقت طويل من التجارب .

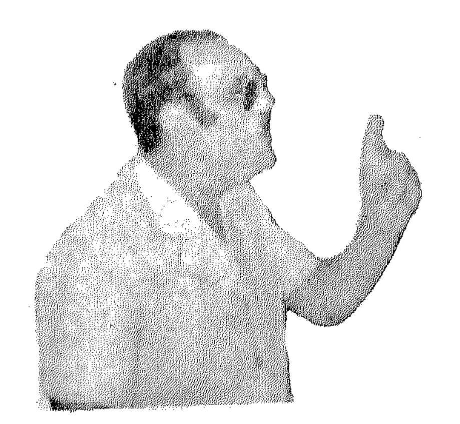
ولقد كانت لى كثير من التساؤلات عن الحياة وعن مكانى فيها . فتساءلت عن بلدى فعشت مع تاريخها وحضارتها أعواما طوالا ، وتساءلت عن نفسى من أين جئت والى أين انتهى ، فعشت أبحث عن انساب قومى او قبيلتى عشرين عاما ... ثم تساءلت عن مكانى بين أدباء عصرى فاضطررت ان اعيش معهم باحثا ودارسا وكاتبا ، فخرجت من كل ذلك بنتيجة بسيطة جدا .. وهى أن الانسان هو ابن الحياة ، اما الانسان صانع الحياة فهم القلة من الناس أو العبقريون الذين استطاعوا أن يحالفوا الحظ و « مايكل هارد » عندما كتب كتابه « الخالدون مائة » بلغ فيما كتب نهاية ما يمكن ان يسال الانسان عنه ، وما اندر صناع الحياة

وما اكثر الذين تصنعهم الحيــاة ..
ومن جانب آخر فقد عشت مع تراث كل روادنا الكبار من اعلام النهضــة راضيا حينا ، وساخطا حينـا آخر ، ولكن رضاى او سخطى هو محصـلة دروس كبيرة تلقيتها عمن رضيت عنهم او سخطت عليهم كذلـك فى الوقت نفسه .

ومن هذه الاشياء كلهـا كان مزاج حياتى ، ولا ادرى أهو النجـاح أم الفشـل . وعلى اى حال فان أحب الاشياء الى نفسى أن أكون راضـيا عن نفسى اولا ، وبعد ذلك تهـون كـل الاشياء ..

فى ضوء الإيمان الغامر

● د. محمد كمال جعفر ●



انني لا اتصور ان يوجد للحياة معنى اذا فقد الانسان عنصر الايمان باله خلق هذه الحياة على النحو الذى نراه .. فبدون هذا الايمان تبدو لي الحياة سائرة لغير هدف ولغير جدوى ، اذ ما قيمة حياة محدودة بايام او سنين معـدودة يأتى بعدها الصمت الرهيب .. صمت العدم والفناء ؟ .

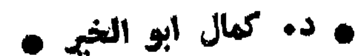
أما الايمان فانه يضىء لى أحــرف كلمة الحياة فى هذا العالم ، اذ يعلمنى أن نظام هذه الحياة على ما هى عليـه نظام مقصود لغاية محددة . فقد جمع هذا النظام بين المتناقضات : بين الفرح والترح ، بين اللذة والالم ، بين الورد والشوك ، بين الصـحة والمرض ، بين الفقر والغنى ، بين البسمة والدمعة .. وهذا النظام هو ما يمكن الانسان من اظهار مواهبه وملكاته وأخلاقه باعتبارها ردود أفعال لما حوله من أحــداث وظروف .

ان معنى الحياة بالنسبة لى فى ضوء هذا الايمان هو تمكينى من بناء حياتى المستقبلة الحقة الدائمــة ، من الآن . واقامة هذا البناء ليكون شـامخا فى الحياة الأخـرة لابد أن يعتمـد عـلى رصيد هائل من النبل والخير والشرف والكفاح والاحسان الى كل ما هو حولى والى كل من هو حولى .

ان معنى الحياة لدى يزداد حسنا حين أعلم أننى ارتقى فى المعاملة والفـكر والسلوك حتى أكون مرآة مجلوة للكمال الانسانى الذى يتشبه دائما بمكـارم الله .

واذا كان هناك من يرى معنى الحياة فى الحب او فى النغمة او فى التمتـع بمحاسن الطبيعة أو فى منـاجاة الله ، فاننى فى ضوء الايمان الغامر تجتمـع لدى كل هذه المعانى . وحسبى اننى اجد للحياة معنى ، على حين يفتقد الملحـد اى معنى للحياة ..

تعاون أفضل وأشرف





اذا أردنا ان نتعرف على معنى الحياة فاعتقد أنه ينبغي علينا أن نتلمس هذه المعرفة عن طريق الرجوع الى ما قاله خالق هذه الحياة وهو الله سبحانه وتعالى ، ومن هذا المنطلق فاننا اذا رجعنا الى سورة يونس نجد ان الله سبحانه وتعالى يقول :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها أنهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

ولعل هذه الآية الكريمة تؤكد لنا وتبصرنا بما ينبغي علينا أن نتفهمه في معاملاتنا اثناء حياتنا ، وأن لا نغتر بزينة الدنيا وزخرفها، بل ينبغي علينا ان نعرف أن الدنيا هي دار ممر الى دار مقر ، وان دوام الحال من المحال.

ومن هذا المنطلق فانني اعتقد أن الحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى للجنس البشرى يمكن أن تحقق أهدافها بما فيها من قيم ومتع مشروعة ـ انما تتمثل في تعاون البشر على أفضل صورة وأشرف صورة .

ومما لا شك فيه أن التعاون أصل من أصول حياة الأمة العربية ، ونظمها الاجتماعية الراسخة ، فقد عرفه العرب وصورته عقيدتهم القائمة على الايثار في صورة تكافل اجتماعي كان ولا يزال من أروع ما عرفه العالم عن العرب والعروبة . فالله سبحانه وتعالى يقول: **((وتعاونوا على البر والتقوى))** ، ويجمع الفقهاء على ان في تقديم «البر» على « التقوى » معنى رفيعا من معاني الحياة المتكاملة ، بل من أدب الحياة المتكاملة ، بل من أدب الحياة ونظمها في المعاملات والعبادات جميعا، اذ البر أشق من التقوى وأصعب ، فالبر خروج الشخص عن ذاته وانانيته الفردية ليسعى بالخير الى الآخرين ، والبر يضع ثمرة العمل الفردى الشريف وجهده الصادق المخلص في صالح الاهل أو العشيرة أو الامة او الوطن كله ، وذلك أوسع آيات البر وأقربها الى معاني

الانسانية والخلود .

ومما لاشك فيه أن الاسلام فتح أمام العقل طريق البحث العلمى المجرد من كل قيد ، وأن يتدبر الكون وأحداثه ، وأن يناقش الآراء ويفاضل بينهما ، ويختار منها ما يراه أقرب الى الصواب ، وأوفق الى العقل ، مهتديا فى ذلك كله بقوله تعالى ((**فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب**)) .. وانا نجد فى هذه الاية الكريمة شيئا جديدا فى تاريخ العقل ، وخاصة فى تاريخ الديانات ، وهو ان الذين يستمعون الآراء ويتبعون احسنها ، هم العقلاء وحدهم دون غيرهم .

وأخيرا فاننى أذكر بقول الله سبحانه وتعالى فى سورة القصص :

((وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى ، أفلا تعقلون)) .. وكذلك قوله سبحانه وتعالى فى سورة الاعلى :

((بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى))

صدق الله العظيم

إكتشاف أسمى المعانى

• وفية خيرى •



ارى الافراد كالشعوب تتميز وتتفاوت فيما بينها من حيث درجة الرقى والتحضر بتفاوت واختلاف تفسيرها لمعنى الحياة وهدفها .

فمن ينظر للحياة على انها مجرد سد لمطالب مادية محدودة واشباع لرغبات حسية مختلفة فسيظل بحكم تفسيره هذا الحياة سجين هذه المطالب التافهة يشغل مركزا أدنى من غيره فى سلم التحضر والرقى .

أما هؤلاء الذين يتطلعون الى الحياة كهدف أسمى ينطوى فيما ينطوى من معان على حق الاستمتاع بالحياة واستجلاء غموضها والكشف من روائعها وكنوزها فهم يحتلون فى الحياة مرتبة الرواد الذين يأخذون بيد غيرهم نحو التطور والرقى .

فمن يعيش لكى يجلو بما وهبه الله من نعمة العقل والقلب غموض هذا الكون كان أقدر من غيره على الاقتراب من صانع هذا الكون بما يلمسه من

بديع صنعه واعجاز خلقه ، ومن ثم يكون اكثر من غيره ايمانا به واتباعا لمبادئه وتعاليمه التى ماوضعت الا لكى تنظم للبشر حياتهم .

قصة قرأتها وتركت فى نفسى أثرا واضحا، قصة طائر البحر الذى أبى أن يعيش حياة رفاقه متكالبا على أكوام القمامة يبحث فيها لنفسه مثلهم عن غذائه اليومى ناسيا أو متناسيا — كما يفعلون — أن الله قد وهبه الأجنحة التى تمكنه من الطيران والتحليق فى أجواء عالية فوق الارض . أبى طائر البحر هذا تلك الحياة المحدودة التى يعيشها رفاقه ، فطار مصفقا بأجنحته محلقا فى أجواء الفضاء يحدوه هدف أسمى أن يصل فى طيرانه الى ارتفاع لم يسجله غيره من طيور البحر ، وهو فى سبيل هذا الهدف الاسمى يتحمل متاعب الطيران فى أجواء لم يألفها بنو جنسه ومع ذلك فهو يواصل المحاولة حتى يتحقق له الهدف ويصل الى الارتفاع المنشود الذى يتيح له التعرف على عوالم جديدة لم يعرفها من قبل ، محققا لبنى جنسه بذلك مجالا يرفعهم الى مرتبة أسمى بين قائمة المخلوقات من حيث التحضر والرقى .

نحن شعب قاد العالم كله نحوالنور فما وضعه أجدادنا من علوم انسانية ودينية كانت نبراسا لكل شعوب الارض فى سعيها نحو التحضر والرقى. فلنواصل دورنا الرائد هذا ، ولنرتفع فوق مطالب الحياة اليومية ، ولسوف نكتشف فى الحياة كنوزا وروائع ومعانى جديدة أسمى بكثير من هذه المطالب المادية ، فلهذا خلقنا .. ولهذا يجب أن نعود فالشعوب كالافراد لا يمكن أن تتحقق لها السعادة دون أن تكتشف نفسها ودورها فى الحياة ، وليس امامها ان هى قصرت فى ذلك سوى التخبط والضياع ومن ثم فقدان السعادة ومعنى الحياة

فى الإيمان أمن وأمان

• د. عبد الباسط حسن •



لكل فرد حياته الخاصة ، ووجوده المتميز ، غير ان الحياة الانسانية لا ترتبط بفرد معين ، أو جماعة بذاتها ، وانما ترتبط بالنوع البشرى ككل ، ويظل وجودها قائما عبر المكان والزمان.

والحياة فى ذاتها ليس لها معنى ، وانما تكتسب معناها عن الانسان الذى يسبغ عليها ما يشاء من معان وقيم ومفاهيم وتصورات ...

ومن عجب ان الموت الذى يعتبر نهاية لحياة الانسان هو الذى يضفى

على الحياة قيمتها . فالحياة لا تعنى شيئا اذا ظل وجود الانسان قائما الى ما لا نهاية . والموت هو الذى يشعر الانسان الفرد بقيمة الايام واللحظات التى يعيشها . ومن ثم تصبح الحاجة ماسة الى بذل الجهد، والسعى لتحقيق الاهداف التى يصبو الى تحقيقها فى الحياة .

ولعلى استطيع أن أحدد فلسفتى فى الحياة فى جملة نقاط :

● الايمان الكامل بالله . فارادته تعلو على كل ارادة . ومشيئته فوق كل مشيئة . وقد حقق لى هذا الايمان نوعا من التوازن العقلى والوجدانى ، ومنحنى طاقات لا حدود لها فى تحقيق ما أصبو اليه ، وفى التغلب على كثير من مشكلات الحياة .

وليس من شك فى أن الانسان المؤمن حينما يقف حائرا امام كثير من التساؤلات ، يجد فى كتاب الله ما يعجز تفكيره القاصر عن الاجابة عنه . حينئذ يعود اليه هدوء النفس، وراحة البال ، ويحس بالأمن والامان والراحة والاطمئنان .

● الاعتقاد فى قيمة العلم وأهميته، وضرورة الاخذ بالاسلوب العلمى فى التفكير . فاننى أجد متعتى الكبرى فى القراءة فى كافة مجالات المعرفة .

● النظر الى العمل على انه مقياس القيمة الاجتماعية للانسان ولذلك فاننى احترم العمل والعاملين . واقدس الوقت وأحرص عليه وارى أن الانسان لا يأخذ من الحياة الا بمقدار ما يعطى فعلى قدر العطاء يكون الجزاء .

● الثقة الكاملة بالنفس ، والتى لا تصل الى حد الغرور ، لان نجاح الانسان فى الحياة رهن بثقته وايمانه بعمله .

● الاستفادة من تجارب الحياة والتعبير عن الرأى بحرية وصدق وموضوعية .

هذه بعض المبادىء التى اقمت عليها فلسفة حياتى ، والتى تبدو مثالية الى حد ما ، غير اننى احاول الالتزام بها، والسير وفقا لها ، فاذا لم اوفق اليوم، فقد أوفق غدا ،وكل ما ارجوه ان يكون يومى خيرا من امسى، وان يكون غدى خيرا من يومى .. ومادامت الحياة قائمة فليس هناك ما يمنع من تكرار المحاولة .

تلك اللحظات العظيمة

● صبرى العسكرى ●



● يصعب تحديد معنى الحياة ، لان الموضوع قديم قدم الحياة ذاتها ومنذ ان اكتشف الانسان معانى الاشياء واكتشف اللغة التى يعبر بها عن تلك المعانى ... فلابد ان معنى الحياة كان شاغله منذ البداية ، ومن هنا تكون صعوبة التعريف وكان الشخص يطالب

بأن يختصر كل ما قيل فى هـــــذا الخصوص على مدار الازمنة ليصبح قولا فصلا ، ولذلك فانني افضــــل الاقتراب من الموضوع بقدر الامكان دون محاصرته بصورة كلية أو شاملة.

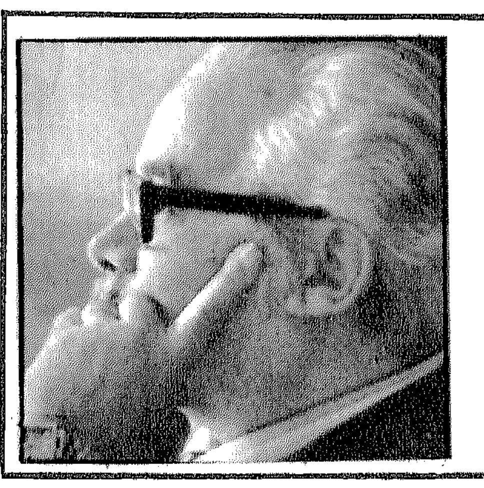
وأول ما أعتقد فيه انه لابد للحياة من معنى بالضرورة فلا توجد حياة بلا معنى بالنسبة للانســـــان ، فاذا ما سلمنا بأن الانسان يتغير بتغير الأزمنة والحضارات والظروف فضـــلا عن تغير الملكات الشخصية ، فانه يتعين القـــول بأن معنى الحياة يختلف من شخص الى آخر .

وبالنسبة لى فاننى أتصـــــور أن الحياة تفقد معناها مالم يكن للانسان رسالة ، والا اصبحت الحياة مجـرد وجود غير عاقل للانسان مما يهبطه الى درجة الكائنات الحية غير العاقلة .

والرسالة عند الانسان لا يشترط فيها شكل أو مضـــمون معين ، غير أن رسالة الانسان فى الحياة من الممكن أن تبقى اذا ما استهدفت صالح الانسان اينما كان وفى اى زمان أو مكان هو . والرســــالة بهذا المعنى نستطيع أن نتعرف عليها فيما قدم الانبياء وعظماء التاريخ . ولعل ما يبقى منها لصانعيها **هو مجموع لحظات الالم والانتصـار والاحباط والتفوق مما يشكل لهم المعنى الحقيقي للحياة . فبغير تلك اللحظات العظيمة لاتساوى الحياة شيئا الا بقدر ما توفره للانسان من ممارسات حياتية عادية ، مثل النوم والاكل والحـركة ، وهو ما يتوفر لاى كائن حى ابتداء من الخلية الواحدة حتى الحيوان .**

تعاون وتراحم وتكافل

● عبد الرزاق نوفل ●



● رغم اختلاف الاراء على تعـريف الحياة ومعناها ، واسبابها ومغزاها. فان الاراء لا تختلف على حرص الانسان عليها والتمسك بها ، مهما كـــانت حالته فيها ومكانه منها ...

فالمريض مهما طال مرضه ويئس من شفائه ... والفقير مهما اشتدفقره ورق حاله .. واليائس مهما تضاعف كربه وزاد بؤسه ـ فان كل هؤلاء يحرصون على الحياة ، ويتمنون لو طالت بهم ، ودامت لهم .. فما بالنا بالاصحاء والاغنياء والسعداء ؟ !

● الحياة هي وقفة خاطفة بين حياتين روحانيتين ، حياة عالم الذر قبل حياة الجسد ، وذلك بنص قول قرآن ربنا سبحانه وتعالى :

« واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ، الست بربكم ، قالوا بل شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين »

« ١٧٢ سورة الاعراف »

وحياة عالم البرزخ بعد موت الجسد بنص قوله تعالى :

« ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون »

« ١٠٠ سورة المؤمنون »

● **وبعدها** حياة الاخرة بالروح **والجسد** اما فى الجنة واما فى النار ، **اذ** يبعث الله من فى القبور يوم تحين الساعة وذلك كما تقول الآية الشريفة :

« **وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور** »

« ٧ سورة الحج »

● **الحياة** بطولها وعرضها وعمقها واتساعها بكل ما فيها ومن فيها وما تسببه من اسعاد وامتاع ـ انما هي فى حقيقتها حياة دنيا .. دنيا بالنسبة لما بعدها من حياة ابدية ، فيقول الحق سبحانه وتعالى :

« فما متاع الحياة الدنيا فى الاخرة الا قليل »

« ٣٨ سورة التوبة »

● الحياة الدنيا فترة تدريب واعداد لحياة الانسان فى حياته الاخرى . فان ما يراه فى السماء والارض من آيات انما هى بعض شواهد قدرة الله ووحدانيته وآثار عظمته ورحمته .. وهى اعداد للانسان لما سيرى من آيات اكبر وشواهد أعظم .

وان ما يستمتع به الانسان فى حياته الدنيا بحواسه انما وكأنه تنشيط للحواس لتلقى ما هو أعمق واوسع وأعظم مما أسعده فى حياته الدنيا .. فيقول الحق تبارك وتعالى :

«وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون » .

« ٢٥ سورة البقرة »

● على الانسان فى حياته الدنيا أن يتدبر ويتأمل ويتفكر فى نفسه وفيما حوله ليرى آيات الله وافرة وافضاله وارفه .. انها اشياء اكثر من الاكل والشرب والرزق .. انها فى كل ماحول الانسان ليسعد الانسان ، فالعلم يسجد احلالا لقدرة الله وعظمته على ماغمر به الانسان من فضل لاسعاده ـ فالاكوان المتعددة التى يراها الانسان فى كل ما حوله لا تراها الكائنات الاخرى ... فان الكائنات كلها ترى الوجود بلون واحد بينما تتم فى الانسان معجزة من معجزات الخلق أن يرى الانسان هذه الالوان المتعددة التي تهدف الى اسعاده كذلك الامر بالنسبة للصوت ـ وسماع موسيقى الطبيعة من غناء الطيور .. وخرير المياه .. وصفير الهواء .

ان من اقرب طرق التوب الى الله ـ بعد ذكره وحمده وشكره ، حب الناس جميعا حبا لله ، لانه يحبهم ، فخلقهم .. هذا الحب .. من مظاهره واصوله التعاون والتراحم والتكافل . والعمل ما امكن على تيسير الحياة للناس كل الناس .. افشاء السلام للانسان، كل انسان واى انسان . اطعام الطعام لكل عابر او مقيم . اقامة الصلاة لله فى كل فرض .. وفى الخلوة والناس نيام .. وان يتذكر انه فى الدنيا عابر سبيل ، ومهما طال به الامد فهو الى رحيل ..

المعارضة الشعرية في العصر العثماني

● د . حسين نصار ●

● كان الشائع ان الشاعر فى العصر العثمانى قليل الحظ من الثقافة ، جاهلا للروائع الشعرية التى أصدرتها العصور الاولى .. ولكن الشواهد التى وصلت الينا تدل على خطأ هذا القول أو عدم اطلاقه . فما بين ايدينا من شعر الشعراء العثمانيين واشاراتهم يبين انهم حصلوا على معرفة طيبة بالشعر القديم . ويدل على انهم عنوا بالقصيدة القديمة خاصة عناية كبيرة . فقد اقبلوا على مجموعة منها ، وعاشوا فيها ، احبوها وراوا انها المثل الاعلى للشعر يجب ان يحتذوه ليفيض على شعرهم من بركاته : مما تحلى به من روعة ، والقى من حب ، وحظى من خلود . واطلقوا على هذا اللون من الاحتذاء اسم ((المعارضة)) .

وانصبت المعارضة على الجانب الموسيقى فى القصيدة بل الموسيقى الخارجية وحدها . فاقتصر الاحتذاء على البحر والقافية ، ولم يتطرق الى المعانى . والغرض الواضح منها أن ييسر على الشاعر اقامة الأطار الخارجى للقصيدة دون أن يلحقه عوج ما . فالشاعر يأخذ فى قراءة القصيدة التى يريد معارضتها ، ويستمر فيها ، الى أن تملأ أنغامها أذنيه ، وتستولى على قلبه ، وتقطعه عن الأسباب الخارجية . فيعيش فى موسيقاها ، وينظم على نمطها .

وادق مثال يصور لنا ذلك العمل تصويرا مركزا ورائعا ، ما حكى عن ابى السماع البصير ، الذى لقبوه « البديهى » لانه كان « اعجوبةالزمان فى البديهة وارتجال الشعر . » قالوا : « كانت طريقته اذا ارادالارتجال ان يبدأ بانشاد قصيدة من كلام أحد الشعراء المتقدمين بصوت شجى . وفى اثناء انشاده يبتدر على وزن تلك القصيدة فى أى باب كان من أبواب الشعر » .

من اجل ذلك ، لجأ كثير من الشعراء الناشئين الى المعارضة فى شعرهم الاول .. لتخليص شعرهم من الشوائب الموسيقية . ولكن كبار الشعراء فى ذلك العصر لم يترفعوا عنها ، لانهم لم يعدوها منقصة ، بل راوا فيها لونا من المباريات بينهم وبين السابقين عليهم .

ويبدو أن بعض الشعراء أخل بأحد شروط المعارضة ــ التزام الوزن والقافية ــ غير انه استعاض عنه بشرط غيره . فقد قالوا بأن ابا الحسن اسماعيل بن سعد الوهبى المعروف بالخشاب عارض قصيدة ميمية ، من بحر الطويل ، للشيخ

قاسم ، فالتزم الوزن ، وعدل عن القافية ، غير أنه التزم ان تبدأ كل كلمة من قصيدته بالالف ، وكان الشيخ قاسم قد فعل ذلك . فقال :

أبيت أراعي النجم أرتقب الفجرا
اذا أذكت الاشواق أحشائي الجمرا
أعالج أشواقا اليك أبثهـا
أأبدي العذول اللوم أو أوسع العذرا
اذا استل اسياف اللحاظ ازدري الظبا
او اهتز أعطافا اعار القنا السمرا

وكأنما رأوا أن اتحاد الوزن هو الشرط الاهم أو الاوحد للمعارضة ، وان كنت أرى المثال الذى أتوا به غير قاطع الدلالة على ذلك ، لان مدعى المعارضة فيه ربما أراد مجرد الاحتذاء فى التزام الالف .

وعد الخفاجي قصيدة من بحر الطويل لمحمد بن أحمد الحتاتى معارضة لقصيدة له من بحر الوافر ، لاتحادهما فى قافية الطاء ، ولظروف اخرى واكبت نظمهما .

ويمكن أن نستبين من القصائد الموجودة لدينا انهم لم يأبهوا لمعارضة الشعر المتوغل فى القدم ، مثل شعر الجاهليين والامويين . وانما عنوا بمعارضة المشاهير من العباسيين ، مثل أبى نواس والمتنبى وابى فراس .

وهنا ملاحظة جديرة بالتسجيل ، ان اكثر ما وجدت من معارضات العباسيين من نظم الخشاب ، وهو من المخضرمين — ان صح هذا التعبير — أعنى عاش فى أواخر العصر التركى وأوائل العصر الحديث .

ولكن غير الخشاب من معاصريه والسابقين عليه من شعراء العصر التركى عارضوا شعراء العصر الأيوبى والملوكى ، من أمثال ابن سناء الملك وابن الفارض وصفى الدين الحلى .

قال أبو الاسعاد يوسف بن عبد الرزاق الوفائي ، المتوفى فى ١٠٥١ هـ ، معارضا يائية ابن الفارض المشهورة :

حيهم ان جئتهم ياسعد حى
فهم أهل الوفا فى كل حى ...
عش بهم صبا ومت فى حبهم
من يمت فى حب حى فهو حى !

وبالرغم من ذلك ، كانت أكثر معارضاتهم لشعراء من عصرهم .

ولذلك أسباب : أحدها أن هذه القصائد بنت زمنهم ، وما زالت كاملة الحياة بين أيديهم ، وأن كثيرا من معارضاتهم كانت لقصائد ارسلها اليهم أصدقاؤهم من الشعراء فكان ردهم عليها معارضة لها . يقول الشهاب الخفاجي : وكنت نظمت بالشام قصيدة طويلة طائية أولها :

نثار نور دوح قد تمطى
وألقى برده صبح تغطى

.. **فلما وقف عليها « محمد بن احمد الحتاتى ١٠٥١ هـ » أعجب بها وعارضها بقصيدة بديعة وارسلها الى ، وهى هذه :**

كسا الروض من رياه ريح الصبا مرطا
فأثقله واعتل فاعتمد الابطا

.. **ولما انفذها الى كتبت اليه :**

أيا بحر فضل من اللطف يصفو
حلا بفم السمع لى منه رشف

.. **فاجاب :**

أعذب نمير من الود يصفو
عليه منير من الدر يطفو

وهناك قصائد معينة ، خرجت على الاحكام السابقة . فقد حظيت بحب خاص من شعراء جميع العصور التى تلت نظمها ، وفى جميع الاقطار العربية . فعارضها الشاعر بعد الشاعر دون ملل أو هوادة ، حتى يمكن ان نقول ان كلا منها كان السبب فى جمع ديوان من القصائد المقلدة او الباعث الاول لايجاد فن شعرى .

وتقف على رأس هذا اللون من القصائد القصيدة التى أوجدت فن البديعيات . وقد نشأ هذا الفن فى القرن الثامن على يد صفى الدين الحلى او ابى عبد الله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الاندلسى ، على خلاف بين المؤرخين فى ذلك .

والشرط الملتزم فى جميع البديعيات أن يضمن الشاعر كل بيت فيها نوعا او اكثر من انواع البديع . ثم زاد على ابن الحسين المعروف بعز الدين الموصلى المتوفى فى ٧٨٩هـ على ذلك ذكر اسم النوع البديعى فى البيت . ولكن كثيرا من الشعراء بعده لم يستطيعوا تحقيق هذا الشرط .

والشرط الثانى ان تكون البديعية

المعارضة الشعرية في العصر العثماني

في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم . ولم يشذ عن هذا الشرط غير شاعر مجهول مدح من سماه عبدالله ببديعيته التي اولها :

عج بالطلول وجز ربعا بقربهم
يا حادي النوق لي رحب بحيهم

والشرطان الثالث والرابع اكتسبتهما البديعيات من احتذائها بردة البوصيري فقد التزمت في الوزن بحر البسيط، وفي القافية حرف الميم ، ولكن قليلا من الشعراء خرجوا على هذين الشرطين. فقد كانت القصيدة الاولى التي اتجهت الى تضمين البديع في أبياتها وهي التي الهمت الشعراء بعدها ذلك التقليد ـ كانت من بحر الخفيف ، وهي من نظم على بن عثمان السليماني الاربلي المتوفى في ٦٧٠ هـ ، ولكن الشعراء لم يتابعوه في بحرها .ونظم الحميدي احدى بديعيتيه على القاف، وعبد على بن ناصر بن رحمة الخوزى بديعيته على الراء ، وعيسى بن حجاج السعدى الشطرنجي المعروف بعويس المتوفى في ٨٠٧ هـ على الراء ايضا .

ومن القصائد التي شغلت الناس، وادارت حولها حركة من التاليف ،غير انها لم تخلق فنا خاصا ، مقصورة ابن دريد ولامية العجم . أما الاولى فقد نظمها شاعرها ابو بكر محمد بن الحسن ابن دريد الازدي على بحر الرجز ،وقافية الالف المقصورة ، وسار فيها كل مسير : فتغزل ، وذم الدهر ، وفخر، ومدح ، ووصف ، واجتلب الحكمة. واستلهم التاريخ . فتعذر على من بعده احتذاؤه في الموضوعات ، وأمكن لهم ذلك في البحر والقافية .

ولاسباب يصعب الجزم بها ـ وربما كان أهمها تعدد الموضوعات والاشارات وكثرة الغريب من الالفاظ ـ لقيت القصيدة ترحيبا شديدا من العلماء والادباء . وكانت ثمرة اعجاب العلماء الشروح المتعددة التي الفوها عنها ، وثمرة اعجاب الادباء المعارضات التي نظموها في كل عصر وقطر .

فنظم محمد الفارضي ـ من ادباء مصر في ذلك العهد ـ مقصورته التي مطلعها :

انهض اذا خفت كلالا او وجا
بميسجور الفت جذب البرا

وصف فيها الناقة والرحلة في الصحراء وحث على طلب العلياء وتغزل ولكنه لم يستطع أن يحاكي معارضه في موضوعاته ولا تعبيره ولا تنفسه ، وانما التفت الى الغريب من الالفاظ فأتى منه بأكثر مما فعل ابن دريد . وللذلك عاب الشهاب الخفاجي مقصورته وقال : « هي طويلة ،عديمة الطول ، والبعرة تدل على البعير » .

ونظم شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي مقصورة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومطلعها :

ايا شقيق الروض حياه الحيا
فاحمر ورد خده من الحيا

وقد استهلها بالغزل ، ووصف فيها السحاب والروض والنجوم والصحراء . وقال من مدحها :

سرى الى السبع الطباق جسمه
في صحبة الروح الامين ورقى
ان قطع الافلاك سرعة فلا
بعد فان ذاته شمس الضحى
حوافر البراق من آثارها
قد ظهرت فيه اهلة السما
يغنى عن المدح رفيع قدره
فيمدح المدح به وما درى

وختم الشهاب مقصورته بالثناء عليها ، وتفضيلها على مقصورة ابن دريد ، فقال :

بين يديها ابن دريد حاجب
والفات شعره مثل العصا
ذيل الدجى بعرفها ممسك
مضمخ خلوقها برد الضحى

واراد محمد بن يس المنوفى ، المتوفى في ١٠٤٢ هـ ، ان يمدح صديقه الشهاب الخفاجي ، فالتقط مقصورته السابقة وعارضها في قصيدته التي مطلعها :

سقى الاله ان سقى الارض الحيا
حوامل المــــزن ربا ام القرى

فاورد أسماء عدة أماكن من شبه الجزيرة العربية ، ودعا لها بالسقيا من المطر ، ووصف هذا المطر وما يبثه في تلك الارجاء من حيــاة ، واستعاد ذكريات شبابه ، ثم انتقل الى المدح ، فقال :

ينظم في الاسماع من محفوظه
جواهر اللفظ بلبـــات النمى
كم روضة ديجهـــا يراعــه
فاينــع الزهر وطــاب المجتنى
ما زالت الركبان تطرى بعض ما
ضم رحيب صدره وما حــوى
حتى التقينا فالتقطنا الدر من
الفاظـه الغر فرادى وثنـــا
راينه البدر اذا البــدر سرى
وخلته البحر اذا البحــر طمى

وختم المقصورة بالثناء عليها كما فعل الشهابي ، غير أنه لم يستطــيع أن يفضلها على سابقتها ولكنه كشف عن معارضته لها ، قال :

وهاكهــا على علاك وحـــــده
مقصورة في حسنها مدى البقـا
حركني الى اختراع وزنهـــا
((أيا شقيق الروض حياه الحيا))

ونظم عبد البر بن عبد القـــادر الفيومي العوفي مقصورة ، لم يبق منها غير مقدمتها :

ايا مهـــاة قـــد رعت بالمنحنى
حشاشة الراعي باكنــاف اللوى
هل وقفة ولو قليــل بعــد ما
جرت على الصب تباريح الجوى
فتى كئيب والهـــوى احكامه
عجيبة ان كان سخطا او رضــا
مجاه حــب الغيد محوا فانبرى
ولا يرى الا المنـــايا في المنى

ونظم زين العابدين بن محمد البكري ، المتوفى في ١١٠٧هـ ، مقصـــورة في الفخر ، مطلعها :

أساء فاحسن فيمــا أسا
لاني ارى حالتيـــه ســوا

وقد بداها بغزل طويل :

كلفت به عربى اللســـا
ن والوجه والادب المتنقى
ولكنه جركسي النجـــار
له ألف خال بأرض الكفا
اذا قال نظم عقد البيـــان
وان جال فتت صم الصفا

وانتقل منه الى فخر يختلط بالمدح ، وتعلو فيه النغمة الاسلامية ، بسبب أصله الذي يرتفع الى الرســـول صلى الله عليـــه وسلم وابى بكر الصديق :

وبالقمرين فرعنا الظلام
وبالعمرين عرفنا الهدى
وبالحسنين وتلك البتول
وحيدرة ثم أهل العبـا
أولئك آباؤنا الاقدمـــون
واخوالنـــا واولاك الالى
تخوم الجبال وزهر النجوم
متون الظبا ورواسى الربا
اولئكم آل بيـــت النبى
نبى الهدى وامــام التقى
اولئكم نســل خير الانام
رئيس النبيين والمصطفى

وقد خرجت القصيدة الاخيرة على شرط الوزن ، فهي من بحر المتقــارب لا الرجز . ولذلك يمكن اخراجهـــا وامثالها من معارضات مقصــــورة ابن دريد ، الا اذا صرح صاحبها انه يفعل ذلك .

وطبيعي أن القصائد التي اشرت اليها ليست كل ما انتجه المصريون في تلك الفترة في معارضة قصيدة ابن دريد ، فالدواوين ليست بين أيدينا . والاصح ان نعدها أمثلة لهذا اللون من القصائد .

ونستبين منها أن الذي يجمعها هو القافية ثم الــوزن فقط . امــــا الموضوعات فقد تباعدت وكانت قصيدة الفارضي أكثرها غريبا ، واقلها عذوبة على حين تتصف قصيدة البكري بسهولة غالبة ، والفاظ حاضرة تقتــرب أحيانا من العامية ، وتنغيم بارز من البحــر الذي التزمته .

واما لامية العجم فقد نظمها الحسين ابن علي بن عبد الصمد المعروف بالطغرائي «٤٥٣ـ ٥١٥» عندما عزل عن رئاسة ديوان الانشاء ، في الفخر والشكوى ، ووصف الرحلات ، والغزل والدعوة الى ركوب المخاطر ـ من بحر البسيط ، على قافية اللام ، ومطلعها:

اصالة الراي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وسماها الادباء «لامية العجم» في مقابل « لامية العرب » التي تنسب الى الشنفرى ، ومطلعها :

اقيموا بني امي صدور مطيكم
فاني الى قوم سواكم لاميل

ولقيت اللاميتان ـ ولامية العرب خاصة ـ اضعاف مالقيت مقصورة ابن دريد من الاهتمام ، حتى ان دار الكتب المصرية وحدها تقتني اكثر من عشرين كتابا من شروحهما . وبالرغم من ذلك يبدو أن الشعراء المصريين لم يقبلوا على معارضتهما . وانما اعلن الجبرتي أن عامرا الانبوطي عارض لامية العجم في قصيدة ، أورد منها ابياتا ، تدل على انها ليست من قبيل المعارضة الجادة بل الهزلية . فهي أشبه بالمشلقات والشعر الحلمنتيشي الذي كان ينظمه حسين شفيق المصري للتفكه على وزن المعلقات والشعر القديم وقافيته . وقد سلك الانبوطي الطريق الذي سلكه بعده حسين شفيق ، قال الجبرتي عنه : « كلما راى لشاعر قصيدة سائرة قلبها وزنا وقافية الى الهزل والطبيخ»

قال في معارضته :

اناجر الضان ترياق من العلل
واصحن الرز فيها منتهى املي!
آكلي غذاء ، واكلي في العشاء على
حد سوي اذا اللحم السمين قلي
فيم الاقامة بالارياف لا شبعي
فيها ولا نزهتي فيها ولا جذلي
ناء عن الاهل خالي الجوف منقبض
كمعدم مات من جوع ومن فشل

فلا خليل بدفع الجوع يرحمني
ولا كريم بلحم الضان يسمح لي

واذا كانت الأخبار تندر عن معارضة المصريين للامية العجم ، فانها أكثر قليلا عن معارضتهم للامية زين الدين عمر بن المظفر المعري المعروف بابن الوردي ، التي نظمها في الآداب والحكم والمواعظ ، من بحر الرمل ، ومطلعها :

اعتزل ذكر الاغاني والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل

فقد اعلن الجبرتي ان عليا الطحان: « له لاميتان على محاكاة لامية ابن الوردي : كبرى ، وصفرى » غير انه لم يورد منهما شيئا .

كذلك التقط عامر الانبوطي الخيط من ابن الوردي ، واتخذ من لاميته ، وما بثه فيها اطارا لقصيدة له هازلة ، قال فيها :

اجتنب مطعوم عدس وبصل
في عشاء فهو للعقل خبل
وعن البيسار لا تعن به
تمس في صحة جسم من علل
واحتفل بالضان ان كنت فتى
زاكي العقل ودع عنك الكسل
من كباب وضلوع قد زكت
اكلها ينفي عن القلب الوجل

ولم تقتصر المعارضة على القصائد وحدها بل تجاوزتها الى الفنون الشعرية الاخرى . اعلن المحبي أن زين العابدين بن محمد البكري عارض ابن سناء الملك في موشحه الذي تغزل فيه وفخر ، وقال :

انظروا تعديل قامات الغصون
هذه بانه
وهذي خيزرانه
وحدوا الرحمن ذا العرش المجيد
واميطوا اللبس من خلق جديد
وانظروا توريد تفاح الخدود

***

وبلغت المعارضة منتهاها عند شعراء الهزل ، وذلك أمر طبيعي مالوف . وكان ذلك على يد عامر الانبوطي أشهر شعراء الفكاهة في

عصره . فان ما حظى به من اقبال الناس على معارضات القصائد واعجابهم بها دفعه الي ان يكون أكثر طموحا وابعد معارضة . فألف منظومة طويلة ، معارضة لالفية ابن مالك ، حشاها بألوان الطعام . وبدأها كما بدأ سلفه الفيته ، فقال :

يقول عامر هو الانبوطي
احمد ربى ، لست بالقنوط

واستمر في المعارضة الغريبة فقال:

واستعين الله في الفية
مقاصد الاكل بها محويه
فيها صنوف الاكل والمطاعم
لذت لكل جائع وهائم

وسار على هذا المنوال الى ان انهاها .

وخلاصة القول ان المعارضة كانت فنا مزدهرا واسع النطاق ، يتبارى فيه كبار الشعراء وصغارهم ، ويتفاخرون به . واكبوا على معارضة من اشتدت صلتهم بهم من الشعراء . فادى بهم ذلك الى معارضة بعضهم بعضا ، وعدوها من الاخوانيات المستملحة التى الفها الاصدقاء وتبادلوها وكانما هي النقائض الاموية ثم عارضوا شعراء العصر السابق عليهم : الايوبى والمملوكى . ولم يخل الامر من معارضة عباسيين ، ولكنها محدودة النطاق .

والتقى الحب منهم عند قصائد معينة اجمعوا على الاعجاب بها فاحتذائها .

ويتضح في هذه القصائد أن المعارضة لم تقع لمستواها الفني وحده بل فعلوا ذلك للصبغة الدينية التي تحلت بها . وأخص بالذكر منها بردة البوصيرى . وكان من أهم أسباب معارضتها ماعرف عنها من انها جلبت الشفاء لناظمها ، فكان كل مريض يطمع في البرء بمعارضتها ، ودارت حول ذلك أقاصيصهم ، وسلكت معارضاتهم للبردة مسلكين : المسلك المعتاد فى المعارضة من نظم قصائد تحتذي الوزن والقافية ، وتمثله قصيدة احمد بن احمد بن غشمان الحفنى العوامى الزبيرى المتوفى فى ١٢٢٠ هـ :

ما لى اراك حليف السهد لم تنم
مستوطنا منزل الاوصاب والالم
تمسى وتصبح في حالي ضنى وعنا
مسترسلا ادمعا كم يا فتي وكم

والمسلك الثاني البديعيات التى صارت فنا خاصا له شروط اخرى غير شروط المعارضة المجردة .

وانتشرت في هذه العصور ايضا معارضة بردة كعب بن زهير ، او « بانت سعاد » كما عرفت عندهم . ولكننى لم اعثر الا على آثار قليلة لها فى الشعر المصرى الذى بين يدى ، مثل قصيدة الحميدي التى يقول فيها :

بانت سليمى ففكر الصب مشغول
وقلبه من لظى الهجران مشغول
وبات والوجد يطويه وينشره
، والطرف منه بميل السهد مكحول

اما القصائد الاخرى فكان الاعجاب الفني هو الدافع الى معارضتها مثل مقصورة ابن دريد ولامية العجم ولامية ابن الوردى .

ويدلنا على مدى ولوعهم بالمعارضة تعدد المجالات التى ظهرت فيها . فالمعارضة تتعدى الشعر الى النثر، فيعارض محمد بن عمر الخوانكي بعض مقامات الحريرى . وتنتقل من القصائد — في الشعر — الى الموشحات وتتجاوز الاهداف الفنية الى الاهداف العلمية والفكاهية . فيعارض بعضهم الفية ابن مالك ، وينظم بعضهم الشعر الضاحك على وزن القصائد المعروفة .. ويستخدم بعضهم ما يتمتع به من قدرة فائقة على المعارضة المرتجلة في الارتزاق .



والكلب أيضًا يُخفى دماغـــه

تقضى التعليمات فى المانيا بالا يركب انســـان الدراجة البخـارية « الموتوسيكل » الا اذا غطى راسه بخوذة من الفولاذ ..

والهر ماكوس ماير من هواة الموتوسيكلات ، وكذلك كلبه ، انهمـا لا يركبان الا معا ..

وتنفيذا للتعليمات كان لابد من عمل خوذة للكلب لأن دماغه لا يقـل قيمة عن دماغ صاحبه ، وما دام كلبا المانيا فلابد من حماية دماغه ، لان دماغه المانى أيضا ! ..



على زوجها جنت براقش

الصـــورة متاخرة بعض الشيء ، ولكن عبرتها لا تنسى ..
فان مارجـريت ترودو التى تركت بيت الزوجيـة لتعـربد فى نيـويورك جنت على نفسها ، ما فى ذلك شك .
وهى الآن فى الطريق الى التسول ..
ولكنها فى الطريق جنت على زوجهـا ، فان بيير ترودو الذى كان رئيسـا لوزراء كندا وكان من اقوى النـاس فى بلاده قد انتهى .. جنت عليه ، فضاع الرجل الكبير وسقط فى الانتخابات سقوطا مشينا ..
لقد انتهت المرأة .. وانتهى معها الرجل .. .. وعلى زوجها جنت براقش
والصورتان ماساة من مآسى حياتنا ..

كل بنت بجدها معجبة

المثل العربى يقول : كل بنت بأبيها معجبة !

ولكن مارجو هيمنجواى حفيدة الكاتب الاشهر معجبة بجـــدها دون أبيها •

عندما أتت مارجو الى نيويورك من قريتها فى ولاية ايواه استـــلفتت انظار الناس أولا باسم جدها ، فهى حفيدة مجد من امجاد أمريكا ، ثم بطولها الفارع (١٨٠ سنتيمترا) ووجهها الجميل •

عملت حينا نموذجا للمصورين ••

ثم تزوجت رجلا موسرا يملك مصانع لرصاص المسدسات ويشـــترك فى ملكية سلسلة من الفنادق ••

ولكنه لم يعجبها •• انها كانت تبحث عن رجل قوى مثـــل جـــدها ، رجل تأنس اليه وتحتمى به ••

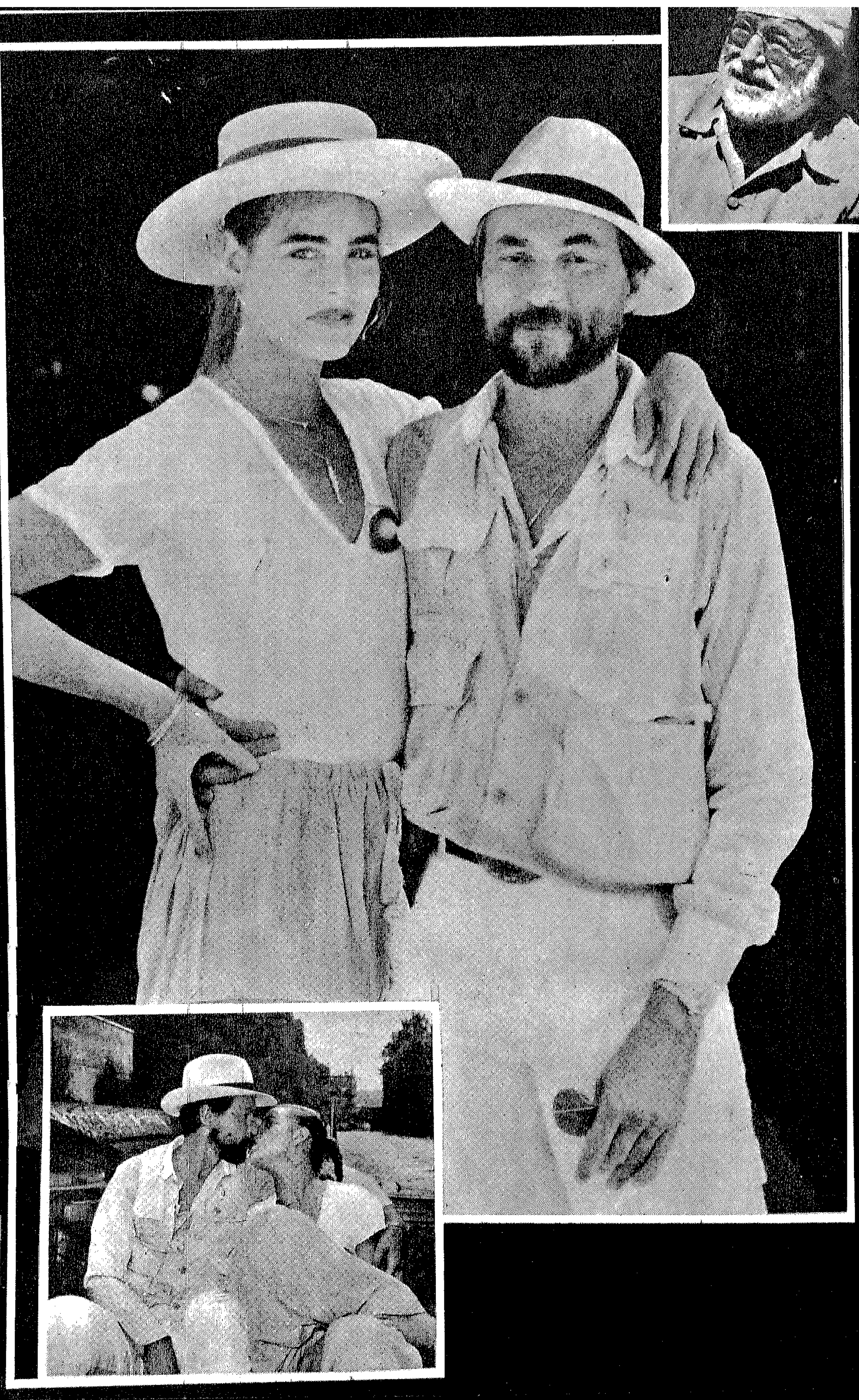
ثم اشتغلت بالسينما ومثلت فيلما ، ولم تعجبها السينما •

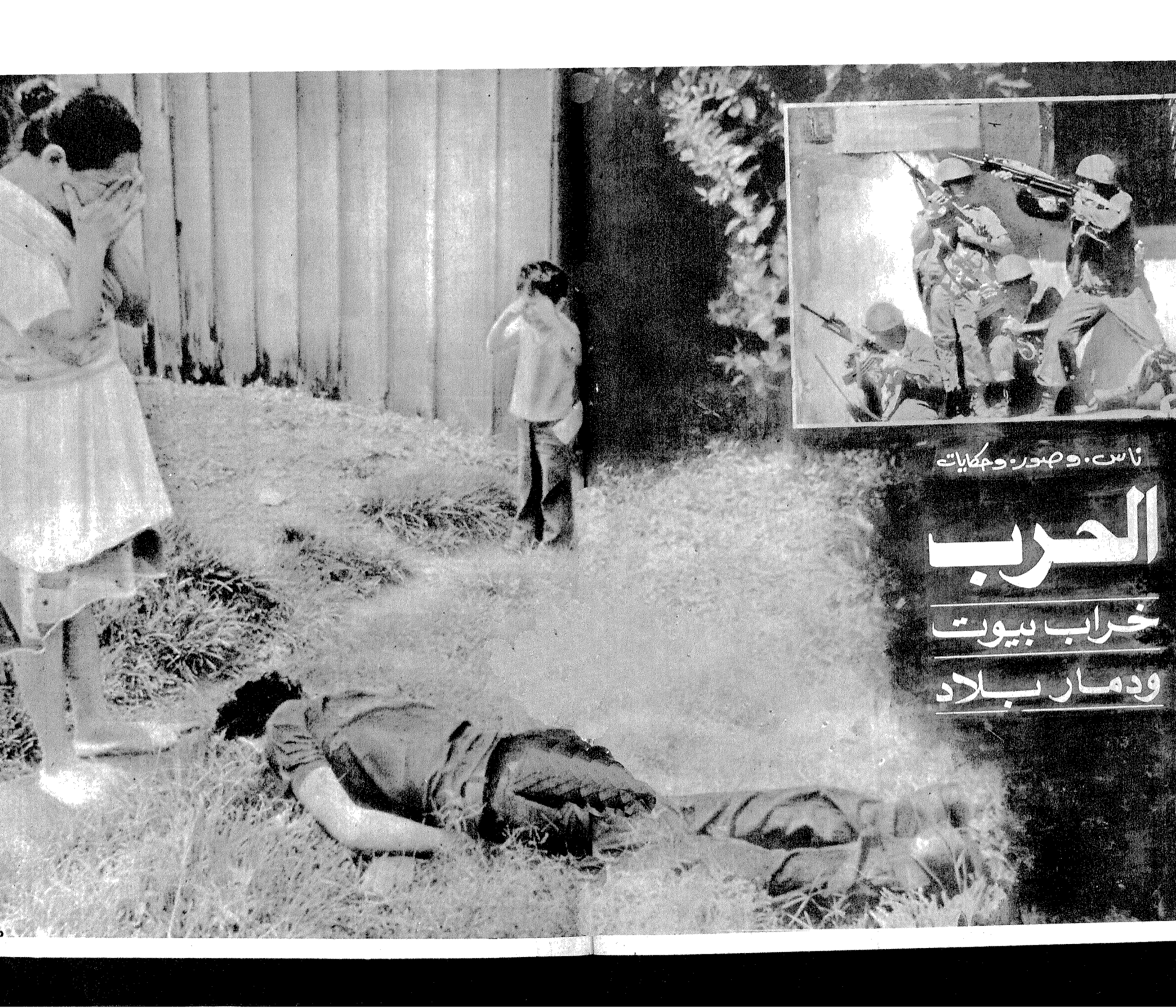
وأخيرا وجدت فرانسو فوشيه ، وهو فنزويلى يملك عددا من الفنادق وأول ما جذبها اليه انه كان شبيه جدها •• فان وجهـــه يذكـــرها بوجه جدها فى شبابه وكذلك صدقه ••

ووقعت فى غرام جدها !

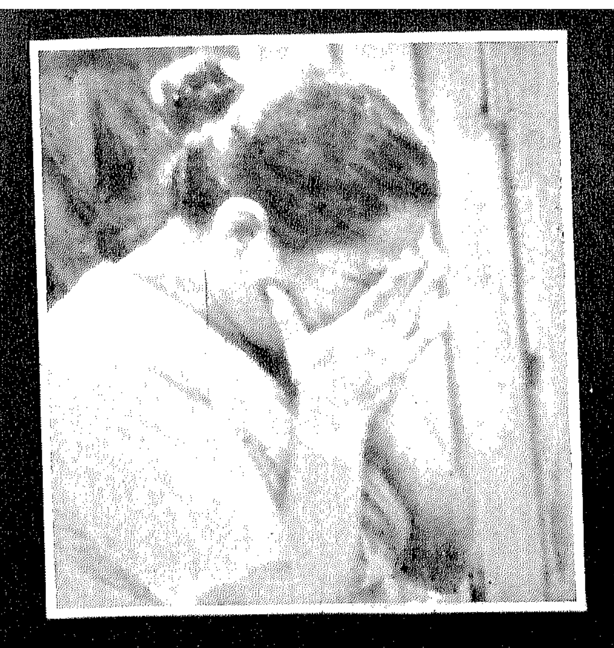
وطلقت المليونير صاحب مصنع الرصاص ••

وتزوجت فرانسو بوشيه !




ناس.. وصور.. وحكايات
الحرب
خراب بيوت
ودمار بلاد

ناس وصور وحكايات



لو اننا اردنا ان نكتب مقـــالا عن الحرب واوزارها لما وصلنا فى البلاغة الى ما تصل اليه هذه الصورة ٠

انها مأساة من خمسين الف مأساة : مأساة امرأة فقدت زوجهـا وأصـبحت أرملة وهى فى شرخ الشباب ، وزوجها الذى كان يسعى جاهـدا لرزقه أردته رصاصة ، واصبح قطعة من الارض ٠٠

ومن بعيد وقف الابن المسكين يبكى اباه ٠٠

وماذا ينفع البكاء ٠٠

لقد انهدمت اسرة وضاعت ٠٠

الصورة اخذت اثناء حـــرب تحرير نيكاراجوا من الطـــاغية انســـتاسيو سوموزا ٠ وفى الركن الاعلى شباب من حرس الطاغية اغراهم بالمال لكى يحموه ويقتلوا مواطنيهم ٠٠

وقتلوا الوفا بعد الوف ٠

والآن جاء الوقت ليدفعوا الثمن ٠٠

اننا نعجب من أمـر اولئـك الذين يظنون أن الحرب ما زالت كمـا كانت أيام عنترة بن شـــداد ٠٠ بطولة فى صورة قتل وسفك دماء ٠٠

يا ناس ٠٠

اننا نريد ان نبنى ولا نهدم ، ونعمر ولا نخرب ! ٠٠

كيث دوجلاس شاعر إنجليزي في مصر:

القصيدة التي لا أستطيع أن أكتبها

• ماهر شفيق فريد •

« ايريل » مجلة فصلية كندية تصدر عن جامعة كالاجارى فى اشهر يناير وابريل ويوليو واكتوبر. وقد نشرت فى عدد ابريل ١٩٧٨ مقالة عن كيث دوجلاس الشاعر الانجليزى الذى عاش فى مصر اثناء الحرب العالمية الثانية.

وتحت عنوان « كيث دوجلاس واسم القصيدة التى لا استطيع ان اكتبها » كتب ديفيد اورميرود ، مدرس الادب الانجليزى بجامعة استراليا الغربية ، قائلا : منذ نشرت فى عام ١٩٦٦ الطبعة الكاملة لمجموعة قصائد كيث دوجلاس ، والاهتمام بعمله ينمو على نحو منتظم وان لم يكن لافتا للنظر بصورة درامية . وقد نشرت دار « بنجوين » للنشر عام ١٩٦٩ فى سلسلتها الموسومة بـ « كلاسيات بنجوين الحديثة » كتابه المسمى « من العلمين الى زمزم » وهو عن ذكريات فى صحرائنا الغربية اثناء الحرب ، ونشرت فى ١٩٧٤ ترجمة لحياته بقلم دازموند جراهام ، كانت فى الاصل رسالة للدكتوراه من جامعة ليدز .

لقد عاش عمل دوجلاس اكثر مما عاش عمل آلن لويس وسدنى كيز ، زميليه فى الحرب الثانية ، اللذين كثيرا ماقورن بهما ، ولكن التعليقات النقدية على عمله مازالت قليلة . وعلى حين أن حفنة من قصائده كثيرا ماتدرج فى كتب المنتخبات ، ظلت مناقشة عمله محدودة ، وكأنما كتب على دوجلاس ان يظل الى الابد نائما فى ظل ولفرد أوين شاعر الحرب العالمية الاولى الكبير ...

ويقول الناقد والشاعر الانجليزى المعاصر فرنون سكانل فى كتاب حديث له عن شعراء الحرب الثانية ، صدر فى لندن عام ١٩٧٦ : « ان هدفى فى هذا الكتاب هو أن ابرز اعتقادى بأن الشعراء الذين ادوا الخدمة العسكرية ... اثناء الحرب ضد هتلر ـ قد انجبوا بنية من الشعر ، ذات نوعية عالية جدا على وجه اليقين يمكن أن تقارن بخير ما أنتجته الحرب الاولى دون أن تضار بهذه المقارنة » .

وفى مثل هذا المناخ يلقى شعر كيث الاعجاب ولكنه قلما يحلل . وذلك أمر مؤسف لأن الانتاج الضئيل بالضرورة لشاعر قتل فى الحرب وهو فى عامه الرابع والعشرين ، كما حدث لدوجلاس ، يمكننا من ان نتتبع خيوطه واهتماماته بوضوح ملحوظ ، أن نرسم فى الواقع خريطة تطور حساسيته الشعرية .

فى التاسع من ديسمبر عام ١٩٤٣ وصلت السفينة التى كانت تقل دوجلاس من مصر قرب الساحل الاسكتلندى ، وعسكرت كتيبة الشاعر فى تشبنام فى الثانى عشر من ديسمبر . وبعد عيد الميلاد الواقع فى اليوم الخامس والعشرين من ذلك الشهر ذاته ، غدا دوجلاس زائرا منتظما لمكتب مجلة « شعر » التى كان يرأس تحريرها الشاعر والناقد الهندى تام بى موتو ، فى ميدان مانشستر بلندن ، حيث تعرف على سكرتيرة تام بى المدعوة بيتى جس ، وهى معرفة سرعان ماتعمقت .

واثناء تلك السنة التى كانت آخر سنوات عمره ، بدأ دوجلاس يستشعر دنو منيته بوضوح ملحوظ ، كان ذلك الموضوع قد دار فى شعره وفى احاديثه بعض الوقت . وفى اوكسفورد تنبأ يوما بثقة انه لن يكون فى زمرة الاحياء بعد انتهاء الحرب ، وقصيدته المسماة « مركز النفوذ » ، وهى قصيدة لم يعش حتى يتمها ، **قد لاحت لبعض القراء خلاصة لاهتماماته الرئيسية ، ونزع البعض الى افتراض ان لب عمله انما يتمثل فى ازدواجه الوجدانى ازاء موضوع موته الوشيك فى المعركة .**

وقد عبر عن هذه النظرة ، على سبيل المثال ، تيدهيوز شاعر انجلترا المعاصر حين قال : « ان حقيقة اى رجل هى الرجل الملقى عليه فيه ، او بدنه الميت ، فهذه الفكرة تدور عنده فى قصيدة تلو قصيدة ، كما لو كان ذهنه قد شد اليها بوثاق . وفى اعماقها ربما كانت ربة شعره وهى ليست رمزا رومانسيا للخطر والغواية ، وانما ببساطة شعور مسبق بنهايته الذاتية . لقد حاول هيمنجواى أن يتخيل الموت الذى سبق لدوجلاس أن عاناه » .

هذا طرف مما يقوله ديفيد اورميرود فى مقالته ويبقى أن نضيف أن لدوجلاس قصائد كثيرة جديرة بالترجمة ، آن لم يكن لشىء فلان مسرحها هو مشاهد الصحراء الغربية والقاهرة والعلمين ، مما يجمل بنا أن نعرفه لنرى كيف كان وقع هذه الخبرات على وجدان شاعر حساس □



● محمد ابراهيم ابو سنه ●

ويَنمو البنَفْسج فوقَ الشَّواطىء
ويأخذنى النَّومُ ...

هَذا هُو الفَجْرُ ...
حُلم وبَدْر

ويأخذنى النَّومُ
هَذى الممالِكُ مِلكى

وهذا النَّهار الذى جاءَ يبكى أسيرى ...
وهَذا المساءُ الجَميلُ

يمُوء كقطٍ على شرفَتِى
ويطلُب عَفْوى ...

وهأنتِ ... أنتِ جميعُ البلادِ
وأنت جميع النَّهارات والليلِ ...

أنتِ الفَرح .
وأصحُو ... وتَنهضُ أكذوبَة فى الرِّيَاح

وتَنفُر هذى العصَافيرُ عنى
ويسقط فى الماءِ ظلُّ البنَفسج

ويغرقُ ليل طَويل
بأعماق هذى البُحيرَة

وأنت ...

وأبحثُ عنك فيأتى إلىَّ مِن الشرفَةِ الثّانيَة

عواؤكَ فى مَوقـد الآخرين .

صراخُك فى الحفلَةِ الماجِنَه

ويَنفجِرُ الدَّم فى الصّخر ، تصْفعُنى

الأغصُن الذّابلة ..

وتَشحبُ هذي المسافةُ بينى وبَينَك

وأحملُ جثّة صَمْتى ، وأمضى ...

يُمزِّقُنى خنجر أحمر الشّفرتين

وأنتِ على مَفرق الطرقِ المُظْلمة

تنامينَ جُثّة فحْم ...

تَسيل دماؤُكِ فوقَ الترابِ

وفوقَ البُحيرات ، فوقَ البَنفسج

وفَوقَ زهورِ الحدائِقِ ...

وتَخرجُ أفعى من الدَّم

أفعى بِثديين

تلدغ قَلبى ...

فيُصْبح جسْمك هذا المُغطّى بزهر

البنفسجِ ، قبْرا لحبِّى ...

● من قصيدة ((خيانة البنفسج)) ـ فى ((تاملات فى المدينـــة الحجرية)) الديوان الجديد للشاعر محمد ابراهيم ابو ســـنه ●

قصة

اوهـــام

• عاطف سعودي •

.. ومضت العنزة العجفاء تزدرد لعابها وتهز راسها كي تخفف عن الراس حرارة الشمس العمسودية التي كانت تملأ في تلك الساعة صحن المحكمة الجزئية ..

وقفت كما يقف المنتظرون اقضيتهم منذ الصباح الباكر في ساحة العدالة ، فلها - كما لهم - قضية منظورة يتوقف على الحكم فيها مصيرها وحياتها ... ان عينيها معلقتان بهذا الباب المغلق الذي سيفتح بعد حين ليلفظ المتقاضين والمترافعين والوكلاء والشهود ، كما سيلفظ دون شك صاحبها العائن الذي اقام دعواه ضد جاره المدين فاسد الذمة الذي رفض ان يعيد له جنيهساته العشرة فعرض بذلك رقبتها لاحتمالات السكين !

انها لتعرف صاحبها هذا حق المعرفة فقد تربت في بيته زمنا طويلا كان كفيلا بأن يقر في ذهنها حقيقة لا سبيل الى ردها أو انكارها ، هذه الحقيقة هي انه ابرع أهل القرية واسرعهم في استخدام السكين ! .. ولا غرابة في ذلك بطبيعة الحال ، فهو جزار القرية وتاجر اللحم فيها . لكن الذي تعرفه ايضا ولا سبيل الى المجادلة فيه هو انه لا يفرق عادة بين شخصية المجني عليه طيرا كان أم حيوانا أو حتى ... انسانا !

هكذا شاء القدر ان يختار لها مالكا جزارا فظ القلب من بين سائر أهل القرية ، لا لشيء الا لتظل طول حياتها معه في رعب قاتل ...

انها ترصد يده حتى لو تحركت فجاة لتذود عن وجهه ذبابة أو لتدفع بها عن نفسه لسعة برغوث ... لذلك فقد اختارت المسكينة لنفسها منذ البداية طريق السلامة ، وطريق السلامة في تصورها أن تكون له نافعة دائما ومفيدة ابدا . فهي لم ترفض يوما أن تحمل ويتكور بطنها وتنجب له ذرية تلهيه عن التفكير في رقبتها طالما امتلأ جيبه بالمال من نسلها !

***

وقفت العنزة في فناء المحكمة تسترجع ماضيها المفزع معه ... كم استيقظت مع الفجر على شخير بهيمة تدلت رقبتها بفعل سكينه الحادة . كم من مرة صحت فجاة على أزيز «الخنصر» وهو يشحذ السكين في ضربات متوالية متقابلة كانها البرق ... كم شاهدت اجسادا لا تزال رعشة الحياة تنتفض في عضلاتها . كم سمعت باذنيها صوت العظام القوية وهي تتداعى تحت طرقات ساطوره الاعظم ! .. كم شاهدت بطونا مبقورة ، وعيونا جاحظة ، واظلافا باردة !

والآن .. وقد بلغ بها السن ما بلغ وأدرك جسدها الوهن ، لم يعد بطنها يتكور ولم يعد جلدها يجود بالشعر ولا ضرعها باللبن . استمر بها الحال على هذا المنوال حتى جاء اليوم الذي ارتابت فيه امراة صاحبها في أمرها فأشارت عليه ان يرسلها مع القطيع فقد يكون العيب ندرة الذكور حول البيت . انها لا تنسى ذلك اليوم الذي خرجت فيه مع القطيع وفرحت لاقتراب البشرى ، ظلت وقتها اياما تتقرب الى الذكور في القطيع وتتودد اليهم دون جدوى . اقتربت في انكسار الى شيخ « الجديان » واكثرهم وقارا تستميله وتعبث بعواطفه ، لولا انه لمح عنزة شابة رعناء فتولى عنها ، ولم يكتف بذلك بل تخلى عن وقاره ومضى يجري

خلفها مزاحما شباب القطيع من الذكور دون خجل أو حياء .

***

ادركت العنزة بعد رحلتها الفاشلة مع القطيع أنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من السكين ... على أن الامل في النجاة ظل يراودها حينا بعد حين حتى جاء هــذا الجار فاسد الذمة فافسد عليها املها وعجل بغير شك نهايتها ....

كان صاحبها قد عاد لتوه من السوق وشاهدته يجلس على الارض كعادته يحصى ما معه من نقود في حجر جلبابه. وفي تلك اللحظة ((طب)) عليه جاره الذى يسكن في البيت المقابل ..

انها تذكر عيني الجار وهما تكادان تدمعان آنذاك وشفتيه اللتين كانتا ترتعشان في ذلة وهو يتحدث الى صاحبها كأنه يشكو له سوء حاله . نظرت لحظتها الى وجه صاحبها لتتبين انعكاس الشكوى ورد فعلها عنده ، فوجدته يفيض تأثرا - ربما لاول مرة - بشكوى الجار ...

بعد قليل لاحظته وهو يلقى في حجر هذا الجار ورقة حمراء من نفس صنف الورق الذى كان يحصيه قبلا .

وهي تذكر خلال الاشهر التالية مقابلات كثيرة كانت تتم بين الصاحب الدائن والجار المدين ... في المرة الاولى لاحظت عتابا في العيون، وفي المرة الثانية تحركت الشفاه لتقول شيئا لم تدرك معناه . وفي الثالثة بدأ الغضب يكسو جبهة صاحبها ... وفي الرابعة تماسك الجاران تماسكا فضه الجيران .

وفي المرة الخامسة تبعت العنزة صاحبها الى صحن ذلك البناء المتداعى الذى اوقفها في فنائه منذ الصباح الباكر. نظرت العنزة الى اعلى باب هذا البناء فشاهدت ميزانا تعرفه حق المعرفة . انه كالميزان الذى يستخدمه صاحبها في وزن اللحم . لكن الكفتين فيه متوازيتان تماما. سمعت زفرات من الناس حول الباب ، فعرفت أنها بازاء مكان يحرص صاحبه على اقرار العدل بينهم ! وتأكدت من ذلك تماما عندما شاهدت صاحبها الدائن وجاره المدين يدخلان من هذا الباب .

- يا سيادة القاضى .. هذا الرجل أخذ منى عشرة جنيهات سلفة ، ولم يردها ..

- لم يحصل يا سيادة القاضى .. هذا رجل دعى وكذاب !

● وانت يا رجل .. عندك دليل أو بينة ... عندك شهود ؟

- آه ... لا ، لا ... لكن هو اخذ فلوسى ولم يردها ! ..

و . . . حكمت المحكمة حضوريا برفض الدعوى والزام المدعى بالمصاريف رفعت الجلسة

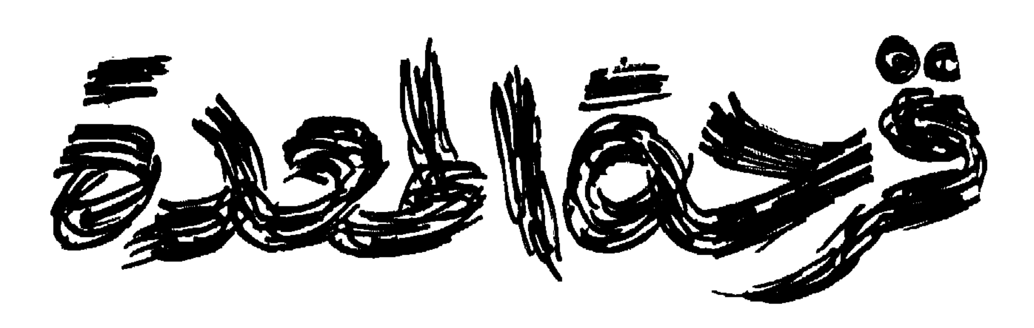
***

وانفتح الباب وخرج الدائن والمدين ، نظرت العنزة الى وجه صاحبها الدائر فهرب الدم من جسدها .. لاشك أنه خسر القضية ، هكذا يقول وجهه ... لم يبق في بيته غيرها من الذبائح ... جاره فاسد الذمة ، يضحك ... لا يعرف ازمتها ولا يدرى بما تعانيه .. ستضيق الدنيا بصاحبها فيفكر في رقبتها .. لحمها قليل لكنه على أية حال « النواة » التى تسند الزير ... هاهى يد صاحبها تتحسس جيبه .. في هذا الجيب بالذات تستقر السكين .. هاهو يتلفت حوله باحثا عنها ، رآها ، اندفع نحوها في غضب . . . امسك مقودها في صرامة .. تراجعت .... احسست انه يخنقها، فاستسلمت ومضت الى جواره ، السكين نهاية كل حى من الانعام . « نحن الاضاحى فريسة الانسان .. يقتلنا في فرحه ، ويستمطر بدمائنا الرحمات على امواته .. يوفى بنا نذره ان كان عليه نذر. .. تعددت الاسباب والسكين واحدة .. هاهو صاحبها الجبار يخرج السكين من جيبه ، يرفعها الى اعلى ، لمع النصل في ضوء الشمس.. اغمضت عينيها وامتثلت لقضاء الله ...

وفجأة ... سمعت صرخة الم مدوية .. ما هذا الذى حدث . . . سكنت السكين في رقبة المدين وسقط على الارض بلا حراك ! ..

و .. استغربت العنزة كثيرا فهذه اول مرة في التاريخ يذهب انسان فداء لحيوان !. ●

الوراثة مسئولة عن



● ظل الاطباء لفترات طويلة يطلقون على « القرحة » وصف مرض العصر الحديث .. ويربطون بينها وبين سباق الانسان مع المدنية والتقدم وصراعه من اجل تحقيق مستقبل افضل ، فى مواجهة ضغوط الحياة والتزاماتها المادية ..

وامام هذا التعليل كان الاطباء دائما ينصحون الناس بعدم التعرض للازمات النفسية ، وتجنب الانفعالات، والعمل على تحقيق التوازن النفسي والعضوى معا ، والحرص على ضرورة الاستمتاع بالعطلات الصيفية بعيدا عن ضغوط العمل والضجيج وضوضاء المدينة .

لكن الاطباء الامريكيين فاجأوا العالم اخيرا بتشخيص جديد لمرض القرحة يتنافى مع الاراء السابقة، فقد اكدوا ان ظروف الحياة المعاصرة وقسوتها بريئة من هذا الاتهام ، وأن القرحة سببها الأول والأخير وراثى بحت ، وتتدرج عن سلالات معينة من العائلات .

وحول هذا الرأى كان لنا تحقيق واستفتاء مع بعض كبار الاطباء ..

ضغوط الطموح والذكاء

يقول الدكتور / عبد الرازق جعفر ، استاذ الأمراض الباطنية بطب قصر العينى :

من الثابت أن العامل الأساسى فى الاصابة بقرحة الاثنى عشر ، هو الضغوط النفسية والعصبية ، وهذه الضغوط يصاب بها عادة الشخص الطموح الذى تكون رغباته دائما أكثر مما يستطيع تحقيقه ، والذى يريد دائما أن يسابق الزمن ولا يترك للزمن والظروف الوقت الكافى ليحدث تفسيراته وتغيراته فى الأحداث أو المشكلات التى يواجهها .

وكذلك ترجع الاصابة بالقرحة ايضا الى الافراط فى التدخين ، وتعاطى الخمور ، وعدم العناية بمضغ الطعام جيدا ، وعدم الانتظام فى تناول وجبات الطعام فى مواعيدها ، وتناول الطعام « المسبك » و « المقدوح » فى المسلى جيدا ، بالاضافة الى تعاطى بعض الادوية دون استشارة الطبيب ، ومنها الاسبرين وادوية الروماتيزم .

النزيف عامل مشترك ..

وهناك فكرة خاطئة لدى بعض الناس ـ كما يقول الدكتور عبدالرازق جعفر ـ بأن هناك تشابها فى الاعراض بين قرحة المعدة ، وقرحة الاثنى عشر ، لكن الملاحظ أن السيدات أكثر تعرضا للاصابة بقرحة المعدة من الرجال، بينما يصاب الرجال بقرحة الاثنى عشر من جراء الضغوط النفسية او الارهاق فى العمل بالاضافة الى الافراط فى تدخين السجائر والغليون والسيجار .

اما بالنسبة للاعراض فى كل منهما ، فالمعروف ان قرحة المعدة تحدث آلامها بعد تناول الطعام مباشرة .. بينما تأتى آلام قرحة الاثنى عشر بعد

فترة طويلة من تناول الطعام ، اى بعد ان تتم عملية الهضم وتفرغ المعـدة محتوياتها ، اى انها تأتى عند الجوع .. ولذا نجد ان مريض هذا النوع من القرحة يكون حريصا على أن يتنـاول وجبات خفيفة ومتعددة ولا يعـرض نفسه للجوع ، بعكس الحال بالنسـبة لمريض قرحة المعدة ، فلأن الالم فيهـا مرتبط بالاكل نجد هذا المريض عزوفا عن الاكل ، ولهذا يميـل وزنه الى النحافة عكس النوع الأول الذى يميـل الى السمنة ..

لكن هناك حالة مشتركة فى كل مكان من القرحتين ، كما يقول الدكتـور / جعفر ، وهى القيىء وايضا النزيف ..

● ماهو العلاج والوقاية من هـذا المرض ؟.

يجيب الدكتور / جعفر بأن العـلاج الاساسى للقرحة هو تنظيم الحيـاة ، وأن يفلسـف الانسان أموره ، ويساعد الطبيب على حل مشكلاته قدر الامكان مع تنظيم نوع الطعام ، ومواعيد تناوله وتجنب تعاطى المنبهات مثل الشـاى والقهوة على معدة خاوية ، مع مراعـاة تناول وجبة صغيرة اضافية بين الوجبات الرئيسية ، ومراعاة الحرص على عدم السمنة . وعموما سواء تم علاج القرحة بالجراحة أو بغيرها ، فان المريض يسير على نظام خاص للأكل مدى الحياة ...

المعرضون للاصابة

ويؤكد الدكتور / اسـامة الشناوى ان قرحة الاثنى عشر من امراض العصر التى زادت ، اذ تسببت فيهـا ضغوط الحياة ويصاب بهـا عادة المـدخنون ، والافراد الذين لديهم تطلعـات كبيرة ، والذين يشتغلون بالاعمال الذهنية ... اما اصابة السيدات بقرحة المعدة فان سببها فى اغلب الحالات يرجع الى عامل الوراثة .

هناك اسباب اخـرى تؤدى الى الاصابة بقرحة المعدة ، والتى تنقلب ايضا الى قرحة مزمنة .. واذا اوردنا هذه العوامل نستطيع ان نجملها بقولنا: هى ضغوط الحياة وزيادة افراز الحامض فى المعدة ، والمؤثرات النفسية المحيطة بالافراد مثل التـوتر العصبى ، وزيادة التدخين بالاضافة الى تعـاطى بعض الادوية التى تزيد من نسبة الحموضة فى المعدة وفى مقـدمتها الاسـبرين ، والكورتيزون ، والتاندريل ، بالاضافة الى البلهارسيا التى تسبب تليف الـكبد وكذلك تضخم الطحال ..

وعن علاج القرحة الاساسى ، يقول استاذ جراحة الاورام بالزقازيق : انه العلاج الباطنى ، وتستبدل به الجراحة فى بعض الحالات . واهم شيء فى هذا العلاج هو تناول كميات كبيرة من اللبن مع الالتزام بالهدوء النفسى ، وضرورة تناول الادوية التى تقلل من نسـبة الحموضـة ، وافـراز العصـارة الحمضية .

ونحن لا نلجا الى العلاج الجـراحى الا اذا ادت حالة المريض الى ضيق فى الاثنى عشر او حدوث تشـوهات أو نزيف .

الجراحة .. بلا مضاعفات

هل هناك علاقة بين قرحة المعـدة والاصابة بالسرطان ؟.

يقول هنا الدكتور الشـناوى : ان الاشخاص المصابين بقرحة المعدة سنين طويلة بعضهم معرض فى هذه الحالة لأن تنقلب هذه القرحـة الى الاصـابة بالسرطان ، ولذلك لابد من متابعـة حالاتهم دوما بالاشعة او بالمنظار .

اما بعـد الجراحـة فانه فى حـالة استئصال جزء من المعدة يضطر المريض الى تناول وجبات بسيطة من الطعام وعلى

فترات قصيرة . وذلك على حسب نوع العملية الجراحية ، لانه فى حالة استئصال « العصب » فهناك نظام آخر يتبع فى العلاج ، والاحتمال بعودة القرحة مرةأخرى، كما يقول الدكتورالشناوى، يظل قائما ولاسباب كثيرة .. ولكن المضاعفات الاخرى التى تشاع بين الناس من أن الجراحة تضعف المريض أو تنقص من وزنه أو تقلل من مناعته ، فهذهأقاويل عارية تماما من الصحة . والحقيقة ان الجراحة تعطى نتائج جيدة جدا .

الارتداد لمرحلة الطفولة

الى أى مدى يؤيد علم النفس عامل الوراثة فى الاصابة بالقرحة ، خاصةوان البحوث العلمية والطبيةطوال السنوات الماضية كانت ترجعها فى الاصل الى العوامل النفسية والعصبية الناتجة عن مواجهة مشكلات الحياة وضغوطها المختلفة ؟

يقول الدكتور محمد شعلان رئيس قسم الامراض النفسية والعصبيةبجامعة الازهر : انقرحة المعدة عادة أسبابها طبية وعضوية أساسا ، بينما يقال ان قرحة الاثنى عشر اسبابها نفسية لأنها ناتجة عن التوتر النفسى .

وبالنسبة لعامل الوراثة نستطيع ان نقول أساسا ان جميع الامراض هى نتاج تفاعل بين الاستعداد الوراثى للشخص والاستعداد البيئى أو الظروف البيئية . وهذه يمكن تصنيفها الى ظروف بيئية داخل الرحم وظروف بيئية بعد الولادة مباشرة، ثم ظروف بيئية فى الطفولة تليها ظروف أخرى فى مرحلة الشباب،ثم الظروف البيئية الحالية .

وقد تأكد العلماء منذ القدم من وجود نوعين من البشر، نوع لديه نسبةعالية من « البيبرسوتوجين » وهى العصارة التى تفرزها المعدة فى الدم منذ الولادة ، ونوع آخر لديه نسبة منخفضة ، وتؤدى الى سرعة عملية الهضم . واذا أخذنا هذا العامل فى الاعتبار سنجد أن هناك اشخاصا لديهم الاستعداد بحكم التكوين للاصابة بالقرحة لاى سبب من الاسباب ، ولكن ليس هناك تأكيد بأن كل شخص لديه استعداد وراثى للاصابة بالقرحة من المحتم أن يمرض بها ...

العوامل النفسية

وبالنسبة للأسس المرضية النفسية للقرحة ، يقول الدكتور شعلان : اذا اعتبرنا ان السبب المؤدى للاصابةبالقرحة هو نسبة الزيادة فى افراز الحامض ، وأن هذه الزيادة فى الافراز جزء منها يرجع الى الوراثة والتكوين بينما يرجع الجزء الاخر الى البيئة .

على سبيل المثال فاذا شاهد الانسان طعاما يثير الشهية أو تناول طعاما حريفا يثير اغشية المعدة ، يؤدى ذلك الى الافراط فى افراز الحامض ، فاذا كانت نسبته أكثر مما تستحقه الاثارة تنتج نسبة عالية من الحامض بدون توافر الطعام الكافى فتهضم المعدة نفسها ..

اما العامل النفسى فيحدث عندما يثار لعاب الانسان ولا يشبع ، فان الانسان يفرز هذا الحامض دون اشباع ، وهذه الاثارة تحدث عندما تتكون لدى الانسان رغبات زائدة ، وان الحاجة لا تكفى أو ان تكون الاثارة الخارجية عنيفة ولا يستطيع الانسان اشباعها .. وعلى سبيل المثال فان الطفل الصغير عندما يشعر بالجوع تكون لديه دائما الرغبة فى الرضاعة وبالتالى ترتفع لديه نسبة الحامض ، واذا توافرت المشهيات فى الطعام أمام أى شخص ، بينما لا تتوافر لديه الكمية اللازمة من الاكل ترتفع نسبة الحامض بالنسبة للاكل . وهنا يحدث الاختلال ما بين الاشباع والرغبة . وتفسر هذه الحالة النفسية بارجاعها الى الطفولةعندما

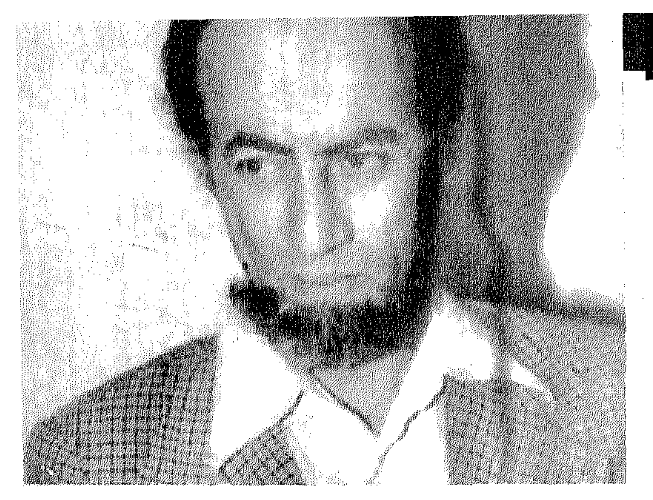
تنظم الام مواعيد الرضاعة « بالساعة » لوليدها فيفرز في هذه الحالة مزيدا من الحوامض دون الاشباع فيصاب في هذه الحالة بالاحباط ، والذى يحدث عندما يكبر أنه ينكر هذه الإعتمادية على امهويدعى الاستقلال الشديد على المستوى الواعى ، وهذا هو العامل الذى يجعله طموحا ، ذكيا . فالنتيجة انه ينجح في الحياة لكنه في الحقيقة وفي اعماقه طفل معتمد يحتاج للرضاعة ولا يجد من يرضعه ويكون نجاح هذا الانسان بالتالى نجاحا ظاهريا ، ولكن حقيقة هذا النجاح كثيرا ما تغطى على احساسه بالنقص الداخلى ، فاذا ما اصيب هذا الشخص الناجح باحباط في عمله فهذا يوقظ الاحباط القديم بانه في يوم ما شعر بالجوع وهو طفل ولم يجد من يرضعه ..

باختصار شديد جدا المسالة ترجع الى الاثارة بدون اشباع أو رغبة مثارة اما داخليا نتيجة لاستعداد وراثى أوخارجيا لوجود مثيرات عديدة لا يوجدلها اشباع .

اما اذا كانت الاثارة على مستوى اعلى من الاكل والشرب مثل النجاح والدراسة والزواج وحدث الاحباط فيها ، فينزل من هذا المستوى الاعلى وهو احباطه في الحب أو في العمل الى المستوى الاصلى ، وهو التكوين الفمى ، فبدلا من انيقول انه فقد نجاحه أو حبيبته يقول بمعدته انه فقد أمه ، وان لديه الرغبة في الرضاعة وأمه لا توفرها له . فهذا الفشل السطحى يذكره بالاحباط في الطفولة المبكرة والرغبة في الجوع .

سن الاربعين مرحلة الخطر

والرجال كما يقول الدكتور شعلان معرضون أكثر للاصابة بالقرحة لأنهم أكثر حبا للتظاهر بالاستقلال ، بينما هم في الحقيقة « معتمدين » فالمرأة تجد فرصة في التعبير عن « اعتماديتها » من خلال حياتها العادية ، في الزواج



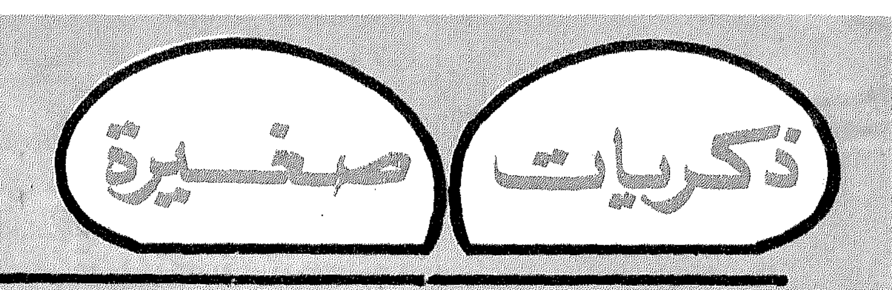
د . محمد شعلان

والانجاب ، بينما الرجل غير مسموح له بالتعبير عن هذه الرغبة الا في البيت واذا احبط يصاب بالقرحة .

كذلك فان الاصابة بالقرحة ، كما يضيف الدكتور شعلان تزداد بين الراشدين في سن الاربعين ، لان هذا هو الوقت الذى يواجه فيه الانسان تحدى الاستقلال بعد أن يتزوج ويكبر أولاده فلا يستطيع ان يلتصق بزوجته وأولاده ، وبالتالى لا يستطيع أن يمايش « الاعتمادية » بل يصبح في الواقع مطالبا بان يشتهر أكثر ويعمل أكثر لتحقيق المزيد من الكسب حتى ينفق على أولاده ، وهذا يعود بالبعض في هذه السن الى « التصابى » أو الى ان يصابوا بالقرحة أو بحالة نفسية حادة مثل الاكتئاب ، أو يلجأوا الى الوسائل البديلة مثل القمار أو ادمان المسكرات .

مسئولية المجتمع

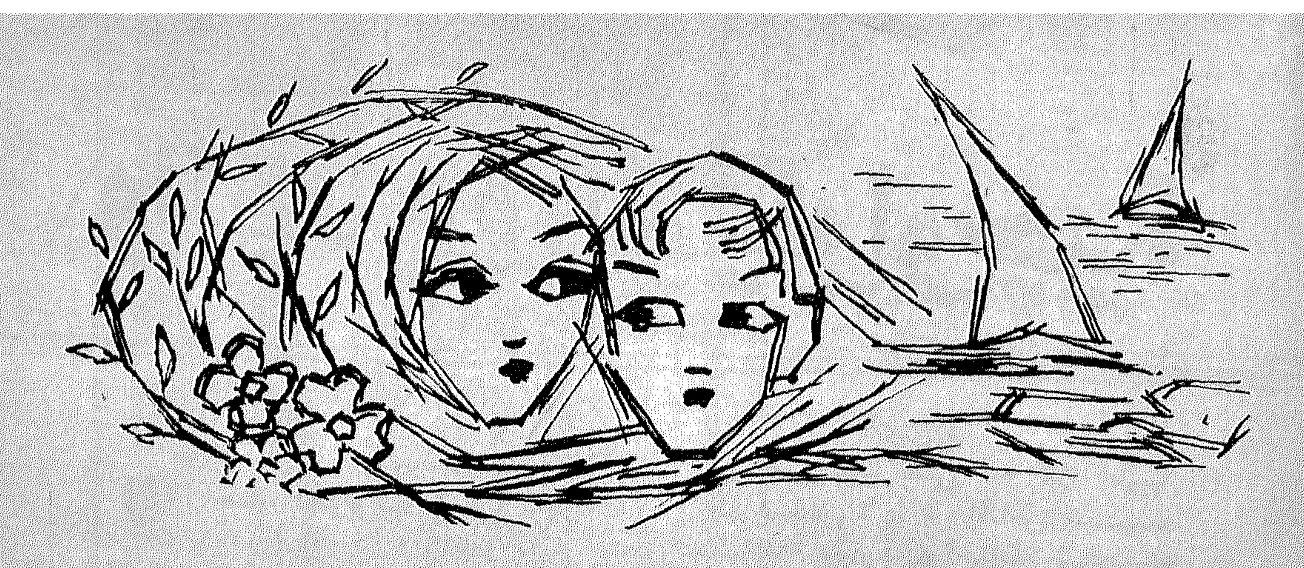
اما عن الوقاية النفسية من الاصابة بالقرحة فيقول الدكتور شعلان انها مسئولية تختص بادارة المجتمع نفسه وخاصة القيادات الثقافية والحضارية والسياسية ، فمسئوليتها ان تحاول الحد من كثرة الاثارة واغراءات الناس بالاثراء السريع دون ان يقابل ذلك عمل جاد وتخطيط واع .. فلابد من تحديد نسبة الطموح على المستوى الاقتصادى والسياسى حتى لا يصاب الانسان العادى بالرغبة في الاثراء السريع .



ذكريات صغيرة

● ابراهيم عيسى ●

... ومازلتُ أذكرُ حينَ التقينـا
صغيريْنِ فى شاطىءِ الجدولِ
ومالتْ علينـا ظـلالُ الغصون
كأنّى بنيتُ بهـا منزلى
ونرسِـلُ للمـاء سيقانَنـا
كطفلين فى مَـرَح سَلسَـل
نداعبُ أمواجَـه العابثـاتِ
ونَضـحك حبـا .. ولم نَحفل
فتحبو إلينـا .. وتحنو علينـا
ونَهمس للشـاطىء المخمَـلى
ونرحلُ فوق جَنـاحِ المُنـى
وذكرُكِ فى الموج لم يَرْحَـل
صِغار نعيش بحلم الكبار
وأهمسُ : يا حلـوتى أنتِ لى !
ونَبنى من الرمل بَيتـا صـغيرا
وأقرأ فى الرمْـلِ مستقبلى !
ويُصغِى الربـاب لأحلامِنـا
ويعزفهـا غنـوة للخَـلى
مُجنّحـةً بعَبير الشـباب
ورفت كأنشـودة البلبـلِ



وقلتُ : أحب الجمـــالَ الودودَ

فإن قلتُ : هاتى ••• فلا تبخــلى

فقالت : وعنـــدى ينابيعـــه

فقلتُ : وفى شـَــطه منهــلى

وأملأ أمــلأ كأسَ الحيَــاة

بكفّ المشـــوق •• فلا تمتلى!

وأهتـــــف : يا واحتى زمّلينى

بدفء الهوى •• زمّلى زمّـــلى

فتلتف فى هــالة من حيَـــاء

أراه على جفنهـــا المسبَـــل

وكنّـــا إبتســاما بثغــر الحيَاة

وكنّـــا وكنّا ••• ولم نســأل !

***

ودار الزمــانُ وعدتُ وحيــدا

إلى شــاطىء الأمــل الأوّل

أفتش عن لهفتى فى الرّمـــال

وفى الجدول الضّـــاحك السلسل

فلم ألقَ غيرَ ابتســـام الدمـوع

ونوح الجفــاف على جـدولى !

فلا الرمــل يذكــر خطوى عليه

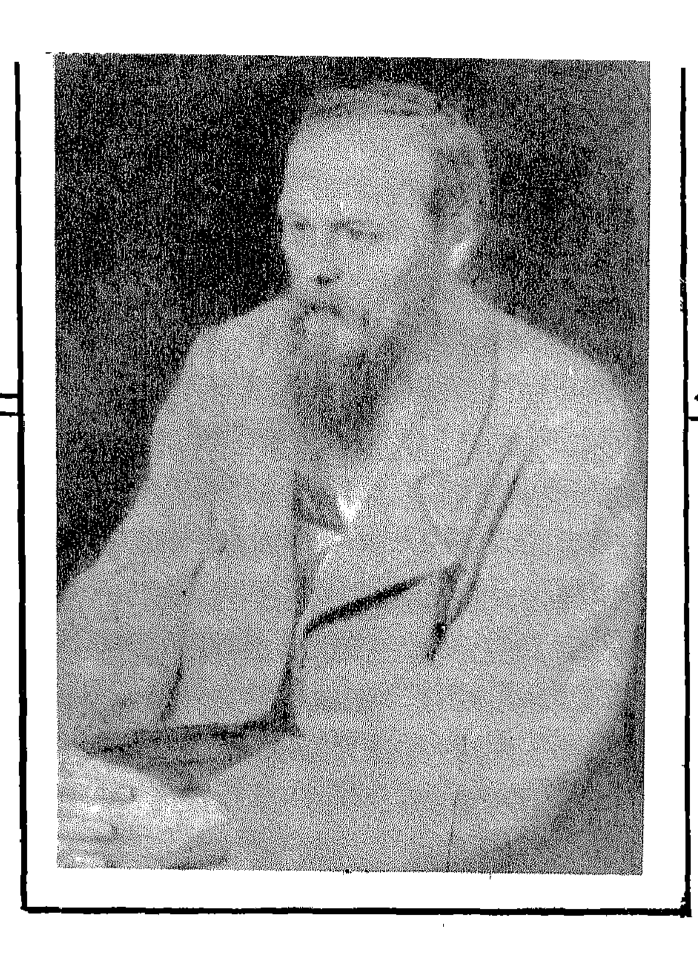
ولا البيتُ باق ••• ولا أنت لى !

ديستويفسكى
والبصيرة السيكولوجية

ولد « دستويفسكي » سيكولوجيا ، عالم نفس موهوبا أصيلا ، وهو يعتبر الثاني في قائمة الكتاب الذين وصفوا اغوار النفس ، بعد « شيكسبير » . .
في رواية « الشياطين » اشار «دستويفسكي» الى العواطف المخبوءة في اللاشعور ، « وكون العاطفة لاشعورية هو الذي يهب لها القوة والشدة » . . والى العواطف المزدوجة : حين يجتمع الكره والحب في نفس الانسان ، بالنسبة لشخص معين ، في نفس الوقت ، وبنفس القوة . .
وفي رواية « الاخوة كارامازوف» يقول «دستويفسكي» بطريقة غير مباشرة ان كل الاخوة « فيما عدا اليوشا » كانوا يرغبون في قتل الاب ، ورحبوا بالجريمة عندما اقترفت .
حدث ذلك قبل ان يقدم « فرويد » بحوثه عن اللاشعور ، وازدواج العاطفة ، وعقدة « اوديب » بحوالي عشرين عاما . . ومن ثم يعتبر « دستويفسكى »من رواد سيكولوجية العمق ، رغم عدم وجود مدرسة تحمل اسمه .
وقد ظلم « فرويد » «دستويفسكى» حين سلكه في عداد المجرمين ، لاختياره مادة رواياته من الشخصيات العنيفة ، القاتلة ، الانانية ، « وهو بذلك يشير الى وجود اتجاهات مماثلة في داخل نفسه » ، ولبعض الحقائق الاخرى في حياته ، كحماسته للقمار ، واعترافه المحتمل باعتداء على فتاة صغيرة . يقول فرويد : « كانت غريزة « دستويفسكي » القوية للتدمير كفيلة ان تجعله مجرما ، لولا انها كانت موجهة لشخصه بالدرجة الاولى ، فهي نوع من « الماسوشية » والاحساس بالذنب ، وهذا يعني أنه كان أطيب وارق شخص ، وأكثر الناس حبا للمساعدة ، ومع ذلك احتفظت شخصيته بخصائص « سادية » كثيرة : مثل سرعة اثارته ، وحبه للايذاء ، وعدم تسامحه »
واعتبر فرويد ـ لاستكمال الصورة ـ أن النوبات التي كان يعاني منها «دستويفسكي » لم تكن نوبات صرعية ، بل نوبات هستيرية . اى انه كان شخصا عصابيا ، لم تحدث في مخه اية تغيرات عضوية . واعتقد فرويد ان احساس « دستويفسكى » الهائل بالذنب ، وسلوكه « الماسوشي » ، كان يرجع الى عنصر انثوى قوى في داخله . .
وفضلا عما في هذه الدراسة النفسية لشخصية « دستويفسكى » من اعتساف ومبالغة ، فهى تنكر حقيقة تاريخية ثابتة : هى أن «دستويفسكى» عانى من نوبات صرع حقيقية أكثر من ثلاثين عاما . .

***

يقول «دستويفسكى » ان السبب في اصابته بالصرع هو صدمته الشديدة اثر الحكم عليه بالاعدام ، ضمن آخرين ، لارائه السياسية ، عندما كانت سنه ٢٨ عاما . وقد واجه فرقة الاعدام . وفي اللحظة الأخيرة خفف القيصر الحكم الى السجن مع الاشغال الشاقة اربع سنوات في سيبيريا . وصرح « دستويفسكى » لاحد أصدقائه : « في منفاى حدثت لى نوبة صرعية . ومنذ ذلك اليوم لم يتركني المرض مطلقا . انني اذكر بادق التفاصيل كل ما حدث في حياتي قبل النوبة الاولى : من الاحداث التافهة التي مرت بى ، والوجوه التي رايتها ، الى كل ما قرات وسمعت . لكنني انسى كثيرا مما حدث



● د . احمد متولى مسلم ●

دستويفسكى

لى بعد هذه النوبة . واحيانا انسى اشخاصا أعرفهم جيدا . وعندما كنت انهى رواية « الشياطين » اضطررت الى قراءتها مرة أخرى ، اذ نسيت حتى اسماء شخصياتها ! »

ويقول صديقه « ستراخوف » فى مذكراته :«ان النوبات كانت تعتوره كل شهر ، واحيانا كانت تشتد سرعتها حتى لتبلغ مرتين فى الاسبوع . وعندما عاش «دستويفسكى » فى الخارج، فبفضل الطقس الجيد ، والخلو من الانفعالات ، كانت تطول الفترة بين النوبات حتى لتصل الى إربعة شهور ، وقد حضرت احدى نوباته ، سنة ١٨٦٥ على ما اذكر، كان قدحضر لزيارتى فى المساء، وانخرط فى حديث لا اذكر موضوعه ، واهتاج « دستويفسكى » واخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وفجاة استدار الى وعلى وجهه علامات المرح والهياج ، وتوقف عن الكلام لحظة كأنما يبحث عن الكلمات .. راقبته وانا احس كانه سينطق بالحكمة وفصل الخطاب ، وفجاة صدرت منه صيحة طويلة عالية ، وسقط على الارض فاقد الوعى . ولم تكن النوبة شديدة ، فقد تشنج كل جسمه، وخرج زبد من جوانب فمه ..

« وقد اعتاد «دستويفسكى » ان نقول انه قبيل النوبة كانت تعتريه نشوة هائجة ، « لحظات قصيرة أشعر خلالها بسعادة غير عادية ، لم تخطر على قلب بشر . أشعر بتوافق مع نفسى ، ومع الدنيا .. وهذا الشعور من القوة والسعادة حتى ليتنازل المرء عن عشر سنين ، بل وعن بقية عمره ، مقابل ثوان من هذه المتعة » ..

« وكان يعقب النوبة اضطراب شديد فى الجهاز العصبى ، فيصبح « دستويفسكى » سريع الهياج، غريب السلوك .. ويدخل الغرفة كانه سحاب اسود ، كانه يتصيد شجارا .. فياخذ ما تفعله كاهانة شخصية موجهة اليه، بقصد ايذائه واثارته . وكان على أن أسحبه بالتدريج الى موضوعاته المفضلة، فيبدأ فى الحديث ، ويستعيد حماسته المعهودة . وفى ظرف ساعة يعود الى مزاجه الطيب ، ولا يبقى من دليل على مرضه سوى وجهه الشاحب ، وعينيه المتالقتين ، وتنفسه الثقيل .. وقد

حدثنى عن مزاجه السوداوى عقب النوبة ، فقال انه كان يشعر كأنه مجرم، يرهقه شعور بالذنب لعمل فظيع اقترفه » ..

***

وكتب « دستويفسكى » فى « مذلون مهانون » يقول : فى هذه الايام كنت أحلم بتجديد عقلى ونشاطى ، بأن أولد من جديد .. وخطر لى أن ادخل مصحة عقلية ، حيث يعيدون ترتيب مخى فأشفى . كنت يومها متعطشا الى الحياة، مؤمنا بها ، لكن الفكرة أضحكتني. ماذا أصنع بعد خروجى من مستشفى المجانين ؟ . هل اكتب الروايات مرة اخرى ؟ ! »

كانت تمر أوقات يهدده فيها المرض بفقد كل قواه العقلية ، ورغم بقائه دائما تحت سيف المرض الرهيب ، لا يمكننا أن نفترض انه اثر تأثيرا سيئا فى حياته أو منجزاته الذهنية .. بالعكس، لقد بصره بأغوار فى العقل الانسانى لا يبلغها الاسوياء ، وغذى موهبته الخلاقة ، وقوى شهوته الى الحياة . فى أحد خطاباته الى صديق ، تحدث عن ولعه بالقمار ، فقال : « اننى فى كل مكان وزمان بلغت غاية المدى .. طوال حياتى وانا احقق من الاهداف ما لا يطال » ..

ويلفت النظر كثرة عدد الشخصيات فى أعماله ، التى تعانى من الصرع ، من مختلف الاوساط الاجتماعية ، والمستويات الثقافية :

الاولى : شخصية «مورين» فى «صاحبة الارض» (١٨٤٧) : وهى من اعماله المبكرة ، ووصفه للنوبات اقل قوة مما تجلى فى اعماله اللاحقة ، اذ لم يكن «دستويفسكى» قد تمرس بالمرض من خبرته الشخصية . لكنه كان قد ادرك ان الخمر تزيد حدة المرض .. ففى القصة يبارح « مورين » فراش المرض، ويحتسى كأسا أو كأسين من النبيذ ، فتعاوده النوبة فى الحال .

وظل « دستويفسكى » اربعة عشر عاما لا يصف شخصيات صرعية ، ثم اذا به فى السنوات العشرين بين عودته الى بطرسبرج ، ووفاته .. فى سنوات النضج التى كتب فيها أروع رواياته ، اذا به ينهمر فيصف الصرع فى أربع شخصيات رئيسية فى رواياته الست.

الثانية : شخصية « نيللى » فى «مذلون مهانون » (١٨٦١) وهى طفلة مريضة بالصرع وبمرض خلقى فى القلب، أبوها أمير محتال غرر بامها غريبة الاطوار ، وتجاهلها جدها فظ الطباع ، ونشأت الطفلة فى الفقر ، والتسول ، بل واوشكت على التردى فى الدعارة ، لولا أن انقذها راوى القصة . وقد فضلت الطفلة الفقر والتشرد على اللجوء الى والدها الثرى ، عملا بنصيحة أمها التى كانت تحذرها من الاغنياء وخبثهم . والقصة تحكى جوانب من حياة «دستويفسكى » ، لا سيما كرهه للطبقة الارستقراطية ، الذى تزايد عقب خبراته فى السجن ، حيث تبين له مدى كراهية عامة الشعب لهذه الطبقة التى تسومهم الذل والهوان

الثالثة : شخصية الامير « ميشكين » فى « الابله » (١٨٦٨) : شب يتيما ، وعانى من النوبات فى طفولته ، وغادر مصحة الامراض العقلية. وواجه خبث الانسان وهو مستند الى ثقته الساذجة بطبيعة الانسان . ويمضى فى حياته، فيعاشر الانذال والاشقياء ، ويتلقى اعتداءاتهم دون أن يرفع اصبع الدفاع فى وجوههم . ويغيظهم سلوكه . يغيظهم انهم قادرون على أن يسلبوه كل شىء الا ايمانه بطيبة النفس الانسانية . ويقع ذلك الانسان المثالى فى حب غانية ، ثم يغار عليها عاشق مندفع فيقتلها. ويصاب القاتل بالهذيان ، والامير الى جواره يواسيه .. ويزداد عقله إضطرابا واظلاما ، حتى يصل فى نهاية القصة الى البله والعجز ..

الرابعة : شخصية « ستافروجين » فى « الشياطين » (١٨٧١) : وهو شاب وسيم قوى مندفع ، عمل ضابطا فى الجيش ، ويعانى من الصرع . يغرق « ستافروجين » فى حياة الانحلال ،

ويشترك فى تنظيم فوضوى ، ويعتدى على طفلة فى الثانية عشرة . ويتـــزوج امراة مجنونة عرجاء ليكفرعن ذنبه.ثم يغرر بفتاة حسناء ، ثم يشرع فى الانتحار ويتردد لانه لم يصل الىالالحاد الكامل. ويستطيع « كيرلوف » أن يقنعه فيشنق نفسه . وكيرلوف مهنـــدس مثقف ، تتساوى لديه كل الاشياء ، والحيـاة عنده أكذوبة .. الحقيقة الوحيدة هى حرية الانسان فى انهاء هذه الكوميديا بالانتحار ، على أســـاس منطقى ، وبلا انفعال . انه لا ينتحر هربا من الحياة ، بل لينقذ البشر ويدلهم على طـــريق الخلاص ! ورئيس التنظيم هو ابن أستاذ التاريخ المتحذلق « ستيبان » واسمـه بطرس فيركوفنسكى ، ويمثل الدجل والانتهازية . يقول « فيما بينـه وبين ستافروجين » : انا فى الحقيقة دجال .. دجال .. ثم ماذا تعطى الاشتراكية رغم كل شىء ؟ لقد حطمت القوى القديمة ، ولم تصنع جديدا » . .

الخامسة : شخصية « سميردياكوف » فى « الاخوة كارامازوف » (١٨٨٠) : وهى أعظم أعمال « دستويفسكى » ، حيث يصل الى عمق فى الفكر يتجاوز عمق ماكتب فى كل العصور. وقد جسد فيها رغبة الابناء فى قتل ابيهم .. وقد انتهى فيها الى فكرة الايمان باللهوالحياة الاخرى . ورغم ذلك يبقى فى الاذهان فصل « التمرد » الذى أعلن فيه «ايفان كارامازوف» تمرده عـــلى الدين والالوهية والظلم الاجتماعى .وقد وجد « دستويفسكى »صعوبة فى تفنيد حجج التمرد التى قدمها . . الامر الذى يؤكد ان شخصية « ايفان » اقرب الى التعبير عن الافكار الحقيقية لدستويفسكى من شخصية « ديمترى » المؤمن بالله .

بالاضافة الى هذه الشـــخصيات الصرعية ، كتب «دستويفسكى » ما لا يحصى من الشخصيات المصـابة بالبله والجنون ، وهما من مضاعفات الصرع التى كان يوجس خيفـة منها . نذكر منها ــ على سبيل المثال ــ من حالات الجنون بطل « القلب الضعيف » ، والعرجاء « ماريا تيمو فئفنـا » فى « الشياطين » .. ومن حالات العتـه بطل « حلم العم » ، والجنرال المتقاعد « ايفولجين » فى « الابه » ، وهـو سكير يعـــانى من فجوات فى الذاكرة يملؤها ــ لاشعوريا ــ بأحداث مختلفة لا أساس لها فى الواقع ، وهو مرض يســـــمى فى الطب النفسى بحالة «كورساكوف» ، فاعجب كيف يصـفه بهذه الدقة «دستويفسكى » ، وليس بطبيب، ولكنها البصيرة السيكولوجية.

فى كل روائع سنوات النضج «فيما عدا « الجريمة والعقاب » » أدخـــل دستويفسكى عنصر الصرع ، كأنمـــا كان يمهر بامضائه كل صـــــفحة من صفحاتها .. أو كأنما يقول للناس : أيها الاخوة ، هذهاصور والشخصيات والمواقف ، يقدمهـــا لكم أخ لكم فى الانسانيـــة ، عانى من مرض الصرع ، وظلم القيصر ، وشـــاكل أسرية واقتصادية لا تنتهى ، وعانى ــ طول حياته ــ مــن لشك فى وجـود الله والحياة الاخرى ....

ولكن معاناته الرئيسـية كانت مـن نوبات الصرع ، التى كانت تشتد عليه كلما سهر الليالى وانهمك فى الكتابة ، اى ان الكتابة كانت تفاقم مرضـــه ، ومع ذلك يقول فى « مذلون مهانون »: عملية الكتابة نسها تعنى الكثير عندى فهى.. تهدئنى.. تبردنى.. توقظ فى داخلى عاداتى الادبية القـــديمة .. وتحيل ذكرياتى وأحلامى المريضـة ، الى عمل وانشغال » .

الكتابة عنده كانت « مانعة صواعق» تفرغ شحنة قلقه ، وتمنع انهياره ..

ولقد شعر «دستويفسكى» بسعادة كبيرة عندما فرغ من كتابة « الاخوة كارامازوف» ، فكتب عندئذ : « اريد أن احيا وان اكتب عشرين سنة اخرى ..قال ذلك فى نوفمبر ١٨٨٠ ، ومات قبل ان يحقق حلمه ، بعد ذلكبشهرين لا اكثر،فى يناير ١٨٨١ ،عن ستين عاما.

فدريكو فيليني

الفكر السياسى فى السينما

● مارى شفسبان ●

●● يثير احدث افلام المخرج الايطالى المعاصر فدريكو فيلينى – (بروفة الاوركسترا) – مناقشات عديدة فى الصحف والمجلات والبرامج الاذاعية والتليفزيونية ، ليس فى ايطاليا وحدها ، ولكن فى معظم الاوساط الثقافية المهتمة بالاتجاهات الجادة للمخرج فدريكو فيلينى (٥٩ سنة) .

●● والنقاد يجمعون على ان ((الاوركسترا)) الذى يقصده ، يمثل ايطاليا اليوم .. فان المخرج فيلينى يعتبر شاعرا كبيرا يكتب اشعاره بلغة الكاميرا ، فهو صرخة ملتهبة من اعماق قلب وطنى مثقف ، له بصمات واضحة فى المجتمع والثقافة الايطالية المعاصرة ..

وفيلم فيلينى الاخير احدث انقساما بين من شاهدوه .. فهناك من رفضوا فكره ووعيه السياسى والاجتماعى .. وهناك من قالوا انه اصاب جوهر الحقيقة ، وانه يمتلك وعيا وحسا سياسيا مرهفا .

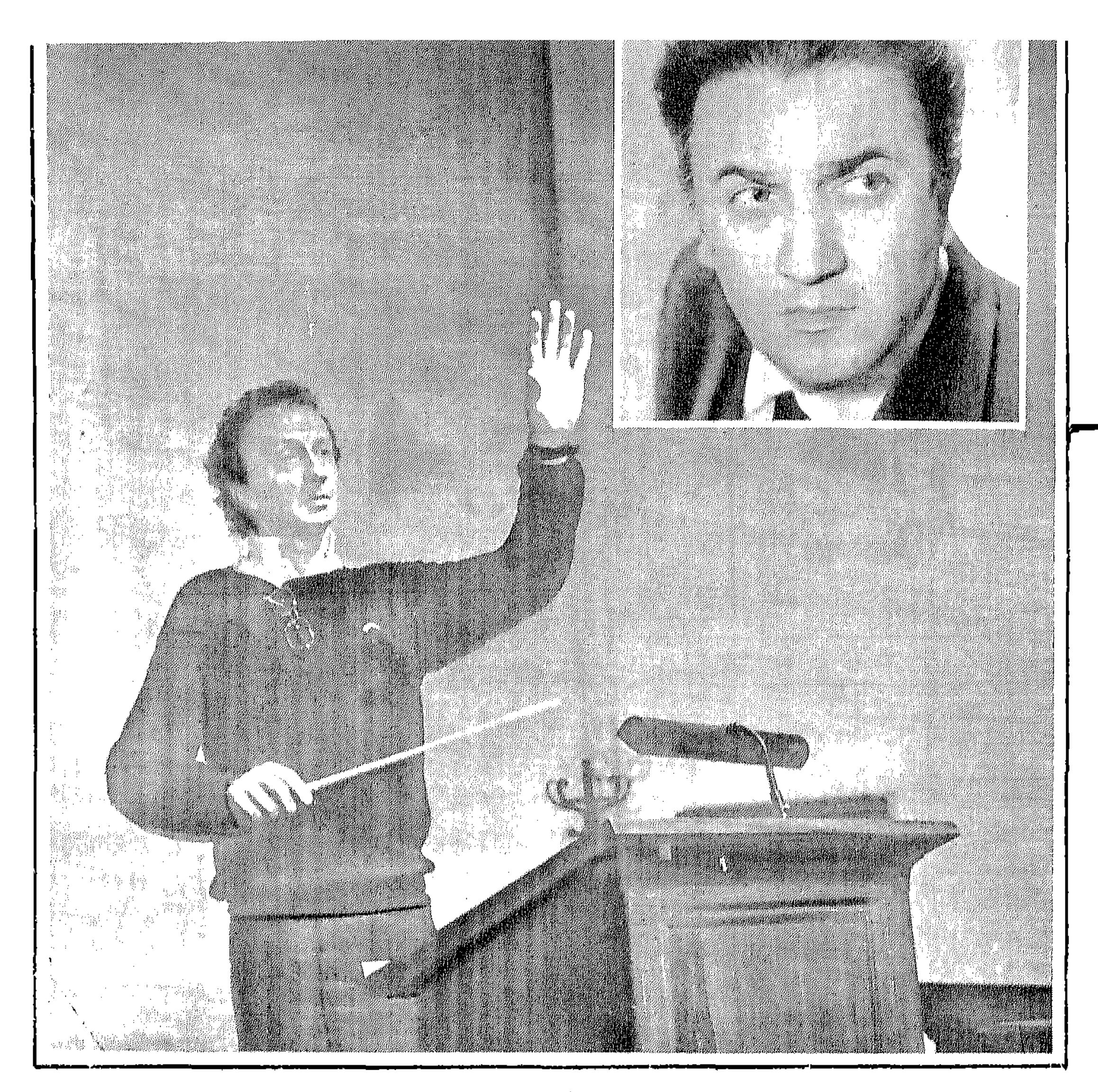
● وموضوع هذا الفيلم احدث افلام فيلينى – هل هو قصة فلسفية ، ام نقد سياسى ، ام عمل ادبى وفنى ؟ .

تساؤلات طرحها الناس على فيلينى الذى صرح بانه من الافضل له كفنان الا يعقب باى تعليق .. لكنه ازاء ضغط الاصدقاء من الصحفيين والنقاد اضطر لان يتحدث ويبدى وجهة نظره فهو يرى ان العمل الادبى او الفنى يجب ان يستوعبه القارىء او المشاهد دون وساطة او شرح .. ولكن الرموز والصور هى الاداة للفهم ، ومهما كانت تركيباتها معقدة ، فانها تصل للعقل اذا حاول ان يفهمها ..

وتصنيف احدث افلام فيلينى تحت قائمة الافلام السياسية لا يرضى معظم النقاد او الكتاب ، لان المشاهد وحده هو الذى يستطيع ان يحدد هذا ، لان المخرج لا يضع اى حلول سياسية ، لكنه حاول ان يقول ان ايطاليا تعيش فى الاونة الاخيرة احداثا اجتماعية وسياسية هامة تغرى المجتمع بضرورة تغيير طريقة تفكيره .. فهناك مخالفات فى مواجهة العدالة ، والفنان لا يعلم كيف تعالج هذه المسائل لكنه يستطيع ان ينبه الى هذه المسائل دون ان يقترح لها حلولا حاسمة .. وما يهم الفنان من وجهة نظر فيلينى كما اوضحها فى حديث له فى جريدة (تمبو) الايطالية اليومية – هو تفكير الرجل والتزامه تجاه مجتمعه وتجاه العقل .. و ((هذا ما احاول ان اوضحه)) ..

● وفى الفيلم اسقاطات على الواقع الاوروبى المعاصر خاصة فى ايطاليا وفرنسا بالاشارة الى احداث مايو ١٩٦٨ ..

وقد حاول فيلينى ان يقدم تصورا ايديولوجيا للفن ، وان الادب والفن كلاهما يجب ان يتمتع بالحرية ودون



احدث افلام فيليني : اثار جدلا سياسيا عنيفا

اى اعتداء على المواهب الفردية ... ويعلن فيليني انه ضد اية تفسيرات صحفية لاعماله ، ففى الغالب يعطى الصحفيون والنقاد تفسيرات خاصة لما يقدمه من تصور فنى قد يكون بعيدا عن فكره وعن رؤيته السياسية والاجتماعية .

● ولان المعنى السياسى مرتبط بالمعنى الاجتماعى والاقتصادي تبدو مخاوف الفنان فيليني من المستقبل ، وتعلو صرخته بضرورة انقاذ المجتمع .. هذا المعنى لا ينفيه فيلينى بل انه يؤكده عمليا فى اعماله ففى افلامه نقد اجتماعى ...

وافلامه ليست حكايات مسلية او ميلودرامات استعراضية : مثلا كانت صرختى واضحة فى الشارع فى افلام ليالى كابريا ـ الحياة الحلوة ـ امركورد ـ سايتركون ـ بوكاتشو ٧٠، وفيلم ثمانية ونصف ـ وروما ـ وكازانوفا .

فى كل هذه الافلام وغيرها يبدو النقد الاجتماعى .. ففى فيلم (الحياة الحلوة) نقد لمجتمع ثرى ضائع فى ملذات الحياة .. وفى فيلم (روما) « أوضحت ان هناك حياة اخرى غير هذا الجانب المضىء من العاصمة الجميلة روما » .. بينما كان فيلم سترادا (الشارع) تعبيرا عن طبقة من الجائلين دون مأوى ودون ضمان فى مواجهة اخطار المستقبل .

●● والفيلم الذى يثير قضية الفكر السياسى عند الفنان المعاصر ، يبرز وضوح هذا الفكر عند المخرج العالمى



مشهد من فيلم « بروفة الاوركسترا » لفيلينى

فيلينى ، هو أحدث أفلامه : (بروفة الاوركسترا) وموضوعه بسيط يدور فى صالة كبيرة خالية كانت من قبل كنيسة قديمة ، الصوت فيها مجسم وواضح ، ولهذا تستخدم فى بروفات الفرق الموسيقية .. كان المكان مستعدا لاستقبال اعضاء الفرقة الموسيقية لعمل « البروفة » الجديدة ، وتبدأ الخلافات بينهم وبين المايسترو (قائد الفرقة) وتنقلب « البروفة » بالتدريج الى فوضى صاخبة ، وتتدهور الامور ... يسجلون سخطهم على الجدران والثورة تعم المكان .. **ويحاول القائد جمعهم ، يخطب فيهم خطبة طويلة..وفى وسط الفوضى يعود السلام، يتجمع الموسيقيون ويتناسون اختلافاتهم ، ويلتفون حول القائد « المايسترو » متجهة ابصارهم الى عصاه الساحرة وتعود « البروفة » لتبدأ من جديد .**

●● لقد فقدت ايطاليا بعض عباقرة المخرجين من أمثال روبرتو روسيلينى ، وفيتوريو دى سيكا ، وبازولينى ، وفيسكونتى وهم أشهر أربعة شهدتهم السينما الايطالية المعاصرة ، يليهم فى الاهمية والشهرة العالمية المخرجان مايكل أنجلو انطونيونى ، وفدريكو فيلينى وعدد آخر من الاسماء أقل منهم فى العالمية والفكر مثل كومنشينى ومزيرى وروزى وغيرهم ..

ويبدو المخرج فيلينى واضح الفكر والمعالم وسط الجيل الذى ينتمى اليه والاجيال التى ظهرت من بعده وحتى الاجيال التى ظهر هو بعدها .. فقد ولد فيلينى فى ٢٠ من يناير ١٩٢٠ فى مدينة ريمنى على ساحل الريفييرا الايطالية ، وقد ورث حب السينما عن والده التاجر المتجول ، وبعد حياة هادئة فى مدينة ريمنى سافر الى فلورنسا وعمل صحفيا فى احدى المجلات الايطالية (افتروزو) وفى عام ١٩٣٩ ترك فلورنسا ليكمل دراسته فى القانون فى جامعة روما .. والتحق بعدها بالعمل فى صحيفة (بوبلو دى روما) ثم ترك الصحافة وانضم لفرقة من الهواة يتجولون فى ايطاليا ، وهى فترة يعتبرها أهم واحلى فترات حياته ... وفى عام ١٩٤٣ التقى بالممثلة جوليتا ماسينا وتزوج منها واصبحت شريكة حياته الدائمة ونجمته المفضلة ...

وفى عام ١٩٤٦ عمل مساعدا للمخرج الكبير روسيلينى فى الاخراج وكتابة السيناريو ، وكان اول افلامه كمساعد (بلدى) ، واستمر هكذا مع اكثر من مخرج حتى اخرج اول افلامه عام ١٩٥٠ « لوسى فى فرقة المنوعات » ثم قدم عددا ضخما من الافلام الايطالية تتميز بانها من اهم واشهر الافلام العالمية الايطالية .. وخلال ٢٩ عاما قدم حوالى عشرين فيلما هى بمثابة خطوط الفكر السياسى عند المخرج فدريكو فيلينى ●

الماس



●● اجمل الجواهر واغلاها واندرها .. فتنة النساء والرجال .. بريقه يخطف البصر، وثمنه يخطف الروح ، ومع ذلك فما هو الا كربون حجرى مصفى ... فما هو سر تقدير الناس اياه ؟ .

الماس

● **لم يعجب العرب قديما بالماس ولا هم قدروه حق قدره، ولا تجد له ذكرا فى اشعارهم ..**

السبب فى ذلك أن الماس صعب جدا فى القطع والتشكيل ، فهو اصلب من الحديد ولا يمكن تهيئته على النحو المطلوب الا اذا استخدمت ادوات خاصة من اقوى صلب فى العالم ، وتذرع صانع الماس او قاطعه بالصبر الطويل ..

وفى القرن السادس عشر عندما بدا الناس يتبينون اهميـة الماس وبداوا فى تقطيعه ورفع ثمنـه ، كان لابد من اختراع ادوات خاصة لتقطيعه ، خاصة وان تشكيل الماس يزيد فى قيمته ..

والمتخصصون فى قطع الماس افـراد نوادر معظمهم فى هولنده ، والواحد منهم يقضى العام الكامل فى تقطيع ماسة واحدة، لان الامر ليس مجرد التشكيل، بل انه لابد من المحافظة على كل ذرة من ذرات الماس تخرج من التقطيع ، لان هذه الذرات تباع هى الاخرى بثمن غال ..

ولعلك سمعت بساعة او سوار مزين بالماس ، وهـذه الزينة هى تلك القطع التى لا تكـاد ترى من المـاس ، التى تخرج من التقطيع ياخذونها ويضعونها فى الذهب فيكون لها بريق جميل جدا..

● وبريق الماس هو أروع ما فيه ؛ لأن هذا الحجر الكريم مكون على هيئة داخلية تجعل الضوء اذا وقع عليـه ينعكس فى كل اتجاه وبالوان تبهر البصر. وقطعة صغيرة من الماس لا يزيد حجمها على نصف ملليمتر فى خاتم او فى قرط ؛ تجتذب الانظار اكثر من اى حجر كريم آخر مهما كان نوعه .. ولهذا تحرص الجميلات على أن يكون فى ملكهن شيء من الماس ..

● ولم يقدر العرب القدماء الماس لانه كان نادرا جدا فى ايامهم، ولانه كما قلنا صعب التقطيع . والسبب الثالث هو أنه لا يوجد الا أبيض أو اسود . وفى بعض الاحيان يوجد ماس ذو لون وردى خفيف . وهذا الماس لا يقدر بثمن . وكان العرب يفضلون الجـواهر ذات الالوان كالزمرد الاخضر ، والعقيـق الاحمر ، والكهرمان الأصفر ، وما الى ذلك .. ولهذا لا نجد له كبير ذكر فى ادبنا العربى .

● ويوجد الماس فى مناجم خاصة فى بعض بلاد العالم ، اشـهرها جنوبى افريقيا ، وهو يوجد على اعماق بعيده جدا فى نفس مناجم الفحم ، لانه كربون

متبلور ، ويحتاج الامر من الباحثين الى صبر طويل جدا . وفى ايديهم المصابيح داخل المناجم ، فاذا لمحوا لمعانا قصدوا اليه .. وهنا تبدأ عملية الاستخراج ، وهى عملية حظ لأن قطعة الماس التى برقت قد لا تزيد على ملليمتر ، وقد تصل الى عشرة سنتيمترات ... وفى اليوم الذى تكتشف فيه شركة من شركات الماس حجرا من ذلك الحجم يعتبر فتحا هائلا بالنسبة للشركة ، لان هذه القطعة تباع بالملايين ، اما قطعة واحدة او مقطعةومهيئة. واكبر شركات الماس فى الدنيا هى شركة « دى بيرس» وهى تكاد تحتكر الماس فى العالم لانها تحتكر كذلكاكبر قاطعى الماس فىالدنيا، والواحد منهم يتقاضى فى اليوم الواحد الف دولار ، وهم أغلى عمال العالم ، ولكنهم كذلك يتعاملون معجوهر لا يقدر له ثمن .

● وقد قفز سعر الماس خلال السنوات العشر الماضية ٤٠٠٪ . ومن المعروف أن الماس يقدر بالقيراط والقيراط وزنه جرامان ، وقيراط الماس يساوى اليوم نحو ٨٠٠ دولار ــ فقارن بذلك جرام الذهب الذى وصل فى يومنا هذا الى قرابة الخمسة جنيهات او اكثر ، فكأن قيمة الماس تساوى قيمة الذهب نحو ٨٠ مرة . لهذا يحرص الناس عليه ..

● واكبر اختصاصى فىالماس فىالعالم هو السير ارنست أوبى هيمر ، وهو

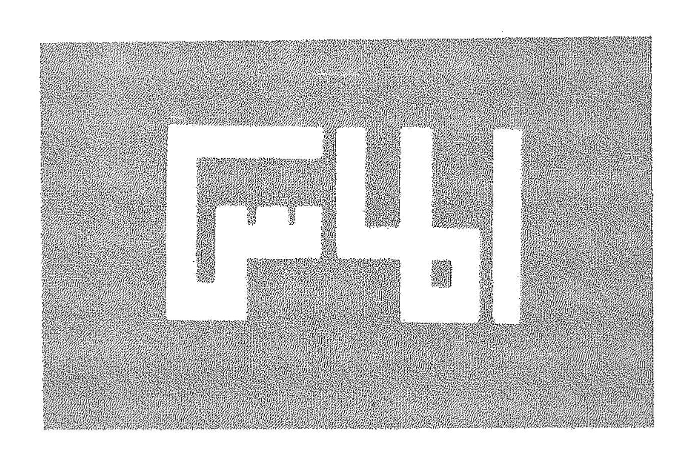


● اثنتان من اعظم ماسات الدنيا على اصابع من الابنوس ●
اثنتان من اكبر واعظم الماسات فى العالم صورتا على اصابع سوداء ذات جمال فاتن لكى يتضح جمالهما وكل واحدة من هاتين الماستين فوق العشرة ملايين من الدولارات وهما لم تقطعا او تصقلا بعد وهما معروضتان لمن يشترى.



صورة أخذت من اسفل
النضدة الزجاجيــــة التى
وضع عليها الماس للفحص
النور ياتى من أســــفل
النضدة والخبير ينظر من
على ليرى كل قطعـــــة من
الماس من الداخل والخـارج
الضوء الذى ينفذ يكـون
حيانا اشعة رونتتجن لـكى
رى الخبـــير بالضبط ما
داخل كل قطعة من الماس
هذه الماسات التى تراهـا
انها الحصى تســاوى كل
نها الوفا وكلها تم تقطيعها
صقلها واعدت للاستعمال.

ماس



يهودى هولندى متجنس بالجنسية البريطانية وكل كفاءته انه يعرف الماس اكثر مما يعرفه غيره .

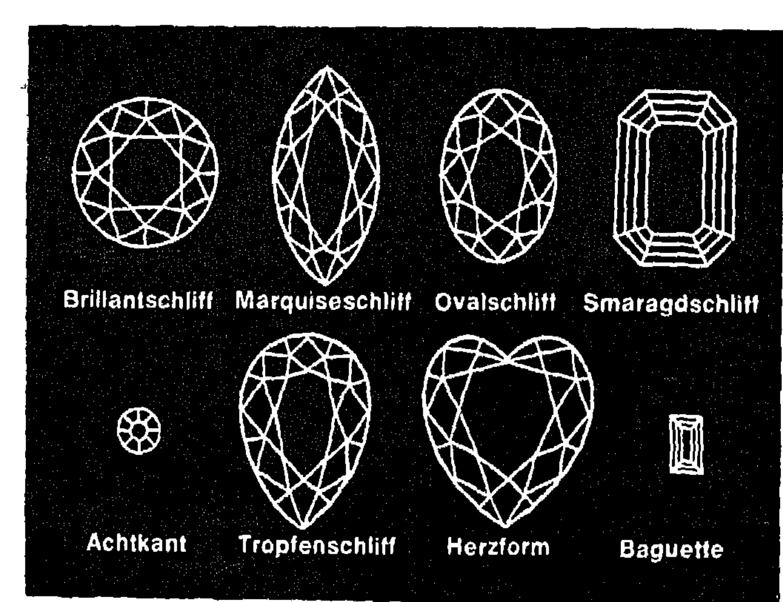
● ومن المعروف أن الماس بللورات كربونية صافية أو بتعبير ادق فى غاية الصفاء ، وهى تتكون تحت ضغط عال جدا وحرارة تقدر بمئات الالاف من الدرجات . وقد حاول اليابانيون أن يصنعوا الماس ولكنهم لم يوفقوا لانه من المستحيل الوصول الى درجة الحرارة التى تحول الكربون الى ماس وأصبح الامر فيما يتصل بهذا الجوهر النفيس مقتصرا على الصدفة اى على ما يتصادف العثور عليه فى المناجم من ذلك الجوهر النفيس .

● والماس هو الجوهر النفيس الوحيد الذى تحمل كل قطعة شهيرة منه اسما خاصا بها كأنها علم من الاعلام ، ولا يجهل أحد أسماء ماسات مثل كوهينور ـ ريجنت ـ باشامست ـ اورلوف ـ سانس ، وما اليها مما يملكه اليوم نفر قليل جدا من اغنياء الدنيا ، معظمهم ملوك وملكات أو بنوك عالمية ، وقد كان شاه ايران يملك ماسة تسمى الشاه مستطيلة الشكل وزنها ٨٩ قيراطا ، ولا يدرى احد أين توجد الآن .

● واكبر ماسة عثر عليها فى التاريخ وزنها ٩٩٩ قيراطا ، ولم يتم تقطيعها بعد ، وانها تحتفظ بها شركة ديبيز لانها ترجو ان تجد فى يوم من الايام من يشتريها قطعة واحدة دون تقطيع ، لانهم يقولون انه من الخسارة ان تقطع ماسة كهذه ليس هناك اى امل فى ان يوجد لها مثيل ... وقد عثر عليها فى سيراليون فى غربى افريقيا .

والذى اشتراها رجل برتغالى كان يتجول فى اسواق سيراليون عندما وجد طفلة تلعب بقطعة زجاج تبدو الرائى كانها بقية كوب محطم ، فاخذها منها

يعتبر تقطيع الماس وصقله من ادق الفنون فى العالم ولا يستطيعه الا عدد قليل من الاخصائيين يعدون على الاصابع ولكل تقطيعة اسم فني معروف واليك اسماء التقطيعات الثماني المبينة فى الصورة .
الصف الاول من على اليمين : قطع الزمرد ـ الصقل البيضاوى ـ قطع المركيز ـ قطع الماس .
الصف الثانى من على اليمين : باجيت ـ القلب ـ القطع الاستوائى ـ الزوايا الثمانى .



واعطاها عقدا من الخرز ...

وفى الفندق لمحها فى يده تاجر ماس فخدعه واشتراها منه بمائتى جنيه انجليزى !.. وتنقلت الماسة الفريدة من يد ليد حتى وصلت الى يدى السير اوبى هيمر الذى وقف امامها مندهشا واشتراها لحساب دى بيرس، واليوم لا يوجد ثمن لهذه الماسة. ويكفى ان تعرف انهم ارادوا مبادلتها بمبنى كامل من مبانى نيويورك يعادل مبنى الامباير استيت « ١٠٦ طوابق » فرفضت شركة دى بيرس ... وهم يعتبرونها الآن الضمان المالى الاكبر للشركة !.

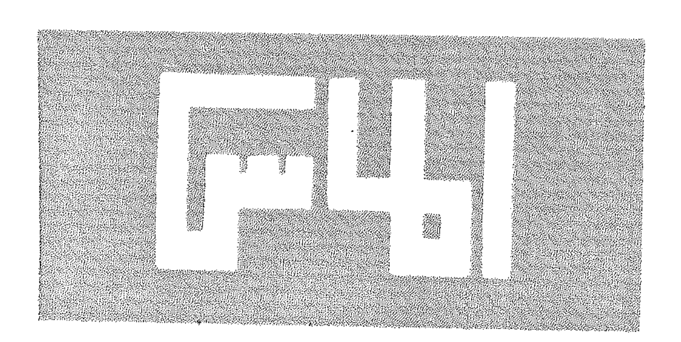
● ويتوقف ثمن الماسة على بضعة اشياء منها لونها ، فاللون الشفاف الصافى تمام الصفاء سواء كان أسود ام أبيض هو أغلى الالوان فى العالم، ويشف عنه قليلا الوردى وهو نادر الوجود . وكذلك يتوقف ثمن الماسة او قدر الماسة على حجمها ، وعلى شكلها . فان الحجم يتيح الفرصة لعمل اشكال مختلفة من الماسة . والشكل يساعد على التقطيع . واذا وجدت قطعة من الماس خالية من كل عيب وفحصوها بمجهر يكبر الاشياء مائة مرة ، ولم يجدوا فى داخلها شقا او خيطا او اى مادة غريبة، وضعوها فى الدرجة الاولى . وفى هذه الحالة يجتهدون فى الا يقطعوها قطعا صغيرة بل يفضلون تقطيعها وتشكيلها فى حجمها الطبيعى . ومثل هذه الماسة التى تزن ٥٠ ، ٦٠ الى ١٠٠ جرام كثيرة جدا . وفى الغالب يصنعون منها خواتم او قلوبا لمعلقات من الطراز المسمى بالباندانتيف ، وقد توضع فى تاج عروس .. وعندما تزوجت كارولين اميرة موناكو وضعوا على راسها تاجا من الزمرد والياقوت ولكن تزينه ماسة وزنها ١٤٠ قيراطا ، وهى اغلى شىء





ليس فى الدنيا ما يفتن المراة مثل الجواهـــر ولا تســـعدها هدية اكثر من المصاغ من الذهب والجواهر الغالية الثمن ٠

وعلى هذه الصفحــة ترى جميلة من الجميـــلات استخدمها احد كبار تجار الجواهر فى باريس ليعرض عن طريقها مجموعة من قطع المصاغ كلها محلاة بالمــاس وقد عرضت هذه القطع كلها فى مزاد علنى حضر له من اطراف الدنيا كلها هــواة الزينة وكل النســاء اللائى اردن ان يثبت لهن ازواجهن حبهم عن طريق شراء احدى هذه التحف ٠ انها عقـــود واساور وخواتم ومعلقـــات ((بالدانتيف)) تبهر العقول ونظرة اليها كافية لكى تقنع الانسان بسر فتنة النســاء بالجواهر ٠



يملكه امير موناكو ..

● ويقول خبراء الماس انه يندر ان توجد ماسة خالية من العيوب ... والعيوب عند خبراء الماس هى اى شىء يشوب صفاء الحجر الكريم ... ونحن لا نفهم هذه الاشياء ومعظم الذين يشترون الماس يخدعون فيه ، اى انهم يشترون قطعا فيها عيوب كثيرة ولكن عيوبها يعرفها التاجر وحده ... وعلى اى حال فان الذين يشترون الماس اليوم قليلون جدا نظرا لان ثمنه عند الشراء غال جدا وعند البيع يهبط هبوطا غير معقول .. ولا تصدق من يقول لك ان الماس يحتفظ بقدره لان الحقيقة ان حجرا من الاحجار الكريمة لا يفقد من ثمنه بقدر ما يفقد الماس !... وتجار الماس فى غاية المهارة فى هذه الناحية ، ولهذا فاننا ينبغى أن نكون دقيقين جدا قبل ان ننفق المال فى شراء الماس. ولكن لا بأس بشراء اشياء مزينة بشرر الماس وهى تلك القطع الصغيرة التى يزينون بها الساعات والأساور وما الى ذلك .

● ومن المعروف ان الماس يسبب متاعب كثيرة لاصحابه ، لان الاحتفاظ به بعيدا عن ايدى اللصوص صعب للغاية . ومن الغريب ان اكبر لصوص الماس هم الخدم ، وهم يسرقون ماسة ثمنها خمسون الف جنيه ليبيعوها بخمسين جنيها . ومن هنا جاءت اسطورة التشاؤم من الماس ، فيقولون انه يجلب الحظ السيء . ومن المعروف ان الملكة فيكتوريا كانت تكره الماسة الكوهينور . وقد رفضت فرح ديبا ان تضع ماسة الشاه فى تاجها .

● وعندما كانت الممثلة المشهورة نورما شيرر فى أوج شهرتها اشترت ماسة بمليون دولار وبعد شهرين أصيبت بالسرطان . ويقولون ان الماس الاسود يجلب الحظ والأبيض يجلب سوء الحظ . ولهذا فان سوق الماس يعانى ازمة كبيرة فى عصرنا وهذا هو السبب فى كثرة الاعلانات التى نقرؤها عن الماس، لان الماسة فى ذاتها لا تنفع فى شىء ، وانما هى زينة المراة الجميلة .

وفى الماضى كانت الفانيات تحرصن على الماسات ، اما اليوم فانهن يفضلن فيللا جميلة على شاطىء الريفييرا أو سيارة من آخر طراز ، وربما حماما من ذلك الطراز البديع الذى نراه اليوم. فهذا هو الذى فعلته شيرلى ماكلين عندما قدمت اليها الشركة التى تعمل فيها ماسة هدية ، فقالت خذوها واعطونى بدلا منها حماما وحوض سباحة فى حديقة بيتى !.

● وللماس حكايات واساطير، ومامن قطعة من الماس مشهورة فىالدنيا الا ولها قصة طويلة فنجدها قد تنقلت من يد ليد وجلبت سوء الحظ من انســان لانسان ... واغرب قصة من اقاصيص الماسات هى قصة ماسة كوهينور اى جبل النور وزنها ١٨٦ قيراطا ، وكانت فى الاصل ملكا لاحد سلاطين مغــول الهند ، ثم اســتولت عليها الحكومة البريطانية ، ثم رفع نظام حيــدر أباد فى الهند قضية على الحكومة البريطانية واسترد الماسة .. وعندما مات نظــام حيدر أباد اشترتها الحكومة البريطانية لتضعها فى تاج بريطــانيا وهى اليــوم درة ذلك التاج ، ولكنها لا تلبس الا مرة أو مرتين فى العام وبقية السنة تجدها محفوظة فى متحف جواهر التــاج الذى يتفرج عليه الناس لقــاء أجر زهيــد .

● وكل قطعة مشهورة من المــاس مؤمن عليها بتأمين كبير ، وهذا التأمين يزيد فى ثمنها عاما بعد عام بالنســبة للتجار فقط لان الافراد اذا اشــتروا الماس وامنوا عليه فانهم فى الحقيقــة يؤمنون على شىء لاقيمةعملية له الا من ناحية المظهــر وفى عصرنا هذا الذى وصلت صناعة الكريســتال فيه الى مستوى يمكن المنتجين من اخراج قطع من الكريستال لايقل صفاء وجمــالا عن الماس الحر ، لم تعد حتى لمســالة المظهر قيمة كبيرة .

فنحن قد نرى سيدة فى اذنيها قرط من الماس ولكن الخبير فقط هــو الذى يعرف ان كان ذلك ماسا حقيقيــا أو زجاجا صافيا .

● ومن هنا نفهم لماذا لم يقدر العرب الماس حق قدره لانالحقيقة ان الاحجار الكريمة الاخرى ذات الالوان من امثال الكهرمان والياقوت والزمرد اجمــل بكثير فى الــرؤية . ولكن الذى يعطى الماس ميزته الكبرى على غــيره هــو طريقة تقطيعه التى تتم بزوايا محســوبة بحساب هندسى ، كما ترى فى الرسم المرافق لهذا المقال . هذه الطريقة تجعل قطعة الماس ترسل بريقا رائعا فى كــل اتجاه. ونظرا لاختلاف الزوايا وتعددها فان الضوء يتكسر اذا وقع على الماس وانعكس منه فيتحلل الى الوان الطيف . وهنا فتنة الماس ، فانك ترى شيئا له بريق عجيب وهذا أمر تعرفه الغانيات اللاتى يتنافسن فى الحصول على الماس.

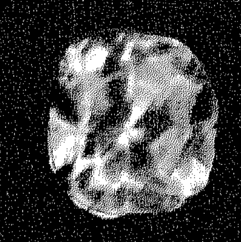
● من الغريب ان الماسات الكبرى فى العالم ذات الاسماء المشــهورة كلها او غالبيتها تملكها اليوم البنوك الكبرى

الماس

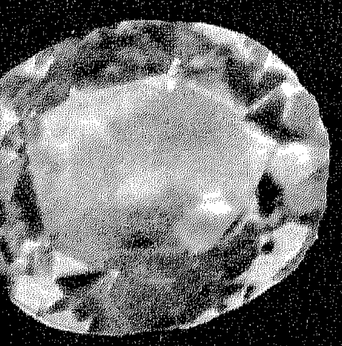
على هاتين الصفحتين جمعنا اشهر واجمل ماسات الدنيا وكل منها لها اسم وتاريخ وهي كنز يفخر به صاحبها وهذا الصاحب اما ملك من الملوك او بنك من البنوك او واحد من اكبر اثرياء الدنيا وقد بينا تحت كل ماسة اسمها وشيئا عنها .

تلك هي اكبر قطعة ماس في الدنيا اسمها نجمة سيراليون ووزنها ٩٦٩٫٥ قيراطا ولم يتم تقطيعها بعد وتستطيع تبين حجمها بالمقارنة مع اليد التي تمسك بها .

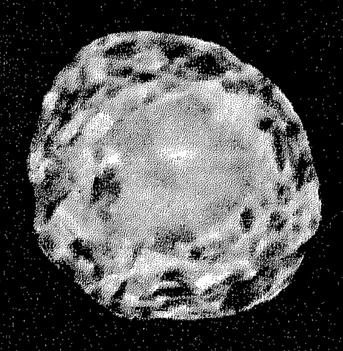
اوريكا وزنها ٧٣ قيراطا وهي ماسة مبروكة ما ملكها احد الا جلبت اليه السعد وقد عثر عليها في جنوبي افريقيا .



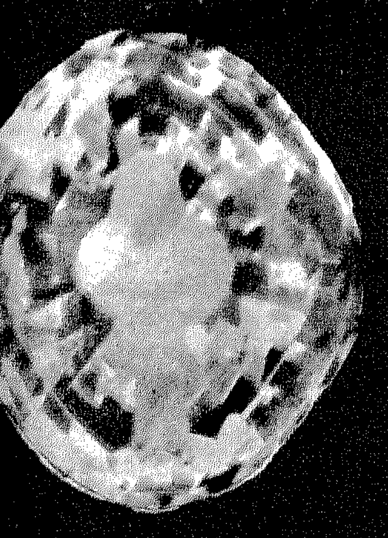
بيجوت ماسة مشهورة سابقة وزنها الاصلي ١٥٠ قيراطا كان يملكها محمد علي باشا وقد عثر على قطعة منها .



تاسان وزنها ٨١ قيراطا تمتاز بقطعها الفريد وهي ملك احدى الثريات الامريكيات .



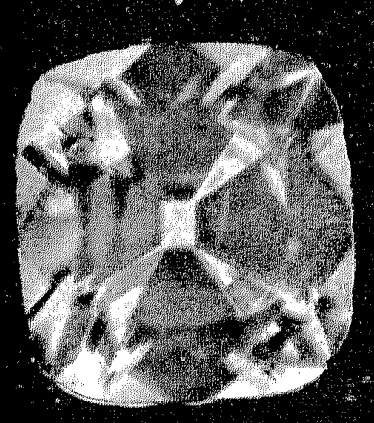
كوهينور اي جبل النور وزنها ١٨٦ قيراطا قطعها وصقلها من الطراز القديم ذي الاوجه المتعددة وهي الان ملك التاج البريطاني .



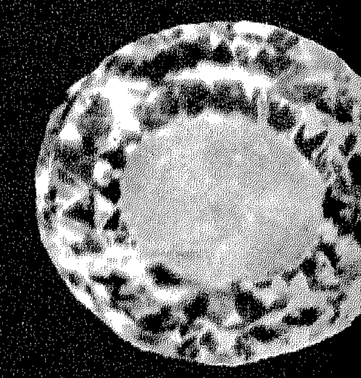
نجمة الجنوب وزنها ١٢٩ قيراطا عثر عليها في البرازيل يملكها امير هندي .



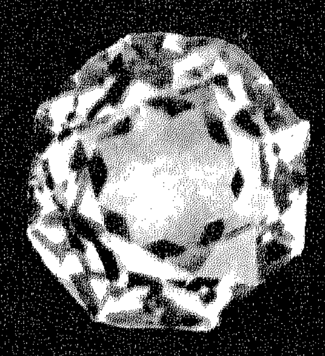
ريجنت وزنها ١٤١ قيراطا عثر عليها في الهند سنة ١٧٠١ وقد كانت في يوم من الايام ملكا لنابليون وهي الان ملك لبنك فرنسا .



اورلوف وزنها ٢٠٠ قيراط تمتاز بقطعها البديع اهديت ذات مرة لكاترينا قيصرة روسيا وهي الان في بيت موسكو

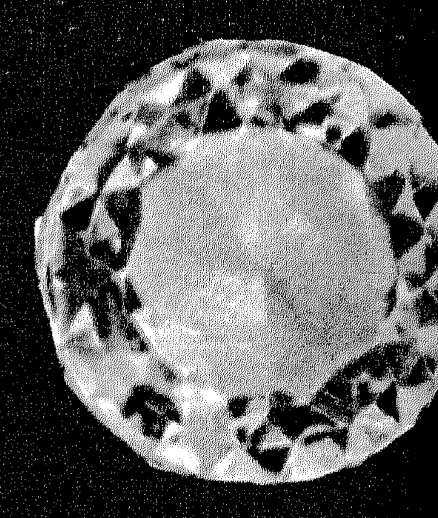


باشا مصر ماسة صغيرة وزنها ٤٠ قيراطا كان يملكها الخديو اسماعيل ولكنها اختفت سنة ١٨٩٧ بعد نفيه .



الشاه وزنها ٨٩ قيراطا قطعها في غاية البساطة كانت ملك قياصرة الروس ثم استولى عليها شاه فارس

المغولية الكبيرة وزنها ٢٨٠ قيراطا من اجمل ماسات الدنيا . انها ماسة ضائعة لا يعرف احد اين توجد الان .



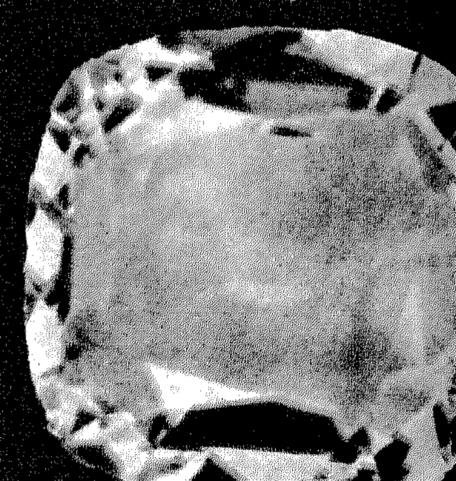
ماسة فلورنس وزنها ١٣٧ قيراطا كانت ملك آل هابسبورج وهي الان من ممتلكات الدولة النمساوية .



سانس وزنها ٥٥ قيراطا عثر عليها في الهند سنة ١٦٦١ ثم صارت الى ملوك فرنسا والان في بنك فرنسا .



اليوبيل ٢٤٥ قيراطا ذات شكل لا نظير له بين ماسات الدنيا وقد لبستها الملكة فيكتوريا في احتفالات يوبيلها الذهبي .



كوهينور الثانية في سنة ١٨٠٩ اصاب ماسة كوهينور الكبرى عيب فاعيد صقلها وتقطيعها فلم يعد وزنها الا ١٠٩ قراريط. وقد كانت من ماسات الملكة فيكتوريا .



هوب وزنها ٤٥ قيراطا ماسة سوداء يتشاءم منها كل من يملكها وهي الان في احد البنوك الامريكية .



الماس

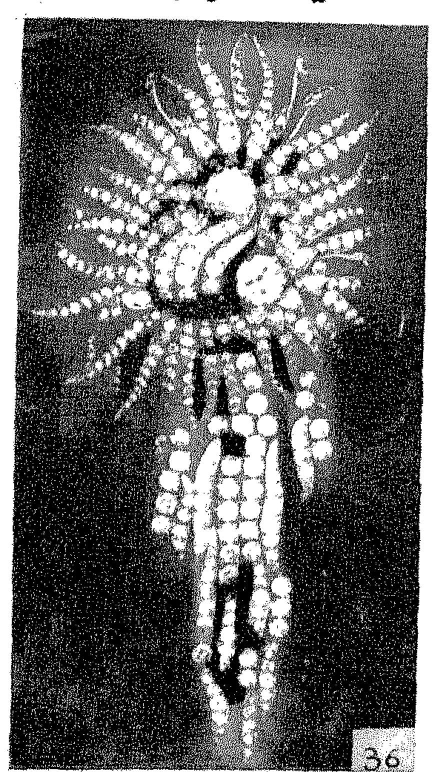
لان الافراد لم يعودوا بحاجة اليهـا ، واذا استثنينا ملكات العـالم وهن قليلات فانه لايوجد ناس يهتمون بدفع عشرة ملايين دولار مثلا لكى يحتفظوا بماسة تسبب لهم بعـد ذلك المتاعب .

● وعلى الرغم من الثروات الهائلة المتجمعة لدى شركات الماس واهمها شركة دى بيرس، فان تجارة الماس تبور شيئا فشيئا . ولابد أن تختفى فى يوم من الايام ، ويقتصر الامـر على شرر الماس وهى الشظايا الصـغيرة التى تتخلف عن التقطيع ، وتباع بأسعار عالية لكى تحلى بها الجواهر ..

ولا يبدو جمال الماس بقدر ما يبدو وسط الجواهر الاخرى ، فاذا وضعت قطعة من الماس بين مجموعة من العقيق والزمرد والكهرمان وجوهر الصين الذى يسمى باسم « الجاد » تبينت قيمته وتبينت بريقه .

● لقد تغيرت الدنيا وما عليهـا ، وبزوال الطبقات الارستقراطية التى كانت تتباهى وتتظاهر يختفى الماس رويدا رويدا ، وتحل محله التحف ذات القيمة العملية من القصـور والسيارات والطائرات لان الارستقراطية فى عصرنا ارستقراطية مالية لا ارسـتقراطية حسـب ، ومن ثم فان الغنى من الاغنياء ـ وفى الدنيا ناس اغنياء الى حد يفوق التصور ـ يهمه قبل كل شىء ماينفعه لا مايبهر عقول الناس، وقد كان اوناسيس يبهر العقول باليخت كريستينا وكان يرفض شراء الماس لانه كان يقول انه لعب اطفال ، ومع ذلك فان ثروته ضمت عددا من الماسـات الصغيرة كلها صارت الى ملكيـة جاكلين أوناسيس وهذه بدورها باعتها لفـرع شركة دى بيرس فى نيويورك وفى الصفحات المصورة المرافقة لهذا المقال ترى صورا لذلك الرمز الزائل من رمـوز الغنى والقوة .. الماس فتنة الغانيات ورمز الجمال ورمز الصـفاء فى دنيـا الغـوانى . ●

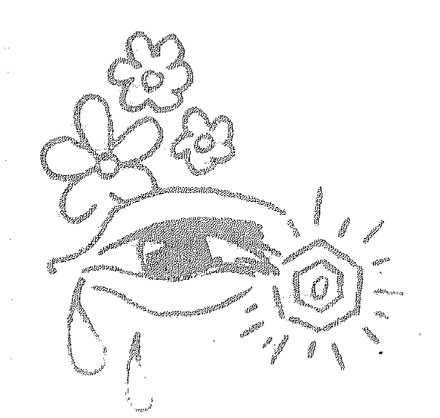
● د . حسين مؤنس ●







لم يخلق الله فتنة للمراة هي اقوى من فتنة الجواهر ولا يفتن المراة من الجواهر مثل الماس وعندما يتعاظم الناس عندنا يتحدثون عن السوليتير وهذه الحسناء التي تراها قطعة من الحسن والماس في الاذنين والصدر والذراع والاصبع .



أمسياتي

● عبد الهادي النجار ●

كلّ مـــا ابغيه نظره
ايها الارحب صــدره!
بعت ودي : غــير انى
لك عمرى لست اكره !
لامنى فيـــك غريمى
كاده : انـــك دره
يا حبيبى طف بروحى
واسقنى الشهد وعطره!
منذ ان جافيت روضى
ما اتى الغيث بقطره !
وابتساماتى : حيــارى
ليتها تمســح عبره !
فادن منى ، وترفــق
يشجونى ـ ذات مره
شـــاقنى حلو الكرى
رغـم منغــوم الاسره
لا تســل ليلى ، فانى
امســـياتى مكفهره !
يا حبيبى لك عنـدى
لوعة تفطر صـخره !
فاســترح فى مقلتيـا
بالهناء . . . وبالمسرة!

قصـــة

جســـور.. وفـــترات

• نبيل عبد الحميد •

.. ويمتلىء سواد عينيه المتمع بصدرها المتشنج وهو يميل ناحيتها ، ويتنحنح بصوت مشروخ ، ويتلمس شاربه باصابع مرتجفة وتنكسر نظرته ناحية الباب الموروب . وتنهنه وتمسح عينيها وخديها وشفتيها ، ويهتاج الاحمرار الوردى تحت جلدها الرقيق ويفور ، ويذوب صوتها ويتقاطر من ثقب ملختلج :

– لا اريده .. لم اعد اطيقه !

– لا اسمعك جيدا ، ابعدى هذه الوسادة اقتربى اكثر ...

وتضع الوسادة جانبا ، ويتقاربان ، ويتساقط انين الخشب اسفل الكنبة المهتزة . ويضحك بفمه المعتم ، وهو يربت على الخشبة ويتحسسها :

– لقد شاخت الكنبة ، مايزيد على ثلاثين عاما ، احضرتها ام فايد بعد زواجنا بايام .

وترتجف اصـــابعه المعروقة وهى تقترب من خصلة شعر تتوسد كتفها :

– كان شعرها جميلا مثل شعرك ، وكان وجهها جميلا مثل وجهك !

وتتالق نظرة الخجل وتختفى اسفل جفنيها المنكسين :

– ولكنى كنت ، و ... وما زلت رجلا ، يزن ويقدر الاشياء الجيدة !.. لا تحسبينى شخت مثلها .

وتضغط اصابعه على كتفها ، وتنزلق الى اسفل قليلا :

– لم اكن اظنه هكذا ... لا تعودى اليه ، انا معك هذه المرة ، ولن نتركه يتمـــادى .. اهذه رجولة !..

وتضع وجهها بين كفيها ، وتلمع الـــدبلة والخاتم الكبير ، ويتميع صوتها المبحوح :

– آه .. لولا الاولاد لما صبرت الى الان !

ويظل يربت على كتفها ، ويحاول ان يقرب وجهه من وجهها وعيناه ترمشان :

– اهدئى . ساحاول أن اتصرف معه بطريقتى الخاصة ..

وتلتقط يده وتضغطها بين يديها ، وتقربهـــا من فمها المبتل ، وتتلاحق أنفاسها الســاخنة :

– لابد أن تجد لى حلا .. لم يعد لى سواكم ، الى من ألجأ اذن ؟.

ويقشعر العود اليابس ، وتتمدد الاصابع ، وتتوتر عروقها النافرة وهى تنجذب الى الشفتين .

ويتململ الصـــمت من رجفات القلب بين الضلوع . ويتردد الصوت مكدودا :

– لا تبكى هكذا . انه لا يساوى شـيئا ؟ ليتك تعرفين كم انا ... اقصـد اننى لا احتمل رؤية الدموع تبلل عينيك الجميلتين . آه لـو اننى كنت ...

وتتلاحق شهقاتها ، وترتمى رأسها على كتفه ويخرج صوتها مرتعشا :

– ارجوك ان تفعل شيئا من اجلى ، لقـــد اصابه السعار ، يريد أن يستولى على كل شىء ويتـرك لى الاولاد ، قالهـا بالامس ، يريد ان يطلقنى ، وبعـــد كل ما فعلـــت من أجله ؟ أيرضيك هـــذا . !

وتتداعى نظرته المضطربة عند شق الباب ، وتمتد يده وتمسك بها :

– لن يمكنه أن يفعل شيئا وانا موجود . انى استطيع أن اهدم مستقبله واعيده كما كان ! هيا جففى دموعك وسترين ماذا سأفعل بـه ، من اجل خاطرك ...

وتتراجع قليلا وهى تنظر الى عينيه ، وترتخى يده المندأة بالعرق :

– وماذا ستفعل معه . ؟

– الا تثقين بى ؟

وتضع يدها الدافئة على يده :

– اريد فقط أن اطمئن ، ارجوك اخبرنى .

ويشد ظهره وهو يتلمس شاربه ، ويتنحنح ويخرج الصوت خشنا من بين نواجذه :

– اظنك تعرفين انه وضع كل ثروته فى الصفقة الاخيرة . ولكى يكسب هذه الصفقة لابد ان اوقع



انا على العقد .. أتعرفين كم يربح من وراء هذه العملية .. ؟

وتنكس رأسها وتتنهد :

ـ وكيف أعرف .؟ لم يعد يخبرني بشيء !

ويقدم لها سيجارة فتتردد أصابعها ، وتقترب يده أكثر :

ـ دخنيها ، لكى تهدأ اعصابك ...

وتمتد الاظافر المطلية بعناية وتسحب سيجارة من العلبة . وتمتص الشفاه المطوطة نفسا عميقا . ويضع سيجارته ويسعل بين كفيه . ويخرج الصوت من حلقه مختنقا بالدخان :

ـ كنت مترددا فى التوقيع على العقد لانه لم يعطنى النصيب المجزى . أما الآن ـ ومن اجل خاطرك ـ فلن أوقع له العقد ، وبذلك يفقد كل شيء . ما رأيك . ؟

ويظل يتطلع اليها بينما يده تقترب وتلامس وتربت ، وتبتسم بوجه متورد وعينين مسبلتين ، وتتهدل اطراف شعرها على ذراعه وهى تهمس قريبا من اذنه :

ـ وماذا استفيد انا ان خسر كل امواله . ؟

ويتراجع قليلا الى الخلف وهو يحاول ان ينظر اليها :

ـ اتريدينه يكسب ؟

ـ انه سيطلقنى على كل الاحوال . فكيف اذن يمكننى الحصول على نفقة معقولة ان لم يكن يمتلك شيئا . . ؟

وتتدلى ملامح وجهه وهو ينفخ الدخان الى اسفل :

ـ اأوقع له العقد ؟ اتريدين ان ارضخ له اخيرا وانسحب منهزما بعد ان فعل المستحيل لكى يثنينى من موقفى ؟ أهذا كلام ؟!

ـ ما دمت لن تخسر شيئا ، فلماذا لا تفعل ذلك من اجل خاطرى . ؟

وتتمدد ملامحه وتتلون : ـ

ـ قلت لك انه لم يعطنى نصيبا مجزيا ، ثم ان العملية تحتاج لمزيد من الدراسة ..و..

ويتميع الصوت وينثال ناعما من بين شفتيها :

ـ ساعطيك انا كل ما تريد ، اقصد سيكون نصيبك عندى ، الا تثق بى .؟

ويتحامل على ركبتيه ويقف وهو يحملق فيها ويهز رأسه :

ـ ليس الموضوع سهلا كما تتصورين . لنفترض انه تراجع عن قرار الطلاق ، فكيف نتصرف معه ؟

ـ اؤكد لك انه سيفعلها .

ـ وان لم يفعلها نخسر كلانا ، اليس كذلك .؟ لا ، أنا لن اترك له هذه الصفقة أبدا ..

ـ دعنا نتكلم بصراحة ، أعرف أنه لا يخفى عنك شيئا من أسراره .. لابد انه اخبرك ..

ـ اخبرنى بماذا . ؟

ـ ان الاموال التى وضعها فى تلك الصفقة هى اموالى انا ...

ويجلس الى جوارها وهو يمعن النظر الى وجهها :

ـ اموالك انت . ؟ وتعطينها له لكى يتصرف فيها كيفما يشاء ؟!

وتبلل الدموع عينيها :

ـ وكيف كنت أقاوم الحاحه المستمر وثوراته المجنونة .؟ لم اجد بدا من الرضوخ ، صدقته ، قال انه سيعيد كل النقود بعد ايام ... آه ، ليتنى لم افعل . ضاعت النقود ، فقدت كل شيء !

وتسعى يده ناحيتها :

ـ لا تبكي ، الاجدى أن نفكر فى الامر جيدا ...

ويترجرج صدرها وهو يتخاطف الشهقات ويخرجها صوتا متشنجا :

ـ ومتى نفكر .؟ ألا يزال هناك وقت للتفكير ؟

ويتنهد ، وتتمسح نظراته بها :

ـ لابد أن نجد الحل ، تستردين أنت نقودك .. و .. أحصل انا على ما يرضينى .

وتحرك رجليها فيرتفع طرف ثوبها قليلا من ركبتيها :

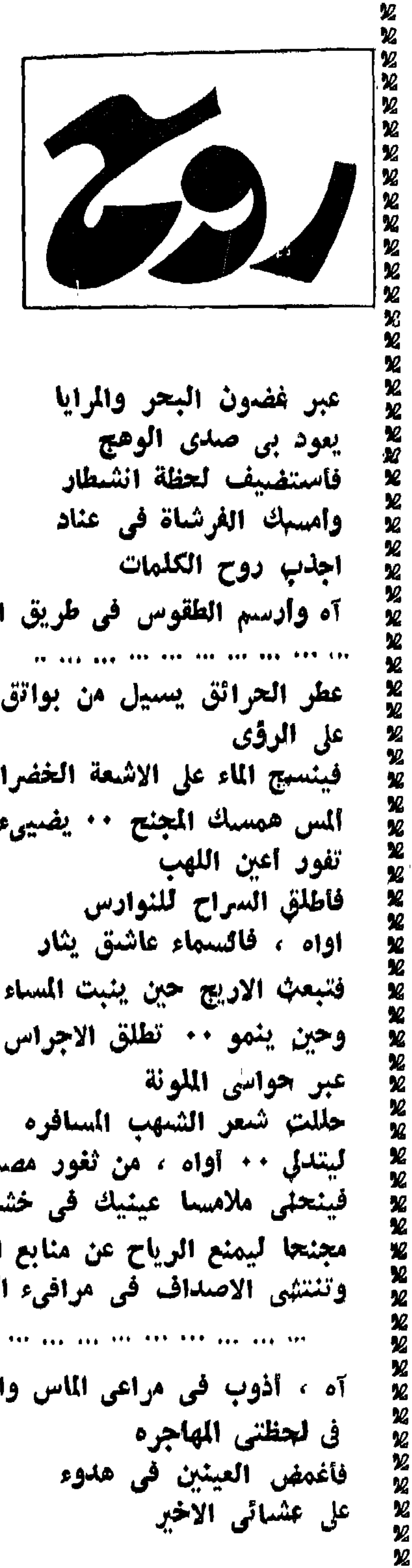
ـ ألم أقل لك انى مستعدة لاى حل تراه ..

وتضطرب الكنبة أسفله :

ـ غدا ، الا يمكننى ان اصعد اليكم .؟ اقصد .. أصعد اليك لنفكر معا وننهى الموضوع ...

وتمسك بيده وتضغط عليها وهى تهمس :

— بعد الثامنة ساكون فى انتظارك ، يمكنك ان تصعد لكى نفكر ، لاتنس أن تحضر العقد معك!
ويقترب صوت من الباب المروب ، وتبتعد قليلا وتضع الوسادة بينهما ، ويتراجع بظهره الى الخلف ، ويتنحنح بصوت خشن ويهمس :
— لقد عادت ، ليكن موضوع العقد سرا فيما بيننا
ويتجرجر صوت قدميها وهما تحتكان بالارض، وتضع الصينية وهى منكسة الراس :
— لا تؤاخذينى يا ابنتى ، لقد انشغلت عنك ببعض الاعمال
وتقدم لها فنجان القهوة وهى تتطلع الى وجهها ، وتشهق وتتراجع وتضرب صدرها بيديها:
— اكنت تبكين يا ابنتى ؟ ماذا حدث ؟!
وتنهنه ويهتز الفنجان بين يديها . ويقول بصوت خشن وهو يلوح بيده :
— زوجها يفترى عليها ، رجال آخر زمن !
وتجلس الى جوارها وتحاول أن تضمها بذراعها وهى تجذب طرف ثوبها الى أسفل :
— ومن مثل الاستاذ لبيب ! هيا جففى دموعك واشربى قهوتك . كل عقدة ولها حلال يا ابنتى . أنتم هكذا يا نساء اليوم ، تثرن وتبكين من ابسط المشاكل !
ويمتص رشفة خشنة من فنجانه :
— اهذه رجولة ؟ يشتمها ويضربها ويأخذ نقودها !!
وتنظر اليه زوجه وتبتسم ، وينكس رأسه ويبحث عن شىء بجواره .
وتهمس فى اذنها :
— صدقينى يا ابنتى ، كل الرجال هكذا ، ولكن علينا ان ندبر امور بيوتنا ...
وتربت صدرها وهى تحاول ضم الشق المنفرج بين الثديين :
— ثوب جميل ، لم اره من قبل ، للسهرة، اليس كذلك ؟.
وتحرك قدميها فينكمش الثوب أسفل البطن وينزلق طرفه أعلى الركبتين :
— ولكنه ضيق قليلا ، ساعيده الى الترزى لكى يصلحه .
وتخفى فمها بطرف طرحتها البيضاء ،وتقول وهى تختلس النظرات الى وجه زوجها :
— أيامنا ، لم تكن نرتدى مثل هذه الاثواب. كان الرجال غير الرجال والنساء غير النساء .
ويمد يده بالفنجان فتسرع اليه وتأخذه، وتضع الطبق عليه وتهزه وتقلبه .
— وانت ، ألا تحبين أن اقرأ فنجانك ؟.
وتضع فنجانها وتهم بالوقوف :
— ليس اليوم ... اريد ان اذهب ، لابد ان الاستاذ عاد ، وقد يحتاج شيئا ..
وتمسكها من يدها وتقول وهى تضحك :
— لنر اذن ماذا فى فنجان عمك كامل ؟.
وينفرج فمها قليلا وهى تمعن النظر داخل الفنجان وتديره بين أصابعها . ويتألق وجهها المستدير وتنبسط ملامحه وينساب الصوت من بين شفتيها ناعما :
— فارس ولا كل الفرسان ، على حصان ابيض وبيده سيف براق ، يضرب الشياطين من شماله ، ويضرب الافاعى عن يمينه . وهنا تطل عليه بوجه كالقمر ، ولكنه لا ينتظر . وتبتسم بفم كالشهد ، ولكنه لا ينتظر. فتنادى وتتوسل وتبكى ، وهنا يترك الفارس الشهم حصانه الابيض وسيفه البراق ويمشى اليها . آه ،هنا تخفى ذيلها الطويل الناعم خلف ظهرها . وهناك شيطان فوق الشجرة ،يضحك ويلوح بشىء مثل الورقة ، او مثل المنديل ، لا بل بورقة .وهذا، ما هذا .؟ ما كل هذا .؟ فنجانك مملوء الليلة يا كامل ، وسيكون اجرى مضاعفا !..
وتضحك ، وتدفعها بكوعها وهى تقرب الفنجان من عينيها :
— انظرى ، الا يشبه وجه الفارس وجه عمك كامل ؟.
وتحاول ان تبتسم وهى تتململ ، وتتعثر الكلمات بين شفتيها :
— اين .؟ آه .. انت تعرفين اننى ، اقصد لا افهم فى الفنجان
وتمد يدها بالفنجان :
— اتريد ان تراه يا كامل ؟.
— ارى ماذا ، الفارس يشبهنى انا ؟
وتميل برأسها فينكسر الضوء عن حياء يتوارى خلف الطرحة البيضاء :
— ومن غيرك فى شهامة الفرسان ؟
وتقف ، وتحتار نظرتها بينهما وهى تحاول ان تبتسم :
— انصرف انا اذن ...
ويتحرك... وتتمهل عند الباب وتقول بصوت متميع :
— لا تتأخروا ... نراكم قريبا ..اليس كذلك؟
ويعود الى مكانه ويتطلع الى الفنجان . يلتفت ناحية الباب ويمد يده يقرب الفنجان من عينيه ويظل يديره بين أصابعه ويحملق فى داخله.
— أرأيت الفارس ؟.
وتقترب وتجلس الى جواره وهى تضحك ، وتأخذ الفنجان من يده وتنظر ، ويسند رأسه الى الوسادة ويقول :
— نساء آخر زمن ، تدخن ، وتلبس الضيق ، وتشكو زوجها لكل الناس !..
وتتحسس أصابعها عروق رأسه النابضة ، ويتردد همسها دافئا :
— وهنا يقترب الفارس ويأخذ وجهها بين يديه.
— أقول ما رأيك فيما قالته .
— وهنا يرى الفارس ذيلها الطويل يتلوى بين قدميه !.
ويضع يده على يدها ..
— دعى الفنجان الآن ... أقول هل نتدخل للاصلاح بينهما ؟. ان العقد الذى كلمتك عنه ، أقصد ما رأيك فيما لو ...؟
وتقاطعه وهى تداعب عرقا نافرا خلف اذنه:
— وهل أفهم أنا مثل هذه الامور ؟. زين الرجال دائما يفكر ويدبر ، وكل ما يفعل عين الصواب ...
ويتثاءب فتمتص أجفانه الحمراء حبات الدموع:
— هيا لكى تستريح ، كان يومك مرهقا . وغدا ...
وتدير أصبعها بداخل الفنجان . وتظل تنظف جدرانه من كل ما علق بها .

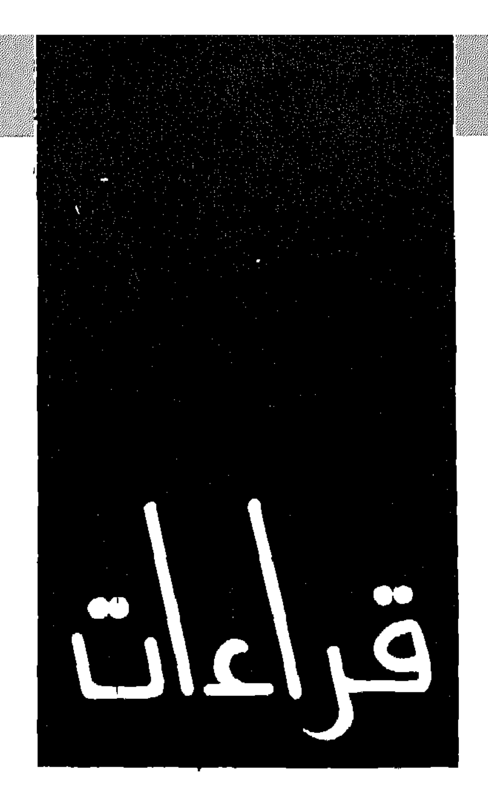


روح الكلمات

● عبد الشافى داود ●

عبر غضون البحر والمرايا
يعود بى صدى الوهج
فاستضيف لحظة انشطار
وامسك الفرشاة فى عناد
اجذب روح الكلمات
آه وارسم الطقوس فى طريق العاصفه
... ...
عطر الحرائق يسيل من بواتق التذكر
على الرؤى
فينسج الماء على الاشعة الخضراء
الس همسك المجنح ·· يضيىء موقد السحب
تفور أعين اللهب
فاطلق السراح للنوارس
اواه ، فالسماء عاشق يثار
فتبعث الاريج حين ينبت المساء
وحين ينمو ·· تطلق الاجراس من معابد النجوم
عبر حواسى الملونة
حللت شعر الشهب المسافره
ليتدلى ·· آواه ، من ثغور مصفاة المطر
فينحلى ملامسا عينيك فى خشوع
مجنحا ليمنع الرياح عن منابع الخدر
وتنتشى الاصداف فى مرافىء الغيوم
... ...
آه ، أذوب فى مراعى الماس والياقوت
فى لحظتى المهاجره
فأغمض العينين فى هدوء
على عشائى الاخير





● مصطفى الشهابى ●

● ابن الخيرتين ●

كان ليزدجرد ، عاهل الفرس يوم فتحهـا العرب ، ثلاث بنـات ، هن أجمـل من فى فارس، اذ كن أشبه بزهور الربيع النضرات . ولقد أسرن فى الحرب . وعندئذ سأل عمر بن الخطاب عمـا ينبغى أن يفعل بالنسبة لهن ، فأشار سـيدنا على بن أبى طالب بأن يقوم من ويأخذهن من يدفع قيمتهن .

وحصل عبـد الله بن عمر على احداهن فأولدهـا سـالما ، وحظى بالثانية محمد بن أبى بكر فأولدهـا القاسم ، أما الثالثة فكانت من نصيب الحسين بن على الذى انجب منها عليا زين العابدين ، فكلهم بنو خالة .

وكان يقال لزين العـابدين ((ابن الخيرتين)) وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، فيما يروى : ((لله من عباده خيرتان : فخيرته من العرب قريش ومن العجـم فارس .)) وزين العابدين قرشى الأب فارسي الام.

وقد نشأ زين العـابدين متشبعـا بروحانية جده صلى الله عليه وسلم ، وبتقوى أبيه رضى الله عنه ، وبسمـو نفسية والدته سليلة الملوك وربيبـة الاكاسرة .

● اخلعانا وغرية ؟ ! ●

كان عقبة بن عامر الجهنى أحـد الصحابة ، وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص وولى حكمها سنة ٤٤هـ فى عهد معاوية ، وفى عام ٤٧ هـ رأى معـاوية أن يولى مسلمة بن مخلد مكانه ، فأمره أن يكتم ذلك عن عقبة .

ولما قدم مسلمـة مصر ، لم يعلم بامرته احدا ، ثم خرج مع عقبـة الى الاسكندرية حيث سلمه كتابا يأمره فيه بالتوجه الى رودس لغزوها ، ولما غادر عقبة مصر استوى مسلمة على سرير امرته ، وبلغ ذلك عقبـة ، فقـال : ((أخلعانا وغربة !؟))

● اقدم ناطحة سـحاب عرفهـا التـاريخ ●

هو صرح غمـدان الذى كان قصرا وحصنا، وهو يقوم على صخرة واحدة بالقرب من صنعاء ، وكان يسكنه الملوك الائمة قبل الثورة سنه ١٩٦٢ وهـو يعود الى « اليشرح » أحد ملوك سبأ فى القرن الاول الميلادى ، وقـد بنى بالحجارة الضخمة الملونة والرخـام الفاخر ، وكان يتكون من عشرين طبقة، ارتفاع كل منها عشرون ذراعا ، ومن ثم كان اقدم ناطحة سحاب نعرفهـا .

● لباقة ! ●

عرف عن المنصور بن أبى عامر الاندلسى أنه كان اذا قصد حربا عقد لواءه بجامع قرطبة ، ولم يسر الى تلك الحرب الا من الجامع . وحدث انه توجه الى الجامع لعقد اللواء حيث كان في انتظاره القضاة والعلماء ورجالات الدولة .

وعندما رفع اللواء حامله ، اصطدم باحدى ثريات الجامع فانكسرت على اللواء وسال عليه الزيت فتطير الحاضرون من ذلك واكتأب المنصور ، ولكن احد الحاضرين قال: ((ابشر يا أمير المؤمنين بحرب هينة وغنيمة كبيرة فقد بلغت اعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة !))

فهدأت نفس المنصور واستبشر ، وقد كانت تلك الحرب فعلا من ابرك حروبه ..

● عن طهارة دم البراغيث ! ●

كان الحوثرة بن سهيل واليا على مصر فى عهد الامويين ، وكان طاغية وسفاكا للدماء ، وجرت عادته على المبادرة بزيارة قاضي مصر يومئذ يزيد ابن أبى حبيب كاما علم بتوعكه ، وهناك ينسى طغيانه فى حضرته ولا يشغله الا أن يستفتي عن المسائل الدينية .

وحدث ذات مرة أن سأله رأيه عن صحة الصلاة فى الثوب وفيه دم البراغيث . فاشاح عنه القاضي وسكت عن الجواب . ولكن الطاغية الح فى استفساره فما كان من القاضي الشجاع الا أن صفعه بهذه الاجابة القاسية : « تقتل كل يوم الفا .. وتسألني عن دم البراغيث !! »

● الرشيد يرثى جاريته ●

كانت هيلانة « بفتح الهاء وتسكين الياء » جارية ليحيى بن خالد البرمكي وكانت رائعة الجمال ظاهرة الكمال فأهداها لهارون الرشيد فحظيت عنده وأقامت معه ثلاث سنين ثم ماتت فحزن عليها حزنا شديدا ، حتى امتنع عن الاكل والشرب أياما ، وقال يرثيها :

قد قلت لما ضمنوك الثرى
وجالت الحسرة فى صدرى
اذهب فلا والله ما سرني
بعدك شيء آخر الدهر

ورثاها العباس بن الأحنف بأربعين بيتا فامر له الرشيد بأربعين الف درهم لكل بيت ألف درهم .

وقيل انها سميت بهذا الاسم لانها كانت تكثر من قول : « هى الآن » اذا استعجلت أحدا فى شيء تأمره به

● حمالة الحطب ! ●

هى جميلة بنت حرب أخت ابى سفيان وعمة معاوية وامرأة ابى لهب المذكورة فى سورة « المسد » .

وكانت تمشى بالنمائم الى قريش وتكذب على النبى صلى الله عليه وسلم لتحرض ضده ، ولما عرفت بذلك واشتهرت ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم بهذا اللقب الشنيع اظهارا لما ارتكبت من الصنع الفظيع

وقالوا للنميمة حطبا لان العداوة بها تهيج وتوقد النار بالحطب . ويقال حطب فلان بصاحبه اذ دس له ، وفلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به .

ابو بكر ورقم ٢ :

١ ــ كان ابو بكر ثانى اثنين فى الاسلام .

٢ ــ وكان ثانى اثنين فى غار الهجرة .

٣ ــ وكان ثانى اثنين فى الظلة التى أوى اليها النبى يوم بدر .

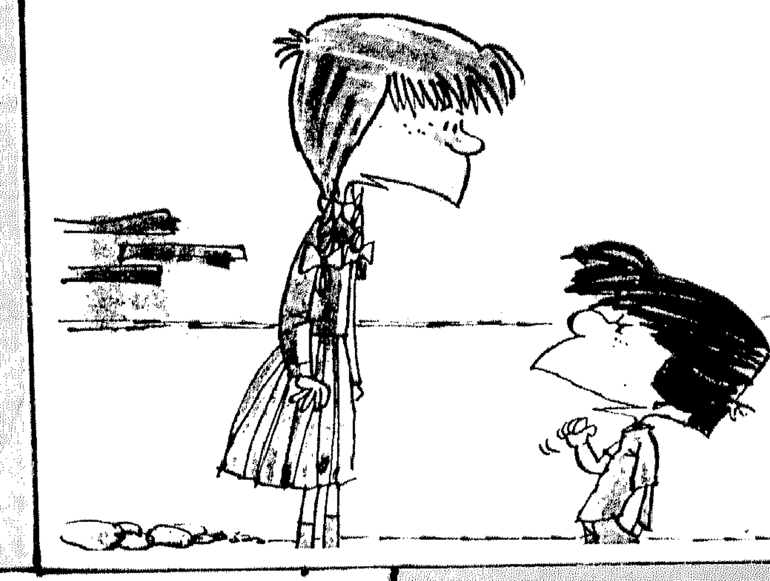
٤ ــ وكان ثانى اثنين فى كل غزوات النبى .

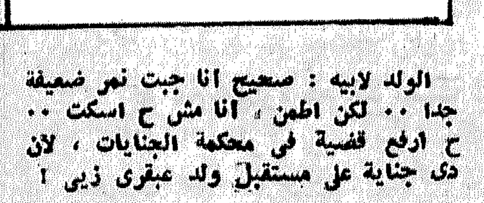
٥ ــ وكان ثانى اثنين توليا شئون المسلمين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

كاريكاتير ..

جيل جديد جدا!

الولد لصديقته : عارفة طبعا انك اكبر منى بسنة ! .. وعارفة ان الموضة السنة دى الستات الكبار يحبوا الشبان الصغار ! .. يبقى لازم تعرفى كمان انى ما بحبش الموضة السنة دى !!



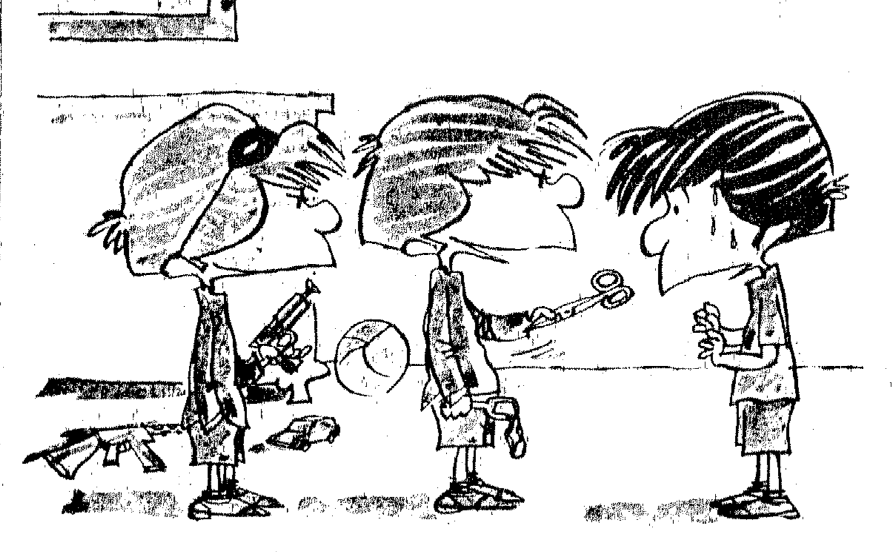


الولد لابيه : صحيح انا جبت نمر ضعيفة جدا .. لكن اطمن ، انا مش ح اسكت .. ح ارفع قضية فى محكمة الجنايات ، لان دى جناية عل مستقبل ولد عبقرى زيى !



الولد لامه : صحيح بابا بقى له ٤٠ سنة ياكل من ايدك الاكل ده .. يعنى خلاص اتعود واتاقلم .. لكن انا بقى ذنبى ايه ؟!

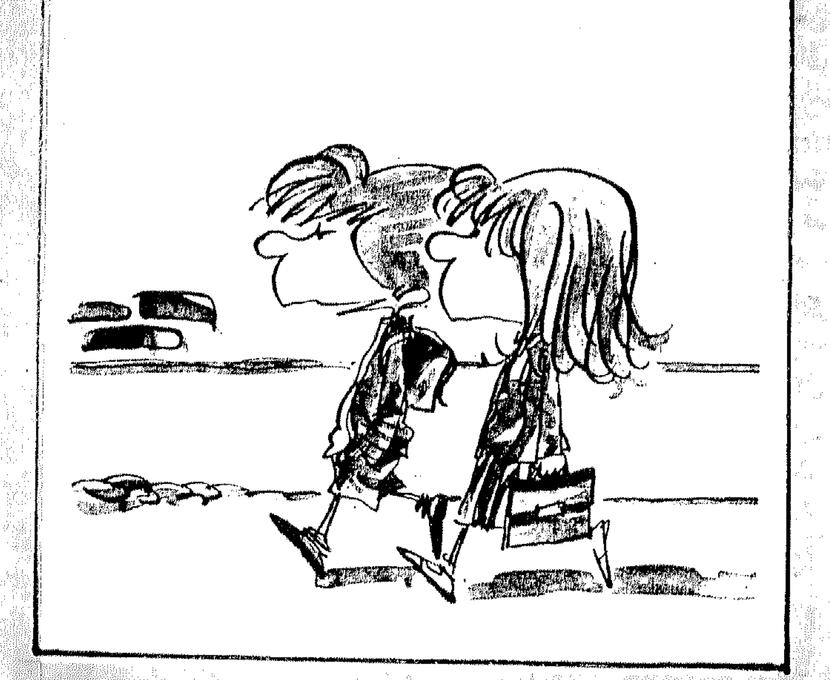




الولد لزميله : لاياعم ٠٠ انت انسان سلبى ! ٠٠ احنا ح نلعب عسكر وحرامية٠٠٠ وانت والحمد للهلاتنفع عسكرىولاتنفع حرامى !



الولد لصـديقته : ابويا وامى اتجوزوا على حب ، وكانت النتيجة كارثة ! ٠٠ انا بقى لازم اسـتفيد من التجربة دى وادور على واحدة مش باحبها علشان اتجوزها !!



الولد لابيه : مسائل الحسـاب عندنا السنة دى عجب ! ٠٠ قال ايه تاجر اشترى ٥٠ بيضة بعشرين قرشـا ! ٠٠ وواحد تانى باع ٥ كيلو سمك بسـعر الكيلو ١١ قرشا ! ٠٠ يعنى ٠٠٠هم بيعلمونا واللابيضحكوا علينا ؟!

رينوار والمرأة الجميلة

• د. نعيم عطية •

– ١ –

● رجل خجول صغير القد . شفته السفلى تبرز الى الامام ، فتكسو وجهه جهامة يزيد منها شارب خشن ولحية شعثاء . خدان ضامران وقسمات تنم عن عجوز متعب فى الثامنة والسبعين من عمره ... ولكن فى هذا الوجه المهدم ما زالت تلمع عينان واسعتان وضاءتان ، كأنما تتأججان بنار ينعكس وهجها على تجاعيد الجلد الشاحب من حولهما ... عينان لن يهدأ لهما قرار ، حتى عندما يحين عن قريب للموت وقت ... عينان تحومان بالاماكن الحبيبة طويلا بعد ان يستقر الجسد فى التراب !

جلس العجوز فى كرسى ذى عجلات . وقد تغضن جسده كله مثل بردية قديمة . معذب بآلام الروماتيزم ... الجراحة تلو الجراحة أجريت على قدميه وساقيه وذراعيه ... يداه ملتويتان متقلصتان ناحلتان مثل جذور لفاء لشجرة « سرو » دب فيها الموت .. وأصابعه مشوهة عاجزة . وحول الكفين لفت ضمادات من الكتان حتى تمنع الاظافر النامية من أن تنغرس فى اللحم .

وبين ابهام اليد اليمنى وسبابتها استقرت فرشاة الالوان ، راح العجوز يحركها بألم على قماش اللوحة أمامه . بضع لمسات ، ثم كى يتفادى مشقة تناول فرشاة أخرى نظيفة يغمس تلك التى كان يستخدمها فى زجاجة من زيت النفط .. حركة اليد آلية هامدة شبحية . تدفعها العين الى العمل ، وتمدها بقوة من عندها .

بهذه العين ، كان رينوار طوال حياته يرسم ، وقد اتسمت نظرته بالصفاء الذى يتحلى به طفل . لا يرد على تعبيره عن سعادته الغامرة قيد . وكما يطلق الطفل ضحكاته من روح تفيض بالفرح والبهجة ، كان رينوار يصور لوحاته . كان فنه يشبه فى تلقائيته تكون ندفة ثلج ، أو نماء زهرة حقل ، أو أغرودة عصفور !

ولد أوجست رينوار فى الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٤١ فى ليموج القريبة من بواتييه ، وفى الرابعة من عمره رحل الى باريس مع أبيه الذى كان يعمل حائكا للثياب ... وازاء فقر والديه اضطر للعمل فى ورشة للخزف ، على أن رينوار ما لبث أن وجد نفسه مفصولا من عمله كمزخرف لاوان خزفية ، وذلك عندما اقبل الجمهور على منتجات الالة . فانصرف رينوار يكسب عيشه فى مجال آخر ، اخذ يرسم تصاوير رشيقة على مراوح السيدات وعلى الستائر ، وعلى أسقف المطاعم الشعبية .

ثم ترك رينوار كل هذا ، والتحق بمرسم مصور أكاديمى ليتعلم كيف يصور



كان رينوار يصور لوحاته بصفاء من روح الطفولة البريئة ..

لوحات حقيقية . وكان رينوار يجمع أنابيب الالوان التى يلقى بها رفاقه الاثرياء جانبا ، ويستخدم ما بقى فيها ليرسم دروسه .

ـ ٢ ـ

فى أوائل ١٨٦٤ اغلق المرسم لان صاحبه دب المرض الى عينيه . فلجأ رينوار ورفاقه الى غابة فونتينبلو . لاذوا بالطبيعة واعلنوا انها استاذهم الاوحد . مع مشرق الشمس يخرجون الى الغابة . يتفرقون بين شعابها وانحائها . ويصورون الطبيعة مباشرة وصراحة .

ذات مساء عرض رينوار على صديقه ألفريد سيسلى لوحة صورها فى الصباح صرخ فيه سيسلى قائلا « كيف تسول لك نفسك آن تصور هكذا ؟ كيف تصور شجرة زرقاء وحقولا بنفسجية ؟ » .

فأجابه رينوار مستدركا : « بدت لى الطبيعة هكذا هذا الصباح .. او ان شئت قل ان هذه الوضاءة هنا فى صدرى ! .. ان الفن يا صاحبى ، طلاقة ، لا يمكن الا أن يكون كذلك . لا شىء قاطعا ونهائيا ، كل ما نراه نسبى ... وهل هناك ما هو اكثر نسبية من اللون يا سيسلى ؟ » .

فقال له سيسلى « لكننا قد آلينا ان نكون قدر الامكان موضوعيين يارينوار !! »

واجابه رينوار موضحا : « الشجرة ذاتها تتغير الوانها تبعا لتغير الاضاءة فى كل لحظة من لحظات النهار . الشجرة فى الفجر ، ليست هى الشجرة فى الظهيرة ، وليست هى مرة اخرى الشجرة فى الاصيل .. وهذه الالوان التى تراها فى لوحتى ، يجب الا تدهشك . وايضا يجب الا تعطيك انطباعا بعدم الصدق . بل على العكس ، فانا عاشق للطبيعة . لكننى **ايضا أعشقها على طريقتى ! »**.



« لتكن لوحاتى للنـــاس جميعـــا الآمل ، والابتسامة ، وزهرة العمر » ــ رينوار

وسأله صـــديقه « وما هى طريقتك يا رينوار ؟ » .

فأجاب : « ان اعشقها بحرية . الفن عبادة ، يا صديقى ، وليس استعبادا ! »

ــ ٣ ــ

كان رينوار دائب الضحك من أعماق القلب . ويخفى على الـدوام متـــاعبه وفاقته . انه لا يحب الشكوى وينفر من الشكائين. انه ليس من اولئك الذين يعتبرون اختيارهم للتصوير استشهادا، ويطالبون الناس بأن تنحنى لهم اكبارا .. انه لا يعتبر أحدا مدينا له بشىء . وليس من ناحيته ، رغم فقره وصعوبة موقفه ، بحاجة الى العون من أحد ..

يقول رينوار « ما فى القلب يجب ان يظل فى القلب ، ولا شأن للغير بما يدور

فى القلب ••• لم يكن احد يشترى عملا من اعمالى • وكان الفقر يحاصرني ، وذات مرة طلبت منى ادارة احد المطاعم أن أصور لها لوحة كبيرة لتعلق فى قاعة المطعم • وبعد أن انجزتها ذهبت لتسليمها وقبض الثمن ممنيا نفسي بعشاء طيب بعد عدة أيام من التقشف الاجبارى • وعندما وصلت وجدت ان المطعم قد اغلق أبوابه واشهر افلاسه ، فعدت من حيث أتيت بلوحتى ! »

ويمضي رينوار قائلا : « اننى أرفض كل التعاسة التى فى هذه الحياة • أنا الفنان الفقير الذى لا أملك فى غرفتى شيئا على الاطلاق • أرفض الفقر • وأريد للعالم أن يكون فى ثراء لوحاتى ، فى بهائها • فى غنائيتها ، فى ألوانها ، فى نعومتها • فليستمتع العالم فليذق وليرشف الجمال والمتعة • وليسقط الفقر والذل • وليفرح الانسان • فعلى الارض السلام وبالناس المسرة • هذه هى أعمق الحكم ، وهذه هى فلسفتى •• اذا كنت فقيرا ، لا أبيت الا عند رفاقى من الفنانين • وأجلب من صديقى مونيه كسرة خبز جاف لعشائى ، ولتكن لوحاتى •• للناس جميعا ، الامل • التنهيدة • الحلم • الابتسامة • الشوق • وأيضا فرحة الحياة • وزهرة العمر •••

« أحب الوجنات الوردية • والشفاه الندية ، أحب الطفل النضر ، أحب المرأة الفاتنة ، وأحبها أكثر عندما تتزين بالثياب • والقبعات «الدانتيلا» والاحذية المخملية والقفازات الحريرية والاقراط والقلائد • لن ارسم لوحاتى فقرا • ولا جوعا • ولا مرضا • لاننى أعرف الفقر والجوع • وأحس بالاوجاع فى مفاصلى وعظامى أيضا • قد لا تكون لهذه المتع التى أودعها لوحاتى قيمة ذات بال بالنسبة لمن يعيشها فعلا ، وشبع منها • ولكن بالنسبة لمن كان محروما مثلى فهى تعنى الكثير •

« عندما تحب فتاة مثل ليزا، تمثلت فيها الطبيعة بكل نضارتها ونعومتها وثمرها ودفئها واريجها ، ثم لا تستطيع ان تتقدم اليها الا بيدين خاويتين وقلب يتحرق شوقا للوفاء وعجزا عن تحقيقه • ثم ياتى فى النهاية غيرك ليظفر بها زوجة له ، لانه أقدر منك على نفقات زوجة واطفال ـ عندئذ تستطيع ان تتبين لماذا تاتى لوحاتى بهذا الجمال ! •• ومن هى ليزا ؟ انها فتاة من عامة الشعب • عاملة لدى حائكة ثياب ، او بائعة فى محل للزهور ، أو عارضة فى متجر •• انها رمز لكل فتاة احلام لا يقدر فتاها ان يقدم لها شيئا !

« اتذكرون قصة صديقنا موباسان « هدية عيد الزواج » ؟ الزوج باع ساعته كي يشترى لزوجته الحبيبة مشطا تمشط به ثروتها الوحيدة من الشعر الغزير •• والزوجة قصت شعرها وباعته الى أحد الحلاقين لتشترى لزوجها الحبيب فى عيد زواجهما سلسلة لساعته الثمينة التى لا يملك اغلى منها •• هذه هى ليزا •• وهذا هو انا » •

تنهد رينوار ثم استطرد يقول «تزوجت ليزا مهندسا معماريا صديقا لزوج أختها• ماذا كان بوسعى أن أفعل ؟ وماذا كان بوسعهاأن تفعل؟ بمناسبة قرانها صورتها فى لوحة أهديتها لها • انها صورة الوداع ولهذا فقد انسكبت فيها رغما عنى قطرات حزن من روحى • ولكننى وطدت عزمى منذ صباى المبكر أن أقبل الحياة كما هى • بسرائها وضرائها • بكل ألاعيبها ، وأن أمضى بلا ضغينة بلا حقد ، بلا حسرة على ما لم تنلنىالحياة اياه ••وكل يوم التقط بصيصا من الحقيقة : الانسان علىالمسرح، ويد المخرج خلفالكواليس تحرك الرواية •• ولهذا فان الاحزان عندى لا تدوم •• ومتاعبى لا تعكر نظرتى العذرية الى الحياة •• اتعرفون ماذا انتظر منالغد؟ باقة ورد •• من يدرى ؟! لم تكن ليزا من نصيبى• لكن حبى لها لم يذهب هباء • ذات يوم رسمت الصبية تمسك بمظلة • ترتدى قفازا ، وثوبا قطنيا أبيض ، وقبعة رشيقة ••• عينان سوداوان ، بحيرتان لامعتان، استقرتا دافئتين فى بشرة بيضاء مثل الثلج • تقف ليزا فى لوحتى وسط غابة• استقرت الصبية فى مكانها ساكنة كما لو كانت تتحدى قدرا ، تصد يدا خفية تريد أن تزحزحها عن لحظة الحاضر المصفاة من

الهموم وتدفعهـــا الى قلـق المستقبل وهواجسه » ..

وأردف رينوار مؤكدا :« أتعرفون؟ انني مثل الممثل الهزلي . عليـــه أن يؤدي دوره ويضحك الجمهور في ذات الليلة التي يموت فيها أعز الناس اليه. انه يجب أن يلقي بحزنه وراء ظهره ، وأن يقدم فنه » .

— ٤ —

النجاح شيء غريب . يأتي في اللحظة التي لا تتوقعها . وينتشلك من وهاد اليأس التي ترديت فيها . ها هي مجلة الحياة العصرية تخصص لرينوار وأعماله دراسة مستفيضة . بعد أن كان مجـرد ذكر اسمه وصمة للصحيفة التي تذكره بالخير . انتهت أيام الحاجة والحرمان، فمع النجاح جاء الرخاء وراجت الاعمال وصار الصالون يقبل أعمـاله بانتظام . وأقام لهديران رويل عدة معارض موفقة. نالت نجاحا ساحقا في مايو ١٨٩٢ على الاخـص . واشترت الدولة الفرنسية لوحته « فتيات يعزفن على البيان » لعرضها في متحف اللوكسمبورج ، ومنذ عام ١٨٩٣ صار تاجر اللوحات امبرواز فوبار صديقا له ومن اكبر المروجين لاعماله .

وفي عام ١٩٠٠ منحته الدولة وسام اللبجيون دونير . وفي عام ١٩٠٤ خصص صالون الخريف قاعة كاملة لاعماله . وفي عام ١٩١٣ عرضت واحدة وأربعون لوحة من اعماله في معرض تانهاوزر ببرلين . وفي فبراير ١٩١٤ عـرض ديران رويل اعماله بقاعته الجديدة بنيويورك . بل وفي ذلك العام أيضا وجدت لوحة مـن لوحاته طريقها الى اللوفر. وعاد ديران رويل يعرض اعماله بنجاح في نيويورك عام ١٩١٧ ثم عام ١٩١٩ . ماذا يريد المرء من نجاح وماذا يطمح اليه مـن تقدير أكثر من هذا ؟.

— ٥ —

تقول زوجة رينوار عنه « انه متعب . يشقيه طموحه الى مثل اعلى يسعى اليه بداب واصرار ومثابرة .. وفي كثير من الامسيات يأتي الى البيت ثائرا مكدودا، ان لقاءاته برفاقه الانطباعيين في مفاهيمهم أصبحت تسبب له عناء. فقد بدأت تظهر فردية كـل منهـم . وتختلف آراؤهم ومشاربهم . ويتبادلون الاتهامات والنقد الجارح . على الرغم من أن مصيرا واحدا يجمعهم جميعا. ديجا يقول لرينوار «ان نساءك البدينات المرفهات ينضحن كسلا ودعة .. انهن جميلات وكفى ، وانه لجمال اجوف. انظر الى فتيات «الباليه» عندي ستجد ان العالم الجميل الذى شيدته انا يخفي تحت طياته الشقاء الذى تكابده تلك الفتيات ليظهرن على المسرح مثل فراشات مضيئة كل ليلة. .نساؤك يارينوار تقترب كثيرا من نساء روبينز . ولكن مع الفـارق أن نســـاء روبينز أسطوريات ونساءك انت عصريات فقدن نكهة الازمان الخوالي » .

« ويأتي زوجي الى البيت مثبط الهمة غاضبا. فأسرى عنه. والاطفه ، وأعيد اليه ثقته بفنه .وقد رأيت ان الانسب له الابتعاد عن أوساط هذه المقاهي قليلا ، فزينت له أن نذهب لنحيا في الريف. فأنا قروية أصلا ، واقنعته ان السهر لا يعود عليه الا بالضرر، فصار يستيقظ في الصباح مبكرا . ويجلس الى لوحاته نشطا. وتبدو نساؤه المستحمات كما لو كن قد جئن الى لوحاته مـــع مشرق الانسانية ولهذا فان مستحمات رينوار مخلوقات من نوع آخر . انهن يفجرن ما في القلب الانســـاني من توق الى الصحة الموفورة والى الشباب السخي والى نضـارة لا يطولهـا الـذبول أو المرض .

« ولذلك امكن ان يكون عالم رينوار عالما يقف عند مفرق الطريق بين الواقع والمثال ، بين الموضوعية والخيال، ربما أيضا دون أن يتعمد . فهو يتعدى دون وعي منه اليومي العابر الى الابدي الذى لا يتطرق اليه الزوال . هـذا هو كنز الفقير رينوار ، الذى بدأت الاسقام تدب الى جسده سريعا وتخلف له الاوجاع» .

— ٦ —

كان رينوار من أشد النفوس صفاء، والى النهاية ظلت عيناه تبحثان عن الجمال



الطفولة الناضرة من احب الموضوعات التى يتالق فيها فن رينوار

حتى بعد ان أصاب الشلل يديه ورفضتا العمل . وفى سنواته الاخيرة كان يجلس فى كرسيه المتحرك ، معـذبا بآلام الروماتيزم ، ولكن الى قسمات وجهه تسللت ابتسامة مريحة غريبة. وتمتمت شفتاه المتهدمتان تقولان «حقا اننى انسان محظوظ اذ اجبر على البقاء فى مكان واحد .. الان ، استطيع الا افعل شيئا سوى أن أرسم » .

واظب رينوار على مهمته فى ابداع الجمال ، على الرغم من آلام بدنه، حتى آخر ايام حياته . وفى السابع عشر من ديسمبر ١٩١٩ نهض من فراش مرضه بعد ليلة ليلاء من السعال الحاد . ثم جلس الى قماش لوحاته ، واعد العدة كى يرسم ((اناء للزهر)). قال لمساعده: ((اعطنى قلما ، من فضـلك)) ذهب المساعد الى الحجرة المجـاورة ليجلب الاقلام . وعندما عاد كان اوجست رينوار قد مات .

قصة

في المرآة

● حسين عيد هادى ●

« بضاعتي لا تكسد ابدا .. من منا لا يرغب في الاعجاب بشخصه الذي تكشفه المرآة ؟ »

من اقوال بائع مرايا

الوقوف :

يصطف طابور طويل . يتشكل من نوعيات شتى . يتعرج امام مصعد المبنى الضخم . كل ينتظر دوره .. المصعدان الاخران معطلان . يمتد بجوار المصعد حائط جانبي . تغطي ربعه السفلى مرآة تمتد حتى مدخل العمارة ..

تلفت الانتباه سيدة ، بدقات حذائها ذي الكعب العالي . ينتشر عطرها الغالي كنسمة ، لكنها لا تنتظم في الصف . تقف قرب باب المصعد باستعلاء . يتحرك اكثر من شخص للامام . يسدون اى ثغرات قد توجد بينهم .. يهمس شخص يقف بقرب السيدة الجريئة : يا هانم .. يوجد طابور !.

لا تعيره السيدة اى التفات ، كانها لم تسمعه . يتحفز الرجل ازاء هذا التجاهل . يلف الواقفين تساؤل صامت: لماذا تتصرف هذه السيدة هكذا ؟ ... وهل ستكسر حاجز النظام ؟ ..

تلتفت فتاة ـ ربما لم تتجاوز السادسة عشرة نحو السيدة . يضايقها ان تقطع عناقها مع صورتها بالمرآة ... «بالنسبة لي ، يظهر العمر جليا على ترهل جسمها» تنظر للمرآة ، تتملى صورتها باعجاب ، تسوى شعرها . تبتسم .. « لم اكن اظن ان لي هذا الجسد الفائر . تكاد ساقاي تثوران لتمزقا البنطال الضيق ... »

تعدل ياقة «بلوزتها» : « هذا الصدر ... يسع المرآة يجتذب سحره كل عين ... » تنزلق عيناها على المرآة : « هذا القوام الرائع ، ويقولون فينوس ... الحمقى لم يرونى ! » تعود يدها تحتضن شعرها بدلال . لاتعير ماحولها ادنى اهتمام ، يكفيها صورتها ...

الاستعداد :

يهبط المصعد . يفتح بابه . يتوافد الخارجون منه . يضيق مدخله بالازدحام تتخطى السيدة الخارجين بسهولة . تحاول الاقتحام ، ان تكون اول الداخلين . يعترضها نفس الرجل بهدوء : « ياهانم في طابور ! .. » تستمر المرأة في حركتها الواثقة ، كانها لم تسمعه . او كانه شيء غير جدير بالاهتمام .. يقفز الرجل .. يحجب مدخل المصعد مانعا الدخول : ياعالم ، نظام !..

ينتهي خروج الهابطين . يعلو صراخ رجل في مؤخرة الطابور : تحركوا يا اخواني .. وراءنا مواعيد واعمال ..

يتدخل عامل المصعد : الدخول بالدور ...

ينفجر رجل المقدمة عندما يرى السيدة تحاول الركوب : نظامنا لايعجب الهانم !. كانها من عالم آخر !

تمنح الفتاة صورتها بالمرآة بسمة اعجاب .. « جسدى متميز وسط الزحام . له وجود خاص . اشعر بنظرات الواقف ورائي ـ المتلصصة ـ تاكلني .. » تمتد يدها . تسوى شعرها ثانية ..

يحسم عامل المصعد الموقف : قفي في دورك يامدام !.

تتحرك السيدة بتعال . تصل الى مؤخرة الطابور . لا تنتظم في الصف . بل تنتصب خارجة كان وقوفها في الصف شيء لايليق ..! وكان الاخرين مجرد رعايا مجهولي الاصل في مملكتها الوهمية!

التفاتة اعجاب اخيرة من الفتاة لصورتها بالمرآة .. بينما يمشي طابور الواقفين ببطء للامام كانهم يشيعون فقيدا ما في جناز حزين .

« المرآة كالحياة .. ماذا تنتظر منها ؟.. انها تعكس ـ بامانة ـ ماتقدمه لها !! »

من ماثورات سيدة عجوز

اسمك !

● نشات المصرى ●

اســمك ذاكرتى ، ميلاد الأحلام اذا كانت اوسوف تكون
اسمك متكئى أذكره ... يهجرنى اعيائى !
يرسم فى افقى سحبا تسقى بيدائى ...
اسمك فاتحة القصص المتعبة ، يحكى عرس القلب
ورد مشتعل يدفىء انفاسى فى الساحة الثلجية
اسمك سحر من غير هويه !

***

الليلة عدت وحيدا ...
طالعت سطور الحكماء :
يغســــل قلبك بعض بكاء
ففتحت خزائن ايامى اسال عن نهر دموعى .
فوجدت اسمك يستحلفنى
((لا تفقد صمت دموعك حتى لا تفقدنى)) .
واذا باسمك يفتح قلبى يمسح شيئا فيه وينفاق على ظلك
آه ... تتفرق احرفك سفينا وبحارا وقلاعا تاكل وجه الريح
لا تنزعجى . . .
فالعين بساط الريح لنرجع يا فاتنتى ونغنى :
((ما شــــاء الله علينا))
((الحب صـــدى قلبينا))

●●

قصـــة

ذراع تحت الرأس

● محمد كمال محمد ●

كان الوقت ضيقا وكنت أتململ فوق مقعد الحلاق ، لينتهي من تغيير الفوطة الصغيرة بأخرى أكبر حجما ! ..

في بطء كان يحـــاول فتح أحد الادراج .. وعندما استقرت الفوطة البيضاء المشوبة بصفرة في يده النحيلة ، بدأ ينفض عنهـــا الشعيرات اللاصقة بها ..

كانت نظرة عينيه تحيطني بحفاوة بالغة !

قبلا كان قد أمسك بفرشاة الذقن وراح يديرها في (المصبنة) ، وكتفه تهتز في ارتعاشة ... للتو قلت له اني ساحلق شعر راسي ، اما الذقن ففي البيت حلقتهـــا بيدي . لكنه بدا كان لم يسمع ! ..

كان كم معطفه الابيض ممزقا عند كوعه الذي يبرز من خلال المزق عاريا .

فجاة نظر بجانب عينه في وجهي بابتســـامة عجوز ، واوما معتذرا بحركة متكلفة ، بعد ان نزع الفوطة الصغيرة من حول عنقي ...

كان الدكان قديما معتما ، تنخفض أرضيته الرطبة عن مستوى طوار الشارع المزدحم ...كان خاليا وحده بين دكاكين الحلاقة الاخرى ، فدخلته مؤملا أن يسعفني لالحق موعد القطار ...

في صمت تناول الرجل المقص وفتح طرفيه في يده مرات .. التقط المشط ونفخ فيه نفختين... وقف خلفي وضرب بالمقص مرات في الهواء :

ـ مسافر حضرتك .. على ما يبدو ؟

كانت حقيبتي بالقرب من قدميه ...

غمغمت مجيبا ...

قال : الاسكندرية طبعا .. نحن في الصيف !

كان يجاملني .. فما كان ينم عن ذلك مظهري

قلت : المنصورة .

انبعثت أسفل قفاي قعقعة عربة قديمة ، والرجل يجر مسند المقعد ليخفضه خلف ظهري ...

ـ مدينة خفيفة الظل ! .

ثم بعد لحظة :

ـ زرتها في شبابي .. من أهلها حضرتك ؟ . شارع البحر هناك جميل !

انفرج فمه عن أسنان خضراء مبتسما :

ـ كنت أحب جارتنا ، وليلة خطبتها لاحدهم ، تركت الحارة هاربا من يأسي ! ..

كان صوته متهافتا مرتعشا ...

ـ ركبت القطار الذي صادفته بالمحطة ! .. كان بعضهم يتكلم عن المنصورة ... نزلت من عيني الدموع عنـــــدما تحرك القطار ... جاء الكمسارى فطلبت منه تذكرة للمنصـــورة ! .. معذرة ! .. هل أضايقك بكلامي ؟ !

كانت الماكينة ترتعش في يده ، تكاد لا تصل الى شعر قفاي .. وكنت أحس بضـــيق يمتزج بالاشفاق ...

دار الى جانبي وانحنى براسه قرب وجهي :

ـ تريدها تدريجة (بومبيه) ؟

ـ ماذا ؟

ـ فرنساوي .. اعني ؟

ـ كما تريد !

كانت زجاجات الكولونيا الفـــارغة مرصوصة امامي فوق سطح الادراج المستطيل ... وكانت الورقة الملصقة عليها سوداء تحمل قدم السنوات

جرت يد الرجل اليابسة في راسي بالمشط الذي اصفر لونه .. حدق في شعري متسائلا :

ـ تصبغه بيدك ؟ .. جميل ! .. كأنه لون طبيعي ... ما اسم هذه الصبغة ؟

ذكرت له اسمها فهز راسه راضيا :

ـ ساستعملها لزبائني !

كبحت ابتسامة آسية ..

رفع المقص عن قرص راسي ، واشار الى صورة ممثلة داخل اطار قديم ، معلق أعلى المرآة :

ـ تعرفها بالطبع ! .. كانت تدعوني الى بيتها لاحلق لاولادها الثلاثة .. كانت تعيش وحدها معهم بعد أن هجرها زوجها ..

هز رأسه وتنهد :

ـ كانت تشتري لي رطلين من الكبـــاب .. آخذهما معي لاولادي .. وكانت تعطيني جنيها كاملا ..



عاد يتنهد : جنيها فى تلك الايام !

كانت جرة المشط وسط راسى تقطع فى عناء مسافة طويلة كسفر ، من مقدمة الشعر حتى تصل الى نهايته ..

ـ كانت أجمل ممثلة ... أهدتنى صورتها ، وكنت أضعها فى البيت ... وجئت بها الى الدكان .. عندما تركت لابنتى الشقة لتتزوج ..

كانت عيناه تشعشعان بابتسامة عميقة كسنواته

ـ هل كانت تحبك ؟ !

حملق بدهشة : تحبنى ؟ !

انفجر يضحك .. اهتزت عظمتا كتفيه .. احسسته سيتهاوى ، بوهنه ، من خلفى ..

عدت اداعبه :

ـ ولم لا ؟ .. ليس فى الامر غرابة !

ـ انا ؟ ! .. تحبنى ؟ !

عاد يضحك بشدة ... غامت عيناه بالدموع التى انحدرت على وجنتيه المغضنتين .. قبضت يداه على كتفى ليمنع نفسه من السقوط ... بعد لحظة هز راسه كانما بدا له خاطر .. قال بصوت منخفض :

ـ كنت وسيما فى شبابى صحيح .. لكن مهنتى متواضعة !

قرب قدميه على البلاط القاتم ، كان موقد كحولى علاه الاخضرار بجانبه كوب فارغة فى قاعها تفل شاى جاف .. على حافة الكوب كانت تدور نملة ، تصعد وتهبط بغير تعب ..

ـ تعيش الآن وحيدا ؟

سكنت يداه عن الحركة فوق رأسى .. نظرت عيناه فى المرآة الى وجهى مستغربا ، كانما اكتشفت لغزا ...

عادت حركة يديه مع هزة رأسه :

ـ أين أجد من يعيش معى ، بعد أن ذهب الكل ...

شيئا فشيئا فارقنى الاحساس بوجودى كزبون بين يدى حلاق ... بدأ الامر يختلف ، وبالتدريج كان يتفاعل داخلى شعور بالود والتعاطف ... وكنت أكاد أقطع بأن انسانا غيرى لم تطأ قدمه الدكان لسنوات ... أحسستنى أقترب من الرجل ... وكنت أنظر فى المرآة لتطالعنى منه نظرة ود بمثل نظرتى التى تقابلنى ... كان سعيدا بوجودى ..

ـ عندما تنهكنى الوحدة ، اقفل الدكان وأروح الى ابنتى ساعة .. واعود الى بيتى ...

ظلت عينى عالقة فى المرآة بكتف معطفه وجانب وجهه ، تلتف حولى وحدته المضنية ..

على مقعد من القش فى ركن الدكان ، كانت لقمة تبقت من رغيف أسمر فوق ورقة مبقعة بالزيت ـ وفى جوارها قرص من الطعمية ، قضمته أسنان ، كهلال صغير ، وعود بصل أخضر ...

ثقلت يد الرجل فى مؤخرة رأسى ... استند بصدره على كتفى ... فى المرآة رايته يترنح خلفى شاحب اللون ، وتستند يداه على كتفى ثقيلتين ... ويزداد ثقلهما ..

تحولت اليه منزعجا ... نظر الى عينى وهز رأسه وتمتم :

ـ لا شىء .. لا شىء ! ..

انزلقت يداه وتراخت بجانبه .. نظر معتذرا ، دار من خلفى واستند على درج المرآة :

ـ سأستريح قليلا ، لو سمحت لى ..

نهضت مشفقا :

ـ آية مساعدة ؟

انزلق فى تهالك على المقعد المجاور ، وأسند رأسه الى الحائط .. وعدت اسأله ماذا يمكن أن أقدم له ..

بهمس قال :

ـ ضع ذراعك خلف راسى ... ارجوك !

حرك راسه على ذراعى فى وهن :

ـ شكرا لك !

كانت عيناه لا تزال مخضلة بدموع الضحك ، فتح فمه وملاه بالهواء ... شحب وجهه اكثر ... ارتفع سواد عينيه الى وجهى ، ملتمعا بنظرة مودة وامتنان ...

مال راسه على كتفى ... سقط المشط من يده ، وتدلت ذراعاه الى جانبيه ...

وبقى المقص معلقا فى اصابعه الساكنة ... فى جواره كانت نملة الكوب على حافته ... تدور فى حركة دائبة .. دون توقف ! .. ●●



والحضور البعيد

● محمد طنطاوى ●



من بقايا الحضور البعيد البعيد
اسرجت خيل حبى لها اجنحه ..
علقت مهجتى فوقها اغنية ...
واشرأب الزمان العنيد
مبحرا فى مسار التجاوز خلف حدود المدى
والسماء التى تزدهى بالقرابين والذكريات ،
كانت المبتدا ...

***

من بقايا الحضور العتيد العتيد
كانت الشمس تشرق فى وجهها ...
كى يكون النهار الجديد
شعرها .. كان مجد السنابل ! .
ثغرها .. كان عطر البلابل ، والمنتهى
كان موتى بعينين أعشق فى ساحليهما انبهار الفصول !

***

من بقايا الحضور الجميل الجميل
صرت ابحث عن لحظة واحدة
تنجلى بها روعة المستحيل
وانبثاق الشذى بعد ليل الذبول
فوق نهر الندى والرؤى الواعده ! .

***

انت يا من زرعت هواك العظيم
لم يعد فى يدى غير انت ...
فكونى الذى لم يكن فى الزمان القديم
أشرقى زهرة فى المواعيد، أونجمة فى المدى
كلمة فى المواويل ، أو نغمة فى الصدى
واشربى من عبير الحضور البعيد ...
حيث حبى ابتدا ...
حيث حبى ابتدا ! .

خلود الهوى

• يس الفيل •

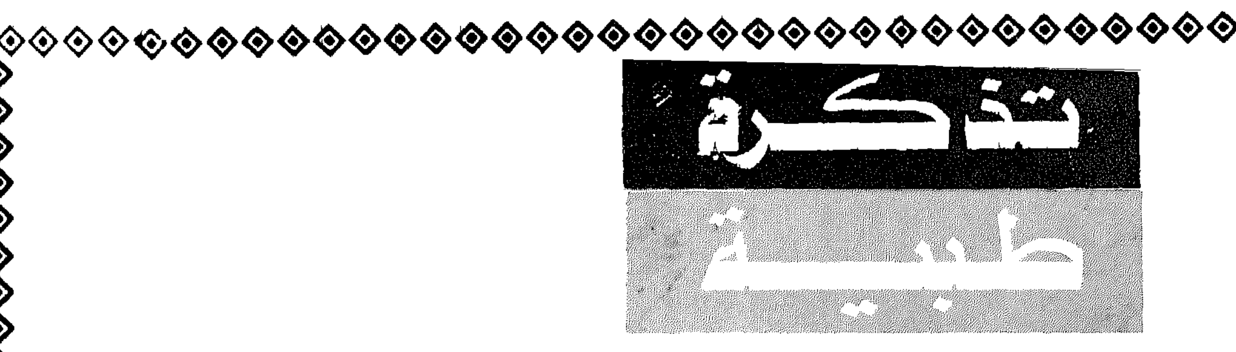
احن الى هـــواه .. ولا أبالى
ابت على فراق أم وصـــال
والتمس الوفـــاء بكل درب ...
سكينا فيه أشواق الليـــالى
وأشـدو للمســاء بالف ناى
نشـيد الملتقى عنـد الزوال
وأرنو للورود ... كان فيهـــا
عبير الحب يدعو للنـــوال
وأحكى للطيـــور ، ولست أدرى
منى للحب تحـــكى عن مآلى
أراه على يدى ، أو لا أراه .. .. ..
فان هواه فـــوق مدى الزوال !
وأشقى فيه ، أسعد ... ليس يعنى
هواى ... وليس يبعد عنه بالى
فان القلب يعشـــقه ... وما لى
جديد فى محبتـــــه وبال !

***

أنا أهواه مهمـــا غاب عنى
وايمانى به يمحـــو ضلالى
ولست ، وان قسا أقصيه ، حتى
ولو عز اللقـــاء على منـــالى
سمو البدر فيه اذا تعـــالى
وصال وجال فى هذا التعـــالى
وذاتى فيه تسبح ما تنـــاهى
وفاق بزهوه افق الهـــلال
وعنـه الروح ما ضلت طريقـــا
اذا ما غـاب عنى .. أو بـدا لى
فان هواه بعض من كيـــانى
وبعض لم يـــزل للبعض تـالى
غرامى فيـــه يحمـــلنى اليه
عبير مودة ، وســـنا جمـال
وكم فى القلب من ذكرى ليـــال
تقربه اذا غاب الليـــالى !

***

ظننت البعـــد يبعده ... فخابت
ظنونى .. واســتحال الى محال
أطير اليه ، تحضـــــنه يمينى
بلا وعى ... فتحسـدها شمالى
وأحمل فى الحنـايا شوق عمرى
لألقى حـــول كعبتـــه رحالى
فان فاز الهـــوى ، نلت الأمانى
وان فاز الدلال ، فـــلا أبالى !
رضيت بحبه وصـــلا وهجـــرا
وشوقا ملهمـــا يكسو خيـــالى
وعندى يستوى قرب وبعـــد
فكل فى محبتـــــه حـــلا لى
أنا ذكراه ... والذكرى حيـــاتى
اليه بهـــا أحج ـ اذا صـــفا لى



● د . السيد الجميلى ●

الهستريا

● ((الهستيريا)) مصطلح فحواه فقدان التحكم الارادى للشخص فى تصرفاته ومشاعره فقدانا يجعله يتصرف بطريقة شاذة يخرج فيها على التقاليد وعرف المجتمع دون احساس طبيعى بما يقترف من جرم وغرم .

يفرق الاطباء النفسيون بين الشخصية الهستيرية ، وبين أعراض الهستيريا فى الشخص . الشخصية الهستيرية غير ناضجة الانفعالات مركزة فى النفس الباطنة تفتقد التركيز ضعيفة الانتباه شاردة الذهن كعقلية الطفل الصغير الذى لم يبلغ الحلم وهذا الشخص يعتمد على الآخرين بل يحيا على توجيههم ومساعدتهم ومساندتهم له .

الاعراض الهستيرية

المريض بالهستيريا يفعل ما يشاء بلا اكتراث وبلا اعتبار لأى شيء ويجابه أية مخاطرة ويواجه أية مجازفة .. مع فقدان الذاكرة والنسيان لأهم الأحداث المؤلمة فى حياته .

الاسباب والعلامات

تتحمل الوراثة مسئولية كبيرة فى مثل هذه الحالة ، فينتقل بواسطتها التوتر والقلق .. والوراثة تهيىء المناخ وتمكن مسببات الهستيريا من اختلال أو احتواء شخصية المرء المريض فهو يفكر بعقلية ساذجة ، وعمره العقلى أقل بكثير من عمره الزمنى ولا يتناسب معه أو يتقاعس نموه الفكرى ، وهو غير مبال بالعواقب غير آبه بالنتائج غير مكترث بالأهوال .

وفي أحيان كثيرة تتكون الشخصية الهستيرية نتيجة الصراع المحتدم بين الزوجة والزوج ـ بين الأم والأب ـ مما يترتب عليه تربية غير سوية للطفل فى سن التشكيل الأولى وتكون جناية الاهل على الابن أو الابنة كبيرة .. يبدأ الطفل من ثم دراسته الابتدائية الاولية شاعرا بالارهاق والاجهاد لاقل مجهود

والتعب الشاق المتصل المستمر ، ولمايكبر شيئا فشيئا ويجابه الحقيقةالمرةفي طباع الناس والمجتمع الذى يحيط به ويعمل من حوله نراه يفـر من الواقـع ويهرب من حقائق الاشياء وينخرط فى الأهواء ويتسرب الى سبحات الخيـال والأوهام فهو غريب بين ذويه وبين لداته واترابه وأقرانه ٠

تظهر علامات هستيرية على الشخص المصـاب مثل تشنجات عصـبية ، أو العمى المفاجىء مثلا أو الصـم ، وبعض الآلام العضـوية ٠ ويجب مراعاة أن توزيع الألم على خريطة الجسـم لا يخضـع لأية اعتبارات تشريحية أو فسيولوجية ٠

عادة يكون ثمةضرر فى مناطقمختلفةمن الجسم ، صداع شديد والم حاد وتعب عضلى وانهاك بدنى ، ورعشـة عنيفة احيانا ، وترنح وتوتر ، واغماءات مباغتة ٠

وفى كلتا الحربين العالميـة الاولى والثانية ظهرت علامات الهستيريا على الكثيرين نتيجة ماتعرضوا له منمختلف انواع الارهاب والبطش ٠ ٠

النهاية

على اية حال فان علاج الهستيريا يشكل مشكلة لم تعدمستعصية ،لتقدم وسائل العلاج النفسى ، ولابد من استشـارة طبيب الامراض النفسـية بل واشرافه التام على العلاج بين حـين وحين ٠

ومن الحالات التى تذكر فى هذا المجال ، حالة فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرها أحبت طالبا بكلية الطب مناها ووعدها بالزواج بعد تخرجه الا انه لم يف لها بوعده ، وكان الناس قد عرفوا بعلاقتهما ٠٠

وقد اعتذر لها بأن هنـاك عـوائق تقف حجر عثرة أمام تتويج حبهمـا القديم بالزواج السعيد ٠

ومرت أيام ، وفجأة اصيبت الفتاة بالشلل التام فى يدها اليمنى التى كانت تكتب بها لحبيبها خطابات الغرام ٠

هذه هى حالة « شلل هسـتيرى » نتيجة ضـياع الأمل الذى علقته على حبيبها الذى نساها وهى لم تنسه بعد ٠

وقد جاء تشخيص الحالة بأنها الشلل الهستيرى نتيجة تدفق عاطفتها الجزئية من مداد القلم فى رسائلها، وكانه عبرات مسفوحة فى رمال صحراء قاحلة ،ولان الاطباء الاخصائيين افـادوها آنفا ان الحالة ليست عضوية لان الاعضـاء والأعصاب تؤدى وظائفها الفسيولوجية فى غاية التمام ٠

وكم جنى الاخلاص والوفاء فى الحب على أبرياء مثلها ولكن لا علاج سوى السـلوى والصـبر ، ومحاولة النسـيان ، وهنا ندرك نعمـة النسـيان الذى يراه الكثيرون نقمة على حيـاة الانسـان ٠

قصــــة

هو وأنا .. والثعابين

● ناجية جبر ●

● الساعة التاسعة مساء ، والصحراء مترامية الاطراف ، والقمر فى اوجه . فهـذه هى ليلة تمامه .. وبالرغم من ان القمـــر مكتمل ، الا ان الجو موحش ، كئيب ، لا يقطعــه سوى بعض الهمسات بيننا . فلم نكن نجرؤ على رفع اصواتنا اكثر من هذا ...

كنا كفئران حبيسة مصيدة ، أو قفص ، ولـــكن الفرق بيننا وبين أى حيوان آخر فى قفص ، أننـا نحن الذين وضعنا أنفسنا فى هذا القفص المتنقل !

جئنا فى رحلة لصيد الثعـــابين الكبيرة الحجم للاتجار فى جلودها ، فاجتمعنا نحن العشرة وقـــد كانت هذه احدى رحلاتنا ، ولم تكن اولها ، ولاادرى لم اجتاحنا هذا الشعور الكئيب اليوم بالذات ..

كانت الثوانى تمر وكأنها ساعات ، والســـاعة الواحدة تمر كأنها دهر بأكمله ... الجو شديد الحرارة ورطوبته تخنق الأنفاس .. وقدم لى أحد اصحابى سيجارة ولكننى رفضتها ، فلم تكن اعصابى تحتمل التركيز فى شىء ، حتى ولا فى سيجارة ..

كنت مشتتا أستمع لنعيق البوم الذى يزيد الجـو كآبة ويشعرنا باننا رغم ما أحرزنا من مـــكسب ـ لم نحقق الاستقرار لأنفسنا بعـــد . فها نحن نعرض أنفسنا مرة كل شهر لاخطار جســـيمة فى سبيل لقمة عيش ربما توفرت من عمل آخر ليس فيه هذه المشقة .. ها نحن مكدســـون فى عربة صحراوية ، وقد اخذ كل منا مركزه أمام فتحـــة مناسبة وعلى أهبة الاستعداد لمواجهة أى خطـــر ،

ولانتهاز فرصة ظهور الثعابين واصـــــطيادها ، بطلقات تنطلق فى نفس اللحظة ، لكى نحصل على أكبر عدد ممكن من الثعابين ، لاننا اما أن نحصل على مجموعة منها فى نفس الوقت أو لا نحصل على شىء ... ان سماع الثعابين صـــوت الرصاص ،

يجعلها تفر دون اكمال طريقها الى نبع الماء للارتواء ، وعلينا بالتالى أن نكرر عملنا يوما آخر ..

وسمعنا فحيح الثعابين ، وفحيح هذه الاحجـــام الكبيرة يكون كالاصوات التى تصدرها الماعز ! .. وشاهدنا نفس المشهد الذى كنا نشاهده دائما من موقفنا فى هذه المنطقة بجوار النبع ...

رمال الصحراء تتلوى وتتحرك ، وتطير فى الهواء نتيجة لخبطات الثعبان ـ اثناء سيره ، ويخيـــل للناظر الى هذا المنظر ان بحرا من الرمال يســـير بسرعة كبيرة فى اتجاهه ، وان رقعـــة كبيرة من ارض الصحراء تتجه نحوه لتلتهمه ! .. ولن انس أبدا منظر هذا الطوفان ، اول مرة رأيته فيها ، رغم اعدادى لرؤيته مسبقا بما كنت اسمعه من قصص من أبى الذى اخذت عنه هذه المهنة ، فقد تملكتنى حالة من الالم الشديد فى امعائى ، وارتجفت مفاصلى ، فلم تعد قدماى تقويان على حمل ... ولم يكن لى سوى ان اتكوم فى ركن العـــربة الداخلى اكتفى بالمشاهدة ، ولم استرد انفاسى الى ان ســـكنت الاصوات نتيجة لسماعها صوت طلقات الرصاص التى انطلقت فى لحظة واحدة فاحدثت دويا مثل الذى تحدثه القنابل المتفجرة .

بقيت بعد ذلك فترة لا أستطيع مصاحبة رفاقى فى رحلاتهم .. وستزول دهشتكم لما أصـــابنى لو علمتم أننى كنت شاعرا . ولم يكن مقدرا لى فى قليل أو كثير أن أمتهن هذه المهنة الصعبة التى تتسم بالعنف . .ولكن ازاء اصرار أبى لم أجد بدا من الرضوخ لاوامره ...

ولما مرضت بعد هذه الرحلة الاولى ، تركنى الى أن أسترد عافيتى ، ثم صار يأخذنى معه لكى أتعود مشاهدة هذا المنظر ، وهكذا بدأت أشارك فى هذا



العمل ، وتعودته وامتهنته وأجدته ، ومع ذلك لم يفارقنى الحنين لشاعريتى رغم أن أبى قد أطبق بيد من حديد على كل آمالى ، واختــــار لى البحث عن الثعابين ...

***

أخذت الثعابين تتقدم تجاهنا مثل كل مرة ، وفى اللحظة المناسبة استعددنا وقمنا باطلاق رصاصـات بنادقنا دفعة واحدة كما هى العادة ... كان هـدفنا دائما واحدا وهو الراس ، فى المنطقة وسط هذين المصباحين الشديدى الضوء ، لقد كانت العينان هما كل ما يظهر من جسم الثعبـــان ، وما عدا ذلك فلا يرى الانسان سوى رمال متحركة ، لا يعـرف حجم هذا الثعبان الذي يحركها ، ولا وزنه ، ولا طوله ، فهو شيء مجهول بالنسبة لنا .. ولكن الشيء المؤكد الوحيد أن أقل واحد منها كان يبلغ الثمانية امتار ، ولم يكن يقل عن ذلك بحال من الاحوال ، لان فتحات عينيها ومسافة البعد فيما بينها ، كانت هى دليلنا لمعرفة حجمها بالتقريب ..

كنا نجلس على أعصابنا ، كما يحدث كل مرة . فلو أخطأ أحدنا الهدف فلن تكون هناك قيمة لجلد ثعبانه ، فهناك طريقة واحدة معينة لسلخه لا غناء عنها ، علاوة على ما يسببه لنا من متاعب وجـــود ثعبان ضرب فى غير الوضع الصحيح ، قد يهاجمنا كنوع من الثار لنفسه ..

ولا ادري ما الذي دفعني الى التفكير فى ذلك وأنا اصوب بندقيتي الى راس الفريســـة التى كنت اعتبرها غريما لى ان لم اقتله قتلنى ، فى الوقت الذى ضغطت فيه اصبعي على الزناد ، كانت يدى قد اهتزت قليلا ، مما أطاش رصاصتي فلم تأت فى الوضع المحدد ، بل أتت بجوار العين اليمنى للثعبان الذى هدأت الحركة بجانبه تماما ، وأخذ يتقلب فى الهواء هنـــا وهناك فى حركات عصبية ، وهو يتجه نحونا فى اندفاع جنونى ، ونحن من هـــول المفاجأة لا ندرى ماذا نفعل .. فرغم ان السيارة محاطة بالاسلاك الشـــائكة الكفيلة بتمزيقه شر ممزق ، ولكن لو قذف بنفسه فوقنا لانتهى الامر . فوزنه وحده كفيل بتحطيمنا نحن والعربة . وأخذنا نطلق عليه رصاصاتنا المحمومة على احداها تصيبه فى مقتل ، فتريحنا منه ... وفى نفس الوقت كان هناك صوت لعويل يملأ الفضاء من حولنا ، أخـــذ يزداد ويقترب ونحن لا نعرف مصدره . عويل أنثى مكلومة ...

واخيرا ، وبعد أن فقدنا عدة رصـــاصات جاءته احداها فى مقتل ، جلسنا نسترد أنفاسنا بعد هذا الصراع المرير ، فاحسسنا بالعربة ترتج من تحتنا وبحركة غريبة فيها ...

اصخنا السمع ، وحاولنـــا اســـتجلاء الموقف ، فوجدنا ثعبانا كبير الحجم قد التف حول العـربة فى صراع مرير ليحطمها هى ومن فيها ...

ارتعشت اجسامنا خوفا ، فرغم أننا حصنا العربة بالاسلاك الشائكة الكفيلة بتمزيق أى ثعبان يقترب منا ، الا أننا لم نضع فى حسابنا أننا ستلتقى بهذا الحجم الضخم من الثعابين ، فلكم أن تتخيلوا كم يبلغ طول هذا الثعبان لو علمتم أنه التف حـــول العربة مرتين ، ولم يكن هناك مفر من أن نخـــرج جميعا بالانصاف العلوية من اجسامنا من العربة ، وأن نعمل أسلحتنا البيضاء فى جسم المهاجم فى أى جزء ، بدون رحمة ولا اهتمام بالجـــلد الثمين ، فالمعركة الان معركة حياة أو موت ...

كانت أنثى الثعبان ... وكلما أخـــذنا فيها تقطيعا اخذت هى فى تشـــديد الخناق علينا ، ولم تتركنا فى سلام ، الا بعـــد أن جز أحد الزملاء رأسها ، فخارت قواها واستسلمت للمـــوت غير آسفة على الحياة ...

***

كانت أعصابنا قد خانتنا جميعا من هول مارأينا فى هذه الليلة . نعم اننـــا واجهنا الموت لمرات معدودات . فقد كنا نرى ثعابين وهى تنقلب على ظهورها بعد الرصاصات ... وغيرها تختفى فى الرمال ولا تظهر مرة أخرى ، وكنا نقوم بحمـــل جثث الثعابين المقتولة لنبيعها لتجار الجلود ... لكنـــا لم نتعرض من قبل لمثل هذا الهجوم ! ... ربمـــا طاشت رصاصـــة أحدنا ، ولكننا كنا نتلافى الامر قبل أن يستفحل ... أما فى هذه المرة فلا أدرى سبب عدم تداركنا للموقف فى حينه .

وقررت عدم العودة مرة اخرى ، فقد علمتنى انثى الثعبان كيف ان الانسان يجب عليه ان يحارب الى ان يصل الى هدفه أو يموت دونه ...

هذا عنى أنا ... اما عن زملائى فمنهم من تباهى بعد ذلك بموقفه البطولى ... ومنهم من لم يخرج فى رحلة اخرى الى ان هـــدأت اعصابه واستطاع العودة للعمل !؟

وهكذا جرت بنا الحياة ... ●●



روّح عن



الأسئلة

هذه الصفحة تجمع بين التسلية الذهنية والمعلومات المفيدة ـ والاجابات أسفل الصفحة .

أولا : لغز بالشعر :

ومحبوبة فى القيظ لم تخل من يد
وفى القر تسلوها أكف الحبائب
اذا ماالهوى المقصور هيج عاشقا
أتت بالهوى الممدود من كل جانب !

ثانيا : مسالة حسابية :

ضع العلامات الحسابية اللازمة بين الارقام فى المسائل الاتية لكى حصل على النتائج المبينة امام كل مسألة :

٣ ٣ ٣ ٣ = ٢٤
٤ ٤ ٤ ٤ = ٨
٥ ٥ ٥ ٥ = ٢٥

ثالثا : اختبر ذكاءك :

كل كلمة من الكلمات التالية تدل على اسم مدينة معروفة ، ولكن ينقص كل منها حرفان متشابهان ، وقد وضع مكان الحرف الناقص خط صغير ، فهل تستطيع أن تعرف أسماء هذه المدن ؟

١ = ـ ن ـ ا .
٢ = ـ ل ـ ى س .
٣ = ل ـ د ـ .
٤ = م ـ ر ى ـ .
٥ = ا ـ د ر ـ ا ن .

رابعا ـ اختبر معلوماتك : من هو ؟

١ ـ تعلم فى البصرة وحفظ لغة البدو وذهب الى بغداد حيث عهد اليه الرشيد بتعليم ابنه الامين . من اشهر ماكتب : « كتاب خلق الانسان» و « كتاب الخيل » و « كتاب الابل » و « كتاب الاضداد » وله مجموعة شعرية تحمل اسمه .

٢ ـ بحار برتغالى ، اكتشف مضيقا عرف باسمه فى جنوب امريكا الجنوبية وكانت سفينته اول سفينة أتمت الطواف حول الارض ، على الرغم من أنه قتل أثناء هذه الرحلة بأيدى الاهالى فى جزر الفيليبين .

٣ ـ فيلسوف وعالم ، نبغ فى علوم الدين والشعر والتاريخ والادب وكان وزيرا بالاندلس فى القرن الحادى عشر .

٤ ـ عالم موسوعى عربى ، ولد فى غرناطة واهتم بالطب والفلك والرياضيات والشعر والفلسفة ، وفى كتابه « حى بن يقظان » حاول التوفيق بين الفلسفة والدين .

٥ ـ رائد الكيمياء العربى ، عاش فى الكوفة ثم اتصل بالبرامكة ، وله مؤلفات عديدة اهمها : ((أسرار الكيمياء)) و ((الرحمة)) . وقد ترجم الاوروبيون مؤلفاته الى اللاتينية وكانوا يدرسونها فى الجامعات الاوروبية لمئات السنين .

الإجابة

اولا : لغز بالشعر : هى المروحة .

ثانيا : مسالة حسابية :

٣ × ٣ × ٣ ـ ٣ = ٢٤

٤ × ٤ ـ ٤ ـ ٤ = ٨

٥ × ٥ ـ ٥ + ٥ = ٢٥

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ـ طنطا .

٢ ـ بلبيس .

٣ ـ لندن .

٤ ـ مدريد .

٥ ـ أم درمان .

رابعا : اختبر معلوماتك : من هو ؟

١ ـ أبو سعيد الأصمعى .

٢ ـ فرديناند ماجلان .

٣ ـ ابن حزم الاندلسى .

٤ ـ أبو بكر بن طفيل .

٥ ـ جابر بن حيان .

لا ترحلى

● أحمد مصطفى عوض ●



لأنك استطعت أن تحركى ·· كوامن المشــاعر المبعثرة
وأنت تعبرين كالضياء تبسمين كالنســائم المســافرة
وأنت تســكبين فوق جسمى النحيل نظرة الهوى المنتصرة
لانك استطعت ان تواصلى المسير فى عواصفى المزمجرة ··
فقد رددت لى مشاعرى التى فقدتها ، وللفؤاد طائره
أعدت لى صــباحى المفقود ·· بعد قبضة من الظلام قاهرة
أعدت لى لآلىء الشعر التى ضيعتها أعدت لى جواهره!
أعدت لى هدوئى الذى فقدته هنا،بين ضجيج القاهرة !
فعادت الحياة فى اضالعى وبلبل الاشعار حيا شــاعره !

●●●

ونسيتنى شــقاوتى فى لذة الصبا ·· نسيت لذة المغامرة
أنسيتنى كآبتى فى موكب الطفــولة التعيسة المنكسرة !
والصمت قد مزقته ، لانك اســتطعت ان تقلمى أظافره !
أنسيتنى عذابى القديم رغم عمقه بذى العظام النخرة !

●●●

لا ترحلى حبيبتى · فاننى أخاف من مــرارة المغــادرة !

زهرات من رياض العرب

● غير مستجاب ●

كان المنصور قبل أن يلى الخلافة، ينزل على أزهر السمان ، فلما استخلف ، سار اليه ازهر ، فقال : ما اقدمك ؟. قال أزهر : حاجة ياامير المؤمنين ، على اربعة آلاف درهم ، ولى دار متهدمة ، واريد البناء لابنى محمد ..

فامر له باثنى عشر الف درهم .. وقال : يا ازهر ، لا تأتنا طالب حاجة !.

فلما كان بعد قليل عاد : فقال له امير المؤمنين : يا ازهر ، ما جاء بك ؟. قال : جئت مسلما على امير المؤمنين.. قال : انه ليقع فى نفسى انك ما اتيت الا لما اتيت له فى المرة الاولى ..

وامر له باثنى عشر الف درهم .. وقال : لا تأتنا طالب حاجة ولامسلما قال : نعم ..

ولكنه ما لبث ان عاد فقال : ياازهر ما جاء بك ؟ . قال : دعاء كنت سمعت امير المؤمنين يدعو به فجئت لآخذه .. فقال : لا تكتبه ، فانه غير مستجاب ، لانى دعوت الله به أن يريحنى منك فلم يستجب لى !.

ثم صرفه ولم يعطه شيئا ..

● نسيت نفسك ●

مر اعرابى بابى الاسود الدؤلى وهو واقف ببابه وسلم عليه، فقال له الدؤلى: ما شسانك يا اعرابى ؟.. فاجاب الاعرابى : ائذن لى بدخول بيتك ... فقال الدؤلى : وراءك اوسع لك !..

فساله الاعرابى .. هل عندك ما يؤكل ؟. فاجاب الدؤلى : نعم ، ولكن عيالى احق به منك !.

فقال الاعرابى : ما رايت والله الأم منك ..

فضحك الدؤلى وقال له : كيف نسيت نفسك ؟!.



● فرحة اللقاء ●

لما حضرت الوفاة بشر بن منصور كان فى سرور ، فقال له أحد الأصدقاء: ما لك يابشر تفرح بالموت وكأنك تسعى اليه !.، فقال بشر : وكيف لا افرح بالموت وارحب به ؟. بل كيف تجعلون قدومى على خالق ارجوه كمقامى مع مخلوق اخافه ؟!.

● حفظ اللسان ●

اجتمع قس بن ساعدة واكثم بن صيفى فقال احدهما للآخر : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟.. قال الآخر: هى أكثر من أن تحصى ، وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها .. قال : وما هى ؟.. فاجاب الآخر : حفظ اللسان !.

● دعاء يوسف ●

كان من دعاء يوسف ـ عليه السلام ـ وهو فى السجن : ياعدتى عند كربى ، ويا انيسى فى وحدتى ، ويا غياثى عند شدتى ، ومفزعى عند فاقتى ، ورجائى اذا انقطعت حيلتى.. يا الهى واله آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ، اجعل لى فرجا ومخرجا واقض حاجتى..

● محسن فهمى ●

كتاب جديد

جوردون

وجنايته على مصر والسودان

كان الانجليز في العصر الاستعماري يقولون دائما ان الجنرال تشارلس جوردون معضلة ، وكنا نحن نقول انه ليس بمعضلة على الاطلاق ، لاننا - أهل وادى النيل ، ما بين مصريين وسودانيين ، نعرف تماما لماذا أرسل جوردون الى السودان والمهمة الحقيقية التى تطلبها منه رؤساؤه الانجليز ...

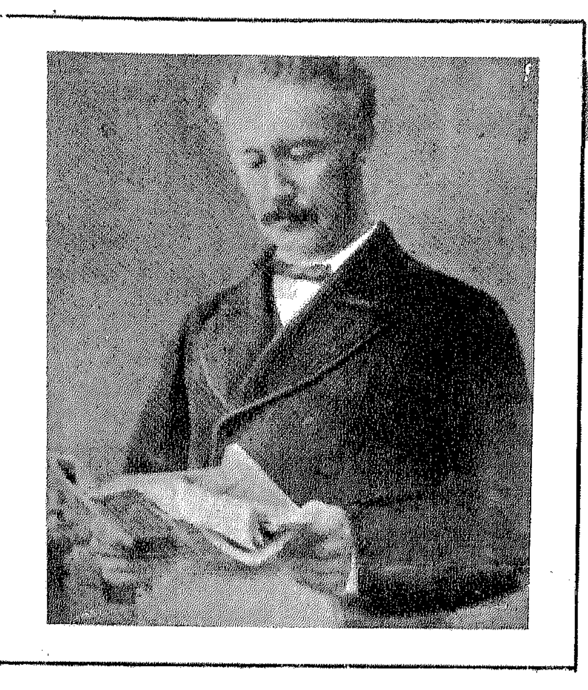
وقد صدر اخيرا في الولايات المتحدة كتاب جديد صغير الحجم عن ذلك الرجل ، رأينا ان نعرض على قراء « الهلال » أهم ما فيه ، وان ننتهز هذه الفرصة لنبدى رأينا في الجنرال جوردون وشخصيته ومهمته ..

الكتاب من تأليف كاتب أمريكى يسمى تشارلس تشيفينكس ترنش .

يقول المؤلف ان كثيرا من المشاهير يكسبون الشهرة لا بحياتهم وانما بموتهم . وتشارلس جوردون واحد من هؤلاء .. ولو انه لم يمت قتيلا على أيدى المهديين فى الخرطوم لما ذكره أحد .. وبهذه المناسبة يقول المؤلف : ان نهاية جوردون كانت شريفةوباسلة وغير ضرورية على أى حال .. وهذا حق ، فان جوردون كان شخصية مريضة غير متزنة ، وقد كان يستطيع مغادرة الخرطوم ، والعودة الى القاهرة عندما بدأ المهديون فى حصار الخرطوم ،ولكنه أصر على البقاء والحصار يشتد ، ليرغم الحكومة البريطانية على الاهتمام بأمره، وليشد الى نفسه اهتمام الجمهور الانجليزى ، وقد نجح بالفعل في ذلك ، ففى أثناء حصار الخرطوم الذى كان يشتد يوما بعد يوم ، كانت الصحف البريطانية تنشر يوميا تفاصيل عن مأساة البطل الانجليزى الذى يواجه الموت ببسالة في الخرطوم .

وكانت الحكومة الانجليزية وعلى رأسها السير جلادستون ترى أن هذه فرصة تتخلص فيها من جوردون ثم تتخذ موته ذريعة لتنفيذ مأربها الاساسى الذى كانت تسعى اليه ، **وهو ارغام المصريين على الانسحاب من السودان لتنتهى مسألة وحدة مصر والسودان ، ثم اعادة فتحه بالاشتراك مع مصر وتحويله الى مستعمرة مشتركة مصرية انجليزية - تمهيدا لاخراج مصر نهائيا من السودان وتحويله الى مستعمرة انجليزية ..**

وكان جلادستون يتلقى كل يوم عددا



الجنرال : تشارلس جوردون

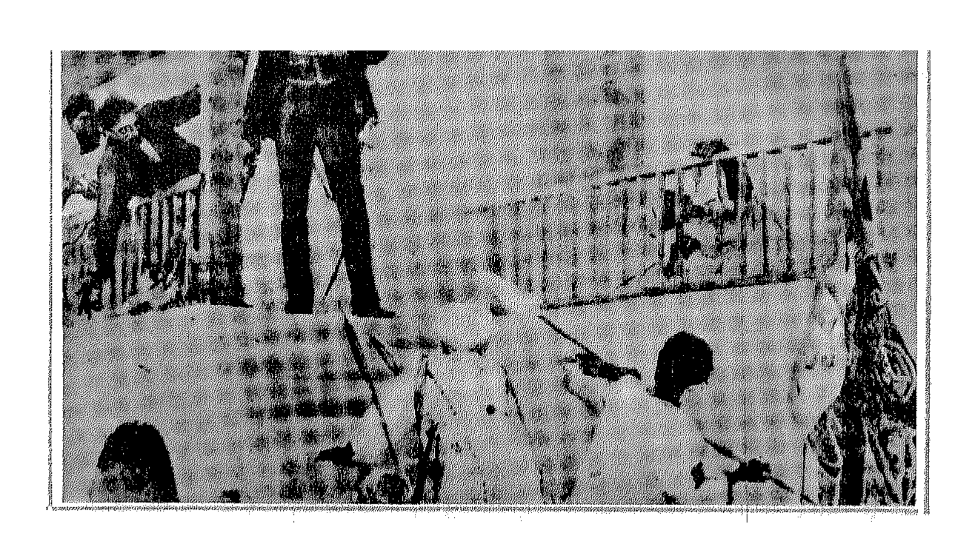
من البرقيات من جوردون ، وكلها تستغيث به وترجوه ارسال قوة انجليزية للقضاء على حركة المهدى وتخليص الخرطوم والانجليز المحاصرين فيها .. وكان غرض جوردون من هذه البرقيات واضحا : هو تحويل السودان الى مستعمرة بريطانية راسا ، لان القوة الانجليزية التى كانت سترسل من انجلترا لم تكن لتتحمل تكاليف محاربة المهديين وانقاذ جوردون ومن معه لكى تعيد السودان لمصر .

وكان جلادستون يعرف ذلك ، ولكنه لم يكن يشق بجوردون . كان رأيه فيه انه رجل متمرد وغشاش ومجنون

وهذا هو الحكم الانجليزى الرسمى على الرجل الذى رأى الخديو اسماعيل أن يعهد اليه فى حكم السودان والقضاء على تجارة الرقيق فيه . واسماعيل لم يكن يعمل أو يفكر على اعتبار انه مصرى بل كان فى صميمه أميرا مرتزقا يملك ضيعة ورثها عن جده محمد على ، ولكى يدير هذه الضيعة على طريقة يرضى عنها سادته الاوروبيون ، استخدم فى ادارة السودان استعماريا شريرا هو السير صمويل بيكر ثم الجنرال جوردون ..

وكانت فكرة فصل السودان عن مصر والاستبداد به واضحة جدا فى أذهان السياسيين الانجليز ، سواء منهم الاحرار مثل جلادستون ، أم المحافظين مثل دزرائيلى ، لان السودان كان يبدو فى نظر الانجليز غنيمة سهلة ينبغى ان تؤول اليهم ، ولا عقبة فى سبيلهم الا الرابطة العضوية التى تربط بين قطرى وادى النيل ، وكان لابد للانجليز من تحطيم هذه الرابطة ،فكانوا يذيعون اسوأ الكلام عن سوء الادارة المصرية فى السودان . وادارة السودان منذ أيام سعيد لم تكن مصرية قط بل كانت انجليزية ، لان الخديو سعيد ثم اسماعيل من بعده كانا عميلين

اوروبيين يريدان ان يضمنا ملك مصر عن طريق الحصول على تأييد دول الغرب ، والعبارة التى قالها اسماعيل .. وكان البعض يفخر بها ، وهى « ان مصر قطعة من أوروبا » هى فى الواقع جريمة ، لان مصر لا يمكن ان تكون أوروبية الا اذا كان المفروض انها ضيعة اوروبية ، فمصر مصرية وعربية وافريقية ، ولكنها قطعا ليست قطعة من أوروبا ، ولكن اسماعيل اراد فى الحقيقة أن يقول انه هو نفسه ملك



غربي يدير ضيعة أوروبية ، وهذا في الحقيقة كان لباب تفكيرسعيد واسماعيل وتوفيق ، واذا كان عباس حلمي قد وقع في خطأ اقتضى عزله فهو انه بدلا من ان يتصرف على أنه عميل أوروبي يدير ضيعة لصالح الاوروبيين ، تصرف على انه عميل تركي يدير الضيعة المصرية لحساب تركيا .. وكان في هذا حتفه !

***

المهم أن الغربيين اليوم يوافقوننا على رأينا في جوردون ويرون مثلنا انه كان شخصية مضطربة شريرة واستعمارية من الطراز الاول ، وليس في موته أية بطولة ، فقد كان يسعى من وراء البقاء في الخرطوم الى ارغام الحكومة الانجليزية على الاهتمام به ، وقد فشل في ذلك ، ولكنه نجح في أن يجعل الناس يرون فيه بطلا . وما كان ثباته فيالخرطوم بسالة وانما كان عنادا مع جلادستون : وهي محاولة منرجل مضطرب العقل لكي يتحول من جندي مرتزق الى بطل عسكري بريطاني ، وهذا الرجل الذي أرسل ليقضي على تجارة الرقيق كان هو نفسه يشترى الرقيق ويستخدمهم ، وكان في ولايته الاولى على السودان يعود الى انجلترا في الاجازة مصطحبا رقيقا يهديه الى اصحابه من الانجليز ! ..

وكان جنود جوردون كلهم مصريين ، وهو ببقائه في الخرطوم جنى على هؤلاء المصريين جناية كبرى ، فقد كان مهدي السودان يحارب جوردون والانجليز : ولم يكن قط يحارب المصريين ، ولم يشر في رسائله مرة واحدة اشارة عداء الى مصر والمصريين ، ولكن جوردون اضطر المهدي الى أن يعتبر الجنود المصريين الذين كانوا تحتامرة جوردون في جملة الاعداء ، لانهم هم الذين كانوا يدافعون عن جوردون . ولقد قتل مع جوردون ٩٠٠٠ جندي مصري لم يبك لمصابهم احد ، وكان يعمل في السودان ٣٥٠٠٠ موظف مصري ما بين معلمين ومهندسي ري وأطباء وموظفين عاديين ، هؤلاء مات معظمهم بعد انتصار الثورة المهدية ، وخصوصا بعد موت المهدي وانتقال الرياسة الى عبد الله التعايشي وشيوع الفوضى في السودان كله . هؤلاء المساكين ماتوا أو تشردوا وفقدوا وظائفهم ، وكل ذلك لكي يرضي جوردون غروره وعناده مع جلادستون ، ولكي يصل هذا الأخير الى ما كان يسعى اليه من فصل مصر عن السودانوتحويل هذا الاخير الى مستعمرة بريطانية ، وتلك هي العملية التي قام بها قائد استعماري بريطانيآخر ، هو اللورد كتشنر عندما قاد حملة اعادة فتح السودان وتحويلهالى مستعمرة انجليزية مصرية . وذلك تحول لم يكن لمصر يد فيه ، فما كانت مصر ترمي قط الى تحويل السودان الى مستعمرة ، وانما كانت تسعى دائما الى الحفاظ على وحدة الوادي ..

● د . حسين مؤنس ●

مختارات من الشعر الأوروبي ..
في ضيافة الشعر العربي

السهم .. والنشيد

● للشاعر الامريكي : هـ . لونجفلو
● ترجمة احمد مصطفى حافظ ●

أطلقتُ سهما ... في المدى المتـرامي
فمضى بعيداً ... كالشهاب أمامي
ولفرط سرعته ... تلاشى واختفى
متطاير اللمحات ـ كالأوهام
وكما ارتقى ـ لاشكَّ عندي ـ قد هوى
فوقَ الثرى ، متراخيا ، بسلام

***

وبثثت في عمق الفضاء نشيدي
يطوي الفلا ، متنقلا بالبيد
ومن الذي يدري مدى طيرانه
إن كان يمكنُ رصدُ سيرِ نشيد !
وبحدة الابصار يُدرك ما انتهى
يوما إليه ـ وهل ثوى بصعيد ؟

***

ومضى الزمان ... لكي أرى بطريقي
سهمي سليما ، في مدى تحديقي
فقد استقرَّ بسنديانة غاية
أما النشيد ... فجلَّ عن تصديقي !
فمن البداية للنهاية ... قد سرى
بين الحنايا ، ملء قلب صديق !



الهلال
المحيط المتطوع بين التوجيه الديني والشباب
حوار مساحته الزمنية نصف قرن
نجيب محفوظ بدأ في طريق وسار في طريق آخر
تنيسي وليامز ... يتحدث مع نفسه
الفسطاط الجامعة الأولى في مصر الإسلامية
الهلال
مجلة علمية تاريخية صحية أدبية
لمنشئها
جرجي زيدان
August 1893
Faggalah, Cairo, Egypt
١٩٧٩م
العدد الأول من الهلال والأخير منه
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
مجلة الهلال عميدة المجلات
وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
قيمة الاشتراك
بالبريد العادي:
بالبريد الجوي:
في البلاد العربية:

اكتوبر ١٩٧٩

الهلال

مجلة الفكر العربي

الأرض تصبح قمرا



أفكار للغد .. استفتاء للمفكرين والعلماء ● سيمون ڤيل .. إمرأة على رأس أوروبا

كلمة الهلال

السماء لازالت زرقاء.. وراء طبقات السحب

● لم تمر على عالم العرب والاسلام فترة هي اشد من الفترة التي نعيشها اليوم ، فان المشاكل واسباب القلق تتوالى وتتراكم حتى يبدو المستقبل وكأنه سماء ملبدة بالغيوم لا تجد العين فيها قطعة زرقاء.

وهذه الحال تبعث اليأس أو القلق على الاقل في نفوس الضعفاء الذين لا يحتملون اوزار الحياة ويريدونها دائما سهلة ميسرة ، ولكن الاقوياء لا تهزهم السحب ولا تخيفهم السيول لانهم خلقوا لها أو هي خلقت لهم فهم يواجهون الحياة دائما بقلب قوي وعزيمة ثابتة وقلب من حديد .

والمثل الذي أتصوره دائما في تلك الظروف هو مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه عندما واجهته ازمة الردة بعد شهرين فحسب من انتقال الرسول الاكرم الى الرفيق الاعلى ، فقد انتقض بعض العرب على جماعة الاسلام واعلنوا انفصالهم عنها ، وتفاقمت ظاهرة المتنبئين فظهر الكثيرون ممن يزعمون انهم أنبياء وتابعتهم قبائلهم املا في ان يدركوا من الشأو ما بلغته قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يبق في جماعة الاسلام الا المدينة ومكة والطائف .

واختلفت آراء الصحابة حتى ان عمر بن الخطاب اشار بالتساهل في موضوع الزكاة املا في ان تعود القبائل المرتدة الى الجماعة اذا صرف الخليفة نظره عن الزكاة ، وكانت على اي حال ـ وفي رأي عمر ـ مسألة قليلة الاهمية .

ولكن ابا بكر صمد واصر على اعادة وحدة الجماعة دون اي تساهل في حقوق امة الاسلام ، ونادى اهل العزم والدربة بأمور الحروب من صحابته وارسلهم في كل وجه يقودون احد عشر جيشا ، بل بدأ هو فخرج بجيش ، ولكن اصحابه ردوه الى المدينة وقالوا له ان عمله اليوم هو القيادة العليا وعليه ان يقر في المدينة .

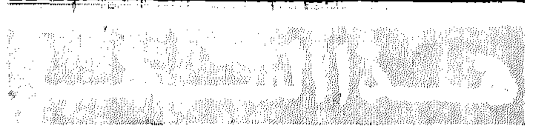
وفي شهور كان ابو بكر قد قضى على الردة واعاد وحدة الجماعة والاسلام ، واثبت بذلك انه جدير بخلافة رسول الله ..

لقد حقق ابو بكر هذه النتيجة الباهرة بالايمان الثابت الذي لا تقهره قوة والعزيمة الصلبة والثقة بالله وبما يؤمن به ـ وهو الاسلام ـ وبجماعة المسلمين ..

وهذا ما نحن بحاجة اليه اليوم : الايمان والعزيمة والثقة بانفسنا وبمستقبلنا .

اننا امة عظيمة ووسائل القوة في ايدينا كثيرة ، ولكننا في حاجة الى مزيد من الايمان بانفسنا وبعروبتنا ، ومزيد من الثقة بعضنا ببعض ومزيد من العمل الجاد المخلص المتقن ومزيد من الحب والتفاؤل .. والبحث عن القطع الزرقاء بين السحب .

المحرر





مجلة الفكر العربي

ذو القعـدة ١٣٩٩ هـ
أكتوبـر ١٩٧٩ م

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى عبيد

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
– اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
– السنة السابعة والثمانون –
اول اكتوبر ١٩٧٩ – ١٠ من ذى القعدة ١٣٩٩

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر .. ويبذل اقصى مايستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير (الهلال) غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لاترد ، نشرت أم لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الوردى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى ((١٢)) عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صافيا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج.ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الإدارة : دار الهلال — ١٦ شارع محمد عز العرب — القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط) .

عصر انقضى وولّى زمانه .. ولكن العصر الجديد لم يُولد بعد ..

بقلم : رئيس التحرير

في صباح يوم الاثنين ٢ من سبتمبر الماضي (١٩٧٩) انفجرت شحنة من المتفجرات في قارب الايرل ماونتباتن أوف ايتديا ، أودت بحياته وحياة ابن أخته وعدد من البحارة ، واصابت عددا كبيرا بجروح بالغة ..

كان ذلك في خليج دونيجال الصغير في قرية مولاجمود في شمال ايرلاندا، هناك يملك الايرل ضيعة مساحتها ١٥٠٠ فدان تمتد الى شاطيء البحر . هناك أنشأ الاميرال الانجليزى الجليل مرسى صغيرا لسفن النزهة ، ووضع فيه قاربه الصغير . في كل عام كان الايرل يقضي شهرا في هذه الضيعة ، وفي كل يوم كان يخرج بقاربه في الصباح يرتاض ويصطاد ، حتى كان ذلك اليوم حيث لقي الايرل مصرعه المحتوم على يد رجال حركة استقلال شمال ايرلاندا المعروفة باسم «ايرا» .

وقد أثار ذلك النبأ موجة فزع في العالم كله لأن هذا الرجل كان من أكبر الشخصيات العالمية ، وكان موته على هذه الصورة جريمة بشعة ولكنها تكاد تكون عادية في عصرنا هذا الذي يضطرب بالثورات والحروب والصراعات التي لا يدرى أحد الى أين ستمضى بنا ..

ولقد عبر عن حيرة العصر واضطرابه وغليان الافكار والحركات فيه السيد فاليرى جيسكار ديستان رئيس جمهورية فرنسا في حديث نشر في مجلة « بارى ماتش » قال فيه ان العالم مقبل على تغيرات حاسمة وان فرنسا اذا لم تتنبه الى هذه التغيرات وتستعد لها فانها ستتعرض لاخطار جسيمة ، لاننا ندخل الآن في عصر جديد غير محدد المعالم والسمات ، ولكنه عصر خطر ، فان الصراعات التى تمزق الدنيا اليوم صراعات عنيفة خطرة ، ولا يعرف أحد شيئا واضحا عن صورة الغد ، وعلينا أن نكون على أقصى درجات الأهبة والاستعداد للعصر الجديد بمجرد أن تبدو لنا معالمه ، بل علينا أن نبذل أقصى الجهد في

هل انتهى حقاً عصر الاستعمار ؟ هل تخلت الدول الكبرى عن سياساتها الاستعمارية ؟ هل هى تريد الحرية والعلم والرخاء للبلاد الفقيرة السجينة وراء قضبان مايسمى بالعالم الثالث ..؟

صياغة صورة ذلك العصر ، والا فالله وحده يعرف ماذا سيجرى علينا غدا وبعد غد !

***

وسبب الحيرة التى تجتاحنا اليوم هو اننا فى الواقع ما زلنا نعيش فى نهايات عصر مضى بنهاية الحرب العالمية الثانية ، وبدايات عصر بدت طلائعه مع تفجير الذرة واستخداماتها المختلفة – من القنابل الى انتاج الطاقة · والابتكارات الاليكترونية التى تغير وجه الارض ، ونحن موزعون بين العصرين · فمن الناحية السياسية يدور الصراع بين بقايا الامبراطوريات وطلائع عصر تحرر الشعوب ومن هنا كان مصرع الايرل ماونتباتن رمزا على نهاية العصر الماضى ، وكانت الجريمة نفسها اشارة الى العصر الخطر الذى ينتظرنا والذى أشار اليه الرئيس فاليرى جيسكار ديستان ··

لهذا نظرنا الى مصرع الايرل ماونتباتن على أنه نهاية لعصر واشارة الى بداية عصر مجهول يحفل بالمخاطر ·

ذلك أن الايرل لويس ماونتباتن رغما عن الشخصية الجليلة الجميلة التى تمتع بها يعتبر رمزا على العصر الاستعمارى كله ، فهو رجل من كبار النبلاء ، ولد فى بيت ملوك ، وربى ملوكا ، وخدم ملوكا ، وكان عمادا من عمد الامبراطورية البريطانية ·

وقد مات ماونتباتن بقنابل ثوار ايرلاندا وهم جناح كبير من أجنحة الحركات الثورية التى تهز عصرنا هذا ، وهذه الحركات كلها تعمل جاهدة فى اقطار الارض الاربعة لكى تنشىء عالما جديدا لا يدرى رجالها كيف يكون ، ومن هنا كان المعنى البعيد لذلك الحادث الجلل الذى يعتبر ايضا جريمة بشعة ··· معنى نهاية عصر استنفد غاياته وبداية عصر قلق ينذر باسوا الاحتمالات ··· عالم الغد المجهول الذى نقترب منه يوما بعد يوم ·

***

والحقيقة اننا نعيش اليوم فى نهاية عصر انتهى دون أن يبدأ العصر الذى يليه ··

لأن العصر الذى ينبغى أن يليه – وهو عصر الغد – ينبغى أن يكون عصر حرية الشعوب وكرامة الانسان ، وينبغى أن يكون عصر الرخاء والامن لكل شعوب الارض ·

ولكن الدول الكبرى التى تصنع اليوم عالم الغد هي في ذاتها دول استعمارية ضخمة تحاول أن توجه سياسة الدنيا لما فيه صالحها ولما يؤدى الى زيادة سلطانها وتقوية قبضتها على العالم ، وهى بهذا تحول دون ميلاد العصر الجديد ٠

ولنأخذ روسيا مثلا ، والمفروض انها بتقدمها العلمي تسير في طريق العصر الجديد ، عصر حرية الشعوب وكرامة الانسان ، فهل هى تعمل لتحقيق هذه الغاية ؟ ٠

انها تفعل عكس ذلك ٠٠

فهى تسيطر بقواها العسكرية على مساحة من الارض تفوق مساحة الامبراطورية البريطانية فى أوجها الاستعمارى ، وهذه المساحة التى تمتد من نهرى الأودرنيسه الى المحيط الهادي ، ومن المحيط المتجمد الشمالى الى قلب آسيا تسكنها عشرات الشعوب التى تخضعها روسيا لسلطانها بالقوة والعنف فها هي بلاد التركستان وما يليها شمالا من جمهوريات كازاكستان وقرغيزيا وطاجيكستان وغيرها ، فهذه البلاد التى تسمى جمهوريات اشتراكية سوفييتية لا يسكنها روس ولا يريد أهلها أن يكونوا خاضعين لروسيا ولا يريدون أن يكونوا اشتراكيين أو شيوعيين ، انهم يريدون أن يستقلوا ببلادهم الاسلامية ، وأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ويكون لهم فى هذا العالم صوت ، فأين هذا الصوت ؟ ٠

ان القوة العسكرية الروسية تحكم بلادهم وتفرض عليهم المبادىء الشيوعية وتحارب الاسلام وتمنع الناس من اقامة شعائر دينهم ٠ واذا جرؤ انسان هناك على أن يقول شيئا لا ترضى عنه سلطات الحزب الشيوعى أودع فى السجن أو شرد فى سيبيريا أو ربما اصابه أسوأ من ذلك ، فأين حريات الشعوب وأين كرامة الانسان ..؟

***

واذا كان هذا هو الحال فكيف يبدأ العصر الجديد ؟ ٠٠

بل هناك شعوب اوروبية ذات مستوى حضارى رفيع مثل بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والمانيا الشرقية ترغم شعوبها كلها على الخضوع لروسيا بالقوة الغاشمة ، ويفرض على أهلها النظام الشيوعى بالسلاح ، واذا جرؤ انسان على أن يفتح فمه فان مصيره السجن والتشريد ، وكلنا نذكر ماذا حدث للمجر سنة ١٩٥٦ وكيف قضى على حركتها التحررية بالقوة الغاشمة ، وبعد ذلك بسنوات كانت ماساة تشيكوسلوفاكيا ٠ بل ان الامر يتخطى ذلك ، ففى افريقيا وآسيا بلاد اخضعت للسلطان الشيوعى بسبب فقرها البالغ وحاجتها الى اى مساعدة مالية أو حضارية ، فقدمت روسيا شيئا من العون لهذه البلاد واخذت منها استقلالها فى مقابل ذلك ٠٠

ومثال ذلك ما حدث لليمن الجنوبى وما يحدث للحبشة نفسها التى فرض عليها النظام الشيوعى ثم سخرت لخدمته ، ثم استجلبت المرتزقة الكوبيين لكى يؤيدوا هذا النظام الشيوعى ٠

وهؤلاء الكوبيون يستغل فقرهم ، وتجندهم حكومتهم وترسلهم ليحاربوا الفقراء مثلهم فى أفريقية ليفرضوا عليهم الفقر والذل والظلم بقوة السلاح ٠

فأين هذا كله من العصر الجديد ؟

***

والعالم الرأسمالي نفسه الذى يتصور انه عالم الحرية والديمقراطية

إذا كان ولابد أن تطلع شمس عصر جديد ..
فلتطلع عليهم وحدهم ، أما الآخرون فلا مفر
لهم من البقاء في عالم الفقر والاستعباد والظلام.

وكرامة الانسان .. هل تتصور أنه يصنع شيئا لمعاونة العصر الجديد على الظهور ؟

انه يفعل العكس ...

فهو ما زال استعماريا فى تصرفه وخلقه وان بدا لنا غير استعمارى فى سياسته . كل ما حدث انه استبدل وسيلة الاستعمار وأدواته ، وبدلا من أن يفرض سلطانه بقوة السلاح يفرضه اليوم بقوة العلم والمال ..

فما زال الغرب الاوروبى والامريكى الى اليوم مركز العلم والتكنولوجيا والصناعة . فأما العلم فان الغرب لا ينشره الا بمقدار ، واذا حدث أن تعلم انسان غير غربى وبلغ من العلم مبلغا كبيرا كان هم الغرب اجتذابه اليه وحرمان بلاده منه بما يقدم اليه من المغريات والتيسيرات ، ولا تتصور أن ظاهرة هروب المتخصصين من أهل الشرق الى الغرب مسألة تجرى بصورة طبيعية ، أى أن المتخصص المتميز فى بلاده الشرقية يسعى سعيا حثيثا للهجرة الى الغرب ، فان الذى يحدث أنهم يستدرجونه ويغرونه للعمل فى بلادهم بتقديم تيسيرات يعرفون انها غير موجودة فى بلاده ، وما من رجل منا متميز فى ناحية من نواحى العلم والفن الا وقد عرضت عليه فرص العمل فى الغرب مرة بعد أخرى ، بل يبلغ الأمر أحيانا مبلغ الاغراء بالمناصب والمرتبات . وبالأمس فقط شهدنا الولايات المتحدة تستدرج راقصا روسيا متميزا فى فرقة البولشوى حتى قرر أن يستقر فيها ، فلما ارادت زوجته أن تعود الى روسيا قرر الامريكيون عمل تحقيق معها للتأكد من أنها تريد العودة الى بلادها فعلا ،وقامت لجنة من أعضاء مجلس الشيوخ باستجوابها للتأكد من رغبتها فى العودة الى بلادها ! ولو أن هذه السيدة لم تكن راقصة باليه متميزة لطردوها من الولايات المتحدة طردا بمجرد انتهاء مدة اقامتها فى امريكا . وهذه الحادثة رمز على ما يفعلونه فى الغرب لسرقة العلم والفن من البلاد التى هى فى أشد الحاجة اليه ..

وقل مثل ذلك عن التكنولوجيا . انها امتياز غربى ، وهم لا يمكن أن يعلموا غير الغربى أسرار العلم الحقيقية ، واذا حدث ووصل اليها شرقى اجتهدوا فى استدراجه الى بلادهم ومنحه جنسياتهم واغرائه بالبقاء عندهم ، واذا استثنينا اليابان التى سرقت التكنولوجيا والعلم الغربيين من أوائل هذا القرن ، فانك تستطيع أن تتأكد أن الغرب لا يسره أبدا أن يتفوق اى بلد شرقى فى اى ناحية من نواحى التكنولوجيا ، والوسيلة الاولى لذلك هى رفع أسعار الادوات التكنولوجية الى درجة لا تمكن البلاد النامية من الحصول على القدر الكافى منها

وانظر الى اثمان الطائرات والاسلحة المتطورة وأجهزة المستشفيات والمعامل والحاسبات الاليكترونية ، ثم انظر الى غلاء أسعار اصلاحها وقطع غيارها • **لقد استدان بلد افريقى من البنك الدولى مرة ثلاثين مليونا من الدولارات** لانشاء مطار ، وعندما تم انشاء المطار تقدمت الشركات المنشئة بفواتير ومطالبات تبلغ عشرين مليونا من الدولارات زيادة على العرض الاول ، وعجز البلد عن الدفع كما عجز عن سداد اقساط البنك ، فكانت النتيجة أن توقفوا عن تقديم المعاونات الفنية اللازمة لتسيير المطار ، واضطر البلد فى النهاية الى تسليم المطار للشركات المنشئة لتديره وتستغله لصالح دولتها ، والى يومنا **هذا لا يعرف أهل هذا البلد الافريقى من أعمال المطار الا أعمال البوابين والحراس وعمال النظافة ، وحتى هؤلاء يشرف عليهم رئيس أوروبى !**

وأما الصناعة فانظر الى الحرب القاتلة التي يشنونها على أى صناعة محلية تنشأ فى بلد غير غربى • انهم لا يتركون الا الصناعات التى تساعدهم هم على الاستزادة من السلطان على غيرهم ••

فهم يساعدوننا على انشاء الفنادق الكبرى لكي يجدوا مكانا ينزلون فيه اذا اتوا الى بلادنا ، أما مساعدتنا فى انشاء مصنع للحديد والصلب فلا تتم الا بمقدار ضئيل جدا ، ومهما قالوا فهم لا يسرهم أن يقوم فى مصر مثلا مصنع سيارات ناجح ينافس بلادهم بانتاجه ، ولكنهم يسارعون الى انشاء مصانع تجميع لسياراتهم في بلادنا حتى تظل الصناعة قصرا عليهم •

وقد حضرت مرة جلسة مفاوضات بيننا وبين وفد امريكي أتي لمعاونتنا على انشاء صناعات ، فكانت المقترحات التي تقدموا بها هي : انشاء فندق كبير وانشاء مصنع ملابس جاهزة وانشاء مصنع مشروبات غير كحولية وانشاء مصنع أدوات كيميائية تقتصر على المبيدات الحشرية وأدوات التجميل ! وهذه كلها صناعات ليست أساسية ، انها كمالية ، وعندما تقدمنا بمشروع لانشاء مصنع كيمائيات اساسية تنفعنا فى الصناعة الثقيلة قالوا انهم سيدرسون الموضوع ، وما زالوا يدرسونه الى الآن منذ ثلاث سنوات •

***

هناك اذن سياسات مرسومة لابقاء المستعمرات مستعمرات ، ولابقاء الضعفاء ضعفاء والفقراء فقراء • والبلاد التى نسميها نامية ستظل تسمى نامية الى آخر الزمان ، بل ان السياسات المرسومة هناك ترمى بالفعل الى الهبوط ببلاد العالم الثالث الى العالم الرابع ومنعها بشتى الطرق من التقدم والخروج من قيود الجهل والفقر والحاجة ، لأن أهل الغرب الرأسمالى يعتقدون اعتقادا جازما بأننا أصبحنا أغنياء وأصبحوا هم فقراء ، وأن صناعاتنا اذا نهضت توقفت صناعاتهم •

تلك هى الحقيقة فى نهاية الامر ، وكل ما يعملون ويقولون فى المجامع الدولية ، والكتب والصحف كلام فى الهواء •

فنحن محاصرون من يمين وشمال •

يحاصرنا الغرب اليمينى بأمواله الضخمة وعلومه المتقدمة وتكنولوجيته المعقدة وصناعته الهائلة الغالية الثمن •

ويحاصرنا أهل الشرق الماركسى بالعمل على نشر مبادئه الهدامة فى بلادنا واثارة القلاقل والفوضى فى مجتمعنا ، واذا زعم أحيانا أنه يقدم مساعدات تكنولوجية لبلد من البلاد النامية ، فهو يكبله بالقيود قبل أن يعطيه شيئا ، **واذا اعطاه اياه احتفظ بالاجزاء الاساسية في يده ، ولسنا في حاجة الى الاشارة**

الى الطائرات التى اعطوها لمصر ثم قطعوا عنها قطع الغيار لكيلا تصبح للطائرات أى فائدة .

***

لقد انتهى عصر ولكن العصر الجديد لم يبدأ ولا يمكن أن يبدأ ، لان أصحاب القوة في الغرب والشرق على السواء يريدون أن يكون العصر الجديد جديدا بالنسبة لهم فحسب ، أما نحن فلا مفر لنا فى رأيهم من أن نظل حيث كنا مستعمرين فقراء جهلاء وان كانت أشكال الاستعمار والفقر والجهل قد تغيرت .

هذا هو السبب الاكبر فى قلق العالم وفوضاه اليوم ، واذا كنا نسمع عن أعمال التخريب التى تقوم بها جماعات سياسية سرية فلنعلم أن هذه الجماعات ونشاطاتها مظهر للقلق والضيق الذى يعانيه المظلومون والمضطهدون والمحرومون .

حقا ان الجريمة شيء بشع ولكن ما وراء الجريمة بشع كذلك ..

ولقد قال سعد زغلول مرة : اننى لأعجب من الذى يقول للباكى .لا تبك قبل أن يقول للضارب لا تضرب .

ان العصر الجديد لن يولد قط ما دامت قوى الغرب تقف هذه المواقف وتضع هذه السياسات ..

وهي تحسب انها بذلك تضمن لنفسها السيادة والمال والقوة الى الأبد .. وهذا خطأ ..

لان هذه الارض تضيق بأهلها يوما بعد يوم . والانفجارات الصغيرة التي تحدث فى البلاد الصغيرة بسبب الفقر والجهل والظلم ستتجمع فى النهاية وتتحول الى انفجار مروع يمزق اشلاء الجميع ، الكبار والصغار معا ، ويقضى على الحضارة والانسانية ..

ترى ، هل هذا هو ما اراد أن يقوله فاليرى جيسكار ديستان عندما قال ان العالم يتغير ، واننا نسير نحو كارثة ، وان علينا أن نغير سياساتنا اذا اردنا أن نتلافى الضياع ؟

ربما ..

ولكن هؤلاء الناس لا يقولون الا نصف الكلام .. لا يقولون الا نصفه الذى يصنع المشكلة ويصمتون عن نصفه الذى يحل المشكلة ..

هذا النصف الآخر علينا نحن أن نقوله ..

د . حسين مؤنس

أفكار للغد

تحقيق واستفتاء

صفحة (٤٢) في هذا العدد



العاطفة في الشعر الهاتف بالوحدة

● د . أحمد الحوفى ●

- ١ -

● **للشعر الجيد عدةسمات وخصائص ، منها انه تعبير جيد عن العاطفة التي جاشت بنفس الشاعر ، واى شعر لاينبع من العاطفة شعر زائف لا خلود له .. ربما يخدع بعض الناس حينا بهرجه ومظهره ، لكنه لا يستطيع ان يبهر نفوس الخاصة او يثير مشاعرهم .**

ولقد قرض شعراء الامة العربية مئات من القصائد هتافا بالوحدة العربيسة المنشودة ، فهل نبع هذا الشعر كله من قلوبهم ؟.

نعم ، لأن ينابيع هذا الشعر كانت آلام الأمة العربية وآمالها ، وضيقها بالاحتلال وبالتخلف وبالفرقة ، واعتزازها بماضيها العظيم العريق المتألق ، وطموحها الى حياة ارقى من حياتها ، والى مكان اسمى من مكانها ، وتعاطفها فى السراء ، وتكاتفها فى الضراء ، وحرصها على ديارها ولغتها ، واستمساكها بالروابط الوثيقة التى تجمعها .

والشاعر فى امته فرد ممتاز برهافة حسه ، وتجدد آماله ، وهو لسان قومه المعبر ، وترجمانهم الصادق ، يبهجه مايبهجهم ، ويسوؤه مايسوؤهم : فلا يفتأ يبغض اليهم التخلف ، وينفرهم من الهوان ، ويحدوهم الى مايطمحون اليه من سؤدد وعزة ومثل عالية .

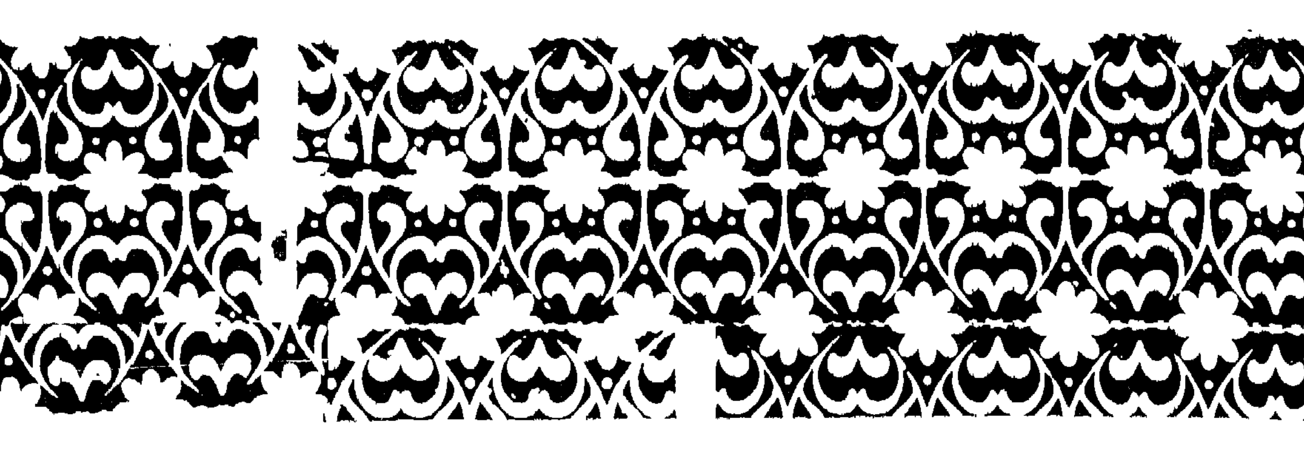
على أن الشاعر اذ يعبر عن شعور قومه يعبر أيضا عن مشاعر نفسه ، لانه جزء منهم ، لا ينفصل عنهم ، آمالهم آماله ، وآلامهم آلامه ، وفخارهم فخاره ، وعارهم عاره .

ونحن جميعا ـ والشعراء منا ـ نبغض الاحتلال ونناضله ، ونرتخص ارواحنا فى الذود عن وطننا وعن وحدته .

وكلنا ـ والشعراء بعضنا ـ نعتز بماضينا وبأبطالنا وبتراثنا ونحرص عليه اشد الحرص ، لانه دعامة فى كياننا .

ونحن كلنا ـ والشعراء معنا ـ نصطلى أسى على فلسطين ، وننقم من المعتدين عليها . ونتشوف الى اليوم القريب الذى يسترد فيه أبناؤها كامل حقوقهم .

واننا وشعراءنا لتفيض نفوسنا بهجة بما نحرزه من نصر بين الفينة والفينة ،



فتحرر المغرب من احتلال فرنسا أبهجنا ، واستقلال الجزائر سرنا، وتحرر سورية ولبنان حيرنا ، وانتصارنا في معركة العبور العظيمة ازدهانا ، ومصاهدة السلام أفرحتنا ، وهكذا تتجاوب مشاعرنا فى كل حدث من أحداث العروبة . فلا عجب ان جاءت العواطف فى شعر الوحدة العربية صادقة ، لا نفاق فيها ولا زيف ولا مين ، لان مصدرها شعور عميق ، ولأنه لا مدعاة الى تكلف القول فى موضوع من موضوعات الوحدة .

وهذه العواطف الصادقة سامية ، لانها اجتماعية تتصل بالأمة كلها ، وترتبط بخيرها وعلاها ومجدها ، وليست فردية هابطة كالحسد والجشع والغيرة، وهى الى صدقها وسموها قوية ، تبدو قوتها فى حرارتها التى تهيج نفوس القراء أو السامعين ، وتشركهم مع الشعراء فى الفرح والحزن ، وفى الرضا والسخط ، وفى الاعجاب والازدراء ، وما شاكلها من المشاعر والعواطف القومية .

– ٢ –

فلنضرب امثلة لهذه العواطف وضروبها :

١ – يبدو الحب المتبادل بين العرب ، والاخاء المتودد الحانى ، والمشاركة الوجدانية فى البأساء والضراء وفى الخيرات والنعماء فى قول امير الشعراء شوقى :

رب جار تلفتت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى مصريا بمآقى وطنى او مهنئا بلسانه ...
كان شعرى الغناء فى فرح الشرق وكان العزاء فى احزانه
قد قضى الله ان يؤلفنا الجرح وان نلتقى على اشجانه
كلما ان بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عمانه
وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث فى قضبانه
نحن فى الفكر بالديار سواء كلنا مشفق على اوطانه

وفى قول حافظ ابراهيم:

اذا المت بوادى النيل نازلة باتت لها راسيات الشام تضطرب
وان دعا فى ثرى الاهرام ذو الم أجابه فى ذرا لبنان منتحب

٢ – ويتجلى فخر الشعراء بماضى العرب العريق المجيد ، وبتفوقهم فى كل

مجال ، وفخرهم بابطال العرب وعلمائهم وبتراث العرب وعدلهم وحضارتهم فى كثير من قصائدهم .

فقد وقف شوقى على آثار العرب بالأندلس ، فغالبه البكاء اذ يسترجع تاريخهم المشرق الوضاء هنالك ، وترقرق الدمع فى عينيه ، ولكن اجلاله لاجداده العظماء ثناه عن البكاء ، لانهم لم يخضعوا الا لله ، ولم يبكوا الا فى صلواتهم وضراعتهم لله ، ثم عقب على هذا بأنهم سادوا العالم ، معتمدين على دينهم وعلى اخلاقهم التى اشتهروا بعلائها قبل الاسلام وبعد الاسلام :

رسم وقفنا على رسم الوفاء له — نجيش بالدمع والاجلال يثنينا
لفتية لا تنال الارض ادمعهم — ولا مفارقهم الا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة — للناس كانت لهم اخلاقهم دينا

وهكذا خايل على الجارم ببغداد منارة الحضارة الاسلامية ، وسجل المجد الذى لا يبلى ، فقال :

بغداد يا بلد الرشيد — ومنارة المجد التليد
يا سطر مجد للعرو — بة خط فى لوح الوجود
يا مغرب الامل القديـ — م ومشرق الامل الجديد
اهلوك اهلونا وابنا — ء العشيرة والجدود

وقص هلال ناجى لقاءه لفتاة لبنانية فى المانيا ، فحن اليها لانها عربية مثله ، وبعد ان وصفها واشاد بتصونها ، ختم الوصف بانه يعاف الجنة ان خلت من معالم العروبة :

لست اهوى الخلد ان لم — يحو دنيا عربية

٣ ـ اما الحسرات على ماضى الاجداد المجيد ، والتفجع على شمسهم التى افلت فان الشعراء قد افتنوا فى تصويره . فمثلا مر شوقى بالمسجد الكبير الحزين فى دمشق ، فسأله : هل يؤم المصلين فيك او يخطبهم خليفة عربى قوى مثل مروان وعبد الملك ؟ لقد غيرت ظروف الدهر احوالك ، وتوالى على منبرك اوزاع من احرار وعبيد ، وتردد فى مئذنتك صوت ضعيف بعد ان كان يدوى منها اذان قوى خلاب ، وصار ناسك غير اسلافهم ، وروادك غير اجدادهم :

مررت بالمسجد المحزون اسأله — هل فى المصلى او المحراب مروان ؟
تغير المسجد المحزون واختلفت — على المنابر احرار وعبدان
فلا الاذان اذان فى منارته — اذا تعالى ولا الاذان آذان

ونجد مثل هذه الحسرة فى وقفة عزيز اباظة امام اطلال الزهراء خاشعا اجلالا لشمس غربت ، مالئ القلب بافكار عواصف ، لان امواج الذكريات تتوالد عليه زاخرة فلا يطيقها ، ونحس الحنين الى الماضى فى سؤاله الحزين للطلل



الحزين عن خلافة العرب وعن الخليفة العظيم عبد الرحمن الناصر :

وقفت في طلل الزهــــراء مختشعا — والنفس نهب لفات من عواصـــفها
طوفت بالطلل الاسـوان اســاله — اين الخلافة في حضـنى خلائفها ؟
أين ابن بجدتهـا (١) شمت حضارته — سنا على سـالف الدنيـا وآنفهـا
ياويحهـا ذكـريات هجن بى حرقا — تنساب فى راسب الذكرى وطائفها

٤ ـ كما تبرز فى شعرهم عاطفة الاعجاب بنضال العـرب المستبسل ، وجهادهم لطرد الغاصب والمستعمر ، وتقديرهم للابطال المغاوير الذين يشبهون الاسود فى اشد حالاتها غضبا وصولة ، كقول شوقى فى تصوير بطولة يوسف العظمة وبلائه المجيد فى موقعة ميسلون بأنه مشى فى جنوده القلة ، ومشت اليه فيالق من فرنسا مختالة بكثرتها وقوة سلاحها وانتصارها فى الحرب العالمية الاولى ، فملأت الارض بأسلحتها الثقال ، وحشدت طياراتها فى الجو ، وأشعلت الفضاء من حول يوسف العظمة نارا ، فلم يأبه ولم يكترث ، ومازال يحارب حتى مالت الشمس للمغيب ، فغربت روحه وهو فى هالة من ابائه وحريته وبطولته :

مشى ومشت فيـالق من فرنسا — تجر مطارف الظفــر اختيـالا
ملأن الجـو اسلحة خفــافا — ووجه الارض اسـلحة ثقــالا
وارسلن الرياح عليــه نــارا — فما حفل الجنــوب ولا الشمالا
اقام نهــــاره يلقى ويلقى — فلما زال قرص الشمـس زالا
وطاح ترى به قيــد المنــايا — ولست ترى الشكيم ولا الشكالا (٢)

وكثيرا ماتوالى شعراء العروبة على بكاء الشهداء ورثاء الابطال ، كما نجد فى رثاء جميل صدقى الزهاوى لاحرار العرب الذين تكل بهم الوالى التركى سنة ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، وجاءت مرثيته نائحة فى مئة وستين بيتا ، وكذلك تفجع عليهم محمد ناجى القشطينى ورشيد الهاشمى وابو الفضل الوليد ورشيد سليم الخورى .

ولما مات سعد زغلول رثاه مئات من شعراء الامة العربية .

٥ ـ كما يتجلى سخطهم على الاحتلال فى كثير من قصائدهم .

٦ ـ كذلك تشتمل قصائد الشعراء اسى على فلسطين ، وتفجعا على الشهداء ، وحزنا على البقاع المغتصبة ، كقول احمد محرم ان جرحها دام فى فؤاده وفى كبده ، وان شهداءها اعزة عليه ، لانهم ابناؤه واخوته وابناء عمه :

فى فؤادى جرحك الدامى وفى — كبدى مافيــه من حــزن وهم
كم صريع لك فى اشــــلائه — مصرع القــربى واشـلاء الرحم
فجعــونى فيـــه بابن صــالح — واخ حر السجايا وابن عـــم

● هذه ضروب من العواطف فى الشعر الحديث الهاتف بوحدة الامـة العربية ، منذ مشرق هـذا القرن وأنه لفيض زخار جدير بالدراسـة وبالاشادة والتقدير .

---

(١) ابن بجدتها : العالم بها الخبير

(٢) الشكيم والشكال : اللجام والقيد

الثقافة والمثقفون

• د. عبد الفتاح الديدى •

• لا يوجد معدل ثابت لنمو الثقافة وازدهارها كما لا توجد احوال سياسية مواتية أو غير مواتية لانتعاش الثقافة. وقد يؤدى تقدم التعليم الى ازدهار الثقافة على نحو ماجرى فى مصر فى القرن التاسع عشر عندما ارتفع مستوى التعليم بالازهر وظهرت حركة قوية للنهوض بالتراث واعادة طبع المؤلفات القديمة والحرص على التعريف بالعصور الادبية القديمة عند العرب. وعرفت المطبعة عددا من الشروح والتفسيرات والتعليقات على المحفوظ من الكتب القديمة ..

وبلغت دراسة الفلسفة والمنطق اوجها فى اروقة الازهر فى أواخر القرن الماضى واشتهر العديد من المفسرين وشراح الادب العربى قبل الاسلام وبعده .. وحظى الازهر باسماء لامعة تعيش حوله فى حى الحسين حتى أصبح كعبة القاصدين من شتى الاقطار العربية والاسيوية والافريقية ومن جميع أرجاء مصر . وظهرت أولى المطابع العربية فى حى سيدنا الحسين واستطاعت ان تمد رجال التعليم الازهرى بالمطبوعات الهامة كحركة من حركات النهضة العربية التى تعتمد اعتمادا كليا على التراث العربى فى العصور الوسطى ..

وفى القرن الماضى عرفت مصر عددا من العلماء والأدباء من امثال الشيخ حسين المرصفى ، ورفاعة رافع الطهطاوى ، وعبدالعزيز جاويش ، وعثمان المهدى ، والسيد توفيق البكرى ، والامام محمد عبده ، والشيخ حمزة فتح الله .

الى جانب هؤلاء عرفت الثقافة العربية طريقها الى الوجود على ألسنة الكتاب والشعراء والفنانين والصحفيين وحضر الى مصر عدد كبير من الادباء اللبنانيين ليعيشوا فى ربوع مصر من امثال اليازجى والبستانى ومحمد كرد على ويعقوب صروف وفرح انطون وشبلى شميل وجرجى زيدان مؤسس مجلة الهلال سنة ١٨٩٢ .

واشتهر من الادباء مصطفى لطفى المنفلوطى ، ومحمد المويلحى ، وابراهيم المويلحى ، ومحمد فريد وجدى ، والشيخ رشيد رضا ، وابراهيم الهلباوى .

وعرف ميدان الشعر : الساعاتى وامام العبد ، ومحمود سامى البارودى وعلى الليثى ، ومحمد عثمان جلال ، وعبد الله فكرى ، والسيدة عائشة التيمورية ، ومحمد عبد المطلب ، وحفنى ناصف ، وعبد الله النديم .

وازدهرت الفنون التشكيلية على يد عدد من المصورين الفرنسيين الذين اقاموا فى حى الخرنفش وحى السيدة زينب . وظهر المسرح والغناء والطرب الموسيقى ، ونشأ حى الازبكية ليضم دور الفن المختلفة والمسارح المتواضعة واشتهر فى القرن الماضى مقهى نوبار الذى كان يضم لفيفا من الوجهاء والفنانين مثل عبده الحمولى وتردد

● الثقافة هى استثمار قدرات الإنسان لإعطاء أجمل تعبير ممكن ، وواضح أن هذا لا يكون فى باب التعليم أو المعرفة وانما فى باب الفن والأدب والموسيقى بكل تفريعاتها

عليه الشاعر خليل مطران وسليم سركيس .

وفى شارع محمد على ظهرت فى القرن الماضى موسيقى حسب الله الذى كان يعمل فى موسيقى الحرس الخديوى والف اول جوقة للموسيقى من هذا النوع فى القاهرة . وفى اخريات القرن التاسع عشر كان يوجد بشارع عماد الدين بالقرب من شارع رمسيس « عباس حينذاك » مسرح « الفولى برجير » على نمط المسرح الباريسى المشهور ، ولكن بصورة مشوهة ويقدم الفرنسيون والفرنسيات عروضه .

فالثقافة باشكالها البدائية ظهرت الى جانب التعليم فى القرن الماضى . وكان المفروض ان تتطور الثقافة تطورا ايقاعيا مع سرعة التقسم التعليمى والسياسى ، ولكن الثقافة لا تتطور بمعدل ثابت لان كثيرا من عصور الانحطاط السياسى عرفت ازدهارا ثقافيا منقطع النظير . ويمكن البرهنة على ذلك من دراسة تاريخ الادب العربى فى العصور الوسطى الاسلامية والعصر الحديث .

والان وقد انتعشت الاوضاع السياسية والمؤسسات الاجتماعية اصبحت الثقافة تعانى ما يشبه « الزغطة » اى الفواق بحكم تكوين الفن والادب امام مظاهر الحياة السياسية المصرية التى تنشد الانفتاح على عالم الغرب . وقد انقفل عالم الغرب امامنا منذ الخمسينات بانتهاء حركات الترجمة واللغات . فاختل المثقف المصرى الذى فقد توازنه لعدم معرفته والمامه بالنماذج التى قد يقلدها ويطرق أبوابها . وتوارت الثقافة خلف المشكلات السياسية .

ولكن ماهى الثقافة

والسؤال الذى نلقيه الان على انفسنا هو ماهى الثقافة ؟

ونجيب عن ذلك بسرعة واختصار: الثقافة هى استثمار قدرات الانسان لاعطاء اجمل تعبير ممكن . وواضح ان هذا لا يكون فى باب التعليم او المعرفة وانما فى باب الفن والادب والموسيقى بكل تفريعاتها . ففى التعليم ، المطلوب هو ايجاد الانماط المتكررة من المتعلمين الذين يلمون بمعارف ونظريات موحدة ثابتة . اما الثقافة فهى مطالبة بتحقيق التفرد والامتياز . التعليم قاسم مشترك بين الكثيرين فى حين ان الثقافة خبرة ذاتية فريدة .

وذلك لسبب بسيط وهو ان الثقافة تقوم اصلا فى مجال الابداع ، والابداع مع الاسف لايمكن تلقينه و توريثه أو استيراده ولا تصديره .

العلم والمعرفة هما مجالا الاكتشاف والاختراع عن طريق تركيبات مؤلفة من عناصر موجودة . والدور الرئيسى هنا للتصور . اما الثقافة فهى مجال الابداع والدور الرئيسى فيها للخيال .

وانقطاع الثقافة الغربية عنا افقدنا الاطلاع على تجارب الغير وعلى خبراتهم التى نمسك بخيوطها من اجل اكتشاف ذواتنا على ضوئها . فاذا استطاعت الفنون والثقافات المحلية ان تبرع الى درجة كبيرة ظهرت ملامح ابداع ضعيفة لعدم امكان التخيل ولتحديد المجال الفعلى للرؤية ولصعوبة الحصول على الخبرات العالية ممثلة فى ينابيع القدرات المدربة على سلم الممارسة الذى لا نهاية لدرجاته .

والنموذج المحتذى يمثل ضرورة قصوى فى زرع مقومات الابداع لانه

محاكاة مستمرة للخبرات الجديدة والغريبة . وتؤدي المحاكاة الى تكرار الاحتكاك بالخبرات مما يبعث على زيادة الاستيعاب ويفتح آفاقا جديدة أمام الاحتذاء . وتتبع الدول المتقدمة أسلوبا ثقافيا معينا في العادة من اجل افساح المجال امام بواكير الابداع الفردي وهو تكرار اداء الاعمال الكلاسيكية والالحاح في تقديم القطع الاساسية في الموسيقى والمسرح والغناء والسينما والشعر والرواية الادبية من اجل غرس المفهوم الابتكاري لدى المشتغلين بالثقافة واخضاعهم مدة طويلة للمعايير الفنية التقديرية .

والمثقفون هم حصيلة هذه الخبرات الابداعية وهم الارقام القياسية التي تثبت وجودها عن طريق العطاء الفريد في كل مجالات الفن والثقافة والادب. **وكل خبرة فريدة تتمثل كعطاء مميز من حيث المعايير الجمالية هي رقم قياسي يشارك فيه الناس جميعا لانه امكانية كل قدرة انسانية ولانه يمثل كل ما يملكه الناس العاديون من امكانيات . السيدة الجميلة التي تبهرك على غلاف الصحيفة أو المجلة هي امكانية كل فتاة لان هذه الاخيرة كان يمكن ان تكون على ذلك النحو الرائع الجمال . واللوحة الفنية الرائعة التي يصورها الفنان التشكيلي هي ماكان يمكن ان اعمله لو لم يتفوق على بالخبرة والابداع . وهكذا الحال ابتداء من الطبال حتى المثال والموسيقار والممثل والكاتب او الشاعر .**

واعتاد جاك بيرك المستشرق الفرنسي المعاصر أن يقول في كتبه عن مصر انها تتعرض لما يشبه نكسة دورية كل عشر سنوات . وتكاد هذه النكسة تصبح قانونا في سير الحركة الفكرية والثقافية والاجتماعية في مصر . ولكن يمكن ان تخضع الثقافة في ايقاع نموها وتطورها لقانون آخر وهو قانون التوقف امام لحظات التوسع والانفتاح السياسيين لاسترداد الانفاس . وهذا هو ما يجري في الاونة الحاضرة لان ادوات المثقفين لم تعد كلها على المستوى الذي يليق بخدمة الثقافة في هذه الفترة الحاضرة

التوقف الثقافي

في كل لحظة تاريخية ذات امتداد ثقافي الى ابعد من الحدود الطبيعية والمكفولة للانتاج الفني ، تحدث عثرات واضحة في خط سير المثقفين . **وذلك لسبب واضح وهو أن المثقف يستغني من عمله ويقع في دائرة اليأس المؤقت او الفشل النهائي اذا قاس انتاجه بالمستويات التي تسبق بمراحل قدراته الابداعية .**

وهذا هو ما حذرت منه مجلة « الهلال » في اعداد متوالية خلال العام الماضي وخلال هذا العام عندما اشارت الى نهاية الرواية وازمة الفكر وما الى ذلك .

وعندما فقدت الرواية النموذج المحتذى خبت التجربة المحلية وتشتت صنوف الانتاج وتوزعت خيوط التعبير وذلك لسببين أولهما أن النقاد شغلوا أنفسهم حتى اليوم بقضية التعبير ولم يضعوا مؤشراتهم على حقيقة الابداع . وثانيهما لأن النقد الادبي اصطنع قضايا ايديولوجية وربط الادب بالثورة كما هو الحال عند الدكتور لويس عوض حتى غشي مجال التأليف الروائي غبار ذري يغطي المواهب ويدفن الملكات ويحذر الانسان من انه أضعف من أن يبدع وأهون من أن يصير خالقا في مجال الثقافة ..

وتحولت الروايات الى «نمط» نموذجي مكرر على هيئة روايات أديب والحب الضائع ، أو ليلى بنت الذوات وليلى بنت الفقراء ، أو السيد ومراته في باريس ، والمساكين .

ولا ينبغي أن يفوتنا ان الثقافة نظام شامل يفرض نفسه على كل حياة اجتماعية شأنها شأن اللغة والدين والعدالة . ولذلك تمثل الثقافة نسقا متكاملا ولا يمكن استساغة أحد أطرافها الا بتذوق جملة أفرعها المتعادلة

والمتكافئة . فانت مثلا لا تستطيع ان تلبس البنطلون تحت الجلابية ، او تشهد الرقص البلدى فى مونمارتر ، او فى أحياء مدريد . وكيف يمكن فى ادبنا تقديم مسرح اندريه روسان او مارسيل ايميه أو جان آنوى وسط الاعمال التى تقدمها مسارحنا .

فالثقافة نسق والنسق يتطلب التعادل والمواءمة بين العناصر والمكونات الجزئية بما لا يخلق التنافر . واذا عرضنا العمل الرفيع وسط اعمال رديئة حدث التوقف الثقافى اما لانبهار المثقف المحلى او لاستغنائه عن وظيفته فى تزويد المجتمع بدلائل ما كان يظنه ابداعا . والشك الذى يراود فنانينا ومثقفينا فى قيمة اعمالهم ما هو الا علامة على الطريق .

ويتعجب بعض المترجمين من ان الروايات الاجنبية الرائعة التى يقدمونها الى جمهورنا قد لا تحوز الاعجاب . ولا ينبغى ان يقودهم ذلك الى اليأس لان الظاهرة التى تحدثنا عنها هنا تشعرنا بضرورة الاصرار على تقديم الاعمال الجديرة بالالتفات . ولا يفوتهم طبعا ان الاكلة المفيدة ذات الطعم الفريد قد لاتنجح الى مدى معين امام الاكلات المعتادة ..

وعندما يتكلم النقاد من منظور ارفع من المنظور المحلى يتعرضون فى الغالب للتجاهل . واسوأ من ذلك ألا يكون هؤلاء النقاد على معرفة دقيقة بالاتجاهات الغربية فيقدمونها الى الجمهور المصرى تقديما خاطئا ينشأ عنه تشكك عام فى قيمة العطاء الغربى وقد حدث ذلك فعلا عند بعض من يتكلمون عما يسمونه بالرومانسية أو البنائية .

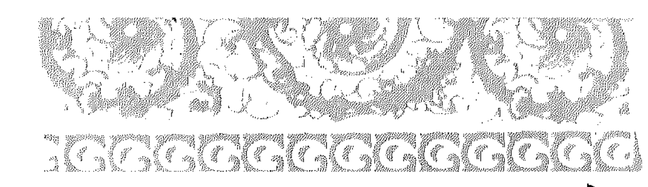
ولا نملك الا ان ننتظر وان نأمل كثيرا فى فترة الركود الحالية بوصفها مرحلة تأهب لوثبة جديدة ندعو الله الا يطول انتظارنا لها .

من امكانيات الثقافة ؟

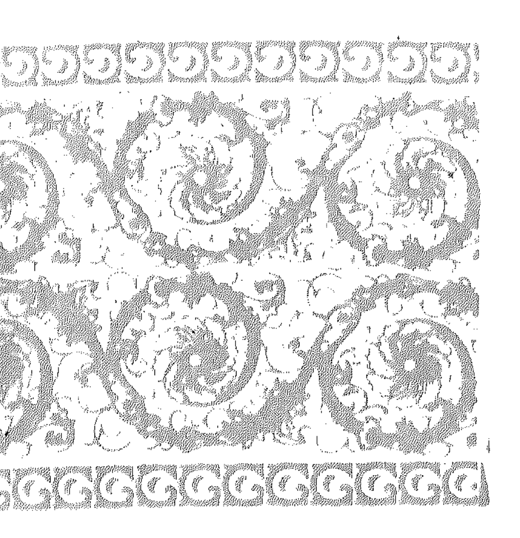
وتستطيع الثقافة بمظاهرها المختلفة فى الرقص والموسيقى والغناء والفنون الشعبية والسينما والمسرح والادب والشعر والرواية والفنون التشكيلية أن تقوم بادوار ذات فاعلية من جملة نواح . فالثقافة لغة الشعوب .

والجماليات ظاهرة وجدت بوجود الانسان على الارض . فهى مقترنة بمعاشه بدائيا كان او متمدنا ، ولا تستطيع البشرية أن تبقى بمعزل عن الجماليات افرادا او جماعات . ومعظم المناطق التى عاش فيها انسان ما قبل التاريخ منذ أكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد بجنوب غرب فرنسا وشمال غرب اسبانيا وبمرتفعات تونس وغرب البحر الاحمر بجنوب مصر وبمناطق اخرى مختلفة – خلف الانسان البدائى تصويرا يفوق بمراحل بعض ما خلفته شعوب اخرى بعد ذلك فى فترات العصر الميزوليثى او النيوليثى . واستوت رغبات الانسان الجمالية ومحققاته الفنية فى العصر الاول للانسان على الارض وهو العصر الباليوليثى منذ خمسة آلاف سنة مع مراحل فنية ذات آثار جمالية مرموقة . وهذا يدل على مدى ارتباط الانسان فى عزلته وفى حياة الجماعة بجماليات الفن وبالتالى بملامح الثقافة الظاهرة والعميقة .

فاذا صح أن الثقافة لغة الشعوب وانها مجال حر للتفاهم والترابط والتنافس ، عرفنا الى اى حد تستطيع الثقافة أن تعبر بنا الى الاخرين من ابناء الانسان فى أى ارض وتحت أى سماء . ويحقق الابداع الذى يتميز به الافراد فى مجال الثقافة ارقاما قياسية تمثل آمال البشرية جمعاء واحلامها . ومن هنا كانت الثقافة نظاما شاملا مفروضا على حياة الافراد والجماعات ، شأنها شأن الدين واللغة والعدالة . وكانت ايضا محاولة متجددة ومستمرة لاستغلال قدرات الانسان وامكانياته من اجل اعطاء اجمل تعبير ممكن .



تصحيح التاريخ





● د. أحمد شلبى ●

● كثير من العلوم تتعرض للاخطاء والتحريف ،ويعمل المفكرون على تصحيحها من حين الى آخر ، ففى الطب كثيرا مايظهر دواء ثم يثبت بعد حين ان هذا الدواء وان عالج داء فهو يسبب مرضا جديدا .. وقل مثل ذلك حول الاخطاء التى يتعرف عليها العلماء فى مجال العمران والزراعة والفلك وغيرها.

ولكن التاريخ كان من اهم العلوم التى تعرضت للتحريف ، ويكون التحريف مؤامرة احيانا ، اى يكون تصرفا من حاكم ليثبت لنفسه ماليس له من امجاد ، وقد يكون التحريف عن غفلة من المؤرخ او عدم دراية أو سبب آخر من الاسباب .

وفى مقالى السابق عن تصحيح التاريخ تناولت بالدراسة موضوع الاسراء والمعراج ، والاسراج والمعراج فى رايى حدثا بالروح والجسد جميعا، وقد قدمت لذلك عدة أدلة ، ولكن التحريف وصل الى الاسراء والمعراج عن طريق تصويره فى صورة عجيبة اعتمدت على أحاديث موضوعة تضعف بهجة هذا التكريم العظيم الذى كرم الله به سيدنا رسول الله .

واتابع اليوم بعض القضايا التاريخية التى تحتاج الى تصحيح :

وضع التاريخ الهجرى

أصبح العام الذى هاجر فيه الرسول بدءا للتاريخ الاسلامى أو التاريخ الهجرى ، وقد كان العرب كغيرهم يؤرخون بكبار الاحداث ، ولاشك أن الهجرة كانت من أكبر الاحداث ، فأرخ بها المسلمون منذ وقوعها كما أرخوا بعام الفيل وغيره من الاحداث العظام ،

● مسجد الرسول كان نوراً وهدى ، ومكاناً للقضاء والتعليم بجانب العبادة ، وكان به جانب للنساء فالدين الإسلامي ليس للرجال فقط ، وهذه الملاحظة مهمة لينبغي أن نهتم بها بتخصيص جزء من المسجد أو دور من أدواره للمرأة ...

ويروى الطبرى «١» أن الرسول لما قدم المدينة أمر بالتأريخ بالهجرة ، وذكر القلقشندى «٢» أن ابتداء التاريخ بالهجرة حدث منذ العام الاول للهجرة ، ويؤكد السيوطى أن الرسول لما كتب لنصارى نجران أمر عليا — وكان يكتب له — أن يذكر انه كتب لخمس من الهجرة ، وعلى هذا فان الذى ارخ بالهجرة وامر بالتاريخ بها هو الرسول صلوات الله عليه ، ولكن شاعت نسبة التاريخ بالهجرة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك خطأ تاريخى ينبغى تصحيحه .

ومع هذا فهناك اسباب دعت الى هذا التحريف ، فالعرب كما ذكرنا كانوا يؤرخون بالاحداث الكبرى ، وقد ارخوا بالهجرة تبعا لذلك مستجيبين لاوامر الرسول ، ثم جاء عهد عمر ، وكان له دور فى التاريخ بالهجرة هو أنه ثبت الهجرة لتكون مبدأ للتاريخ عند المسلمين بحيث لايترك التاريخ بها الى اى حادث آخر يجىء بعدها ، ولعل عمر شاهد محاولة للتاريخ بسقوط دولة الفرس فى يد المسلمين او دخول المسلمين دمشق ، فاعلن الا شىء يعدل الهجرة لانها باب الفتح والنصر ، وثبتها مبدأ التاريخ الاسلامى .

ومما ينسب الى عمر كذلك مرتبطا بالتاريخ الهجرى انه جعل بدء السنة الهجرية شهر المحرم فى حين ان هجرة الرسول تمت فى شهر ربيع الاول ، فقضى عمر بذلك على خلاف ظهر بين الناس ، اذ عد بعضهم شهرى المحرم وصفر ((من السنة التى تلت الهجرة)) عاما ثانيا ، وعدهما بعضهم عاما اول لان الهجرة لم يمر عليها عام ، واستمر هذا الخلاف على مر السنين ، فقضى عمر على هذا الخلاف بان أعلن اعتبار السنة التى هاجر فيها الرسول كلها سنة اولى ، وأن مطلع المحرم من العام الثانى يعتبر مطلع عام ثان على اعتبار أن الهجرة كأنها حدثت فى مطلع العام وهو اتجاه ساد بعد ذلك وأصبحنا نحتفل بالهجرة من مطلع المحرم ، ولعل ذلك أيضا مما جعل التأريخ بالهجرة ينسب الى عمر .

المجتمع الاسلامى

يخطىء بعض الناس وبخاصة من الشبان المتحمسين للاتجاهات الاسلامية فيظنون أن المجتمع الاسلامى هو المجتمع

«١» تاريخ الامم والملوك حـ ٢ ص ١١٠
«٢» صبح الاعشى حـ ٦ ص ٢٤٠

الذى يكون الاسلام فيه دينا لكل اعضائه ، ويكون اعضاؤه سائرين على النهج الاسلامي الرشيد ، وهذه الصورة مثالية نرجو أن تتحقق فى المجتمعات الاسلامية الحالية ، او التى تظهر فى المستقبل ، ولكن اذا لاحظنا المجتمع الاسلامى الذى كونه الرسول صلوات الله عليه ، ووضع أسسه لأول مرة بالمدينة المنورة نجد أنه كان مجتمعا يكون المسلمون فيه أغلبية وليس شمولا ، وكان بعض هؤلاء المسلمين ليسوا كاملى الايمان ، بل فيهم صور من النفاق ..

فعن النقطة الأولى نذكر ان مجتمع المدينة كان به مسلمون ويهود وعرب لايزالون على الوثنية. وعن النقطة الثانية نذكر أن المنافقين كانوا يمثلون مجموعة تتظاهر بالاسلام وتحسب على المسلمين ولكن الله وحده يعرف كيدهم كما ذكرت الآية الكريمة : **((اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون))**

ومع هذا وضع الرسول أسس المجتمع الاسلامى بين هذه الطوائف . وأسس المجتمع الاسلامى هى :

بناء المسجد ـ المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ـ معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين ـ وضع الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الجديد .

وبمناسبة الحديث عن المسجد كأساس مهم من اسس بناء المجتمع الاسلامى نرجو ان يتذكر المسلمون صورة المسجد الذى انشاه الرسول ليحذوا حذوه ، فمسجد الرسول كان نورا وهدى ، ومكانا للقضاء والتعليم بجانب العبادة ، وكان به جانب للنساء فالدين الاسلامى ليس للرجال فقط ، وهذه الملاحظة مهمة ينبغى ان نهتم بها بتحديد جزء من المسجد او دور من ادواره للمراة .

ولم يكن المسجد ابدا مصدرا للايذاء والقلق .. فالميكروفونات التى تجلجل بسبب او بدون سبب لا يعرفها الاسلام والمئذنة على مر التاريخ كانت للاذان فقط ، فاذا ارتفع صوت الميكروفون بالاذان فلا مانع أما أن يرتفع بغير ذلك مما يؤذى الناس ويقلق حياتهم فليس من الاسلام فى شىء .

وهناك ناحية اخرى نوجه اليها شبابنا المتحمس للدين وهى ماخوذة من قوله تعالى **((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))** وذلك هو النهج الذى كان يتبعه الرسول فى الدعوة ، وهو النهج الذى يفيد الاسلام أما ان يعزل هؤلاء الشباب انفسهم فى مجتمعهم المحدود فذلك قصور وتقصير لا يقره الاسلام .

أولى القبلتين

من الشائع أن بيت المقدس هو أولى القبلتين وثالث الحرمين ونتساءل كيف يكون بيت المقدس أولى القبلتين مع ان المسلمين كانوا يصلون منذ فرضت الصلاة ليلة الاسراء والمعراج قبل الهجرة بحوالى عام الى ان تم هذا التحول لبيت المقدس بعد الهجرة ؟.

الاجابة أن بيت المقدس كان أولى القبلتين فى اختيار الله ، أما الاتجاه للكعبة قبل الهجرة فكان من اجتهاد الرسول ، أو كان استمرارا لتعظيم الكعبة .. وكان تعظيمها شاملا لدى المسلمين وغير المسلمين .

واستمرارا لشرح هذا الموضوع نذكر ان فلسفة الاسلام تقضى بخلق روابط بين المسلمين ، فى اكثر امور الدنيا ، فهم جميعا يصومون شهر رمضان ، ويصلون صلاة موحدة ، ويحجون الى بيت الله العتيق ، وهكذا.

ومن هذه الأشياء أن يتجه المسلمون جميعا الى مكان واحد وقت الصلاة ، ليحصل التجانس بين صفوف المصلين ولتطرد الوحدة التى عنى بها الاسلام ، أما المكان الذى اتجه له المسلمون فى صلاتهم قبل الهجرة ، فهو الكعبة لانها بيت الله العتيق ، وبناء ابراهيم ، وموضع فخار العرب .

غير ان بعض المسلمين ظنوا فى اتجاههم للكعبة أن المكان نفسه معظم ، فاراد الله أن يعلمهم ان اتجاههم انما هو فى الحقيقة لوجهه تعالى ، وان فضل الكعبة انما هو لان هذا المكان شهد دين ابراهيم وشهد عبادة الله منذ آلاف السنين ، ولكن اذا تعلق بعض العرب بالكعبة تعلقا ذاتيا ، واذا غفل بعضهم عن أن الاتجاه انما هو لله ، فقد اتجهت حكمة الله ان يختار مكانا آخر ليختبر عمق ايمان المسلمين وطاعتهم ، وليثبت فى نفوسهم هذه الحقيقة الهامة التى ذكرناها من قبل وهى ان الاتجاه يجب أن يفهم على انه لله تعالى . وفى هذا المعنى وردت الآية الكريمة : « ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله » وقال المفسرون فى تفسير هذه الآية ، انه لا يختص مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه .

وكانت هذه الآية — كما قال المفسرون — توطئة لتوجيه المسلمين فى صلاتهم الى غير الكعبة كما كانت تعليما للمسلمين بأن الاتجاه لله لا للمكان ؛ وأن اختيار المكان انما هو مطابق لفلسفة الاسلام التى سبق ذكرها والتى تقضى بخلق روابط بين المسلمين ، فلو لم يحدد مكان واتجه كل مسلم حيث يريد لضاعت الرابطة التى يحرص الاسلام عليها .

ولهذه العوامل اختار الله للمسلمين قبلة جديدة عقب الهجرة وهى الاتجاه لبيت المقدس ، واستجاب المسلمون لارادة الله وادركوا حكمته تعالى ، ولكن ظهرت عوامل اخرى ، فقد كان بيت المقدس قبلة اليهود ، فاذا بهؤلاء يأخذون من اتجاه المسلمين الى قبلتهم وسيلة للسخرية ، وانطلقوا يقولون : محمد لا يتبع ديننا ويتبع قبلتنا . وشق على المسلمين أن يتجهوا الى قبلة اليهود ، ولكنهم فى الحقيقة استجابوا بكل قوة وايمان متحملين سخرية اليهود ارضاء لوجهه تعالى ، وبقيت الحال على ذلك سبعة عشر شهرا ثبت خلالها فى نفوس المسلمين أن الاتجاه فى الصلاة انما هو فى الحقيقة لله وأن المكان يمكن تغييره .

وقد توقع الرسول ووقع فى روعه أن الله سيحوله الى الكعبة مرة اخرى ، وكان الرسول يتطلع الى الله فى صمت ودون دعاء ، آملا أن يحقق الله له ذلك ارضاء للمسلمين وردا على سخرية اليهود ، وقد عبر الله تعالى عن ذلك بقوله : **« قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره »**.

وكان ذلك اذنا للمسلمين بالعودة الى قبلتهم الاولى ، ويروى أن هذه الآية نزل بها الوحى والرسول يؤم الناس فى صلاة الظهر فى مسجد بنى سلمة ، وقد جاء نزولها بعد ان صلى الرسول ركعتين من الظهر متجها الى بيت المقدس ، فتحول الى الكعبة حيث صلى الركعتين الأخيرتين ، وتحول الناس خلفه ، ولذلك يسمى هذا المسجد « مسجد القبلتين » .

ولم يكن هذا نهاية الموضوع ، فان اليهود بعد أن ترك الرسول قبلتهم ، راحوا يقولون : لو ثبت محمد على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذى ننتظره . وكانوا يقصدون بذلك أن يعود محمد الى قبلتهم لا ليتبعوه ، ولكن ليحدثوا اضطرابا فى الفكر ، وبلبلة فى النفس ، ولذلك قطع الله املهم ، وكشف سريرتهم بقوله :

« ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما انت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض »

وكان تحول القبلة الى بيت المقدس بعد الهجرة بقليل ، وصرفت القبلة ، عن الشام الى الكعبة من شهر رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة . ●

سيمون ڤيل

امرأة على رأس أوروبا

فى اغسطس الماضى انتخبت الوزيرة الفرنسية سيمون فيل رئيسة للبرلمان الاوروبى ، فخطت المرأة الاوروبية بذلك خطوة جديدة نحو اثبات مكانتها وجدارتها ، وفى هذا المقال نتحدث عن تلك المرأة الموهوبة وحركة التحرر النسوى الاوروبى بصورة عامة ..

يبدو اننا دخلنا بالفعل فى عصر المرأة . فى الشرق والغرب على السواء تتقدم المرأة بخطى واسعة لتولى القيادة فى شتى ميادين النشاط فى العالم كله ، ففى انجلترا تتولى قيادة البلاد امرأتان : الاولى هى الملكة اليزابيث ، والثانية هى المسز تاتشر رئيسة الوزراء ... وفى فرنسا يرشح الرئيس ديستان لخلافته امرأة من سيدات الطليعة فى أوروبا هى السيدة سيمون فيل ـ موضوع مقالنا هذا ـ لرياسة الجمهورية الفرنسية من بعده .

وفى أمريكا يقولون ان حرم الرئيس كارتر هى مستشاره الاول فى كل المسائل داخلية وخارجية ... وفى الهند سيدة تقود شبه القارة الهندية وتوجهها كما تريد سواء أكانت فى الحكم أم خارجه .

ولا تخلو الهيئة الوزارية فى أى بلد من بلاد الدنيا من وزيرة أو أكثر ، فاذا نزلنا الى المستوى الثانى من القيادات ، أى ما تحت رياسات الدول ورياسات الوزارات والوزارات وجدنا الوفا من السيدات على رأس الادارات الكبرى سواء فى وظائف الدولة أو الشركات . وعندنا فى مصر وزيرة هى الغاية فى الكفاية . وعلى رأس دارنا هذه ـ دار الهلال ـ سيدة من أقدر النساء العربيات وأكثرهن عملا وكفاحا فى سبيل قضية المرأة . وفى أكثر من وزارة نجد سيدات فى



سيمون فيل فى مكتب عملها خارج الوزارة فى باريس ، انه مكتب زوجها المحامى انطوان فيل .. انهما يعملان معا فى مكتب واحد

مناصب وكيل الوزارة، والمكاتب الادارية عندنا سواء فى القطاع العام أم الخاص حافلة بالسيدات العاملات اللاتى يضطلعن بجدارة بالمسئوليات على كل المستويات ، وفى الجامعات تحتل المرأة مناصب الاستاذية ورياسات الاقسام . وهناك عميدتان على الاقل .

واذا نظرنا الى الامر فى جملته تبينا اننا بالفعل فى عصر زحف المرأة لتتولى نصيبها الكامل من المسئوليات فى كل ميدان ...

بعد عصور طويلة من الحرمان والخضوع للرجل والاهمال أتيحت للمرأة أخيرا الفرصة لتظهر قدراتها وتحتل مكانها فى المجتمع ، وتتولى نصيبها من المسئولية عن مصير الاوطان والانسانية ، وتتلاشى فى نفس الوقت الفكرة التى سادت الى حين قريب ، وهى أن المرأة خلقت لخدمة البيت وتربية الاولاد والعناية بالزوج ، فقد ثبت بالفعل ان المرأة تستطيع ان تقوم بواجبها حيال بيتها وزوجها وتقوم فى نفس الوقت بواجبها فى المجتمع . وها نحن نجد كل يوم دليلا يؤكد صحة هذا الرأى، فمعظم السيدات الظاهرات فى المجتمع القائمات بأدوار رئيسية فى السياسة والعلوم والصحافة ربات بيوت ناجحات ، عرفن كيف يسعدن أزواجهن ويربين أولادهن تربية صالحة بالضبط كما يفعل الكثيرون من الرجال الذين يتحملون

المسئوليات الضخام ، فهم فى نفس الوقت آباء صالحون وأرباب أسرات موفقة ...

ومن الفكاهات الشائعة فى بريطانيا عن المسز مارجريت ثاتشر رئيسة الوزراء انها امرأة عملية جدا ، ولهذا فقد أنجبت ولديها توأمين لكى تفرغ من مسألة الولادة والتربية مرة واحدة توفيرا للوقت ...

وها هى المسز ثاتشر تتحمل بجدارة مسئولية من أكبر المسئوليات السياسية فى الدنيا وتسير بدفة السياسة البريطانية سيرا لا يقل عما فعل غيرها من كبار أهل السياسة والقيادة ، وفى نفس الوقت استطاعت ان تربى ولديها وتجعل منهما طبيبين ناجحين ، وكذلك زوجها يجد السعادة فى العيش معها ، ولم يؤثر عنه شكوى من انصرافها عنه ، وتقصيرها فى حقه ، بل هو اليوم ، وبعد ان أحال نفسه على المعاش يعمل متعاونا مع زوجته فى صدق واخلاص فى المكتب الصغير الذى عمل فيه طول حياته ، مؤكدا انه لا يتدخل فى السياسة او فى أعمال المسز ثاتشر ، بل هو يعاون زوجته على القيام بمسئولياتها الكبرى على قدر ما يستطيع ، كما كانت هى الاخرى تعاونه فى أعماله فى السنوات الماضية .

***

ومدام سيمون فيل التى نتحدث عنها الان تختلف كثيرا عن مسز ثاتشر ، ولكنها مثلها امرأة صلبة العود شديدة الذكاء متوقدة الحماس لمبادئها ولما تتولاه من عمل .

لقد بدأت حياتها العامة فى ظل الرئيس شارل دى جول ، فقد كانت من أكبر المتحمسات له المؤمنات بمبادئه وأفكاره ، وقد انضمت لحزب دى جول فى تاريخ مبكر ، ووقفت جنبا الى جنب مع جورج بومبيدو فى المعارك التى خاضها دى جول لفرض مبادئه وآرائه التى أدت الى انقاذ فرنسا من الوهدة التى كانت فيها بعد الحرب العالمية الثانية ، عندما أراد رجال السياسة القدامى متابعة نفس الطريق المظلم الذى كانوا يسيرون فيه قبل الحرب العالمية الثانية .

كانت سيمون فيل فى ذلك الحين شابة فياضة النشاط . كانت حديثة التخرج فى الجامعة ، ولكنها كانت شعلة من الذكاء والحب لفرنسا ، فرشحت نفسها لعضوية البرلمان الفرنسى على مبادىء دى جول ، ونجحت ، وعينت عضوا فى المجلس الادارى للحزب، وعنى بأمرها دى جول فندبها فى مهمات سياسية ودبلوماسية كثيرة نجحت فيها ، وعندما تحدث دى جول عن ضرورة توحيد اوروبا وتعاون فى ذلك مع المستشار كونراد آديناور ، كانت سيمون فيل - بحكم مولدها ونشأتها ، فهى الزاسيه - من العاملين المجدين فى اقامة المحور الفرنسى الالمانى الذى يقود الغرب الاوروبى اليوم ...

ثم عينها دى جول وزيرة دولة لشئون اوروبا وهى بعد فى الثلاثينات الباكرة ، وبعد وفاة دى جول اصبحت وزيرة لشئون الاسرة مع جورج بومبيدو ، وكان لها باع طويل فى كل أعمال اصلاح الاسرة التى تمت فى فرنسا ، ثم تولت وزارة الصحة ، وبعد وفاة بومبيدو اكتفت بعملها كنائبة فى البرلمان الى جانب رئاستها لجمعيات وتنظيمات اوروبية كثيرة ، ومثلت فرنسا فى اكثر من مؤتمر وفى كل مرة يذيع صيتها اكثر فاكثر وتتجلى مواهبها المتعددة ...

***

وعندما تولى جيسكار ديستان رياسة فرنسا كانت من بين من رشحهم الرئيس للتعاون مع شيراك ، فتولت وزارة الشئون الاجتماعية ، واهتم بها جيسكار اهتماما شديدا حتى أصبحت من أكبر معاونيه ، وصار ينتدبها فى المهام السياسية الكبرى الخاصة بتوحيد أوروبا ، وبلغ من حماستها لجيسكار ان



سيمون فيل فى بيتها ، قبل رحيلها الى استراسبورج لتولى مهام وظيفتها الجديدة رئيسة لبرلمان اوروبا .. انها ـ ككل امرأة ـ تستعرض الثياب التى اختارتها لنفسها بعناية فائقة ، محافظة على اناقة مظهرها الانثوى

سيمون ڤيل .. إمرأة على رأس أوروبا

لقبت بالجيسكارية ٠

وأخيرا ، وعندما نجحت فكرة انشاء البرلمان الاوروبى ٠ أى البرلمان العام الذى يمثل كل بلاد الغرب الاوروبى ، كان لسيمون فيل فضل كبير فى انضاج الفكرة واخراجها الى حيز الوجود ٠

والبرلمان الاوروبى برلمان حر غير رسمى ، لقد دعا له عدد كبير من المتحمسين لتوحيد أوروبا كخطوة أولى نحو ذلك التوحيد بعد فكرة السوق الاوروبية ، ويقوم هذا البرلمان على أعضاء منتخبين انتخابا حرا فى بلادهم ، وقد رشحت كل أحزاب أوروبا رجالا من أعضائها ليكونوا أعضاء فى ذلك البرلمان، وكان أكثر الناس حماسا للحصول على مراكز العضوية فيه الشيوعيون الايطاليون خاصة ، لانهم كانوا يريدون السيطرة على أوروبا عن طريق هذا البرلمان ، ولهذا اهتم جيسكار ديستان بموضوع هذا البرلمان ، وعمل على أن يرشح لعضويته نفرا من خيرة النواب الفرنسيين ، وتعاون فى ذلك تعاونا وثيقا مع الدكتور هيلموت شميت مستشار ألمانيا الغربية ،واتفق الرجلان على أن تكون سيمون فيل المرشحة لرياسة هذا البرلمان ٠

ومركز هذا البرلمان فى لوكسمبورج، وقد خصصت له كل من فرنسا وانجلترا وايطاليا وألمانيا وبلجيكا اعتمادات مالية كبيرة ، ومع ان قراراته كلها غير رسمية، ولا تلتزم أى دولة بتنفيذها ، الا انه يعتبر رمزا للخطوة العملية القادمة من خطوات انشاء الوحدة الاوروبية ٠

وقد اختلف الحماس لانتخابات البرلمان الاوروبى من بلد لبلد ، وبلغ الاهتمام أشده فى ايطاليا وألمانيا ، ولم يتحمس الناس لانتخاباته كثيرا فى فرنسا وبلجيكا وهولندا وانجلترا ، ولكنه تكون على أى حال ، واجتمع فى استراسبورج فى أغسطس الماضى حيث خصصت له دار فخمة ، وأنشئت له سكرتارية كبيرة ٠

وكانت معركة انتخابات رئيس البرلمان معركة حامية ، صرح قبلها جيسكار ديستان بأنه يريد بأى طريقة ان تكون الرياسة فرنسية حتى سنة ١٩٨٤، وأيده فى ذلك هيلموت شميت ،ورشحت سيمون فيل الى جانب عدد كبير من المرشحين معظمهم من الايطاليين والالمان من أحزاب واتجاهات سياسية شتى ، وأجريت عملية الاقتراع مرتين ، تعادلت الاصوات فيهما تقريبا ، وفى الاقتراع الثانى كان ينقص سيمون فيل عشرون صوتا ، وكان الشيوعيون حريصين أشد الحرص على اسقاطها ، ولكن الهيئة **البرلمانية الاوروبية عقدت اجتماعا وأصدرت قرارها بفوز سيمون فيل ، ووافق المجلس على ذلك بالاجماع ٠٠**

وهكذا تقف اليوم امرأة على رأس أوروبا ، حقا ان هذا البرلمان رمزى ، ولكن الرموز هى التى تسير التاريخ ، ورموز اليوم هى حقائق الغد ، لانها آمال ، ولولا أهمية ذلك البرلمان لما اهتم به جيسكار ديستان هذا الاهتمام ولما بذلت الشيوعية تلك الجهود الضخمة للسيطرة عليه من الان ٠

وفى حديث أجرته الصحفية الفرنسية سابين دى لا بروس مع سيمون فيل قالت سيمون انها سعيدة جدا بالتخلص من منصب الوزارة ، وسعيدة جدا بأن تنتقل الى رياسة البرلمان الاوروبى ، لان الوزارة سخرة وارهاق ، وشاغل المنصب الوزارى لا يعيش لنفسه ولا يعمل لنفسه شيئا ، انما هو مسخر لمنصب قاس ومسئوليات كبيرة لا تعرف الرحمة ٠

وقالت الصحفية الفرنسية ان سيمون فيل لم تفقد أى شىء من أنوثتها رغم المسئوليات السياسية التى حملتها ، فهى فى الاربعينات المتأخرة اليوم ، ولكنها لا تزال امرأة شابة جميلة تحرص على أناقتها ومظهرها وجمالها ، وهى ترتدى



سيمون فيل فى حفل تسلمها مهام منصبها الجديد رئيسة لبرلمان اوروبا ... حولها اعضاء مكتب رياسة البرلمان واعضاء مكتبها وقد اعد احدهم لها كرسى الرياسة لتجلس

ملابس بسيطة ولكنها جميلة وأنيقة معظمها من طراز « شانيل » الذى اشتهر بالجمال والبساطة والعملية ، وقد قالت للصحفية عشية سفرها الى استراسبورج لكي تتولى مهام منصبها ان حقيبتها لا تضم الا تايرين شانيل أزرق واخضر فاتحين وفستانا ورديا من نفس الطراز .

وسيمون فيل زوجة فاضلة لا تنسى مسئولياتها الزوجية ، وزوجها أنطوان فيل محام فرنسى مشهور ، وهما يتقاسمان مكتبه فى العمل ، وهذا المكتب هومقر عملها الاساسى فىالعاصمة الاساسية ، وهكذا تتاح لها الفرصة لترى زوجها وتعمل معه في انسجامتام ، كما هو الحال مع مسز ثاتشر .

***

ان نجاح سيمون فيل نصر كبير للمراة فى عصر التحرر الذى نعيشه ، فهذه سيدة جميلة وانيقة وربة بيت ناجحة ، وهى فى نفس الوقت وزيرة قديرة وسياسية ماهرة ، ثم انها تجلس اليوم فى كرسى رياسة برلمان أوروبا الذى يرمز الى عصر جديد قادم من تاريخ هذه القارة التى تقوم بنصيب كبير في توجيه مصائر العالم اليوم .

ج . م

لمحات من تاريخ

● كانت سيناء منذ القدم معبرا للقبائل بين شمالى بلاد العرب وبين ماينطوي عليه الهلال الخصيب فى سوريا والعراق شمالا وشرقا ، ووادى النيل غربا . وكانت هذه القبائل العابرة تعبر سيناءالتماسا للخصب فى تلك الاراضى الخصبة .

كان لتلك الهجرات اثرها فى سيناء فمن تلك القبائل من كان ينزع الى البقاء والاستقرار فىسيناء، اذا ماوجد مايعيش عليه ، فنجد المدينيين ينزلون حول خليج العقبة وينزل فريق منهم فلسطين وسواحل سوريا ، وكذلك فعل الكنعانيون والفينيقيون .

ويذكر المؤرخون الاقدمون انالمدينيين كانوا ينتشرون من حويلة الى شور أى الى برزخ السويس ، ونحن نعرف ان اسم شور كان يطلق قديما على شبه جزيرة سيناء .

ولعل اقدم الهجرات الىسيناءهى هجرة الاسماعيليين،وهى قبائل يظن فى الاكثر انها نشأت فىشمالى الحجاز وحول مكة ، ثم اضطرها ضيق مكة وما كان بينها وبين غيرها من قبائل من تطاحن الى الهجرة ، وهذهالهجرة يظن انها بدأت فى أوائل التاريخ المسيحى .

ولقد صحب الاسماعيليين فىهجرتهم قبائل اخرى من النبط نسبة الىالنبط ابن اسماعيل ، ويقال ان هذه القبائل، أعنىالنبط ،خرجتهىالاخرى من بلاد الحجاز ومروا فيما مروا بسيناءيتخذون منها مسالكهم التجارية اذ كانوا من المشتغلين بالتجارة .

وفى بعض النقوش المنتشرة هنا وهناك فى جزيرة سيناء ، ما يدل على انهم استوطنوا بقاعا منها قرب بيلوز ووادى طميلات وقصر الغيط ، كما انه ثمة أساسات أبنية نبطية ،وهذه تدل على أن النبط نزلوا تلك الاماكن، يستوى فى ذلك أن يكونوا قد جعلوا منها محاط فى طرقهم التجارية،اوانهم جعلوا منها مواطن استقرارية ، وتلك الاثار وهذه الاساسات للأبنية ترجح الثانية .

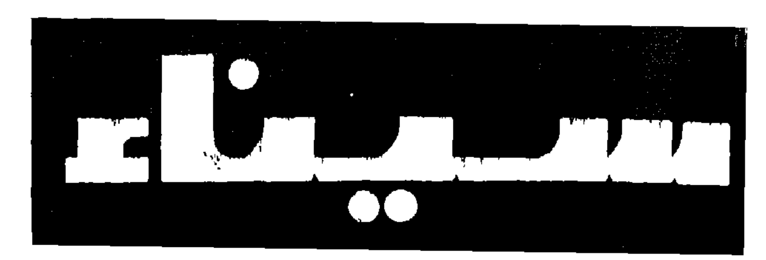
سيناء فى العهود السامية

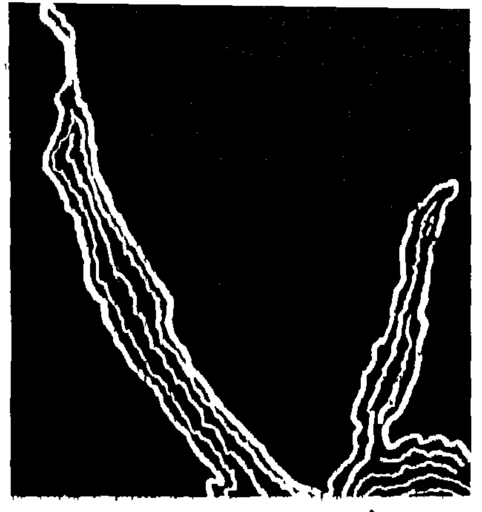
ومما لا شك فيه انه كانت ثمة موجات سامية اتخذت منسيناءمعابر لها أو مقار ، وكان ذلك مع بدءالتاريخ المسيحى .

واكثر هجرات هذه القبائلتأثيرا فى سيناء هى قبائل قضاعةالحميرية التى سكنت اولا شمالى الحجاز ثماضطرت حوالى القرن الميلادى الاول الىأنتمحو بلاد الحجاز وتنتشر بطونهافى المناطق المجاورة ، وينزل على حدود سيناء الشرقية من تلك البطون تنوخ الذين سكنوا أرض النبط ،ثم سليح الذين كانوا قد هاجروا مع تنوخ ثم نازعوهم السلطان وغلبوهم عليه وظلوا كذلك الى ان انتزعه منهم الغساسنة فيما بعد .

ومن بعض قبائل قضاعة هذه ماكانت مضاربها الى اماكن من جهات سيناء الشرقية .

ويشير المؤرخون ومنهم الهمدانىفى كتابه ((صفة جزيرة العرب)) الى ان منازل بلى ، وهى قبيلة منقضاعة ،





● محمد قنديل البقلي ●

كانت تمتد الى الفرما من حدودمصر، وهذا يعني أنهم كانوا ينزلون ارض سيناء الى برزخ السويس .

ويشير المؤرخون العرب كذلك الى انه كانت الى هجرات قضاعة ، هجرات قبائل الكهلانية ، وانهم هم الاخرون انتشروا في شبه جزيرة سيناء ولا ننسى هجرات تلك القبائل العربية التي دفع بها التوسع الاسلامي ، كما لاننسى الاشارة الى الرهبان المسيحيين الذين سكنوا شبه جزيرة سيناء في القرون المسيحية الاولى والذين لاتزال بقاياهم تسكن الوديان الجنوبية وبخاصة حول دير سانت كاترين .

ونحن نعرف ان هجرات هؤلاء المسيحيين الاول كانت نتيجة للاضطهادات التى تعرض لها المسيحيون في القرون الاولى ، ثم كان ان اشتدت الهجرات مع اوائل القرن الرابع الميلادى حين انتشرت الرهبنة في مصر فكثر عدد الرهبان في سيناء ، ثم كانت اول كنيسة مسيحية في شبه جزيرة سيناء على يد القديس جوليان .

والظاهر أن جنوب سيناء كان من المناطق التي يرغب فيها الرهبان ويؤثرونها على المناطق الصحراوية الاخرى التي تخلو من معابد الرهبان واديرتهم ، هذا الى أن تلك المنطقة كانت منطقة غنية بخضرتها ومائها بعض الشيء ، مما يمكن للرهبان أن يبعدوا عن جدب المناطق الاخرى وفقرها .

واذا كانت « فيران » هى اغنى المناطق الجنوبية ، فقد كانت هى مركز الرهبنة منذ القرن الرابع الميلادى ، وكان بها رئيس دينى ومجلس دينى، وظلت كذلك الى أن انتزعت منها السيادة منطقة سانت كاترين، فبنى بها الدير المعروف الى اليوم .

سيناء فى الاسلام

ويأتى الاسلام وسيناء ينزل على حدودها وينتشر في نواحيها الشرقية قبائل كهلانية من غسان ولخم وجذام، وما ان امتدت الفتوحات الاسلامية شمالا حتى تفرق نصارى غسان وكانوا كثرة ، فنزل جزء منهم أرض الجفار فى شمالى سيناء وكان منهم حكام تنيس نفسها .

ويذكر المؤرخون أن الحصون التى كانت على طريق الرمل الشمالى فى سيناء مثل رفح والعريش والورادة والبقارة قد سكنها قوم من هؤلاء العرب المتنصرة يؤدون المال للمقوقس كما يذكرون ان النجدة التي أرسلها عمر بن الخطاب لمساعدة عمرو بن العاص والتي عبرت وسط سيناء قابلت جمعا كبيرا من هؤلاء العرب واذا هم من عرب غسان ولخم وعاملة .

واذا كانت القبائل العربية التى انتشرت قديما في شمالي الحجاز قد لجأت بعض بطونها مهاجرة اولا الى نواحى سيناء الشرقية والشمالية ، فان امتلاك المسلمين لمصر وتشجيع ولاتها لتلك القبائل المهاجرة على أن تنزح الى مصر، كان مما ادى الى عدول تلك القبائل المهاجرة الى الهجرة الى تلك الجهات الصحراوية وايثار مصر عليها . وبهذا اصبحت سيناء طوال

القرون الاسلامية الاولى طريق عبور تعبرها القبائل العربية على حال لم تكن معهودة من قبل .

وكان من هذه القبائل المهاجرة من تأتي من بلاد الحجاز عابرة فى طريقها الى مصر مسالك سيناء الجنوبية والوسطى ، ولم يكن ثمة ما يدعوها الى أن تتخذ ذلك الطريق الطويل الى الشمال لتسلك طرسة الرمل فى ارض الجفار ، أما تلك القبائل التى كانت تأتى مصر من بلاد الشام وصحراء سوريا فكانت تؤثر ذلك الطريق الرملى .

واذا رجعنا الى النقول التي تحدثت من القبائل التى عبرت سيناء أيام الفتح الاسلامى نجدها متضاربة شيئا ، هذا لان اكثرها كان موكولا الى مؤرخى القبط ، كما أن اكثرها قد ضاع ، ولكننا نجد مؤرخا كالقلقشندي يذكر ان تلك القبائل التى هاجرت الى مصر متخذة من سيناء معبرها اليها أيام الفتح الاسلامى وحكم الخلفاء الراشدين كانت من جذام ولخم وبلى ، وان القبائل القرشية كانت اكثرها هجرة وهى التى عبرت سيناء مع الفتح الاسلامى .

اما ايام الامويين والعباسيين فكانت فى الاكثر قرشية من بنى امية وبنى العباس .

فيذكر المؤرخون ان من الهجرات البارزة التى قطعت سيناء هجرة قيس عيلان سنة ٧٢٧ ميلادية ، وانها جاءت من اعالى نجد فى ولاية هشام بن عبد الملك الذى نقل منهم نحوا من ثلاث آلاف ، ثم كثر عددهم بعد ذلك ، ومكن لقيس فى الحوف الشرقى حتى صاروا قوة لها خطرها هناك .

ثم كانت هجرة اولاد الكنز بن ربيعة الذين كانوا ينزلون اليمامة اولا ودخلوا ارض مصر عبر سيناء أيام المتوكل على الله العباسي حوالي ٨٥٤ ميلادية فى عدد كبير .

ولما كانت أيام الطولونيين بقيت القبائل العربية تعبر سيناء عبورا متصلا مستمرا من بلاد الحجاز ونجد حتى اذا كان منتصف القرن التاسع الميلادى لم تعد مصر تحكم بحكام من العرب ، هذا اذا استثنينا عهد الفاطميين ، فبدأت الهجرات العربية من بلاد الحجاز يقل وفودها الى مصر عبر سيناء .

وحين استولى الفاطميون على مصر وبسطوا نفوذهم عليها وعلى سوريا فى القرن العاشر الميلادى ، رغبوا القبائل العربية النازلة ببلاد الشام الى الهجرة الى مصر ليأمنوا شرهم وللاستفادة منهم .

فلقد رأينا الخليفة الفاطمى العزيز أبا منصور يدعو بطون قيس من بنى سليم وبنى هلال أن يسكنوا مصر ، كذلك نرى الوزير الناصر لدين الله ابا محمد اليازورى فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى يأتى بقبائل سنبس احد بطون طىء التى كانت تسكن حول غزة فى جنوب فلسطين وكانت مصدر قلق للفاطميين ، وينزلهم «مديرية» البحيرة من مصر .

ولما كانت ايام الايوبيين وانتصر صلاح الدين واخذ بلاد الشام ومنها غزة اضطر افخاذا من جرم الى ان تعبر سيناء وتسكن الحوف الشرقى فى مناشر جذام .

هذه هى الهجرات الرئيسية التى عبرت سيناء منذ الفتح الاسلامى الى نهاية حكم الايوبيين فى منتصف القرن الثالث عشر الميلاد ، اما بعد هذا فلم يكن هنالك مايدعو حكام مصر ان يستعينوا بالقبائل العربية ويشجعوها على الهجرة الى مصر ، وكان هذا منذ ولى المماليك مصر . وفى الحق ان بدء حكم المماليك لمصر كان فاصلا للهجرات العربية بين عهدين :

عهد كان الحكام فيه يرحبون بالقبائل العربية ويشجعون هجرتها الى مصر فتعج بهم طرق سيناء وتبلغ شبه الجزيرة بمرورهم أوجها .

وعهد لاحق اشتدت فيه وطأة الحكام على تلك القبائل ، فتقابلت تلك القبائل هذه الشدة بسلسلة من الثورات لم يكتب لهم النجاح فيها، فآثرت بعض تلك القبائل ان تترك مصر ويلجأ عدد منهم الى الصحراوات المجاورة ويعبر عدد منهم سيناء راجعا الى فلسطين.

تغير مركز سيناء

وهكذا نرى أن مركز سيناء قد تغير ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي، فقد رايناها منذ الفتح الاسلامي ليست غير قنطرة تعبرها القبائل المختلفة من الحجاز واراضى الشام فى طريقها الى وادي النيل ، ولكنها منذ ذلك التاريخ أعنى منذ ابتداء القرن الرابع عشر تصبح منطقة تلجأ اليها القبائل وتنزل فيها .

ويعزو الدارسون هذا الى عاملين اثنين ..

اول هذين الامرين :

ما وصلت اليه حال العرب فى وادى النيل تحت حكم المماليك من سوء لم يعودوا معه يرون ما يؤثرون به مصر على الصحارى المجاورة ،يشجعهم على ذلك ماكانوا يجدونه فى تلك الصحارى من مكمن يهاجمون المماليك منه ان شاءوا ، ثم هم مع ذلك يستطيعون ان يغيروا على الاراضى الزراعية ينهبون ويسلبون ثم يعودون بعد ذلك الى الصحراء آمنين بطش المماليك .

وثانى هذين الامرين :

ذلك الشأن الجديد لسيناء الذى اصبح لها حين تحول طريق الحج اليها هذا التحول الذى كان مع منتصف القرن الثالث عشر حين وهن شأن طريق الصحراء الشرقية الى ميناء عيذاب ثم الى موانىء الحجاز.

ولقد اصبح لسيناء هذا الشأن منذ حجت شجرة الدر بطريق الوسط وسير فيه الظاهر بيبرس قافلة الحج عام ٦٥٦ هـ (١٢٦٧م) .

وهذا الشان الجديد لسيناء الذى استمر الى ما يقرب من نهاية القرن الماضي كان من نتائجه ان جذب بعض القبائل العربية الى العمل في نقل الحجاج ، هذا العمل الذى در عليهم ربحا وفيرا ، هذا الى ماكان يدفعه اليهم حكام مصر اجرا لهم على حراسة القوافل .

والناظر اليوم فى طبيعة شبه جزيرة سيناء يجد انها تنقسم الى منطقتين:

١ - المنطقة الشمالية من بلاد الشام ومصر ، وهذا الجزء من سيناء اكثر شبه الجزيرة مطرا ، وهو لهذا غنى بالنبات لاسيما فى الجهات الشرقية القريبة من فلسطين .

٢ - مناطق مرور طريق الحج التي كانت تقسم اقساما تتولى كل قبيلة قسما لحماية الطريق وحراسة قافلة الحجاج .

وهذا التقسيم انبنى عليه توزع سكان سيناء . فعلى حين كان يعتمد سكان المنطقة الشمالية على الارض كانوا يشاركون فى التجارة التى كانت تعبر طريق الرمل الشمالي وسكان المناطق الجنوبية كان همهم فيما يجنونه من حراسة قوافل الحج .

ولقد تعرض لسكان سيناء كثيرون، منهم : الهمداني عن توزيع القبائل في مصر والشام والذى نقل عنه ابن فضل الله العمرى والقلقشندي وابن خلدون.

والذي يرجع الى ماكتب فى هذه الكتب يرى ان القبائل التى يشار الى وجودها فى شمالى سيناء بين مصر والشام اكثرها من بطون ثعلبة طىء من القحطانيين وكانت تنزل مشارق الديار المصرية ومغار البلاد الشامية يجاورهم فى ناحية غزة الى الجبل وبلد الخليل بنو جرم من طىء . اما باقى القبائل التى ذكرت فى الشمال فهى قبائل قليلة . اما عن القبائل التى تسكن الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة فهم بنو عائذ بطن من جذام من القحطانية ثم بنو عقبة وهم الاخرون بطن من جذام .

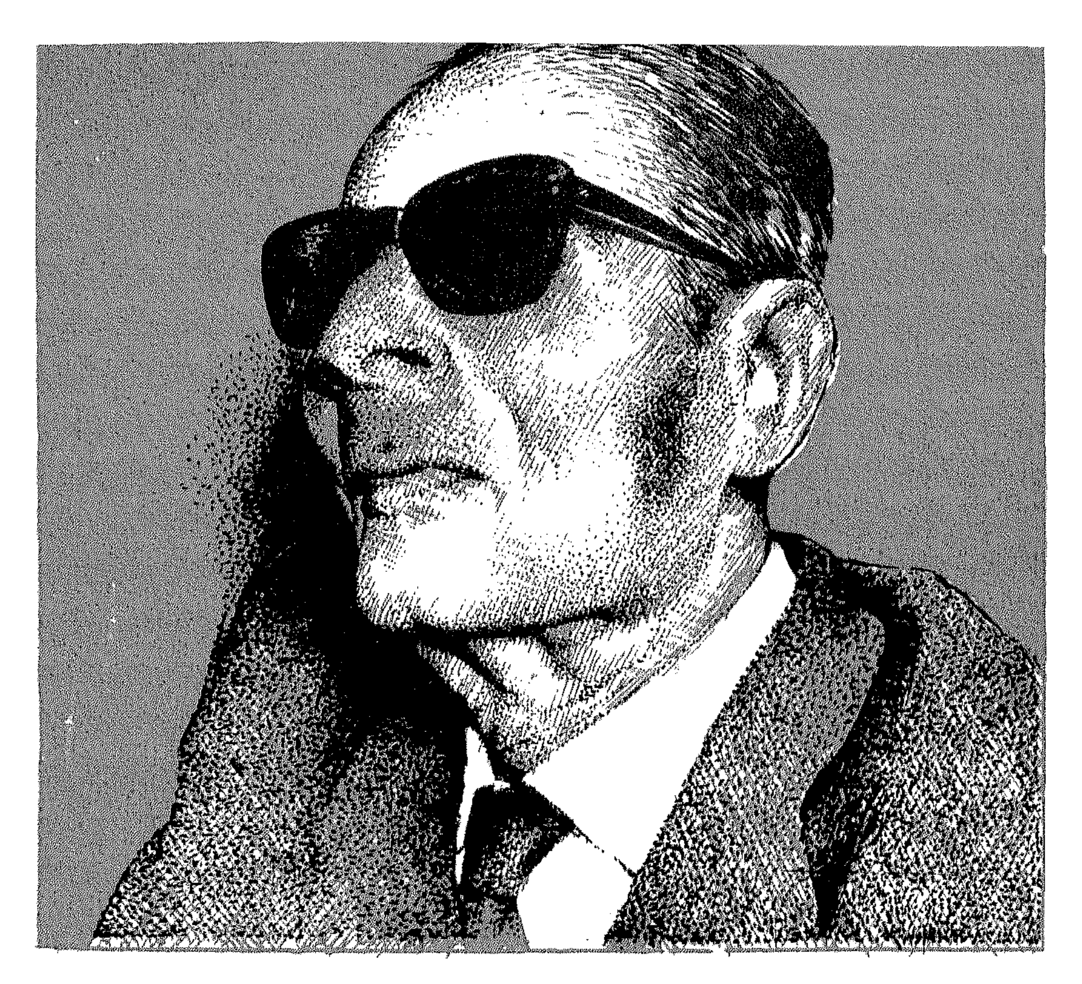
«طاها» حسين

وحديث الأستاذ عن الأستاذ

● عاطف فرج ●

خلال هذا الشهر - اكتوبر ١٩٧٩ - تحتفل جامعة القاهرة بذكرى طه حسين استاذها الكبير وعميد كلية آدابها الاسبق وصاحب الثورات الثقافية والفكرية الضخمة داخل الجامعة وخارجها .

وقد رأى الهلال انه لابد ان يشارك في هذا الاحتفال، لان طه حسين كان قطبا من اقطاب التحرير فى مجلة « الهلال » فعلى طول حياته الادبية كان الهلال ميدانا مفتوحا لطه حسين وآرائه ومقالاته ، وفى بعض السنوات كنت تجد لطه حسين مقالا شهريا في الهلال .. لهذا ، ووفاء منا للهلال وطه حسين معا ، رأينا ان نقدم لقرائنا حديثا ممتعا عن ذلك العربى الجليل الذى مر فى عالم العرب كانه اعصار فكرى غير فيه كل شىء.



بريشة : احمد الورذجى

ولم نجد من يتحدث الينا عن طه حسين خيرا من الاستاذ الجليل الدكتور ابراهيم بيومى مدكور خليفة طه حسين في رئاسة مجمع اللغة العربية ، وتلميذه ثم زميله فى كلية الآداب ، ورفيقه فى معارك الفكر فى تاريخ الأدب العربي الحديث ..

فى هذه الصفحات يتحدث الدكتور ابراهيم بيومى مدكور حديثا صريحا فياضا بكل جديد عن طه حسين وفكره ومعاركه وثوراته ، ولهذا فنحن نقدم هذا الحديث سعداء شاكرين للدكتور مدكور ما أوسع من صدره وما اختص به الهلال منتظرين ما سيقوله فى محاضرته التي يعدها ليلقيها عن طه حسين فى احتفالات جامعة القاهرة .

طه حسين ..
وحديث الأستاذ عن الأستاذ

في مجمع الخالدين حيث كان يجلس العميد يوما ، التقيت بالاستاذ ابراهيم بيومي مدكور ، وسألت أستاذنا الجليل في بداية الحوار ، عن ماهية دعائم الانتاج الفكري عند طه حسين ؟!

فأجاب وهو يبحر في الذاكرة .. وأصابعه لا تفارق موضعها من الجبهة :

« توفر لطه حسين رحمه الله ما لم يتوفر لكثيرين من معاصريه ، من ثقافة مكتملة ، بين شرقية وغربية ، وقد قضي شبابه كله تقريبا ، في درس الثقافة العربية درسا مستكملا عميقا ، واعيا ، تفتحت أمامه أبوابها على أيدى أساتذته المصريين والغربيين ..

فقد قدر له وهو طالب أزهرى قح أن يلتحق بالجامعة المصرية القديمة ، وأن يتصل برعيل من كبار المستشرقين الذين خدموا الفكر العربي ، خدمة مخلصة ، صادقة، وعلى رأسهم « نالينو » الايطالى ، و « ماسينون » الفرنسي . ولا شك في أن الجامعة المصرية القديمة قد وجهته الى أن يستكمل درس الثقافة الغربية فنهل قدرا منها على أيدى هؤلاء المستشرقين ، وتعمق فيهما طويلا يوم أن بعث الى فرنسا ، فدرس في جامعاتها الكبرى ، وبخاصة في « السوربون » وفي وسعنا أن نعده أديبا في الفرنسية بقدر ما نعده أستاذا ورائدا في الأدب العربي ، تمكن من الثقافة الفرنسية أدبا ، وعلما ، وفلسفة ، حرص على أن يلم بأصولها الأولى في الثقافتين ، اللاتينية ، واليونانية ، لهذا كله لم يكن غريبا ، أن ينتج ، وأن يجيد الانتاج في العربية ، كما أجاده في الفرنسية ..

وهو له أسلوبه ، وله منهجه ، وله رأيه ، ويطول الحديث في كل باب من هذه الأبواب ، لكن لا شك أن من استمعوا الى طه حسين ، أو قرأوا له ، كانوا يطربون من موسيقاه ، ويستمتعون بلغته العذبة الصافية .. »

قلت لأستاذنا مدكور : ما هي مقومات ، الشخصية المتميزة عند الدكتور طه ، والتي جعلت منه منذ أن عاد من باريس نجما في الأوساط الأدبية ؟!

قال : « شخصية طه حسين ، واسعة وعريضة ، ومقوماتها كثيرة ، أخصها ذكاء متقد نادر ، وسرعة خاطر ملحوظة ، ولعله بين المعاصرين في مقدمة من يصلح عليه ، قول ابى العلاء :

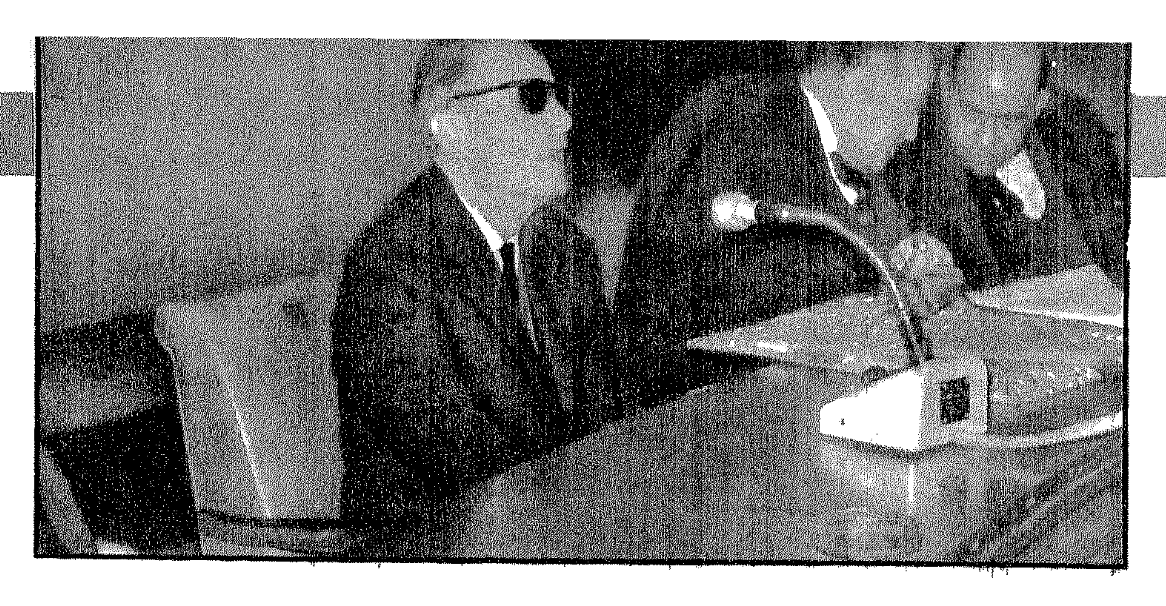
« عميت جنينا ، والذكاء من العمى »

ومن مقوماته الذهنية أن الله منحه ذاكرة ، لا أكاد أجد شبيها لها بين معاصريه الا ذاكرة المرحوم لطفى السيد ، الذى استمع له معى ، شيئا من محفوظاته من القرن الماضي ، في جلسة من جلسات مجمع اللغة العربية ، وقد حرصنا على أن نسجل هذه المحفوظات التي كانت تدور حول شعر « المواوية » عام ١٨٩٠ وكم كنا نود أن نستمع الى طه حسين ليحدثنا عن ذكرياته ، كما استمعنا الى لطفى السيد ، ولكن أعباءه ، وأعماله المختلفة لم تتح لنا هذه الفرصة . الا أنه سجل كثيرا من الذكريات في حديثه عن نفسه .

ومن مقومات شخصيته جرأة كاملة ، وصراحة تامة ، لم يبد عليه في موقف من المواقف التي عشت معه فيها أنه يرهب أن يقول رأيه .

وأذكر من بين هذه المواقف حديثا لطه حسين في محاضرة من محاضرات المجمع العامة ، عرض فيها لتيسير النحو ، وكان لهذا التيسير خصوم يبدو أن حملتهم قد خفت وأنهم بدأوا يدركون مدى الحاجة الى ما صوب اليه طه حسين منذ أربعين سنة تقريبا . وقد كان ألقى محاضرة عن تيسير النحو في جمعية الاقتصاد والعلوم السياسية ، وكان يتوقع أن يرد عليه من يرد ، ولكن حجة طه حسين كانت فاصلة دائما .

وذلك مقوم آخر من مقومات شخصية طه حسين ، وهي قوة حجته ، لانه كان يؤمن بما يقول .



د· طه حسين ··· كان حديثه الجــــراة والموضوعية ، والفكر المتجدد فى مجمع اللغة العربية

وسبق أن أشرت الى زاده الثقافى سعة ، وعمقا ، واستيعابا ، وكأنما يصدر حينما يتكلم أو يكتب عن كنز لا ينفد من معلومات وثيقة مؤصلة » ·

قلت له : كان لطه حسين فى حياته العديد من المعارك الأدبيــة ، فما رايك وقد عايشته عن قرب ؟ ·

قال : « أستطيع أن أقول ان طه حسين ولد مناضلا ، وكان النضــــال أحب شيء الى نفسه ، وما أحب المعارك الى المناضلين ، ويتسع المجال لمعــاركه ، لأن حياته كما قدمت كانت نضالا كلها ·

ويكفى أن أشير ، الى مثلين اثنين من معاركه الخالدة : وأولهما : هى معركة الشعر الجاهلى ، وخطأ أن يظن أنها كانت ترمى الى اسقاط الأدب الجاهلى ، والاستغناء عنه · بل كانت ترمى بوجه خاص الى رســـم منهج فى الدرس ، والبحث الأدبى ، منهج يقوم على الشك · الا أنه ليس الشك الهدام بل الشك البناء · وهو الشك المنهجى الذى عرفه جيدا فى دراسته للفيلسوف الفرنسى الكبير « ديكارت » والشك والنقد متلازمان ، ونقد طه حسين بناء كشكه تماما هذا فضلا عن أن حملته هذه فتحت الأذهان ودعت الى التحرر ، وكانت حركة توجيه ، واصلاح ، بقدر ما عبرت عنه من تحليل وتعليق ·

ولا شك فى أن طه حسين ، بهذا ، قد دفع الأدب العربى ودراساته ، دفعة قوية ، أفاد منها زملاؤه وتلاميذه ولا يزالون يفيدون الى اليوم ·

وكان يخشى أن يقف الجمـــود فى طــريق هذه الحركة الأدبية التى تنشد التجديد والاصلاح ، وأن تحارب هذه الحركة ، باسم الدين ، وقد حـدث شيء من هذا ، ولكن نعمنا فى العقد الثالث من هذا القــرن ، بأخذ ورد ، بين طه حسين ، ومعارضـــيه ، كان يمثل ثورة أدبية ، جاءت بعد ثورة ســنة ١٩ السياسية ·

ومعركة أخرى لها شأنها فى تاريخ التعليم الجامعى ، وهى حرص طه حسين على استقلال هذا التعليم ، وتمكين الباحثين من الكشف والدرس ، دون قيد ، أو تحريم ، أو تحليل · وكانت المعركة شديدة البـأس ، انضـــم اليه فيهـا أستاذه ورائده أستاذ الجيل المرحوم أحمد لطفى السيد ·

ودارس تاريخ التعليم الجامعى المصرى ، لا يســتطيع ، أن يغفـل أثر طه حسين ، فى وضع التقاليد الجامعية الصحيحة ، ومناصرتها والدفاع عنهـا ، ونصرة الجامعيين ، بكل جهده ، وطاقته · وقد وضع للحياة الجامعية ، تقليدا أخشى ماأخشاه ، أن بدأنا ننساه ، ونعرض عنه ، ألا وهو التبادل الثقافى · فقد كان طه حسين ، فى كلية الآداب ، حريصا على أن يجــذب اليها كبـار الباحثين العالميين ، فى الفلسفة ، والأدب ، والتاريخ ·

وقد أفادت جامعاتنا المصرية ، من هذا التعاون الثقافى ، نفوذا ، ومركزا ملحوظا .

ومن حسن الحظ ، أن طلاب الجامعة ، فى العقدين الثالث والرابع من هذا القرن ، كانوا يستطيعون متابعة الدرس باللغات الاجنبية ، وبخاصة الفرنسية والانجليزية ، كما يتابعونه باللغة العربية . فتوثقت بذلك صلة الشباب المصرى ، بالفكر الغربى وزاد هذه الصلة وثوقا أن طه حسين ، فيما يتعلق بالدراسات الادبية والنظرية ، قد دفع حركة البعوث الى الخارج من شباب المصريين دفعة قل أن نجد لها مثيلا ، وكان لنا شباب يدرس فى فرنسا وبلجيكا من البلاد اللاتينية ، الى جانب من يدرسون في انجلترا والمانيا ، من البلاد السكسونية والجرمانية ..

وكم عمر بيت طه حسين بزواره من تلاميذه وأبنائه وزملائه ، ابان عافيته وصحته ، ولم يكن غريبا أن يحز فى نفسه انقطاع هؤلاء الزوار ، ابان شيخوخته ومرضه. » .

قلت له : استاذنا الجليل ، رغم انه يعز على طه حسين وهو الأستاذ المعلم أن يحدث مثل هذا من مريديه .. فقد بقى طه حسين كما هو طه حسين . فلماذا كان كذلك ؟!

يقول الأستاذ بحب عن استاذه طه حسين :

« نعم طه حسين هو طه حسين ، لانه خلق هكذا جريئا ، شجاعا ، وقد تدفع الجرأة ، والشجاعة الى قدر من الغلو والتطرف ، وغلو طه حسين ، خلق له أصدقاء كثيرين بقدر ما خلق له أعداء . كان يجزل المدح والثناء ، ولكنه كان يعرف أيضا كيف يصب جام غضبه على من شاء .

طه حسين هو طه حسين لانه أديب أخلص ، لأدبه ، فقد كان عميده ورائده فى العالم العربى ، جميعه ، طوال ربع قرن أو يزيد .

طه حسين هو طه حسين الذى يتحفز للمعارضة ، والخصومة ، وكم تكون الخصومة ، والمعارضة ممتعة ، وجذابة ، حين يكون بطلاها مثل طه حسين ، وعباس العقاد ، ولقد شهدت مواقف خاصة لطه حسين والعقاد فى مجمع اللغة العربية،فيها المعية،وجواب حاضر ،ونقد صائب ، وشىء من السخرية أحيانا . وبقدر ما كان لطفى السيد ، وهو رئيس المجمع ، يفسح لذلك ، كان يعرف كيف ينتهي بالخلاف الى رأى قاطع جامع .

وطه حسين هو طه حسين الذى ما يرضى أن تقف ، فى طريقه عقبة ، ولا أن تتغلب عليه صعوبة . أبعد عن الجامعة زمنا .. ففتح السياسيون له أذرعهم واستقبلوه ، وهنا دخل طه حسين باب السياسة فغلا غلو السياسيين . مدح فأجزل المدح ، وهاجم فشدد الهجوم .

ولئن كانت السياسة ، قد فتحت باب الوزارة ، فانها انتقصت شيئا من مجده الأدبى . خصوصا والوزراء قد يضطرون الى تملق الملوك والرؤساء ولطه حسين موقف من فاروق فى جامعة الاسكندرية . يأخذه عليه زملاؤه ومحبوه ، ولا يزالون يذكرون تلك العبارة التي وردت على لسانه ، حين بدأ حديثه أمام « المليك المعظم » قائلا :

« أتاذن لى يا مولاى » . وهذا لفظ طه حسين . واصدقاء طه حسين وعارفوه كانوا يعتقدون ، أنه ليس فى حاجة حين يريد الكلام ، أن يستأذن من أحد .

وطه حسين أخيرا هو طه حسين الذى كان يسبق الى تقدير ظروف أصدقائه وزملائه ، فيعاونهم ، ويفسح السبيل أمامهم ، وما كان يعز عليه أن يحقق ما يريد ، برغم الروتين واللوائح ، والقيود المالية ، وأحرص على أن أنوه هنا



• د. ابراهيم مدكور

بترقية نالها المرحوم الدكتور محمد عوض وهو من نعرف علما وادبا ، ولكن طه حسين رقاه ، لاعتبار آخر ذلك أنه أصبح رب أسرة ، وللأسرة أعباؤها ومطالبها •

وقد آلم ذلك الدكتور عوض لأنه كان يشعر أنه يستحق الترقية لعلمه وبحوثه أولا ، ثم لأنه كان يرجو أن يعترف له طه حسين بذلك . وقد اعترف طه حسين لمحمد عوض بعلمه وأدبه ولكن فيما بعد » •

قلت له : على الرغم من كل ما يستحقه الدكتور طه حسين من مجد أدبى ، يرى البعض ان الدكتور طه حسين لا يستحق عمادة الإدب العربي ، وأن منحها له ، كان من باب السياسة ، فما رأيك ؟! ومن هو أولى بهذه العمادة اذا صح قول هؤلاء ؟!

قال الأستاذ بيومى مدكور وقد استفزه سؤالى :

« لا أحب أن أقف عند مثل هذه المهاترات •

•• لأن عمادة طه حسين ، ازدادت وثوقا وتأكيدا بعد موته ، فضلا عما استقر فى شأنها طوال حياته •• »

قلت له : كان الأستاذ العميد عملاقا فى جيله ، ولم يكن وحده فى هذا الجيل ، بل كان حوله عمالقة من معاصريه ، فلماذا انتهى هذا الجيل ، وكيف نجعله او جيلا مثله يعود الى وجه مصر ؟!

قال وقد هدأ بالا واستراح نفسيا :

« أنا لا أقول أبدا بالابواب المغلقة ، وانما اسلم فقط بأن هناك فترات للركود ، تليها فترات أخرى للوعى واليقظة •

وقد شاءت الصدف بعد ثورة سنة ١٩ ، وفى ظل حركتنا الاستقلالية الناهضة ، أن يتسع المجال ، لذوى الرأى الصائب والقلم السديد ، فكان لنا جيل ، متضامن ، متعاون متضافر ، فى أبواب الاصلاح المختلفة ، ولكنه ليس خاتم الاجيال ، بل أرجو الله أن نستعيد ، هدوءنا ، واستقرارنا وثقتنا بأنفسنا ، تلك الثقة ، التى حظينا بها فى العشرينات والثلاثينات والأربعينات الى منتصف الخمسينات ••

وأنا مطمئن الى أن هذه الثقة ، ستعود ، وأن الأجيال الصاعدة ، سيكون فيها رواد وقادة ، على أن نعطيهم الفرصة ، ونهيىء لهم الأسباب • وتلك رسالة المربين والمصلحين والحكام • أن يحسوا حقيقة بسعادة حين يرون أن تلميذا قد فاقهم، أو أن شابا قد بدت عليه ملامح النضج والوعى الصحيح • ويوم أن يستقيم التعليم الجامعى ، ويستعيد مجده القديم ، سيخلق قيادات فكرية وأدبية ، لن تكون أقل من تلك القيادات التى حظينا بها ، من قبل • »

قلت له : أنت لك من المكانة الأدبية ، ما يتيح لك الرؤية عن قرب .. هل انتهت الأسباب التي ترك طه حسين من أجلها الدراسة في الأزهر الشريف ، عندما اختلف مع أبنائه على طريقة التدريس ، وما يقدم من مواد للدراسة . ؟!

قال : « في الوقت الذي كان ينكر فيه طه حسين على بعض الشيوخ طريقتهم في البحث والتدريس ، كان معجبا بالشيخ المرصفي الذي تتلمذ على يديه كثيرون من بينهم أحمد حسن الزيات ، وابراهيم مصطفى ، ولا شك في أن المرصفي كان يعد مجددا في الدرس الأزهري ، منذ ذلك التاريخ .

وقد سبق أن المرحوم الامام محمد عبده قد وجه النظر ، الى ضرورة التجديد ويكفي أن أشير الى معاصرين آخرين هما المرحوم المراغي ، والمرحوم محمود شلتوت ..

وقد أريد بالدرس الأزهري أن يسلك مسلك الدرس الحديث ، فأنشئت جامعة أزهرية .

وأخشى ما أخشاه أن تكون قد طغت على القديم في جملته ، ولم يقل أحد بأن التجديد هو محو للقديم .. »

قلت له : كان الأستاذ العميد رئيسا للمجمع اللغوي .. وكنت زميلا له داخل مجمع الخالدين .. كيف كنت تراه يصرف الأمور ؟

قال الأستاذ مدكور وهو يبتسم :

« عرفت طه حسين منذ عام اثنين وثلاثين ، حين التقينا لأول مرة ، في مؤتمر للمستشرقين « بهولندا » ومنذ ذلك التاريخ وصلتي به تعاون صادق وتفاهم تام .

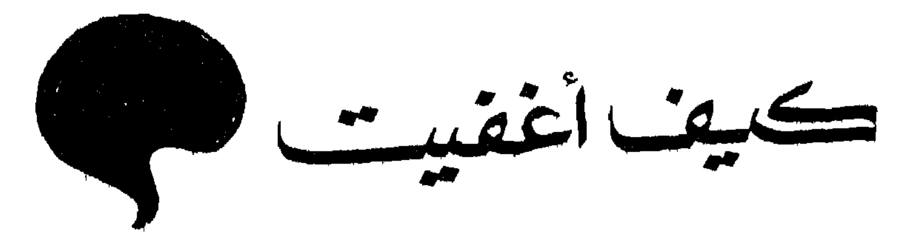
تعاونا في كلية الآداب، وقد عينت مدرسا فيها على اثر عودتي من بعثتي وهو عميدها ، في ذلك العصر الذهبي ، وبلغ الأمر من تعاوننا ، أنه فكر يوما أن تعرض مسرحية حول « بيدبا الفيلسوف وكليلة ودمنة » وكنت أحد ثلاثة ممن أريد بهم ، أن يشتركوا في هذه المسرحية مع الدكتور محمد عوض ، والمرحوم أحمد أمين ، ولم أتردد في قبول الفكرة ، ولكن السياسة ، قاتلها الله حالت دون عرض هذه المسرحية ..

وتعاونا في مجمع اللغة العربية في أكثر من لجنة وبخاصة في لجنة المعجم الكبير ، وهذه لجنة أولع بها طه حسين وضحي ببعض أعبائه الوزارية ، من أجلها ، ورسم للتأليف المعجمي ، منهجا ، أخذ بقدر كبير منه .

وتعاونا في قيادة دفة الأمور بمجمع اللغة العربية ، حين كان رئيسه ، وكنت أمينه العام . نلتقي نحن الاثنين ، أو نتصل تليفونيا ، وما أحسسنا قط ، أن بيننا بعدا في وجهات النظر ، أو اختلافا في التقدير ..

أو نلتقي في اللجنة الادارية ، التي تنظر في شئون المجمع ، ولا أذكر أنني اختلفت معه في اقتراح ، أو عرض فكرة ، أو مشروع ، ورغم مرضه كان يحب أن يقص على كل شيء ، وكنت أحس فيه هذه الرغبة وأقدرها ، ولذلك كنت أكلف الاداريين المسئولين أن يعرضوا عليه شئون المجمع الكبرى ، باستمرار ، وربما خلط بعض هؤلاء الوسطاء فيما يعرضون ، وصوروا الأمور على غير حقيقتها . و خيل لهم أن أمين المجمع لا يعتد بسلطة رئيسه . ولكن **هذا لم يغير قط من حبنا ، وصداقتنا ، وتعاوننا ، لأننا معا كنا نؤمن بأن مجمعا يؤدي رسالته يجب أن يرعاها أعرف الناس بها . »**

نظر الأستاذ في ساعته .. وفهمت انه على موعد مع آخرين .. فما كان علي الا أن أودعه على أمل لقاء جديد .



كيف أغفيت ولم تنتظرى
مطلعَ النّجم وضَوء القمرِ
وأغان في دَمي أحملها ...
وأغان في ثنايا وثرى
وابتهالات إلى القلبِ الذي
صَمَتَ الآن صموت الحجر!
إننى عُدت إلى العش كما
رجعَ الطيرُ لدفءِ الشجر
ومياه عن نهورٍ رحلت
ثم صُبّت فى ضمير الأبحر
إننى عُدتُ إلى العشب أنا
فافتحى البابَ لماءِ المطر
واسألى عَنّى أخبارى فقد
كَتَم الليلُ طويلاً خبرى
إننى جئتك بالنجم على
ريش جنحى فقومى وانظرى
ولتزينى مفْرق الشَّعر به
نجمَة الحبِّ ونجم القدر

***

كيف أغفيتِ ولم تنتظرى
مطلعَ النَّجم وضوء القمر ..
فيم ترحالى إلى الدنيا إذن
فيم تجوالى وطول السّفر!

نصار عبد الله

من ديوانه الجديد
قلبى طفل ضال



● تحقيق : عادل عبد الصمد ●

التاريخ تبنيه الافكار ..
والغـــد متوقف على ما يدور فى اذهاننا من افكار فاذا استطاع كل منا ان ياتي بفكرة تنفع الوطـن فى غده ، استطعنا ان نامل فى مستقبل اسـعد لنا وللوطن ..
فهل لديك فكرة تنفـع الوطـن ، وتنفعك ؟ .
هذه دعوة نوجهها اليك ..
وسنفتح على اساسها بابا جـديدا في ((الهلال)) ..
ستنشر الافكار الجديدة التي يمكن تنفيذها ..
ففكر ، وخذ القلم واكتب لنا ..

● دستور يحدد القيم الاسلامية للتعليم

● د . عبد الصبور شاهين ●



● لست ارى ان يتحقق الامل في تطوير التعليم الا ان تتحقـق شروط ثلاثة :
اولها : ان تسـتوعب العمليـة التعليمية كل مواطن على هـذه الارض دون ادنى تسيب . واذا لاحظنا اننـا نتزايد سنويا بمقـدار مليون ومائتى الف نسمة ، وان قدراتنا الحالية تحكم بالامية على نسبة لا تقل عن ثلث هـذا العدد ، اى اربعمائة الف لا يشـملهم التعليم العام .
واذا لاحظنا ايضا ان نسبة الاميـة عندنا لا تقل بحال عن ٦٠ ٪ فان معنى ذلك إن اعداد الاميين تتزايد سـنويا زيادة منتظمة ، ويترتب على هذا الوضع ان كثيرا من القوى البشرية الذكيـة تضيع فى طوفان التسيب والاهمال ..

ومعنى ذلك كله اننا بحاجة الى ثورة ثقافية بالمفهوم الثقافى للتعبير لا بالمفهوم السياسى .

على أن هناك خطرا آخر يترصد جهود الامة فى نشر التعليم ويوشك ان يفتك بها ، هذا الخطر يكمن فى تغيير الوضع الاقتصادى بحيث أصبح العامل الحرفى الجاهل يكسب اكثر من المتعلم ، وربما بلغ دخله أضعاف ما يحصل عليه أرقى المتعلمين ، ولقد ينشىء هذا شعورا لدى الطبقات الدنيا بأن التعليم لا عائد له ، وبأن الجهل هو طريق الغنى .

وأكاد أقول أن هذا هو الشائع الآن فى الدنيا العامة ، وهو أمر خطير ينبغى الا نقلل من شانه .. ولم يعد غريبا ان نجلس فى بعض المجالس ونستمع الى كثير من المتعلمين يندبون وينعون آمالهم والتضحيات الجسام التى فرض عليهم اداؤها لانهم قدر لهم ان يكونوا متعلمين فى مجتمع سمح بأن يصل أجر الحرفى الجاهل فيه ما قد يبلغ مائة جنيه فى اليوم احيانا ، على حين لم يصل مرتب الوزير فيه أكثر من سبعة جنيهات ونصف فى اليوم ..

● الشرط الثانى ●

ان يتم وضع دستور للتعليم يحدد القيم الاساسية فيه ويضع الارض المشتركة التى تتم عليها كل الجهود التعليمية .

واهمية وضع هذا الدستور تبدو واضحة اذا ما لاحظنا الارتجال المطلق الذى يسيطر على المدرسة المصرية فكثير من القرارات يرجع الى رغبات المسئولين شخصيا ، وكثير من المواقف يحل « بالفهلوة » أو بالمجاملة .. والمجتمع المدرسى هو أرقى نموذج للمجتمع العام ، فاذا لم يوضع دستور ليحكم العلاقات فيه بين التلميذ والمدرس وبين المدرس والمدرس وبين المدرس ورئيس المدرسة وبين المدرسة والمدرس ورؤساله فى الادارات العليا ــ فان روح الارتجال السائدة سوف تنذر بتقويض الأمل وتدمير كل الجهود .

والذين يعيشون مشكلات المجتمع المصرى التربوية يدركون ولا شك اهمية وضع مثل هذا الدستور الذى يحتاج الى كفاءات تقرره ، وحملة اعلانية وتربوية ضخمة تؤكده ، والتزام دقيق بنصوصه ومواده بدور التعليم المختلفة حتى ينتفى عنها الشكل الفوضوى الذى تسرب اليها الان وتسود فيها روح العدالة والنظام والعمل والاخلاص .

● الشرط الثالث ●

ان اجهزة الثورة الثقافية التى أرى أن تحدث فى مجال التعليم فى المجتمع المصرى ، يجب ان تخصص جانبا كبيرا من جهودها للمعلم الذى فقد جوهره أو فقد نفسه ، فأصبح فى وضع يرثى له ماديا وانسانيا . ولن اتحدث عن الجانب المادى الذى يحسه الان طوب الارض .

ولكن اتحدث الآن عن الجانب الانسانى فى تناول مشكلات هذا المعلم الذى يمثل افضل صور الكفاح والكدح فى مجتمعنا .

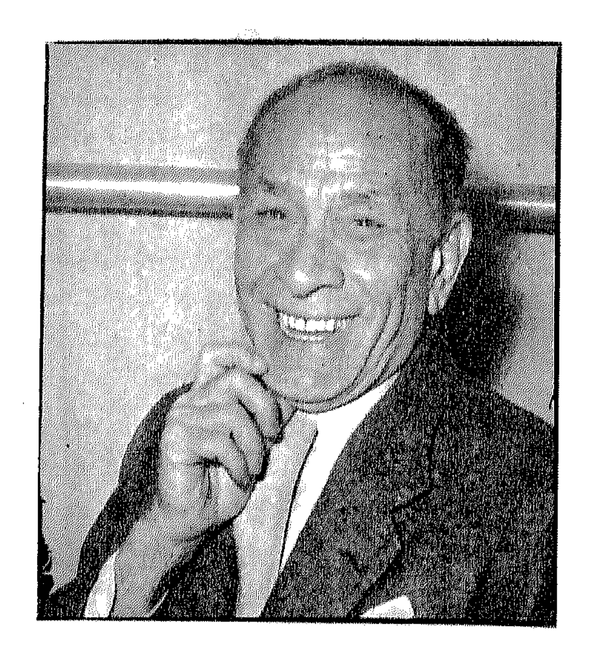
لست ادرى ما المصلحة التى تعود علينا تربويا او اجتماعيا من انطلاق افواه كثيرة على المدرسين والدروس الخصوصية ، وانهم أصبحوا ينافسون المحترفين فى سعيهم الدائب لتثقيف ابنائنا من ناحية ، ولتحصيل «الستر» من ناحية اخرى .

قد نجد حينئذ نماذج كثيرة لا تؤدى واجباتها المحددة فى خطة الدراسة على نحو يرضى الله ويحقق مصلحة الوطن ، وقد ننظر الى هؤلاء احيانا نظرة اتهام ، وقد ننظر الى هؤلاء نظرة اسفاف ورثاء ، ولكن العنصر الغائب عن كلتا النظرتين هو عنصر الانضباط والمتابعة والتذكير الذى أمر الله به فى قوله ((فذكر انما انت مذكر)) وفى قوله ((وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)) .

وقد ننظر الى التذكير نظرة استهانة ولكنه افضل الوسائل لتحقيق خطة تعليمية يراد منها تطوير المجتمع ويراد لها ان تبلغ اقصى غاياتها .

مسرح اليوم .. بلا روحانية

• زكي طليمات •



لا يستطيع أى منصف ان ينكر أن مسرحنا فى أزمة بل كارثة .. فلقد اصبح مسرحنا بلا روحانية .. والمسرح عندما يصل الى هذا يكون الكسب المادى هو غرضه الاول ، وبذلك نرى الممثل يغالى فى اجره ولا يعطى لفنه كل همه وجهده .. ومعنى هذا ان هناك مشكلة أو ازمة تعمل على تغيير الموازين والمقاييس الفنية الاصيلة ..

ومن عجب ان تلك الازمة فى مسرحنا لا يحسها الممثلون ، وانما يحسها اهل الراى والفكر والقائمون على أن يكون لنا مستويات حديثة فى الادب والفكر والفن ..

ان ممثل اليوم لا يحس الازمة ولا يعايشها ، لان أجره لا يتأثر انخفاضا أو ارتفاعا بهذه الازمة ..

واعتقد ان الفن رسالة رفيعة تتلخص فى ان تعطى الجمهور المتعة الذهنية الكاملة من غير ان تنزل الى الاسفاف أو تتفلسف وتتعالى على المتفرج ..

وهناك شيء آخر هو ان ممثل اليوم غير ممثل الامس ، وأنا من ممثلى الامس .. والاحظ ان ممثل اليوم كل همه الكسب المادى واقتناء الثروات والسيارات الفاخرة وما الى ذلك ، ولا يهتم بالجانب الروحى لفنه ، وينسى أن الممثل الحق لا يعيش بالخبز فقط ، وبذلك نجد مسرحنا اليوم يفتقر الى الروحانية التى تسمو بالممثل حتى لا يكون وصوليا ، بل يكون فنانا يرسم أقدار أمته ويهيىء لها آفاقا جديدة من الفكر ومما يغذى الوجدان .

• ليس مجرد كسب عيش •

والآن نسأل ما العلاج ؟

أو ماذا يجب أن نعمله لنحقق الرغبة فى أن يكون القرن القادم قرن مجد فني وادبى لا يقل عن أمجاد مصر قيما انتجته من رءوس عبقرية أمثال العقاد، وطه حسين ، وأمثال جورج ابيض ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدى ، وروز اليوسف .

وهنا أقول ان وصف الدواء وحده لا يكفى بل لابد من أن تتناول الدواء وأن تتجرعه وانت مؤمن انك تؤدى واجبا قوميا نحو وطنك لكى تعود الى المسرح روحانيته التى عشنا عليها ..

• وهنا لابد من نظام يضرب على أيدى هذه الفئة ليردهم الى السمو الخلقى ويعلمهم أن الفن رسالة وليس مجرد كسب عيش وارصدة فى البنوك .

• لابد من تنشئة جيل جديد يحسن فهم مفاهيم المسرح .

يجب أن يعنى بالجمهور « جمهور المسرح » لايجاد جمهور يفهم المسرح ، ويحب المسرح ... واقترح هنا ان يعاد النظر فى المسرح المدرسى .

... الا أن هذا المسرح المدرسى يجب أن ينظم بحيث يدرسه الطلاب ابتداء من الدراسة الثانوية ، فيدرسوا معانى المسرح ومفاهيمه ومفاتيحه ، وكل ما يحبب لهم المسرح ..

• واقترح ان يدخل فى برنامج الدراسة ايضا فى المرحلة الثانوية دراسة جادة لتاريخ المسرح من حيث

النشأة والمسيرة منذ القدم حتى اليوم ..

وهناك اقتراح آخر اقترحه لاقتلاع الوصولية او تخفيف تأثيرها وذلك فى القطاع العام ، فاقترح ان يكون مرتب الممثل مرتبطا بأيراد الشباك ، وبذلك يأخذ الممثل بقدر ما يحقق .. أما ان يأخذ شيئا ثابتا ولا يهتم بنجاح العمل فامر يجب أن نتلاشاه .

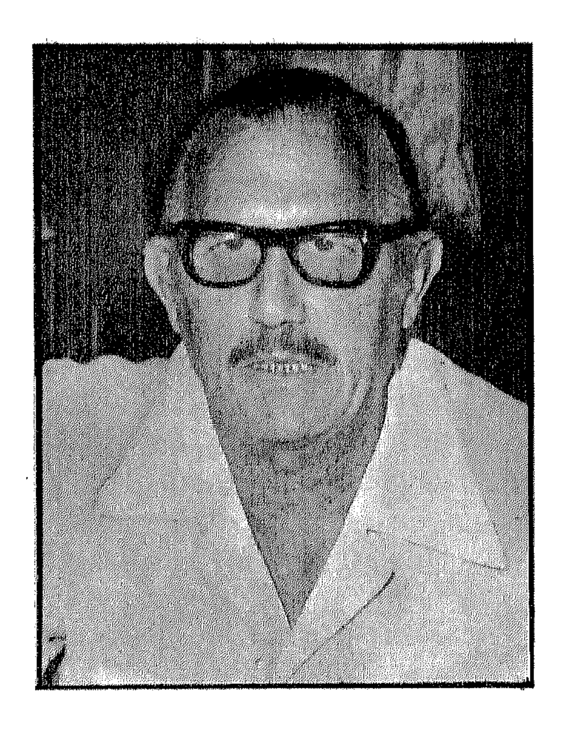
ننتقل بعد ذلك الى التليفزيون هذا الغول الذى يلتهم جمهور المسرح والسينما والاذاعة ..

هذا الغول الذى يفرض نفسه عليك وانت فى بيتك .. لااقول ان نغلق التليفزيون ونلغيه ، ولكن اقول كما اعطينا التليفزيون عناية كبيرة يجب ان نقلل منها ونعطى للمسرح الهادف عناية أكبر .. لان التليفزيون بذلك قد اخذ من المسرح كل شيء ، حتى وجدنا المسرح يعانى ازمة كبيرة فى النصوص المسرحية بينما نجدها متوافرة للتليفزيون وبكثرة لان التليفزيون يحقق الشهرة والكسب أسرع وأكثر من المسرح اليوم ..

ورغم ذلك فانى لست متشائما ، فالاصلاح آت والكل لابد أن يعمل من اجل هذا التقدم لرفعة الفن والوطن ..

● نواة لخلق القيادات فى كل المجالات

● د . عبد المنعم ابو العزم ●



التعليم فى مصر له جوانب عدة ، فالتعليم ليس ــ كما يظن البعض ــ خدمة تقدم للافراد ، وانما هو عملية انتاجية فى المقام الاول .. و « السلعة » المنتجة هنا وان تجاوزت فى التعبير ، هى البشر .. والبشر ((اغلى سلعة)) واهمها فى الوجود ، فبصلاحها يصلح المجتمع وبالارتقاء بقدرتها الانتاجية يتقدم المجتمع ... ومن المسلم به ان الثروات الطبيعية فى باطن الارض وعلى سطح الارض من العوامل الهامة لرقى المجتمع ورخائه ، ولكنها وحدها وبدون البشر القادرين على استغلالها والاستفادة القصوى منها ــ لا تكفى لرقى المجتمع ...

وكثير من الدول الغنية فى مواردها الطبيعية تظل دولا متخلفة بسبب الفقر فى الامكانات البشرية حتى لو استعانت بخبراء العالم ، فمن خلال الثروات الطبيعية المتاحة لها فانها لا ترقى الى مصاف الدول المتقدمة وعلى العكس من ذلك فان وجود الطاقة البشرية المدربة القادرة على العطاء قد اغنت بعض المجتمعات التى أصبحت من أرقى واغنى مجتمعات العالم ، مثل ذلك اليابان فى الوقت الحاضر ، وكوريا فى المستقبل القريب .

من هنا تبرز اهمية التعليم والتدريب وتبرز كذلك اهمية التخطيط لنوعية التعليم والتدريب اللازمين . واعداد كل نوعية من هذه النوعيات ، والاستفادة القصوى منها تتطلب فى المقام الاول ان تكون خطة التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، اى مشروعات الانتاج والخدمات المختلفة ـ معروفة تماما حتى يمكن الاعداد اللازمة من الخبراء والفنيين والمهنيين لكل مشروع من مشروعات التنمية ، وبالتالى يكون الهدف الاساسى للتعليم توفير هذا الهيكل من القمة الى القاعدة فى تماسك وتناسق وتكامل .

وعلى سبيل المثال ، اذا كنا فى مجال الزراعة فى حاجة الى المهندس الزراعى والمرشد الزراعى والمتخصصين فى الميكنة الزراعية ومعاونيهم من فئة الفنيين ثم العمالة الفنية المدربة ، ثم العمالة العادية ـ فان هذا يستلزم وجود التعليم والتدريب اللازم والكافى لتخريج هذه الاعداد دون الزيادات غير الضرورية فى فئة منها ، او النقص فى فئة اخرى، مما يحدث اثرا سيئا فى خطة التنمية ، كذلك فان فترة الانتظام فى الدراسة فى جميع المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية اقل كثيرا من الفترة اللازمة والضرورية لاستيعاب المقررات الموجودة .. وعلى سبيل المثال فان فترة ٣٨ اسبوعا فى التعليم الابتدائى والاعدادى والثانوى لا تتحقق ، ولا يلزمنا لتحقيقها مزيد من الانفاق او التمويل . بل ان تحقيقها فائدته اكبر كثيرا من استثمارات جديدة لانشاء مدارس جديدة او استيعاب اعداد اكثر ..

وهناك ايضا النقص فى المعلمين فى بعض التخصصات التى تحتاج الى استكمال ..

وهناك ايضا ظاهرة الدروس الخصوصية التى تضيف أعباء مالية كبيرة على الآباء مما جعل مزية المجانية فى التعليم تكاد تفقد مجانيتها ، خصوصا مع بعض الارتفاع فى هذه الدروس فى السنوات الاخيرة .

وموضوع على جانب كبير من الاهمية .. هو أن ما نعلمه لأبنائنا فى المدارس الابتدائية سوف يبدأون فى ممارسته فى الحياة والعمل بعد عشر سنوات على الاقل ، حيث يكون أول نضجهم العلمى والفنى بعد ثلاثين عاما ، مما يستلزم التفكير فى أن تكون برامج التعليم والتدريب مناسبة بحيث تمكنهم من استيعاب الاعمال التى تناط بهم ، وكذلك ضرورة مراعاة سياسة التعليم والتدريب المستمر لجميع المستويات ، وعلى سبيل المثال لو نظرنا الى تخلفنا التكنولوجى والاجتماعى الان ، بالمقارنة ببعض الدول المتقدمة ، لوضحت لنا الفجوة الكبيرة والتى يعتبر من مسبباتها ضعف الكفاءة الانتاجية فى بعض القطاعات الهامة بسبب نقص التدريب او الامكانات اللازمة .

وتضافر الجهود فى التعليم والتدريب وتوفير الامكانات اللازمة للعمل ، تمكننا من معالجة هذا القصور فى الانتاج ..

وأما بالنسبة لمجال البحث العلمى ، فان النظام الاساسى فى جميع مراحل التعليم لا يمكن أن ينتج باحثا متميزا الا اذا انتهج نهجا خاصا غير الاستظهار او الحفظ، وان يكون هناك من وسائل التقييم ما يتيح لاصحاب القدرات المتميزة الظهور والنبوغ فى المراحل المبكرة من تعليمهم ، وهناك امثلة كثيرة فى العالم لمثل هذا النوع من التعليم ..

وكنا فى مصر قد بدأنا هذا النوع فيما سميناه المدارس الذهبية ، حبذا لو اعطى هذا الموضوع الاهتمام اللائق به ، لتكون هذه المدارس نواة لتفريخ القادة فى كل مجالات العلوم والفنون..

الى تطور الحياة

● نعمان عاشور ●

أى محاولة لوضع الثقافة فى غير وضعها الصحيح ، وهى أنها الكيان الاساسى للتطور سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ـ يحرمنا من وضع ايدينا على جوهر الجمود ، فالجمود الذى قد نلحظه فى كافة مجالات النشاط اليومى وغير اليومى ، مبعثه اساسا اننا لا نضع الثقافة فى وضعها الصحيح ..

فالمقصود بالثقافة هو التوعية التى تكفل للمواطن ان يكون بكيانه كفرد صاحب راى ولنظرة ثاقبة الى الحياة من كافة جوانبها . وهذا يعنى الاهتمام بالقضايا العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وهو الشىء الذى لا يمكن تحقيقه الا بتوسيع مدارك المواطن الفرد ومعارفه ، واطلاق ملكاته وفكره بحرية تكفل له مثل هذا الوعى ..

الثقافة اذن لا تعنى الكتب والدراسات بقدر ما تعنى النظرة التى تطور الحياة ، ومما يؤسفله اننا دائما نضع الثقافة بهذا المعنى فى ظل من تقديرنا .. فانا أقول مثلا ان الدعوة الحالية لمحو الامية لا يجب ان تقتصر وليست هى بالفعل تعليم القراءة والكتابة ، وانما هى تقديم المادة الثقافية التى ترفع من مستوى المواطن فى عصر توافرت فيه المعبرات الجماهيرية الضخمة وعلى صورة لم يسبق لها مثيل من قبل ، وهى معبرات شعبية جماهيرية بالدرجة الاولى ، على راسها التليفزيون والاذاعة والسينما والمسرح والاغنية والموسيقى ..

فان تقديم المادة الثقافية الجادة من خلال مثل هذه المعبرات كفيل بمحو



الامية . وقد يكون انجح من مجرد تعليم القراءة والكتابة بالنسبة للمواطن العادى ..

والدليل واضح لدينا .. اننا نقوم بمحاولات متصلة منذ سنوات لمحو الامية ، هذه المحاولات لم تؤد الا لنتيجة ضيقة غير محسوسة . واخشى أن أقول غير ناجحة .. ولا يمكن ان يسدها الا الارتفاع بمستوى المادة الثقافية التى يقدمها التليفزيون .. والاذاعة والسينما والمسرح ، ورفع مستوى هذه المادة يخدم الامى بقدر ما يخدم المتعلم ، وامامكم عشرات الآلاف من المواطنين ، بل واقول الملايين المتزايدة منهم التى تشاهد التليفزيون وتسمع الاذاعة على مدار الليل والنهار وتقبل على السينما وتستمع الى الاغانى .

فهذا هو ما اعنيه بكلمة الثقافة ، وهى يمكن ان تندرج بهذا المفهوم على ثقافة الطفل ذاته لانها تعتمد بدورها على المادة الثقافية التى تقدمها هذه المعبرات الحديثة والتى اصبحت بازغة بزوغ الشمس فى حياتنا على قدر النهار بطوله وساطعة سطوع القمر فى سمائنا الصافية المشعة ..

لابد أن نفرق بين التعليم والثقافة

● يوسف الشاروني ●

اى حديث عن اى تطور فى مجالات التعليم والثقافة لا يمكن ان يقوم الا على أساس محو الامية .. ولسنا هنا بسبيل البيان عن الوسائل فهناك اكثر من اقتراح ، كما كانت هناك اكثر من محاولة .

محو الامية يخلق قاعدة عريضة تزدهر فيها الثقافة ، ولكن محوالامية ليس عاملا كاملا لأزدهار الثقافة وان كان عاملا اساسيا .

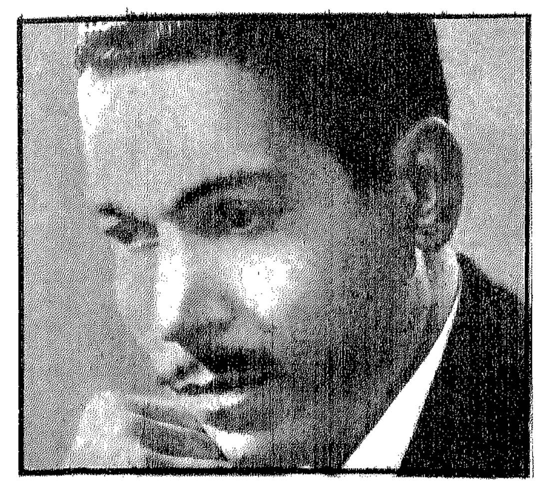
ونحن نعرف ان هناك فرقا بين التعليم والثقافة فكثير من المتعلمين أو اصحاب الشهادات قد لا يقرأون كتابا منذ مجرد تخرجهم ، لان القراءةعادة، وهذه العادة تتكون من الطفولة حتى سن المراهقة ، وهذا معناه الاهتمام بأدب الطفل ، ومكتبات الطفل ، والمكتبات المدرسية ، كما ان للاسرة دورها فى ذلك .

واذا كانت الثقافة لا تقتصر على الكتاب ففى عصرنا الحاضر هناك اكثر من وسيلة يستمد منها الفرد ثقافته مثل وسائل الاعلام ، وبهذا يجب بحث الصلة بين الاعلام والثقافة ، بحيث لا يكون الاعلام كله لمجرد التسلية بل يتضمن وسائل لتثقيف الجماهير العريضة بمختلف مستوياتها

● مع طبيعة العصر ●

ومما يجب ذكره هنا أن اشرطة التسجيل اخذت تنافس الكتاب ، وهذه بدورها يمكن الا تقتصر على مجرد الاغانى ، وكم كنت اتمنى ان تكون هناك اشرطة بصوت د. طه حسين مثلا لنسمع عليها كتاب « الايام» على سبيل المثال ...

فربما كانت هذه الطريقة اكثر تمشيا مع طبيعةالعصر التى قد لا تقلل على الكتاب اقبالها على الشريط



المسجل . وقد كانت مؤلفات روادنا امثال العقاد ، طه حسين ، المازنى، كامل الكيلانى ، ... الخ من وسائل توحيد العالم العربى قبل ان تصبح هذه الامنية على المستوى السياسى بل انها كانت تمهيدا لها .

● النظرية والتطبيق ●

واخيرا فان النظر الى الخدمات الثقافية باعتبارها خدمات استهلاكية نظر خاطىء ، لانها خدمات انتاجية فهى تكمل عمل وزارة التربية ، حيث ان وزارة التربية تقوم باعطاءالمعلومات الاساسية التى تؤهل الفرد لأن يكون موظفا ، أما أجهزة الثقافة فانها تتيح الفرصة للمواطنين لتنمية مواهبهم فى مختلف فروع الأدب والفنون ، وهذه مهمة ضرورية للمواطن فى حضارتنا الحديثة تساعده بطريقة غير مباشرة على انتاجه فى فروع قد لا يبدو ان لها علاقة بالثقافة ..

وعلى سبيل المثال فان ثمن الكتاب لا يجب ان يقوم على اساس ما يدره من ربح ، بل على اساس ما يقدمه من نفع لقارئه ، وان يصل اليه بكل الطرق الممكنة ، ومن بين هذه الطرق انخفاض ثمن الكتاب .

والمهم هو التنفيذ ، لان هناك هوة بين النظريات والتطبيق عندنا وبين الامانى وتحقيقها ، ومشكلة الثقافة تعانى من هذه الهوة .

فازدهار الثقافة مرتبط ايضا بنجاح النظريات وتطبيقها .



حنين..

● مهدى محمد سعيد ●
● الخرطوم ـ السودان ●

ملكٌ طربتُ لصمته وبيانه ... وتلوتُ آي السحر من أجفانه

يفترُّ عن درٍّ صقيل ناعم ... ويضوع طيب الزهر من أردانه

يامن تعشقت النفوسُ جمالهُ ... رحماكَ في قلبي وفي وجدانه !

كنْ ياجميل كما تشاءُ وترتضي ... فأنا الّذي لعب الهوى بجنانه

متولّه أبدا وأنتَ نعيمه ... وحديثه الداعي الى تحنانه

يازينةَ الدنيا وبهجة حسنها ... وجمالها المزهوّ في ريعانه !

أنتَ الحياةُ وأنت منبعُ فنّها ... للعبقريّ يعب من شطآنه !

فلطالما هتفتْ بحبّك مهجتي ... ولطالما صدحت على أفنانه !

كم أشتكي ، فيحولُ دون شكايتي ... شوقي وإخلاصي إلى سلطانه !

وتذوب آمالي وتذهبُ فكرتي ... وأبيتُ تواقا الى إحسانه !

لكنني أخشى الجمال وسحرهُ ... وعجيبَ طلعته وعطفة بانه

وأهابُ مكحولَ النواظر راميا ... بسهامه متبسما بجماله !

إن ضلّ قلبي في غرامك يا مني ... فالحب والتقديس ملءُ كيانه !

تخذَ المحبةَ والمحاسنَ ثورهُ ... وسبيلهُ الهادي إلى إيمانه !

مأساة رجل غير موهوب

هذه حكاية رجل يسمى كارلوس طومسون ظن نفسه موهوبا فى التمثيل لان الله اعطاه وجها وتكوينا بدنيا جميلين يعجبان النساء ، ولكنه تبين بعد بعض التجارب انه غير موهوب . . فقرر ان يكون اديبا ، وحسب ان الافكار القليلة التى كانت تدور فى راسه تكفى لتصنع منه اديبا ومفكرا ذا شهرة ومكانة بين الكاتبين فى عصرنا هذا . .

وكان قد تعرف اثناء عمله القصير فى التمثيل على ممثلة المانية كبيرة ذات شهرة عالمية هى ليلى بالمر . وكانت ليلى قد نالت نجاحا كبيرا فى السينما فى بلادها ، ثم انتقلت الى هوليوود حيث تألق نجمها بضع سنوات ، ومن كبار افلامها التى اشتهرت فى الدنيا كلها فيلم « خطاب من امرأة مجهولة » للقصصى النمسوى ستيفان تسفايج . وبعد أن اخذت حظها من النجاح وجمعت مالا عريضا ، وعندما بلغت الخامسة والخمسين ، قررت الاعتزال بأموالها فى سويسرا ، فاشترت ضيعة قريبة من زيوريخ ، وهناك احالت نفسها على المعاش . .

وكانت قبل ذلك قد تزوجت من كارلوس طومسون ، وهو ارجنتينى الاصل ، وقد وجد هو فى الزواج منها عوضا عن عدم التوفيق فى السينما ، وظن أنه اذا توفر له المال والحياة الطيبة الرخية دون هموم ، استطاع الكتابة والابداع . .

واعتزل مع زوجته ليلى بالمر فى بيتهما الريفى قرب زيوريخ ، وأصبحا زوجين سعيدين ، فاما هى فقد كرست نفسها لاسعاد زوجها ، اذ وجدت فيه رجلا صادقا وزوجا مخلصا ، وأما هو فقد اختص نفسه باحسن غرفة فى البيت ، وأثثها بافخر اثاث المكاتب ، وجلس يكتب ، ليخطو بكتاباته الى عالم الخالدين !

وفرغ من أول كتاب له ، وسلمه للناشر ، فقرأه فلم يجد فيه شيئا يستحق النشر . . فاتصل بليلى بالمر وأسر اليها بحقيقة الامر ، وقال لها انه لا يستطيع نشر مثل هذا الكلام البسيط ، فعرضت عليه أن تدفع نفقات الطبع والنشر ليظهر الكتاب فى السوق ، ومن يدرى فربما كان



« ليلى بالمر » الممثلة والكاتبة الموهوبة « ٦٣ سنة » وزوجها غير الموهوب كارلوس طومسون . رغم كل شيء ما زال زواجهما ناجحا ، والفضل فى ذلك يرجع الى حكمة ليلى وبعد نظرها واخلاصها لزوجها

له حظ من القبول ..

***

وخرج الكتاب الى السوق فلم يقبل عليه أحد ، وتعرض له بعض النقاد بالنقد الجارح ، وعابوا على دار النشر أن تطبع مثل هذا الكتاب وهى دار محترمة تعودت أن تقدم للناس الكتب الجيدة . وقرأ كارلوس طومسون النقد وعرف حقيقة كتابه كاملة ..

وجعلت ليلى تواسيه وتشجعه على معاودة الكتابة ، وقالت له ان الناس لا يعرفون قدر الكاتب من اول كتاب ، وأنه لابد أن ينشر الانسان كتابين أو ثلاثة حتى يستقر اسمه فى أذهان الناس .

وعاد الرجل يكتب بنفس الطريقة ونفس الاسلوب .. كان يكتب كتبا فلسفية تضم خواطر وآراء لايتذوقها الا كاتبها ، وحاولت ليلى أن تغرى الناشر بنشر الكتاب الثانى بنفس الطريقة الاولى ، ولكن الرجل اعتذر محافظة على اسم داره ، فلجأت الى ناشر آخر ، وتحملت نفقات النشر ،

وظهر الكتاب فى الأسـواق ، فلم يكن حظه بأحسن من حظ سابقه !

وعرف كارلوس طومسون جليـة الامر ، فساء ظنه فى الدنيا والناس ، وان زاد حبه لزوجته ، ولكنه حسب أن حياة الاعتزال فى قرية جبلية ربما لم تكن معينة على الالهام ، فطلب الى زوجته أن يستأجر مكتبا فى مدينة زيوريخ ليعمل فيه ويتصل بالنـاس ويداخل النقاد ويندمج فى الحيـاة ، ووافقت . وبالفعل استقر صاحبنا فى مكتب فخم فى وسط زيوريخ . واخذ يتصل بالناس ويتعرف على الصحفيين والتفت حوله جماعـة من الطفيليين يزينون له أدبه وكتبه ليحصـلوا على ماله ، ومن بين هؤلاء عدد من البنات المتسكعات على أبواب الصـحافة والفن ، وجرت الالسن بالاشاعات فى زيوريخ كلها بأخبـار علاقات كارلوس طومسون ببنات صغيرات وغانيـات خليعات . وآلم ذلك ليلى بالمر أشـد الالم ، خاصة وقد تأكدت من حقيقة علاقات زوجها هذه ، ولـكنها فى النهاية وجدت له بعض العذر ، فقـد كانت تحبه وترثى له ، وتعرف انه رجل واسع الطموح ولكن ملكاته لا تتناسب مع طموحه ، فهو مسكين خائب الامل ، ولهذا فقـد عذرته وتغاضت عن أخطائه ، ودفعت نفقات نشر كتـابه الثالث الذى كان أسوأ ما نشر ، لان الرجـل أراد ان يأتى بجديد فكتب رواية هذه المرة ، وظهرت الرواية فى السوق فتلقاها النقاد بالنقد الجارح وقالوا انهم لم يقرأوا أسوأ من هـذه الرواية ! ..

والنقاد فى الغرب ناس أقوياء يثق الناس بما يقولون ، فكان اجتمـاع النقاد على تفاهة هذه الرواية ضربة أليمة لليلى وزوجها كارلوس طومسون .

وذاعت أنباء كثيرة وخلافات بين ليلى بالمر وزوجها ، حتى قال بعض



فى هذه الملابس الغريبة وتحت تلك القبعة الارجنتينية العريضة لقى كارلوس طومسون مندوب مجلة بونتى فاعطى الناس فرصة اخرى للضحك والسخرية منه

النـــــاس انهما على وشك الطلاق ، وبادرت ليلى فكذبت هذه الحكايات ، وعادت الحياة الى مجراها الهادىء بين الزوجين .

***

وطالت عزلة ليلى بالمرء عن الناس، لأن زوجها كارلوس طومسون اصــبح يقضي أوقاتا أطول فأطول فى مكتبــه فى زيوريخ ، ثم صار يقضى فيــــه الليالى ، وكانت ليلى تقترب من الستين فرأت أن الحكمـة تقضى بالســكوت والرضا بما يكون . فهى ليســـت فى سن يسمح لها بهزات عصبية وطلاق ومحاكم ومتاعب ووجع دماغ ..

وخطر ببالها وهى فى عزلتهـــا أن تتسلى بالكتابة ، وكانت لديها افكار روايات لا بأس بها ، فنهضت تكتب واحدة منها ، ووجدت متعة فى الكتابة وتسرية عن همومها ، ووضعت فيهـــا كل احاسيسها ومشاعرها ، وفرغت من الرواية دون أن تقول لزوجها شيئا ، فقد كانت تخجل أن تقول انها كاتبة .

وكانت ذات مرة فى مدينة زيوريخ لبعض شانها ومعها روايتها ، فالتقت بالناشر الكبير الاول فى أحد المطاعم ، وحدثته عن روايتها وهى خجلى ، وكان الرجل يقدر مكانتها وشهرتهـا فى عالم الفن ، فاستأذنها فى ان يقرأ الرواية فدفعتها اليه .

وبعد اسبوعين فوجئت ليلى بالناشر على التليفون يبدى لها اعجابه بالرواية ويؤكد لها انها من احســـن ما قرأ فى السنوات الأخيرة ..

والرواية كانت مزاجا من ذكريات الطفولة والصبوة وما يقع الشباب فى محاولات الحب الاولى ، وكانت ليلى صادقة فى كل ما قالت ، فقد روت بكل اخلاص حكايات غرامياتهـا الاولى فى بلدتها فى المانيا ..

وخرج الكتاب الى السوق ، فاذا به يطير طيرانا ، وفى مدى اربعة اشهر بلغ المبيع من الرواية مليون نسخة ، وفاضـــت انهر الصحف بالنقـــد والتقدير ...

وذهل كارلوس طومسون لهذا الامر وقرأ رواية زوجته فاحس بالفعل انها رواية أصيلة جديرة بالقراءة . وهنا شعر بالم بالغ ، فللمرة الثانية تثبت زوجته انها موهوبة وموفقة فى مبدانين فشل هو فيهما هما : التمثيـــــل والتاليف ! ..

وبدأ يتمرد على زوجته ويحـــاول الحط من قدرها انتقـــاما لكبريائه الجريحة، وعلى عادتها اغمضت عينيها وتفاضت عن الاساءة ، ومضت عـلى عهدها من المحبة والرقة مع زوجها ، حتى خجل من نفسه واقلع عمـا كان سادرا فيه . .

وعاد الناشر يطلب من ليلى رواية ثانية ، فكتبت مرة أخرى واجادت . فى هذه المرة دارت روايتها حـول صراع طلاب الفن فى معاهد التمثيل والتصوير، وما يكون بينهم من المآسى والصراعات، وادارت روايتها على بنت حلوة ضحى بها ثعالب الفن وأرادوا القضـــاء عليها حتى تبناها مخرج عجوز كان قد اعتزل العمل ، ولكنه عندما عرف هذه الصبية ورأى موهبتها تبناها ، وعـــاد الى الاخراج، فاخرج لها رواية لقيت اعظم النجاح ، وقررت البنت التى اصبحت نجمة ان تعرض على الشيخ أن تتزوجه وتهب نفسها له ردا لجميـلـه ، وكان الرجل الى ذلك الحين عزبا لم يتزوج ، فرفض ضنا بها على نفسه، فمازالت به تهدده بمقاطعته اذا لم يتزوجهـــا حتى وافق ، وتزوجها **وسعد معهـــا وارتد اليه شبابه فعاد الى الاخراج بكامل قواه ..**

وهكذا انت لبلى بنهاية سعيدة ، تختلف عن النهايات السعيدة للروايات

الجارية ، وسمت روايتها ((ســعادة بسعادة)) .. ولقيت الرواية نجاحا فاق نجاح روايتها الاولى اذ بلغ المبيع منها مليونا ونصف مليون فى عام واحد، وترجمت الى اللغات الاوروبيــة واصبحت حدثا ادبيا ...

***

وهنا لم يطق كارلوس طومســون الصمت ، فمضى يتكلم وينقد روايات زوجته ، ويقول كلاما انكره الناس منه ..وسكتت هى فلم تنبس حتى خجل من نفسه ، ومضت هى تكتب روايتهــا الثالثة ..

ووجد هو أن الأوفق له الا يكتب، فليس من الضرورى ان يجعل نفســه ضحكة الناس الى النهاية ، وكفى انه يعيش عيش الملوك مع زوجة مخلصة لا تعرف الاساءة او الاذى ...

***

وخطر ببال صحفى المانى يســمى ماتياس نولتى يكتب فى مجلة «بونتى» الاسبوعية الذائعة الصيت فى المانيا أن يتحرى موضوع كارلوس طومســون ولاوجته ليلى ليكتب فيه . وهــذا الصحفى يحرر بابا اسبوعيا من ابواب هذه المجلة التى تبيع خمســة ملايين نسخة كل أسبوع ، وهى تصدر عــن دار « يوروا » التى تنشر مجلة الازياء الذائعة الصيت بهذا الاسم ، وصاحب هــذه الدار هو فرانتس يوروا . . والمحرر المراد هنا يكتب بابا من ثلاثة اقسام يجمع فيه اخبار الناس : ناس من الامس وناس من اليوم وناس من الغد ..

وجمع ماتياس نولتى مادته وكتب عمودا فى بابه عن مأســـاة كارلوس طومسون وخيبته ونجاح زوجتــه ، كتبه بأسلوب لاذع كعادته ..

وقرأ كارلوس طومسون المعــود

وقامت قيامته فجلس الى مكتبه وكتب خطابا الى المحرر يعتبر من اسوأ ما يمكن ان يكتب الناس ، وفى هذا المقال شتم المحرر شتما قبيحا وتحدث عــن نفسه فقال انه من جنس رجال اشداء هم اهل الارجنتين ، وانهم فى بلده لا يقبلون الاهانات ولا يعرفون ردا عليها الا طلب المبارزة . وبالفعل دعا هــذا الرجل الذى خرج عن طوره الصحفى الالمانى الشاب ((٢٥ سنة)) الى المبارزة وطلب اليه أن يحدد السلاح والتاريخ ويأتى مع شهوده فى الفجر فى ذلــك التاريخ ..

وقرأ المحرر الخطـــاب وانفجــر ضــاحكا ، ثم اسرع به الى فرانتس يوروا واقرأه اياه ، واســتقر رأى الاثنين على نشر الخطاب بنصه ونصه نكاية فى كارلوس طومسون لكى يعرف الناس حقيقة امره .

ومن حســن حظ كارلوس انه فى خطابه لم يشر الى زوجته ليلى بســوء ، بل امتدحها وقال انها اكمــل امرأة عرفها وانه تزوجها لأنه احبها ومازال يحبها ، وان هذا الصحفى اراد الايقاع بينه وبينها ...

ونشر الخطاب وقرأته المانيــا كلهــا وضحكت منه ، واستدعى كارلوس طومسون صحفيا من المجلة ليستوضحه عن موضوع المبارزة ، فقــال له ان ماتياس نولتى سيرد عليه فى العدد التالى من بونتى .. وبالفعل رد الصــحفى وقال ان كارلوس طومســون لابد أن يكون قد جن ، فهو يعلم أن الصحفى لم يستعمل أكثر من حقه عنــدما كتب ما كتب، وانه لا يستطيع أن يستجيب لطلب المبارزة لانها ممنوعة فى المانيا ، واضاف فى نهاية كلمته عبارتين لاذعتين: الاولى تقول ان كارلوس طومسون



الصحفى الطويل اللسان ماتياس نولتى الذى اثار ماساة الرجل غيـــر الموهوب وجعله ضحـكة للناس

بعد ان فشل فى ميدانين لا ينبغى ان يتعرض للفشل فى ميدان ثالث وهــو المبارزة !

والثانية أن مجلة « بونتى » حققت لكارلوس طومسمون حلما ما كان يصل اليه أبدا ، فقد نشرت خطـابه وطبعت منه خمسة ملايين نسخة ! وما كان الرجل ليحلم بأن يطبع من أى شىء يكتبه عشر نسخ !

وقرات ليلى ما كتب ماتيـاس نولتى وشعرت بالألم لزوجها والرثاء لحاله ، فقالت له : ما رايك فى ان تقوم برحلة تطوف فيها بارجاء العالم وتقضى بضعة شهور فى بلدك الارجنتـــين .. ومن يدرى فلعلك تكتب هناك كتابا ناجحا.

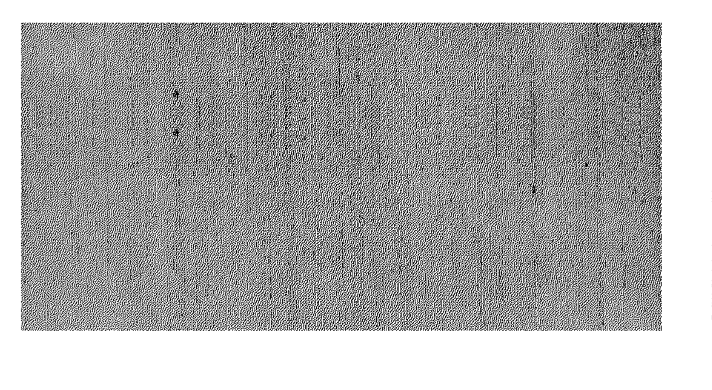
ونظر اليها زوجها طويلا وقال :

ــ سنقوم بالرحلة ، ولكن اغلب الظن أنك أنت التى ستكتبين الكتاب الناجح.

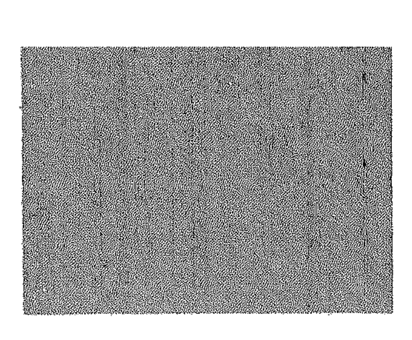
وهنا عرفت ليلى « ٦٣ ســـنة . » . أن زوجهـــا عاد الى صـــوابه ، لانه صـــارح نفســـه بحقيقتهـــا !

ح . م





قبضوا عليها.. وحبسوها.. فأنقذوها!





كانت كريستينا اوبل المعروفة فى اوروبا باسم بوتسى على وشك الضياع فقد انحرفت وادمنت المخدرات ، ثم دفعها الطيش الى الدخول فى تجارتها.

وقبضوا عليها وقدموها للمحاكمة بتهمتين : ادمان المخدرات وتجارتها ..

وقال الناس ضاعت المليونيرة بنت آدم اوبل منشىء شركة السيارات



المعروفة فى المانيا ..

ولكن كريستينا عولجت فى السجن وشفيت وعاد اليها رشدها وخاصة عندما سمحوا لها بان ترى ابنتها مرة فى الاسبوع .

وتقدمت بشكوى تطلب العفو واطلاق سراحها وشطب السابقة الاولى وتم ذلك كله ...

وخرجت كريستينا من السجن شابة صحيحة سليمة نظيفة الاسم لتعيش مع ابنتها فى فيللتها فى سان تروبيز فى جنوب فرنسا ..

وهانت تراها يوم قبضوا عليها وساقوهاالى السجن وقال الناس ضاعت ... ثم تراها كما هى اليوم تلاعب ابنتها فى حديقتها وقد بدأت حياة جديدة .





الجميلة هى صوفيا لورين ، احدى فاتنات الدنيا فى عصرنا هذا ..

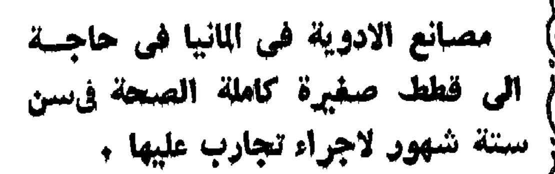
وهى غاضبة لان زوجها وصاحب الفضل عليها كارلو بونتى المنتج السينمائى زاغت عيناه واستقرتا على شابة حلوة ليضفى شيئا من الدفء على خريف عمر تجتاحه الاعاصير ..

وصوفيا تفخر دائما بانها من يوم ان تزوجت كارلو لم تنظر يمينا او شمالا ، انما هو زوجها وكفى ..

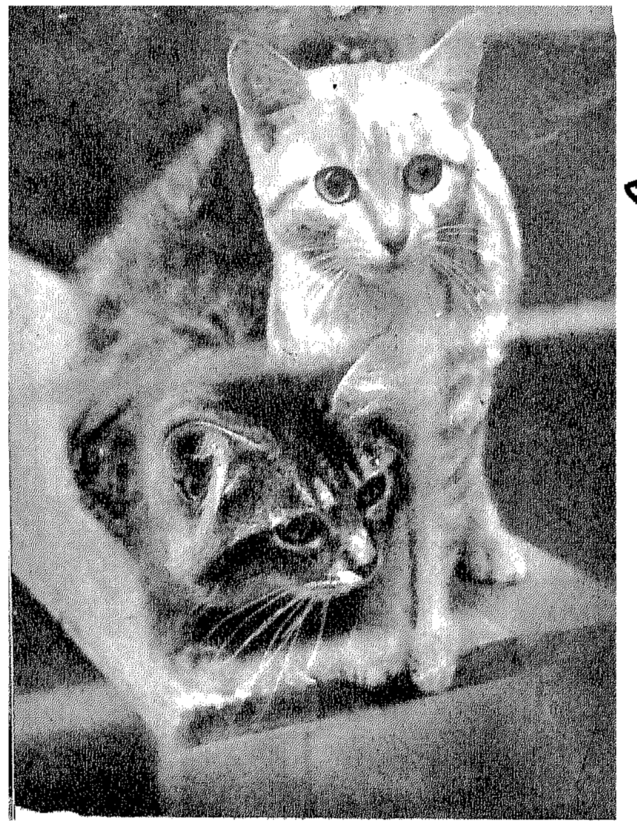
لهذا آلمها ذلك الانحراف من زوجها المسن ، وغاضبته فى البيت والعمل والطريق .. والصورة التى ننشرها هنا تريك الجميلة الغاضبة بعد خروجها من مطعم فى باريس ووراءها زوجها يحاول ان يلاحقها ويسترضيها.

وفى ركن الصورة ترى كارلو بونتى وسبب غضب الجميلة وهى الشابة الحلوة التى اطارت صواب المنتج العجوز .





مأساة بوتسى وموتسى



مصانع الادوية فى المانيا فى حاجة الى قطط صغيرة كاملة الصحة فى سن ستة شهور لاجراء تجارب عليها .

وقد جربت المصانع ان تربى هذا الصنف من القطط فتبين لها ان القطة الواحدة تتكلف منذ ميلادها الى ان تبلغ شهورا ستة فى صحة ممتازة ٢٥٠ ماركا وذلك مبلغ جسيم .

لهذا لجأت الى طريقة اخرى . اعلنت انها تشترى القطة الشابة السليمة فى سن الشهور الستة بخمسة ماركات ..

وانطلق لصوص القطط يبحثون عن هذا النوع من المخلوقات وما أكثرها فى البيوت . وهناك فى المانيا لا ترى قططا ضالة فى الشوارع ، لان القطط توجد فى البيوت فحسب ، ولكل قطة صاحب وبطاقة ورخصة .

وفى بحر عامين اختفت ١٥٠,٠٠٠ قطة من هذا النوع ، سرقت وبيعت الواحدة بخمسة ماركات .

وفى المعامل تتعذب هذه القطط عذابا لايتصور ، فهم يعطونها حقنا ويدخلون فى اجسادها انابيب ويفتحون افواهها بآلات ويصبون فيها محاليل ويستخرجون منها دما وعصارات معدية وكبدية واشياء اخرى للدراسة والتحليل وفى النهاية يعطونها حقنا قاتلة ثم تحرق جثتها .

وهذا ماحدث للقطتين الجميلتين اللتين تراهما فى الصورة ، واسمهما بوتسى وموتسى ، وكانتا ملكا لمدير بنك فنى . كانتا تعيشان فى فيللا انيقة وتمرحان فى حديقة وارفة الظلال وتتغذيان على اغلى المأكولات المعلبة خصيصا للقطط ..

وكانت النتيجة ان سرقهما لص قطط وباع الواحدة بخمسة ماركات ودخلت المسكينتان جهنم مصانع الادوية .

وثارت ثائرة صاحبهما وأثار القضية على صفحات الصحف ، ولكن ماذا يعمل ومعظم لصوص القطط من الصبيان الذين يسرقون قطط الجيران ويسرعون بها الى المشترين ؟



هكذا .. تغنى

استعرنا هذا العنوان من اسم ديوان للشاعر الراحل محمود حسن اسماعيل : هكذا اغنى ...

والتى تغنى هنا هى كريستينا أوناسيس وريثة المليونير اليونانى ارسطاليس اوناسيس الذى كان اصدقاؤه يدللونه بلقب آرى . لقد تزوجت الشاب الروسى سيرجى كاوستوف وقال الناس يومئذ ان الروس دبروا مؤامرة لتزويجها من ذلك الشاب للاستيلاء على اموالها . وقال بعض الصحفيين ان سيرجى رجل مخابرات روسية ، وطالب اليونانيون بضرورة الطلاق .

ولكن كريستينا تمسكت بزوجها ، وبدلا من ان تعيش فى روسيا اقنعته بان يترك وطنه وعمله ويعيش معها فى فيللتها فى سان موريتز فى سويسرا .

والان تعيش المليونيرة السعيدة مع زوجها فى هدوء بعيدة عن الاعاصير .. وهانت تراها فى حديقتها كانها سيدة بيت عادية محدودة الدخل تحمل كلبها وتغنى سعادتها ساخرة من المخابرات الروسية وطول السنة بعض الصحفيين .



الحب والحرب في القصر الكبير

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

– ١ –

● اليوم السبت ٨ من المحرم عام ١٥٩ هـ – ٧ من نوفمبر ٧٧٥ م ، وبغداد دار السلام تعيش في أوج مجدها ،وتستقبل يوما جديدا من أيام عظمتها ، في خلافة المهدى العباسي ، وقصر الخلافة يعلوه الأبهة والسلطان ، ويحيط به المجد والجلال من جميع نواحيه ، والحراس والجنود واقفة على أبوابه ، مشرعة السيوف والحراب – اذا امراة تقف أمام الحراس ، تسالهم عن جناح الخيزران سيدة القصر ، وزوج الخليفة المهدى ، وتطلب الاذن بالمثول بين يديها •

ونظر الحراس اليها شزرا ، انها امراة لا يرى الناس اجمل منها ، ولا أسوأ حالا كذلك منها ، وعليها ثوب ، ما تستر ببعضه موضعا من بدنها الا انكشف موضع آخر ، وهى مع ذلك فى انفة الملوك وكبريائهم •

وطردها الحراس من أمام باب قصر الخلافة ، فبكت ، ووقفت بدموعها بين يأس الانصراف وأمل المثول بين يدى سيدة القصر •

وعاد احد الحراس ، يسالها عن اسمها وقصتها ، فبكت ، وكان البكاء هو الجواب ، لم تقل شيئا ، ولم تكشف عن شيء من مأساتها • وقالت : اننى أريد مقابلة الخيزران ، ولا عليك من اسمي ولا من قصتى ••

ورق قلب الحارس لها ، فأوصلها الى وصيفة الخيزران ، وأرادت الوصيفة أن تعلم شيئا من أمر هذه السيدة المجهولة ، ومن مأساتها وقصة حياتها وسبب طلبها لمقابلة الخيزران ، ولكنها لم تفز بجواب ، وقالت لها الوصيفة : اذن فانتظرى حتى أعود اليك •

وفجأة دخلت الوصيفة على الخيزران فى مجلسها من قصر الخلافة ، حيث تجلس بجوارها زينب بنت سليمان بن على الهاشمي العباسى ، وقالت فى أدب وقوة : سيدتى • وردت عليها الخيزران : ماذا وراءك يا ميمونة ؟ وأجابتها ميمونة : هناك سيدة بالباب ما رأيت أجمل منها ، ولا أتعس ولا أشقى حالا من حالها ، تلبس ثوبا مرقعا ما تستر به جزءا من جسدها الا انكشف جزء آخر، وعليها وسم العز والشرف والكبرياء ، وفى لهجتها عذوبة وحنان ، وهى تستأذن في المثول بين يدى مولاتى •

والتفتت الخيزران الي ضيفتها : زينب بنت سليمان قائلة :

– ماترين ؟

وردت زينب:هل سالوها عن اسمها وقصتها ؟ وردت ميمونة : سألناها ، ولم ترد الافصاح عن شيء أبدا ، وكل ما ترجوه الاذن لها بالمثول بين يدى سيدتي ••

قالت زينب : لا ضير ، عودى اليها ، فاعيدى سؤالها عن اسمها وقصتها ، ثم ارجعى الينا، والراى بعد ذلك لسيدتى الخيزران •

الوصيفة ميمونة : قد والله جهدت ، ومكثت معها وقتا طويلا ، لعلها تبوح باسمها وقصتها ، فما فعلت ، وأرادت الانصراف فمنعتها •



زينب بنت سليمان : وماذا عليك أن تاذني لها ، فانك منها بين مكرمة أو ثواب ؟

والتفتت الخيزران الى الوصيفة : ائذني لها ،لتدخل .

وذهبت الوصيفة ميمونة، ثم عادت ومعها امرأة تحاكى الخيزران جمالا وعظمة ، ولكنها فى تعاسة وسوء مظهر وشقاء حال ، مما لا يستطيع بيان البلغاء التعبير عنه ، وهي تسير علي البساط الممدود ، وتقف في مواجهة الخيزران فى أدب ونبل ، وتقول : السلام عليكم ...

والتفت الخيزران متعجبة ، وهي تحدق النظر فيها ، وقالت : وعليك السلام ، من تكونين ؟

ـ أنا مزنة امرأة مروان بن محمد .

ووقعت الصاعقة !

مزنة امرأة مروان بن محمد ؟! عجب فى عجب ، انه الشيء العجيب والخبر الغريب ..

وأخذت الخيزران تتعجب فى نفسها وتقول فى داخل جوانحها : مزنة امرأة مروان بن محمد قصة انتهت منذ سبعة وعشرين عاما ، ولا يعقل أن تعود مرة أخرى بعد هذه المدة الطويلة ...

وقالت : مزنة امرأة مروان ؟!

وردت الضيفة الوافدة : نعم سيدتى أنا مزنة .

وردت الخيزران : مزنة ، مزنة امرأة مروان ، لا حياك الله ولا أقر عينك ! . الحمد لله الذي أزال نعمتك وعزك ، وصيرك نكالا وعبرة ، أتذكرين **يا عدوة الله حين أتاك أهل بيتى ، يسألونك أن تكلمي الخليفة مروان بن محمد فى خلافته ليأمر بانزال جثمان ابراهيم بن محمد العباسى عن الخشبة التي أمر بصلبه عليها ، فتلقيتهم بلقاء خشن ، وطردتهم من بيتك طردا غير حميد ؟! .. الحمد لله ، الذى أزال نعمتك ونعمة آل مروان ..**

وابتسمت مزنة فى أدب وحلم وطول أناة وثغرها يتلألأ ، وقالت : أى شيء يا بنت عم ؟. أى شيء أعجبك من صنع الله عز وجل بى على العقوق ، حتى أردت أن تتأسى بى ، السلام عليكم..

وسارت مزنة، ثم سارت الى الوراء، ثغرها يبسم، وقلبها يبكى ..

***

وأخذ يطوف بخلد مزنة أيام عزها فى دمشق ، عاصمة خلافة بنى أمية الجميلة ، وحاضرة ملك زوجها الخليفة مروان بن محمد، أخذت تذكر طفولتها وشبابها وزفافها الى مروان ، وكيف آلت الخلافة الى زوجها ، فكان الثالث عشر في سلسلة خلفاء الدولة الاموية ، ولعله أصابه شؤم هذا الرقم المنحوس، فأخذ عرشه يهتز اهتزازا عنيفا ، ينذر بالخطر ، وبانتهاء خلافة بنى أمية وعرشهم .

وذكرت فيما تذكرته فى المحنة القاسية أو اللحظة الدامية الاحداث العاصفة التى مرت بزوجها وهو خليفة لمدة ست سنوات قصار معدودات (١٢٦ ـ ١٣٢ هـ : ٧٤٤ ـ ٧٥٠ م)، وتذكرت الايام العصيبة التي قضاها مروان فى الخلافة منذ بايعه شعب الشام بالخلافة فى المسجد الاموى ، ثم فى قصر الخلافة :

ثورة عبد الله بن جعفر بن أبى طالب بالكوفة ..

وثورة ابراهيم بن محمد بن على العباسي بالشام .

وثورة أهل حمص ، فأهل فلسطين .

وثورة ابن عمه سليمان بن هشام ابن عبد الملك .

وثورة الضحاك بن قيس الشيباني، التى لم تنته احداثها الا عام ١٣٠ هـ : ٧٤٨ م .

وثورة أبى حمزة المختار بن عوف الأزدى ..

ثم تذكرت كيف بايع العباسيون والناس والمسودة فى الكوفة لهذا العباسى الثائر الملقب بأبى العباس السفاح .

وتذكرت معركة الزاب ، وما أدراك ما معركة الزاب ، وكيف قضى جيش العباسيين فيها على جيوش مروان بن محمد زوجها لليلتين خلتا من شهر جمادي الاخرة من عام ١٣٢ هـ، وكيف دارت المعركة تسعة أيام كاملات، انتهت بهزيمة مروان ، واتصل القتل فى جنده ، وكيف هرب مروان الى الشام فمصر، وكيف طارده العباسيون ، حتى قبضوا عليه فى كنيسة فى قرية بوصير ، ثم قتلوه فى ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٢ هـ – ٧ من اغسطس ٧٥٠ م ، واعملوا القتل فى الامويين فى كل مكان ، حتى لم يبق منهم احد .

***

وتذكرت مزنة اولادها عبد الله ولى العهد ، وقائد جيوش أبيه فى اكثر المواقع ، وعبيد الله وكيف اخذاها وهربا الى الحبشة ، وكيف قتل فى الحبشة ابنها عبد الله ، ونجا ابنها عبيد الله فى بعض أعوانه ، وكيف عادت هى من الحبشة الى الحجاز ، الى مكة البلد الحرام ، الى بغداد دار السلام ، حتى قادها حظها المنحوس الى القصر ، وها هى ذى تسير مطرودة بأمر سيدة القصر ، وكانت تظن أن الخيزران سترحم كهولتها ، وبخاصة بعد أن اتصل فى الناس عدل زوجها المهدى العباسى وبره ، وذاع فضله ومعروفه بين الناس .

والتفتت زينب بنت سليمان للخيزران ، وقالت لها : نعمة ومكرمة ساقها الله جل جلاله اليك ، وهدية منه الينا ، ثم تصنعين معها هذا الصنيع ؟! والله يا خيزران لا يكون اخراجها مما هى فيه من شقاء الا على يدى انا ! .

ونهضت زينب ، وسارت مسرعة ، حتى ادركت مزنة قريبا من باب القصر، فامسكت بها . واذا الخيزران وراءها تمسك بمزنة ، وتلتفت اليها قائلة :

– المعذرة يا أختى الى الله عز وجل واليك .. فلقد ذكرت حين فوجئت بلقائك ما نالنا من الاحداث فى عهد زوجك مروان ، فكان منى ما وددت انى لم انطق به ولم املك حينئذ لسانى .. معذرة يا مزنة ..

وهمت الخيزران بعناق مزنة ، فبادرتها مزنة بوضع يدها على صدر الخيزران تبعدها عنها وهى تقول :

– لا تفعلى يا أختى ، انى على حال اصونك من الدنو منى بسببها ، ان ثيابى على ما ترين ..

وأخذت الخيزران بيد مزنة ، وصاحت بوصيفاتها : أدخلن مع سيدتكن الحمام .

فمضت مزنة الى الحمام ، ومضين معها ، وظلت الخيزران ومعها زينب، تنتظرانها حتى تعود .

وبعد ساعة عادت احدى الوصيفات الى مولاتها الخيزران ، وهى تقول : قد خرجت مزنة من الحمام ، وهى واقفة الآن أمامه ، فقالت الخيزران : خذى بيدها الى الغرفة القريبة لتستريح .

ثم تلتفت الخيزران الى وصيفة اخرى ، وتقول لها : احملى اليها هداياى ، واحملى اليها الطيب .

وبعد قليل عادت مزنة ، وقد لبست الثياب التى اهديت اليها من الخيزران، وتطيبت . فقامت اليها الخيزران ، وقام معها من فى مجلسها ، واخذت

الخيزران ومن معها يعانقنهــــا ، وهي تقول : أما الان فنعم . ثم أجلستها الخيزران بجوارها ، وأمرت بالطعام .

فبادرتها مزنة قــائلة : والله ما فيكن أحد أحوج الى الطعام مني .

فلما حضر الطعام أخذت [illegible] تأكل، وتقدم للخيزران ومن معها من الطعــام وكأنها فى منزلها .. وانتهى الجميــع من الاكل ، وأخذن يشربن القهوة .

وبادرت الخيزران مزنة قائلة لها : من لك يا مزنة من تحبين ان نكرمـه لأجلك من أبناء أو أقارب أو أهل ؟.

قالت مزنة : الحمد لله ، ليس لى أحد من خلق الله تعالى .

قالت الخيزران : اذن ، فهل لك فى المقام عندنا، على أن نخلى لك مقصورة، ونحول اليها جميع ما تحتاجين اليه ، ونتمتع بك وبحسن حديثك ، وقصة حياتك قبل مروان ، وفى خلافة مروان، وبعد خلافته ؟.

وردت مزنة : لقد جئت اليك وانا على أسوأ حال ، واذا كان الله عز وجل قد تفضل على بك وبهذه النعمــة فلا أقل من الشــكر لله ولك ، أدام الله نعمتك ، فافعلى ما تحبين وما يبدو لك.

فنهضـــت الخيزران ، ويدها فى يد مزنة ، ووراءهما الوصيفات والجوارى، وطافت الخيزران بمزنة فى المقاصـــير تخيرها وهى تأبى ،والخيزران تلــح ، حتى اختارت اوسع المقاصير وأحسنها فملأتها الخيزران بالجوارى والوصائف والخــدم والفرش والملابس والزينـــة والهدايا . ثم قالت لها :

ــ سننصرف عنك الآن .وهذا منزلك وسنتركك حتى تفرغى من تنظيمه .

وسارت الخيزران ومعها زينب بنت سليمان ، ووراءها جواريها ووصيفاتها، والتفتت الخيزران الى زينب قائلة :

ــ هذه سيدة تعسة الحظ ، قتل زوجها، ثم قتل ابناؤها واهلها،وعضها الفقر بنابه، وليس يدخل عليها السرور الا المال .

ثم أمرت أن يحمــل اليها خمسة آلاف دينار ومائة ألف درهم .وارسلت اليها تقول لها : هذا المال مالك ، وتحت تصرفك ، فضعيه فى خزائنـك ، أما حياتك ومرتبات خدمك ووصائفك فمن خزينة الخلافة ..

***

وبعد قليل امتلأ القصر بالأصــوات العالية ايذانا بقــدوم الخليفة المهدى .
ودخل الخليفة في مقصورته ليستريح ، وبادرته الخيزران قائلة :والله ياسيدى عندى لك خبر طريف .

قال المهدى : وما هو هذا الخبر ؟

قالت الخيزران : انه لأعجــب مــا سمعت .

وأخذت تقص عليه القصة كلها ، وهو يتعجب ويقول :

ــ كيف بدأتها بهذه الشـــدة ؟ هذا مقدار شــكرك لربك عز وجل ، وقــد أمكنك من عدوك وأظفرك به على هــذه الحــال التى تصــفينها .. والله لولا مكانك منى لحلفت أن لا أكلمك أبدا !

وصاح المهدى فى الخدم ، فأحضرن اليه صرة فيها عشرة آلاف دينار ومائتا ألف درهــم ، فحضرت وصــيفة من وصائف الخيزران ، فقال لها الخليفة : ناولى هذه الصرة لمزنة ، وأبلغيها سلامى وقولى لها : لولا خوفى أن تحتشم منى لصرت اليهــا مســلما ومخبرا اياها بسرورى بها ، وقولى لها : الخليفة يقول لك انه أخوك ،وجميع ما ينفذ فيه أمره ينفذ فيه أمرك ..

وسارت الوصيفة فأبلغت ســيدتها مزنة كل ما سمعته من الخليفة .

فبادرت مزنة بالذهاب الى الخليفة ، ومثلت بين يديه ، فلقيها الخليفة أحسن لقاء ، وأقامت فى مجلسه ساعة ،تحدثه بقصتها ثم انصرفت الى مقصورتها ..

واستراحت قليلا ، حتى غلبها النوم فرأت طيف مروان ، يسجد لله شكرا ، ويقول لها :

ــ الآن يا مزنة غفرت للعباسيين كل ما كان منهم ، الآن انام بملء اجفانى ، الآن اســلم عرش الخلافة للمهدى بن المنصــور ، وعليــك الســلام ...

معجزة اليابان
هل يمكن أن تتكرر ؟

● محمد الحديدى ●

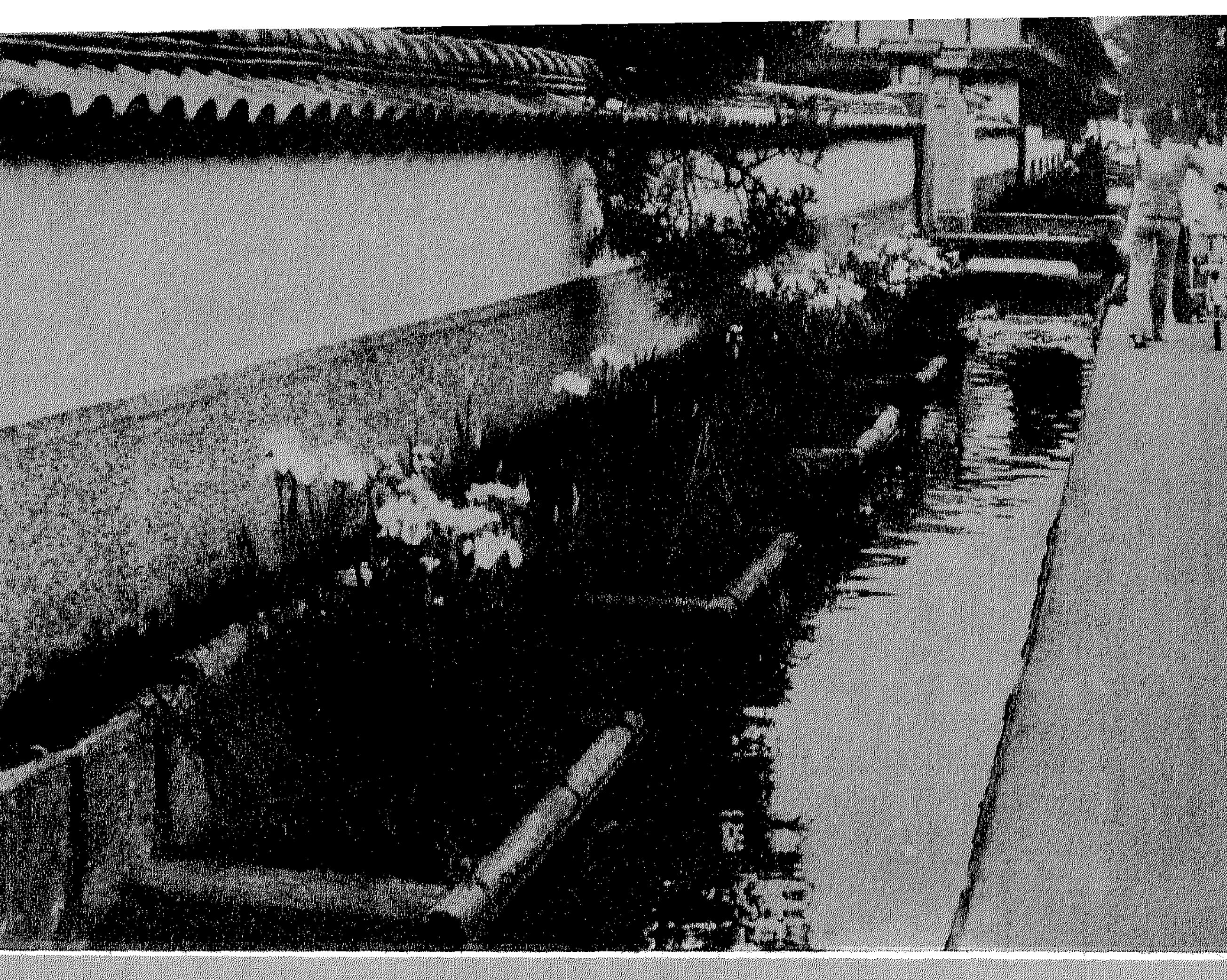
الاكتشافات العلمية التي ادت الى التطبيق التكنولوجى كما نعرفه اليوم ، ترجع الى اقل من ثلاثمائة وخمسين سنة .. والتكنولوجيا ذاتها ، لا يصل عمرها الى مائتى سنة .. ولكن الحقيقة الاليمة هى ان هذا التطور الذى بدأ فى اوروبا وامريكا قد أدى بهذه القوى الغربية الى ان تسود بقية العالم بشكل لاتبدو له نهاية ، وبرغم ان تاريخ البشرية ملىء بالحضارات التى قامت واندثرت، فان هذا النوع من الحضارة ـ الحضارة التكنولوجية ـ ومعه طبيعة العصر التى تتميز بسهولة المواصلات والنقل والسيطرة ـ كل هذا أدى الى ان انقسم العالم الى دول متقدمة تزداد كل يوم تقدما ، ودول متخلفة تزداد كل يوم تخلفا ...

وعلى المستوى السياسى ، ظهرت صناعة وتجارة السلاح كمورد عظيم للربح على حساب الشعوب المتحاربة ، واصبحت الفتن وسيلة للمزيد من ثراء المجتمعات الصناعية ، وكلما كسدت تجارة السلاح عمدت القوى الصناعية ـ سواء اعترفت بانها راسمالية او رفعت شعار الاشتراكية ، وكائنا ما كان الذى تعنيه هذه الكلمة ـ عمدت الى خبط راس هذا الشعب براس ذاك ، ثم بيع السلاح لهذا وذاك .. وهكذا تسيل الدماء هنا وتسيل الفلوس هناك ، ويرتفع مستوى المعيشة الى كذا سيارة للاسرة ! .

فى وسط كل هذا نجد اليابان تنفرد « بمعجزة » لم يسبقها اليها احد ، ولا نعرف ما اذا كان سيلحقها اليها أحد « ربما كوريا ، وهم نفس الشعب ، ويسيرون الان فى نفس الطريق » .

ونحب هنا أن نفرق بين نهضة اليابان ونهضة الصين ، فنهضة اليابان نهضة شعب ، شعب استطاع أن ينتقل من أقصى درجات التخلف الى تقدم مذهل .. وهم الان من اكثر شعوب العالم رفاهية واعلاهم فى مستوى المعيشة ، وانتاجهم يفوق انتاج العالم فى نواح كثيرة على راسها الصلب الذى اوشك أن يقضى على صناعة الصلب الامريكية بمنافستها داخل الولايات المتحدة نفسها ، وصناعة الساعات الالكترونية التى توشك أن تسقط سويسرا من فوق عرشها القديم .. وهم يحتلون المركز الاول او الثانى فى صناعات بناء السفن والالكترونيات والبصريات والتصوير والسيارات ... الخ

كل هذا نتيجة انتقال حقيقى الى عصر الحضارة ، وليس نتيجة « خطة » يرسمها البيروقراطيون ومزاعم للصناعة الثقيلة و .. الخ . والمسالة لاتعدو شحن امكانيات شعب كبير للظهور بمظهر



فى اليابان لا تزال « اليوروكان » وهى نوع من الجامعة فى العصور الوسطى ، قائمة فى حالة جيدة ، وسط المدينة المعاصرة

هنا او هناك » فالمقياس الحقيقى هو: مستوى المعيشة ـ متوسط الانتاج ـ درجة الحرية السياسية ، والهند مثلا قوة ذرية ولكن هذا لا ينفى ان مستوى المعيشة هناك يعتبر ادنى مستوى فى العالم

شىء من التاريخ

قالوا ان امبراطورية اليابان ترجع الى سنة ٦٦٠ ق.م ، وان الذى أسسها هو الامبراطور «جيموتينو» ،وهو بذلك يشبه الملك مينا فى تاريخ مصر ، مع فارق واحد وهو ان الامبراطور الحالى وهو هيروهيتو ينحدر رأسا من نسل تينو ، وان هذا الخط الطويل من الاباطرة الذى يجتاز الان القرن السابع والعشرين ينحدر من نسل «الالهة آماتيراسو» ، الى آخر هذه الاساطير التى كان يحلو لنا أن نخوض فيها لولا ضيق المقام ..

وشعب اليابان الذى نعرفه الان ليس هو السكان الاصليين لهذه الجزر ، كما هى العادة ... والتاريخ ، كما يجدر بنا ان نلحظ ، ملىء بحركات الغزو التى تشبه ما حدث فى الامريكتين والتى تؤدى الى القضاء على السكان الاصليين بواسطة قوم يأتون بحضارة جديدة ...

ويقال ان شعب اليابان الحالى ينحدر من نسل قوم جاءوا الى هذه الجزر من الصين ومانشوريا وكوريا ، اى من البر الاسيوى ، ويقال ايضا من الملايو ، وما زالت بقايا السكان الاصليين ، كالهنود الحمر وال «ابوريجين» فى استراليا ، مازالت هذه البقايا لها آثار فى اليابان ، خاصة فى جزيرة «هوكايدو» التى تقع

فى اقصى الشمال من بين الجزر الاربع الاساسية ، ويسمونهم ((آينو)) ، وكانوا صيادين وسماكين ، ولم تكن لهم لغة مكتوبة ولكن بعض الكلمات اليابانية توجد لها جذور فى لغتهم القديمة ، ومنها ((اجبال فوجى)) المقدس .

ويمضى تاريخ اليابان بعد ذلك طويلا مليئا بالاحداث والتقلبات السياسية ، الى ان ياتى القرن السادس عشر ، فنجد البلاط الامبراطورى مستمرا كما هو ، طبقا للتقليد الذى ما زال سائدا للان ، وهو انه مهما حدث ، لابد ان يكون على راس البلاد امبراطور ، وفى هذا القرن بالذات تحدثنا الاخبار عن امبراطور باع مجموعاته الفنية لكى يمكنه ان يواجه نفقات البلاط ، بينما يرتع الحاكم العام هو وانصاره فى النعيم الذى ياتى به الاقطاع .

وقد بدا اليابانيون فى هذا القرن أيضا يتاجرون عبر البحار . وبرغم الفوضى السياسية والتقلبات الاجتماعية فقد كان عصر ازدهار تجارى وبحرى ، ولكن الذى يعنينا ونحن فى مقام الحديث عن دولة اختطفت حضارة الغرب وحاربته بها ، الذى يعنينا هو انه فى منتصف ذلك القرن حدث اول اتصال مع الغرب ، وذلك عندما جنحت سفينة برتغالية الى البر ، كان هذا سنة ١٥٤٢ او ٤٣ ، وبعد ذلك بخمس سنوات او ست جاء المبشر البرتغالى الشهير فرانسيس كزافييه ، وهكذا جاءت الى ارض اليابان اول بشائر المسيحية ومعها ايضا ، لاول مرة ، ذلك النقيض الاعظم لتعاليم المسيحية : السلاح النارى .

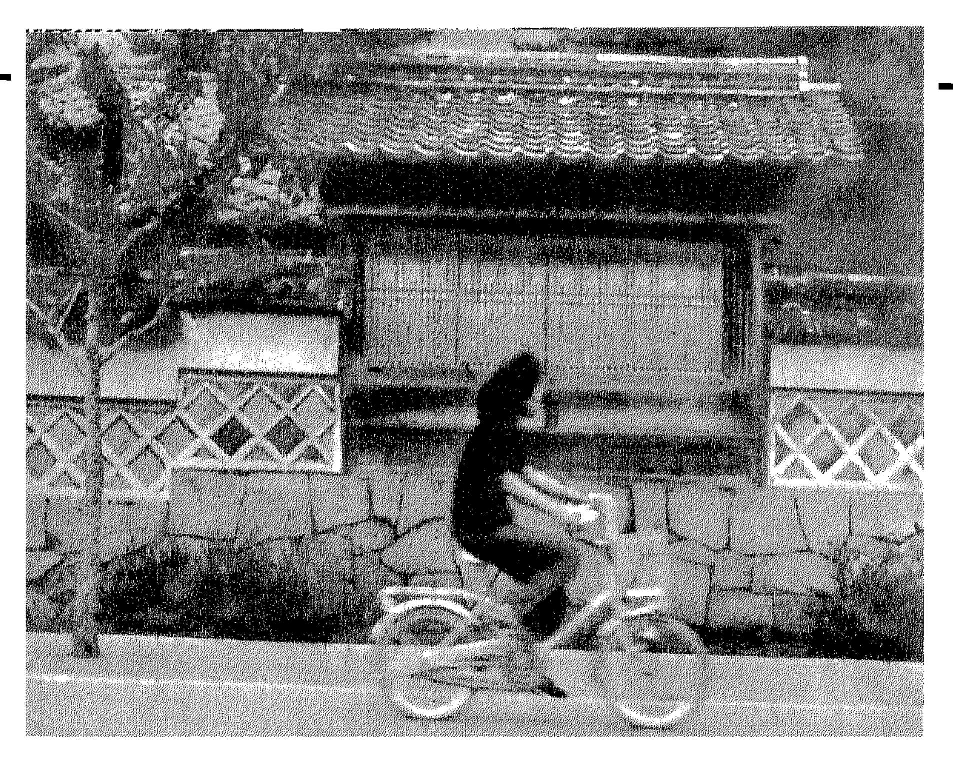
وفى بداية القرن السابع عشر ، بالتحديد سنة ١٦٠٠ هبط على ارض اليابان رجل انجليزى يدعى ويل آدامز ، وكان قبطان باخرة هولندية هلك ثلاثة ارباع بحارتها ونجا هو والباقون ، وسرعان ما اصبح الخواجا « خبيرا اجنبيا » يعرف الكثير عن احوال اوروبا والعالم ، وعن الرياضيات والملاحة وبناء السفن ، وقد تزوج « آدامز » امراة يابانية وقضى بقية حياته هناك ، فى صراع مع القوى الاجنبية الاخرى متمثلة فى الجزويت البرتغاليين والاسبان .

وفى سنة ١٦٣٧ صدر قانون بعزل اليابان عن العالم ، وبتوقيع عقوبة الاعدام على كل يابانى يثبت انه غادر البلاد ، وبمنع الاجانب من الهبوط الى الجزر اليابانية باستثناء حقوق محدودة بقيت للهولنديين والصينيين .

وهكذا اختارت اليابان ان تعزل نفسها عزلة كاملة عن العالم فى ذات الوقت الذى كان فيه عصر النهضة يصل الى ذروته فى اوروبا !.. ولم يكن الخوف من الغزو الاجنبى هو الدافع الوحيد لهذا ((الستار الحديدى)) فى الحقيقة ، بل كان الخوف من الاضطرابات السياسية الداخلية ايضا .

ولكن هذه العزلة لم تعجب القوى البحرية العالمية ، التى تريد لسفنها ان تتوقف فى اليابان لتبيع منتجاتها وتتزود بالمؤن وتتلقى المعونة فى حالة الكوارث ، وكان على راس هذه القوى العالمية اذ ذاك ، كما هو الان ، الولايات المتحدة وروسيا .. وهكذا ففى سنتى ١٨٥٢ ، ١٨٥٣ اى بعد اعلان العزلة باكثر من مائتى سنة ، اوفدت كل من الدولتين أسطولا الى اليابان ، لطلب توقيع معاهدة تجارية ، وكان الرسول الروسى هو الادميرال بوتياتين ، اما الامريكى فكان الكومودور الشهير ماثيو بيرى ، الذى جاء يحمل رسالة من الرئيس الامريكى فيلمور ..

وقد أدهش اليابانيين منظر العلم الامريكى ، فهم فى عزلتهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن بلد اسمه امريكا !.. وقد هدد بيرى بانه سياتى فى العام التالى ، بالويل والثبور اذا لم يحصل على رد ايجابى .. هذا التهديد يشبه تهديد ماك آرثر بعد ذلك بما يقرب من قرن آخر عندما قال كلمته الشهيرة « انا راجع !. » والواقع ان أوجه الشبه عديدة بين بيرى وماك آرثر ، على راسها ان كليهما أوفدته حكومته الى



من الامـاكن الهامة الجذابة في « تسووانو» اليابانية تلك المنـازل التي ترجع الى العـصر الاقطاعي في اليابان .. والتي امكن الاحتفاظ بها بعناية ... كان الكثير منها دورا لاسـر « الساموراي » الشهيرة

اليابان بسلطات تصل تقريبا الى عمل اى شيء يراه !.

وقد عاد بيرى فى موعده ، ومعـه سبع سفن حربية تدار بالبخار ، ولم يكن اليابانيون ـ منذ ما يزيد قليلا على مائة سنة ـ قد سمعوا أن فى الدنيا سفنا تسير بالبخار ولا ان فيها محركات بخارية ..!

ولكن حكومتهم كانت قد ادركت مدى التخلف الذى أصاب البلاد من العزلة التى امتدت لفترة تزيد على قرنين ، وقررت أن تعمل بكل طاقة البـلاد على اتقان الفنون الميكانيكية واكتساب ما لدى الغرب من قوة تكنولوجية قبل البدء فى مقاومة التدخل الاجنبى ، وبكل تأكيد ، تم توقيع المعاهدة المطلوبة مـع الكومودور بيرى ، وتلت ذلك اتفاقيات مماثلة مـع الـروس والانجليز ، لان مواجهة مثل هذا الموقف الخطير تكـون بالعقل وليس بالاغانى الحماسـية وتنظيمات الشـوارع والشـعارات الجوفاء ..

ثورة التحديث

على قدر ما فى نهضة اليابان من عجب فلعل من اعجب عجائبها انها بدات بشيء لا يمكن لواحد منا ـ نحن أهل هـذا الزمن ـ أن يراه بداية لاى نهضـة أو اصلاح ..!

انها لم تبدأ باقصاء الامبراطور ، كما قد نتصور ، بالعكس تمـاما ، بدات باعادة السلطة للملك ، بل وباعلان هذا نصه :

« لا توجد رقعة ارض فى البـلاد ليست ملكا للامبراطور !. ولا يوجد فرد ليس واحدا من رعيته .. » الى آخر هذا الاعلان الذى انتزع السـلطة تماما مما كان يسمى «شوجان» ـ وهو منصب حكم ولكنه وراثى ، احتكـرته أسرة « توكوجاوا » الشـهيرة ، التى كانت تتوارث حكم اليابان على مـدى ثلاثمائة عام ، بينما يتخـذ الامبراطور موقف المتفرج ـ انتزع السلطة منها وسلمها للامبراطور العظيم « ميجى » الذى تسلم الحكم سنة ١٨٦٧ « قبل النكسة بمائة سنة بالضبط !. » بعد وفاة والده الامبراطور « كومبى » .

وكان « ميجى » فى الخامسة عشرة من عمره ، وحكم اليابان خمسـة واربعين عاما ، قادها خلالها من عصر اقطـاعى يسوده « اللوردات » من اصـحاب الارض الذين تحميهم فرق من فرسان الساموراى الشهيرة ، الى افق جديد ، زمن جديد ، ذهب بلد وجاء بلد ،

معجزة اليابان
هل يمكن أن تتكرر ؟

راح شعب وجاء شعب !.. ان دل هذا على شيء فعلى ان المسالة ليست شكل الحكم او نظامه ، انها كفاءة الحكام واخلاصهم : متى وجد الحاكم الذى يريد لبلاده الخير الحقيقى، ويضع حياته نفسها تحت قدميها ، ومتى كان رجلا « يفهم » فسوف يتحقق الخير .. ومن الخطأ أن نظن أن المسألة مجرد عناوين ، الديمقراطية ، الاشتراكية .. كل هذه قد تكون «خزعبلات» . ولا شك ان ميجى الصغير كان ديكتاتورا ، وقد مات فى الستين ديكتاتورا ولكنه كان مخلصا لبلده وفوق كل شيء كان « يفهم » ..

ولقد جاء تسليم السلطة هذا بعد صدام كاد يتطور الى حرب اهلية شاملة ، لان الـ « شوجان » لم يكن متحمسا للتنازل عن السلطة بالطبع ، ولكنه فى النهاية ، فضل مصلحة بلاده على مصلحته الشخصية !.

وسرعان ما أصدر الامبراطور الصبى اعلانه الشهير :

« لابد من الحصول على المعرفة من جميع انحاء العالم ، وبذلك تتسنى تقوية اساس النظام الامبراطورى !.»

وبدات الابواب تفتح لاستقبال الخواجات واستخدامهم فى مختلف نواحى الخدمات والصناعة ، واوفدت البعثات الى لندن وبرلين وباريس ونيويورك ومانشستر ،والعقول تستنير والخبرة تنتقل فى اخلاص ورغبة حقيقية فى التعلم والنهضة ، والشعار الذى يسود البلاد « يبدو انه لابد من شعار واحد على الاقل » هو : بلادغنية، وجيش قوى !.

الامر الثانى الذى تتميز به هذه « الثورة » هو ان كل شيء جاء نتيجة للاحساس بخطر الغزو الاجنبى والسيطره الاجنبية ، وان امام اليابان خيارين لا ثالث لهما . اما ان تستسلم للاستعمار كبقيه اسيا ، واما ان تصبح

لا تزال بقايا الاسوار الحجرية القديمة لقلعة « سايلو غانسو » قائمة على نهر « لسووانو » .

على قدم المساواة مع المستعمرين ... واختار اهلها الحل الثاني ، وادرك كل فرد فى اليابان أن عليه أن يؤدى دوره فى انتقال الحضارة .

واذا اردنا ان نجيب عن السؤال الذى اتخذناه عنوانا لهذه المقالة : وهو هل تتكرر هذه المعجزة ؟..نقول :نعم انها يمكن أن تتكرر فى اى بلد يعمد فيه كل فرد الى تحديث نفسه ، وتعمد فيه قيادة البلد الى نقل كل شيء عن البلاد المتقدمة والافادة منه ..

واحد من هؤلاء الساسة ، اسمه « ايتو » كان مكلفا بدراسة النظام السياسى تمهيدا لتحديث اليابان سياسيا ،وهو الذى يرجع اليه الفضل فى وضع الدستور الذى اعلن سنة ١٨٨٩ ، كان قد سافر الى اوروبا ليرى كيف تحكم هذه البلاد العظيمة النظيفه،

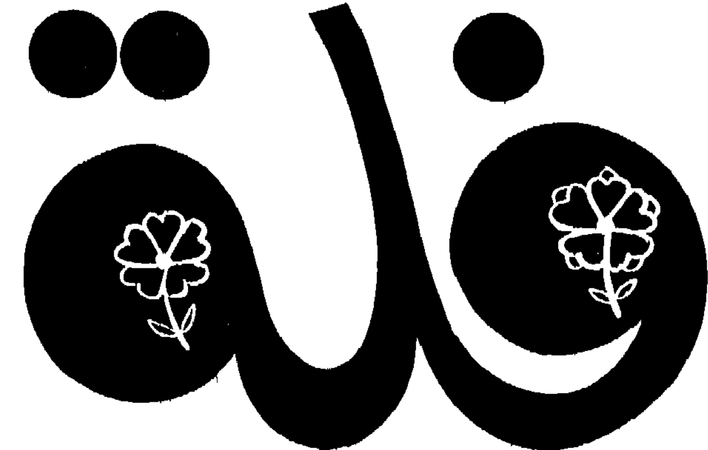


وقضى اغلب وقته فى المانيا وتقابل مع بسمارك ، واستمع للمحاضرات فى الجامعات ، وبعث برسالة الى بلاده يحثهم فيها على نبذ الصراع السياسى والحزازات ، فالدنيا اجمل من هذا بكثير ..!

ونص الدستور على « قدسية الامبراطور » وعلى أن خط الوراثة الامبراطورى لا ينقطع مدى الدهر ، ولكن الامبراطور يمارس السلطة التشريعية من خلال « الدايت » او البرلمان اليابانى ، واذا كان له الحق فى اصدار المراسيم التى لها قوة القانون ، فان هذا لابد أن يعرض على البرلمان فى جلسته القادمة للتصديق عليه ..

فى العشرين سنة الاولى من بداية ما يوصف بانه « العصر الفيكتورى لليابان » ، كان قد تم انجاز عظيم وتغيير مذهل ، ولكن كان واضحا ، والقرن التاسع عشر قد بقيت فيه عشر سنوات فقط ، ان هناك الكثير والكثير جدا مما يجب انجازه قبل ان تصبح اليابان قوة صناعية حديثة ، ثم هناك « المعاهدات » المشينة التى وقعتها البلاد مع القوى الاوروبية المعتدية ، وهكذا كان النصف الاول من عصر الامبراطور « ميجى » هو النصف الاول من هذه الخطوة العظمى ..

ومن اعجب الامور فى نهضة اليابان الصناعية ايضا ، انهما تمت على يدى الدولة !. وليس بواسطة القطاع الخاص ، الذى يمثل الان كل شىء فى هذا البلد الذى يعد الان واحدا من اكثر بلاد العالم تطرفا فى الراسمالية وايمانا بها ! .





فلة

● د. نعيم عطية ●

● منذ ذلك اليوم افتقدت ثقة ابني بي كثيرا . ولمدة طويلة ما كنت بقادر أن انظر الى وجهه .. نسي كل شيء الان ، ولكن من وقت لاخر تهب باعماقي ذكرى تلك المخلوقة العزيزة . وربما كانت تهب ايضا باعماق ابني الذي خطا حثيثا الى طور الصبا بعد ذلك وصارت متابعة روايات العنف والجريمة في التليفزيون والاذاعة ـ فضلا عن «الكاراتيه» وكرة القدم ـ افضل متعه ..

كانت تلك المخلوقة العزيزة كلبة « شوارعية » بنية اللون ، عجفاء ، ذات ذيل ملوى الى اعلى .. كلبة عادية من الكلاب التي توصف بانها كلاب ضالة ، وتمتلىء بها الازقة والدروب .. تحيا الى جوار البشر بشرف ، تشاركهم حياة المدينة ، ولا تعدم قوت يومها فيما يلقى من قمامة ، أو يمن عليها من فضلات .. تنبح في وجه كل غريب عن الجيرة ، وتكاد تعرف دون أن تفصح كل غاد ورائح ـ وعلى الاخص الاطفال ـ من سكان البيوت المجاورة .

بدت « فلة » ، وهذا هو الاسم الذي اطلقناه ـ انا وهاني ـ عليها ، كلبة عادية جدا ، لكن ما ان توطدت الالفة بيننا وبينها ، حتى اكتشفنا فيها خصالا تنقص الكثير من المعارف والصحاب بل والاقارب ايضا !..

كان هاني يقول « تعال ، يابابا نروح للبوبي بتاعنا » ويحمل اليها ما احتجزته لها ماما نانا من عظام التهمنا اللحم الطري الذي كان حولها ، وايضا بعض أصناف الطبيخ التي تبينا أن « فلة » لم تكن تمانع في تناولها مثل بقايا صينية بطاطس في الفرن ، ولعل رائحة اللحم الذي كان بالصينية ظل عالقا بقطع البطاطس ، مما جعلها سائغة في حنك « فلة » . **او ربما كانت تعمل باصلها فلا تتبطر على النعمة ، وذلك عن قناعة فيها كامنة ، او كانت لاتريد أن تكسفنا عن ادب فطرى متاصل فيها . فقد كانت « فلة » صنفا فريدا من مخلوقات الله فيه تواضع ونبل . لا لانها كلب ، بل لان الصفات الحسنى ليست قصرا على البشر ـ كما قد يعتقد بعضهم بنزعة عنصرية خاطئة ـ دون الحيوان والنبات والحجر . بل قد تندر هذه الصفات بين البشر وتكثر في سواهم من خلق الله الذي له في خلقه شئون ..**

وكنت افهم كم كانت « فلة » تريد ارضائي عندما تخفض راسها وتقربه من ابني كي يربت عليه . وكم كانت



تستسلم لمضايقاته صابرة اذا ما سولت له نفسه أن يشد اذنيهـــا ، أو يدس اصابعه فى فتحتيهما ، او يضـــغط على ظهرها معتقدا انها حصان صغير بامكانه ان يمتطيه .. أو يمد يده وقد استهواه شكل ذيلها الحلزونى ــ وهو يســتهوى فعلا ــ فيشده محاولا أن يفرده عبثاً ..

وكانت « فلة » توجه الى نظراتهــا الجانبية ــ وعيناها قويتا التعبير رغم ضعف امكانياتهما ــ وكانها تسألنى : « مبسوط ، انى اترك ابنك يلهو بى ، ويأخذ متعته ! »

وكنت أقول لها صامتا : « وددت أن تكون أمى أو زوجتى أو حتى خادمتى بهذه الوداعة ! » .

وكنت انحنى واشد « هانى » من يده كى يكف عن مضايقتها ، والعبث بهـــا ، فكانت تزداد اقترابا منه ، ومدا لرقبتها اليه ، وكأنها تقول لى « دعــه يلعب ، ولا تقلق على ! » .

توطدت الالفة بيننا وبين ((فلة)) ، واصبحنا نتحدث عنها فى البيت ، ونحكى عنها لزوارنا ، كما لو كانت منا ، وان كانت لا تسكن معنا ، وقد الح ((هانى)) كثيرا ان يجلبها معه الى شقتنا ، وحاول أن يجذبها من رقبتها ليصعد بها درجات السلم ، ولكن ((فلة)) كانت تفهم أن زوجتى لن تقبل ذلك ــ هل كانت تفهم كلامنا ؟ لعلها أميرة من أميرات ألف ليلة سخطها ساحر شرير ــ فكانت تنفلت من ذراعى ابنى الذى يطوق عنقها ، وتمضى الى الرصيف المقابل تنظر الينا من بعيد هازة ذيلها برهة ، ثم تمضى مبتعدة ونحن نسمع وقع اظافرها على البلاط وهلة ، ثم نسمع من بعيد ــ وقد اختفت عن انظارنا ــ نباحها مفعما بالحب واعــدا بلقاء قريب اذا ما ناديناها !

وقد أصبح تفاهمنا مع الأيام تاما ، حتى اننا ما أن نرفع عقيرتنا بالمنـــاداة عليها حتى نجدها قد ظهرت أمامنـــا فى اقرب فسحة من الوقت ممكنة ، وقد اقبلت علينا تعدو فاتحة فكيهــــا هازة ذيلها . وفى بعض الاحيـــان كنا لاننزل بالطعام اليها . بل كنا نلقى به اليهـــا من شرفتنــــا ، فنحن نسكن أول دور بالعمـــارة . فاذا ما انتهت من تناوله اقعت على ساقيها الخلفيتين ، ومضت تلعق شدقيها ناظرة الينا نظرة صداقة وعرفان بالجميل !

***

وجاء ايضا اليوم الذى كان على ((فلة))

فـلة

ان تدفع فيه ضريبة الطبيعة ، فانتفخ بطنها وتهدل ، وأصبحت نظراتها متعبة لكن بلا شكوى .. ثم اختفت بضعة أيام ، حتى عرفنا انها وضعت اربعة جراء مغمضة تمد أعناقها لتمص اللبن من أثداء امها ، وقد رقدت على الارض واسلمت نفسها لصغارها تفترسها فى مودة . وكنا نذهب اليها فى بئر سلم عمارة قديمة مجاورة ، وقد حملنا اليها مزيدا من العظم واللحم والطبيخ المغموس فى السمن ..

وقال هانى لأمه : ((زيدى كميات اللحم فى الطعام . اعملى حساب فلة واولادها !))

وكبرت الجراء الصغيرة ، وفى أول مرة خرجت بها ((فلة)) الى الشارع تعلمها السرحان والجرى وراء رزقها ، قابلتنا متجهين انا وهانى الى الفرن . وكأنها فوجئت بنا ، ولم تكن قد هيأت صغارها لهذه المناسبة ، فأخذت تلعق كلا منها وكأنها تصفف شعر فروته ، وتنسق مظهره ، استعدادا لاجراء عملية التعارف بالصغار التى كبرت واصبحت بعد أن فتحت عيونها واشتدت سيقانها تخرج لتتريض مع أمها !..

واقبل هانى على الصغار يداعبها وراحت هى تنظر اليه والى مزهوة بالاولاد التى مالبثت أن كبرت سريعا وتخاطفتها أيادى مقتنى الكلاب فى البيوت دون غضاضة او معارضة من الزوجات. وبقيت ((فلة)) من جديد وحدها . تجرى نحونا اذا ما رأتنا ، وترفع راسها الى فوق هازة ذيلها اذا ما سمعتنا قد خرجنا الى الشرفة .

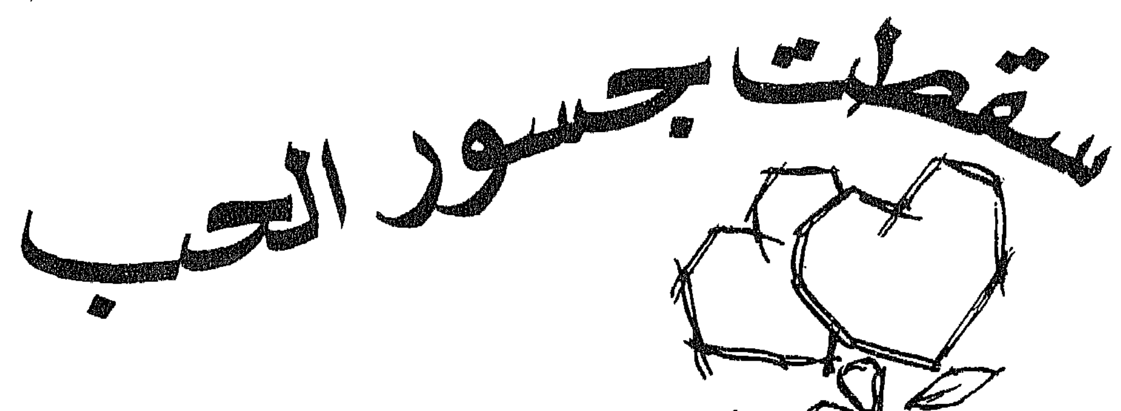
الى ان جاء ذلك اليوم . سمعنا من الشارع نباح ((فلة)) وقد استحال الى عواء مديد ومتكسر فيه من الشكوى والاستعطاف والاستغاثة ما جعلنا نهرع الى الشرفة . ورأيناها .. راح ابنى يبكي ويصرخ فى ويستحثنى ان أفعل شيئا ، أما هى فقد كانت تحاول ان تتشبث بأسفلت الطريق ، تقاوم الرجل البدين الجلف الذى ارتدى ملابس كاكية اللون قذرة وغير مهندمة . لكن كيف لها ان تفلت منه ، وقد اطبق الطوق الحديدى على رقبتها. وراحت حوافه تنغرس فى فروتها ولحمها ، وهو يجرها الى عربة الكلاب الضالة ؟!

لم يفهم ((هاني)) ماذا يراد بها ، ولماذا هذه القسوة ، وراح يسألنى .. وانا لا أجيب . لا أعرف بماذا اجيب . فكرت أن افعل شيئا . رحت انادى على عسكرى الكلاب الضالة . لكنه لم يكن يسمع ، فقد كان منشغلا بادخال الكلبة النبيلة الضالة الى العربة .

لوت ((فلة)) راسها عندما سمعت صوتى ، ونظرت الى بعين زائغة متهمة.. افعل شيئا !.. لماذا لا تفعل شيئا ؟! كانت نظرتها فى النهاية ادانة !.. أين الصداقة والمودة ؟ أكان كل شيء زيفا ؟ أكانت العلاقة كلها سطحية هشة ، فاذا ضرب القدر ضربته تفرق الصحاب ، ولاذوا بالجحور مؤثرين السكينة متحاشين وجع الدماغ ؟!
ان آخر ماتجدفى الناس هو الانسانية والرحمة . لن تجد منهم وقت الضيق والحاجة سوى سلبية رخوة ..

ابتعدت السيارة ، وابتعد معها نباحها ، وقد استقرت فى أعماقي أصداؤه الى هذه اللحظة ، وقد بلغت الآن من السن ما يجعلنى انتظر ان يضربنى القدر ضربته ، ويحكم الطوق حول رقبتي .. سوف يمضي يجرني الى عربته المبهمة ، ولن يستطيع ((هانى)) الذى كبر وصار رجلا أن يفعل لي شيئا . هكذا يفعل بنا .. مثلما فعلوا ((بفلة)) . هكذا يراد بنا جميعا ! ..

سقطت جسور الحب



● أحمد السمرة ●

شدَّت مِنَ العينِ الرؤى وتجددت أملاً ببابى
حوراء توقد فى الثغور مشاعل القبل العِذاب
وتحيك من ريّا الدلال شذى الحياة منى الرغاب
وتدير إبريق السلاف بحانة فوق السحاب
ويحيل مِرودها السنا كحلا لأجفان الروابى

***

فتفتحت فى عمق الأسيان أزهار العتاب
وبسطتْ كفى للسلام فصاح جرح فى ارتياب
« سقطت جسور الحب ضاعت فى ركامات السراب»
قلت العذاب عرفته جرحاً تفجر فى اغترابى
هلْ آن يا جرح السماح فأنت تدرك بعض مابى
وأجاب مجروح الصدى : لا — تلك أعراس العذاب
دِمَن حباها الكاهن العربيد أسرار الخضاب
إنْ غيض ثور فى الشهاب فما يؤمل فى الشهاب ؟

***

دعنا بقايا زلة حيرى تطوف على المتاب
تحيا على سفور الهوى كخريف لحن فى رباب

***

وكأنما كان الصدى فوق المدى فصل الخطاب ...
فرنت بكبر عاتب بالدمع كالقمر المذاب ..
أنثى أذلت شاطئى صداً ، وأسقطها حسابى !

الذاتية والموضوعية في الإبداع الفني

● عزت محمد ابراهيم ●

● قال « البرتو مورافيا » خلال زيارته الاخيرة لمصر في حديث لاحدى الصحف : « ان الادب لا ينبغى ان يعبر عن شخصية الاديب وان النضج الفنى يبدا دائما عندمايبدأ الصراع بين الكاتب وذاتيته ، وكلما انفصل الكاتب عن ذاتيته كان هذادليلا على قدرته الفنية » ..

ومورافيا ــ على كل حال ــ ارحم من سواه بهؤلاء الادباء الذين لا يقدرون على الانفصال عن ذواتهم ، وهو ارفق بهم من محمود تيمور ــ فى كتابه « دراسات فى القصة والمسرح » ..

والمسألة تحتاج الى وقفة يسيرة نجعل فيها الذاتية والموضوعية محكا لما نعرف من روايات لها شان واعتبار ، وروائيين لهم وزن وتقدير ..

لناخذ ــ على سبيل المثال ــ قصص هيمنجواى ، وهى قصة حياته بغير خلاف ، اوبخلاف يسير ، وقد كان من مأثوراته فى ذلك قوله : « لا ينبغى للكاتب ان يكتب الا ما كان له فيه تجارب ومعاناة » ..

وقد كانت حياته كلها تجارب ومعاناة ، ومنها استمد خيرة رواياته واكثرها شيوعا ، واحظاها بالتقدير . عانى من ويلات الحرب ، مصطليا بنارها ، محاربا فى ميادينها ، ومارس صيد الوحوش فى الاحراش والآجام ، وعرف صيد الاسماك والحيتان فى اعماق المياه ، وصارع البحر وغالب الامواج ، ونزل الى حلبات الملاكمة وحلبات مصارعة الثيران ..

وكانت كل تلك التجارب هى المادة الأصيلة التى استمد منها وقائع قصصه واحداثها ، فلو أردت أن تردها الى أصولها من حياته لم تجد فى ذلك جهدا أو عناء . تجدها فى « العجوز والبحر » صائدا للاسماك .. وتجدها فى « روابى أفريقيا الخضراء » ــ مغامرا جسورا مقتحما المخاطر والاهوال فى صيد كل ذى ظفر وناب .. وتجدها فى « لمن تدق الاجراس » ــ محاربا قد اثخن بالجراح فى الحرب الاهلية الاسبانية ..

***

وندع « هيمنجواى » فنجد « سومرست موم » يستمد من حياته خيرة قصصه ، وكان قد اشتغل بالطب فى بدء حياته ، ومن تجاربه الباكرة فيه نسج خيوط قصته الاولى .. « ليزا أوف لامبث » اما روايته «اغلال

الانسانية » وهي من أشهر أعمـــاله الروائية ومن أكثرها رواجا فهي صورة أمينة لحياته هو لا تكاد تختـــلف عن الترجمة الذاتية الا في القالب والشكل، وليس في الوقائع والتفاصيل ..

وعلى هذا المنـــوال كان « توماس هاردي» في روايته « الفقير والسيدة».

وتعد رواية « موبى ديك » للكاتب الامريكي « هيرمان ملفيل » مـــن خيرة الاعمال القصصية المعـــدودة بين آداب العالم الانسانية، وماكان يقدر لصاحبها ان يكتبها لو لم يخض تجاربها بمـــا فيها من دقائق وتفاصيل ، ومهمـــا شطح الخيال ، وامتـــدت آفاقـــه ، واتسعت آماده ، فلن يبلغ شيئا ممـــا بلغه من تجارب الحقيقة والواقع ، ومن الحقيقة والواقع ما فاق الخيال بآماد وآماد .

لقد عرف ((ملفيل)) البحر وعرف الحياة فوق امواهـــه ، وعرف صيد الحيتان من عمله في سفن الصيد ، ومن قضائه السنين يلتقل من سـفينة الى اخرى ، ومن هذه الحياة الخصـــبة الحافلة استمد اكثر قصصه ، فكتب ((موبي ديك)) تصويرا للحياة علىظهر سفينة صيد الحيتان ، وكتب ((اومو)) عن مغامراته في البحار الجنوبية ، وكتب ((ريد بون)) عن ايام خدمته في البحرية الامريكية ..

وشبيه به في هذا النحي القصاص البولندي الانجليزي ((جوزيف كونراد)) الذي احب البحر وعشق الحياة فوق مياهه ، ورد له البحر الجميل مضاعفا، فامده بذخيرة لا تنفد من قصص رائع ذي خصوبة ونماء ..

وابحث عن حيـــاة ((مارك توين)) تجدها في كتبـــه ((توم ســـوير)) و ((هيكلبري فن)) و ((الايام الخوالي على ظهر المسيسبي)) خيرا مما تجدها في كتب كتبها عنه الكاتبون ، أو فصول كتبها هو مؤرخا فيها لنفسه ..

وقد كان « فـــرانز كافكا » يستمد أدبه من صميم ذاته ، فهو يلاحظهـــا ويدور حولها ويحاول أن يسبر غورها ويســـتكشف خبـــاياها ، ودلالة ذلك قصصه الثـــلاث الكبرى « القضية » و « القصر » و « أمريكا » والبطل في الاوليين يتخذ لهما « كافكا » الحـــرف « كاف » رمزا ودلالة ، أما الثالثـــة فبطلها « كارل روسمان » وهـــو اسم يبدأ بذات الحرف الذي يبدأ به اسم « كافكا » ..

***

ولقد نسج « ريتشـــارد رايت » روايته « الصبي الاسود » من خيوط حياته، فكانت هي التي أطارت لهصيتا ورفعت له ذكرا ، وجعلت أوروبا كلها تقرأ له يوما روايته وتلهج بذكـــره ، وتشيد بما كتبه وابدع .

وهل كان في وسع « جـــوته » ان يكتب « آلام فيرتر » لو لم يعـــرف الجوى ويكتوى بنار الصد والحرمان؟

لقد عرف ذلك معرفة التجـــربة والمعاناة الى أبعد غاياتها وأقصى آمادها، حتى لقد بلغ من تأثير عمله في نفـــوس النـــاس ان بلغ المنتحرون من قرائه العدد العديد الذي يدفع ببعـــض دول أوروبا الى الحيلولة بين النـــاس وبين قراءته كما تحول بينهم وبين البـــلاء النازل والشر المستطير ..

وما يبلغ العمل الفني هذا المبـــلغ في النفوس الا من عظم التأثير وشـــدة السطوة ، وما يتهيـــأ له ذلك الا من تجربة عنيفة ومعاناة يتزلزل لها الكيان، ويتمزق منها الوجدان .

واذا كان هذا نوعا من التاثيرالضار ــ على غير قصد من صاحبه او رغبـة منه ــ فليس كله على هذا المنوال، فمنه ما يكون له من التاثير النـــافع الشيء الكثير ، وهـــذا ما كـــان تاثير ديكنز الانجليزي في ابراهيم ناجي المصري ــ على تباعد الزمان وتنائي المكان ــ قراه في بواكير شبابه فاثار في نفسهنوازع الخيال ، واهاج فيها بواعث الشعر ،

وكتب عن هذه التجربة في مقال بعنوان « كتب أثرت في حياتي » يقول :

« الذي انطبع في ذهني هو دافيد كوبرفيلد ، لا أعرف السر في ذلك ، ولكنني اعتقد ان قوة هذه القصة في انها صورة لديكنز بالذات ، عبر فيها أصدق التعبير عن انفعالاته وشرح فيها الحب العفيف الراقي أوفى شرح ، وكنت انا اذ ذاك في بدء محاولاتي للشعر ، فلم يكن عجبا ان ينتعش ديكنز في خيالي لسمو روحه ونقاء قلبه ، مع انه لم يكن شاعرا ، ولكن الذي كتبه نثرا هو في الحق أرفع وأغلى من شعر ألوف الشعراء » .

***

وفي كتاب « في أوقات الفراغ » للدكتور محمد حسين هيكل فصل ممتع عن اناتول فرانس ، وما يعنينا منه هو قوله أن اناتول فرانس لم يدع واحدا من كتبه الا رسم فيه صورة من نفسه فهو « برجريه » في أربعة أجزاء « تاريخ العصر » .. وهو « بروتو » في « الالهة ظماى » .. وهو « بيير » في أربعة كتب كتبها عن طفولته وبدء صباه .. وهو « جيروم كوانيار » فيما عزاه من قصص ومذكرات الى «جاك تورنبروسن» .. وهو «نسياس» في قصة « تاييس » ..

ويضيف الدكتور هيكل الى ذلك قوله : « وأي مؤلف ينسى نفسه حين يكتب ؟. وأي مؤلف يكتب عن شيء غير نفسه ؟ » .

والدكتور هيكل كاتب قدير له في الابداع باع وذراع ، ورأيه فيه — لا شك — له وزن وتقدير .

واحسب أن فيما سقته الدلالة على ما قصدت اليه ، فهو باب يطول فيه القول ، ولا يكاد يبلغه حصر ، أو يجمعه استقصاء .

***

ونعود بعد ذلك الى حديث «مورافيا» فنجده لا يخلو من مفارقة وطرافة حين يمضي فيه قائلا : « انني دائما اذكر كلمة « انا » في بداية كتاباتي » ..

فهو لم يقدر اذن على الانفصال عن ذاته ، وان ظن غير ذلك ، ولا عيب في ذلك ولا قصور ، وانما هي طبيعة الفنان ، ولا حيلة له فيها ، ولعله « جان كوكتو » الذي كان يكثر من ترديد كلمة « انا » حتى أطلق الناس عليه اسم « مسيو موا » : السيد انا !.

واي المتفننين: شعراء وادباء وروائيين لم تتردد هذه الكلمة على ألسنتهم على اختلاف الاعصر وتوالي الحقب والازمان.

جار بها المتنبي منذ ألف عام ، ولا تزال صيحته بها تدوي حتى الان في الآذان :

انا الذي نظر الأعمى الى أدبي
واسمعت كلماتي من به صمم

وزاد عليه وغطى الشاعر المهجري الذي قال :

انا سيد الشعراء غير مدافع
امشي فتمشي خلفي الشعراء !

وانظر الى الشاعر عبدالرحمن شكري وهو يتحدث في « الاعتراف أو قصة نفس » عن اثر نشر اول قصيدة له في نفسه ، انه يقرأ القصيدة مرات ومرات، فيخيل اليه أن الحروف ترقص على الورق ، ربما فرحا وربما عادة ، ان كان لها — من دون غيرها — حظ التعبير عن خلجات نفسه ولواعج ذاته !.

انها ذات الفنان : محور اهتمامه ومدار حياته ، ومهما كان الموضوع الذي يتناوله الكاتب فهو ينبع من الذات أولا ، والا فقد أهم مقوم من مقوماته ، وخرج الى الوجود ناقصا هزيلا ، وما تبلغ كتابة الكاتب شيئا ، الا اذا سكب فيها من روحه سكبا ..

وذات الفنان هي عنده خير معوان ، وهي مصدر ثر لا ينضب له معين ، اذا عرف كيف يسبر غورها ، ويصل الى أعماقها ، ويتغلغل في حناياها .

والفرق بين العالم والفنان ، هو الفرق بين الموضوعي والذاتي .

واحسب انهم لذلك قالوا : العلم نحن ، والفن انا ..

اللحن الأخير

● فريد قرني ●

إعزفي لي اللحن الأخير فقد آ ... ن خلاص المعذب المسجون

ألهميه صبابتي وهيامي ... وامزجيه بأدمعي وشجوني

ودعيه ينساب في نغمات ... تتأسى حزينة بحزين

واصهري فيه من دماء هوانا ... ما أذبناه في كئوس السنين

وتساقي رحيقه المر ـ أفعى ... تتلوى على سهام المنون !

ثم عودي ولا تقولي وداعا ... لي .. كأن لم أكن ، كأن لم تكوني !

***

كنت أبني وكان حلمي كبيرا ... قلت علي .. فكذبتني ظنوني !

إنها قصة أرقتك فيها ... من حناني ، ولوعتي ، وحنيني

أسدلي فوقها الستار لئلا ... تفجعيني في عالمي المفتون

آن أن أسترد ما ضاع مني ... من دمائي ، وأضلعي ، وجفوني !

وليال أسهدتها سابحات ... واكبتها كآبتي وشكوني

نادمتني أساي صبرا وإيثا ... را .. وكانت بعطفها تحبوني

***

ودعيني ، فالصمت أولى بقلب ... ودعته دنيا هوى مأفون

رب قلب أغواك ، أعماك عن فردو ... س أيكي ، وشاطىء ، وعيوني !

أنت عربيدة الهوى لست مني ... فدعيني ... لا تخدعيني ـ دعيني !

كل قلب سكنته ذات يوم ... واحتسى من غرامك المجنون

أنا لا أسأل التراب ليوحي ... لي ... ولا أنشد اللحوم لحوني

إعزفي لي اللحن الأخير فقد آ ... ن خلاص المعذب المسجون

ثم عودي ولا تقولي وداعا ... لي .. كأن لم أكن ـ كأن لم تكوني

ألف عام من عمر دار الكتب

● مصطفى الشهابي ●

يحتفل خلال هذا الشهر بافتتـــاح أحـدث وأكبر دار للكتب في الشرق ، أقيمت في مبناها الضخم الجديد على كورنيش النيل وفي أسبوع الافتتاح ، ســتعرض الدار مجمــوعة تاريخية نادرة من المصاحف التاريخيــة ،احتفــاء بمرور اربعة عشر قرنا على الهجرة النبوية الشريفة .

● اول مكتبة عرفها العالم وجدت في مصر .. وكان مقرها معبد وجامعة «اون» ـ هليوبولس « عين شمس » التي يرجع تاريخها الى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

دار شفاء النفس

ولم تقتصر المكتبات في مصر القديمة على المعابد ، بل كانت لبعض المــلوك مكتبات خاصة ، منها مكتبة رمسيس الثاني « ١٢٩٢ ــ ١٢٢٥ ق . م »وكان منقوشا على بابها « دار شفاء النفس » وفي معبد الرمسيوم الذي بناه هــذا الملك ايضا كانت توجد حجرة للـكتب المقدسة والمؤلفات الدينية وغيرها ... ويغلب على الظن ان مكتبة جامعــة «اون» ظلت عامرة أو ظل بها جزء غير قليل من الكتب حتى اسس الاسكندر الأكبر مدينة الاسكندرية عام٣٣٢ق.م، ثم اقام بها البطالمة من بعده ، جامعــة سميت « المتحف » أو « دار الفنون » والحقت بها مكتبة كبرى .

وقد منيت تلك المكتبة بخسارة عظيمة عندما احترقت عام ٤٧ ق . م ولـكنها اخذت تسترد مكانتها بمضي الايام.. وعندما انتشرت المسيحية في مصــر زاحمت المؤلفات المسيحية المؤلفــات الوثنية ، ثم احترقت المكتبة مرة اخرى ولم يبق بها الا القليل الذي حمــله البيزنطيون عند جلائهم عن مصر لمــا فتحها العرب على يد عمرو بن العاص .

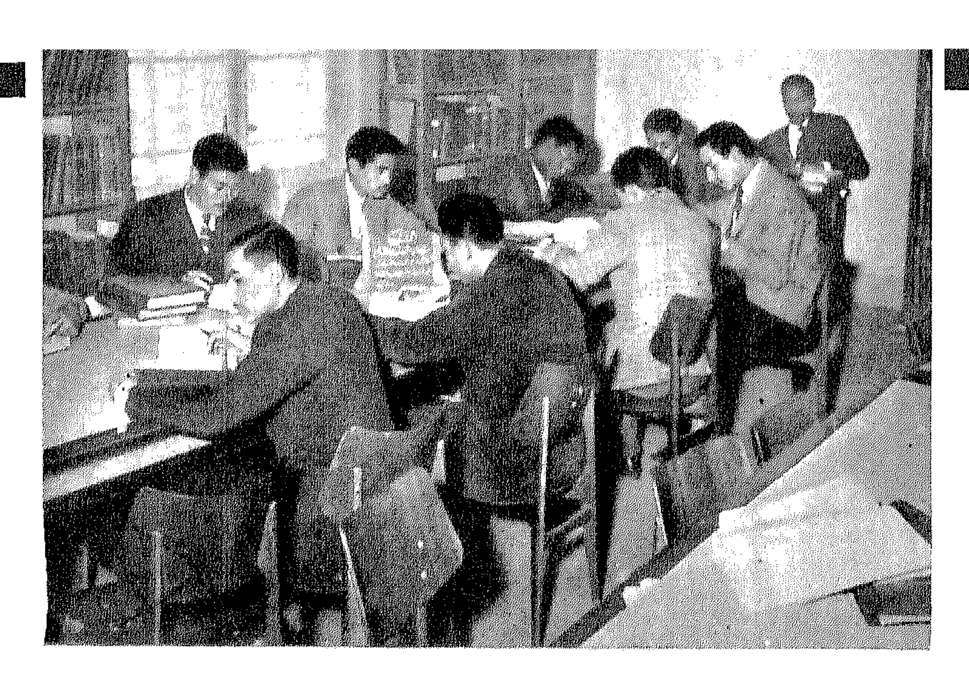
القرآن والقراءة

كانت أول آية نزلت على الرســول الكريم هي : **«اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم .»**

كما أقسم الله تعالى فيما أقســم بالقلم ، فقال عز من قائل : **«ن . والقلم وما يسطرون »**

وكانت معجزة الرسول الخالدة كتابا عربيا مبينا ، هو القرآن الكريم ، والقرآن من القراءة ، فكانت هذه دعوة للمسلمين أن يقبلوا على قراءته والاستماع اليــه لما فيه من حكم وثقافة وصلاح للدنيــا والدين .

وعلى هدى ما ورد بالقرآن من آيات كريمة دعا الرسول المسلمين أن يطلبوا



قاعة الاطلاع بدار الكتب
وبها مجموعة من الباحثين

العلم فى كل زمان ومكان ، بل وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

بدء التدوين وظهور الكتب والمكتبات

كان ماورثه المسلمون عن عرب الجاهلية من علوم ومعارف غير مدون . ولما جاء الاسلام كان عدد القرشيين الذين يستطيعون القراءة والكتابة ضئيلا ومن ثم كان اهتمام الرسول بتعليم المسلمين الكتابة على يد أسرى المسلمين مقابل فديتهم .

وكان أول مادونه المسلمون هو القرآن . ولما تقدم العهد بالاسلام بدأ تدوين الاحاديث النبوية ، ثم بدأ التأليف فتناول تفسير القرآن والفقه والنحو وغيرها .

ثم نشطت حركة التأليف بعد انتشار الاسلام ، وبدأ ظهور المكتبات التى كانت تضمها المساجد ، هذا عدا المكتبات الخاصة للعلماء وكبار رجال الدولة .

واول مكتبة عامة ذكرها التاريخ هى مكتبة ((بيت الحكمة)) التى اسسها هارون الرشيد ١٩٨ ــ ٢١٨ هـ ــ ٨١٣ ــ ٨٣٣ م واهتم بها ورعاها وجلب لها الكتب من كل مكان ابنه المأمون حتى اصبحت مفخرة العباسيين فى بغداد .

وقد اهتم الامويون بالاندلس بانشاء المكتبات ، وكانت أهم مكتبة هى مكتبة قرطبة التى انشأها الحكم المستنصر ((٣٥٠ ــ ٣٦٦ هـ ــ ٩٦١ ــ ٩٧٦م)) والتى زخرت بآلاف الكتب فى مختلف العلوم والفنون .

ولم يكن اقتناء الكتب بالاندلس مقصورا على الخلفاء والامراء بل اهتم العلماء بمكتباتهم الخاصة .

الفاطميون فى مصر

وفى الوقت الذى ازدهرت فيه الحضارة ببغداد وبالاندلس، بدأت دولة الفاطميين فى بلاد المغرب ، ونودى بأول خلفائها عام ٩٠٨م . ولم تمض عدة سنوات حتى امتد سلطان الفاطميين فشمل شمال افريقيا ، وتم لهم فتح مصر عام ٩٦٩ م .

كان العصر الفاطمى ((٣٥٨ ــ ٥٦٧هـ ــ ٩٦٩ــ ١١٧١ م))من اسطع عصور مصر الاسلامية ، اذ بلغت فيه الثقافة اوجها ونبغ فى ذلك العصر علماء افذاذ وشعراء وادباء مبرزون .

وقد ساعد على ذلك ان الخلفاء الفاطميين انفسهم كانوا من طلبة العلم والمقبلين عليه ، وفرضوا العلم كذلك

على أولادهم ، واهتموا بتعليم صغار غلمانهم ومماليكهم مختلف العلوم وسائر فنون الحرب .

وكانت مراكز التعليم هي الكتاتيب التي لم تكن تخلو منها قرية ولا مدينة ثم المساجد وعلى رأسها الجامع الأزهر .

سجل المعارف الانسانية

ولما كانت الكتب هي سجل المعارف الانسانية ، فقد عنى الفاطميون بانشاء المكتبات الخاصة والعامة ، لا حبا في العلم فحسب وانما اقتداء أو منافسة للعباسيين في بغداد وللأمويين في الاندلس .

ومن اشهر هذه المكتبات ، التي عرفت يومئذ بالخزائن ، « خزانة القصر » التي انشأها العزيز بالله الفاطمي « ٩٧٥ م - ٩٩٦ م » وخصص لها قاعات فسيحة في قصره وبذل الاموال في الاستكثار من المؤلفات المهمة ، حتى جمع منها ٦٠٠ الف كتاب ، وقيل اكثر من ذلك ، في الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والفلك والكيمياء والتنجيم .

وفي تلك المكتبة كان يجلس داعي الدعاة لنشر الدعوة الفاطمية . وقد ذكر المقريزي انه كان بمكتبة العزيز بالله من كتاب « العين » للخليل بن احمد ثلاثون نسخة ، منها نسخة بخط الخليل بن احمد نفسه ، وما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخط الطبري ايضا ، وان تلك الخزائن تضم ثمانية عشر الف كتاب في العلوم القديمة وان اغلب الكتب محلاة بالذهب والفضة .

وفي عهد العزيز بالله ايضا حول الازهر من مسجد تقام فيه الصلاة الى معهد علمي كبير ، وانشئت فيه « مكتبة ملكية » ضمت عددا ضخما من الكتب ، قيل انه بلغ مليونا ، في شتى العلوم والفنون وانه كانت هناك اكثر من نسخة واحدة للكتاب الواحد ، بلغت مائة أو مائتين ، ليفيد أكبر عدد من الطلاب .

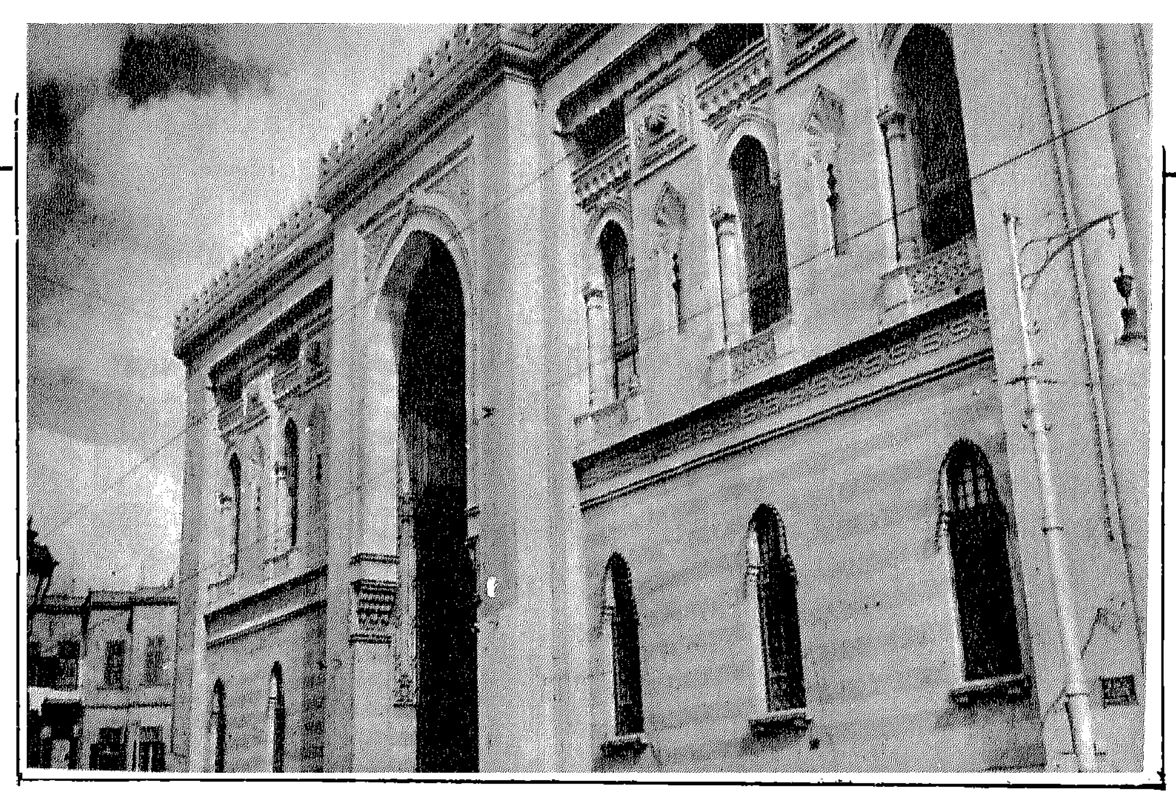
اول مكتبة عامة

ولما تولى الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١ هـ - ٩٩٦ - ١٠٢١ م » أمر بانشاء « دار الحكمة » أو « دار العلم » بجوار قصره الغربي ، وكان الغرض منهما منافسة بيت الحكمة في بغداد من جهة ومن جهة أخرى نشر المذهب الشيعي وهو نفس الغرض الذي انشأ من اجله ، من قبله من الخلفاء الفاطميين ، مكتبة أو خزانة القصر . وكان مقرها بالخرنفش امام الجامع الاقمر .

وقد تم افتتاح هذه الدار في ١٠ من جمادى الاخرة سنة ٣٩٥ هـ الموافق ٢٤ من مارس سنة ١٠٠٥ م ونقل اليها الكتب من القصور الفاطمية وجمع فيها من الكتب كل ماوصل الى يده أو سمع عنه . ووقف عليها أوقافا جمة للانفاق عليها وأقام عليها القوام والمشرفين والخدم واباح دخولها لسائر الناس على مختلف طبقاتهم ممن يحب القراءة ، والاطلاع ، فكان يتردد عليها القراء والمهتمون بالنحو واللغة والأطباء .... الخ .

ومن المحاسن المأثورة التي لم يسمع بمثلها ، اجراء « الرزق السني » لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة بها . وكانت المكتبة مفتوحة ، لتكون الكتب في متناول الجميع ، يستطيع الراغب في الاطلاع ان يحصل بنفسه على الكتاب الذي يريده ، فاذا تعذر عليه ذلك ، استعان بأحد المناولين .

لذلك أختلف الناس اليها على تباين ثقافاتهم وفنونهم العلمية ، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر



دار الكتب المصرية القديمة بميدان باب الخلق فى القاهرة

للنسخ او يحضر للتعلم .

وزودت المكتبة بكل مايحتاج اليه المترددون عليها ، من الحبر والاقلام والورق ، كما فرشت بافخر السجاجيد وزخرفت اجمل زخرفة .

واصبحت بذلك دار العلم مكتبة عامة على نحو مانراه اليوم فى المكتبات العامة ، غير انها امتازت عليها او على اغلبها بانها كانت جامعة علمية للتعليم وكثيرا ماكانت تقام فيها المناظرات بين العلماء فى شتى المسائل .

وجدير بالذكر انه كان بين أساتذة تلك « الجامعة » عدد كبير من فطاحل العلماء ، نخص بالذكر منهم الحسن ابن الهيثم ، الذى استقدمه الحاكم بأمرالله من البصرة ، لما علم أن له نظريات هامة فى تدبير فيضان النيل بانشاء خزان على النيل عند أسوان ولكن الظروف يومئذ لم تمكنه من التنفيذ .

وكان من تقدير العالم العربى لتلك الجامعة ومكتبتها أن اجتذبت كثيرا من أعلام المشرق أمثال الرحالة الفارسى ناصر خسرو وعشرات غيره .

غير أن الرخاء الذى عم مصر فى ذلك العصر لم يدم طويلا ، اذ عم الوباء والقحط عام ٤٤٦ هـ ــ ١٠٥٤ م وانقطع ماء النيل فاهملت الزراعة وانتشرت المجاعة وظل الحال كذلك ثماني سنين . ثم عاد القحط والغلاء مرة أخرى عام ٤٥٩ هـ ــ ١٠٦٦ م واستمر بضع سنوات حتى اضطر الخليفة الفاطمى الى استدعاء بدر الجمالى والى عكا ، فعاد الامن والرخاء الى البلاد .

وتعرضت مكتبات القصر ومكتبة دار العلم ، خلال فترات الشدة التى منيت بها البلاد للنهب والسلب .

وعلى الرغم مما حدث فقد ظلت مكتبة دار العلم أو دار الحكمة تؤدى رسالتها العلمية ، الى أن اغلقها الوزير الافضل ابن بدر الجمالى سنة ٥١٦ هـ ــ ١١٢٢ م لظروف الامن ، ومنع الناس من دخولها وكان اغلاق هذه الدار له وقع الصاعقة على الخليفة الفاطمى يومئذ ، وعلى بعض العلماء الذين كانوا فى خدمته ولما اطمأن الناس وعادت الحياة الى الهدوء والاستقرار ، توسل محبو العلم والثقافة الى الخليفة الآمر بأحكام الله ٤٩٥ هـ ــ ١١٠١ م أن يعيد افتتاحها . فتحدث الخليفة فى ذلك الى وزيره المأمون البطائحى فاجاب بأن

وجودها بجوار القصر فيه خطر، واقترح ان يبنى لها مكان بعيد عن قصر الخليفة وأن يعين لها رئيس ذو تقوى ودين . وتم ذلك لوجود المكان المطلوب فأعيد بناء دار العلم ومكتبتها فى المكان الجديد وحملت اليها عشرات الالاف من الكتب من مختلف الأماكن والقصور.

وقد قدر المقريزى ماكان بها يومئذ من كتب بنحو ستمائة الف مجلد ، فعاد الانتفاع بها كما كان . وظلت المكتبة عامرة بروادها ، حافلة بكتبها ، تؤدى رسالتها .

ولما تولى صلاح الدين الايوبى مقاليد الامور فى مصر ، بعد زوال عهد الفاطميين ، استولى على قصر الخلافة وما به من كنوز وتحف وكتب . ثم نمى اليه أن مكتبة « دار العلم » فيها كتب تتناول مذاهب الفاطميين وأفكارهم والقى فى روعه أن فى وجودها خطراً على دولته وعلى المسلمين ، لذلك أمر بهدمها

وعلم بذلك القاضي الفاضل « عبد الرحيم البيسانى » فاستأذن صلاح الدين فى أن ينتقى من المكتبة بعض الكتب ليضمها الى مكتبة المدرسة الفاضلية التى انشأها بالقاهرة سنة ٥٨٠ هـ ــ ١١٨٤ م فأذن له فى ذلك فاختار منها مائة الف مجلد ، واقام صلاح الدين مكان المكتبة مدرسة للشافعية .

تلال الكتب

ولم تلبث المكتبة الجديدة ان غدرت بها الأيام ففى عام ٦٩٤ هـ ــ ١٢٩٥م وقع غلاء بمصر بلغ من الفظاعة مبلغا دفع ببعض المترددين عليها الى سرقة كثير من الكتب وبيعها كل كتاب برغيف ، وتفرق الباقى بين ايدى المستعيرين ، واخيرا انتهى أمرها الى البيع على يد دلال للكتب بأرخص الاثمان ومابقى منها نهب للافادة من جلوده والقاء ماتبقى من أوراقه خارج القاهرة ولم تلبث الاوراق أن طمرها التراب وأصبحت اشبه بالتلال ، وقد اطلق عليها المقريزى اسم « تلال الكتب » .

وقد ذكر الجبرتى فى حوادث ذى الحجة سنة ١٢٢٥ هـ ــ ١٨١٠ م أنه ظهرت بالتل الكائن خارج القاهرة عند باب الوزير نار كامنة داخل الاتربة واشتهر امرها ، وزاد ظهورها وتردد عليها الناس افواجا ، رجالا ونساء ، فلما بلغ خبرها كتخدا بك «نائب الوالى» قصد اليها وامر رئيس الشرطة بصب الماء عليها واهالة الاتربة من اعالى التل فوقها ، ففعل ذلك ــ فلا يبعد أن تكون مادة الحريق هى الكتب التى ذكرها المقريزى .

وفى عهد صلاح الدين انتشرت المدارس لنشر المذاهب السنية وكانت المكتبات جزءا منها وظلت ملازمة لها ، كما ظلت ملازمة للمساجد .

ومضت دولة الايوبيين وخلفتها دولة المماليك الذين كان أغلبهم على جانب عظيم من الجهل والاستبداد ، ولكنهم على الرغم من ذلك كانوا يرجون رحمة الله فأنشأوا هذه المدارس الضخمةالتى نشاهدها الآن ونسميها الجوامع أو المساجد وجلبوا اليها نفائس الكتب وشجعوا العلماء والطلاب على التردد عليها .

ومن تلك المكتبات مكتبة مدرسة السلطان حسن ومكتبة مدرسة السلطان شعبان وغيرها .

وظلت تلك المكتبات عامرة حتى دخل العثمانيون مصرسنة١٥١٧ مواخضعوها لحكمهم ونهبوا مااستطاعوا نقله من ذخائر كتب المساجد او المدارس مما تزخر به مكتبات استانبول اليوم .

ولما احتل الفرنسيون مصر ١٧٩٨ــ ١٨٠١ ، حملوا بدورهم عند رحيلهم



صورة من الداخل في دار الكتب واحد العاملين يقوم بمهمته اليومية في تنظيم الكتب وترتيبها ...

ما امكنهم نهبه من نفائس المخطوطات
واستمر مابقي من كتب بالمدارس والمساجد مهملا ، في عهدة جماعة من الامناء ممن لا علم لديهم فتسرب معظمها الى ايدي الاجانب وفي طليعتهم المستشرقون . ومكتبات اغلب الدول الاوروبية تضم الكثيرمن تلك الذخائر .

وهال الموقف المغفور له علي باشا مبارك مدير المعارف فاستصدر من الخديو اسماعيل امرا بانشاء «كتبخانة» اى دار كتب في مارس سنة ١٨٦٩ ، وجمع مااستطاع من كتب المساجد وغيرها ، وافتتح أول دار كتب حديثة في ٢٤ من سبتمبر سنة ١٨٧٠ وجعل بجوارها « دار العلوم » التي انفصلت واصبحت مدرسة ثم كلية دار العلوم. وكان مقر الكتبخانة أو دار الكتب مكان المدرسة الخديوية بشارع بور سعيد .

وفي عام ١٩٠٤ تم بناء مكان جديد لدار الكتب بباب الخلق .

ومنذ بضعة اعوام انشيء مبنى جديد على ضفاف النيل يضم المكتبة الجديدة، كان المقرر ان يفتتح في العيد المئوى لدار الكتب ، ولكن عدم استكمال المباني والظروف التي مرت بها البلاد ، حال دون الاحتفال بالعيد المئوي في موعده .

ويضيق النطاق عن ذكر ووصف ما ستضمه الدار الجديدة للكتب من اقسام عدة وقاعات متنوعة ،منها قاعة للمكفوفين واخرى للاستماع الموسيقي وغيرها ، فضلا عن قاعة للاجتماعات العامة تسع ١٠٠٠ زائر .. الخ ــ مما يجعلها اكبر واعظم مكتبة في الشرق الاوسط .

قصة حياة القصة !

● سعد رضوان ●

كان فى دار ابى طاقة حائط مليئة بمجلدات ورثها ابى عن جدى ، ثم اورثها لى .. ومن بين تلك المجلدات مجموعات لمجلة الهلال فى سنيها الاولى، وهذه المجلدات وغيرها تنام فى مكتبتى افتحها بين الحين والحين فى حرص على الورق الذى كاد يتهرا لاقرا فيها ثم اعيدها . .

وفى احد هذه الاهلة ، وهو عدد ديسمبر ١٩٠٧ الجزء الثالث من السنة السادسة عشرة - قرات ردا على سؤال من ((على افندى صبحى فى الكتبخانة المصرية)) يسال المحرر :

- ما هو تاريخ القصص «الروايات»

. . ومن هو واضع هذا الفن ؟.

وقد رد محرر الهلال فى ذلك الوقت، وهو مؤسسه المرحوم جرجى زيدان صاحب المؤلفات القيمة والروايات الشهيرة - بمقال قال فيه :

« ان القصص فن قديم ، وانها انواع منها الحماسى والغرامى والتاريخى والادبى والشعرى والنثرى . .

« وان اول الروايات والقصص التى وصلتنا هى رواية : « الاخوان» التى كتبت على ورقة بردى محفوظة بمتحف لندن ، وان الدكتور بروكش العالم البريطانى الاثرى قد حل رموزها سنة ١٨٦٥ ، وقد كتب القصة فى عهد الملك منفتاح بن رمسيس الثانى ، وان كاتبها هو احد كتاب البلاط ..»

وتتلخص القصة التى اشار اليها العلامة جرجى زيدان - كما قراتها فى كتاب بعنوان « تابوبو الحسناء » للسيد اسماعيل محمد ، نشرته مجلة « الفؤاد » عدد اكتوبر ١٩٤٥ وكانت تصدر كتبا شهرية فى ذلك الوقت - تتلخص القصة فى ان « انوبيس »ورث واخوه الصغير « باتا » ارضا زرعاها معا ، وعندما كبر « باتا »راودته زوجة اخيه عن نفسه ، فرفضها ، وارادت الانتقام ، فالقت بنفسها فى زيت وشحم كمن انتهك شرفها ، وقالت لزوجها لما عاد ان اخاه اراد الاعتداء عليها . واشهر الاخ الكبير سكينه وجرى خلف الصغير ليقتله .. ودعا «باتا» الله لينقذه فظهر نهر ملىء بالتماسيح يفصل بينهما ، ولكى يؤكد « باتا » لاخيه براءته ،اخرج الأخ الصغير مخرطة الحشائش واجتز بها قطعة من جسده ، وتاكد « انوبيس » من براءة «باتا» ، ولكن الاخير رفض العودة معه واخبره انه سيعيش فى غابة شجر الارز ، وسيعلق قلبه باحدى الشجيرات ، وان كل ما يريده من اخيه الاكبر ان ينقذه اذا حدث له خطر ، وسيعلم بالخطر اذا فاضت



كوب الجعة قبل ان يشربها ..

وعاش «باتا» فى الغابة ، فرافت به الالهة وقدمت له زوجة جميلة سقطت خصلة من شعرها فى النيل ، وكان الغسالون يغسلون ملابس فرعون ففاحت رائحة جميلة من خصلة الشعر التى اخرجوها من الماء .. وامر الفرعون بالبحث عن صاحبة الخصلة ، واحضروها له فتزوجها ، وطلبت منه شجرة الارز الكبيرة المعلق عليها قلب زوجها «باتا» ففعل ..

وفاضت جعة الاخ ((انوبيس)) فجرى الى الغابة باحثا حتى وجد قلب اخيه ، ووضعه فى ماء فعاد الاخ ((باتا)) الى الحياة .. وسحر ((باتا)) نفسه عجلا باعه ((انوبيس)) الى الفرعون، واخذ الفرعون المراة لترى العجل ، وفوجئت بان العجل همس لها فى السر قائلا : ((يا خائنة !)) فعرفت من الصوت انه زوجها ((باتا)) ، فطلبت من الفرعون اطعامها من لحم العجل ، وذبح العجل، وسقطت نقطتان من دم العجل على الارض، اصبحتا شجرتين كبيرتين فجاة .. واخذ الفرعون المراة لترى المعجزة، فمالت عليها احدى الشجرتين قائلة فى السر : ((ياخائنة !.)) وعرفت الصوت من جديد فطلبت من الفرعون قطع الشجرتين وصنع اثاث بخشبهما .. واثناء عمل الاثاث تطايرت قطعة خشب دخلت حلق زوجة ((باتا)) فحملت وولدت طفلا هو الاخ الاصغر ((باتا)) الذى لم تستطع الزوجة ان تطلب من الفرعون ايذاءه ، فهى ليست مجنونة لتطلب من الفرعون قتل ابنه .. وكبر ((باتا)) وورث العرش ،واحضر اخاه ((انوبيس)) ليعيش معه .

ثم يقول محرر الهلال :

« انه بعد هذه القصة عرفت القصص اليونانية ، واهمها الياذة هوميروس عن حصار طرواده . وقد ترجم امين سلامة هذه الالياذة ونشرت فى الستينات ، وهى تدور حول البطل اليوناني أخيل ، وانتصاره على ملك طروادة بعد حروب دامت عدة قرون منى فيها الجيش اليوناني بقيادة اجامنون ــ بهزائم متلاحقة ، ولم يتدخل أخيل ليحقق النصر الا بعد أن مات صديق له فى الحرب،والرواية مكتوبة فى عدد كبير من الاجزاء ..اما طروادة فيقال انها احدى البلاد القريبة من الاناضول فى تركيا .. »

ثم إستطرد محرر الهلال فقال :

« ومن الروايات اليونانية المعروفة غير الالياذة قصة الصوف الذهبى لمؤلفها قدموس الفينيقى ، والحق انه لا معلومات عندى عن هذه القصة وان كنت أعرف عن قدموس مؤلفها أنه

طاقة حائط في دارنا تحكي

مبتكر حروف الهجاء اليونانية .. ثم قصة عولوس وإيناس ..

« ثم انتقلت الروايات من اليونان الى الرومان الذين نقلوا القصص اليوناني كما هو وأدخلوا عليه اضافات من ابطالهم ..

« وبعد ذلك ، وفي العصور الوسطى انتقلت الى الجرمان الذين قدموا روايات الملك آرثر ثم تلتها قصص المائدة المستديرة . »

ومعلوماتي عن البطل آرثر انه ملك بريطاني في القرن السابع ابلى في الحروب وانتصر ككل أبطال الأساطير المعروفين، واشهر الروايات المشهورة عن البطل آرثر هي تريستان واوزولد .

اما قصص المائدة المستديرة فهي آخر ما وصلت اليه اساطير الملك آرثر الذي كان يجمع مجلس بلاطه حول مائدة مستديرة ،ومثلها مثل الروايات البطولية القديمة ، فان هذه الروايات ((الآرثرية)) تملأ مجلدات وتشتمل قصصا غرامية بجانب البطولية ..

ونعود الى مقال محرر الهلال فنجده يحدثنا عن أن :

« هذه الروايات البطولية انتشرت في كافة انحاء أوروبا من اواسط القرن الثاني عشر ، واصبح لكل بلد بطلها ، ففي فرنسا شارلمان وفرسانه الاثنا عشر ، وفي اسبانيا أماديس ويلمارين واشهر ابطالها ، « السيد» .. وأغلب هذه الروايات يتميز بالمبالغة والخرافات ومقتبس بعضه من بعض ومن الروايات الشرقية والفارسية والعربية كألف ليلة وليلة ..

« وفي العصور الحديثة ظهر الكتاب النوابغ الذين قربوا القصص من الحقيقة كاسكندر ديماس الاب ، والابن ، وفيكتور هوجو ، وسكوت وغيرهم من القصاصين ..

« اما القصص عند العرب قبل الاسلام فأكثرها كان متناقلا على الالسن غير مدون ، بني على اصل تاريخي كقصة سيل العرم ،واخبار عاد وثمود، وبلقيس .. وجميع هذه القصص حافلة بالحوادث المختلفة من غرام جامح الى كرم في الضيافة كقصص حاتم الطائي ، الى الفروسية والشجاعة والتفاخر ..

« وبعد الاسلام لم يكن للقصص مجال قبل استقرار الدولة العباسية التي نشطت فيها حركة الترجمة والنقل ، وظهرت ترجمة للرواية الفارسية ((هزار فسانه)) ومعناها الالف حكاية ، وهي اساس الالف ليلة وليلة التي زاد عليها العرب وأدخلوا اليها الكثير من قصصهم .

« ومن الفارسية أيضا ترجموا روايات ضاع اغلبها ولم يبق منها غير كليلة ودمنة التي لها أصل هندي ، وعن الهندية أيضا ترجموا السندباد الكبير والصغير ، وقد ادخلت حكاياتهما في الف ليلة وليلة ، ولكن العرب رغم ما ترجموه عن اليونان فانهم لم يترجموا قصصهم كالالياذة وغيرها ..

((وفي القرن الرابع الهجري ظهرت القصص التي الفها العرب بانفسهم فظهرت روايات عنترة ، وسيف بن ذي يزن ، عن حوادث اليمن في دولة الفرس ، والزير سالم ، وابي زيد الهلالي ، والبراق ، والملك الظاهر، الى غيرها من الروايات التي شاعت في القرون الوسطى يقصونها ويروونها في المجتمعات والمنتديات ..

«وفي أوائل القرن الماضي ظهرت حركة ترجمة جديدة عن اللغتين الفرنسية والانجليزية واشتغل البعض بتأليف الروايات ..»

وبعد ، فقد اغلقت المجلد واعدته الى مكانه وانا افكر في النهضة القصصية التي نحن فيها اليوم ..

●



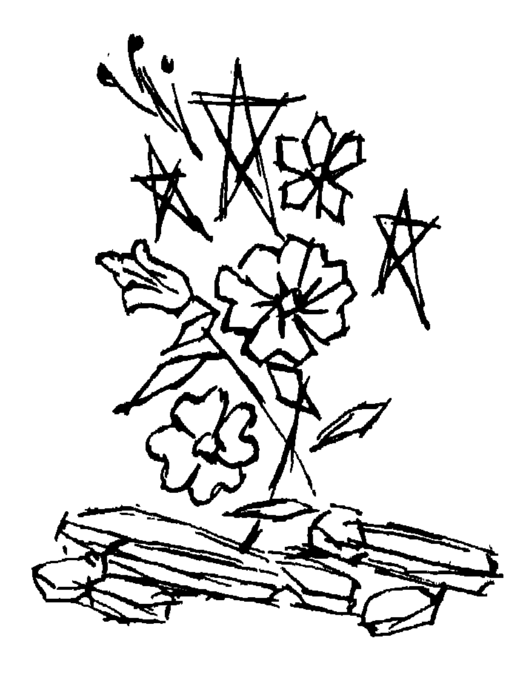
في زي راهبة .. تضوع
تتعانق الازهار في خطواتهـــا
تتهامس الاحلام في نظراتها
تترافص الايام في همساتها
ويقودني ظمـا وجوع !
كان الربيع جالسا على البحيرة
ينفخ في قيثارته ..
أيامه التي أصابها الشتاء
فاورقت غصون
واشتعلت دماء
وساحت العيون في العيون
فصارت الحياة كلها سماء!

ـ ٢ ـ

أيقنت انك نجمة الاصباح في ليلي الطويل
فأخذت املأ من كئوس ضيائك الوان المسرة
وغمرت قلبي في فيوض بهاك، شوقا ، الف مرة
مازلت اسبح في الطريق اليك مخمور الدليل
فمتى الوصول .. انا المقيد يا سماء ،
وانت حرة ؟!
يا راعي النجوم ..
الى متى تمضي بها في الشاطىء البعيد ؟!
الا تخاف سطوة الغيوم ؟!
قلبي يموج بالربيع ..
بالعطور ، بالورود
بالدفء ، بالشوق الخصيب ، بالنغم
بنشوة الالم ..
فهل الى المرعى الجديد ؟!

ـ ٣ ـ

يا طالما القيت ظلي خلف ظهري صاعدا
تلتف ساقي حول ساقي !
لما ازل ـ والخطو دام ـ تستبد بي المراقي
واراك ـ يانجمي ـ تباعد جاهدا !
وقيل لي :
((كثيرة هي النجوم في البحيره))
خلعت ثوبي ، وسبحت
سالت عنها كل موجة
اضعت قلبي ، وانطرحت
عريان لا املك حجة
حتى أعود !
كم ذا أعاني والطريق ضائعة
ولا جديد .. والذئاب جائعة
كل حين يعتريني ـ ياسماء ـ غيرة وثورة
ونشوة وســكرة
وشقوة وحيرة



موعد مع المغامرة الجيوفيزائية القادمة

● نهاد شريف ●

فيما وراء الجبل الداكن الخضرة اتضحت استار مبكرة من ضوء الفجر ...

لكن سفح الجبل ظل معتما ، مموها ، ورقاع الزرع الممتدة من السفح الى الوادى العريض بدت كاشباح وديعة هاجعة .. اما قبة السماء فقد غطتها غلالة رقيقةرمادية من سحابات قطن واهنة التماسك - سرعان ما تبددها سخونة الشمس متى ظهر قرصها البديع ..

بغتة ، وعلى علو شاهق اخترقت السماء مجموعة من العصى الدقيقة فى احجام اقلام الرصاص ... وفى ثوان بلغت العصى بسرعتها الرهيبة نقطة تعلو الجبل وتعلو السحابات القطنية .. عندئذ تفرقت فى تشكيل مروحى لينفجر كل منها بعيدا عن الاخر ويتلاشى على الاثر بلا ادنى صوت .. مخلفة وراءها ذرات محاليل كيميائية تتقاذفها تيارات الهواء العلوية وتزيد فى انتشارها ! ...

وخلال دقائق راحت السحابات القطنية تتجمع وتتكاثف . وسرعان ما تلاصقت وسدت منافذ السماء حتى الأفق ، كأنها جدار أسود عكر الطلاء ... وعلى غير انتظار لمع شريط من ضوء باهر .. وجلجلت جنبات الجبل الى عمق الوادى بهدير مدو مخيف .. وتوالى لمعان الاشرطة المضيئة ، وتلاحق القصف والدوى فى عنف لا مثيل له!.

ثم فتحت افواه السماء لينهمر مطر غزير ثقيل ، بلغت قطراته المتسارعة حدا من الضخامة لم يعرف من قبل ... وقطع الزمن ساعة طويلة طويلة اتسعت واشتدت اثناءها ثورة العاصفة الشاذة ...

***

فى أكثر من موقع عسكرى حصين ازت بؤرات حمراء ، وخرج الصوت فى الحاح ورتابة يعتريهما الصفير راح يكرر : « هنا مركز . . المراقبة . . الاستراتيجى .. الحارس . هـ . هـ

.. هنا مركز .. المراقبـــة . . الاستراتيجى .. الحارس . هـ . هـ .. انتباه .. الساحل الجنـــوبى الشرقى .. يتعرض لهجوم جوى .. انتباه .. العدو يستخدم الســـلاح .. الجيوفيزيائى .. المثير لطـــاقات الطبيعة المدمرة .. انتباه .. .. .»

كانت شاشات الرادار قداكتشفت خلال عشرين دقيقة الهجوم الغادر . لقد تكونت العاصفة صناعيا ، وتم توجيه مسارها بدقة متناهية إلى قلب اخصب المناطق الزراعية فى البلاد ، بغية افساد محاصيلها الكثيفة المبكرة النمو ، واغراقها بســـيول الامطار المختلقة كيميائيا ...

وفى بقعة خفية تقع على عمق سبعين مترا وتعلوها طبقات من الصـــخر والاسمنت والواح الفولاذ ، اجتمـــع لفيف من قادة الدولة المعتدى عليها ، ودار بينهم حوار ساخن محموم ..

اعترض ضابط ذو شارب قصـــير وبشرة حمراء : انهم لم يرسلوا الينا قوات تقليدية.. ولا سلطوا اشعاعاتهم الحارقة ، أو قصفونا بصـــواريخهم النووية. ...

تمتم القـــائد فى حدة بينما يلوح بقبضـــته : بالطبع ، هم جبناء .. لا يقوون على المجابهة فى العلن .. .

عاود الضابط ذو الشارب القصير كلامه : لقد استعانوا بتسليط قوى الطبيعة الغاضبة علينا ... هه . . يظنون أن عاصفة مهما استفحلت ــ قادرة على اخضاعنا ...

ــ أو أمطار غزيرة مهما انصـــبت .. ممكن أن ترغمنا على الاستسلام ..

ولم يتمالك القائد نفسه فهتف : اذن ، فلننح عنا باســـادة خطط محاربتهم تقليديا ، ولنرد عليهم بمثـــل عدوانهم

عندئذ وقف ضابط ممتلىء البـــدن وقال فى نبرات عميقة متسلطة :

ــ ان ارض المعتدين تقـــع داخـــل حزام الزلازل الاوسط ...

مال عليه ضابط آخـــر إكبر رتبة واطول قامة : انه نفس ما فكرت فيه .. لنطلق عليهم زلزالا فائق الدرجة..

فلوح الضابط البدين بذراعـــه فى اتجاه المختص المنوط بتشغيل الحاسب الالكترونى :

ــ اذن عجلوا باستدعاء نقاط الخطة السرية .. ج . ز ــ ١١١٥٤

وتمتم القائد فى حسم : أوافق..

وبينهما تجهزون الرد عليهم بهذه الخطة تقوم قواتنا الصاروخية الخاصـــة بمحاولات ايقاف العاصفة الصـــناعية الموجهة الينا وتدمير قلبها وأركانها..

وفى الحال ، اســـتجابت عشرات الاصابع تحرك آلاف الازرار من أجـــل الوصول الى هدف عاجل محدد ..

***

خلال ساعتين من بدء الاحـــداث السابقة غادرت غواصتان من غواصات الجيب قاعدتهما النهرية السرية. وما ان بلغتا مصب النهر حتى غاصـــتا فى الحال وانطلقتا حثيثا الى عرض البحر المتسع فى اتجاه مباشر الى الغـــرب .

وعلى مبعدة من شـــاطىء معروف توقفت الغواصتان .. أبطلتا آلاتهما وقبعتا على القاع .. وسرعـــان مـــا أطلقت كل منهما فى اتجاه بؤرة محددة بالسفح القاعدى للشاطىء ، من تحت المياه ــ شحنات متلاحقة من موجات خفية ... ولم تمر ثوان حتى تولدت اهتزازات باطنيـــه راحت تكبر وتكبر ولتنقل بدورها متوغلة افقيا مســـافة

وراء أخرى الى الداخل .. بينما تحدث تغييرات مفاجئة فى قشرة الارض التى اخذت تئن وتتلوى فى جميع الاتجاهات محدثة زلزالا عنيفا فاق قصف القنابل النووية ...

ولم تتوان هزة الارض الرهيبة عن اسقاط وتدمير عشرات العمائر ومئات الدور السكنية ! ...

وتحولت الدولة المعتدية الى دولة معتدى عليها ..

عندئذ جن جنون قادتها العسكريين وغير العسكريين .. فلجأوا الى حساباتهم الالكترونية مرة اخرى .. وتفتقت ذاكرة الآلة الواعية عن مزيد فى حرب اثارة قوى الطبيعة .. لينطلق القادة فيضيفون الى عدوانهم السابق فى شكل العاصفة والامطار الرهيبة ، عدوانا جديدا .. تمثل هذه المرة فى تحويل جانب من العاصفة الدائرة الى اعصار عملاق مدمر ، لايكتفى باتلاف المناطق الزراعية من البلاد ، وانما يجتاح الساحل ويتوغل الى عمق الداخل ...

وانتقمت الدولة الثانية ، فردت على العدوان بالاعصار بما هو امر واقسى من مجرد اطلاق زلزال عابر مهما بلغت حدته ... لقد القت اقمارها المحلقة ليل نهار فى السماء بكبسولات الدوى المخترق لحاجز الصوت فى فوهات ثلاثة من مجموعة البراكين الخامدة باراضي الاعداء ، فاحيت البراكين الثلاثة على الفور بعد موات دام قرونا .. فاذا بقواها التدميرية تفوق قوى الزلزال عشرات المرات !.

***

وانفلت الزمام فعلا .. فامتد .. فعانت دول مسالمة شرورا لا ذنب لها فيها ولحقت بها اضرار من حيث لا تدرى .. تدمير كوارث الطبيعة الى انحاء مجاورة

واضطرت المنظمة الدولية الى اتخاذ اجراءات ردع مشددة ، فارسلت بوليسها المحمل جوا ليسارع بنفاثاته الخاصة واجهزته الاكثر تقدما لوقف مجزرة الطبيعة ، بعد ان تسبب فى اطلاقها الانسان الحاقد غير المسئول ..

واستمرت اغاثة الضحايا ، واعمال بعثرة العاصفة وتشتيت الاعصار وتهدئة سطح الارض المرتج ، واعادة اخماد البراكين ، استمرت لمدة ستين يوما .. حتى هدأت الامور واستقرت نهائيا. لتتاح الفرصة من جديد وربما فى صورة أعم واشد هولا لنوع آخر من الحروب ، لا تزال ملامحه ومواصفاته واهواله فى طى الغيب ، وان كان الذى يمكن تخمينه عن الحرب بعد القادمة أن مصدرها سيكون بالحتم : الانسان .. كذلك .

***

المشاهد التى طالعتنا عبر السطور السابقة مشاهد وهمية ، من صنع الخيال .. لكنها ابدا ليست بعيدة الاحتمال .. ففى حقيقة الامر انما هى الوجه المزعج والشديد القبح الذى فى الامكان – بتقدم تكنولوجيا الحرب والدمار – ان يطالعنا فى الغد القريب لقوى الطبيعة عندما يمتلك زمامها الانسان . وكما امتلك زمام اعتلاء الجو وتفجير النواة وشق اجواز الفضاء . الى جانب امتلاكه للآلاف من ادوات الهلاك والدمار والافناء ! ...

والعلماء يطلعون علينا اليوم بشيء جديد لقولهم ان تكف عن انتاج المزيد من اسلحة الفتك التقليـــدية وحتى النووية والاشعاعية ، فالمخزون منهـا يكفى ويزيد ... وايضا لأن الحـرب القادمة ، حرب الغد ، سوف تكـون حربا مختلفة تماما .. انها حرب اثارة قوى الطبيعة الرهيبة وصبها عـلى الخصوم والاعداء .بمعنى انيتمتكوين وتخليق الكوارث الطبيعية صناعيا ، ومن ثم توجيهها وبدقة متناهيـة الى مدن واراضى الاعداء لتقوم بدكهـا وتدميرها ، مثلما تفعل اسلحة القتال التقليدية ، ولكن فى صورة أعم واشمل وبكيفية اشد هولا واكثر فتكا ودمارا!.

والحرب الجديدة يسمونها «الحرب الجيوفيزيائية »» وهى الاسلوب الاكثر سهولة فىالاعتداء والعدوان علىالغير، حيث توفر الحشود البشرية منالجند، وتوفر استهلاك العتـاد الحربى مـن طائرات ودبابات وسفن وصـواريخ واسلحة واجهزة وقوات مختلفة . .. كما توفر مصاعب نقل العتاد الحربى وتحريكه وتشغيله عبرمساحات شاسعة من الاراضى ..

وهى حرب يمكن التحكم فيها عـن بعد ، ويتم استخدامها حسب توقيت يحدد بدقة فىمكان او مساحـة ارض معروفة ومدروسة بعناية ... ثم هى حرب ، تكلفتها اقل ، وجهدها أيسر ، وناسها او المشتركون فيهامحدودون، بل ربما أمكن فى المسـتقبل ترك أمر اشعالها وتوجيهها وادارة دفتهاللالات وحدها ، وعلى راسها الحاسبات !..

***

ويتكلم العالم الامريكى جوردون.ج ف. ماكدونالد المدير المساعد لمعهـد الجيوفيزياء فى مدينـة لوس انجلوس بولاية كاليفورنيا فيعلن «ان قدرةالبشر فى السيطرة على البيئة المحيطة بهـم ستكون من بين الوسـائل التى يمكـن عن طريقها تحقيق اهدافهم الوطنيـة فى المستقبل » ...

والاسلحةالجيوفيزيائية لن تحل محل الاسلحة الذّرية فحسب ، وانمـا بمقدورها ان تبزها وتتفوق عليهـا . فالاسلحة الجيوفيزيائية تسـتغل الطاقات الهائلة الكامنة فى الطبيعـة فتستحضرها أو تكونها ثم تطلقها مـن عقالها، وبعدئذ توجهاالىحيث تريد..

وان اعصارا متوسـط القوة يهب بأحد المحيطات بامكانه ان يسحب قدرا من طاقة المحيط تزيد قوتها علىالف ميجاطن أو ما يوازى ثلاثة اضعـاف أشد القنابل النووية المعروفة تدميرا .. ونفس الشىء يمكن حدوثه بالنسـبة للزلازل والتى تقاس شدتها من ١ الى ١٢ درجة ..فزلزال ذو قوة مقدارها ٩ درجات تتوازى طاقته التدميريةبما يوازى أربع قنابل نووية !

ولقد استخدم بالفعل سلاح الامطار فى حروب فيتنام ولاوس وكمبوديا عن طريق رش السحب بمواد يوريد الفضة والثلج الجاف ، ممـا يؤدى الى ادماج السحب معا واسقاطها الامطار بغزارة.. وقد استهدفت المحـاولات الاولى لاسقاط المطر صناعيا توفير المياه فى الاراضى التى تعتمد على رى الامطار او تحويل بعض الصـحارى الى اراض زراعية خضراء ...

وقد جرب اسقاط الإمطارالصناعية بنجاح فى مناطق الصحراء الاسترالية ومناطق زراعة القصب بالفيليبين.وفى عديد من صحارى امريكا والاتحـاد السوفييتى ... وفضلا عن الفـائدة

ومن العلم ما قتل

العلمية لاسقاط الامطار بوسيلة الرش بالمواد الوسيطة ، فان استخدام أسقاط الامطار للاغراض الحربية يعد امرا بالغ الخطورة ، فهو يؤدى الى افساد المحاصيل وتجميع السيول التي تتسبب في فيضان الانهار واغراق الاراضى وهلاك الانسان والحيوان ... ويعني التحكم في اسقاط الامطار بمناطق معينة ، حرمان مناطق اخرى من هذه الأمطار التي كانت تتساقط عليها طبيعيا ، فتتحول الى مناطق قحط وجفاف بعد ان كانت مناطق خضرة وثمار ! ...

والعواصف العاتية بما تجلبه من تراكمات السحب لا تعنى الامطار فحسب، وانما يمكن استغلال الطاقات الكهربائية الكامنة في السحب بتسليط صواعقها على المدن والقرى المأهولة مثلها مثل المناطق العسكرية ... كما يمكن استخدام شحنات الامواج تحت الصوتية لاصابة الاهداف البشرية بأمراض لم تعرف قبلا مثل التشتت الذهنى ، واليأس ، والقلق المدمر المؤدى الى الانتحار ! ..

***

كذلك في مقدور التكنولوجيا الآن تغيير مسارات الاعاصير – التى تتولد أصلا في المناطق الاستوائية – وتوجيهها الى حيث يراد لها احداث التخريب والدمار ... بل ان الدولتين العظميين تجريان سرا تجارب تكوين هذه الاعاصير لا مجرد توجيهها ! ...

والاعصار بعامة يستمد طاقته من مياه البحر الذى يعبره ، لذلك فان توليد مثل هذا الاعصار صناعيا والتحكم في مساره ، يعني توجيه قوة تدميرية مخيفة توازى من قنبلتين الى ثلاث قنابل نووية للاعصار الواحد! ..

الزلازل أيضا لها دور فعال في الحرب الجيوفيزيائية ... وقد قطعت الولايات المتحدة شوطا بعيدا في هذا المجال عن طريق ماقامت به من تجارب في صحراء نيفادا ، استخدمت فيها التفجيرات النووية لاختبار كيفية احداث الزلازل الصناعية عن بعد ومدى التحكم في آثارها التدميرية ، وبحيث لا تمتد الى مناطق لا يراد الامتداد اليها ! ..

وينتج عن تغيير مفاجىء في قشرة الارض التى تنثنى تحت الضغوط الهائلة فوقها ، ان تتمدد اجزاء من باطن الارض وتتولد موجات اهتزازية تتشعب في أكثر من اتجاه ، وهذا هو الزلزال او الهزة الارضية ... وهناك خمسة احزمة معروفة للزلازل على كوكب الارض ، ابرزها الحزامان الكبيران اللذان يمر اولهما بالمحيط الهادى وتحت مياهه ، وتتعرض له دول قليلة مثل اليابان والشاطىء الغربى لامريكا الشمالية ، لان اغلب مساحات هذا الحزام تحت الماء ..

اما الحزام الثانى فيمر بشمال البحر الابيض المتوسط ويخترق جنوب آسيا الى الصين ، ويعرف بالحزام الاوروبى الاسيوى ... وهكذا فان تصنيع الزلازل يتطلب بكيفية ماتغيير التمدد المرن الحادث في باطن الارض وعلى مساحات مدروسة ومحسوبة ..

وما يقال عن الزلازل يمكن قوله عن البراكين الخامدة التى يعنى اثارتها واحياؤها المزيد من الخراب والدمار للمناطق الموجودة بها ، خاصة وان كل بركان منها يعنى قنبلة موقوته لا يعلم

احد متى يحين انفجارها ! ..

والحرب الجيوفيزيائية تقف على رأس الحروب الخفية التي تستحيل ممارستها في العلن ، ومن ثم يصعب على الطرف المعتدى عليه أن يحدد ما اذا كانت الكوارث التي يتعرض لها من فعل الطبيعة أم انها عمل مقصود ! ..

وربما استغرق التعرف على حقيقة تكوين كارثة ما تتعرض لها البلاد المزيد من الوقت مما يزيد في فاعلية دمارها . و «خير» مثال بين كوارث الطبيعة التي يمكن تصنيعها في الخفاء ما يسمى ب « ثقب أوزون » ، والاوزون طبقة في الغلاف الجوي المحيط بكوكب الارض لها القدرة على امتصاص اكبر قدر من اشعة الشمس فوق البنفسجية ، وهي أشعة قاتلة .. فاذا حدث وتركزت - لا قدر الله - كل طاقة الاشعة فوق البنفسجية دون امتصاص طبقة الاوزون لها - تلك التى صنعها الله لحمايتنا - فان معنى ذلك هو الدمار الشامل لكافة مظاهر الحياة على سطح الارض ! .. ومن هنا فقد اتجهت الانظار اليها ، وكالعادة فكر نفر من العلماء الذين لا يألون جهدا في ابتكار ما يعكر حياة بنى الانسان أو يعمل على ازالتهم من الوجود نهائيا - فكر هؤلاء العلماء في احداث ثقب أو نافذة فى طبقة الاوزون هذه ، فوق الهدف المنشود بمنتهى الدقة ، تسمح بمرور أشعة الشمس فوق البنفسجية واحراق المنطقة التي يفتح فوقها الثقب أو نافذة الهلاك هذه ..

ويصرح العلماء السوفييت بأن لديهم خططا سرية يردون بها فى حالة تعرض بلادهم لهجوم امريكي يتخذ سلاح الجيوفيزياء أداة له .. بأن في مقدور السوفييت اذابة جليد القطب الشمالي ورفع مستوى المياه فى المحيطات ، وبذا يمكن توجيه الفيضانات المدمرة ضد المدن الامريكية وأولها مدينة نيويورك !

ويرد علماء الولايات المتحدة الامريكية بأن لديهم بدورهم خططا أشد فتكا ، وبنفس السلاح الجيوفيزيائي .. بأن يستخدموه لتغيير مناخ الارض الزراعية الروسية وتوجيه ضربة ساحقة الى مصادر الغذاء لدى السوفييت بأساليب مختلفة من بينها الجفاف الدائم ! ..

وتؤكد صحيفة الهيرالد تريبيون الامريكية ان بداية القرن الواحد والعشرين ستكون نقطة التحول فى استخدام حرب البيئة او الحرب الجيوفيزيائية .. وهو تاريخ ليس ببعيد . وعندئذ سوف تكون اكثر الحروب يسرا في اشعالها وادارتها .. وايضا اكثرها رعبا وهلاكا وافناء !

واذا كان الانسان القديم قد ارعبته قوى الطبيعة الغامضة وظل يخشاها حتى عبدها ، وطالما سجد الانسان في الازمنة السابقة للرياح الغاضبة ، وطالما تعالت صلواته تحت بريق الصواعق وهدير الرعود .. بل ان رماة الاقواس في شمال اوروبا اعتادوا أن يطلقوا سهامهم ضد السحب المنذرة بالعاصفة لصد اخطارها التى تطلقها القوى الشريرة ..

حتى جاء انسان العصر الحديث ، بعلومه ومخترعاته وتكنولوجيته المتقدمة .. فعرف كنه ثورات الطبيعة وخبر انواعها ومظاهرها وكافة اساليب طاقاتها .. بل امكنه فى النهاية ان يخضعها ويتحكم فيها - ليس لامنه وأمن جيرانه - ولكن ليهلك بها اخوانا له فى الانسانية .. ●

قصــــة



ضحكة سكرة

• اليفة رفعت •

● لها رنين يهز القلب ، يشعل كهرباء فى جســــدى ، تصاحبها غمزة من عينهـــا الكحيلة توقظ صبوتى .. قالت وهى تمط ذيل ضحكتها وتلصق كتفها الطرى بكتفى بعد مدفع الافطار : «العيد قرب يابو صلاح » ! .

رفعت نظرى اليها فى استنكار ،فهى أعلم بالحال .. وفى الحال ، انهارت حجج التملص فى نفسى ..

لمحت وجه صلاح وفمه يتســـع على آخره فى ابتســـامة مترقبة . . قلت خاضعا : « حاضر ! . باكر اســـافر لبلدنا واحضر من عند أمى سمنا بلديا من الاصلى ودقيقا ابيض فاخرا ! » .

رنت ضحكة سكرة تضىء حجرتنـــا المعتمة بالبهجة ، وقامت تنثنى بعودها اللدن ، فأحضرت الفانوس من فوق الرف وأشعلت شمعته ، ثم ناولته لصـــلاح وهى تهنـــدم بيدها الحنون ملابســـه هامســـة : « العب مع الاولاد حتى السحور ، ليرتاح أبوك ويســـتطيع السفر » .

طرحت ســـاقى فى تكاســـل لذيذ وامسكت بسيجارتى انتظارا للشاى .. وسرعان ماجاءت به ســـكرة ، وما زال طنين وابور الغاز يملأ الاســـماع ... فهمت اشارتها ، فتلقيتها بالشـــوق ، ونسينا الدنيا .

رمت بالماء الســـاخن المتجمع فى الطست من النافذة ترش به الحـــارة قبل عودة صلاح .ولكن العفريت بمجرد رجوعه اطال النظر الى جلبابى النظيف والى شعر أمه المبلول وبرقت عيناه فى استمتاع وكأنه ذاق حلاوة نعيمنا !

تناولنا السحور ، فأدنى بقية الطعام من الشق الذى يسكنه صـــديقه الفأر الصغير الذى بات يمرح بيننا باطمئنان ... ثم اندس بيننـــا على الفراش فى سكون ، وسرعان ما نام فنامت ســـكرة وهى تحتضنه وابتسامة تضىء قسماتها الحبيبة .

خرجت للجامع لاصـــلى الفجر ، ثم مشيت لأصل للشركة فى الوقت المناسب لاقـــوم بعملى فى تنظيف المكاتب قبـــل حضور الرؤساء فى العاشرة .

***

أمى كانت أمنيتها أن ترانى واحـــدا من افنديات المدينة ، فلـــم تســـمح لى بالعمـــل فى الغيط مع أبى ، وانمـــا صممت على أن اتعلم ، ثم ســـعت حتى وظفنى أهل الخير ،فأصبحت من موظفى الدولة وزوجتى بنت بندر بيضاء .

***

خرجت مبكرا من المكتب .. خرجت من المدينة المختنقـــة الى خـــلاء الريف الاخضر ، فغمرتنى راحة عميقة وشعرت بالصـــفاء .. حمـــدت الله على يده الممـــدودة بالخير تنشر الرزق الوفير فى سخاء ، وظللت اختزن فى صـــدرى الهواء النظيف وانا فى طريق عـــودتى السريعة ، وقد وفقت ورجعت احمل على ذراعى سلة بها قدر السمن الشهى ، وعلى ذراعى الاخرى ينام كيس الدقيق النقى ..

سرت على قدمى ، سرت أتفـــادى الحفر وأقفز فوق نتوء البلاط المكسور ، والزلق فوق المياه الناشعة من المجارى واتخطاها بمهارة حرصـــا على سروالى الذى سأرتديه فى العيد .. أبت سيارة فارهة الا أن تطاردنى ناثرة المياه فى وجهى ، مع هذا واصلت سيرى باصرار

فالمكافأة سخية فى انتظارى : ضحكة سكرة حبة القلب •• وفرحة صلاح قرة العين ! •

***

لفظت المدينة آخر لمساتها العنسون فانعقد دخان ابيض كثيف حول السماء الى فوهة بركان يفور فى دوامات مفزعة •• ومع اشتداد القيظ اشتد الزحام وتكاثر الناس كان السكان كلهم خرجوا من بيوتهم • • سد الزحام الشوارع فبدت مرشوقة بالرءوس البشرية تحملق عيونها فى ذهول متجمد • • بعض المحلات المكدسة بالبضائع المستوردة تحترق بفعل لصوص اشعلوا النار ليغطوا سرقتهم - تحترق وستون عربة اطفاء ترشها بالماء الشحيح الذى تستجديه الخراطيم بغير جدوى • **تحترق • ومالى انا؟ماذا يخصنى من الورد البلاستيك والمراتب الكاوتش والنجف الكريستال ؟! كل امنيتى بضع ((شكاير)) من الاسمنت ارمم به المنزل الذى نقطن احدى غرفه ، وقيل انه آيل للسقوط ، كما قيل عن القلب بيوت الحى العتيق انها يجب ان تهدم بسبب المياه الجوفية المختزنة •• مياه مختزنة ولا يستطيعون اطفاء الحريق •• سال عرقى على وجهى المتسخ من لفح الوقود المحترق فى العربات التى تدفق شلالها مع اشارة المرور حتى جف حلقى ، وما زلت أخوض الزحام مدافعا عن خملى اشجع عزيمتى واستجمعها • • بالتسبيح : رحمتك ياللطيف •• لطفك يارحيم •**

زاغ بصرى فى بريق سيارة اتوبيس حمراء رشيقة • وقفت مسمرا من الدهشة • • خالية ؟ غير معقول • • خالية يعنى بها موضع لقدمى الاثنتين وسلمها خال من المتشعبطين • •

ابت اشارة المرور السماح لها بالتحرك وكانها فى انتظارى بأمر من السماء • • تقفزت اليها شاكرا حامدا ، ووضعت احمالى بين قدمى ، وفردت ساعدى اعيد لعضلاتهما المتيبسة المرونة • • كدت اسقط فى وقفتى حين اندفعت السيارة مرة واحدة فى عنف بقوة المحركات الجديدة •• انكببت

أحتضن قدرى الغالية وأفديها بسلامتى • • وصرخ الكمسارى وهو جالس على كرسى مرتفع فوق راسى : ((تذكرة يا أخ)) ! • •

ابتسمت له فى تملق ابله وانا ابحث فى جيوبى حتى اخرجت قرشين ، نظر الى فى تعجب وعاد يصرخ ((هنا تذكرة موحدة كله بعشرة قروش يا سيد)) • • هتفت ((يا خبر • • اذن سانزل المحطة القادمة)) هبش باظافره عنقى ، ودفعنى من ياقتى للسلم وهو يضغط زرا كهربائيا توقف على اثره الاتوبيس دفعة واحدة فى صرير هائل ، طوحنى على ساق سيدة بدنية ترتدى الحداد صرخت فى وجهى كنمر هائج •• انزل وخلصنا ! • •

غمرنى عرق الخجل فمسحت خط الدم النازف من عنقى وانا استنجد برحمة الله التى ادركتنى ومنعها عنى الناس • • ثم احتضنت احمالى مرة اخرى لامشى متمتما فى حلم • • ((اللهم انى صائم)) مشيت ارمق العربات التى انفرست متكدسة مرة اخرى بشماتة فربما اسبقها مع وهن خطواتى ! • •

اقتربت من حينا ، وفجأة وجدتنى فى عاصفة ترابية هائلة • • حارتنا ضاعت • • تحولت الى خرابة هائلة بعد أن انهارت البيوت دفعة واحدة ! •

رميت باحمالى وجريت فى كل اتجاه أنادى •••

تلفت باحثا ، اين ضحكة سكرة • • هل تلاشت الى الابد فى دوى الصراخ؟• أصخت السمع ، برز من خلال الخدود راس امراة ملطخ بالاوحال يحمل سمات ابتسامة مسلوبة الفرحة والبهجة بالحياة • • اهلت عليها الطين فى فزع واستنكار • • ضممت صلاح الى صدرى وجريت به لاهثا •• المدينة •• المدينة تغرق ياصلاح • لنترك بكواتها ينظفون مكاتبهم بانفسهم •• ونعد الى ارضنا الخضراء •• المدينة تغرق ولا فائدة ، تغوص فى الاوحال وضاعت فيها ضحكة سكرة يا صلاح ! ●●

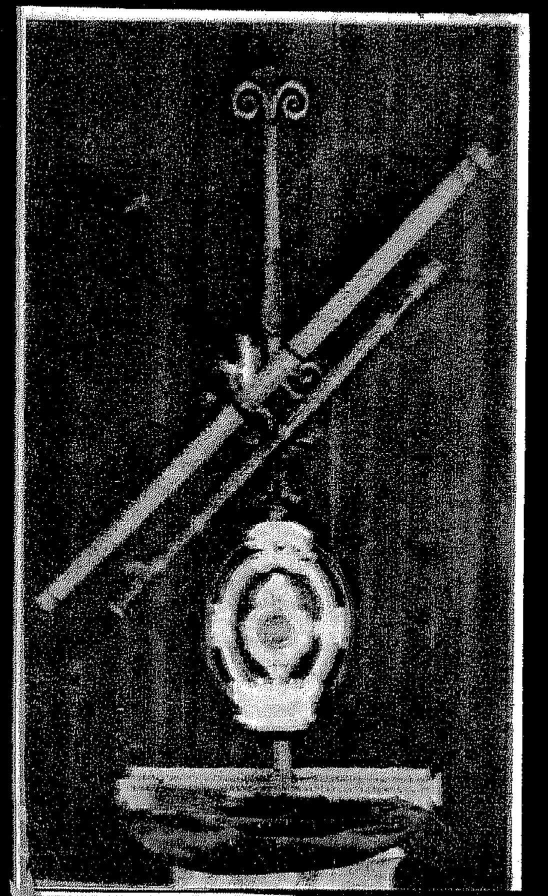


الارض الطيبة : مجال حياتنا الذى تضيئه الشمس ، الأرض تتهادى مسافرة مع قمرها العقيم كما يظهران عندما ينظر اليهما من شهاب « هرمس » عندما مر بهما على مسافة ٥٠٠٫٠٠٠ ميل فى عام ١٩٣٧ .

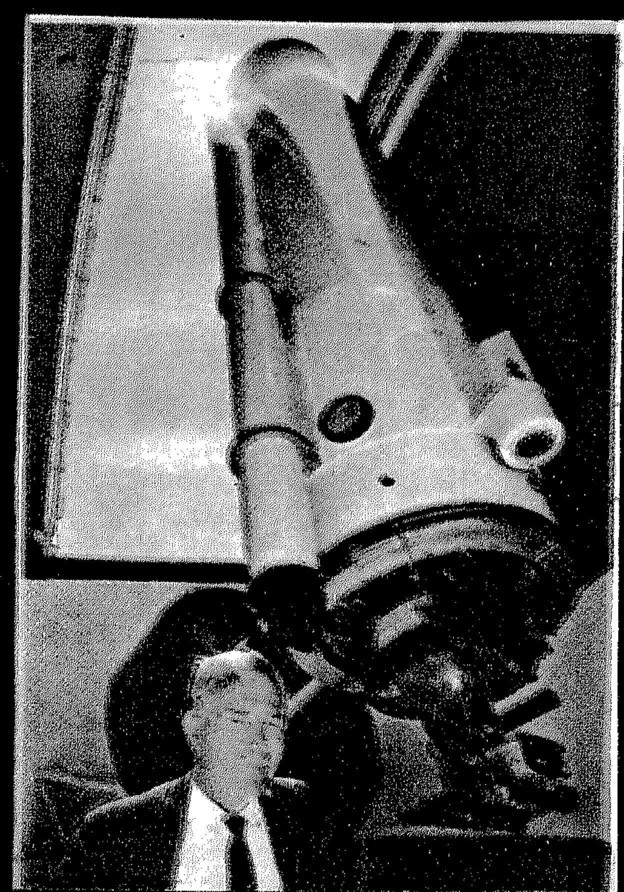
فى هذا الرسم القمر يبدو كبيرا لقربه من هذا الشهاب . هذه الصورة رسم لا تصوير .

منذ بدات رحلات الفضاء ، تغير علم الفلك تغيرا جذريا . اننا الآن امام علم فلك جديد تماما يقوم على المعلومات الدقيقة المباشرة التى تجمعها محطات الفضاء والمركبات الفضائية والاقمار الصناعية والتليسكوبات الاليكترونية . وهذا الاستطلاع الذى اشترك فى عمله اثنان من اعظم المشتغلين بدراسات الفلك والكون يعطيك فكرة شاملة عن معلوماتنا عن الكون اليوم . انهما كينيث ف . ويفر اكبر اساتذة الفلك فى عصرنا ورسام الكون التشيكوسلوفاكى لوديك بيزيك الذى يرسم اجمل وادق لوحات عن الكواكب والنجوم .



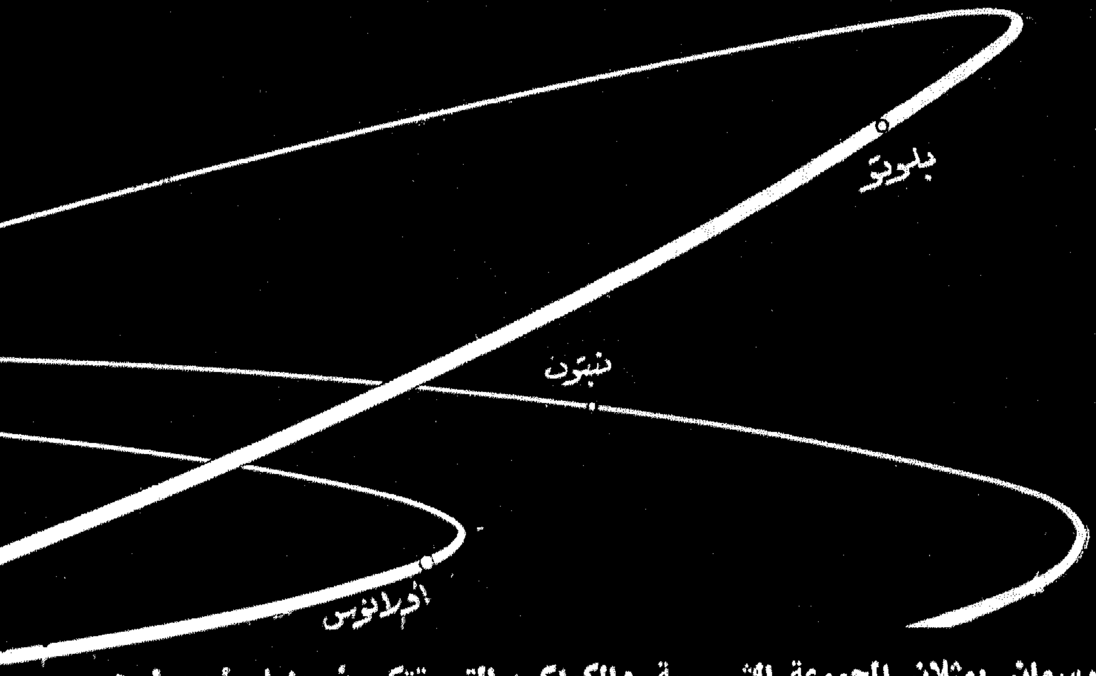


يعتبر جاليليو جاليلى العالم الايطالى منشىء علم الفلك الحديث ، لأنه أول من استعمل المنظارات المقربة ـ التليسكوب ـ فى النظر الى الكواكب ودراستها ، وقد ركب بنفسه التليسكوب ، ومن خلال عدسته ظهرت قبة السماء ونجومها وكواكبها صورة أخرى جديدة ، ومن ذلك التاريخ وهو سنة ١٦٠٨ سار علم الفلك الحديث قائما على الرؤية بالمنظارات والحسابات الرياضية ثم بالرحلات الى الفضاء واجهزة الحساب الاليكترونى • على هذه الصفحة نرى صورة جاليليو والتليسكوب الذى ركبه ثم صورة تليسكوب ضخم حديث يستعمل فى أحد المراصد الامريكية اليوم •

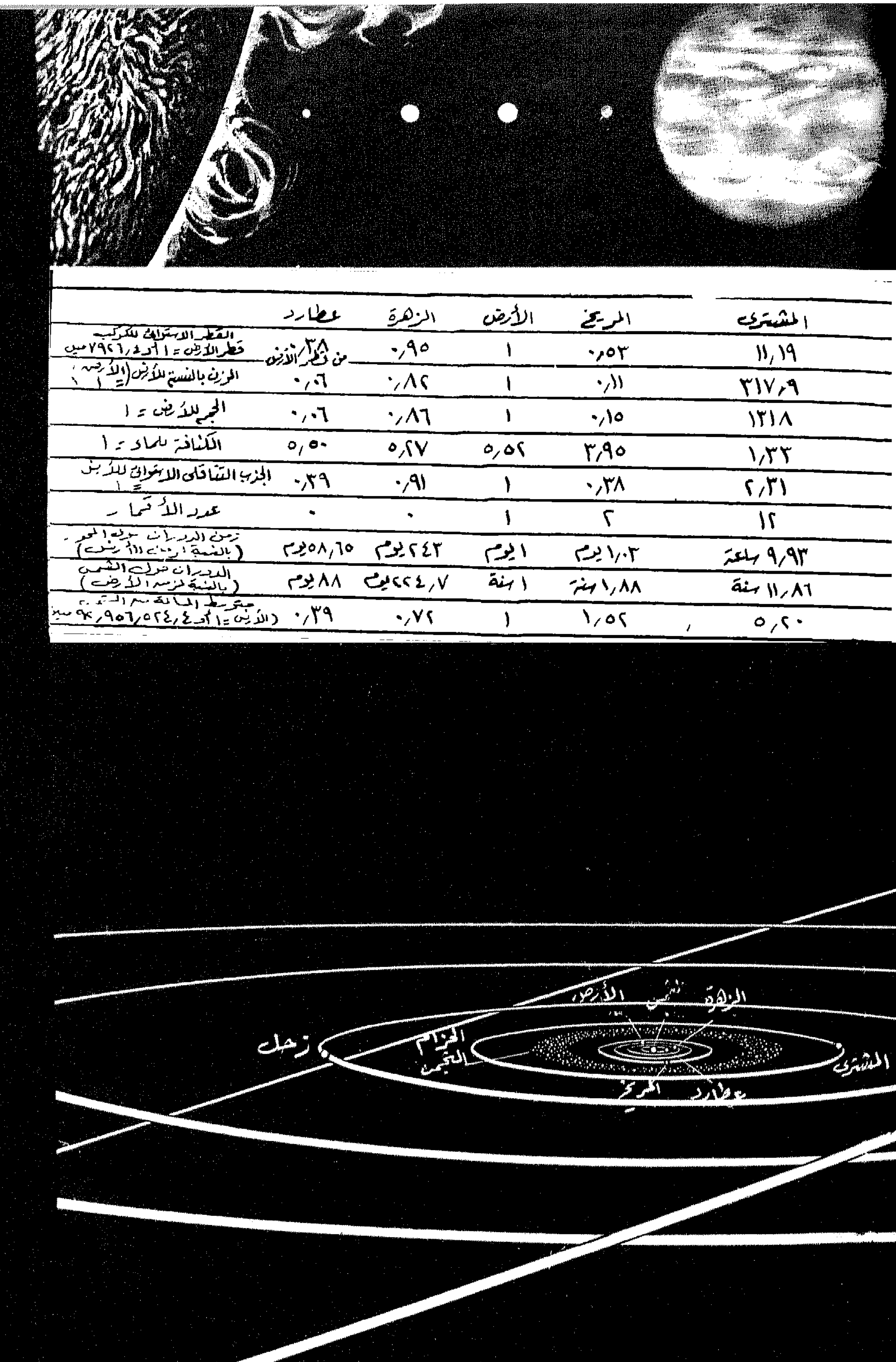


الحجم النسبي للشمس والكواكب

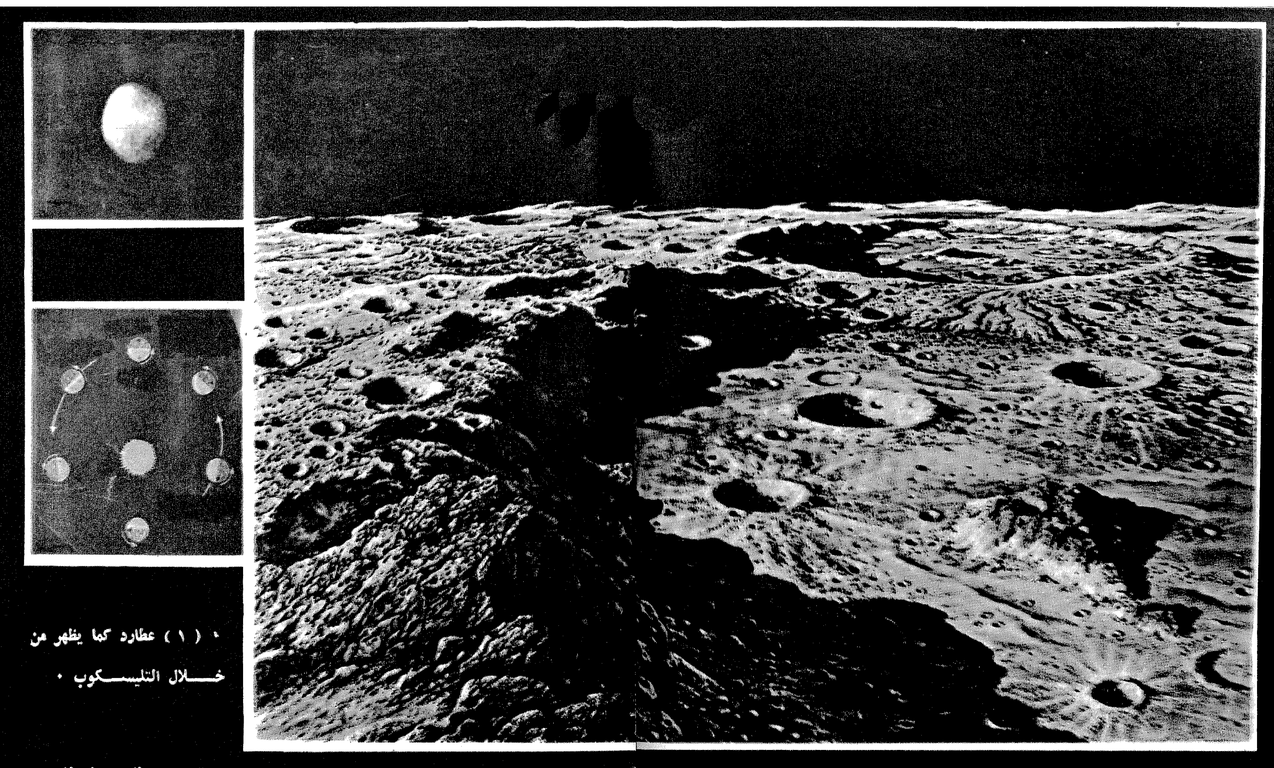
بلوتو	نبتون	أورانوس	زحل
٠,٥ ؟	٣,٩	٣,٧	٩,٥
٠,١٨ ؟	١٧,٣	١٤,٥	٩٥,١
؟	٥٩	٥٠	٧٦٩
؟	١,٦	١,٧	٠,٦٩
؟	١,١	١	٠,٨٨
٠	٢	٥	١٠
٦,٣٩ يوم	١٥,٨ ساعة	١٠,٨ ساعة	١٠,٢٣ ساعة
٢٤٧ سنة	١٦٤,١ سنة	٨٤,٠١ سنة	٢٩,٤٦ سنة
٣٩,٣٧	٢٩,٩٩	١٩,١٦	٩,٥٢



رسمان يمثلان المجموعة الشمسية والكواكب التى تتكون منها بأحجامها بنسبة بعضها الى بعض . والرسم الاسفل يمثل الافلاك التى تدور فيها الكواكب حول الشمس . وبين الرسمين جدول بالبيانات بأحجام الكواكب وأوزانها وأقطارها بالنسبة للارض التى اعتبرناها واحدا كاملا . ومقاييس الكواكب الاخرى اجزاء من هذا الواحد أو مضاعفات له .



	عطارد	الزهرة	الأرض	المريخ	المشتري
القطر الاستوائي للكوكب قطر الأرض = ١ أو ٧٩٢٦,٤١ ميل	٠,٣٨ من قطر الأرض	٠,٩٥	١	٠,٥٣	١١,١٩
الوزن بالنسبة للأرض (الأرض = ١)	٠,٠٦	٠,٨٢	١	٠,١١	٣١٧,٩
الحجم للأرض = ١	٠,٠٦	٠,٨٦	١	٠,١٥	١٣١٨
الكثافة للماء = ١	٥,٥٠	٥,٢٧	٥,٥٢	٣,٩٥	١,٣٣
الجذب التثاقلي الاستوائي للأرض = ١	٠,٣٩	٠,٩١	١	٠,٣٨	٢,٣١
عدد الأقمار	٠	٠	١	٢	١٢
زمن الدوران حول المحور (بالنسبة لزمن الأرض)	٥٨,٦٥ يوم	٢٤٣ يوم	١ يوم	١,٠٣ يوم	٩,٩٣ ساعة
الدوران حول الشمس (بالنسبة لزمن الأرض)	٨٨ يوم	٢٢٤,٧ يوم	١ سنة	١,٨٨ سنة	١١,٨٦ سنة
متوسط المسافة من الشمس (الأرض = ١ أو ٩٢,٩٥٦,٥٢٤,٤ ميل)	٠,٣٩	٠,٧٢	١	١,٥٢	٥,٢٠



فوهات عميقة على سطح عطارد قد لفحتها أشعة الشمس الحارة • ويبدو سطح عطارد مشابها لسطح قمرنا قد نقرته الشهب والنيازك مكونة بذلك هذه الحفر والفوهات ذات الحافات البارزة • وحيث ان عطارد عديم الغلاف الجوى فحرارته تصل الى ٦٥٠ درجة فهرنهيت فى وجهه النهارى وتصل الى ٣٠٠ درجة فهرنهيت فى الوجه الآخر •

• (١) عطارد كما يظهر من خلال التليسكوب •

(٢) دورة عطارد حول الشمس اثبت الرادار ان دورته حول محوره تستغرق ٥٩ يوما ارضيا (لاحظ النقطة التصورية) ، ودورته المدارية تستغرق ٨٨يوما•

● أقدم علماء الفلك هم الرعاة ، أولئك الناس البسطاء الذين يرسلون قطعان أغنامهم فى السهول والمروج ويستلقون على ظهورهم يتأملون قبة السماء فوقهم والزمن يمضى من حولهم دون حساب . بحكم العمل أصبح الرعاة هواة الكون ، فهم أول من جلس فى الليل يراقب حركات الكواكب والنجوم ، ولا تتبدى الكواكب والنجوم فى اجمل صورها الا فى الليل أو فى ساعات الغروب والشروق ، لان الشمس بنورها الباهر تغطى نور اى كوكب آخر بالنهار ومع ذلك فان من بين علماء الفلك القدامى من استطاعوا بالعين المجردة فى الايام الصاحية واعتمادا على معلومات الرعاة استطاعوا أن يرقبوا معظم كواكب المجموعة الشمسية ويجمعوا عنها معلومات طيبة اصبحت أساسا لعلم الفلك فى العصور الوسطى .

كان هذا العلم يقوم على مراصد لا تعرف العدسات المكبرة ، وانما كانت تقام على المرتفعات فى نواح تتميز بصفاء السماء فيها ، أو بما كان يسمى برقة الهواء فيها ، أكبر المراصد التى عرفت فى تاريخ العلم العربى أقيمت فى بلد يسمى المراغة فى شمال غربى ايران أيام السامانيين ، وهم أسرة اسلامية ايرانية حكمت ايران خلال القرن الرابع الهجرى ، وقد اشتهر أمراء هذه الاسرة بحب العلم والعلماء والولع بالفلك ، الذى ازدهر فى ظل أمراء هذه الاسرة ، ثم أسرة الغزنويين من بعدهم عاش وعمل كبار الفلكيين العرب من أمثال الفرغانى والبيرونى وقاموا برصد النجوم والكواكب وتأليف الكتب عنها وعمل ما يسمى بالزيجات (جمع زيج) وهو الجدول الفلكى . ومعلومات أولئك العلماء كانت أساسا لعلم الفلك فى الغرب حتى اكتشف جاليليو التليسكوب وهو المنظار القائم على العدسات المكبرة . كان كوبرنيكوس قد تبين بعدسات صغيرة أن الارض ليست مركز الكون ، بل الشمس هى مركز المجموعة الشمسيةوهذا الاكتشاف وضع نقطة النهاية لعلم الفلك القديم والوسيط كله وعلى يد جاليليو قام علم فلك جديد ..

مع تقدم فن صناعة التليسكوب قامت المراصد الحديثة وقام علم الفلك الحديث الذى انتهى من أوائل الستينات عندما بدأ الانسان فى الولايات المتحدة وروسيا يغزو الفضاء عن طريق الصواريخ والاقمار الصناعية والمركبات الفضائية ..

هذه الامكانيات الجديدة التى اتيحت للبشر جعلتنا أمام علم فلك جديد : بدلا من الصور القديمة الصغيرة للكواكب والنجوم اصبحنا نملك صورا رائعة مصورة من مسافات قريبة نسبيا بعدسات غاية فى القوة والتقدم ..

أبسط هذه المعلومات تصورها لك صورة غلاف هذا العدد من الهلال : الارض مصورة من على سطح القمر كما

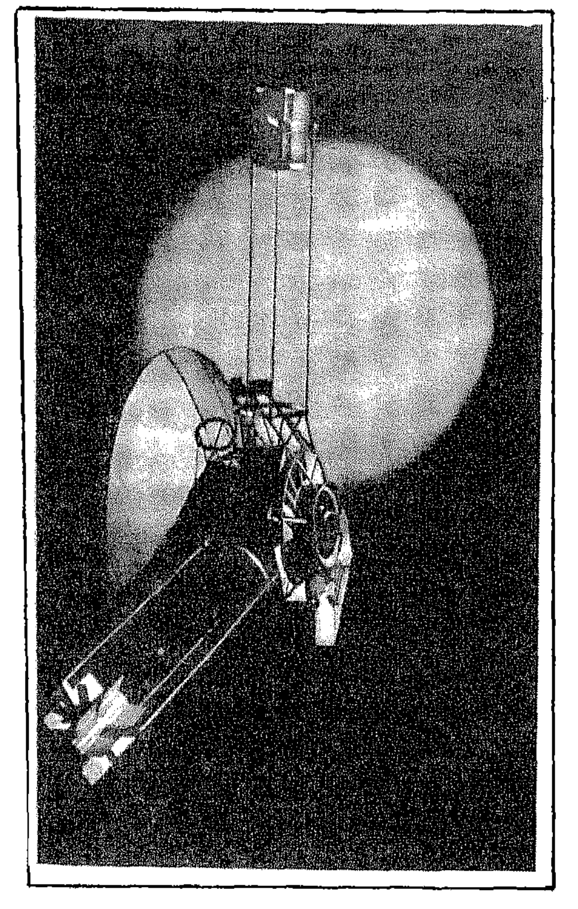
صـــــــورها أولئك البواســل الذين طاروا بالصـــواريخ ونزلوا على سطح القمر وساروا عليه بالاقدام وأتونا بقطع من صخوره وارضه ، ومن القمر صوروا الارض ، فبدت وكأنها قمر ، وحقا انها قمر بالنسبة للقمر الذى أصبح فى هذه الحالة أرضا ، وهو أرض بالفعل ، وهى حقيقة خيبت آمال بعض الشعراء ٠

من مركبات الفضــاء جوبتر ومارينر يكتب العلماء اليـوم علم فلك جديد ٠ من أسف أن روسيا لا تذيع معلوماتهـا الفلكية التى تجمعها مركباتها الفضائية بنفس السهولة أو الكـرم العلمى الذى تفعله المراكز العلمية الامريكية ٠

***

ولقد كنا فى الماضى نشــعر برهبــة الكون العظيم ونحن نتأمل الصـــــور البدائية نســبيا التى تقدمها الينـــا المراصـــد ، أما اليـــوم فان الرهبـة تتضـــاعف نتيجة للمعلومات الدقيقة نسبيا التى نحصل عليها يوما بعد يوم عن الكون بصفة عامة وكواكب مجموعتنا الشمسية بصفة خاصة ٠

اننا نعرف اليوم عن كـواكب مثـل عطارد والمشترى وزحل الف مـرة أكثر مما كنا نعرف فى الماضى ، وعلمنا هذا الجديد يقوم على صور وأفلام واضحة الى حد بعيد وعلى تحليـلات للأطيـــاف الضوئية الصادرة عن هذه الكواكب ، بل ان كوكبا شـــاسع البعد عنا مثـل أورانوس يبدو لنا اليـــوم قريبـا من



مركبة الفضاء « بيونير »
بالقــرب من المشـــترى

الارض كأنه القمر الذى أصبح بالفعل جزءا من الارض وامتـــدادا لها ، فنحن نسافر اليه ونعود منه ونأخذ قطعا من حجارته وقبضات من ترابه ، وقد وقف ناس من الارض على حافات فوهـــات حفره الهائلة ، التى طالما حيرت الاذهان٠

فى هـــذا الاستطلاع تركنا الصور والرسوم تتحدث بنفسها لانها أبلغ من كل مقال ، وقد اخترنا مجمـــوعة من الصور والرســـوم الحديثة تؤكد لك بالفعل أننا أمام علم فلك جديد ٠ ●

● د ٠ حسين مؤنس ●

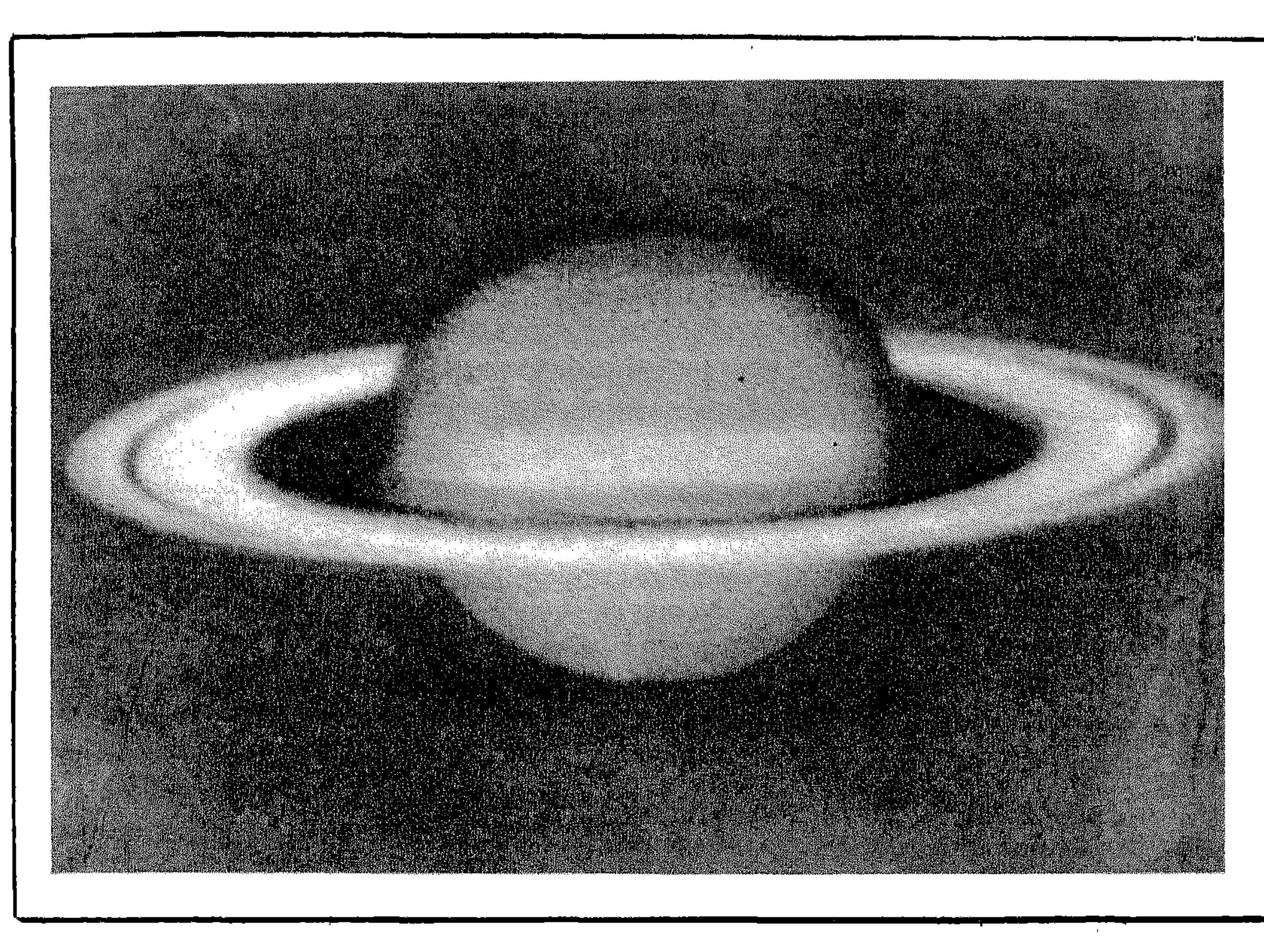


جحيم السماء فى كوكب الزهرة الذى يغلى بالفوارات الساخنة والحمم • وفى الواقع لا يمكن رؤية هذا المنظر حتى لو كنت على سطح الزهرة لأن الغلاف الجوى له أكثف من غلاف الأرض بمئات المرات •وهذا الغلاف يحجب الرؤية كالضباب •

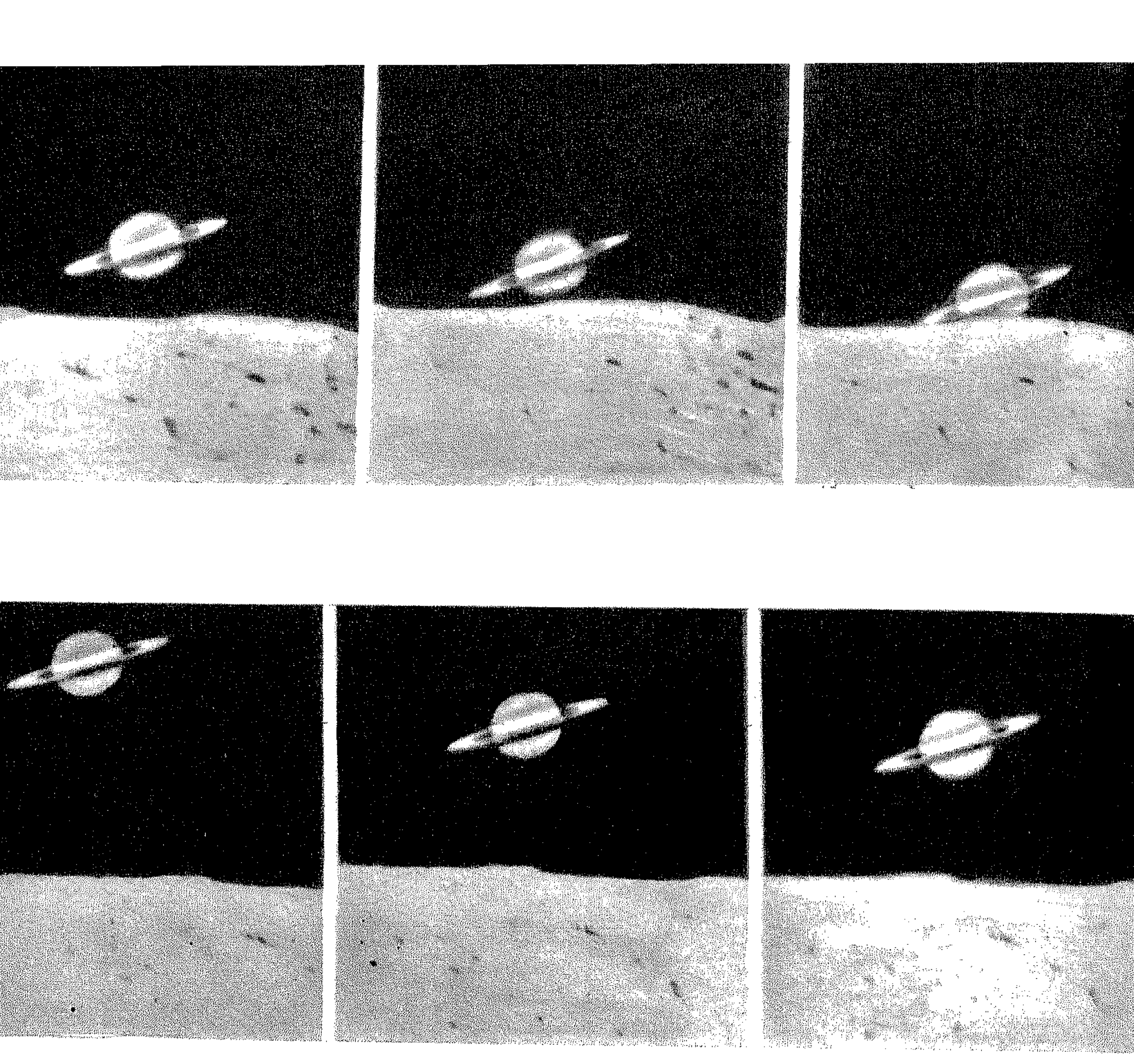
كوكب الزهرة لا يناسب الحياة حيث ان الحرارة على سطحه حوالى ١٠٠٠ درجة فهرنهيت تحت غلاف من ثانى اكسيد الكربون الذى يحجز الحرارة مثل « الصوبة النباتية » •

يظهر الزهرة لنا كنجمة الصباح ونجمة المساء المعروفتين •

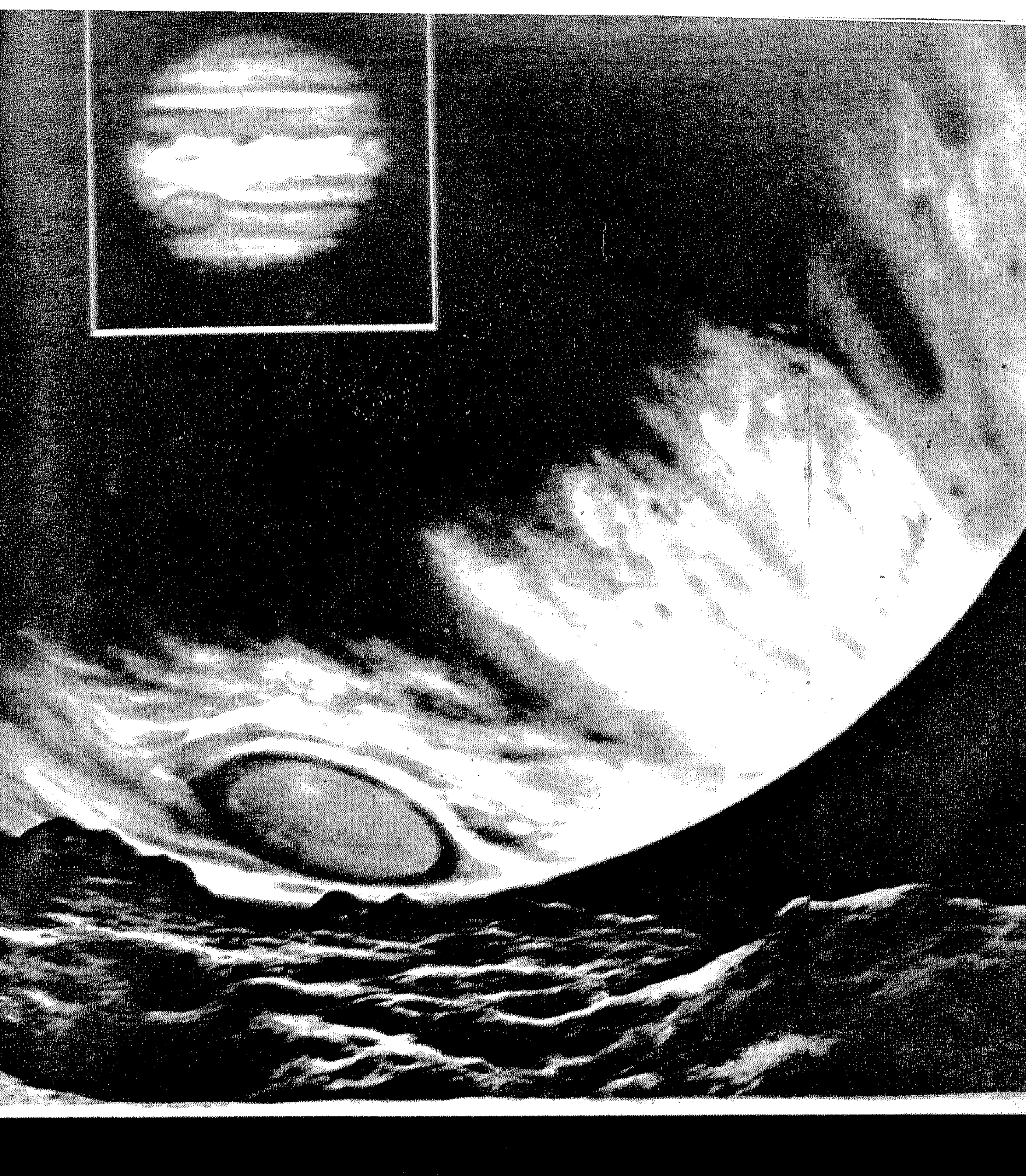
والصوبة هى الغرفة الزجاجية التى تزرع فيها بعض النباتات •



كوكب زحل يلمع بهالته الجميلة الصفراء عند الغسق وهو يبعد عن الشمس بحوالى ٩٠٠ مليون ميل ٠ فى هذه الصورة التى التقطت عام ١٩٦٨ تظهر حلقتان تلمعان بوضوح ، وتفصلهما فجوة تسمى « فاصل كازينى » ٠ فى عام ١٩٦٩ اكتشفت حلقتان ثالثة ورابعة الى الداخل وهما رفيعتان وخافتتان جدا ٠



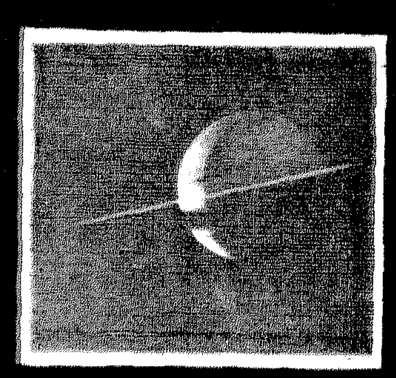
كـوكب زحـل يشرق على أفق « قمر الأرض » ـ من اليمين الى اليسار ـ فى تتابع مدهش كما صور من خلال تليســكوب ٢٤ بوصة • ومع حركة القمر يبدو المريخ ككرة القـــدم المقذوفة عبر سطح القمر •



تيارات السحب المثيرة تكتسح كوكب المشترى مكونة دوامات حـول « البقعة الحمراء الضخمة » كما صورت عام ١٩٦٦ • انبعاج مسـتوى الاستواء يدل على سرعة دورانه التى تبلغ مرة كل ٩ سـاعات و ٥٥ دقيقة •

الأحزمة الدوامة للغلاف الجوى تتكون أساسا من الأمونيـا المتجمدة والسائلة ، وهى تغير شكلها ولونها •

رسم يوضح سبب تكون حلقات زحل
التي يفترض انها تتكون من اسطوانات
من الثلج الجاف او قطع الصخور
المغطاة بالثلج الجاف



كوكب زحل
وحلقاته الرقيقة

(١) صورة للمريخ رسمها
العالم الهولندى هيجنز
سنة ١٥٧٢ ٠

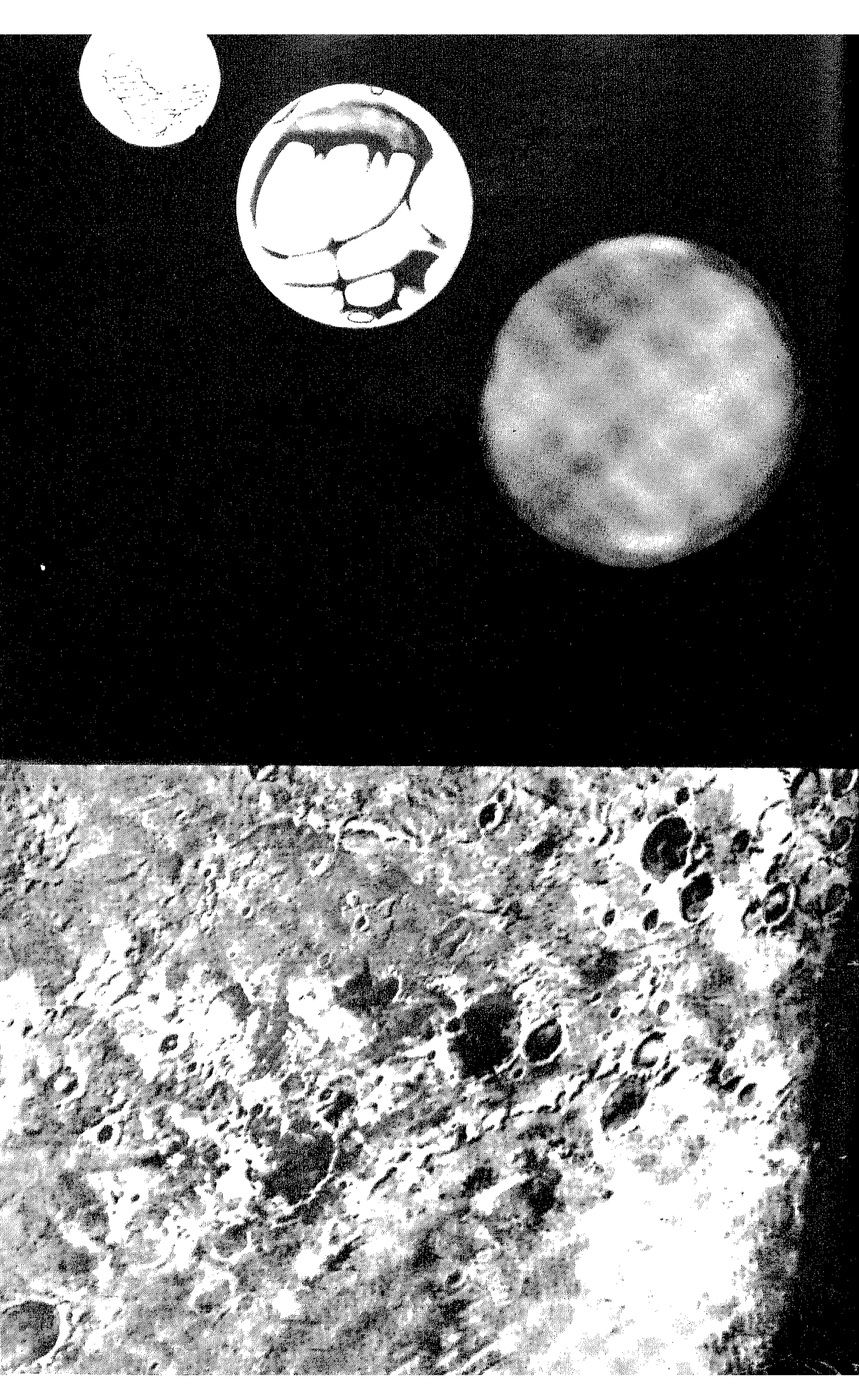
(٢) صورة للمريخ رسمها
الفلكى الايطالى سكياباريللى
عام ١٨٨٦ ٠

(٣) صورة فوتوغرافية
للمريخ بواسطة تليسكوب
٦ بوصة ـ عام ١٩٦٩ ٠
لاحظ المناطق القطبية ٠

المريخ كما رآه الفلكيون عبر القرون

رأى العالم الايطالى سكياباريللى أن الخطوط تمثل قنوات حفرتها مخلوقات ذكية ٠ ولكن ثبت عدم صدق ذلك ٠

اما سفينتا الفضاء الامريكيتان مارينر ٦ و ٧ فقد أثبتتا فى منتصف عام ١٩٦٩ وجود فوهات ومناطق مظلمة مرتبة فى خطوط توحى بمظهر القنوات ٠

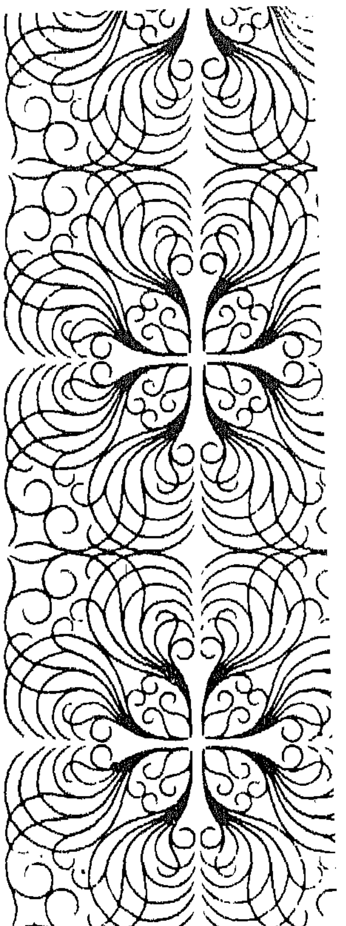


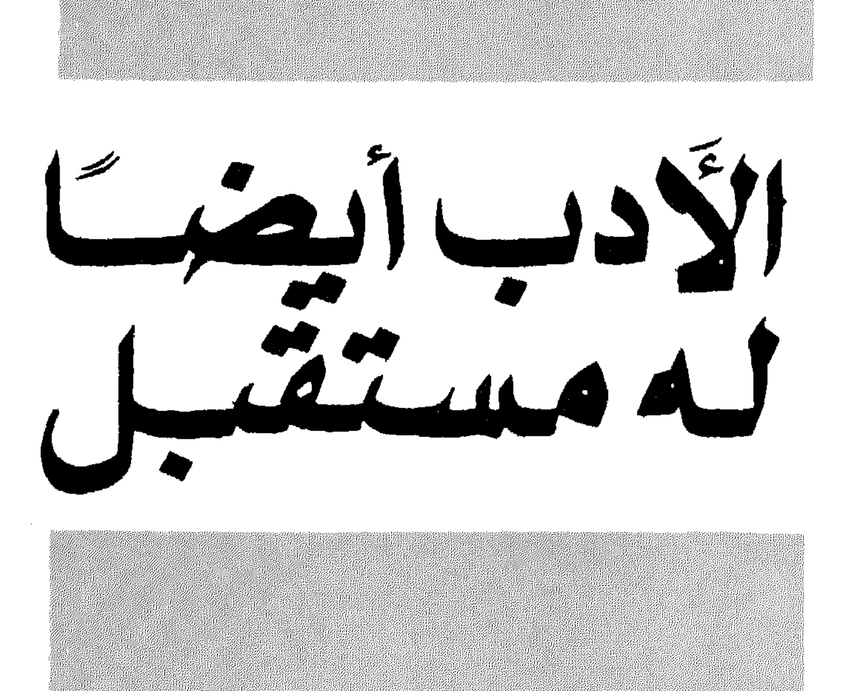


خطوات أخرى فى الطريق إلى الغد

هذا الشهر يبدا موسم الدراسة والثقافة والفن فى مصر والعالم كله . ابناؤنا يستعدون لمواصلة الدراسة فى الجامعة وغير الجامعة ليقطعوا خطوة اخرى فى الطريق الى الغد ، وهذه الطالبة الحلوة التى اثقلت نفسها بالكتب رمز على الآمال التى تعمر قلوب الشباب وتدفعهم فى طريق الغد ومن خلفها صاحبتها بكتبها ايضا ولكن وجهها لا يحمل ابتسامة الفرح والتفاؤل وانما صمت الحيرة فى شأن الغد .. ماذا يخبىء لها يا ترى ..

ننشر هذه الصورة فى عدد اكتوبر فى مستهل الموسم الدراسى ، ننشرها دعوة للشعراء لكى يقولوا اشياء فى معانى الغد والدراسة والكتب والجامعة والشباب ..





الأدب أيضاً له مستقبل

● منى مؤنس ●

● كل عام فى مثل هذا الموسم من السنة ، دخل الالوف المؤلفة من شباب مصر امتحان الثانوية العامة وقلوبهم مليئة بامل واحد ، هو أن يحصلوا على مجموع يفتح لهم ابواب كلية من الكليات ليفوزوا منها بشهادة يثبتون بها لمن حولهم ــ فى تصورهم ــ انهم مثقفون ومتعلمون .. وفى اعتقادهم ان هذه الشهادة تجعلهم فى مستوى راق رفيع لا يفضلهم فيه أحد ، ففى يومنا هذا يعتقد الناس ان الشهادات تحدد اقدار الناس ، ويظنون انها دون غيرها كفيلة بان تضمن لهم احترام الناس .. هذه احدى أوجه النظر الشائعة التى من الممكن اعتبارها سليمة فى حد ذاتها لان التعليم فعلا يعطى فرصة للشخص لكى يحقق الكثير لنفسه ولمن حوله وبالذات لوطنه ، على شرط ان يأخذ الشخص المسألة بالجدية اللازمة وأن يعطيها الاهمية والاحترام الكافيين .

وبعد انتهاء امتحانات الشهادة المذكورة اذن يبدأ الطلبة فى انتظار النتيجة التى يتوقف عليها ــ فى ظنهم ــ كل مستقبلهم . فمن أجل تحقيق هذا الحلم ــ أى دخولهم الجامعة ــ بذل الكثير من هذا الشباب ــ وأهاليهم معهم ــ جهدا ووقتا وأعصابا ومالا ، لا يقاس مداها بالكلمات .

***

وفى الفترة ما بين انتهاء آخر امتحان فى الثانوية العامة وقبل اعلان النتيجة يسترسل كل من أولئك الطلبة فى أحلام تدور حول المجموع الذى يتمنى أن يحصل عليه ، والكلية التى سوف يلتحق بها ، وينسى نفسه فى أحلام لا نهاية



مجموعة من الطالبات فى مكتب التنسيق ... حالة حيرة وامل المستقبل .

لها ... وفجأة يدق قلبه عندما يقرأ فى احدى الصحف اليومية ما نقرؤه كل عام .. وكذلك فى العام الحالى ــ وهو عنوان نشر فى جريدة « الاهرام » فى يوم الثلاثاء الموافق ٣١ من يوليو ١٩٧٩ :

« نتيجة الثانوية العامة تعلن خلال ٤٨ ساعة »

« تعلن خلال الـ ٤٨ ساعة القادمة نتيجة امتحان شهادة الثانوية العامة بقسميها العلمى والادبى فى قطاعاتها الادبية بالقاهرة والاسكندرية والمنصورة واسيوط . وتم اعداد النتيجة للاعتماد من الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التعليم .

« وعلم مندوب الاهرام أن نسبة النجاح هذا العام ستصل الى حوالى ٦٣٪ فى القسم العلمى (بشعبتيه) و ٥١ ٪ فى القسم الادبى » .

وقراءة هذا الخبر تعيد كل طالب الى حقيقة الواقع ، ويرجع من أحلامه الى الحياة اليومية ، ويبدأ الخوف ويبدأ نبضه يسرع ويبدأ أهله ومن حوله يزيدون هذا الخوف والقلق ، فالاغلبية العظمى لها أمل واحد كبير وهو الالتحاق باحدى الكليات التى قيل لهم ــ بل اقنعوهم ــ بأنها ستفتح لهم جميع أبواب المستقبل ، وهى كليات الطب أو الهندسة أو الاعلام أو السياسة والاقتصاد وذلك ــ فى معظم الاحيان ــ بصرف النظر عن ميولهم الذاتية ومواهبهم الفردية التى غابت عن أذهانهم فى غمار الاحلام .

ويبدأ شباب الثانوية العامة متابعة قراءة الصحف اليومية بحرارة كما لم يفعلوا طوال مدة دراستهم فى المدارس . ويستمر نشر أخبار نتائج الثانوية العامة ..

ونشر على سبيل المثال فى اليوم التالى خبر زاد درجة العصبية والتوتر فى جميع المنازل التى تضم شابا أو شابة على وشك دخول الجامعة :

الاهرام : الاربعاء ١ من أغسطس ١٩٧٩ :

« اعلان نتيجة الثانوية العامة اليوم . النسبة العامة

للنجاح فى القسمين ٦ر٥٨٪
« تعلن فى الثامنة من صباح اليوم نتيجة شهادة الثانوية العامة هذا العام .
و « ستذاع فى جميع المدارس .. حيث غادر القاهرة مساء أمس مندوبو ادارة الامتحانات ومعهم نسخ من النتيجة لتسليمها الى مديرى التعليم بالمحافظات .
« وسوف تبدأ اذاعة الشعب فى اذاعة أرقام جلوس الناجحين فى الساعة الثامنة من صباح اليوم . بلغ عدد الناجحين ٨٢٤ ر ١٢٨ طالبا وطالبة » .

وهنا يصل توتر الاعصاب الى مداه ويعم القطر كله ، وتفتح أجهزة الراديو على محطة « اذاعة الشعب » بينما يجلس بعض أفراد عائلات الشبان أمام وحول أجهزة الراديو فى وجل وصمت ، ويجرى غيرهم الى مقر المدرسة ليسأل عن نتيجة ابنه أو أخيه أو قريبه أو مجرد صديقه ، وكل ذلك بعد أن يكون الجميع قد صلوا الفجر فرضا وسنة ، وكأن مجرد هذه الصلوات سوف تصلح الحال وترفع المجموع !

المهم أن الجو فى هذا الصباح يوحى تماما بأن أهم ما فى الدنيا بل ليس فى الدنيا مشكلة أو شىء يستحق الاهتمام الا نتيجة هذه الثانوية العامة !
ثم يعلم كل طالب مجموعه . تستريح قلوب الكثيرين وتتحطم أحلام وآمال الاخرين وبالذات الراسبين منهم لانهم يذوقون ـ وربما لاول مرة فى حياتهم ـ الاهانة التى يتصورون انها الاهانة الكبرى لانها علنية ولن يستطيعوا اخفاءها ، بل يحدث لكثير من هؤلاء الراسبين انهم يلامون من اهاليهم لدرجة أن بعضهم يفقد ثقته بنفسه لمدة طويلة بسبب كلام جارح ومؤلم ومهين لم يكن هناك داع له . فالانسان ، مهما كان صغيرا فى السن ، يشعر بآلام رسوبه شعورا كافيا ولا يحتاج أحد أن يفكره به .

المهم ، يستمر الناجحون فى الشهادة « المصيرية » فى تتبع أخبارهم فى الصحف . وفى اليوم التالى نشرت جريدة « الاخبار » فى يوم الخميس ٢ من اغسطس ٧٩ :

«الاثنين القادم يبدأ مكتب التنسيق للقبول بالجامعات»
ويجرى الناجحون الى مكاتب تنسيق القبول لتصرف لهم أوراق الالتحاق بالجامعات . وتتوالى تعليمات وزارة التربية والتعليم نشر الاجراءات التى يجب أن يقوم بها الطلبة ، ثم تزود قراء الصحف اليومية بأخبار تتعلق بنتيجة ما جعلناها فى مصر أهم شهادة فى الحياة ، وذلك كما يلى :

الاخبار : الجمعة ٣ من اغسطس ٧٩ :
« الجامعات تقبل ٦٦ ألف طالب »
الاهرام : الاحد ٥ من اغسطس ٧٩ :
« القبول بالجامعات :
مكان للحاصلين على ٦٢ ٪ علمى و ٥٣ ٪ أدبى »

الاهرام : الاحد ٥ من أغسطس ٧٩ :
« قبول ٣٥ الف طالب بالمرحلة الاولى » .
الاهرام : الاثنين ٦ من اغسطس ٧٩ :
« ٧٠ الف طالب وطالبة تقبلهم الجامعات هذا العام »

و « من المنتظر قبول ٤٤ ألفا من القسم العلمي بشعبتيه و ٢٢ ألفا من القسم الادبي » ..

***

وهكذا تتوالى الاخبار في نفس الوقت الذي يقدم كل طالب على حدة ـ ويتم ذلك دائما بوجود أهاليهم معهم ـ كتابة رغباته على أوراق الالتحاق بالجامعات . وأعود وأقول دائما لان معظم أهالي هؤلاء الطلبة يجدون انه من حقهم أن يسهموا في ملء هذه الاستمارات ويحولون « رغبات » أبنائهم الى اتفاقيات ثلاثية يشترك فيها الطالب برغباته وميوله التي يضطر أن يصرف النظر عنها أحيانا ارضاء لرغبات الوالدين اللذين ينظران دائما الى المجالات التي ستفتح لاولادهم فرصا أكبر للعمل والاستقرار المادى ، واحيانا يكون دافعهم الاول هو الرغبة في التعالي على نفر من أصدقائهم الذين حصل أولادهم على مجموع أقل . ويرى الوالدان ان من حقهم تقرير مستقبل اولادهم لانهم ضحوا معهم ثم انهم يحسبون دائما انهم أعرف بشئون الدنيا منهم .

تكتب اذن الرغبات ـ أى قرارات الاجتماعات الثلاثية التي ذكرناها . فبالنسبة للحاصلين على مجاميع عالية تكتب كرغبات أولى كليات الطب أو الهندسة أو الاعلام أو السياسة والاقتصاد كما ذكرنا ، وذلك حسب الشعبة التي انتمى اليها الولد أو البنت . ويتم ذلك بدون تفكير وكأن الله سبحانه وتعالى كتب للمجموع الكبير أن يدخل بلا مناقشة في هذه الكليات وكأنه قدر لا مفر منه ومن الجنون أو البلاهة ألا يفعلوا هذا .

ثم تأتي بعد ذلك كليات أخرى تعتبر ذات مستقبل لا بأس به ايضا مثل كليات التجارة والحقوق والعلوم . فتضاف اذن الى الرغبات . أما هؤلاء الذين حصلوا على مجاميع منخفضة فليس امامهم الا ان يقصروا رغباتهم على كلية الاداب . فيكتبونها وهم مغلوبون على امرهم ومنزعجون الى حد كبير . وهذا هو شعور معظم الطلاب ، أما الطالبات فيتغلبن على الموقف أسرع ويقلن لانفسهن ان كلية الاداب قد تكون جميلة للبنت لانها في آخر الامر ستتزوج فمن الجيد أنهاتكون حاصلة على شهادة ـ أى شهادة ـ تستطيع ان تتوظف بها في أى مكان يقرر لها بعد ذلك عن طريق وزارة القوى العاملة .

ويا للأسف كم هم مخطئون في تفكيرهم هذا ، وكم هم ظالمون لكلية الاداب بفروعها المختلفة ، لانهم ينسون انه عندما تزول قيمة كلية الاداب نهائيا ، وعندما يصبح بالفعل كل من يلتحق بها يندب حظه ويدخلها رغم ارادته ويشعر انه أقل موهبة وذكاء من الذين التحقوا بكليات أخرى ـ عندما يحدث ذلك بالفعل ستكون مصر فقدت الكثير من ناحية التوازن الحضارى ، فأهمية الاداب بالنسبة لحضارة كل شعب كأهمية العلوم تماما ، فالاولى تكمل الثانية كما يتكامل الاوكسوجين والازوت ليتألف منهما الهواء الذي نتنفسه . ثم ان هناك شيئا آخر هاما جدا يغيب عن أذهان الكثيرين وهو أن أقسام اللغات على سبيل المثال **تفتح امام الشباب ابوابا واسعة للمستقبل الزاهر لان بلادنا في حاجة ماسة الى من يتقنون اللغات الاجنبية ، والطلب على المتمكنين منها شديد ، اذ انهم هم الذين يمثلون همزة الوصل بين مصر والعالم الخارجي .**

فاذن يكون دخول كليات الاداب ـ واقسام اللغات خاصة ـ خيرا كبيرا لاولئك الذين يدخلونها عن أيمان بها ومعرفة بقدرها واستعداد طبيعي لها وثقة بفائدتها والوظيفة الكبرى التي تقوم بها للوطن . ●●

وقفة مع شاعر أمريكي معاصر

چيمس ديكي وعمق الحياة

● د . سليم الاسيوطي ●

● ولد الشاعر جيمس ديكي في ولاية جورجيا عام ١٩٢٣ ، وما زال على قيد الحياة يتمتع بالنشاط والانتاج الوافر والصيت البعيد الذى شمل جميع الاقطار التى تتكلم الانجليزية ..

قام بالتدريس فى جامعة فلوريدا ، ومن دواوينه «فى الحجر وقصائد أخرى» عام ١٩٦٠ ، و « الغرق مع آخرين » فى عام ١٩٦٢ ، «اصطفاء» ١٩٦٥ و « بابل الى بيزنطة » ١٩٦٨ . وهو ناقد نشيط يقوم بعرض الشعر وتقديمه فى الصحف والمجلات . ولقد نشرت له مجموعة من المقالات بعنوان « المشبهون فى الشعر » ـ عام ١٩٦٤ .

وجيمس ديكي شاعر يهتم بجمال الاسلوب الذى يساير روح العصر ، وقصائده غالبا ما تتخذ خلفية طبيعية لها من التأملات الصوفية .

انه شاعر العواطف المشبوبة والمشاعر الجياشة والحب الصوفى الطاغي وديوانه « قصائد » الذى نظمه فى الفترة ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧ يغطى موضوعات أكثر شمولا وأرحب آفاقا من الناحية الاجتماعية ، وكذلك ديوانه « قصف النيران » و « مساكن الفقراء » .

أما دواوينه : « طرائد العين » ، و « دماء » ، و « النصر » و « جنون » و « رحمة باكهيد » التى ظهرت فى عام ١٩٧٠ فانها تعكس تطورا هائلا فى شعره ، فى الشكل واللغة ، كليهما .

أما روايته « الخلاص » التى ظهرت فى عام ١٩٧٠ ، وتدور حول رحلة قارب فى جورجيا فانها تحمل فى ثناياها معنى أخلاقيا عميقا ، غير معناها الظاهرى ـ ولقد حظيت بتقدير النقاد والقراء وبلغت قمة الرواج والانتشار .

ان تطوير فن جيمس ديكي عند معالجة موضوع الصلات التى تربط بين الانسان والحيوان ، أمرا جوهرى فى شعره ..

وارتباطه بعالم الحيوان لم يتخذ قط أداة لصناعة الشعر عنده ، فهو يصر دائما على استشفاف أبعاد الحياة عند الحيوان ، اذ أن تجربته فى الصيد ، مثل تجربته فى الجندية ، تسبق من حيث الزمن اشتغاله بنظم الشعر ، بسنين كثيرة ..

وبحث جيمس ديكي عن « ذاته » يتحقق دائما من خلال الاتحاد بـ «المقابل الآخر » سواء أكان هذا « الآخر » هو « الطفل » أو « الرجل » أو المرأة ، أو حتى فى شكل الحيوان وصورته .. وخير ايضاح لهذا هو قصيدة « جنة الحيوان » :

Here they are. The soft eyes open.
If they have lived in a wood
It is a wood.
If they have lived on plains
It is grass rolling
Under their feet forever.

Having no souls, they have come,
Anyway, beyond their knowing.
Their instincts wholly bloom
And they rise.
The soft eyes open.

To match them, the landscape flowers,
Outdoing, desperately
Outdoing what is required:
The richest wood,
The deepest field.

More deadly than they can believe.
They stalk more silently,
And crouch on the limbs of trees,
And their descent
Upon the bright backs of their prey

May take years
In a sovereign floating of joy.
And those that are hunted
Know this as their life,
Their reward: to walk

At the cycle's center,
They tremble, they walk
Under the tree,
They fall, they are torn,
They rise, they walk again.

ها هى هنا ، تحدق الاعين الصافية
اذا ما عاشت فى غابة
فهى غابة
اذا ما عاشت فى السهول
فهى الحشائش المنبسطة
تحت أقدامها الى الأبد !

●

جاءت الى الحياة ولا أرواح لها ،
ولكن هذا يفوق ادراكها ،
غرائزها جميعا تتفجر
فتبعث حية
وتتفتح الأعين الصافية .

●

تزهر البرية ، لكى تجد ما يلائمها
تتفوق ، مفرطة
تفيض على عالمها
اكثر الغابات ثراء
وأشد الحقول عمقا .

●

هى أشد فتكا مما يصدقه العقل .
تدب على الأرض متشامخة ، صامتة
تربض على غصون الشجر ،
تنقض من عل
على ظهور فرائسها الزاهية

●

قد تقضى سنوات
فى غمرة سرور عام .
تلك التى يطاردها الصياد
تدرك هذا ، فهو قدرها ،
جزاؤها أن تعدو هاربة !

●

فى صميم دورة حياتها ،
ترتجف وتمشى
تحت الاشجار ،
تسقط وتتمزق
وتبعث وتعود تمشى من جديد !

ان قصيدة « جنة الحيوان » عرض كلاسيكي خالص ·فهي تصور الحيوانات في بيئة طبيعية ريفية برية خالصة أجلي عنها أهلها · ويذكرنا هذا الوصف برؤية د · هـ · لورنس الحزينة المبغضة للبشر ، في روايته « نساء عاشقات » ، لعالم « كله عشب ذو موقف جدب » ·

ان جيمس ديكي يرى الحيوانات جميلة أروع ما يكون الجمال ، قاصرة عن الشر · ولكن لما كان العنف وسفك الدماء ضرورة تقتضيها « المخالب والأنياب المكتملة النمو » ، غدت اراقة الدماء ضرورة لهذا الجو الشاعري الذي يملأ النفس راحة ورضا ، هذا الجو الذي « لا يمكن أن يكون الجو ذاته ـ كما هو ، بدون دماء » · فاذا ما فتحت الحيوانات أعينها الصافية ، فهي لا تستطيع الفتك والافتراس ·

ولكن الفرائس تنجو من الخوف والألم ، ما دام الصياد ، والصيد ، يرفلان معا ، « في بهجة طليقة مطلقة » في « وسط دورة حياتها » قاتلة ومقتولة

وتقترب زلفى جيمس ديكي المفرطة هنا ، من الحيوان مثلما يقترب تمجيده لميول الأطفال الصحية ، من الرومانسية اللامعقولة ، فان الرؤية في قصيدة « جنة الحيوان » كما هي الحال في غالبية قصائد ديكي ، تؤخذ على مفهومين اذ أنها توحي بأن الانسان هو الحيوان الفاسد الوحيد الذي يدب على ظهر الأرض ·· فاذا ما اختفى من الوجود بطريقة أو بأخرى ، عادت السعادة القصوى تقائيا الى الظهور ·

ان الرؤية عند هذا الشاعر تجعلنا نتوقع قصائد أخرى من مثل : « الضباب يلف الحيوان » ، تصف محاولة الانسان الصياد الذي يؤهل نفسه ويعدها للدخول من جديد الى « جنة الحيوان » التي أخرج منها ·

ولكي يحقق الانسان هذه الغاية ، يتعين عليه أن يتجرد من كل تلك الصفات الانسانية التي لا تؤهله للظفر بسعادة الحيوان القصوى وغبطته العظمى · ان « الضباب » هو الوسط وهو الوسيط الى هذا التجرد :

في صمت وهدوء الصفاء
يلتهم نفسي الطاهرة حية
سوف ادخل هذا العالم
مثلما يدخل الموتى ·

وبينما تتآكل النفس الطاهرة متلاشية شيئا فشيئا ، يذوب خوف الصياد ، وتختفي جريمته · نعم انه يقتل ، مع ذلك فهو قادر على أن يشعر بالطهارة ·

في قصائد جيمس ديكي المبكرة نرى أعماله في صور شعائر رمزية · فقصيدته « سبرنجر ماونتن » تصور أحداثا قصصية واقعية تترى ، لا تتوقف الا بظهور معجزة ··

وفي قصيدة « سبرنجر ماونتن » تشف أمانته عن أعمق ما يظهر في قصائده الاولى · فعلى الرغم من أن الصياد قد بات هزليا ومضحكا في محاولته المفرطة في أن ينتحل هوية الظبي ـ المحبوب ويتخذ هويته ، فانه قد احتفظ بشخصيته الانسانية ، ولو أنه حينئذ ، يجاوز حدوده الانسانية تجاوزا مضحكا خليقا بالسخرية منه ، في محاولته اعتبار نفسه والظبي شيئا واحدا · انه يظفر بمكافأة ثمينة :

بخطوات قليلة خفيفة في الرقص
لما يغلب أن أكونه ، وعلى أن أكونه
استطيع أن أحيا مرة في حياتي !

ان الدرس الأخير الذي يعيده علينا الشاعر جيمس ديكي في قصائده سوف يكون ، كما يبدو ، حكمة الوجود · فان هذه القصائد تعلمه كيف يجب أن يكون ، ونحن نفترض أنه يتعلم الكثير من محاولاته المستحيلة كما يتعلم من تلك المحاولات الناجحة ·

دراسة فى ظاهرة نجم

كتاب عن النجم العالمى:

روبرت ردفورد

● مارى غضبان ●

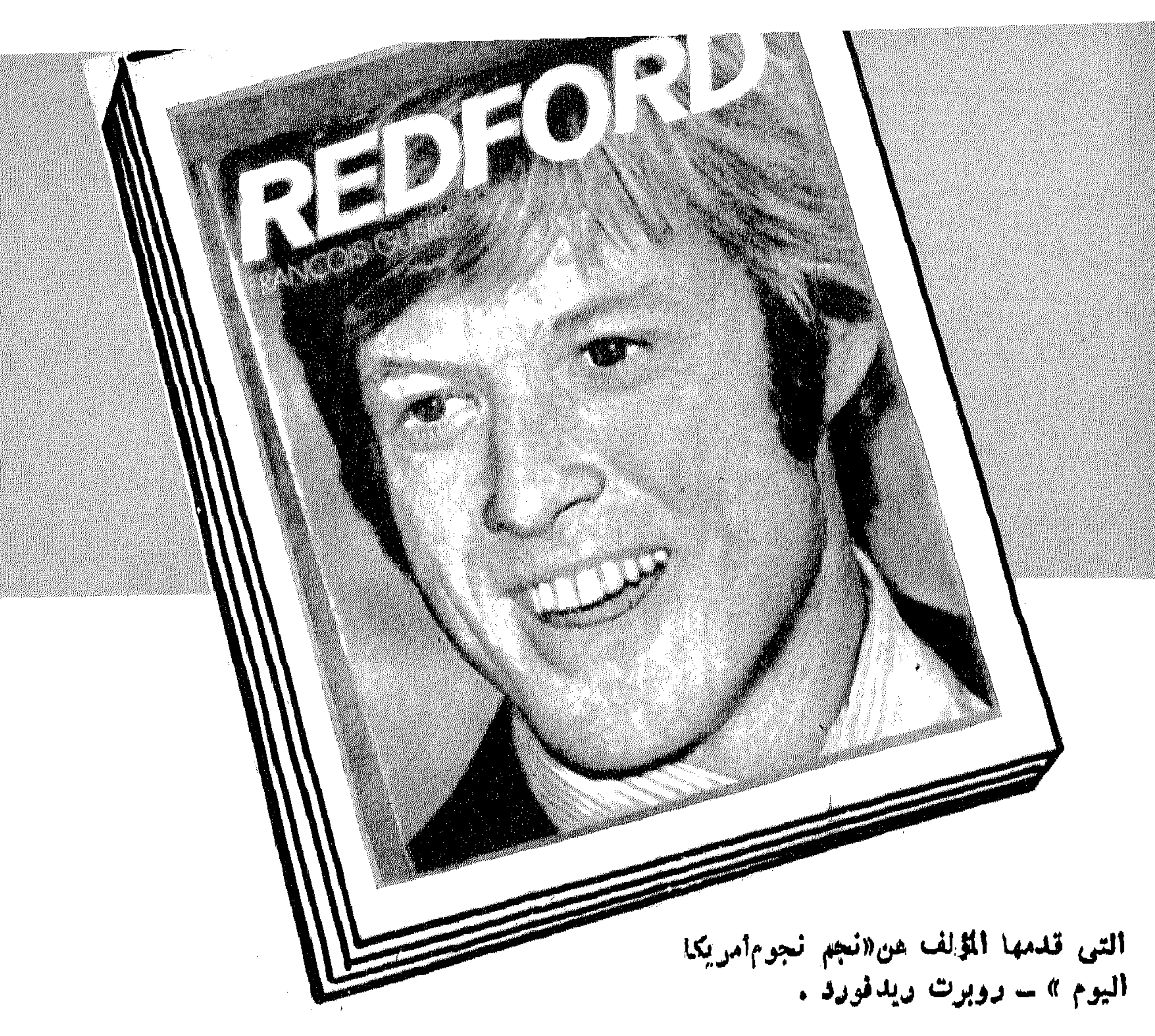
●● لماذا يختار النجم الامريكى العالمى روبرت ريدفورد ان تكون ادواره على الشاشة ذات ابعاد فكرية وتعبر عن انماط وشخصيات لها وجود سياسى او اجتماعى او اقتصادى ؟! هذا هو السؤال الذى حفز المؤلف الفرنسى فرانسوا جريف ان يضع كتابا يتناول فيه فن وسلوك وحياة النجم الامريكى الكبير . . وهو الكتاب الجديد الذى صدر اخيرا فى باريس ، وترجم عن الفرنسية الى الانجليزية والايطالية والاسبانية . .

●● والمؤلف فرانسوا جريف صحفى من مواليد ١٩٣٢ تخصص فى الكتابات الادبية والسينمائية ، ويعمل فى واحدة من اكبر دور النشر المتخصصة فى الادب السينمائى ، وهو يحمل درجة الدكتوراه فى الادب السينمائى الامريكى . .

وقد صدرت له مجموعة كتب اشهرها دراسة عن النجم الامريكى بول نيومان، والنجم الفرنسى جان بول بلموندو، كما ترجم كتابا عن النجمة الامريكية مارلين مونرو ، وكذلك عن الممثل الامريكى همفرى بوجارت، وعددا آخر من الكتب التى يعتبرونها فى فرنسا من اكثر الكتب رواجا . .

اما لماذا اختار المؤلف شخصية روبرت ريدفورد لكى يكون مادة أحدث كتبه، فلأنه يعتبره من اساطين السينما الامريكية الجديدة بما يتميز به من ملامح وقوة حضور على الشاشة وروعة تمكن فى الاداء . . وليس فقط لانه يختار ادواره بدقة متناهية، ولكن لانه يفضل ادوار شخصيات لها نفوذ على حركة المجتمع مثل دوره فى فيلم « كل أعوان الرئيس » الذى تناول بالفهم السينمائى قضية « ووترجيت » ، وايضا فيلم « جاسبى العظيم » وكذلك فيلم « المرشح » .

ومن هناجاءت هذه الدراسة المسهبة



التى قدمها المؤلف عن «نجم نجوم أمريكا اليوم » ـ روبرت ريدفورد .

● ● وروبرت ريدفورد من مواليد ١٨ من اغسطس ١٩٣٧ فى سانتامونيكا فى ولاية كاليفورنيا ، والده محام فى شركة بترول .

لم يكن روبرت ريدفورد متفوقا فى دراسته حتى حصل على الشهادة الثانوية وحصل على منحة جامعية فى الرياضة لكنه اختار ان يلتحق بالفنون الجميلة ، غير انه لم يستطع استكمال الدراسة فقد كان فى حالة ملل من الدراسة وقرر السفر الى اوروبا للاطلاع على ابرز الوان الفن التشكيلى فى اوروبا ،
واتيح له فى عام ١٩٥٦ أن يزور ايطاليا وفرنسا والمانيا ، ويطوف بمعالمها ومتاحفها ومكتباتها ، وفى نهاية جولته أقام معرضا للوحات التى رسمها ، وباع عددا منها ،

وعاد بعد ذلك الى الولايات المتحدة حيث تعرف على زوجته « لولا » فى لوس انجيلوس .

ثم التحق بقسم الديكور فى معهد فنى ، واستكمل دراسته فى أكاديمية المسرح فى قسم الديكور حيث التقى بالمخرج الكبير سيدنى بولاك الذى وجهه الى دراسة التمثيل فى أكاديمية الفنون .

وكانت بدايته على مسارح برودواى فى عام ١٩٥٩ ، وهو فى اوائل العشرينات من العمر ، حين قام بدور قصير فى مسرحية « القصة الطويلة » ، ثم تحول الى التمثيل التليفزيونى ، حتى جاءته فرصة العمل فى السينما فى فيلم

(صائد الحرب) عام ١٩٦٢ ، وقد اختير الفيلم ضمن افضل عشرة افلام فى ذلك العام ..

وبعد هذا الفيلم الذى يدين الحرب والممارسة الاستعمارية للحروب ، قدم دورا انسانيا فى فيلم كوميدى عنوانه « موقف خطير لا يدعو للياس» وكان هذا الفيلم ايضا يدين الحروب ووحشية التعامل بالسلاح .. ثم قدم دوره فى فيلم « داخل امراة » امام ناتالى وود .

●● وتطورت ادواره فقدم فيلم «السيقان العارية» مع جين فوندا، وفيلم (كاسيدى) ، ثم فيلم (المرشح) اخراج مايكل رينتش ، وفيلم (جاسبى العظيم) مع مايافارو ، ثم فيلم (كل اعوان الرئيس) الذى مثله مع داستين هوفمان من اخراج الان باكولا .

● اما لماذا اتجه روبرت ريدفورد الى الطريق الصعب فى الاختيار ، فيقول المؤلف ان هذا النجم الذى مثل عددا من الادوار الناجحة والفاشلة ، قد اكتشف ان الممثل يجب الا يقبل كل ما يعرض عليه ، وان على الممثل ان يكون صاحب التزام امام جمهوره . ولذلك اتصل بالمخرج مايكل ريتش ــ وكان يسمع انه من اصحاب الفكر السينمائى والمواقف الانسانية ــ وعرض عليه ان يمثل فى فيلم من اخراجه يدور موضوعه حول (الانتخابات) وتمنى الممثل صاحب وجهة النظر أن يعرض الفيلم على الناس قبل انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٧٢ .

وتحقق له ما تمنى، فقد جاء موضوع الفيلم ليعبر عن أن البشر ضحايا نظام كل من فيه يبحث عن منفعته الخاصة ، وأن بطل الفيلم يرى أن الضمير يدين هذا السلوك الذى يضيع فيه ما يسمى بالعقل الجمعى .

ورغم أن دور روبرت ريدفورد هنا كان من اللون الذى لا يتعاطف معه المشاهدون الا انه اختار هذا الدور واصر على تمثيله ايمانا منه بالفكرة التى يجب ان يعبر عنها العمل الفنى ..

وقد عرض الفيلم ، وقدم نظرة تشاؤمية تدعو الى تغيير الانماط الاقتصادية والسياسية التى تعارف الناس على التعامل من خلالها ..

●● أما الفيلم التالى الذى يقدم وجهة نظر الفنان روبرت ريدفورد (جاسبى العظيم) ، وهو ماخوذ عن كتاب الكاتب الكبير سكوت فيتزجيرالد تحت نفس العنوان ، وقد قدمته السينما الامريكية فى عام ١٩٢٦ ، أيام السينما الصامتة، ثم قدمته السينما الامريكية فى فيلم آخر فى عام ١٩٤٩ بطولة آلان لاد وبيتى فيلد من اخراج اليوت فوجنت ..

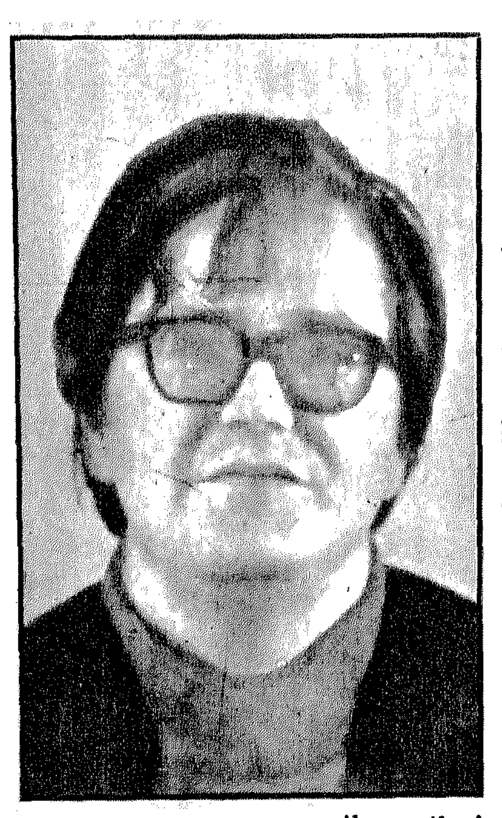
وقد اختار منتج هذا الفيلم ديفيد ميرك أن يلعب روبرت ريدفورد شخصية (جاسبى العظيم) ، واشترى حق تحويل الرواية الى فيلم جديد من ابنة المؤلف بمبلغ ٣٢٥ الف دولار ، وقام **باخراج الفيلم المخرج الانجليزى جاك**

كلايتون ، وقد عبر روبرت ريدفورد عن اعجابه بالشخصية المحورية فى الرواية لان بطل القصة شخص عادى خجول ياتى بتصرفات شخصية تدين انماط الاثرياء وانانيتهم واطماعهم فى مواجهة الاخرين ممن يحتاجون لمشاعرهم ووقفاتهم الانسانية .

●● وعندما اهتمت الصحف الامريكية بقضية « ووترجيت » انشغل بها روبرت ريدفورد فاسندوا اليه مشاركة داستين هوفمان بطولة فيلم (كل اعوان الرئيس) الذى يتناول هذه القضية ، والذى اخرجه آلان باكولا وتدور قصته حول صحفيين شابين امكنهما من خلال تحقيقاتهما الصحفية الجريئة ان يواجها حكومة اقوى دولة فى العالم ، ويتسببا فى انهيار حكم الرئيس الامريكى الاسبق ريتشارد نيكسون .. والمعروف ان الصحفيين **هما كارل برنشتين وبوب وودورد ، وهما من شباب الصحيفة اليومية الواسعة الانتشار « واشنطن بوست » .**

ويقول روبرت ريدفورد ان حكاية « ووترجيت » هى قضية المثالية فى السياسة الامريكية . وخرج روبرت ريدفورد برأى يقول فيه ان الصحفى هو رمز البطولة فى العصر الحديث ..

وعندما اشترى روبرت ريدفورد حق تقديم قضية ووترجيت من الصحفيين الشابين نظير خمسين الف جنيه ، تصور الكثير ان الفيلم قد لا يرى النور الى الابد ، ولكن الفيلم خرج الى الحياة ، وكان وثيقة سياسية هامة لاحد ادوار السينما فى العصر الحديث .

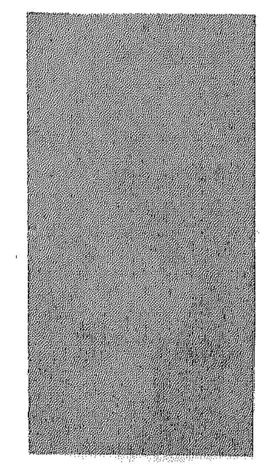

فرانسوا جريف – مؤلف : ظاهرة نعم ..

●● وعندما عرض الفيلم اجمع النقاد والكتاب والصحفيون فى الولايات المتحدة واعضاء اسرة تحرير « واشنطن بوست » على ان هذا الفيلم تحقيق صحفى ممتاز اعد بارقى لغة سينمائية !

وانعقد الاجماع على ان روبرت ريدفورد نموذج للفنان الذى يسعى الى المثالية .. نموذج للانسان صاحب الموقف والفنان الذى يمتلك وجهة نظر ..

ومما يسجل لهذا الفنان انه ليس صاحب مغامرات يشغل بها الصحف كغيره من نجوم الفضائح والزواج والطلاق وانما هو رجل يبحث عن قضية ينشغل بها ويعبر عنها من خلال لغة الكاميرا .. ●

قصة



الوقوف بين نقطتين متوازيتين !

● عبد العزيز الشناوى ●

● غادر السيارة ... تحرك وجه الشمس الوردى من جوف الارض .. تلفت حوله ، الدكاكين مغلقة ؟. ما زال اصحابها نائمين ... لماذا جئت الى المدينة مبكرا ؟. ليتني سمعت مشورة زوجتي :

ـ لماذا تسافر الآن ؟. ستوقظ أهل البندر من نومهم !. حتى لو ركبت القطار « القشاش» فسوف تصل المدينة فى العاشرة صباحا !.

تظاهر أنه يهرش صدره ، أبتسم ..

اطمانت يدك على النقود الراقدة فى جيب الصديرى ؟. أين أقضى الساعتين القادمتين ؟. لو ذهبت الى السوق لن تجد احدا هناك فى هذه الساعة ؟ . لماذا لم تمر على عبد الحميد تاجر المواشى ؟. اقدر منك على فهم هـــــذه الامور ؟. لماذا لم تصحبه معك ؟. تدفع له ثمن تذكرة السيارة ، تشترى له علبة سجاير ، يتناول طعام الغداء . يشرب كوبا من الشاى. يدخن المعسل . فى النهاية تمنحه جنيها ، ربمـــا قلبه فى يده .. يحسبها خدمة !. قد يبيعك للتاجر الذى تشترى منه الحمار . يلهف جنيهين او ثلاثة .. كل هذا من جيبك !.

***

لمح رجلا يقلى الطعمية . تذكر أنه لم يتناول طعاما بعد ، سار نحوه ... لا داع لان أحضر عبد الحميـــد معى . يكفى أن أستشيــره ، سيفتى بلا مقابل .. قد يأخذ اربعـــة كيلو وات طماطم وثلاثة خيـــار و .. و .. يعتبرهـــا خدمة ؟. أننا أقارب . أقارب ؟ ساعتها سيقول الشغل شغل .. جابه الله البقال يعلق على باب دكانه ورقة مكتوب عليها بخط كبير «الشكك ممنوع ... الكســوف يجلب الفقر » .. جاب الله تاجر ، مثلى ، يشترى بضاعة.. يبيعها لكن عبد الحميد .. ماذا سيقدم الى ؟. كلاما ... نصيحة ؟. « من اين اطعـــم اولادى ؟. الطبيب أحيانا يتكلم ، لا يكتب « روشتة » ، لكنه يأخذ « الفزيتا » .

مرقت سيارة بجانبه . تذكر الاسطى احمد سائق التاكسى ، جاره .. أمس علمت زوجته اننى مسافر الى المدينة لاشترى حمـــارا . أسرعت الى :

ـ وحياة النبى تمر على الاسطى أحمد فى المركز لتطمئن عليه ، فقط .. انه محبـــوس منذ ثلاثة أيام !.

اذهب اليه فى المركز ؟! هـــل جـــاء الى فى المستشفى بعد أن داست عربتى قدمى فكسرتها؟! حضر الى دارى بعد اسبوع من خروجى مـــن المستشفى :

ـ انا آسف يا معلم نوح . انت تعــــرف ظروفى .. مشغول !.

لم يكـــن لديه خمس دقائق ! « يركـــن » التاكسى ، ويرانى !. ظن أننى أريد منه شيئا!. مستورة والحمد لله يكفى أن يســـال عن صحتى . نحن جيران . النبى وصى على سابع جار ...

***

تنهد : هات رغيفين وبقرشين طعمية ..

ملأ جوف الرغيفين بالطعمية الساخنة، تثاءب بائع الطعمية ..

رأيت عبد الحميد مرة يشترى حمارا. جذب فكيه . هتف صاحبه :

ـ ماذا تفعل ؟.

ـ انظر الى شفته السفلى ... اذا كانت الجروح تملؤها فالحمار يكبو كثيرا !.

توقفت أسنانه عن المضغ . يجب أن تضع فى اعتبارك هذا ... لو اتكفأ الحمار وهو يجر العربة المحملة باقفاص الطماطم فسوف تصبح صلصة .. اعنى كارثة !.

هاهو مبنى المركز ، احساس خفى يوحى الى أن اذهب الى الاسطى احمد . انسيت ليلة ان كنت عائدا من الغيط معك قفصان خيار ، ووقفت



على الزراعية ، لمحت سيارته قادمة ، اعترضت طريقها ... نظر الى القفصين من ركن عينيه :

ـ ما هذا ؟. لا ... لا تضعهما فوق ظهر السيارة . اتظن انها عربة كارو ؟!

ـ يا اسطى احمد ...

ـ يفتح الله .. ابحث لك عن سائق سيارة اخرى يرضى أن يحملهما !.

ظللت واقفا على الطريق حتى اذان العشاء..

اكره استرجاع هذه الصور فى ذهنى. اقترب من المركز . على العموم الأسطى احمد قبل أن يكون بلدياتى فهو جارى ، المسامح كريم . هل يجدى التسامح مع أمثاله ؟!.

لوى ظهره ... تراجعت ؟. غيرت رأيك ؟. لماذا قطعت كل هذا المشوار ؟. ماذا تقول لزوجة الاسطى احمد اذا سألتك عن حاله و ...؟ بم ستعلل عدم الذهاب اليه ؟. لم يكن لديك وقت ؟. وصلت المدينة مبكرا ؟!.

ترامت الى مسمعه خلفات أقدام حصان يجر « حنطورا » .

بعد اكثر من عشرين عاما من الشقاء سترتاح يا نوح من دفع العربة !. عندما كنت تجرها كان الاطفال يتعلقون بها ، ويتدلى لسانك بين فكيك، يغمر العرق جسدك . اذا صادفك مطلع !... وامطرت الدنيا ، يصبح المنحدر كالصابونة و... كم مرة التوت قدماك فى حفرة ، وارتطمتا بحجر ، تدفق منهما الدم !. كم مرة سقطت على وجهك ، اختلط عرقك بالتراب ، وصنع خيوطا من طين !.

***

غاصت يده فى جيب الصديرى ، قابلت النقود .. تحمل نهيق الحمار .. ترى كم سيبقى من الخمسة والثلاثين جنيها بعد أن اشترى الحمار !. ثلاثة جنيهات. ستة جنيهات؟. تكفى لشراء ملابس العيد لأولادى وزوجتى و...؟ **لماذا لا اشتريها قبل ان اذهب الى السوق؟. ام هذا التهور ؟. ماذا تفعل لو زاد ثمن الحمار على النقود الباقية فى جيبك ؟!**

نظر نحو المركز . لماذا يطيل النظر اليه ؟ . تفكر فى رؤية الاسطى احمد ؟. لم لا ؟ كيف تذهب اليه بيد فارغة ؟ ماذا تشترى له ؟ . علبة سجائر . انه يدخن بشراهة . لكن ربما نقص ثمن الحمار ربع جنيه ... لا داع للسجائر ، يكفى « ساندوتش » فول محشو بالمخلل ... لف « الساندوتش » فى ورقة ، تسلل من باب المركز ، راى الاسطى احمد يحمل « جردلا » وقطعة خيش بجوار حظيرة للخيل . اندفع نحوه :

ـ صباح الخير يا ...

لماذا احمر وجهه ؟. أحس بالخجل عندما وقعت عيناه على ؟.

قدم اليه « الساندوتش » ، فض الورقة، تحلب ريقه ، رفع اليه عينين شاكرتين ... غاصت أسنانه المتلهفة فى « الساندوتش » !.

ـ هل معك نقود .. يا معلم نوح .؟

بعد لحظة استطرد :

ـ أريد ثمانية وعشرين جنيها ... سلفة !.

ثمانية وعشرون عفريتا يركبوك . لماذا تحتاج هذا المبلغ ؟!.

ـ انني فى حاجة الى هذه النقود لكى أدفعها ... مخالفات !.

ما شأنى انا ومخالفاتك ؟. طلبت منك مرة أن تحملنى ولو فى جوف التاكسى ... قلت لى انه كعلبة سردين ؟. قلت لك يجب أن يكون الذين يقفون على « الرفارف » ومؤخرة التاكسى . اكثر ممن بداخلها !.

ـ لو سددت المخالفات ، سيفرج عنى ... سأخرج اليوم ... اذهب الى اولادى ، لم ارهم منذ اربعة أيام ... العيد قادم .

كل عام وانت .. طيب !

زحفت يده الى جيب .. الصديرى ...

قصة :

أبعاد اللعبة

• صلاح حسنى عبد العزيز •

وانتفض كبرياؤها بكل خلجة فى تكوينات جسدها المتناسقة ، فتطايرت خصلات شعرها على جبينها ووجنتيها ، وترجرج صدرها النافر ، ولمع التحدى جليا فى عينيها الناعستين الساحرتين ، وارتعشت اناملها فى عصبية فوق ثوبها تتشبث به كأنما لم يعد يخفى عريها ، ثم تخلى صوتها الاخاذ عن رقته حين اتانى مختنقا وهى تهرول منصرفة :

— اليوم تأكد ظنى انك لم تكن تحبنى !.

وانتزعت من قلبى السكين الحادة التى رشقتها فيه بما فى غضبتها من يأس وتجن ، وتحاملت على نفسى حتى اغلقت باب بيتى ، وانكفأت ابكى — فى حرقة — ذكرى من اصبحت قدرى ومجمع شقائى :

— بل مأساتى انك المرأة التى تعيش فى دمى !

***

وما يحيرنى بدءا من أمرها أنها لم تعطنى الفرصة لاحدثها عن مكنون قلبى ، وكلما اقتربت منى خطوة ابتعدت عنى خطوات حتى استغلقت على فهمى كاللغز .. ولسذاجتها عمدت دوما الى أن يظهر بجوارها على خشبة المسرح ممثل مغمور ، بينما هى تدعونى فى كل مرة لأن اضطلع بدور البطولة أمامها ، فتحتبس الكلمات فى حلقى ولا تسعفنى ، واجدنى أفسح الطريق مختارا لمن استدرجتهم لاثارتى والايقاع بى كزوج لها ، وانزوى وحدى وراء « الكواليس » على رجاء أن تذهب عنى الآمى .

وما كان يحملنى على الابتسام فى مرارة ، ان ملهاتها الممعنة فى الغرابة تتابعت امامى فى مشاهد متشابهة معادة تأكيدا للحال : بداتها فى يوم ذكرى وفاة ابيها ، وعاودتها فى حفل عرس اختها الكبرى ، ثم استزادتها فى الشارع الخلفى لبيتها ، وربما فى أماكن وأزمنة اخرى لا يعلمها الاالله.

حتى اذا ما اثخنتنى الجراح من طول ما اعتصرت واجتررت احزانى ، لم أملك الا ان امضى بعيدا فى رحلة العودة ، التمس خلاصا للروح وتطهيرا للنفس ..

فلكم أردتها عذراء ذات خفر وحياء ، تلفحنى انفاس لها حارة متقطعة ، وتسكرنى كلمات بسيطة مرتجلة تتلعثم بها ، وتشدنى حركاتها غير المفتعلة أو الزائفة !

لقد أردتها نبعة ماء صافية لم تعلق بها شائبة ، ونسمة هواء نقية لم تفسدها ذرة من تلوث ، ونبتة غابة بكرا لم تمتد اليها يد . اردتها حورية علوية من الجنة لا غانية لعوبا ارضية!

لكنها لحزنى الأسيف ، أبت الا ان تكون غير ذلك ، وتبريرها الساذج لمنطق تحررها أن عذرية الجسد وحدها تكفى !

وهكذا ضاعت الحقيقة بينى وبينها ، وانقلبت الغاية عندى الى مجرد وسيلة فى تقديرها ، ولم ارتض أن تهوى بى أو بغيرى الى درجات الوسائل ، ولم يعد لى الخيار فى أن أنكر صورتى فى المرآة ، واطوى



صفحتها بعد أن طوتها بيدها من حيث لاتدرى .

حتى كان ذلك اليوم منذ عام ،عندما ارتد مكرها اليها وتحول تمثيلها الى واقع ، وسقطت فى شباك واحد ممن خدعتهم حيلها — و .. تزوجته !

وروعنى طويلا فراقها حتى استمرأت العذاب والفت الوحشة ، وما لبثت ان تنفست الصعداء حمدا لله على السلامة وامل الشفاء ..

ومع مشرق كل يوم من أيامى الجديدة شربت كاس انتصارى ، وظلت ابتسامة الرضا ملاذى كلما طفت ذكراها الى السطح لتثيرنى ، حتى اطمأننت آخر الامر الى اننى تحررت بعض الشيء من سلطانها وتسلطها ...

الا أن صاحبتنا فى معايشتها لشخصية الدور الذى تقمصته أو تقمصها كانما عز عليها وهى صانعة الاحداث التى تفوق الخيال أن تسلم بهزيمتها فى سهولة .. ولم تتقبل ببساطة مثل هذه الخاتمة التى أوصلها اليها «تمردى» و «عصيانى» ، فارادتها جولة جديدة تفسد على استكانتى أيضا .

ويالهول ما صنعت !

ليتها توقفت عند اسدال الستار على حلقات مغامراتها الشهيرة ، ولم تذهلنى بمفاجاتها الكبرى المدخرة التى تتضاءل الى جوارها مغامراتها مجتمعة !

وما رضيت لها ابدا أن تنفض عنها غبار الذكريات لتتردى هكذا الى هذا الدرك ، وما حلمت باكثر من ان تتركنى لسلواى الوحيدة فى أن العيش مأتبقى لى منها ، لكنها على عكس ما توقعت نهضت من رقدتها كانما بعثت من جديد، ومشت على قدميها مسلوبة الارادة كمن تسيرها قوة مغناطيسية هائلة ، وتسللت متخفية الى بيتى الذى اعددته لها لتكون يوما سيدته .

وفغرت فاهى لا اكاد اصدق عينى لحظة ان وقفت قبالتى وقد خلعت حياءها وبدت — فى شبه عرى — كتلها وزواياها ، ومضت فى اغرائى باسلحتها الانثوية التى لا تقاوم ، ومن خلال نداءات بالغة التاثير ، ثم اقبلت لتقدم لى الجسد المحرم — الذى طالما أثارنى — هبة خالصة ومنحة سخية !.

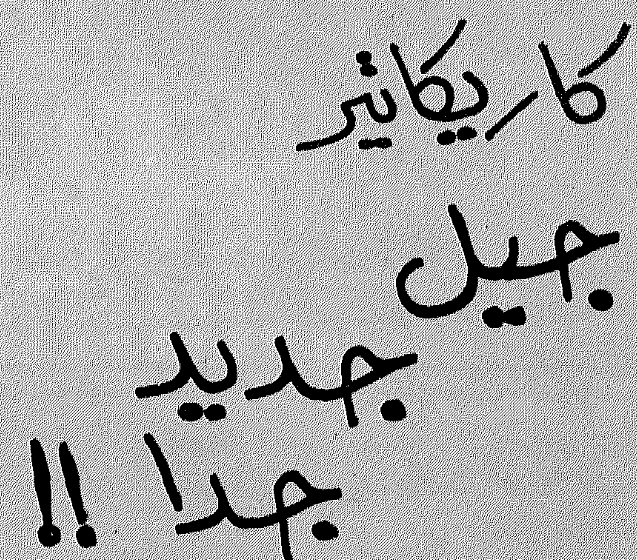
ولم ادر كيف صرخت فى وجهها من خلال دموعى : اغربى عنى .. فليست بى حاجة الى هذا الجسد الذى فارقته الروح !

ربما قد اختلط على الامر وحسبتنى فى حالة دفاع عن العرض ، فيما لو قدر لى ان أكون زوجها — هذا الزوج الغافل التعس !

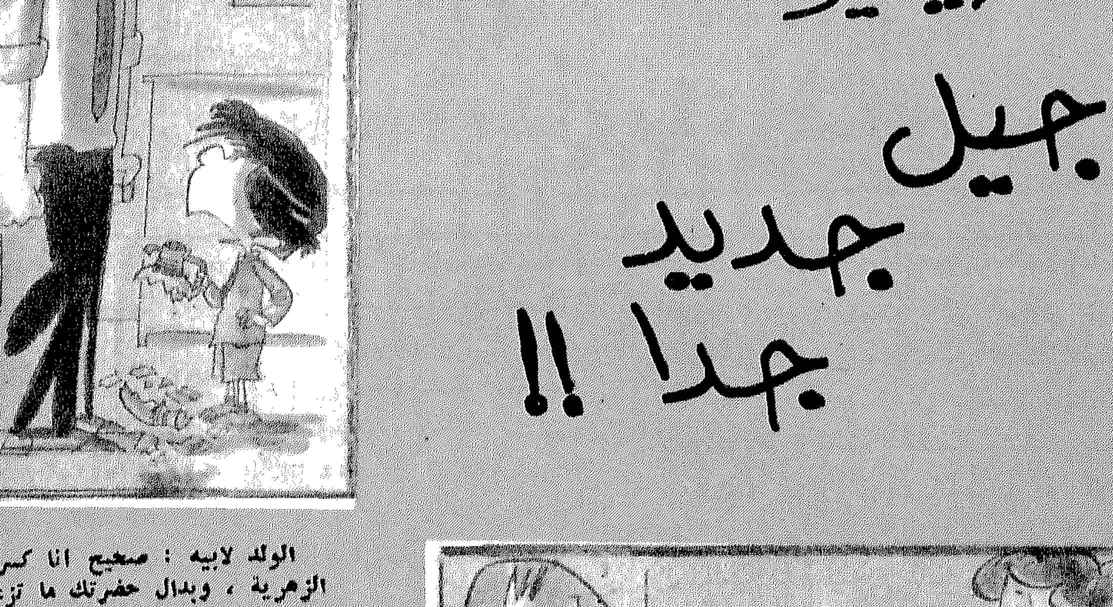
وربما أشفقت على نفسى من أن استبيح جسدها المستسلم ، فينقلب الحال بالطبع الى مجرد اخذ بلون عطاء ، وأنا الذى كنت قد رصدت من اجل الاندماج معه اغلى المهور !

او ربما اشفقت عليها من ان تزل قدمها على مذبح حبى الكبير !.

●



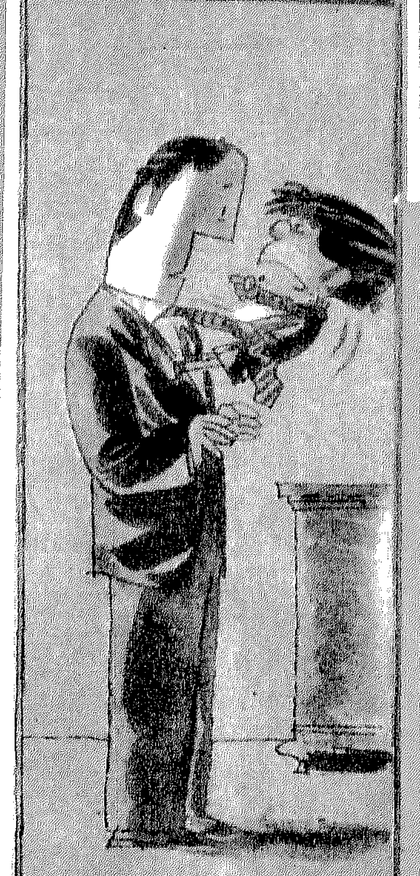
كاريكاتير جيل جديد جدا !!



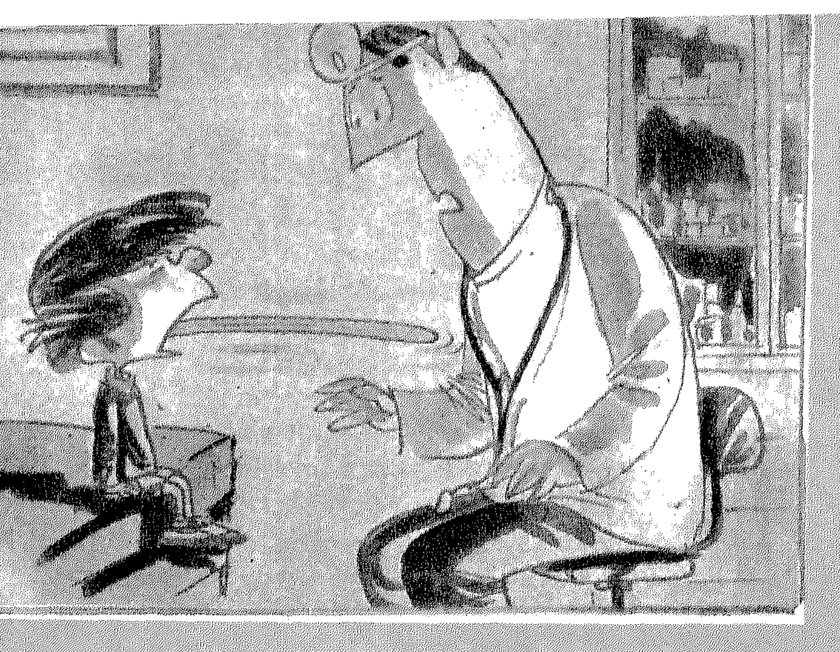
الولد لابيه : صحيح انا كسر
الزهرية ، وبدال حضرتك ما تز
عليها ، فكر معايا ليه بتشتر
زهريات مش جامدة ، واول ما ت
تتكسر !..



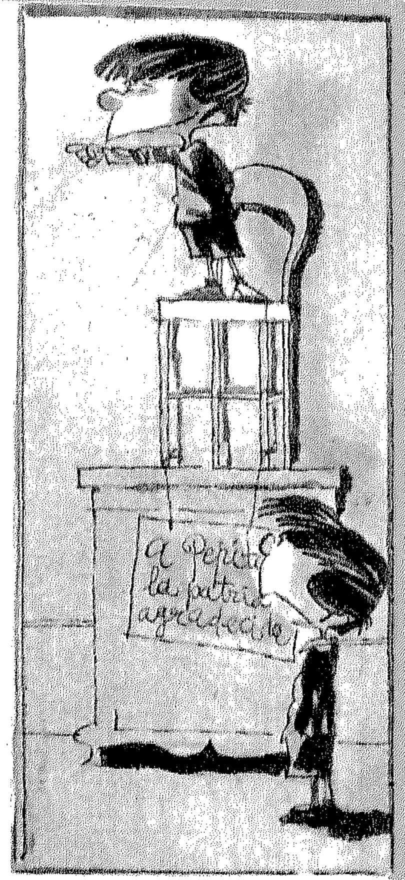
الزوج للزوجة والاولاد : انا السنة دى عاوز استريح كده واتمتع بالاجازة .. ح اقضيها لوحدى فى البيت ... وانتم بقى ياللا اتفضلوا على المصيف !



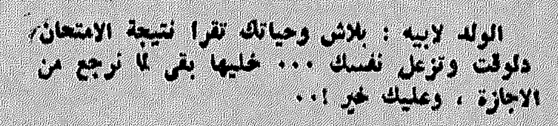
الولد لابيه : ايوه كده ... دلوقت نبقى فى مستوى واحد ، وممكن نتكلم بندية ونتفاهم راجل لراجل !.

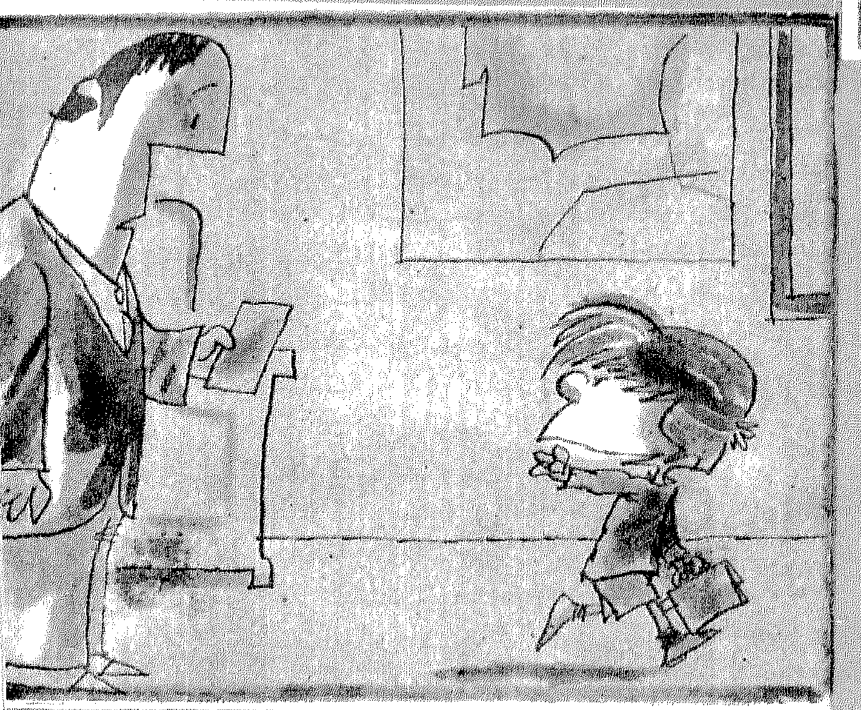


الطبيب للولد : ياخبر !.. كل ده لســـان ؟!
الله يكون في عون اهلك وجيرانك ويرزقهم طولة البال !



الولد لصاحبه : اجرى بقى هات لنا كاميرا ، وسجل المنظر التاريخي ده .. التمثـــال اللي ح يعملوه لي بعد عمر طويل !


الولد لابيه : بلاش وحياتك تقرا نتيجة الامتحان دلوقت وتزعل نفسك ... خليها بقى لما نرجع من الاجازة ، وعليك خير !..



التوتر النفسى آفة العصر

علاج هندى قديم لقياس الأعصاب المشدودة والقلق

● جورج عزيز ●

● التوتر النفسى آفة هذا العصر الذى نعيش فيـــه ، بل هو بمثـابة حمى « الحيـاة اليومية » التى نحيـاها بما فيهـا من منغصـــات ، تثير القلـق ، وتقض المضاجع .

فما الذى يمكن أن يساعد انسـان العصر المتوتر نفسيا ، والمشـحون بالقلق ــ على اكتشاف وسيلة فعالة مامونة مجربة لتحسين حالته النفسية والبدنية ، والتغلب على الشـعور بالتعب والارهــاق ، وتمكنـه من الاسترخاء ، والنظر الى الحياة بالامل ، والابتسـام ، والوجه الذى تغمره البشاشة ؟ ..

سؤال اثاره حوار مع صـديق من رجال الاعمال المرموقين النـاجحين ، كان جالسا الى مكتبه ، وقد ارتسمت أمارات الهم والقلق والاكتئـاب على وجهه ، وقال لى متنهـدا فى الم تجلت أماراته على جبينه وعينيه :

ــ لقد حـــاولت كل شىء لكى اتخلص من التوتر النفسى الذى يعذبنى والمستبد بى ، وجربت كل الوسـائل . . لجأت الى الاطبـــاء والمحللين النفسيين ، وتعاطيت ما وصفوه لى من الادوية المطمئنة والمهدئة ، والمنومة .. ولكن لا فائدة من التشـخيص ولا جدوى من مختلف انواع الادوية !

وأمسك عن الحـديث برهة لكى يسترد هدوءه ثم اردف قائلا وقـد تملكه شعور باليأس :

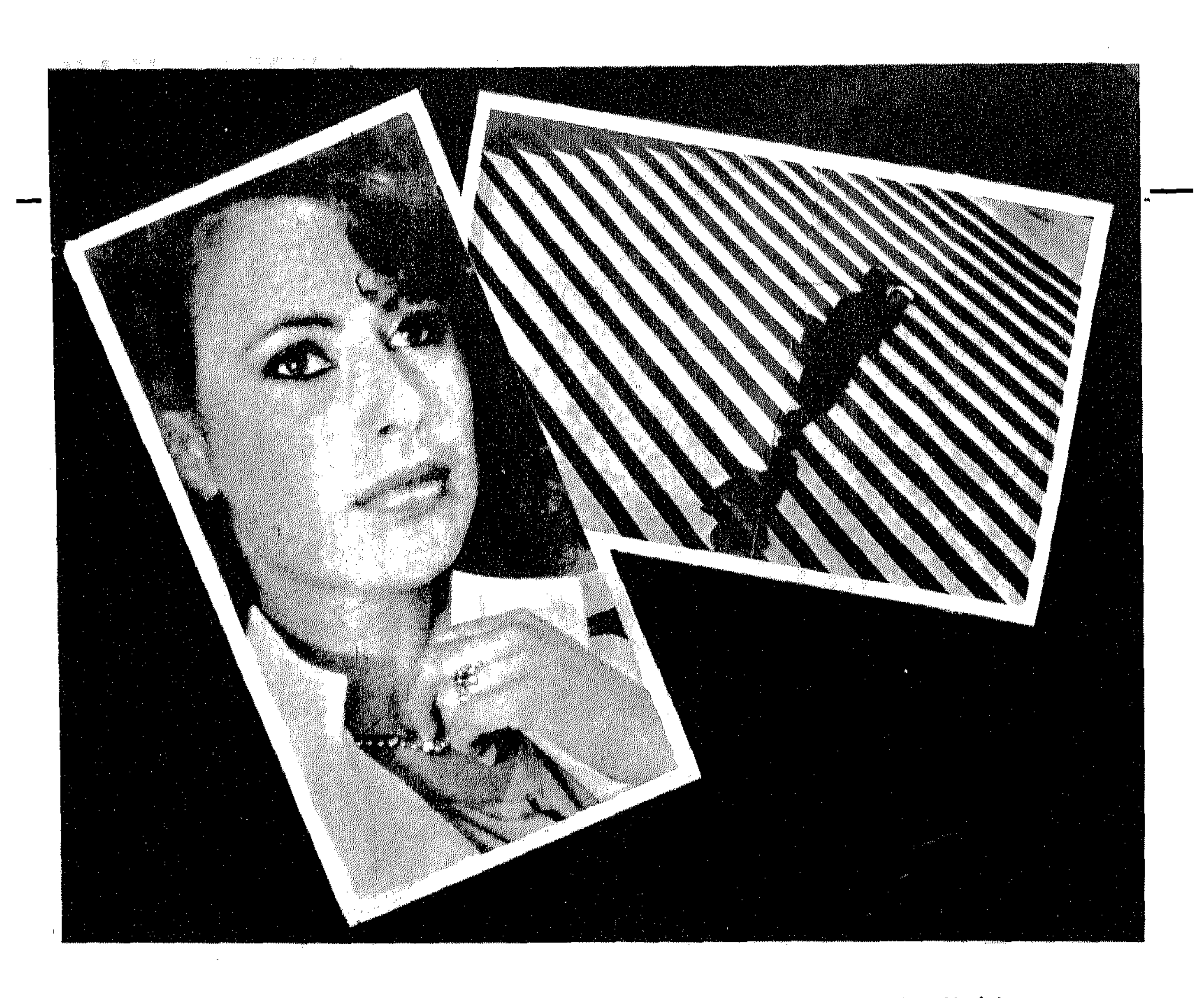
ــ لقد ساءت حالتى حتى أصبحت اشـعر كان عقلى مشـلول ، وعاجز عن التفكير السليم ، ومن ثم أجد نفسى أنفق أيامى دون ان احاول بذل اقل جهد للشروع فى فعل شىء .. بل كثيرا ما يحدث لى أن أجد نفسى سائرا فى الطريق دون أن الوى على شىء ، أو أتجه الى غاية . والأخيرا اسـتقر رأيى على الكف عن العمل بعد ان اصبحت اعصابى هشيما تذروه الرياح ! »

وقال بعصبية كأنه يستعطفنى :

● : هل فى مؤلفات اليوجا العديدة التى أعرف أنك قرأتها بشـغف ونهم ولخصت بعضها فى الصحف ، حـل لمشكلتى العويصة ، بل معضلتى التى تفتك بأعصـابى ، وتكاد تدفعنى الى احدى المصحات النفسية ؟ .. قل لى ماذا أفعل بعد أن برح بى اليــأس ، وأصبحت على شفا الهاوية ؟ ..

مع التوتر والقلق والخوف

أدركت ، بعد أن روى لى جانبا من قصة حياته ، ان مأساته لا تختلف عن حال مئـات بل الآف من الناس غير المحرومين من الرفاهية المادية ، او من الامـــان ، او من حرية التصرف والعمل .



هـذا الرجل ــ كما اتضح لى ــ مصاب بمزيج من التـوتر النفسى ، والقلق ، والخوف من المجهول ، وهذه عوارض مرضية تحول دون أن يحيـا عدد لاحصر لهمن الناس حياة سعيدة، يسيرة مثمرة .

فالتوتر النفسى يحرم امثال هؤلاء الناس من ان يخلدوا الى الراحـة ــ راحة البال والبدن ــومن ان يستمتعوا بالاسترخاء . ومن ثم فهم ضحـايا العلاقة غير الطبيعية القائمة بين البيئة المحيطة بهم والمجتمع الذى يعيشـون فيه ..

التنفس الايقاعى العميق

وسألته : هل جربت وسـائل الاسترخاء التى يوصى بها فلاسـفة اليوجا ، القائمة على التنفس الايقاعى العميق ؟

أجاب فى غير مبالاة : ((لست اعرف شيئا عما تقول ، وكل ماسمعته عن اليوجا هو العلاج بالوقوف على الرأس، ومن شان هذا العلاج أن يقتلنى لاننى اعانى من داء فى القلب !

فقلت له : ان اليوجا البدنية التى تقضى بممارسة حركات رياضية معينة انما هى المرحلة الاولى فى طـريق التدريب اليوجوى الذى يبدأ عـادة بتحسين حالة الجسم ، وتلـى ذلك محاولة السيطرة شيئا فشـيئا على العقل ، وترويض النفس ، وهذا هو العلاج الذى أعتقد أن حاجتـك اليه ماسة شديدة ، لانه كفيل بان ينقذك من التـوتر النفسى الذى تعانى منه الامرين ..

علاج شاف

ومضيت اقول : لقد قرات اخيرا مؤلفا قيما حقا عن اليوجا من تأليف عميدة فلاسفة اليوجـا فى الولايات المتحدة الاستاذة العالمة الهندية الامريكية ((أندرا ديفى)) أرى من المفيد ان أعطيك عنه فكرة سريعة دون الدخـول فى متاهات فلسفية معقدة ..

التوتر النفسي آفة العصر

تقول اندرا ديفي : « قبل قدومي الى الولايات المتحدة كنت اقيم في مسقط راسي بالهند ، وكنت اعاني من حالة عصبية في القلب ، وكثيرا ما كانت دقات قلبي تشتد كانه يركض . ولم يطرا اي تبدل على حالتي هذه الا بعد ان جربت بعض نصائح فلاسفة اليوجا .. وبعد أن مارست بعض التمارين اليوجوية البسيطة غير المرهقة — خفت تلك العوارض خلال اسبوعين على وجه التقريب ، ولم تلبث ان زالت في الاسبوع الثالث ! »

وهنا بدت على وجه صديقي رجل الاعمال ذي الاعصاب المشدودة دائما امارات الهدوء ، وزالت عن قسمات وجهه علامات الشك فيما اسديته اليه من نصح بشأن التنفس العميق الايقاعي ، وسألني في غير انفعال : « وماذا يسعني أن افعل ؟ »

قلت له : الرد على سؤالك هذا في مؤلف للعلامة اليوجوى « مايكل فولين » **الذي يقول ان من كان في مثل حالتك ينبغي له ان يمارس بعض تمارين اليوجا فهي كفيلة بان توفر لمن يعاني من الضيق التنفسي والتوتر العصبي صفاء الذهن ، وهدوء الاعصاب ، والصحة البدنية ، وتشع السعادة في اعماق نفسه ، ومن ثم يزول كل اثر لما يستبد به من قلق واضطراب وما يتملكه من المخاوف التي تكون وهمية في الكثرة الغالبة من الاحوال . وفي هذا تقول اندرا ديفي :**

« كنت شديدة الاهتمام بتافه الامور ، واتوقع دائما السوء دون أن يبدو اي سبب حقيقي لذلك . وكان يعتريني القلق والارتباك وتملأ قلبي الرهبة ، واصاب بذعر شديد اذا اشتركت مع اترابي في المدرسة في تمثيل مسرحية صغيرة !

علاج ناجع

وتردف اندرا ديفي قائلة :

« واخيرا لجأت الى احد اساتذة اليوجا فنصحني بتدريب نفسي على التنفس العميق ، وممارسة وسائل الاسترخاء اليوجوية التي يجهلها كثير من الناس » .

وعندئذ بادرني صديقي رجل الاعمال وهو يهز رأسه : « ان عيبنا الاساسي ، بعد ان اوضحت لي كل هذه الامور ، اننا نستغرق في العمل بدافع الظفر بمزيد من الكسب المادي دون ان نذكر ان لبدننا علينا حقا، ودون أن نحاول ان نعرف كيف نسترخي ، لاننا لا نعرف معنى الاسترخاء وقيمته وفوائده »

وهذا صحيح تماما ، فان كثيرين من الناس — كما يقول مايكل فولين — يعتقدون خطأ ، او يتوهمون انهم يريحون اعصابهم بمشاهدة افلام الاثارة والرعب في السينما او على شاشة التليفزيون ، أو بالاشتراك في مباريات رياضية منهكة ، او يحضرون اجتماعات خاصة يكثر فيها النقاش الحاد الذي يشتد فيه الاخذ والرد ، مما يثير الاعصاب ويلهبها ، أو يحضرون حفلات صاخبة فيها الشراب وما لذ وطاب من الاطعمة الدسمة التي تربك الجهاز الهضمي ، والاسراف في التدخين !

الحقيقة كما يقول مايكل فولين هي أن حضور مثل هذه الحفلات لا يعدو ان يكون رغبة في الهروب من الملل ورتابة الحياة اليومية ، او لعل الدافع الحقيقي هو التفاهة في التفكير وفراغ العقل والنفس !

الاسترخاء الحقيقي

تقول اندرا ديفي « ان الاسترخاء الحقيقي يجب ان ينبع من الذات ، وان يمارس على اساس التنفس الايقاعي ، وفقا لتعاليم اليوجا ، وهذا هو السبيل الوحيد لتهيئة الجو الذي ييسر للذهن والارادة العمل بلا معوقات او عقبات .

محاولة ناجحة

وبعد هذا الايضاح المستفيض بادرت

صديقي رجل الاعمال المتبرم دائما ، المرور بلا سبب واضح أو وجيه قائلا :

ــ ما عليك الا أن تحاول التحقق من النتائج بنفسك ..

فقال : اعدك بذلك بعد أن بدات اقتنع بعض الشيء بما ذكرته لي ، وبعد ان اوضحت لي أنه لا يتحتم على ان اقف على راسي .. والان هل بسعك ان تشرح لي مبادىء التنفس الايقاعي العميق ؟ اريد أن اسرع في تطبيقها فورا لعلها تخلصني من هذا العذاب الاليم ، وتجعلني اتمكن من ان اجمع شمل اعصابي قبل أن تذروها الرياح !

وهنا شرحت له بطريقة مبسطة تلك المبادىء كما ذكرتها « اندرا ديفي » ، وكما لخصتها «مايكل فولسين » ، وكان يصغى الى كلامي باهتمام شديد .

وبعد زهاء ثلاثة اسابيع التقيت به فوجدته مشرق الوجه ، موفور النشاط والحيوية ،على محياه ابتسامة الاستبشار ، وقال لي في هدوء لا عهد لي به : « احمد الله لانني لم اعد اشعر باية حاجة الى الاقراص المهدئة والمنومة »

فصدقته دون مناقشة لانني أعرف بالتجربة ان الوصول الى هذه النتيجة حتى خلال اسبوع واحد ليس امرا مستغربا او بعيد المنال .

وبعد شهر تقريبا التقيت به في قاعة فسيحة كان يلقى فيها محاضرة عن علم ادارة الاعمال ، فلاحظت انه منبسط الاسارير وهو يتكلم ، وانه يتبل كلامه بملاحظات ترتسم لها الابتسامات على وجوه المستمعين .

وحاول بعض الحاضرين المتحذلقين الثرثارين ان يجروه الى متاهات بيزنطية ، وان يستعرضوا عضلاتهم معه خلال النقاش الذى اعقب المحاضرة بيد أن محاولتهم ذهبت هباء ، اذ لم يفقد اعصابه على نحو ما كان يفعل في الماضي لاتفه الاسباب ، بل ظل محتفظا بهدوئه ورباطة جأشه يرد عليهم بحجج مقنعة مفحمة دون أن تفارق الابتسامة وجهه .

الاسترخاء انواع

والاسترخاء انواع مختلفة . فنحن نعرف اولا الاسترخاء البدني البحت الذى يكفل الراحة للجسم وكل ما فيه من عضلات . ثم هناك الاسترخاء العقلي الذى يبعد فيه العقل عن المشكلات التى تشغله وهذا يقتضي تركيز الانتباه على امور أخرى تكون عادة ابعث على الابتهاج ، ولا يحتاج التفكير فيها الى مجهود ذهني كبير ..وهناك، بعد ذلك،الاسترخاء العصبي العضلي، أى استرخاء الجسم والعقل معا !

وفي هذا تقول الاستاذة ((اندرا ديفي)) مؤلفة كتاب ((جدد حياتك باليوجا)) الذى بيعت منه حتى الان ملايين النسخ في الولايات المتحدة واوروبا: ((ان فكرة اليوجا عن الاسترخاء اوسع مدى واشمل ، فالاسترخاء الكامل عند فلاسفة اليوجا يتجاوز المظاهر البدنية والعقلية ليصل الى مجال الروح))

ففي حالة الاسترخاء الكامل تكون كل عضلات الجسم هادئة تماما ، ولا تنبعث منها اية شحنات كهربائية، ويكون العقل هادئا هدوءا تاما ومن ثم فان الاسترخاء الكامل يشمل قوانا البدنية والذهنية والروحية . ولهذا ــ كما تقول الاستاذة ديفي ــ فان الوسائل اليوجوية تتفوق على كل ما عداها من وسائل الاسترخاء ، لانها لا تشمل الجسم أو العقل وحده، بل تشمل الناحية الروحية ايضا .

الوسائل الآلية لا تجدى

وينبغي ان يلاحظ هنا ان استخدام الوسائل الالية ــ كالتدليك بالاجهزة

الكهربائية وغيرها – قد لا يؤدى الى نتيجة مرضية تماما لان هذا النوع من التدليك لايهدىء العقل الذى هو مصدر كل المخاوف ، وبواعث القلق والتوتر وتهيج الاعصاب .. اذ يكفى ان تتلقى مكالمة تليفونية من شخص يضمن لك العداء فتثور أعصابك ، أو تلتقى بشخص ثرثار عنيد يعكرعليك مزاجك، أو تصل اليك رسالة استفزازية فيغلى دمك ويستبد بك الغضب .. يكفى انه يحدث شيء من هذا القبيل لكى تعود بعد التدليك الالى الى حيث بدات .. عصبيا – مشدود الاعصاب ، شديد التوتر فى اغلب الاحيان !

ولكن ليس معنى ذلك الا تحاول ازالة التوتر البدنى كلما واتتك الفرصة ، بل يجب عليك ان تقوم بهذه المحاولة ، وتتعود ذلك فى كل فرصة تسنح لك ، حتى لا تتراكم اسباب التوتر البدنى .

ان ابسط واسهل الوسائل التى تكفل الاسترخاء لجسمك هى ان تتعود وقف التوتر قبل أن يزداد لدرجة التاثير على اعصابك،اى قبل انيكون التغلب عليه عسيرا. مثال ذلك: اذا جلست فترة طويلة فى وضع واحد فعليك أن تغير ذلك الوضع ، ولو لفترة قصيرة ، كأن تنتصب واقفا وتتمشى ، أو تتمدد على اريكة . واذا تعبت من طول الوقوف على قدميك فمن الخير لك أن تجلس،وخير من ذلك أن تتمدد على فراش بشرط الا تكون مرتبته شديدة اللين والمرونة .

التمطى يبطىء الشيخوخة !

وعلى الشخص الذى ينهمك فى العمل وهو جالس الى مكتبه ،وخاصة اذا اضطر للميل الى الامام اثناء العمل، أن يتذكر دائما ان يتمطى الى الخلف كلما امكنه ذلك فالتمطى مفيد دائما فى الحيلولة دون حدوث أوجاع مختلفة كما انه يسهم فى ابطاء عملية الشيخوخة !

ان وقف التوتر البدنى من وقت الى آخر يمكن تشبيهه ببناء قصر من الرمال وانهياره بمجرد الفراغ من بنائه بمجرد لمسه . فعندما تشرع فى بنائه يجب عليك أن تبدأ من الاساس مرة اخرى . وهكذا لا يمكن أن ينمو القصر ليصبح مبنى صلبا مرتفعا الا اذا قضيت فى هذه العملية وقتا طويلا جدا وبذلت جهدا كبيرا ..

وهذا الكلام ينطبق على التوتر ، اذ انك كلما ازلته بدأ يتراكم ، فانه لا يمكن أن ينمو الى الحد الذى يتعذر فيه عليك أن تزيله .

وثمة مثل آخر لنشاط يتسبب فى تراكم عوامل التوتر ، وهو قيادة السيارة ، فانك تجد نفسك معظم الوقت تضغط بأصابعك حول عجلة القيادة « الدريكسيون » ، وتميل بمنكبيك الى الامام ، وتمط رقبتك ، وترهق عضلات عينيك لاضطرارك الى تركيز بصرك .وتتعب عضلات ذراعيك اثناء القيادة .وعندما تصل الى هدفك يكون توتر سائر اعضاء جسمك قد تعاظم حتى قبل أن تبدأ عملك اليومى .

والسؤال الآن هو : كيف تستطيع ان تمنع تراكم التوتر اثناء قيادة سيارتك ؟

اقترح عليك ان تفعل الاتى :

١ – كلما تاكدت من خلو الطريق امامك اغمض عينيك وافتحهما بسرعة من وقت الى آخر .

٢ – حرك رقبتك الى الامام والخلف والى الجانبين كلما وقفت عند احدى اشارات المرور .

٣ – يمكنك اثناء ذلك ان تحرك منكبيك الى اعلى واسفل كانك تقول لنفسك « وانا مالى ! » »

٤ – حاول بين الفينة والفينة ان تحرك اصابع يديك كانك تعزف على البيانو ، وان تنطر كل يد على حدة كانك تريد تجفيفها من الماء .

٥ — عندما تنزل من سـيارتك ، وخاصة بعد رحلة طويلة ، حـرك قدميك كانك لاعب كرة يقوم بعملية تسخين !

ان مشكلة المبتدئين فيهذهالعمليات هي انهم كثيرا ما ينسون ممارسة الاسترخاء الا اذا جعلوها عادة لازمة مثل حلاقة الذقن أو تنظيف الاسنان بالمعجون .

زوجة تجد حلا

واعرف زوجه وجدت حلا لهـذه المشكلة بان اعـدت لافتات صغيرة ثبتتها في كل انحاء المنـزل لكي تذكر زوجها بان ياكل ببطء ويمضغ طعـامه جيدا ،وينمض عينيه وهو يستمع الى الموسيقى .. ويسترخي من وقت الى آخر ، وهو جالس في غرفة مكتبه .. والا ينفعل وهو يتحدث في التليفون .

وقد ايقنت ان هذه الطريقة المبتكرة البسيطة ادت الى النتائج المنشودة ، فقد تعلم الزوج آخـر الامـر فن الاسترخاء الى درجة تمكن معهـا من التخلص من كثير من عاداته السـيئة مثل التهـام الطعام بسرعة ، والرد بعنف على اى شخص يبادره بكـلام استفزازى تافه .

تستطيع انت ايضا ، عـزيزى القارىء — أن تفعل الشىء نفسه في سيارتك ، فتلصق علـى « التابلوه » ورقه صغيرة تكتب عليها « لا تنفعل وقد سيارتك بهدوء»،وتستطيع ان تضع ورقة اخرى على مكتبك عليها عبارة تحذرك من التسرع فيالحكم على الأمور ومن أن تترك اعصابك نهبا للغضب .

احذر تراكم عضلاتك

ويمكن القيام بنفس التمـارين الاسترخائية بنجاح كلما شعر المرءبأن توتر عضلاته قـد بدأ في التراكم ، وخاصة الشخص الذى يقوم بعمـل يحتم عليه أن يظل جالسا فترة طويلة من الزمن .

فاذا كنت موظفا في مكتب ، أو مهندسا رساما في مصنع ، أو موسيقيا ، أو مطربا ، أو طيارا ، فان نفس التمارين تفيد عضلاتك المتوترة وجسمك المتعب .

والاشخاص الذين يقتضى عملهم أن يظلوا واقفين فترات طويلة من الزمن يجب عليهم أن يتعودوا ان يجلسوا كلما واتتهم الفرصة، وأن يرفعوا أقدامهم ويسندوها على أى شىء . ومن هؤلاء الباعة في المتاجر والطهاة والجرسونات ، ورجال البوليس والبريد ، والمدرسون ، والراقصـون ، والاطباء الجـراحون ، والممرضـون والممرضات .

ونعنى بهؤلاء كل من يرون أنفسـهم مضطرين الى الوقوف معظم ساعات النهار ، سواء في المصانع والمتاجر ، والحقـول ، والبيوت . ولعل الواجب كان يقضى بان نبدأ هذه القائمة بربة البيت التى تقوم بأعمال الطهى وغسل الثياب ، وما الى ذلك من المهام .

يجب على المرء أن ينعـم بالراحة، ويستجم ، ويسترد نشاطه كلما أمكنـه ذلك ، ومن الخير أن تتعاقب فترات العمل والراحة، كمايقول العلامة دكتور «جون لاجرون » في كتابه « حسن حالة قلبك في تسعين يوما »لان هذه الطريقة تمكن أى شخص من أن يقلل من الشـعور بالتعب والارهاق .

ويؤكد العلامة « مايكل فولين » ان أى شخص يستطيع أن يستفيد من هـذه الاقتراحات ، فمن تعود ان يمارس حركات رياضية اخرى ، فليسـتمر فيها على ان يضيف اليها التنفس الايقاعي العميق ، وتمارين الاسترخاء ، ومهما تكن ما يفعله المرء في هذا المجال فمن الخير كل الخير ان يتذكر دائما أن عليه أن يوقف توتره البدنى من وقت الى آخر . والا يسمح له بان يتراكم الى حـد يقض عليه مضجعه ويؤرقه !

قصيدتان

• مصطفى رجب •

• زمان ! ! .. •

(١)
زمان ..
مضت على الحريق ساعتان
والتهم اللهيب كل شيء . ..

(٢)
وبعد ساعتين فى التحقيق اخريين
اكتشفوا ان رجل المطافىء
اغتاله الظما !
فمات فوق العربة
فى شارع « الاسعاف » !

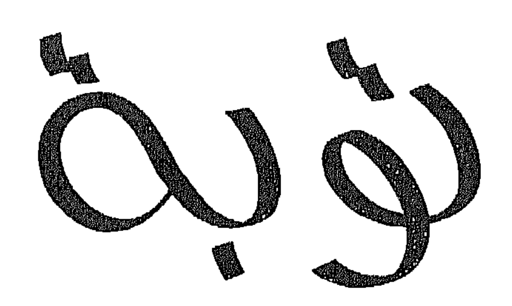


• قصة حب ! •

(١)
احببتها . . .

(٢)
تزوجت سواى . . .

(٣)
أعذته ونمت ! .



• تاج الدين سلامة نوفل •

الهى هـــذه حـالى
وهـــذا خـير احوالى
وهـــذا كله عمـلى
وهـــذا كله مـالى
فلم انفـع به احـدا
ولم اصلح به حـالى
ولم اعمــل لآخرتى
ولم تخطـر على بالى
ولم افعـل من الخـير
سوى مثقــال مثقــال
وشرى سـابق خـيرى
باضعــاف وامثــال
وما مجمــوع حسناتى
سوى ((صفر)) باجمال

***

وقد غــرتنى الدنيـا
واغـــرتنى بآمـالى
فصرت وراءهـا اجـرى
باطماعى . . . واثقـالى
ومما غــرنى فيهــا
غــرورا زاد اهمــالى
زخارفهــا التى تغـوى
كثـيرا من ذوى المـال
وزينتهــا التى تطغــو
بهــذا الزخرف البالى
وابكى ما جنـت نفسى
واشكو سـوء افعـالى
وسوف تزول عن كثب
ويرخص درها الغــالى
ولن يبقى سـوى عملى
ســوى ندمى على حالى
فهـل تغفـر لذى ندم
وترحــم ذلة الضـال

زهـرات من رياض العرب

● من نوادرهم ●

● تنبأ انسان ، بحضرة المأمون، فطالبوه بمعجزة ، فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب ..

قالوا : رضينا ..

فأخرج حصاة معه وطرحهـا فى الماء فذابت .. فقالوا : هذه حيلة .. ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب

فقال : لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمـــة من موسى .. ولم يقـل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصـــا من عندى تجعلهـا ثعبانا ! ..

فضحك المأمون وأجازه ..

● ثلاثة أيام ●

تنبأ آخر فى زمن المأمون فقـــال له المأمون:أريد منك بطيخا فى هذه الساعة .. قال : امهلنى ثـلاثة أيام ، قـال : ما أريده الا السـاعة ! .. قال : ما أنصـفتنى يا أمير المؤمنين .. اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ما يخـرجه الا فى ثلاثة أشـهر ... فما تصبر أنت على ثلاثة أيام ؟!

فضحك منه ووصله ..

● قال .. ولم يقل ●

تنبأت امرأة فى أيام المتوكل فقـال لها : أنت نبية ؟ .. قالت : نعم . قال: أتؤمنين بمحمد ؟ قالت : نعم .. قال : فانه صلى الله عليه وسلم قال : لا نبى بعدى .. قالت : فهـل قال لا نبيـة بعدى ؟



فضحك المتوكل وأطلقها ..

● من يطلب المغفرة ●

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينجلى ربنا كل ليلة في سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ »

● يعرف نفسه ●

مر يزيد بن المهلب بعجوز أعرابية ، فذبحت عنزا فقال لابنه : ما معـك من النفقة ؟ قال : مائة دينار ، قال : ادفعها اليها .. فقال : هذه يرضيها اليسـير



وهى لا تعرفك .. قال ابن المهلب : ان كان يرضـيها اليسـير فأنا لا أرضى الا بالكثير .. وان كانت لا تعـرفنى فأنا أعرف نفسى !

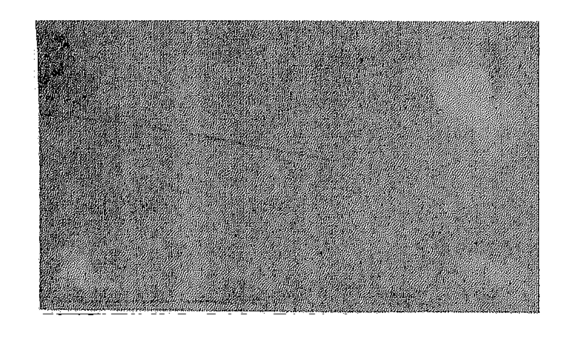
● الغيرة ●

قال ابن مطروح فى الغيرة :

أغار عليـــك من نظـــرى ومنى
ومنـــك ومن مكانك والزمـــان
ولو انى خبأتك فى جفـــونى
الى يوم القيـــامة ما كفـــانى !

● محسن فهمى ●

الكوميديا الانسانية



● محمد محمود عبد الرازق ●



● قبل ان يولد صبرى شعلان ، كان ابوه متولى شعلان قد لقى مصرعه ، على يد سيد القاضى ، الذى كان يحب نعيمة ام صبرى. ورث صبرى سيفاً كان أبوه قد اعده منذ سنين ، ليستعين به ابنه على الاخذ بثاره.. لو قيل لسيد القاضى حينئذ ، ان طفلا يدعى صبرى ، سيخرج من صلب متولى بعد شهود ، ليكون له شان عظيم . وانه سوف ياتى من الشرق قابضا بيده على سيف من نار ملتهبة .. لو قيل له ذلك لما استطاع ان يحتفظ بهدوئه .

مهما يكن من أمر ، فقد حدث هذا التطور فعلا ، كما حدث نظيره من قبل .

خشيت نعيمة على وليدها ، استودعته عبد الواحد النجار ، الذى كان يتوق الى ولد . وأوصته بالسيف خيراً .. يقال ان عبد الواحد شرب من ماء النيل أثناء سكونه ، الذى لايحدث سوى لحظة فى العام ، فوهبته المياه الساكنة سرها المقدس .. كان يستمع الى العشب وهو يتفتح ، الى الصوف ينمو على ظهور الحملان .. وكان ذا قوة خارقة لا تقهر ، وحيوية متدفقة نياضة . يرفع جاموسة سقطت ساقاها الاماميتان فى بئر الساقية .. يشق طريقا للمياه وسط الجبل الصخرى .. يقيم جدارا يريد أن ينقض .. يخرق سفينة فى عرض النيل . فقط .. لم يره أحد يرفع يده على احد .

افصح سيد عما فى صدره ، وهو بجوار نعيمة على فراش متولى . لما كان لايوجد كنز اصلا ، ولم تكن نعيمة تعرف سرا ، فقد رفضت بدلال ان تدله . أوثقها وربطها فى وتد واشعل النار فى الدار .

شب الطفل فى كنف عبد الواحد النجار حتى قوى عوده . رآه يصارع ذئبا ضاريا فيصرعه. اعطاه السيف الامانة . وقال له : اتبعنى ..

اذا بلغت ثورة عبد الواحد منتهاها ، انحنى الى الارض ، والتقط زلطة ، وفركها بكفيه الى ان تصبح دقيقا ، دقيقا .. وضع يده فى جيبه ، واخرج قرشا سلطانيا مفرطحا ، ومسح ما عليه من نقوش باصبعيه .. مرة واحدة أتى عملا مخربا . هاجمته قافلة لصة فى طريق سيدى ابو بلاش كانت الدنيا ليلا ، لن يرى اللصوص القرش الممسوح ، أو دقيق الزلطة الناعم ، ان هو اهتدى اليها فى الظلام . اضرب جذع نخلة سيف يد ــ تقصمها .

فى السوق تكلم كثيرا . ارتعدت فرائص اولاد القاضى ، عندما علموا بأن صبرى هو ابن شعلان وليس ابن النجار . وأن عبد الواحد قد يخبره بكل شىء اليوم أو غدا . واذا كان عبد الواحد الجبار طيبا ، لايحب منظر الدم حتى على شاشة السينما التى لم تبتكر بعد ، فان القرية كلها تهمس بكل الاسرار ، وادتها سرا ، وسوف تلتقط الاذناه السر لا محالة . عندها لن يكفى صبرى اولاد القاضى جميعا ، انه جبار آخر .

انفض السوق ولم ينفض أولاد القاضى من حول صبرى : لقد أصبحت اخانا ياابن بلدنا منذ أن صرعت الذئب الذى اكل خرافنا واقض مضاجعنا .. صرعته بدون نبوت ، بيديك هاتين .

اكلوا وشربوا وهمسوا فى اذنه أن يقتل النجار الذى اراد ان يكفر عن خطيئته بتنشئته .. أن يقتل النجار الذى قتل اباه ، ان يقتل النجار الذى احرق امه بحثا عن الكنز الدفين ...

قام صبرى من فوره وقتل النجار . هرع اولاد القاضى الى كوخه بحثا عن كومة الذهب .. غادر صبرى البلدة هائما ، قابضا بيده على سيف ، سيف .. من نار ملتهبة ! ●



أولا : لغز بالشعر

ضئيلة الجســم لها　　　فعـــل متين السبب
حافرها فى رأسها　　　وعينهـــا فى الذنب !

ثانيا : مسألة حسابية

اكتب الارقام الناقصة فى عملية الضرب الاتية علما بأن كل رقم ناقص وضع مكانه علامة ×

× ٣ ×
× ٧
―――――
٣ × ٥ ×
× ٢ ١ ×
―――――
× ٥ × × ×

ثالثا : اختبر ذكاءك : الاسلحة المجهولة

تحتوى كل جملة من الجمل التالية على اسم سلاح من أسلحة القتال ، ولكن كل اسم من هذه الاسماء مختبىء بين حروف الجملة ٠
فهل فى وسعك أن تكتشف هذه الاسلحة ؟

١ ــ سئم الغربة محمد فعاد الى بلاده ٠
٢ ــ ليس هو الملقن بل هو الممثل ٠
٣ ــ بين مصر وبين جبل الطور بيداء شاسعة ٠
٤ ــ اسطوانة الفونوغراف قرص أصله من الشمع ٠
٥ ــ الدار محل الطمأنينة ٠

رابعا : اختبر معلوماتك : خطأ أم صواب ؟

العبارات التالية بعضها صواب والبعض الآخر خطأ ٠٠ بين العبارات الخطأ منها ، ووضح وجه الخطأ ٠

١ ـ مستوى المياه فى المحيط الأطلنطى أعلى منه فى المحيط الهادى ٠
٢ ـ الخفاش (الوطواط) طائر ٠
٣ ـ غاز الهليوم أخف الغازات ٠
٤ ـ يعرق الجسم ليخفف درجة حرارته ٠
٥ ـ ستكون سنة ١٩٨٠ سنة كبيسة ٠
٦ ـ السرطان مرض معد ٠
٧ ـ لحم سمك القرش لا يؤكل ٠
٨ ـ قناة السويس مفتاح البحر الابيض المتوسط ٠
٩ ـ النشالون أشد أنواع المجرمين ذكاء ٠
١٠ ـ مدينة المنيا أقرب الى القاهرة من الاسكندرية ٠

الإجابات

أولا ـ لغز بالشعر : الابرة
ثانيا ـ مسالة حسابية

٥٣٦
٦٧
―――
٣٧٥٢
٣٢١٦
―――
٣٥٩١٢

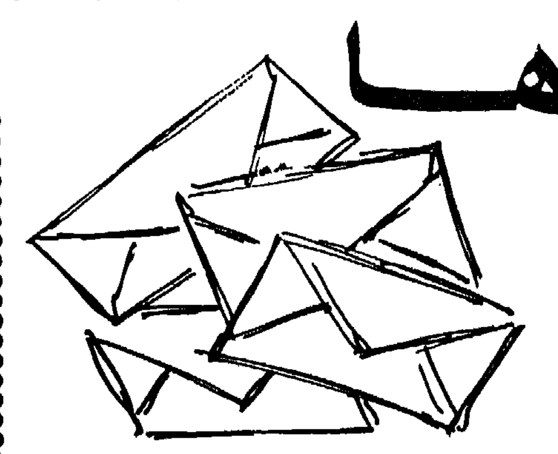
ثالثا : الاسلحة المجهولة :

١ ـ مدفع (محمد فعاد)
٢ ـ قنبلة (الملقن بل هو)
٣ ـ طوربيد (جبل الطوربيداء)
٤ ـ رصاص (قرص اصله)
٥ ـ رمح (الدار محل)

رابعا : اختبر معلوماتك : خطا أم صواب :

١ ـ خطأ لان مستوى المياه فى جميع المحيطات واحد ٠
٢ ـ خطأ فالخفاش حيوان ثديى ٠
٣ ـ خطأ فالهيدروجين هو اخف الغازات ٠
٤ ـ صواب
٥ ـ صواب
٦ ـ خطأ فالسرطان لا يعدى
٧ ـ خطأ
٨ ـ خطأ فالمفتاح هو مضيق جبل طارق
٩ ـ صواب
١٠ ـ خطأ فالمنيا تبعد عن القاهرة ٢٤٧ كيلو مترا بينما الاسكندرية تبعد ٢٠٧ كيلومترات ٠

رسائلها



• اسماعيل عبد الفتاح •

الشمس يحرق مقلتيى شعاعها القاسى الرهيب
والريح تنفث فى عيونى سم نار كاللهيب
وانا هنـــاك على الطـــريق
تكاد الف يد تشير الى :
((ينتظر البريد)) !
من الف عــام كالطـــريد
فتعود بى اللحظات قسرا للوراء
ايام ان كابدت
جوع الشـــوق
يعصر لى الدماء ..
ويمص من نبضات قلبى الشوق
يغـــلق لى فمى ..
ويكاد يهمس قد نسيت
يكاد يهمس لا تزال
تحيا على امل غريب ..
طيف وهـــم من خيال !
اوليس ذاك هو الهباء ؟!
ان كان هذا مايكـون ..
فاين يمكن لى العزاء ؟!
اواه يا ليلى متى ... متى انام ..
لتريحنى من نظرة الاشفاق
فى تلك العيون الاجنبيه
اواه انك قد نسيت
اكــاد ايضــا ان اكون ...
فلتخمدى يا انت
يا اشواق .. يا اطياف يا اوهام قلبى
ياظنون ..
فلن تنالى ما تريد !

والليل اطبق بالظلام
ولا ازال ..
على انتظارى للبريد !

اقرأ الهلال واكسب جائزة

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة أسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ...

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة بهالاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان ـ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد ديسمبر سنة ١٩٧٩ .

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من اكتوبر سنة ١٩٧٩ .

● الأسئلة : ●

سؤال ١ ـ من أول من أمر بالتاريخ بالهجرة النبوية ؟

جواب ١ ـ هو (فى مقال)

سؤال ٢ : اين استخدم سلاح الأمطار فى الحروب ؟

جواب ٢ : (فى مقال)

سؤال ٣ : من مؤلف « جاسبى العظيم »

جواب ٣ : هو (فى مقال)

سؤال ٤ : متى أوفدت كل من الولايات المتحدة وروسيا اسطولا الى اليابان لتوقيع معاهدة تجارية ؟

جواب ٤ : (في مقال)

سؤال ٥ : أى بطون القبائل العربية دعاها الخليفة الفاطمى العزيز لسكنى مصر ؟

جواب ٥ : (فى مقال)

سؤال ٦ : أذكر أسماء خمسة أدباء وعلماء مصريين عرفتهم مصر فى القرن الماضى حملوا لواء الثقافة العربية ..

جواب ٦ : هم (فى مقال

سؤال ٧ : أين أقيم أكبر مرصد عرفه تاريخ العلم العربى ؟

جواب ٧ : اقيم فى (فى مقال)

سؤال ٨ : ما أول الروايات التى وصلتنا عن القدماء ؟ ومتى كتبت ؟

جواب ٨ : (فى مقال)

سؤال ٩ : من أشهر المستشرقين الذين اتصل بهم د . طه حسين ؟ وما جنسياتهم ؟

جواب ٩ : هم (فى مقال

سؤال ١٠ : ما أهمية الآداب بالنسبة لحضارة كل شعب ؟

جواب ١٠ : (فى مقال

كوبون مسابقة : اقرأ الهلال واكسب جائزة
عدد أكتوبر ١٩٧٩

الاسم : ـــــــــــــ السن : ـــــــ

العنوان : ـــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــ

ترنيمة الختام

شفاء القلوب..

ياهادى النور الحبيب المصطفى
بعبيره تتعطرُ الأرجــــاءُ
قد جئتَ بالقرآن أعظم منْزَل
خشعتْ له دون الورى العلياءُ
وسموتَ بالخلق العظيم محبة
سمقت ، وتلك بشارة غــراءُ
أنتَ الذى وهبَ الشفاعة قومه
والحلم فيك سجية بيضـــاءُ
والدينُ روض والشريعة عطره
بهما لأسقام القلوبِ شفاءُ
أثنى عليك الله جلَّ جلاله
فلقد نمتكَ خلائق شمَّاء
والشوقُ قد ملكَ القلوب تهجدا
والنورُ هلَّ وغنت الورقــاءُ
وبمدحكم كل الوجود قد انتشى
فرحا ، وألسنة الزمانِ ثناءُ

● مصطفى عوض الله بشارة ●
● الخرطوم ـ السودان ●



السنة الاولى - الطبعة الثانية
الهلال
مجلة علمية تاريخية صحية أدبية
لمنشئها
جرجي زيدان
HILAL
& Literary Arabic Review
August 1893
Faggalah, Cairo, Egypt
الهلال
يونيه ١٩٧٩
١٩٧
قيمة الاشتراك السنوى
بالبريد العادى:
فى مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عددا
فى الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات
بالبريد الجوى:
فى الخارج ١٤ دولارا أو ٩ جنيهات انجليزية
فى البلاد العربية:
سوريا ٣٠٠ ق.س الكويت ٣٥٠
لبنان ٢٥٠ ق.ل العراق ٤٠٠
الأردن ٢٥٠ فلسا السعودية ٤ ١/٢
تسدد بشيك مصرفى مقدما
لقسم الاشتراكات بدار الهلا
١٦ شارع محمد عز العرب - القاه
الاول من الهلال والاخير منه
من العلم والثقافة
والادب والفن والطرافة
مجلة الهلال عميدة المجلات
وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل اعلام الفكر العربى ويكتب فيه كل اعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!

اقرأ الهلال واكسب جائزة

نوفمبر ١٩٧٩

الهلال

مجلة الفكر العربي

• علماء وراء سر الحياة
• جزر النساء

(استطلاعان بالألوان)



دفاع عن الثقافة العربية - مشاكل الشباب يحلها الشباب وحده

كلمة الهلال

أزمة نقد .. أم أزمة فكر ؟

تثير جريدة « الاخبار » القاهرية هذه الأيام قضية أزمة النقد ، وتتبارى الاقلام فى تناول أطراف موضوع النقد الأدبى وأزمته .

وليس أحب الى « الهلال » من أن تثار هذه القضايا الفكرية وأن توضع موضع المناقشة الجادة على الاسلوب الذى نراه على صفحات الصحف الكبرى ، لأن « الهلال » كان أول من أثار قضية أزمة الفكر العربى المعاصر فى الشهور الأولى لتجديده الأخير من يوليو سنة ١٩٧٧ فصاعدا .

وعندما طرحنا القضية طرحناها من أساسها وهى انها أزمة فكر عربى شاملة ، لأن النقد لا يقوم الا اذا ظهرت مؤلفات تنقد ، وخلال السنوات الأخيرة قلت الكتب الجيدة الى درجة تدعو الى القلق ، وتراخت حركة النشر حتى أن الدور الكبرى التى كانت تتولى الى الآن نشر المؤلفات الكبرى تناقص نشاطها فلم تعد تصدر فى العام كتابين أو ثلاثة من الطراز الجيد الذى يعتبر قاعدة الحركة العلمية الفكرية فى عالم العرب . أما دور النشر الفردية الصغيرة فلم تعد تنشر الا الكتب التى يؤلفها أساتذة الجامعات لطلابهم ، وهى أقرب الى الكتب المدرسية .. ولم يعد هناك بالفعل نشر حقيقى على النطاق العظيم الذى عرفه عالم العرب خلال الثلاثينات والاربعينات والخمسينات .

فاذا كان هذا كذلك فأى وسيلة ، يملك الأديب ـ ناشئا أم غير ناشىء ـ لنشر مؤلفاته .. فاذا تركنا كبار المؤلفين والأدباء جانبا لأنهم على أى حال قد ثبتوا أقدامهم وأثبتوا أقدارهم ، فماذا يفعل الأديب أو المؤلف الشاب وهو يقف أمام أسوار عالية ولاسبيل له الى النشر الا فى أضيق الحدود ؟

هذا الوضع الاسيف هو الذى نريد أن يعرفه الغاضبون من شباب الأدباء أو كهولهم الدين لم يبلغوا بعد ، المدى الدى يرون أنهم يستحقونه . لان الكثيرين منهم عاتبون علينا حاسبين أننا نستطيع ولا نريد ، وليس أبعد عن الحق من ذلك . فان مجلة الهلال مفتوحة على مصراعيها لكل أديب أو كاتب أو عالم يريد أن ينشر بحثا أو مقالا أو دراسة ، وليس لنا هنا « خواطر » أو « شلل » فكل جيد يرد الينا ينشر ، لكن مجال المجلة محدود بعدد معين من الصفحات .

اننا ندرك تماما أبعاد أزمة الفكر العربى ، ونتيجتها الطبيعية وهى أزمة النقد ، ونبذل أقصى ما نستطيع للعون والتخفيف من حدة الازمة ، مع تراخى كبار الأدباء فى الانشاء والتأليف .

وفى بعض الأحيان يدفعنا الجد فى مواجهة الأزمة الى المصارحة التى تؤلم الكثيرين ، ولكننا نؤكد أن المصارحة وكلمة الحق هى قاعدة العمل فى مجله ثقافية رفيعة مثل الهلال ، ولا علينا بعد ذلك اذا غضب مؤلف لاننا لا ننشر أى شىء فيه تعارض مع القيم الاخلاقية والتقاليد الثقافية العربية ، فلا جنس ولا شيوعية ولا الحاد ولا اى دعوة تمس العروبة وأمتها وتقاليدها ، ولا مساس بالعقيدة الدينيه لهذه الامة العربية .. هذا فيما نرى هو المذهب السليم الذى ينبغى علينا أن نتبعه لنؤدى الرسالة الملقاة على عاتقنا .

المحرر

في هلال هذا الشهر

ص

الهلال

مجلة الفكر العربي

ذو الحجه ١٣٩٩ هـ

نوفمبر ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة السابعة والثمانون -
اول نوفمبر ١٩٧٩ - ١١ من ذى الحجة ١٣٩٩

من الهلال الأول

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقـالات والدراســات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت أم لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العـدد

أحمـد فاضل و أحمد الوردى

● صورة الغلاف الأول ●

من جزر المالديف ، وكان الجغرافيـــون العرب يسمونها ذيبة المهل ، نقادم للتعلى غلاف هذا العدد وعلى صفحاته الملونة فى الداخل ــ تحقيقا طريفا وصورا بالالوان عن الحياة فى هذه « الجنة التـــائهة فى المحيط الهندى » ــ كمـــا وصــــفها بحق الرحالة العربى ابن بطوطة ..

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا فى جمهورية مصر العـــربية ٢٤٠ قرشـــا صاغا وتســـدد مقـــدما لقسم الاشتراكات بدار الهـــلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العـــادى ٧ دولارات او ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو ٩ ج . ك . تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الادارة : دار الهلال ــ ١٦ شارع محمد عز العرب ــ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط) .

مشاكل الشباب لا يحلها إلّا الشباب

بقلم: رئيس التحرير

● **المشاكل التي يواجهها شباب العرب في أيامنا هذه هي نفس المشاكل التي يواجهها شباب العالم كله: انها مشكلة مواجهة عالم جديد، بدأ من منتصف الستينات، عندما تبين الشباب في العالم كله ان ظروف الحياة قد ركدت واستقرت على نحو تقليدى صنعه آباؤهم واجدادهم، وان هذه الظروف لم تعد معينة لهم على تحقيق آمالهم وتطلعاتهم • حتى اطار الحياة العامة لم يعد يرضيهم، ولم يكن لهم مفر من التمرد عليه او تركه على حاله والبحث عن اطار حياة جديد أكثر ملاءمة لآمالهم ومطامحهم ..**

وقد تجلى هذان الاتجاهان للشباب فى أوروبا والولايات المتحدة الامريكية •

فاما فى اوروبا فقد قامت فى فرنسا ثورة مايو سنة ١٩٦٨ أيام الرئيس السابق شارل دى جول وهى ثورة عنيفة لها مبرر واضح وهو ان الشباب فى فرنسا شعر انه ضائع لا مكان له لا فى صنع المستقبل ولا فى صورة المستقبل التى كان يصنعها السياسيون اذ ذاك، وقد كان من المسلم به حتى ذلك الحين أن الشاب لا يتسلم مسئولية حقيقية الا اذا خرج عن نطاق الشباب ودخل فى مرحلة الكهولة ففى جامعة باريس مثلا لم تكن هناك عنايه بالطلاب انما العناية كلها بالاساتذة فقد يحشر الألف طالب فى مدرج واحد، ولكن لا يمكن أن تخصص غرفة لاستاذين • لابد أن تكون لكل أستاذ غرفته ووسائل عمله، وفى توزيع الدروس لم يكن ينظر قط الى راحة الطالب أو ظروفه، فالمهم هو الاستاذ، وكان من المقرر أن الاستاذ يعمل يوما واحدا فى الاسبوع، فيضع كل دروسه ــ ولاتزيد على اربعة ــ فى يوم واحد، وعلى الطلبة أن يرتبوا أوقاتهم بما لا يمس راحة الاساتذة •

وفى المصانع كان الشبان يعملون ما ينفع المصنع لا ما يفتح أمامهم سبلا جديدة للعيش، فقد يقضى الشاب عمره فى ضبط صامولة معينة فى السيارة، فاذا استغنى عنه المصنع لم يجد أمامه اى وسيلة لكسب العيش وتحول الى عاطل متسول ..

وعلى الرغم من ان حكومة دى جول ريعت روعا شديدا بسبب هذه الثورة الا

● مشاكل الشباب عالمية لا تقتصر علينا ، وهي ليست صراع أجيال بقدر ما هي نتاج عصر جديد يختلف عن العصر الماضي من كل نواحيه : عصر طفرة العلوم والتكنولوجيا واهتزاز القيم الإنسانية التي تقوم عليها سعادة البشر وشيوع الشك والحيرة بين الشباب وغير الشباب

أن ادجار فور وزير التعليم في فرنسا اعترف في النهاية بان الشبان كانوا على حق ، وان جامعات فرنسا كانت الى ذلك الحين جامعات اساتذة ، والطلاب بعض أدوات العمل للاساتذة .. وكتب تقريره المشهور الذى قال فيه : ان الجامعات ينبغي أن تكون جامعات طلاب ومصانع شباب ، وان البحث العلمي الذى كان يعتبر عمل الجامعة الاكبر أمر مطلوب ، ولكن لا ينبغي أن يضحي الاستاذ بمستقبل طلابه لكي يؤلف كتابا ينال عليه تقديراً علمياً .

من هنا تطورت الجامعات الفرنسية ذلك التطور الذى يدعو الى الاعجاب ، فعدلت المناهج وأساليب التدريس والامتحان وفروع التخصص بما يخدم الشباب ويوسع آفاق العمل والانتاج في فرنسا ، فانقسمت جامعة باريس الى نحو عشر جامعات ، ووزعت في ضواحي باريس ، وكلها جامعات عملية تقدم للطلاب ما ينفعهم في مطالب عصرهم ، فجامعة الهندسة تضم مثلا كلية للطيران ، وكلية الطيران مقسمة الى معاهد تخرج كل مطالب صناعة الطيران وصيانة الطائرات وخدمة الطائرات وركابها ، وهناك تخصصات مثل طعام الطائرات ، أى تدبير ما يقدم للمسافرين من وجبات وكيف يقدم وفي أى أدوات وهناك معهد لمضيفي المطارات ومضيفاتها أى المضيفين الذين لا يسافرون بالطائرات بل يخدمون الركاب قبل ركوبهم الطائرات وعند نزولهم منها ، ويدخل في ذلك خدمة مكاتب الطيران وكل أعمالها .

ومعنى ذلك أن الجامعات الجديدة في فرنسا وبقية أوروبا تخدم العصر واهله وهم الشباب ، وتخدم مستقبل الشباب ، وتفي بمطالب العصر ، واساتذتها يخططون للمستقبل ، وانتهي تماما ، عصر الاستاذ الوقور الذى كان يرى نفسه قيصر الجامعة وصانع الحياة والفكر

وفي مدينة مونبلييه وحدها خمس جامعات للفروع التقليدية كالاداب والحقوق والطب والهندسة ، ولكن التجارة والاقتصاد اصبح لهما جامعة . ومن كليات هذه الجامعة كلية للاعمال المصرفية منقسمة الى معاهد ومدارس شتى منها مدرسة لخدمة العملاء في

شبابيك البنوك ، ولم يعودوا في فرنسا **يضعون وراء الشبابيك حملة بكالوريوس التجارة ، بل شـــبابا عارفا بمطالب العملاء قادرا على انجاز خدمة العميـــل على أحسن وجه في دقائق معــدودة ، ومثل هذا الشباب يتم اعداده في ثلاث** سنوات فحسب ، يخرج بعــدها وهو صالح لخدمة حقيقية حيوية نشعر بهـا نحن في مصر كلما ذهبنــا الى مصرف ووقفنا أمام شاب يحمــل بكالوريوس التجارة ولكنه لا يستطيع خدمة عميــل على الوجه المطلوب ، ماذا يهم العميل ان كان الواقف أمامه خلف الشباك يحمــل البكالوريوس أو لا يحمله ؟ المهـــم أن يعرف كيف يؤدى الخدمة المطلوبة ..

ومع هــذا فهذا الشــاب المصرى الواقف وراء شباك المصرف وفي جيبــه البكالوريوس يعانى ، ومعاناته آتية من هذا البكالوريوس بالذات ، لأنه القى في روعه انه مؤهل تماما للخدمة المصرفية بكل أشكالها ، فاذا اصطدم بالواقــع تبين انه كان يكون أســعد وأقدر على اسعاد نفسه لو كان قد تعلم استعمال الآلة الكاتبة والآلة الحاسبة وأجهـــزة التراسل الداخلى في البنك ليخدم ١٠٠ عميل في ساعة بدلا من أن يخدم عشرين في نهار كامل ، انه يعـــانى لأن راتبه لا يكفيه ونحن لا نستطيع أن ندفع له أكثر لان العملية التى يقــوم بها لا تساوى المرتب الذى يتقاضاه ..

ولكن ، هل يرضى نفس ذلك الشاب أن يتخلى عن كبرياء الحصـــول على البكالوريوس ويدخــل معهدا تجــاريا وظيفته اعداد الشباب لخدمة العمــلاء بالالات الكاتبة والحاسبة ؟ انه لو استطاع أن يخدم مائة عميل في ســـاعة زمان اســـتحق راتبا أعلى وتقاضاه ، وفى القاهرة مصارف أجنبية تدفع لموظفيهـا أضعاف ما يتقاضـــــاه موظف المصرف المصرى لأن اولئــك الموظفين يجيـــدون الكـــلام بلغات أخــرى غير العربيــة ويخدمون العملاء بسرعة ودقة مع أنهم لا يحملون البكالوريوس ..

تلك اذن هي مشكلة الشباب .

كما احتج شباب جامعة باريس على نظام التعليم واستطاع أن يجعل المشرفين على الجامعات أن يغيروا نظامها ليستطيع هو أن يعمل أحســـن ويكســـب أكثر فكذلك الحال بالنسبة للشاب المصرى عليه ان يتنازل عن وهم البكالوريــوس ويقتنع بأن الأهم من ذلك هو ان يتأهل ليخدم أحسن وأكثر ويتقاضى بالتـــالى مرتبا أحسن .

فى جامعة مونبلييه كلية خاصة لخدمة المصارف ، والشبان يلتحقون بها ، فى نهاية العام الأول تقرر ادارة الكلية لكل شاب أو شابة نوع العمل الذى يصلح له أكثر . هناك شــــباب يوجهــون الى دراسة ادارة المصارف وآخرون يوجهون الى خدمة العملاء وراء نوافــذ البنــك ، وهناك من يوجهون الى أقسام البحوث والدراسات والاحصائيات فى المصـــارف بل هناك من يوجهون الى أعمال العناية بمظهر البنــك ونظــافته .. ولا أحــد يتمرد ! كل شاب يسير فى الطـــريق الذى رسموه له ، لأن هذا الطريق مهما كان متواضعا فى الظاهر فســيؤدى به الى الاستفادة من ملكاته على أحسن وجه .

الامر محتـــاج الى تغيير فى العقلية ، وهذا التغيير لا يستطيعه غير الشـباب ... يأتينى بين الحين والحين شـبان يشكون من قلة الراتب وصعوبة انشاء البيت والاسرة ، ويقولون ان العــامل اليدوى يكسب أكثر منهم ، وردى عليهم أن العامل اليدوى يكسب لاننا محتاجون اليه ، وأنت لا تكسب لاننــا بداهة فى غير حاجة الى نوع خدمتك .

ان الكلام عن خدمة الشباب كثير .. وهناك فى الدولة أكثر من جهـــاز لخدمة الشباب .

ولكن أقول رغم ذلك انه لن ينفع الشباب الا الشباب نفسه ..

فى ذات مرة زرت ناديا من نوادى الشباب فى بلد من بلاد محافظـــة الشرقية . وجدت النـــادى مهملا وغير

● شبابنا معذور لأن نظمنا التعليمية ليس فيها للتربية المعنوية مكان ، فنحن نعلم ولا نكوّن ، والشاب يخرج من المدرسة الثانوية بمجموع كبير في مواد الدراسة ولكنه خلو من السند المعنوي الكافي ... وعلى هذا النحو يواجه الحياة .. !

نظيف ، وقال لى رئيس جمعية الشباب فى ذلك النادى :

ــ طلبنا من ادارة منظمة الشباب الف مرة أن يرسلوا لنا المعونات والاثاث ، ولكن ماذا نعمل ! ..

قلت : لو اننى المسئول عن هذا الموضوع فى هيئة رعاية الشباب لما كلفت نفسى عناء الرد عليكم ..

فدهش واستنكر ردى ، فقلت :

ــ يابنى ، لقد اعطوكم مكانا وبعض الأثاث، فماذا أعطيتموهم أنتم، انهم هناك لا يستطيعون أن يفعلوا كل شىء . ويكفى أنهم قدموا لكم هذا البناء وتحملوا الماء والنور ..

ــ يا سيدى ولكنهم لم يعينوا فراشا واحدا !

ــ ولماذا تريدون الفراش ؟

ــ لكى ينظف المكان ويخدمنا ..

ــ الفراش لن ينظف المكان ولن يخدمكم . الفراش سيزيد المكان قذارة ولن يخدم الا نفسه . انتم الذين تخدمون انفسكم . هل من العيب أن تنظفوا داركم بأيديكم ؟ هل تعجزون عن تبييض مبناكم هذا واعطائه صورة أجمل ؟ .. هل وظيفتكم التجمع للدردشة ولعب الطاولة ؟ ألم تسمع يا بنى عن الكيبوتز وما يعمل الشباب فيه . انهم يعطونهم المبنى ولا زيادة ، وعليهم هم ان يعملوا الباقى .

ويأتينى شاب ويقول :

ــ حفيت فى البحث عن شقة . تصور اننى خاطب من سنتين ولا أجد مكانا اتزوج فيه ..

وأقول له :

ــ ان التعليم والاعداد مسئولية المجتمع حيالك ،ولكن الزواج مسئوليتك أنت . لن يضير هذا البلد شىء اذا لم تتزوج أنت أو لم تنجب . عندنا زيجات وأولاد فوق الحاجة . هذه مسئوليتك أنت وعليك أن تحلها ، اذا لم تجد المسكن فى القاهرة فلماذا لا تنتقل منها .

ــ ولكن عملى هنا .

ــ وما عملك ؟

ــ مدرس ..

ــ وهل لا يصح التدريس الا فى القاهرة ؟ أليست مصر الواسعة هذه كلها بلدنا ، ماذا لو نزعت من عقلك هذا الداء المسمى القاهرة وقررت ان تنشىء حياتك بعيدا عنها ، اننى اكاد اقول ان مرض الحياه فى القاهرة هذا ينبغى ان يعالج بقانون يضع حدا للمسكن فيها حتى يتجه الناس الى غيرها ويولوه العناية . . أكاد أقول ان الدولة بدلا من أن تنشىء مساكن جديدة على نفقتها فى القاهرة ينبغى أن تنشئها فى المدن الجديدة أو فى مدن جديدة على مئات الكيلو مترات من القاهرة فى صحرائنا الغربية ، هناك من الممكن أن تقام مدن جديدة كاملة يجد الانسان فيها كل مطالب حياته ، هذا ما فعله الامريكيون مثلا عندما اندفعوا نحو الغرب ليعمروا برارى الوسط الغربى (الميد ــ ويسنت) ثم ليصلوا الى المحيط الهادى . هكذا نشأت المدن والولايات الجديدة من فرجينيا وبنسيلفانيا غربا حتى كاليفورنيا . كانت المياه مشكلتنا فى الماضى ، أما الآن فالمياه متوفرة وتكاليف انشاء قناة تسير فى أنابيب تحت الارض من النيل الى اى موقع فى الصحراء الغربية تقل قطعا عن تكاليف انشاء مساكن جديدة لسكان أحياء مثل الترجمان أو عرب المحمدى .. وهل ينبغى أن يعيش هؤلاء جميعا فى القاهرة ؟ ولماذا ؟ وما مصلحتهم هنا ؟ لماذا لا ننقل مئات الاوف هؤلاء الى مدن جديدة ننشئها على سعة بنظام جديد ونبعث شبابنا المتعب فى القاهرة ليتولى قيادة المجتمعات هناك ؟ ستحتاج المدن الى الطبيب والمهندس والمعلم والمهندس

الزراعى والتجارى ، والشـاب الذى لا يجد المبلغ الكافى ليفتح عيـادة فى القاهرة سيجدها هناك بأرخص تكاليف ممكنة ، وبدلا من أن يكافح ليحصل على شقة مساحتها ثلاثين مترا مما يسمى بشقق العرائس يستطيع من الآن أن يجد شقة واسعة بل بيتا مستقلا فى تلك المدن البعيدة عن متاعب القـاهرة هناك ينشىء حياته ويقضيها كلها فى عالم جديد رحب فسيح فيه من امكانيات النجاح والسعادة أضعاف ما تقدمه الحياة فى هذه القاهـرة العتيقة التى تصبح الحيـاة فيها كل يوم أصعب وأصعب بسبب تزاحمنا عليها وتصورنا الا حياة الا فيها .

ان عيب شبابنا أنه لا يريد أن يقود مستقبله بنفسه . ما زال يفكر بعقلية الرجل العجوز الضعيف الذى يريد أن يعمل الناس له كل شىء مع أنه ينبغى أن يكون قائدا لحركة التطوير الجديدة التى ننادى بها نحن الشيوخ .

ان الغزاة الامريكيين كانوا يخرجون الى البرارى ويعيشون فى خيام أو فى أكواخ ، ونحن نرى ذلك بأنفسنا فهل رأيت عندنا شابا خرج ليستكشف أو يعمر وأقام فى خيمة أو كوخ ؟ كلهم يريدون الشقة المؤثثة قبل أن يحركوا أقدامهم ، كلهم يطلبـون الراحة قبـل التعب ، والعكس هو الصحيح . نريد أن يفهمـوا أنهم ينبغى أن يتعبـوا ليستريحوا . والواحد منهم يأتيك بشهادة الليسـانس أو البكالوريوس ويصور لك أنه هلك فى الحصول عليها ونحب ان نقول للشباب جميعا انه ليس هناك أسهل من الحصول على الليسانس أو البكالوريوس ، فليس فى ذلك جهد يذكر خاصة وان النجاح يتم بخمسين فى المائة ، والمقررات فى ذاتها هزيلة ، والعلم فيها قليل ، وهـذا الليسانس لا يساوى أكثر مما تعطيه الدولة فيه ، بل أن ما تعطيه كثير بالنسبة لما يستطيعه هذا الشاب ، لان ما يستطيعه اى انسان يتوقف على ما يعرفه ويتقنه ، وقل لى والله ماذا يتقن خريج التجارة مثلا ؟ ان شابا يتقن الآلة الكاتبة أكثر فائدة منه لأنه « يتقن » شيئا ، ونحن فى عصر اتقان لا مجرد معرفة ، وانظر الى الصناعات الاوروبيه واليابانيه التى تملأ الاسواق وتأمل الاتقان الذى بها لتدرك أننا اليوم فى عالم اتقان ، اننا نبحث اليوم عن كاتب آلة كاتبة متقن فلا نجد ، وقد وزعت بعض المصـارف على موظفيها آلات حاسبة ، ومن الغريب أنهم لا يستخدمونها استخداما صحيحا لأن الاتقان ينقصهم .

وشىء آخر ينقص الشباب وهو روح الجديه والجدية شـاقة جدا على من يفهمهـا حق فهمها . انها تتطلب من الانسان ان يضع عقله وقلبه وكل قدراته فيما يعمل ، فاذا طلب اليه شىء فينبغى أن يتم على أكمـل وجه ، وينبغى أن يتحمل الشاب مسـئولية ما يعمـل مسـئولية كاملة ، واننى لانظـر الى الشباب وكيف يتناول اموره فيدركنى العجب : كل شىء عنده هزل أو قـريب من الهـزل .. وهو يؤمن أن كل شىء لا يتم الا بالواسطة ، وأنا أقول ان الشـاب الجاد لا يمكن التغلب عليه بواسطة أو غير واسطة ، فاذا كان هناك من يغتال حقه بالواسطة فهو المسئول لأنه ينبغى أن يكون شجاعا جادا ويؤدى واجبه كما ينبغى أن يؤدى ثم يتمسـك بحقه ، ولن يستطيع أحد الوقـوف فى وجه انسان جاد يؤدى واجبه حق ادائه ولكن أين نحن من الجدية !

ان الشاب يقول لك انه يتقن الانجليزية ثم تجده فى النهاية لا يحسن قراءة خطاب فضـلا عن كتابته ، وفى معظم مكاتب الدولة نجد شباب العاملين لايكاد يصل الى مقر عمله حتى يسرع فى طلب الساندويتش والشاى ويقضى ساعة فى هزل ، كأنه سيموت جوعا اذا لم يملأ بطنه قبل أن يعمل ..

كلمة صريحـة أريد أن أقـولها للشباب ..

لا أحد يستطيع أن يعمل لك شيئا

● التربية الدينية بوضعها الحالي لا تنفع الشباب كثيراً لأن الدين احساس وقوة معنوية، ومن ثم فهو لا يدرس وانما لابد أن نختار مدرس مادة الدين نموذجاً للرجل المتدين الحافظ لقيم الدين حتى يغرس في قلوب تلاميذه الإيمان

لتحقيق آمالك. كل ما يستطيع الوطن ان يعمله لك هو أن يقدم لك الكفاف فاذا كنت تريد فوق الكفاف فعليك أن تعمل أكثر وتجهد أكثر وتصنع مستقبلك بيدك، واذا عزت عليك الحياة الرخية في القاهرة فابحث عنها في غير القاهرة، واذا عزت عليك في مصر فابحث عنها في غير مصر، ولكن على غير هذا الاسلوب التافه الذي نعمله، لقد نشرت احدى الصحف خبرا عن أن شبابنا الدارس في النمسا يبيع الصحف لكي يدفع نفقات دراسته، وانا شخصيا لا أجد في ذلك ما يفخر به، لأن مجتمع النمسا لابد انه وجد أن كل ما يستطيع أن يعمله هؤلاء الشبان هو بيع الصحف، ولو وجدهم يستطيعون أكثر من ذلك لاعطاهم، لقد عرفت شابا سويسريا كان معنا في الجامعة وأراد الهجرة الى الولايات المتحدة، فبدأ بدراسة حرفة لها قيمة وفائدة: اتقن كل ما يتصل بالادوات الصحية وتركيبها وهندستها، وقضى سنتين يعمل بيديه مساعدا « لسباك » كان يسكن بيتنا، كان يعمل بالنهار بيده ويدرس هندسة الادوات الصحية بالليل في عامين كان قد اصبح اختصاصيا في هذه الصناعة، ثم ذهب الى أمريكا فتحاطفوه، وفي أعوام قليلة كان قد أصبح صاحب محل ثم شركة صغيرة، وسارت سفينة حياته في بحر المال والرخاء والنجاح.

مثل هذا أقوله لشباب الادباء.

وشباب الادباء شكواهم لا نهاية لها من أن أحدا لا ينشر لهم، وهم لا يرضون عنا هنا لاننا جادون ونصارحهم بالحق، ونقول: ليس في التاريخ اديب موهوب الا فرضته ملكاته على الناس، وبرنارد شو كان يكتب المقال ثم يرد على نفسه بامضاء آخر، ثم يكتب ردا ثالثا بامضاء ثالث، وفي شبابه كان يقضي بعض الايام خطيبا في هايد بارك، ولا يجد ما ياكله ساعة الغداء فيمضي بعد الظهر ليعمل مصححا في دار صحفية ليحصل على الكفاف، وظل على ذلك سنوات حتى فرض نفسه فرضا..

وكل يوم يأتينا شاب بقصة ويتصور انها لابد أن تنشر لأنه كتبها، ونقول له ان الكتابة جهد ومعاناة وانننا لا نستطيع نشر هذا الكلام فلا يكون منهم الا أن ينعتونا بالتعنت والشدة، ونحن في الحقيقة متشددون لأن الأدب اما أن يكون أدبا صحيحا سليما أو لا حاجة بنا اليه.. اما ان ينشر شاب قصة تدرك بعض التوفيق وعلى أساسها يريد أن يكون طه حسين فلا، لأن طه حسين تعب كثيرا جدا حتى فرض نفسه ثم كانت لديه موهبة نادرة صقلها بالعمل الجاد المتصل وظل طول عمره يعمل ويجهد.. أما أن يكون قد بلغ المجد بكتاب واحد أدرك شيئا من النجاح فهذا ما لم يحدث قط.

اننا على ابواب عصر جديد..

وهذا العصر لابد أن يبنيه الشباب بعقلية الشباب الجاد المكافح المناضل لا بعقلية الشباب الذي لا يملك من المواهب الا التمرد والغضب والمطالبة، لان هذه عقلية لا تؤدى الى شيء..

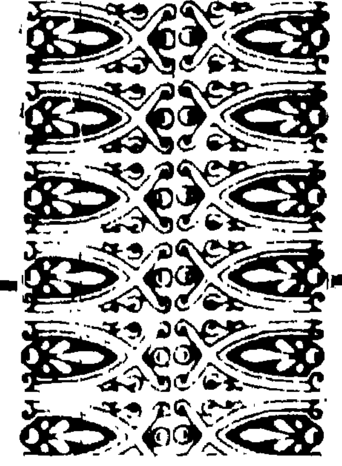
اننا في خدمة الشباب، وهذه الدولة كلها تضع نفسها في خدمة الشباب، وما أظن ان دولة تصنع في سبيل الشباب ما نصنع هنا، ولكن المشكلة أن الشباب نفسه لا يعمل لنفسه أو هو يتصور انه يعمل.. ولا تبنى الدنيا على التصور أو الوهم..

وانا أعرف ان هذا الكلام سيغضب الكثيرين، ولكننا لابد أن نغضبهم ليفتحوا عيونهم، ومن أسف، اننا لا نعرف كيف ندلل الشباب لاننا لم نعرف التدلل في حياتنا..

● د. حسين مؤنس ●

مع الشبـــاب

مشاكل وحلـول



● د · مصطفى كمال حلمى ●
وزير التعليم

**يثير « الهلال » سؤالا حيويا جديرا بالاهتمام ·· !
هل هناك عناية حقيقية بالشباب ؟
قبل ان نجيب عن هذا السؤال ، من واقع الحقائق والارقام ـ ينبغى أن نقول :
ان الشباب فى كل أمة هم عصب الحياة ومحور التقدم فيها ، فعليهم تقع أعباء الدفاع عن أرضها ، وحماية مقدساتها ، وبهم تنهض التنمية بمفهومها الشامل ، وبسواعدهم الفتية تنتشر الخضرة ، وتنشط المصانع ويتضاعف الانتاج ، فهم الامل والعمل ، وهم الحاضر والمستقبل ·
ومن ثم أولت الدول رعايتها للشباب ، وشبابنا يحظى بعناية حقيقية من الدولة ، فقد أحاطته بالرعاية ، وقدمت له الكثير من الخدمات ، وفى مقدمتها التعليم : فقد جعلت التعليم مجانيا فى جميع مراحله ، وافسحت الطريق أمام كل متعلم ، ليأخذ نصيبه من التعليم العالى ، والدراسات العليا ، بقدر طاقاته واستعداده ·**

وهى ترصد للتعليم موازنة تزداد عاما بعد عام ، وقد وصلت هذه الموازنة حاليا الى ما يزيد على ٤٤٠ مليون جنيه ، بما يعادل نحو ٥٪ من الدخل القومى ، و ١٨ر٥ ٪ من موازنة الخدمات ، وبذلك اتسع التعليم لنحو سبعة ملايين طالب وطالبة ، يتعلمون فى نحو ١٣٠٠٠ مدرسة ، و ١٣ جامعة ، مما يعنى أنه بين كل ستة مواطنين يوجد مواطن يدرس فى مرحلة من مراحل التعليم ، وهذا المعدل المشرف له مدلوله الاجتماعى والحضارى ، بالاضافة الى المدلول التعليمى والاقتصادى ، والثقافى ·

ولو أننا انتقلنا الى مجال الثقافة العامة بالنسبة للشباب ، فان من الحقائق القول بأن الدولة أنشأت المكتبات المدرسية ،والجامعية ،والمكتبات العامة فى العاصمة وفى كل محافظة ·

وأن هناك مجلة شهرية خاصة للشباب ،تتبنى آراءهم ،وتعمل على تيسير الثقافة لهم ، وتصلهم بجميع النوافذ المطلة على العالم·وهناك كذلك أركان كثيرة للشباب فى جميع وسائل الاعلام : فى الاذاعة ، والتليفزيون ، والصحافة · وفى جميع المحافظات هناك قصور للثقافة ، وأكثر قاصديها من الشباب ·



الدكتور مصطفى كمال حلمى : تحقق
مع مشاكل الشباب بالحقائق والارقام

ولقد تهيأت لشبابنا كذلك فرص واسعة فى مجال التربية الديمقراطية • فللشباب عندنا الآن فرص التعبير الحر عن آرائهم ، وتبادل هذه الآراء الحوار البناء ، فى اتحادات الطلاب بالمدارس والجامعات •• وأمامهم الآن رص الانتماء الى الاحزاب المختلفة ، والتنظيمات الشبابية فى مختلف قطاعات والمؤسسات •

ولقد تعددت لقاءات الشباب فى الدولة على أعلى المستويات ، وفى الخارج ع شباب العالم ، حتى تتفتح أمامهم سبل التعارف ، والنظرة الواسعة فى التعامل الانسانى الذى يقرب الشعوب ، ويدعم أركان السلام •

ومن أجل الشباب أنشأت الدولة المستشفيات الجامعية ، والوحدات الصحية المدرسية • وأنشأت الساحات الشعبية ، والاندية الرياضية ، وشجعت المتفوقين فى مجال الرياضة ، ورصدت لهم الجوائز السخية ، والتقدير الادبى •

وتوجت ذلك كله بانشاء وزارة للشباب ترعى شئونهم ، وتخطط لما يحوطهم بالامن ، والتحرر ، والديمقراطية الصحيحة •

يبقى مجال هام فى حياة الشباب •• هو المجال الاقتصادى ، فماذا قدمت لهم الدولة فى هذا المجال ؟

لقد هيأت فرص العمل فى قطاعات ومؤسسات الدولة المختلفة ، وتكفلت بتوظيف الخريجين ، كما أفسحت أمامهم مجال العمل فى الدول العربية والصديقة ، وفتحت لهم باب الهجرة ، والاسهام بخبراتهم الناضجة ، وامتيازهم الملحوظ فى كثير من الدول المتقدمة ، فكانوا رسل دعاية ممتازة ، لما يتمتع به شبابنا من نبوغ ، وجلد ، ومثابرة ، واخلاص •

ولو اننا الان تساءلنا عن المستوى الفكرى والثقافى للشباب عندنا •••

فالحق شبابنا والحمد لله بخير ، وقد أثبت وجوده فكريا وثقافيا فى كل مجال يحتله فى داخل البلاد وخارجها ، ولا يزال المعلمون من الشباب



يحتلون مكان الصدارة ، والاحترام ، والترحيب فى الدول العربية والصديقة ، وبفضل ثقافتهم الواسعة ، وقدراتهم الممتازة ، تكونت أجيال من الشباب المثقف المستنير على امتداد الساحة العربية ، وفى أنحاء متفرقة من الدول الصديقة ، وبرز تفوقهم الفكرى والثقافى ، فى البعثات الدراسية الخارجية ، حتى بزوا أبناء البلاد الاصليين وتقدموا الصفوف فى نتائج الكليات والمعاهد العلمية التى يتعلمون فيها ، كما ظهر نبوغ طائفة منهم فى المؤتمرات الدولية ، وفى مجالات العمل التى هيئت لهم خارج الوطن ، ومنهم خبراء عالميون فى مجالات المعرفة المختلفة .

الوصايا السبع للشباب

ولكن هذا لايعنى أن شبابنا كله على هذا المستوى الرفيع من الفكر والثقافة ، فما زلنا نتمنى الكثير لشبابنا .. نتمنى لهم العمق فى التفكير ، وبناء مستقبلهم على اساس من التفكير العلمى السليم ، ومواجهةمشكلاتهم بأسلوب علمى ، وكذلك بذل الجهد الذاتى ، والاعتماد على النفس فى تحصيل المعرفة فان ذلك يدعم فيهم استقلال الشخصية ، والثقة بالنفس وبذل المزيد من الجهد للحاق بركب التقدم العلمى فى عصر تفجرب فيه المعرفة ، وارتفت منجزات العلم ، وتطبيقاته ، حتى وصل الى درجة المعجزات .

وأن يتقنوا الى جانب الثقافة الاكاديمية الثقافة العملية حتى نرى منهم الاطر الفنية العملية ذات المستوى الرفيع ، وأن يبرز من بينهم من نفخر بابتكاراته ومخترعاته .

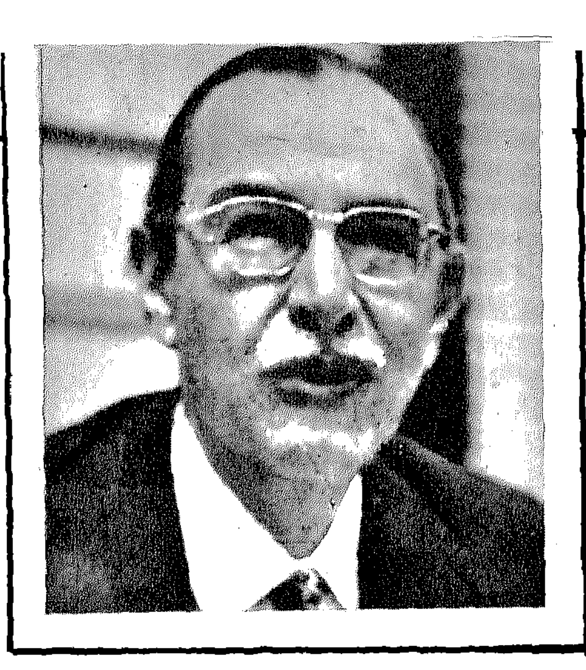
وأحب للشباب أيضا بل واوصيهم :

ان يتجنبوا الثقافة الرخيصة ، وان يقبلوا على الثقافة الجادة ، وان يعشقوا القراءة ، فهى النافذة الواسعة التى تمتد منها ابصارهم الى آفاق عريضة من المعرفة ... والا يقتصروا على الثقافة الميسرة التى تنقلها لهم وسائل الاعلام فى ثوب براق من المتعة واللهو . وأن يتقنوا لغة أجنبية على الاقل ، حتى يتهيأ لهم الانفتاح على الثقافة العالمية ، ونحن فى عصر تعددت فيه سبل الاتصال ، وتقدمت تقدما مذهلا .

ومن المهم لشبابنا أن يكونوا على فطنة وبصيرة فى اطلاعهم على الفكر والثقافة الاجنبية ، فلا تخدعهم المذاهب المضللة ، ولا تبهرهم أضواء الافكار الشاذة حتى لاتضطرب لديهم القيم النبيلة الاصيلة ، وعاداتهم وتقاليدهم النابعة من أرضهم ، والمبادىء القويمة والمثل العليا الفاضلة التى يزخر بها دينهم .

وأن يطلعوا فى صبر وحرص على أمجاد تاريخهم ، وتراثهم الانسانى الرفيع ، ومقومات حضارتهم العريقة ، حتى يتصل حاضرهم بماضيهم ويعلوا بناء هذا الحاضر والمستقبل على اساس متين من عـراقة الماضى الخالد ، وبذلك تتأصل ثقافتهم وتتميز ذاتيتهم الثقافية ، ولا تذوب فى ثقافات خارجية وافدة .

وكذلك فان عليهم أن يعطوا الثقافة الدينية حظها وأولويتها ، فهى النبع الاصيل ، لصفاء الروح والنفس ، وهى الدستور السماوى الذى يرسم مسار السلوك الانسانى القويم لخير الحياة الدنيا ، والسعادة فى الآخرة ، وهى السياج القوى والحصين الذى يرد كل ضلالة أو زيغ ، أو انحراف .



والسؤال الذى يخطر للذهن الآن

ماسبل العلاج العملية للارتقاء بثقافة الشباب ؟

والجواب هنا يشمل نقاطا كثيرة ، منها أن ندعم الثقافة الدينيـة للشباب ، ليشب أبناؤنا على الايمان الصحيح ، وتتأصل فيهـم القيم والمبادىء الدينية القويمة ، وذلك بغرس مبادىء العقيدة فى نفوسهم ، والاتصال الوثيق بالنصوص الدينية والتشريع السماوى فى العبـادات والمعاملات ، وبعرض نماذج صالحة من القدوة الحسنة ، فى سير الأنبياء والصحابة واعلام الدين ، ورجال الاصلاح .

ومنها ان نزكى فى أبنائنا روح الانتماء والولاء لقوميتنا ووطننا ، عن طريق الاطلاع على امجاد تاريخنا ، والمعارك الفاضلة التى خضناها فى سبيل الحفاظ على ارضنا ، واسترداد حريتنا ، وكرامتنا ، وعرض المثل المشرفة عن عظماء قادتنا ومفكرينا ، وموقعنا القيـادى فى مضـمار الحضارة ، وما يزخر به تراثنا العظيم من تقدم فكرى فى جميع مجـالات العلوم والفنون .

ومنها أن تعمل الدولة على تيسير الكتاب الجاد للشباب ، وبصـورة منتظمة شاملة ، بحيث يستطيع الشباب أن يقتنى الكتب ، وأن يجـد القوافل الثقافية التى تغذى القرى ، والمناطق المحرومة .

وعلينا أن ندعم وسائل الاعلام التثقيفى فى الصـحافة وفى البرامج الثقافية المتخصصة ، كالبرنامج الثانى ، وأن تخطط تلك البرامج تخطيطا سليما يعالج قضايا الشباب ، ويفتح امامهم مجال التعبير عن آرائهم ، وآمالهم ، والقاء الضوء على الممتازين ، وذوى الابتكارات منهم ،وتشجيع البرامج الأدبية الناشئة .

ولتكن هناك رقابة جادة على افلام السينما المحلية والمستوردةبمايحقق صيانة المفاهيم الاخلاقية ، وسيادتها فى أذهان الشباب ، وأن تـكون الافلام والمسرحيات الفكاهية هادفة ، تجمع بين الترفيه والتثقيف دون اسفاف او مبالغة ممقوتة .

ولتكن المساجد ودور العبادة كما كانت منذ نشاتها مراكز للثقـافة والعبادة ، وان يطور القائمون عليها من اساليبهم ، بحيث يجتـذبون الشباب ، بعرض مسائل الدين فى صورة مشوقة مقنعة مؤثرة ..

وأخيرا وليس آخرا فلابد ان يكون المنزل على مستوى ثقـافى وخلقى مؤثر ، فهو العامل الاساسى والحاسم فى تشكيل الشباب ، وهـو المدرسة الاولى للتثقيف والرقابة ، وهو المعين لكل مؤسسة علمية على تكوين الشباب وصلاحهم .



دفاع عن الثقافة العربية

● فتحى رضوان ●

كتب الدكتور زكى نجيب محمود مقالا عن الوحدة العربية ، تطرق منه الى الثقافة العربية ، على وجه خيل الى انه يؤاخذ هذه الثقافة المجيدة المتجددة بعيوب ومآخذ ، أراها بريئة منها ..

ولا شك في أن الثقافة العربية فريدة، لا نظير لها ولا ند ، فقد كانت ثقافة شعب ، تواصى المؤرخون الرسميون، على اهمال شانه ، والمرور عليه ، اشبهما يكونون بمغمضي العيون ، لان العرب قبل الاسلام ، لم يكونوا أهل علم يؤخذ به وينتفع فى حل مشكلات العقول ، ولا فى تيسير أسباب العيش ... ولم تكن أرضهم تضم من خيرات الارض شيئا ذا قيمة ، فلا معدن أو حجر نفيس كالماس والذهب ، ولا معدن نافع كالحديد والصلب ، أو النحاس والقصدير ، ولا محصول مطلوب كالقطن أو الكتان ، أو القمح أو الارز ..

ولم تكن لهم حكومة مركزية تضمهم وتجعل منهم قوة عسكرية وبالتالى سياسية ، فى مفترق طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، عبر اليمن ثم الى الشام فالعراق فالهند وحدود الصين ..

بل كانوا فئات مجتمعات بشرية، تلتئم حول عيون الماء المنثرة فى صحراء هى أشد الصحارى جدبا واتساعا وفقرا .. وهم يجتمعون ، لا ليقيموا مدنا ، أو ينشئوا أسوارا ، أو يشيدوا سدودا ، أو يفتحوا آبارا ، بل لينقضوا على جيرانهم سلبا ونهبا ، ثم يسوقون أغنامهم وابلهم أمامهم بحثا عن الماء والمرعى ، فى تجوال مستمر لا ينتهى . لا يضيقون به ، ولا يسأمونه .. وهو تجوال منح أجسادهم حيوية ، ومرونة ، وجلا أبصارهم فأصبحت عيونا نافذة بعيدة المدى ، ومد فى دائرة أصواتهم ، ثم علمهم الفروسية والرماية ، وغرس فى قلوبهم حبا مضطرما للحرية ، أخر قيام دولهم ، ولكنه جعلهم أكثر الناس استعدادا لخوض

المعارك ، وتوجيه الحكام ومحاسبتهم ثم عزلهم فى عنف ضار ، وقسوة بالغة أحيانا ..

وهذه صفات تهيئهم بلا شك لحياة مدنية فياضة غير راكدة ، ولحياة عقلية أكبر حوافزها تطلع شديد الى معرفة الجديد ، لطول ما حرموا من مدارسة العلم ، على وتيرة المعاهد والجامعات ، ذات النظام المحكم، والبرامج الدقيقة الثابتة فثقافة العرب ولدت بميلاد دينهم الاسلام ، ونزول كتابهم القرآن ، فى منتصف القرن السادس الميلادى ، وان كانت دواوين شعرهم وبعض نثرهم المعترف به ، والمنكور ، والذائع والمبثور، تدل على أن حياتهم لم تخل من شعر غاية فى الجودة ، يقال ويحفظ وتتناقله الالسن .

ثلاثة عوامل ...

وقد حدث مع هذه الثقافة ـ كما سلف القول ـ ما لم يحدث مع ثقافة غيرها ، فما كادت الايات الاولى للقرآن الكريم ، تنزل من السماء ، وحيا على عربى ، فقير ، يتيم ، أمى ، اسمه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ـ حتى انفجرت ينابيع الحكمة ، فى هذا الشعب ، فقد هزته رسالة السماء هزة كبيرة ، أعان على عمق أثرها واتساع نطاقها ثلاثة عوامل ـ أولها : وجود أقليات كتابية من يهود ونصارى حول عاصمتى العرب الكبريين : مكة والمدينة . وقد أدرك هؤلاء خطر قيام أمة فى هذه المنطقة ، تدير أمورها وتوجهها ديانة ، قريبة من ديانتهم تؤمن بالله الواحد ، وبالبعث والنشور ، والحساب والعقاب ، وتسقط من حساب النفوذ والصدارة فى المجتمع العربى : الانساب والالقاب ..

وكان العامل الثانى : قيام دولتين ضخمتين كانتا تطمعان ـ على استحياء وشىء من عدم الاكتراث ـ فى أن يلحقوا العرب بملكهم ، ويبسطوا عليهم سلطانهم . تلك دولة الروم فى سوريا وفى جنوبى سوريا فلسطين ثم مصر ، ثم دولة الاعاجم فى العراق العربى ومابعد العراق العربى . فكان فى الشاطىء المقابل لليمن الجزء الجنوبى من الجزيرة العربية الحبشة بمسيحيتها الارثوذكسية .

فشغل هذا الحدث الجديد ، هذه المجتمعات ، وأخذت تفكر فيما عساه ينجم منه ، ويؤدى اليه . مما زاد من اهتمام العرب به ، وتفكيرهم فيه .

اما الامر الاخير فهو أن مكة والمدينة كانتا ـ كما قلنا ـ على طريق القوافل الذاهبة الآيبة، بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب ، تحمل الى ثغور اليمن التوابل والافاوية من الهند ، والسند ، والطنافس والسجاجيد والحرائر والاقمشة الغالية ، من الموسلين الرقيق والسميك، كما تحمل اليها سفن البندقية وجنوة كل منتجات المصانع الاوروبية ، وقد ادت هذه الحركة الدائبة الى أن العربى فى المدن الحجازية كان على علم باكثر ما يدور فى العالم الصغير المحيط به ، فاختلاطه بتجار الشرق والغرب ، ووقوفه على ما تنتجه حضارة كل جانب من جوانب الدنيا ، زاد طلعته وتشوقه ، لكل جديد من العلم والمعرفة.

وتحول العرب الوثنيون الى دين بلغ الغاية فى تجريد المعبود الخالق . فالاسلام فاق الدينين السماويين اللذين سبقاه ، واللذين سلم بهما ، واعلن ايمانه بكتابيهما وبنبييهما : موسى وعيسى، وآباء واجداد هذين النبيين .. فاق هذين الدينين فى تجريد الخالق من كل تشخيص وتجسيد وتمثيل . فهو «ليس كمثله شىء » ، وليس ثمة سبيل الى التقرب اليه ، عن طريق آخر غير الايمان المطلق الثابت به خالقا ، وحاكما ، وربا . فهو خالق كل شىء ، واليه يرد علم الساعة ، وهو لا يطلع على غيبه أحدا والانبياء بشر مرسلون لرسالات محددة، وهم ميتون ، وهم يخافون الله ،

ويستغفرونه ، ويتوبون اليه ..

جوهر عظمة الانسان ..

ولقد لقيت الوثنية صدمة مروعة على يد هذا الدين ، بعد أن كانت قد تسربت متخفية مقنعة الى الديانات السماوية ، في فترات الصراع المذهبي بين مختلف الكنائس والمدارس . فقد بقيت الوثنية متألقة ، تلهم الشعراء ، والفنانين ، والفلاسفة في روما ، وأثينا ، بعد أن آمن الامبراطور قسطنطين ، الامبراطور البيزنطي ، ووضع على صدره الصليب، وهو يلفظ أنفاسه .

بقيت الوثنية بشعرها ونثرها وتماثيلها وصورها ، وفلسفتها وحكمتها حية ، مع المسيحية جنبا الى جنب فترة غير قصيرة ... فلما لفظت أنفاسها كعقيدة ودين ، بقي صداها في الآثار الفنية والأدبية ، حتى القرن الحالي ، ولكن في صورة استلهام مثلها القديمة و (الميثلوجيا) المتخلفة ، شعرا وقصصا ، ومسرحا ، وصورا وتماثيل ، ولوحات بارزة وغير بارزة .

أما الفكر الاسلامي ، فقد حصن نفسه ضد هذه الوثنية من اللحظة الاولى ، فخلا شعره ونثره وخلا تصويره وحفره ونحته ، ومعماره من كل ما يفكر أو يذكر بالاوثان البديعة الرائعة عند اليونان والرومان ، أو البدائية عند قبائل العرب ومن حولهم .

وقد بقي التجرد والنأى عن الوثنية ، أساس الدين وجوهره ، كما بقي من خصائص ثقافة العرب ، بعد أن دخلوا في هذا الدين أفواجا .

ولما كان القرآن عند المسلمين ، كتاب دين ، وحكمة وموعظة ، كما أنه كتاب حكم ونظام ، ثم هو كتاب شريعة وفقه وقضاء ، ثم هو كتاب تاريخ أمم ودول وأنبياء ــ فقد طبع بأسلوبه حياة المسلمين اليومية ، كما طبع حياتهم الفكرية والعقلية ، وحياتهم الادبية والفنية ...

ولما كان التجريد وكراهية تمثيل الله وتشخيصه وتجسيده في صورة ، أو تمثال ، أو أى أثر آخر ، ولو كان أثرا مكتوبا وملفوظا ــ هو الاساس الذى قام عليه القرآن وبقي يرعاه من أول ما نزل منه حتى آخر آية من آياته ، فقد كره العرب حتى التشخيص والتمثيل والتجسيد في كل مناحى حياتهم ، فالانبياء لا يوصفون ، ولا يصورون ولا يشبه بهم أحد . وما يأتي من الوصف لهم ، يستقى من التوراة التي بين أيدى الناس ومما دسه الاسرائيليون في تفسير القرآن بقصد النكاية للاسلام ، والوقيعة بين المسلمين .

وقد بلغ المسلمون في هذا الصدد الغاية في معاملة نبيهم وخلفائه ، فعندما مات الرسول ، دفن حيث كان يعيش في حجرته التى وصفها الحسن البصرى ، اذ رآها وهو صبي صغير في المدينة فقال انه كان يصل الى سقفها بذراعه اذا مدها. ولم يفعلوا مع خليفتي الرسول « أبي بكر» و « عمر » رضى الله عنهما أكثر من أنهم فتحوا نفس اللحد الذى واروا فيه جثمان نبيهم وامامهم ، وجعلوا راس الخليفة الاول عند كتف الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم راس الخليفة الثاني عند كتف أبي بكر . وبهذه البساطة المعنة تنتهي حياة ثلاثة من أعظم عباد الله عند العرب وعند ملايين المسلمين آنذاك .

غاية التجديد والاحسان ..

قال الدكتور زكي نجيب في مقاله :

« انظر الى رسوم الطير والحيوان والنبات في الفن العربي ، كما تراها مثلا في سجادة أو فوق آنية فخارية ، تجد الفنان العربي يتعمد اهمال التفصيلات، كما هو الحال اليوم في الفن التجريدى المعاصر ، فكأنما هو يرسم تخطيطا لطائر ولا يرسم طائرا .. لماذا ؟ لانه في صميم تكوينه العقلي لا يعبأ كثيرا بالافراد والمفردات ، وانما يريد الخلاصة العامة المجردة ليسهل حملها معه وهو مسافر في الفلاة على ظهور الابل » ..

ومن المصادفات ، أنني قلت منذ شهور في كتاب لى عن القصة القرآنية ،

● الناس والعصر .. صفحة ١٤١ فى هذا العدد ●

نشرته دار الهلال،عن ظاهرة التجريد فى القصة القرآنية ، هو منهج فكرى ، قائم على أساس من العقيدة ، وقد قاد الى أسلوب من الفن ، وصل الى أقصى الغاية من التجويد والاحسان ،والتأثير والتعبير مع الاقتصاد التام فى المادة المستعملة فى العمل الفنى ..

فالقصة القرآنية أسقطت جميع التفاصيل الخاصة بأبطال القصة أو شخوصها ، حتى الاسم لا يذكر ،والمدينة لا توصف ، والزمان لا يحدد والمكان لا يعين ، والالبسة والازياء لا يضيع كتاب الله العظيم وقتا فى بيانها وايرادها .. ومع ذلك تبقى القصة واضحة المعالم بينة المعانى ، مؤثرة الى أبعد حد ، باقل قدر من الالفاظ ، ولكنها تموج بالحركة ، وتفيض بالالوان ، وتبقى رمزا للانسان فى كل زمان ومكان ، أيا كانت عقيدته، وأيا كان مذهبه .. وهو التصور الاسمى للادب الانسانى ، أن تخلص منه الى الغاية من القول سواء كان شعرا أو نثرا !..

فما كان ميزة للثقافة العربية ، وسبقا لسواها ، انقلب الى عيب تؤاخذ عليه ، وخطأ تعاب من اجله ! ... ان الفنان العربى او الاسلامى ـ متأثرا بمذهب القرآن ومنهجه ـ آثر ان يتخذ من حروف الكتابة ، وسيلته ومادته ، لآثاره الفنية تصويرا ورسما وزخرفة ، فتحولت هذه الحروف فى يد هذا الفنان البارع ، عالما غنيا بالصور والاشكال ، والحركات والايماءات والاشارات ، وزان المساجد الشاهقة والقصور الباذخة ، والمعاهد والاسبلة ، ودور العلاج ، ودور الكتب ، ثم انتقل الى الادوات الدقيقة والصغيرة من مصابيح ، واوان ،وسيوف وخناجر ، وصحون وطنافس ، واحزمة وملابس . فحملت جميعا نفس الزخارف مشتقة من حروف الكتابة ، ولكن فى صورة وتشكيلات ، متنوعة متعددة ، متداخلة ومتباعدة ، كأن الدنيا كلها قد اجتمعت فيها ، وتلاقت عندها .

ويطيب لى أن أنقل هنا من كتيب وضعه العالم الدكتور « محمد مصطفى » مدير المتحف الاسلامى السابق بالقاهرة قال :

« واختص الفن الاسلامى ، وحده دون غيره من الفنون باستعمال الكتابة العربية كعنصر زخرفى ، لما تتميز به من جمال ومرونة، وقابلية على التشكيل والتصنيف ـ واتخذ الفنانون ـ فى جميع البلاد الاسلامية ـ الكتابة العربية كوسيلة تربط بين العناصر الزخرفية ، أو لملء شريط بكلمات أو بحروف لا معنى لها سوى الغرض الزخرفى المحض ، أولكتابة اسم صاحب التحفة مقرونا بصيغة دعائية وكذلك اسم الفنان ومكان الصناعة وتاريخها ».

ثم قال :

« ان الفنانين لم يقتصروا على الشكل العادى للكتابة العربية ، بل حوروا فى اشكال الحروف ، وجعلوا أطرافها تنتهى مرة بضفائر تشبه المعضات ، كما نرى على شمعدان من النحاس أوقفه السلطان قايتباى على الحجرة النبوية الشريفة فى سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) . ومرة أخرى يسبح الفنان فى افق الخيال ويجعل حروف الكتابة تنتهى بصور اشخاص فى مناظر صيد وشراب وموسيقى ورقص ، ويرسم بدلا من نقط الحروف صور رءوس حيوانات وطيور »

ثم اضاف :

« والواقع ان الكتابة العربية تستعمل فى زخرفة وتزيين التحف الفنية فى جميع البلاد الاسلامية ، ولا غرابة فى ذلك فان المسلمين فى جميع انحاء العالم يحفظون القرآن بلغته العربية . كما أن غالبية البلاد الاسلامية تكتب لغاتها بالحروف العربية ، حتى اذا لم تكن اللغة العربية لغة بلادهم »

فالفنان العربى أو الفنان المسلم ، لم يلجأ الى التجريد فى آثاره الفنية التى تركها على الجدران أو على الخشب ، أو النحاس المكفت بالذهب والفضة ، أو على

السجاجيد أو الاواني الزجاجية أو في شكل حلى من الذهب مطعم بالاحجار الكريمة ، لم يفصل ذلك عجزا عن أن يرسم الشخوص الادمية ، والوجوه البشرية أو رغبة في حمل أقل القليل معه الصحراء أو الفلاة كما يقول الاستاذ ر نجيب ، فهو قادر على أن ينافس الفنان الغربي الحديث ، والفنان الاغريقي والروماني ، في ابراز خصائص الجسم الانساني للمرأة والرجل ، وفي أوضاع هذا الجسم المختلفة ، حتى في التمائم الصغيرة التي تسمى الآن (بالميناتور) ، ولكن رفضه لهذا الاسلوب من التصوير والرسم ، تطبيقا لموقف ديني وفكري معا ، يشكر لهويحمد ويشكر للثقافة العربية ويحمد أيضا ...

التوحد والتميز معا ..

ويجمل بنا – قبل أن نترك هذا الموضع من الكلام أن نلاحظ على ظاهر استعمال الفنان الاسلامي أو العربي – حسبما تشاء – حروف الكتابة ثلاثةأمور جديرة بالتسجيل ·

الاول – أن جميع الفنانين العرب في مختلف بلدان وأقاليم العالم الاسلامي التزموا بهذا المنهج .. فالفنان المسلم في الهند والسند والتركمان والصين وفارس والعراق ، والاندلس ، وشمال أفريقيا ، وجنوب فرنسا وايطاليا وصقلية ، استعملوا هذه الحروف ، ولم يتمرد علىهذا المنهج أحدمنهم، استخفافا به ، أو كرها له ·

الثاني – ان هذا المنهج استمر – منهج الفن الاسلامي – قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل مع الاحترام والالتزام ..

الثالث – ان هذا الالتزام الطويل المستمر لم يكن قيدا على خيال الفنان المسلم ، أو غلا في يديه ، فقد استطاع بهذه الحروف أن يعبر عن ذاتيته وزمانه وذوقه وخصائص فنه · بحيث يستطيع الخبير الفاحص ان يرى التحفة فيقول في التو واللحظة هذا عمل فنان تركماني أو ايراني أو سوري في العقد الفلانيمن القرن الفلاني ..

وليس ثمة خاصية في ثقافة اخرىمن ثقافات العالم : اعني التوحد والتميز في وقت واحد ..

ولسنا نحن الذين نبالغ في الثناء على آثار الفن الاسلامي المصوغ في شكل حروف عربية ، بل ان مجلدات العلماء والخبراء في الفنون التشكيلية والآثار· كلهم مجمعون على أن الفن الاسلامي ،وان اقتصر أكثره على استعمال الحروف العربية ، والتنويعات في استغلال هذه الحروف ، قد وقف الى جانب أعلىالفنون مقاما وأعزها أثرا ، وأجملها أسلوبا ، وأعذبها أداء ، وان ما تركه لا يزال يمتع الدارس والمتأمل وعاشقالجمال، وتلميذ الرسم والحفر ، والخبير بالحضارات المختلفة ·

منزلق الى الافتتان ..

بقي أن ندافع عن منهج الاسلام في اتخاذ الحروف العربية أداة للتعبير الجمالي · ولابد هنا أن نذكر أن فيأول عدد غير قليل من السور القرآنية حروفا سميت في كتبالتفسير بالحروف المفردة مثل (ا ل م) التي تبدأ بها السورة الاولى من سور القرآن ، وهي سورة البقرة ... ولقد اختلف المفسرون في المقصود من هذه الحروف ، وانيارى أن هذه الحروف ، تعني قسما من الله سبحانه وتعالى ، فكما أقسم الله **عز وتبارك بالشمس وضحاها ، وبالقمر وبالنفس اللوامة ، فقد اقسم بالحروف التي يتكون منها هذا الكتاب الذي نقل العرب من الشرك الى الايمان ، ومن الظلماتالى النور، ومن الفرقة الىالوحدة ومن الضعف الى القوة ..وقال للمسلمين الذين يتلون هذا الكتاب وغيرهم ممن لم يدخلوا في هذا الدين ، ان هذهالحروف الصغيرة ، كفيلة بتغيير الناس ، والاخذ بيدهم ، واسعادهم ، وانقاذهم مما يعانون من صنوفالشقاء المادي والمعنوي**

.. لذلك اقترن ذكر هذه الحروف في أوائل السور ، بكتاب الله مثل (ألم . ذلك الكتاب لا ريب) . ونجد هذا الاقتران دائما ، ويمكن للقارىء الكريم أن يعود الى كتاب الله العزيز ليرى مصداق ماأقول .فهذه الحروف الصغيرة جديرة بأن يقسم بها لعظم أثرها ، ولجلال قدرها ..

ومن ثم فان الفنان الاسلامي ، حينما اتخذ من هذه الحروف ذاتها مادة لعمله كان مسلما فحا ، كامل الايمان ، وقد أعانه ذلك على أن يصل الى المرتبة التي وصلها ، وهي كما ذكرنا ، مرتبة فذة .

ولما كان اللجوء الى هذه الحروف ، هو في الوقت نفسه أخذ بمنهج القرآن في النأى عن الحشو والفضول في العمل الفني ، والادبي وتجريدهما من التفصيلات والفروع التي تشتت ذهن المتلقي ـ فقد حرص الفنان المسلم عليها واستمر على حرصه هذا الى اليوم ... الا أن للقرآن مأربا آخر هو ألا يتجه العمل الفني أو الادبي الى تجريد وتصوير أو تشكيل الافراد والشخوص، لان في ذلك منزلقا الى الافتتان بالشخص موضوع الصورة ، ثم عبادة الاشخاص ، وتاليههم ...

وقد كان العالم كله قريب العهد بالوثنية ، وكان الوثن البسيط ، عظيم الاغراء بعبادة الاوثان لما ارتبط به من ذكريات ، ولما أحيط به من هالات ،وكان الله تعالى أعلم بعباده من أنفسهم ، فهو سبحانه يعلم أن في الانسان أيا كان موضعه من الارض ، ميلا طبيعيا للوثنية لان المادى أقرب اليه من المعنوى ، والتفصيل أيسر من التعميم والتجريد ، ولذلك فقد سد باب هذا الانزلاق بالكف عن التجسيد : تجسيد الله ـ لاستحالة ذلك ـ ثم تجسيد الانبياء والاولياء والصالحين ، ثم تجسيد ابطال القصص وتصويرهم . . .

وقد تحقق الخطر الذي قضت حكمة الله سبحانه وتعالى ، بانقاذ الناس منه. فقد لعبت التماثيل الجميلة للقديسين، والصور المعروفة عند المسيحيين بالايقونات دورا خطيرا في الصراع المذهبي فطوائف قدست هذه الصور ، وتوسلت بها ، في مراسم العبادة وطقوسها ، حتى صعب على بعض العامة في بعض الظروف الفصل بين الاصل والصورة ، فأصبحت صورة في مقام الاصل ، تقاد لها الشموع ويحرق البخور ، وتتلى الادعية ، وتقام الصلوات . وكلما مر الزمن زادت عبادة هذه الصور أو تقديسها تأصلا وثباتا ..

فما كان التجريد في التصوير ، كسلا من الفن الاسلامي أو عجزا ، أو خضوعا لآفة من آفات العقلية العربية ، أو منقصة في الثقافة العربية ..

الى مزيد من القول ..

ان الثقافة العربية استطاعت أن تقوم في أقصى الشرق ، واقصى الغرب، وأن تهذب وتعلم وتنير عقول ورثة الحضارات المجيدة ، واهل الشعوب البدائية التي كانت على فطرتها حينما وفدت حضارة وثقافة العرب . وقد جاوزت هذه الثقافة ثقافة الاغريق والساسانيين ، والرومان ، واليهود والمسيحيين والنساطرة والصابئين من سور الصين الى بحر الظلمات ، فمزجت هؤلاء جميعا بذاتها ، وادمجت فنهم وأدبهم وعلمهم وفقههم وشرعهم بها ، واخرجت للناس شيئا جديدا رائعا لا يزال باقيا ، في حين اندثرت الثقافات الاخرى ، أو لم يبق منها الا تراث نجده في الكتب ..

والثقافة العربية فرضت الفاظها ولغتها وقواعدها واصولها على شعوب يصعب عليهم النطق بالضاد والحاء والهاء ، ولكنهم تعدموها ودافعوا عنها واستبسلوا في هذا الدفاع .

هذا دفاع عن الثقافة العربية يحتاج الى مزيد من القول في فرصة تالية باذن الله ..

أفكار للغد :

إنشاء أكاديمية للآداب

● د. يوسف خليف ●

● فكرة تمنيتها ذات يوم ، ومازلت اتمناها ، لانى مؤمن بها ، ومقتنع بانها ستكون علامة مضيئة فى حياتنا الادبية المعاصرة . وانى لا تمنى أن اغمض عينى وافتحهما فى يوم قريب فاراها وقد تحققت ،وهى انشاء « أكاديمية للاداب » .

.. على غرار « أكاديمية الفنون » تستقبل الطلائع الموهوبة من ادبائنا الناشئين ، فترعى مواهبهم الادبية الناشئة ، وتاخذ بايديهم فى الساحة الفنية المترامية الاطراف ، وتقوم خطاهم على الطريق الفنى السليم ، وتذلل لهم ما يعترضهم من عقبات وهم يصعدون سلم الفن الصعب الطويل .

ولست امارى ، فى أن الادب موهبة كسائر الفنون ، ولكنه مثلها أيضا فى حاجة الى دراسة وخبرة وتجربة ، تضع هذه الموهبة على أرض ثابتة ، وتعمل على تنميتها وصقلها ، فالادب موهبة ولكنه أيضا صناعة . وفى كل عمل أدبى جانبان جانب فطرى يعتمد على الموهبة ، وجانب صناعى يعتمد على العلم والتجربة والخبرة المكتسبة ، وهو جانب لا يمكن اغفاله أو التهوين من دوره فى عملية الابداع الفنى .

ويخطىء من يظن أن هذه العملية عفوية تلقائية ، تصدر عن الطبع وحده ، أو أنها ارتجالية تصدر فى غير اعداد لها ... أو أنها الهام تحمله على أجنحتها السحرية قوى غيبية قادمة من وادى عبقر المسحور حيث تمارس شياطين الشعراء حياتها الغامضة ... أو من فوق قمم الاوليمب المقدسة حيث تمارس ربات الشعر حياتها الاسطورية ... أو أنها لون من أحلام اليقظة تقذف به فى قلب الفنان رؤى مجهولة فى غيبة من عقله الواعى ...

فالعملية الفنية ـ الى جانب ما تستمده من مكونات اللا شعور ومكبوتات اللا وعى ـ عملية واعية تعتمد الى درجة كبيرة على نشاط عقلى يتحكم فى حركتها ، ويوجه خطواتها ، ويباعد بينها وبين التهويم فى عالم الخيالات والاوهام على غير هدى ، كما تهوم الاشباح الغامضة فى ظلمات الليل . فوراء كل موهبة فطرية تتفجر فى قلب الفنان كما يتفجر النبع ، عقل واع وصنعة مكتسبة ، تشكل العمل الفنى كما يشكل المثال تماثيله من الصخر الاصم لينطقه بكل معانى الحياة .

وفى تصورى ان تفتح هذه الاكاديمية ابوابها لكل موهبة ادبية ناشئة لمن أنهوا دراستهم الجامعية فى أى كلية من الكليات علمية أو نظرية، بعد أن يجتازوا اختبارات تثبت استعدادهم الادبى .

ثم يوزع المقبولون حسب مواهبهم على اقسام الاكاديمية التى أتصور أن تكون اربعة اقسام : للشعر ، وللقصة ، وللرواية ، وللمسرحية .

وتتألف هيئات التدريس بهذه الاقسام من أصحاب المواهب الادبية من أساتذة الجامعات ، ومن أصحاب هذه المواهب من غير الجامعيين لمن لهم دورهم الرائد فى حياتنا الادبية حتى يقدموا لطلاب الاكاديمية علمهم من ناحية وخبرتهم من ناحية أخرى .

وفى تصورى أيضا أن تتوزع الدراسة على مرحلتين تستمر كل منهما سنة جامعية .

فى المرحلة الاولى تكون الدراسة نظرية يقوم عليها أساتذة جامعيون متخصصون فى الفنون الادبية التى تتألف منها اقسام

الاكاديمية ، وفيها يدرس الطلاب أصولها النظرية ، وتاريخها الادبي ، واتجاهاتها ومذاهبها ومدارسها الفنية • وكبار أعلامها الذين يمثلون معالم بارزة فى حياتها ، ونقط تحول فى حركتها ،مع الاهتمام بالدراسات المقارنة بين الادب العربى والاداب العالمية القديمة والحديثة

وفى المرحلة الثانية تكون الدراسة عملية يقوم عليها أساتذة من أصحاب المواهب الادبية من الجامعيين وغير الجامعيين • وفيها يقوم الطلاب بممارسة عملية ابداعية فى مجالات تخصصهم تؤدى الدور نفسه الذى تؤديه البحوث فى الكليات النظرية والمشروعات فى الكليات العملية •

وفى تصورى بعد ذلك أن تقوم الاكاديمية باصدار مجلة أدبية تخصص للانتاج الفنى الذى يقدمه أبناؤها فى مرحلة دراستهم العملية ، وباقامة مهرجانات سنوية أو ـ بعد استئذان شعراء العصر الجاهلى ـ « أسواق عكاظ » يتبارى فيها الادباء ، وتوزع فيها الجوائز ، وأن تتولى ـ الى جانب ذلك ـ رعاية أبنائها بعد تخرجهم والاسهام فى نشر انتاجهم الادبى تذليلا لهذه العقبة الكئود التى تعترض طريق كل ناشىء يبدأ خطواته الاولى فى الطريق الفنى الطويل •

لاضرورة لمكتب التنسيق

• د• عبد الله النطاوى

« فى اطار التخطيط للعملية التعليمية ينبغى مراعاة التنسيق بين مراحلها المختلفة من التعليم منذ المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية • ومن هنا تبدو الحاجة الى أن تتولى لجان من أساتذة الجامعات ، فى مختلف التخصصات التخطيط لهذا النظام حتى يتسنى وضع البرامج الكفيلة باجادة الاعداد الذهنى والتثقيفى للتلميذ فى المراحل الاولى حتى يتهيأ فكريا لاستقبال المرحلة الجامعية •

ومن هنا أتصور أن تصبح مراحل التعليم سلسلة من حلقات تكمل احداها الاخرى دون حاجة الى ذلك التكرار الذى ما زلنا نجده •

وأعتقد أن هذا الامر ممكن اذا قامت لجان دائمة من أساتذة الجامعات بالتنسيق بين هذه البرامج ، حتى لا تتحول العملية التعليمية الى نوع من التكرار الذى لا يفيد فى التكوين الفكرى للتلميذ ، ولا يفتح أمامه مجالات الابتكار فى التعرف على الجديد فى كل مرحلة على حدة •

ونفس الموقف يمكن تطبيقه على الامتحانات التى ما زالت تدور فى دائرة الحفظ وقدرة الطالب على اعادة ما استوعبه مرة أخرى ، وهى أبسط المراحل التعليمية واكثرها سهولة • اذ ينبغى التجديد فى نظم الامتحانات بما يكشف عن القدرات الخاصة لدى كل تلميذ على هذا الاستيعاب بطريقته الخاصة •

واستكمالا لدائرة التجديد المنتظرة فى العملية التعليمية على هذا النحو يجب أن يحدث نوع من التنسيق بين المراحل دون حاجة الى مكتب التنسيق الخاص بتوزيع الطلاب على الكليات • **اذ يحسن أن يتقدم الطالب للكلية التى يرغب فى الامتحان بها مباشرة خضوعا منه لرغبته واستعداده الخاص ويبقى عليه بعد ذلك أن يثبت هذا باجتياز أنواع من الاختبارات ذات الطابع التخصصى ، مما يؤكد طبيعة ذلك الاستعداد ، حتى لا نقع بعد ذلك فيما يتكرر حدوثه من تخريج أعداد كبيرة من الخريجين دون أن تتأكد لديهم القدرات الحقيقة على الدرس الا من أجل الحصول على مؤهل يخرجون به الى واقع الحياة العملية فحسب**

وحدة فكرية وثقافية ووطنية

● د. ابراهيم بيومى مدكور ●

● عندما نتحدث عن بناء الانسان المصرى فى هذه الايام ،لابد أن نضع امام أعيننا مشكلة كانت فى حاجة ماسة الى المواجهة منذ زمن طويل .. وأملى كبير فى أن لا نقف عند المقترحات بل نتجاوزها الى العمل والتنفيذ ـ خاصة وأن التعليم من وسائل بناء الانسان المصرى ..

وفى التعليم نجد أنفسنا أمام مشكلات عدة ، ولكى تكون الرؤية واضحة أرجو أن نفرق بين التعليم العام ، والتعليم العالى والمتخصص ..

والتعليم العام هو اللبنة الحقيقية فى تكوين المواطن واعداده اعدادا يلائم العصر ويواجه المتطلبات .. وأنا سعيد بأن ينظر لهذا التعليم نظرة واسعة تطيل مدته بحيث تصل لتسع سنوات لتكوين النشء تكوينا يستطيع فيه أن يكون من أبناء القرن العشرين .

وهذه ولا شك خطوة جريئة واسعة خصوصا اذا لاحظنا أنه حتى الان ومرحلة الالزام كانت ست سنوات فقط ، لم تستوعب مدارسنا من هم فى هذه السن ، وكان هناك نحو مليون طفل فى هذه المرحلة لا مكان لهم فى مدارسنا ، وهذه هى المعركة ـ معركة يراد بها أن يعد المدرس اعدادا كافيا . وأن يعد المكان الصالح للدرس اعدادا ملائما ..

وما أحوجنا الى خطة محكمة ، ولامانع أن تكون طويلة النفس ، على شريطة أن تكون جادة وملتزمة .

ودعنا نأمل فى خلال عشر سنوات أن يتوفر لدينا المدرس الصالح والمدرسة اللائقة التى تستوعب جميع من فى سن الالزام ، تستوعبهم استيعابا حقا لا مجرد تكديس وجمع لاعداد لا حصر لها فى الفصل الواحد ...

ويكفينى أن أقف عند هذا القدر عن هذا التعليم العام راجيا فيه فوق ما أشرت اليه ـ أن يوضع فى الاعتبار أمران هامان :

أولهما : وحدة هذا التعليم ، وتلك قضية أثرتها منذ ثلث قرن أو يزيد ، وناديت بأنه لا مجال مطلقا فى مرحلة التعليم العام أن نفصل بين تعليم دينى ومدنى لاننا جميعا ننشد المواطن المصرى وتكوين المواطن المصرى المنشود فى قالب واحد وعلى دعائم ثقافية وتعليمية مشتركة ..

ونحن نتحدث الان عن العناية بالتعليم الدينى فى المدارس الاهلية والاميرية ، ولابد أن تتم هذه العناية .. وهنا نتساءل هل لايزال هناك مجال لوجود محل لمعهد دينى ومعهد آخر مدنى ...

نحن نريد وحدة فكرية وثقافية ووطنية ، وسبيلها أن ينهل أطفالنا جميعا من معين واحد ..

والملاحظة الثانية : هى انه يجب الا نفصل التربية عن التعليم ، وخاصة فى هذه المرحلة التى أتحدث عنها ، ولا شك اننا كنا نعنى فى الماضى بالجانب التربوى بقدر مانعنى بالجانب التعليمى حتى فى ذلك التاريخ الذى كنا نسمى فيه وزارة التعليم وزارة المعارف .. أما يوم تحولت الى وزارة التربية والتعليم ، فاظن أنه لم يبق لمعاهدنا من التربية الا الاسم .. وأذكر أنه مما اقترح فى وقت ما أن توكل رياض الاطفال والمدارس الابتدائية الى قدوات فى السلوك من أمهات وآباء ، من معلمات ومعلمين يرعون هذا الجانب التربوى الهام فى بناء حياة الانسان والمواطن الصالح ...

فى ميادين الشباب والإعلام

● د. نبيل راغب ●

● هناك فكرة للشباب اقدمها له من خبرتى الطويلة فى تعليم اللغة الانجليزية فى المعاهد والكليات ، وهذه الفكرة تقوم اساسا على ان العالم كانه الان يعتنق مذهب علم نفسك بنفسك ، لان الانسان الذى لا يملك الاستعداد لكى يعلم نفسه لن تعلمه معاهد الارض كلها ..

وهناك طرق معروفة يمكن ان تساعد الشباب على أن يتقن أية لغة أجنبية عالمية الان ، فمثلا فى مجال اللغة الانجليزية ، توجد اشرطة تسجيل تباع فى الاسواق ومعتمدة من هيئة الاذاعة البريطانية تتدرج مع الطالب من أبجديات اللغة حتى القدرة على التحدث بها بطلاقة ...

والمسألة فى حاجة الى طول بال وصبر بحيث يستمع الطالب الى الشريط ويتابع فى نفس الوقت ما هو مكتوب فى الكتاب وبعد سنة على أكثر تقدير سيجد فى نفسه القدرة على بدايات التعبير عن نفسه باللغة الانجليزية ...

وهناك مسألة أخرى تتمثل فى مرحلة تالية ، وهى أنه يمكن للشباب أن يعنى بمشاهدة الافلام الامريكية والانجليزية فى التليفزيون بدون قراءة الترجمة ، وقد يبدو الامر صعبا فى البداية ويضيع كثيرا من متعة المشاهدة ، ولكن مع التكرار والاصرار ستسهم هذه العملية فى القدرة على التعبير ومضاعفة الحصيلة اللغوية من المفردات والمعانى

كما يجدر بالشباب أن يستمعوا الى الاذاعات التى تبث برامجها بالانجليزية لان هذا سوف يوسع من مداركهم فى مجال اللغة .

وفكرة أخرى بالنسبة لمجال الاعلام عموما « صحافة ـ اذاعة ـ تليفزيون » فانه يجب علينا أن ننقذها من الضحالة الثقافية التى أصيبت بها ، وخاصة ان التليفزيون والاذاعة هى أجهزة غير تجارية ، كما هو موجود فى بلدان العالم الاخرى . ولذلك لا ينطبق عليها مبدأ « الزبون دائما على حق » ، اذ أن الجمهور لا يدفع سوى ثمن التيار الكهربائى أو البطارية التى تشغل جهازه ومن هنا يتحتم على المسئولين فى هذه الاجهزة أن **يقدموا الثقافة الجادة بمستوياتها المتعددة سواء على شكل حوار اذاعى او حديث أو مسرحية . الخ . حتى يجمع الجمهور بين الفائدة والمتعة ، وقد يبدو الامر صعبا فى البداية بالنسبة للمتفرج الذى تعود على التفاهة ، لكنه بمرور الوقت مع التكرار سيتعود ، بل سيدمن الثقافة الجادة ، وهنا فقط نستطيع أن نقول ان هذه الاجهزة تسهم فى بناء الانسان المصرى .**

أما بالنسبة للصحافة فيكفى أننا فى الصحافة المصرية خلال الاربعينات والخمسينات . كنا نقرأ لكل رواد الفكر والادب من أمثال العقاد وطه حسين وهيكل والمازنى وعبد الرحمن شكرى وتوفيق الحكيم وغيرهم من الكتاب الذين شكلوا فكر ووجدان الاجيال المعاصرة .

أما الان فقد تحولت الصحافة الى الاساليب الخفيفة التى لا تصلح لبناء الفكر المعاصر ، فلا نجد مثلا التحليل السياسى الموضوعى ، ولا النقد الفنى العلمى ، ولا الاعمال الادبية التى يلتف حولها المثقفون ويجعلون منها قضية من قضايا الفكر والفن .

وبذلك علمتنا الصحافة المعاصرة ان ناخذ القشور دون اللباب وهذا اكبر ما يدمر الانسان من الداخل .

حب جديد

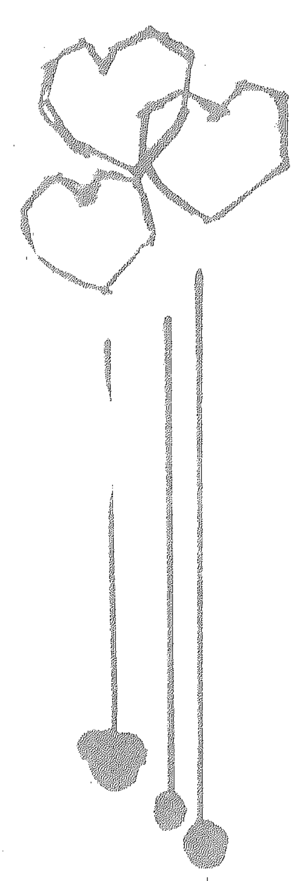
● د. أنس داود ●

أحِنُّ إليكَ ...
تَفتَّح قلبى بين يديك !
وشقّت براعمُ ثغرى على شفتيك .
وكنتَ الربيع الذى
أنضجَ اللوز ، والثمرَ المرّ ، والوجعَ المشتهى ...
أحِنُّ إليكَ ...
إلى منتهى المنتهى !

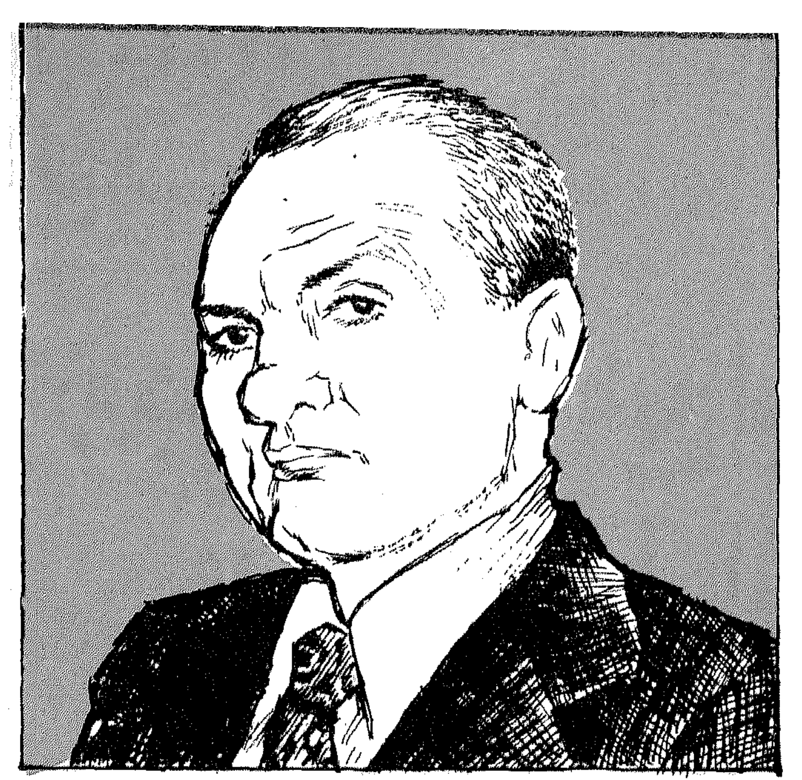
***

عدوتُ مساء على النيل
أسألُ عنكِ مياهَ النهرْ
وأسألُ عنكِ ضياءَ القمرْ
وأسألُ حتى حفيفَ الشجرْ !
ودرت على مقعد فى الظلالِ
آمنًا به من عيونِ البشرْ
فكم قصّه قدْ حكينا هناكَ
وكم قبلة سرِقت فى حذرْ
فلم يعطنى الليلُ ما أشتهى
ولم يمنحُ الحب ما انتظرْ !

***



وفى الصبح .. فى موقف الحافلاتِ
لدى متحف العاديات العريق .
لمحتُكَ تمرقُ بين الرجال ...
ويسرعُ خطوكَ عبرَ الطريق
فرحتُ أشق الزحامَ المريرِ
وأبحثُ عنكَ بصبر عنيدِ
وفى لحظة ... دمّرَ الحلم الحلو ،
وانتحرتْ أمنياتُ الربيعِ الوليدْ
مددتَ يديكَ لأخرى ...
بشوقٍ ، ولهفة حبٍ جديد !!



تحية إلى علامة مجتهد جليل

د. شوقى ضيف — بريشة احمد الوردجى

كانت جائزة الدولة التقديرية فى مصر هذا العام من نصيب العلامة الجليل الاستاذ الدكتور شوقى ضيف ، مؤرخ الأدب العربى وناقده الكبير الدكتور احمد شوقى ضيف .

والدكتور شوقى ضيف يتميز بثلاث ميزات تزين اى عالم : علم واسع عميق بميدان تخصصه وهو الأدب العربى ، واقبال على الكتابة والتاليف مبارك مستمر الى يومنا هذا ، ثم تواضع وتعاون وحسن عشرة تجعله من احب الناس الى اصدقائه والعاملين معه .

ومن فيض علمه الزاخر وفيض أدبه النادر ، ينشر الهلال فى هذا العدد حديثا شيقا عميقا ككل ما يصدر عن شوقى ضيف ، تناول فيه تاريخ الأدب العربى وأزمته الراهنة ، وابدى من الآراء ما يبعث على التامل والتفكير .

وبين يدى هذا الحديث نزجى تحية تقدير وتهنئة الى الاديب العلامة لكبير . والاستاذ بجامعة القاهرة ، وعضو المجمع اللغوى .



مع الدكتور شوقي ضيف

ازدهار الشعر يخضع لعناية الدولة وكثرة جداول الثقافة

● حديث اجراه : عادل عبدالصمد ●

في بداية اللقاء ، وحديث التهنئة بالجائزة عرضت للحوار قضية الرأى القائل « بان من تخرج على دواوين الشعراء فهو شاعر ولو كان ضعيف الشعر ... واذا قال الشعر بعد دراسة العروض فهو ناظم لا صلة له بالشعر » .

ولأستاذنا الدكتور شوقى ضيف رأى قيم معتدل فى الموضوع ... فهو يرى ان الشعر موهبة ، ومن لم يؤت الموهبة لا يستطيع ان يكون شاعرا بالمعنى الدقيق لكلمة شاعر . وقد يستعين على نظم الشعر بدراسة العروض والتعرف على أوزانه ، ولكن هذه الدراسة لاتمنحه الموهبة اذا كان يفتقدها ...

ويقول الدكتور ضيف :

ـ نستطيع ان نضرب مثالا هنا عن رائد الشعر الحديث « محمود سامي البارودى » حيث انه لم يتعلم العربية ولا النحو العربى وانما ظل يحفظ أشعارا كثيرة حتى تكونت فى دخائله السليقة اللغوية العربية والفطرة الشعرية ... وكان ظهوره بدء مرحلة جديدة فى الشعر العربى ، وكان الشعر من قبله قد هبط الى صورة سقيمة لا تعبر عن عواطف الشاعر ولا عن عواطف أمته ... كان الشعراء فى ذلك الحين عروضيين واشبه بتلاميذ المدارس وكراسات التطبيق التى لا تنم بحال عن ذاتية الشاعر ولا عن أمته وأهوائها وعواطفها ومشاعرها المختلفة ....

فكان البارودى الذى لم يتعلم العروض نقلة كبيرة للشعر العربى الحديث ... بل أصبح رائده الذى ينضوى تحت لوائه الشعراء فى الاجيال التالية ... حيث شمل انتاجه شعرا سياسيا وشعرا وطنيا وشعرا ريفيا وشعرا فرعونيا ... وبذلك بدأ الشعر الحديث نهضة كبرى على يدى شاعر لم يتعلم العروض ولم يشغل نفسه بقواعده بل حاول ان يتصل بمنابع الشعر مباشرة وان ينهل منها ما يذكي به ملكته الشعرية ..

وبذلك أقول ان الشعراء قبل البارودى كانوا عروضيين ، لم يكونوا أكثر من ناظمين ... وشعرهم بذلك لا يجد فيه القارىء أى متعة أو انفعال أو لذة فنية .

ونحن حينما نقرؤه فانما نقرؤه للدراسة التاريخية لا للدراسة الفنية .. وذلك بخلاف ما نجد عند البارودى الذى بهر الاجيال التالية له ، ودفع الشعر العربى دفعة قوية نحو التعبير عن حياته

وأمته وكل ما اتصل بها من أحداث ٠

● والقول بأن من تخرج على دواوين الشعراء يصبح شاعرا ولو كان ضعيف الشعر — فيه شيء من المبالغة لأن ضعيف الشعر لا يؤبه لشعره سواء كان من أصحاب العروض أم كان من قراء الشعر ٠٠٠

والسبب واضح هو انه لا يستطيع ان يجذب قارئا اليه بسبب ضعف ملكته ٠

● ثم ينتقل الحديث بنا الى قضية أخرى هامة وحيوية ، وهى ان الشعر الحقيقى فى عصرنا قد اختفى ، بمعنى أن شعر التفعيلة قد أفلس فى الوقت الذى أفلس فيه الشعر الموزون المقفى ٠٠

وهنا يوضح لنا الدكتور ضيف بموضوعية وعلم ، أن الشعر كبقية الفنون لا يختفى أبدا من حياة الامة ٠٠

وكل ما يمكن ان يقال فى هذا المجال ان الشعر قد يزدهر فى عصر أكثر من عصر آخر ٠٠٠ وهذه مسألة مرهونة بظروف كثيرة ، فعندنا مثلا فى تاريخ الشعر العربى عصور ازدهر فيها الشعر أكثر من عصور أخرى ، واقاليم ازدهر فيها الشعر أكثر من اقاليم غيرها ٠٠٠

وكلنا نعرف ان الشعر العربى ازدهر فى العصر العباسى ، وقد هيأ لذلك ظروف كثيرة ، منها عناية الدولة به ، وكثرة جداول الثقافة التى أكب عليها الشعراء ينهلون منها ٠٠٠ جداول يونانية وفارسية وهندية ، مع السليقة العربية التى امتزجت بها مما أضرم فى النفس العربية نزعة قوية الى التطور فى الشعر والتجديد فى معانيه وأساليبه وموضوعاته ٠٠٠

ثم نجد بيئة طبيعية جميلة مثل الاندلس تمتاز بشعرائها الذين اشتهروا بوصف الطبيعة الغنية التى تمتاز بها الاندلس بحيث يصبح ميدانهم حافلا بقصائد أندلسية بديعة ٠٠

واذن فهناك ظروف مختلفة من شأنها ان تؤثر فى الشعر ، وأن تشيع فيه النشاط ، بل ان المكان نفسه قد يكون له تأثير على الانتاج الشعرى ٠٠

ومن أجل ذلك فاننا حين نتعرض لقضية فن الشعر فى عصرنا وأنه لايزدهر ازدهاره فى الجيل الماضى أو ما قبل الماضى — ينبغى ألا نبالغ فى القول بحيث نزعم أنه قد اختفى ٠٠ لان الشعر باق ولن يختفى ، وكل ما يمكن ان يقال انه ضعف بالقياس الى جيل شوقى وحافظ ابراهيم ٠

وقد يرد ذلك الى أنه فى جيلهما كان هو الفن الاساسى الذى يجذب اليه الادباء ذوى المواهب ، اذ لم يكن هناك فن أدبى غيره يزاحمه أو ينافسه ٠٠٠ ولكن منذ الاربعينات — وربما قبل ذلك — أخذ ينافسه بقوة الفن القصصى مسرحيا وغير مسرحى ٠٠٠

وهكذا توزع الادب فى عصرنا بين الشعر والقصة ، واستهوت القصة كثيرين من أدبائنا الافذاذ ، فكان طبيعيا ان يخسر الشعر كثيرين من أصحابه ، بل أن يتراجع الى حد كبير عن الذروة التى وصل اليها فى عهد شوقى ٠

وأحب أن أقول هنا انه لا الشعر الموزون أفلس ، ولا شعر التفعيلة أفلس ٠٠٠ ولكن ما يقال بالنسبة للشعر العمودى من انه ضعف فى عصرنا انما يقال للسبب الذى ذكرته آنفا ٠٠٠

أما شعر التفعيلة فلا يستطيع أحد ان يقول بحال انه أفلس لان أصحابه لا يزالون يزودون المكتبات بدواوينهم الجديدة ٠٠

ومما يجب ذكره هنا ٠٠٠ ان شعر التفعيلة قد تناوله النقد كثيرا ، والكثير منه لا شك مجحف لسبب بسيط ، وهو انه ثمرة تجارب جديدة لشعراء الشباب ، ومن حقهم علينا ان نستقبل مايستحدثون من تجارب ، وأيضا من حقهم علينا ان نقرأها ، وان نبدى لهم بعض ما يكون فى نفوسنا ازاء شعرهم من افكار ٠٠٠

وأذكر أنه أتيحت لى مرة المناقشة — فى بداية الستينات — مع طائفة منهم فى أن

● استهوت القصة كثيرين من أدبائنا الأفذاذ ، فكان طبيعيًا أن يخسر الشعر كثيرين من أصحابه

● الحكم بتوقف الحركة الأدبية ليس حكماً عادلاً لسبب بسيط هو أننا لا نستطيع بحق متابعة كل ما يُنتج ، وأخشى أن نكون صادرين في هذا الحكم تحذرًا من الجيل الماضي "جيل الرواد"

لأذن العربية تعودت القافية ، وانها موجودة فى النثر ، فسقوطها تماما من شعر التفعيلة من شأنه ان يضعف موسيقاه ...

واذكر أنهم تقبلوا هذا الراى دون معارضة ، وأنا الاحظ منذ زمن ليس بقصير أن منهم من أخذ يعود الى القافية المنوعة فى منظوماته .

ونحن لا نطلب اطراد القافية ، فيكفى ان تكون منوعة بالصورة التى يرونها ..

واذكر أيضا انى قلت لهم أثناء هذه المناقشة ان شعراء الاندلس حين ابتكروا الموشحات التى تتعدد فيها القوافي ظلوا محافظين على القافية المنوعة ، وأيضا عنوا أشد العناية باختيار ألفاظهـا بحيث يخيل الى الانسـان كانما جمعت أمام أبصارهم كلمات العربية ، فاختاروا أرشقها وأكثرها عذوبة ونعومة ..وأيضا فانهم قصروا الشطور ولم يطيلوها ،وكل ذلك أتاح لهم وفرة من النغم واللحن فى موشحاتهم ، تلافوا بها ما سقط من نغم القصيدة العمودية المضطردة الوزن والقافية ..

ومعنى ذلك كله ان شعر التفعيلة دخل فعلا فى محيطنا الشعرى ، وانه ينبغى ان نقبله من الشباب مع ابداء مثل هذه الملاحظات عليه بغرض استكمال الايقاع فيه ، وحتى يرضى آذاننا التى تعودت سماع الشعر القديم ...

وبذلك أستطيع ان أقول بأن هذا الشعر لم يفلس ، فهو شعر وكل ما فى الامر انه يحتاج دائما الى دراسة والى شعراء من أصحابه يستكملون وجوه النقص التى طالما أشار اليها النقاد منذ ظهوره سواء فى نغمه أم فى صياغته وبنائه الأسلوبى .

● مسيرة الحركة الادبية ●

● ثم تمر بنا لحظة صمت ننتقل بعدها من الشعر الى الحديث عن مسيرة الحركة الادبية عندنا وما يتهمونها به من انها فى مأزق أو انهيار أو توقف .

ويرى أستاذنا الدكتور شوقى ضيف ان الحكم بتوقف الحركة الادبية ليس حكما عادلا لسبب بسيط ، هو أننا لا نستطيع بحق متابعة كل ما تنتجه هذه الحركة ، لكثرته كثرة مفرطة وخاصة فى القصة الطويلة والقصيرة ...

ثم يقول : وأخشى ان نكون صادرين فى هذا الحكم عن تحذر من الجيل الماضى، جيل الرواد ودائما ما تكون لهذا الجيل أسبقية واضحة تتيح لاعماله الادبية ان تقرأ وأن تدرس وأن تنقد وتعرض عروضا كثيرة ...

وهى مسألة ينبغى ان نلتفت اليها ، لان قصة الكاتب الكبير عندنا والتى صدرت فى الاربعينات ومضى عليها الان نحو ثلاثين عاما ، نوقشت وكتبت عنها فصول طوال فى بعض الصحف ـ واقصد هنا طبعا القصص الجيدة .

وهنا نرى ان الكتابات عن تلك القصص تنمية لتلك القصص وهى جزء لا يتجزأ منها ، فهناك من يكتب عن الشخوص فى تلك القصة وغيرها ، ومن كتب عن بطل القصة ، أو عن حبكتها

الفنية أو عن رموزها،وتختلف الكتابات من كاتب لكاتب وكل ذلك ينمي القصة ويضيف الى شخصيتها ملامح جديدة •

وهنا يكون من الخطأ الان ان نقارن قصة لشباب لم يكتب عنها أى شيء ، بمجموعة قصصية لشاب كتبها في الاربعينات ، لأن قصة الشباب الذى يكتب الآن أو المجموعة القصصية له ، تقف وحدها دون سند أو تنمية أو اضافة هنا أو هناك •• فالمقارنة ناقصة ، ولذلك تبدو قصة الاربعينات كالصرح المشيد بينما قصة السبعينات وأواخر السبعينات تبدو شجرة مفردة عارية في الطبيعة !••

وكنت أرى ان المقارنة بين الجيل الماضي والجيل الحاضر مقارنة ناقصة ولا يصح ان نحولها بحيث نتهم الشباب اليوم بضعف قصصهم ••• فلا بد ان ننتظر على قصص هؤلاء الشباب سنوات حتى يتم لها الوجود الفنى المتكامل بمن يتناولها من المفسرين والنقاد الذين يتبينون كل ما تحتويه من رموز أو أفكار ••• ليس معنى ذلك ان أقول ان قصص الشباب جميعا ينبغى ان نقف منها هذا الموقف ، فهناك قصص واضحة الدلالة على روعتها الفنية ••• ولكن حتى هذه أيضا يحسن ان نتحرى ما يخرجه الشباب منها حتى نتعرف على أعمالهم الباهرة •

واذن فالمسألة في رأيى تحتاج الى شيء من التريث والحكم على أعمال الشباب، وألا نذهب بسرعة الى الحكم بأن أعمالهم أقل من سابقيهم أو أن الحركة الأدبية توقفت !

ونصل بالحديث مع الاستاذ الدكتور ضيف الى قضية تعرض نفسها على كثير من الصحف الان ، وهى هل هناك صراع بين الجيل الماضي والجيل الحالى •• وهل الجيل الماضي يقف حائلا أمام الجيل الحاضر ويكون عقبة في بروز بعض النابهين من أبنائه ••؟

ويجيب أستاذنا بموضوعية •••
فيرى انه لا يمكن ان يكون هناك صراع بين الجيل الماضي والجيل الحاضر ، لان الجيل الماضي هو بطبيعته قائم والجيل الحاضر يريد ان يثبت وجوده بجوار الجيل الماضي فلا أظن أن أحدا من أهل الجيل الماضي يفكر بأن يقف حجر عثرة أمام أحد من الجيل الحاضر لسبب بسيط، وهو انهم آباؤهم فعلا، وليس من طبيعة الاب ان يحول بين ابنه وما ينبغى له من تفوق أو نبوغ ••

وبذلك أقول انه صراع وهمى أكثر منه صراعا حقيقيا •• وما يراه الشباب في الجيل الماضي من هيمنة على الاسواق الادبية فذلك شيء طبيعى ، وسيكون للجيل الصاعد دوره •• وقد يظن الشباب لاول وهلة قصر قامته في عالم الادب بالقياس الى قامة الشيخ وان شيئا من الصراع سينشأ بينهما ، ولا أظن ذلك صحيحا ، والمسالة كما هى بين الكبار والصغار في الاسرة مثلا وفي الجامعات ••• فالعادة ان الكبير يحنو على الناشئين • وحين تنشأ صلة بين الشيخ والشاب فان الشيخ يرعى الشاب ويتعهده، وهذا يحدث في الجامعات وفي كثير من مجالات الحياة الادبية والادب ••

فالاديب البارع صاحب الشهرة العظيمة لايمكن ان يفكر في مصارعة شاب ناشيء ، والمفروض ان يفكر في رعايته ، مثله في ذلك مثل الاباء الحقيقيين ••• وكذلك الشان في الاساتذة الجامعيين فهم يرعون أبناءهم رعاية رب الأسرة •

ففكرة الصراع الذى يتخيلها بعض الشبان ليست فيما أظن ذات موضوع •• بل انى أكاد أصدق ان أى أديب ممتاز حين يقرأ عملا أدبيا جيدا لشاب ـ يتحمس له ويحس ان عليه واجبا ان يقدم له يد العون ما استطاع ، وعلى الاقل العون بكلمات التشجيع والاطراء •

تصحيح التاريخ

هل انتشر الإسلام بالدعوة أم بالقوة ؟

● د. احمد شلبي ●

● عرضنا فى مقالاتنا السابقة الى بعض احداث التاريخ الاسلامى التى مسها التحريف وعمدنا لها بالدراسة لتصحيحها .. وحديث اليوم يتجه الى نقطة مهمة اثارها اولئك الذين لم يفهموا الاسلام ، وذاعت هذه النقطة حتى اعتقدها بعض المسلمين ، انها الحديث عن وسيلة انتشار الاسلام وهل كانت بالدعوة او القوة ؟.

وقبل ان نتحدث عن تصحيح هذه النقطة تقفز امامنا نقطة اخرى جديرة بالتصحيح والاهتمام ، ذلك ان الباحثين من مستشرقين او مسلمين اتجهوا بكل اهتمامهم وهم يدرسون الاسلام فى المدينة الى ابراز غزوات الرسول ، فصوروا هذه الفترة كانها فترةدم وقتال ونسوا القيم العظيمة التى ارساها الاسلام بالمدينة ، ونسوا المفاخر التى شيدها الرسول خلال هذه الفترة ... نسوا بناء المجتمع الاسلامى والمؤاخاة والتعاون بين المسلمين وغير المسلمين من يهود ومن عرب وثنيين ، ونسوا آيات التشريع التى ارست قواعد المعاملة ونظمت العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع الجديد ..

نسوا كل ذلك وهو شىء هائل جدير بدراسة متانية لتبرز روعة الاسلام وجلاله ، وما قدمته هذه الفترةللمجتمع البشرى من امجاد .

فاذا انتهينا من التنبيه على هذا الخطأ واشرنا الى ضرورة تصحيحه ، عدنا الى انتشار الاسلام لنقرر فى قوة واصرار أن الاسلام لم ينتشر بالسيف وانما انتشر بالدعوة ، ونضع البراهين الواحد بعد الاخر فى سلسلة من آيات القرآن الكريم ، ثم فى سلسلة من احداث التاريخ بحيث لايبقى للشك مجال ...

فأما عن القرآن فهناك قوله تعالى :

ـ « لا اكراه فى الدين قدتبين الرشد من الغى » .

ـ « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

- «لكم دينكم ولي دين .»
- «فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب»
- «فذكر انما انت مذكر. لست عليهم بمسيطر»

***

واما سلسلة التاريخ فترينا بوضوح ان الاسلام سلك طريقه بالدعوة متبعا هذه الآيات البينات ، والي القارئ بيان ذلك :

١ - حينما كان الرسول في مكة ،

وحينما بدأ دعوته وحيدا لا سلاح معه ولا مال . دخلها مجموعة من عظماء الرجال امثال أبي بكر وعثمان وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة والزبير ثم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب ... فهل يمكن ان نقول ان هؤلاء دخلوا بالقوة؟ واين القوة في ذلك الوقت ؟

وعن مسلمي مكة يقول الاستاذ العقاد: ان كثيرين من الناس لم يخضعوا للسيف ليسلموا ، ولكنهم تعرضوا باسلامهم للسيف ، واحتملوا السيف في سبيل الله ...

٢ - واضطهدت قريش المسلمين

اضطهادا قاسيا ، وانزلت بمحمد واتباعه الوانا من العذاب ، وفي وسط هذا العناء حينما كان محمد والمسلمون معه بمكة مغلوبين على امرهم مستضعفين كان أهل المدينة يسعون للاسلام ويعتنقونه ويدعون له ذويهم واهليهم ، فهل يمكن ان نقول ان الاسلام انتشر بالقوة بين سكان المدينة ؟

٣ - جاء الصليبيون الى الشرق ابان ضعف الخلافة العباسية لمحو الاسلام والقضاء عليه ، واذا بالاسلام يجذب جموعا منهم فيدخلونه ويحاربون في صفوف المسلمين ..

يقول توماس ارنولد : « لقد اجتذبت الدعوة المحمدية الى احضانها من الصليبيين عددا مذكوراً حتى في العهد الاول اي في القرن الثاني عشر : ولم يقتصر ذلك على عامة النصاري بل ان بعض امرائهم وقادتهم انضموا ايضا الى المسلمين حتى في ساعات انتصارات المسيحيين . »

ويروى توماس ارنولد عن بعض مؤرخي النصارى قوله : ان ستة من امراء مملكة القدس « استولى عليهم الشيطان» ليلة معركة حطين ، فاسلموا وانضموا الى صفوف الاعداء دون ان يقهروا من احد على ذلك .. ويعلل توماس ارنولد لانتشار الاسلام بين الصليبيين بقوله : ويظهر ان اخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد احدثت في اذهان المسيحيين في عصره تاثيرا سحريا خاصا ، حتى ان نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه ان هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا الى المسلمين . وكذلك كانت الحال عندما طرح النصرانية فارس انجليزي من فرسان المعبد ، يدعى روبرت اوف سانت البانس سنة ١١٨٥ ، واعتنق الاسلام ، ثم تزوج باحدى حفيدات صلاح الدين .

فهل يمكن أن نقول ان الاسلام انتشر بين الصليبيين بالقوة .

***

٤ - ويحدثنا التاريخ بصراحة ووضوح ان اهم فترة انتشر فيها الاسلام هي فترة السلم الذى تلا صلح الحديبية بين قريش والمسلمين : وكانت فترة السلم سنتين : ويقول المؤرخون ان من دخل الاسلام في خلال هاتين السنتين اكثر ممن دخلوه في المدة التي تقرب من عشرين عاما منذ بدء الاسلام حتى الصلح . وهذا يدلنا على أن انتشار الاسلام تبع السلم ولم يتبع الحرب .

٥ - وهناك فكرة هامة يجدر ان نوضحها تماما ، ويجدر بالقارئ ان يتفهمها ، تلك الفكرة هي انه لا علاقة بين انتشار الاسلام وبين حروب المسلمين مع الفرس والروم ، فقد كانت الحروب تشتعل ، وكان المسلمون ينتصرون ، ثم



تتوقف الحروب وتتوارى السيوف ، وحينئذ يتقدم الدعاة والمعلمون فيشرحون نظم الاسلام ومبادئه وفلسفاته . . وكانت هذه الدعوة السمحة تجذب لها الناس وبخاصة عندما رات الشعوب المغلوبة الفرق الكبير بين حكم قيصر وطغيانه ، وبين بساطة عمر بن الخطاب وسماحته وتواضعه ، وبالدعوة دخل الناس افواجا فى الدين الجديد . فمنهم من اسرع فى الدخول ، ومنهم من دخل بعد عام او خمسة اعوام او عشرة او مائة . .

ويقول «كيرك»: « ان غالبية اهل الشام ومصر السفلى فى القرن التاسع الميلادى كانت لاتزال مسيحية على الرغم من ان الاسلام كان قدمضى عليه فى هذه البقاع اكثر من قرنين » . . ونضيف ان من سكان مصر والشام من لم يدخل الاسلام حتى الان وتستطيع ان ترى اليوم الالاف او الملايين من المسيحيين فى مصر وسوريا وغيرهما من البلاد الاسلامية .

مرة اخرى لا علاقة بين انتشار الاسلام وبين الحروب .

واوضح من هذا ماذكره رولانداوليفر من ان الاسلام لم ياخذ طريقه خلف الصحراء بافريقية الا بعد انحلال دولته الكبرى فى المغرب وكانت وسيلة الاسلام لهذه البقاع هى الثقافة والفكر والدعوة ، فانتشر الاسلام بين شعوب البربر ، وقامت خلف الصحراء دول اسلامية لعبت فى التاريخ دورا كبيرا.

***

اما انتشار الاسلام فى افريقية فندع الحديث عنه الى شاهد عيان آخر ، ذلك هو الكاتب المسيحى الفرنسى روبير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية بافريقية حتى سنة ١٩٥٠ وهو يقول :

« ان انتشار دعوة الاسلام بافريقية لم يقم على القسر ، وانما قام على الاقناع الذى كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا الا ايمانهم العميق بدينهم وكثيرا ماانتشر الاسلام بالتسرب السلمى البطىء من قوم الى قوم ، فكان اذا مااعتنقته الارستقراطية وهى هدف الدعاة الاول ، تبعتها بقية القبيلة ، وقد يسر انتشار الاسلام امر آخر هو انه دين فطرة بطبيعته سهل التناول ، لالبس ولاتعقيد فى مبادئه ، سهل التكييف والتطبيق فى مختلف الظروف ، ووسائل الانتساب اليه ايسر وايسر ، اذ لايطلب من الشخص لاعلان اسلامه سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح فى عداد المسلمين ، وقد حبب الاسلام الى الافريقيين مظاهره البعيدة عن التكلف مثل الثوب الفضفاض والمسبحة والكتابة العربية والوقار الدينى وشعائر الصلاة مما يضفى على المسلم مكانة مرموقة وجاذبية ساحرة ، فالذى يدخل فى الاسلام ولو فى الظاهر يشعر بانه اصبح ذا شخصية محترمة ، وانه قد ازداد من القوة والحيوية »

وربما نستطيع ان نضيف هنا مالم يستطع روبير ديشان ان يذكره وهو ان الدخول فى الاسلام كان معناه السعى للتحرر من الاستعمار ، والحرية طبيعة فى النفوس ، والجموع المسلمة هى التى حملت راية الجهاد ضد المستعمرين بافريقية وآسيا .

وتقول الباحثة الالمانية الدكتورة اليس ليكتنتادتر ان التخيير ببلاد الفرس والروم لم يكن بين الاسلام والسيف : وانما بين الاسلام والجزية ، وهى الخطة التى استحقت الثناء لاستنارتها حين اتبعت بعد ذلك فى انجلترا ابان حكم الملكة اليصابات ».

اما الحروب التى دارت بين المسلمين وغيرهم فقد كان سببها الدفاع عن النفس ، قال تعالى : « اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » كما كان سببها تامين الدعوة

واتاحة الفرصة للضعفاء الذين يريدون اعتناقها ، فقد كانت الدعوة الاسلامية مهددة ، وكانت قريش تسلك كل السبل للقضاء عليها ، ثم كان هناك كثير من سكان مكة ومن العرب يميلون للاسلام ويريدون الدخول فيه ، ولكنهم كانوا يخافون ان ينزل بهم مانزل بمن سبقوهم الى الاسلام من عذاب وايذاء ، حتى اضطر كثيرون ممن احبوا الاسلام ان يعتنقوه سرا دون أن يعلنوا ذلك ، وفي هؤلاء نزلت الاية الكريمة: «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطاوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ...» فاذن الله لرسوله وللمؤمنين ان يحموا الدعوة ، ويؤمنوا من يدخل فيها .. قال تعالى :« وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » .

وكان من اسبابها كذلك الدفاع عن الامة الاسلامية حتى لاتدكها جيوش الفرس والروم ، فقد ارتاع هؤلاء لقيام دولة لها دين ومبادىء في جزيرة العرب وكان ارتياعهم اكثر عندما ارسل محمد صلوات الله عليه رسله ومبعوثيه يدعو هؤلاء واقوامهم للدخول في الاسلام ، فحسبوا هذه الدعوة انذارا وظنوا ان دعوة محمد خطوة لاحتلال بلادهم كما كانوا هم يفعلون من قبل مع الدول الاخرى ، فاتجه قادة الفرس والروم للزحف على المسلمين ، وقام المسلمون بالدفاع عن انفسهم ضد هذه القوى الجائرة ...

أما الدليل على ان موقف المسلمين كان ردا لعدوان فنقدمه فيما يلي :

يروى أنه في سنة ٦٢٧م «السادسة للهجرة » اسلم فروة بن عمر الجذامي عامل الروم على عمان ، وارسل مع مسعود بن سعد الجذامي بفلا اشهب وفرسا وحمارا ، واقمصة كتانية وعباءة حريرية هدية للنبي ، ولما بلغ الرومان ذلك حاولوا اقناعه ليرتد فأبى فما كان منهم الا أن القوا القبض عليه وسجنوه ، ثم صلبوه على ماء يقال له « عفرى » بفلسطين .

وفي سنة ٦٢٩ « ٨ هـ » أوفد النبي جماعة قوامها خمسة عشر رجلا الى حدود شرق الاردن ليدعوا الناس الى الاسلام، وليستطلعوا اخبار الروم فخرج عليهم جمع غفير في مكان يقال له « طلة » بين الكرك والطفيلة وقتلوهم كلهم الا واحدا لاذ بالفرار .

وكانت تجمعات الروم تهدد المسلمين دائما حتى كان المسلمون يتوقعون هجوم الروم عليهم كل لحظة ، ومما يدل على ذلك ان صحابيا في اثناء حياة الرسول دق باب عمر بن الخطاب في ليلة وعمر نائم ، فهب عمر من نومه مذعورا وهو يقول : ماهو ؟ اجاءت غسان ؟

وكما تحرش الروم بالمسلمين تحرش بهم الفرس ايضا ، فالتاريخ يروى لنا ان القبائل الموالية للفرس كانت توالى الاغارة عن ارض المسلمين ، ولم تكن حرب المسلمين مع الفرس الا امتدادا للدفاع الذى قام به المسلمون ليحموا انفسهم وذويهم من هؤلاء المغيرين .

على ان الحروب لم تكن في الحقيقة مع الشعوب ، وانما كانت مع قيصر وكسرى وجيوشهما ، هؤلاء الجبابرة الطغاة الذين كانوا يقفون حاجزا يحول بين الناس وبين الدين الجديد ، فلما سقط هذا الحاجز بدات الشعوب التى كانت خاضعة مغلوبة على امرها تفكر في الاسلام وتقبل عليه وتستعذب الحرية في ظلاله.

يقولون في

معنى الحياة

وجهات نظر شتى

● تحقيق : عاطف فرج ●

● طرح « الهلال » سؤاله عن « معنى الحياة » في عدد اكتوبر ١٩٧٩ وكان ذلك دعوة لاهل الفكر والقراء لكي يحدثونا عن « معنى الحياة » في نظرهم .. وبالفعل استجاب للدعوة عدد من المفكرين والقراء ، واتوا بآراء طريفة جديدة نختار منها احسنها وننشره .. وسيرى القارىء ان بعض الاراء تقليدى صرف ، وبعضها علمى خالص ، وبعضها شخصى جديد مبتكر . فاقرامعنا وتامل ... ولو بدا لك راى فيما يقولونه ، او حفزك هذا ، فلتدل بدلوك فى الدلاة ... والحياة اخذ وعطاء والفكر حوار والحقيقة كما يقولون لا تجتمع فى راى واحد بل هى خلاصة الف راى وراى ..

الحياة حب وعمل

● د . حسين مؤنس ●

« ان الامن والامان ، هما السياج الذى يجب ان يعيش فى ظله الانسان ، بمعنى ان يكون آمنا على بيته ، وماله ، آمنا على نفسه ، ورزقه . وان تترك له الحرية فى ان تنطلق ملكاته ، وان يحقق طموحاته ، وان يحقق ذاته ، وتحقيق الذات هذا هو الأمان لأولاده فى المستقبل ...

انا ممن يعتقدون فى القول : « دعه يعمل ، دعه يمر » ، ويجب الا يكون هناك حجر على نشاط الانسان وابداعاته ... لقد كان مبدئى طول حياتى هو الا احتاج ، وأن أعيش فى حدود دخلى ، لم اتمن ابدا ان اكون غنيا ، ولكن ان أعيش فى حدود الكفاية ، ولا ان أمد يدى لاحد . والحمد لله لقد ساعدنى الله فى اختيار هذا الطريق . وهذه نعمة اشكره عليها .. »

معنى الحياة

● د . محمود صلاح الدين مصطفى ●

الحياة بالنسبة لي ، ليست فقط في القيام بالوظائف الفسيولوجية للكائنات الحية : مثل التكاثر ، وحفظ الذات ، فهذه صفات يشترك فيها الانسان ، مع الحيوان مع النبات مع الكائنات الدقيقة ...

فالحياة بالنسبة للانسان ، لابد أن تشمل ايضا مدى اسهامه في خدمة الاخرين ، ونفعه لهم ، لاسرته الصغيرة ومجتمعه المحيط به ووطنه ، والمجتمع الكبير على مستوى العالم باسره .

فان الاسهام في حل مشكلة ، أو تخفيف الم انسان آخر ، يعطي للحياة معنى اكبر ، سواء كان هذا الانسان قريبا منك ، أو بعيدا عنك . في وطنك أو خارج وطنك ...

الحياة هي التنافس للوصول الى الاحسن ، وليس الحقد ، لتحطيم الاخرين ، والنيل منهم ، الحياة هي احساسك بأن الاجيال الشابة التي تأتي من بعدك أكثر قدرة ، وأكثر قوة ، وأكثر حماسا من جيلك أو الاجيال السابقة ...

الحياة هي أيضا في احترامك لاجيال سبقتك ، وعلمتك . الحياة هي الحب .. لنفسك ، واسرتك ، ووطنك وللعالم كله .. ولله تعالى خالق كل شيء . »

نعمة الموت

● عاطف سعودي ●

«أرى ان معنى الحياة الحقيقي بالنسبة لنا ، يكمن في الموت ! فالموت هو وقود الحياة ... هو النار الوحيدة التي يتخلف عنها الازدهار ، لا الدمار . به تتورد خدود الدنيا ، وتعربد في شرايينها دماء البقاء ...

ماذا لو وجدنا على ظهر الارض ، ولم يكن هناك « اكسير الحياة » المسمى بالموت ، بمعنى أن كل من يولد من الكائنات الحية ، انسانا ، كان أم حيوانا أم نباتا ، لا ينفد ولا يفنى ، وأبدا لا تقلبه دورة الزمن ؟ !

هل كانت ستكفينا الارض مساحة ؟ لا اظن !

هل كانت ستكفينا الارض طعاما ؟ لا اظن !

هل كانت ستكفينا الارض أمنا وأمانا ؟ لا أظن كذلك ! ولنتخيل عدم

وجود الموت بالنسبة لأقل الحشرات ضررا وازعاجا .. تلك الفراشات الجميلة التي تسر ناظرنا ، وتثير خيالنا وتضفى السحر والشاعرية ، على حدائقنا ، وحقولنا .

لعلك لو صح ذلك ... لا تستطيع أن تلج دارك قبل أن تفجر فيها قنبلة من الدخان ، لتفسح لنفسك طريقا الى الداخل !

كذلك بالنسبة للعصافير ،التى تشجينا بشدوها وزقزقتها . من منا سوف يهنا بلحظة نوم ، لو ان كل العصافير منذ الازل كانت بالموت لا تدين ؟!

وهكذا بالنسبة لكل صنف من الخلق ضارا كان أم نافعا .

اما بالنسبة للأنسان فتخيل مثلا انك تصعد الى « المترو » او « الاتوبيس » فتجد الى جوارك الملك خوفو جالسا بوفاره المعهود ، يعبث فى لحيته ، أو تدخل دار الخيالة فيلتصق ذراعك بذراع الاميرة قطر الندى ، فينهرك زوجها العجوز الخليفة المعتضد ؟ !

فهل بعد ذلك يحق لعاقل أن يخاف الموت أو يجزع من سيرته العطرة ؟! ان المعنى الحقيقى للحياة يكمن فى الموت، فمع الموت تولد الحياة ، وتتوردخدود الدنيا ، وتعربد فى شرايينها دماء البقاء .

حمدا لله الذى وهب لنا نعمة الحياة ، ولم يحرمنا ايضا نعمة الموت ! ..»

الإسلام دين وعمل

• فضيلة الشيخ : ابراهيم الدسوقى •

« حين خلق الله الانسان ، استخلفه فى هذه الارض يعمرها بكل ماهو مفيد ونافع ، والى جانب هذا يؤدى حق العبودية لله فى عنقه . ذلك الحق الذى اشار اليه القرآن الكريم :

«وماخلقت الجن والانس الاليعبدون»

فالانسان عليه واجبات :واجب الوفاء بحق الله ، حتى يؤدى كل ما فرضه عليه ، ويتجنب كل مانهى الله عنه ، وواجب عمارة هذه الحياة ، يعمل فيها ويستخرج خيراتها ، ويضرب فى الارض ابتغاء فضل الله عز وجل . ومن هنا فان الحياة فى نظر الاسلام كلها عمل للدنيا والدين ..

واذا كانت الحياة والاسلام يطلب

فيها العمل للدنيا ، فانه يريد بهـذا العمل ، اسعاد الانسان ، ولن يكون ذلك الا اذا توخى المرء فى عمله وفى عـائد هذا العمل تنفيذ تعاليم دين الله ، وليس صحيحا ماينسب الى الدين انه يحمل المرء على التواكل ، والركون الى الدعة ، والاعتماد على جهد الغير ، دون أن يقدم الانسان المسلم من الجهد ، مابه يستطيع أن يحيا عزيزا كريما .

ولعل فيما دعا اليـه القرآن الكريم من العمل فى قوله : ((**فامشـوا فى مناكبها وكلوا من رزقه**)) ودعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مرغبـا فى الزراعة والصناعة والتجارة ، مايؤكد ذلك .

ان الاسلام دين عمل ، والرسـول صلوات الله عليه يقول : ((مامن مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا . فيأكل منه انسان او طير ، او بهيمة الا كان له به صدقه))



معنى الحياة .. مصر

● اسماعيل ولى الدين ●

((معنى الحياة أن يكون لك هدف ، هدفى ـ كمثال ـ هو مصر .. هـذه الارض التى ولدت عليها ، وسـأنتهى أيضا عليها .

ماذا عندى لاقدمه لمصر سوى فـكر أو أدب .. هذا مايشغلنى ، هـذا مايقلقنى وهذا مايجعل لحيـاتى استمرارا ..

ماذا أريد لمصر ، حتى أكون حقيقـة قد حققت للحياة معنى ـ مادامت هى الهدف الوحيد ..

الصدق ، الحرية ، الاخلاص
الاهتمام بهذا الجزء العربى
الاسلامى الذى هى جزء منه.

غاية التربية عند ابن حزم الأندلسى
"٣٨٤ - ٤٥٦ هـ"

● د. عبد الحليم عويس ●

● قدم ابن حزم نظرية تربوية متكاملة بناها على اسس واضحة ، ورتب على اساسها لكل مرحلة من مراحل النمو الجسمي والعقلي - قدرا ملائما من المعرفة ..

ونظرية ابن حزم فى التربية ، تقوم على اساس التصور الاسلامي الشامل، الذى يرى « أن مدة المقام فى هذه الدار انما هى ايام قلائل ، واجهاد المرء نفسه فيما لا ينتفع به الا فى هذه الدار من العلوم ، سعى خاسر »

ويحلل ابن حزم ذلك تحليلا ، قد يختلف الراى فيه ، ولكنا نحس كأنه تحليل عصرى نعيشه ونلمسه ، فهو يقول : « ان اكتساب المال بغير العلم اجدى واشد توصيلا الى المرء من التوسع فى العلم لكسب المال ، كصحبة الحكام وعمارة الأرض والتقلب فى التجارات ... فالشغل بطلب العلم ليكون سببا الى كسب المال والتعب فيه بهذه النية ، عناء وضلال ، وفاعله قد جمع عيبين عظيمين : احدهما انه ترك اخصر الطرق الى مطلوبه ، واسهلها فى التوصل الى غرضه ، وركب أوعرها مسلكا واطولها تعبا واقلها فائدة ... والوجه الثانى انه استعمل الفضيلة التامة والتى بان بها من الحشرات والبهائم ، فى اقتناء حجارة لا يدرى متى تلعه أو يدعها .

« وأما العلم الذى ليس فيه الاصحة الجسم فقط ، فان المتعب فيه بدنه، المجهد لنفسه فى تلقيه وتقبده ، لا يحصل من تمامه لديه الا على البصر فى معاناة مرض لا يدرى أيتم له غرضه من برئه أم لا يتم .. » وهو يقصد بهذا ، أولئك الذين قصروا حياتهم على الاشتغال بأمور الطب ولم يجاوزوها الى غيرها من العلوم .

فهذان الاتجاهان فى غايات المعرفة



ابن حزم الاندلسى صاحب النظرية التربوية المتكاملة التى على اساس اسلامى شامل

مرفوضان عند ابن حزم ..

***

يرى ابن حزم أن وسائل تحصيل العلوم ثلاث : السماع ، والكتاب ، والقراءة ... ولا سبيل دونها لشىء من العلوم البتة .

وعند بلوغ الصبى سن الخامسة أو نحوها — وهى السن التى يراها ابن حزم ملائمة لبدء التعلم — يجب تسليم الصبى الى مؤدب ليعلمه « الخط » و « تأليف الكلمات من الحروف . »

وعلى المؤدب — فى هذه المرحلة — مراعاة أن يعلم الصبى «الخط» بحيث يكون قائم الحروف ، بينا ، صحيح التأليف الذى هو الهجاء .

فان الخط ان لم يكن هكذا ، لم يقرأ الا بتعب شديد .

وحد تعلم القراءة ان يمهر الصبى فى قراءة كل كتاب يخرج من يده بلغته التى يخاطب بها قومه .

والخطوة الثانية فى تعليم الصبى هى أن يحفظ القرآن ، لانه يجمع بذلك وجوها كثيرة عظيمة كالتدرب فى القراءة وتمرين اللسان على التلاوة ، والتخلق بالاخلاق الحميدة التى يقرؤها فيه

***

وبعد أن ينتهى ابن حزم من بسط رأيه فى تعليم الاطفال ، يقدم لنا نظريته فى تصنيف العلوم الواجب تعلمها ، مبتدئا بالأهم ، ومقدرا لكل علم حجما معينا ، تتضح فيه رؤية ابن حزم الظاهرية للأشياء ، والبعد عن الترف الذهنى الموجود بخاصة فى كتب النحو والفقه .

والعلم الاول فى هذه المرحلة — عند ابن حزم — هو علم النحو واللغة ، وتجزأ فيهما ، لغير المتخصص ، بعض الكتب الاساسية ككتابى الواضح ومختصر العين للزبيدى ، والموجز لابن السراج ، والغريب لابى عبيد « واما التعمق فى علم النحو

ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب الأهم ، وانما هي تكاذيب — فما وجه الشغل بما هذه صفته ؟ »

والعلم الثاني — الشعر الذي فيه الحكم والخير ، كشعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك ، وصالح بن عبد القدوس — « والاكثار من الشعر كسب غير محمود ، لأنه من طريق الباطل والفضول لا من طريق الحق والفضائل »

والعلم الثالث — الحساب : « فليحكم الضرب والقسمة والجمع والطرح وليأخذ طرفا من المساحة ، وليشرف على « الارثماطيقى » ، وهو علم طبيعة العدد » .

والعلم الرابع — الفلك : فبه يتوصل الى معرفة نصبة الارض ومساحتها وتركيب الافلاك ودورانها ومراكزها وابعادها . ويحسن في هذا العلم عند ابن حزم — مطالعة كتاب المجسطي حتى يعرف المتعلم الكسوفات وعروض البلاد واطوالها ، والاوقات الخ . .. وطلب علم الفلك لا يعني الاشتغال بأحكام النجوم « فانه لا معنى له » .

والعلم الخامس : المنطق .. ليعرف المرء ما البرهان وما الشغب العقلي ، وكيف التحفظ مما يظن انه برهان وليس ببرهان .

والعلم السادس : الطبيعيات ، وعوارض الجو ، وتركيب العناصر .

والعلم السابع : كتب التشريح ليقف على تاليف الاعضاء وحكمة الله .

والعلم الثامن : كتب التاريخ القديمة والحديثة ، ليقف على فناء الممالك والبلاد ودثور المدائن — وعلى حمد المتقين ، وذم اهل الرذائل .

والعلم التاسع : الفلسفة ، لانها تحتاج الى نضج عقلي ، والى رصيد كبير من المعارف . فيعرف ما خرج الى هذا العالم وما اليه يرجع .

والعلم العاشر : مقارنة الاديان لمعرفة صحة الاسلام على سائر الاديان .

والعلم الحادي عشر : الشريعة .. فهي الاعلى والاعظم مسعى .

هذا هو تصنيف ابن حزم للعلوم . ومن الملاحظ انه ينتهي بعلوم الدين ، على عكس ما يراه الكثيرون من البدء بعلوم الدين ..

وهو يرى أن الذي تختلف فيه الامم من هذه العلوم ثلاثة : علم الشريعة ، وعلم الاخبار ، وعلم اللغة ... اما بقية العلوم فهي علوم مشتركة .

كما أن ابن حزم لا يميل الى التخصص الشديد ، بل يرى ضرورة الاخذ من كل علم بطرف ، فان سماع الانسان قوما يتحدثون وهو لا يدري ما يقولون غمة عظيمة ...

***

والحق ان ابن حزم قد جمع بين عمومية الثقافة والتخصص الدقيق في اطار متناسق رائد ، وذلك في جملة محددة يقول فيها : « ومن اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره ، اوشك ان يكون ضحكة ، وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه اكثر مما ادرك منه لتعلق العلوم بعضها ببعض .. ومن طلب الاحتواء على كل علم اوشك ان ينقطع وينحسر ولا يحصل على شيء » .

● العلوم العملية ●

يرى ابن حزم انه عند التحقيق وصحة النظر يثبت أن « كل ما علم فهو علم » فالتجارة ، والخياطة ، والحياكة ، وتدبير السفن ، وفلاحة الارض ، وتدبير الشجر ومعاناتها ، وغرسها ، والبناء — كل هذه علوم نافعة ...

لكن ابن حزم يقدم على هذه العلوم — العلوم النظرية السابقة ، اذ أن هذه علوم يحتاج اليها الناس في معاشهم ، اما الاخرى ففرضها التوصل الى الخلاص في المعاد فقط .

لكن ابن حزم مع ذلك لا يذم هذه العلوم — كما فعل بعض العلماء — بل انه ليعتبر ذلك دليل نقص ، وقولا بغير معرفة .

اضافات تربوية اخرى

يرى ابن حزم أن « التعليم اجبارى » ، ليس الى مرحلة « محو الامية » فى القراءة والكتابة فقط ، بل الى مرحلة أعلى من ذلك . وهذه المرحلة الالزامية — لا يسع احدا من الناس الافلات منها : الاحرار والعبيد والاماء . **وهى تفرض بقوة القانون ، فالامام يجبر ازواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهم ما ذكرنا — اما بانفسهم واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهم . وفرض عليه — ايضا — ان ياخذ الناس بذلك ، وان يرتب اقواما لتعليم الجهال .**

وفى هذه المرحلة يجب تعليم الطهارة والصلاة والصيام بفرائضها وكيفية ادائها ، وتعليم ما يحل وما يحرم من المآكل والمشرب والملابس والفروج والدماء والأقوال والاعمال .

وترتبط بهذه المرحلة ، وتأتى بعدها فى الوقت نفسه ، مرحلة تعليمية أخرى اقرب الى التخصص العملى فى أنشطة الحياة المتباينة :

« ثم فرض على كل **ذى مال** تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الرجال والنساء والعبيد والاحرار ، فمن لم يكن له مال أصلا ، فليس تعلم احكام الزكاة عليه فرضا . ثم من لزمه فرض الحج ففرض عليه تعلم اعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك من لا صحة لجسمه ولامال له . ثم فرض على قواد العساكر معرفة السير وأحكام الجهاد وقسم الغنائم والفىء ثم فرض على الأمراء والقضاة تعلم الأحكام والاقضية والحدود ، وليس ذلك فرضا على غيرهم . ثم فرض على التجار وكل من يبيع غلته تعلم احكام البيوع وما يحل منها وما يحرم .

« ثم فرض على كل جماعة مجتمعة فى قرية او مدينة او دسكرة او حلة اعراب او حصن — أن ينوب منهم لطلب جميع أحكام الديانة أولها من آخرها » .

ونحن نرى فيما ذكره ابن حزم منطقا عمليا ، وتوجيها للعلم فى خدمة المجتمع ، وايمانا بان من الصعب التوصل الى كل العلوم ، فمع ضرورة الاخذ من كل فن بطرف لابد من دقة فى معرفة التخصص ..

وهذا الجمع فى التربية بين ارضية ثقافية واسعة ، وتخصص دقيق وتوجيه للعلم فى خدمة المجتمع ، وفقا لاحتياجاته — هو الرأى الذى انتهت اليه المدارس التربوية فى العصر الحديث ، وسبق اليه ابن حزم منذ اكثر من تسعة قرون .

***

ويرفض ابن حزم ذلك التصور الخاطىء الذى يسيطر فى عصور التخلف الفكرى ، وهو ما ذهب اليه نفر من اهل العلم الدينى من ازدراء سائر العلوم ، فهذا نقص عظيم شديد لا ينتفع به صاحبه ، اذ أن هذه العلوم الدنيوية خادمة ومتصلة اتصالا قويا بعلوم الدين . كما فصل ذلك ابن حزم .

كما يرفض ابن حزم ما ذهب اليه الذين طلبوا علوم العرب فازدروا سائر العلوم ، اذ أن هؤلاء بمنزلة من ليس فى يده من الطعام الا الملح ، وليس معه من السلاح الا المصقلة ، فهو لا يظن انه ليس هناك افضل منهما .

***

ان اتجاهات ابن حزم التربوية ، هى واحدة من الاتجاهات المبكرة فى تراثنا .. قد عرفها ابن خلدون كما عرفها قبله ابو بكر بن العربى وابو حامد الغزالى . وقد مثلت آراؤه تلك تمهيدا قويا لآرائهم ..

واذا كان هؤلاء جميعا لم يقروا بفضل ابن حزم ، فان تراثهم ليدلنا بطريقة غير مباشرة على أن ابن حزم كان ذا تأثير بنظريته التربوية فيما ورد الينا من آرائهم وتصوراتهم .



● محمد الحديدى ●

● عندى قاعدة وضعتها لنفسى، لم يدلنى احد عليها، وكما يقول ابو العلاء المعرى عن تفرقته بين الزمن والمكان : « قد حددتهما حداً ما اجدره ان اكون قد سبقت اليه ، ولكننى لم اسمع به » .

انا ايضا ، ما اجدرنى ان اكون قد سبقت الى هذه القاعدة ، ولكننى لم اسمعها من احد ... هذه القاعدة هى اننى اذا رأيت شيئا ، او اريت شيئا، اعجز عن تفسيره ، فان هذا لن يجعلنى اصدق اى تفسير يقال لى ... تماما كما ان عجزى عن شراء شىء ليس معناه انه يساوى اى ثمن يقال ... انا لا تفسير عندى لهذه الظاهرة ، وكفى ، فاذا رايت الحاوى يستخرج من جيبه منديلا ثم يحوله الى حمامة ترفرف ، ثم يجعل الحمامة تموت ثم تحيا ، ثم يحولها الى عباءة بيضاء يلبسها ، مثلا — وقد رايت هذا يحدث عدة مرات — فان هذا لا يكفى ان اصدق ان هذا الحاوى يزيد شيئا عن كونه مجرد « الحاوى » ..

انا لا املك تفسيرا للأعاجيب التى ياتيها ، ولكن هذا لا يستتبع بالضرورة ان اصدق اى تفسير يدعيه هو او غيره .... اورد هذا فى بداية الحديث لاتخذ منه وسيلة لان ارجو القارىء الا يرفض الموضوع شكلا ، فانا لا اقل عنه صرامة فى رفض الخرافات حتى لو رأيتها بعينى رأسى وهى تحدث ، وما اكثر ما رأيت من جلسات لتحضير الارواح اجد نفسى محور جزء مما يدور فيها واجد الروح تحادثنى شخصيا وتنهال على دونما ذنب جنيته . .. وكثيرا ما اتعرض لاقاويل لا ادرى من اين عرفها هؤلاء « الأسياد » ، ودخلت مرة عند بعض اقاربى دون أن يعرفوا اننى آت ، وكان هناك « جو » من هذا النوع ، واخذ الوسيط يتحدث عنى ذاكرا الاسم !.. وهو لم يرنى فى حياته ولم ينفرد باحد من الحاضرين بعد وصولى ! ..

ارتعدت فرائصى وذهبت لقضاء الليلة عند احد اصدقائى لكى لا انام بمفردى « كما كنت اعيش اذ ذاك » . .

كل هذا حدث ، وغيره ، ورايت منضدة ترتفع فى الهواء وساعة يدتجرى على المنضدة ، ولكنى لم اصدق شيئا ولن اصدق الا ما استطيع ان اجد فيه سلسلة مترابطة يمكننى أن اقتنع بها ... ولكنى لا ازال ارجو أن يصح موضوع « التخاطر » ... لعله على الأقل يكون حلا لمشكلة التليفونات عندنا ، فما أكثر ما نزحت من مصر الجديدة الى حلوان لابلغ رسالة ، ثم رجعت بخفى حنين لان المطلوب توصيلها اليه لم يكن هناك .. واصبح منتهى املى وغاية مقصدى ان انجو من شوارع القاهرة واقبع فى بيتى راضيا من الغنيمة بالاياب ، طالما استطيع على الاقل أن ابلغ من يحبوننى ـ قلوا اوكثروا ـ اننى مازلت حيا ارزق ، وسارزق بالمواصلات ووسائل النقل او بغيرها ، وان اتلقى منهم رسائل مماثلة ، بطريقة التخاطر .

وكنت منذ قريب مع الصديق الاستاذ الدكتور عادل سلامة ، وقابلنا استاذا ايرلنديا متخصصا ـ كالدكتور عادل ـ فى الادب الانجليزى ، وبدلا من ان نتحادث فى الأدب ، تحادثنا فى هذا الموضوع ، لأن الأستاذ اكد لنا أنه هو وزوجته قد اصبحا قادرين على ممارسة هذا النوع من الاتصال « أيضا » ، فهو يتلقى منها الرسائل ويرسل الاجابة والعكس بالعكس ، وان صحة نظرية او عملية « التخاطر » لا تستتبع بالضرورة ان الموضوع يصبح «هيصة» . وأن كل من هب يتصل بكل من دب .. هذه تكون مصيبة لان معناها ان الانسان سيفقد ما تبقى لديه من خصوصية فى هذا الزمن ولن تكون له اسرار ، ولن يستطيع حتى ان يفكر كما يشاء ، فضلا عن أن يتحدث كما يشاء ... المسالة الآن ، أن وجدت ـ محدودة بمن لديهم القدرة على



اتيانها ، وهؤلاء ايضا درجات ، ولكل درجات ...

اظن آن الاوان الآن لأن نسأل ، ما هذا الشيء ؟

التليباثي !

التعريف المتفق عليه دوليا هو :

« اذا امكن لفرد ان يحوز معلومات غير متاحة لفرد آخر ، فانه تحت ظروف معينة ، وبواسطة قنوات للاتصال معروفة وخاضعة لسيطرة كاملة ، يمكن للفرد الثاني ان يظهر حيازته لهذه المعلومات بدرجة اعلى او اكمل من تلك التي يمكن ان تعزى لمجرد الحدس أو التخمين ، وهو الاحتمال الوحيد الاخر » .

حتى الآن ، كل التجارب التي تمت - وهناك الاف منها - تنحصر في « اثبات » او « اكتشاف » القدرة على « بث » المعلومات بهذه الطريقة بين اشخاص تربطهم صلات قوية ، رجل وزوجته ، أب وابنه ، اخ واخته ، وربما حبيب وحبيبته ، لكي نطمئن المحبين - ومؤلفي التمثيليات التليفزيونية - ان ازمة النقل والمواصلات عندنا لن تقضي على حياتنا الرومانسية ، سواء الجانب العملي او النظري منها ...

ويقال ان اقوى صلات « التخاطر » توجد بين التوأمين المتطابقين، وللكاتب الفرنسي الكسندر دوماس قصة اسمها « الاخوان الكورسيكيان » ، مثلهما للسينما دوجلاس فيربانكس ، كان فيها توأمان يحس احدهما بما يجري للاخر ، وقام فيربانكس بدورهما معا بطبيعة الحال .

ولكن هذه التجارب وآلاف التقارير التي تثبتها لا تدل على شيء مما يمكن ان يكون وصفا لعملية « التخاطر » او طبيعة ما يحدث ان كان شيء يحدث

وقد اعتمدت التجارب الاولى على استخدام اوراق اللعب وغيرها من الاشكال ، ومن بين ٣٧٨٩ حالة اجريت عليها التجارب في لندن فيما بين سنة ١٩٣٦ ، ١٩٤٣ ، نجحت ١١٠١ حالة، وقيل وقتها ان هذا يكفي تماما لاستبعاد عنصر الصدفة ، وان الصدفة لن تؤدي الى نسبة نجاح كهذه لو أجريت التجربة على كل من عاشوا على الارض منذ ستين مليون سنة ، او هكذا قال صمويل شاءول ، صاحب التجارب وزميله بازيل شاكلتون ..

ولكن التجارب التي تعد اكثر اثارة هي تلك التي اجريت - ولعلها لا تزال تجري - في الاتحاد السوفييتي، وبمعونة كبيرة واهتمام عظيم من سلطات الحكومة والحزب ، حيث تسود المادية الجدلية والاعتقاد بأن الانسان ومنتجاته الذهنية والعاطفية ، كل هذا مجرد كيمياء ....

المقصود ، في ابريل ١٩٦٦ ، تمكن ممثل مسرحي يدعى كارل نيكولاييف، يعيش في مدينة نوفوسيبرسك ، من ان ينشيء خطا ساخنا « بالتخاطر » مع صديقه يوري كامنسكي ، وهو بيوفيزيائي يعيش على بعد الفين وخمسمائة كيلو متر في موسكو، وعندما اجريت التجارب ، اعطوا كامنسكي صندوقا اختاروه عشوائيا من بين عدد كبير من الصناديق المتشابهة ، فتحه وبدا يحاول ان يرى محتوياته بعيني صديقه البعيد ، وفي نوفوسيبرسك، كتب نيكولاييف يصف الزنبرك الذي وجده كامنسكي في الصندوق « جسم معدني مستدير يشبه الملف» اما الملف في التجربة الثانية ، فكان « شيئا طويلا رفيعا مصنوعا من المعدن والبلاستيك» لم يكن من السهل على احد ان يتصور ان كل هذا كان مجرد صدفه .

من هنا تكونت « مجموعة بوبوف» واعطيت المال اللازم لاجراء المزيد من

● النساء والعصر .. صفحة ١٤١ فى هذا العدد

التجارب ، وكانت اكثر علمية هـذه المرة ، اذ اعتمدت على قياس الموجات المخية اثناء استقبال نيكولاييف للرسائل الذهنية التى يبعث بها اليه كامنسكى الذى حدث هـو انه عندما اعطى كامنسكى اشارة البدء تغيرت موجات مخ نيكولاييف وثبت لاول مرة فى التاريخ – بقدر ما يمكن للتجارب العمليـة ان تثبت شيئا – ثبت ان ارسالا مخيا من فرد لآخر قد تم، على مسافة حوالى سبعمائة كيلو متر ..

واتضح ايضا ان التغير الذى يسجله جهاز قياس الموجات المخية الكهربائى، كان يسبق ادراك المستقبل للمعلومات المرسلة بحوالى خمس ثوان، وان ارسال موجات مخية ذات ذبذبة واقعة فى نطاق معين ، شرط لانجاح الاتصال التليباثى، الى جانب العوامل النفسية الاخرى ، ومنها ان يكون المستقبل فى حالة « استرخاء تام ، وانتباه حاد »

صدق او لا تصدق ..

كثيرا ما ساءلت نفسى ، لو كان موضوع الارواح هذا صحيحا ، فلماذا لا تلجأ القوى العظمى ، بامكانياتها المادية والروحية ، الى الحصول على المعلومات الحربية الخطيرة باستخدام جيوش الروحانيين والمنومين المغناطيسيين والمنجمين .. الخ ؟

ولماذا يتعب جيمس بوند نفسه ويغامر بحياته بينما يمكن للمدبر الذى يتبعه ان يحصل على ما يريد وهو جالس الى مكتبه الفاخر ، يدخن سيجارا من نوع فاخر ، هذا مع بقاء الافلام ، لانى استمتع بها استمتاعا كبيرا فى الحقيقة « بل ان جون كيندى كان يهوى قراءة روايات جيمس بوند بمجرد انتهاء يان فلمنج من تاليفها ، وذلك اثناء رئاسته »

« التخاطر » على الاقل ، فاز بنصيب كبير من اهتمام جنـرالات العصر الحـديث ، ففى سنة ١٩٦٠ نشرت مجلة فرنسية خبرا مؤداه ان بحرية الولايات المتحدة قد توصلت الى حل المشكلة القديمة الناجمة عن استحالة الاتصال اللاسلكى « والسلكى بطبيعة الحال » بين القواعد البحرية والغواصات وهى تحت الماء، وان هذا تم بطريق « التخاطـر » ، وانه – بالتحديد قد تم الاتصال بالغواصة « نوتيلاس » عن طريق وسطاء فى القاعدة على اليابسة ، يتلقون الرسائل من أفراد مدربين على « التخاطر » داخل الغواصة ، وان الاتصال عن غير طريق الحواس كما يسمونه قد اصبح سلاحا سريا من اسلحة الحرب .

سارعت السلطات الامريكية بتكذيب النبأ ...

وهناك احتمالان ،اما انه فعلا غير صحيح، واما انه صحيح وهم يحاولون انقاذ ما يمكن انقاذه بمنع السوفييت من ان يلجأوا الى التجارب والتوصل الى نفس النتيجة كما حدث فى القنبلة الذرية .

ثم جاءت المفاجـأة وهـى ان السوفييت اعلنوا انهم يسـتخدمون الاحساس غير المادى فى الاتصـال بغواصاتهم وان هذا امر يجرى منذ سنوات !

حتى هذا الوقت على الاقل لم تكن هناك وسيلة فيزيائية معروفة لاجراء اتصال بين الارض وغواصة تحت الماء .

.. والطريقة التى لجأ اليها الروس هى انهم كانوا يبقون على الارض ارنبـة وضعت حديثا ، وياخذون صغارها الحديثى الولادة الى الغـواصة حيث يذبحونهم واحدا واحدا ((يبدو ان هذه هى الوسائل التى تناسب امزجة قادة الحزب)) وفى كل مرة يذبح فيها وليد

من هؤلاء ، وفى نفس اللحظة ، تقاس ذبذبة موجات مخ الام .. صدق أو لا تصدق - فى كل مرة كان يحدث تغير حاد .. حتى الأرانب يمكنها فى ساعة الشدة ان تتعاطف من بعيد !

ثم اتضح أن العلماء فى كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة كانوا قد امضوا سنوات فى محاولة استخدام « التخاطر » سواء فى الاتصال بالغواصات او سفن الفضاء ، وفى اقناع حكومتهم بأن تعتمد الاموال اللازمة للتجارب . وتأتى المشكلة من الاهمية العظمى للاتصال الفعال والسريع فى كلتا الحالتين

ويبدو ان انجح التجارب التى أجريت حتى الآن تمت أيضا بواسطة الروسيين كامنسكى ونيكولاييف ، وعن طريق قياس ذبذبات الموجات المخية . وقد اعتمد السوفييت فى هذه التجربة على طريقة « مورس » الشهيرة ، حيث الاتصال سواء كان سلكيا أو لاسلكيا بعد نقطة اذا استمر اقل من عشر ثوان ، وشرطة اذا استمر خمسا واربعين ثانية ، وهى الطريقة التقليدية فى بث الرسائل التلغرافية . بقياس فترات الاستقبال التليبائى من جانب نيكولاييف لرسائل كامنسكى ... وباستخدام شفرة مورس التى تحدد لكل حرف ابجدى تركيبة من النقط والشرط ، امكن بث كلمة ميج الروسية عبر الفضاء سبع مرات متوالية ، وهى اسم الطائرة السوفييتية الشهيرة ، كما انها كلمة روسية تعنى «لحظة» .

استغرقت هذه التجربة عشرين دقيقة ، صحيح ان هذه ليست «لحظة» ولكن عندما يتسع نطاق الرحلات الفضائية فان عشرين دقيقة ستصبح لحظة بالقياس الى الزمن الطويل الذى يلزم لبث الرسائل لمسافات يستغرق الأمر ساعات لقطعها بسرعة الضوء !.

الاتصال بانسان على ظهر كوكب المشترى مثلا ، باللاسلكى ، يستغرق ساعة ، ومن المؤكد ان « التخاطر » سيصبح وسيلة اساسية اذا كانت بحوث الفضاء ستستمر . صحيح انه لا يمكن الاطمئنان اليه فى كل مرة يستخدم فيها ، ولكنه يظل ضروريا بالقدر الذى تصبح معه الرسائل اللاسلكية غير عملية هى ايضا .

ولا يقتصر التوصل الى هذه النتائج الفعلية على الروس فقط ، فقد تمت تجارب مماثلة فى كلية جيفرسون الطبية فى فيلادلفيا ، حيث اثبت اثنان من اطباء العيون ان التغير فى موجات « الفا » فى مخ احد التوامين سيحدث تغيرا مماثلا فى مخ التوأم الآخر .

مملكة الحيوان والمجتمع الانسانى

اذا افترضنا حقيقة « التخاطر » ، مع الاعتراف بعجزنا عن اكتشاف الوسيلة التى يتحقق بها ـ فاننا سنظل نقف عاجزين امام هذا السؤال : ما الذى تعنيه هذه الظاهرة الخطيرة ؟ ولماذا نشأت اصلا ؟ وهل هى مقصورة على الانسان ؟ وان لم تكن كذلك ، فما قيمتها البيولوجية ، أو - بعبارة اخرى - ما الوظيفة التى يؤديها الاتصال التخاطرى ؟

عالم انجليزى اسمه آليستر هاردى ، يعتقد ان « التخاطر » قد يكون تفسيرا لظواهر بيولوجية كانت اساسية فى عملية التطور . انه يعتقد ان تطور اللغة ، بقدرما كان هاما للانسان ، قد انقص من قدرته على « التخاطر » أو **جعلها تتوارى وتصبح صعبة التنمية والاكتشاف ... لا شك ان اللغة قد ساعدت على نمو التفكير المنطقى وعلى تبادل الآراء ، وعلى استحداث الجديد ونشره ، بل وعلى تنمية النخاع الشوكى فى الانسان ، ولكنها قد تكون ايضا**

اخمدت الوسيلة الى معرفة بدائية غير محددة ، فى سبيل وسائل للاتصال على درجة أعلى من الدقة ، وهو يلاحظ ان الطفل الآدمى حتى سن ثمانية عشر شهرا لا يختلف كثيرا عن طفل الشمبانزى فى نفس السن من حيث الاهتمامات وطريقة تبادل المعلومات ، وان الحيوانات الاجتماعية ، كالنمل ، قد تكون وسيلتها الاساسية فى هذا التنظيم البديع نوعا من «التخاطر»..

ويقول آليستر هاردى «ان معتقداتنا فى التطور قد تتغير لو ان شيئا كالتخاطر ظهر كعامل مؤثر فى سلوك انواع من المخلوقات ، لو ان هناك نمطا سلوكيا جماعيا يتم عن غير طريق الوعى، فان هذا النمط قد يعمل من خلال عملية ارتقاء عضوى على تغيير مسار عملية التطور »

الغاء الزمن والمسافة

اذا كانت الوسائل اللاسلكية التى تبث بسرعة الضوء تستغرق وقتا يتوقف على المسافة ، وعلى سرعة الضوء المعروفة « حوالى ثلاثمائة الف كيلو متر فى الثانية » فان « التخاطر» ــ بوصفه اتصالا غير مادى ــ لا يستغرق وقتا ، وبذلك فانه يلغى فوارق المكان والزمن ، أو أنه يلغى هذا وذاك وينقلنا الى عالم غير مادى ــ طبقا لتعريفه .

اين يذهب الزمن والمكان ؟ هذا هو ما يتعب العلماء . .ان اى تأثير يتناسب تناسبا عكسيا مع مربع المسافة ، هذا قانون فيزيائى عالمى ، فهل يقف هذا سدا منيعا أمام اقتناع العلماء بالتخاطر ؟

ابدا ، لان هذا القانون نفسه قد بدأ يهتز ــ ككل ما سبقه من قوانين الفيزياء النيوتونية ، وكما ستهتز الفيزياء الاينشتاينية ذات يوم ! . .

كيف ؟

لقد وضح ان هناك معادن كثيرة تنعدم مقاومتها للتيار الكهربائى اذا انخفضت درجة حرارتها الى درجة سيولة غاز الهليوم . ثم ظهر بعد ذلك انه يمكن صنع سبائك معدنية تحط بمركبات عضوية تعطى نفس الظاهرة ، فى درجات حرارة أعلى بكثير ! .. درجات حرارة عادية !

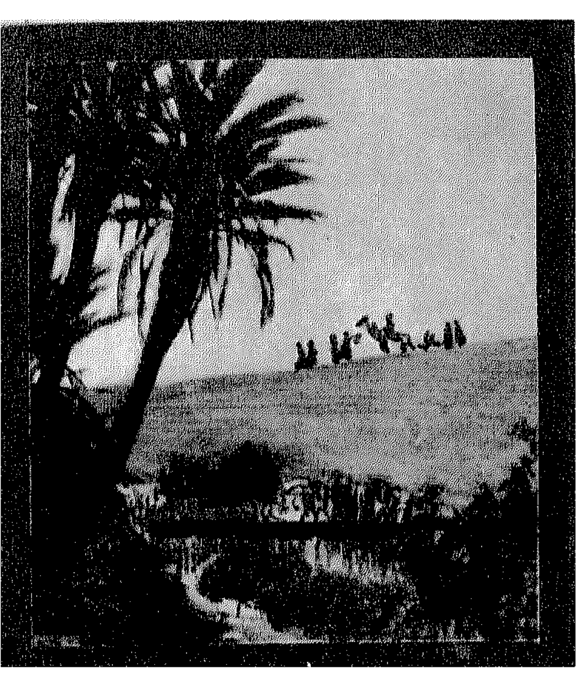
بل ان الغاء المسافة والزمن لعبة تمارسها الحيتان فى المحيطات ، وهى تزعق منادية بعضها البعض من أبعاد تصل الى آلاف الكيلو مترات ، باتباع قنوات من الماء الدافىء محصورة بين طبقات من الماء البارد .

هذا موضوع آخر طويل .. قد نعود اليه. نكتفى الآن بأن ندعو الله ان تنشأ فى بلادنا وزارة « للتخاطر» ، تصبح فى المستقبل هى البديل المصرى للوسائل التقليدية التى ثبت فشلها ، وقد فشلت لأنها وسائل مفرقة فى المادية، متجاهلة للروحانيات ..

بشىء من الاصالة ، والخيال ، يمكننا أن نحقق الاتصال المطلوب ، بالطبيب ، عندما نصحو فى منتصف الليل بفعل المرض او اى طارىء آخر، وبالصيدلى ، للحصول على الدواء ، وباحبائنا واصدقائنا الذين اوشكنا أن نفقدهم تحت وطأة مسافات وأزمنة لا يمكن الغاؤها ..

واذا كان هذا الرأى يبدو غريبا الان ، فلا نهاية القائمة الاراء التى كانت غريبة فى بدايتها ثم ثبتت صحتها .. وفى كل بلد من بلاد العالم الان توجد وزارات كانت منذ عشر سنوات لا يعدو اسمها ان يكون نكتة الموسم ...

اذا لا نجرب ؟ قد تنجح هذه التجربة .. ونسبق العالم كله ، مرة واحده . ●●





● محمد قنديل البقلي ●

منذ ان كانت الفتوحات العربية للدعوة الاسلامية وخضوع تلك البلاد المفتوحة لمقر الدولة الاسلامية بدءا فى مكة والمدينة ـ شغل المؤرخون الاسلاميون ببحث ما عليه تلك البلاد التى انضمت الى الرقعة الأسلامية ..

وهكذا كان الاساس الذى عنى به المؤرخون الاسلاميون فى وصف تلك البلاد وهذه الاقاليم . وكانت المحاولات الاولى تتصل بمداخل تلك البلاد ومخارجها ، ومن ثم كان كتاب ((المسالك والممالك)) لابن خرداذبة عبيد الله بن احمد المؤرخ الجغرافى والمتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، وهذا الكتاب ((المسالك والممالك)) يعد من اقدم الكتب العربية الجغرافية وفيه تفصيل للجباية ايام العباسيين فى اواسط القرن الثالث الهجرى . ولعل الذى اعان ابن خرداذبة على عمله هذا انه كان من قبل يتولى البريد والخبر بنواحى الجبل فى فارس .

ولقد مهد ابن خرداذبة بكتابه هذا «المسالك والممالك» الذى تحدث فيه عن الخراج من غير تفصيل ، السبيل الى قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ لوضع كتابه « الخراج » .

ولقد تناول قدامة فى كتابه هذا ما تناوله ابن خرداذبة من بيان الطرق والمسافات ثم اتبع هذا تفصيلا عن الخراج المستحق للدولة العباسية ايام المكتفى بالله .

وهذا السبب الذى من أجله كان هذا التاليف الجغرافى ، سبقه سبب آخر وهو خروج المسلمين من جميع الأقطار لحج بيت الله الحرام ، يسلكون الى مكة والمدينة طرقا مختلفة ويستعينون بوسائل متباينة ، ولقد أثار هذا حمية المؤلفين من هؤلاء الحجاج لأن يدونوا ما يرون وما يشاهدون ، وكان من هؤلاء ابن جبير محمد بن احمد المتوفى سنة ٦١٤ هـ الرحالة المعروف والذى له رحلة ابن جبير . ثم ابن بطوطة محمد بن عبد الله الرحالة المؤرخ المتوفى سنة ٧٧٩ هـ وله كتابه المعروف فى

الرحلة المسمى « تحفة النظار فى عجائب الأمصار وغرائب الاسفار » .

وينضم الى هذا السبب الثانى ــ وهو الحج الذى كان من الحوافز الى الرحلة ــ طلب العلم ... فلقد عرف عن المسلمين الأوائل تنقلهم المتصل ورحلتهم الدائبة الى البلاد التى كانت منتدى العلم وملتقى العلماء فقها وحديثا وادبا وتاريخا ، وهؤلاء الذين كانوا ينتقلون فى طلب العلم كانوا هم الآخرون شغوفين بتدوين ما تقع عليه أعينهم فى رحلاتهم ..

ونحن اذا رجعنا الى المكتبة الجغرافية العربية وجدناها تنتظم انتاج ما يقرب من الثلاثين من كبار المؤلفين هذا عدا نفر لا شك لم تصلنا آثارهم .

اصول علم الرحلات ..

وانشغال العرب بالجغرافيا وصفا ورحلة ، لفتهم الى اصول هذا العلم والى ما الفه اليونان فى ذلك ، فنرى الخوارزمى محمد بن العباس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يلخص لنا كتاب بطليموس ، ولا سيما ما يتصل بالأطوال والعروض والمواقع ... ولم يقف الامر عند الخوارزمى بل عداه من قبل الى الكندى ابى عمر محمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، فلقد سبق الخوارزمى الى النقل عن اليونان وكتابه « رسم المعمور من اقطار الأرض » ليس غير اقتباس من كتاب بطليموس اليونانى ...

وابن خرداذبة الذى قدمنا ذكره ، كان اسبق من الكندى فى النقل عن اليونان وعن بطليموس فى كتابه « المسالك والممالك » .

وكان أسبق من ابن خرداذبة ، اليعقوبى احمد بن ابى يعقوب المتوفى سنة ٢٧٨ هـ فى كتابه « البلدان » .

وكذا ابن الفقيه وابن رسته ، وهذا مما حمل البعض على ان يقولوا ان الخرط والرسوم التى اوردها المؤلفون الجغرافيون العرب كلها منقولة عن بطليموس .

غير ان هذا العلم الذى بدا مشوبا بالنقل عن اليونان فى جانب كانت له نظرات عربية خالصة فى جوانب اخرى ، فوصف الرحلات وما عليه احوال الاقاليم استعدادا للجباية والجزية لم يكن فيه مجال للنقل عن اليونان ، وما نراه عند البلخى والاصطخرى ، وابن حوقل والمقدسى يؤيد لنا ذلك ، ثم حسبنا كتاب الهمدانى فى صفة جزيرة العرب .

استقلال النظرة الجغرافية ..

ولعل المعاجم الجغرافية التى عمرت بها المكتبة العربية منذ القرن الخامس الهجرى تدلك على استقرار تلك النظرة الجغرافية عند العرب واستقلالها ، فالبكرى فى كتابه « معجم ما استعجم » يورد اخبارا عربية خالصة عن المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار ، ولقد كان على راس هؤلاء الذين الفوا فى المعاجم الجغرافية : ياقوت الحموى فى كتابه « معجم البلدان » وهو انتاج عربى خالص فى رسومه .

وما ان اطل القرن الثامن الهجرى حتى كانت ثمة موسوعات كبيرة هى وان لم تكن خالصة للجغرافيا غير أنها انتظمت ابوابا تتصل بها ، من هذا : نهاية الارب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ، ومسالك الامصار لابن فضل الله العمرى ، فهذه الكتب وغيرها تمدنا ــ الى جانب ما تمدنا به من جوانب علمية وادبية مختلفة ــ تمدنا بكثير من جغرافية تلك الدول الاسلامية .

ومنذ ان تحرر الجغرافيون العرب من النقل كانت لهم اقوالهم المعتمدة على ما يشاهدون هم انفسهم ويجدون ، فاليعقوبى يقول لنا انه سافر وحدث وسال ، وابن حوقل يقول : واعاننى على تاليفه ــ يعنى كتابه المسالك والممالك ــ تواصل السفر وانزعاجى عن وطنى الى ان سلكت وجه الأرض باجمعه فى طولها وقطعت وتر الشمس على ظهرها .

اما المقدسى فقد جال فى البلدان ودخل اقاليم الاسلام ، ولقى العلماء ، وخدم الملوك ، وجالس القضاة ، ودرس على الفقهاء ، واختلف الى الأدباء والقراء ، وخطب على المنابر ، وساح فى البرارى ، وتاه فى الصحارى ، ولزم التجارة فى كل بلد ، وعنى بالمعاشرة مع كل احد ...

والاصطخرى يقول : ذكرت فى كتابى هذا اقاليم الأرض على الممالك وتصدت



منها بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يعود بالاعمال المجموعة اليها ..

وابن حوقل يذكر انه فصل بلاد الاسلام اقليما اقليما وسقفا سقفا وكورة كورة ...

اما اليعقوبي فيتخذ العراق نقطة البدء لكتابه لانه وسط الدنيا، كما يقول، وصرة الأرض ...

ولا ننسى الادريسي صاحب كتاب «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» ولقد كتب هذا الكتاب بالعربية فى صقلية فى عهد ملكها روجر الثانى سنة ١١٥٤ م.

والادريسي وان لم يزر جميع الممالك الاسلامية الشرقية التى كتب عنها ، فهو قد أفاد من كتب الرحلات التى سبقته .

وهكذا نرى أن الرحلة كان لها شأنها فى المجتمع الاسلامي فى عصوره الزاهرة ، لقد كان ثمة رحلة للحج رحل فيها المسلمون من جميع الأقطار ، ولقد كان ثمة رحلة فى طلب العلم من قطر الى آخر ، ولقد كانت هناك رحلة فى سبيل الاتجار ، فلقد كانت الأسواق الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها يرتبط بعضها ببعض .

ولقد دون كثير من رحالى العرب اخبارهم واسفارهم وتنقلهم ، فذكروا المدن التى هبطوها والمسافات التى اجتازوها والصعوبات التى تغلبوا عليها ووصفوا البلاد وزروعها ، ودونوا ما شاهدوه عن صناعاتها وتجارتها ، كما عرضوا لوصف حياة السكان يمتدحون شيئا ويعيبون شيئا، وهذا مثل ما فعله ابن جبير حين أخذ على أهل دمشق فى تحيتهم وسلامهم .

الفرق بين الرحالة والجغرافى

وهذه اللفتات هى التى تميز الرحالة عن الجغرافى ، فعلى حين يستقصى الجغرافى وصف الأقاليم يدون الرحالة ما يشاهد ومايسمع ، وهو بهذا يضيف الى الجغرافى اضافة جديدة لها قيمتها ولها شأنها ، فعلى حين نرى المقدسي وأبي الفدا يتناولان اقليم الشام بلدا بلدا نجد ابن جبير وهو رحالة لا يعنيه هذا من شئون الشام ، وكذا ابن بطوطة لا يذكر هو الآخر جنوب سوريا والخانات لأنه دخل سوريا برا من مصر .

ومن الصعب أن نقف على أخبار الرحالين الأوائل من العرب ، اذ كانت رحلات هؤلاء على الرغم من انها رحلات غير منتظمة، فلقد كانت للتجارة وللسعى فى سبيل العيش .

من الرحالة الاوائل

وأخبار هؤلاء الرحالة العرب الأوائل لم يبلغنا عنها شيء الا عن طريق الرواية مثل سليمان السيرافى ، وابن فضلان وأولهما من القرن الثالث الهجرى ، وثانيهما من القرن الرابع الهجرى ومنها ما بلغنا تدوينا فى تفصيل كالمسعودى..

ويبدو أن تجار العرب من عمان والبصرة وسيراف فى القرن الثالث الهجرى كانوا يصلون الى الصين ، كما أن تجار الصين كانوا يصلون الى الموانى التى على الخليج العربى .

ويروى المسعودى جملة من اخبار تاجر من تجار سمرقند خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى الى العراق وانحدر الى البصرة ، ثم ركب البحر حتى وصل الى عمان ثم ركب الى بلاد (كلاه) وهى النصف من طريق الصين.

ثم يقول واليها تنتهى مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين فى مراكبهم ، وذلك ان مراكب الصين كانت تاتى بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة .

ويقول المسعودى وكانوا فى بدء الزمان بخلاف ذلك ، ثم يعزو المسعودى هذا التغير الى انعدام العدل وعدم الأمن .

وثمة قصة لابن وهب القرشى الذى

غادر البصرة فى رحلة حملته من سيراف الى خانقوه (كانتون) ثم عاصمة المملكة الصينية نفسها .

ثم اننا نعرف ان الجاليات الاسلامية كان لها امتيازات فى المدن الصينية ، وكان لهذه الجاليات قاضيها وامامها وشيخها ومساجدها .

وان حديث ابن خرداذبة وابن الفقيه والاصطخرى وابن حوقل عن تلك البلاد يدلنا على معاينة ومشاهدة .

والأخبار التى رويت لنا عن سليمان السيراف وابن فضلان تدلنا هى الاخرى على ان وصفهما لتلك البلاد كان هو الآخر عن معاينة ومشاهدة .

وما من شك فى ان المسعودى قد ضمن لنا فى كتابه خلاصة اختباراته وتجاربه فى الأسفار والرحلات ، ولعل المسعودى هو الوحيد الذى تحدث عن الشعوب والبلاد المجاورة للعالم الاسلامى فى تلك العصور ، وكتابه «مروج الذهب » لا شك كتاب سياحة ومعرفة جغرافية وعلم ملاحظة واخبار واساطير ، ثم هو يصف الصعاب التى كان يلقاها فى تنقلاته وصفا دقيقا .

رحلة ناصر خسرو

والرحالة ناصر خسرو المتوفى سنة ٤٥٢ هـ والذى كان داعية اسماعيليا شديد التعصب لمذهبه ـ لا يقل هو الآخر عن المسعودى جهدا فى وصف ما وصف من بلاد رحل اليها ، وان رحلته المعروفة باسم «سفرنامه» لغنية بالصور المليئة بالمعلومات عن البلاد التى زارها، وان رحلته هذه لتكشف لنا عن الكثير من الشئون الاجتماعية والاقتصادية قبيل مجىء الصليبيين الى سوريا .

ويعتبر وصف ناصر خسرو للحرم الشريف بالقدس من ادق ما وصل الينا من معلومات عن هذا المسجد المبارك .

ووصف ناصر خسرو لمصر يعد هو الآخر من ادق ما وصل الينا ، فقد تناول البلاط الفاطمى والعاصمة والادارة الحكومية زمن المستنصر بتفصيلات كثيرة، ولم يكن هذا بغريب على رجل اقام فى القاهرة وقتا طويلا .

ولما عاد ناصر خسرو من مصر الي بلاده ذكر ملاحظات قيمة عن المدن التى مر بها ، فذكر الكثير عن مكة المكرمة ومناسك الحج ، وذكر المدن والجزر فى الخليج الفارسى وصلة ذلك بالفيضان فى شط العرب .

والحق ان امتع ما كتب ناصر خسرو هو وصفه الشيق لمصر ، ننقل لك منه شيئا ، فهو يقول :

القاهرة مدينة كبيرة ، واقدر ان بها ما لا يقل عن عشرين الف حانوت يؤجر واحدها بمقدار عشرة دنانير مغربية بالشهر وليس فيها ما يؤجر باقل من دينار .

ويقول : والبيع فى مصر بالسعر المحدد وان غش بائع شهر به على جمل .

والبائع سواء البقال او العطار او بائع الخردوات يعنى بوضع ما يبيعه فى المكان المناسب له .

ويقول : لست اعرف بلدا آخر يستمتع بالطمانينة على نحو ما تستمتع به بلاد مصر . رأيت نصرانيا من كبار الموسرين فى مصر لا يعرف احد ماله من السفن ولا يحصى ارزاقه او املاكه ، دعاه الوزير مرة لسؤاله عن كمية القمح التى يمكنه بيعها او هبتها للسكان لأن المحصول كان رديئا ، وقد هم الخليفة ما يعانيه شعبه من الفاقة ، فاجاب الرجل ان عنده من القمح ما يكفى مدينة مصر ست سنوات ... ومع ذلك فلم يخش الرجل على ثروته ، ولم يخف مصادرتها ، لأنه مطمئن الى عدل الخليفة ووزيره ..

بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجرى

لكل شهر قصة

● مصطفى الشهابى ●

تعنى الامم الناهضة بتاريخ الحوادث التى لها شأن كبير فى حياتها، وعنايتها بضبط هذه التواريخ دليل على يقظتها ورقيها ، ولا سبيل لذلك غير التقاويم .

● التأريخ « بالهمزه » هو توقيت الحادث بالزمان أى تحديد يوم أو شهر أو سنة وقوعه ، أو كلها جميعا .

فاذا قلنا ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد فى ٢٠ من ابريل سنة ٥٧١ م . فهذا هو التأريخ أو التوقيت أى تحديد الوقت ..

واذا كتب أحدهم تاريخ أو سيرة عمر ابن الخطاب أو صلاح الدين الايوبى ، فهذا هو التاريخ (بدون همزة) ...

ولم يكن للناس فى العصور القديمة مبدأ ثابت يؤرخون به أحداثهم ، ولذلك لجأوا الى الحوادث الهامة التى وقعت ـ وغيرت مجرى الحياة فى مجتمعهم ، أو كانت من النوع الذى لا ينسى ، كالحروب المدمرة والفيضانات والزلازل والاوبئة والقحط أو مصرع رجل عظيم أو وفاته .. وجعلوا من كل حادثة بداية للتاريخ ، الى أن يقع حادث كبير آخر فيؤرخون به ويتركون الحادث السابق عليه ، وهكذا ، حتى ظهرت التقاويم ...

عند العرب ..

أرخ العرب بتواريخ عديدة ، فقد أرخ بنو اسماعيل من بناء الكعبة ، ثم أرخوا بموت كعب بن لؤى ، وهو الجد السابع للرسول صلى الله عليه وسلم حتى عام الفيل .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش تؤرخ بموت هشام بن المغيرة المخزومى وعام الفيل ، ولا غرو فان هذه الحادثة كانت فاتحة خير على العرب عامة وعلى قريش خاصة ، اذ لو أتيح لجيش ابرهة النصر لتغير وجه التاريخ ، ولكن الله حفظ الكعبة وهى مناط فخرهم وعزهم .

وفى اليمن ارخوا بملوكهم من التبابعة كما أرخوا بعام السيل ، وهو سيل العرم، ثم ارخوا بغلبة الحبشة على اليمن ثم غلبة الفرس عليها وطرد الحبشة منها الى ان دخل الاسلام اليمن .

وجرت عادة القبائل على التأريخ بالحروب أو الايام ، كيوم الفجار وحرب البسوس .. وغيرها .

وظلت هذه الطرق متبعة حتى ظهر الاسلام وعم أنحاء الجزيرة واجمع المسلمون على التاريخ من الهجرة .

عند غير العرب ..

أرخ قدماء المصريين بحكم ملوكهم

● كانت حركة الشمس أصلح مقياس للزمن فى تلك العهود السحيقة، فقاس بها الإنسان القديم، ومن ثم عرف اليوم بقسميه: الليل والنهار.

كقولهم: « فى السنة الثانية، فى الشهر الثالث للفيضان، فى اليوم الاول تحت حكم جلالة الملك ٠٠ »

وكان اليونان يؤرخون بالالعاب الاولمبية، واتخذ الرومان تأسيس مدينة روما بداية لتاريخهم ٠

وأرخ اليهود من نار ابراهيم الى يوسف ومن يوسف الى مبعث موسى، ومن مبعث موسى الى ملك داود، ثم أرخوا بعدئذ بأنبيائهم وبأبرز الحوادث فى تاريخهم.

وأرخ الفرس بأكاسرتهم ٠

وأرخ المسيحيون بميلاد المسيح عليه السلام ٠ ويؤرخ مسيحيو مصر، أى الاقباط، بيوم الشهداء، يوم أمر الامبراطور الرومانى دقلديانوس بقتل عدد كبير منهم وكان ذلك فى ٢٩ من اغسطس سنة ٢٨٤ ٠

بدء التقويم ٠٠

لما أدرك الانسان ان الزمن حقيقة، بدأ يفكر فى وسيلة لقياس هذا الشىء المعنوى، فوجد أن أسهل وسيلة هى قياسه بحادث منتظم التكرار ٠ وكانت حركة الشمس أصلح مقياس للزمن فى تلك العهود السحيقة، فقاس بها الانسان القديم، ومن ثم عرف اليوم بقسميه: الليل والنهار ٠

ثم طلب الانسان معيارا أكبر فوجده فى القمر فعرف الشهر ٠

وأخيرا لاحظ تتابع المظاهر الطبيعية كالمطر والحرارة والبرودة والرياح، فعرف السنة التى قسمها الى فصول ٠

عند قدماء المصريين ٠٠

ومن دواعى الفخر ان يكون لشعب مصر الفضل فى وضع التقويم ٠ وقد اعتمدوا على القمر فى تحديده غير انه ظهر عدم امكان الاعتماد عليه فى ضبط مواسم الزراعة لنقص الدورة القمرية عن الدورة الشمسية بمقدار ١١ يوما ٠

واكتشف فلكيوهم أن المدة التى تمضى بين ظهور نجم الشعرى اليمانية والعام الذى يليه هو ٣٦٥ يوما، فجعلوا هذا العدد من الايام سنتهم، وقسموها الى ١٢ شهرا ٠ كل منها ٣٠ يوما وبقيت بعدئذ خمسة أيام أبقوها وحدها فى آخر السنة وسموها الايام المضافة أو اللواحق، وهى التى سميت فيما بعد بأيام النسىء، وجعلوها أيام أعياد ٠٠

وقسموا السنة الى ثلاثة فصول: الخريف أو الفيضان، ثم البذر أو الشتاء، وأخيرا فصل الصيف أو الحصاد ٠ كما قسموا الشهر الى ثلاثة أقسام كل منها عشرة أيام ٠

ولم تكن للشهور فى البداية أسماء، بل كان يقال الشهر الثالث من الفيضان أو الرابع من الحصاد، وانما وضعت لها أسماء مشتقة من أسماء الالهة فى القرن السادس قبل الميلاد، وما زالت هذه

الاسما مستعمله فى التقويم القبطى الى اليوم .

وجدير بالذكر أن التقويم المصرى بدأ يوم ١٩من يوليوسنة ٤٢٤١ قبل الميلاد على وجه التقريب ، وبذلك يكون قد مضى عليه ٦٢٢٠ عاما .

وقد عدل التقويم المصرى القديم باضافة يوم كل أربع سنوات فى عهد البطالمة ، وهو ما يعرف بالسنة الكبيسة اليوم .

التقويم البابلى ..

وهو التقويم الذى استعمل فى وادى الدجلة والفرات وما حواليهما ، وكان يعتمد على القمر ، غير أن البابليين أدركوا مزايا التقويم المصرى فاقتبسوه واستعملوه ..

التقويم اليوليانى ..

كانت السنة الرومانية القديمة تتكون من عشرة شهور مجموعها ٣٠٤ أيام ، ثم حولت الى سنة قمرية أشهرها ١٢ وأيامها ٣٥٥ يوما ، يضاف اليها كل أربع سنوات ٤٥ يوما . وظل الحال كذلك حتى جاء يوليوس قيصر الى مصر عام ٤٦ ق.م فأعجب بالتقويم المصرى ونقله الى روما ، واصبحت السنة ٣٦٥ يوما يضاف اليها يوم كل اربع سنوات .

وأطلق على هذا التقويم : التقويم اليولى او اليوليانى أو الجوليانى نسبة الى يوليوس قيصر . وشهور هذا التقويم واسماؤها هى المستعملة اليوم وهى يناير ، فبراير ... الخ

ثم طرأ على هذا النظام تغيير مهم عام ١٥٨٢ بامر البابا جريجورى الثالث عشر (١٥٧٢ ــ ١٥٨٥) وذلك لانه ثبت ان السنة بالحساب اليوليانى تزيد ١١ دقيقة سنويا مما جعلها تتراكم وتكون عشرة ايام . ولذلك قرر البابا حذفها من شهر اكتوبر سنة ١٥٨٢ ابتداء من يوم ٥ الى ١٥ من اكتوبر من ذلك العام ، ولهذا يقول علماء الميقات ان الايام من ٥ من اكتوبر الى ١٤ من اكتوبر لاوجود لها فى التاريخ .

وأصبح التقويم الجديد ــ الجريجورى ــ هو المتبع فى بلاد الغرب وفى كثير من بلاد الشرق . وقد احجمت بعض الدول عن استعماله فى بادىء الامر ولكنها اضطرت أخيرا لاستعماله .

ولم يقبل الاقباط فى مصر الاصلاح الجريجورى ولذلك يحتفلون بعيد الميلاد المجيد فى ٧ من يناير « ٢٩ من كيهك » .

وهناك تقاويم اخرى منها التقويم السوريانى المستخدم فى سوريا وبعض الدول العربية المجاورة ، وقد بدأ أول أكتوبر سنة ٣١٢ ولكن الاقطار التى تستعمله انما تستعمل أسماء الشهور فقط وهى تشرين أول ، تشرين ثان .. الخ مع استعمال السنة الميلادية .

وهناك أيضا التقويم العبرى وهو قمرى شمسى ، وعدد شهوره اثنا عشر شهرا قمرية ، عدد أيامها ٣٠ ، ٢٩ غير أنهم يزيدون عليها شهرا كل ثلاث سنوات لتساير الشهور الشمسية .

الشهور العربية ..

أجمع المؤرخون على أن الاسماء الحالية للشهور العربية وضعها أو وحدها كلاب ابن مرة ، أو وضعت فى عهده . وكلاب هذا هو الجد الخامس للرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك حوالى سنة ٤١٢ م .

وكما اختلف فى تحديد الاسماء القديمة للشهور العربية ، فقد اختلف فى تعليل تسمية الشهور العربية بالاسماء التى تطلق عليها الان ، وأشهر ما ورد فى هذا الصدد أن وضع أسماء تلك الشهور وافق الازمنة ، فاطلقت على الشهور أسماء

● أجمع المؤرخون على أن الأسماء الحالية للشهور وضعها أو وحدها "كلاب بن مرة"، أو وُضِعت في عهده، وكلاب هذا هو الجد الخامس للرسول -عليه الصلاة والسلام- وكان ذلك حوالى سنة ٤١٢ م .

تناسب الاحوال الجوية التى كانت جارية وقت التسمية • غير أنه بعد مضى عدة أعوام انتقلت شهور الصيف الى الشتاء وبالعكس ، وظل هذا الامر يتجدد حتى اليوم •

وأسماء الشهور العربية هي : المحرم ، صفر ، ربيع الاول ، ربيع الاخر، جمادى الاولى ، جمادى الاخرة ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو العقدة ، وذو الحجة •

أيام الشهر العربي ••

وعددأيامه تسعة وعشرون يوماونصف يوم تقريبا ، ونظرا لصعوبة حساب هذا الكسر فى العدد ، عدوا جملة الشهرين تسعة وخمسين يوما ، احدهما ثلاثون يوما وهو التام ، والاخر تسعة وعشرون يوما وهو الناقص •

الاشهر الحرم

دعت الطبيعة البدوية والظروف الاقليمية العرب الى الحرب والقتال، بعضهم مع بعض ، أو مع الامم المجاورة لهم كالفرس والرومان بعوامل الدفاع عن النفس أو الحفاظ على العرض أو الحرص على الحرية ، وأحيانا بعوامل الحاجة والكسب المادى ، حتى اصبحت الحروب جزءا من حياتهم وتاريخهم وادبهم ، وقد حفل الادب العربى بالحديث عن أيامهم وحروبهم •

ولما كان العربى بطبيعته لايمكن ان يجنح للحرب باستمرار ، بل يتحمس لها ويخوض غمارها ، ثم يملها ، ويجنح للسلم رغبة فى الهدوء والاستقرار والسكون الى الاهل والقيام بالمبادلات والمعاملات ، وليؤدى مناسك الحج ، التى كان العرب لايتهاونون فيها .. لذلك كان من تقاليد العرب تحريم القتال اتباعا لما هداهم اليه وأمرهم باتباعه أبو الانبياء ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، اللذان حرما القتال فى هذه الاشهر بأمر الله تعالى.

وقد احترم العرب هذه الاشهر لينصرفوا الى شئونهم ولتكون هذه الاشهر هدنة تفسح المجال للتروى أمام المتحاربين وغيرهم للرجوع على الظالم المعتدى.. **وكانت هذه الشهور هى ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، وهى اشهر الاستعداد للحج الى مكة والعودة منها، وكذلك شهر رجب للاعتمار فيه وسط السنة •**

وقد حافظ العرب على حرمة هذه الاشهر ••

وقد شق على بعض العرب الكف عن القتال ثلاثة أشهر متواليات وهى القعدة والحجة والمحرم ، ولذلك لم يلتزموابها فادخلوا على تلك الاشهر تعديلا يتيح لهم تقصيرها والاعتداء على حرمة شهر المحرم بالذات ، وذلك باتباع نظام النسىء ، بأن يراعوا حرمة شهرين متتابعين وهما ذا القعدة وذا الحجة ويحلوا القتال فى شهر المحرم ، على أن ينسئوا « يؤخروا » حرمته الى شهر آخر يتلوه كصفر ، فاذا اضطروا للقتال فى صفر احلوه وحرموا ربيعا الاول .

وكانوا يحلون القتال احيانا فى شهر آخر غير شهر المحرم وينقلون حرمته الى شهر تال من غير الاشهر الحرم ،

ولذلك اضطربت مواعيد حجهم ، وقد حرم الاسلام هذا .

التقويم العربى فى حياة الرسول

اقر الاسلام تسميات العرب الاخيرة للشهور ، كما أقر تعدادها وأقر النظام القمرى .

وقد تمسك الاسلام بالشهور القمرية لان الصيام والحج وهما فريضتان سنويتان ، فاذا اديا فى شهرين ثابتين من السنة الشمسية « اليوليانية » فان الجو فى كلا الشهرين لايكاد يختلف فيظل الصيام أو الحج فى الحر أو البرد باستمرار ، وهذا لايتاتى الابنظام السنة القمرية اذ يتقدم الصوم او الحج احد عشر يوما كل عام ، مما يجعل المسلم يصوم ، او يحج فى أجواء مختلفة بمضى السنوات .

وضع التقويم الهجرى

كان عمر بن الخطاب أول من فكر فى اتخاذ نظام ثابت للتاريخ فى الاسلام بسبب اضطراب التواريخ فى المكاتبات الواردة له ، ثم اتفقت الكلمة على اتخاذ هجرة الرسول الكريم مبدأ للتأريخ لان الهجرة كانت معلومة التاريخ بالاجماع ، ولم يختلف فى وقتها أحد ، بخلاف وقت ولادةالرسول او وقت مبعثه،ومنهابدأ انتشار الاسلام وظهوره فى الجزيرة العربية وكانت نقطة التحول فى تاريخه .

وجعل عمر بدء تاريخ المسلمين او تقويمهم ، أول المحرم من سنة الهجرة وذلك لاسباب عدة اهمها :

أولا : ان المحرم شهر مقدس عند العرب ، وهو بداية العام العربى من قديم ، كما انه منصرف الناس من الحج .

ثانيا : ان اعتزام النبى صلى الله عليه وسلم الهجرة بشخصه ، كان فى المحرم . فقد وقعت بيعة العقبات الثانية فى اثناء ذى الحجة ، وكانت مقدمة الهجرة وسببها المباشر ، كما ان التخطيط والاعداد والتنفيذ للهجرة كان فى المحرم ، انتظارا للامر الالهى الذى جاء فى ربيع الاول .

وهكذا اعتبر التفكير والتخطيط والاعداد العملى وانتظار أمر الله ، بداية فعلية للهجرة ، حيث أنها أصل لها وجزء منها .

ثالثا : هاجر فى المحرم كبارالصحابة وعلى رأسهم عمر وحمزة بعد بيعة العقبة الثانية ، ثم لحقهم الزبيروعثمان وآخرون ، ولم يبق منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى مكة الا قلة وعلى رأسهم أبو بكر .

وكانت للمحرم مكانة خاصة فى نفوس العرب ، بدليل أنه الشهر الوحيد الذى اختص من بين الاشهر الحرم بالاسم الذى يدل على حرمته .

وقد احتفظ له الاسلام بهذه المكانة فسماه الرسول « شهر الله » وهذه الاضافة اشارة الى شرفه وفضله .

وهلال المحرم يملأ نفوسنا بذكريات مجيدة وبطولة ستظل مضرب الامثال مهما تعاقبت الاجيال .

ومنذ اصبح المحرم راس السنة الهجرية ، صارت تكتب فيه الرسائل وتضرب النقود ، ويستقبل الكبارالقوم للتهنئة والتبرك لأنه أول العام .

ويوافق اول المحرم فىالسنة الاولى الهجريةيوم الجمعة ١٦ من يوليوعام ٦٢٢

عادَ .. وعدت

● روحية القلينى ●

وحسبت أنّكَ قد مللت هــــوايَ لا يَرْويكَ ودّى !
فأثارَ ضدّكَ كبريائى .. خلتُ أنك خنتَ عهدى ...
وغرقت فى بحر الظنون يشدّنى جزْرٌ لمـــــد
وسهدت بالوهم المؤرّق أمســياتى دون حـــدّ
لو كنتُ أبكى لاسترحتُ .. وهل دموع العين تجدى ؟
والدّمع فى طىّ الجفون ، أخاف أن يبْدو - فيبدى !
هى عِزّة للنفس حالتْ دون إبداءٍ وســــردٍ ...
ولجفنىَ السّهران أشـــكو ما ألاقى دون عـــدّ
من خلف منظارى أخبئ ما جناهُ علىّ ســــهدى
والبسمةُ النّشوى على شفتىّ أبديهـــا بقصـــدٍ !
حتى يظن النّاس أن النّجم عانقَ أفــق ســـعْدى
وإذا أتى الليْل انفردت به على نيرانِ وقْــــدى
قلمى يؤانسنى أحس بقـــربه أنْ لســتُ وحـدى !
هو ترجمان مشاعرى وسرائرى وحنين وجــدى ...
ويصوّر الأفـــكار حيْرى من صدَى هــزل وجدّ
فى ليلة صوت شجى ساحر ، قدْ رنّ عنــــدى
كذبتْ سمعى هل هو الداعى ؟ .. سكت كتمت ردّى !
والهاتف اللهفان ظــلّ يصيح ردّى أنتَ قصدى ..
فأجبته ماذا تريدُ ... أما نسيتَ وخنتَ عهـــدى
فتكلّمَ الدّمعُ الأبى وقالَ : عودى .. لا تصــدّى
قدَرٌ تحكّمَ لحظــــة بى كالعنيـــد المستبدّ ..
لا تستبدّ بكَ الظنونُ ، كفَى الذى ألقى ببعــــدى
فيك الكثير يشدّنى ... لسواكِ لا أرضى بقيـــد !
أنت الأثيرةُ والأخيرةُ .. أنت كل الناس عنـــدى !
يا طفلةً رغمَ السنين .. لكمْ أحبك ... لا تعــدّى !
ماقلْته صــدقته أن ليس فى دنيـــاك بعـــدى ..
وضحكت كالطّفل البرئ يذوق حلْواهُ بشـــهد ..
من بعد طول البُعد عادَ ... وعدت فى صفو وود !..



استخدامات الأدب

● د . عبد الفتاح الديدى ●

من العجيب أن يجد الانسان نفسه مضطرا الى أن يكرر نفسه بعد ثلاثين سنة من الكتابة فى مجال الصحافة الأدبية .. ولكن هذا يحدث عادة لمعظم الكتاب عندما يكون الكاتب من أصحاب الأفكار المتصلة أو المترابطة فى حقل الأدب . وقد يجد بعضهم نفسه ملزما بأن يعاود تذكير الناس ببعض الآراء لأنها تكون - عادة - أساسية بالنسبة الى ((صناعة)) الأدب ذاتها .

والحقيقة التى ينبغى أن نذكرها دائما هى أن الأدب قد يصبح صناعة مقصورة على بعض الناس عندما لا يطرق المؤلفون والكتاب الموضوعات التى تهم كافة القراء . وهذا بديهى من ناحية ولكنه ذو دلالة سيئة من ناحية أخرى .

فالكاتب الذى يتناول موضوعا يتداوله الناس تداولا مألوفا فى حياتهم، يجد نفسه بعد قليل مقروءا بلا اكتراث. وهذا حال الكثيرين من كتاب اليوم.. ولكن يمكن من ناحية أخرى أن يتناول المؤلف موضوعا يهم الناس ولكن معالجة الموضوع تصبح فى يديه فنية الى درجة لا تغنى أحدا عن قراءته . وهنا يدخل الموضوع فى اطار الفنون ويصبح مؤلفه فى زمرة الفنانين .

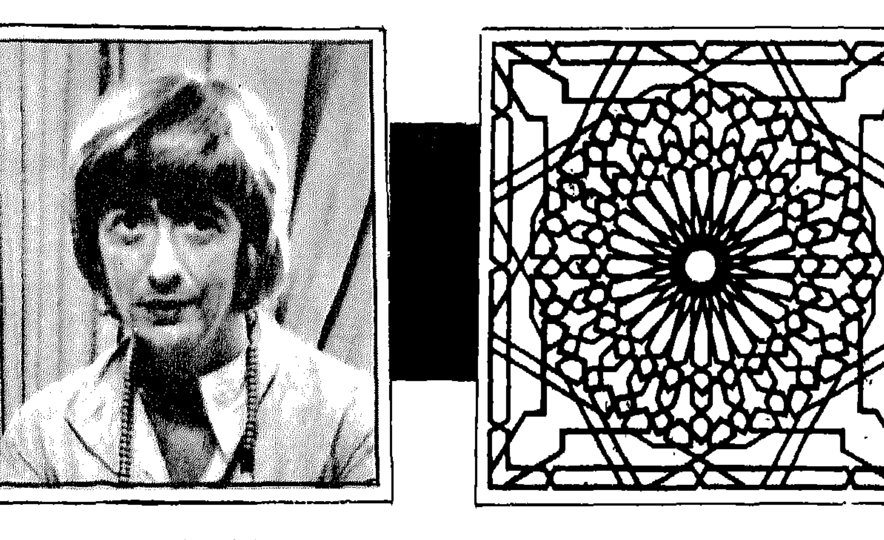
والحقيقة التى لا يريد أحد أن يستوعبها على الرغم من أنها واردة ومكررة فى تاريخ الأدب العربى ، هى أن الأديب وانتاجه لا يقاسان بمقياسهما الخاص ، ولكن بمقياس الجماعة .. فالموازنة والمقارنة هى الخطوة الأولى نحو تقويم العمل الأدبى . وهذا ثابت فى كل كتب النقد الأدبى القديم .

فالأديب فى ذاته قد لا يعنى شيئا ، وانما يبدأ الأديب فى أن يصبح جزءا من الكيان الأدبى العام عند مقارنته بسواه .. ولهذا السبب بالذات ظهر عندنا ما نسميه بالتاريخ الأدبى والنقد الأدبى . فتاريخ الأدب هو السجل الذى يحتوى على درجات الابداع الفنى مسلسلا على مستويات اجتماعية ومستويات زمنية مرتبطة بالعصر . ويمكن أن يدخل هنا أيضا العاملان الجغرافى والحضارى .

أو بعبارة أخرى لا يصبح الأديب أديبا الا اذا مر فى عدة تصفيات بعضها محلى مع الاقران ، وبعضها قومى مع الانداد ، وبعضها عالمى مع المعاصرين فى مختلف البيئات .. بهذا يصبح الأديب أديبا ، أعنى عندما يدخل فى قائمة المتاحف الأدبية التصورية .

***

وهذه الموازنة ضرورية من ناحية ولكن يقابلها من الناحية الأخرى الطريقة التى يستخدم بها الأديب صناعته الأدبية . فهذه الصناعة من ناحية أخرى مرتبة ومرتبطة بالوجود الأنثروبولوجى الاجتماعى ..



فرانسواز ساجان

وكما يسأل صاحب العمارة الذى يعد مشروع بنائها الخطة اللازمة للبنـــاء وفقا للجمهور الذى يسكنها وعاداته وتقاليده وروحه العامة ، كذلك يعد الأديب أدبه وفنه • والا فهو يكتب لنفسه ، وهو ما يلحق باب المذكرات الشخصية مما يتنافى مع الوجود الأدبى ومع الأرضية فى الأدب •

فالأديب يكتب لأقوام معينين بأحلامهم ومشاعرهم ، ولهذا قال ســـارتر فى أفكاره النقدية انه يكتب لجمهورهالذى يعيش بينه ويقرؤه يوما بيوم ••ونحن فى مصر لم تتألف عندنا فكرة الجمهور مثلما تألفت فكرة « شباك التذاكر » فى السينما • ولهذا يظل وضعنا الادبى مهزوزا •

كثير من أدبائنا لا يزال يحلم بأنه يكتب للتاريخ •• وهــذه أكـذوبة كبيرة لاديب لا يريد أن يتعرف عليه أحد من أبناء عصره لأنه فى الأصل لا يتنـــاول مشاكلهم • ولأنه فوق هذا يتهرب من قضـــايا العصر الذى يعيش فيه كأنمـا يكتب لأميين ! ••

والبعض يزعم أنه من باب الاعلام أن يتناول الكاتب مشاكل الناس اليـومية فى كتاباته الفنية • وهؤلاء يظنون أن تناول المشاكل اليومية يعنى سرد الأحداث كما تتراءى للرؤية العادية المألوفة • بل يعنى ذلك الصعود الى معنـــوياتها ذات الفاعلية فى تكوين العمل الفنى • فالمشكلة هنا مزدوجة لأنه ينبغى أن يقترب من الواقع وأن يحرك رؤيته بحيث يخلق من هذه الرؤية فنا •

وهنا تلعب الصورة دورها فى العمل الفنى • فالصورة هى الاطار أو الهيكل الذى يصب فيه الفنان رؤيته للواقع • ولا يمكن أن يبقى هذا العمل فى دائرة الاعلام بحال من الأحوال بعد اقتناص الصورة التى يصدر فى قالبها العمل الفنى عن رؤية فريدة ••

ويصبح العمل الفنى عندئذ مزدوجا من حيث اقترابه من الواقع وابتعـــاده عنه ، كما يصبح العمل مزدوجا فى الصدور عن الجمهور القائم وتجاوزه فى آن معا • او بمعنى آخر ينبغى للعمل الأدبى ان يكون صـــادرا عن روح فردية فى تجسيم الواقع وتشكيله وأن يصدر فى نفس الوقت عن تجـربة جمـاعية فى استيحاء الجمهور وتجاوزه •

***

فاذا أصدر الشاعر قصيدة أو الكاتب مسرحية أو رواية كان على هذا النـــوع

من الانتاج أن يقارن بما عداه من الانتاج • ولهذا قررنا أنه لابد من وجود طريقة للادب العالمى فى ذهن الكاتب والناقد على السواء فضلا عن الخريطة القومية والمحلية •

واذا طلب الشاعر معرفة رأى الناقد فى أعماله فلابد أن يكون الشاعر قد وضع نفسه فى مهب الأوضاع المحلية والدولية ، والا فليجعل من انتاجه فنا خاصا به •

وأمامى الآن عملان فنيان احدهما قصيدة شعرية لمؤلفها محمد محمود عماد ، ورواية لفرانسواز ساجان • ونستطيع أن نسمى العملين باسم واحد اما أن يكون هو عنوان القصيدة وعنوانها « الحكاية » أو عنوان الرواية واسمها « أسعد صباحا أيها الحزن » وهذا هو نص « الحكاية » كما رواها شاعرنا العربى :

انا مراة فى رايه متمردة
قد كنت ادرى اننى لن اسعده
فى لحظتى الأولى انا كاشفته
فابى التفاهم •• كل باب اوصده
واخذت اختلق المعاذير التى
انجو بها •• احتال حتى ابعده
وغدت حكايتنا محل تقول
والكل ـ من سمع الحكاية ـ ايده
ولمرتى الاولى سكرت •• سكرت با
كية •• لاغدو دون وعى سيده
اتعود تسال كيف حالى ؟ اننى
احيا •• ولا احيا •• انا متبلدة
قد مات احساسى فما ادرى سوى
انى اعود لغرفتى متسنده
انا لا احس باى شىء •• قد غدو
ت على اداء وظيفتى متعوده
كل الذى ادريه انى احجب ال
عينين بالكفين كى لا اشهده
وهو السعيد •• الست بعد عشائه
القى اليه بجثة متجردة
وهو القرير •• الم اوف له الديو
ن •• جميع القساطى اليه مسدده
هو حقه •• اوليس يمنحنى اسمه
هذا الذى دوما امامى ردده
هو حقه •• انى بضاعته التى
دفع الحساب لها ومد لها يده
هو حقه شرعا •• وكيف يضيع
حق الهر فيما تحتويه المصيده
ما عدت آمل •• كيف آمل ياصديقى والمقوية للحياة • • مؤيده

***

ذى قصتى من بدئها لختامها
اعرفت كيف غدت فتاتك سيده

تلك هي الحكاية أو أسعد صباحا أيها الحزن بالطريقــة المصرية كما رواها صديقنا الشاعر محمد محمود عماد • وتلك هى المقابل الفنى لحكاية الآنسة الفرنسية التى روتها فرانسواز ساجان فى روايتها « أسعد صـــباحا أيهـــا الحزن » .

بيد أن الحزن مزيج من السعادة والالم فى حكاية فرانسواز ســـاجان وهى تجربة حرة فى المجتمع الفـــرنسى ولا يوجدلها مثيل فى مجتمعنا المصرى • ولا يزال هذا النوع من التجربة تجرى معالجته فى أدبنا العربى كنـــــوع من الادب الاسود • أما هناك فهو أدب ككل أدب ••

آنسة تدرس فى باريس وتتعرف بزوج وزوجة يؤلفان زوجا ســـعيدا فى تجربة زواجهما • لكن السن تتقدم بهما بحيث يصبحان بعيدا بعض الشيء عن لهو الشباب • فينزلق الزوج والآنسة الى شيء من الأنس بينهما يتحول الى نزوة حب • وتتعلق الآنسة بالزوج كرجل ممارس للحياة الزوجية وصاحب تجربة• وتتجاهل الزوجة الوضع ايثارا لزوجها • ولكن لا تكاد تنتهى التجـــربة بين الزواج والآنسة حتى يعود الزوج الى زوجته ويرتبط من جديد بحياته الزوجية كأن النزوة كانت عرضا فى تلك الحياة القائمة المستمرة •

وتحكي الفتاة حكايتها فى تفصيل دقيق يوحى بالروائح التى كانت تشمها والاذرع التى ضمتها وأوقات النزهة التى قضتها مع زوج المرأة التى كانت ترعاها فى غربتها عن اهلها • ثم عادت الفتاة تلتقى بمثلها من الشباب وعاد الزوج الى زوجته بعد أن ســـــجلت فرانسواز ساجان الحكاية كعمل أدبى •

وفى العملين نلمس الواقع الاجتماعى بوضـــــوح • وكان مجتمعين كاملين يصوران كيانهما فى العملين الادبيين. وهذا ما نقصده عندما نقول ان الادب خاضع للأنثروبولوجيا الاجتماعية أى لعلم الانسان الاجتماعي • فالأدب موجه من أجل قارىء معين ومن أجل جمهور معين •

وهكذا تصبح للأدب استخداماته الصحيحة فى معالجة القضايا التى يعيشها الناس ويلمسونها ويقصرون الكلام بشأنها عندما يكونون على انفراد •

وهذا الأدب يقدم صورة للعمل الفنى • وهذه الصـــــورة تحفظ الرؤية التى يقدمها الأديب للواقع المعـــاش • ولكن ليس معنى هذا ان الأديب ليس له من عمل سوى الاتباع للخطوات التى تؤدى الى تقديم صور أنثروبولوجية اجتماعية• ولكن معناه أن الارتباط بالبيئة هو أحد العوامل الرئيسية فى تحـريك الأدب وتقديم مشاهده وعلاج مسائله وتناول قضاياه •

ولولا نخشى الاندفاع فى تعداد المآثر لهذا النوع من الســـياق الأدبى ـ فان اجيالا طويلة تشدنا الى الحياة ـ لقلنا انها اقــــرب الآداب لكشـــف نوعيــة الاستخدامات المطلوبة والناقصة فى ادبنا المعاصر وعلى يراع الشعراء والكتاب • ولعل هذهالتجربة المذكورة هنا تعبير عن كل قضايا الواقع الاخرى التى نامل فى ان نراها ماثلة فى كتابات ادبائنا •

● **والقضايا كثيرة والاحلام كبيرة ، والنقص لا يزال باديا فى تطبيق ما قاله شاعرنا القديم فى ان كلا منا يصف ماعونه •**



الحضارة العربية وتأثيراتها فى أوروبا



● د. محمد عبد المنعم خفاجى ●

● ازدهرت الحضارة العربية والاسلامية فى شتى أرجاء العالم الاسلامى منذ القرن الثالث الهجرى ازدهارا لم يعرف العالم له مثيلا من قبل ..
فالجامعات ومراكز البحث العلمى ودور الثقافة والمدارس المختلفة ودور الكتب ودور الحكمة ، منتشرة فى كل مكان .

ونتائج البحث والابتكار كثيرة فى شتى مجالات العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة والهندسة والطب وخلافها . والعلماء المسلمون يوالون بحوثهم ويصلون الى الكثير من الكشوف العلمية ، ولا نتحدث عن اتساع حركة التجارة فى جميع موانى العالم الاسلامى ولا عن انتشار الرخاء ووفرة الانتاج ، ولا عن الرفاهية وضخامة الاقتصاد العربى الاسلامى فى شتى مواطن الحضارة العربية ، لان ذلك حقيقة مقررة ، الم بها الرحالة فى كتبهم ، وتحدث عنها علماء الاجتماع والاقتصاد والحضارة فى كل ماخلفوه لنا من تراث وأفاض المؤرخون فى سرد ما وصل اليه العقل العربى من تجديد وابتكار وسموق .

وهذه هى المستشرقة الالمانية « هونكة » فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » تقف مبهورة أمام مظاهر الحضارة العربية وتأثيراتها المختلفة فى الغرب ..

ومن قبلها بهر « رينان » ، وغيره بالحضارة العربية ومجدوها تمجيدا يليق بتراثها وبآثرها معا ، وكتابات « جوستاف لوبون » عن حضارة العرب ذائعة ومعروفة ...

وفى الاندلس وصقلية وجنوبى ايطاليا تألقت الحضارة الاسلامية ، ورآها الغرب عيانا ومشاهدة ، وبعثوا البعوث الى الجامعات العربية فيها ،

والى مختلف أنحاء العالم الاسلامي للدراسة والبحث والوقوف على أسرار رقي العالم الاسلامي وحضارته الزاهرة

وقد كانت الشعوب الناطقة بالعربية فيما بين منتصف القرن الثامن واوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، حملة شعلة الثقافة والحضارة في جميع انحاء الدنيا ، من الصين شرقا حتى المحيط الاطلسي غربا ، فهم الذين حفظوا تراث الاغريق في الفلسفة والعلوم ، ودرسوه وشرحوه ، وبنوا عليه، واضافوا اليه ، ودونوا شتى تجاربهم وكشوفهم العلمية وطبقوها ، اذ أخضعوها للتطبيق بشكل بديع ورائع ومذهل ، مما كان اساس نهضة اوروبا . وكان اثر الاندلس وصقلية في ذلك اثرا مذهلا للغاية ..

وكانت الاندلس تبهر الغربيين بما وصلت اليه من رقي في مختلف مجالات العلوم والفنون والاداب والثقافات ، حتى لقد قصدها الغربيون من كل مكان. وفي طليطلة وجدت مراكز علمية لترجمة العلوم والاداب العربية الى اللغات الاوروبية ، فبدات النهضة تسري في اوروبا منذ القرن الثاني عشر الميلادي.

وكانت جزائر كريت وقبرص وسردينيا وصقلية ، وجنوبي ايطاليا مراكز متقدمة للحضارة العربية التي اتجه اليها الغربيون بكل اشواقهم ومشاعرهم واكبارهم . وكانت الشعوب العربية الاسلامية سيدة البحر الابيض المتوسط ومالكة زمام التجارة الدولية فيه .

ونحن نعرف ابن حمد يس الصقلي، والشريف الادريسي ، والمازري وغيرهم، من العلماء المسلمين الذين ظهروا في صقلية ، وكذلك ابن القطاع الصقلي ، وابن ظفر ، وكثير من العلماء والادباء والشعراء ، وفي بالرمو عاصمة صقلية انشا العرب مدرسة طبية متفوقة .

وكانت السفارات متلاحقة بين ملوك أوروبا والاندلس وبغداد والقاهرة ودمشق . تبادل الرشيد وشارلمان السفراء والهدايا . كما كانت السفارات بين بيزنطة وقرطبة وغرناطة متصلة . وكان بلاط عبد الرحمن الناصر الملك الأموي في قرطبة يستقبل دائما السفراء من مختلف عواصم الغرب ، وتبادل هو وامبراطور المانيا أوتو الاكبر « ٣٢٥ - ٣٦٣ هـ ؛ ٩٣٦- ٩٧٣ م » السفراء والسفارات مرارا ، وكان من أهمها وصول وفد السفراء الذين يمثلون «أوتو» الى قرطبة حيث احتفى بهم الناصر واستقبلهم رسميا في عاصمته الاندلسية الجميلة .

وتبودلت السفارات بين ملوك صقلية والايوبيين ، وبين دول أوروبا وملوك المماليك . وتوالت البعثات العلمية الغربية الى الاندلس ، ومنها بعثة الاميرة دوبانت بنت الامير جورج حاكم مقاطعة ويلز ، وبعثة الاميرة «اليزابيث» ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا وبعثة أسبانية ضمت نحو سبعمائة طالب . .ارسل ملك انجلترا جورج الثاني ابنة أخيه الأميرة « دوبانت » على رأس بعثة مؤلفة من ثماني عشرة فتاة من بنات الامراء والاشراف والوجهاء الى اشبيلية ، ومعهن رئيس موظفي القصر الملكي ، الذي حمل كتابا رسميا من ملك انجلترا الى هشام الثالث يقول فيه :

«من جورج الثاني ملك انجلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين هشام الثالث صاحب العظمة الجليل المقام في مملكة الاندلس .. انه بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عن الرقي العظيم ، الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فاردنا لابنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل ، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم ، لنشر انوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من اركانها الاربعة . وقد وضعنا ابنة شقيقنا الاميرة دوبانت على راس بعثة من بنات اشراف الانجليز ، لتتشرف بلثم اهداب العرش ، والتماس العطف، لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب اللواتي سيتوفرن على تعليمهن . وقد ارفقت الاميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل ، ارجو التكرم بقبولها ، مع التعظيم والحب الخالص »

وبعث الخليفة هشام الثالث ملك اشبيلية ردا على هذه الرسالة جاء فيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد

الحضارة العربية وتأثيراتها في أوروبا

لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وبعد : فالى ملك انجلترا ، لقد اطلعت على التماسكم ، ووافقت بعد استشارة من يعنيهم الامر على طلبكم، وعليه فانا نعلمكم بانه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين، دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي ،ولقد تلقيت هديتكم بسرور بالغ . وبالمقابلة ابعث اليكم بغالى الطنافس الاندلسية وهى من صنع ابنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافى للتدليل على التفاتنا ومحبتنا ، والسلام ، من خليفة رسول الله على ديار الاندلس : هشام)

وكانت الهدية التى حملتها الاميرة الانجليزية شمعدانين من الذهب الخالص .

واتصلت البعثات من الغرب الى ملوك عواصم الاندلس ، واصبحت طليطلة بعد ان استولى عليها الفونسو السادس عام ٤٧٨ هـ -١٠٨٥ م مركزا لنشر الثقافة العربية ، فقد انشأ دايموندو اسقف المدينة ومستشار ملوك قشتالة مدرسة لترجمة المؤلفات العربية الى الاسبانية أو اللاتينية وكانت هذه المترجمات هى التى تدرس فى جامعات الغرب ومنها مؤلفات ابن رشد وابن سينا المترجمة وكان الفونسو السادس معجبا بالحضارة العربية حتى لقد لقب نفسه امبراطور الدبانتين : الاسلام والمسيحية ،وصار الطلاب يقصدون طليطلة من كل مكان فى اوروبا .

وحين سقطت صقلية فى ايدى النورمانديين ظل العرب مقيمين فيها، واعتمد الامراء النورمانديون عليهم فى شئون السياسة والاقتصاد والصناعة ، وكان بلاط الملك النورماندى روجر الاول ، وبلاط روجر الثانى حافلا بشخصيات عربية . وفى ظلال روجر الثانى عاش الشريف الادريسى اعظم الجغرافيين العالميين .

وعنى فردريك الثانى ((٥٩١-٦٤٨هـ ١١٩٤ - ١٢٥٠ م)) ملك صقلية بترجمة الكتب العربية ، وكان يحيط نفسه بحاشية كبيرة من العلماء المسلمين وهو الذى انشأ جامعة نابلى عام ٦٢١ هـ : ١٢٢٤ م وترجم كتب أرسطو وابن رشد الى اللاتينية وارسل نسخا منها الى باريس وبولونيا ، وكان يعاصر الملك الكامل الايوبى الذى كان يشجع الادب والشعر والعلماء والادباء تشجيعا كبيرا ...

وكان فردريك ملما بالعلوم الفلسفية والعقلية ويعنى باللغة العربية عناية خاصة وقد حرمه البابا لانه على صلة وثيقة بالمسلمين ومتاثر بالاراءالاسلامية وبالتقاليد والعادات العربية ، ويمتلىء بلاطه بالعلماء المسلمين .

ولقد اعتمد الناس فى حياتهم فى صقلية اثناء الحكم الاسلامى فيها ، وبعده ، على الحضارة الاسلامية اعتمادا كبيرا ، وينوه جوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » بالحضارة العربية التى ازدهرت فى ربوعها .

وهكذا كان تأثير الحضارة العربية الاسلامية فى الغرب تأثيرا عميقا وممتدا على مرور الأجيال .

ولاشك ان انبعاث حركة النهضة الاوروبية كان مدينا لهذه التأثيرات العميقة للحضارة العربية الاسلامية فى بلاد الغرب .

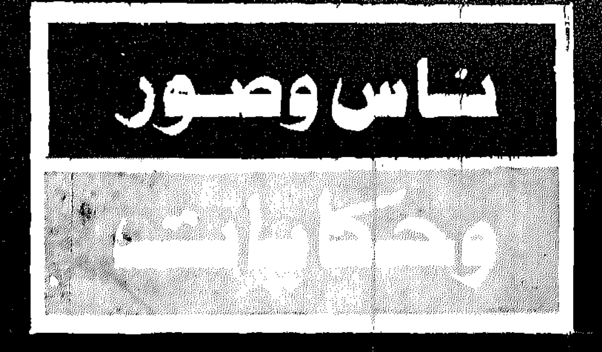
واثر الجاحظ والغزالى فى « بيكون » و « ديكارت » اثر عميق وواضح .. وكان قيام المنهج العلمى فى البحث، والاعتماد على التجربة ، وتقديم الشك ذا اثر كبير فى نشأة الروح العلمية الجديدة ، وفى قيام العصر العلمى ، عصر الكشوف الرائعة فى كل مجالات البحث .

ان اوروبا ، وكما تقول المستشرقة ((هونكة)) مدينة للعرب وللحضارة العربية فى نهضتها الراهنة ، وفى ذلك ذكرى للذين ينسبون كل شىء للعقل الاوروبى ، ويتناسون فضل العرب على الحضارة والحياة الانسانية

أقداحي الظامئات

● محمود العتريس ●

بليل مواعيدنا المرجأه — بصمت مصابيحه المطفأه
ببعض شراع ... سقيم الخطى — تجاهل ـ تحت الدجى ـ مرفأه
أعود مع الليل في موكب — تعربد فيه الرؤى السيئه ..
تؤرقني حسرات الأسى — على خطأ عشت كي أخطأه
على خطأ فيه كل المنى .. — تنام وتكمن مستدفئه !
مخبأة في ضمير السكون .. — الذي ليس يعلم ما خبأه !
تثور الأعاصير في حقله — وتعبر واديه ... مستهزئه !
وتمضي سدى .. فنعاس الرضا — يغلف عينيه بالتهنئه !
أعود ... لألعق سم الجراح ـ — وأجتر أحلامي المهترأه !
على مضجع عنكبي السهاد — كمحراب حب جفته امرأه !
يطوف به في ضباب الضباب — ضلال مواعيدنا المرجأه !
وينزف زيت مصابيحه .... — فتأبى الليالي أن ترفأه !
هو الحب كيف نرى منتهى — مداه ... ولسنا نرى مبدأه !
يدب دبيب الصبا في الضلوع — ولم ـ يختبر مرة ـ موطئه
دعانا إلى كرمة .. خمرها — عن السحر في جوفها معلنه
تجاذبنا الشوق عبر المدى — وتبدى من المشتهى أفتنه
بمدرجة الوهم ... خلف السراب — وخلف تلافيفه المعلنه
تثور النجوم إذا ما سرينا — إليها ... وتصرخ مستهجنه !
وتبتئس الشمس .. لو طالعتها — ظلال خطى سعينا الموهنه
وحتى إذا لاح فوق العباب — شعاع .. على لجة محسنه
تصدى له الليل .. تحت الشراع — وغلق ـ في قسوة ـ أعينه !
وعدت مع الصمت في موكب — تحلق فيه الرؤى المحزنه
تحرقني جمرات الأسى — على خطأ .. كدت أن أعلنه !
على خطأ ..... بعض جمراره — دواء جراحاتنا المثخنه .. !
وأسفح أقداحي الظامئات — بقلب .. عذاب المنى غضنه !
على مذبح الوهم .... في هيكل — ظلال الأسى خنقت أرغنه !
وتبقى مواعيدنا كالهباء ... — تروح .. وتغدو .. بلا بينه !
تقاذفها في دروب الضلال .. — رياح .. لها في الدجى هيمنه !



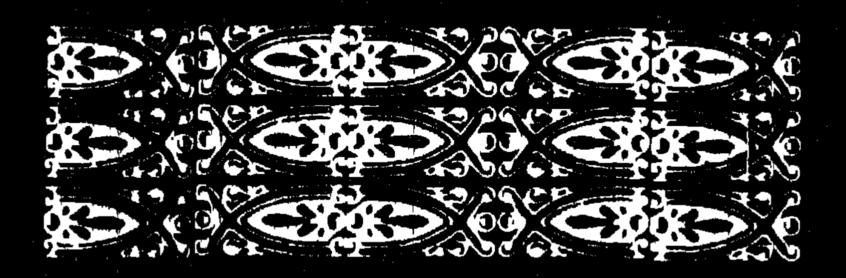
القطار ينتظر الأوزات

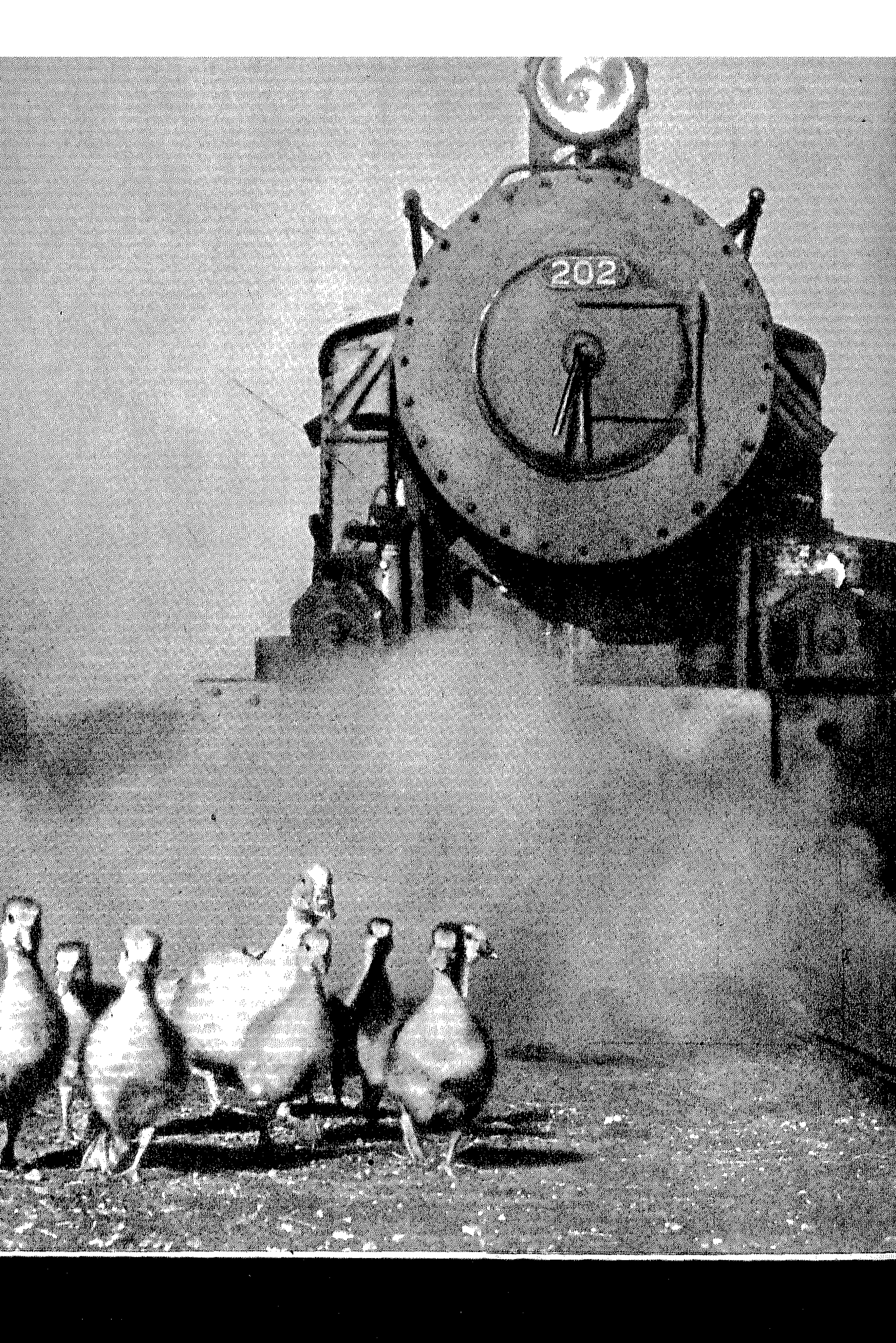
الاوزة طائر داجن وقور ، فهى لا تسير الا على مهل ، ولا تتحرك الا فى دلال ومزاج . ومن أجمل مناظر الريف منظر قطيع من الاوزات يسرن فى تؤدة ودلال كأنهن « هوانم » محترمات ..

وفى قرية من قرى المانيا كانت مجموعة من الاوزات تتبختر على شريط السكك الحديدية عندما اقبل القطار يزمجر وينفث بخاره ويحدث ضوضاءه التى تصم الآذان ..

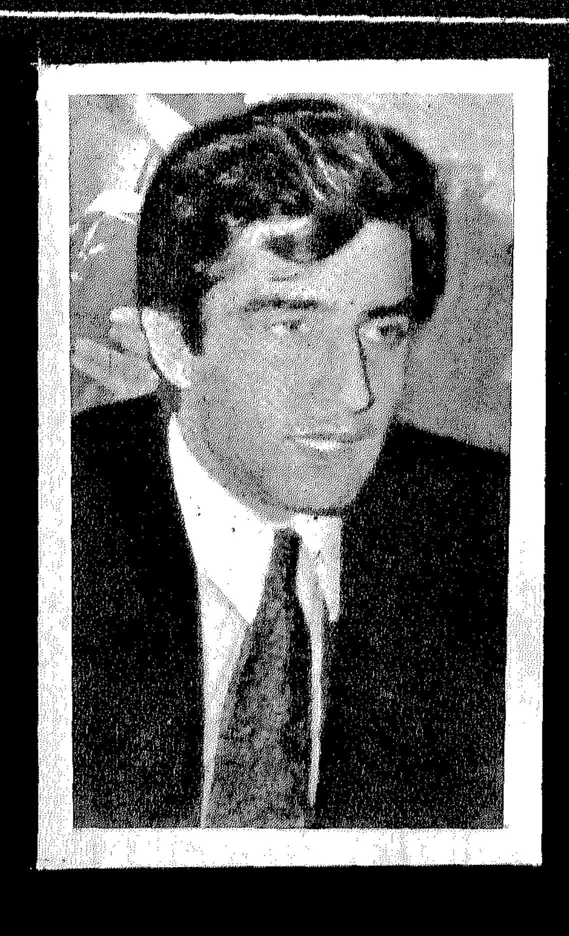
ولكن الهوانم الاوزات لم يكترثن للقطار ، ولا هن اقمن لزمجرته أو لبخاره وزنا ، بل مضين فى هدوء ودلال ..

وتوقف القطار وانتظر حتى عبرت الهوانم شريط السكك الحديدية بسلام ، ثم واصل سيره .




202

هذا "الجنتلمان" الوديع ارتكب أبشع جنايات العصر



لا شك في أن مصرع رئيس وزراء ايطاليا السابق الدو مورو كان من أبشع جرائم العصر ، فقد اختطف الرجل وعذب طويلا حتى الموت ، ثم وضع وهو يحتضر فى حقيبة سيارة تركها القاتل قرب مركز للبوليس فى مدينة روما امعانا فى القسوة والاجرام .

وكان المظنون ان الذى ارتكب هذه الجناية البشعة رجل او نفر من الفرق الحمراء من الارهابيين المعروفين .. ولكن رجال البوليس الايطالى والبوليس الدولى - الانتربول - ملكتهم الدهشة عندما قبضوا علىالمجرم اخيرا . فاذاهو جنتلمان انيق وسيم وديع ، كان يعمل فى مصرف فى روما ويمضى فى حياته دون أن تبدو عليه بادرة عنف أو قسوة .. ولكنه دبر الجناية فى صمت ونفذها فى هدوء . وطوال الفترة التى قضاها الدو مورو سجينا فى قبو تحت الارض تحت التعذيب والضرب والتجويع كان هذا القاتل واسمه فرانكو بييرو يسيرفى حياته الروتينية دون أن يلحظ أحد عليه شيئا : يفرغ من عمله فى البنك ثم يمضى بهدوء الى منزل خرب استأجره قرب روما وفى قبوه احتجز رئيس الوزراء المسكين ومضى يعذبه .

ولم يترك بييرو عمله الا بعد أن ضاقت‌من حوله حلقة المطاردة ، ففر الى باريس بجواز سفر مزيف ، وغير شكله ولكن ذلك كله لم يغن عنه شيئا ، فقد وقع أخيرا فى قبضة العدالة .

سجن صحفي وخصم ثلاثة شهور من المرتب



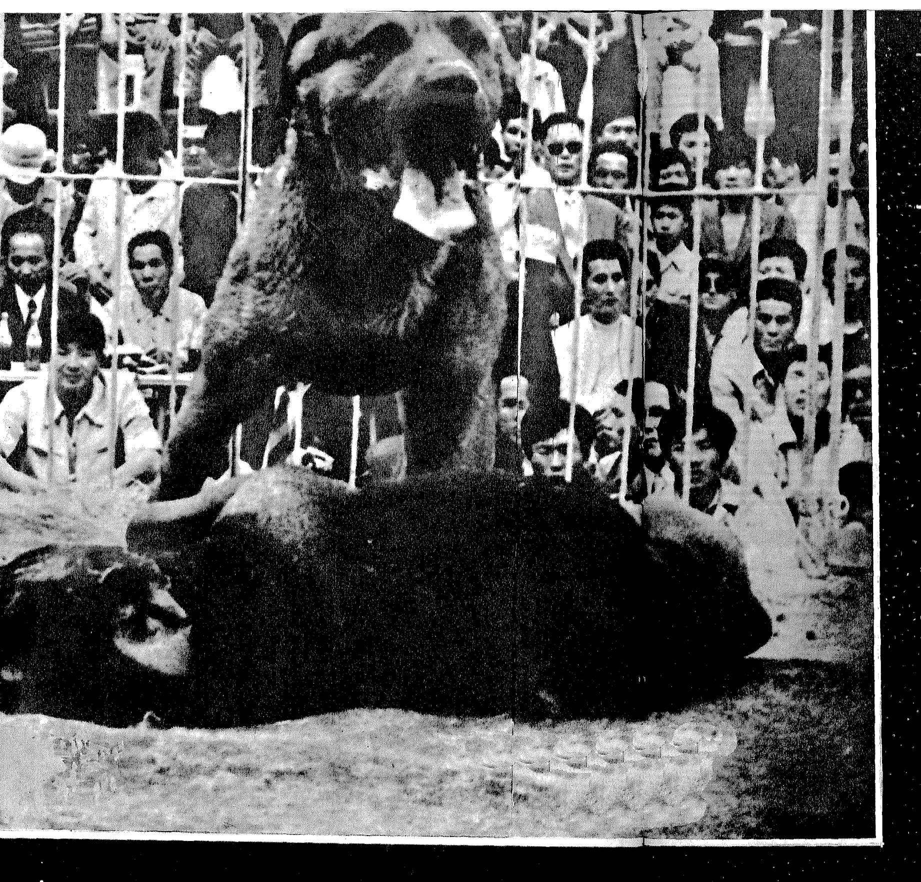
تيو لانج صحفي الماني نابه ، يكتب في مجلة المانية شعبية تبيع نحو ستة ملايين نسخة في الاسبوع ، لانها تخصص معظم صفحاتها لسوق الوظائف فتنشر صفحات بعد صفحات من عروض طالبي الوظائف وصفحات كثيرة أخرى من طلبات الوظائف .

وقد قرأ ذلك الصحفي نبأ مصورا مفاده أن الامير شارل ولي عهد بريطانيا زار سجن مدينة كارديف في انجلترا للاطلاع على أحوال السجون والسجناء والالمام بالظروف السائدة هناك ، وذلك ضمن الخطة التي توضع لامثاله من أولياء العهود لدراسة أحوال البلاد .

وجد الصحفي الطموح تيو لانج مع الخبر صورة للامير شارل داخلا السجن فخطر بباله أن يخبط خبطة صحفية ترتفع به الى القمة .. فنشر الصورة في حجم كبير على الصفحة الاولى تحت عنوان مثير : الامير شارل يدخل السجن !

وارتفع بيع الصحيفة ذلك الاسبوع، ولكن نقابة الصحفيين في وستفاليا في غربي المانيا أرسلت خطابا شديد اللهجة الى الجريدة ، وقالت ان نشر الخبر والصورة على هذا النحو يجافي العرف والادب الصحفي ، وطلبت الى ادارة الجريدة توقيع عقوبة على الصحفي ، وبالفعل اجتمع مجلس الادارة وقرر خصم ثلاثة شهور من راتب الصحفي مع التنبيه عليه بعدم العودة الى خطأ كهذا .

...هم الجماهير الى العنف

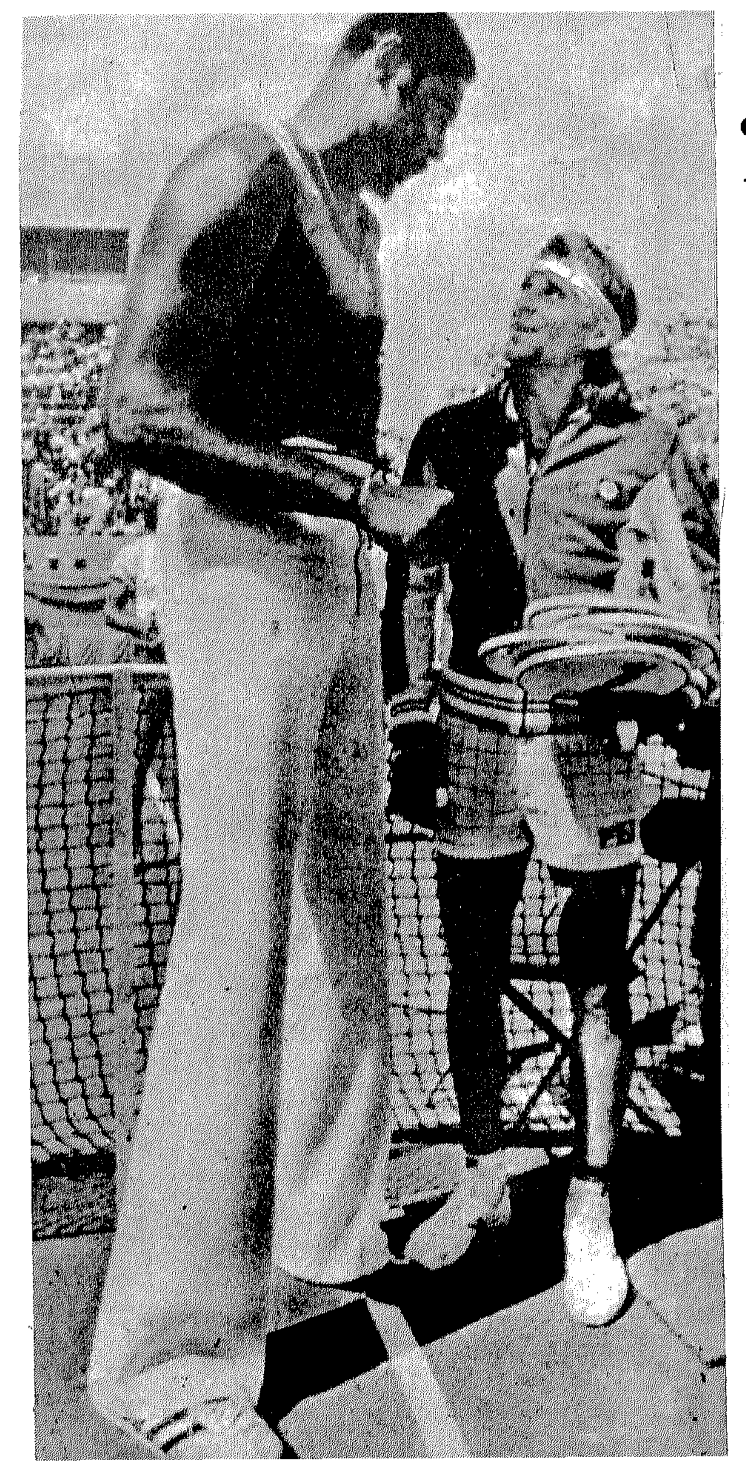


تسلية جديدة يزداد الاقبال عليها في بعض بلاد اوروبا وامريكا ، وهى تسلية رؤية الكلاب الضارية تتصارع حتى الموت، وهم يدربونها على القتل باساليب غاية فى الوحشية ، لان العادة فى الحيوان انه لا يقتل ابن جنسه الا فى النادر ، فاذا كانت المعركة بين نمر ونمر مثلا ، فان النمر الاضعف عندما يحس بهزيمته يستكين ويتجمع امام خصمه ويظل ساكنا ، فيتركه هذا ويمضى ..

ولكن الانسان لا يزال يغرى الكلب الضارى بالاستمرار فى الصراع حتى يقتل خصمه ، بالضبط كما يفعل اصحاب الديوك التى تدخل معارك الصراع وفى اظافرها اظافر اخرى من الصلب المسنون لتكون القتل واعنف ..

ترى ما سبب ولع الانسان بالقسوة والعنف وتلذذ الكثيرين من الناس بمناظر القسوة والدماء من أيام مصارعات الاسود والاسرى أيام الرومان الى مصارعات الديكة والكلاب البرية فى ايامنا ؟

وفوق كل ذي طول .. طويل



بيورن بورج بطل التنس العالمى يعتبر عملاقا ، لأن طوله ١٨٢ سنتيمترا ، وهو يعتبر ضمن من يسمونهم بالسوبرمان ٠

ولكن هذا السوبرمان تضاءل عندما وقف الى جانب لاعب كرة السلة الامريكى ويلت تشيمبرلين ، لأن طول هذا الأخير ٢١٨ سنتيمترا ، اى ان طوله ضعف طول الكثيرين منا ، ولو وقفنا نحن الى جواره لاصابتنا عقـدة نقص يصعب التخلص منها ، ولكننا على اى حال نحمد الله لأن ويلت تشيمبرلين يعانى من هذا ، فهو لا يجد سريرا يسعه فى أى فندق ينزل فيه ، ولهذا فهو يحمل معه فى حقيبته تكملة للسرير ، يضعها ليمد قدميه الطويلتين عليها ! ..

البيان والحسن

● عبد الله الانور فواز ●

تحدث الناس عنهما ... يوم اللقاء وعنا
وقيل « جاء بليلى » ... ووصفها ـ يتغنى
حتى ملا كل سمع ... فيها بيانا وحسنا

***

وما عليك ـ إذا ما ... راحوا بذاك ورحنا
ألست أهواك حقا ... بالرغم منهم ومنا ؟
ألست فيك أكنى ... معاشرا لا تكنى ؟
لولاك ما كنت أدرى ... بهم ولا كنت أعنى

***

أنا الذى صرت فى الحب ... منفردا لا أثنى
إذا رآنى لداتى ... تهامسوا « قيس لبنى »

***

تشابه الليل عندى ... فيك اضطرابا وأمنا
والعيش فيك تساوى ... عندى سرورا وحزنا
وما أرى مذ تناءيت ... بين ضدين « بينا »
أفنيت فيك سكون ... الدجى ـ خيالا وفنا
وقد قطعت الليالى ... سهدا وجهدا وأينا
حتى لقد كاد عمرى ... تقضى شكاة وأنا
وخلت أن حراما ... على أن اتمنى
كم قيل .. أنت شقى ... وقيل « أنت مهنى »

قصة إسلامية



حلم السنابل

● محمد أبو الخير ●

لم يستطع ان يدرك ان كان قد اغفى وتلك رؤيا ترمز الى مستقبل تكون فيه الحياة ناعمة ، ام ان خواطره سبحت بعيدا فتداخل حلم اليقظة فى اطار صورة روحية مشرقة ...

كان قد صحا من نومه ، لكنه بقى فى فراشه، فقد اوحت اليه حاسة الزمن ان الفجر لم يحن بعد ، ثم كانت الرؤيا او حلم اليقظة : شىء يدعو الى الارتياح ان تحمل راحته حفنة من القمح وان يبذرها ، فسرعان ماتجود بالخصب ، وتتمايل السنابل بالاعواد الخضراء ، ثم يأتى وقت الحصاد فاذا السنبلة الواحدة تحمل مائة حبة او اكثر .

ونهض بعد ان استعرض مارأى .. استوى جالسا فى فراشه . التفت ناحية السراج المعلق على الجدار المقابل فشغلته الظلال التى كانت تتمايل بفعل هواء يتسلل من شرخ فى النافذة .

كان حديث عهد بالدين الجديد وان كانت اعماقه تنبض بمشاعر من ولد فى احضان الايمان ...

ونهض الى وضوئه ثم خرج من داره فاستقبله اذان الفجر وواكب ايقاع خطواته . ولم يكن المسجد قد بنى بعد ، فسعى ليصلى مع رجال الحامية .

بعد الصلاة ظل مكانه يردد ماحفظ من تسابيح وادعية ويستلهم ماوعت الذاكرة من آيات كتاب الله ، وعلى حين غفلة مرت به اطياف حلمه لتعلق بها .

لما طالت جلسته اراد جندى أن يذهب اليه، لكن قائد الحامية أشار الى الجندى ان يدع الكردى العجوز وما يفعل فلبث مكانه حتى اخذت اشعة شمس اليوم الجديد تطل من بين تلافيف السحب ، وهنا بدأ التساؤل يدور فى حنايا قائد الحامية بل وجد نفسه يسعى الى العجوز، ولم يكد يقترب منه حتى بادره : ياولدى ، فى القرآن الكريم آية لم استطع آن احفظها .. اعنى تلك التى تذكر الحب والسنابل .

تلا عليه قائد الحامية الاية فى خشوع ، فاستعاده ، فقرأ ، ولم يكد يفرغ من التلاوة حتى نهض الكردى العجوز بعد آن تحامل على عصاه واخذ يردد : نعم ، نعم هى .. هى بعينها ... واين آجد سلمة بن قيس قائد الجيش ؟.

اختلط الامر على قائد الحامية وكان بعض الجنود قد اقتربوا وسمعوا ، فبادلوا قائدهم العجب من هذا الذى يسأل عن آية من القرآن ، ثم يسأل بعدها عن قائد الجيش ولا يفصح عما يريد !..

قرأهم السلام ومضى بعد ان قال يخاطب نفسه: سلمة بن قيس على بعد فرسخين او اكثر قليلا.

تطلع الجند الى وجه قائد الحامية فاسرع هو ليتطلع الى وجوههم ، ثم التفتوا جميعا على شىء آخر شغلهم ونشر على شفاههم البسمات اذ اخذوا يتابعون الكردى العجوز وهو يريد أن يركض ، فمرة يستطيع واخرى يتراجع ويسير على مهل ، وكانما يبحث عن شى يستند اليه .

***

كان الضحى قد ارتفع حين رأى الحارس الذى يقف عند باب خيمة قيس عجوزا كرديا ينزل عن جواده فيكاد يسقط ، ثم يحاول ان يحمل رحلا فلا يستطيع ، فدفعته مشاعر انسانية لمساعدة ذلك الشيخ ، أمسك بلزامه .. حمل عنه الرحل ثم سأله عما يقصد فلما علم انه يريد مقابلة القائد ، سأله عما فى رحله ، ورغب فى ان يكشف عنه ، لكن الكردى دفعه عنه وجذب منه الرحل فى قوة ، وعلا صوته وهو ينصح الجندى الا يتعدى الحدود المرسومة . وعبثا حاول الجندى ان يقنعه ، فلما أعياه الامر ادخله على قيس وهو يراقبه فى حذر ،

القى الكردى السلام ثم جلس بجانب رحله حتى استرد انفاسه ، لكنه كان يختلس النظرات الى قائد الجيش كأنما يحاول أن ينفذ الى داخله .. امسك سلمة بالكلمات التى تدافعت ومنعها من أن تنطلق وتسأل الكردى عن حاجته ، فلمـا ازداد به العجب وطال صمت العجوز قال له : اراك ياوالدى متعبا قلقاً ، وازعم أن حاجـة جاءت بك ...

- اهمل الكردى ماسمع ثم أخرج من رحلـه صندوقا قدمه الى سلمة وقال : فى هـذا الصندوق قدر من الحنطة اريد أن أبذره فى أرض الله .. ابعث به الى بيت المال هنـاك عنـد خليفة المسلمين .

غالب سلمة خواطره ولم يشأ ان يعلق بكلمة قبل أن يرى مافى الصندوق ، فرفع الغطـاء منه ، ولم يكد يرى مابداخله حتى ارتد بصره بل انعقد لسانه ... هـاله مارأى من الدر والياقوت وانواع شتى من احجار كريمة !

افاق سلمة على نظرة وادعة وبسمة راضـية التمعت على وجه الكردى ، وبدأ يحيى فيـه استجابته للدين وتضحيته من أجل المسلمين ، لكن الكردى استأذن وطلب يد ابن قيس ليشد عليها مودعا ...

***

حين كان الكردى العجوز يهدهد من حـركة جواده حتى يركن به الى مكان مرتفع بجـوار داره كيلا يضره الوثب ـ حينذاك كان سلمة قد عقد مع مستشاريه اجتماعا لينفذ وصية الرجل الذى أذهلهم بسخائه ...

كان الكردى لا يزال يعيش متعة روحية تغمره بعد أن أعطى كل مالديه فى سبيل الله .. كـان يسير بجانب قناة صغيرة حين لمح قائد الحاميـة التى ترابط عند مدخل المدينة الصغيرة التى يعيش فيها .. وناداه قائد الحامية فذهب اليه ولم يكد يقترب منه حتى توافد كثير من الجند ، وكم رجه الذهول حين رآهم جميعا يمدون اليه الايدى وفى راحة كل منها جوهرة او ياقوتة أو حجـر كريم . وخدع الكردى نفسه أول الامر ، لكن لم يلبث أن سمح للدمع بأن يندى عينيه ، بل ركن الى شجرة وأجهش بالبكاء .

عاش الكردى الشيخ بقية يومه يتدبر الامر وقد تسلل من داخله ذلك الهدوء الذى أحس به فى الايام الماضية . كان لا يدرى ماذا سيفعل ..

فى الليل لم يسترح الى الفراش ، يرقـد فتجذبه الرغبة الى الجلوس . يجلس فيدفعه القلق الى الاضطجاع ... شيخوخته نفرت من الدفء والغطاء .. اطراف اعصابه بدأت تلتهب .. شحونة مخلوطة بقشعريرة اخذت تناوشه .

واخيرا ترك فراشـه ، قد يجد فى الوضوء والصلاة بردا وسلاما ..

صلى ركعات وركعات ثم نهض الى النافذة .. فتحها فأوحت اليه حاسة الزمن ان الفجر يوشك ان يأتى فبحث عن عصاه ثم خرج .

فى هذه المرة صحب جواده ، لم يركبـه بل أمسك بلجامه ومشى يقوده .

وسعى ليصلى الفجر مع رجال الحامية ،فلما فرغ من صلاته بقى مكانه مع الذكر والتسبيح ولهفة فى داخله تمد ذراعها الى خيوط ضـوء الصباح تريد أن تشدها من بين تلافيف السحب العالية التى تتحرك .

لما زاد به القلق ترك مجلسه ثم ذهب الى جواده وتمايل عليه حتى ثنى ساقيه الاماميتين فاعتلى ظهره وانطلق به يريد سلمة بن قيس ليعـاتب ويحاسب .

استقبله الحارس المنوط بخيمة سلمة بابتسامة لم يلتفت اليها .. أفسح له الطريق فى شىء من الاكبار .

وقف سلمة ناشرا ذراعيه مرحباً فأهمل الكردى الترحيب ، وبدا واضحاً انه يخفى مشـاعر الضيق ...

وترفق به سلمة وسأله فى تودد ظاهر عمـا يضايقه ، فقطب وقال : كيف فعلت ما فعـلت ياسلمة !! . كيف تبعثر الكنز الذى ورثته عـن أبى وجدى وخرجت على سنة العائلة فلم أقدمه الى أكبر أبنائى !!

ادرك سلمة ان الكردى قد أساء به الظـن فاستدعى حارس خيمته وطلب اليه أن يأتيـه بأحد كبار مستشاريه ..

جىء بذلك المستشار ، رجل وقور تنضـح ملامح وجهه بالسكينة .

قبل أن يكشف الكردى عن عجبه ودهشـته اسرع سلمة ليطلب الى مستشاره هذا أن يقص ماحدث من امير المؤمنين عمر بن الخطاب .

سمع الكردى ماسرده الرجل فأوما الى نفسه .. هز رأسه كثيرا ثم قال : للهدرك ياابن الخطاب يأتيك الدر والياقوت وأنت بين الفقراء تطعمهم اللحم والثريد ثم تعود الى بيتك فتأكل الخبز المصنوع بالزيت والملح .. تطلب زوجتك امكلثوم ان تكسوها كما كسا الزبير امرأته ، وكمـا كسا طلحة امرأته ، وبين يديك كنز من الجـواهر فترفض أن تمدها بثمن الكساء وتقول لهـا : « أومايكفيك انك ابنة على بن أبى طالب وزوجة أمير المؤمنين عمر ! »

واكمل الرجل الذى استدعاه سلمة ورفـع صوته وهو يواجه الكردى العجوز بكل وجهه بل امسك بكتفه فهزه خفيفا وقال : « بل صاح بى عمر حين رفع غطاء الصندوق ورأى الدر والجواهر: لا اشبع الله اذن بطن عمر !.. اسـرع ، واسرع الى حيث كنت ... والله لئن تفـرق المسلمون قبل أن تعود الى سلمة ويقسم بينهم هذه الجواهر لانزلن بك وبه اشد العقاب .

عن الوحدة العضوية للقصيدة

حوار حول مضمونها النقدى

● د . محمد احمد العزب ●

ــ ١ ــ

● تتمثل « الوحدة العضوية » للقصيدة فى وحدة المشاعر التى تستقطبها ، وفى كيفية ترتيب الصور والافكار ترتيبا متناميا تتخلق من خلاله القصيدة تخلقا عضويا طبيعيا ، يفضى فيه كل جزء الى وظيفته افضاء متسلسلا ، بحيث نصل فى النهاية الى بنية حية للقصيدة ، تشابه تماما بنية الكائن الحى ، فى تساوقها وانسجامها وتشكيلها الطبيعى ، فلايتلكا الشاعر بعد فراغه من استقصاء خاطر والافضاء الى رصد خاطر آخر فى متاهات العودة الى الخاطر الاول هكذا فى اضطراب فكرى غير متسق المسار ..

ان ترتيب الافكار والاحساسات على اساس من منطقيتها او سببيتها هو الذى يعطى العمل الشعرى ــ الغنائى والقصصى ــ مبرر وجوده المتلاحم على نحو عضوى .

واذا صح فان الوحدة العضوية قد تقوم على أساس من الوحدة الموضوعية ، الا انها تتجاوز وحدة الموضوع الى وحدة البناء العضوى الذى لا يستقل فيه بيت عما سبقه وما لحقه ، ومع ذلك فينبغى ان نفهم (الموضوع) فهما شعريا بعيدا عن جفاف الفهم النثرى المحدد للموضوع لانها ــ اى الوحدة الموضوعية ــ ترشح احساسات من جنس واحد ، وتثير افكارا من نوعية واحدة ، وتحدث آثارها فى المتلقى على نحو متقارب ، مما يؤهل بالفعل ، فى ظلال هذه الابعاد الثلاثة ، لميلاد الوحدة العضوية التى تصبح نتاجا طبيعيا لوحدة الاحساس ووحدة التعبير ووحدة الاثر .. اى وحدة الربط الموضوعى والنفسى بين موجات القصيدة فى مدها وانسياحها جميعا .

ــ ٢ ــ

والوحدة العضوية فى الشعر المسرحى وفى الملاحم ارسخ منها فى الشعر الغنائى ، ومقاييسها اوضح ، لان الترتيب والاحداث وتعاقب المناظر او الاجزاء يجرى فى المسرح والملاحم على نظام ينهار العمل اذا اختل .. اما وحدة القصيدة الغنائية فمرجعها الى ترتيب اجزاء الفكرة ، وتنامى الصور ، ودلالة كل اولئك على طبيعة المد الشعورى فى نظام منطقى عند غير الرمزيين ، وعلى نظام نفسى ايحائى عند الرمزيين .

ــ ٣ ــ

وفى النقد العربى القديم ، فطن بعض النقاد الى قيم قريبة من الوحدة العضوية ، ولكن فهمهم لهذه الوحدة كان اقرب الى الحرص على وصل الصور ، او « التحام الاجزاء » فى عمود الشعر ، اما وحدة التجربة التى توثق عرى الاجزاء حتى تصير كلا واحدا ، فهذا مالم يفطنوا اليه الا قليلا .

بدليل أن ابن طباطبا ــ مثلا ــ يرى أن قصارى الشاعر فى وصل الاجزاء أن يصل كلامه ــ على تصرفه فى فنونه ــ صلة لطيفة « فيتخلص من

الغـــزل الى المديح ، ومن المديح الى الشكوى ، ومن الشـــــــــكوى الى الاستماحة ، ومن وصف الديار والاثار الى وصف الفيافى والنوق .. بألطف تخلص واحسن حكاية ، بلا انفصـــال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلاً به وممتزجا معه » ..

اى ان التجربة الشـعرية الواحدة هنا مفقودة او تكاد ، وكل ما يسعى اليه الشاعر هو وصل هـــذا النثير المتجاور من الاحساسات المتغـــايرة التى أوحى بها مجرد التداعى وليست حس البناء .. ولكن هذا لم يمنع أن يشير بعضهم الى قضية الوحــــدة العضوية اشارات ذكية .

فالحاتمى يضع اساس النظر الحقيقى الى الوحدة العضوية على مثل هـــذا النحو الدقيق : « القصيدة مثلها مثل خلق الانسان فى اتصال بعض اعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الاخر وباينه فى صـــــحة التركيب ، غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتعفى معالم جماله » .

وابن قتيبة يؤكدعلى ضرورةارتباط أبيات القصيدة وانضوائها فى وحــدة فنية ، وعلى نوع من العلاقة المعنـوية بين الابيات فى داخل الجزء الواحد من القصيدة ، بحيث ينتفى التكلف الذى « ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومضـــــموما الى غير لفقـــــه » ..

ويوشك ابن قتيبة أن يؤسس بعض نظراته النقدية على قيمة « التجربة » فى القصيدة ، مشـيرا الى ان اختلال هذا الاساس يترك العمل الشـــعرى مجوفا ومتراخى البناء .

***

وابن طباطبا يعطى تصورا اشـمل للوحدة العضـوية فى بعض ما قاله ، مثل قوله : « واحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما ينسـق به اوله مع آخره ، على ما ينسقه قائله ، فان قدم بيت على بيت دخله الخلل ، كما يدخل الرسائل والخطب اذا نقض تاليفهـا ، فان الشعر اذا اسس تاسيس فصول الرسائل القائمة بانفسها ، وكلمـات الحكمة المستقلة بذاتهـــــا ، والامثلة السائرة المرســـومة باختصارها ، لـم يحسن نظمـــــه ، بل يجب ان تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة ، فى اشتباه اولها بآخرها، نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة الفاظ ودقة معان وصـــواب تاليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه الى غيره من المعانى خروجا لطيفا . حتى تخرج القصيدة كانهـا مفرغة افراغا .. لا تناقض فى معانيها ولا وهى فى مبانيهــــا ، ولا تكلف فى نسجها » ..

ومثـــــل قوله كذلك : « وينبغى للشاعر ان يتامل تاليف شعره وتنسيق ابياته ، ويقف على حسن تجاوره او قبحه فيلائم بينها ، لتنتظم له معانيها ويتصل كلامه فيها ، ولا يجعـل بين ماقد ابتدأ وصفه وبين تمامه فصـلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه ، فينسى السامع المعنى الذى يســوق القول اليه ، كما انه يحترز من ذلك فى كل بيت ، فلا يباعد كلمة عن أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشـو يشينها ، ويتفقد كل مصراع : هـل يشاكل ما قبله ؟ فربما اتفق للشـاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما فى موضع الآخر ، فلا يتنبه الى ذلك الا من دق نظره ولطف فهمه » .

وهكذا نرى أن النقد العربى القديم، وان كان لم يقدم نظرية كامـــلة فى «الوحدة العضوية » للقصيدة الشعرية فقد قدم مجموعة متنافمة ومتطورة من النظرات الصائبة فى هـــذا الاتجاه ، وبدهى انه لايحاكم بمنطق العصر الثقافى الذى نحياه.ولا بمعايير النقد اليونانى السابق عليه ، فلكل لغة مقاييسـهـا الخاصة ، ولكل عقل مناشطه الذاتية والموضوعية التى يختلف فيها عن غيره من العقول السابقة عليه واللاحقة له .

عن الوحدة العضوية للقصيدة

ولكل عصر كذلك قيمه الفنية والنقدية واللغوية والحضارية حتى في مجرد النظر الى ظواهر الاشياء .

— ٤ —

وفي النقد الغربي الحديث تغير الوضع تغيرا شاملا في فهم قضية الوحدة العضوية، كما تغير بنفس الدرجة الشعر الغربي الحديث كذلك ، فالوحدة المتجانسة التي تتوتر في القصيدة على أساس من منطقية الربط لم تعد هي اللون الوحيد الذي يحتل الساحه الفنية فقد تنتقل القصيدة الحديثة من خاطر الى خاطر نقيض لتفجا المتلقي وتثير فيه عناصر الدهشة والغرابة ، ومع ذلك فالقصيدة لا تفقد وحدتها العضوية من خلال هذا الجدل على الاطلاق .

وربما كان الشاعر الحديث يشيع في قصيدته هذه لونا من الشعور الكلي المسيطر الذي يعمل من خلال الفعل ورد الفعل على السواء ، او من خلال الشيء ونقيضه معا ، وهذه قدرة الشاعر الحقيقي الذي لايفلت المتلقي من تنويعه في غنائه له .. وقد تمهد الحركة النقدية الحديثة في تبرير هذا السلوك الشعري الى القول بان مظهر التشوش الفكري الذي يخلقه الشاعر الحديث في ادواته التعبيرية هو اتجاه عمدي لفضح عوالم النفس الغامضة المتشابكة التي ترتد في فعلها الوجودي هي الاخرى من النقيض الى النقيض .

يقول رامبو : « رضت نفسي على خلق الاحلام الوهمية البسيطة ، فكنت ارى في جلاء مسجدا في مكان مصنع، وجوقة تضرب الدفوف افرادها من الملائكة ، وعربات صغيرة متحركة القاعد تسير في طرق السماء ، وحجرة استقبال في قاع بحيرة، فاجد في النهاية ان هذا التهويش الفكري اكتسب صفة التقديس » .

واذن فالوحدة العضوية هنا نفسية ضاجة بالمفاجآت الايحائية ، ولست نفسية تسير على اساس من التداعي الذي تدفع اليه حياة الشاعر الواقعية كما كانت في الشعر العربي القديم .. ربما لان الفكر النقدي الحديث يحتضن هذا الاتجاه في الابداع ويرى انه « ليس من الضروري ان ترتبط الصور ارتباطا منطقيا .. وانما توجه بقوة الحدس الى عواطف القارىء واحاسيسه » .

ويرى « كولردج »أن « الخيال »هو وحده القادر على تنظيم شتات هذا النثر من العواطف والافكار في القصيدة الواحدة ، وتوظيفها جميعا في أداء ايقاع متناغم متلاحم . يقول كولردج: «الخيال هو القوة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة أو احساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو احاسيس « في القصيدة» فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة اشبه بالصهر .. وهذه القوة التي هي اسمى الملكات الانسانية تتخذ اشكالا مختلفة ، منها العاطفي العنيف ، ومنها الهادىء الساكن ، ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعث على المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة من الاشياء الكثيرة « بينما نفتقد هذه الوحدة في وصف الرجل العادي الذي لا تتوافر لديه ملكة الخيال لهذه الاشياء ، اذ نجده يصفها وصفا بطيئا الشيء تلو الشيء بأسلوب يخلو من العاطفة، وهذه الوحدة التي تحققها قوة الخيال انما تشبه الوحدة التي تخلقها الطبيعة ذاتها ، التي هي اعظم الشعراء جميعا ، فبينما نفتح اعيننا على منظر طبيعي منبسط امامنا انما نشعر بوحدة هذا المنظر » .

ويتفق جميع النقاد الفلسفيين في كل العصور ــ كما يقول كولردج ــ مع الحكم النهائي الذي كونه الناس في جميع الاقطار ، على رفض ان تكون القصيده سلسلة من الابيات او من الاسطر الموزونه التي يستاثر كل منها وحده



بانتباه القارىء التام ، وبذلك يفصل نفسه عن السياق ، او ان تكون تاليفا غيرسوى يخلص القارىء سريعا الى النتيجة العامة منه ، ولا يجتذبه فيه اى من الاجزاء التى يتالف منها .

— ٥ —

وقد تركت حركة العقل النقدى الاوروبى الحديث تاثيراتها الفائرة فى العقل النقدى العربى الحديث ، فى قضية « الوحدة العضوية » كاساس نقدى تحاكم الظاهرة الشعرية المعاصرة على ضوئه وربما كان هذا التاثير قد بدا منذ اواخر القرن التاسع عشر واهنا متواضعا لتترك بعض الطباعات نقدية فى فكر آحاد من النقاد الذين فطنوا الى ما فى هذه الثقافة الاوروبية من غنى حقيقى ، وربما امتد هذا التاثير منذ مطالع القرن العشرين ليصير جزءا من البنية النقدية العربية العامة ، يحرك اتجاهاتها فى اتجاهه ، ويجسد مقولاتها بما يلقى اليها كل يوم من كشوف تثير فيهما نوازع اليقظة وبواعث الطموح .

ولعل شيخنا الجليل ، الشيخ حسين المرصفى ، صاحب « الوسيلة الادبية » يكون من طلائع الرواد الذين فطنوا الى الوحدة العضوية فى القصيدة الحديثة فنظر الى الابيات « كقيم جمالية » تؤلف فى مجموعها « قيمة جمالية » واحدة هى القصيدة ، فقال : « انظر هداك الله ابيات هذه القصيدة فافردها بيتا بيتا ، تجد ظروف جواهر افردت كل جوهرة لنفاستها بظرف ، ثم اجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق ، فانك لا تجد بيتا يصح ان يقدم او يؤخر ، ولا بيتين يمكن ان يكون بينهما ثالث » .. وهى ضربة معول باكرة فجرت النبع وعبدت الطريق .

وقد قفى على آثار هذه الدعوة خليل مطران فى مقدمة ديوانه الشعرى . فحمل الى الحياة الادبية فهما جديدا لمضمون هذه الوحدة العضوية وبنائها جميعا . ولعل قيمة الدعوة المطرانية تاخذ قيمتها النهائية من وضعية مطران الفنية كشاعر يؤسس القضية النقدية ويتنوع على أساسها النقدى شعرا تتلاحم فيه عناصر هذه القضية .. يقول مطران : « .. هذا شعر ليس ناظمه بعبده ولا تحمله ضرورات الوزن او القافية على غير قصده ، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح ولا ينظر قائله الى جمال البيت المفرد ولو انكر جاره وشاتم اخاه ، ودابر المطلع ، وقاطع المقطع ، وخالف الختام ، بل ينظر الى جمال البيت فى ذاته وفى موضعه ، والى جملة القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها ، وفى تناسق معانيها وتوافقها ، مع ندور التصوير ، وغرابة الموضوع ، ومطابقة كل ذلك للحقيقة ، وشفوفه عن الشعور الحر ، وتحرى دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر » .

ثم مضى مطران يطبق هذه المقولات

النقدية فى شعره ، فوفق من ذلك الى كثير رائع فى شعره القصصى ، واحبط من ذلك فى كثير هائل من شعره الغنائى، وليس هذا راجعا الى توفيقه هنا واحباطه هناك هكذا بلا مبرر فنى معقول ومقبول ، ولكنه راجع الى طبيعة النوع الشعرى الذى عالجه مطران ، فهو فى النوع القصصى قد امتلك حس الوحدة العضوية لان الانتقال فى هذا اللون من فكرة الى فكرة ومن موقف الى موقف يساعد على امكان هذا الامتلاك .. اما فى النوع الغنائى فقد افتقد كثيرا هذه الوحدة العضوية لان الفكر الغنائى بطبيعته غير قابل للتسلسل المنطقى، او الانتقال السببى بقدر ماهو قابل للتقافز على تخوم الاشباه والاضداد فى اطار عام من تشابه الحس أو وحدانية الوجدان .

ولكن الوحدة العضوية ، كفلسفة نقدية ، لم يفطن اليها فى النقد العربى الحديث على نحو منهجى معلل غير ثالوث الديوان العظيم : العقاد وشكرى والمازنى، فقد فلسفوا هذه القضية واصلوا لها فى الفكر النقدى المعاصر ، وخاضوا تحت رايتها معارك ضارية ضد اتجاهات شعرية ونقدية كانت سائدة قبلهم وفى حضورهم التاريخى ، لعل من ابرزها اتجاه المحافظين بقيادة شوقى وحافظ، ومن سار على نهجهما الشعرى وهم كثير كثير .

ومهما يكن من شىء فقد اقام رواد مدرسة الديوان للوحدة العضوية بناءها الفكرى المتكامل الذى اصبحت به ليس مجرد سوانح تعرض فى قول هنا او ايماء هناك ، وانما بناء نظريا يشتبك بالجدل مع الاضداد على اسس فكرية واعية تماما .. وبديهى ان تاثرات عميقة وفدت على مدرسة الديوان فى فهمها لقضية الوحدة العضوية من الفكر النقدى الغربى بعامة ، والفكر النقدى الانجليزى على وجه الخصوص . ولكن نقاد الديوان لم يستسلموا تماما لروح النظرة الغربية لا فى هذه القضية ولا فى غيرها من القضايا الاخرى ، ولكنهم لونوا كل القضايا بفهمهم الذاتى المستقل، وبروح التحدى الحضارى الذى سلحوا به انفسهم ، وكان سمة من ابرز سماتهم النقدية الصميمة .

وقد اعطى العقاد بالذات لهذه القضية تفصيلات عميقة مستقصية ، فقال : « القصيدة ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة باجزائها ، واللحن الموسيقى بانغامه ، بحيث اذا اختلف الوضع او تغيرت النسبة اخل ذلك بوحدة الصنعة وافسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى ، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من اجهزته ، ولا يغنى عنه غيره فى موضعه الا كما تغنى الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف ، او القلب عن المعدة . او هى كالبيت المقسم لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها ولاقوام لفن بغير ذلك » .

ويقول : « ومتى طلبت هذه الوحدة العضوية فى الشعر فلم تجدها فاعلم أنه الفاظ لاتنطوى على خاطر مطرد، او شعور كامل الحياة ، بل هو كأمشاج الجنين المخدج شبيه ببعض ، او كأجزاء الخلايا الحيوية الدنيئة لا يتميز لها عضو ، ولا تنقسم فيها وظائف واجهزة ، وكلما استفل الشىء فى مرتبة الخلق صعب التمييز بين اجزائه » .

ويقول : « انك كلما شارفت فترة من فترات الاضمحلال فى الادب الفيت تشابها فى الاسلوب والموضوع والمشرب، وتماثلا فى روح الشعر وصياغته ، فلا تستطيع مهما جهدت أن تسم القصائد بعناوين واسماء ترتبط بمعناها وجوهرها لما هو معروف من ان الاسماء تتبع السمات ، والعناوين تلصق بالموضوعات، ورايتهم يحسبون البيت من القصيدة جزءا قائما بنفسه لا عضوا متصلا بسائر اعضائها ، فيقولون : افخر بيت ، واغزل



بيت ، واشجع بيت ، وهذا بيت القصيد وواسطة العقد . كان الابيات فى القصيدة حبات عقد تشترى كل منها بقيمتها ، فلا يفقدها انفصالها عن سائر الحبات شيئا من جوهرها . وهذا ادل دليل على فقدان الخاطر المؤلف بين ابيات القصيدة وتقطع النفس فيها ، وقصر الفكر ، وجفاف السليقة . فكانما القريحة التى تنظم هذا النظم ومضات نور متقطعة لا كوكب صامد متصل الاشعة يريك كل جانب ، وينير لك كل زاوية وشعبة . او كانما هى ميدان قتال فيه الف عين والف ذراع والف جمجمة ، ولكن ليس فيه بنية واحدة حية ، ولقد كان خيرا من هذه كلها، جمجمة واحدة على اعضاء جسم فرد تسرى فيها حياة)).

والى جوار هذا التفصيل الشارح لقضية الوحدة العضوية على هذا النحو الفكرى المتكامل الانحاء ، خاض العقاد ضد ترهل البناء الشعرى معارك عديدة، من خلال شوقى ، واضاف فى كل خطوة الى فهمه الاساسي لقضية البناء وتلاحم الاجزاء ، مستوى بعد مستوى ، حتى جعل من هذه الوحدة العضوية اساسا اوليا من اسس الحركه النقديه العربية المعاصره .

***

وقد ظاهرت جهود شكرى جهود العقاد على هذه الطريق ، فهو يرى ان البناء الشعرى يقوم على عديد من الاسس من بينها :خلق الصلة الحميمة بين معنى البيت وبين موضوع القصيدة .. «لان البيت جزء مكمل ، ولا يصح ان يكون البيت شاذا خارجا عن مكانه من القصيدة بعيدا عن موضوعها » ... ومن بينها كذلك الوحدة العضوية التى تحقق فى القصيدة نوعا من التنامى والالتحام « من حيث انها شىء فرد كامل لا من حيث انها أبيات مستقلة » .

واذا كان ثالوث الديوان لم يستطع ان يطبق مقولاته النقدية فى شعر رائع يحتاز فيما يحتاز وحدته العضوية ، فقد برزت جهود الشعراء الذين ارتضوا الشعر الحر اساسا للتعبير بالشعر عن عالم الذات وعالم الموضوع فى هذا المجال لان هذا الجيل من الشعراء اعطى القصيدة لونا من الوان الحس القصصى والدرامى ، ولونا آخر من الوان التناظر او التعبير بالصور المتقابلة والمتناقضة على حد معا . ومن طبيعة هذه الالوان جميعها ان تفضى فيها مرحلة الى مرحلة تالية ، وان يمتد فيها عمر من اعمار القصيدة فى عمر آخر سابق عليه او لاحق له ، وان تشى لوحة منها صديقة او نقيضة بلوحة اخرى نقيضة او صديقة كذلك . وهكذا اصبحت القصيدة نوعا من الجدل العضوى المتلاحم طردا وعكسا بحيث لا نستطيع ان نجتزىء منها ليس ببيت بل حتى بكلمة واحدة ، دون ان ينقض الهيكل ويتداعى البناء .

وهذه هى الوحدة العضوية كما ينبغى دائما ان تكون .

الهلال مع شيخ الحرمين

المعقول والمنقول بأيهما نأخذ؟

● عبد المنعم الجداوى ●

●● كل شىء هنا يوحى بالاطمئنان .. نفسك تستقر آمنة كأنك لم تعرف القلق يوما ما .. أنت فى « مكة » ، والكعبة تملأ عينيك .. تراها ببصرك وبصيرتك ، وصورتها تتغلغل فى دمائك، وأنت تطيل النظر بلا ملل فى صمت جليل ..

هذه الطرقات ، وتلك الربى الصاعدة ، كلها كانت غدوات النبى وروحاته صلى الله عليه وسلم ..وهناك على ربوة خلف « اجياد » بيت خديجة رضى الله عنها .. وعلى مرمى البصر بيت عبد المطلب الذى شهد مولد خير الخلق كلهم .. وقامت مكانه الآن مكتبة بلدية « مكة » ، وعلى بعد كيلو مترات ، يقف الجبل الذى على رأسه « غار حراء » ، مهبط الوحى ، وأول مكان فى الأرض قرئت فيه رسالة الله الى نبيه على لسان جبريل ، وانزل فيه النور على نبى الرحمة ..

وفى ذلك الجو المعطر بأريج التاريخ ينبئنى الشيخ « جابر المدخلى » .الأمين العام لهيئة الدعوة لموسم الحج ، ان موعدى مع الشيخ قد تحدد له بعد صلاة الظهر ، والشيخ هو عبد العزيز ابن عبد الله بن باز ، الرئيس الأعلى لادارات البحوث ،والدراسات ، والفتوى ومراكز الدعوة خارج المملكة وداخلها . والرجل الذى ترنو اليه ابصار ملايين المسلمين ، وتأتيه الأسئلة الفقهية من كل البقاع ليقول فيها كلمته ..

فيه بقايا الأولين ، وفقههم ،وحرصهم وتقواهم . وأساليب المعاصرين ، وسعة صدرهم ، ووضوح اجاباتهم .

كان اللقاء فى مركز الدعوة لموسم الحج فى « العزيزية »، أجمل ضواحى «مكة» وفى «فيللا» مكونة من ثلاثةطوابق تشغل الطابق الأول منها « سكرتارية الشيخ ومكتبه » ولقيته فى مكتبه شديد التواضع ، وقد رحب الشيخ بمجلة « الهلال » ، وقال انها أعرق المجلات الثقافية فى الشرق ، وأمتدح التجديد الذى قام به الدكتور « مؤنس » أحد أعمدة التاريخ الاسلامى فى الشرق الاوسط .. وشكرته على هذا الاطراء، وبدأنا الحديث ..

ـ سماحة الشيخ .. تتداول هذه الأيام كلمة: السلفية ، والسلفيون ، والرجعية ، والرجعيون ، والتقدمية ، والتقدميون .. فهل تفضلتم بالتوضيح ؟

قال : ـ السلفيون هم الذين

- القرآن ليس بيانا للمخترعات الحديثة
- ماهى السلفية ، ومن هم السلفيون ؟
- كيف ننقى التفاسير من الإسرائيليات ؟
- الاستنباط بالمقابلة القرآنية والحديث
- الإسرائيليات لا تكذب ولا تصدق إلا بنص

يتمسكون بما كان عليه رجال السلف الصالح ، وهم الصحابة ومن سلك سبيلهم ونهج طريقهم فى الأعمال ، والأخلاق وهم بلا شك أهل العلم والبصيرة ، لأنهم التزموا بالسالفين من الصحابة والأتباع ، دون البدع أو الابتداع ، وحرصوا على شريعة الله ٠٠

أما « الرجعية » ، وهى وان كان أعداء الشريعة ليطلقونها على المتمسكين باسلامهم ـ فهى فى الحقيقة « لفظ » مستحدث ٠٠٠ لكنه كان فى الماضى يعنى الذين يرجعون الى الجاهلية بعد اسلامهم ، أما المسلم الذى يرجع الى ما كان عليه صحابة رسول الله ، والى ما كان عليه التابعون ، فذلك لا يجب أن يسمى « رجعيا » ، لكن أعداء الاسلام لا سلاح لهم الا المغالطة ! ٠٠

فالعودة الى الحق ، والصواب ، والهدى ليست « رجعية » ٠٠ لكن هى المغالطة التى يشنها علينا أعداء الاسلام ٠٠ « والرجعية » التى يرموننا بها ٠ هى شرف لنا ، لانها الرجوع الى سنة رسول الله ٠٠ أما هم فيرجعون الى جاهلية جهلاء كانت منتشرة قبل ظهور الاسلام ٠٠

وأما « التقدمية » فمفهومها عندنا غير مفهومها عندهم ٠٠ فهم يريدون تقدمية يخلع المؤمنون فيها عنهم ايمانهم ويتركون الشريعة ، ويرفضون الاخلاق الكريمة ، ويستبيحون الكبائر ، ويرتكبون كل منكر ٠٠ هذه هى التقدمية التى يزعمونها ٠٠ واذن فهى تقدم نحو المعصية ، ونحو النار ٠

ولكن مفهوم « التقدمية » الحقيقى عندنا ، ولا يفوتنى أن أقول ذلك ٠٠ هو التمسك بشريعة الله ، والسير على نهج رسول الله وأصحابه ، وموالاته ، ومعاداة اعدائه ، واتباع طاعته ٠٠ هذه هى « التقدمية » الحقيقية اذا كانوا يريدونها « تقدمية » اسلامية خالصة ٠

● هناك دعوة تنادى بأن الدين يجب أن يتقدم ليواكب العصر ـ فما قولكم ؟

ـ هذه دعوة « مهملة » و « مجملة » ٠٠٠ اذا كانوا يريدون أن يتطور الدين فى أحكامه ، فهذا باطل لا يجوز ٠٠٠ لماذا ؟ ٠٠ لأن الأحكام قد استقرت من الشريعة ، منذ أن أكمل الله الدين ، وأتم نعمته على المسلمين ٠٠

منذ توفى النبى عليه الصلاة والسلام دون أن يترك أمرا فى الدين ناقصا ٠٠ وما وجب على العصر الأول فى الاسلام ، يجب على أهل العصور المتأخرة ، فى الصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والجهاد فى سبيل الله ٠٠

أما التطور الذى نقره ، فهو انه ينبغى للدعاة أن يبتكروا الأساليب الحسنة ، وان يرفقوا بالناس ، وان يعايشوا مشاكلهم ويحلوها فى عبارات واضحة ، واجابات سهلة ، دون عنف أو جدال ٠٠ وهذا هو ما دعا اليه الاسلام منذ أن جاء به رسول الله من ربه « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ، و « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » ، وبذلك يكون التطور الذى يدعون اليه قد وجد منذ صدر الاسلام الأول ٠٠٠٠ الرفق ، والصبر ، والحكمة فى نصح الناس ، والرد على اسئلتهم ٠٠

● ما قولكم فيمن ينادون بتفسير القرآن تفسيرا علميا ، بحجة ان العلم لغة العصر ٠٠٠ وفيمن ينادون بأن القرآن كتاب هداية فقط لا صلة له بالعلم ولا بالحياة ؟

ـ مرة أخرى أقول ان هذه عبارات

« مجلسة » .. ومع ذلك اذا كانوا يقصدون ان القرآن لم يتحدث عن الاختراعات التى توصل اليها العلم فهذا صحيح الى حد ما، وان كان سبحانه وتعالى قد قال (ويخلق ما لا تعلمون) وقد يجد بعضهم فيه ما يشير الى أحداث ومخترعات عصرية ، **لكن يجب أن يستقر فى الاذهان أن القرآن كتاب هداية ،وصراط مستقيم .. يبشر وينذر ، ويرشد ، ويحض على مكارم الاخلاق .. فاذا استنبط بعضهم منه ما ينبىء عن مخترعات أو مبتكرات .. فالحذر كل الحذر فى التفسير والاستنباط .. فالقرآن يفسر بالقرآن ، وبالاحاديث الشريفة ، ولابد من المقابلة بين الآيات ، والمراجعة مع الاحاديث .. فاذا تطابقت كان بها ، والا فليس للمستنبطين ان يحملوا آيات الكتاب فوق ما تحتمل .. لان من نظرة متانية ، وعناية شديدة ، فلن يضير القرآن أن يكون قرآنا فقط .**

● وأنت على قمة المسئولية الدينية، اما آن أن ننقى التفاسير المختلفة من الاسرائيليات ؟ فبعض التفاسير تكتب فى قصة خلق آدم وحواء ، وأولادهما ما لم يشر اليه القرآن ، كاسماء بنات آدم مثلا ..

ـ المسلمون يمكنهم أن يقرأوا تفاسير السلف الصالح دون أن يقعوا فى الاسرائيليات ، وذلك بالرجوع الى الاحاديث أيضا ، وقد بين عليه الصلاة والسلام الحكم فى ذلك بنص حديثه اذ قال « لا تكذبوهم ولا تصدقوهم » ، وقال « حدث عن بنى اسرائيل ولا حرج » وواضح أنك اذا قرأت اسرائيليات فلا تصدقها ، ولا تكذبها حتى تجد فى الشريعة ما يؤيد أو ينفى ذلك الذى تحدثوا به .. فاذا كان فى شريعتنا ما يصدقه صدقته ، والعكس بالعكس . والمفسرون الذين أخذوا عن الاسرائيليات رحمهم الله ـ عملوا بالحديث «لاتكذبوهم ولا تصدقوهم » وتركوا للمسلم أن يجتهد ، وأن يبحث ..

● **والآن يبقى سؤال .. اذا اختلف العقل مع النقل فماذا ناخذ ، وماذا نفضل ؟**

ـ الواجب تقديمه فى مثل هذه الحالة هو المنقول .. لأن المنقول معصوم .. أما العقل فيخطىء ويصيب .. أما النقل اذا وضح سنده ، وصحت سلسلته فهو الذى نأخذ به ..

والقاعدة هى أنه لا يمكن تعارض النقل والعقل ، لان الشريعة جاءت بكل ما يتفق والعقول السليمة .. وقد كتب « ابن تيمية » كتابا فى هذا سماه « مطابقة صحيح المعقول فى صحيح المنقول » ولخص فيه أنه لا يمكن أن يختلف النص الصحيح مع العقل السليم .

● فى الختام .. هل من علاج لما يبدو من تفرق الأمة الى كل هذه الفرق والجماعات،وما هى الأسباب التى فرقت المسلمين كل هذه الفرق ، والشيع ؟

ـ قال سماحته مبتسما :الرد يتطلب عدة كتب .. وفى اختصار شديد يمكن أن نقول من أهم هذه الأسباب : الجهل بالنصوص ، وعدم العلم بها ، وتفسيرها الخاطىء ـ كما فعل أهل البدع ، والخوارج ، والمعتزله ، والشيعة وغيرهم .. فهموا أشياء ، وغالطوا فيها ـ واعتنقوها ، وتعصبوا لها ، تحت وطأة الهوى أو الكبر أو المصلحة .. وبعضهم اعتنق نحلة جديدة ليعرف بها أو لتكون له الرياسة على قومه ، ومنهم من تابع القوم فى هواهم ليرضيهم ، ويتمكن منهم .. وهكذا نرى أن التفرق له سببان رئيسيان ، الجهل بالنصوص ثم الهوى ! .

لم يحدث أن احدهم اراد الحق ، والا هدى اليه .. فالله يهدى الى الحق . وكتاب الله مفتوح لكل المسلمين ، وسنة رسوله امام الجميع .. والحديث « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا ، كتاب الله وسنتى)) .

وسكت الشيخ ، وكانت الاجابة شديدة الاختصار ، واردت ان اشكره ، فسارع يقول .. تحياتى وسلام الله لقرائكم .. فادركت انه ينهى الحديث ، فقد كانت تنتظره طائرة بمطار جدة ، لكى يسافر الى « الرياض » والى «جيزان» فى جولة من اجل الدعوة .. ●

الرُّعب

● محمد الراوى ●

● للحظة قصيرة خيل الى ان هناك شيئا مايحدث فى هذا الطريق فتحت تأثير الاضواء الجانبية كانت اللآلىء الاصيلة والمزيفة على صدورهن تعكس الاشعة المفضضة والمذهبة ... ورأيت على مدى بصرى ، اعناقهن وهامات رؤوسهن وشعورهن ، وعبثا حاولت ان انجو من هذا السيل المتدفق ، فسرت معهن وانا احاول أن افلت من زحامهن .

تراءت لى عيونهن كالنجوم مشعة ، ولى مثل الثقوب ، بيضاوية ومشروطة ، ولاحت لى وجوههن وقد اتسمت بسحن غريبة وكأنها اتنمة .. تنبهت الى واحدة منهن ساقتنى الصدفة الى السير بجوارها لبعض الوقت ، وحينما التفتت نحوى كنت انظر نحوها بدورى وللحظة التقت عينانا .. امرأة تخطت الخمسين عجفاء ، ليس بها اوقية من اللحم ، صدرها املس ، سرعان ماغابت عن بصرى ..

وتوالى طابورهن على الرصيف ، ينشرن من حولهن موجات من الروائح العطرية ...

توقفت امام احدى ((الفترينات)) وكانت تعرض ثوبا رائعا ترتديه امرأة سمينة ذات جمال باهر . اخذت اتأمل ملامحها لكن شحوبا غريبا بدا يعترى الوجه الشمعى ، واذا بعينين ترقبانني من فوق الشفتين القرمزيتين الجميلتين ، عينين زاجرتين متوعدتين .. واحسست بانفاسها ترتد من فوق زجاج ((الفترينة)) الى وجهى . كانت واقفة بجوارى ، فى هذه المرة لاحظت شعرها المنفوش يعتلى راسها وكأنه القنفذ او « راس العبد » ولاحظت هى اننى انظر الى شعرها اكثر مما انظر الى عينيها ، ولم اعرف هل تريد ان لها شعرا كالقنفذ أم لا . حملق كل منا فى وجه الاخر بروح عدائية ، احسست انها قرأت أفكارى وربما سمعتنى وانا احدث نفسى بشأنها .!

اعطيتها ظهرى وواصلت طريقى ، لكنى شعرت بالضيق عندما لاقيتها للمرة الثالثة واقفة بجانب الطريق ومعها امرأة أخرى . أشارتا الى ونظرتا نحوى فى عداء بين . أنا لا اخاف النساء ، فى هذه المرة شعرت بالخوف . تصنعت اللا مبالاة وانا امر بهما دالفا الى طريق آخر أكثر هدوءا ، ويخلو من النساء ..

وعند منحنى الطريق قررت أن ألتفت لمجرد التأكد ، واذا بالمرأتين ومعهما ثالثة يتبعننى فى الحاح، لوسعت من خطواتى ، وقد أدركت ان فى الأمر شيئا .. الخطوات من خلفى تسرع ، الكعوب تضرب الارض بشدة ، ضربات متصلة، مما جعلنى أحس بجدية المطاردة ! ..

التفت مرة اخرى فاذا بواحدة منهن تبتعد لتدخل شارعا جانبيا ضيقا ، بينما تلوح الاخرى لها وهى واحدة من الاثنتين الباقيتين، كنت قد وصلت الى طريق هادىء الا من بعض السيارات ، وكانت للطريق فروع جانبية كثيرة فوجئت باكثر من اربع نساء يخرجن الى من الزقاق الجانبى القريب منى ، ويتوجهن نحوى مباشرة ! .. تبينت فيهن تلك المرأة التى فارقت الاثنتين اللتين تطاردانى من الخلف .

كدت اتوقف عن السير فكرت فى الجرى وعبور الطريق الى الجانب الاخر ، اخذت ابحث عن المارة ، شعرت بضربة فى ظهرى ، فتوقف قلبى عن النبض .. اطبقت على النساء الاخريات من امام واذا بهن يدفعننى الى داخل زقاق شبه مظلم ويحصرننى فى زاوية اعجز عن الهروب منها

الزقاق يمتلىء رويدا رويدا بالنساء ، يدخلن فرادى ومثنى وجماعات يأخذن اماكنهن فى نصف الدائرة وينصتن الى الحوار الدائر بين قطبى الجماعة .. لا أرى الا اجساد وقامات النساء فى الصف الاول ، حيث كانت البطون المشدودة والمنفوخة والمترهلة ، من خلفها رؤوس تتطلع الى من فوق الاكتاف . وكانت تعلو الرؤوس فى بعض المواقع مايشبه الريش والاعلام الصغيرة والورود الصناعية الملونة

اخذ الفراغ الذى يفصلنى عنهن يضيق ويتآكل ، شعرت بانفاسهن الساخنة تلفح وجهى ، حاولت أكثر من واحدة أن تضربنى فى ساقى بحافة حذائها الحادة . سمعت همهمة تدور بين راسين متقاربين احدهما راس المرأة ذات الشعر القنفذى ، وبعد قليل اعطتنى ظهرها وواجهت الأخريات ، فأخذ الصمت يسود بالتدريج .

وبدأت ذات الشعر القنفذى الحديث ، لم أستطع ان أميز منه شيئا ، كنت أسمعها تتكلم وتلتفت مشيرة نحوى ، لم تعد للخطابة مرة أخرى ، لم أفهم بالضبط ما كانت تقوله لكنى اكتشفت أن للنساء لغة أو رطانة خاصة يفهمها جميع النساء فى العالم دون ان يؤثر فى ذلك اختلاف جنسياتهن أو لغاتهن . ! فى تلك اللحظة خيل الى انهن يتفقن على تعذيبى وقتلى . وبعد أن انتهت المرأة من خطبتها بدا الحماس الشديد على وجوههن وهن يرفعن حقائبهن الى أعلى صارخات

اخذتنى الرعشة ، مددت ذراعى على الحائط كالمصلوب ، اقتربت منى المرأة ذات الشعر القنفذى وقالت لى وانفها يلامس انفى : والان ايها الـ .. وبدا شاربها واضحا عندما ضحكت فى وجهى . وفوجئت بفمها هوة مظلمة ليس بها اسنان ، عميقة رهيبة كبئر مهجورة ولم افهم ماذا كانت تقصد .. اذ تلقفتنى عشرات الايدى تتنازع ملابسى وتجذبها بعنف حتى مزقت السترة والقميص وكانت ثمة اصابع تقبض على شعرى وتجذبه : ووجدت نفسى اذوب وأتلاشى فى هذا الخضم من الاذرع التى انهمكت فى تغييرى . ●

كافكا

ومحنة الوعي الحديث

● ماهر شفيق فريد ●

في عدد اخير من مجلة ((ذاجارديان)) كتب ((و . ل . وب)) مقالة عنوانها ((كافكا الحقيقي)) بمناسبة صدور كتاب جديد عنوانه ((فرانز كافكا: رسائل الى اصدقائه واسرته ورؤساء التحرير)) ترجمه من الالمانية الى الانجليزية رينشارد وكلارا ونستون ، وصدر عن دار ((جون كولدر)) للنشر.

يبدا ((وب)) مقالته بهذه العبارة : ((ان مستقبلي ليس ورديا ، ومن المحقق - استطيع ان اتنبا بذلك - انى ساموت ميتة كلب)) ... هكذا كتب فرانز كافكا في سن الثالثة والعشرين الى صديقه ماكس برود في احدى الرسائل التي تشكل القسم الاكبر من هذه المجموعة الكبيرة التي لم تترجم الى الانجليزية الا حديثا. ولكن كافكا يكتب في الوقت ذاته ((لقد كان يوما مروعا في المكتب .. اظن انه لابد للمرء من ان يكسب قبره)) ، قبره لا عيشه ..

ان روح كافكا ، تلك الروح المعذبة التي صورها في قصصه ورواياته ، كانت في الواقع تسكن اطارا انسانيا وتسير في شوارع براغ وغابات بوهيميا وتأكل وتحب وتنام قليلا. وفي الصباح بعد ان تكون خلال الليل قد كتبت من أظلم تخوم الروح تكتب تقارير معتنى بها على مكتبه في مؤسسة تامين حوادث العمال أو كما يقول : ((في الاحياء الاربعة التي تخصني ، يسقط الناس من على السلالم كما لو كانوا مخمورين)) .

وفضلا عن [illegible]

ماكس برود وما كتبه غيره من المحيطين بكافكا في براغ ، فان لدينا الآن يوميات كافكا من ١٩١٠ الى ١٩٢٣ ، ورسالته الطويلة الى ابيه وهي بمثابة اعتذار عن حياته - ومجموعتان اخريان هامتان من الرسائل ، ومجموعة رابعة من الرسائل الى شقيقته المفضلة ((اوتلا)) ، ظهرت في المانيا ولكنها لم تترجم بعد الى الانجليزية ..

ان هذا المجلد يفتقر الى التماسك الدرامي لرسائل كافكا الى ((ميلنا)) ورسائله الى ((فليس بوير)) . وهذه الرسائل الاخيرة لا تصور فقط العذابات الفريدة لقصة حب كافكا ((لفليس)) وانما تعكس أيضا وهج تلك الفترة الهامة من الخلق الفني التي ولدتها تجربة حبه . والذي يحققه المجلد الجديد على اية حال هو انه حين يقرا مع كتاب ماكس برود واليوميات يوضح - على نحو لا منجاة منه - البشرية اليومية لهذا الاطلس الذي كان يحمل على كتفيه الهزيلتين من عبء الوعي الحديث اكثر مما حمله اى كاتب آخر في قرننا العشرين .

والشيء الجديد في سيرة كافكا انما تكشف عنه رسالة طويلة هنا تصف خطبته الى ((جولي فوهرزيك)) وهي ابنة حارس معبد في براغ ، يقول كافكا عنها : ((لئن اراد المرء أن يصنفها عنصريا ، لتعين عليه أن يقول انها تنتمي الى جنس بائعات الدكاكين)) .. ويبدو ان خطبتهما هذه قد اوشكت على أن

تنتهي بالزواج ولكنها تحطمت على صخور تردد كافكا المألوف لقرائه ..

***

بيد ان الامر الشائق في هذه الرسائل ليس ما تضمه من احداث كبيرة في حجم الحياة قدر ما هو العلامات الصغيرة ، والايماءات ، ومشاهد التجلي ، المسجلة في عشرين سنة تغطيها الرسائل ، ان المرء يقرأ خطابا لكافكا وهو في سن العشرين ، ويدرك ـ بنوع من الخوف ـ انه يمثل بشخصه احد تلك الاوضاع اللابشرية ـ كتحول بطله جرجور سامسا الى حشرة ـ مما لا تفتا صوره تتردد في كتاباته اللاحقة كنماذج عليا مستنفذة من عتمة كهف .. انه اذ يخرج ليتمشى ذات يوم في اغسطس ١٩٠٤ يتعقب كلبه ((كلدا)) ، ثم يضربه بمخلبه فيصرخ الكلب وهو يموت . وفي نهاية ذلك اليوم يكتب كافكا : ((بدا راسي يميل على نحو سيىء ، حتى اني في المساء لاحظت ـ وانا مندهش ـ ان ذقني قد بدا يدخل في صدري)) او بمعنى آخر : لقد بدا يتحول الى ((كلدا)) .. !

ثمة عشرات من هذه التحولات الصغيرة الى حيوانات وديعة أحيانا وسادية للذات أحيانا أخرى تعبر عن انقسام روحه ذلك الانقسام غير العادي .. انه يقول لبرود : لا أستطيع ان اكتب .. ان بدني بأكمله يحذرني من كل كلمة . وكل كلمة ـ قبل أن تدعني اضعها على الورق ـ تنظر اولا حولها في كل الاتجاهات » ! .

وفيما بعد يقول: «انه اذا اراد الكاتب ان يبقي الجنون على مبعدة فانه لا ينبغي أن يبتعد عن مكتبه ، وانما عليه أن يتشبث به بأسنانه » .

***

وثمة رسائل هنا عن طبيعة الكتابة والفن متكبرة ومؤلمة كأي من رسائله الى «فليس» تصور تأرجحه بين قطبي اللعنة والخلاص . فاذ يتصارع مع اشباح رواية «القلعة» في ١٩٢٢ ينظر الى الكتابة على انها « مكافأة عذبة ومدهشة لخدمة الشيطان . هذا الهبوط الي القوى المظلمة، هذا التحرير لارواح قيدتها الطبيعة، هذه المعانقات المشكوك فيها وكل شيء غير ذلك يقع في الاجزاء السفلى ولا تعود الاجزاء العليا تعرفه بعد ، عندما يكتب المرء قصصه في ضوء الشمس .. ان العناصر الشيطانية تلوح لي واضحة جدا . »

وفيما بعد ، حين يكون في حالة مغايرة ، ينظر الى الفن على انه « نوع من تبادل الكلمات الصادقة بين شخص وآخر » .

ومهما يكن من امر فقد كانت حاجة كافكا المستميتة القلابة الى الفن تعبر من نفسها على نحو ثالث يلخص ـ ببساطة طفولية كاملة ـ نضاله مع الأهوال المحدقة به : باعتباره ابنا يشعر بالذنب ، ورجلا مريضا ، ويهوديا مغتربا ، ومفكرا أوروبيا يعيش فيما بدا له آخر أيام البشرية ..

يقول : « اني بعيد عن وطني ولابد لي دائما من ان اكتب الى وطني، حتى ولو كان اى وطن قد سبح مبتعدا نحو الابدية . ان كل كتاباتي هذه **ليست سوى علم روبنسن كروزو مرفوعا على اعلى نقطة في الجزيرة »**.

انه الآن يدنو من نهايته عائدا الى وطنه في نهاية المطاف ، لأن ثمة مايشبه السكينة في رسائله الأخيرة المكتوبة من برلين ، يستمتع بحضور المحاضرات في أكاديمية ليوبك للعلوم كلما امكنه الاختلاف اليها ، ويعسره مرض يستنفد قواه ويصيبه بالحمى . ثم تأتي آخر نقلة في حياته ـ الى مصحة بالنمسا باهظة التكاليف .

وتنتهي مجموعة الرسائل بما يعرف بـ ((شذرات المحادثة)) المروعة ، التي يجمل بكل من مل توهم كافكا المرض ان يقراها . انها قطع من الورق كان يخط عليها الجمل التي لم يعد بوسعه ان ينطق بها اذا اشتدت قبضة سل الحنجرة عليه . يقول في احدى رسائله الاخيرة : ((ان كل عضو في متعب)) . لقد شارف اللحن الحزين الختام ...

لا تنظر إلى القمر

• فتحي سلامة •

● **القمر يرنو الى الارض ، يحاول ان يلمسها .. اعواد الحطب الجاف ترقد فى استسلام يغطيها ضوء القمر ، وانا مدفوس فيها ، راقد على ظهرى ، يمر الهواء البارد خلف اذنى ، اسمع همسا ، انظر الى القمر ... القمر فسيح وعميق وودود ايضا ، ادخل اليه ، اسبح مع اشعته ، تجذبنى اليه ، هل الأشعة تاتى منه ام تذهب اليه .. اقاوم ، تجذبنى فى عنف ...**

ادخل الى الساحة البيضاء ، اشعر بالرهبة ، اترنح ولكنى اتمالك بعد قليل ...

اتقدم ماشيا ، ارى عرائس القمر ، تتمايل فى نشوة ، اشعر بالم اسفل راسى ، اسمع صوتا ، « تقدم يا حبيب القمر » اتردد ، هل ادخل ؟

تدور حولى عروس جميلة ، يتموج شعرها الذهبى مع حركة راسها ، تدور حولى ، يدور عقلى ...

ـ يا حبيب القمر ، لن تفلت منى هذه المرة ! .

اكاد المسك ، يا سبحان الله ، يا خالق ، يا عالم ، يا مصور ، ارفعنى نحوك ، شد من ازرى ، اكاد اكون ..

ـ سوف يصيبك الجنون .

لا ، لن افقد عقلى بعد قلبى .

ـ لقد اصابك فعلا !

عقلى صاف ، بريق القمر يدخل الى عقلى ، انا دخلت الى القمر ، ودخل القمر فى قلبى ، تداخلنا ، الكل يتماسك .

ـ لقد نهيتك مرارا .. قم !

شعرت بوخزة فى جنبى ، وجه القمر مظلم ، اشعر بالم الوخزة ، وهبوط القلب ، ودوار الراس يلفنى باله ، يدى لا تطيع عقلى ، لسانى امسكه الشلل ، ارى النار تقترب منى ، ارى بعض الأشياء ، ارى امى ، انقذينى يا امى ، الصوت لا يخرج من فمى ، اشعر بالاختناق ، القمر محاق ، بعد الحب فراق ...

أصرخ ، يقابلنى الصمت .. امددا الى رحمتك ، لا تدعنى أغرق فى خوفى ، هل هذا هو الموت ؟

ولكن الحياة من حولى تدب ، ها هو جسدي ممدد .. اننى أراه ، لقد

صرت جزءين ، احدهما أراه ممددا فى صورة جسد آدمي ، بلا حراك يتصلب ممددا فوق اعواد القش،..اري اعواد القش و .. ولكن كيف أرى ؟ من انا ؟ ليس لى عين أرى بها ، احس وارى فى وقت واحد ، واستطيع الطيران ، هكذا أطير ، ارتفع فوق سطح الدار ، ابتعد، ارى النهر بضفتيه ... هذه ساقية عم مغاوري ، وتلك دار ابن عمى ، ومبنى المسجد ، ثم ها هو شريط السكة الحديد ، القطار قادم ، ارتفع اكثر ، لم اعد ارى الجسد الممدد ، لقد اصبحت حرا فى السماء ، انحرف شمالا ، ارى حدائق واسعة ، بل غابات شاسعة ... غابات افريقيا ، النمور والاسود والزواحف ، طبول تدق ...

اهبط ، اعرف هذه الارض ليست غريبة عنى ، عشت بها من قبل ، هذا الكوخ اعرفه ، الباب يحدث صوتا عندما ادفعه الى الداخل، كثيرا مافكرت فى وضع بعض الشحم ، هذا هو الصوت الاجش لباب الكوخ ، الظلام كثيف ، ولكن عندما ارفع غطاء النافذة ، فها هو الضوء يعم الكوخ ...

رفع الثعبان رأسه نحوى فى تحد ، لا ادرى من منا يسكن هذا البيت ، أرفع فى وجهه فاسى ، ينظر الى عينى، يحدق فى وجهى ، يتلوى متراجعا ...

اعرف انك سوف تقتلنى فى احد الايام ، انسحب طائرا ، ينزاح الخوف البارد ، اطير ، ارتفع أحاور السحاب ... تجرى السحابة السوداء فى عسر والبيضاء تلهو فى مرح ، اتجنب السحب السوداء ، ارى برج لندن ، احط ، أحدق فى المبانى الغامقة ، اهبط نحو الشارع ...

بجوارى تسير فتاتي حمراء الاذن ، أطلق عليها هذا الاسم ، سنتزوج فى الربيع القادم ، سيصل عمها من استراليا ثم نتزوج ، ندخل محلات مستر مونى ، يتقدم الينا فى حب ، اشعر بالدوار ، أفقد القدرة على تحديد ما حدث ، وحيدا فى الشارع ...

هذا البيت أعرفه ، ادخل ، العجوز مرة اخرى ، احاول الهرب ، تمسك بى فى عداء واضح ، لا استطيع الفكاك ، روحى مخنوقة ، لم اعد اطيق ، انقذنى يارب العرش ، الالم حاد فى جسدي ، تهاجمني العجوز ، تهاجمنى الجثة ، اللون الاسود يكتم انفاسى ، اين انا ؟

انقذنى يا رحمن ، انا احبك ، انا عبدك انا مؤمن بقدرتك ، ليس لى الا انت يا الهى ، يا قوى ، يا غفار ، يا رحيم ، يا واحد ، اتشبث بايماني.
ان كان هذا العذاب من أجلك فسوف اتحمل ، لن اغفر لنفسى هواها ، يارب، اصرخ فى قوة ، لا اسمع صراخى ، اعود لأرى جسدى مرة اخرى، اتقدم نحوه ، ادخل فيه ، يزداد الألم والاحساس بالاختناق ، اجاهد كى افك عن نفسى سجنها ، اتذكر كلمات الله ، اتلوها ، ارى امي تمد يدها نحو وجهى ، لو انها هزتنى فى عنف ، حركى راسى يا امى ، فى راسى يكمن الخلاص ، الخلاص من الالم ...

ارى وجهك الآسى، وعينيك بللهما الالم والدمع .فقط ادفعينى الى الجهة الاخرى ، اريد ان ادفع اليهاما فى راسى، اود ان تصل افكارى الى عقلها ، هل يمكن تواصل الفكر بين الانسان والانسان الاخر ، لو نجحت فى ان اتواصل مع عقل امى ، لعرفت مااريد ولأنقذت حياتى بدلا من هذا الحزن الذى لا يفيد .

وضعت يديها حول راسى ، اشعر ببرودة أصابعها ، يارب انت القادر على كل شيء ، امى افعلى ما افكر انا فيه ...
امى تنظر الى جبهتى ، اكاد احس بشعاع بصرها ، يهتز راسى فى قوة، اتخطى حاجز اللاارادة ، اتمالك نفسى ارفع وجهى الى الامام ، تنطلق الصرخة المكتومة وانا اعتدل فى رقدتى ، تجذبنى امي الى صدرها ، اشعر بالأمان **والاعياء وانفاسي تتلاحق ، تضمنى امى بقوة ، تتمتم :**
ــ الم اقل لك لا تنظر الى القمر !

كرامة الإنسان في شعر العقاد

● نصري عطا الله ●

● الرسل والقادة والملهمون والشعراء والعشاق ورجال الفن عامة ـ هم الذين يرتادون الطريق ويستكشفون الغايات البعيدة ، يهيمون بها ومن أجلها يضحون بالراحة والصحة والمال ويهبون لها كل وقتهم وجهودهم وأحيانا الحياة نفسها ..

كيف يعد الانسان نفسه لكل ذلك ؟

يقول شاعر الهند طاغور :

« ان الكون كله ، كل ذرة وكل جزء منه ـ يدعم تلك الرغبة في ان اكون موجودا .. وجلال هذه الرغبة في اعتزازى بذاتي ، وبفضل هذا الجلال لا تقل ذاتي الصغيرة جدا في الاهمية عن أى شيء في الكون سواء في الدرجة أو القيمة ».

ولعل هذا القول لا ينطبق على أحد كما ينطبق على العقاد ، فقد اعتبر الحياة هبة نفيسة نتلقى خامتها وعلينا أن نصوغها ونشكلها كل حسب غاياته وقدراته، وكفى بذلك هدفا وغاية .... وقد وضع العقاد كرامة الرسالة التي اختارها لنفسه فوق كل اعتبار : وهب نفسه للمعرفة ، وقضى العمر باحثا عن الحقيقة من أجل الحقيقة ذاتها ، ووجد في ذلك تحقيق كنه وجوده وراحة ضميره ... أليس هو القائل :

« غناك في نفسك ، وقيمتك في عملك ، وبواعثك احرى بالعناية من غاياتك ولا تنتظر من الناس كثيرا » .

لقد فطن العقاد الى ذلك في بواكير شبابه ، فقال في ديوانه الاول المطبوع عام ١٩١٦ :

والزم حياتك واعشقها فبينكما ... في شرعة الطبع ميثاق وايمان
هي الوجود فصنه ان تجود به ... على التراب ، فان الحر صوان
ولا تحد عن سبيل لست تسلكها ... مثني ، وليس اليها الدهر رجعان !

أحس العقاد وهو حدث لم يزل ـ بضخامة الحياة التي تجيش بين جوانحه وتتدافع في غزارة كأمواج المحيط ، ووقع حادث أو اثنان عرف الصبي منهما أنه يختلف كثيرا عن لداته وأقرانه من صغار التلاميذ في بلدته أسوان ، فعول على أن يكون ذا شخصية بارزة ...

وفى ليلة القدر اصطحب اثنين من لداته وذهب الى مكان فى العراء ، وتضرع الى الله ان يعينه على أن يكون من أعظم أهل زمانه ... وكان لابد له أن يعدل عن الطريق المألوف الذى يتخبط فيه كل الناس ، ويشـــد بصره الى الغـايات البعيدة .

***

والقى العقاد نفسه فى خضم الحياة ولا عون له الا قدراته ، ولا سلاح ينازل به الدهر الا مواهبه ، فلا عجب ان يكابد محن الحياة صغيرا ..

لقد احس أول ما أحس بالوحشة ، فلم يكن هناك من يشاركه آماله الكبيرة او حتى من يشكو اليه :

انا الغريب ولى بين الورى رحم بالرغم منى ، واصحاب وجيران !

***

اى اهـل وجـيرة لهمـــام أوحدى المنى قليـــل النظـــير

***

ان الشقى الذى لا صنو يشـــبهه وللأصـــاغر أشـــباه وأمثـال
من شـابه الناس سرته مـــودتهم ومن علا عنهم ســاءت به الحال !
فاهنا بمجدك اذ تشـــقى بعـــزلته وليحظ بالصفو اوغاد وجهـــال !
ان السعادة تحت الارض معـــدنها لا يطلب السعد من آذنه أجيـال !

***

لا تلوموا الكبير يركب هـــولا انما الهــول من مطـــايا الكبير
ان قلب العظيم بحـــر زخـــور فهـــو ما عاش فوق بحر زخـــور
كم ضـــلال فى اليم ارهب منـــه صرعات الضـــلال فى التفـكير !

●

آثر العقاد ان يتوقى صرعات الضلال فى التفكير ، فكيف يتأتى له ذلك ؟

لن يتأتي لانسان ان يرى الرأى السليم ويضع الاشياء والقيم فى موضـــعها الصحيح ويعطيها ما تستحق من الاهمية دون مبالغة ودون انتقاص ، الا عن طريق الوعى الكامل بالتراث الانسانى كله واستيعاب خير ما أبدعه الجهد البشرى على مدى العصور وفى شتى الحالات واتخاذه معيارا ومثالا يحتذى ...

واذا كانت آفة عصرنا هى اختزال الثقافة وتطـــويعها للاغـــراض السياسية أو العمرانية أو المعاشية ثم التخصص ، فهذا ما برىء منه العقاد الذى آثراستكشاف القيم العليا ثم تصحيح المبادىء والغايات على هدى منها ، ولعل هذا سر تمسكه بآرائه الباكرة ، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبه من الاستشهاد بما سبق ان كتبه فى الموضوع الذى يعالجه ، واعتداده برأيه .

وقد جمع العقاد عدة طاقات منها قوة العاطفة ورهافة الحساسية ، كمـا كان من أصحاب المزاج العصبى . ومن كان هذا شانه فلا بد له ان يشعر ان الحياة

لا تعطيه كل ما يريد ، ولابد ان يتالم حين ينشد الخير المحض فلا يجده ، وحين ينشد الحب عفيفا نقيا فلا يظفر به . وحين تتنكر له الحياة فلا يكاد يظفر باللقمة ...

ولم يكن عبثا او مصادفة ان يتجه العقاد في أولى قصائد ديوانه الاول الى (فرضة البحر) فهي تعبر عن تفاعل كل تلك العوامل في نفسه فهنا نجد اصطخاب الامواج وتدافعها ، باسها حينا ، ووداعتها حين ترتمي في حضن الشاطيء وهو بر الامان للحيارى ، ونجد المنارة التي ترسل الضياء هداية للحائرين في فجاج التيه :

قطب السفين وقبلة الربان ... يا ليت نورك نافع وجداني
يزجي منارك بالضياء كانه ... ارق يقلب مقلتي ولهان
وعلى الخضم مطارح من ومضه ... تسري مولهة بغير عنان
كمطارح الافكار في لجج على ... لجج من الشبهات والاشجان
تخفى وتظهر وهي في ظلمائها ... باب النجاة وموئل الحيران
القت مراسيها السفائن عندها ... وتحصنت منها بدار أمان

... في هذه الابيات تعبير عن الحيرة وعدم الاستقرار بين شعاب الفكر والشجان الحياة بقدر ما فيها من التعلق بالامل ونشدان الاستقرار ... فأى الكفتين كانت الراجحة ؟ ـ يقول العقاد :

لا تلح ذا باس وذا همة ... على ذنون العصبة القلب
فليس مقياسك مقياسهم ... ولا هم مثلك في المآرب
والليث لا توثق اعضاده ... حبال تنصب للثعلب
انظر الى ما خلفوا بعدهم ... من المعالي ثم لم واعتب !
لم يخط ان داس رءوس الورى ... من علقت كفاه بالكوكب
من ركب الهائل من امره ... فعدوه في ذلك المركب !

***

من أين أتى للعقاد كل هذا الجلد وقوة الاحتمال والاعتداد بالذات والتأكيد الايجابي لها ؟

يقول العقاد :

نعمة الاحساس ما برحت ... نعمة في طيها نقم
لا يحس الفقد فاقدها ... وتصيب الواجد الالم !

واذا كانت النقم هي فداحة الالم فما هي « النعمة » ؟

انها تفتح النفس للخير والحق والجمال في عالم الانسان والحيوان والنبات ، عالم النجوم ، والضوء ، تفتح النفس للحن الطائر ، ولون الوردة وهمسات الريح في الغصون ، والابتسامة الوضيئة تشع من السمات الحلوة ونظرات العيون التي تتحدى أغوار المحيطات .

... كل هذا وغيره كان يملأ نفس العقاد بنشوة الحياة ، ومن شان من يبلغ هذه الحالة النفسية بل الروحية ان تمتلىء نفسه بنوع من الايمان يجمع بين الحياة والموت فلا يفرق بينهما ، بل يرى ان كليهما شيء واحد ، ومن شانها ايضا

تآلف ملكات النفس فيتآخى العقل مع العاطفة ويحس الانسان انه بعض هـــذا الكون ، بينه وبين نسيج الحياة كلها وشائج قربى وتعاطف ، ومن شأنها أيضا أن يعود الانسان منها يزداد من المناعة الذاتية وحيوية الروح وقوة النفس وخصـــوبة الاحساس يري معها ان تأكيد الذات هو الامر البدهي الطبيعي الذى لا يحتـــاج الى دفاع أو برهان ٠

من هذا المعين استمد العقاد قدرته على احتمال الالم والاستهانة به بل وتحديه، فالصبر على الالم ليس مجرد رأى ذهنى يفرضه العقل على المرء فيرضاه لنفسه ، بل لابد من منابع نفسية أخرى تمد الانسان بما يوازنه ٠ وهكذا تعادل فى نفسه الالم والرضا ، وخرج من هذا بفلسفة حياته ومؤداها ان الالم عنصر من عنـــاصر الحياة ولا مفر منه ، وان احتماله عنصر آخر لابد منه ، ثم يتطور رأيه بعض الشيء ويرى ان الاستمتاع بجمال الحياة يستلزم أن يعانى الانسان محنها ٠٠ ونجـــد مصداق هذا فى شعره فلا نكاد نعثر على شكوى من الحيـــاة حتى يقرنها بايمـــانه بالصبر على محنها وان الحياة جديرة بأن تعاش ٠ يقول :

والعيش عيشـــان جانب دمث   واللب منـــه فى الجانب الخشن
والمـــوت موتان مـــوت ذى دعـــة   لا حس فيــــه ، وموت ذى الكفن

***

ايه يا دهر هات ما شئت وانظـــر   عزمات الـــرجال كيف تكـــــون
ما تعســـــفت في بلائك الا   هان بالصـــبر منه ما لا يهون !

***

واسلوب العقاد فى تثقيف نفسه أحد الدعامات التى يقوم عليها اعتـــداده بذاته ، واذا كان عقل الانسان أحد أدوات التطور ودفعه الى الامام ، واذا كان نور المعـــرفة هو الذى سينقذ الانسان من التخبط فى ظلام الحياة بلا غاية ولا هدف فقد ظل العقاد طول حياته عاكفا على الاستزادة من المعرفة ٠

قال الدكتور لويس عوض « أما العقاد ، فالحقيقة ان تبويبه صعب ، لانه بالرغم من ان ثقافته الاجنبية هى الانجليزية ، الا أن أقرب شيء اليه هو فى رأيى الفلسفة الالمانية ، ولست بقادر على تعليل هذه الظاهرة عند العقاد ٠٠٠ »

ووافق العقاد على هذا الرأى وعقب عليه قائلا :

« فالمعلوم ان الفيلسوف الالمانى على الاغلب ، صاحب مذهب شـــامل يفسر الوجود كله ويحاول تطبيقه على جميع ظواهـــره ، وان يحصر كل تعليـــــل من التعليلات العامة بين مقدماته ونتائجه ، ولهذا يسهل تبويب الافـــكار على حسب هذه المذاهب الشاملة التى تحيط بتفاصيل الرأى بغير استثناء ، أو مع استثناء القليل ٠٠ اننى على اجلالى لفلاسفة الالمان لا أستطيع ان أتقيد بنظام فلســـفى واحد يحيط بجميع العلل والتفسيرات ، وأرى ان الحقيقة الكونية أوسع وأكبر من ان يحصرها تفكير ذهنى واحد بالغا ما بلغ من السعة والنفـــاذ ٠ ولا غنى عن التماس أجزاء الحقيقة حيث كانت هنا وهنـــاك على تعـــدد المذاهب ومنـــاهج التفكير ٠٠٠ »

ولكن هل كان العقاد يلتمس « أجزاء الحقيقة » عن طريق العقل وحده ؟

ان تأكيد الذات مثلما نرى عند العقاد وعند رجال الفن عامة ، والاصرار على

كرامة الإنسان في شعر العقاد

موقف معين لا يتأتى الا لمن آمن أن وراء الحياة ارادة وهدفا ، ومن شأن التفكير المجرد ان ينتهي بالعقل الى مجموعة من المعادلات المتناقضة التى تؤدى الى البلبلة والتشرد الذهنى . ولكن الشاعر الذى يعيش بجماع ملكاته ومواهبه يفتح قلبه للحب ويجعل من روحه مرآة تتلقى وحى الطبيعة وقيثارة تلمسها أصابع المجهول فتترنم ، هو الذى يؤمن بالحياة ويحبها ويتحمس لها ويعيشها كاهنا من كهنتها.

والعقاد لم يعش بالعقل وحده بل عاش بكل أدوات الحياة واستنطقها شعرا ، فاذا كان العقل هو ربان السفينة الماسك بدفتها والمسئول عن سلامتها ، فلا بد له من البحر ذاته ، ولا بد له من الموج والريح والضياء الذى يوضح معالم الطريق ، ولا بد من ميناء يرسو عنده جواب الافاق ، بل لابد من الايمان بجدوى الرحلة وغايتها حتى اذا لم تكن واضحة محددة ، بل يكفي انها مستكنة في طوايا النفس وأعماق الروح .

فى هذا المعنى يقول العقاد :

ليس الذكاء على الحياة مهيمنا ... ان الحياة على الذكاء تهيمن !
والعقل من نسل الحياة وانما ... قد شاب وهى صغيرة تتزين !
والطفل تصحبه الحياة وما له ... لب يصاحب نفسه ويلقن
والناس قد عاشوا وما كان الحجى ... الا جنينا فى الحشا يتكون
ان العواطف كالزمام يقودنا ... منها دليل لا تراه الاعين !

ويقول أيضا :

الروح يطمع ان يتيه بلا مدى ... والعين ترسم فى الفضاء خطاه
البحر اقدم والنفوس قديمة ... فالنفس تالفه ولا تنساه

ويلتمس معانى الحياة الخفية فى الموسيقى فيقول :

اليك تناهى كل علم ومنطق ... فسيان منطيق لديك واعجم
اذا ما ابان القول مبلغ علمه ... فقولك عما ليس يدرى مترجم
وكامنة بين النفوس بداهة ... وما علمت فى مهدها ما التكلم
اعيدى على القول انصت واستمع ... حديثا له فى فيضة القلب ميسم
حديثا يناغيني واذكر اننى ... تسمعته والقلب وسنان يحلم
واوغل بالذكرى فازعم انه ... قديم كعهد القلب او هو اقدم
ويا ليتنى أدرى انفس سحيقة ... تنادين منها ام فؤادى المكلم

***

وفى سبيل تاكيد العقاد للمثل والمبادىء التى ارتضاها لنفسه ، كان لابد له من عدم مهادنة الشر ... كثرت مهاجمة العقاد للمتخاذلين والمنحرفين من أهل الجيل الذى نشا فيه ، وكان جيلا متخلفا يعانى من الاستعمار والاقطاع ، ولم يكن العقاد ـ من وجهة نظره ـ يلتمس العذر لمن يرضى لنفسه الهوان والخمول ، بل كان يرى ان ارادة الانسان كفيلة بأن تسمو به عن مواطن السوء وتزوده بالقدرة على مكافحه الرغبات الدنيا ومقاومة تيارات الخمول والتواكل والانحراف ، وفى قصيدته « سباق الشياطين » ترك الرذائل تتحدث عن نفسها .

«لقد ساق بقية الرذائل : الياس والندم والهوى والكسل والرياء وكل رذيلة

تسفر بلسانها عن بشاعتها .. ثم يفوز الرياء بالجائزة .

ويكره العقاد الضعف والضعفاء كما يبغض استكانة المظلوم فيقول :

انصفت مظلوما فانصف ظالما   فى ذلة المظلوم عذر الظالم
من يرض عدوانا عليه يضيره   شر من العادي عليه الغاشم

ويشرح وجهة نظره قائلا :

« ... وانني لأبغض ان يكون غيرى ضعيفا محتقرا أمام متجبر متحكم . فاحرى بي ان أبغض ذلك لنفسى ، ولتبلغ بأحد من الناس غطرسة ان يكون ظالما ، فلن يبلغ بي الضعف ــ والحمد لله ــ ان أكون من المظلومين ... »

وهو القائل يوم خرج من السجن :

عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما   سيعهدني كل كما كان يعهد !

فهو يصادق من أجل غاية مشتركة ، ويعادى من اجل خلاف علي عقيدة أو خطة او برنامج أو مصلحة من مصالح الناس ...

ويبقى الحب ...

عرف العقاد هناءة الحب كما عرف لوعته .

كان عفيفا في حبه ، وكان الحب عنده عطاء :

لا تطلب الحب بين الناس تاخذه   بل فاطلب الحب تعطى منه ما تجد
اشقى البريه من لم يعنه احد   وليس من كان لا يعني به احد !

بل كان الحب عنده هو مفتاح كل مغاليق الوجود والسبيل الى جلاء كل غامض منها :

ولانت نور للمحاسن لا يرى   لولاك منها غامض او سافر
واللب يثمر ما اجتلاك ، فان تبن   عنه حلاك ، فكل لب عامر !

***

وان السموات العلى لا تنير لى   طريقا ، ولكن انت تهدى ضمائرى
وان رياض الارض ليست تسرنى   بشيء ، ولمح منك يفعم خاطرى

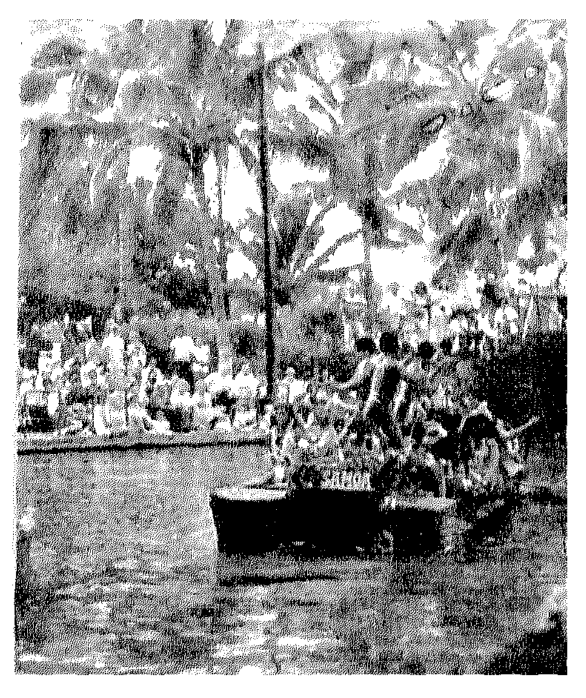
***

واريتني ما لا ترى ووهبتني   ما لست تملكه فما لك شاكر
محضتني سر الحياة وسرها   خاف عليك جليله والضامر
ان الضياء يرى العيون ولا يرى   والحسن يوقظ وهو غاف سادر !

وهكذا يحتضن الحب الدنيا والكون ...

تلك هي أبعاد الشخصية الانسانية عند العقاد : استثمار الانسان لكل ملكاته، وارادة الوصول الى أسمى الغايات الانسانية ، الوعي الكونى ، الصبر على الألم ، عدم مهادنة الشر ، تقديم رضا النفس على منافع الدنيا ، التأكيد الإيجابى للذات والسمو بالحب .

وكرامة الانسان ــ كما عبر العقاد شعرا ــ تتمثل فى السعى الدءوب لبلوغ تلك الغايات .



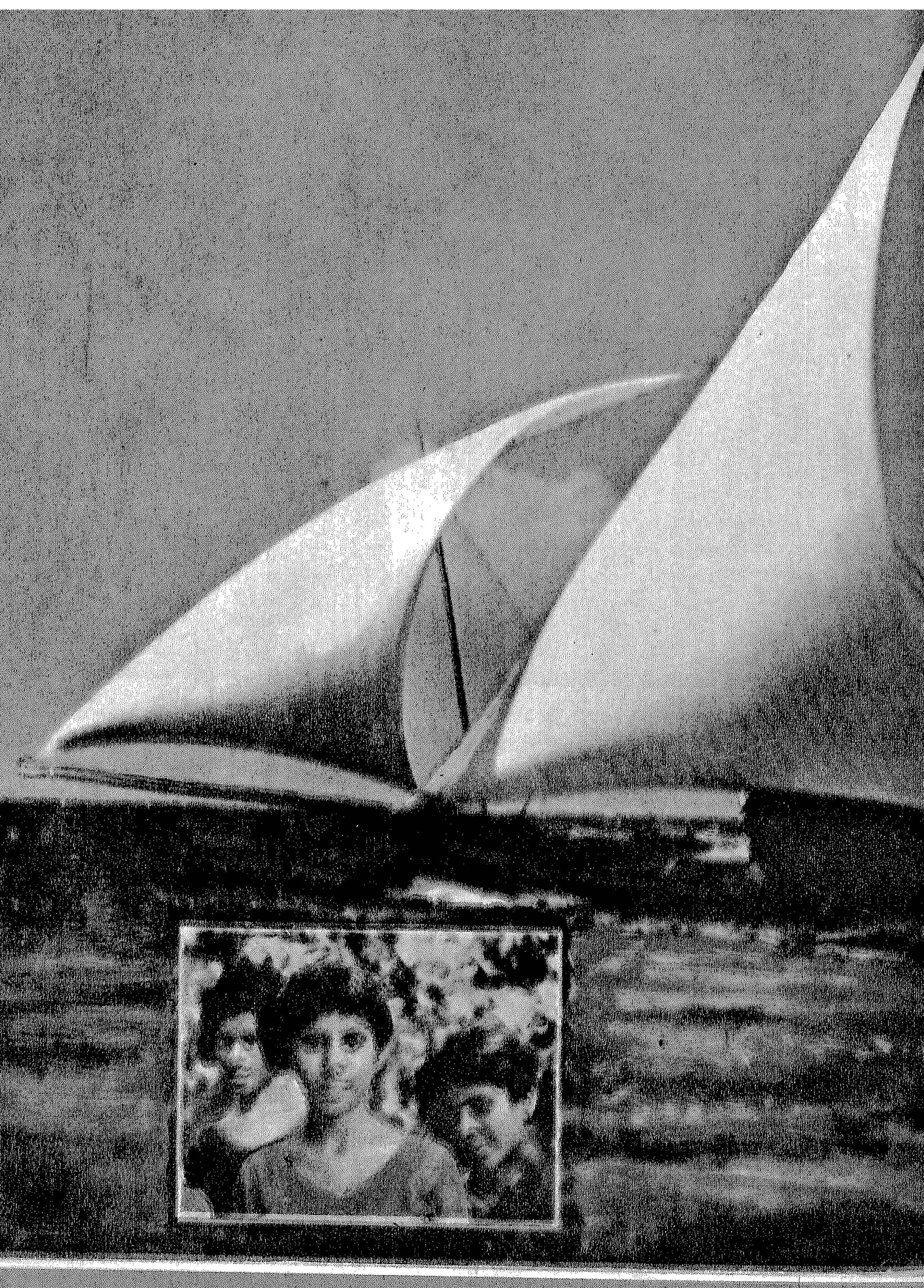


جزر النساء

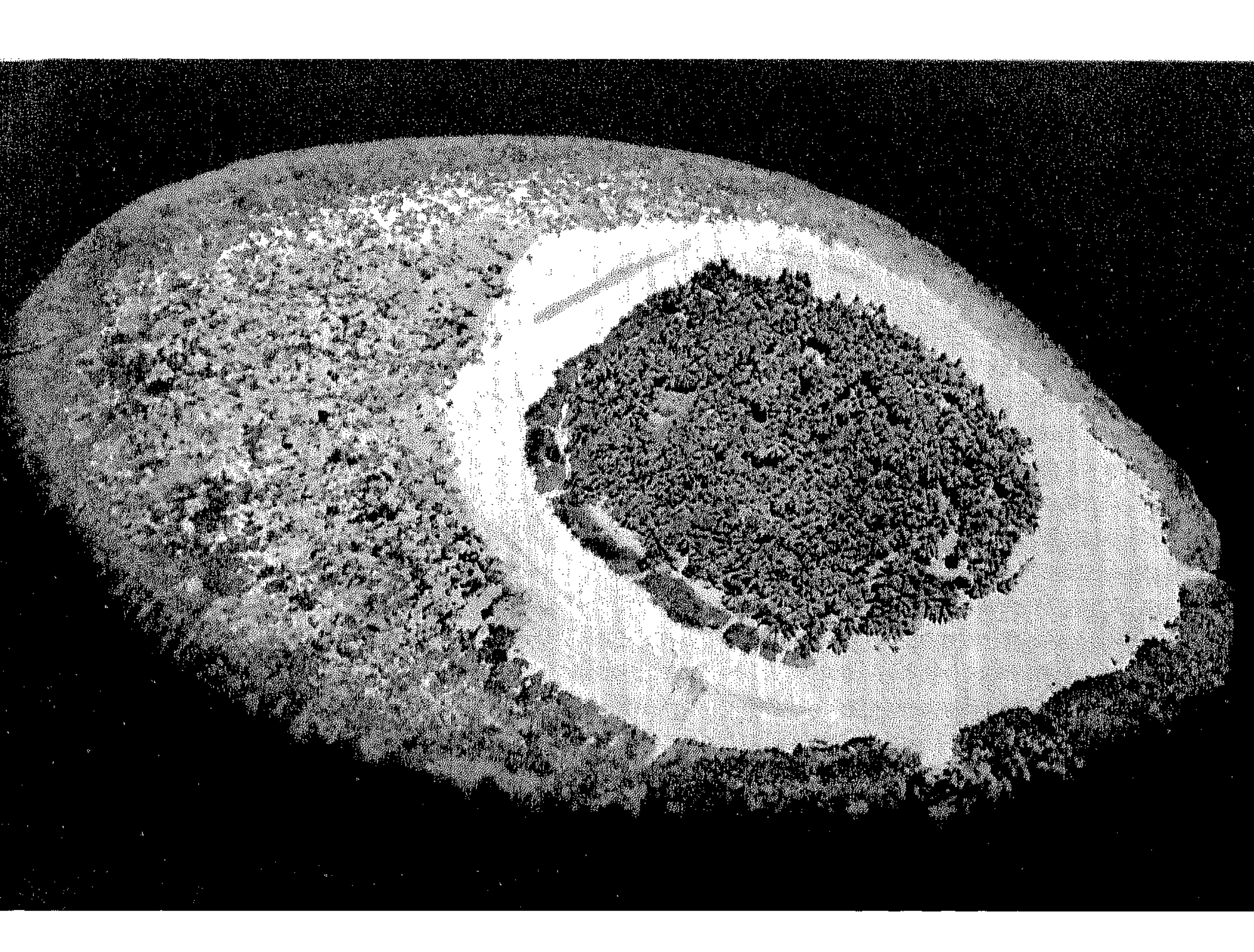
نحو ألفي جزيرة ساحرة في المحيط الهندى أهلها كلهم مسلمون، ونساؤها فتنة للناظرين

من ستة قرون حدثنا ابن بطوطة عن جزر المديف أو «ذيبة المهل» وامتدح اهلها ووصفهم بصحة الاسلام والصلاح .. ووصف نساءها بالجمال الفائق .

وقد اعجبته فعاش فيها بضع سنوات وتزوج وانجب . والان نأتى بهذا الاستطلاع الذى كتبته صحفية المانية زارت الجزر اخيرا وأيدت كل كلمة قالها ابن بطوطة عن هذه الجنة النائهة فى مياه المحيط الهندى .



قارب من القوارب الجميلة التي اشتهرت بها جزر الملديف ، انها قوارب شراعية مزودة بمحرك آلي لكي تستطيع التنقل بين الجزر في مياهها الضحلة ، وفي ركن الصورة ترى عددا من شباب ملديف ، انهم متفائلون بالحياة سعداء في جزائرهم خلف أمواج المحيط .



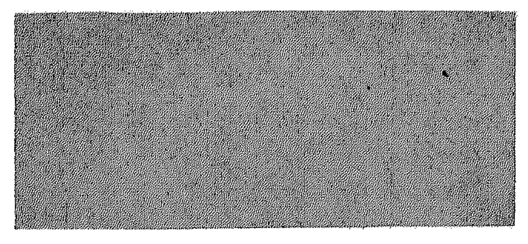
احدى جزر ملديف المرجانية كما تبدو من الجو . انها جنة من الخضرة ونخيل النارجيل ، وفى هذه الجنة تعيش امة اشتهرت دائما بجمال نسائها ..

● جولة قصيرة فى بلد اسلامى جميل مجهول ●

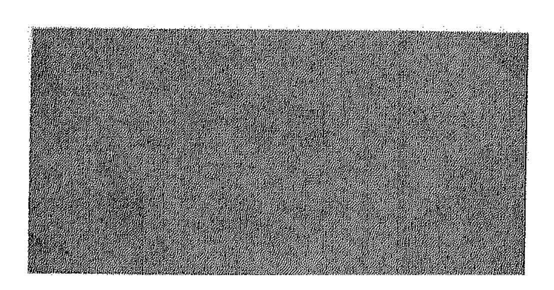
البلد هو جزر الملديف أو ذيبة المهل كما يسميها الجغرافيون العرب . انه مجموعة من الجزر الصغيرة يبلغ عددها نحو ألفين ، فى الطريق البحرى من عدن الى جزيرة سيلان أى بلاد سيريلانكا . الاتصال الجوى بالجزر يتم عن طريق كولومبو عاصمة سيريلانكا ، ومدة الطيران ساعتان لان المسافة بينها وبين «آرى» مطار عاصمة الجزر حوالى ٨٠٠ كيلومتر . الجزر كلها مرجانية ، وهى ليست كلها مسكونة اذ ان عدد المسكون منها لايزيد على ١٩٢ جزيرة . بعضها يسكنه الناس فى فصل المطر فقط ، فتزرع النساء شيئا من الشعير ويجنى الرجال محصولا متوسطا من جوز الهند ويستخرجون مقادير طيبة من زيت نخيل جوز الهند ويصيدون الاسماك ويملحونها ويجففونها ، وعندما يتوقف المطر وتقل كميات المياه الموجودة فى هذه الجزر يرحل الرجال والنساء عائدين الى جزيرتهم الاصلية ، وقد جمعوا زادا طيبا يتغذون ببعضه ويبيعون بعضه . هناك جزر قاحلة لا تسكن أصلا لانها كتل من الصخور المرجانية بارزة فوق سطح الماء وليس فيها أى نبات أو حيوان .

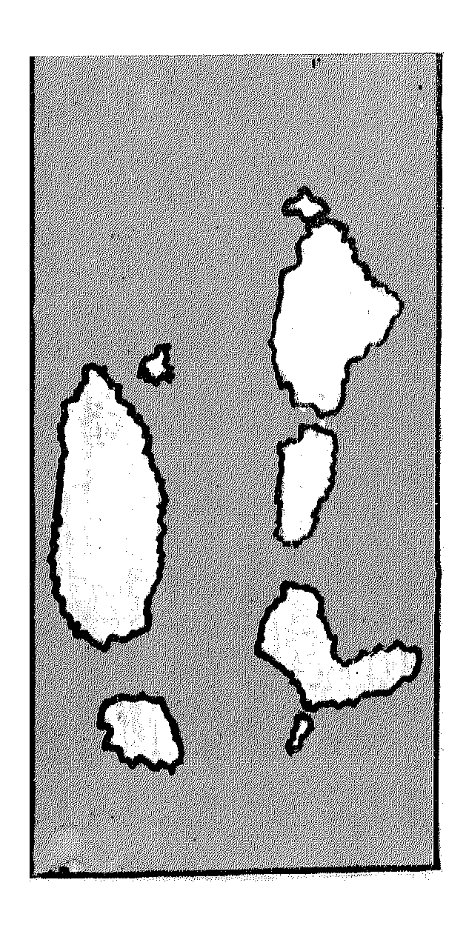
هذا البلد الصغير المكون من هذه الجزائر مسلم كله ، واهله متدينون على جانب كبير من الصلاح وطيب الخلق . فى كل جزرهم الكبيرة مساجد جميلة ، وفى الجزر الصغيرة زوايا ، والبلد جمهورية مستقلة وهو عضو فى الامم المتحدة .

الناس لا يعرفون عن هذا البلد الا القليل ، لان أهله لا ينتقلون الى الخارج أو يسافرون الا للحج الى بيت الله الحرام أو للمتاجرة مع الهند وسيريلانكا وسلطنة



خريطة لاكبر جـزر المليف وأهمها ((ماله)) وفيها العاصمة وراسو وفيها المطار ((آرى)) وهى أغنى هذه الجزر وخوليدو ونيلاندو الشمالية • الاتصال بين الجزر يتم بواسطة سـفن شراعية صغيرة تركب فيها موتورات أحيانا ••





عمان واليمن • ليست لهم الا سـفارات قليلة ولكن لهم وفدا فى هيئـة الامم يتألف من رجلين • وهم مسالمون جدا ولايتدخلون فيما لايعنيهم ، وقد حصنهم الاسلام ضد مساوىء الحضارة الغـربية التى اكتسحت الكثير من أهل جزر بحار جنوب آسيا وجنوبها الشرقىومجموعات جزر بولينيزيا • ولكن الناس هناكليسوا متأخرين ولا بعيدين عن العـالم • ان قادتهم يعرفون كل شىء عمـا حـولهم وما يجرى فى الدنيا ، ولكنهم يعـرفون انهم بلد صغير لا يزيد عدد سكانه على ١٢٣٠٠٠ نسمة ومن هنا فلا صالح لهم فى الدخول فى مشاكل دولية ، ولهـذا قل ان تسمع بجزر المليف فى الاخبار • أكبر الجزر تسمى « ماله » وهـو اسم العاصمة • أما المطار فيوجد فى جـزيرة صغيرة الى جنوب غربها تسمى راسو وهو من انشاء الانجليز أيام كانوا يسيطرون على هذه الجزر • انهم لم يسـتعمروها ولكن رؤسـاء مليف هادنوا الانجـليز وسمحوا لهم بالدخول لدراسة الجزر • الخريطة الوحيدة المعتمدة لكل هـذه الجزر من عمل البحرية البريطانية • من حسن حظ جزر المليف ان مواردها على قدر حاجة أهلها ، فلا مصـلحة لاحد فى استعمارها كذلك لاتوجد من بينها جزيرة واحدة ذات حجم يصلح لانشاء قاعـدة عسكرية أو بحرية ، ثم ان الجزر محاطة بالشعب المرجانية • لهذا حذرت أساطيل الدول الاوروبية ان تدخل الجزر • لهذا سلمت من الاسـتعمار وعاش أهلهـا فى سلام •

***

جزر المليف أو ذيبة المهل معروفة لنا نحن العرب معرفة جيدة ، فقد زارها ابن بطوطة رحالة الاسلام سنة ١٣٣٠ وقضى فيها فوق العامين ، وهناك عين قاضـيا وتزوج أكثر من مرة وتمتع بأسعد أيام حياته ، وقد تحدث عنها فى رحلته حديثا طويلا •

وابن بطوطة هو أول من لفت الانظار الى جمال نساء المليف فهن فى نظـره ذوات حسـن بارع ووداعة ظاهـرة مطيعـات لازواجهن ، وهن لا يكلفن الرجال مالا ولا نفقة ، فالرجل هناك معزز



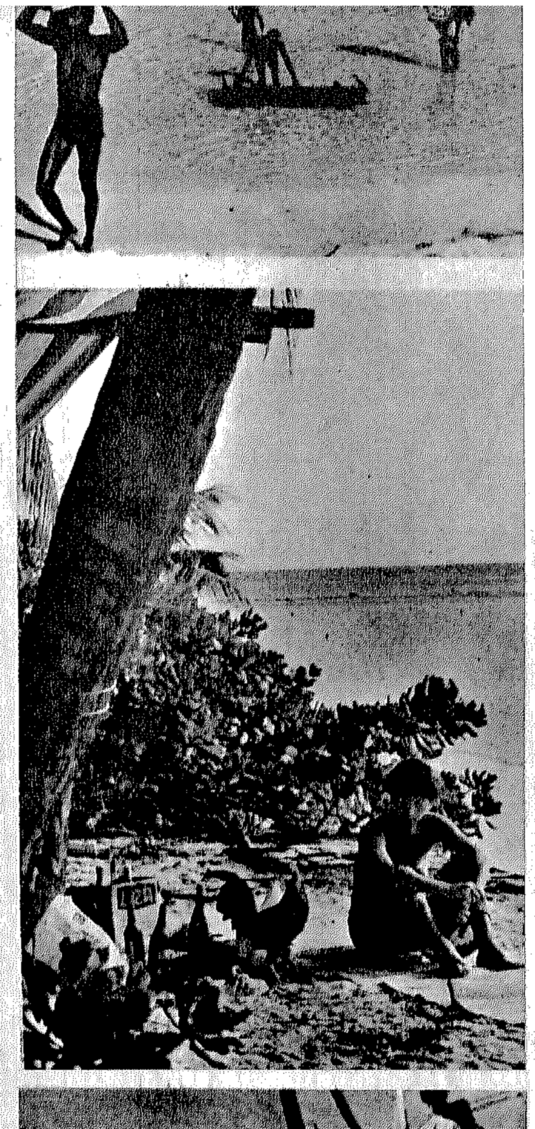
ملديف جزر النساء

هكذا يبدو شاطىء احدى جزر الملديف للزائر القادم من بعيد . انه يصل الى تلك الجزيرة في سفينة شراعية صغيرة فيها محرك يعمل اذا توقفت الرياح ... الشاطىء اخضر زاهر مشرق تزين خضرته اشجار النارجيل ذات الاوراق العريضة ، وبين الاشجار تقف عشرات النساء والاطفال . ان النساء لا يقفن ترحيبا بالسائح ولا هن يردن منه شيئا ، انما هو التطلع والرغبة في رؤية هذا القادم من بعيد ، انهن ضاحكات باسمات واطفالهن يحيطون بهن وكلهم مرح وتطلع ورغبة في التعرف على القادمين ... ما يكاد الغريب ينزل الى الشاطىء حتى يختفي هذا الجمع كله بين الاشجار ، لقد رأت النساء ذلك القادم واخذن عنه فكرة ولا حاجة لهن به بعد ذلك بعكس ما يحدث في الكثير من بلاد الشرق الاسيوي من تهافت النساء على الغريب يلتمسن منه المال .. ان نساء الملديف مسلمات عفيفات متمسكات بتعاليم دينهن وتقاليد بلادهن ، فهن لا يعرضن انفسهن قط وانما يأتين الى الشاطىء للفرجة ... تلك هي الصورة الجميلة لنساء هذه الجزر الغافية خلف امواج المحيط كما حدثنا عنهن ابن بطوطة من ستة قرون وكما تحدثنا عنهن السائحة الالمانية المعاصرة ماريون فريدل .



ملديف
جزر النساء

هكذا تبدو احدى جزر الملديف للسفن القليلة التى تقترب منها : جنة من الخضرة والنخيل عامرة بالنساء الجميلات والاطفال .. هذا سبب اشتهار الجزر بنسائها .





رجال الملديف او «ذيبة المهل» صيادون مهرة ، والسمك يكون أساس طعامهم ولهم مهارة كبيرة فى الغوص فى الماء وصيد الاسماك باليد ، فهم لايستعملون الصنارة أو الشبكة الا نادرا ، لان مياه بحار جزرهم حافلة بشعاب المرجان وهى جنة الاسماك ، والصائد الملديفى يستطيع ان يمكث تحت الماء نصف دقيقة يخرج بعدها وبين ذراعيه سمكة فى طول بدنه ، هذه هى طعامه وطعام اهله لليوم، ولكنه يصطاد اسماكا كثيرة اخرى ليبيعها او ليجففها ويختزنها لوقت الحاجة .



« نسيمة » بنت ملديف الجميلة ، انها تحمل على رأسها اناء من خشب صنعته بيديها من جذع شجرة ، وهذا الاناء ملىء بزيت نخيل النارجيل ، وهو غذاء طيب حافل بالفوائد ، وهو دواء للكثير من الادواء ، وهو ايضا زيت تجميل . انه ينعم الشعر ويكسبه البريق والليونة ويحمي البشرة من وهج الشمس ..



نموذج من جمال نساء ملديف . هــذه الشابة الجميلة تحمل على راســها اناء مصنوعا من جذع شجرة نارجيل مليئا بزيت هذا النوع من النخل ..

● ● ●

مكرم تخدمه زوجاته وربما وفرن عليــه مئونة العمل .

جمال نساء ملديف يرجع الى ان سكان الجزر جميعا خليط من العرب والملاويين واهل سيلان او سرنديب او سيريلانكا. هناك أثر للهنود لان اهل الجزر لايرحبون بغير المسلمين ولا يسمحون لهم بانشاء المتاجر فى بلادهم . السفن تقف بعيدة عن الجزر فى عرض البحر ، وتجـــار ملديف يذهبون اليها فى سفنهم الصغيرة ليشتروا ويبيعوا . ومحصولات الجزيرة مطلوبة جدا فى الاسواق التجارية رغم قلتها ، فهذه الجزر تخرج احسن اصناف زيت نخيل النارجيل او جوز الهنـد ، ولديهم اعشاب طبية كثيرة مطلـوبة فى اسواق آسيا لان معظمها ينشط الرجال ويزيد الحيوية . لقد تحدث عن ذلك أيضا ابن بطوطة . ولكن رحالة فرنسيا يسمى بيرار أساء فهم أولئك النـاس وكتب فى وصف رحلته وزيارته للجزر يقول ان اهل ملديف نساء ورجالا لا عمـــل لهم الا الزواج والطـــلاق وانجاب الاطفـــال . الحقيقة ان نساء الملديف يتزوجن ويطلقن بغاية الســـهولة ، وامرهن بأيديهن ، والواحدة منهن ربما تزوجت لاســـبوع واحد ، وهن لا يتزوجن من الغرباء الا اذا كانوا مسلمين . فنســـــاء الملديف شديدات الاعتزاز والتمســـك بدينهن الاسلامى ، وهن ايضا شــــديدات العناية بجمالهن .. تغتسل الواحـدة منهن اكثـــر من مرة فى اليـــوم ، وتطيب شـــعرها وجســـدها بزيت النارجيل والمطـــور . وبنـــاتهن الشابات فى غاية الحسن والواحدة منهن لا تكف طوال يومها عن النظر فى المرآة وتزيين شـعرها ووجهها ، وملابسهن « ملاحف القطن » هكذا قال ابن بطـوطة ، ويراد بملاحف القطن ما يعرف اليوم بالســـارى وهو الثوب النسائى الهنـدى المعروف : تلف المرأة جسدها بقطعتين من القماش . واحدة للصدر والرأس والثانية لبقيـــة الجسد . ونســـاء ملديف لا يسرفن فى الحجاب ومعظمهن يسرن فى الطريق دون ان يسترن وجوههن ، ولكنهن محافظات على أنفسهن ، وعندما زار الجـــزر ابن بطوطة ، كانت تحكمها امـــرأة . كانت وصية على العـــرش ، وهى فى رأى ابن بطوطة حكيمـــة عادلة حازمة ، ولكنه استنكر رياســـة المرأة على الرجال ، وان كان قد سعد بكرم هذه السلطانة وحسن معاملتها وسعة صدرها معه . ففى هـذه الجزر ارتكب ابن بطـــوطة ● أخطاء جسيمة انتهت بخروجه منها شبه مطرود .

● د. حسين مؤنس ●



علماء وراء سر الحياة

من ثمانية قرون تنبه ابو الريحان البيروني الى ان نطفة الكائن الحى تضم الكائن الحى كله وان بذرة النخلة تضم النخلة ، ولكن احدا لم يواصل تفكيره حتى يصل به الى ما وصل اليه علماء البيولوجيا اليوم ، وفي هذا المقال والاستطلاع نحدثك عن البيروني طليعة علماء الاحياء ثم عن سبعة من علماء العصور الحديثة تمكنوا من استخراج مادةالحياة وهى حامض د.ن.ا. الذى أودعه الله سر تكوين كل كائن على النحو الذى تكون منه ابوه الذى انجبه .. ولكن ما هو سر ال د.ن.ا. ؟ .. هنا تقف حدود العلم الانساني ..

● ● ●

جريجور مندل

كان جريجور راهبا نمساويا يعيش في دير ، وكان من هواة الزهور والنباتات لا يزال يزرعها ويعنى بها في اوقات فراغه . وقد استلفت نظره ان تناسل الاحياء بعضها من بعض محكوم بقوانين ثابتة رياضية ، فكرس حياته للوصول الى هذه القوانين . وجعل يزرع البقول المختلفة الانواع بناء على خطة وضعها . وكان البقل الذى اختاره هى البازلاء ، لان منها صفراء وخضراء ، وهى تنمو وتتكاثر بسرعة . فكان ياخذ بذرة بازلاء خضراء ويزرعها ، فاذا نمت طعمها بفصن من بازلاء صفراء فيجد ان المحصول بازلاء صفراء .

اذن فهناك قوانين تحكم الوراثة ، وقد تمكن من كشف الكثير من قوانين الوراثة اثناء حياته . ووضع اساس علم الوراثة.

وهو باب عظيم من ابواب علوم الاحياء ، مع ان احدا من معاصريه لم يتنبه الى اهمية كشوفه الا بعد ١٦ سنة من وفاته عندما اكتشف العلماء مندل نفسه سنة ١٩٠٠.

علماء وراء سر الحياة ..

ان اعظم كشف تم فى علوم الاحياء خلال السنوات الاخيرة هو التوصل الى استخراج مادة الحياة من الخلية وعزلها عن بقية بنيان الخلية واجراء التجارب عليها ..

هذه المادة التى تطلبت من العلماء اكثر من ثلاثة قرون للعثور عليها هى حامض هلامي يشبه بياض البيض يوجد فى داخل الخلية . انه يسمى د٠ن٠أ٠ وهو اختصار اسمها العلمى .

هذا الحامض الهلامى الذى يوجد فى كل خلية هو الذى يحمل سرها كله : هو الذى يحمل « الشفرة » أو السر الذى يجعل خلية الكائن الحى تلد خلية مثلها تماما .

تلك المادة هى سر الحياة كله

انهم يستخرجونها اليوم من الخلية ويجمعونها فى آنية ويحقنون جزءا منها فى ظهر حيوان صغير ، فيطردها جسم الحيوان ، ويخرج معها شىء من خلايا جسده.فاذا أخذت السائل الخارج ووضعته تحت الميكروسكوب رأيت عجبا ! رأيت أمام عينيك بركة صغيرة فيها سائل وفى السائل الوف من الاحياء الصغيرة التى تتحرك فى حالة عصبية تدهش العقل .. هذه الاحياء التى تراها هى قطع صغيرة جدا من حامضد٠ن٠أ٠ يرتبط بعضها ببعض ولها ذيل يحركها لكى تجد المكان المناسب لها فتستقر فيه وتاخذ فى النمو ..

عندما تضع حبة ذرة فى طين وترويها فان حبة الذرة لا تلبث ان تتفتح ويخرج منها جذر أخضر يمتد داخل الطين باحثا عن غذائه ، هذا هو الجذر ، ويطلع منها جذع صغير أخضر يشق الطين صاعدا الى الهواء والنور . فى أول الامر يكون لونه أبيض ، تستطيع ان تراه بعينيك .. بعد ساعات تصدر له الاوامر من حامضد٠ن٠أ٠ فى خلاياه فياخذ ثانى أوكسيد الكربون من الهواء ومواد اخرى ويصنع المادة الخضراء التى تلونه . حامض ال د٠ ن٠ أ٠ يتكاثر من تلقاء نفسه وينبت فى الجذر والجذع ويصدر أوامره فيطلع جذر شجيرة الذرة بالضبط كما أراد له الله ان يكون وبعد قليل يبدأ الجذع فى اخراج أوراق الذرة ثم كيزان الذرة .. ثم حبات الذرة ..

فى نفس الوقت تكون الجذور البنية الرفيعة قد تفرعتداخل التربة وسار كل منها يطلب الغذاء اللازم للذرة — فى كل شعرة من شعرات الجذر ملايين من مادة ال د٠ن٠أ٠ الخاصة بالذرة وبقيةمكونات خلية الذرة .. كل منها يصدر أوامره لنفسه وغيره ليكون الكائن الحى الجديد صورة من الكائن الحى القديم .

ولكن .. ما هو هذا الحامض الذي هو سر الحياة ؟

وهل يستطيع الكيميائى ان يركبه ؟ مستحيل

انه سر الحياة وهو بيد الخالق سبحانه

لقد ورد ذكره في القرآن فى الآيات ١ — ٣ من سورة الانسان . **((هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا . انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا))**

هنا يتحدث القرآن عن الانسان الذى لم يكن ثم كان ، وكان خلقه نطفة تتكون من أمشاج ، والامشاج فيما نرى هى ال د٠ن٠أ٠ التى تسبح فى سائل النطفة والنطفة اذا وضعت جزءا منها تحت الميكروسكوب رأيت ما وصفناه لك آنفا : مادة هلامية مثل بياض البيض تسبح فيها الحيوانات المنوية فى حركات عصبية ..

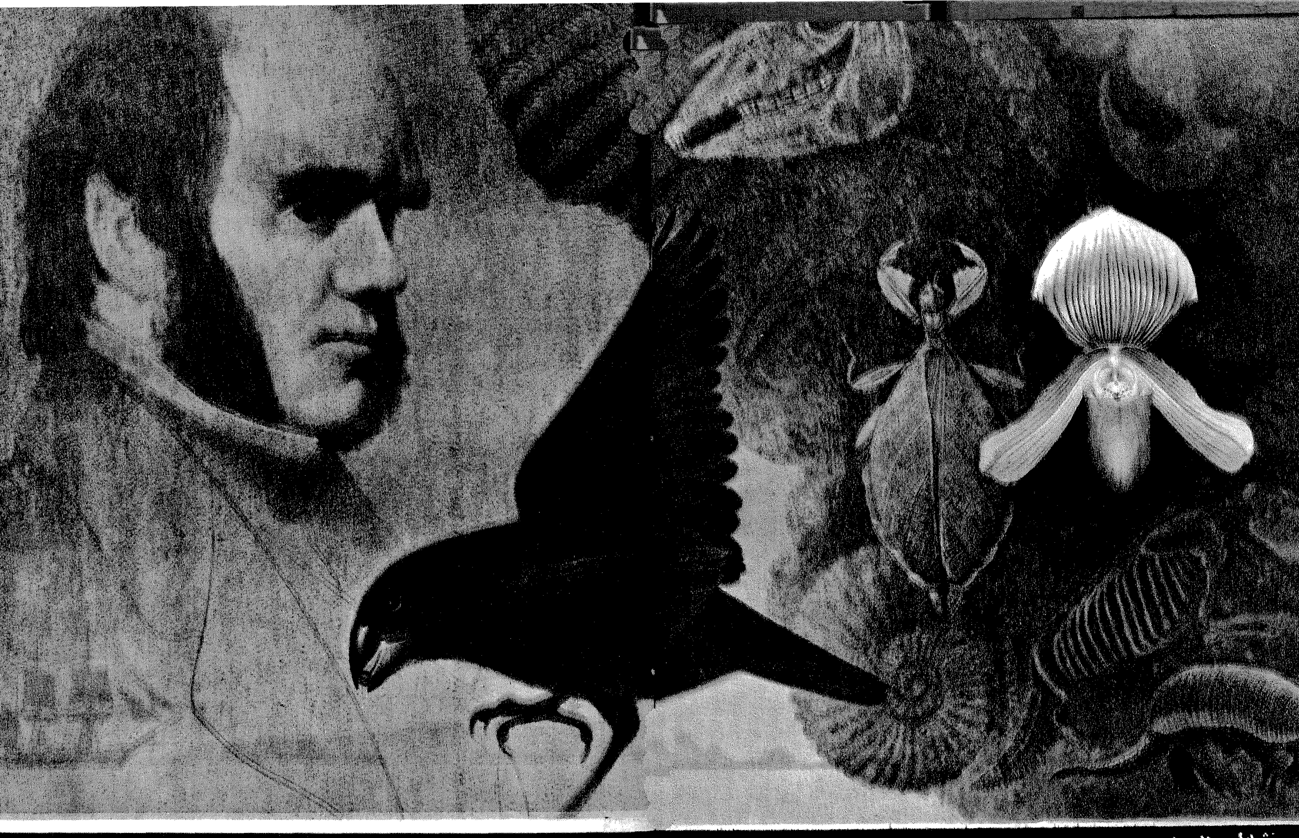
لوى باستير

فى سنة ١٨٦٠ اكتشف باستير أن الذى يخمر العجين وعصير العنب هى كائنات حية صغيرة تعيش بالالاين فى كل ملليمتر مربع، واننا نستطيع ايقاف تخمر العجين وعصير العنب اذا سخنا العجين والعصير تسخينابطيئا الى درجة حرارة فوق الاربعين أو الخمسين ، وذلك ما نسميه اليوم بالبسترة او التعقيم ، لقد عرف باستير أن التخمر ينتج من أن هذه الكائنات الحية تلتهم العجين والعصير وتهضمه لتعيش منه ، وهذا الهضم هو الذى يحدث التخمر .

بهذا الاكتشاف احدث باستير ثورة فى العلم واثبت ان الحياة دورة منتظمة ، فكل كائن حى عندما يموت يتحلل ويصبح طعاما لكائنات حية صغيرة لاتحصى ، وهذه الكائنات بدورها طعام لكائنات اخرى وهكذا .

ولكن اكتشاف باستير الاكبر هو ان الكثير من الامراض تسببها كائنات حية هى الميكروبات ومثال ذلك الحميات ، واننا اذا اوقفنا عمل الميكروبات تخلص الكائن الحى من المرض ، وقد استعان فى ذلك بالتسخين أو البسترة وغلى المادة المراد تطهيرها وهو التعقيم ، واخترع التحصين بالمصل ، وكان اول مصل اعده هو مصل مرض الكلب

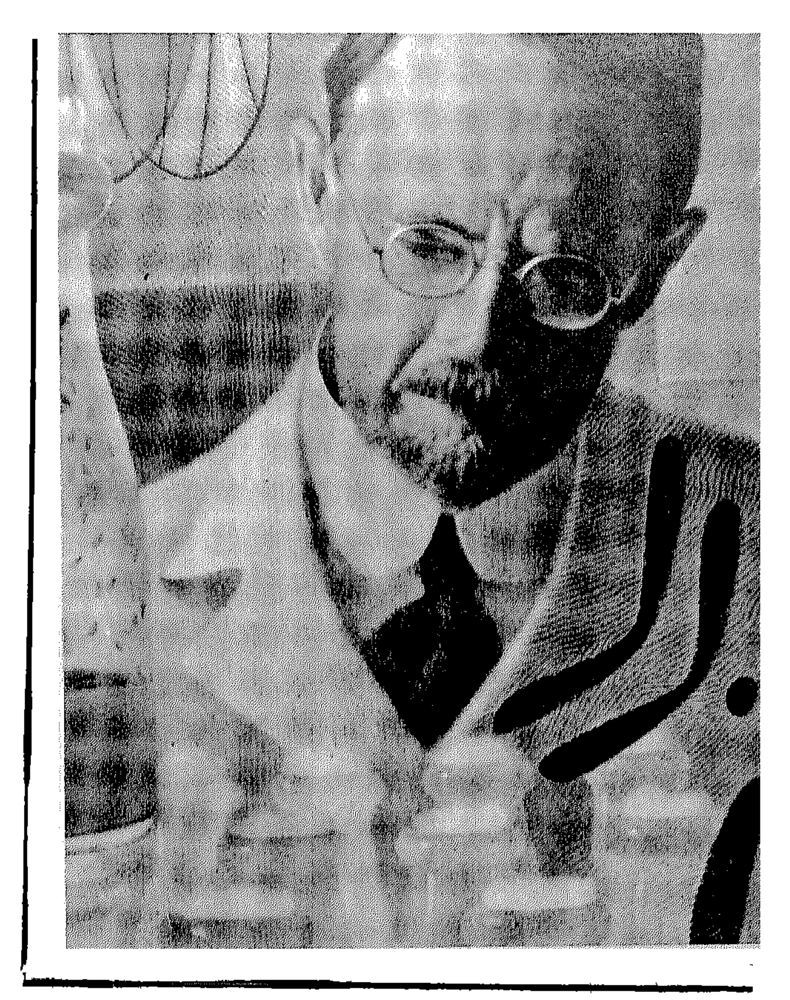




تشارلس داروين

يعتبر داروين من اقطاب علماء الحياة الذين احدثوا ثورة لا فى عالم الاحياء فحسب بل فى كل ميادين العلوم والفكر الانسانى كله ٠٠ لقد اكتشف نظرية التطور وعرف سبب اختلاف اشكال المخلوقات الحية واسرار تكيفها مع البيئة التى تعيش فيها وصراعها من اجل البقاء ، وهذا التكيف نفسه وسيلة من وسائل المحافظة على البقاء ٠٠ قام داروين برحلته العلمية المشهورة على ظهر السفينة ((بيجل)) ، وكان فى كل مرحلة ينزل الى البر ويدرس الحيوانات والطيور ويفكر فى اساليب معيشتها وتغير اشكالها لكى توائم بين كيانها ومتطلبات الحياة فى البيئة ، وانتهى الى أن كل جنس يتطور فى نوعه مع الزمن ، وان البقاء لاصلح الكائنات لبيئته التى يعيش فيها ٠

وقد توصل الى الكثير من آرائه وهو مقيم فى جزر الجلاياجوس الواقعة فى المحيط الاطلسى قرب ساحل الاكوادور ٠ هذه الجزيرة متحف أحياء ٠ فهى بعيده عن العالم واحياؤها من نبات وحيوان وطيور تتصارع للبقاء فى صمت وشراسة ووحشية ٠ فى النهاية خرج الرجل بكتابه المشهور : اصل الأنواع ٠٠ الذى احدث الثورة الكبرى فى الفكر الانسانى كله ٠



توماس مورجان
يعتبر توماس هنت مورجان الامريكي من أعلام علم الاحياء الحديث ، فقد قضى عمره كله يجرب في معمله في جامعة كولومبيا ، واستعمل لتجاربه ذبابة تسمى الدروسوفيلا تمتازبميزتين :سرعة التكاثر وبان كيانها يتكون من اربعة أزواج من الكروموزومات شكلها هو الذى نراه باللون الاسود في الرسم ، فمضى يزاوج بينها بناء على خطة علمية وقواعد رياضية وضعها مواصلا بذلك عمل جريجور مندل . ولم يترك امكانية في التجربة الا لجا اليها ، فكان يختار ذبابات الفاكهة الدروسوفيلا من شتى الالوان واشكال الجسد والوان العيون وطول الاطراف ، وانتهى بعد نحو ثلاثين سنة من التجارب الى تثبيت قوانين الوراثة بكتابه الرائع « نظريةالجينات»

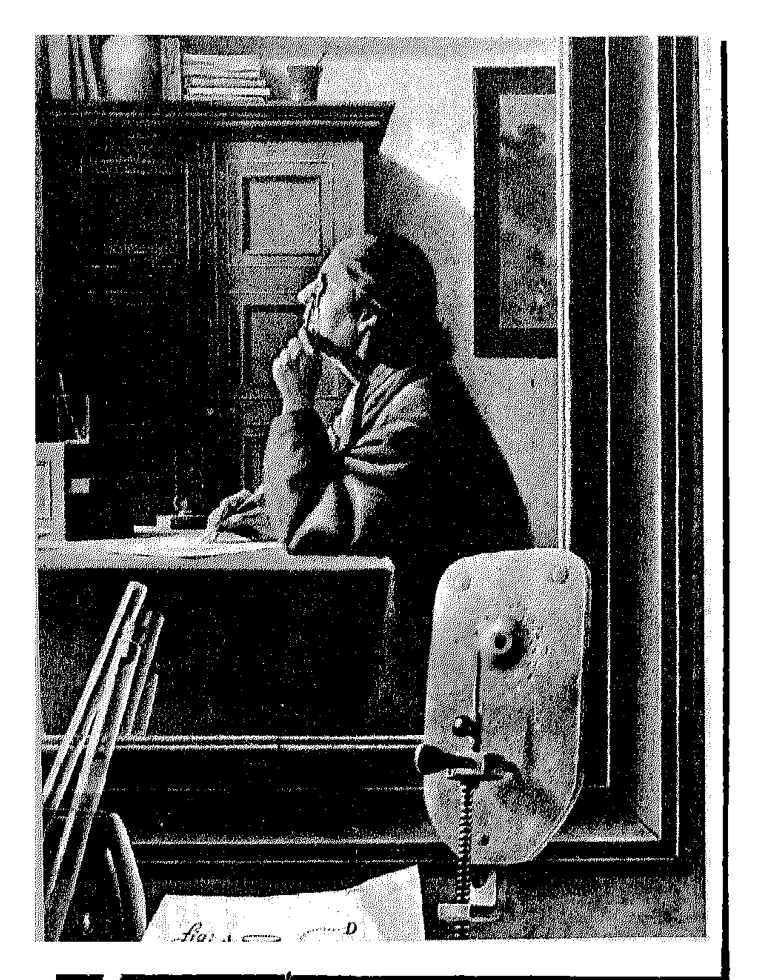
والحيوان المنوى ما هو الا مجموعة من ال د. ن. أ. لها ذيل يحركها ... انها أمشاج الانسان ، ونطفة الفيل تحمل امشاج الفيل،وبذرة الذرة تحمل أمشاج الذرة وكذلك ذرة بذرة الورد .

لقد كان ينبغي علينا نحن ان نتنبه الى سر الحياة هذا لان الله سبحانه ذكره في القرآن بهذا البيان المعجز ، ولفظ امشاج لا يمكن ان يكون معناه الخليط أو المزيج كما تقول القواميس ، لان هذا لو كان معناها حقا لاستعمله القرآن الكريم في هذا المعنى في آية أخرى .ثم ان ذكر الامشاج بعد التساؤل عنالزمن الذى لم يكن فيه الانسان ثم كان،كفيل بأن يلفت النظر الى حقيقة معنىالامشاج .

لقد استعمل القرآن الكريم اللفظ في الكلام عن النطفة لكى يلفت الخالق سبحانه أنظارنا الى حقيقة سر الحياة الذى يملكه الخالق وحده .. وقد أشار الى ذلك ابن عباس الذى روى ابن كثير في تفسيره ان نطفة الامشاج تعنى ماء الرجل وماء المرأة اذا اجتمعا واختلطا . وابن عباس هنا يقترب جدا من المعنى الذى نقصده هنا .

ان الامشاج اليوم بيد العلماء ، يستخرجونها ويقضون الايام ينظرون اليها على شرائح الميكروسكوب ويجرون عليها التجارب لعلهم يخترقون جدار سرها الرهيب .. لقد أنفق العلم الاوروبى ثلاثة قرون لكى يستخرج هذه المادة من جسد الخلية .. وقد حسب يوم اكتشفها انه وضع يده على سر الخلق ولكن هيهات ! انها سر الحياة وسر الكون ، وعند أبوابها يقف العقل البشرى عاجزا ، ولقد قال الله سبحانه في الآية الثالثة والسبعين من سورة الحج :«**ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له» صدق اللهالعظيم**

من بين مفكرينا المسلمين وعلمائهم من مس هذه الحقيقة من بعيد وتساءل عن سر الحياة ، فالجاحظ يحكى في اسلوبه الفكه ما وقع له مع واعظ من المشعوذين أمام المساجد كان يتحدث الى الناس في عجائب المخلوقات ويلقى على الناس تهاويل عجيبة عن حبة عنب في حجم البيت وحصان مجنح في ارتفاع جبلأبى



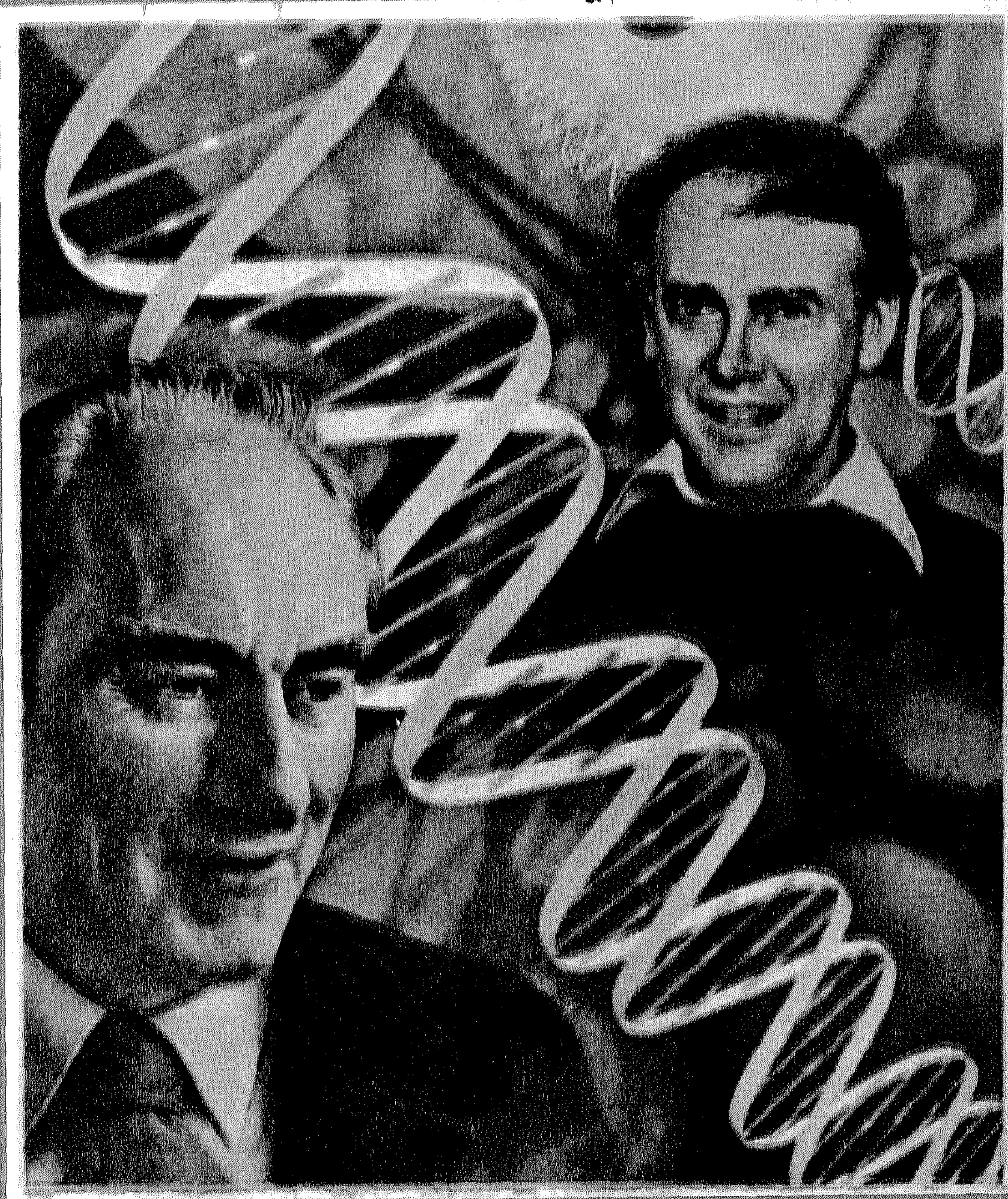
انطون فون لوفنهوك كان صانع عدسات هولندى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . لقد كانت العدسات التى يصنعها بدائية جدا ولا تكبر الا عشر مرات على الاكثر ، ولكنه تنبه الى ان هذا التكبير يكشف له حقائق لم يسبقه اليها احد ، فكان يضع نقطة الماء على شريحة من زجاج وينظر اليها بالعدسة فيرى الوف الكائنات الحية تسبح فيها ، وكان يضع نقطة من لعابه على الشريحة وينظر فيرى الوفا اخرى من الكائنات تلك هى الميكروبات التى كشف هذا الرجل الطيب سرها سنة ١٧٦٧ ، فى الصورة نراه فى مكتبه مع بعض الادوات التى كان يستخدمها فى بحوثه : انه يمسك بعدسة بدائية ركب لها يدا يمسكها بها وينظر من خلالها الى نور النافذة ثم يضع قطرة ماء على شريحة زجاج فوق مصباح منير ويتامل ملايين الاحياء أو الميكروبات . كان هذا كشفا عظيما . انه بداية علم الاحياء الحديث.. وهذا الرجل الطيب هو ابو البيولوجيا المعاصرة ..

قبيس ، والناس من حوله قد فتحوا أفواههم تعجبا ، فاقترب منه وقال : حرام عليك والله أيها الشيخ أن تصرف أولئك السذج عن التامل فيما خلق الله بالتفكر فيما لم يخلق ، وما شأن حبة عنبك هذه وحصانك المجنح ذلك ؟ أما كان أولى بك ان تلفت أنظارهم الى قدرة الخالق فى خلق الحياة ودفع الانسان الى الحركة واخراج الزرع الاخضر من الطين الاسود ، وماذا يجعل ابن الغزال غزالا وابن القط قطا! فرد عليه المشعوذ السريع الجواب : الذى يجعل الغزال غزالا ويخرج الزرع الاخضر من الطين الاسود هو الذى يجعل فحلا كالثور مثلك يضحك على الناس بكلام مزوق فى كتب يأكل به عقول الناس ! يقول الجاحظ : فضحك الناس منى وانصرفت أتعجب من سرعة بديهته وجرأته على الناس ..

أما العالم العربى الذى اقترب من الـ د· ن· أ· فهو أبو الريحان البيرونى صاحب الفكر العلمى المتالق الذى قال فى كتابه «الاثار الباقية»: واعجب العجب ان النطفة من سائر الحيوان واحدة والبذرة من سائر النبات واحدة ، ولكن كل نطفة لا تخرج من الكائنات الا ما أودعه الله سبحانه فيها ، وكل بذرة لا تخرج من النبات الا شكل النبات الذى خرجت منه ، فلا بد ان في هذه وتلك شيئا صامتا ساكنا أودعه الله وأودع فيه سر الخلق كله ، ومايدرينا فلعل النطفة تحمل الكائن الحي كله وكان البذرة فيها الشجرة ...

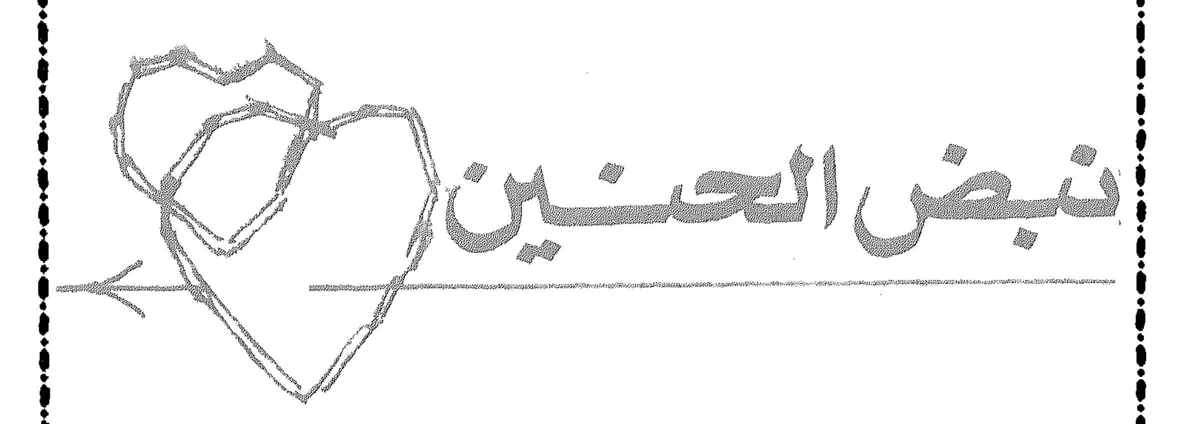
هذا ما قاله البيرونى منذ ثمانية قرون فكيف لم يواصل أحد من علمائنا كلامه وفكره لنصل الى أبواب سر الحياة كما وصلوا ؟ هنا تكمن ماساة العلم العربى : انها الوقوف فى منتصف الطريق ، انها انعدام الترابط بين الاجيال فى العمل والفكر والغاية ، فما قاله أبو الريحان البيرونى انتهى بوفاته ، أما ما قاله باستير فواصله من بعده حتى وصل علماء البيولوجيا أو علم الاحياء اليوم الى باب سر الحياة نفسه ، وهو أقصى مايمكن أن يصل اليه عقل البشر ، لان للعقل البشري مهما كان حدودا .

علماء وراء سر الحياة ..



واطسن وكريك

ثم جاء البيولوجي الامريكي جيمس د . واطسن واخذ يجرى تجاربه على الطيور معتمدا على النتائج التى وصل اليها مندل ثم مورجان ، وقد ركز همه على العملية الكيميائية التى تحكم الوراثة ، ولهذا السبب حصل على منحة ليتم بحوثه فى انجلترا وهناك التقى بالعالم الانجليزى فرانسيس كريك وكان يبحث فى نفس الميدان ، فاشتركا معا ، وانتهيا بعد سنة ونصف من العمل المتواصل الى اكتشاف الامشاج او حامض د.ن.ا. الذى يوجد فى كل خلية ويتولى عملية صنع الكائن الحى الجديد على مثال ابيه بواسطة خصائص كيميائية وكهربائية توجد فيه. لقد استطاع العالمان ان يستخرجا مادة د . ن . ا . ويضعاها موضع التجربة وبذلك يكونان اول من اخترق حجاب الخلية وفتحا الباب لاكتشاف سرها .. سر الحياة .



● فولاذ عبد الله الانور ●

توحشت .. من سوف يعرف وجهى ... وقد شيبته جراح المنون
توحشت .. من سيهدىء روعى ... وينفض عنى غبار جنونى
ومن سوف يمنع خطوى من السعـ ... ـى فى دربك المستكين الامين
حبيبة جرحى ، ماذا سأحكى ... وكل الحكايا تثير شجونى
ذكرتك بالأمس والليل بحر ... من اليأس يفصلنا فى سكون

***

ذكرتك ... كنت تسيرين يوما ... الى جانبى تحت تلك الغصون
ذكرتك ... كنت تسيرين ، كانت ... عيونك تملأ حزنا عيونى !
وكانت رياح المدينة تعوى ... وتعبث فى شعرك المستكين
وتصطدمين بصدرى عفوا ... وتنفلتين لكى تؤلمينى

***

ذكرتك بينى وبينك شىء ... من الموت فى رعشة يعترينى
وبينى وبينك ارض ذئاب ... ملغمة تحت نبض حنينى
ذكرتك ، عقلى غاب ... ذكرتـ ... ـك شعرى شاب ، وضاع يقينى !
ورحت أقلب بين دمائى ... ذراعا بها أثر الياسمين !
لابحث عن خنجر خبأته ... عن العين طيبة قلبى الطعين !
وأنهض كى افتديك بعمرى ... أمام الجحيم الذى يحتوينى !

***

« أحبك » هذا كلام قديم ... على ، تجاوزته من سنين
« أحبك » لا تتحقق الا ... وقد قلبت فى اللهيب عيونى !
انا الآن أركل باب البراكيـ ... ـن ، أفتح بين الشظايا جفونى !
أعرى ضلوعى أمام الدمار ... وأصعد فوق طريق الجنون !
فان كنت خائفة فارجعى ، ... وان كنت واثقة ... فاتبعنى !

الأبعاد الثقافية والاجتماعية لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى

● مارى غضبان ●

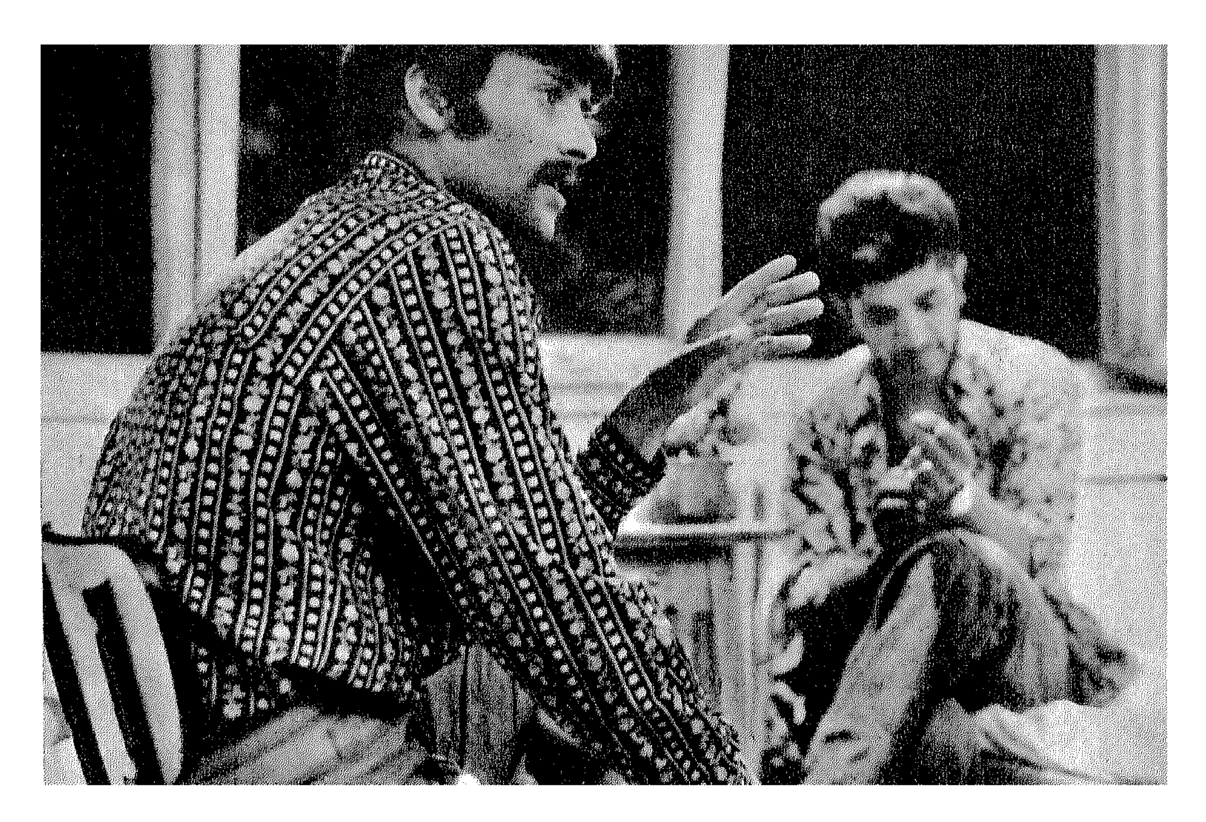
●● شهدت القاهرة فى شهر سبتمبر الماضى الدورة الرابعة لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى الرابع ... والهدف من مهرجانات السينما ليس كما يتصور البعض تجمع وحشد للأفلام والنجوم والجوائز ، لكنه اكبر من هذا فهو يضم البعد الثقافى والبعد السياسى والبعد الاجتماعى بجانب الاهداف الفنية المرجوة من عقد اى مهرجان سينمائى ...

● ولقد اشتركت فى مهرجان القاهرة الاخير ثلاثون دولة تمثل قارات العالم كلها ، وبجانب الدول المتقدمة فى الفن السينمائى اشتركت دول اخرى حديثة العهد بالسينما ... كما اشتركت فى المهرجان دول حديثة العهد بالاشتراك فى المهرجانات الدولية ، وفى مقدمتها الصين واستراليا وسويسرا والسودان والمانيا الديمقراطية والدينمارك والنرويج - وهى دول تشترك لأول مرة فى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى ...

وقد اشتركت هذه البلاد بعدد خمسين فيلما روائيا طويلا وعشرين فيلما قصيرا وتسجيليا ...

ومن المعروف ان لائحة الاتحاد الدولى للمنتجين « الفياف » ومقره باريس - تشترط على البلاد التى تنظم المهرجانات الا تسمح بعرض الافلام خارج المدينة « المقر » التى يعقد فيها المهرجان ، ولا يسمح بعرض الفيلم الواحد اكثر من ثلاثة عروض ، كما يشترط الا تحذف الرقابة على المصنفات الفنية اى مشاهد من الفيلم ..

ونظرا لقيام مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثالث بعرض افلام المهرجان فى مدينة الإسكندرية بجانب الحذف والقطع الذى تعرضت له **بعض الأفلام مما ادى باتحاد المنتجين السينمائيين الى شطب مهرجان القاهرة من بين المهرجانات المنضمة للاتحاد والتى تحصل على الافلام من الموزعين بمقتضى موافقة الاتحاد . ثم عاد اتحاد**



لقطة من الفيلم المجرى « يورى » اخراج « بال سيفر »

المنتجين وسحب هذا الشطب ، وعاد لادراج مهرجان القاهرة مرة أخرى فى قائمة المهرجانات المعترف بها ...

ولهذا السبب لم يتضمن المهرجان لجانا للتحكيم أو جوائز أو فائزين ، والمعروف أن مهرجانات العالم تنقسم الى نوعين : مهرجانات تضم مسابقات للأفلام ومهرجانات أخرى بدون مسابقات للافلام . ومن بين هذه المهرجانات كان مهرجان فينيسيا السينمائى الدولى وهو أعرق المهرجانات السينمائية بدون مسابقة وبدون جوائز، بينما كانت هناك مهرجانات أخرى ذات مسابقات وجوائز مثل مهرجانات برلين ، وموسكو، وكان، وكارلو فيفارى ، وغيرها .

والواقع ان مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الرابع وان عابه بعض القصور فى التنظيم ، الا انه حقق نجاحا اعلاميا واضحا فى الاحتكاك السينمائى الذى برز فى اكبر تجمع للسينمائيين والنقاد فى مهرجان دولى خارج القارة الاوروبية ، فقد وصل عدد ضيوف المهرجان من النجوم والمنتجين والمخرجين والنقاد والصحفيين الى حوالى مائة وثمانين شخصا ، وكان من بينهم عدد كبير من النجوم ، وسارعت وكالات الانباء والاذاعات وشبكات التليفزيون والصحف والمجلات العالمية الى تغطية اخبارهم .

ومن هؤلاء النجمة الامريكية اليزابيث تايلور التى شاركت بفيلمها « دورية الليل » وحضرت حفل الافتتاح وحفل توزيع الجوائز على الرواد والمتفوقين سينمائيا فى مصر ...

ايضا شارك المغنى الفرنسى العالمى انريكو ماسياس ، والممثلة السويسرية العالمية ارسولا اندرس ، والممثلة الفرنسية الكسندرا ستيوارت ، وملكة جمال العالم ١٩٧٨ سابيل دانينج ، والمخرج الامريكى تونى زرنداست ، والمؤرخ السينمائى الفريد باور مؤسس مهرجان برلين السينمائى الدولى ، وغيرهم .

وقد علمت من مسئولة السينما السويسرية ارسولا باخر والسينمائى الالمانى الفريد باور ، ان اهمية مهرجان القاهرة تعود الى انه المهرجان السينمائى الوحيد فى منطقة الشرق الاوسط بعد توقف مهرجان طهران ومهرجان بيروت كما ان المهرجان يرتبط بالاهمية الثقافية



لقطة من الفيلم الفرنسى
« خفقات قلب »

المغنى العالمى انريكو ماسياس أسهم فى نشاط مهرجان القاهرة

والاجتماعية والحضارية لمدينة مثل القاهرة . ولذلك تحرص معظم الدول على أن ترسل الى المهرجان بوفودها وأفلامها للمشاركة فى نشاطاته .

ويتمثل النشاط الثقافى للمهرجان فى عرض الوان الفنون السينمائية المتقدمة لبلاد العالم المختلفة ، وقد وضح فى المهرجان الأخير الميل الى تحويل الاعمال الادبية الى افلام سينمائية ، ومن ذلك المسرحيات والروايات مثل الفيلم الامريكي ((دورية الليل)) الذى لعبت اليزابيث تايلور بطولته ، والفيلم السويسرى ((ميسادور)) ، والفيلم الفرنسي ((التبنى)) الذى مثلته جيرالدين شابلن، ولم تصرح الرقابة على المصنفات الفنية بعرضه فى نطاق افلام المهرجان ... والفيلم الالمانى ((الطبلة)) والفيلم المجرى ((اثنتان منهن)) اخراج مارتاميزاروش . والفيلم الايطالى ((حديقة فيتزى كونتين)) اخراج فيتوريو دى سيكا .

وقد ارتبط بعروض الأفلام المشتركة فى المهرجان اصدار نشرة صحفية يومية تضم دراسات ومقالات عن الفكر السينمائى فى البلاد المشتركة فى المهرجان ، ولقاءات مع اشهر نجوم السينما فى البلاد المشتركة فى المهرجان وعلى سبيل المثال نشرت الجريدة اليومية للمهرجان باللغة العربية واللغة الانجليزية مقالات عن الادب السينمائى، والسينما الامريكية ، والسينما الالمانية ، والسينما المجرية ، والسينما فى سيريلانكا ، والسينما فى الصين ، والسينما فى الاتحاد السوفييتى ، والسينما فى افريقيا ... بجانب تقديم مخرجى ونجوم اشهر الأفلام المشتركة فى المهرجان .

ولعل اهم ما اخذ على المهرجان هو ماتناقلته وكالات الانباء عن دور الرقابة على المصنفات الفنية فى تشويه القيمة الفنية لبعض الأفلام المشتركة فى المهرجان ، مما ادى بدولة مثل هولندا لسحب فيلمها ((امرأتان)) اخراج جورج سلويزرد قبل أن يمسه مقص الرقيب ، وكذلك انسحبت يوغوسلافيا بوفدها بعد ان قطع الرقيب ١٥ **دقيقة من الفيلم اليوغوسلافى ((الاحتلال)) .. كذلك طالبت سويسرا بتعويض قدره اربعة آلاف جنيه عن التشويه الذى حدث لنسخة فيلم ((ميسادور)) الفيلم الذى يمثل سويسرا فى المهرجان مع فيلم((الخياطة)) كما نال القص افلام ((اثنتان منهن)) الذى يمثل المجر فى المهرجان مع فيلمى ((يودى)) و ((امتعاض)) وبعض الافلام** الأمريكية ، بل ان بعض الأفلام المصرية خضع لحذف بعض المشاهد من خلال الرقابة مثل فيلم ((رغبات ممنوعة)) الذى قامت ببطولته شادية الممثلة الحائزة على جائزة احسن ممثلة فى العام السينمائى ١٩٧٩ ، والفيلم من اخراج اشرف فهمى عن قصة حنيفة فتحى وسيناريو صبرى موسى ، ويستمد مضمونه من معالجة عربية للاسطورة اليونانية اليكترا .

●● ان مهرجانا يحمل اسم عاصمة عريقة مثل القاهرة يحتاج الى تدعيم مالى من الدولة وهذا المهرجان تنظمه الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما، مثلما يسهم البرلمان الالمانى فى اقامة مهرجان برلين السينمائى الدولى ، ومثلما تقوم هيئة السينما فى الاتحاد السوفييتى بتنظيم مهرجان موسكو ، وبلدية الكوت دازور التى تقوم بتمويل مهرجان كان السينمائى ، والحكومة الكندية التى تمول مهرجان مونتريال..

لقد رصدت وزارة الثقافة فى منتصف الستينات مليون جنيه لاقامة مهرجان يحمل اسم القاهرة .

والان تقوم الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما بهذا الجهد منذ عدة سنوات من خلال ميزانية ضئيلة ... فهل تدعم الدولة المهرجان وتستفيد من خبرة الجمعية فى اقامة هذا اللقاء السينمائى العالمى؟

وقلبك أسمى ما اشتهى

• الورداني ناصف •



ووقفت تنتظرين ...
والشوق الذى قد ذاب فى عينيك ،
ياخذنى الى شط بعيد
ويشدنى فيك الذى لم القه ،
من يوم ان كحل السنا عينى
فى العمر المديد ...
ويضمنى شوق هفا قلبى له
يوم احتفى بلقاء عينيك
اللتين امام سحرهما يذوب الصخر
ينصهر الجمود .
وتحوم حولى غيمة
فيشدنى فكر سما قلبى له .
وبه احتمى من جذوة الافكار
والشوق العنيد ! ..
واراك تبتسمين فى صفو
وما زالت على شفتيك آثار لتقبيل الورود
واراك يا يا حلوتى ...
يا من على صدر الزمان رسمت صورتك
التى احببتها
وبكل نبض فى الفؤاد عشقتها ..
فوهبتها روحى بحب دافق فاق الحدود!
وتطل فى عينيك نظرة عاشق
للحب .. للاحلام .. للحسن الفريد !
وتؤج نار الشوق بين جوانحى
ويثور حب ذاب فى الاعماق من امد بعيد
فتذوب بسمتك المضيئة رقة وعذوبة
والقلب يخفق عازفا حلو النشيد !
فاراك يا عصفورتى مشدوهة
لبلوغ ما ارجو لأسمى ما اريد ...
فعبير قلبك كل ما اشتاقه ..
وهواك يا كل المنى ...
بيت القصيد !

قصة قطر الدائرة

● عزت معوض مصطفى ●

اخذت نفسا عميقا مـــن سيجارتي .. سحب الدخان تنطلق ترسم خيـــالات واحلاما واوهاما ... الكون حولي راقد في سكون عميق الا من انفاسى اللاهثة ،وافكاري المضطردة .

لقد تعبت من كل شيء الا من الكتابة ..

ـ لكن ماذا أكتب ؟!

الحادث الذى شاهدته بالامس كان مروعا ، هز اعماقى حتى الفزع من رؤية كل شيء .. حاولت ان أنسى ذلك المنظر الذى يطاردنى ، فهربت الى داخل نفسى .. لكن سمعت طـــرقات عنيفة على الباب ـ من جاء لى فى هذه اللحظة ؟ يالتعاستي ... انه سوف ((يرغى)) ويثرثر كثيرا .. سوف تضيع الفكرة من راسي.. سوف يبدد جوى النفسى ، سوف يجعلنى أمزق خيـــوط قصتي التى احرص على أن تكون مكتوبة بالشكل المتعارف عليه بداية ووسطا ونهاية وعقدة وحلا ... إن قوة الطرقات تذهب عقـــلى ... ان صاحب الطرقات صوته غاضب مزمجر .. فلأحاول ان افهمه بطريقتى حتى لا اتهم بانى عـــــديم الذوق .

ـ افتح ايها القصاص .. انـــك تدعى زورا حل مشاكل أبطال قصصك ... انامشكلة ، مجلد من الهموم والاهات والقصص المسلية والمضـحكة والمبكية ! .. انا الواقع بطينه ، بلحمه ودمه.. انا الاصل لما تصنعونه بخيالكم المريض .

ـ ارجوك اجلس .. لنتفاهم .. اريد ان افهم منك كل شيء حتى نضع الحل .

ـ ارجوك لا تقاطعني.. أنصت الى كما تنصت الى مشاكل ابطالك !

لفني الصمت .. تركته يتكلم ، فعقلى مشغول بما افكر فيه من امر قصتى ، بعد أن شاهدت المنظر البشع وكيف اختفت البسمة فى لحظة !! انتهى كل شيء .. رايت النقيضين عندما مرقت السيارة بجوارى ـ وانا اسير فى الشـــارع ـ والاطفال بداخلها يضحكون ، وبعد مسافة قصيرة تهشمت .. لم ينج من الموت الا رجل الضـــح انه الاب .. كان الموقف محزنا .. عندما نزل الرجل والدماء تغطى وجهه ..

ـ والان .. هل تسمعني ..

الم اقل لك اننى ذهبت الى عملى لكى اطالب رئيسي بحقى فى الحياة ... دخلت مكتبه لم اجده لكن وجدت ورقة مكتوبة وعليها توقيعه ، منيت نفسى بأن ورقة مثل هذه تعطينى حقى .. تحقق حلمى .. طفرت الدموع من عيني !

لم اع مايقول ذلك الطارق .. مالى انا وورقته والتوقيع .. ليذهب الى الجحيم هو وورقته والقلم الواقع عليه .. فالحادث هو ما افـكر فيه ...

كان الرجل يصرخ وهـــو ينزف ويهلوس فى جنون .

ـ هيا ياصغارى .. امرحوا كما يحلو لكم .. لا ، لا تقلقوا بشان الحياة ، فسوف احصل لكم على مسكن جديد ، انا وعدتكم وسامنحكم كل ماتحلمون به ، فانا احاول ان اقتل الفقر ..... لا تياسوا لست امزح ولا اكذب ، رغم أننا نعيش فى الاكذوبة الكبرى ، فالحياة هكذا معى دائما

ـ كيف يكون هذا وقيمة الانسان وحيـــاته متوقفة على مجرد حركة قلم على ورقة ؟! انهـــا عبودية التوقيع والامضاء ، انها ماساة يصنعهـــا الانسان فأصبح الوجود فى نظره لا قيمة له .

ايها « الطارق » مامدت اطيق سماع قصتك .. فانت تقحمها على اعمـــاقى ، على نداءات الرجل الملطخ بالدم وهو يقول :

ـ ياصغارى الحياة هكذا ذات وجهين ..لادامى للقلق . لكن لماذا خيم عليكم الصمت من جديد ... انها السرعة التى هشمت جماجمكم ، انهـــا مزحة من الحياة ان تجعلكم تبكون فى يوم تحقيق حلمكم فى الرحلة الجميلة .. والمسكن الجميل .. الان سوف يسكنه المنكبوت !

ـ ايها القصاص انى لا ارى عنكبوتا اكثر من الذى يعشش على حياتى .. لا ارى احـــــدا ينصفنى مما انا فيه ، يعترف لى بحقى فى الحياة الا من خلال ورقة حقيرة موقعة بامضاء رئيس عمل ظالم .. أتسمعنى جيدا ايها القصاص ... دخل على رئيسى ، لم أحس به .. نظر الى فى استغراب .. حاول أن يطردنى ، قال لى :

ـ انت لا يمكن أن تنال شيئا !

ـ بعد هذا العمر الطويل من الشقاء ، احرم من حقى الطبيعى فى الحياة والترقية ؟

ـ لو رقيناك فسوف تتحول الى مارد .

ـ كيف .. ؟

ـ لانك تعلمت كيف تفكر !

ـ ولكنى انتظر أن تمنحنى حقى ..

ـ ومهما صنعت فانت نقطة ضئيلة فى قطـــر الدائرة !

مارايك ايها القصاص فيما سمعت ... فانا انقذتك من عناء البحث واجهاد الخيال فى الحصول على فكرة لقصتك الجديدة .. فانا الواقـــع المشحون بالقصص العبثية ، لا القصـــص التى تجعلون نهايتها حبا وورودا ومرحا .. ليســت كل الحياة هكذا !

لم يعرف هذا المخبول انه بعثر فكرى . ولكن قلت له :

ـ لا عليك ... سوف تكون قصة شيقة .

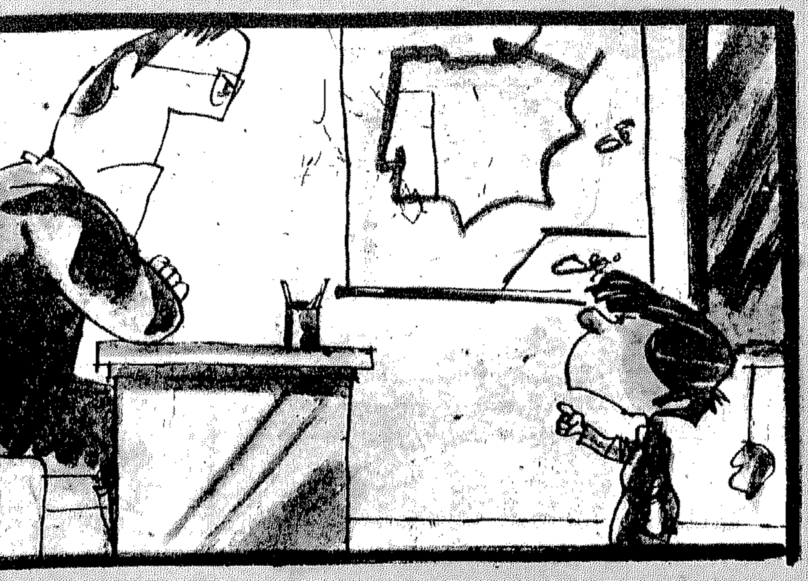
ـ شيقة ؟.. ها ، ها .. لا اريد منك المزج بالخيال .. اريد الحقيقة دون منحنيـــات .. أو فكر تجريدي . أريدك أن تقولهـــا بطينهـــا بدموعها ، لانها لحظة الالم .

الا يدرك هذا الطارق ان العقـــل اصـــبح مكدودا من كثرة المفارقات كالوتر المشـــدود يرن بسبب ودون سبب .. فلاهدأ قليلا بعد ان رحل هذا الطارق لاكتب قصتى ـ ((قطر الدائرة)) ..

واخذت القلم ولم استطع ان اكتب منها الا سطرا واحدا ، فالحياة سرقتنى .. وكان مضمون هذا السطر : ((اذا اردت ان تكون شيئا فلابد ان تكون ذا ارادة قوية حديدية حتى تعبر جبل الثلج وتهزم المستحيل ...))

كاريكاتير

جيل جديد جداً!

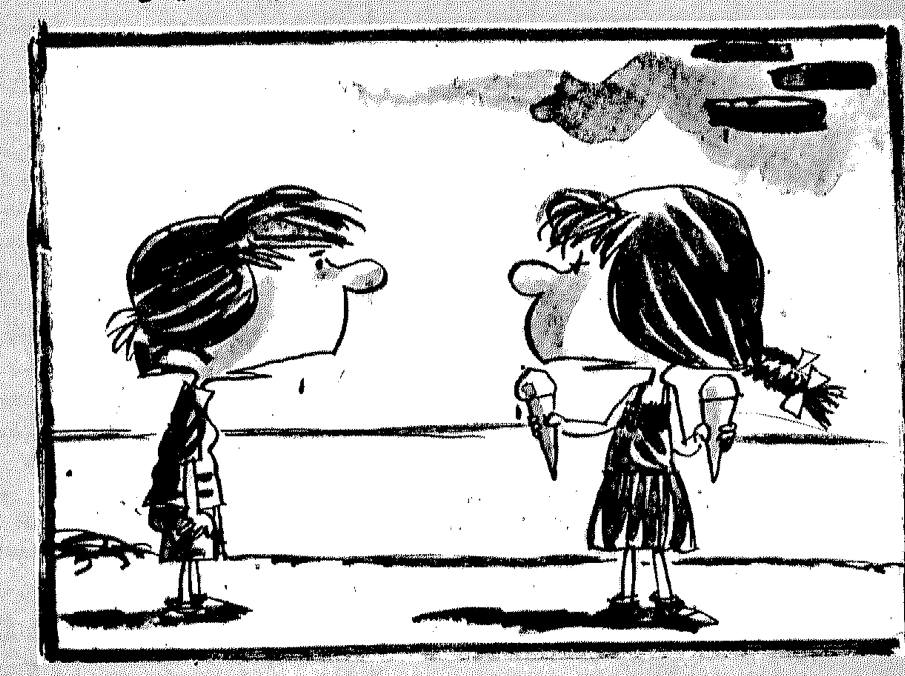


الولد للاستاذ : لو ح تفصل مكشر لى بالشكل ده ،مش ح اعرف اجاوب!.. افرد لى وشك كده علشان اعرف اظهر لك مواهبى ! ..



الولد لوالده : مخالفة واحدة بس ؟ ! انت ناسى انك كسرت الاشارة تلات مرات قبل مايوقفنا العسكرى ؟ !

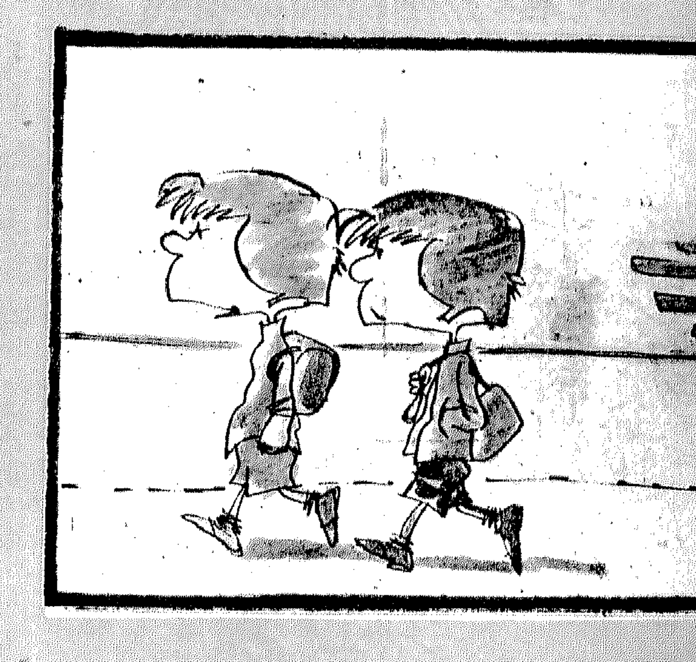
البنت للولد : صحيح احنا اصحاب ، لكن مش ح اديلك غير كاسه واحدة بس .. الكاسه التانية لواحد تانى .. صاحبى الاحتياطى !





ــ الولد لابيه : كان لازم اطلع فوق كده علشـــان نبقى على مستوى واحد ونقدر نتفاهم !

الولد لزميله : فضيحة ، وكارثة حصلت لى النهاردة ! نسيت وجاوبت صح على كل الاسئلة! دلوقت اصحابى ح يفتكرونى خاين وباذاكر من وراهم !

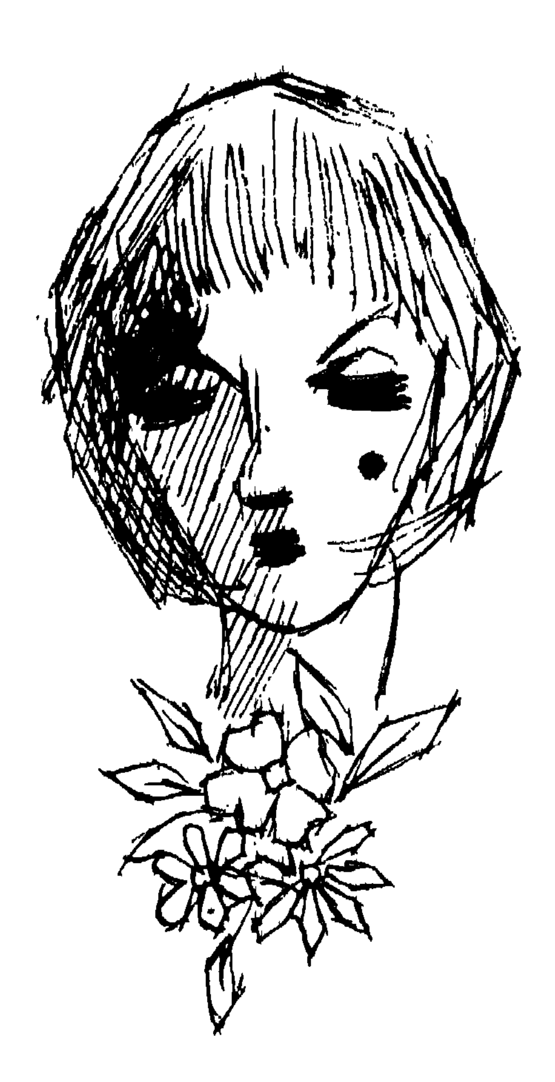


الولد للمدرس : من فضـلك يا استاذ اسالنى اللى انت عاوزه وخلصنى .. عاوز اخرج بسرعة.. انا راكن العربية بره فى الممنوع !



خذيني

عزت الطيرى



— ١ —

خذيني على خدك الحلو شامه
خذيني على شفتيك ابتسامه!
خذيني علامه . . .
خذيني سراجا يزيح القتامه
ويبعد عن ناظريك الندامه !

— ٢ —

خذيني على صدرك المرمري قلاده .
خذيني وساده ..
تقبل شعرك ذاك الجميل
وتنشد في الفجر لحن السعاده !
خذيني بكفيك وردا وفلا ..
خذيني لعينيك لونا وكحلا
خذيني كمسبحة في يديك
خذيني مصلى ...
اذا حان يوما نداء العباده

— ٣ —

خذيني نهارك
خذيني بليل الشتاء دثارك
خذيني نقوشا تلف سوارك
خذيني حكايا ...
خذيني مرايا ...
خذيني رسوما تزين جدارك
خذيني « حجابا » فيحمي ديارك
خذيني انا .. اى شيء ، خذيني
وشرطي الوحيد .. اظل جوارك !

قصة :

قوس قزح



● محمد عثمان صالح ●

ومن من فوقه الغمام .. كانت الشمس محرقة فى أتاك الهجير ..

خطوات كان يمشيها .. هل آن له ان يستريح فى تلك البيداء البعيدة ؟

هذا الظما قد اغلق شفتيه وحرقهما بالملح . لم يكن يعرف اين يسير ، واين يمضى !

كل الذى عرفه انه أحب الخـــلاء والارض الشاسعة المترامية الاطراف ، وعرف ان الوحدة هى ديدن الكائنات فى هذا الزمان ، ولن يافل نجمها الا بالمواجهة ، والمواجهة هنا على ارض الصحراء .

تتابعت فى خياله الانهار ، والمروج الخضراء، والاشجار الباسقة ، لماذا اجبر على ان يجـوب الرمال والفيافى ؟.. هكذا سأل نفسه ..

ساعات واياما قضاها فى الترحال .. نفـد زاده القليل الذى اعده .. لكن حتى لو امكنه ان يعود من حيث آتى ، فلن يعود .

ومع ذلك فان كل خطوة للامام هى النهاية .. كل خطوة للوراء تعنى النهاية .. لابد مـــن مواجهة !

غير إنه شاء المياه ، ولكن انى له بها ؟ هل يأتى الغمام بالغيث ... هـل سيدخل ماؤه منسابا الى شفتيه ؟ لاح له ماوى تحت الغمام .. كانت الحمى قد تملكت منه .. راح فى سبات عميق

عندما استيقظ وجد ذاته فى مكان آخر .. ان بنى آدم قد عثروا عليه ، حملوه معهم..رووا ظماه بالماء العذب .. نقلوه الى جنـــة فنـــاء يتوسطها ماوى كانه قصر لسليمان .

قالت له واحدة من بنات حواء :

انت متعب .. كم انت فى حاجة ماســة الى أن تستريح !

نظر اليها .. البدر وجهها ، والليل شعرها، وزرقة السماء عيناها ,, قال :

دعينى أرتاح على صدرك . ثم اردف :

اين كنتم ؟ بحثت عنكم زمنا طـــويلا ، انتم رفاقى .

همست بنت حواء لجارة اخرى لها: ياللمسكين

قالت الاخرى : اعددنا لك فراشا ناعما ابيض كقلبك . هيا الى الراحة ..

همس لهما : معكما حق . ارى النجوم ترصع السماء ، والفجر يوشك على اطلالة جديدة . انام اذن .

قالت الاخرى : حلم سعيد حتى الصباح ايها الانسى البرىء .

قالت الاولى : غدا ساجعلك ترتاح على صدرى لقد أحببتك .

تركتاه ، وذهبتا ..

لم ينم ، لقد احب أن يشهد الفجروهو يلون كوكب الارض بالنور والشفافية ، وان يرى الطيور الملونة الجميلة ويسمعها . كثيرا ما حـــن الى رؤيتها . لم يشهدها ابدا . همس لنفسه :

لاشك انها فى هذا المكان .

كانت ذئاب الصحراء سعيدة تلك الليــلة بفريستها الادمية النادرة ، تتنازع فيما بينهـــا على التهام الجزء الأكبر منها . وكانت مطمئنـــة تماما . فقد غاب ملوك الغاب .

بدا نور الصباح ، مضت الذئاب الى كهوفها متثاقلة من الوجبة الدسمة ، ازداد ركام الغمام نزل من السماء ماء .. كانه طوفان يهلك الظالمين ارتعدت الذئاب .. تخبطت .

.. غرق كثيرون منهم صرعى .

توقف الهطول . لاح قوس قزح متالقا ، اما بقايا الرفات الباقية فقد نبتت فى التو شجرة خضراء باســقة فوقهــا ، وكانت الرمال سعيدة لانها ستخرج النبت الاخضر من جديد ، ولتعود اليها الحياة ، وستأتى فترة طويلة لا تمر عليها اقـدام الذئاب

هنرى ديفيد ثورو آمن بالحب ورفض الزواج

● د • سليم الاسيوطى ●

ظل الشـــاعر الامريكى هنرى ديفيد ثورو يجـــاهر بعدائه للزواج ومعارضـــته لنظـامه ، حتى ظن به الناس الظنون ، وحســـبوه زاهدا في النساء كارها لهن .. ولكنه كان فى الحقيقة والواقع ، عميق الميـل الى ربات الفتنةوالسحروالجمال،خاصة منهن الذكيات الفطنات ..

ولقد عرف الكثيرات من هذا الطـــراز وآثرهن باهتمامه ، ولكنه على امتـــداد سنى حياته ، لم يحب حبا صادقا عميقا مخلصا ، ملك عليه قلبه وعقله الا مرة واحدة ..

لقد كانت تربط هنرى بالنساء مـــن أسرته وشائج العطف والحب القوية •

وكانت شقيقته هيــلين ، وهى هادئة بطبعها رزينة ، تؤثر البقاء بعيـــــدا عن الاضواء ، تعمل بالتدريس لتعول نفسها وتفى بمصروفات شقيقهـــا هنرى ، فى الكلية ، فقد كانت تحبه حبا جما وتحرص على نجاحه فى حاضره ومستقبله • ولكنها لسوء حظه رحلت مبكرة الى الدارالاخرة ، فى السادسة والثلاثين منعمرها ، بمرض الاسرة الذى توارثته أبا عن جد ، ذات الرئة القتال العضال •

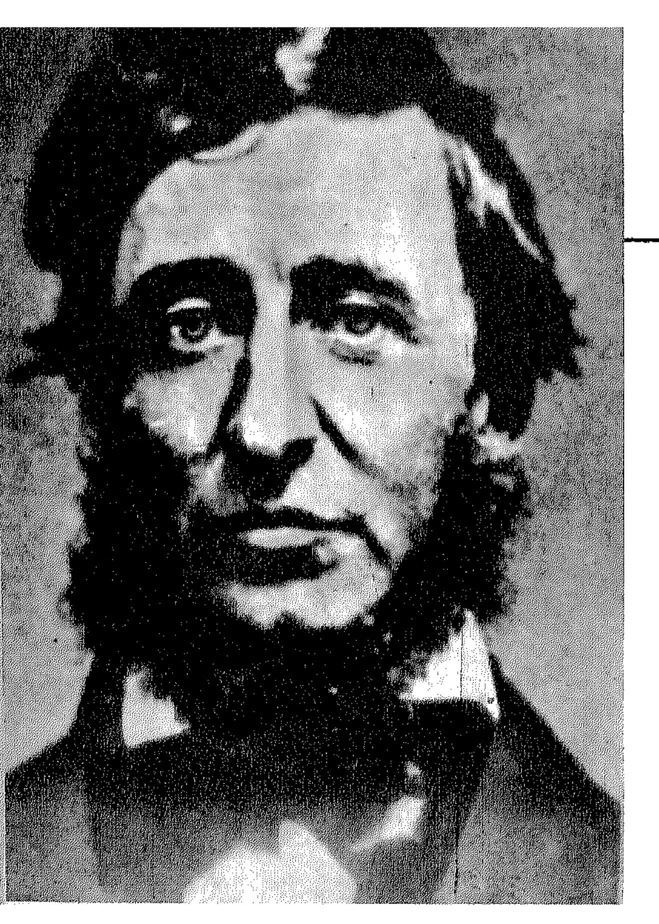
وأصبحت شقيقته صوفيا التى تصغره بعامين الوريثة الشرعيـــة لهـــذا العبء الثقيل •••

وقامت بدور الوصية على شقيقها خـير قيام ، من الناحية الادبيـــــة والمادية • فعمدت الى نشر مقـالات له ، وبعثت الى النور والحياة كتبا عديدة من مخطوطات كان قد تركها فى زوايا النسيان •••

كانت لوسى جاكسون براون ، الشقيقة الكبرى لزوجة رالف والدو امرسون ، تقيم أحيـــانا بين آل ثورو تحت سقف واحد ، فصارت التجربة الاولى الادبيـــة لثورو ، وموضع سره ، المؤتمنة على خفاياه، كما كانت صديقته الحميمة •

ولقد اســتمرت أواصر الصـــــداقة وتوثقت عراها بينهما بعد أن عادت لوسى للاقامة فى بلايموث • فقد كتب لها فى اولى رسائله اليها : « لسوف اغرقك فى بحر من الرسائل ، شانى شان الصبية التى تقذف بريش الطيور لتشاهدها وقد حملتها الريح عاليا فى السماء ••• »

وبعد ذلك التقى بشـــقيقة لوسى ، المسماة ليديان وهى زوجة امرســـون ، وكانت امراة رقيقة المشاعر ، مرهفـــة الاحاسيس والعواطف كثيرة الاستغراق فى التفكير والتامل • وعلى اثر هذا عاش هنرى مع آل امرسون عامين وهو يتمتع



الشاعر الامريكي هنري ديفيد ثورو كان يجاهر بعدائه للمرأة برغم ميله الى ربات الفتنـــة والسحر والجمال

بحرية الاقامة في حجرة مستقلة خاصة به، شاركهم في هذه الاثناء طعامهم وشرابهم في مقابل ساعات قليلة من وقته يعمـــل فيها يوميا في اصـــــلاح حال البيت والحديقة .

كانت الاختـــان لوسي وليـــديان ، كلتاهما ، تكبرانه،متزوجتين ، آمنتين في حياتهما الزوجية . امراتان يستطيع ان يهواهما على بعد الدار وشـــط المزار . ولكن كانت هناك ، في الوقت نفســه ، صوفيا فورد « ذات البشرة الســمراء » التي ظلت تطارده طوال حياته .

كانت مارجريت فولي فتاة المجتمـــع اللامعة الانيقة ، ابنة عضو الكونجرس ، عن ولاية مساتشوستس ، اول من تولى تحرير مجلة « دايل » ، وكان امرسون ومارجريت على خلاف بخصوص هنري ، لان مارجريت لم تكن واثقة بان المجـــلة يجب أن تكون وســيلته في نقل آرائه « العبقرية » الى قرائهـــا ، لانها لم تكن تتذوق شعره وبعض نثره . ولقد كتبت عن مقاله « الخدمة » الذي استغرقه عاما وبعض العام حتى أنجزه : « .. ان الافكار كما تبدو لي ليست في ترتيبها الطبيعي ، ومن ثم فاني لم اتمكن من قراءته من بدايته الى نهايته بدون معاناة . ولكنـــه غني بالآراء » .

كانت مارجريت وهنري ، غالبـــا ما يلتقيان في بيت امرسون . وكتبت الى أخيها رسالة جاء فيها : انه يملك قاربا صنعه بنفسه وكثيرا ما يصحبني على ظهره في مياه « البحيرة » .

تركت مارجريت عملها في مجـــلة « دايل » والتحقت بصحيفة نيـــويورك تريبيون لصاحبها هوراس جريلي لتكون الناقدة الادبية الاولى بها . وفي أوروبا، شبت الثورة في ايطاليا وامتدت على مدى عامين من الزمان ١٨٤٨-١٨٤٩ ،وقامت بدور المراسل الحـــربي ، حيث بعثت الى الهيرالد تريبيون بوصف هـــذه الثورة ، ليتعرف قراؤها على الموقف من شـــاهد عيان : وعند عودتها بحـــرا الى الولايات المتحدة في عام ١٨٥٠ تحطمت السفينة التي كانت تقلها ، على مبعـــدة من فاير أيلند ، نيويورك . وكان زوجها الماركيز أوسولي الذي تزوجته في روما ، وابنهما من المغرقين .. أما هي فقد شـــوهدت لآخر مرة ، وهي جالسة وقد أسـندت ظهرها الى الصاري الامامي الاشد قربا الى مقدمة السفينة ، لا تريم ولا تتحرك حتى قذفت بها موجة عالية عاتية في اليم .



من الواضح الجلي أن قلب ثورو قـــد خفق بالحب الصادق الحقيقي مرة واحدة لم تتكرر . وكان حبه في هذه المرة هو الين سيوول من سكتيوايت ، في ولاية

مساتشوستس ، وهى صبية جميلة فى ربيعها السابع عشر • وكانت تتردد على آل ثورو والعمة برودنس وارد ، والتقيا ففتنه جمالها وأسره حسنها وكادت شخصيتها المتالقة تذهب بعقله ، كان شعرها الطويل اللامع ذا مفرق فى وسط الرأس ، وقد انزاح الى الخلف ملتفا حول جيدها •

وقبيل نهاية زيارتها الاولى ، ولم يبلغ النهار نهايته ، وفى محضر العمة برودنس وفى أسرة آل ثورو ، استسلم هنرى لهواها الجارف العارم •• وكان حينئذ فى الثانية والعشرين من عمره • ولقد غزا حبها قلب جون شقيق هنرى ، وشغفه حبها حتى شفه الوجد •

كتبت الين الى ابيها وهى تستدفىء بحب الاخوين وتنعم به : « لا استطيع أن أصور لك حتى بعض المتعة التى ارتشف حلاوتها وأطعم لذائذها • لقد قمنا برحلات قطعنا فيها ثمار التوت ، ونزهات سيرا على الاقدام • وعلى ظهر الزورق حيث الماء والهواء متعة وأية متعة • كانت العمة برودنس ترافقنا فى كل هذه الجولات ، لحمايتى والعناية بى وتوفير كل أسباب الراحة والسعادة لى » •

كانت الين تشتهى أن يمتد أجل الزيارة التى أوشكت على نهايتها ، ولكن لحظات الهناء قصيرة ، فلما حان وقت الرحيل ، اهتمت واغتمت ، وفى الحافلة (عربة نقل الركاب) اجهشت بالبكاء ، طوال ساعات الرحلة حتى مدينة ليكسنجتون • وبعد وصولها بعثت برسالة الى العمة برودنس تصف فيها الزيارة بانها كانت من أسعد المناسبات فى حياتها •

وفى هذا العام تقدم جون (شقيق هنرى) بطلب يد الين ، فقبلته ، ثم عادت فرفضته ، ايمانا منها بأن هنرى هو الافضل لها • وتلا ذلك خطاب هنرى بطلب الزواج منها ، ولكن والد الين الذى كان يعارض بقوة وشدة أتباع الفلسفة وأنصارها ، جميعا ، أمرها برفض طلبه • ذكرت الين قول أبيها : « لقد أرادنى على أن أكتب الى مستر تى • خطابا موجزا صريحا واضحا ، فاترا ، ولم أشعر فى طوال حياتى قط من قبل بمثل هذه الحاجة الملحة الى الكتابة مثلما شعرت فى هذه الفترة من حياتى • »

تزوجت الين من قسيس ينتمى الى طائفة الموحدين • وزارهما هنرى فى منزل الزوجية فى كوهاست • وقبيل وفاة هنرى بفترة قصيرة ، ذكرت صوفيا اسم الين على مسمع منه ، فهمهم همسا : « لقد أحببتها دائما ، لقد أحببتها دائما • »

فتاة أخرى جميلة لفتت نظره ، واسترعت انتباهه ، وأثارت اهتمامه : تلك هى مارى راسل ، المربية التى كانت تقوم بالتربية والتدريس لأطفال أسرة امرسون ، طوال شهور صيف عام ١٨٤١ ، حينما كان هنرى يعيش هناك • ولقد ذكر فى يومياته : « ان الحديث الى مارى كان شبيها بالحديث الى السحاب » ، ولكن مادستون واطسون ، زميل ثورو فى جامعة هارفرد فاز بها فى النهاية ••

كانت تلك العلاقة الغرامية خاتمة المطاف فى غراميات ثورو • وظل حتى وفاته فى الرابعة والاربعين من العمر الاعزب الذى لا يفكر فى الزواج ، لقد استأثرت الطبيعة وليس النساء بعنايته الفائقة ، وتعرض نظام الزواج لهجومه المضطرد المتصل • ولقد قال ذات مرة لصديق له ، كان يرافقه فى سيره ، وهو منفعل انفعالا شديدا وقد ركل كرنبة متعفنة ، ملقاة بعرض الطريق : « أنظر ياصاح ! ان الزواج شبيه بهذه » •

ومع كل هذا ، أو على الرغم من كل هذا فقد كان ضعيفا دائما أمام المرأة ، فما من مرة التقى فيها بأنثى مليحة الا ومال اليها



زوجة امرسون التى هام بها الشاعر حبا وهو صديق لامرسون

قلبه وانعطف نحوها فؤاده . كانت كارولين دال التى تزوجت من زميل له فى جامعة هارفرد تؤيد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة مثلما كانت تؤيده وتدعو له مارجريت فوولر .. كانت كارولين قد قدمت الى كونكورد لتحاضر هناك فى شهر ديسمبر من عام ١٨٥٩ وابدى هنرى رغبته فى انه لاينوى الذهاب للاستماع اليها ، لايمانه بانه ليس لدى النساء شىء مفيد يقلنه . ولما كان يمضى طوال يومه على شاطىء النهر عن له فى اللحظة الاخيرة ، العدول عن رغبته أو قراره ، وشخص الى مكان الاجتماع فوصله متاخرا ، واضطر ان ياخذ مكانه على حافة مقعد طويل خشبى فى نهاية الحجرة بجوار الباب ..

ولكن سير الاحداث يجعل من الجائز الظن بان هذه المراة الذكية المؤيدة للحركة النسائية ، التى شكلت حياتها على نسق حياة مارجريت فوولر ، قد تركت فى نفسه أثرا قويا عميقا لا يقهر .

قال له امرسون : « انى لأعجب لحضورك ، ياثورو ، لقد قطعت بأنك لن تأت ! » .

أجاب هنرى : « ولكن هذه المرأة لديها شىء تقوله . »

وتبادلت كارولين وهنرى التقدير والاحترام . وبعد المحاضرة أقنع هنرى كارولين دال بالبقاء فى ضيافة الاسرة حتى اليوم التالى فى كونكورد . لقد افتتن بها هنرى وخلب هو لبها حتى انها ذكرت تلك الزيارة بوصفها واحدة من الايام المأثورة المشهورة التى لا تنسى فى حياتها .

كان هنرى ثورو يرى فى مارى موودى امرسون العمة المبرزة لرالف والدو امرسون : « أنها أذكى من عرفت من النساء قاطبة وأكثرهن مرحا وأشدهن نشاطا » . قرأ عليها مخطوط مؤلفه عن « والدن » فتبين له ، أنها قادرة على تذوق الشعر وتقدير الفلسفة حق قدرها ، كالرجال سواء بسواء .. استمتع بصداقتها الحانية كما أمتعتها صداقته .

صارت مارى فى أخريات أيام حياتها غريبة الاطوار ، فقد تاقت الى الموت وصنعت لنفسها سريرا شبيها بتابوت الموتى ، وأعدت لنفسها الاكفان . ولكن لما لم تأتها منيتها كما كانت تتوقع وتترقب فقد ارتدت العديد من اكفانها تلك مفضلة الافادة بها كثياب على رؤيتها تالفة ...

وحينما كان ثورو يرقد على فراش الموت ، احاطت به النسوة من مؤيدات الكنيسة والدين . وكان ، كالعهد به دائما ، مالكا لزمام نفسه حتى النفس الاخير . فلما سالته العمة لويزا برقة وفى عطف وحنان ما اذا كان قد تصالح مع الله جل جلاله .. اجاب بهدوء مصطنعا الدهشة : « لم أعرف قط اننا تشاجرنا من قبل ».

محطة الرمل فى الشعر الحديث

● عبد العليم القبانى ●

● اذا قيل ان فى الاسكندرية منطقتين تستأثران باغلب ما تمتاز به المدينة من جمال ــ فان ((محطة الرمل)) ــ بلا شك واحدة منهما ...

لقد كانت ((محطة الرمل)) فى بداية هذا القرن نقطة انتهاء للاسكندرية القديمة ، وبداية انطلاق نحو الضاحية الجديدة ــ ((الرمل)) ــ التى بدات تنمو على استحياء ...

لقد كانت فى بدايتها محطة للسكك الحديدية تنقل الركاب المسافرين الى الرمل ، وكانت مياه البحر تغمر مكان القنصليه ((الايطالية)) ومحلات ((تريانون)) الآن حيث كان مكانهما مشغولا بحمامى ((سانتى)) و((زوريو)).

اما الآن ، فان محطة الرمل تمثل لقاء بين غربى الاسكندرية الذى يمتد حتى ((العجمى)) ، وبين شرقيها الذى يصل الى « أبى قير » وعمقها الذى ينتهى عند « غيط العنب » وامتداده شرقا وغربا تحت اسماء متعددة ، وبالتالى فقد اصبحت هذه المنطقة سوقا من اعظم اسواق المدينة، حيث يجد الناس فيه ما يرغبون من حاجات ضرورية او كماليات منها المصنوع محليا ومنها ما هو مستورد من كل مكان . ومن ثم حفلت بالناس من أبناء المدينة أو من خارجها ، وبالذات فى أشهر الصيف حيث لايجد الانسان موضعا لقدم ...

ومن ثم اثارت هذه المنطقة عند ابناء الاسكندرية العديد من المشاعر المتفاوتة الدرجات والالوان .

ولقد كان شعراء الاسكندرية اجدر الناس باعطائنا الصورة الشعرية لهذه الاحاسيس المتباينة ، لكن شعراء الاسكندرية ، ومعظمهم ،ربما شغلهم



محطة الرمل منذ سبعين سنة كانت نقطة التهاء للاسكندرية
القديمة ، وبداية انطلاق نحـو الضاحية الجديدة ..

الاستمتاع المباشر بما يشـهدون ، فانطلقوا ليسبحوا فى بحر من الحقيقة بدلا من السباحة فى عالم المثـل أو التخيل ... وكان ان ارهقنى الجهد حتى التقيت بثلاثة من اصـدقائى الشعراء ، جمعهم حب الاسـكندرية واستطاعوا أن يستخلصوا مـن وقتهم ما يضيفون فيه الى رصيدهم الشعرى تعبيرهم عن احاسيسهم تجاهمايلقونه فى «محطة الرمل» من صور وجدانيـة أو حسية مباشرة ..

لقد كانت المرأة عنـدهم المحرض الاول لاستقطار مشاعرهم بل ولتدفقها احيانا ، فان أغلب ماتناقلوه من مشاهد «محطة الرمل» انما طاف حول المرأة من قريب أو من بعيد ! ..

واذا كانت هناك كلمات منتزعة من « المحطة » فهى بمثابة مفاتيح تعمل على تطويع الفاظ اشعارهم ومعانيهـا لتنطبق على ما يراه القـارىء من مشاهد ...

واول هذه القصائد التى نعرض لها قصيدة للشاعر السكندرى الصديق الدكتور « كمال نشات » وقد نشرها بديوانه « رياح وشموع » الذى نشره سنة ١٩٥١ — وهى قصيدة جميلة ، غير أنى لا ادرى مدى ما تناله من رضا صاحبها عنها الآن ، بعد أن سلك فى التناول الشعرى الجديد مسالك أخرى تبعد به عن نهجه فى تلك القصيدة التى مازلت أؤكد جمالها واعجابى بحرارة الشباب فى نسجها :

لى خافق يجد الجمال منوعا
فى كل مرأى يستبين لناظرى
فى البحر ، فى القفر الجديب ، وفى لظى
بين الجوانح فى ظلام مشاعر
فى بسمة الطفل الصغير تكشفت
عن طهره ، فى روعـة لعباقر
فى غنوة العصفور فى ألق الضحى
فى ضجة الموج العتى الهادر !

نعود بعد ذلك الى الحكاية من اولها فقد كان « كمال نشات » فى عنفوان شبابه عندما نظم قصيدته هـذه « ربيعى » الذى كان يراه متالقـا فى هذه المنطقة التى اعتبرها « كعبـة » للحسن والجمال :

فى جانب الميناء روض عاطر
هو كعبة ما ان تضيق بزائر
« فمحطة الرمل » التى كم امتعت
قلبى بالوان الجمال السافر ..
تتناغم الخطوات فى طرقاتهـا
فتجمع الاصداء مهجة شاعر !
وتشيم الـوان الربيـع حبيبة
فى خد نشـوان ووشى مآذر
فى صفرة الشعر المذهـب رتبت
خصلاته فوق الجبين الناضر !

ثم تأخذه دفقات النـور الملون التى تتوالى على واجهات الدكاكين وبانعكاس هذه الدفقات النورانيـة على وجوه الفاتنات من الفـاديات والرائحات ، يحس بمدى الاحتراق الذى يعانيه من هذه الفتن اللعوب ، بل انه ليرى أن الطريق نفسه يشـاركه فى توهجه والتياعه ... !

وملـون الانوار فى دفقـاته
حيران محتـدما كقلبى الحائر
يرمى بظـل راقص متكسر
لينام فى شـفة لأغيـد نافر



محطة الرمل
في الشعر الحديث

متوثبا حينا بشعر ثائر
متموجا حينا بطرف فاتر
كم من طيوب من ورود حية
ماست على هذا الطريق الصابر
في كل شبر من ثراه زفرة
اصعدتها خلف الجمال العابر !

ثم يعود فيتحدث الى « محطة الرمل » حديثا هو بالمناجاة اشبه :

محطة الرمل التى جمعت على
قلبي فنون ذواكر وذواكر !
انا ان نزلت على فصولك طائرا
فردا فلست عن الفصون بطائر . .

اما الشاعر السكندرى الصديق «أدوار حناسعد » فيبدهك في قصيدته « عرائس محطة الرمل » بتساؤل من خطفت لبه حوريات هذا الموكب الحافل بالحسن والجمال المتدفق من شوارع سعد زغلول وصفية زغلول والفرقة التجارية والنبى دانيال وغيرها ، ان الذى شغله وملك عليه احاسيسه هو تلك الفتنة التي انطلقت أسرابها تلعب بالعقول وتأخذ بالابصار :

هل طافت ابكار الجنة
بكئوس السحر وبالفتنه ؟
ام تلك عرائس امسواج
من بحر فسئمت سجنه ؟
حسن الأملاك ووسوسة الخناس واغواء الجنـه

والمفتاح الذى ينقل القارىء الى « محطة الرمل » هو قوله في البيت الرابع :

اضـداد باتت تعجبنى
بالرمل واعجب منهنه !

والمرأة في قصيدة « أدوار » من حوريات «الشمال » ذوات الضدائر المتوهجة ذهبية كانت أو فضية :

قد خطرت بالشعر الداجى
وجدائل صفر الامواج
وغدائر فرع رفاف
فضي كالماء السـاج
قد عقصت تاجا او تركت
تهفو بالعطف الرجراج

وتمر موجات الموكب المؤلف :

من . . كل طروب في خجل
او كل شرود في جذل
الشرق مع الغرب التقيا
في غالى الحسن ومبتذل

لكن شاعرنا يقف حيالها صامتا لايمد احساسه الى اكثر من مرمى بصره ، ولا يحاول ان يمد يده مرغما الى هذه الفاكهة التي حرمها عليه الخلق والعرف فلا يملك الا ان يقول :

تاه العشاق بمن صحبوا
وبقيت بنسكى المتصل !

ومع ذلك فان الصور التى اوقدت حسه لا تزال تمر امام ناظريه تاركة أصداءها في نفسه المشتعلة وقد انطلقت ترقص في رشاقة محببة :

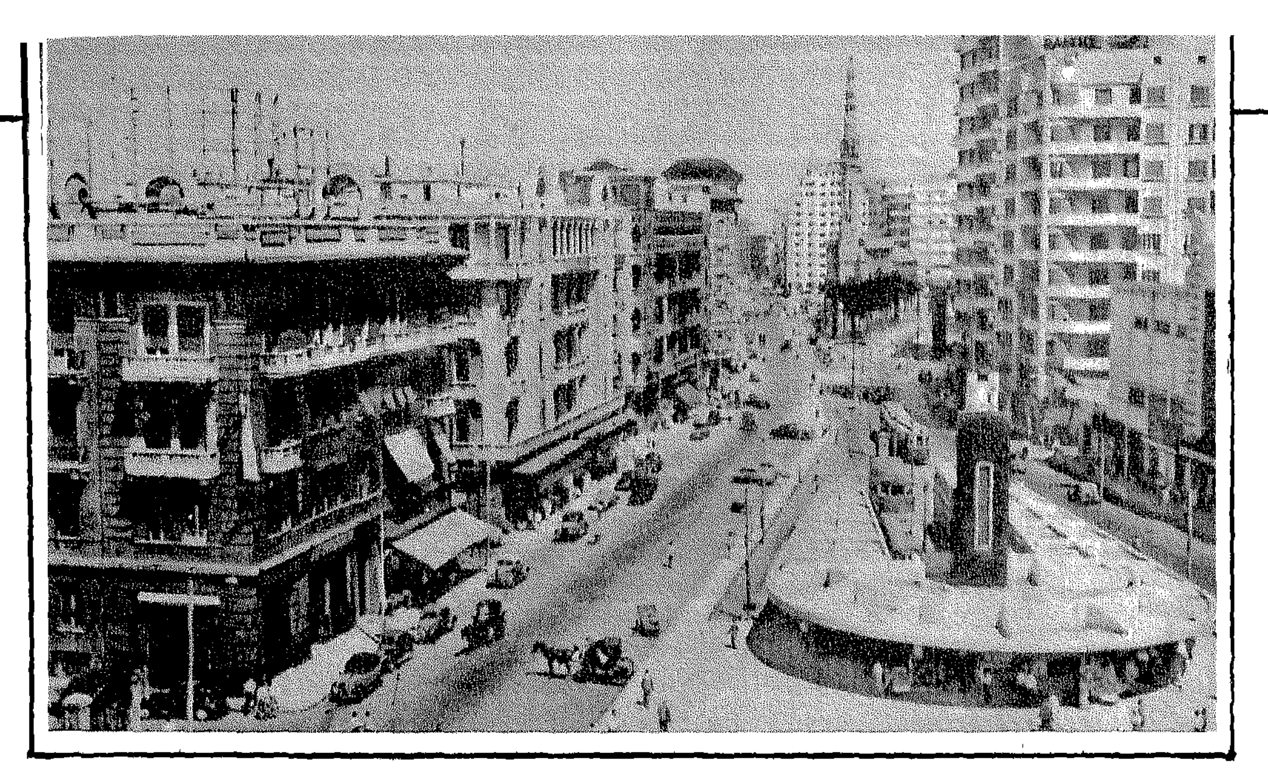
موسيقى الخطوة رقراقه
اغرت بفؤادى اشواقه
وثياب الفتنة قد لمت
هيداء الذيل وخفاقه
الوان الطيف واعطار
كالزهر تؤلفه باقه . . . .
الجسم بها كاس عار
يذكرك التين واوراقه

***

ويرى الشاعر السكندرى الصديق « احمد السمره » أن « محطة الرمل» أنما صنعت :

من هتفة موج مغرور
من خفقة قلب ماسور
من مقطع لحن يتثنى
من عرس يصدح في النور
من رقصة طير ذهبى
يهمس للغصن المهصور !

ويرى كذلك أن عنوان الحياة في « محطة الرمل » هو ذلك التزاحم والتدافع بين الغادين والغاديات والرائحين والرائحات المتدفقين من الشوارع المحيطة بالمحطة ، هذا الزحام الذى يحيله حلم اليقظة عناقا يروى ظما الملهوف ، ذلك العناق الذى نحس به في قول شاعرنا حين يصف



محطة الرمل الآن .. نقطة لقاء بين غربي الاسكندرية وبين شرقيها

المنطقة بأنها :

ترفل بالحسن على سعة
وتضيق بدفقات عبور
فرشيق الخطو تاوده
يتعثر فى شق مسير
والحسن يزاحم معتذرا
للحسن بأرشق تعبير
حتى الأنفاس بها نلقى
شغلا فى ورد وصدور
تتخاصر فى عطف زحام
((تتعانق)) فى خطو مرور ؟

ولنستمع الى شاعرنا وهو يتابع ببصره وإحساسه مواكب الغيد وهن نازلات الى «النفق» أوصاعدات منه، و «النفق» هنا أحد مفتاحين بارزين فى القصيدة احدهما اسم « محطة الرمل » الذى ورد مرتين والآخر هو هذا «النفق» الذى يبدأ « السمره » المقطوعة الخاصة به بهذا السؤال التعجبى :

ارايت الحور على مهل
يخطرن بقلب ماسور
ينزلن الى النفق الحانى
يغربن كهالات بدور

كعرائس اسحار تنأى
فى حلم الفجر المخدور
كالصبح تنفس مزهوا
يستمرىء لثغة عصفور

و « السمره » بعد ذلك كصاحبه مفتتن بالفاتيات يصفهن فلا يكاد يترك من ملاحتهن شيئا وان تأرجحت تشبيهاته بين المعنوية التى أسلفنا شيئا منها والمادية التى تطالعنا فى هذه الابيات التى يصف بها احداهن ، وقد تبدت :

بجبين يفتن معصوبا
بشريط من نسج غدير
بكريز فى الشفة السكرى
انمر من قبل التزهير
بذراع بضى رأو
من نجمة عاج مقطور
بشفيف الثوب اذا جلا
انبوبة ساق بللورى

ويختتم « السمره » قصيدته بدعوتك الى التمتع بما فى « محطة الرمل » من متع رائعة لا تكلفك شيئا الا ان تسير اليها ..

---

* ملاحظة : ترتيب الشعراء هنا لأسباب فنية ولا صلة لها بمكانة الشعراء وقصائدهم .

التوتر النفسى آفة العصر

لكى تريح ذهنك وتكفل له الصفاء
التنفس الايقاعى العميق
علم وعلاج

● جورج عزيز ●

اننا نادرا ما نقـــرن التنفس بالاســـترخاء ، مع ان التنفس الايقاعى العميق من أهم العوامل ـ ان لم يكن اهمها ـ التى تدخل فى عمليات الاسترخاء ، فان نشاطنا الذهنى مرتبط بدرجة بحركة تنفسنا .. معنى ذلك اننا اذا تعلمنا كيف نسيطر على تنفسنا استطعنا ان نؤثر فى نشـــاط ذهننا ، ومعناه ايضا اننا اذا ابطانا سرعة تنفسنا فان ذهننا يصبح اهدأ واقل اضطرابا .

ولكي يزداد فهمنـا للعـــلاقة بين الاسترخاء والتنفس الايقاعى ، يحسن بنا ان ندرس العوامل الخاصة بالتنفس عامة والتنفس الايقـــاعى العميق بوجه خاص .

ان التنفس هو أهم العمليـــات التى نقوم بها ، ولولاه للفظنا أنفاسنا الاخيرة فى بضع دقائق ، فالحياة ترتهن كلية بالتنفس ، تلك العمليـــة التى لا تنتهى أو تتوقف ، بل تستمر ما دمنا على قيد الحياة ...

وكما أن السلسلة مكونة من حلقات عديدة ، كذلك نجد الحياة عبارة عن حلقـــات من عمليـــات التنفس ، فاذا الكسرت حلقة واحدة انقطعت السلسلة واذا توقف التنفس أصبح اســـتمرار الحياة مستحيلا ..

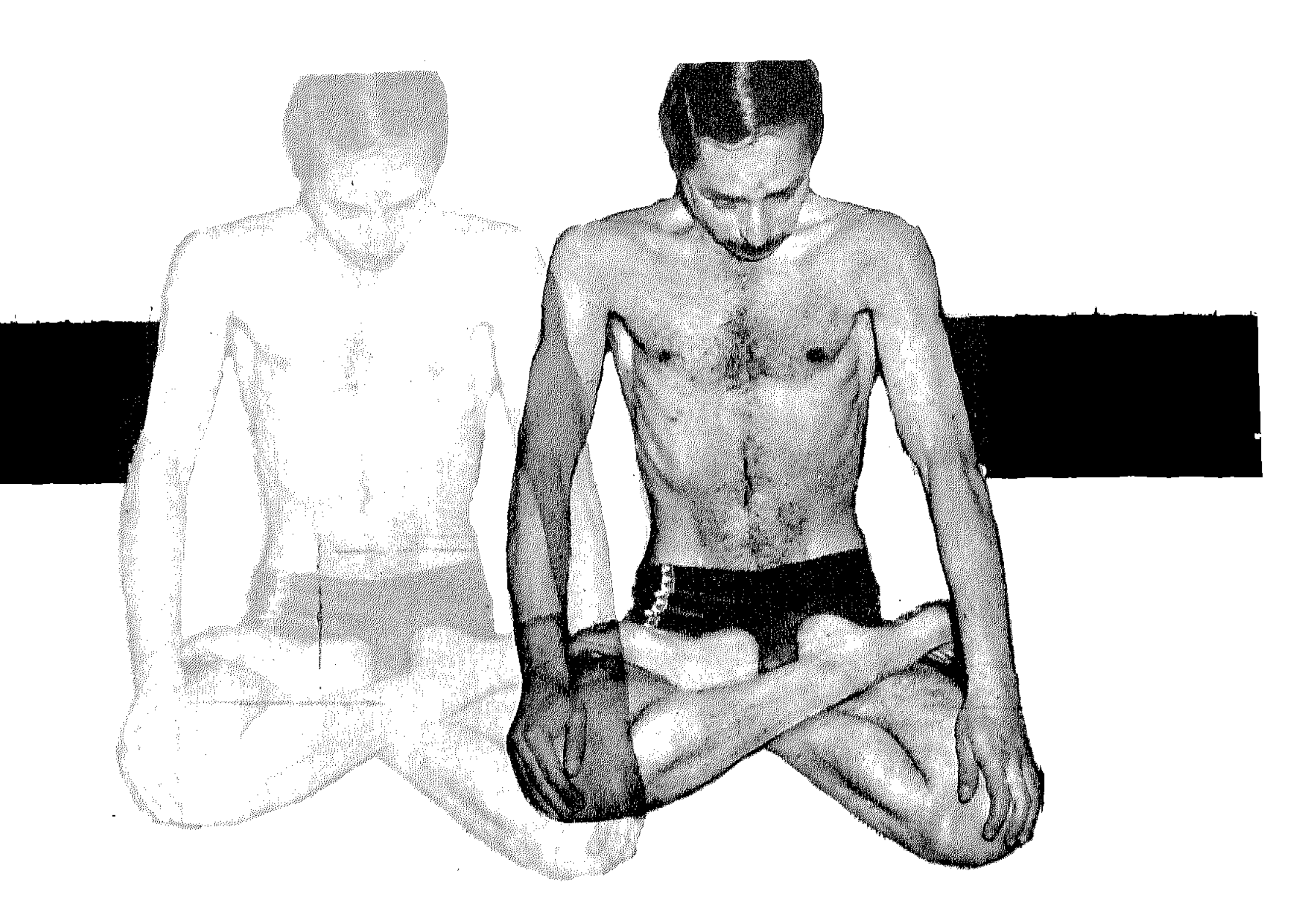
اذا أردنا أن نحيا حياة كاملة ، وجب علينا ان نتنفس تنفسا كاملا .. فالتنفس الضعيف غير العميق لا يمكن أن يكفـل صحة جيدة ، أو يجعل الذهن صافيا ، أو الـــروح مشرقة . بـل بالعـكس ، لا يؤدى التنفس الضعيف الا الى الاكتئاب وفقدان النشاط والحيـوية والهمـة ، والشعور بالتعب والارهاق بعـد اقـل مجهود ..

الاوكسيجين للقلب والمخ

قد لا يعرف الكثيرون ان الاوكسيجين يغذى غددنا ويحافظ عليها ، ولكننـــا نعــرف ان القلب والمخ بوجـه خاص يحتاجان الى مقدار كبير من الاوكسيجين لكى يؤدى كل منهما وظيفتـه على أتم وجه مستطاع .

وفى هذا يقـول العـــلامة « جـون لوجرون » فى كتابه الشهير « تسعون يوما لقلب أصح » :

« **ان كثيرين من رجال الاعمـــــال**



الغارقين في أعمالهم حتى آذانهم يعانون من ضعف تدفق الدورة الدموية الى المخ ولهذا نجدهم يعانون من التوتر ، والأعصاب المشدودة ، ويفتقرون الى البشاشة ، بل ان صفاء الذهن يعوزهم في اغلب الأحيان . »

يضاف الى ذلك ان سلامة الجهاز الهضمي نفسه تتأثر مباشرة بالاوكسيجين الذي يوفره التنفس .

ومع ان قليلين من الناس يعرفون أن ثمة صلة قوية بين التنفس والتوتر ، فان من الثابت المحقق أن التوتر هو رد الفعل الخارجي للحالة الداخلية كما يمثلها الجهاز العصبي المركزي فعندما يؤثر الارهاق في الذهن فانه — أي الذهن — يصبح نهبا للخوف الذي يتسبب بدوره في القلق ، وهذا بدوره يؤدي عادة الى التوتر !

ولكي نقاوم التوتر يتحتم علينا أن ندرب عقلنا على نحو يجعله يقاوم ضغط الارهاق ، وهذا يمكن أن يتحقق بالسيطرة على التنفس ما دام العقل هو الذي يتحكم في الحواس بينما يؤثر التنفس في العقل ..

من منا لا يريد أن يعرف كيف يتسنى له أن يعالج ما يعانيه من توتر وخوف ، وأن يحافظ على صحته ويحميها من كثير من الامراض ، وأن يحول دون أن تسرى عوامل الشيخوخة في أوصاله قبل الأوان ، وكيف ينمى المواهب الكامنة فيه وكيف يضاعف قدرته على الشعور والادراك الحسى .. وكيف يكفل الصفاء لذهنه ، ويقوى ذاكرته .. وكيف يوفق بين ايقاع حياته وايقاع البيئة المحيطة به ، بل ايقاع العالم كله ؟

ان اقلية ضئيلة من الناس تتصور ان هذا كله ممكن بالسيطرة على التنفس !

ومن حسن الحظ ان دراسة وسائل التنفس الصحيح لا تحتاج الى سنوات عديدة ، فقد تم ذلك قبل قرون بواسطة فلاسفة اليوجا في الهند . وكل ما يجب علينا ان نفعله الآن هو أن ندرس الوسائل التي اهتدوا اليها ، وان نستخدمها لصالحنا .

ومعروف ان بعض فلاسفة اليوجا وممارسيها اشتهروا بان لهم قوى روحية غير عادية . وهذه الظاهرة تعد في مقدمة نتائج السيطرة على التنفس والتحكم فيه .

ولا شك ان أولئك الذين نجحوا في ممارسة هذا الفن العجيب هم ادلة حية على ما تستطيع القوى الهائلة الكامنة فينا أن تفعله اذا نحن اطلقنا سراحها ووجهناها التوجيه الصحيح .

الجسم جهاز عجيب

ان جسمنا جهاز عجيب التركيب للتنفس ، بيد أننا لا نهتم بأن نبذل قصارى جهدنا لتنميته واستخدام ما فيه من طاقة جبارة على أتم وجه ، فنحن نكتفى بنوع من التنفس السطحى غير العميق يكاد لا يكفى لتنمية قوانا الدفينة التى تمكن اجسامنا من أن تحمى نفسها من نزلات البرد مثلا ، وتصل بها الى القدرة على ترويض الارادة ..

ولكن قبل أن يتسنى لنا أن ننمى قوانا الكامنة ، أيا كانت ، يجب علينا أن نتعلم ، بادىء ذى بدء ، الطريقة السليمة للتنفس ، لكى نمد اجسامنا بمقدار كاف من الوقود والاوكسيجين .

على انه ينبغى لنا أن نبدأ من البداية شأننا فى ذلك شأن البستانى الذى ينشد تفتح الورود الجميلة فى موسم ما فيجد لزاما عليه أن يبذر بذورها . أو يغرس شتلها بعد أن يفلح الارض فى الموسم الذى يسبقه .

ان الكيان البشرى فى حاجة دائما الى زاد وفير من مواد البناء لترميم ما يبلى منه من جراء عملية الاستهلاك الذى يترتب على الاستعمال . وثمة أمر غاية فى الاهمية هنا . هو أن اعادة البناء فى جسم الانسان لا تتوقف ،وانما تظل مستمرة ما دام حيا يرزق بصرف النظر عن السن . مثال ذلك أن كل الكرات الدموية الحمراء فى الجسم تجدد نفسها اثنتى عشرة مرة تقريبا فى السنة ، أى كل ثمانية وعشرين يوما .

عامل جوهرى

والعامل الجوهرى فى اعادة البناء ليس الطعام ، كما يخيل الى كثير من الناس ، بل هو الأوكسيجين الذى يعد عنصرا اساسيا فى كل شىء فى حياتنا ، من عملية الهضم حتى التفكير المبدع !

ان عدم كفاية زاد الجسم من الاوكسيجين يؤدى عادة الى تراكم مواد سامة ، والى تضاؤل فاعلية العمليات الحيوية التى تقوم بها الخلايا ، بمعنى ان كل نسيج فى الجسم ، وكل عضو من الرئتين الى القلب حتى الذهن تقوم بوظائفها على نحو غير طبيعى من جراء عدم كفاية الاوكسيجين .

وفى تقرير لوزارة الصحة الاتحادية الامريكية أن خمسة وسبعين فى المائة من حالات اضطرابات القلب التى يصاب بها من تجاوزوا الخامسة والاربعين ، تنشأ فى الكثرة الغالبة من الاحيان قبل أن يبلغ الشخص العاشرة من عمره ! ..

ويرجع السبب فى الكثرة الغالبة من هذه الحالات الى عدم نمو الرئتين بطريقة سليمة ، والى عادات التنفس السيئة أو غير السليمة التى يتعودها الاطفال ، كالتنفس غير العميق ، والتنفس بالجزء الاعلى من الرئتين .

وينبغى أن يلاحظ هنا أن هذا النوع من التنفس غير السليم كثيرا ما يمارس فى حصص الرياضة البدنية بالمدارس ، لأن مدرسى الرياضة البدنية يكونون فى اغلبية الأحيان على غير دراية بفوائد التنفس العميق ..

اياك والتنفس السطحى

يقول الاستاذ الدكتور « فيليب رايس » فى كتابه الشهير ، بناء الصحة العقلية والبدنية : «ان التنفس السطحى بالجزء الأعلى من الرئتين عملية لها خطورتها » ، وهو يحذر من آثارها السيئة . والرأى عندى ان الواجب يقضى بتحريم التنفس السطحى فى المدارس الابتدائية أثناء فترات الالعاب الرياضية حتى لا يتعود الاولاد الصغار التنفس بطريقة خاطئة ضارة .

ان التنفس السليم يبدأ بملء الجزء الأسفل من الرئتين بالهواء النقي المشبع بالاوكسيجين أولا ·· ان الرئتين في شكل ثمرة الكمثرى ، عريضة في أسفلها ، ويقل العرض تدريجيا في اتجاه رأسها ، ومن هذا ندرك بسهولة ان الحركات الرياضية التي توسع الجزء الاعلى من الصدر وتهمل الجزء الأسفل تدع الرئتين متعطشتين للاوكسيجين النقي ·

أهمية التنفس العميق

اننا ندرك جميعا بصورة عامة الدور الحيوي الذي يقوم به التنفس العميق في تنمية الرئتين · ولكن مما يثير العجب أن قليلين من الناس يعرفون أن للتنفس العميق نفس الأهمية بالنسبة للقلب والعقل بوجه خاص ·

والواقع أن آثار التنفس غير العميق لا تظهر في أي عضو آخر بشكل خطير مثلما تظهر في العقل الذي يحتاج الى ثلاثة امثال مقدار الاوكسيجين الذي تتطلبه بقية أعضاء الجسم مجتمعة · فالعقل يعاني من نقص التغذية بصورة خطيرة اذا لم يحصل على حاجته المناسبة من الدم الغني بالأوكسيجين · والى هذا النقص يعود عادة ضعف الذاكرة ، وقلة الذكاء ·

ان معظم الاضطرابات البدنية والعقلية التي تنتابنا ، مرجعها ـ مباشرة او غير مباشرة ـ الى التنفس غير السليم ، وقد أثبتت التجارب التي قام بها فلاسفة اليوجا طيلة عدة قرون ان من يتعلم أساليب التنفس السليم في صغره يظل في مراحل الشباب والرجولة والشيخوخة بمنجى من المشكلات البدنية والعاطفية والنفسية . فالتنفس السليم كفيل ـ مثلا ـ بالحيلولة دون الميل الى ارتكاب جرائم الاحداث في نفوس الشباب ·

بل ان الاستاذ الدكتور « رايس » يذهب الى أبعد من ذلك فيقول ان الخط الاجتماعي الذي يتمثل في انحراف الاحداث يمكن أن يعالج بالوسائل الصحية السليمة الناجحة ·· وقد استطاع هذا الطبيب العالم الذي اقتنع بفوائد اليوجا ، أن ينجح في معالجة هذه المشكلة ، وتحسين تصرفات الاحداث وسلوكهم ، وذلك بأن جعلهم يمارسون التنفس الايقاعي العميق ، بل لقد استطاع ، بخبرته الواسعة في هذا المجال ، وقدرته على تفهم عقلية الاحداث والافضاء الى ما يعتمل في نفوسهم ، أن ينمي في عدد كبير منهم غرائزهم الطيبة الخلاقة ، وان يجعلهم يشعرون بما في الحياة من جمال ، بعد أن كانت ميولهم تخريبية تدميرية !

تجربة ناجحة

وقد درب دكتور « رايس » صبيا كان يعاني من الضعف والهزال والتخلف العقلي ، على التنفس الايقاعي العميق فبدأت حالته الصحية العامة تتحسن بعد بضعة أسابيع · واجرى تجارب على مائة وخمسة من الصبية كلهم مصابون بنفس العوارض المرضية ، وميالون الى الاجرام · ودربهم على التنفس العميق ، وجعلهم يقومون بحركات رياضية لتوسيع الصدر مرتين يوميا لمدة عشرين دقيقة في كل مرة · وبعد أربعة أشهر تحسنت حال كل واحد من أولئك الصبية ، بل ان بعضهم بلغ به التحسن درجة جعلته يستأنف دراسته في المدرسة ، بعد أن اضطره تخلفه العقلي الى الانقطاع عن الدراسة · وقد اعتبرت نتائج تلك التجربة انجازا علاجيا رائعا !

ويؤكد العالم الشهير دكتور « سيجفريد كنوار » أن للتنشيط الذي يصل الى خلايا الاعصاب من النبضات الايقاعية المستمرة التي تتولد عن التنفس الايقاعي العميق ، تاثيرا طيبا جدا على عمليات الذهن ·

زهرات من رياض العرب

● لماذا سكت ●

لما حج هارون الرشيد ، التقى بعابد معتصم بجبال تهامة ، فسأله الرشيد أن يوصيه ويأمره بما شاء فيقضيه ، فسكت العابد ولم يجبه ...

وانصرف هارون الرشيد ، فسأله أحدهم: أيها العابد لماذا سكت عن الوصية أو النصيحة لهارون الرشيد ولو بتقوى الله والاحسان الى رعيته ؟

فقال العابد : ذلك لانى أكبرت الله أن يأمره فيعصيه وآمره انا فيطيعنى ...

● ملاحظة ●

كان على مائدة هشام بن عبد الملك اعرابى ، وبينما هو يأكل علقت شعرة فى لقمته لحظها هشام فقال للاعرابى : يا اعرابى نح الشعرة عن اللقمة .. فرد عليه الاعرابى بقوله : انك ياهشام تلاحظنى على مائدتك ملاحظة من يرى الشعرة فى اللقمة .. ثم أنشد على الفور:

وللموت خير من زيارة باخل
يلاحظ أطراف الاكيل على عمد !

● عطية ●

أوفد عثمان بن عفان بعطية من النقود الى أبى ذر الغفارى مع عبد له .. وقال له : ان قبل منك أبو ذر هذه العطية فأنت حر لوجه الله ، فأخذها العبد وذهب الى أبى ذر وقال له : تقبل هذه العطية من أمير المؤمنين يا أبا ذر ففيها عتقى ...

فنظر اليه أبو ذر وقال له : والله ان كان فى قبول هذه العطية عتقك ، فان فيها رقى ...



● أول الحساب ●

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال صلى الله عليه وسلم « ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان صلحت فقد افلح ونجح . وان فسدت فقد خاب وخسر ، فان انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل : أنظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم تكون سائر أعماله على هذا » .

● محسن فهمى ●

اقرأ الهلال واكسب جائزة

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة أسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز .

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر اسم القائل ،وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال

● شروط المسابقة ●

● سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ــ والثانية ثلاثة جنيهات ــ والثالثة جنيهان ــ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

● وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد يناير ١٩٨٠

آخر موعد لتسليم الردود : ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٩

اقرأ الهلال واكسب جائزة

الاسئلة :

سؤال ١ ــ من الف كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » ؟
جواب ١ هو (فى مقال)

سؤال ٢ ــ أى يوم يوافق أول المحرم للسنة الاولى الهجرية ؟
جواب ٢ هو (فى مقال)

سؤال ٣ ــ ما الاسم العربى لجزر المالديف ؟
جواب ٣ هو (فى مقال)

سؤال ٤ ــ ما اهمية الحامض د . ن . ا . ؟
جواب ٤ هو (فى مقال)

سؤال ٥ ـ ما الوظائف الفسيولوجية للكائنات الحية ؟
جواب ٥ هو (في مقال)

سؤال ٦ ـ من هو رائد الشعر الحديث ؟
جواب ٦ هو (في مقال)

سؤال ٧ ـ كم تبلغ موازنة التعليم بمصر في الوقت الحاضر ؟
جواب ٧ هو (في مقال)

سؤال ٨ ـ أي الشعراء الامريكان جاهر بعدائه للزواج وعارض نظامه ؟
جواب ٨ هو (في مقال)

سؤال ٩ ـ ما اهم صفات القصة القرآنية ؟
جواب ٩ هي (في مقال)

سؤال ١٠ ـ اين كان يقام اكبر مهرجان ادبي في الجاهلية ؟
جواب ١٠ هو (في مقال)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد نوفمبر ١٩٧٩

الاسم: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ السن: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

العنوان: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

نبتعد .. لنقترب !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

هى : ــ تبدو هنا متوحدا كأنك تفكر وتحلم !..
هو : ــ انى أكتب !
هى : ــ الناس والعصر ؟..
هو : ــ لا !.. أكتب رسالة !
هى : ــ بكل هذا الاهتمام والتعمق !.. لابد أنها ...
هو : ــ فعلا ، رسالة هامة وعاجلة !
هى : ــ الى .. الى من ؟..
هو : ــ لا أعرف !
هى : ــ لا تعرف ؟!
هو : ــ ولكن ، ومن حسن الحظ انك جئت الآن لأسألك !
هى : ــ تسألنى أنا ؟! عن .. ماذا ؟!
هو : ــ عن الذى تسألييننى عنه ! ..
هى : ــ آه .. ، ولكن أأنت هكذا فى كل حالاتك ؟ .. أعنى ..
هو : ــ مناكف ، مثلا ، مقلق ، شغوب ؟!
هى : ــ ... وماذا أيضا ؟!
هو : ــ أخشى أن يكون الباقى كله مزايا !

تقدير !
للذين افتقدوا ((النـــــاس والعصر)) هنا ، والذين تساءلوا وكتبوا ـ : أجمل التقدير ... واعتذارا كأنه ((التقدير)) عند النحاة : حذف الكلمة فى اللفظ ، وابقاؤها فى النية ! ..

هى : ــ على أى حال ليس ذلك موضوعنا !

هو : ــ وليس ذلك ذنبى !

هى : ــ انك تحرف مسار الحوار ، فنبتعد و ...

هو : ــ وربما لانهم الان في باريس ياخذهم جنون اغنية : « نبتعد ... لنقترب »!

هى : ــ آه ، هنا ايضا يوشك ان ياخذنا جنون الحوار معك !

هو : ــ تلك بشارة نصر عظيم .. ولابد لنا الآن ..

هى : ــ لابد لنا الآن من وقفة هنا !.. قل لى ..

هو : ــ أقول لك ..

هى : ــ الا يمكن أن يجرى معك حوار بغير .. صدمات ؟!

هو : ــ لا ..!

هى : ــ لماذا ؟

هو : ــ لان الحوار حياة ، والحياة كما ترين ، وبالنسبة لى أنا صدمات !..

هى : ــ اذن ، فلعلنا لن نصل الى ...

هو : ــ .. وأين كنت تريدين أن أوصلك ؟

هى : ــ الى موضوعنا الاول : الرسالة التى تكتبها الآن و ...

هو : ــ آه.. الحق أن موضوعها يدور حول الخالدين !

هى : ــ تعنى الزعماء والمبدعين فى الفن والعلم والادب ؟

هو : ــ تماما ! ..

هى : ــ ولكن ما المناسبة .. أعنى مالك أنت ومال الخالدين ؟

هو : ــ مسألة قرب وجوار !

هى : ــ أنت قريب وجار للخالدين ؟!

هو : ــ باعتبار ما قد يكون !

هى : ــ ولكن كيف .. كيف يكون ؟!

هو : ــ اقول لك ..

بدءا ، وبعد البدء ، والى ما قبل هلال شهرنا هذا لم يكن بينى وبين « الخالدين » أكثر مما قلت الآن هازلة : مالك انت ومالهم !

هى : ــ لم تغير الحال اذن ؟..

هو : ــ انه المثوى .. (ولكى لا اشك فى ذمتك اللغوية ، فلن اقول هو المنزل ، والمكان ، والمدفن ... وجمعه : مثاو) ! ..

هى : ــ آه ، شكة ، ولا شك !

هو : ــ حسنا ، ولنستطرد ... :

لم أكن أعلم أن هناك مسابقة لتصميم مثوى يدفن فيه الخالدون ، حتى قرأت اخيرا اعلانا عن نتيجة المسابقة واعتماد تنفيذ المشروع الفائز على أرض فى مدينة من ضواحى القاهرة أخذوا لها من اسمنا اسمها !..

هى : ــ لكن ... وأيضا ، مالك أنت ومال هذا المثوى ؟

هو : ـ لقد ذكرني أني ليس لي مثوى !
هي : ـ أو كنت لا تذكر ذلك ؟!
هو : ـ كان ينسيني أني ليس لي مثوى ـ أن ليس لي ماوى !
هي : ـ ماوى ، يعني لا ...
هو : ـ لا مكان ، لا سكينة نفس ، ولا حنان !
هي : ـ آه ...
هو : ـ معذرة .. لم اقصد أن افتح لك حدائق الاحزان !
هي : ـ ... لنعد اذن الى موضوعنا ...
هو : ـ الى ... مثوى الخالدين !
هي : ـ و ... لماذا بالذات مثوى الخالدين ؟!
هو : ـ لاني احببتهم .. ولاني ليس لي مثوى !
هي : ـ تريد أن يكون مثواك معهم ؟!
هو : ـ العفو !.. يكفي قريبا منهم !
هي : ـ ولكن ، كيف يمكن أن ...
هو : ـ أليس من المحتمل أن تصميم المثوى يشمل قريبا منه أو عند مداخله ، مواقع مثلما يكون في المؤسسات مثلا لمكاتب العلاقات العامة أو الاستعلامات ؟!
هي : ـ محتمل جدا ..
هو : ـ اذن يمكن أن يكون لي هناك مثواي !
هي : ـ طبعا بعد عمر طويل !
هو : ـ شكرا .. ولكن لابد أن نحجز منذ الآن !
هي : ـ ذلك اذن هو موضوع هذه الرسالة التي تشغلك الآن و ..
هو : ـ والتي فرغنا الان منها !
هي : ـ فرغنا منها ... كيف ؟
هو : ـ ألا ترين أنا قد أبلغناها ، وعرفها الآن كل من يطل علينا من خلال السطور هنا ؟!
هي : ـ آه ... وبذلك نقترب من النهاية السعيدة ؟!
هو : ـ ليس بعد !.. بقيت لنا أم المشاكل !
هي : ـ أم المشاكل ـ مشكلة ! .. فما هي ؟
هو : ـ التزكية ! .. كل شيء يتوقف عليها ! .. لابد لي منها تزكية رفيعة المستوى !
هي : ـ بسيطة ! .. ولها الأوحد المرتجى : الاستاذ الكبير ت ..
هو : ـ تماما ، تماما ! .. ليس الا هو !
هي : ـ الا تعرفه ؟..
هو : ـ اني عظيم المعرفة به !
هي : ـ وأين المشكلة اذن ؟
هو : ـ المشكلة انه هو لا يعرفني !

.. ويبقى «الهلال»

••• ويا أستاذنا ، ودكتورنا •••

لقدْ كنتَ في البدءِ تجيئنا في « الهلال » ، تعرضُ المقال •• جناحك مخفوضٌ ، وسمتكَ ابتهال ، أن يقبل للنشر المقال !•• وساندك « الهلال » ، فقوّم لك ، وقدّمك ، وعرّف بكَ •• حتى أصبحت من أنتَ نباهة وانتشارَ إسم وقلم !••• وأصبح لك من اسمكَ على صفحات « الهلال » جواز انطلاق إلى ماوراء بحرِ الرمال والصحائفِ الأخرى وصكوكها أغنى وأقنى !

وهكذا ، لبستَ « للهلال » ثوبَ الكبرِ والبطر !••• فتحولت ، وتغيّرت الحال ••• لمْ تعدْ تجيءُ تعرض المقال ، فالمقال مدّخر لمنْ يدفع بالدينار أو بالدولار !

ولقدْ نلتقي عفوا وخطفا ، فلا يفوتك أن تتحفّى بنا •• ولا أن تزهو ، اعتذارا بمشاغلك عن الكتابة لنا ! •• ولا أن تعيّرنا بأنّا قليل فلوسنا !•••

على أننا ونحنُ نلتقى هنا ، لا نعاتبك أو نستكتبك ••• فلقد طوّقك الخريف ، وفرغنا منك كما فرغتَ أنت وجفّت جداولك ، ومعك أكثر جيلك ، والقافلة المتعبة ! •••

ويبقى « الهلال » موصولَ العطاء ، معرض الفكر والمعرفة والحب وروح العصر •••

يبقى « الهلال » وجه مصر العريق ثقافة ، وريادة ، ومواهب متجددة وجديدة تجعل الوجودَ وجودا جميلا ! ••

ولقد كانَ من المغرى هنا أن نقول عنك وفيك ، ما يغريكَ أن تأخذ أطماعك فتلقى بها في البحر أو تحرقها كما احترقت روما !•••

ولكننا نمسك ، حتى لا يسبق إلى الظن أن القولَ هنا باسم « الهلال » ، وماهو في الحقّ كذلك ••• وإنما هو قول خاص ، عنْ رأى أو رؤية أو وقفة على طلل الوفاء ، تحدرت فيها الدموع قطرات منْ قلم الغريب ••• والغريبُ هنا ، وغيرِ هنا ـ أنا ! •••

على حافة العناق

.. عصفت ، في القاعة الصغيرة ، عاصفة الاهات المرحبة !
طوق الصمت نغمة صاعدة فى لهاة المغني ...
وقف القوم ينظرون جميعا كيف تبدو ضيفة موعودة جاءت بعـــد موعدها !

. . . .

القوام فينان .. وثوبها من لون عينيها : فيروز ، الرمادى ضـــاربا فى الاخضر ...
الوجه الباسم عذب ، مريح ...
والعقد بازغ الحب ، طويل ، لونه الاصفران : الزعفران والذهب !

. . . .

سكن من حولها ـ (الضيفة) ـ مرح العتاب والاعجاب ! ...
تموجت فوق أوتار الغناء أنامل المغنى ...
وجد كل من فى القاعة مجلسه أو مكانا لمجلسه ، إلا واحدا .. ضاع مكانه ، وضاق سبيله ... فتوقف يتنفس الضياع والحرج ... ويبدو مثالا للغربة ، يعرض ـ فرجة ـ للسامرين فى المجلس الطروب !

. . . .

تفاقم حول الغريب حصار النظرات المتوهجة ضيقا ، وعجبا ! .. واهتز ، ثم انهار على كتف مقعد عريض فخم بجانبه ...
وتصايحوا به مشفقين محذرين ...
لا ، لا ... !
ان الجميلة الضيفة فى هذا المقعد !
ان جلسته هكذا معها توشك أن تقيم بينهما حالة عناق !
لو أنها تلفتت ، فسوف ...
لو أنه مال ...
ـ ... و ... ماله !
قالتها ، تغالب الحياء ، وتضحك ! ..
صوتها غرد ، متوثب ... والضحكة لها شخصية !
تساوقت وراء ضحكتها كل الضحكات ، تزفها ـ تجاوبا ورضا !..
خيل للغريب فى صحرائه الموحشة أنه يرى من بعيد ، خمائل الظل والجنى !

. . . .

ندرت صحبة السامرين أن تقتل الليل طربا ! ....

مطربهم نغوم ، رائق ، مبدع التقليد ...
كلهم خلص للسماع ... لكل جرحه ، وكل يسمع على [illegible] ! ...
وفي الغناء ، كما في الخمر ، نشـــوة تأخذ الطروب فـ [illegible]ـتى وقـد يتعرى ، وينكشف منه ما تحت القناع !
« هى » ... أيضا ، وقد تفتحت واهتزت ، ســـقط عـ[illegible]ـا قنـاعها ، فبدت بغير قناع عذبة الحضور ، سوية ، طروبا ... تنغم همسا ، مع صوت المغني ، فى مقاطعه الختامية ، حتى تزفه الى الذ[illegible] !

. . . .

وفي موقعه الفريد على كتف مقعد عريض يضم ا[illegible] بديعة ـ تفتح وجدان الغريب على جارته يتأملها واقعا وحلما !
هى على سجيتها البيضاء ، رقيقة ، لا تضيق [illegible]ـه ، ولا ببعض صمته وانطوائه !
هى عطوف تدفع معه معابثات من ينفسون عليه [illegible]ـه !
وهى بعد ، آه ... صوتها الشهى ، وشعرها [illegible] ... والعذوبة ، والأناة ، وأنس الروح ـ بهجة الدنيا وأنعمها ! ..

. . . .

الليلة ... ليس بين الحلم والواقع أرض محايدة ! ...
هنا الآن عرفها ... وهنا بقى أن يتعرف بها !
انها ، وإنه الآن ، فى جوار ، على حافة العناق ! ...
العناق ، فى الناس والعصر ، أسبق وأهون ... ومن ثم ، بعـــد العناق ، قد يجرى الحوار ! ...
لو أنها الآن تلفتت ...

. . . .

و ... تلفتت !
فلقد عصفت فى القاعة الصغيرة عاصفة الآهات المرحبة !
طوق الصمت أنغام الغناء ...
وقف القوم ينظرون جميعا كيف يقبل نجم فنان فى مفاجاة الحضـــور على غير انتظار !
احتوى النجم ـ حفاوة ـ بريق العيون والبســـمات ! ... امتد فى القاعة ، على شرفه ، جناح عريض! ... تغيرت فى المكان ملامح الوقائع والمواقع !
تلفت كل حوله يجلس ... وكل يفضل قرب النجم مجلسه ! ...
ولم يتوقف الغريب مضيعا ، حرجا ! ...
فى هذه المرة ، وجد الغريب مكانا ... ولكنه ، لم يجدها !
وانتهت قصة كان موعدها للناس والعصر اجمل الاجمل !
انتهت قصة لم تبدا ... !

نصر الدين عبد اللطيف

ترنيمة الختام

فلسفة الحب

● من الشاعر ب . ب . شيللى ●

● ترجمة : عامر محمد بحيرى ●

ماءُ الجداول والأنهار ممتزج
للنهْورِ امتزاجُ بالمحيطات
وللرِّياحِ مدَى الآباد ثائرة
لطيفةً ، واختلاط فى السَّموات

***

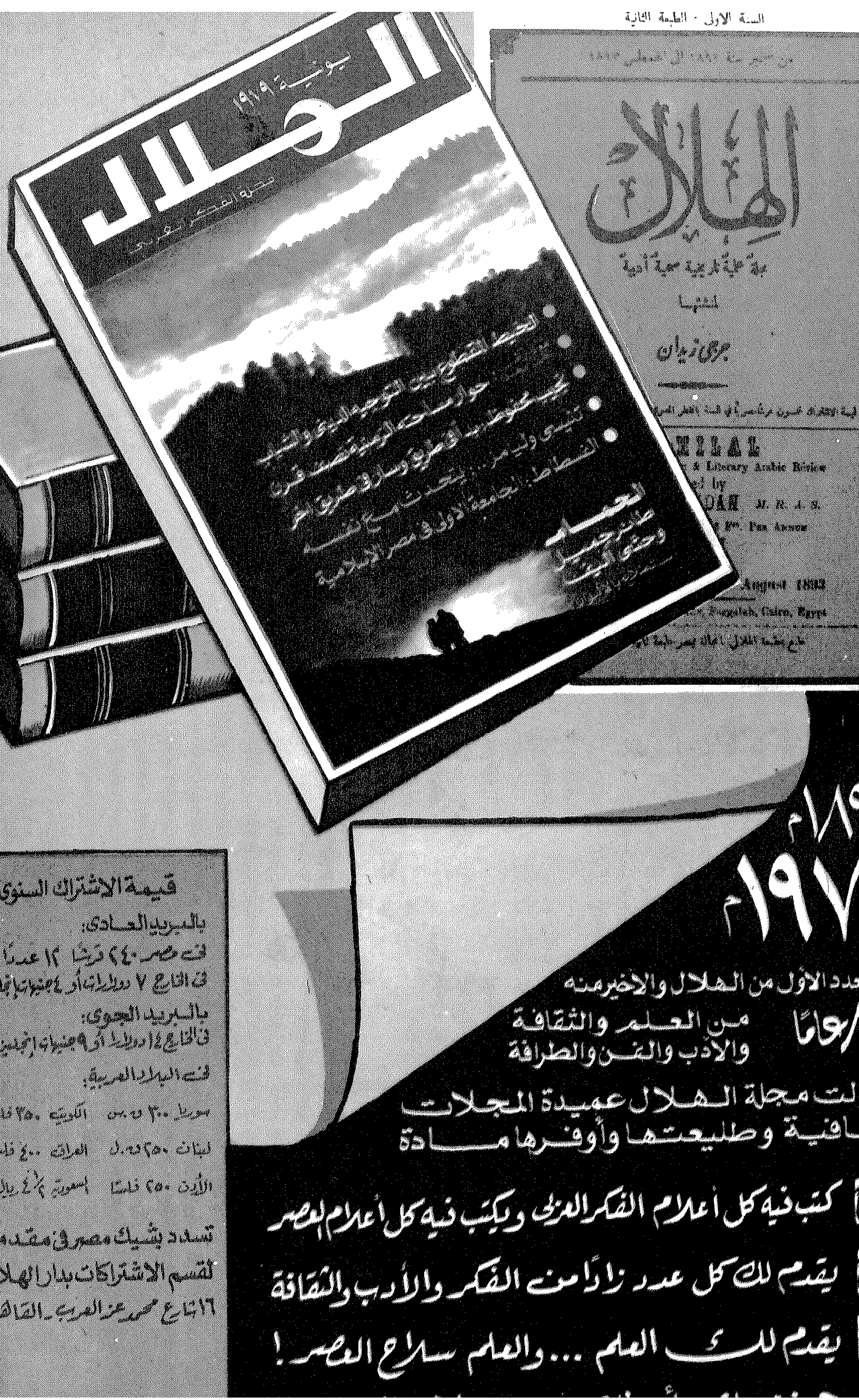
لا شيء فى هذه الأكوان منفرد
ولا تعيشُ بها الأشياءُ وحدانا
والامتزاجُ قوانين مقدَّسة
فكيفَ لَم تمتزجْ بالحُبِّ رَوحانا ؟

***

فمُ السَّموات .. أجيال تقبِّلهُ
والموجُ صافحَ كفَّ الموجِ منْ طربِ
وليسَ يغفر للأزهار ما صَنَعت
إن حقرت بعضها بَعْضا بلا سببِ

***

الأرضُ صافحَ نُور الشَّمس ساحتها
والبحر قبله ضوء من القمر !
فهلْ يكوُن لهذا الصنع قيمته
إن لم أنل قبلة ... من ثغرك العطر ؟!



السنة الأولى - الطبعة الثانية
الهلال
يونيه ١٩٧٩
الهلال
جرجي زيدان
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي:
بالبريد الجوي:
١٩٧٩م
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
مجلة الهلال عميدة المجلات
وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زاداً من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!

الهلال

ديسمبر ١٩٧٩

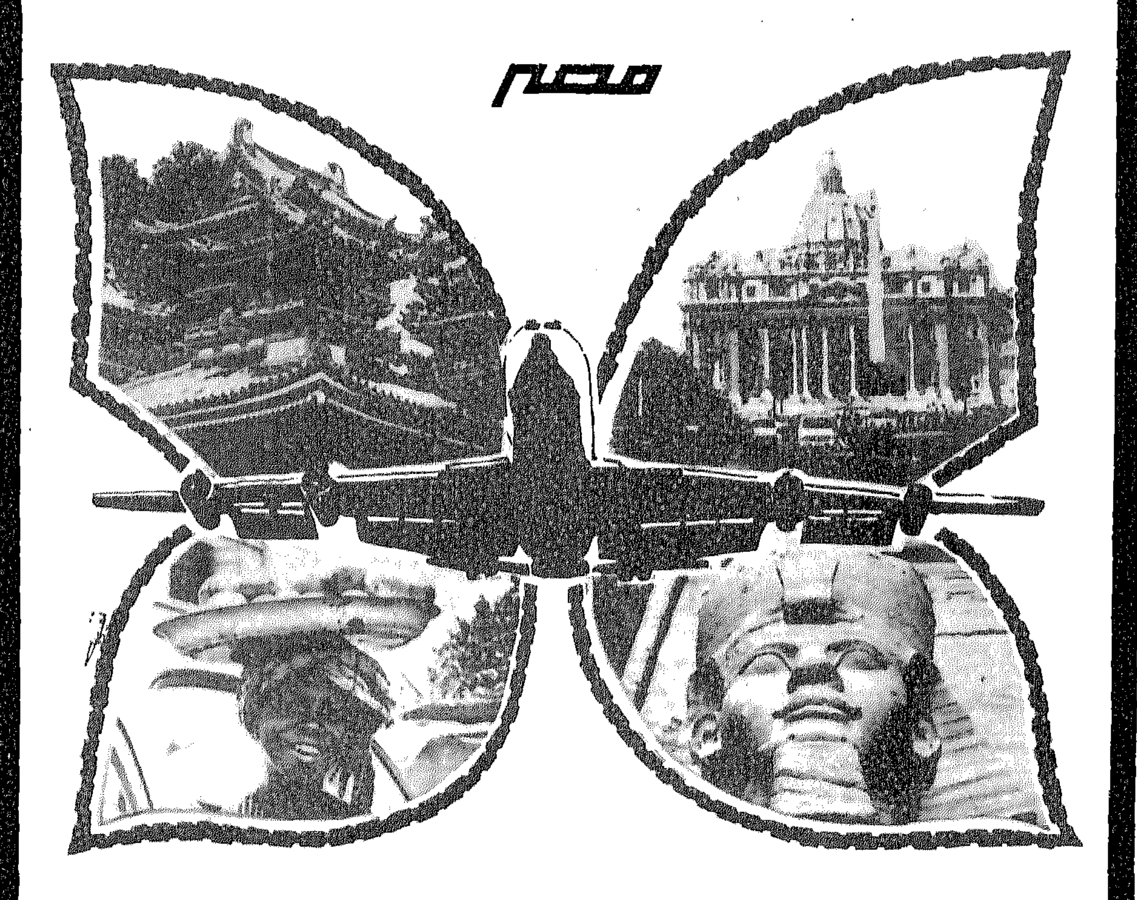
مجلة الفكر العربى

اقرأ الهلال واكسب جائزة



باريس الكبرى و القاهرة الكبرى

استطلاع بالألوان


مصر

كلمة الهلال

مُعضِلة !

لا شك فى أن العربى فى ذاته مشكلة تحتاج الى دراسة .. فهو انسان خير طيب ما فى ذلك شك .

وهو انسان ذكى نشيط ، يلمح حقائق الإشياء فى لمحة ويعمل عشرين ساعة فى اليوم اذا أراد ..

وهو انسان عريق ، تاريخه السياسى والحضارى طويل ، وقد أسهم العربى فى بناء حضارة البشر بأكثر من لبنة ..

والعربى محبوب من البشر ، يحل فى البلد الغريب فلا يلبث أن يكسب الاصدقاء ، وينزل ضيفا على الاسرة الاوروبية فتميل اليه القلوب ...

ولكنه مع ذلك انسان غير موفق فى الحياة ..

فشعوبنا رغم فضائلها لا تقف فى الموضع الذى يليق بها بين الأمم ..

وانتاجنا رغم استعدادنا للعمل قليل ، فنحن كما يقال نصنع كل شيء ولكننا نصنعه صناعة سيئة ، ونصنعه بكميات قليلة ونكلفه اضعاف ما يكلفه الآخرون ..

ومدننا فوضى ، وطرقنا محنة وبيوتنا لا تعرف السعادة وزيجاتنا بعيدة جدا عما يسمى الهناء ، ونحن ننفق الوفا لنؤثث قاعة جلوس فى البيت لنسعد بالاجتماع العائلى فيها فاذا اجتمعنا تشاجرنا ..

وتنفق العائلة كل ما تملك من جهد ومال ليصبح أولادها سعداء فلا يعرفوا السعادة قط : يصبحون أطباء ومهندسين ومعلمين وقضاة ، ولكنهم يظلون بعيدين عن السعادة ..

والأمم العربية شقيقات على الورق متدابرات فى الواقع . أمة واحدة فى نصوص الدساتير ولكنها ألف أمة فى عالم السياسة والتجارة والمال . وقد كانت عندنا جامعة عربية فما زالوا بها حتى حطموها ، والآن عندنا - فيما يزعمون - اثنتان : واحدة هنا وواحدة هناك ، ومع ذلك فلم تكن لنا قط جامعة لا عربية ولا رومية ..

هل تستطيع ان تحل لى هذه المعضلة ؟

معضلة العربى الطيب الخبيث ، الذكى الغبى ، القادر العاجز ، النائم اليقظان ، الغنى الفقير ، الضاحك الباكى ؟

● المحرر ●

فى هذا العدد

الهلال

مجلة الفكر العربى

محـــرم ١٤٠٠ هـ

ديســمبر ١٩٧٩ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
ـ أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة السابعة والثمانون
اول ديســمبر ١٩٧٩ ـ ١١ من المحرم سنة ١٤٠٠ .

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير الهلال غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر ..

الاشراف الفنى على هذا العدد

أحمد فاضل وأحمد الوردى

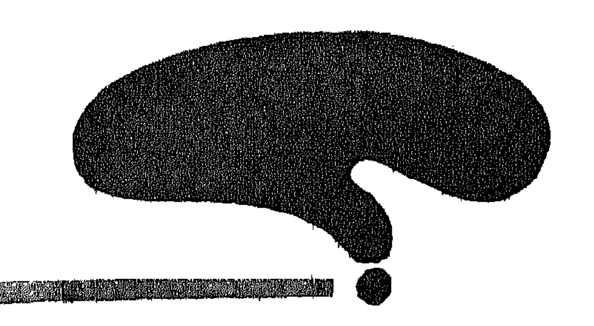
● الغلاف الأول ●

غلاف هذا العدد من الهلال رمز على امنية تراود خيال كل عربى بل كل انسان : رمز شجرة الحب التى ينبغي أن تطلع في صحراء حياتنا القاحلة الموحشة . واليد التى تراها تزرع الشجرة ينبغي أن تكون يدك أنت .. لان كلا منا ينبغى أن يزرع شجرة حب ..

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى ((١٢)) عددا فى جمهورية مصر العربيـــة ٢٤٠ قرشا صاغا وتســـدد مقدما لقســـم الاشتراكات بدار الهــلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ ج.ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا أو ٩ ج.ك تسدد بشيك مصرفى لقســـم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .

الادارة : دار الهلال - ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .



نريد أن نستقر..
نريد أن نتقدم..

نريد أن تكون بلادنا فى مقدمة البلاد
إذن.. فأولا وقبل كل شيء

لنزرع شجرة الحب

بقلم: رئيس التحرير

● **هنساك الفاظ تنفرد بها لغتنا العربية ويصعب أن نجد لها مقابلات فى اللغات الاخرى مثل الفاظ ، الحقد .. والشماتة وكيد الاعداء وشفاء الغليل ، والوقيعة والنميمة والغيبة والدسيسة ..**

وأمثال هذه الالفاظ التى تنفرد بها لغة دون غيرها من اللغات تكون فى العادة أدل على نفسية أصحاب اللغة وطبيعتهم واحساسهم بأكثر مما تدل عليه الالفاظ الاخرى التي توجد فى كل اللغات .

فاذا كان العربى قد ابتكر هذه الكلمات ليعبر بها عن احاسيس ومشاعر خاصة به ، فلأن معانى هذه الالفاظ شديدة اللصوق بطبعه دقيقة التعبير عما يحس به ، فاذا انفرد بها دون غيره من الناس فلأن الاحاسيس والمشاعر التى تعبر عنها خاصة به من دون الناس كذلك .

فالشماتة مثلا لفظ عربى لا يوجد له مقابل فى اى لغة اخرى ، ومعنى ذلك أن العربى من دون الناس هوالذي يشمت بعدوه أى يفرح لمصيبة تنزل به ، وهو قد لا يشمت بعدوه فحسب، بل بصديقه أيضا ، لان الشماتة فى ذاتها هى الفرح أو الطرب لمصيبة تصيب الغير .

كذلك الحقد ، وهو لون عميق جدا من الكراهية والبغض ، فان الكراهية قد تزول بزوال اسبابها ، وكذلك البغض قد يزول بزوال بواعثه ، لانهما من المشاعر العابرة ، تكون ثم لا تكون، أما الحقد فعميق دفين ، لا يزول بزوال أسبابه ، لانه جزء من خلق صاحبه ، فالحقود حقود دائما ، يحقد على الآخرين اذا آذوه ، ويحقد عليهم اذا نالوا خيرا حتى اذا لم يؤذوه، **والحقود مريض ممرور ، يؤلمه ما يصيب الناس من خير ، ويضغن عليهم فى داخل**

فى صحراء الحياة

نفسه ، ويطرب اذا اصابهم مكروه ، او اذا زالت عنهم نعمة ، ويشعر انه قد ارتاح او كسب كسبا خاصا به ولو لم ينله من مصائب الناس اى خير ، ولكنه مريض النفس ممرور الطبع ، ولهـذا فهو حقود . ويزيد فى حقده شعوره بانه عاجز عن ادراك ثاره من الآخرين، او عاجز عن مجاراتهم وبلوغ مايبلغون، فيتعزى بالحقد ويتمنى زوال نعمـة الآخرين .

والحسد كذلك طبع فيما يقـول العرب ، والجاحظ يقول فى « البيـان والتبيين» ان الحسود مبتلي بحسده، يعانى منه أشد مما يعـانى صاحب العلة من علته ، فهو لا يرى نعمة لأحد الا احس لها لذعا فى نفسـه وتمنى زوالها .

وقد حاولت ان اجد هـذا المعنى للحسد فى اللغات الاخرى فلم اجـد ، لان كل ما يقابل الحسد عندهم لا يصل الى هذا المبلغ من السوء وتمنى الأذى، فالحسد على هذا المعنى عربى ، مثله فى ذلك مثل الحقد والشماتة واللدد وما الى هذه من الالفاظ التى سبق ان اوردناها . والجاحظ نفسه يقول ان العربى حسود انوف .

***

ثم نظرت الى تاريخنـا بعد رسول الله صلى الله عليه وسـلم فرايت ان بداية تلك المأساة الاخلاقية كلها فىمقتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بنعفان.

والمفروض أن الذين قتلوه كانوا نفرا من أجلاف الجند الثائرين فى العـراق ومصر على الادارة المركزية ، ولكن لا يمكن ان تنسب هذه الجناية البشعة الى هؤلاء الجنود وحـدهم ، بل ان وراءها احقادا وحزازات قديمة . هنا نجد الحقد الدفين الاسود يطفـو على السطح ويريق دم ذى النورين عثمان دون جريرة تستوجب القتل .. وقد جرت هذه الجريمة الى جرائم اسـود منها ، وقامت الفتنة وقتل فيها الوف الناس ، واستشهد فيها صحابيان ، ثم انتهت آخر الامر باستشـهاد رابع

الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب . وقد اضطرب تاريخنا كله بعد ذلك وانتقلنا من عصر المثل العليا الي عصور الاحقاد والظلمات ، وما زلنا الى الآن نحمل على ايدينا آثارا من دماء عثمان الشهيد .

وقد ادى مقتل عثمان الى وقوع الخلافة في ايدي بني امية ، فحولوها الى ملك في بيتهم ، ولم تعد خلافة الا بالاسم ، وتراكمت الاحقاد والآلام ، وغلت القلوب بالاحقاد ، وما زالت مراجلها تغلي حتى انفجرت في صورة الثورة العباسية الجارفة ، التي اضافت دماء الى دماء واحقادا الى احقاد ، ولم ترد على المسلمين خلافتهم وانما نقلت التاج من مفرق رءوس الامويين الى مفرق رءوس بني العباس ، وعلى يد ابي العباس السفاح واخيه ابي جعفر المنصور وعمه داود بن علي سالت الدماء انهارا ، وابتعدنا بعدا شاسعا عن المثل الاعلى للاسلام وحكومة الاسلام ، ابتعدنا الى درجة استحالت معها العودة الى الطريق القويم .

وبقية القصة الطويلة الاليمة معروفة ، أو غير معروفة ولكن مجال روايتها ليس هذا المقال .

لماذا ، هذه الشرور والآلام كلها ، لماذا ؟.

لان القلوب تفيض بالمخاوف والاحقاد والضغائن والثارات . فصاحب السلطان يستعمل سيفه دون هوادة ، وما من هاجس خوف يطوف بقلبه نحو انسان الا كان السيف اسرع الى عنقه من غمضة الجفن ، لان الحقد أعمى سريع الى الضرب والبطش . وعصورنا الماضية كلها عصور خوف : الحاكم خائف والمحكوم خائف ولا شيء يدعو الى العنف والبطش مثل الخوف الذي يشل العقل ويترك المجال للغرائز .

فاين من هذا الطريق الاسود ما دعا اليه الاسلام من المحبة والتسامح والمغفرة ومكارم الاخلاق ؟.

وهذا الخوف الذي عشنا فيه هو السبب في اعمال العنف والاجرام التي شملت تاريخنا كله . ولقد عرف الغرب هذه المآسي والحروب ، وطالت هناك الصراعات ، وسالت بحار الدماء ، ولكن الذي نلاحظه في الغرب هذه المآسي والحروب ، وطالت البلاء ارتفعت اصوات الصلح والدعوة الى المصالحة والسلام ، وتقدم ناس يتوسطون لانهاء المآسي وسيلان الدماء ، هكذا انتهت هناك حرب الثلاثين عاما وحرب المائة عام ، وهكذا توقفت بين الحين والحين الحروب بين هولندا وانجلترا ، وبين انجلترا وفرنسا ، وبين الجمهوريات الايطالية بعضها وبعض ..

أما في تاريخنا فلا أحد يتوسط قط لان الحكام اصروا دائما على أن يحكموا منفردين ، ولم يفكروا قط في أن يتركوا جزءاً من السلطان لغيرهم ، ولهذا انقطع طريق الصلح وظلت الحروب دائرة حتى يهلك الناس وينتهي الامر بانتصار الاقوى وهلاك الضعيف ، وياله من انتصار اليم هو أقرب الى الهزيمة !. لان الحرب كما نعرف ليس فيها غالب ومغلوب ، وانما فيها مغلوب ومغلوب ، والفرق بين الاول والثاني أن الاول يكون فيه رمق من الحياة يعيش عليه حينا ثم يهوى ، والعبرة الكبرى نراها امام عيوننا اليوم ، فقد انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار الانجليز والفرنسيين والامريكيين على الالمان والايطاليين واليابانيين ، فانظر اليوم حال المنتصرين ! انظر الى حال انجلترا وما هي فيه من متاعب وازمات ، وفرنسا وما كانت فيه قبل شارل ديجول ،

• كلنا نشكو وكلنا ظالمون، لأننا جميعا لا نفكر في غير نفوسنا، وننسى أن الآخرين أيضاً ناس لهم حقوق.

• كل منا يهدر كرامات الآخرين، الموظف الذي تمنحه وظيفته سلطاناً -مهما صغر- يستعمل هذا السلطان لإذلال الآخرين .. وانظر والى كيف يعاملون الناس في أي مكتب من مكاتب الدولة

والولايات المتحدة وما يجرى عليها اليوم ..

وفى تاريخنا لم ينتصر احد قط على احد ..

فالعباسيون انتصروا على الامويين ليكونوا هم بعد ذلك فرائس الازمات والفوضى ومصارع الخلفاء ..

والامويون الاندلسيون والفاطميون فى المغرب أهلك كل منهما الآخر عشرات السنين ، وانتهى الامر بهزيمة الامويين ، فأما الامويون الاندلسيون فقد تدهورت خلافتهم ، وأما الفاطميون فقد تدهورت دولتهم بعد انتقالها الى مصر حتى صارت عبرة ومأساة .

والترك العثمانيون والفرس ؟! لقد تحاربوا عشرات السنين وانشغل الترك بحرب الفرس حتى تداعت حصون دولتهم فى أوروبا ، ودخل الاعداء بلادهم ، وسقطت دولة آل عثمان الى الحضيض ، واما الفرس فقد اهلك الصفويون انفسهم فلم يلبثوا ان تهاووا تحت ضربات القاجاريين .

فماذا افاد العرب والمسلمون من الاحقاد والحزازات والدماء والحروب؟ .

وهل صحيح ان الاتراك العثمانيين انتصروا على المماليك فى مرج دابق ؟ .

وهل صحيح ان الاتراك العثمانيين انتصروا على الفرس الصفويين فى شالديران ؟ .

وهل صحيح ان الموحدين قضوا على المرابطين فى معركة تلمسان ؟ .

غير صحيح هذا كله .

وجميع هؤلاء انهزموا وغرق منهم اكليل الغار فى بحر الآلام والدماء ، وكل ما خلفته حروبهم هى الاحقاد التى اكلتهم كما اكلت غيرهم .

لان الذي انتصر هو الحقد الاسود الدفين .

وماذا كان يحدث لو اننا استبدلنا بالحقد الرحمة وبالكراهية المحبة والغبطة بالحسد ؟ .

كنا نكون اليوم فى موضع الصدارة من الامم .

لان تاريخنا بدأ بعد بدء تاريخ الغرب بستة قرون ونصف ، فان تاريخنا يبدأ بنزول الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان من السنة القمرية التى تقابل سنة ٦١٠ ميلادية . وبدأ هذا التاريخ برسالة العلم والنور والمحبة والمؤاخاة ..

وبدأ هذا التاريخ على يد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهو

رسول محبة واخاء وانسانية ، وكان ينبغى أن نعى درس الحب والرحمة من رسولنا حتى نبدأ لانفسنا وللانسانية كلها عصرا جديدا .

وآه لو أدرك المسلمون قدر ما ضيعوه !.

وانتقل الى حياتنا الخاصة والعامة لترى مقدار ما فيها من الخير وخلق الخير .

أينما جلست وجدت الاحقاد والأضغان .

واذا سألتني : ما هي الشجرة التى لم تنبت قط فى بلادنا لقلت لك : شجرة الحب !.

ولو سألتنى : ولماذا لم تنبت أو تزهر أو تثمر كان جوابى لأننا لم نسمح لها قط بأن تنمو وتزهر وتثمر.

وما نبتت شجرة الحب مرة الا قصفناها واضعناها فى صحراء الاحقاد والحزازات .

وانظر الى الصداقات بيننا وكيف تخبو وتتحول الى عداوات .

وفى تاريخ الحقد فى سيرة البشر اجمعين انسان واحد لم يكتف بمقتل خصمه بل ابى الا ان يشق بطنه ويستخرج كبده ويلوكها ! وهذا الانسان ـ ويا للعجب ـ ! امراة ، هى هند بنت عتبة وزوج ابى سفيان بن حرب، فاى حقد هذا !.

وقد اقترف العرب فى حق بعضهم البعض من الجرائم ما لا تصدق معه ان الذين فعلوا ذلك مسلمون ، ففى حروب القيسية واليمنية فى بلاد فارس تقرأ انهم بعد ان قتلوا فلانا ((كشطوا لحمه !)) ، وفى ذات مرة خطف واحد منهم ابن عدو له ، ثم وضعه فى حفرة حيا وامر انصاره فسلحوا عليه حتى مات .. وفى حروب اليمنية والكلبية فى الاندلس وقف رئيس عربى يبيع من وقع فى يديه من خصومه العرب لمن ينقص لا لمن يزيد ! وما زال فى هذا المزاد الاسود حتى يبيع شيخ عربى كبير بكلب اجرب ، ويبيع آخر بخف مقطوع الشسع ..

واختار رجل يسمى العميل بن حاتم عددا ممن يكرههم وارسلهم فى بعث وهو واثق بهلاكهم ، فلما قيل له فى ذلك قال : والله لو عرفت لهم مصيرا اسوأ من ذلك ما ترددت ..

وذهب الرجال الى حيث أرسلهم العميل بن حاتم ، وقتلوا أبشع قتلة، فطرب لذلك وقال لصاحبه وشريكه فى الحكم يوسف الفهرى : الان خلت لك الى الدجال ! اى الى آخر الزمان، لان الدجال لن يأتى ـ فى المأثورات الشعبية عن اشراط قيام الساعة ـ الا آخر الزمان .

من أين أتت هذه القسوة فى القلوب ؟.

ومن أين أتانا هذا الحقد اللعين الذى يجعل الناس عندنا يطربون طربا حقيقيا فى مثل هذه المواقف البشعة ..

لا شيء فى ديننا أو تقاليدنا يبرر الحقد أو الثأر الدموى ، وهذا اللدد فى الخصومة ..

حتى الجاهليون لم يعرفوا هذه القسوة المريرة الا فى الكلام .. نعم انهم يتحدثون فى شعرهم عن الثأر والدماء ويفخرون بما يفعلونه باعدائهم، ولكنهم فى آخر الامر لم يعرفوا هذا الحقد الاسود ولا التخلى عن الانسانية والنخوة والشهامة كما حدث مثلا فى استشهاد الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنه، عندما حاصروه هو واهله واعطشوه واجاعوا الاطفال قبل أن يقتلوهم ، وذلك كله ارضاء ليزيد بن معاوية بن أبى سفيان وواليه على العراق ..

اتانا هذا البلاء من اننا فى الحقيقة لا نعرف الايمان الصحيح. اننا نتحدث

● تاريخنا الماضي لم تحكمه أخلاقيات الأديان بل حكمته الأنانية والظلم والأحقاد ولهذا وصلنا بعد أربعة عشر قرنا من الآلام إلى آخر صفوف العالم الثالث ..

● الحب شجرة لا تثمر ولا تزهر في بلادنا إلا نادرا لأننا نتربى على الحقد ومنه نعيش والكتب التي يرددها أبناؤها حافلة بالأحقاد .. اننا نقول لأولادنا : تفوقوا على الأقران وكان ينبغي أن نقول لهم : تعاونوا مع الأقران

عن الدين دون ان نفتح قلوبنا له ، دون ان نكرس في قلوبنا وقلوب ابنائنا الايمان الحقيقي باخلاقياته .

وهل من الممكن ان تكون في قلب زياد بن ابيه قطرة من الايمان بالله ورسوله ثم يسعى ذلك السعي الحثيث حتى يقتل حجر بن عدي واصحابه قتلة بشعة على يد معاوية بن ابي سفيان ؟ .

وهل من الممكن ان يكون في قلب ابي عبد الله السفاح وعمه عبد الله بن علي واخيه ابي جعفر المنصور ايمان حقيقي بالاسلام ثم يامرون بقتل النساء والاطفال وكل من يقع تحت يدهم من بني امية على ذلك النحو اللذيع ؟.

وهل من الممكن أن يكون سلطان من سلاطين تركيا مسلما حقا ثم يامر بقتل جميع اخوته الذكور في نفس اللحظة التي يتولى فيها العرش ؟

لو كان في قلبه ايمان لذكر ان الحياة مهما طالت فهي قصيرة ، وفي النهاية سيتلاقى الخلق كلهم بين يدى الله فيحاسب كلا منهم على ما صدر منه وما كان .

وهذه التي ضربتها امثلة كبيرة معروفة ، نقس عليها ما يفعله عامة الناس عندنا بعضهم ببعض دون رحمة او دين او انسانية .

لقد عشت في القرية سنوات طويلة ، وكنت أرى الفلاحين في المسجد يوم الجمعة وعلى وجوههم ملامح التقى ، فاذا انقضت الصلاة اندفعوا كالشياطين يؤذون بعضهم البعض باللسان واليد اذا تيسر ، ويقعون في أعراض بعض ، وفي الليل تكون الثارات ..

وعملت مدرسا سنوات طويلة أيضا فكنت اجد زملائي المدرسين يفعل بعضهم ببعض الافاعيل ، فكنت أقول: كيف يمكن أن ننتظر من هؤلاء أن يربوا النشء على مكارم الاخلاق وهم لا يعرفون مكارم الأخلاق الا في الكتب والقراءات ؟

واشتبكت مرة في خلاف قضائي وذهبت الى المحاكم مرة بعد اخرى فكنت أتعجب من جراة الناس على الحق وكان ذلك ينسيني قضيتي .

وكنت أتساءل : ما لهذا الخلق قد نسي الخالق ؟ يقسمون بالله بالباطل وأيديهم على المال المسروق والحق المنهوب ..

ورأيت رجلا نهب ثروة يتيم وأتى باخوته شهودا فشهدوا ثم خرجوا فيما زعموا يتأسفون على أن المحكمة عطلتهم

عن صلاة الظهر حاضرا ، فصلوه قضاء وهم كارهون .

وكان لنا جار متزوج من امراة انجب منها ثلاثة عشر ابنا وبنتا ، ومع ذلك فقد بلغ من تحجر قلبه ان دخل ذات ليلة على زوجته واولاده ومعه شابة وقال ان هذه زوجته الجديدة! ثم طلب الى زوجته القديمة ان تعد لهما عشاء، ولم تنبس الزوجة بحرف . قامت الى المطبخ وغلت زيتا ونادت زوجها وزوجته الجديدة ليريا ما تطهو ثم قذفتهما بالزيت الملتهب ... ومات الزوج واصيبت البنت اصابات بالغة وجنت الزوجة القديمة بضعة اسابيع، ثم ماتت بعد ذلك تاركة ثلاثة عشر يتيما ..

ومع ذلك كله فقد سمعت رجلا يتعجب مما صنعت المراة ويقول :

ـ هذه المراة مجرمة .. كل ما فعله هو مرسى انه استعمل حقه وتزوج امراة اخرى .

لم اجد يومها انسانا واحدا ممن حولي ادرك هول ماساة زوجة بنت اسرة وانجبت هذا الجيش واهلكت نفسها لترضي زوجها ثم يكون هذا جزاءها : يأتيها الرجل المتحجر القلب فى الليل بانسانة ويقول انها زوجته، ثم يطلب اليها أن تعد لهما طعاما .

ثم يقول الجار ان الرجل استعمل حقه !

وفى نفسى قلت : واخذ حقه !

***

ثم انظر حولك وتأمل أحوال العرب تجد قلبك يبكى ..

ليس فينا شعب واحد تمكن من الخروج من ذلك الوادى السحيق الذى يسمى العالم الثالث ..

كلنا فى الهم عرب ..

والسبب الرئيسى اننا لا نعرف الايمان الصحيح ... لان الايمان الصحيح محبة ورحمة وتعاون على الخير ولا يمكن أن نكون مؤمنين وهذه حياتنا .

حياتنا خالية من الايمان ولهذا فهى خالية من المسرة ، خالية من البركة حافلة بالآلام .

وانظر والله ما يفعله بعضنا ببعض دون رحمة أو انسانية ..

انني أكتب هذه السطور وانا عائد من ادارة حكومية . كانوا قد طلبوا منى أوراقا لشأن احتجت له ..

وفى الدور السابع من مبنى مجمع قالت لى امراة اظنها آنسة ـ أن طلبى تنقصه ورقة الدمغة وان على أن أهبط الادوار السبعة وأصعدها لكى آتيها بالورقة ..

واتيتها بها ومضيت الى رئيسها لاستكمل الاجراءات ، فنظر هذا الرئيس فى الأوراق ، ومضى يقلب فيها كأنه يبحث له عن علة يرفض بها طلبى ، ثم عثر عليها أخيرا فقال : ان موافقة الوزير غير قانونية ، لانها غير مؤرخة .

● وماذا نفعل يا سيدى ؟

ـ تعود بالأوراق الى مكتب الوزير لاستكمال التاريخ .

ومعنى ذلك أن اهبط الادوار السبعة مرة اخرى وامضى الى الدور الثالث من المبنى المجاور واتقدم بطلب الى السيد الوزير ..

وابتسم هذا الرئيس لانه احس انه ((بهدل)) مواطنا مثله وخيب امله وقال:

ـ متاسف يا دكتور ولكن هذه هى التعليمات .

وامسكت بالتليفون وطلبت مكتب الوزير ، ورد السيد الوزير فقلت له ما معناه ان هذا الموظف يقول ان السيد الوزير لا يعرف عمله ، ثم ناولت السماعة للرجل وقلت له : كلم السيد الوزير ..

خلال عام ١٩٧٩ « الهـلال »
موضوعات « الهلال » خلال عام ١٩٧٩ درست في العدد القادم

● لن تصلح أحوالنا إلا إذا آمنا بالحب والخير وتخلينا عن الأنانية والحقد وعرفنا أن الصراع لا غالب فيه ولا مغلوب وإنما فيه مغلوب ومغلوب

● لكي ندخل القرن الحادي والعشرين آمنين ، علينا أن نتذكر أننا إلى الآن نعيش في صحراء قاحلة من الكراهة والعدوان وأن نعلم أن علينا الآن أن نزرع شجرة الحب في تلك الصحراء .. !

وارتجف واضطرب ولم يفتح الله عليه بكلمة .

وتناولت منه السماعة وعدت أكلم الوزير فرويت له ما قال صاحبنا ، ورجوت الوزير ان يعطيه تعليماته ، وناولته السماعة فاذا به يعتذر ويتأسف ويبدى استعداده لوضع التاريخ ..

وقضيت حاجتى وخرجت وأنا أسأل نفسى :

ـ لماذا كل هذا الامتهان لكرامة الانسان ..

لماذا كل هذه القسوة على الآخرين ..

الجواب : لقلة الايمان ..

والا فما هى ورقة دمغة حتى يهبط رجل مثلى بسببها سبعة أدوار ويصعد سبعة أدوار .

والتاريخ الذى ينقص لم يكن بذى بال ، لان تأشيرة الوزير حولت على نفس الورقة للوكيل للتنفيذ ، وعند التحويل وضعوا التاريخ .

ولكن تحجر القلب بسبب قلة الايمان يجعل مثل هذا الرجل يتلذذ بأذى الخلق واهدار انسانيتهم .

وفى صور شتى ترى هذا المشهد حيثما تلفت ..

لكننا نهدر كرامات بعضنا بعضا ..

كلنا يقسو بعضنا على بعض دون انسانية ..

لان قلة الايمان تغشى الابصار . .

ولو آمنا بالحق والمبادىء والكرامة الانسانية لتحولت صحراء قلوبنا الى جنة وارفة الظلال ..

لنفتح قلوبنا للايمان ..

لنزرع شجرة الحب فى صحراء حياتنا القاحلة ..

لنزرعها فى قلوب الصغار حتى لا يشبوا ثعالب وثعابين وعقارب مثل آبائهم .

لنزرعها ونرويها بالايمان ..

الايمان بالله حق الايمان لا مجرد ايمان الشفاه ..

الايمان بالحق والخير ايمانا صادقا لا مجرد كلام .

الايمان بكرامة الانسان ...

الايمان بحق الغير فى الحياة والكرامة ..

ومهما نفعل فلن نتحرك من مكاننا خطوة .. الا اذا عرفنا الايمان الحق .. وزرعنا شجرة الحب فى صحراء الحياة ..

● د. حسين مؤنس ●

العيد المئوى لكلية حقوق القاهرة

مائة عام من الجهاد فى سبيل الثقافة والوطنية

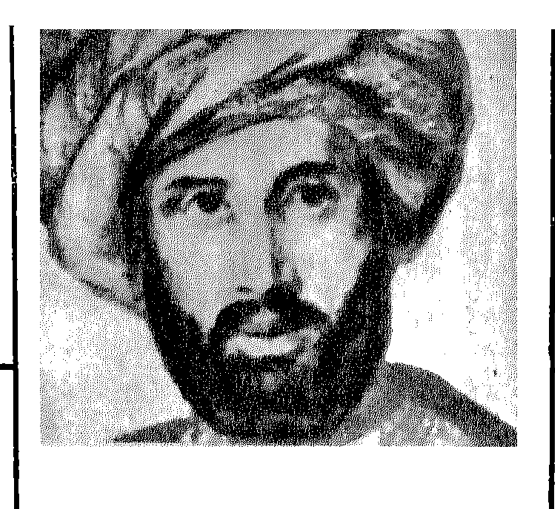
● فتحى رضوان ●

نشرت الصحف ان كلية حقوق جامعة القاهرة ستحتفل بمضى مئة عام على انشائها، فخفقت قلوب الالوف من العاملين فى ميدان القانون ، قضاة ومحامين ، واساتذة ومدرسين ، ووزراء ، ومديرين ، ومحققين وباحثين ، ونوابا ومشرعين .. سواء من كان منهم باقيا فى عمله يؤديه ، او كان قد آثر الراحة، واخلد الى البيت ، ملتمسا العافية ،والتخفف من اعباء المجاهدة فى سبيل الرزق او الخير العام ..

فكلية الحقوق التى كانت من قبل مدرسة الحقوق الملكية ، فالحقوق السلطانية ، فالحقوق الخديوية ، ـ هى صرح شامخ عال عريض عميق ، من صروح امة مصر ودولتها ، ثم من صروح امة العرب ودولها ، ثم من صروح امة المسلمين وشعوبهم ..

فهى معهد من معاهد الدراسة العليا، كغيرها من المعاهد التى تمنح المعرفة لطلابها فى ميدانها ، ككلية الطب ، والعلوم والاداب ، ولكل من هذه المعاهد ، بلا شبهة مكانها فى بناء مصر ، وتحضيرها والدفع بها الى الامام .. ولكن افاء الله على كلية الحقوق أو مدرستها ، سحرا خاصا ميزها ، لا عند أبنائها الذاكرين لها الفضل ، والمعترفين بالجميل ، وانما عند المصريين كافة ، أجيالا بعد أجيال ، ربما للظروف التى لابست ميلادها ، وصاحبت تطورها ، وربما لاسمها نفسه، الذى تحمله، وكان يمكن أوكان يجب ان تحمل سواه، فلفظ الحقوق تتداعى له فى النفوس ذكريات مثيرة ولا سيما فى أمة ديست حقوقها ، وانكرها عليها خصومها ، وهضمت حقوق أكثر ابنائها ، فعاشت وعاشوا يكافحون من أجل استردادها ، وبذلوا النفس والنفيس ، وكانت لهم معارك باقية ، ووقفات خالدة ، صاغت تاريخ مصر ، ووضعته فى قالبه الذى عرف به، لظفرت مصر بفضله بين اخواتها العربيات الشقيقات واخواتها الاسلاميات القريبات والبعيدات ، بمكانة ، جعلتها الزعيمة ، وجعلت معاهدها ومدارسها القبلة ، ودفعت علماءها ومفكريها الى القمة


مصطفى كامل


رفاعة الطهطاوى

ترجموا ، والفوا ، وخطبوا ..

فى ١٢ من يوليو سنة ١٨٩٢ ، أرسل مصطفى كامل الشاب الى أخيه الضابط على فهمى كامل خطابا بعد أن حصل على اجازة الدراسة الثانوية، يقول له فيه انه سيسعى للدخول الى مدرسة الحقوق .. ولم يسكت بل أضاف لانها مدرسة الكتابة والخطابة ـ ولانها تعلم حقوق الافراد والامم .

ولقد كفانا الزعيم الشاب ، وهو بعد على عتبة حياته العملية ،مئونة تبين مصدر سحر هذه المدرسة . فهى ملقن الكتابة والخطابة . وهى مدرسته التى تعلم حقوق الافراد والشعوب . فماذا بعد ذلك يضفى على أية مؤسسة الجاذبية، ويمنحها السحر ، ويقدمها على ما عداها . الكتابة والخطابة السبيلان المؤديان الى الدعوة الى الاديان ، والدعوة الى الاوطان ، والدعوة الى الخير ، واثارة الناس ضد الشر ، وتأليب الجموع ، وتوحيد الشعوب، واثارة الهمم، وأشاعة الفتن، وتأييد الحكام ، والانتفاض عليهم، وخلعهم ، والقصاص منهم .

أما حقوق الافراد والامم ، فهى جوهر حياة الناس ، من أجلها يشقون ، وفى سبيلها يجاهدون ، وبتحققها ينعمون بالراحة ويظفرون بالسكينة ، وعند الحرمان منها ، يشعرون بالمهانة والمذلة ، وبالعوز والضيق ..

وقد كتب لكلية الحقوق منذ مولدها ، أن تلعب دورا يليق تماما بالمهمة التى أسندها مصطفى كامل لها . فقد كانت مهمة ذات أكثر من شعبة . فالذين تخرجوا فيها ،سقطت على اكتافهم اعباء جسام أولها : أن يترجموا الى العربية القوانين السارية فى الدول الحديثة ، توطئة لتطبيقها فى مصر .

وثانيها أن يبنوا الهيكل القضائى للدولة ، فيضعوا نظامه ، ثم يملأوا وظائفه ، ثم يؤدوا واجباته .

ثالثا ـ ان يسهموا اسهاما فعالا فى انشاء الجوانب الاخرى ، بوضع القوانين واللوائح ، ويشرحونها ، ويطلبون من الموظفين الجدد تنفيذها ، ثم يشرفون عليهم فى هذا العمل الجديد، ويسددون خطاهم ويجنبونهم الخطأ ..

رابعا ـ ان يشيعوا فى البلاد ، ولا سيما فى مجال القانون والتشريع والقضاء ، ثقافة ترفع مستوى اللغة الرسمية ، ولغة الاحكام ، والمرافعات ، وكتاب القانون وتفسيره .

وقد قام هؤلاء الرواد ، بهذه المهام الكثيرة والجسيمة ، بامانة وكفاية ، ومثابرة ، لانهم ترجموا والفوا ،وخطبوا وترافعوا ، وشرعوا وشرحوا ، حتى ملأوا البلاد ثقافة ، ذات شعب فكان منهم الشعراء الكبار ، والادباء الفحول ، والمشرعون المدققون والمحامون الجهابذة ، والقضاة العدول .. ونظم هؤلاء دواوين

الشعر ، وملأوا المكتبة المصرية العربية بمئات من الاثار الادبية في كل فرع ودرب بعثت في مصر حركة أدبية ، اتصلت حلقاتها بما جاء بعدها من أدوار الحركة الفكرية ، التي ازدادت على الايام نموا واتساعا حتى المراحل الراهنة من حياتنا

وكان لابد من تمهيد لحركة هؤلاء الرواد، وقد مهدت لهم بالفعل هذه الكتيبة التي قادها بكفاءة وحذق وانكار ذات «رفاعة رافع الطهطاوى» ذلك أن الخديو اسماعيل أراد منذ ولى الحكم ، أن يصلح القضاء في مصر ، ليفل من حدة نفوذ الاجانب بها ، ولذا بدأ بوضع المشروعات لترجمة القوانين الفرنسية واعداد المصريين الذين يصلحون لتولى مناصب القضاء الجديد .. ولترجمة القوانين انشىء قلم الترجمة الجديد ،ولاعداد القضاة انشئت مدرسة الادارة ..

انشىء قلم الترجمة في أوائل عهد اسماعيل وعين رفاعه رافع ناظرا له فاختار جماعة من تلاميذه القدماء خريجى مدرسة الالسن القديمة هم عبدالله بك السيد والسيد صالح مجدى أفندى ، ومحمد قدرى أفندى ، ومحمد لاظ أفندى، وعبدالله أبو السعود أفندى . واستقر هذا القسم فى غرفة من غرف ديوان المدارس الذى كان يساوى الان وزارة التعليم .

مرشد الحيران فى احوال الانسان

وبدأت هذه الكتيبة العظيمة بالقانون الفرنسى. وبعد اشهر قليلة فرغوا من القسم الأول من العمل وهو ترجمة القانون المدنى ، وقد احتوى هذا القسم ٥٥٠ مادة فقد قام بترجمة هذا القانون رفاعه بك بالاشتراك مع عبدالله السيد بك وأحمد حلمى أفندى ، وعبدالسلام أفندى ، ثم ظهرت اجزاء القانون الفرنسى الأخرى تباعا بعد ترجمتها :

١ - قانون المرافعات المدنية ،وقد ترجمه عبدالله أبو السعود أفندى وحسن فهمى ، ولكن تحت عنوان : قانون المحاكمات والمخاصمات فى المعاملات الاهلية المعتادة .

٢ - قانون الحدود والجنايات ترجمه محمد قدرى أفندى الذى أصبح فيما بعد محمد قدرى باشا صاحب كتابى : قانون العدل والانصاف فى حل مشكلات الاوقاف ومرشد الحيران فى أحوال الانسان وهو فى الواقع قانون العقوبات.

٣ - قانون (المشيخة البلدية) ويعنون قانون المجالس المحلية والبلدية أو الحكم المحلى وترجمه محمد لاظ .

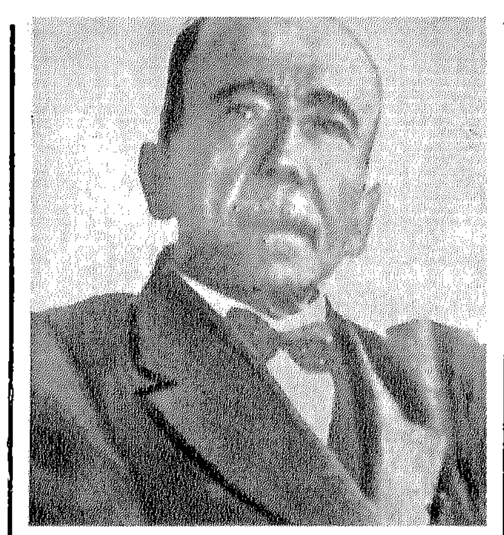
وفى سنة ١٨٦٨ أنشئت مدرسة الادارة ، لتدرس القانون ، وتعد القضاة ، وكانت الفصل التمهيدى لمدرسة الحقوق ، التى حملت هذا الاسم فى سنة ١٨٨٦ .

وقد حدثنا عن هذه المدرسة في تلك المرحلة أحد تلاميذها أحمد زكي الذى وصل الى منصب أمين عام مجلس الوزراء ، وأصبح يعرف باسم (أحمد زكي باشا شيخ العروبة) فقال :«ان هذه المدرسة نشأت فى سراى مصطفى فاضل باشا بدرب الجماميز الى دار البدراوى بشارع سوق الزلط من قسم باب الشعرية على مقربة من دار آل العروسى التى آلت الى أحدهم مشيخة الازهر »

بهذا الاسم ، وفى هذا المكان ، بدات كلية الحقوق ، وفى هذه المرحلة انتظم فى صفوفها ثلاثة أعلام من أعلام مصر ، انتسبوا الى أسرة القانون والحقوق ، اولهم أحمد شوقي أمير الشعراء ، وثانيهم محمد فريد ، الرئيس الثانى للحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧ وثالثهم محمد طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى ، والطريف أن الاثنين الاخيرين تعاقبا على وظيفة واحدة ، هى مدير القضايا بالدائرة السنية : فقد تولى هذه الادارة محمد طلعت حرب ثم تركها ليشغلها محمد فريد .

وحسبنا أن نقف لحظة أمام هذه الاسماء الثلاثة الكبيرة ، يتبين لنا أن كلية الحقوق ، لها فضل تخريج أكبر

طلعت حرب



احمد شوقى

شعراء العربيــة فى عصرها الحــديث ، وأكبر رجال الاقتصاد فى الشرق العربى ، وزعيم الوطنية الفذ الذى لم يصل أحد سواه الى الدرجة التى وصــل اليها فى التضحية وانكار الذات والتحضير المبكر لكل اتجاهات العدالة الاقتصادية •

وهذا الثالوث الكريم ، الذى يضم الشــاعر الفــذ ، والزعيم الخـالد ، والاقتصادى الذى يتزعم حركـة الانشاء والتجديد والاستقلال ـ ليرينا ان كلية الحقوق لم تكن معهدا عــاديا ، تقتصر رسالته على التعليم والتلقين ، أو تخريج عدد ممن يصلحون لملء الوظائف الحكومية شانها فى ذلك شان كل المدارس العليـا والحــق ان كليــة الحقــوق منــذ اليوم الاول ، كانت مؤسسة وطنيــة ، وقد اختارها اللهلتؤدى رسالةالمعارضة والمقاومة للنفوذ الاجنبى المتسلل المتزايد فى أخريات عهد الخديو اسماعيل أول الامر ، ثم مقاومة الاحتلال البريطانى الذى يريد أن يثبت أقدامه ويرسخ دعائمه على أرض وادى النيل •

رواد النهضة الحديثة ••

فقد مر بنا ان الخديو اسماعيل أراد ان ينشىء مدرسة الحقــوق ، ليخرج القضاة الذين أحاطوا بالدراسات القانونية الحديثة ، وعرفوا القوانين المعمول بها فى أوروبا ، ليقفوا فى وجه السيطرة الدخيلة كما عرفنا ان الاساتذة الاوائل للقضـاة المصريين ،الذين تخرجوا فى هذا المعهد السامى ، كانت هذه المجموعة الصالحة من رواد النهضة المصرية الحـديثة ، وعلـى راسهم رفاعة الطهطاوى تلميذ ومعاون على باشا مبارك •

وقد شاء القدر أن يكونأساتذة مدرسة الحقوق فى المرحلة التالية لنشأتها الاولى، كانوا جميعا من أكبر أساتذة القانون فى فرنسا وأوروبا وكان القانون المدنــى والجنائى وقــوانين الاجــراءات المدنيــة والجنائية مستمدة كلها من القــوانين المماثلة الفرنسية ، ومن ثم فقد نجت من السلطة البريطانية التى بسطتنفوذها على كل شىء •

وكان الصراع بين انجلترا وفرنسا على النفوذ السياسى والثقافى بين بريطــانيا وفرنسا ، سببا فى حمــاية مدرســة الحقوق ، من أن تسقط تحت مطــارق مستر « دانلوب » الذى أخذ على عاتقه أن يهبط بالتعليم فى مدارس مصر العليا وفى الدرجات الاخرى من التعليم • فقلل مواد التعليم ، وضيق من نطاق المجانية ، وهبط بمستوى الاساتذة وحارب التعليم باللغة الفرنسية •

وبقيت بريطانيا تتربص بكلية الحقوق المصرية الدوائر حتى استطاعت فى سنة ١٩٠٧ أن تقيل العالم القانونى الفرنسى الكبير (ادوار دى لامبير) وأن تعين مكانه انجليزيا لم يحصل على اجازة القانون من

بلاده الا فى السنة السابقة على تعيينه مباشرة .

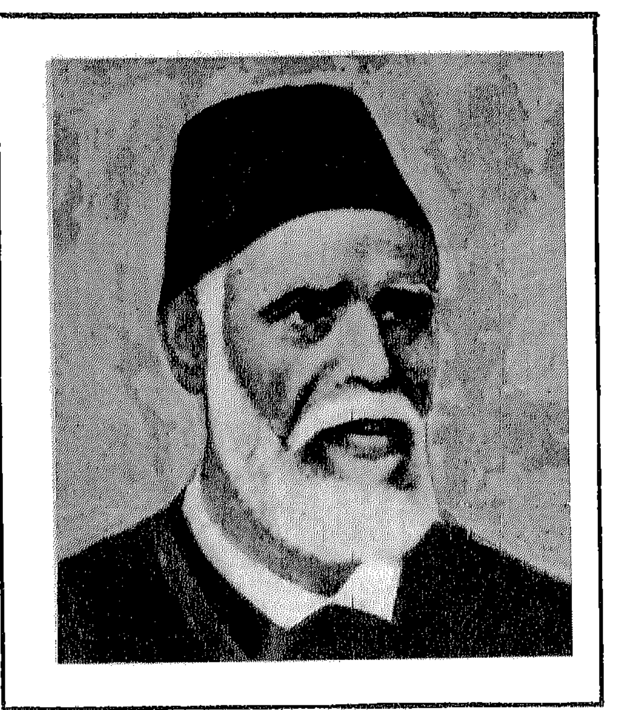
فقبل أن يقال الاستاذ (دى لامبير) كان طلبة مدرسة الحقوق قد ضاقوا ذرعا بالقيود التي فرضها عليهم وعلى مدرستهم المستر « دانلوب » الحاكم بأمره في الوزارة ، على جهله وعدم خبرته التربوية وغلظته وسوء خلقه . فاضربوا فى فبراير سنة ١٩٠٦ اضرابا شاملا لم يخرج عليه احد ، **وكان ذلك اول اضراب يقع في مدرسة عالية بعد الاحتلال البريطاني، فكان للاضراب دوى في مصر من اقصاها الى اقصاها أحرج الانجليز واخافهم ، باعتباره نذيرا بحركة تمرد على الاحتلال البريطانى الذى خدعهما ساد مصر عقب حصوله من خمول وخمود ، دام عقدين متتاليين من الزمن ،واستمر الاضراب حتى ٣ من مارس سنة ١٩١٦ بوعد من الحكومة بانها ستعيد النظر في قرارالها التى اثارت الطلبة .**

وقد كان لهذا الاضراب في الخارج صدى بعيد، زاد حينما استقال المسيو « دى لامبير » ثم كتب مقالا « مدوياً » في جريدة « الطان » ذاتالنفوذ العظيم فأصبح لهذا المعهد المصرى ، مكانة عالية جعلت اسمه على السنة الساسة فى الدوائر الدولية الكبرى .

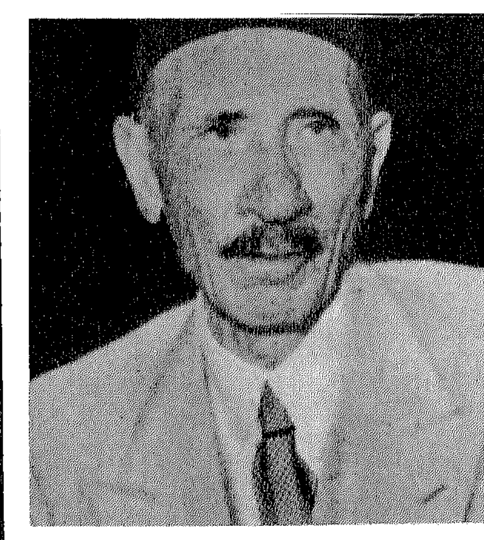
ومؤدى هذا كله ان حياة مدرسة الحقوق اختلطت تماما بحياة الحقوق ذاتها :

حقوق الشعب المصرى فى ان يعيش حرا ، وفى انتكون له حكومةنظيفة ، قوية تحترمه وتؤدى له واجباتها ، وأخيرا حقوقه في أن تكون له ثقافته الخاصة به الممثلة لخصائصه ولصفاته، والتى تاتى كصدى امين لتاريخه القديم والحديث ، ومعتقداته ، وتقاليده .

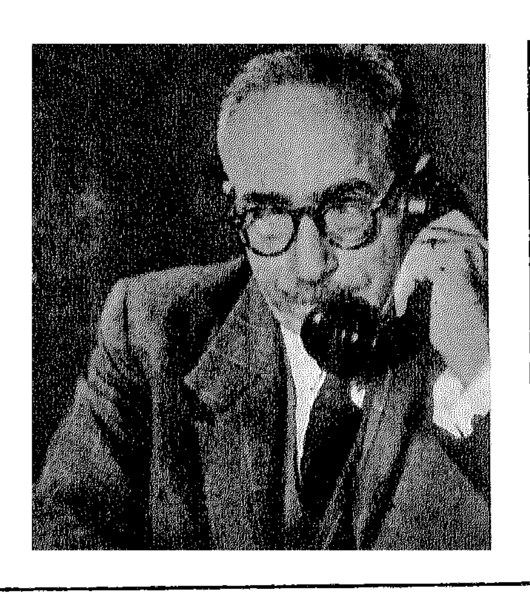
ولقد ثبت هذا الاختلاط بين المعهد والوطن ، فقد تخرج فى هذا المعهد جميع الزعماء الذين قادوا الحياة السياسية فى مختلف دروبها واتجاهاتها فى القديم والحديث ، فكما كان مصطفى كامل ممن طلبوا العلم فى مدرسة الحقوق ، فان زعماء حزب الأمة الذين ورثهم حزب الاحرار الدستوريين كانوا من تلاميذ مدرسة الحقوق وزميلتها التى مهدت لها : مدرسة الادارة ، فكان احمد لطفى السيد وصنوه عبدالعزيز فهمى من تلاميذها ، ثم جاء فى الجيل التالى محمد حسين هيكل وحسن باشا عبد الرازق من تلاميذها كذلك .وفى الناحية الأخرى ، كان زعيم حزب الوفد ، بعد سعد زغلول المحامى والقاضى ،من تلاميذ مدرسة الحقوق ، بعد أن استقر لها هذا الاسم ، ومعه الجيل التالى الذين تزعموا هذا الحزب ذاته، ثم انفصلوا ليكونلهم حزب قائم بذاته هو الحزب الذى حمل اسم سعد : فقد كان احمد ماهر ، وحامد جودة وابراهيم عبد الهادى من خريجى هذه المدرسة العتيدة ، وسبقهم الى



على باشا مبارك



احمد لطفى السيد



د . محمد حسين هيكل

الانتساب اليها ، والتدريس فيها خطيب خطباء الوفد ، وصاحب الكلمة النافذة مكـــرم عبيد ، كما كان احمـد نجيب الهلالى طالبا بالمدرسة واستاذا نابها بها قبل ان يكون زعيما من زعماء الوفد . وزميلا فى هذا لمحمد صـبري ابو علم ويوسف احمد الجندى .

حتى احزاب الاقلية كحزب الاتحاد ، وحزب الشعب كانت مدينة بما حصله زعماؤها من معرفة بالقانون وشـئون الدولة بمدرسة الحقوق فقدكان يحيى ابراهيم باشا ، قاضيا ، قبل ان يختار رئيسا للوزراء فى سنة ١٩٢٣ ، وتلميذا بهذه المدرسة ، ثم‌عينه الملك رئيســا لحـزب الاتحـاد المنتمى الى الملك فقط والسائر فى ركابه كذلك كان وكيل هذا الحزب على باشا ماهر ثم محمد حلمى عيسى باشا من أساتذة المدرسة بل كان أولهما ناظرها قبل أن يقع عليه الاختيار ليكون وكيلا لوزارة المعارف ثم وزيرا لها .

وقد كان زعماء الحزب الوطنى ، من تلاميذ هذه المدرسة فبعد مصطفى كامل ومحمد فريد ، جاء حافظ رمضـــــان الرئيس الثالث للحزب ، ونقيب المحامين كما جاء احمد لطفى وكيل الحزب ونقيب آخر للمحـامين ، وعمـر لطفى ، رائد التعـاون فى مصر ، والـداعى الأول لتأسيس بنك‌مصرمع محمدطلعت‌حرب، ومؤسس أول مؤسسة مصرفية مصرية، لا تزال تعيش تحت اسم جمعية التضامن المالى .

ولو تركت السياسة لرأيت لمدرســة الحقوق يدا فى عنق كل نشـاط ثقافى فى بلادنـا . فـأول من كتب مسرحية مثلت على مسرح أوبرا وشهدها الخديو واشاد بها محمد فريدفى‌مذكراته كان المحامى اسماعيل عاصم .

تاريخ يتضوع بالآثار الخالدة

وكانت جريدة اللواء ، التى صدرت فى الثالث من يناير سنة ١٩٠٠ ، لتكون علما للوطنيين ومدرسة للمجاهـدين ، تحرر بأقلام تلاميذ مدرسة الحقوق ، يتقدمهم مصطفى كامل ثم محمد فريد ثم‌احمد وجدى ،ومحمد توفيق‌العطار واحمد وفيق ، وكل اولئك قانونيون .

وكانت (الجريدة) ، لســان حال حزب الامة تحرر باقلام نخبة اخرى‌من تلاميذ المدرسة والذين تخرجوا فيها ، واشاعوا الحياة فى الفــكر المصرى والعربى ، امثال محمد حسين هيكـل وحسن صبرى الذى اختير رئيســا للوزراء أثناء الحرب العالمية الثانية ، ومحمود عزمى . ولما اختفت الجريدة وحلت محلها جريدة ((السياسة)) رأس تحريرها هيكل ، وزامله فيهـا بعض خريجى مدرسة الحقوق منهم محمـد عبد الله عنان المحامى .

وفى الصحافة الوفدية كان عبـد القادر حمزة رئيس تحـرير البـلاغ وصاحبه محاميا وقانونيـا وكان عملـه

الصحفى رصينا وباهرا .

وفى مجال الثقافة والفكر منحت مدرسة الحقوق ، بعد شوقى شاعرا مجيدا ، هو اسماعيل صبرى باشا الذى كان يسمى فى اخريات أيامه شيخ الشعراء ، وجاء بعده شعراء لم تكتب لهم نباهة الذكر مثله كعبد الحميد السنوسي المحامي الكبير فى الاسكندرية وله اكثر من ديوان وحسين عفيف ، صاحب الشعر المنثور .

وكان لعبد الرحمن الرافعي المحامي ونقيب المحامين ركن قائم بذاته بموسوعة تاريخ مصر القومى ، وكان لشقيقه امين الرافعي صاحب جريدة الاخبار مكانة بارزة لا فى دنيا الصحافة وحدها بل وفى دنيا التاليف والتفكير السياسى .

وكان هناك جماعة اشتغلت بالمحاماة، وبالكتابة الصحفية ، وبالتاليف ،ممهدة للنهضة الفكرية وداعية لها أمثال محمد لطفى جمعة الذى ترجم فيما ترجم كتاب الامير ، وعرف الناس بأساليب العصر الحديث .

وفى دنيا المسرح وضع محمد التابعى تلميذ مدرسة الحقوق أسس النقد المسرحى ، ولفت الانظار باسلوبه الفذ الى هذا النشاط الجدير بكل عناية ، وجاء فى أعقابه محمود كامل المحامي ، واخرج مجلة الجامعة والقصة والف للمسرح ونقد الاعمال المسرحية .

هل هذا هو كل سجل مدرسة الحقوق فى الحياة العامة وهل يمكن ان ينتهى الحديث قبل ان نذكر اسماء فى عالم المحاماة ، طرقت كل السبل ، لتنهض بمصر ، امثال محمد على علوبة باشا، الذى انقطع لجهاد مصر من أجل فلسطين والف لها كتابا من أجود ما كتب عن فلسطين، وهل ننسى محمد زكى على الذى كان رائد العمل الاقتصادى فى مجال التعاون والبترول . وهل ننسى سليمان حافظ الذى قدم رقبته للمشنقة فى الفترة الأولى من الجهاد السرى فى أعقاب



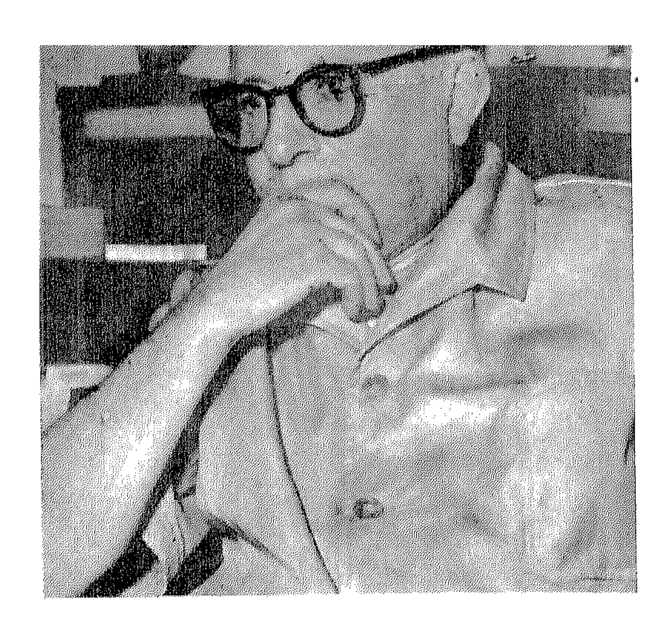
مكرم عبيد

ثورة سنة ١٩١٩ .

فاذا ذكر العمل السرى ، فأى منا يمكن أن يختم كلامه دون ان يقف لحظة حاسر الرأس مطرقا لذكرى الدكتور شفيق منصور المحامى وعضو مجلس النواب الذى بدأ حياته سنة ١٩١٠ وهو بعد شاب يكاد يكون صبيا يافعا، فقد ضاقت به السلطة العسكرية وبنشاطه فنفته الى مالطة خمس سنوات طوالا . فلما عاد الى مصر استأنف نشاطه، ولم يهدأ حتى صعد الى المشنقة ، وذهب الى ربه شهيدا نستمطر على روحه الرحمة. ونذكر معه تلميذه عبد الفتاح عنايت المحامى الذى حصل على اجازة الحقوق وهو فى ليمان طرة .

هذا هو بعض تاريخ كلية الحقوق ، استمر مئة سنة، مليئا بالمواقف العظيمة يتضوع بالآثار الخالدة ، من أجل الحق والحرية ، والقانون والعدالة ، ثم من أجل الثقافة والعلم وتأسيس الدولة .

لقد تلقى تلاميذ مدرسة الحقوق الدولة المصرية الحديثة وهى هيكل لم يتم له بناء ، ولم يكمل له شكل فصفوها حجرا حجرا اذ بعد أن استقر



يحيى حقى



د . عبد الرزاق السنهورى

العمل بالقوانين الحديثة كان يجب ان تشرح هذه القوانين فانبرى لهذه المهمة الشاقة كوكبة من أكبر فقهائنا علمـــا بالقانون المصرى والفرنسى ، وتملكا لناصية البيان المشرق ، فوضـــعوا فى التفسير والفقه ماسيبقى علىالدهر آيات على الذكاء المصرى والكفاءة المصرية .

شرح احمد أمين قانون العقوبات العـام والخاص وشرح عبد الحميـد أبو هيف قانـون المرافعـــات ، وشرح على الزينى القانون التجارى والدولى الخاص وشرح كامل مرسى القانون المدنى

وكان الدكتــور وايت ابراهيم يفسر القانون الدستورى ، وحده حينا ، ومع زميله الدكتور عبد السلام ذهنى حينا آخر ..وللاخيرموقف مشهور، حينما كتب وهو قاض بالمحـــاكم المختلطة ، حكما باللغة العربية فى وقت كانت فيه اللغة العربية طريدة هذهالمحاكم ،وان كانت محاكم مصرية تقوم على أرض مصر وتصدر أحكامها باسم ملكها ..

ثم جاء عبد الرزاق الســــــنهورى ليكون مدرســـــــة قائمـــة بذاتها شرحت القانـــون المدنى فى موســـوعة لا يناظرها عمل قانونى آخر.وان كان لا يمنع اجلالها من ذكر كتبكانت آية من آيات البيان القانونى ككتاب المرحوم الدكتور محمد حلمى بهجت فى تأصيل « الالتزامات » .

وقد لا يعرف الكثيرون أن الدكتــور حلمى بهجت بدوى هو صـــديق حميم لوكيل النيابة السابق توفيق الحكيم صاحب « يوميـات نائب فى الأرياف » الذائعة الصيت ..

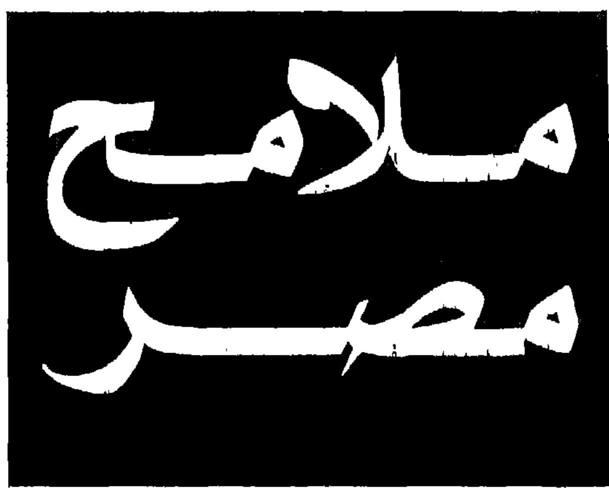
وان لهما صديقا ثالثا هو اســـــتاذ القانون الجنائى بالجامعة الدكتور محمد مصطفى القللى ، وكان شـعر الدكتـــور القللى يبشر بمولد شاعر له شـــأنه ، ولكنه أخفى شعره حتى لا يفصـــل من وظيفته القضائية ..

أما يحيى حقى أمير المقالة القصصية، فانه لم يكن حظـــه مثـــل زميله فى الدراسة توفيق الحكيم اذ شغل وظيفة قضائية ، فاشتغل بالمحاماة ، ثم معاون ادارة ، ثم فى السلك السياسى ..

وفى الاقتصـــــاد بدأ الدكتور عبد الحكيم الرفاعى والدكتور زكى عبـد المتعال صفا طويلا من الاقتصــــاديين المصريين .

لقد جاء حين منالدهر كانتالوزارة كلها من خريجى مدرسة الحقوق وفى مقدمتهم رئيس الوزراء ، وكان الى جانب الوزراء الوكلاء والمديرون والسفراء فى الخارج ورؤســاء المصارف ورؤســـاء مجالس النواب والشيوخ.

وقد ســـلم هؤلاء بنـــاء الدولـة المصرية كاملا ، وبقى على الاجيال القادمة ان تكمل البناء وتحســـنه ، وتزيده جمالا ، وتنفى عنه العيب والنقص .



على شعر شعراء نشأوا فيها أو وفدوا إليها

● محمد عبد الغنى حسن ●

كنت أقرأ – قراءة مزيدة جديدة – « ديوان الكاظمي شاعر العرب » ...
ولقد عرفت الكاظمي منذ أن كنا نقرأ له بمصر في العقد الثاني من هذا القرن ، وكنا ونحن فى ظل الشباب النضير ، نتلقف صحيفة « البلاغ » – رحم الله زمانها – أو أية صحيفة أو مجلة مصرية تنشر شعر الشيخ عبد المحسن ، لأنه اشتهر فى زماننا بالبداهة والارتجال ، كما اشتهر بالنفس الطويل الذى لا يكاد ينقطع ، والذى يذكرنا بأنفاس الكبار المقدمين من شعرائنا المتقدمين .

ولقد كتبت عن ديوان الكاظمى يوم أن ألقته المقادير الى ، وأعجبت بشعره العربى المشرق الديباجة ، وببداهته وارتجاله وطول نفسه ، كما أعجبت بالمقدمة الكريمة التى كتبها صديقه المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وبالمقدمة الطيبة التى كتبها العقاد رحمه الله ، وهما فى صدر الجزء الأول من الديوان .

وزادتنى القراءة الجديدة لديوان الكاظمى أشياء لم أكن تنبهت اليها ولا تنبه اليها غيرى من دارسيه من قبل ... واستوقفنى فى شعره العربى المرسل على السجية ، الجامع بين الجزالة والسهولة ، المصبوب على قوالب عربية أصيلة – أن على شعر الرجل لمحات وبصمات من روح مصر ، وظلالها ، وخفة روحها .

والشيخ عبد المحسن الكاظمى عراقى بغدادى ، نشأ بالكاظمية فنسب اليها ، وساح فى بلاد الله ما بين عشائر العراق ، وامارات الخليج الفارسى – أو العربى – والهند ، الى أن ساقته الأقدار الى مصر سنة ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨ م لتكون مجازه الى بلد أوروبى .. ولكن فراغ يده من المال المدخر ، وبر الشيخ

سقى الله أرضًا لست أنسى عهودها
ويا طول شوقى نحوها وحنينى
منازل كانت لى بهن منازل
وكان الصبا إلفى بها وقرينى

محمد عبده به ، وحب المصريين له ولشعره ـ اضطره الى الاقامة فى مصر الى أن لقى ربه بمصر الجديدة سنة ١٩٣٥ م ٠

والحق أن البضعة والثلاثين عاما التى أقامها الكاظمى بمصر قد لونت شعره، وصبغته بصبغ مصرى واضح الملامح ٠٠٠ فاذا قرأته لم تشك فى أن هذا الشاعر يحمل روحا مصرية بدت على ماء شعره ٠

وللروح المصرية فى الشعر خاصة مذاق لا يعرفه الا العالمون بأذق الأذواق ٠ فليس فيه غلظة ولا جفاف ولا جفاء ٠٠ وقد بدت هذه الخفة فى شعر أستاذنا الشاعر المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب ـ الذى كان شيخا لنا فى دار العلوم، وكان يلقب بالشاعر البدوى ٠ فقد كانت بداوته نوعا من الرقة التى اتسم بها ذلك الشيخ الرقيق ٠

وما ألطف الكاظمى وهو يقول فى روح مصرية منددا بكثرة الأحزاب فى مصر وقتذاك :

لا تطلبن علالتى ابدا ان النوائب احرجت صدرى
وطوارق الإسقام ما برحت تنتاب كالأحزاب فى مصر!

وفى تعبيرات الكاظمى الشعرية نرى تسلل التعبير المصرى العامى كقوله فى مطولته التى بعث بها الى الشيخ على يوسف صاحب « المؤيد » :

ان المؤيد ـ والقلوب تحوطه رغم الحسود ـ مؤيد منصور

وفى مرثيته للشيخ على يوسف التى مطلعها :

دار الاحبة : خبرينا عن اهلك الخبر اليقينا

يقول مستعملا مضارع الفعل « جاء » استعمالا عاميا مصريا :

ابت الحوادث ان تجينا الا بنعى الافضلينا

وفى احدى قصائده للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، يقول :

قامت تمنينى الهوى ، فزجرتها ودنت تعنفنى ، فقلت لها ابعدى !

وفى احدى اخوانياته الرقيقة يقول :

لله من دنيا تعا دى الحر من غير سبب !

ومن الطف تعبيراته المصرية الرقيقة ما جاء فى مرثيته الرصينة الفحلة لفقيد السيف والقلم المرحوم : « فؤاد بك سليم » ، مخاطبا المستعمرين الفرنسيين :

لا تلزمونا بكم فلسنا نرى لكم بيننا لزوما

وفى مرثيته الدالية البليغة للمرحوم « محمد بك أبى شادى » يقول عنه :

ولم يكن عنده فى الحق تسأله من فارق بين افراد وافراد

وفى قصيدته التى نظمها بمناسبة عودة سعد زغلول من المستشفى الى بيت الأمة بعد وقوع الاعتداء المشهور عليه سنة ١٩٢٤ ، يقول عن الشعب والزعيم :

قد تركوا الراحة من اجله واجهدوا الأنفس اجهادا

وفى تهنئته المرتجلة بابلال سعد زغلول من علته يقول :

والجراز الطرير يزداد حسنا ... في جسام الأمور باستعماله

ويقول في ختامها :

أيها الشعب : مثل سعد قليل ... أكثر الله فيك من أمثاله !

وفي مطولته التي نظمها حين تولى سعد زغلول رياسة الوزارة سنة ١٩٢٤ يشير الى يوم تعيينه بقوله :

ولعله يوم المنى ... ولعل تصدقنا لعل

وفي قصيدته التي يعرب فيها عن تفاؤله بتأليف مجلسي الشيوخ والنواب سنة ١٩٢٤ يقول :

سنرى المنى ، ونرى الهنا ... ان كان في الحبل امتداد

وفي قصيدته التي يعرض فيها بالسياسي البريطاني « بارمور » يقول عن الانجليز :

أخذوا نيلها ، وأعطوا سرابا ... لا غليلا يطفي ، ولا حرقانا

ويقول في أخريات أبياتها :

سيظل الكفاح منها سجالا ... أو يطاطون دونها اذعانا

ويقول من قصيدة في أحد الاحتفالات بعيد الجهاد متحدثا عن الخارجين على ارادة الشعب :

همو هم الأصفار مهما حاولوا ... أن تجعلوا أصفارهم أرقاما

ويقول في أبيات ارتجلها لتكتب في صدر رسالة الى الشيخ محمد عبده :

كل وقت يمر فهو على النا ... س بذكراك أبرك الأوقات !

وهكذا يمتلىء ديوان الكاظمي بجزءيه الكبيرين بعشرات وعشرات من أمثال هذه الملامح المصرية التعبيرية التي لا تجدها عند أضرابه وزملائه ومعاصريه من شعراء لم تحتضنهم مصر ولم تلون أساليب شعرهم بلونها المميز ٠

ولو أنك عرضت شعر الكاظمي على قارىء لا يعرف ظروف مولده ونشأته بالعراق ، ورحلته الى مصر ليقضي فيها بقية عمره ، لجزم بمصريته التي تبدو على قسمات شعره ٠٠

ولقد ذكرني الكاظمي في الملامح المصرية لشعره بشعراء آخرين نشأوا بمصر أو وفدوا اليها فأقاموا بها زمنا من حياتهم ، أو الى نهاية عمرهم ، وخاتمة مطافهم فلونت مصر شعرهم بذلك اللون المصري المميز الملامح ، سواء كان ذلك اللون أثرا من آثار البيئة المصرية والطبيعة المصرية ، أو مظهرا من مظاهر الأحداث الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية ، أو لونا من ألوان المطاعم والمشارب والكسى ، أو صورة من صور الفكاهة والنكتة المتميزة الحاضرة التي لا تخطىء موضعها ، ولا تضل قصدها ، أو مبدى من مبادي العبارة الدالة اللطيفة التي لا يسد غيرها من العبارات الاخرى مسدها ، ولا يغني غناءها ٠٠

وأول من خطر على البال من هؤلاء الشعراء الناشئين والوافدين الشاعر المصري الصعيدي القاهري المكي مولدا ونشأة : البهاء زهير الذي اتصل بخدمة الملك الصالح الأيوبي في القرن السابع الهجري ، فكان من خواص كتابه الى أن مات فلزم شاعرنا داره ، حتى أدركته منيته سنة ٦٥٦ هـ ٠

فأنت تقرأ البهاء زهيرا في ديوان شعره الرقيق المطبوع في مطبعة شرف ، وعبد الرازق ، والميمنية ، والموسوعات ، وبيروت ، فتحس أنك أمام شاعر مصري صميم عريق في مصريته ، لأن روحه في الشعر روح مصرية بحت،ولكنه ــ في الحق ــ شاعر حجازي ، مكي ، ولد بوادي نخلة قرب مكة ، وعاش في الحجاز طفولته ، وصباه ، وشطرا من شبابه ، فهو لم يهاجر مع أسرته الى مصر

طفلا ، ويدل على ذلك قصيدتان له ، يقول في اولاهما :

احن الى عهد المحصب من منى ... وعيش به كانت ترف ظلاله
ويا حبذا امواهه ونسيمه ... ويا حبذا حصباؤه ورماله
ويا أسفي اذ شط عني مزاره ... ويا حزني اذ غاب عني غزاله

ويقول في ثانيتهما :

سقى الله أرضا لست انسى عهودها ... ويا طول شوقي نحوها وحنيني
منازل كانت لى بهن منازل ... وكان الصبا الفى بها وقريني
تذكرت عهدا بالمحصب من منى ... وما دونه من أبطح وحجون
وأيامنا بين المقام وزمزم ... واخواننا من وافد وقطين

فهذه الذكريات الواعية الشيقة ليست ذكريات طفل صغير ، ولكنها ذكريات شاب فتى .. وقد لونت مصر شاعرنا البهاء زهيرا بكثير من ألوانها .. فهو شاعر خفيف الروح والظل ، الى حد أنه كان يمقت الثقلاء ويفر منهم ، ويخشاهم كأنهم الأجل المتاح :

رب ثقيل لبغض طلعته ... أخشاه حتى كأنه أجلى !
وكلما قلت : لا اشاهده ... القاه حتى كأنه عملى ...

وما عرف عن البهاء زهير الهجاء الا في الثقلاء ، فهو معنى ومعنى بهم ، وما الطفه واخف روحه المصرية حيث يقول :

وثقيل كانما ... ملك الموت قربه
ليس في الناس كلهم ... من تراه يحبه .. !
لو ذكرت اسمه على الما ... ء لما ساغ شربه !

وهو في هذه الروح الخفيفة يذكرنا باثنين من شعرائنا المصريين : محمد الأسمر ، ومحمود غنيم ، رحمهما الله ، لولا أنهما مصريان أصيلان ، وهو مصرى وافد على البلاد .

ويتجلى اعجاب شيخنا المرحوم مصطفى عبد الرازق بالبهاء زهير وروحه المصرية في قوله عنه في بحث له طيب : (والروح المصرى يتجلى في هذا الشاعر القوصى الصعيدى بأكثر مما يتجلى في أى شاعر مصرى في القديم والحديث) ..

ويبدو أن ظاهرة الحلف والقسم بأغلظ الأيمان ـ وهى ظاهرة مصرية ملموسة ـ قد أعدت البهاء زهيرا ، وتسللت الى شعره لتكون ملمحا مصريا من ملامحه .

وما أرقه وهو يقول متغزلا :

والله ما فارقتكم من ملالة ... والله ما احتاج انى أحلف !

ومن تعبيرات صاحبنا البهاء زهير المصرية قوله :

واحمق قد شقيت به ... بلا عقل ولا أدب
فلا ينفك يتبعني ... وان امعنت في الهرب
كأني قد قتلت له ... قتيلا ، فهو في طلبى !

وقوله في القصيدة نفسها :

رجعنا مثل ما رحنا ... ولم نربح سوى التعب !

وقوله في عائد ثقيل :

وليس يخرج حتى ... تكاد تخرج روحى !

وقوله :

انتك وان كانت كثيرا تاخرت ... فانك تعفو عن كثير وتصفح

وقوله :

وحقكمو عندى له الف طالب ... والف « زبون »يشتريه بزائد !

وقوله في العتاب .

وكيف يا معذبي   قطعت عني خبرك ؟

الى آخر عشرات وعشرات من هذه الملامح المصرية التى يمتاز بها شعر البهاء زهير ٠

وقبل عصر البهاء زهير بما يقارب قرنا وربع قرن من الزمان نصادف شاعرا مصريا يمنى المولد هو « ظافر الحداد » الاسكندرى المنشأ ، القاهرى الاقامة ، فنرى أن ملامح مصر تلون أكثر شعره بلونها المحبوب ٠٠ فللاسكندرية مدار كثير في شعره ، فهو يحن اليها من القاهرة ، ويحن الى شبابه فيها قائلا :

يا هل الى الاسكندرية اوبة   فيسر ـ قبل مماته ـ بأيابه
فيرى مكان شبابه ، ونصابه   وحبابه ، وصحابه ، وعبابه

وللفسطاط مدار غير قليل فى شعره لانها دار قراره بعد رحيله من الثغر ، ولانه فيها عرف الكبار من الفاطميين والعلماء ، وخاصة الملك الافضل شاهنشاه وهكذا تبدو الطبيعة المصرية والبيئة المصرية في شعر ظافر الحداد جلية مشرقة ٠ ولا تنسى أوصافه للنيل وأسماك النيل ـ وخاصة سمك الراى ـ وأوصافه للمآكل المصرية ، وخاصة « الملوخية » التى وصفها ووصف نباتها الاخضر فى أول الموسم كخضر الزغب ، ووصف « تقطيفها » بكفى لبيب ماهر ، ووصف احكامها بفراخ الحمام الصغيرة ، ودهن الدجاج ، وقطع اللحم الصغيرة !

ولم تنس هذه المآكل الشهية شاعرنا « ظافرا » أن يشارك فى أفراح العرب والمسلمين بانتصارهم على الفرنجة من ناحية ، وعلى الروم من ناحية أخرى ، كما لم ينس أن يصور أبا الهول والهرمين بمقطوعة يقول فى مطلعها :

تامل هيئة الهرمين ، وانظر   وبينهما ابو الهول العجيب

ويأتى قبل ظافر الحداد بقرابة ثمانين عاما شاعر مصرى طالبى من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهو ممن لونتهم مصر بلونها ، وصبغتهم بصبغتها ٠ فتبدو مصر وطبيعة مصر ومعالم مصر ظاهرة مميزة فى شعره ٠ وكان يسكن الفسطاط ، وله فيها وفى النيل والمقطم شعر غير قليل ٠ يقول فى احدى مقطعاته :

احن الى الفسطاط شوقا واننى   لأدعو لها أن لا يحل بها القطر
وهل فى الحيا من حاجة لجنانها   وفى كل صوب من جوانبها نهر ؟
تبدت عروسا والمقطم تاجها   ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وفى أسلوبه ملامح وسمات مصرية واضحة ، ففيه كثير من خفة الروح التى اشتهر بها شعراء مصر ، وفيه ميل الى النكتة المستملحة ، وفيه ـ فوق ذلك ـ ولوع باستعمال الفاظ وتعبيرات مصرية كانت شائعة فى عصره ولا يزال بعضها الى اليوم ٠ ومن ذلك قوله فى الغزل :

والذى كنت تلته من رضاها   صرت عن نيله قصير اليدين !

وقوله فى الشكوى من معاكسة الحظوظ :

فصرت ان ذقت طعم شىء   وجدته ناقص الحلاوة

وقوله فى مدح قوم كرام :

اذا ما جنن الاعدام عيشى   وعوذه نوالهمو افاقا !

وقوله فى العذال :

فصارت العذال ما بيننا   تدخل بالعرض وبالطول

● للروح المصرية فى الشعر خاصة مذاق لا يعرفه إلاّ العالمون بأدق الأذواق.. وقد بدت هذه الصفة فى شعر أستاذنا الشاعر المرحوم "محمد عبد المطلب"!

ذلك الشاعر هو « الشريف العقيلى » ـ بفتح العين ، الذى كان لصديقنا المرحوم الدكتور زكى المحاسنى فضل نشره وتحقيقه لاول مرة فى المكتبة العربية ٠

ونلتقى قبل الشريف العقيلى ببضع عشرات من السنين بشاعر يمثل الروح المصرية الخفيفة التي تضحك في الازمات ، وتبتسم للشدائد ، هو « ابن وكيع التنيسى » الذى أنصفه الدكتور حسين نصار بجمع قدر من شعره مبعثر فى مصادر مختلفة مع دراسة له ٠

وقد تأثر ابن وكيع بالبيئة المصرية في ملامحها المعنوية والنفسية ، كما تأثر بها فى نواحي جمالها ، ومجالى حسنها ، ومذاهب عيشها ٠ وله ـ فيما بلغنا من شعره ـ بعض التعبيرات المصرية ، كتعبير « البلح المقمع » و « النخل الطارح » وان كانت هذه العبارات قليلة الورود فى شعره ٠

ولا يفوتنا أن نرجع الى الوراء قليلا قبل « العقيلى » و « ابن وكيع » لنلتقى بشاعر وافد على مصر من المغرب وافريقية مع أبيه المعز لدين الله الفاطمى ، وهو تميم بن المعز ، الذى أصدرت دار الكتب المصرية فى سنة ١٩٥٧ ديوانه الضخم الحافل بتحقيق الاستاذين المرحومين : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد على النجار ٠

وقد صور هذا الشاعر الوافد المقيم بيئتنا المصرية من نواح كثيرة ، تركت فى شعره ملامح بارزة من مصر الخالدة ٠ فهو لا ينى يصف النيل ، وبركة الحبش وعين شمس ، ودير القصير ، وبلبيس ، كما يصف بعض الاعياد والمواسم المصرية الخاصة ، كليلة غطاس النصارى ٠

وهكذا نجد فى جمهرة من الشعراء الناشئين بمصر والوافدين عليها ملامح مميزة من شخصية مصر ، منذ الفتح العربى الى عصرنا الحديث ٠

العمل العربي فى البحر جهاد..

و

القرصنة..

عمـــل غيـــر عـربى

• د. عبدالعزيز بنعبد الله •

كانت القرصنة من اعظم النكبات التى منيت بها القرون الوسطى وفترات من العصور الحديثة ،فقد كانت القرصنة حركة رابحة ينجذب لها المغامرون من الشرق والغرب عـــلى السواء ... وفى هذه الدراسة الموجزة نحاول تحديد المسئوليات التى يتحملها كل من الطرفين، لان كثيرا من المؤرخين نزعوا الى القاء التبعة كلها عـلى الملاحة الافريقية الوطنية ...

لقد وصف كثير من المؤرخين البحارة المغاربة بانهم اقبح من خاض لجـــج البحار من الامم والشعوب ، حتى علق هذا الوهم باذهان الكثير من النـــاس وتبلور فى صورة حقيقة واقعية ، مع ان ذلك يتنافى مع تطور الأحداث قبل وبعد القرن السادس عشر الميـــلادى الذى، يمكن أن يعتبر ، فى نظرنا، بمثابة حد فاصل فى عصر العلائق الطيبة الواثقة فى افريقيـــا واوروبا ، والعصر الذى غمرته الآلة واستغلال الاســــتعمار الناشيء .

وسنرى كيف ان هذه الحقيقـــة تتجلى بوضوح فى تاريخ القرصــــنة بالبحر الأبيض المتوسط ، فقد حاول مؤرخان اثنـــان يجمعـــان بين النزاهـــة والكفاءة رسم لوحة جلية المعالم عـــن السمات البارزة التى طبعت نشـــاط القراصنة خلال العصور الوسطى وفى غضون فترة غير قصيرة من العصور الحديثة ... وهذان المؤرخان همـــا « سيسموندى » صاحب كتاب تاريخ الجمهوريات الايطالية ، و « لاطرى » فى مصنفه حول صلات المسيحيين بالعرب فى الشمال الافريقى . وقد عمد كلاهما الى دحض الافتراءات المروجة ضـــد العرب فى شأن الفظائع المرتكبة باســـم القرصنة البحرية ..

فهنالك ظاهرة اولى تدل وحـــدها على ضآلة تاثير القرصـــنة فى العلائق المغربية المســـيحية ، وهى ما أكده

المؤرخ « بالدوشي بيركولوطي » من أن المغرب كان في حقل التجارة العامة الدولة الثانية في الصفقات المتبادلة في أوروبا والعالم العربي ، فما كانت هذه العلائق لتستقر وتنتظم لولا ضمان حظ ولو قليل من السلامة والطمأنينة ، فاستئناس الأفارقة بالمسيحيين لم ينصرم رغم تهجمات رعايا بعض الدول الحليفة للمغرب كالجنويين الذين وجهوا خطة جزئية ضد طرابلس الغرب التي ظلت منضوية مدة طويلة تحت لواء ملوك مراكش وفاس ، ذلك ان الاميرال الجنوي « فيليب دوريا » الذي هزمه الاركونيون في سردينيا ، عمد الى الانتقام لهزيمته الشنعاء من مدينة مغربية . وقد أكد المؤرخ «ماتيو فيلاني» أنه لم يكن هنالك أي مبرر لنشوب حرب بين الجمهورية الجنوية وطرابلس سوى أن هذه المدينة كانت غنية سهلة المأخذ ، فكان ذلك أبلغ مسوغ لهذا الاعتداء ، ففي بحبوحة الحركة التجارية الكبرى التي كانت تزكي هذا الميناء الافريقي ، تمكنت سبعة قوارب جنوية من الرسو عام ١٣٥٥ بالقرب من المراكب دون اثارة أدنى شبهة ، وفي غياهيب الدجى تظاهر الاميرال بالابتعاد عن الشواطيء لكنه ما لبث أن فاجأ المرسى بكرة فاقتحم اسوارها وفتك بالمقاومين من **رجالها ، واستولى عنوة على جميع مرافق المدينة ، وابرق الى جمهورية جنوة بانتصاره البارد ـ وأصدر أوامره باكتساح القصور والدور التجارية والمنازل الثرية وابتزاز ما فيها من ثروات .. فارتفعت قيمة اسلابه الى نحو المليونين من الفلوريين ((عملة كانت تستخدم في ذلك الزمن)) علاوة على سبعة آلاف اسير من رجال ونساء واطفال ...**

غير ان خوف الجنويين من ثار الاقطار الاسلامية حدا بالجمهورية الى الحكم على الاميرال وجيشه بنوع من الابعاد ، غير أنه لم يلبث أن عفي عنه بعد ذلك بثلاث سنوات ، ومع ذلك ظل عدد ضخم من الاسرى الطرابلسيين في



شوارع جنوة ينتظرون الحرية ...

وقد ساق المؤرخ ((لاطري)) هذه القصة ، ولاحظ أنه لو اقترف العرب ذلك في بلدة مسيحية لأثار احتجاج مؤرخي الغرب وتنديداتهم بوحشية العرب !

وقد اسفر هذا العدوان الجنوي عن كثير من الحنق ، لان افريقيا

المسلمة التى كانت تربطها معاهدات بالجمهورية الايطالية ، آلمها هذا الجرح الوقح فى كرامة رعاياها ، وعمدت الى جمع الاكتتابات لتدفع فدية لتحرير الاسرى ... وقد أسهم السلطان أبو عنان العرينى فى افتداء طرابلس وتحرير عدد كبير من الافارقة ...

ويجب الاعتراف بأن الجنويين لم يكن من عادتهم ارتكاب مثل هذه الفظائع . فرعايا جنوة الذين كانوا يعيشون فى سبته شاركوا فى الذود عن حوزة هذه المدينة المغربية ضد الصليبيين الذين اغاروا عليها عام ١٢٣٤ ميلادية .

وبالرغم من هذه الاعتداءات النادرة التى اتسمت فى الغالب بطابع خاص ، فقد كانت روح المودة الطيبة تذكى العلائق بين الحكومات المسيحية والاسلامية التى حظرت القرصنة على رعاياها ، وسمحت بتعويض الاجانب المتضررين من ذلك ، حيث توجد معاهدتان امضاهما المغرب مع كل من بيزة وجزيرة ميورقة ، بل ان هذه الحكومات كثيرا ما كانت تجند سفنها للاقتصاص المشترك من القراصنة .

وقد نصت معاهدة سيبو فى فصلها التاسع عشر على انه اذا ما أرسل الموحدون مراكبهم لمطاردة قراصنة جنويين فان جمهورية جنوة يكون من واجبها تسليح سفن للمشاركة فى هذه المطاردة .. ومن اجل الحيلولة دون استفادة القراصنة من أسلابهم حظرت الحكومات المذكورة بصفة قاطعة بيع الغنائم والأسرى ، والتزمت بالمساعدة على تحرير الاسرى عاجلا بل بدون عوض .. على أن هذه الحكومات قررت فيما بينها اعدام الذين يقرصنون من المسيحيين أو المسلمين ، ضد رعايا الدول المتحالفة ، غير أن الاسرى من المسلمين ظلوا موفورى العدد فى أوروبا

حسب شهادة « لاطرى » بل كان المسيحيون الراسفون فى الاغلال بافريقيا أكثر منهم عددا يعيشون بالقرب من مواطنيهم الذين يتجرون فى أمن وطمأنينة فى المدن الاسلامية .

وهؤلاء الاسرى لم يكونوا كلهم ضحايا للقرصنة ، بل كان منهم اسرى حرب ... ويجب أن نميز بين الاحداث الحربية الناشئة بين دول متحاربة ، واعمال التخريب القرصنية التى تعصف بكل التجار وكل الامصار من أصدقاء وخصوم ومن مواطنين وأجانب . . . وتوجد معاهدة امضيت عام ١٣٢٣ بين اراكون وتونس ، تعتبر القرصنة نفسها كوسيلة حربية عادية مشروعة، سواء عند المسلمين أم عند المسيحيين، على أن القانون الدولى لم يتمكن رغم تقدمه من استئصال ما تنطوى عليه المعارك البحرية من مظاهر الوحشية والجور ضد الملكية الخاصة .

وقد تساءل المؤرخ « لاطرى » عن مدى التبعة التى يتحملها كل من الجانبين الغرب والشرق فى أعمال القرصنة خلال الفترة التى عقبت غزوات العرب والتى يمكن ان توسم بأنها عهد سلام وتجارة آمنة ــ فلاحظ أن احصاء الجرائم التى كان البحر الابيض المتوسط مسرحا لها بين القرنين الحادى عشر والسادس عشر الميلاديين ، من شأنه ــ لو تم ــ أن يحمل الغرب قسطا كبيرا جدا من مجموع عمليات النهب والتخريب البحرية التى ينسب المؤرخون ويلاتها الى الافارقة ، فاذا بين التاريخ أن المسيحيين كانوا اكثر من غيرهم تضررا من القرصنة الاسلامية ، فما ذلك الا لأن تجارتهم كانت أوسع وشواطئهم أسرع عرضة للاكتساح ، ولأن تاريخهم العام أوضح واجلى عند مؤرخى القرب من التاريخ العربى ، فقد شهد المؤرخون

● يجب أن نميز بين الأحداث الحربية الناشئة بين دول متحاربة وأعمال التخريب القرصنية التي تعصف بكل التجار وكل الأوصار من أصدقاء وخصوم ومن مواطنين وأجانب ..!

المسيحيون بالمصائب الكبرى التي ارتكبها قراصنتهم .

وقد اكد «الاطرى» من جهة اخرى أن الاعتداءات والفظائع المنسوبة للمسيحيين كانت ابلغ مما اقترفه العرب ، وضرب لذلك امثلة تصور مدى تبعة المسيحيين في قرصنة البحر المتوسط خلال العصور الوسطى ، ذلك انجزر البحرالمتوسط مثل سردينيه وكرسيكا وصقلية والباليار - ماكاد العرب - يزحزحون عنها حتى امست ملجا لقراصنة اوروبيين لا يقلون خطرا عن قطاع الطرق ... وقد كانت ارباض مدينة كاكلياري « اوكارا للصوص » واضحت مالطة في القرن الثالث عشر الميلادي مركزا لغزوات شنها رجل من جنوة مشهور فيتاريخ الملاحة ولم يكن هذا الرجل سوى لص من اللصوص الحقيقيين حسب شهادة عدة مؤرخين ايطاليين ، وقد عاش في نفس العصر احد القراصنة وهو هوك فير واصله من مرسيليه ، والذي الف مع اميرال صقلي شركة اثيمة اثرت على حساب تجارة البحر المتوسط بحيث اصبح

بيع الرقيق من المسلمين في المدن الاوروبيةظاهرة مالوفةازدادتاستفحالا مع الايام ، ويكفي أن نعيد الى الاذهان قصة آلاف الفلاحين والملاك العرب الذين اختطفوا من قابس عام ١٢٨٤ . وجربة عام ١٣١٠ م وطرابلس الغرب سنة ١٣٥٥ وبيعوا بعد ذلككالحيوانات في البلاد الاوروبية .

ومعلوم ان الاسطول الموحدي كان يسيطرعلى البحارلانه كان أول اسطول في البحر الأبيض المتوسط ، حسب رواية الاستاذ « اندري جوليان »عميد كلية الاداب الاسبق بالرباط ... وقد لاحظ ابن ابي زرع إحداث عبد المؤمن لأسطول عام ٥٥٧ في جميع سواحل المغرب فانشأ « ٤٠٠ » قطعة منها في حلقالعمورة « المهدية » ومرساها «١٢٠» - وفي طنجة وسبتة وباديس ومراسي الريف «١٠٠» قطعة، ومنها في بلاد افريقية ووهران ومرسى هنين « ١٠٠ » قطعة ، ومنها ببلاد الاندلس ٨٠ قطعة ، وبلغ الجيش الموحدي اذ ذاك أزيد من ٣٨٠٠٠ ، فارس و ١٠٠٠٠ راجل ، وفي هذا

القرصنة .. عمل غير عربي

العصر كان خطر القراصنة الاوروبيين ضعيفا نسبيا ، حيث كانت للملوك الموحدين «مليشية» مختصة فى قمع قرصنة المسيحيين والعرب على السواء، ولكن الملاحة الغربية مالبثت أن تفوقت، فكان لذلك اثره السيء على التجارة البحرية . حيث لاحظ « لاطرى» نفسه ان كثيرا من رجال الملاحة الاسبان والايطاليين لم يتورعوا عن ادراج النهب الفرضى فى صفقاتهم التجارية ، ففى عام ١٢٠٠ ميلادية ، هاجمت سفينتان من سفن « بيزا » فى تونس ثلاثة مراكب اسلامية فى بحبوبة عهد السلام ، واغتنمتا فرصة المفاجأة فاحاطتا بالربابنة واعتدوا ونهبوا ما وقع فى أيديهم من متاع ..

وفى نفس العهد كان القراصنة الجنويون يسعون فسادا فى جزر امبراطورية الاستانة وسواحلها ،وكانت الغارات تترى خاصة على الاراضى والمراكب الاسلامية ، غير ان البحارة المسيحيين كانوا يجرفون كل ما يعترض طريقهم دون تقية ولا تحرج ، سواء كان مسيحيا او مسلما، وقد أكد «لاطرى» ان هذه الفظائع لم يكن لها اى مبرر وطنى او حربى .. كما ان البحارين البندقيين الذين كانوا مشهورين باستقامتهم بين ملاحي اوروبا لم يحترموا دائما التجار الاجانب ، وكان السلاطين الاتراك يتذمرون غالبا من هؤلاء المعتدين الذين كانوا يلقون جزاءهم على يد البحارين اليونانيين ... واحيانا كان الملاحون السكاندنافيون يطوفون بالسواحل الاسلامية كالتجار وفى الغالب كاعداء وقراصنة ..

وفى عام ١٠٥٣ ميلادية اكتسحت قطعة اسكندنافية المدن الاندلسية ، واستولت فى مياه سردينية على مركب عربى ضخم عمدت الى بيع أسلابه فى مهدية وطرابلس اللتين كانتا اذ ذاك تحت حكم النورمانديين . وقد تحدث عن ذلك باسهاب المؤرخ « ريانت » فى كتابه حول غزوات السكندنافيين فى الاراضى المقدسة ولكن هذا لم يمنع بحارى الشمال ــ ومنهم السويديون خاصة ــ من التجارة المباشرة مع المسلمين الافارقة ، فكانت العلائق التجارية بين أوروبا والمغرب وادعة احيانا . مما دعا المؤرخ « لاطرى »الى التأكيد بأن التجار البندقيين الذين كانوا انزه من غيرهم ظلوا يجولون الى القرن السادس عشر الميلادى فى شواطىء افريقيا فى بحبوحة الانتظام والأمن ، وكان لمعظم الدور التجارية مراكز وعملاء على هاته الضفاف وخاصة فى طنجة ، وكيف لا وقد نصت المعاهدة المشار اليها والمؤرخة ب ١٣٢١ ميلادية على ان الفظائع المتبادلة بين القراصنة المسيحيين والمسلمين لايمكن ان يتحمل تبعاتها البتة رجال التجارة الذين كان يتاح لهم الانتقال من بلد الى بلد فى طمانينة وسلام تحت الرعاية الملكية دون أن يزروا وزر الآخرين .

والآن ، نحاول أن نرسم صورة اخرى عن تطور القرصنة الموسومة بالعربية أو الاسلامية والتى انقلبت من صفقة هدفها الربح الى عملية اصبحت مظهرا لرد فعل وطنى أى سياسى ضد غزوات الاسبان والبرتغاليين للاراضى الافريقية وعمليات التعذيب والتحقيق التي ذهب ضحيتها مئات الآلاف فى الأندلس من المسلمين واليهود .

نعم ، ان القرصنة فى المياه المغربية لم تصدر دائما عن ملاحين من الاهالى بل كانت فى الغالب من فعل أخلاط المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام او الاندلسيين الموتورين الذين طردهم الاسبان من الفردوس المفقود فالتجأوا الى السواحل المغربية متحفزين للوثوب على العداة .. وقد وجد هؤلاء الطرداء

الاندلسيون من مسلمين ويهود الاقبال الرحب من طرف ملوك المغرب الذين اذكتهم عاطفة مزدوجة من السماحة والأريحية .

وقد راينا موقف سلاطين المغرب في المراحل الاولى للعصور الوسطى، وشنهم الحرب شعواء ضد القراصنة مهما كانت جنسيتهم وملتهم ولم يكونوا يكتفون بالقمع بل كانوا يمنحون التعويضات عن الخسارة التي عجزوا عن تلافيها كما شهد بذلك «لاطري».

وكان اساس سياسة عبد المؤمن الخارجية معاقبة كل من تجرا على الملاحة المسيحية من المسلمين ، وحتى في ابان الحرب كان للملاحة الوطنية وحدها الحق في مطاردة اساطيل العدو ، وذلك ان الموحدين الذين كانوا يستجيبون لمقتضيات التجارة الدولية ونواميسها والذين لقنوا أوروبا بعض مبادئها حسب شهادة اندري جوليان، الزموا انفسهم اذ ذاك حماية الحرية وضمان الطمأنينة والسلام في البحار مراعاة لمصالح تجارتهم الخارجية .

غير أن تفكك أوصال الامبراطورية الموحدية التي امتدت الى طرابلس والاندلس ، وانقسامها بين امراء مستقلين ، جعلت هؤلاء عاجزين عن تعقب القراصنة الذين تطاولوا في البحار .

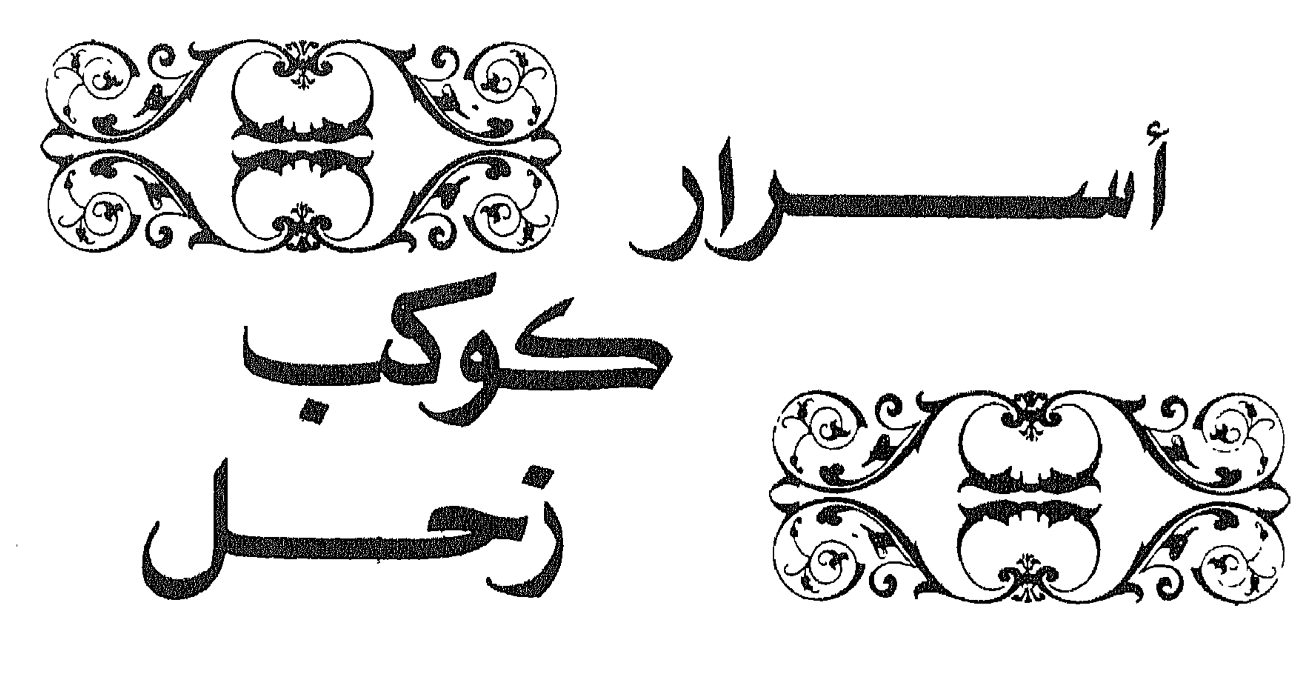
وقد كتب «لاطري» يقول : « في نفس الوقت الذي كان التجار المسيحيون محفوفين بالرعاية والعناية، يعاملهم سلطان المغرب وسلطاته بحسن نية ، استدام نهب القراصنة المسلمين في البحار بالرغم من المعاهدات والجهود التي مافتىء الامراء المسلمون يبذلونها» وقد لوحظ ذلك خاصة في القرن الرابع عشر الميلادي .

غير ان هذه العصابة الافريقية من القراصنة لم تكن كلها اسلامية الملة ، بل كان منها خوارج ومتشيعون لا يتورعون عن بيع المسلمين الى النصارى ، وقد أكد المؤرخ التجاني ذلك في رحلته الى تونس عام ١٣٠٨م وذكر صاحب « كتاب معاهدات السلام والتجارة » نقلا عن التجاني ان هذه الفرقة من الخوارج كانت تقطن جانبا من الساحل التونسي ، فقد تالفت في ميناء بجاية في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي عصابة من الخائضين في لجج البحار المنحدرين من الجبال المجاورة لبجاية وعنابة والمتمذهبين على غرار اهل جربة .

وبصدد مسئولية الاندلسيين في الفظائع البحرية لاحظ «لاطري » أن استفحال القرصنة راجع لانتصار الاسبان الذين قذفوا الى شواطىء المغرب باهالي الاندلس الموتورين الذين لم ير المغرب مندوحة من ايوائهم .

نعم ، لقد اوى سكان السواحل المغربية القراصنة الاندلسيين البؤساء، وزاد ذلك استفحال غارات الاسبان على المغرب ، والحصار الشديد الذي اذكى المعسكر المسمى المضاد للمسلمين مما حدا الاب « دان » الى القول بأنه لا ينبغي أن نستنكر ما يقوم به القراصنة المسيحيون ضد خصومهم وبذلك يتاكد لنا ان القرصنة المسيحية اتخذت احيانا مظهر حملة صليبية ضد الاسلام ، على أن المغاربة لم يتأت لهم الاسهام عمليا في هذا العراك التأديبي لانشغالهم في الذود عن حوزة المراكز التي اقتطعها الاسبان والبرتغاليون من التراب المغربي.

● للموضوع بقية ●



أسرار كوكب زحل

● المهندس : سعد شعبان ●

«عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس
ورئيس لجنة الفضاء بنادي الطيران المصري»

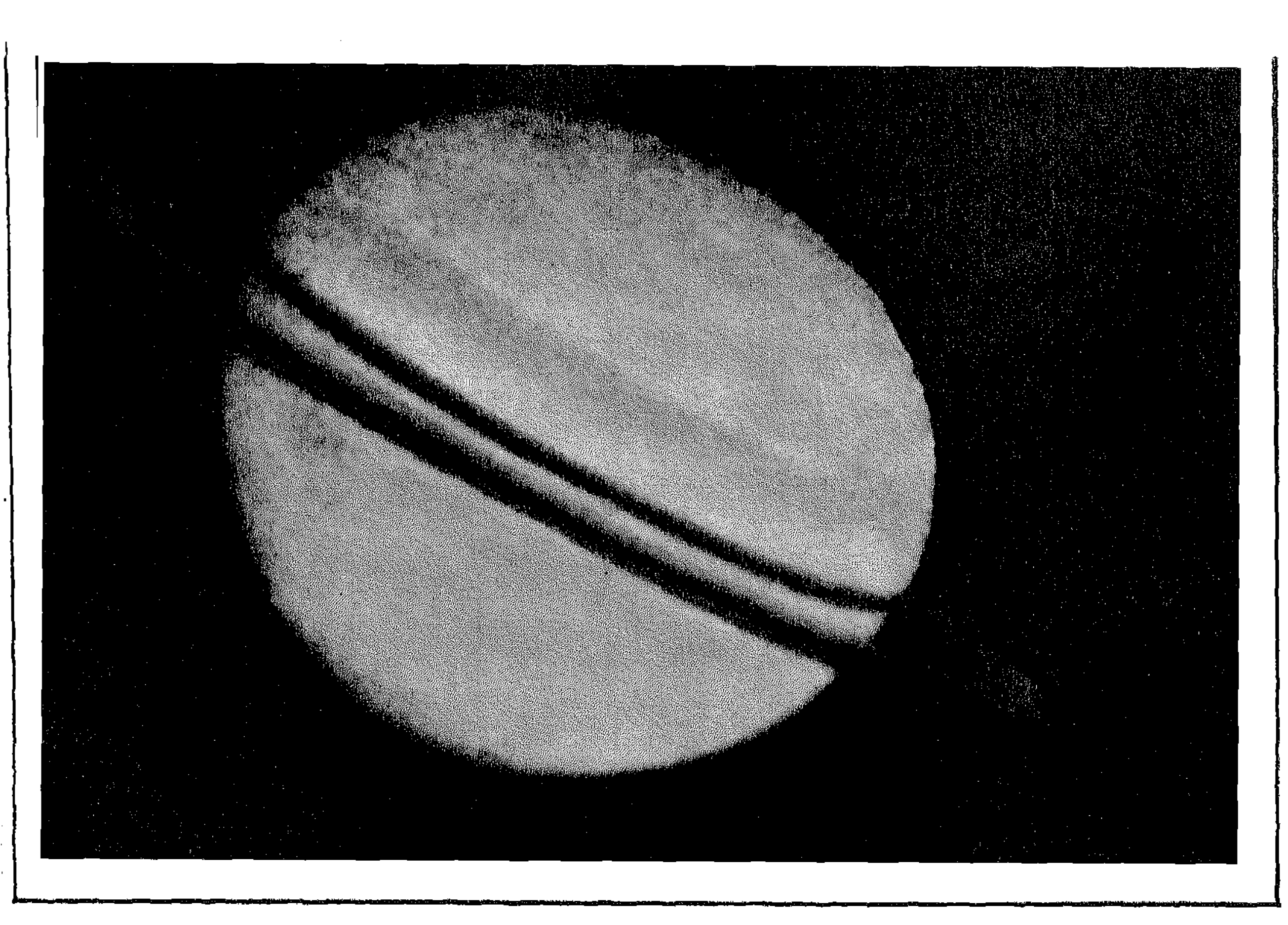
الشمس لها أسرة

● تجذب الشمس اليها تسعة كواكب تدين لها بولاء الجاذبية ، فتجعلها تدور حولها فى مدارات بيضاوية ٠ وهى بمثابة الام الرءوم تضم اليها ابناءها ، وتمدها بالنور والحرارة ، فتستمد منها اهم عناصر الوجود ٠ وشان كل الاسر فان آسرة الشمس او « المجموعة الشمسية » تختلف احجامها وأشكالها ، فمنها الكبير الحجم ، ومنها الصغير ، ومنها القريب من امه الشمس ولذلك يتقد سطحه بالحرارة ، ومنها البعيد الذى يبرد سطحه ويغوص فى أعماق الفضاء ملايين الكيلومترات ٠٠ ويتخذ كل كوكب لنفسه مدارا او فلكا يدور عليه حول الشمس ، وكلها مدارات بيضاوية الشكل تقع الشمس فى احدى بؤرتيها ، وكذلك تتفاوت سرعات دوران هذه الكواكب حول الشمس ٠

وترتيب كوكبنا «الارض» فى تسلسل الابعاد عن الشمس ، هو الثالث اذ أن تسلسل هذه الاسر من حيث بعدها عن الام هو عطارد ـ الزهرة ـ الارض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ وبلوتو ٠

وتقاس هذه الابعاد بملايين الكيلومترات ومتوسط بعد كوكب الارض عن الشمس ١٤٩ر٥٠٠ مليون كيلو متر ، بينما متوسط بعد كوكب المريخ عن الشمس ٢٢٧ر٨ مليون كيلو متر ، ومتوسط بعد كوكب زحل ١٤٢٦ مليون كيلو متر ٠

ولو اتخذنا متوسط بعد الارض عن الشمس كوحدة للقياس ، نجد أن بعد



كوكب زحل عن الشمس يماثل بعد الارض عنها (٩ر٥٤) مرة تقريبا ، وهو كوكب ضخم يعادل في حجمه حجم الارض ٧٤٥ مرة .

زحل له شكل مميز

زحل أحد الكواكب الخمسة القريبة من الارض والتى يمكن رؤيتها بالعين المجردة في بعض الاحيان . ولقد ولع القدماء في حضارات الرومان والكلدانيين والعرب بمشاهدة الكواكب ورصدها على مختلف فصول السنة .

ولكن المناظير الفلكية التى عرفت منذ عهد جاليليو عام ١٦١٠ صورت شكلا فريدا لكوكب زحل دون سائر الكواكب الاخرى اذ تحيط بجسمه الكروى حلقات دائرية لامعة ، ولذلك سموه الكوكب الباهي الشكل .

واوضح تفاصيل هذه الصورة العالم البريطاني « مكسويل » عام ١٨٥٩ واعطى ابعادا لهذه الاحزمة التى يتمنطق بها الجزء الاوسط من الكوكب . ويبلغ القطر الخارجي لابعاد الحلقات ١٧١ر٠٠٠ ميل اى ٢ر٣ مرة قدر قطر الكوكب نفسه بينما يفصل كل حلقة عن الاخرى فاصل خال .

ومما يلفت النظر ان حلقات زحل الثلاث ذات سمك صغير ، لا يزيد على عشرة اميال . ويميل مستوى هذه الحلقات عن مدار زحل بمقدار ٢٧ درجة ، ولا يتغير هذا الميل .

ولقد ظل الغموض يحيط بالكوكب طوال ثلاثة قرون لان التصوير يتم بواسطة المراصد الفلكية الثابتة على الارض . وحار العلماء في تفسير مادة هذه الاحزمة التى لا يتغير مستواها اثناء دوران الكوكب حول الشمس ، ورجح البعض ان تكون مادتها من الاحجار الصغيرة التي تجمعت على شكل حزام يحيط بالكوكب ، ورجح البعض الاخر ان تكون مادتها من بللورات الثلج .

غير أن لزحل ايضا منظرا فريدا بين الكواكب تعارف الفلكيون منذ القدم على

انه يجذب اليه تسعة أقمار تدور حوله في مدارات مختلفة . وتدور ثمانية من اقمار زحل حوله في نفس اتجاه دوران الكوكب، بينما يدور القمر التاسع في اتجاه معاكس .. وتتفاوت هذه الاقمار في احجامها لكن اكبرها وهو القمر « تيتان » يزيد حجمه قليلا على حجم قمر الارض . وقد توالى الكشف عن أقمار زحل منذ عـــام ١٦٥٥ واكتشف آخرها عام ١٨٩٨ .

« بايونير » تهتك اسرار الكواكب

في سبتمبر ١٩٧٩ تحقق لعلماء الفضاء نصر جديد ، عندما اقتربت سفينة الفضاء الامريكيه « بايونير ــ ١١ » من كوكب زحل واصبحت على بعد ٢١٤٠٠ كيلومتر من سطحه ، واخترق مدارها حلقات زحل عن قرب ، واخذت آلاف الصور تتوالى الى محطات المتابعة الارضية تحمـــل تفاصيل سطح هذا الكوكب الضخم . وكانت سفينة الفضاء قد قطعت رحلة طولها ٢ بليون كيلو متر خـلال خمس سنوات ونصف . اذ اطلقت في شـــهر ابريــــل عام ١٩٧٣ ومـــرت بكـوكب المشترى بعد ٢٠ شهرا وارسلت للارض عديدا من الصور عن سطحه ، ثم مضت لتكمل الرحلــة الى كـوكب زحل ، لكي تقوم باجراء القياسات العلمية بواسطة احد عشر جهازا علميا فوق سطحها .

والسفينة « بايونير ــ ١١ » على شكل طبق كبير يبلغ وزنه ٢٦٠ كيلو جراما ، ولها محركات تعمل بالطاقة النووية لتوليد طاقة تكفي لتشغيل الاجهزة العلمية التي على متنها .

واهم هــذه الاجهزة العلمية المتنـــوعة الاغراض ، أجهزة لقياس شــدة الاشعة تحت الحمراء ، بقياس شـــدة الحرارة الصادرة من الكوكب ومن اقماره ، واجهزة لتصوير موجات الاشـعة فوق البنفسجية والاشـــعة الكونية والمجالات المغناطيسية المحيطة بالكوكب ، وأجهزة لتحليل البلازما لرسم الخـــرائط العلمية للعواصــف الشمسية التى تهب حول زحل . وعلى متن السفينة حاسـب اليكتروني ينظم عملية التحكم فى الاجهـــزة وارســـال الصور الى الارض .

والسفينة بايونير واحدة من ٣٩ سفينة امريكية وسوفييتية هتكت أسرار الفضاء البيكوكبي ــ اى الذى بين الــكواكب ــ وستوالى رسـالتها في اجــــراء مزيد من القياسات حتى عام ١٩٨١ .

وقدر حجم المعلـومات التي تناهت الى علماء الفضــاء عـــلى الارض من السفينة « بايونير ــ ١١ » بانه يعـــادل أكثر من عشرة أمثال ما تجمع لديهم خلال القرون الثلاثة الماضية .

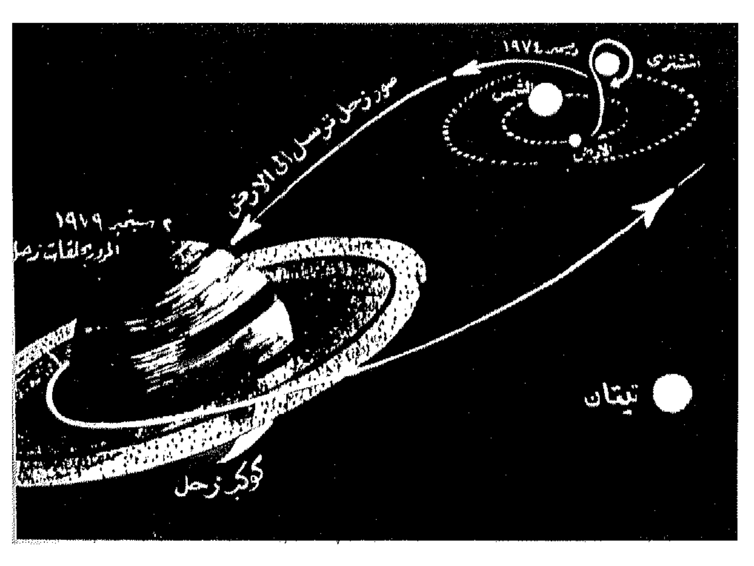
ولقد احاطت بهذه الرحلة الشكوك من المخاطر التي قد تتعرض لها الســـفينة ، سواء في ذلك الاصطدام بحـــزام أحجار الكويكبات الذى بين كـــوكبي المـريخ والمشترى ، أو مخاطر الانجذاب الى كوكب المشترى الضخم الذى يعادل فى حجمـــه قدر حجم الارض ١٢٩٥ مرة ، أو مخاطر الاصطدام بأجسام صلبة في حلقات كوكب زحل نفسه ، اذ كان المدار يمر خلال هذه الحلقات نفسها .

حلقاته خمس وليست ثلاثا

ولكن نجاح وصول صـــــور السفينة « بايونير ــ ١١ » الى الارض ، أطاح بكثير من المفاهيم الفلكية التي تعـــارف عليها الفلكيون على مدى ثلاثة قـــرون . فقد اوضحت تفاصيل هذه الصور **ان حلقات زحل عددها خمس حلقات وليست ثلاثا كما ظن الفلكيون في الماضي . ولقد قطعت السفينة مستوى حلقات زحل خلال (ثانية واحـدة) ولكن تصوير هـــذه الحلقات بالمستويات المائلة نقل كثيرا من التفاصيل عنها واوضح الفواصل فيما بينها .**

بل ان هناك قياسات مغناطيسية سجلت وجود حلقة سادسة ليس فيها جسيمات ولكن تنتشر فيها القوى المغناطيسية حول زحل ، وهناك حلقة سابعة تنشط فيها الاشعاعات حتى مسافة ٩٦٠٠٠٠ كيلو متر من سطح الكوكب ٠

وبعد أن ظل العلماء فى حيرة طويلة عن كنه المادة التى تتكون منها الاحزمة الثلاثة المحيطة بزحل ، تأكد أن مادة بعض هذه الاحزمة تتشكل من كرات الثلج المتجمد ٠



من حلقات زحل ، كما نقلتها سفينة الفضاء بايونير

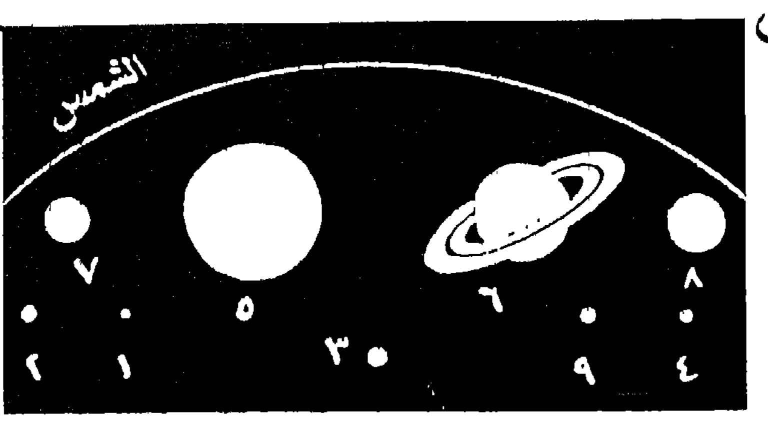
زحل له اثنا عشر قمرا

كما كشفت صور السفينة بايونير عن أن أقمار زحل ليس عددها (٩) كما سجل الفلكيون القدامى بل تبلغ (١١) قمرا ٠ وهناك نقطة ضوء تكرر ظهورها فى كثير من الصور فسرها بعض العلماء على انها القمر الثانى عشر ٠

ولقد أعطى هذا القمر الاخير اسم « بيونير الصخرى » ويبلغ بعده عن زحل ٩٠٠٠٠ كيلو متر ٠ وسبق اكتشاف قمرين آخرين فى أوائل عام ١٩٧٩ وبذلك أصبحت أقمار زحل اثنى عشر ٠ ولكن ما زال أكبر الاقمار هو قمر « تيتان » الذى يفوق حجم قمر الارض قليلا ٠ ويتميز تيتان بأن له غلافا جويا خاصا به ، وقد أوضحت الصور أن هذا الغلاف به سحب تتكون من غاز الميثان ، وهو الغاز اللازم لتكوين الاحماض الامينية التى تعتبر العامل الاساسى لوجود الخلايا الحية ٠ الا أن رصد درجات الحرارة على سطح « تيتان » أوضح انها تقرب من درجة (ـ ٢٠٠)

سفينة الفضاء الأمريكية « بايونير ـ ١١ »

أسرار كوكب زحل



النسبة بين احجام الكواكب والشمس
١ ـ عطارد ٢ ـ الزهرة ٣ ـ الارض
٤ ـ المريخ ٥ ـ المشترى ٦ ـ زحل
٧ ـ اورانوس ٨ ـ نبتون ٩ ـ بلوتو

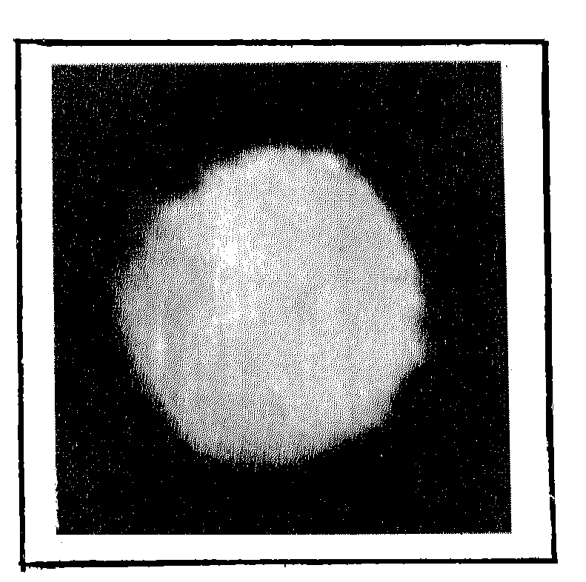
مئوية • ولكنه لم تتأكد أية معلومات تفيد ترجيح وجود اى لون من الوان الحياة على هذا القمر •

بحوث الفضاء تتوالي ...

يعتبر برنامج السفينة الامريكية « بايونير » ناجحا بعد ان حقق نجاحا بكشفه مفاهيم جديدة عن كوكب زحل ، ويمكن ايجاز هذه الحقائق فى الاتي :

★ الكشف عن حلقات جديدة حول زحل •

★ التحقق من أن الغلاف الجوى



تيتان ـ اكبر اقمار زحل • • • •

المحيط برحل أدفا حرارة عما كان يعتقد العلماء •

★ التحقق من أن أقمار زحل اثنا عشر قمرا •

★ الكشف عن وجود مجال مغناطيسي قوى يحيط بزحل ويمتد خارجه الى مسافة كبيرة ومتوسط شدته ٣ر٠ جاوس •

ورغم أهمية هذه المكتشفات، واستقبال آلاف من الصور عن سطح زحل وأقماره وحلقاته ، الا أن العلماء مازالوا يأملون في استقبال المزيد من المعلومات عن هذا الكوكب • ولذلك يتطلعون الى وصول سفينتى الفضاء الامريكيتين « فواياجير ـ ١ ، ٢ » الى نفس الكوكب في يونيو ١٩٨٠ لانهما فى طريقهما اليه الان • وستظل السفينة « بايونير ـ ١١ » مستمرة فى رحلتها عبر الفضاء البيكوكبى حتى عام ١٩٩٣ عندما تصل الى قرب آخر كواكب المجموعة الشمسية وأبعدها وهو كوكب « بلوتو » •

ووقتها سيكون قد اكتمل استكشاف الكواكب اخوة الارض. ولكن ما زال السؤال المحير الذى يؤرق البشرية ، حائرا فى الاذهان ولا يجد احد له جوابا ، هل توجد حياة على كوكب آخر غير الارض ؟

ولكن الامل يحدونا الى القول بان سفن الفضاء قد تجد فى المستقبل القريب اجابة عن هذا السؤال •

ياسمين

• د . انس داود •



دفء الحنين ..

يا ياسمين

الله ... صوتك من بقايا أرغن في الخالدين

حملته روحى فى اغترابى

كرؤى عذابى

صوتا من الوطن الحزين

أصغى .. فيأخذنى صداه إلى متاهات السنين

وأعود أنهل من مداه وأنت سكرى تنشدين

سكرى من النغم الإلهى الرنين

سكرى ... ووجهك مشرق بالطهر ، وضاح الجبين

مترى على جرح الزمان ،

وهدهدى القلب الطعين

ياياسمين .. قربما

فى صوتك المبعوث من عمق الجراح .. تنفتحين

أشجار هذى الغابة الصماء فى كل العيون

مـــع رشـــدى صالـــح

• حوار اجراه : عاطف فرج •

● فى البدء يعرض الاســــتاذ رشدى صالح وجهة نظـــره فى قضية الفكـــر والادب ـ يقول: ((الحركة الادبية والفكرية.. تقف الان عند مفترق طرق . فهناك حوار مفقود بين جيل رائـــد من الادباء .. وجيل صاعد من الشباب ، يريـــد ان يعبر عن نفسه وعن قدراته الابداعية.

« يقول الجيـــل الجـــديد من الادباء ان جيل الرواد لا يريد أن يأخذ بأيدينا لا يقرأ لنا ولا يتفهم طبيعة مشـــاكلنا ويرد عليهم جيـــــل الأســــاتذة بان شباب اليوم من جيل الأدباء متعجـــل للمجد والشهرة .. ثم يكملون القول.. باننا جيل عانى الكثير .. سار على الشوك حافى القـــدمين .. ونحت فى الصخر باظافره لكى يضع قدميه على طريق الفن الأدبى والفكرى ..

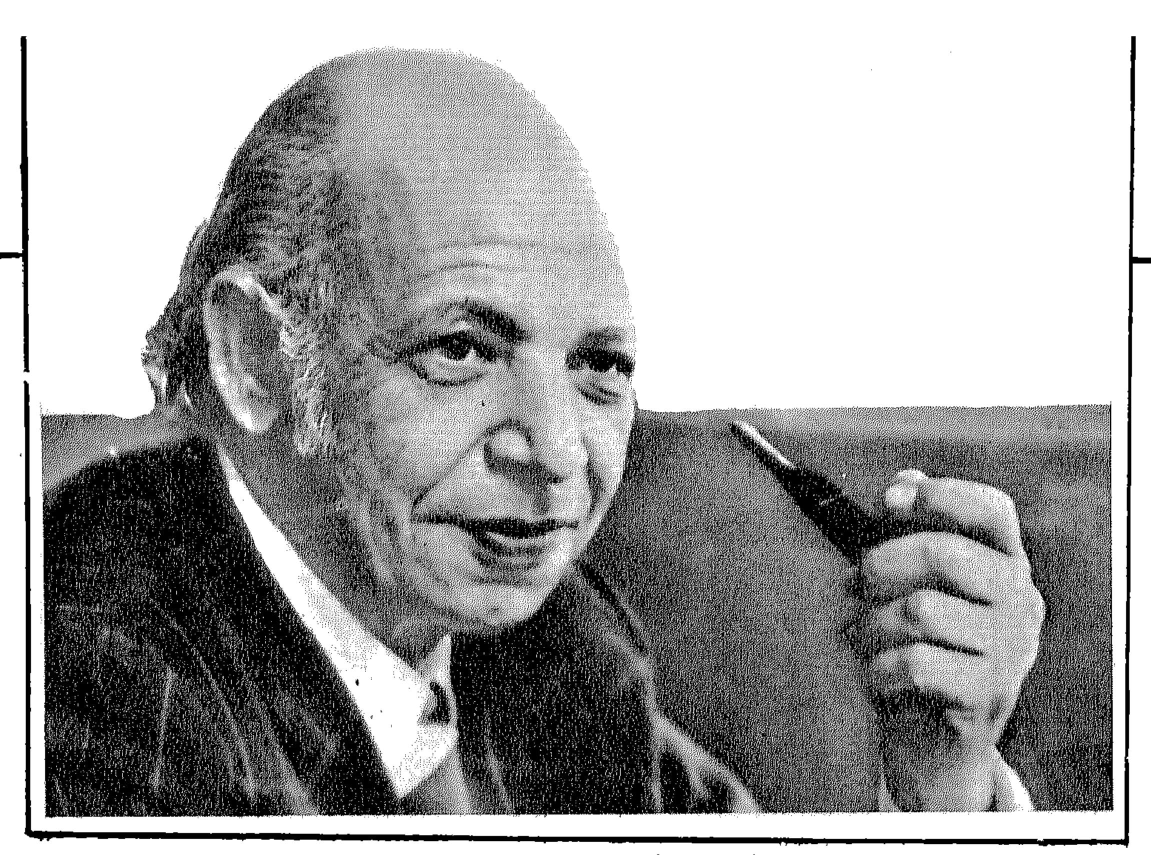
ويقول رشدى صالح .. وهـــو من جيل لاساتذة .. ورائد من رواد الفكر والفن ، بصوت هامس ، رقيق ...

« منذ سنوات ظهرت بين شـــباب الادباء نداءات عصبية منها نداء يقـــول نحن جيل بلا أساتذة ...

« هذا النداء وأمثاله يحمل اكثر من معنى .. : الأول : أن هؤلاء الأدباء لم يدركوا ادراكا كافيا مســـار التـــاريخ الثقافى والأدبى فى مصر ، وسارعوا الى قطع الصلة بينهم وبين الاجيال السابقة عليهم .. مع انهم قراوا لعدد من ادباء الأجيال السابقة وتأثروا بهم بلا نزاع.. وكان ينبغى عليهم أن يحترموا أستاذية من قراوا لهم وتعلموا منهم . والمعنى الثانى أن ما أصاب جيل الأســــاتذة ومن جاء بعدهم من حصار فولاذى كان يحول بينهم وبين الانتفاع بعطاء الثقافة العالمية ومواصلة ابداعهم ...

« .. هذا الحصار نفسه كان لابـــد له من أن يقطع الطـــريق عليهم حتى لا يواصلوا رعاية الاجيال الشـــابة الجديدة من الأدباء والفنانين .. ويبدو لى أن ما نحتاج اليه الآن هو :

أن نفتح كل المسالك المؤدية الى توثيق الصلة بين انتاجنا الحاضر وميراثنـــا العربى من ناحية ، ونفتح كل الدروب



رشدى صالح : ما بعد الحوار

لمكنة وهى كثيرة جدا لنتابع الانتفاع بما تقدمه الثقافات العالمية المتحضرة ، دون خوف وبلا ملل .. فالادب والثقافة لهما انتماء وطنى هذا صحيح ... ولكن لهما ايضا وطن فسيح جدا هو العالم كله ... »

اثارت هذه الاجابة نقطتين .. هما مسار التاريخ الثقافى والأدبى فى مصر والحصار الفولاذى الذى ضرب حول جيل الأساتذة من الأدباء والمفكرين . كان ولابد أن نقف عندهما ...

يقول رشدى صالح ، وقد افرغ الرماد المتبقى من غليونه .. ثم جال بعينيه فى المساحات الخضراء الممتدة امامنا فى نادى الصيد :

« .. اذا قرانا المقدمة الرائعة التى كتبها عبد الرحمن بن خلدون فى فلسفة التاريخ وجدناه يقف وقفة طويلة عند ما نسميه الآن بالثقافة على اختلاف انواعها ، ووجدناه كذلك يقول كلمة عظيمة هى :

ان الانسان ابن زمانه وابن مكانه .. لان الطاقة البشرية المبدعة فى الفنون والإداب والفكر هى بالمثل ابنة زمانها ومكانها .

«وانى اومن أن مصر هى وطن العديد من الحضارات التاريخية التى تبدأ باستقرار الانسان على الزراعة وتمر عبر التفاعل العميق والمؤثر حتى الآن مع الحضارة الاسلامية العربية ، وتمتد الى بداية تاريخنا الحديث ، أى الى مرحلة الاحتكاك المباشر والمؤثر ايضا مع الحضارة العالمية الحديثة .

« فى القرن الماضى استطاعت أجيال من المثقفين وخريجى الأزهر الشريف الذين اوفدوا فى بعثات الى فرنسا وغيرها ، ان ينقلوا الى اللغة العربية ترجمة عشرات بل مئات من الكتب ، بعضها فى العلوم البحتة وبعضها فى الفكر والفلسفة والآداب . كما استطاع نفر منهم أن ينقلوا لأول مرة كذلك ترجمة لعدد من المسرحيات العالمية

.. وواكب ذلك بالطبع انشاء المؤسسات التى كانت وظيفتها أن تطرح على القراء وطلاب المعرفة عطاءها سواء أكان مصريا خالصا أو كان متأثرا بالثقافة الادبية الغربية .

« ومن هذه المؤسسات مطبعة بولاق التى كانت اول مطبعة عربية أنشئت فى الشرق كله . ومن خلال سنوات قليلة كانت قد اقيمت مدارس للطب والهندسة والتعليم المدنى . وفى سبعينات القرن الماضى انشئت دار الأوبرا وعدد من المسارح الاهلية ... وتوالى بعد ذلك تأثير الكلمة المطبوعة وتزايد الاشتباك بين الفكر المصرى والفكر العالمى الغربى .

« وحين انشئت الجامعة الأهلية فى اوائل القرن العشرين بدأت مرحلة جديدة فى اعداد المتعلمين الذين استطاع بعضهم ان يصلوا الى القمة فى مجالاتهم العلمية والأدبية المتعددة ، كما ان تطور الصحف من مجرد اصدار جريدة رسمية هى الوقائع .. الى اصدار عشرات من الصحف الأهلية والمجلات الأسبوعية والدورية . قد أدى الى التنافس الطليق فى تحصيل المعرفة وتقديمها باسلوب عصرى الى قراء هذه الصحف والمجلات ...

« وحين نرجع الى مجموعة الصحف الصادرة فى العشرين سنة الاولى من هذا القرن سنجد ان هذه الصحف تحمل بوادر منازلات أدبية او فكرية لم تلبث أن أصبحت تتجسد فى تيارات فكرية وادبية واضحة المعالم بعد ثورة ١٩ ، ولا نزاع فى ان الفترة ما بين سنة ٢٠ تقريبا الى الحرب العالمية الثانية.. قد شهدت صعود جيل الاساتذة وميلاد كتابات ومؤلفات أدبية وفكرية جديدة علينا .. كان بعضها يقف ضد التيار الفكرى السائد وينادى بالتجديد والابداع معتمدا على أننا بعض من ورثة الحضارات العالمية، وكان جيل الاساتذة يتوسل بوسيلتين عظيمتين هما :

اولا : السيطرة على اللغة العربية والتعرف المستمر على التراث العربى اثناء عصور نهضته والكشف عن المجهول منه ..

وثانيا : السيطرة على لغة عالمية كالانجليزية والفرنسية بهدف تحصيل المزيد من المعرفة من التراث العالمى والرجوع الى النصوص الاصيلة مباشرة وفى استغناء عن الترجمة ..

« اعطتنا هذه المرحلة جهود طه حسين اديبا ودارسا للأدب ومقتحما لمشكلات كبرى جرت عليه شخصيا متاعب كثيرة. وأعطتنا فى مقابل طه حسين جهود العقاد مقتحما هو الآخر مشكلات أدبية وفكرية كبرى . واعطتنا جهود عدد من الاساتذة الكبار أمثال مصطفى صادق الرافعى ، وامير الشعراء شوقى . وقد حاول منذ نهاية القرن الماضى أن يكتب المسرحية نثرا أولا ثم شعرا ..

« واعطتنا الجهد البارز والجديد الذى تفرغ له أحد اساتذة هذا الجيل وأعنى به توفيق الحكيم كاتبا للمسرح ... وأعطتنا عطاء هاما فى النقد الأدبى ومثاله منهج طه حسين فى دراسة الشعر الجاهلى ، ومنهج العقاد والمازنى فى دراسة شعر شوقى ، ثم أعطتنا المنازلات الأدبية الساخنة التى دارت بين دعاة التجديد ودعاة المحافظة والتقليد.

« هذه الزخائر فتحت عيون الأجيال التالية على كيفية تزويد الأديب نفسه بما يلزمه من معرفة .

« ... فالأدب هو الانسان مثقفا موهوبا مهذبا .. مسيطرا على اللغة مبدعا فى التعبير بها ..

« وشـــهدت تلك الفترة محاولات أولى فى كتابة الرواية والقصة .. لكن هذا الفن اتخذ سمتا واضحا فى كتـابة يحيى حقى الذى بدأ حيـاته الادبيـة ناقدا حاد اللسـان لا يجامل برغم رقته ودماثة خلقه ولين طبعه ..

« وكان لنجيب محفـوظ وبعض زملائه الفضل فى أن يرسوا الانتـاج الروائى ويتابعوه . وبعد الحرب العالمية الثانية أخذ الجيل الاصغر سنا يحاول الكتابة للمسرح وهو فن أشد تعقيـدا وصعوبة من كتابة القصة القصيرة ، لأنه فن يؤدي منظـورا ومســموعا وخاضعا للقوانين التى تفرضها علوم المسرح ونظـرياته وهى نظـريات يلغى بعضها بعضا .. فما قاله ارسطو مثلا عن المسرحية الغاه شيكسبيـر وكتـاب المسرح فى عصر النهضـــة ، ثم توالت نظريات جديدة فى أوروبا خاصـــة فى القرن التاسع عشر من الحـــركة الرومانسية ثم الواقعية ثم الرمزية ثم الواقعية الرومانسية ثم المذهب البنائى فى المسرح .. »

وعندما يصمت رشدى صالح ليشعل عود ثقـــاب جديد متطلعا الى اللهب المتصاعد منه ومقربا اياه من غليونه .. اسأله عن « الحصار الفولاذى » ومغزاه ... فيضحك الرجل من قلبه ، وهو القائل فيما بعد مقاله : ((الدنيا غانيـة تقسو .. والرجل الضاحك يضـحك من قلبه ..)) ثم يقول :

« .. ينبغى لنا ان نعترف أنه قـد مرت بمصر سنوات متوالية قبـل عام ١٩٧٠ اغلقت فيها كافة النــوافذ والقنوات التى كانت طريقا ذا اتجاهين بيننا وبين الفكر والثقافة والفن العالمى .

« واقيم حاجز مثل سور الصــين يصد عن الموهبة الادبية القادرة من كافة



الاجيال ما تطرحه ثقافات العـالم أولا بأول متجسدا فى الكتاب أو فى شريط السينما اوالبرامج التليفزيونية الثقافية والعلمية . أو التسجيلات الصوتيـة للمؤلفات الموسيقية ذات المســتوى الرفيع ..

« .. وكما اعتقدنا خطأ فى تلك الفترة أننا قادرون صناعيا على أن ننتج كل شىء بدءا من الابرة الى الصاروخ عابر القارات ، فكذلك ظهرت هوجة هوجاء فى الفكر والادب خلاصتها أننا قادرون كذلك على أن ننتـج فى الادب والفن والموسيقى والنحت والتصوير كل شىء رائع ، منبعثا من ارضنا وحـدها ، وكأننا جزيرة منفصلة عن بقية العالم . فى حين أننا نعلم علم اليقين أن الكرة الارضية قرية صغيرة بعد التوســع الهائل فى اســتخدام الوســائل التكنولوجية الحديثة الخاصة بالاتصال بين المرســل والمتلقى ، اعنى بذلـك الاذاعات المسموعة والمرئية والسـينما الى آخره .

« كانت هذه الفترة المجدبة مرحلة ارتداد بعيدة عن طبيعة الابداع المصرى والاتجاه المصرى الحضـارى والانسانى وكانت من القسوة بحيث اصبح حصـول الاديب أو المفكر على كتاب صدر فى أى بلد اوروبى يعتبر حصولا على كنز ينفرد

به ، في حين ان الاصل هو ان تتاح كل وسائل المعرفة العالمية لكافةمن يطلبها في مصر وباقل تكلفة ممكنة وباقل جهد ممكن ايضا .

« واذا كنا الان نعاني من مشكلات الحياة اليومية الموروثة من قبل فاننا نعاني اكثر من مشكلة التخلف عن مسايرة العصر الذى نعيش فيه فكريا وادبيا وثقافيا وعلميا .

« ولا يعنى هذا التعميم انكار الجهود الشجاعة التىبذلها ويبذلها عدد محدود من المشتغلين بالأدب والفلسفة والدراسات العلمية المختلفة بل ان الانتاج الادبى مضى يتحمل قسوة تلك المرحلة ويطرح بين الحين والحين مسرحيات او روايات تتكلم بوجدان الانسان المصرى المتحضر . فقد لقى بعض الادباء والمؤلفين عنتا نحن نعرفه جميعا » .

ومثلما يفعل الطبيب مع مريضه .. بان يشخص له المرض ويكتب له العلاج حتى يبل ويبرا مما اعتراه واصابه .. اسال طبيبنا - مجازيا - المتحدث فى لباقة عن معرفة عميقة بأصول المشكلة التى مرضت من اجلها الثقافة المصرية ... وما العمل .. ؟! او كيف يكون العلاج ؟ ..

يقول رشدى صالح :

« .. اذا كانت النظرة السريعة السابقة قد اعطتنا لمحة عما اصاب الثقافة فى بلدنا .. فان السؤال الذى يطرح نفسه هو :

« اى الاتجاهين اكثر عطاء لنا الآن؟! هل هو الاتجاه الى ان نجتر الماضى ونسمح لانفسنا بأن نقع فريسة سهلة لليأس أم انه الاتجاه الى أن نبنى من جديد حياة ثقافية وادبية مصريةتنتمى الى ماانجزته العبقرية المصرية منناحية وما انجزته العبقريات العالمية منناحية ثانية ..

« انى اقف مع الاتجاه الثانى مقدرا كل التقدير ما قدمه اساتذتنا ، مطالبا بأن نواصل السير الى الأمام على نفس دربهم ولكن بمنطق أواخر القرن العشرين وايقاعه ، وبمنطق الاطلال على القرن الحادى والعشرين .

« ومعنى ذلك اولا ضرورة التواصل بين الاجيال ومعناه ثانيا ضرورة التواصل بين الثقافة المصرية والعالمية المعاصرة لنا والتى تحمل بشائر ثقافة القرن الحادى والعشرين منذ الآن .

« وقد حاولنا فى ظل فترة « سور الصين » أن نضع كل الأعباء على المؤسسات الحكومية وكان ذلك ضد منطق الاشياء ، وكانت نتائجه نوعا من الكارثة بالرغم من أن بعض الاعمال القليلة الأدبية والفنية قد ظهرت فىتلك الفترة لكنها لم تكن اكثر من احتجاج عليها . »

قلت له: من ملامح التغيرات الجديدة التى شملت مجتمعنا ، أن طبقة الحرفيين والتجار واصحاب الاعمال ظهرت وتركزت فى ايديهم قوة شرائية ، لم يواكبها تطور فى انتشار الثقافة بل ركود فى توزيع الكتاب .. وانحسار فى الثقافة ..

يقول الاستاذ رشدى صالح :

« .. ان الانسان هو الاصل وهو الهدف وقلب الانسان وفكره هما اغلى ثروات الارض واذا اردنا أن نبنى حياة جديدة فلنبدأ بالانسان ، الكائن البشرى الذى جعله الله تعالى محور

الكون وسيده باسطا يده بالخير حاملا بيده الأخرى مشعل النور أى مشعل المعـــرفة والابتكار والابداع الفنى والادبى .

« نحن نقـول ان الانسان ولد طليقا ويجب ان نحترم حق الانسان اديباكان أم فنانا أم مفكرا فى أن يفك عن نفسه كل قيد ويعبر تعبيرا صادقا عن تجاربه التى هى جزء لا يتجزأ عما تفرزه حياة الاربعين مليون مصرى .

« وانى لأتساءل لماذا لا تعتبر مشكلات الثقافة معادلة لمشـــكلات رغيف الخبز والمسكن والتموين . كمـــا انى اطلب بشدة اعفاء وسائل المعرفة من الضرائب الجمـــــركية واباحتها للكافة ، فمن المستحيل أن نحدد أصـحاب المواهب الادبية او الفكرية او نحصيهم احصـــاء دقيقا ونقول كفى ما لدينا ــ بل ينبغى ان نسلك سلوكا مختلفا » ..

حول هذا المعنى ، هل يمكن بسلوكنا الجديد او المختلف أن يولد ادباء جدد يعيدون الى وجه مصر ما كان لها من جيل العمالقة فى الفكر والادب ..

يقول رشدى صالح :

« .. ان هذا الشعب العريق يقدم باستمرار أصـــحاب قدرات ومواهب علمية وادبية تحتاج منا الى أن نمهـد لها الطريق حتى تنضج وتكتمل وتبدع واول هذا الطريق أن نعرف تاريخنا على حقيقته وحضارتنا على حقيقتها ، وان نعـرف قدر طاقتنا تاريخ غيــرنا من الشعوب والأمم وحضاراتها وأن نتابع مسار التاريخ هنا وفى العـــالم كلـه ولا أتصور أن يولد الأديب كائنا كامل القدرات ، وانما هو يولد موهوبا وعليه أن يستكمل الموهبـة وينميهـــا .. بتثقيف نفسه ما اســـتطاع الى ذلك سبيلا ..

« الاديب تلميذ طوال حياته يتعلم من الكتب ومن تجارب الآخــرين ومـن الحياة . وحين يعتقد انه مستغن عن عطاء الفكر الانسانى او الثقافة الانسانية او الحضارة الانسانية فانه يحكم على نفسه بانتهاء مشواره كاديب .

« الأدب ليس عبثا ومهنة الكتابة الادبية قال عنها اجدادنا الفراعنـــة انها أشرف مهنة فى الوجود ، ومعنى ذلك ان مسئوليتهـــــا عظمى ، وفى صدرها ان يسيطر الاديب على اللغة العربية ويطوعها للتعبير بها بصرف النظـــر عن الشـــكل الادبى الذى يختــاره لنفسه .

« ومــن المســتحيل فى رايى ان يستطيع أديب الارتقاء بفنه اذا لم يكن مسيطرا على هـذه اللغة الفصـــحى الانيسة الثرية ، ولن يستطيع كـذلك ان يسيطر على اية لغة عالميـــة اذا لم يكن مسيطرا فى الأصل على لغته العربية وتعبيراتها الأدبية وما اغزرها فى الماضى ، وما أشد تفتحها الان ، وذلك انهـــا لم تعد لغة كتابة فى الدواوين وانمـــا اصبحت ميسرة فى لغة التخاطب لمـن يسيطر على قدر كاف من المعـــرفة بقاموسها ومبادئها وبلاغتها وأدبها » .

***

كان هذا حوارا مع رجل فنان اديب عشق الفن وسار على دربه يشق لنفسه طريقا بين القمم الخالدة .. ولم ينس ذلك يوما فى مقاله الاسبوعى ، فافـــرد الى جانب المقـال السياسى ما بعـــد المقال . ليصب فيه من رحيقه الأدبى ومعسول لفظه الكثير من النفحات التى تنشى القـــارىء . . وتثلج صــدره .. كان حـــوارا مع الكاتب الفنان رشدى صالح .

الشاعر الفائز بجائزة نوبل هذا العام

● د . سليم الاسيوطى ●

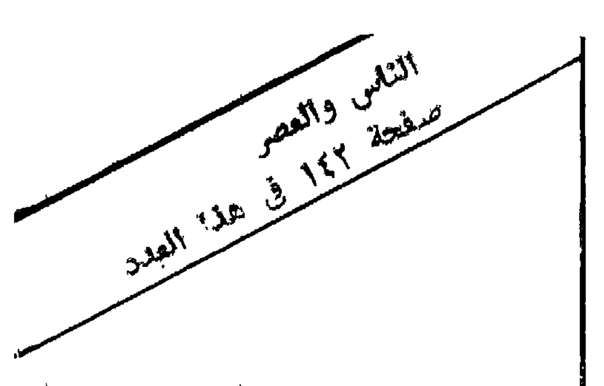
فاز الشاعر اليونانى اوديسيوس اليتيس بجائزة نوبل فى الأدب لعام ١٩٧٩ ، لأشعاره التى تصور نضال رجل عصرى ، من اجل الحرية عامة ، وتحرير وحرية بلاده خاصة ... كما انها فى الوقت نفسه تقدم اعمق التقاليد الكلاسيكية الاغريقية ، ولا تغفل المناخ المعاصر ، بالاضافة الى انه يتفوق الآن على الكثيرين من مشاهير الأدباء والمفكرين العالميين ، وربما كان يبز الذين سبقوه فى نيل هذه الجائزة ...

واوديسيوس له مؤلفات كثيرة ظهرت في بلاده ، وفى ترجمات خارج بلاده ... واليونانيون يطلقون على ملاحمه التى تجمع بين خصائص الكلاسيكية والمعاصرة « انجيل اليونان » ...

اوديسيوس اليتيس
الشاعر اليونانى الحائز على جائزة نوبل لعام ١٩٧٩

منذ نحو ربع قرن ، وعلى وجه التحديد فى عام ١٩٣٥ نشرت مجلة « القواعد الجديدة » السلسلة الأولى من اشعار اوديسيوس اليتيس ... ومنذ ذلك الوقت دخل عالم الأدب من أوسع أبوابه وأصبح فى وطنه صوتا من أرفع الاصوات وأحفلها بالحياة والحيوية فى أوليمب عروس الشعر اليونانى المعاصر ، ومهبط الوحى والالهام منذ قديم ...

وفى عام ١٩٣٩ عززت مجموعته الشعرية الشاملة « توجيهات » مقامه الرفيع بين أقرانه ، وفى عام ١٩٤٣ ظهرديوانه « الشمس اولا » فى اثر مجموعته السابقة ، وفى ذلك العام نفسه رزئت اليونان بموت الشاعر العظيم الاخير من الجيل القديم ، كوستيس بالاماس ـ ومنذ ذلك الحين اعتبر أوديسيوس اليتيس شاعر اليونان الاول دون منازع ، وخارج حدود بلاده ..







آوديسيوس اليتيس ـ الشاعر اليونانى الفائز بجـــائزة نوبل فى الأدب لعـــام ١٩٧٩ ...

وفى غضون العشرين عاما الماضية غدا شخصية نابهة الذكر فى المحـــافل الأدبية والدوائر العلمية فى فرنسا وايطاليا وانجلترا والولايات المتحـــدة الأمريكية ... ويندر ان توجد مجلة ادبية مشهورة فى هذه البلدان لم تقدم لقرائها على صفحاتها حتى الآن مختارات مترجمة من اشعار اليتيس ... كما اشتملت مجموعات من اشعاره فى كتب بالفرنسية والايطالية ، وغيرهما .

ان الشاعر اليتيس ـ « وقد سمي آودسياس الييوديليس عند مولده » ـ ينحدر من أسرة عريقة ، من بلدة لسبوس ، ولد فى عام ١٩١١ فى أى أكليون، من كريت ـ وبدأ فى دراسة القانون فى عام ١٩٣٠ ولـكنه سرعان ما شـعر بحنين طاغ الى الكتابة والى الفن ، وكان مفتونا بعالم السيرياليين الفرنسيين التعبيرى ، فترجم مؤلفات لوترمونت اليوارد جوف ولوركا الى اليونانيـــة الحديثة ، وكتب دراسات عن الفن الحديث ...

وقد سافر ، واستقر به المقـــام بعض الوقف فى باريس عام ١٩٤٨ ، وتوالت رحلاته الاســتكشافية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، واتصفت هذه الرحلات بحب الاستطلاع الفكرى والثقافى الظامىء الى المعرفة ، لا يرتوى ابدا ...

وفى غضون سنى الحرب العالميـــة الثانية ، ولدى عودته من جبهة القتال، أصبح شاعر المقاومة اليونانية .

والنظرة المتفتحة على الافق والرباط الحيوى الواقعى القوى بأحداث الحياة النموذجية ذات المغزى الخاص ، ومذهب السيريالية السحرية ، وجـــذور التراث الهيلينى اليونانى أو الاغريقى،تتحد وتندمج كلها فى شـعره ، لتصنع صورا تكشف عن الحياة فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

ولنضرب مثلا ، بقصيدة « جسد من صيف » التى تحمل اسمها مجموعة القصائد المترجمة الى الالمانية :

مضى زمن طويل منذ ان سمع صوت سقوط الأمطار الاخير .
والآن فان السماء تضيء الى ما لا نهاية
واشجار الفاكهة تفتح افواهها
ومسام الارض تنفتح ببطء
وبجوار المياه التي تقطر رقيقة متقطعة
يحملق نبات ضخم في الشمس لا يتحول عنها
من هو ذا الذى يزحف على الشواطىء البعيدة
وقد استلقى على ظهره يدخن أوراق الزيتون الفضية
والجندب يستدفىء فى اذنيه
النمل يعدو للعمل على صدره
وبين اعشاب قدميه البحرية تمر موجة بخفة
دفعتها جنية البحر التي غنت
لجسد الصيف الذى احترق ...

***

الأمطار البطيئة تهطل والبرد يتساقط .
الشطآن تسوطها مخالب الريح العاصفة
التى تغوص فى اعماق البحر بموجات عظيمة ضاربة .
الجبال تغور فى سحب ثقيلة
ولكن ، خلف كل هذا فانك تبتسم مطمئنا
وتعثر من جديد على فرحتك الخالدة
كما لو ان الشمس قد اوجدتك مرة اخرى على الشطآن
فى عنفوان قوتك المجردة ، تحت قبة السماء .

ومن الواضح الجلى انه حينما يقدم اليتيس الانسان فى المنظر الطبيعى فهو دائما يلجأ الى التركيبات يصوغها فى تساؤلات :

ماذا تستطيع ان تواجه وتستطيع ان تلبس
وترتدى موسيقى العشب
وكيف تتقدم
بين الحكماء
وعلى شفتيك طعم عاصفة ... لكن اين كنت تجول
طوال اليوم باحلام اليقظة القاسية للحجر والبحر ...
ان عمى البحر يكمن داخل عينيك
وعلى جسمك قوة الشمس
عم كنت ابحث
عميقا فى صميم كهوف بحر الأحلام اللانهائية !

من المؤكد أن اليتيس لايتحدث في قصائد كثيرة عن الحب في الزمن الحاضر فهو دائما يتحدث عنه في صورة ذكرى ... ان الذكرى على اية حال يمكن أن تتضمن الأشياء الماضية وأيضا الأشياء المستقبلة ، فان كل تعبير أو كلام أو قول يتناول ذكر الفردوس المفقود يبعث الأمل حيا في فردوس مردود ... ان « الصدى » كلمة مفضلة محبوبة تفتق الذهن ، وتساعد على كشف المجهول في شعر اليتيس ... ان السماء والبحر ، والبحر والأرض ، والمنظر الطبيعي ، والانسان الرجل والمراة ، وكذلك نشوات الماضي والحاضر والمستقبل - تقف جميعا الواحدة مقابل الاخرى - كل واحدة صدى للأخرى وصورة منعكسة لها ....

والأعمال الكاملة للشاعر اليوناني أوديسيوس اليتيس ، هي القاعدة المقررة لمثل هذه الاصداء والصور المنعكسة لها. ومن ثم يكون تفرد صوره بصفات خاصة مميزة ، ليست حائلة اللون ، فهي دائما غنية بالألوان نابضة بالحياة مفعمة بالحيوية ...

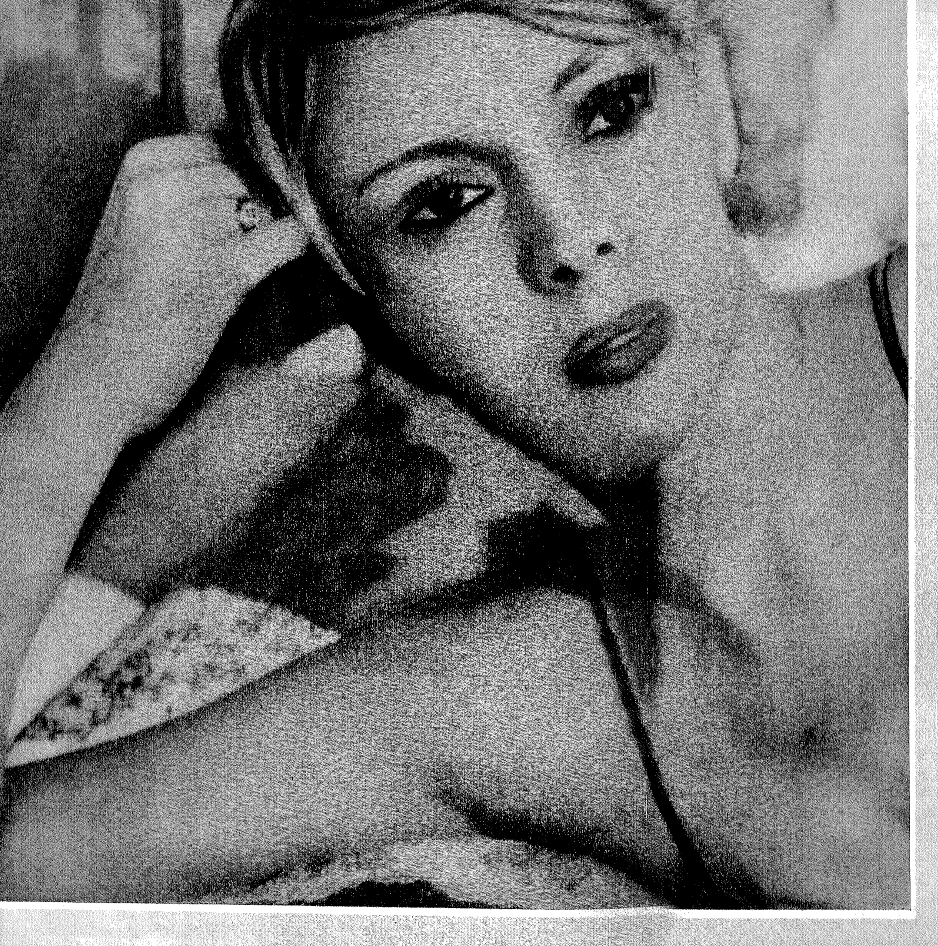
وفي اشعار لوركا ، وأونجاريتي ، وكواسيمودو ومونتالي - نستطيع التعرف على انبثاق شعرى يربط شتى جوانب الحياة في حوض البحر الأبيض المتوسط كله ، ويبين العلاقة بينها جميعا ، وفي ظل هذا التقارب أو التواصل أو تجاور هذه الظواهر الأدبية المتماثلة فيما تدور آراء رئيسية وافكار اساسية تساعد في ايضاح وتصوير الحياة الشعرية الفردية اليونانية الرفيعة ، وتتيح فرصا سانحة لنشاط الكاتب أو الشاعر واهتماماته ، وتعطى لخياله صورا متعددة الطبقات .

وهناك خاصية متميزة من خصائص اللغة الاغريقية ، هي انها قد احتفظت بعلاقة خفية غامضة بالقصص الملحمي حتى على أيدى الشعراء اليونانيين المحدثين ، فيما يشبه الى حد ما تيار الشعر عند هوميروس الشاعر الاغريقي القديم ، كما احتفظت هذه اللغة بسمة تمتد فيما وراء اي لون من الوان الكلاسيكية الاتباعية ، وهذه الخاصية المميزة يمكن تبينها في كافافيس ، وشاعرنا الفائز بجائزة نوبل هذا العام : أوديسيوس اليتيس ...

ويقول اليتيس :

هنا اترك النظام والاعتدال للاخرين ، فان
حب الطبيعة العظيم والبحر يستغرقني تماما ..
بهذا الاتحاد الوثيق بين الاطلال والربيع ، غدت الاطلال احجارا
من جديد ... ولما افقدها الانسان ما عليها من ملاسة
ارتدت عائدة الى الطبيعة ...
ولكى تحتفل الطبيعة بعودة بناتها الضالات فقد انبتت وفرة من الزهر .
كم من الساعات أمضيت في سحق اوراق اربت الأطلال ...
جاهدا في التوفيق بين انفاسي وتنهدات العالم الصاخب العاصف .
بين العبير البرى وموسيقى الكائنات الناعسة .
أفتح عيني وقلبي للروعة الغامرة للسماء المشربة باضواء الحرارة .
انه ليس من السهل ان يصبح الانسان على ماهو عليه !...

ناس وصور وحكايات



لعلها تكون عظة وعبرة

هذه المراة الجميلة هى جان سبرج وهى نجمة شابة كانت قد وضعت قدميها على الدرجات الاولى من سلم الشهرة ، وكان من الممكن ان تحلق الى آفاق عالية فى عالم المسرح والسينما فى فرنسا لو انها سارت على مهل كما نصحتها امها .

ولكنها تسرعت وترامت على المخرجين وكبار الممثلين ، واتصلت بالدبلوماسيين ورجال الطبقة العالية فى باريس ، وحذرها مدير المسرح الذى تعمل فيه ، وقال لها انها امل كبير من آمال مسرحه لانها موهوبة ، ولكنها لم تستمع لاحد ، واسرعت فى خطوها تريد ان تدرك الشهرة والمال فى سنوات قلائل ..

وفى ذات يوم وجدوها قتيلة فى حقيبة سيارة فى غابة قريبة من حى نويى ، حى الارستقراطيين فى باريس .. وعبثا حاول البوليس ان يصل الى القاتل، فقد كانت علاقاتها قد تشعبت الى درجة يستحيل الوصول معها الى الخيط الرفيع الذى يوصل الى الجناة ..

وضاع دمها هدرا وبكتها امها ، اما مدير المسرح فقد طبع هذه الصورة فى حجم كبير يغطى حائطا كاملا من حوائط قاعة الترفيه فى المسرح وتركها هناك عظة وعبرة لمثيلاتها من البادئات فى طريق الفن .



صحفي يصور مأساة زميله

كان الصحفي السويدي بورج هالت يصور مأساة احتراق سيارة احد المتسابقين في سباق بونزا للسيارات .. وبينما كان منصرفا الى تسجيل الحادث انطلقت قطعة من السيارة المحترقة في الهواء .. لم يرها الصحفي المصور ومضى في عمله .. وطارت القطعة واصطكت بظهره فشدخته شدخا مميتا .. وكان صحفي آخر يصور قريبا منه ، فادار عدسته وصور القطعة الحديدية تشق ظهر زميله فيترنح ثم يهوى الى الارض قتيلا ...

ناس . وصور . وحكايات

هذه هى الحياة

الثعلب الصغير الجائع يبحث عن طعامه ، لقد طال بحثه حتى اضناه الجوع ، ثم شم رائحة انعشت الامل فى نفسه ، وقادته الى حيث وجد افراخا صغارا فى عش على الارض . كانت الام قد تركت صغارها وذهبت تلتمس لهم طعاما ، ولكن الموت كان اسرع من الطعام .. والتهم الثعلب الافراخ ومضى ، وأتت الام فلم تجد اسرتها فجعلت تصرخ وتنوح .. ولكن ماذا تعمل ؟ وماذا كان يعمل الثعلب الجائع .. تلك هى الحياة ..



ناس • وصور • وحكايات

مشهد حب

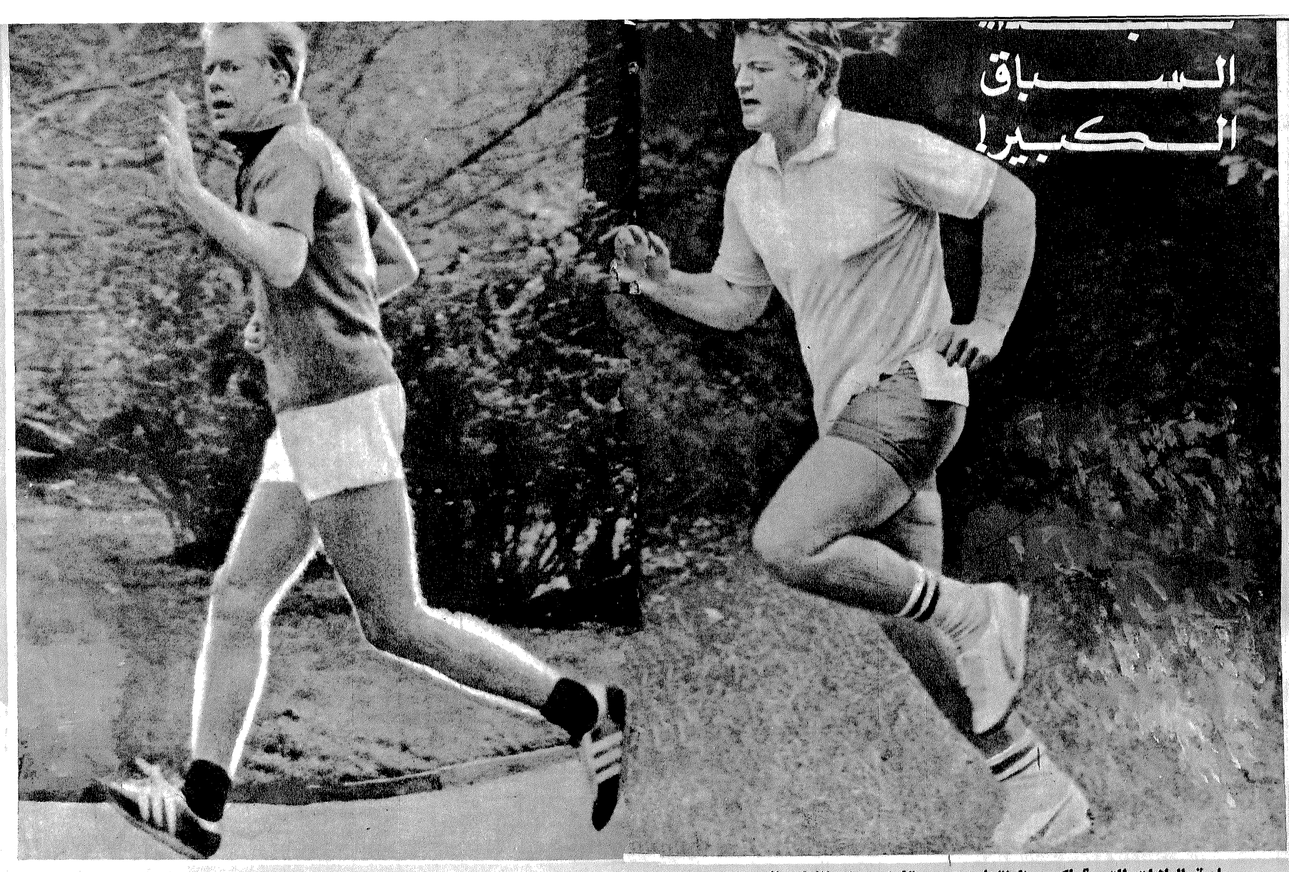
كان القنفر فى خلوة شرعية مع زوجته تحت ظـلال الاشجار امام عشهما الهادىء فى استراليـا ، والعش الهـادىء هنـا جحر تحت الأرض ، لأن القنفر من فصيلة الارانب وهو يحفر لنفسـه بيتا تحت الارض ليستكن فيه مع اسرته ..

ثم اقتحم عليهما هـذه الخلوة صحفى وظيفته ان يحشر نفسه فيما لا يعنيه ، والتقط هذه الصـورة للزوجين السعيدين .

وثار القنفر وشتم الصحفى وطلب اليه ان يتركـه يعيش حياته سعيدا مع زوجته الحبيبة ..



السباق الكبير!



رياسة الولايات المتحدة اكبر وظيفة على وجه الأرض وشاغلها يملك من السلطات ما لم يملكه او يمكن أن يملكه انسان .

ولهذا يهتم الناس جميعا بانتخابات الرياسة فى الولايات المتحدة ، لانها رياسة يتوقف عليها مصير البشرية كلها ، ومصير كل انسان على حدة .. فهذا الرجل يستطيع ان يعلن الحرب فتتحول الدنيا كلها الى اتون ملتهب..

وخير المرشحين لانتخابات الرياسة القادمة التى ستبدا فى نوفمبر ١٩٨٠! هو جيمى كارتر دون شك ..

ولكن آل كيندى يجرى فى دمهم حب الرياسة، وبعد نجاح كبيرهم جون كيندى فى رياسته للولايات المتحدة طمع فيها روبرت ثم قتل روبرت فاتجهت العيون الى ادوارد او ادى .

وكان من المنتظر ان يؤجل ادى ترشيح نفسه الى سنة ١٩٨٤ ، ولكنه لم يطق صبرا ، وهو يرى نفسه شابا يجرى باسرع مما يستطيع جيمى كارتر. والصورة مع هذا الكلام تصور الصراع القادم بين الرجلين فى لمحة ..

كل وسائل الإقناع لن تُغنى عن الكتاب

مستقبل الأدب فى كل زمان ومكان متوقف على عاملين : وجود الاديب الموهوب الذى يكتب أدبا جديرا بان يسمى ادبا ، ثم وجود قارىء يستقبل هذا الادب ويقراه ويتذوقه ويقدره ويستزيد منه .. وهنا لا دخل لعوامل جانبية مثل الاذاعة او السينما أو المسرح ، لأن الأدب الجيد يطلب لذاته ، ويطلبه الراغب فيه . ولا يستبدل به برنامجا اذاعيا او تليفزيونيا ..

وفى الغرب اليوم رواج لم يسبق له مثيل للكتب الجيدة والمسرحيات ذات القيمة الفنية ، فالروايات تباع بالملايين لا بالالوف والكتب الجيدة ـ فى كل علم وفن ـ يتخاطفها الناس ، هذا مع العلم بأن الاذاعة والتليفزيون هناك يعملان على مستوى رفيع من التجويد ، ومع ذلك فان الأدب لم يعان من منافسة من هذه الناحية بل افاد منها ..

اما عن الأفكار الجديدة والقوالب التى تلائم العصر فالذى نعتقده ان العصر يتطلب الانتاج الفنى الجيد ايا كان شكله وقالبه ، لأن عصرنا عصر التجويد ، والانتاج الردىء أو نصف الجيد لا يقبل ولا سوق له ، فان الناس فى الماضى كانوا يقنعون بالقليل ويرضون بالموجود ..

اما اليوم فان الناس قد أدركوا وفهموا واصبحوا على وعى وبصيرة فهم لا يقبلون الا على القصة الجيدة حقا والكتاب الجيد حقا.. وهذه هى الفكرة الجديدة الوحيدة التى تلائم عصرنا هذا ..

والتساؤل الذى نطرحه هنا ، ويجيب عنه هنا لفيف من المفكرين واهل الأدب :

فى زحام العصر ، ومع انتشار الاذاعة والسينما والتليفزيون ـ ما هو فى رايك مستقبل الأدب ؟

وما هى الافكار الجديدة والقوالب التى تلائم العصر فى مجال القصة والرواية والكتاب بوجه عام ؟

اعداد : موريس عزيز

القصة أو الرواية قادرة على أن تشكل نفسها مع الزمن ..

● ثروت اباظة ●

● الكتاب واجه مختلف الأزمات ولم تستطع اى قوة حاولت ان تعوقه، وان ترد اندفاعه الى الأجيال على اختلاف اعمارها وتعاقبها ..

فان اى وسيلة جديدة من وسائل الامتاع لن تستطيع ان تقف امام الكتاب ..

لقد واجه الكتاب المسرح ، وساد الظن انه سيكون هناك تنافس بينهما ، فاذا بهما يتصادقان وتصبح المسرحية المقروءة مسرحية تشاهد على شاشة التليفزيون وعلى خشبة المسرح ، وينضم المسرح الى الكتاب ..

ثم واجه السينما فتمت هذه الصداقة كما تمت ايضا بين الكتاب والتليفزيون. هذا عن الاعمال الفنية ..

اما الكتاب الباحث فهو متفرد فى ميدانه لا تستطيع اى وسيلة أخرى ان تزاحمه . وسيظل مرجعا الى الأبد . حتى الوسائل الجديدة لعرضه كالميكروفيلم لا تنفى انه كتاب ..

وهكذا نستطيع ان نؤكد أن الكتابة ثابتة بثبوت الزمن ، ولا تستطيع اى قوة ان تزعزعها ..

اما فى القصة او الرواية فهى قادرة دائما على ان تشكل نفسها مع الزمن .. ولنضرب مثلا بالرواية الواقعية التى بدات بتفصيلات دقيقة كثيرة كانت تكاد تطرا على موضوع الرواية ، ثم انكمشت هذه التفصيلات واصبحت الرواية قصيرة . ولك ان تقارن بين رواية الحرب والسلام ورواية الكرنك للأستاذ نجيب محفوظ ، لتعرف الى اى مدى اصبحت الرواية قصيرة ..

اما اذا كنت تقصد الأشكال الحديثة كفكرة العبث واللامعقول ، فهى تجربة رفضها قراء الغرب والشرق على السواء .. فهذه اعمال يمكن أن تكون فكرة تعطى مرة او مرتين ، ولكنها لا تستطيع ان تكون نظرية ، لأنها حين تصبح نظرية يضطر الكاتب أن يكرر نفسه ولا ياتى بجديد .. فانت تعرف ان الفكرة فيها هى أن تقول ان الحياة عبث . ولا يمكن التعبير عن العبث الا بعبث ، وهذا يمكن ان يقال فى رواية او روايتين ، وقصة قصيرة أو قصتين أو فى مسرحية او مسرحيتين ..

ولكن هذه الفكرة لا تحتمل اكثر من ذلك ، ولهذا سقطت المحاولة كنظرية ، وعاد كتابها الى الرواية المعقولة ، بل ان بعضهم عاد الى الرواية الاولى ..

اما البحث عن قوالب وافكار جديدة فينبغى الا يكون هدفا فى ذاته انما موضوع العمل هو الذى يشكل القالب.

واعتقد اننى استطيع ان اضرب مثلين من اعمالى . شكل فيهما الموضوع قالب الرواية وهما « شىء من الخوف » والرواية الأخيرة « نقوش من ذهب ونحاس » .. ●

تيارات الأدب الجديد تأخذ المجرى السليم

● مصطفى بهجت بدوى ●

● ان الحديث عن زحام السينما والتليفزيون والاذاعة وغيرها فى مجالات الحياة ، واين دور الأدب بينها ، وهل انتهى دوره أم ضعف أم مازال قائما – هو فى واقع الامر محاولة لفصل هذه القنوات عن الأدب ..

لذلك فاننى اعتقد بان الكثيرين يرون ان هذه الادوات الحضارية هى اضافة الى الادب وابراز له وتنشيط ، لانه هو واحد من الامهات التى تمد هذه القنوات .. كما فعل اساسا بالنسبة للمسرح ، وكما تدرج بعد ذلك بالنسبة للسينما.

والسؤال الآن :

ما هو مصير الأدب المكتوب المطبوع المقروء ؟.. وهل تاثر بفنون الحضارة الحديثة وبالتحديد التليفزيون والاذاعة أى الوسائل اللصيقة الميسورة للمتلقى العادى ؟.

فى رأيى اننا لا نستطيع بأى حال ان ننكر تاثر القراء بصفة عامة بهذه الأجهزة .

وهنا قد تثور قضيتان :

القضية الاولى : ان الادب وفروعه هى فى الأصل وفى الصميم الكتاب المطبوع الذى يربى الثقافة الحقيقية والتذوق والمعرفة ، حيث يتلقاها المبتدئون وعاشقو الثقافة على السواء ، وبالتالى والتعمق وتنمية الملكات ومنها تنشأ أجيال جديدة فى تيارات الفكر المتجدد ، كتابا وادباء وشعراء وفنانين .

واعتقد وبكل أسف ، أن دور الكتاب تاثر فى هذا المجال ، مع حساب تزايد عدد المتعلمين والسكان معا ، فالنسبة هنا ليست لصالح الكتاب المطبوع وهو ما تضج به كل الاقلام تقريبا ..

وما زلنا فى القضية الاولى لاضيف اليها انه يمكن لهذه الوسائل الفنية من اذاعة وتليفزيون وسينما الخ ... أن تغرس فى عقول ووجدان روادها أن الأصل هو التزود بالقراءة والمعرفة ، وأنه يتعين على المرء أن يخلو الى ثمارات الفكر المطبوع ليجد نفسه أكثر .. وهذا طبعا الى جانب دور المدارس والجامعات والبيت فى تنمية هذا التزود الواجب.

اما القضية الثانية فهى :

ضرورة اهتمام الاذاعة والتليفزيون وترحيبهما واحتضانهما لكل وأهم الأفكار والآداب المطبوعة لتعرضها بطريقتها التى تسوغ عادة .. وتيسر للسامعين والمشاهدين ، والا يكون قصارى همهما هو مجرد الترفيه أو تناول الغث من المشاكل والاغنيات ..

وأظن أن هاتين الوسيلتين آخذتان فى مواجهة النفس وفى أداء هذا الدور الذى أعتبره خطيرا .

ولعلنا بدأنا الحديث عن الزحام وخضنا فى مجالات الاذاعة والتليفزيون والسينما . والحق أن ثمة زحاما آخر أشد مما يسمى بزحام الحياة واختناقاتها ومطالبها التى هى من سمات هذا العصر القلق .

غير أن زحام الحياة المذكور قد يكون بالذات أدعى وأوجب الى البحث فى خضمه عن واحة يتفيأ فيها المرء معنى الطمأنينة والحكمة والذوق الرفيع .

وفى رأيى انه ليس سوى الادب بمفهومه الصحيح سبيلا الى الراحة المرتجاة ..

وهذا يسوقنا الى الجانب الاخير من السؤال ..

انه يتوجب على الأدب فى صورته الجديدة ان يكون مرآة للمجتمع من ناحية ، وعلاجا راقيا غير مباشر لمشكلاته من ناحية أخرى .. وهكذا ينبغى ان يتاثر بطابع العصر . **فما لم يكن الادب المعروض صادقا وشائقا فانه يكون قد قصر فى رسالته ، وتراجع عن دوره الهام وانفصاله عن المجتمع ، وهو ما نشفق ونحذر منه..**

وان كنت شديد التفاؤل فى ان تيارات الادب المتلاطمة ستاخذ المجرى السليم لتبقى للادب مكانته السامية كما كانت ●

الآن.. بدأ الأدب يُقدم في "برشامة"

● يوسف جوهر ●

● اعتقد ان الادب لن يضار كثيرا بانتشار الاذاعة والتليفزيون والسينما لان هذه الوسائل تستقى مادتها من معين الأدب ، ومن الكتب الجديدة ، والنصوص الجديدة والقصص الجديدة والمسرحيات الجديدة ـ التى تعد خصيصا لعرضها فى هذه الوسائل .

صحيح ان طاحونة الاذاعة والتليفزيون تحتاج الى وقود مستمر كل يوم ، وان هذا يعرض بعض الثمار الادبية الى أن تقطف قبل أن تنضج .. ولكننا باليقين نجد ثمارا اخرى شهية وقابلة للبقاء والانتشار أكثر من الكتب ، لانها تسمع من الذين لا يقرأون ، وتشاهد من الجماهير العريضة التى قد لا يمكنها محصولها الثقافى أو قدرتها المادية على اقتناء الكتب وتذوقها ..

وخلاصة هذا : أن التفاعل بين الكلمة المطبوعة وبين هذه الوسائل ـ هو خير على كل حال .

اما عن القوالب والافكار الجديدة ، فى مجال القصة والكتاب والرواية والشعر ، فهذا يتوقف على نوع المستهلك الذى يوجه اليه هذا الانتاج . ولا اظن أن الجماهير التى تخرج من عملها مرهقة تحتاج الى قراءة كتاب من الف صفحة .

والأدب الآن بدأ يقدم فى ((برشامة)) هذه ((البرشامة)) قد تكون مسرحية قصيرة فى الاذاعة ، وقد تكون مجلة تعنى بتقديم موضوعاتها الجادة فى مقالة مركزة او فى قصة قصيرة ، وقد تكون رواية لا تستغرق من الصفحات بقدر ما كانت تستغرقه روايات ((ديكنز)) و « مارسيل بروست » .

وفى أدبنا الحديث لم تتكرر ثلاثية نجيب محفوظ .. ولا اظن أن كاتبا آخر لديه القدرة والجلد على التفرغ لمثل هذا العمل الضخم .

اما الشعراء ، فانى ارثى لهم ولفنهم الرفيع ، فقلما رايت ديوانا فى يد جامعى ، وقلما سمعت عن قصيدة يترنم بها مثقف الا اذا ترنمت بها من قبل مطربة أو مطرب .

وبالقطع لا يوجد ديوان شعر طبع عشرين او ثلاثين الفا مهما علا قدر الشاعر !.

اما فى مجال البحث والدراسات فاشفق أن أقول انها لا تجد الاهتمام الكافى حتى من المتخصصين الذين يفترض ان هذه البحوث من حقهم ومن واجبهم ان ينتفعوا بها .. ولا اظن ان دور النشر تعطيها القدر الكافى من الرعاية خوفا من انها لا تغطى نفقاتها .

والمسالة التى تحتاج الى امعان النظر فيها : كيف نربط بين الجامعى بعد تخرجه وبين الكتاب ..

فان الكثرة الغالبة منهم تنقطع الصلة بينهم وبين الكتب التى تمس وتتصل بدراسته الجامعية بمجرد هذا التخرج ، كما تنقطع الصلة بينه وبين الجامعة ..

ولا يتجاوز الجامعى عادة تخصصه ولا يحفل بالكتب التى تتصل بالثقافة العامة ، أى أنه لاتعود له أى اهتمامات ثقافية اخرى .. وهو يفضل فى الغالب ان يحصل بثمن الكتاب على تذكرة للسينما أو المسرح المضحك . وامامنا شوط طويل لكى تكون عند المواطن المصرى عادة القراءة .. والمسئول عن هذا القصور من الصعب تحديده ... ونستطيع أن نقول ان السبب هو النشاة فى بيت لاتوجد فيه مكتبة .. ونستطيع أن نقول ان نظم التعليم هى المسئولة لانها عجزت عن أن تضع فى يد الطفل منذ مراحل التعليم الاولى كتابا جذابا وواصلت العجز أيضا فى المراحل التالية ، وترسب فى وعى الطالب أن القراءة عبء ثقيل وتكليف وليس متعة وسياحة جميلة فى عالم الرؤى والاحلام .. ●

أدب يعتمد على فروع محدودة من العلم

● د. تمام حسان ●

ليس الادب مجرد وسيلة للتعبير، وانما هو نبض الأديب .. وما دامت هناك ملكات فلابد أن يكون أدب، مع قطع النظر عن اختلاف الحياة هدوءا وازدحاما .

والواقع ان الاديب حين يعبر بادبه فانه انما يقوم بفعل او رد فعل تجاه موقف معين، ويختلف ما يقوم به الاديب عن انفعال الشخص العادي فمثلا :

اذا رأى شخص عادى انسانا قويا يضرب طفلا فى الطريق فقد يكون رد فعله احتجاجا عابرا ، او انقاذا لهذا الطفل من بين يدى هذا الذى يضربه .

وذلك رد عملى اشبه ما يكون بتصرف الاشخاص العاديين ، فاذا ما انتهى الشخص العادى من هذا التصرف لم يعد اليه بعد ذلك الا بالذاكرة .

اما الاديب فانه قد يزيد على هذا التصرف الذى قام به الشخص العادى انفعالا داخليا بهذه التجربة يدعوه بعد فترة ينضج فيها هذا الانفعال الى ان يتخذ موقفا من هذه التجربة التي مرت ، وهذا الموقف أدبى بالضرورة ..

من هنا قد تكون زحمة الحياة حافزا للاديب دون أن تكون معوقا له . لان الحياة المزدحمة مليئة بالتجارب ضحلها وعميقها ، ومن هنا يجد الاديب امامه مادة غزيرة ينفعل بها وتكون سببا فى انتاجه .

ومع انتشار الاذاعة والسينما والتليفزيون ينبغى أن ينتشر الادب، لان هذه الوسائل لا تتعارض بطبيعتها مع الحياة الادبية ، وانما ينبغى أن تكون معينا على نقل التجربة الادبية من الاديب الى جمهوره .

أضف الى ذلك ان السينما والتليفزيون على الخصوص يعطيان للادب بعدا بصريا ، اذ يعمل المخرج جاهدا على خلق المؤثرات الاضافية التى تعينه على اداء وظيفة الاديب.

اما بالنسبة للافكار والقوالب الادبية التى تلائم العصر فى كتابة القصة والرواية والشعر الخ .. فان لكل عصر اختيارا معينا كقالب من قوالب التعبير الادبى ..

فقد فتن القدماء مثلا بالشعر وحملوه تجاربهم ، واعتمدوا أيضا على الخطابة واعتبروها مجالا من مجالات الابداع .. ثم عنى غيرهم بعد ذلك بالمقالة او المقامة .. ثم عنى المحدثون بالقصص وجعلوه وسيلة مستحبة من وسائل التعبير الادبى لا تلغى غيرها وانما تشيع أكثر مما يشيع غيرها ..

معنى هذا أن الاديب الذى كان يمكنه فى الماضى أن ينقل تجربته عن طريق شعر غنائى خالص ليس فيه من شخصيات الا شخصية الشاعر ـ اضطر فى العصر الحديث الى أن يتنازل عن فتنته بنفسه الى اتخاذ صورة أخرى من صور التعبير هى الصورة القصصية ...

وفى هذا الوسط التعبيرى الجديد يصور الاديب تجربته بشخصيات ليس هو من بينها بالضرورة وعليه ان يخلق هذه الشخصيات خلقا وأن يدعى لها تكوينا نفسيا واجتماعيا معينا ، ومن هنا أصبح الادب غير بعيد عن العلوم الانسانية ، بل انه ليقرب أحيانا من العلوم الطبيعية فينتفع بنتائجها .

وهذا الموقف مناسب للعصر الذى نعيش فيه ، هذا العصر الذى كثرت فيه التخصصات ، واصبح على الاديب أن يلتمس الوحدة من خلال التعدد . أى أن يلتمس انشاء عمل أدبى واحد معتمدا على فروع متعددة من العلم . ●

"اللغة التلغرافية" هى لغة الأدب الحديث

● د. نعيم عطية ●

ان الأدب كفن يعانى فى الحقيقة من منافسة ومحاصرة زحام مطالب الحياة المادية والفنون السريعة التوصيل مثل الاذاعة والسينما والتليفزيون ..

هذه مشكلة موجودة فى مختلف بلاد العالم الآن . اذ انها من طبيعة العصر، الا ان الادب كفن ، اى الادب المكتوب سيظل موجودا ، بل هو الأصل بالنسبة لكل الفنون المستحدثة التى ذكرناها . وايضا سيظل هو النبض الحى ذا القيمة الكبيرة وراء زحام الحياة ... وسيكون فى بعض صفحاته العزاء للنفوس المتعبة ، وفى بعض صفحاته مؤازرة المناضلين فى سبيل الاصلاح وتحسين الاوضاع ..

وقد كان بعض الأدباء من الذكاء بحيث طوعوا ادبهم لتستوعبه فنون السينما والتليفزيون والاذاعة ، وهكذا حل هؤلاء الادباء ، احدى مشاكل الادب فى العصر الحديث .. ومن هؤلاء هيمنجواى الذى كان يكتب رواياته وفى تصوره انه انما يكتب للسينما .

ولكن يظل الأدب شيئا مختلفا عن هذه الفنون السريعة ..

لانه يتصف بالتانى والعمق ورفض فكرة الاستهلاك السريع . فعندما كلفت احدى شركات السينما الامريكية الاديب الفرنسى ، جان بول سارتر بكتابة سيناريو لاحدى التراجيديات اليونانية القديمة ، ارسل الى الشركة السيناريو الذى كتبه ، فاعادته اليه الشركة طالبة منه الاختصار .. فارسل اليها سارتر سيناريو جديدا مطولا اكثر من الاول ، وقال للشركة ان الأدب لا يقبل ان يخضع لملاءمات فن السينما الحديثة ولا لأوامرها ..

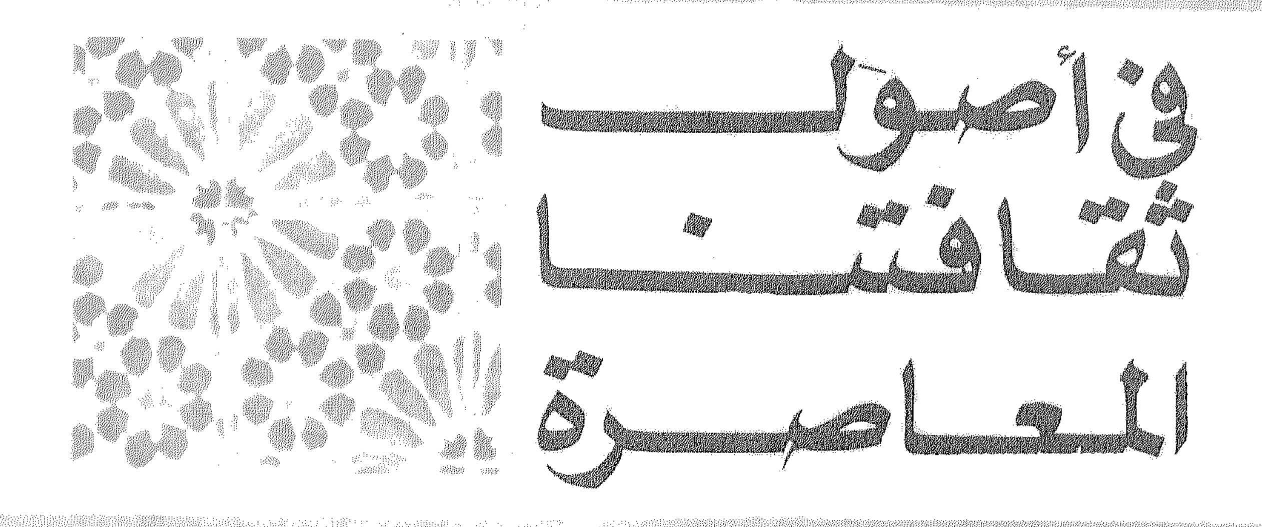
اذن ، فالاديب يكتب وهو يتحمل مسئولية بقائه او عدم بقائه فى طوفان الحياة الحديثة ، ولا يمكن أن نضع معايير او نستخلص قوانين لما يجب أن يكون عليه الأدب فى العصر الحديث ، لأن الادب هو الأديب نفسه ..

ولكن بلا شك فان نبض العصر يؤثر فى الاديب الواعى . ويقول الروائى اليونانى المعاصر انطون ساماراكى أن لغة الأدب الحديث يجب أن تكون لغة التلغراف ، فما عاد القارىء يحتمل ان يقرا وصفا منمنما لثوب بطلة رواية فى عشر صفحات ، مثلما كان يفعل تولستوى .

ولكن لغة التلغراف تلقى على الاديب المعاصر مسئولية أكبر من المسئولية التى كانت ملقاة على الادباء السابقين ، والآن المشكلة اصبحت بالنسبة له كيف يجعل من لغة التلغراف هذه كتابة ادبية !.

وفى البلاد النامية مثل بلدنا حيث مازالت تنتشر الامية ولا مفر من ان نعترف بذلك ــ فان احتمالات قراءة الاعمال الادبية من جمهور كبير تظل احتمالات ضئيلة ، ولهذا فان مستقبل الأدب كسلعة رائجة يستطيع الاديب أن يضمن رزقا منها ــ مرتبط أشد الارتباط بجهود الدولة والمجتمع فى محو الأمية ونشر الثقافة .. وعلى الدولة والمجتمع خدمة الادب عن طريق ترغيب الجمهور فى القراءة ..

كما يجب التوسع فى انشاء المكتبات العامة على مستوى الجمهورية حتى يستطيع من لا يمكنهم شراء الكتب ، وهم كثيرون ــ ان لا يحرموا من متعة اصبحت ضرورية فى العصر الحديث ..



في أصول ثقافتنا المعاصرة

● د. محمد عبد المنعم خفاجى ●

● قضايانا الثقافية المعاصرة كثيرة متعددة ،والذين يناقشونها اكثر عددا ، والذين يريدون ان يصلوا الى الحقيقة من وراء هذا النقاش قليل جدا ، بل واندر من الكبريت الاحمر كما يقول المثل القديم ، ذلكم لان لذين يخوضون معارك النقاش الثقافى هم فى الاغلب لايريدون الان ينتصروا لموقفهم وحده ، لانه فى رايهم هو الذى يجب ان يسود ، اما النظر الى الموقف الآخر والفكر الاخر ، والافادة من هذا وذاك ، فامر ((بعيد)) عن التصور، بعيد عن الامكان ، وحينما كان القدماء، وفى مطلعهم ارسطو ، يقولون : ((من المناقشة ينبثق النور)) ، اصبحنا نؤمن بان المناقشة يجب ان تكون انتصارا لموقف ، وخضوعا لفكر واحد لا غير ..

ومن البديهى ان قضايانا الثقافية كثيرة جدا وان الجدل حولها يتشعب الى كل واد ، وانه لم يعد الجدل يتجمع حول اصول ثابتة ، تضىء الطريق للباحثين والمتناظرين والمتجادلين .. وقد اصبح النقاش سبيلا الى كثرة وجوه الخلاف ، وليس طريقا الى تجميع الآراء وتوحيد الفكر ، ولا رغبة فى التصافى الفكرى بين طبقات المفكرين .

لقد اثيرت قضايا كثيرة حول الاصالة والمعاصرة وحول التراث واللغة ، وحول القديم والجديد ، وحول دعائم بنائنا الثقافى والفكرى ، وحول الشعر ومدارسه ..

وخاض المتجادلون فى لجى من الجدل العقيم ، ولم يصلوا بعد الى شىء .. لأن هؤلاء المتجادلين اما ان يكونوا خاضعين لايديولوجيات معينة لا يريدون الا انينتصروا لموقفها وحده ، واما ان يكونو جاهلين باصول القضايا التى يتحدثون عنها ، واما ان يكونوا متجاهلين الاصول التى يجب عليهم الا يتخلوا عنها .

فى قضية مثل اللغة : نجد بيننا من يدعو الى الفصحى الاصيلة ، ومن يدعو الى فصحى مبسطة ، ومن يدعو الى العامية المتفاصحة ، ومن يدعو الى

● الأمم التى لا تراث لها لا ريب فى أنها أمم قصيرة الباع فى سلسلة تطورها الحضارى، ونحن نعلم أن تراثنا قامت عليه حضارة العالم خلال ألف سنة أو يزيد وعلى أصوله قامت الحضارة الأوروبية الحديثة ..!

العامية الموغلة فى البعد عن الاعراق العربية .. وكان من الممكن ان ينظر المتجادلون الى الشعوب الاوروبية التى تتمسك بلغاتها القومية، وترى فيها صمام امان، وداعى وحدة، ورباط تلاق بين مجتمعاتها، بل وعنوان شخصية مستقلة للأمة. وقد اخذت اسرائيل بعد قيامها تحيى اللغة العبرية القديمة، ولم يذهب احد هناك الى وجوب اصطناع احدى اللغات الاوروبية الحديثة لتكون لغة قومية لدولتهم.

وفى قضية التراث نرى بيننا من يزدرى تراثنا العربى القديم كله، ويدعو الى طرحه ونبذه فى العراء، واصطناع تراث آخر مجلوب لنا من الخارج ـ مع ان تراث كل امة هو حياتها وروحها وعنوان وجودها، ودليل شخصيتها، وهو المنجم الحضارى الذى تستمد منه الامم اصول بقائها وتطورها وازدهارها الفكرى ..

والامم التى لا تراث لها لا ريب فى انها امم قصيرة الباع فى سلسلة تطورها الحضارى، ونحن نعلم ان تراثنا الحضارى قامت عليه حضارة العالم خلال الف عام أو يزيد وعلى اصوله قامت الحضارة الاوروبية الحديثة.

هذا فضلا عن خلافاتنا الكثيرة حول قضايا الاصالة والمعاصرة، حتى لم يعد احد يعرف حدود الاصالة، ولا التزامات المعاصرة، ولا مدى الخطوات التى يجب ان نخطوها هنا أو هناك .. ودع عنك قضية القديم والجديد فما اكثر ما قيل فيها، وما اقل من قالوا كلمة الانصاف وحدها.

ادب البحث والمناظرة ..

وعندما نقرا ما قيل حول مدارس الشعر القديمة والجديدة يهولنا كثرة ما قيل، وقلة حياد القائلين فى هذه القضية الخطيرة الكبيرة.

ومن الغريب أن القدماء من اسلافنا فى جدلهم الفكرى قد اصطنعوا علما يدور حول امور النقاش والمناظرة والجدل، وسموه «ادب البحث والمناظرة» وحددوا فيه الاصول الفكرية، التى يجب أن يعتصم بها المتناظرون ويلوذوا بها، ولا يحيدوا عنها.

***

وعندما ننظر الى شعرنا العربى، فنجد انه كان عموديا طيلة حياته التى تمتد اكثر من الفى عام، وان كل التجديدات التى دخلت عليه فى جميع العصور .. كانت تلتزم بهذه العمودية، او تسير فى اطارها، وأن هذا الشعر العربى الذى اصبح صورة فكر وتراث وحضارة رامة، قد جاءنا اليوم من يدعون الى التخلى عن هذه العمودية كليا، لنسير على نظام التفعيلة وحدها، ولنبعد بالشعر عن أصوله العمودية، وعن موسيقاه الشعرية كذلك، بل من يدعون الى تحطيم هذه العمودية، ونبذ جميع شعرائها فى القديم والحديث، والنظر اليهم على انهم متخلفون، لا يصح ان نسير على منوالهم.

.. لا شك أننا حيال ذلك نصاب بدوار شديد لان الجديد مهما كان جديدا ، ومهما كان أصيلا وغير مستورد ولا مجلوب من الخارج ، لا يمكن ان يكون هدما للقديم ، ولا احتقارا ، ونبذا له ، وكان من الأولى ان يصطلح هذا الجديد على التعاون مع القديم فى الرقى بالأذواق ، وعلى العمل من أجل ازدهار النهضة الشعرية ، وخلق مجالات ومنافذ متعددة أمام الشعر والشعراء. وكما ابتكر الأندلسيون نظام الموشحة، ولم يقولوا ان هذه الموشحة الغاء كامل للقصيدة العمودية ، كنا نحب ان يقول شعراء القصيدة الحرة : ان هذه القصيدة وجه من وجوه التجديد ولا يمكن أن تكون الغاء تاما للقصيدة العمودية .

وليس وجود شعراء يكتبون شعرهم على التفعيلة الواحدة معناه الغاء الشعر العمودى كله ، قديمه وحديثه، ونبذ هذا الشعر وتسفيه شعرائه ، ورميهم بالقصور والتخلف .

تلك قضية من قضايانا الفكرية التى لا يريد أحد من دعاة التجديد أن يلتزم بكلمة انصاف حولها ، واذا كان هناك فى أوروبا دعاة أو ثائرون على الشعر الكلاسيكي ، فليس معنى ذلك أن الكثرة الغالبة قد تخلت عنه الى الابد، واذا كان بعض النقاد الأوروبيين يكتب عن رومانسية الكلاسيكيين وكلاسيكية الرومانسيين ويعترف ببقاء الكلاسيكية وتطورها ، وبالأصول الكلاسيكية فى مذهب الرومانسيين ـ أفلا يكون ذلك دليلا واضحا على أنهم لا يريدون التخلى عن التراث الكلاسيكى فى الشعر الأوروبى .

وفى الغرب يعترفون بأن دعاة تحطيم هذه الأصول التراثية فى الشعر ، هم قلة قليلة جدا من الناس ، وهذه القلة تستورد دعواتها من أجل التحطيم من الفكر الماركسى المناهض لفكر التراثية ، ولو كانت هذه التراثية فى الشعر مثلا ..

القضايا المثارة والمثيرة ..

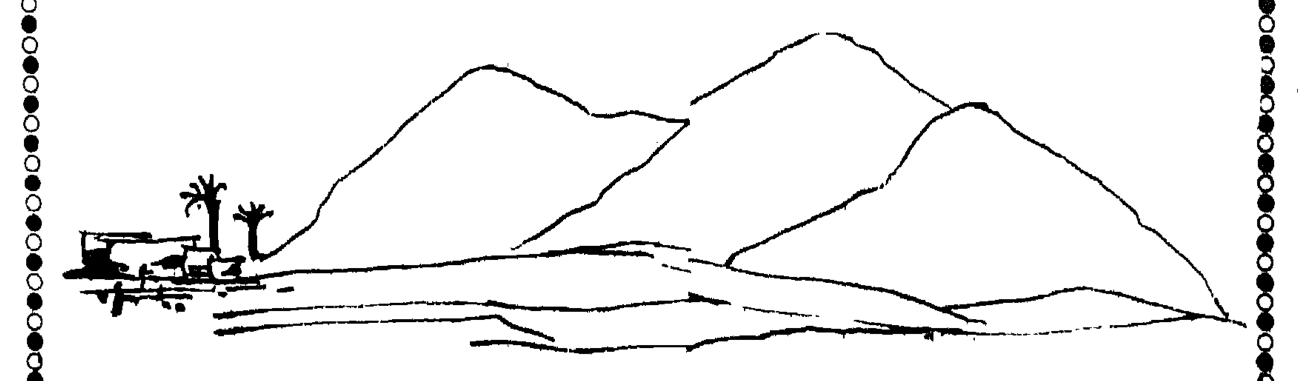
هذه نماذج من الدعوات الجديدة التى تتصل بأصول ثقافتنا المعاصرة ، ودع عنك قضية القومية وقضية الدين مثلا ، وما يثيره أنصار الجديد حولهما مما لا يمكن ان يخطر على بال ، ولا ان يكون مجالا لتصور المتصورين ، ولا لجدل المتجادلين .

واحب أن أقول فى صدق وبساطة ووضوح ان هذه الخلافات المثيرة لم تعد طريقا من طرق التجديد ، ولم تصبح امرا ممكن التحمل والتصور الفكرى ، لان اصول المناظرة حول القضايا الاصلية ـ التى تثير كل هذا الجدل والخلافات ـ غير موجودة ، او غير منظور اليها على الاطلاق .

بل والاخطر من ذلك أن تصبح الكلمة التى نستعملها فى حياتنا غير ملتزمة بأية قيمة واقعية أو مثالية ، وفى هذا صارت الكلمة هى واجهة اعلامية لكل امور حياتنا المعاصرة، وقد يكون غلبة عنصر الاعلام على كل مجالات النشاط الفكرى المعاصر فى حضارة اليوم هو سبب ذلك كله ، مما يجعلنا نعيش على أفكار السوفسطائيين ، ونعود الى الجلوس على مائدتهم .

وفى عام ١٩٣٦ أعلنت الدولة عن جوائز لأحسن بحث عن أسباب النجاح فى العصر الحاضر ، وكانت الجائزة لرأى يقول ان اهم أسباب النجاح هو الدعاية أو الاعلان ، وقد نكون منذ ذلك التاريخ نسير مقيدين فكريا بقيود هذه النظرية الجديدة ، نظرية الاعلام، أو قل : الاعلان ايضا .

لا علينا اذا قلنا ان اهم واجب فكرى يجب أن يعمل من اجله المفكرون لدينا هو أن يبقى للكلمة شرفها وصدقها ومدلولها الحقيقى ، وان لا يغلب عليها عنصر الشعارات أو الاعلام .. فذلك **هو دون ريب اهم اصل يمكن ان تقوم عليه ثقافتنا او قل حضارتنا الجديدة المقبلة . وعندما تعود الكلمة ميزانا صادقا واعيا للحقيقة وحدها سوف تقل وجوه الخلاف حول الكثير من قضايانا الفكرية المثارة والمثيرة ايضا .** ●



الجبـل

● سالم حقي ●

حتّى متى .. تتحمّل الآلام يا جَبَــل الصـمودْ ؟!
الرّيح تصرخ والعواصِف والصّواعِق والرعُــود؟
وبصـدرك العــريان.. تُصل غيبتـه يد الجحود
وأراكَ ... جبّار الإرادة .. لا تئِن .. ولا تَميــد !

***

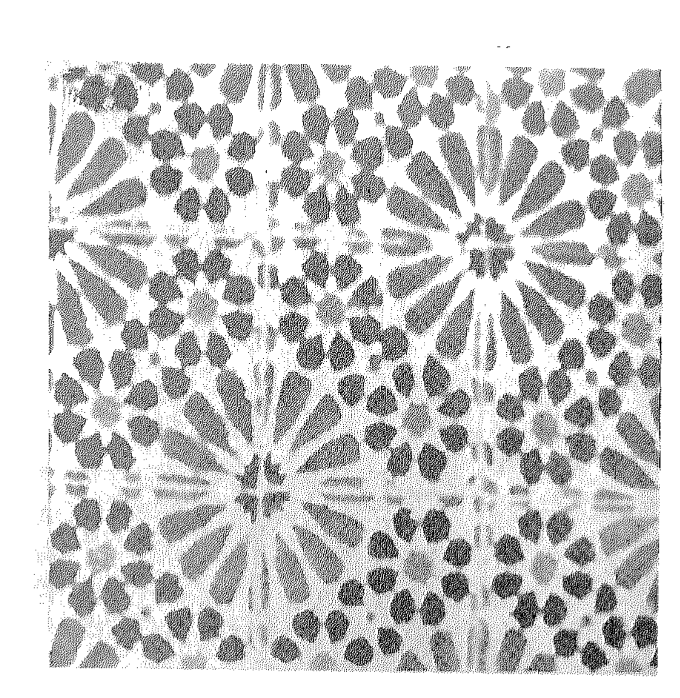
حتام تَهزأ باللّيــالى المغولات .. وبالريــاحْ ؟
تجْتاح ما زرعت يداك ... وأطلعتــه يدُ الصبـاح
وتَعود تبذر حبّـك المقهور .. فى كلّ البطــاح
ليضــوعَ فى الآفاق .. ريحانا .. وطيبا .. وأقاح !

***

السّفح .. تحت خطاك .. تسكنه الأفاعى والذّئابْ
تَعوى .. تفح .. تنوش لحمَك بالأسـنة والحِراب
وأراكَ .. مشدودَ البناء .. يهيم رأسُك في السحاب !
أوّاه ! .. يا جبَل الفَجيعة والعَذاب .. والاغترابْ !

***

حتّامَ تَصْبِرُ .. لا تئِن .. ولا تَضج .. ولا تثور ؟!
شتمشون .. فى ألق البَصيرة .. دكّ معبَده الكبير
حطّم قيودك .. وانطلِق من أسر هاتيكَ الجحـور ..
إنى أراكَ خلِقتَ ترتاد الذُرا ... بينَ النســور !



أديبات مصريات معاصرات

● اماني فريد ●

● الادب ظاهرة اتسم بها كل عصر من عصور نهضتنا ـ ولعل اروع هذه العصور هو عصرنا الحالي ، لما حفل به الأدب فيه من الوان كثيرة مختلفة منها القصص العلمية والشعر المسرحي ، والأدب النسائي وغير ذلك من فنون الأدب .

وبالنسبة لموضوع الادب النسائي فلقد تناوله كثير من الكتاب بالبحث والنقد ، بعضهم أنكر وجوده أصلا .. وبعضهم اعترف به وشجع كتابات المرأة وما قدمته من انتاج في الميادين الأدبية ..

ولكن الشيء الذي لا يحتمل قولين هو ان هناك في مصر فئة من الكاتبات والأديبات المصريات ظهرن فيما قبل الاربعينات وبعدها ،وفي فترة لاحقة لظهور الشاعرة عائشة التيمورية والأديبة ملك حفني ناصف « باحثة البادية » ..

ومن أديباتنا هؤلاء الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطيء » وهي ظاهرة فريدة متميزة في حياتنا الأدبية ، وان كانت « مي » قد سبقتها زمنيا الى ميدان الأدب والكتابة في الصحف وخاصة في الأهرام ، فان مي لم تكن مصرية النشأة ، أما عائشة عبد الرحمن فقد ولدت فوق أرض مصر وترعرعت في أحضانها ، فنهلت الثقافة المصرية الخالصة وتأثرت ، وتشبثت بكل ما هو مصري الفكر والعادات والطباع ، وتبحرت في ميادين الشئون الاسلامية حتى أصبحت الكاتبة الاسلامية الأولى ليس في مصر وحدها بل في العالم العربي أجمع

وعائشة عبد الرحمن كاتبة عصامية كونت نفسها بنفسها فقد درست لتحصل على شهادة الدراسة الثانوية أثناء عملها في التدريس في مدارس البنات ، ثم التحقت بعد ذلك بالجامعة المصرية في كلية الآداب حيث تخصصت في اللغة العربية وآدابها ـ وبعد تخرجها عملت في جريدة الاهرام بتشجيع من رئيس تحريرها في ذلك الوقت انطون الجميل الذي لمس فيها موهبة ومقدرة ادبية واتزانا ،وسعة اطلاع وتمكنا من اللغة العربية وآدابها والاسلام وشئونه ـ وقد







د . عائشة عبد الرحمن — امينة السعيد — د . سهير القلماوى

التقت بالأديب الكبير الاستاذ أمين الخولى الذى تزوجته وتعاونا معا فى الكتابة والبحث ، وقد أصدرت عدة كتب ومؤلفات من اشـــهرها « بنـــات النبى » ، واتجهت فى السنوات الاخيرة للتدريس بجامعة المغـرب حيث قدمت الكثير من البحوث والدراسات المستفيضة ٠

***

أما الدكتورة سهير القلماوى فهى بحق فى مقدمة رائدات الجيل من الأديبات والدارسات المتمكنات من أدبهن وأعمالهن ٠٠

نشأت الدكتورة سهير القلماوى فى بيت كريم وفى رعاية والدها «الأميرالاى» فى الجيش ، ورغم أنها تلقت دراستها الثـــانوية فى الكلية الأمريكيـــة الا أن طموحها الأدبى كان كبيرا ، فلما فتح الدكتـــور طه حســين باب كلية الآداب لخريجى المدارس التى فى مستوى المدارس الثانوية تقــدمت ســهير القلماوى بأوراقها اليها ، وقبل طلبها حتى لا يقال ان هنا تحيزا لمدرسة دون أخرى ٠٠ وبدأت سهير تدرس اللغة العربية وآدابها فى كلية الآداب لتظهر نبوغـــا وتفوقـــا ثم لتتلمذ على الدكتور طه حسين وتصبح طالبته المفضلة والاثيرة ، وحقا لقـــد لمس فيها النبوغ والمقدرة والاصالة فراح يشجعها لتحصـــل على الليســانس والماجستير ثم الدكتوراه ولتعمل أستاذة للأدب العربى فى كلية الآداب ، وتكون اول شابة مصرية تعمل فى هذا المنصب ٠

وللدكتورة سهير القلماوى مقالات وبحوث وكتب ودراسات كثيرة من اشهرها كتاب « حديث جدتى » الذى يعتبر عملا ادبيا واجتماعيا رائدا ٠ والدكتـــورة سهير التى حاضرت فى كثير من المحافل والندوات الأدبية ، قد اتجهت أخيرا الى العمل السياسى وأصبحت عضوا فى مجلس الشعب ، وهكذا اضافت أبعـــادا سياسية الى أبعادها الأدبية ٠٠

***

والدكتورة لطيفة الزيات صاحبة قصة « الباب المفتوح » والتى حـــولت الى فيلم سينمائى فيما بعد ، من مواليد دمياط ، وتعمل استاذة للأدب الانجليزى

في كلية بنات جامعة عين شمس ، كما أنها رئيسة لهذا القسم أيضا ..
ولقد تلقت دراستها العالمة النهائية في انجلترا حيث حصلت على الدكتوراه وسافرت الى الخارج مرات حيث مثلت مصر في عدة مؤتمرات . كما أنها عملت مديرة لاكاديمية الفنون في وقت من الاوقات ، ولها دراسات في النقد لها أهميتها نشرت في الجرائد كما نشرت لها قصص أيضا وبحوث - أما قصتها الباب المفتوح فانها تناولت فترة تاريخية معينة من حياة مصر بين عامي ١٩٤٦ - ١٩٥٦ .

***

والأستاذة أمينة السعيد الكاتبة والصحفية ، وصاحبة القلم الذى يعبر عن آراء المرأة المصرية منذ سنوات وسنوات وحتى الآن فهي شعلة من العمل والكفاح والانتاج الأدبى - تخرجت في كلية آداب جامعة القاهرة عام ١٩٣١ ، واتجهت الى العمل في ميادين النشاط النسائي والصحفي ، فكانت عضوا في الاتحاد النسائي المصرى الذى كونته الرائدة هدى شعراوى ، ورأست تحرير مجلة « المصرية » التى كان الاتحاد يصدرها ، وعملت في مجلات دار الهلال كاتبة حتى رأست تحرير مجلة حواء النسائية ومن بعدها أصبحت رئيسة مجلس ادارة دار الهلال .

وفي أثناء هذه الرحلة المديدة كانت تغذى المجلات بالقصص والمقالات الأدبية واتجهت في السنوات الأخيرة الى القصص النفسية .

وتقول أمينة السعيد ان اول قصة طويلة كتبتها كانت « الجامحة » ، وهي تعتز بها كثيرا لأنها تعبر عن مشاعر المرأة المصرية في بداية عهدها بالحرية ..
كما ان قصتها « الثائرة الهادئة » من القصص المحببة الى نفسها لأنها تعد صفحة من تاريخ كفاح الزوجة الهادئة المشاركة عملا ووفاء وعونا لزوجها المناضل ..

وكما ظهرت أديبات مصريات في مجال القصة والكتابات الأدبية ، فقد ظهرت شاعرات مصريات أيضا لهن الكثير من الأعمال الجيدة .. ربما يقال ان المرأة المصرية لم تصل الى درجة الكمال والتفوق في ميدان الشعر مثل الرجل المصرى شاعرا ، ولكن ذلك لا ينفي وجود شاعرات مجيدات مجتهدات ، منهن على سبيل المثال لا الحصر شاعرتان ظهرت أعمالهما في الأربعينات كباكورة لجهودهما ثم استمرت هذه الأعمال حتى يومنا هذا في النمو ، والازدهار . ولأبدأ بجليلة رضا الشاعرة التى ولدت بالاسكندرية من اب مصرى وام شركسية وكانت ثالثة أختين نالتا قبلها من حنان والديها ما نضب معه معين العطف عليها . وقد ألحقت في بدء حياتها بمدرسة راهبات الراعي الصالح الفرنسية بالقاهرة في القسم الداخلي ، وتعلمت اللغة العربية بها ثم تزوجت قبل أن تكمل دراستها وتنقلت في انحاء الصعيد . وأخذت تقرأ كثيرا وكثيرا ثم أحست بميل جارف الى تاليف الاغاني العربية رغم عدم المامها في ذلك الوقت بعلم العروض ..
وأخيرا استقر بها المطاف في حى شبرا بالقاهرة ، وتعرضت لمرض عابر . فالتقت بالمرحوم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي بعيادته في ذلك الحي وكان في أواخر أعوام حياته . وعرضت على ناجي ما نظمته من كلمات فهتف لها: هذا شعر !

ونصحها بدراسة علم العروض .. ولقد عرفها ناجي بالمرحوم الشاعر محمد الاسمر الذى تولاها برعايته ونشر قصائدها في صفحته الأدبية بجريدة الزمان المسائية ..

وبدأت من ثم تراسل معظم الصحف الأدبية في مصر والبلاد العربية ، ولقد ألفت ونشرت ستة دواوين ومسرحية شعرية ، وهي عضو في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب وبالمجلس القومي واتحاد الكتاب .

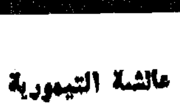


د . لطيفة الزيات



جليلة رضا





عائشة التيمورية

وفي قصيدتها « الوداع » تقول :

اجل أهـــواك لـكني احب كـــرامتي اكثر !
وأهوي البثر في الصحراء لا في القلب والجوهر
واعشق ضحكة الشـــباك لا تقطيبة الكــوه
واخلـــع كل اقنعتي أمام الكلمــة الحلــوه
وتحت النصل لو راعيت حق مشاعري ـ اعبر !

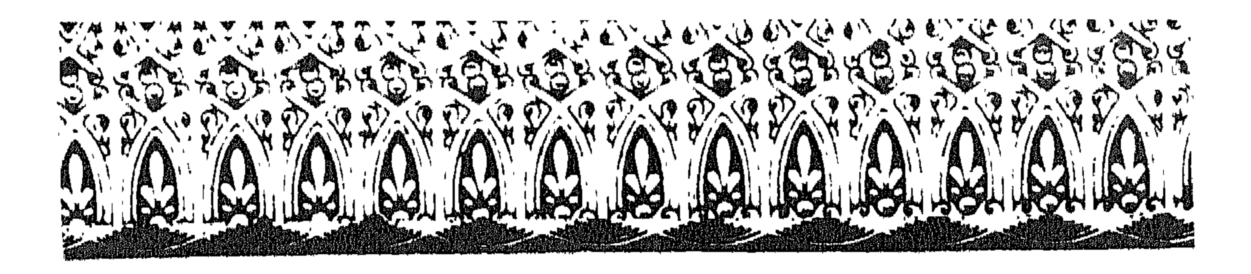
***

أما الشـــاعرة روحية القليني فقد تخــرجت في كليـــة الآداب في أوائل الأربعينات ، ثم اشتغلت بالتدريس في مدارس وزارة التربية والتعليم للبنات ، وعملت بالتدريس أيضا في العراق ، وانتهى بها المطاف مديرة لادارة التفرغ التي تقرر منح التفرغ للأدباء والفنانين .

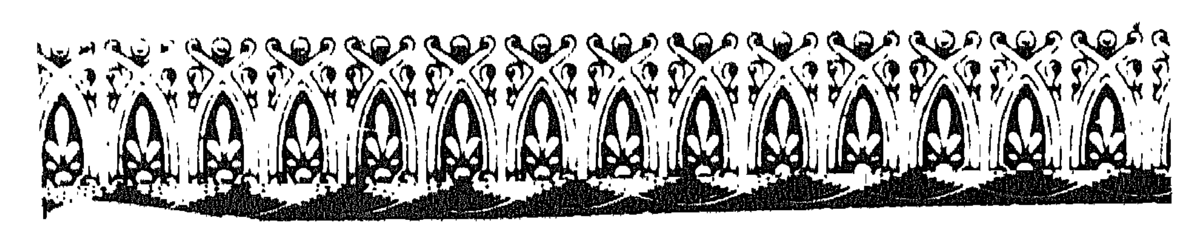
وروحية القليني شاعرة مرهفـــة الحس ، ثائرة النفس ، اسهمت بشعرها في أهم المناسبات ، والفت أكثر من ديوانين للشعر ومن أروع قصائدها تلك التي القتها في عيد الأم ، وكان من بين ما جاء فيها :

لو لم تكن ربي وسر هدايتي
لعبدت أمي فهي نور حياتي
لكنني يا رب مؤمنة بمن ..
خلق الحياة وانزل الآيات !
خلق الامومة رحمة ومحبة ..
كالغيث منهلا على الربـوات
أماه عفوا ان عجزت عن الوفا
قد جل حبك عن مدى كلماتي !

وإذا كنت قد اقتصرت على ذكر هؤلاء الاديبات المصريات ، فان هناك غيرهن ، لهن اجتهادات كبيرة في ميادين التاليف والترجمة كالقصاصة صوفي عبد الله التي بدأت حياتها الأدبية بنقل القصص من الانجليزية الى العربية . ثم هناك الكاتبه القصصية اللامعة جاذبية صدقي ، والكاتبة الصحفية القصاصة سعاد حلمي ، وغيرهن لهن آثار واضحة في مضمار الأدب النسائي في مصر .



من شعراء عصر الجبرتي



● محمد قنديل البقلي ●

● لم يكن عصر الجبرتي على اظلامه واعوازه وافتقاره الى الفصحى لغة سائدة خاليا من ومضات أدبية فيها ابداع وفيها اتقان وفيها سمو .. ولو شئنا أن نصف هذا العصر لوصفناه بانه لم يكن عصر الكثرة الواعية، بل عصر القلة القائلة.. اعني انه لم يكن الأدب يظل بمظلته جموعا كبيرة، بل كان عصر فلتات أدبية لا يكاد يجتمع فيه شاعران في ميدان واحد الا في القليل ، غير انه عودنا أنه ما يكاد يمضي شاعر او اديب الا وجاء في اثره شاعر او اديب ..

وشعراء هذا العصر جملة قالوا فأكثروا وشاركوا في أبواب الشعر كلها ، وكان أكثر ما قالوه يتصف بالمحاكاة والتقليد ، لم يتركوا شيئا لمن قبلهم الا حاكوه ونسجوا على منواله ، وهم ـ على الرغم من هذه المحاكاة ـ كان منهم المبدع حقا والبليغ صدقا الذي يشدك الى قوله شدا ، لا تكاد تحس معه أثر المحاكاة ولا صفة التقليد ..

وفي هذا العرض الذي أسوق فيه بعضا من شعراء تلك الحقبة وادبائها ضمنا ذلك نماذج مختلفة من أقوالهم في أغراضهم المختلفة ـ سوف ترى معي أن هذا العصر ـ عصر الجبرتي ـ على تخلفه في الميادين الثقافية لم يخل من أدب مقروء وشعر مرموق في أغراض لها حظ من الجد والمكانة الطيبة .

الشيخ احمد الدلنجاوى

مع أوائل القرن الحادى عشر الهجري ، ظفرت مصر بأديب شاعر هو الشيخ أحمد الدلنجاوى شاعر وقته .. ويقول الجبرتي عنه انه خلف ديوانا من الشعر في مجلد ، غير أن الجبرتي لم يذكر كم كان حجم هذا المجلد الذى فقد فيما فقد ..

وحسبنا عن شاعرنا هذا ما أثبته له الجبرتي من نماذج مختلفة ، هي على قلتها تكاد تصور لك منزلة هذا الشاعر في شعره ، وسوف ترى معي أنه ملك ناصية القول ، وأنه اذا قيس شعره بشعراء عصر سبقه أو لحقه ، لما تخلف عنهم ، بل كان صاحب السبق في حلبتهم .

شعراء عصر الجبرتى جملة قالوا فأكثروا ، وشاركوا فى أبواب الشعر كلها ، فكان منهم المبدع حقًا ، والبليغ صدقًا الذى يشدك إلى قوله شدًا ، لا تكاد تحس معه أثر المحاكاة ولا صفة التقليد

اقرأ له معى قوله :

قمر يخص وشاته — برضا ومغرمه بسخط
عاتبته بتلطف — وسألته حكما بضبط
فاجابنى وهو الذى — طرف الهداية ، يخطى
لست الامام وانما — انا قاسم ، والله معطى !

وكما قلت لك أن شعراء هذا العصر ـ عصر الجبرتى ـ كان من شأنهم التأثر بشعر غيرهم ينسجون على منواله أو يخمسونه ، أو يربعونه ، كذلك كان شأن شاعرنا هذا أحمد الدلنجاوى ، فهو يقول مخمسا لقصيدة ابن منجك ، وهو منجك بن محمد بن منجك بن أبى بكر بن عبد القادر حفيد منجك الكبير اليوسفى ، وكان من أكبر شعراء عصره (١٠٠٧ هـ ـ ١٠٨٠ هـ) أى من شعراء القرن الحادى عشر ، وكان دمشقى المولد والنشأة ، وله ديوان شعر مطبوع .

يقول أحمد الدلنجاوى فى ذلك التخميس :

جل من فى هواه اسهر طرفى — يا مليحا فى حسنه حار وصفى
كلما رمت صبوة لست اخفى — تشرق الشمس من يديك ومن فيـ
ـك الثريا والبدر من اشراقك !
يا مليكا بدولة الحسن طرا — مشترى اللحظات باللحظ شطرا
وعجيب قوس الحواجب ادرى — اوليس العجيب كونك بدرا
كاملا والمحاق من عشاقك

ففى الحق أن شاعرنا الدلنجاوى محسن فى هذا التخميس مجيد رقيق ، لا تكاد تحس مع هذا كله أنه من شعراء تلك الحقبة المتخلفة .

ولقد كانت وفاة شاعرنا هذا أحمد الدلنجاوى ، فى الثانى والعشرين والمائة بعد الألف ، ولم تكن وفاته لتمر دون أن يؤرخ لها شاعر مثله ، هو المرحوم الشيخ الشبراوى ، فقال مؤرخا لوفاته :

سألت الشعر هل لك من صديق — وقد سكن الدلنجاوى لحده
فصاح وخر مغشيا عليه — واصبح ساكنا فى القبر عنده
فقلت لمن أراد الشعر اقصر — فقد أرخت مات الشعر بعده !

الشيخ حسن البدرى الحجازى

ومن بعد الدلنجاوى كان الشاعر البليغ الصالح العفيف حسن البدرى الحجازى ، كان متمكنا فى فن الشعر ، متمكنا فى فن النقد ... ويبدو أنه عاصر الدلنجاوى ، وان كانت وفاته قد تخلفت عنه قليلا ، فلقد كانت وفاة الشيخ حسن البدرى سنة احدى وثلاثين ومائة وألف .

يقول عنه الجبرتى انه كان عالما فصيحا مفوها ، متكلما ، ناقدا لأهل عصره وأبناء مصره .

كما يقول عنه : سمعت من الشيخ الوالد : قال رأيته ملازما لقراءة الكتب الستة تحت الدكة ـ يعنى دكة الأزهر ـ مبتعدا عن مخالطة الناس معتكفا على شأنه قانعا بحاله .

ويصف الجبرتى شعره فيقول : وله فى الشعر طريقة بديعة وسليقة منيعة وقلما تجد فى نظمه حشوا او تكملة ..

وفى الحق أن تصفح تلك النماذج التى أوردها له الجبرتى لتدلنا على مكانة هذا الشاعر من الشعر ، وحسبه أرجوزته فى التصوف التى بلغت الفا وخمسمائة بيت، والتى الفها على نمط «الصادح والباغم» للشريف نظام الدين أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى المعروف بابن الهبارية الهاشمى العباسى البغدادى والمتوفى بكرمان سنة اربع وخمسمائة من الهجرة ، ومنظومته هذه ، أعنى الصادح والباغم ، فى الفى بيت على أسلوب « كليلة ودمنة » .

واولها :

الحمد لله الذى حبانى ـ بالأصغرين : القلب واللسان ...

ويقال انه مكث فى نظمها عشر سنين .

هذه المنظومة ـ منظومة الصادح والباغم ـ التى لها قدرها وشهرتها وتمكن قائلها ، رجز على مثلها شاعرنا الشيخ حسن البدرى الحجازى ، وهو وان لم يبلغ فى منظومته الفى بيت ، فقد قارب ان يبلغه ، وحسبه أنه أتم منها الفا وخمسمائة بيت ، وأنه ضمنها أمثالا كثيرة ونوادر وحكايات، كما فعل صاحب الصادح والباغم .

وغير هذا مما يدلنا على قدرة شاعرنا الشيخ حسن البدرى الحجازى ما تركه لنا من ديوان شعر مرتب على حروف المعجم ، ويبدو انه ديوان كبير فقد اختار له الجبرتى منه جملة صالحة .

ولقد سمى ديوانه هذا باسمين ، الاسم الأول : تنبيه الأفكار للنافع والضار، والاسم الثانى : اجماع الاياس من الوثوق بالناس .. ولقد كان فى ديوانه هذا كما يملى العنوان ذا نزعة تصوفية، ويبدو ان التصوف كان الروح الغالبة على شاعرنا ، فكما كان التصوف هو الملى عليه فى محاكاته « الصادح والباغم » كذلك كان التصوف هذا هو المملى عليه فى ديوانه هذا ، كما ينطق بذلك العنوان .

ولقد كان لحسن البدرى الحجازى غير هذا مزدوجة سماها « الدرة السنية، فى الأشكال المنطقية » . كما نظم رسالة « الوضع » للعلامة العضد ، وكما نظم «لقطة العجلان» فى تعريف النقيضين والضدين والمثلين وفى حكم المضارع صحيحا كان أو معتلا ورموز الجامع الصغير ، ولسنا ندرى اذا كانت هذه المنظومات العلمية قد ضمنها حسن البدرى ديوانه ، أم لا ؟ ولكنه لا يفوتنا أن نشير الى أن هذه المنظومات العلمية كانت امتدادا لمثيلاتها فى عصور سبقت .

ويقول الجبرتى وهو يصف ديوانه :

وختم ديوانه بأراجيز بديعة ضمنها نصائح ونوادر وأمثالا واستغاثات وتوسلات للقبول موصلات .

والآن نسوق نماذج من شعر الشيخ حسن البدرى الحجازى ، مما أورده الجبرتى لتعرف كم كانت روح التصوف والوعظ والارشاد تغلب على شاعرنا ، يقول :

كن جار كلب وجار الشرة اجتنب ... ولو اخا لك من ام يرى واب
ما جار كلب شكا يوما بوائقه ... اذا شكا غيره من وصمة الوصب
وجانب الدار ان ضاقت مرافقها ... والمرأة السوء لو معروفة النسب

الى آن يقول :

واحذر سراجا ضعيف الضوء ترقبه ... فانه الغمة العظمى لمرتقب !

ويختم هذه البائية بهذه الأبيات :

الهنا يا غيـــاث المســـتغيث ويا معطى الجزيل ويا منجى من الكــرب
احســن الى حســن البدرى بمغفرة واعطه الأمن يوم الضـيق والرهب
وصل رب وسلم ما همت سـحب على نبيـك خير العجـم والعــرب
والآل والصـحب ما دامت مآثرهم والتـابعين باحســـان وكل نبى

وعلى الرغم من النزعة الصوفية التي كانت غالبة على شاعرنا فقد كان شديد الحذر من مدعى التصوف المتظاهرين به .

ويلفتنا فى شعر هذا الشاعر أنه كان برما بالأقارب ، فنقرأ له يقول :

حــذار حــذار من قــرب الأقارب فهم صـــل الأفاعى والعقـــارب
اناس ان تعبــت فيســـتريحوا وتعلــوهم لراحتــك المتـاعب !
غنيا ان تكن حســـدوا ... والا فعنــك تجنبــوا من كـل جانب !

كما كان ضائقا بالمرأة شبه ناقم عليها ، تقرأ له يقول :

اذا امــراة يوما خطبت فلـم تجب فدعها ولا ترجع لخطبتهــا العمــرا
فعسر ابتداء الشيء آية شـــؤمه وعزة نفس المـرء نعمتـه الكبرى !

تقرأ له فى التجنى على علماء عصره :

عن علمــاء عصرك لا تســـالن فــان احـــوالهم ظــاهـــرة
نفعــك مـن جانبهـــم منتف فى هـــذه الدنيـــا والآخـــرة
قـــوم اذا لاح لهم مطمــع تســـارعوا كالاكلب العاقـــرة
والعمـــل الصـــالح ما بينهـم همتهـــم عن فعلـــه فـاتـرة !
فجـــانبـــا خذ عنهم تســتروح اذ قربهم صـفقتك الخـاسرة !

وعلى أية حال فلقد قال الجبرتى ، ان هذا الشاعر كان ناقدا النقد كلبه لجتمعه الذى يعيش فيه ، برما به ، ضجرا منه ، وحسبك أن تقرأ له ، سامحه الله :

ايهــــا الآتى ضريحى قف على قبرى ((شـوى))
واقــرا القــرآن عنـدى ينـــزل الـروح عـــل
كـم قبـــور زرت يا ذا وانـــا مثلـــك حى !
ثـم مـا دب اليهـــم بعـــد ذا دب الى ...
فتهيــــا لرحيـــل واطـــو آمـالـك طى !

ثم هو يقول واعظا تملى عليه تلك الروح التصوفية :

لا تغـــرنك حيـــاة انمـــا الدنيـــا كفى

(ـ أى كفىء وهو الظل) ...

ايـن فرعـــون وعـــاد ايـــن نمـــروذ العتـى
ايـــن كسرى ايـــن قيصر ايـــن شـــــداد وطى
وانـــاس شــــاكلوهم فى غـــــرور ما وغى !

(ـ أى كفىء وهو الظل) ..

فتنبـــــه وتـــدبـــر واتعـــظ مـــن ذا اخى !

ولعل فيما سقناه من شـــعر الدلنجاوى والبدرى الحجازى ما يكشف لنا شيئا عن أن الشـــعر فى عصر الجبرتى كـــان ملحوظا مرموقا ، وكان من ورائه شعراء ملحوظون مرموقون .



جى دى موباسان

● ترجمة : يوسف الشارونى ●

كان الطبيب والفلاح يقفان وجها لوجه ، بينما كانت أم الفلاح العجوز الراقدة فى الفراش ، وهى تحتضر ، تنظر الى الرجلين وتستمع الى النقاش الدائر بينهما .. كانت هادئة منتبهة ، صبورا ، كانت تعلم أنها مقبلة على الموت لكنها كانت تتقبل هذه الحقيقة ، كانت فى الثانية والتسعين وتعلم ان دورها قد انتهى ..

كانت شمس يوليو تتدفق من خلال الباب والنوافذ المفتوحة ، واشعتها المشتعلة تنسكب على الأرض الترابية البنية غير المستوية .. وكانت حبات الهواء الساخنة تحمل معها روائح الحقول :روائح العشب والقمح والأوراق التى تحرقها حرارة الظهيرة الشديدة ، وكانت الجنادب ترفع صوتها الحاد المبحوح ، حتى ان ضاحية القرية كلها امتلأت باصواتها المتلاحقة التى لا تشبه فى شىء ذلك الصوت الذى تحدثه الصراصير الخشبية التى يشترونها للاطفال من الأسواق ...

وأخذ صوت الطبيب يحتد قائلا : انك لا تستطيع يا أونورى ان تترك أمك وحدها فى مثل هذا الظرف ، فقد تموت فى أية لحظة !

فأجاب أونورى مغموما : على أية حال يجب أن أذهب الى قمحى ، فهو متروك على الأرض منذ زمن طويل ، والجو ملائم .. ما رأيك يا أماه ؟

ورغم أن المرأة العجوز كانت على حافة الموت ، الا أنها كانت لا تزال تحتفظ بشدة ببخلها النورماندى ،فأحنت رأسها فى سكون موافقة ، فابنها لابد أن يذهب لجمع حنطته حتى لو ماتت وحدها !

فضرب الطبيب قدمه بضجر وقال : انى أخبرك أنك متوحش ، ولا أسمح لك أن تفعل شيئا من هذا القبيل ، ولتفهم هذا ، فاذا كان لزاما عليك أن تجمع قمحك اليوم فعليك أن ترسل الى المرأة « رابيه » وتدعها تقوم على خدمة أمك . انى أصر على هذا ، واذا لم تنفذ ما آمرك به فسأدعك تموت كالكلب حين يأتى دورك ، تذكر هذا .

كانت الأم « رابيه » امرأة عجوزا تتعيش من الكى ، وكانت كذلك تقوم على خدمة المحتضرين فى الأبرشية وما جاورها ، وتعنى بالجثث بعد الوفاة . وفى اللحظة التى تنتهى فيها من الكى للزبائن تبدأ تكوى لنفسها ، وكان وجهها مجعدا كأنه تفاحة آخر السنة ، كانت حقودا حسودا وشحيحة الى حد يكاد الا يكون انسانيا . وكان انحناؤها مضاعفا كأنما حطمت ظهرها بتحريكها المستديم للمكواة الى الخلف والى الأمام على الأثواب الكتانية ، وكأنما كانت تضمر لفراش الموت عاصفة مريضة قبيحة . وكانت كل أحاديثها تدور حول الأشخاص الذين رأتهم يموتون وحول أحوال الموت المختلفة التى شاهدتها . وكانت تقص هذه الاحاديث بتفاصيلها الدقيقة وبغير أن تغير منها حرفا واحدا فى دقة الرامى الذى يصف كل رمية .

وعندما دخل أونورى منزلها وجدها تمزج اللون الأزرق فى مرجل لصبغ قبعات فتيات القرية • فحياها قائلا :
ـ كيف حالتك أيتها الأم رابيه • هل كل شىء على ما يرام ؟
فأجابت وهى تلتفت نحوه :
ـ نعم • نعم • وكيف حالك أنت ؟
فأجاب : آه ، اننى بخير ، لكن أمى هى التى ليست على ما يرام •
ـ أمك ؟
ـ نعم أمى •
ـ ماذا بها ؟
ـ انها ستموت •
فأخرجت العجوز القبيحة يديها من الماء ، وانحدرت القطرات الزرقاء حتى أطراف أصابعها ثم سقطت مرة أخرى فى المرجل •ثم صاحت باهتمام مفاجىء:
ـ هل هى فى حالة سيئة الى هذا الحد ؟
ـ يقول الطبيب انها لن تعيش حتى بعد الظهر •
ـ اذن لابد وأنها ماتت •
ـ كم تأخذين من أجل العناية بها حتى النهاية ؟ ان حالتنا غير ميسورة كما تعرفين وليس عندى ما أدفعه لامرأة تقوم بالعمل ، وهذا هو ما أودى بحياة أمى، أمى المسكينة •
فأجابت الأم « رابيه » بتجهم : اننى آخذ نوعين من الأجر • فآخذ من الأغنياء فرنكين فى النهار وثلاثة فرنكات فى الليل ، أما الفقراء فيدفعون فرنكا فى النهار وفرنكين فى الليل وسآخذ منك الأجر الأخير •
ـ كلا • اننى أفضل أن نتفق على أجر محدد للمهمة كلها • وثمة مخاطرة فى الحالين • فالطبيب يقول انها ستموت سريعا ، فاذا صدق ذلك فهو خير لك بقدر ما هو شر لى • ومن ناحية أخرى، اذا ظلت على قيد الحياة يوما آخر أو أكثر فهو خير لى بقدر ما هو شر لك •
فنظرت اليه الأم « رابيه » فى دهشة فلم يحدث قط ان عقدت اتفاقا كهذا فى حالة من حالات الموت • وترددت حين رأت المخاطرة الواضحة وارتابت فى أن يكون هناك خدعة ، فأجابت :
ـ لا أستطيع ان أقرر حتى أشاهد أمك •
ـ تعالى اذن وشاهديها •
فجففت يديها وخرجت تتبعه • وفى الطريق الى منزل أونورى كانا صامتين • وكانت هى تندفع بسرعة ، بينما هو يطيل خطواته كأنما عليه أن يعبر بالوعة فى كل خطوة ، وكانت الأبقار نائمة فى الحقول وقد أرهقتها الحرارة وعندما كان العجوز والفلاح يمران بالماشية كانت ترفع رءوسها ثم تخفضها فى لطف كأنما تطلب عشبا جديدا ، وعندما اقتربا من عدفيهما غمغم أونورى :
ـ افرضى أنها قد ماتت الآن ؟
وكان واضحا فى نغمة صوته أن رغبته اللاشعورية تود لو أن يكون هذا هو ما حدث • لكن المرأة العجوز لم تكن قد ماتت على أية حال • كانت نائمة فى سريرها على ظهرها ويداها موضوعتان على اللحاف الأرجوانى المصنوع من الشيت المخطط • كانتا ضامرتين الى درجة دميمة ، وقد ضاعف تجعيدهما مرض الروماتيزم والعمل المتزايد والمهام التى لا تنقطع مدى قرن تقريبا ، وكانتا تذكران الانسان بالحيوانات الخبيثة كالسرطان •
وذهبت الأم « رابيه » الى السرير وألقت نظرة مدققة على المرأة المحتضرة وفحصت نبضها ، ومرت بيدها على صدرها واستمعت الى تنفسها ، وسألتها بضعة أسئلة كى تستمع الى صوتها •
وبعد ما فحصتها مرة أخرى مدة طويلة خرجت يتبعها أونورى ، وكانت قد قررت أن المرأة العجوز لن تبقى حتى مجىء الليل •
وسأل أونورى : ما رأيك ؟
فأجابت الأم « رابيه » : انها ستبقى مدة يومين أو ربما ثلاثة أيام • سآخذ ستة فرنكات للمهمة كلها •
فصاح : ستة فرنكات ؟ هل أنت معتوهة ؟ اننى أعدك انها لن تعيش أكثر من خمس ساعات أو ست ساعات ولن تبقى دقيقة بعد ذلك •
واحتدم الخلاف بين الجانبين بشدة وهددت المرضة بأن تتركه • وعندما وجد أن الوقت يمضى والقمح لا يمكن أن يجمع نفسه بدونه ، قبل شروطها •

فقال لها : حسنا ، ستأخذين ستة فرنكات للمهمة كلها . نعم ستة فرنكات
وسار بخطوات متسعة نحو حقله ، حيث كان القمح الناضج ، وعادت الأم « رابيه » الى منزل أونورى وكانت قد جلبت معها بعض ما تعمل فيه . فقد كانت دائما تعمل بجانب فراش الميت او المحتضر ، لنفسها احيانا وأحيانا لأسرة المريض اذا كانت تدفع لها أجرا زائدا للعمل المضاعف . وفجأة خاطبت المراة المحتضرة قائلة :

ـ بالطبع أنت اديت الطقوس الدينية يا مدام بونتم ؟

فهزت مدام بونتم راسها . وكانت الأم «رابيه» متدينة جدا فقامت بنشاط وقالت :

ـ يا الهى ، هل هذا ممكن ؟ ساذهب لاحضار القس .

واندفعت توا الى منزل الكاهن وهي تجرى بسرعة حتى ان صبيان القرية الذين كانوا فى الميدان حسبوا أن ثمة امرا خطيرا قد حدث . وجاء القس فى الحال . وسار أمامه صبى من الجوقة يدق ناقوسا لاعلان مجىء الضيف . وكانت الأرض تنوء تحت الشمس المحرقة ونزع بعض الرجال الذين كانوا يعملون على بعد قليل قبعاتهم المتسعة الأطراف وانتظروا حتى غابت عباءة القس البيضاء خلف احدى المزارع . وانتصبت النساء اللاتى كن يحملن حزم القمح ورسمن علامة الصليب . ورفرف بعض الدجاج الذى ازعجه مرور الموكب حتى وجد ثغرة يعرفها جيدا فى السور فاختفى من خلالها . وانزعج مهر كان مربوطا فى مرعى واخذ يجرى دائرا حول نهاية وتده وهو يضرب بقدميه . وكان صبى الجوقة يعدو ببطء فى عباءته الحمراء ، وكان القس يتبعه وهو يغمغم بالصلوات مصوبا عينيه نحو الارض . والأم « رابيه » فى المؤخرة منحنية فى شدة كأنما تسجد ، وقد تشابكت يداها كأنما هى فى الكنيسه .

ولمحهم أونورى من بعيد فسأل : أين يذهب قسيسنا ؟

فأجاب عامله الذى كان أكثر ذكاء منه :

ـ انه بالطبع ذاهب ليقوم بالطقوس الدينية لوالدتك .

ـ كفى حديثا عن هذا الموضوع .

ثم مضى الى عمله .

واعترفت الأم بونتم ، وتقبلت الغفران وتناولت القربان وغادر القس المنزل تاركا المرأتين وحدهما فى الكوخ الخانق ، وأخذت الأم « رابيه » تنشغل بالمريضة وهى لا تدرى متى ستموت .

وكانت الأم بونتم راقدة بلا حراك ، وعينساها مفتوحتان كأنما تنتظر بلا اكتراث موتها المؤكد رغم بطئه . وكان بلعومها مضغوطا قليلا وأنفاسها تدخل وتخرج مصحوبة بصوت قصير خافت ، انها سرعان ما ستموت وينقص العالم امرأة ولن يحس بفقدها أحد .

وفى الغسق أقبل أونورى وعندما اقترب من الفراش وجد أمه لا تزال على قيد الحياة .

فسألها : كيف الحال ؟ تماما كما كان يفعل حين حين تكون متوعكة بعض الشيء . ثم أذن للأم « رابيه » بالخروج طالبا منها أن تأتى بلا ابطاء فى تمام الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى والواقع أن المرضة قد عادت عند فجر النهار وكان أونورى يتناول قليلا من الحساء قبل ذهابه الى حقله . وكان قد أعد الحساء بنفسه . فسألته المرضة :

ـ هل ماتت أمك ؟

فاجاب وفى عينيه بريق خافت : اذا كان هناك خبر اقوله لك فهو ان امى قد تحسنت . ثم خرج . فابتدأت الام ((رابيه)) تتضايق ، واقتربت من المراة المحتضرة التى بدت كأنها فى نفس الحالة التى كانت عليها بالأمس غير مكترثة ولا متاثرة ، عيناها مفتوحتان ويداها معقودتان على اللحاف . وادركت الام ((رابيه)) أن هذا الوضع لو استمر

فالمراة قد تظل يومين او اربعة ايام او ربما اسبوعا .

وتملك الخوف قلبها البخيل ، واحست بالغضب الهائل نحو ذلك الخبيث الذى خدعها ، ونحو تلك المرأة التي تأبى أن تموت ، ورغم هذا فقد استانفت عملها ، لكنها ظلت تراقب وجه الام بونتم بنظرة ثابتة متسعة . وجاء اونورى للغداء وكان على وجهه تعبير مطمئن بل كاد يكون ساخرا . ثم عاد فخرج . ومما لاشك فيه انه كان يجمع قمحه فى ظروف فريدة .

وكانت الأم « رابيه » قد اخذت تفقد سيطرتها على أعصابها فكلدقيقة تمر تبدو لها كأنها زمن مسروق ونقود مسلوبة . كانت لديها رغبة جنونية فى ان تقبض على عنق هذا الشيء المتعب الراس العنيد العجوز . ضغطة واحدة وينتهى النفس القصير السريع الذى كان يسلبها وقتها ومالها ، لكنها رات ان هذه المحاولة خطرة ، وخطرت لها خطط اخرى فاقتربت من المراة المحتضرة وسالتها :

ـ هل رايت الشيطان ؟

فاجابت الأم بونتم : كلا .

فاخذت المرضة تقص قصصا ترعب بها المراة المحتضرة الغبية ، فالشيطان يبدو دائما للمحتضرين قبل نهايتهم بدقائق قليلة ، وفى يده مكنسة ووعاء مثلث الارجل فوق راسه ، ويصرخ صرخات مرتفعة فاذا رايته فقد انتهى كل شيء .. ان امامك دقائق قليلة من الحياة !

ثم اخذت تسرد لها اسماء الأشخاص الذين تراءى لهم الشيطان ذلك العام: جوزفين، لوازيل ، ايلالى راتى ،صوفى باراجنو ، سيرافين جروسييه . وكان لكل هذا اثرهعلى الأمبونتم. فاضطربت اعصابها واختلجت يداها ، وحاولت أن تحول راسها بحيث تستطيع ان ترى حتى الطرف البعيد من الغرفة .

وفجاة اختفت الأم «رابيه » خلف الستائر وعند طرف السرير واخذت من خزانة الملابس ملاءة لفتها حول نفسها ووضعت على راسها وعاء من اوعية الطهى له ثلاث أرجل قصيرة بدتتماما كانها ثلاثة قرون ..

وامسكت فى يدها اليمنى مكنسة وفى اليد اليسرى سطلا من الصفيح رمت به فى الهواء ثم دعته يسقط محدثا دويا مزعجا . ثم صعدت فوق مقعد وازاحت الستائر واظهرتنفسها للمريضة ، وقامت بايماءات وصرخت صرخات حادة فى الوعاء الحديدى الذى يخفى وجهها ... ثم هزت مكنستها للفلاحة العجوز التى أصبحت الآنعلى وشك الموت ...

وفى رعب حاولت الام بونتم أن تقوم بمجهود فوق طاقة البشر لكى تفر من سريرها وتعدو ، وعلى وجهها تعبير انسان تملكه الخوف. وارادت انترفع كتفها وصدرها . لكنها ارتدت على ظهرها بتنهدات عميقة بعدما بذلتهذا الجهد ، وانتهى كل شيء ..

وفى هدوء تام وضعت الأم «رابيه » كل شيء فى مكانه . فالمكنسة فى ركن الخزانة ، والملاءة فى الداخل ، ووعاء الطهى عند المدفاة ، والسطل الصفيحى على الأرض ، والمقعد بجانب الحائط ثم بدات تقوم بالعمليات التى تتطلبها مهنتها . فاغلقت عينى المراة الميتة المتسعتين ، ووضعت صحنا على السرير ثم ملأته منحوض الماءالمقدس، ثم ركعت ، وبدات تردد فى حرارة صلوات الموتى . فقد كانت تحفظها عن ظهر قلب ، باعتبارها جزءا من تجارتها

وعندما عاد أونورى من الحصادعند حلول الغسق ، وجد الأم «رابيه» ساجدة، فاخذ يقومبعمليات حسابية. لقد ظلت تقوم على خدمة امه ثلاثةايام وليلة واحدة وهذا اجره خمسة فرنكات بينما هو قد اعطاها ستة . فقال مفكرا :

لقد فقدت فرنكا اذن ... !

●

المجوسى ..

● تاليف : جون فاولز ●

● ترجمة : محمد الحديدى ●

العنوان هنا ترجمة حرفية للعنوان الانجليزى The Magus ولكن الحقيقة هى ان المقصود بالكلمة الانجليزية لا علاقة له بمذهب المجوس ،كائنة ما كانت الصلة الاصولية بينهما ، والمقصود هو « الساحر » Magician وواضح ان الكلمتين تشتركان فى جذر واحد ..

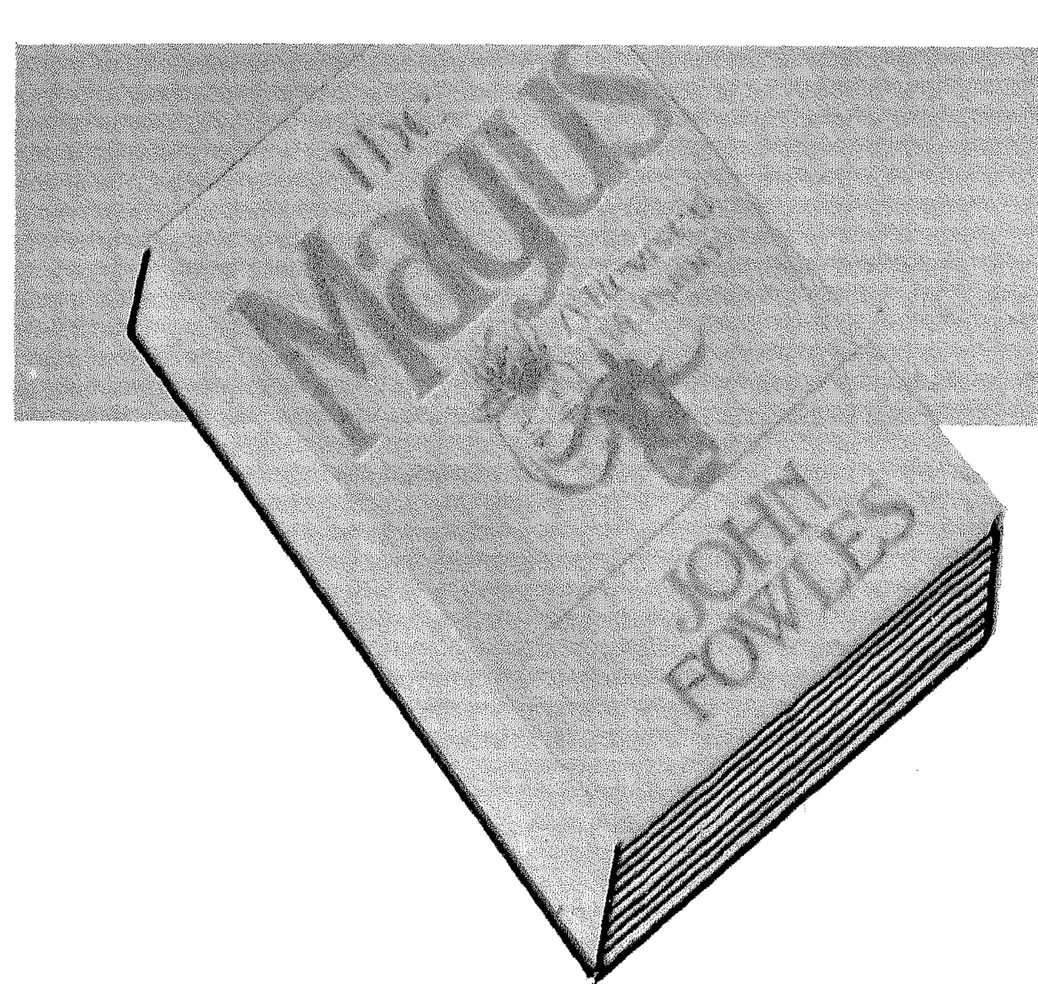
كما ان فى سياق هذه الرواية الرائعة الذائعة حوارا ياتى فيه ان نوعا من انواع ورق اللعب به ورقة تحمل هذا الاسم Magus ، بمعنى الساحر او الحاوى ، وان هناك ايضا نوعين من الزهور يرمزان لورقة اللعب هذه او يطيران عليها ، هما « روز » و « ليل » (بكسر اللامين) وهذان ايضا اسما فتاتين توامين تلعبان دورا رئيسيا فى القصة ..

هذا العمل الروائى (٦٥٦ صفحة) كان اول ما حاول هذا الكاتب الانجليزى « جون فاولز » أن يكتبه ، وان كان فى سياق أشتغاله به أصدر رواية أخرى سماها « The collector » وهو عنوان تصعب ترجمته الى العربية ، يصف من يهوى « الجمع » ، جمع التحف أو اى شىء آخر ، وهو هنا يهوى جمع الفراشات ، وتحنيطها ، ثم مد هوايته الى الفتيات ،اختطف واحدة منهن وحبسها الى ان ماتت ودفنها فى حديقته .. قصة تصف نزعة الشر عند الانسان وفى روايتنا هذه نجد هواية جمع الآدميين ايضا بطريقة مختلفة .

وقد تعرضت « المجوسى » للكثير من التبديل والتعديل ، واستمر هذا فترة لا تقل عن خمس عشرة سنة ، لأن المؤلف ، فيما يقول لنا ، وهو الآن من أشهر كتاب الرواية فى العالم الغربى ، « لم يكن يعرف الى أين هو ماض سواء فى الحياة أو فى هذا الكتاب » .

وبعد أن صدر الكتاب بسنوات طويلة عاد فكتبه من جديد ، وهذه هى الطبعة الجديدة . وهو يحكى أيضا أن القصة فى صورتها الأصلية ــ التى لم تظهر ــ كانت تحوى عنصرا خرافيا ، وكان يرمى بها الى أن تكون شيئامماثلا لقصة هنرى جيمس « دورة اللولب » ، ولكنه عدل عن ذلك ، وظهرت طبعتها الاولى سنة ١٩٦٥ خالية من الخرافة ، وكذلك طبعتها الحديثة المعدلة .

وجون فاولز مهتم بالادب العربى



أيضا (الى جانب كونه دارسا للغة والاداب الفرنسيه فى اكسفورد) – وهو يشرف على ترجمة اعمال نجيب محفوظ الى الانجليزية ، وزار مصر سنة ١٩٧٢ والقى محاضرة عن مستقبل الرواية • وهو الان قد تجاوز الخمسين بقليل ، وقد بدأ حياته مدرسا للغة الانجليزية فى جزيرة صغيرة بارخبيل اليونان تسمى « سبتسماى » • وكذلك بطل روايته هذه « نيكولاس ايرف » ، فهو مدرس لغة انجليزية فى جزيرة يونانية يسميها « فراكسوس » ،ومعناها باليونانية « الجزيرة المسورة »،وهو اسم له مغزاه ، فهى فى الرواية تصبح عالما مستقلا يسيطر عليه الطبيب المليونير الغامض « موريس كونشيس » أما اسم البطل ؟ «ايرف» ؟ فهو مستمد من شيئين : كلمة « ايرث » ،بالانجليزية ومعناها « الارض » وهكذا كان ينطقها فى طفولته ، فيما يحكى لنا ، فالبطل هنا يمثل عالم الارض – والامر الثانى هو ان هناك مؤلفا فرنسيا اسمه « انوريه ديرفيه » ، يعجب المؤلف فهو يعطى اسمه لبطل قصته • والاحداث تدور فى قصر كونشيس المسمى « بورانى » ، وهى كلمة اليانية كانت فى وقتين مختلفين تعنى « الماء » و « الموت»

بداية الرحلة

الاعمال الروائية العظيمة يكون لها مستويان :مستوى الاحداث ،وهو الذى يجعل القارىء يستمر فى قراءتها مهما كان شكلها ولونها ، دون أن يفضل أن يقرأ مقالا فيه خلاصة الجانب الفكرى فى الموضوع •• والمستوى الثانى هو هذا نفسه : الجانب الفكرى فى الموضوع •• وكل كاتب روائى عظيم لابد أن يكون له « فكر » ، وكل شاعر أيضا ، والبراعة هى أن يجعل الكاتب هذا يختفى وراء الثوب القصصى ، لا يراه الا من يستطيع أن يدرك أن هناك شيئا مختفيا ، أما القارىء الذى لا يهمه هذا فسيظل مستمتعا بتيار حدثى مشوق يخلب اللب ••

يقول لنا المؤلف ان التيار الفكرى هنا كان نتيجة لتاثره بآراء العالم النفسى الفرويدى كارل يونج •• ويظهر ذلك واضحا فى مرحلة متاخرة من هذه الرواية الضخمة ، وهى تبدأ بحديث البطل نيكولاس عن صباه وشبابه وتخرجه (هو ايضا) فى جامعة

اكسفورد ، وان لم يدرس الفرنسية)

ـ لم يستطع نيكولاس أن يجد عملا يرضيه كمدرس فى بلاده ، وكان طفلا وحيدا مات أبواه فى حادث طائرة ، وكان الأب جنرالا فى الجيش البريطانى) وقرأ أن المجلس البريطانى يطلب مدرسا للغة الانجليزية لمدرسة فى هذه الجزيرة اليونانيه المنعزلة فتقدم للوظيفة وحصل عليها .

وبيل سفره بأيام تعرف فى لندن على فتاة استرالية تدعى « اليسون » ، فتاة متحررة الى حد بعد ـ حتى هناك ـ اسرافا وتخطيا لكل الحدود ، تستمر علاقتهما أياما وتتعلق به الفتاة وتقول له : « ولكنك لا يمكن ان تفكر فى الزواج بى لانى من بنات المستعمرات ولانى ... » وتذكر كلمة قبيحة .

يفترقان وتلتحق هى بعمل مضيفة فى شركة طيران ـ وهو أمر منطقى ، فالمؤلف يريد لهما ان يتقابلا ذات يوم ـ أما هو فيتسلم عمله فى الجزيرة الصغيرة المنعزلة ـ كل هذا يأتى بعد فصل شيق فى العلاقة والعاطفة الانسانية يصلح قصة منفصلة .

المعميات ...

تبدأ المعميات أو الالغاز أو الغوامض حسب ما يحسن أن نسميها ،صباح أحد أيام الاحد وهو يتجول فى بقعة على الشاطىء كان يحبها ،قريبة من بورانى .

خلع ملابسه واخذ يسبح ، ثم عاد الى الشاطىء وبدأ يتناول طعامه « كنت احدق الى أعلى ، متاملا قمم الاشجار الساخنة ، عندما انتابنى احساس **بانني لست وحدى ، ان هناك من ينظر الى ، تاملت الاشجار فلم اجد شيئا .. اخذت اسير نحو السور ، وفجاة رايت شيئا يلمع من بعيد ، احدى فردتى زعانف مطاط ، من النوع الذى يستخدم فى الغطس ، زرقاء ، اقتربت منها فرايت الاخرى ، وكانت هناك منشفة تصدر عنها رائحة عطرية، وكتاب مختارات من الشعر الانجليزى به قصاصات وضعها القارىء او القارئة لتدل على صفحات او فقرات عليها علامات ، وكانت اول مقطوعة من ت . س . اليوت :**

«سوف لا نكف ابدا عن الاستكشاف.
وستكون نهاية كل استكشافاتنا ..
ان نصل الى حيث بدأنا .
ونعرف هذا المكان لاول مرة »

كما كانت هناك ايضا علامة عند هذين البيتين من شعر و . هـ . اودين:

« كل فى فراشه الصغير يحلم بالجزر .
حيث الحب برىء ، بعيدا عن المدن »

ثم من شعر عزرا باوند :

« تعال ، والا سوف ينحسر المد النجمى
الى الشرق، لنتجنب ساعة انحداره
الآن ! ، احس ان ابرة ترتعد فى قلبى)».

ترك الاشياء مكانها ، وعاد الى جلسته واستغرق فى النوم ، وعندما صحا لم يجدها !.

وهنا نجد المؤلف يستغل زاوية الرؤية ببراعة عظمى ، فنحن لا نعرف الا سياق الأمور كما يعرض للبطل الذى هو الراوى ، ولا نستطيع الا أن نحاول أن نتخيل ما كان يحدث على الجانب الآخر ، هناك من اتى لياخذ هذه الاشياء ورآه بالطبع وهو نائم ..

اخيرا يقابل الرجل الغامض الذى يتصور نفسه شيئا فوق البشر ، وهو طبيب نفسى بحكم تعليمه وهوايته ، وتدور محادثات كثيرة منها مثلا :

ـ نعم ، لقد زرت أكوانا اخرى .

ـ زرتها بروحك أم بجسدك ؟.

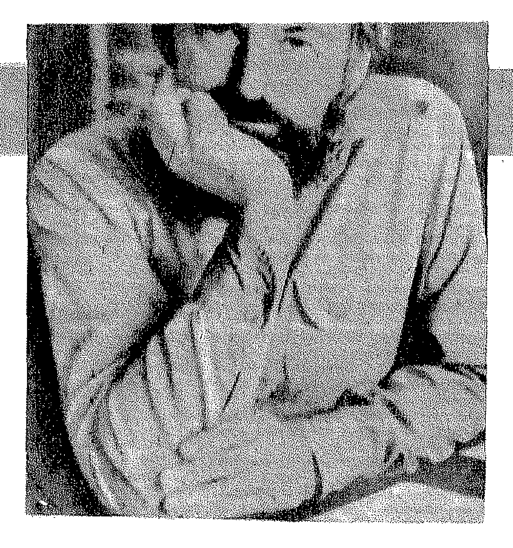
ـ اذا استطعت أن تدلنى اين تنتهى الروح ويبدأ الجسد فعندئذ أجيبك عن هذا السؤال !

ـ متى جئت الى هذا المكان لاول مرة يا مستر كونشيس ؟.

هنا يضع المؤلف على لسان الرجل الذى لا يخطىء اجابة كنا نفضل لها ان تكون مثلا :

ـ سيأتى كل شىء فى حينه !.

ولكنه يقول :



جون فاولز

ـ ايضايقك ان اطلب منك الا توجه لى اية اسئلة ؟.

يبدأ كونشيس حكاياته الطويلة عن ماضيه ، ومنها قصة غرامه بحبيبته التى ماتت وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، ويوحي لضيفه انه استحضر روحها وانها « تعيش » معه الآن ، ويعرفه بها ، ولكن نيكولاس ، والقارىء معه ، لا يصدق شيئا من ذلك ، وهو يصاحب الفتاة مدركا انه برغم كل ما تتظاهر به نحوه،فان هناك «سيناريو» قد وضع له .. وذات يوم تتركه موغلة فى غابة الصنوبر بينما يتجه هو الى البيت ، ويكاد يصعق عندما يراها فى الشرفة ، عندئذ يكتشف ، ونكتشف معه ، ان لها توأما هى نسخة اخرى منها ، وهما «روز» و «ليلى» ..

بين النجوم

وبعد العشاء ، ذات ليلة ، يأتى موقف التنويم المغناطيسى ،وهو من اروع وامتع ما يقرأ : « كنت مدركا لكل شىء تماما .. وكانت النجمة التى طلب منى كونشيس ان اركز ابصارى عليها تبدو كما لو كانت تسبح فى بحرها الصغير فى السماء ، كشمس بيضاء صغيرة ، ثم اعترانى احساس غريب ، احسست اننى لم اعد انظر الى أعلى ، بل الى اسفل ، فى الفضاء ، كما ينظر المرء من فتحة بئر الى القاع .. لم تعد هناك « نفس » واضحة وثابتة ، هناك النجم ، لم يصبح أقرب مما كان فى عزلة كتلك التى يأتى بها منظار مقرب يسبح فى فراغ .. وكان لدى نفس الاحساس، اننى أسبح فى فراغ ، ارقب النجم ويرقبنى ، كنا فى مواجهة احدنا الآخر، بثقل متساو ، اذا كان لنا أن نزن الاحساس أو الادراك ، استمر هذا طويلا ، لا ادرى كم من الوقت ، انا والنجم ، كل منا كيان معلق ، يخلو من كل معنى او احساس بالجمال او القابلية للموت ، او القداسة ، او الجيومترية الفيزيائية، مجرد الاحساس بالموقف » .

يمضى هذا عند تصفحات يرجع لها القارىء عدة مرات .. اعماق هائلة من الخيال وغوص فى أعماق النفس ..

يصحو نيكولاس فى الصباح فيجد نفسه فى سريره فى « بورانى » مرتديا ملابس نومه بينما ملابسه التى اجتاز بها موقف التنويم مطوية وموضوعة جانبا ، ما الذى حدث ؟ هل أمروه أن يصعد لينام وهو تحت تأثير التنويم ؟ أم انهم حملوه الى الطابق السفلى وتولوا هذا بأنفسهم ؟ وهل كانت «روز» بينهم ؟ اسئلة لا نهاية لها لايجد القارىء اجابة شافية عنها . ولكنه يظل يحلم بها .

وفجأة تصل صديقته اليسون ، ولكنه فى غمرة اندفاعه فى التعلق «بروز» يصارحها بانه لم تعد بينهما صلة .. وما هي الا ايام بعد سفرها الا ويأتيه خبر انتحارها بسبب الحب ، على هيئة رسائل من اصدقائهما وقصاصات من الصحف تنشر هذا الخبر .. لا يدرى اذ ذاك ان كل هذا من تدبير الطاغية المتاله ، حتى عندما يتصل تليفونيا بالشركة التى تعمل بها ، فانه يقال له انها ماتت .. وهذه نقطة ضعف فى القصة لم ينكرها المؤلف عندما سألته عنها ، فمن العسير حتى على كونشيس ان يدبر كل شىء الى هذا الحد . ونحن لا نعرف الا قرب النهاية انه حتى اليسون نفسها قد جندوها .

ثم تأتى مرحلة الاختطاف، تستدرجه « ليلى » الى موعد غرامى مع «روز» ومن هناك يختطف الى ظهر اليخت ، ومن هذا الى مؤتمر علمى يشترك فيه الجميع وتحلل فيه نفسيته ويرى شخوصا تمثل آلهة الوثنيين من قدماء المصريين الى اليونانيين والرومان، وأخيرا يطلق سراحه بعد أن فقد عمله بسبب تغيبه عن المدرسة فى مرحلة الاختبارات .

يرجع الى لندن وقد فقد كل شىء ، ولكنه فى طريقه اليها يعرف على الاقل أن « اليسون» لم تمت ، وبطريقة درامية ، شخص يتصل به تليفونيا ويطلب منه أن ينظر من نافذة غرفته فى الفندق ، ويراها وهى تتجه ناحية سيارة !.

يدرك الى أى مدى خدعوه ، ويظل يتتبع خيطا بعد خيط فى لندن الى أن يعثر على امرأة لا تقل غموضا عن كونشيس ، هذه أم التوامين ، وهى تنكر أولا انها تدرى شيئا عن كل هذا فيتركها ويتوقف فى الطريق فى حانة حيث يسمع بالصدفة رجلين يتحادثان ويعرف منهما انها أم التوامين .

نظن أن هذه نقطة ضعف أخرى .. نجد هنا على أية حال موقفا بالغ التشويق ، هذه المرأة عرفته منذ أن رآه ، فهى عضو هام فى هذا التنظيم العالمى !. وهى تقول له عندما يلومها على سلوك ابنتها معه : « لا تعرضنا لمقاييسك ، نحن اذكياء واغنياء وسوف نحيا حياة ذكية وغنية » .. تؤكد له انه سيرى حبيبته القديمة « اليسون »، ولكن ذلك سيكون عندما تقرر هى أن تصفح عنه !.

ويوم يرى « اليسون » فانه يراها فى حديقة « ريجنت » ، مقابلة تشبه الصدفة ولكنها مدبرة بنفس القدر ، تنتهى بنفس الغموض والرغبة فى استكشاف المجهول ، والمؤلف لا يعطينا الا هذين البيتين من قصيدة لاتينية

« الذين لم يحبوا ابدا ، سيجدون الحب غدا ..

أما الذين احبوا ، فسيجدونه أيضا » ..

تعليق ..

منسوب لجون فاولز انه قال : «أى قصة ، مهما كانت مفرطة فى الخيال ، يجب أن تكون ممكنة الحدوث ، فهل هذه القصة ممكنة الحدوث ، وهل لهذا ضرورة حقيقية ؟.

باستثناء قصص « العالم الآخر » ، وغيرها مما ينتسب صراحة الى عالم الخرافة ، من انسخاط البشر الى قردة وكلاب فى الف ليلة وليلة ، أو وطاويط فى تاييس ، الى دراكيولا وفرانكنشتاين والقصص العلمى ــ يمكننا أن نقول حقا ان كل قصة يجب أن تكون ممكنة الحدوث او قابلة للحدوث ، أو ليس فيها ما يستحيل قطعا حدوثه ، وان كانت بكل تأكيد لم تحدث بل ولن تحدث واذا حدثت منها قطعة فانها لا تأتى كلها معا وبهذا الترتيب ، وذلك حتى يمكن أن تكون مقنعة .

هل هذه كذلك ؟ .

سطوة كونشيس هذه ، التى تصل الى حد أن كل شخص يتضح فى النهاية انه كان متآمرا معه أو مؤتمرا بأمره ، حتى مكاتب البريد التى لا تجعل رسائل نيكولاس تصل الى العناوين التى تكتب عليها ، الخطف ؟ وكل هذا لا يصل الى علم الشرطة ، ولا أحد يشكو احدا ..

نحن على جزيرة منعزلة ، والتاريخ ملىء بالمتألهين (والمؤلف يذكر انه كان حائرا بين اسمين لروايته ، وانه كان حائرا بين ان يكون كونشيس رجلا أم امرأة، مستمدا الحل الثانى من اسطورة « كيرك » ــ وهو مولع بالاساطير وامكنه ان يجد للاسطورة موضعا فى الرواية).

نترك الحكم على هذا كله للقارىء ، فالعمل الفنى لا يخضع للقياس العرضى والطولى ، يكفى أن يأتى بالقليل من الكثير الذى تأتى به هذه التحفة الرائعة ..



حديث السّراب

● علي الصياد ●

اعصفي ما أردتِ بين سمائي
واحذريني إذا طغت كبريائي

كل جرحٍ يهونُ عندي وينسى ...
غير جرح الشعور يا سمرائي !

أنت تدرين من أنا ؟ فعجيب
تتناسَيْن عزتي وآبائي !

كم تعاهدتِ أن نصونَ هوانا
ونضحّي لصونِه بالدماء !

فزرعناه طريقه بالأماني
وسقيناهُ بالرضا والوفاء

ورضينا بهِ رباطًا وثيقًا ...
لم تبدِّده ثورةُ الأهواء

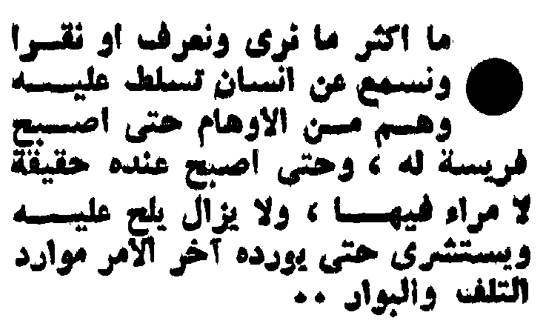
فلماذا نقضتِ يا بعض ذاتي
ما بنيناهُ من عزيز البناء

أنتِ بعضي ، وإنما منه دائي
وكما تعلمين عندي دوائي

فاذا شئت أن تكوني كما أنت
فلن تظفري بغير جفائي

واذا ما جفوت أصبح حبي
كحديث السرابِ للصحراءِ !

الإنسان والوهم بين علم النفس وواقع الحياة



● عزت محمد ابراهيم ●

ما اكثر ما نرى ونعرف او نقرا ونسمع عن انسان تسلط عليه وهم من الاوهام حتى اصبح فريسة له ، وحتى اصبح عنده حقيقة لا مراء فيها ، ولا يزال يلح عليه ويستشرى حتى يورده آخر الامر موارد التلف والبوار ..

ومن ذلك ما نمر به سريعا ، ومنه ما نقف امامه نتامله ونتدبره ، ومما وقفت حياله تلك الوقفة خبر عن فرنسي قتل زوجه واطفاله الستة وامه وابن اخيه ثم انتحر .. وسبب ذلك كله وهم تسلط عليه بان الحرب الذرية على وشك الوقوع !! ..

ومثله ما نشر عن سواه وقد وجد مختبئا فى كهف ، وقد استقر فى دخيلة نفسه أن الحرب العالمية الثانية لم تضع بعد أوزارها ، وانها ما زالت مشتعلة الأوار ، فهو يحتمى فى كهفه من لهيبها ونيرانها ، ولم تفلح معه وسائل الاقناع ، وظل على وهمه الذى سيطر عليه ، وعلى اعتقاده الذى ملك عليه زمام نفسه .

انه وهم من الأوهام يسيطر على الانسان فيدفعه الى نمط معين من السلوك ، وهو فى كل الحالات نمط غير سوى ، على اختلاف وتباين فى النوع والدرجة معا ، وليس للأمر من واقع وحقيقة الا ما هو قائم فى ذهن المريض، والذى لا يزال يلح عليه ويتسلط حتى يصبح عنده واقعا لا سبيل الى الشك فيه ، وحتى يفضى به الى سلوك مدمر لا ياتى من انسان فى عقله ذرة من تفكير ..

ويكون التفسير « المعقول » الذى اقدم عليه الفرنسى — فى المثال الاول — هو الرحمة ، بنفسه واقرب الناس اليه ليجنبهم آثار هذه الحرب المدمرة وما يتبعها من فناء محقق ، أو حياة لا خير فيها .

وهو تفسير معقول فى ظنه وحسبانه فقط ، لان الحرب المظنونة الوقوع هى احتمال على اى حال ، ولان الهرب منها بطريقته التى اختارها واقع مؤلم اودى بحياته وحياة غيره من ذويه ..

وغاية الامر فى تفسير ظاهر هذا العمل وباطنه ان صاحبه قد وقع تحت تاثير مرض نفسى هو الشعور بالوهم ، والوقوع تحت تاثيره ، فاصبح ما يقال عن احتمال وقوع الحرب هو عنده حقيقة لا محل للشك فيها ، واصبح الخلاص من آثارها ضرورة لا محيد عنها .



والمرض النفسي شائع في كل العصور، وان لم يعرف بملامحه وسماته التي نعرفه بها اليوم ، وهو اكثر شيوعا بعد ان عرفنا هذه الملامح وتلك السمات ، وبعد أن كثرت دواعيه ومسبباته في اعقاب المدنية ، وعقابيل الحضارة ..

وهو قديم لأننا نعرف أن الطبيب الفيلسوف « ابن سينا » قد عرضت له حالة من حالات الوهم المسيطر هي حالة انسان لا يفتأ يتصور نفسه بقرة ، ويأبى ويركل او يرفس كل طعام يقدم اليه الا ان يكون مما يقدم للبقر و لحيوان ، ولم يشف من هذه الحالة الا بعد ان امسك « ابن سينا » بسكين كمن يهم بذبح البقرة التي يرى المريض نفسه في صورتها ، فقلبت الحالة الانسانية عنده على حالة « البقرية » الطارئة ، فتاب عن ادعائه وثاب الى رشده وصوابه !.

ويتساوى في المغزى والدلالة أن تكون تلك حقيقة واقعة ، أو أن تكون طرفة نادرة نسبت الى «ابن سينا» وتداولتها الألسن في مجال المسامرات والترويح..

***

ويتصل بهذا الموضوع ملهاة موليير ــ « مريض الوهم » .. وبطلها « أرجان» المشغول بأمراضه التي لا وجود لها والذي يريد أن يرغم ابنته على زواج تأباه وتمجه نفسها، لأن الزوج المنتظر طبيب ، وهذا أوفق لحاله هو ، لا لحال ابنته ، ولأن الابنة الوفية ينبغي أن يسرها الاقتران بمن هو نافع لصحة أبيها !.

وهو حريص على امراضه المتوهمة حرص الصحيح على صحته ، واقصى ما تبلغه خادمه من درجات الوقاحة هو استهانتها بأمراضه وادعاؤها برءه وشفاءه : « لقد بلغت بها الوقاحة حدا راحت تقول لي معه اني لست مريضا» !.

***

ويسمى اصحاب علم النفس، ما مر بنا من مثل هذه الحالات بمرض ال « سيكاثينيا » الذي يكون من أعراضه المخاوف التي لا وجود لها ، والوساوس التي ليس لها ما يبررها في الواقع، وإن تكن في نفس المريض مما لا يجوز فيها جدال ، وهي تبدأ من الأشياء البسيطة التي تتمثل في انسان ينظف يديه بالمطهرات الطبية بعد كل مصافحة لسواه ، حذر العدوى ، واتقاء المرض ... وتنتهي بهذا الوهم الكبير الذي تسلط على ذيالك الفرنسي ، وتختلف النتيجتان في كلا الحالين باختلاف البداية والنهاية .

وقد ذكرت في هذا السياق شيئا عن معرفة « ابن سينا » للعلاج النفسي ولكن الحديث عن النفس واغوارها وأبعادها قديم يرجع الى تاريخ الفلسفة اليونانية حين قال « سقراط » عبارته المشهورة « اعرف نفسك » فانزل الفلسفة من علياء الميتافيزيقا والتجريدات لتبحث في الانسان ونفسه ، ولم يتناول « افلاطون » البحث في النفس الا عرضا أثناء الحديث عن نظرية المعرفة ، وانما يذكر له في هذا الصدد حديثه عن الأمراض العقلية والمعتوهين والذي قيل عنه انه اول ما ذكر عن معاملة هذا النوع من مرضى بني الانسان .. وكان الرواقيون أول من وصل الى لب المشكلة التي تدور عليها اليوم بحوث علم النفس فقالوا بوجود قوة كامنة في

الإنســان والوهــم

أعماق النفس تسيطر على رغباتها ..

واتضحت المسألة النفسية بعد ذلك منذ « افلوطين » فعرف الفــرق بين الشعور واللاشعور . وكان حــديث « افلوطين » هو آخر ما عرف من تناول الفلاسفة للشعور واللاشــعور ، حتى القرن السابع عشر الميلادى حين تناولها الفيلسوف الالمانى « ليبنتز » بشيء من التفصيل : فقال بوجود مدركات عديدة داخل نفوسنا لا ندركهــا بالرغم مــن تاثيرها فى حاضرنا ووصلها ماضــينا بمستقبلنا . واثرت فلسفه «ليبنتز» فى الفكر الاوروبى بعامة والالمانى بخاصة فكتب « عمانويل كانط » عن المدركات التى لا نحسها .

واتخــذ الحــديث عن علم النفس وجهات نظر متعددة حتى كان «سيجموند فرويد » الذى اقام نظرياته فيــه على ما مر به من تراث الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا موضوعه ، وامتاز هــو عليهم بانتقاله من مجال النظر والتامل الفلسفى الى مجال البحث العلمى الذى يقوم على التجربة فى عيادته كطبيب معالج للجسد والنفس معا .

وقد أولى « فرويد » اهتماما كبيرا لما يتراكم فى النفس من الميول والرغبات منذ طفولتها الباكرة ، مكونا ما يــسمى باللاشعور ، غير مهمل فى ذلك شيئا مهما بدا من تفاهته وضآلة شانه ، فكان لكل ما يبدو من مرضاه فى فلتات اللســان او الاحلام والخيالات وزن عنده وقيمة يستخلص من مجمــوعها رايا او يقيم نظرية .

وهــو يعتبر الرغبات الطفولية الاولى الاساس الاول الذى تتكون منه الحــالة النفسية فى مقتبل ايام الفرد ، فحياة الفرد عنده سلسلة متصلة من الشعور والميول والرغبات ، او هى التيار الدائم الذى يكون فيه ما يتفــق مع اعراف وتقاليد المجتمع ، وما يختلف عنهــا ، وتعمل التربية عملها فى تنقية ما ينبــو عنه ذوق المجتمع ، وما لا يتفــق مع تقاليده مما يسميه فرويد «التسامى»، وبذلك يكبت المرء رغباته وميــوله فيطويها النسيان ، ولكنها لا تموت ، وانما تظل باقية داخل النفس ، فاذا كانت طرق « التسامى » المكتسبة عن طريق التربية كافية لاخفائها عن الظاهر تحققت لصاحبها الشخصية الســوية ، والا ظهرت عليه اعراض امراض النفس او امراض العقل .

وتنقسم العملية العقلية عند «فرويد» الى الشعور وماقبل الشعور واللاشعور، وهو يفترض لها داخل النفس صــورة مكانية يشغل كل جزء حيزا منهــا .. فالشعور هو الافكار التى نحسها ونعيها على اختلاف فى درجة وعينا ، وماقبل الشعور يشتمل على التخيل والاحلام واحلام اليقظة .. اما اللاشعور فهو قطب الــرحى ومــدار الاهتمــام فى الدراســات النفســية ، ويشمل القوى المسيطرة على التفكير كما يشمل الميول البدائية والفطرية التى تسربت الى النفس منذ طفولة الانسانية الاولى واطلق « فرويد » على هــذه الطــاقة اسم الـ « هو » ويتميز منــه جانب آخر يؤكد فى الانسان ذاته وكيــانه يسميه الـ « انا » ، ويقف من الـ«هو» موقف الناقد او الكابح من جمــاحه المخفف من غلوائه واندفاعه ، فيسمح له بما يتفق مع العــرف والتقليــد ، ويحول بينه وبين ما يمجه ذوق المجتمع وتاباه اعرافه وتقاليده .

ومن راى « فرويد » سيطرة الميول الجنســية على الجــزء الاعظم من اللاشعور وهو راى قوبل بنقد وانتقاد كان من نتيجته ظهور مدارس جــديدة فى علم النفس تجنبت مزالقه وخففت من غلواء الجنس فى سلوك الانســان ، فلا ترجع اليه كل صغيرة وكبيرة كمــا فعل « فرويد » ومدرسته ، ولا تنسب اليه كل ما يعتور الانسان من انحراف نفسى او يصيبه من بعد عن الاتجــاه القويم .

وكان من ابرز من خرج على « فرويد » واتهمــه بالاغراق فى دواعى الجنس ودوافعه وتفسير كل نشاط انســانى به ـ « الفرد ادلر » و « كارل يونج »

الذى انشأ مذهب السيكولوجية التحليلية ، وشاع عنه تفرقته بين صنفى « المنطوى » و « المنبسط » من الناس تبعا لاختلاف امزجة كل منهما ، وتفسير ذلك عنده أن الطاقة النفسية فى الاول تتجه الى داخله فيميل الى الشرود والتفكير الخيالى ، وتتجه الطاقة النفسية عند الثانى الى خارجه فيميل الى الاختلاط بالناس والاجتماع معهم ، وما يتبع ذلك من مشاعر وجدانية تتميز بها نفسه .. وهو تفسير — كما ترى — بعيد عن شطحات الجنس وعقابيله ..

واضاف « يونج » الى قانون التداعى الحر عند « فرويد » اختبارا فى التداعى المقيد ، فاختار مئة كلمة يقدمها الى الشخص الذى يجرى عليه تجارب التحليل النفسى ، ويطلب اليه النطق باول كلمة تتبعها فى ذهنه كلمة الاختبار أو « الكلمة المثيرة » ، ويستدل من سرعة استجابته لذلك او مقاومته له ، على حالته النفسية من مرض أو صحة ، فان التاخر فى الرد أو العجز عن الاجابة دليل عنده على وجود مقاومة داخلية فى النفس تنم عما بها من عقد اومرض نفسى ..

اما « الفرد ادلر » فقد كان فى بادىء الامر عظيم التقدير « لفرويد » وآرائه فى علم النفس ، فانضم الى جماعته ، كما انضم الى هيئة تحرير مجلته ، ثم استقال من الجماعة حين اختلف مع « فرويد » فى نظريته حول الميول الجنسية ، وقبولها قبولا مطلقا ، وانشا « ادلر » مع سبعة آخرين الجماعة الحرة لتحليل النفس ، ثم كون هو « علم النفس الفردى » .

واهم ما فى مذهب « ادلر » هو انكاره لاغراق « فرويد » فى تفسير السلوك النفسى بالميول الجنسية ، وهو لا يخرج فى ذلك عن « كارل يونج » والمنشقين على جماعة « سيجموند فرويد » .

وخلاصة ما يقال فى أسباب المرض النفسى عامة انها ترجع الى كبت الرغبات والميول — ايا كانت — لتترسب فى اعماق النفس لتصبح قوة هائلة قد تدفع بصاحبها فى بعض الحالات الى التدمير والتخريب ، وتقضى على القوة العاقلة فيه ، فلا يميز بين صالح وطالح ، وخير وشر ..

اما الوساوس والأوهام فيضاف الى ما سبق القول فيها انها قد تكون مصاحبة لبعض الأمراض العضوية كمرض الصرع ، او لبعض الامراض العقلية ، كالاكتئاب والانفصام ، ويكون العلاج هنا بمعالجة المرض الأصلى ، وفى غير هذا يلجأ الاطباء الى العقاقير الكيميائية ، او يكتفون بالتحليل النفسى مع ما يتطلبه من دراسة كاملة لطفولة المريض والمواقف التى تعرض لها فى حياته .

***

ولعلنا نكون قد بعدنا — بعض الشىء — عن موضوع « الوهم » ، وان لم نبعد عن أسباب ودواعى المرض النفسى عامة ، فلنعد اليه فى هذه الطرفة ذات الدلالة التى ذكرها « الجبرتى » فى كتابه « مظهر التقديس فى ذهاب دولة الفرنسيس » حين كان الفرنسيون يفتشون عن أحد المناوئين لهم ، ووجدوا فى داره مكانا فيه أسلحة وأمتعة فنهبوه ، وندع « الجبرتى » يكمل بقية القصة بأسلوبه الممتع — على ما فيه احيانا من ضعف وركاكة : « ونهبت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكروب ، حتى ان بعض جيران المحل كبر عنده الخوف وغلب عليه الوهم فمات نجاة .. رحمه الله » ..

***

تبقى بعد ذلك كلمة يصح ان تقال فى جدوى العلاج النفسى عامة ، هى ان « فرويد » نفسه كان مصابا باشد انواع العوارض النفسية الجسدية التى تؤول فيها اعراض المرض البسيط الى امراض شديدة الوطأة ، عسيرة الاحتمال ، ولم يجد معه علاجه لنفسه ، وظل الى آخر ايام حياته يعيش فى وهمها ووسواسها ..

كوابيس كتبها
الفيلسوف الكبير
برتراند راسل

• نصار عبد الله •

كابوس الـزوج السعيد

السيد « باودلر » ذلك الكاتب المحمـــود السيرة ، مؤلف « شيكســـبير للأسرة » والتي امكن لاشد السيدات الشابات طهرا ان تقرأها دون أن يحمر وجهها خجلا ـ لم يكن في حياته اليومية ليستشعر اى نوع من الشك في مدى فائدة اعماله .. ومع هـذا فلعل صوتا ضئيلا مازال، فيمايبدو، متربصا في مكان ما من اعماق هذا الرجـل الطيب ، صوتا قوامه الهجــاء والسخرية ! ..

كان من عادته في ايام الآحاد أن يقوم بتوزيع اللحم الفاخر على افراد أسرته فيعطي كل واحد نصيبه ويمنع نفسه اى قدر ولو ضئيل منه ، والى جانب اللحم كانت الأسرة تتناول البطاطس المسلوقة والكرنب ثم تتبع هذا بتناول فطيرة من البودنج . ثم يتناول هـو وحده دون بقية افراد الأسرة قـدرا معقولا من الجعة . وما ان تفرغ الاسرة من الوليمة حتى يهب لمزاولة عـادة التجول على الاقدام لفترة قصيرة .

وفي احدى المرات كان الصـقيع والجليد يتساقطان بعنف ، مما جعله يعدل عن نظامه المـألوف ويهجـع في مقعده ليطالع كتابا جيدا ، غـير أن الكتاب الجيد لم يكن مشوقا جدا مما جعله يغرق في النعاس ، واثناء نعاسه داهمه الكابوس التالي .. :

كان العالم كله ـ ولا يزال ـ يعتقـد ان السيد « باودلر » نمـوذج لكل الفضائل، ومع هذا فقد حدث أن توافر لديه سبب يجعله يشك ان كان هـو حقا كما يتصوره جيرانه ، ذلك انه في صباه كتب هجوما قاسيا عـلى ويلكز .. صاحب « ويلكز والحرية » والذى اعتبره ـ دون أن يفتقـد المبررات الكافية ـ انسانا داعرا !

كان «ويلكز» في ذلك الوقت قـد تقدم به العمر ولم يعد قادرا عـلى الانتقام الذى كان من الطبيعي ان يقوم به لو كان في صباه ، لهذا اوصى بمبلغ كبير من المال بعد وفاته الى الشـاب اليافع السيد « سبيفكنز » مقـابل شرط واحد ، هو ان يعمل قـدر المستطاع على جلب مصيبة للسـيد « باودلر » .. .واننا لنأسف اذ نقول ان السيد « سبيفكنز » قد قبل هذه



الوصية اللاأخلاقية بلا تردد . وحتى يتسنى له تنفيذ شروط وصية «ويلكز» قام تحت ستار ادعاء الصداقة بزيارة للسيد « باودلر » حيث وجده فى غاية السعادة وهو ينعم بنعمة الأسرة فى أكمل صورها ... كان قد جعل على كل واحدة من ركبتيه واحدا من أبنائه وهو يؤرجحهما ويقول لهما « امتطيا حصانيكما وامضيا الى تقاطع بانبيورى» فى حين أخذ طفلان آخران يهتفان «جاء الآن دورنا ... يا بابا » ثم حصلا بدورهما على نصيبهما من نشوة الارجوحة. واما زوجته مدام «باودلر» تلك السيدة البدينة الطيبة القلب، لقد راحت تراقب فى ابتسام هذا المنظر البهيج وهى منهمكة فى اعداد الشاى.

استطاع السيد « سبيفكنز » بمالديه من الفطنة البارعة ـ تلك التى جعلت اختيار السيد « ويلكز » يقع عليه ـ أن يدير دفة الحديث الى تلك الموضوعات الأدبية التى يعلم انها أثيرة الى قلب السيد « باودلر »» وأن يناقش المبادىء التى دفعت بهذا السيد المهذب الى ان يجعل من أعمال الرجال العظماء امرا لايليق وضعه بين ايدى النساء حديثات السن ... وهكذا حدث التوافق التام الذى ساد الى أن انتهيا من تناول الشاى ، وتهيأ السيد « سبيفكنز » للانصراف حيث كانت مدام « باودلر» فى تلك اللحظة تبدو من خلال باب المطبخ المفتوح وهى تغسل اطباق الشاى .

ومع تحية الوداع قام السيد ((سبيفكنز)) **بتوجيه الملاحظة التالية :**

لقد تأثرت كثيرا يا عزيزى ((باودلر)) بنبضات حياتكم العائلية ، غير اننى نتيجة للدراسة الدقيقة التى قمت بها لكافة الاجزاء التى عمدتم الى حذفها من أعمال شاعر آفون المفرد ، فاننى اجد نفسى مضطرا لان اخلص بنتيجة مؤداها ان هؤلاء الاطفال الباسمين انما يرجع الفضل فى وجودهم الى ((البارثينوجينيسيس)) (١)

عندئذ صاح السيد ((باودلر)) وقد

(١) البارثينوجينيسيس اى التوالد العذرى مصطلح علمى يعنى التكاثر بدون تلقيح اى بدون اخصاب الذكر للانثى ـ المترجم .

علت وجهه حمرة الغضب الشديد اغرب عن وجهي ! ...

ثم صفق الباب بعنف في وجه السيد « سبيفكنز » ، لكن ، ويا للأسف ، فلقد تسربت هذه الكلمة المرعبة الى مسامع مدام « باودلر » على الرغم من صلصلة اكواب الشاى ! ..

ولم تستطع أن تدرك معناها ، غير انها مادامت لم تعرف ماذا تعني ومادام زوجها قد استنكرها ، فلم يعد لديها شك في انها لابد وأن تكون كلمة رديئة ، وانها ليست من تلك الموضوعات التي يمكن أن تسأل زوجها عنها ، اذ انها لو فعلت لما زاد على أن يقول « يا عزيزتي انها تعني شيئا لا يجوز لأى امرأة فاضلة ان تفكر فيه ! »

وهكذا فان الأمر قد اصبح متوقفا على مجهوداتها الخاصة .. انها تعرف كل شيء عن معنى النصف الثاني من الكلمة وهو « جينيسيس » (٢) اما النصف الأول « بارثينو » فقد ظل معناه غامضا بالنسبة لها ..

وهكذا استجمعت شجاعتها ذات يوم وتسللت الى مكتبة زوجها عندما كان في الخارج واخرجت منها القاموس التقليدي ، وراحت تقرأ كل ما هو مكتوب فيه عن «البارثينون»، ومع هذا فقد ظل معنى هذه الكلمة الغامضة يروغ بعيدا عن متناول ادراكها ، ذلك أن القاموس لم يورد شيئا عن « البارثينون » في الجزء الخاص « بالجينيسيس » . كذلك لم يورد شيئا عن « الجينيسيس » في معرض حديثه عن « البارثينون » ! ..

وكلما زادت مساعيها احباطا تضاعف التوجس والقلق الذي يسببه لها هذا الموضوع .. وبدا الاهمال يدب الى اعمالها المنزلية التي كانت قبلا بالغة الاتقان ، وراحت الافكار تتملكها الى حد انها نسيت ذات يوم من ايام الاربعاء ان تقدم « الجمبري مع الشاى » وهو مالم تغفل عنه قط في اى يوم اربعاء منذ ذلك اليوم السعيد الذي ارتبطت فيه مع السيد « باودلر » برابطة الاتحاد المقدس ...

ثم ازداد الوضع سوءا بحيث شعر السيد « باودلر » في النهاية بضرورة استدعاء طبيب للعلاج . وقد قام الطبيب بطرح اسئلة عديدة ثم طرق جبهة مدام « باودلر » بمطرقة خشبية صغيرة كما جس أورامها ، ثم قام بفصدها ، غير ان هذا كله ذهب هباء..

قال في النهاية — حسنا ... اخشى ان يكون العلاج الوحيد لشكواك يا سيدتي العزيزة هو «الايداكس ديروم» (٣) — (وكان يقصد الزمن على سبيل الحذلقة) — علينا أن نعلق رجاءنا على الزمن ، ذلك الشافي العظيم !

قالت مدام «باودلر»: — اخبرني بالله عليك يا عزيزي الطبيب أين يمكن الحصول على « الايداكس ريروم » ؟

اجابها الطبيب : — في كل مكان .

... كان من بين اعباء زوجها ان يعمد الى قراءة قوائم تلك الكتب التي يرغب في جمعها ، وهكذا قامت باستعراض القوائم التي وجدتها في درج مكتبه بأسماء باعة الكتب حيث توقفت عند اسم وعنوان واحد منهم توسمت فيه من خلال نوعية الموضوعات التي يطرحها على السيد « باودلر » انه هو الذي يمكن ان توجد لديه أعمال ادبية من ذاك الطراز الفظيع الذي ثار اهتمامها حوله ...

وضعت على وجهها حجابا سميكا وغامرت بالذهاب الى مدخل المكتبة ثم سألته في شجاعة : — «سيدي، أريد كتابا لأتثقف في موضوع .. « البارثينوجينيسيس » .

اجابها وهو يتأمل تلك المفاتن التي لم يستطع الحجاب أن يخفيها ؟

(٢) جينيسيس تعني في اللغة الانجليزية التكوين.
(٣) أيداكس ديروم ، عبارة لاتينية تعني الشيء الذي يقضي على كل شيء — المترجم .

ـ « ســـــــــيدتي . . . ان البارثينوجينيسيس هو ما لن تتعلمي عنه شيئا اذا صعدت معي الى الغرفة العليا » .

وعندئذ اصابها هلع شـــــديد ، فانفلتت هاربة ...

لم يعد لديها الآن الا امل واحد ، امل يتعلق بذلك الحل اليائس الذى طالما كانت تشك فى أن لديهـــــا من الشجاعة ما يكفى لتحقيقه ... انهـــا تذكر أن زوجها عندما شرع فى اكمال كتابه « شيكسبير للأسرة » تلك النعمى التى قدمها لكل ربة بيت مهذبة ، قد اضطر ـ بالغا ما بلغ العبء من الألم بلا شك ـ الى قراءة تلك الأعمال غير المهذبة لذلك المؤلف الذى تدعو كتاباته الفاضحة الى الأســف . كانت تعرف انه يقتنى خلف تلك الأبواب المغلقـــة لدولاب الكتب صندوقا به مؤلفـــــات « شيكسبير فى مرحلة ما قبل باودلر » وقد عمد الى وضع خطوط تحت كافة العبارات التى رأى أن من المناســـب حذفها تيسيرا على المختص بالطبـــاعة فى قيامه بمهمته .

قالت لنفسها انه حيث توجد اجزاء كثيرة محذوفة ، فلابد أن تكون كلمة « بارثينوجينيسيس » من بين تلـــك العبارات التى تحتها خط ، وســوف استطيع بغير شـــــك أن أفهم معنى الكلمة من خلال السياق ...

وذات يوم وعندما كان زوجها مدعوا لحضـــور مؤتمر لأصـــحاب المكتبات الفاضـــلة ـ دلفت الى مكتبــــــه ، واســـــتطاعت بعد شيء من البحث والتنقيب أن تجد مفتاح الصندوق فى درج مكتبه فقامت بفتـــــح الأبواب الرهيبة وأخرجت المجلد البالى بمـــا يحويه من معرفة مفزعة ، وراحت تقلب الصفحات الواحدة تلو الأخرى ، غير ان الكلمة المنشودة لم يكن لها اى ذكر فى اى موضع ، فى حين وجدت بدلامنها أشياء كثيرة لم يكن يدور بخلدها ان تبحث عنها ... ارتعبت فى البداية ، ثم شدتها الموضـــــوعات اليها ، ثم أحجمت وقاومت ، ثم استسلمت فى النهاية واندمجت فى القراءة وقد غفلت عن مرور الوقت ! ..

وفجاة انتبهت الى ان الباب مفتوح وان زوجها واقف فى فتحة الباب وهو يتساءل مأخوذا : « أى مجلدا هذا الذى أراه بين يديك يا مارى! .. الا تعرفين ان السم الزعاف يقطر من بين صفحاته، وان عدوى الأفكار الداعرة تقفز مـــن كل حرف فيه الى ذهن الأنثى الغافل! .. هل نسيت أن مهمتي فى الحياة هي حماية ذوى البراءة من مثل هذا التلوث؟ .. هل كتب على أن يحل هذا الفشل الرهيب على فى عقر دارى ؟ ! »

انهمرت دموع الرجل الطيب وهـــو يردد هذه الكلمات ! ..

انهمرت دموعه مفعمة بالخـــزى والاسى ، بل وبالغضب الصارخ كذلك. احست بخطيئتهـــا بغتة ، وتركت المجلد يسقط من يديها ، وانفلتت الى حجرتها ، وانفجرت شهقاتها وزفراتهـــا التى تمزق نياط القلوب ...

لم يكن الى التوبة من سبيل ... فقد قرات كثيرا ، ولم يكن بوسعها ان تنسى كلمة واحدة مما قرات . . . راحت الكلمــــــات المخزية والدعابات البغيضـــــة تدور بصورها المفزعة فى رأسها ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم أصبحت تتسلط عليها تماما ، حتى تحول الأمر فى النهــــاية الى نوع من الجنون الذى لا يمكن السيطرة عليه، مما ادى الى اقتيادها الى مصـــــحة للأمراض العقلية ، حيث راحت وهى فى الطريق تردد على مسامع اللابصوت مرتفع عبارات شيكسبير الفاحشـــة !

وعنـــدما غابت كلماتها الأليمـــة ولم تعد تسمع ، خر السيد « باودلر » على ركبتيه يسال الخالق الاعلى : على أى خطيئة جناها قد نزل به هـــذا العقاب . ولم يكن ـ مثلى او مثلك ـ قادرا على ان يجد الجواب ! ●

قصـــــة

"الطابور"

● سعد رضوان ●

● وصلت اخيرا وانا الهث ،ووضعت حقيبتي على الارض ، ثم نظرت الى ساعتي فوجدتها العاشرة صباحا ، واطمان قلبي ، فما زال امامي ساعتان ....

ونظرت الى الشبابيك المفتوحة طاقاتها ، كانت كثيرة ولكن اغلبها كان خاليا من الناس ، الا الشباك الاول ، فقد كان امامه طابور طويل ، بل طابوران ، احدهما رجالي والاخر نسائي . ويحرس الطابورين اثنان من رجال الشرطة لمنع التزاحم ...

وحملت حقيبتي ، وتقدمت بمحاذاة طابور الرجال، وسرت جهة الشباك ، ومنعني الشرطي من التقدم قائلا :

ـ خذ دورك في الصف !

فقلت : « فقط اريد أن أسأل هل تباع هنا..»

ولم يدعني أكمل سؤالي ، بل قال :

ـ اذهب الى أي شباك يعجبك .. كل الشبابيك واحدة !

وطبعا حاولت أن افهمه انني أريد ان اسال فقط ، ولكن اصوات مشادة قرب الشباك جعلته يكرر امره لي بأن آخذ دوري في الطابور والا اعصله ... ثم تركني واسرع ليفض الشجار ، وتقدمت خلفه ...

كان احدهم قد مرق والشرطي يتحدث الي ، واخرج نقودا يعطيها لرجل يقف في الطابور ليحجز له معه ، ولكن الرجل امتنع ، فصرخ فيه طالب الخدمة :

ـ الا توجد انسانية ؟!

وصرخ رجل من الطابور :

ـ خذ مكانك يارجل .. نقف ساعات في الطابور، وتحضر حضرتك لنخدمك وتاخذ دورنا !.. هل أنت على راسك ريشة تؤهلك لان تسبقنا !.

فزعق به طالب الخدمة :

ـ وما دخلك أنت ؟ .. هل طلبت منك شيئا !.

وبينما الشجار مستعر ، تقدمت أنا اسال احد الواقفين بالطابور : « هل تباع هنا ... »

ولكنه قاطعني : « آسف ! »

ـ آسف على ماذا ؟ أنا اسالك ! ...

ـ قلت لك آسف .. ألا ترى المشاجرة الدائرة هنا !

ووجدت نفسي أدفع الى الخلف فالتفت .. كان الشرطي يقول لي وهو يبعدني :

ـ ألم أقل لك ان تاخذ مكانك في الصف ؟!

وصرخت : احترس .. ستوقع حقيبتي .. « فقد كادت حقيبتي الثقيلة تقع من يدي ، وأوشكت ان أقع فوقها » .

وصرخ رجل من الخلف :

ـ ما الذي حدث بالطابور ! .. لا تدخل أحدا الى الصف ياسيد ! ..

وابتعدت قليلا الى حيث استطعت أن أضع حقيبتي فوق الارض ، ثم أقف أسترد أنفاسي ، وأنا أفكر : متي ينتهي هذا الزحام والتزاحم ...

ثم تنهدت ، واتجهت الى آخر الصف .. وسالت الرجل الذي يقف في نهايته فكان رده :

ـ قف خلفي ..

ـ انا اسالك هل ....

فقاطعني : « لا اعرف .. قف في الصف كما اقف، وانتظر دورك ! »

وفتحت فمي ، ثم اغلقته ، وفوضت امري الى الله، ووقفت وراسي يدور .. ماذا افعل ؟ .. ومن اسال؟ ولا احد يجيب .. ما الذي أصاب هؤلاء الناس ؟!.. لا يهم .. سأقف في الطابور ، فان في الوقت متسعا على كل حال ...

وكانت ذراعي التي تحمل الحقيبة قد اصابها التعب ، واردت ان اضعها فوق الارض ،ولكني خفت فلي مثل هذه الاماكن المزدحمة ، من أدرالي ان احدا لن يسرق الحقيبة ، او حتي ياخذها بطريق الخطا ، كما سمعت انه حدث لغيري ...

ولكن ذراعي لم تتحمل الحقيبة فوضعتها بين قدمي .

ووصل احدهم يسالني : « هل هنا .. »

ولكني لم أدعه يكمل كلامه بل قلت له :

ـ قف بالصف ! ...



فقال : « انى أسالك ••• »

فقاطعته بغيظ : « أنا أعرف انك تسالنى ، ولكن ••• قف بالصف كما أقف وانتظر دورك ! »

ورمقنى الرجل بنظرة قاتلة ، وتمتم بما لا شك انه شتائم لم أفهمها ، وابتعد ••• والتفت خلفه ، ياعبر ! •• لقد طال الصف خلفى حتى لم أعد أرى نهايته ! • •متى ، ومن أين أتى هؤلاء الناس ••

وفوجئت بالرجل الذى خلفى يدفعنى قائلا : « تقدم يارجل •• لاتدع فسحة فى الطابور حتى لا يندس فيها أحد •• »

ونظرت أمامى •• كان الصف قد تقدم قليلا ، فتقدمت أنا أيضا •••

كان الوقت يجرى ، والطابور يصغر أمامى ، ويطول خلفى ! ••

ومن الامام ، ومن الخلف ، تسمع أصوات المشادات التى تهب ثم تسكت •• وصوت رجل يصرخ بان هذه محسوبية ، وان عامل الشباك يحابى النساء على الرجال ويأخذ النقود منهن تاركا الرجال يقفون •••

وتسرى فى الصف همهمات واحتجاجات بعضها بصوت عال ، وبعضها بصوت غير مسموع ، والكل يجمع على انه يجب تطبيق العدالة فى الطابورين : مرة رجلا ، ومرة امرأة •

وتدخل الشرطى ، وصرخ فى الطابور انه لا محاباة هناك ، والموضوع ان عامل الشباك أخذ من المرأة الثانية لان معها نقودا صغيرة ، بينما الرجل الذى جاء دوره ليس معه غير نقود كبيرة ، وليس لدى عامل الشباك الباقى ليعطيه له •••

ويصرخ أحدهم بان من ليس لديه نقود صغيرة عليه ان يترك الصف ليأتى بالمبلغ المطلوب منه بالضبط حتى لا يعطل الناس •

وتكلم الرجل الذى أمامى ، متعجبا من هؤلاء الرجال الذين يتركون نساءهم تقف فى الصف بدلا منهم ، وطالب بالغاء طابور النساء •••

وصرخت فيه امرأة عجوز من صف النساء :

ـ تكلم عن نفسك فقط ، بدلا من ان تلوم امرأة وحيدة أو كبيرة فى السن تقف متألمة فى الصف ••

وسكت الرجل ، وبرطم ••• ثم اخرج علبة سجائره ، واشعل واحدة منها ، واستنشق نفسا ثم زفر دخانا وصل الى أنفى وحلقى فاصابنى سعال انتشر فى أماكن كثيرة من الصف، وصرخت بالرجل:

ـ أطفىء هذه السيجارة يا رجل •• ألا تحس بالاختناق فى هذا الزحام !؟

ورمقنى الرجل بنظرة قاتلة ، ثم استنشق نفسا آخر من سيجارته قبل أن يطفئها ••

واخيرا وصلت الى الشباك ، فوضعت النقود وقلت للعامل :

ـ تذكرة بقطار الساعة الثانية عشرة للاسكندرية•

ونظر الى الرجل ، وقال ببرود :

ـ قطار الثانية عشرة رحل من مدة ••• الساعة الواحدة الان ياسيد ! خذ نقودك وافسح مكانا لغيرك ••

ـ ماذا تقول !؟ •• انى أقف بالصف منذ الساعة العاشرة !

ـ ليس هذا شانى ••• هناك عشرة شبابيك مفتوحة ••• الجميع لا يقفون الا على هذا الشباك لانه اول شباك يقابلهم •••

ـ وكيف أعلم ان هناك عشرة شبابيك ؟

ـ ياسيد لاتعطلنى •••

ودفعنى الرجل الذى خلفى ، فالتفت اتشاجر معه • وبقدرة قادر وجدتنى أنا والرجل الذى خلفى قد جذبنا الشرطى خارج الصف •••

ووقفت حائرا ، انظر للصف الطويل و ••• نعم الشبابيك الاخرى خالية ومكتوب فوق كل الشبابيك : « تذاكر لجميع المحطات • »

ومن أحد الشبابيك الخالية اخذت تذكرة لقطار الساعة الثانية الذى اركبه الان وانا اضحك من نفسى ، بينما الرجل الجالس امامى يرمقنى وهو لا شك يتعجب من هذا السفيه الذى يضاحك نفسه ••••

لننظر ماذا يفعلون لإنشاء

باريس سنة ٢٠٠٠

قبل أن نبدأ بتنفيذ مشروعات

القاهرة الكبرى

القاهرة ، وكل عواصم الدنيا الكبرى تختنق بتزايد اعداد السكان وتدفق الحركة التجارية والمالية وتغير كل اساليب العمل نتيجة للمكتشفات الحديثة مثل التليفون الالكتروني والتليكس ومنشآت محطات الطيران فى وسط المدن بالاضافة الى تزايد اعداد السيارات ، فلننظر ماذا يعملون هناك لكى نفيد من تجاربهم ونسير على نور نحو قاهرة سنة ٢٠٠٠ .

تمثال الحرية أصبح سجيناً



كان هذا النموذج المصغر لتمثال الحرية يقوم فى حديقة جميلة فى حى المسيتى فى جزيرة فرنسا « ايل دى فرانس » وهى قلب باريس ، وكان التمثال يتالق جمالا هناك ، ثم جاءوا فانشاوا خلفه تلك العمارة الضخمة التى تشبه سجنا هائلا من الحديد والاسمنت المسلح والزجاج ، فاصبح تمثال الحرية سجينا او اسيرا وضاع جماله، هذانموذج من التجديد المفسد الذى يقضى على كل جمال ويضيع بهجة الحياة ويضع الناس فى النهاية فى غرف منيعة مقبضة كل ما فيها صناعى حتى الهواء لا ياتى الامن جهاز التكييف .

باريس الكبرى

كل عواصم العالم الكبرى تعانى ازمات تطور وتوسع ٠ لأن النشـاط التجارى والمالى والصـناعى فى العالم كله فى تزايد مسـتمر ، والناس كذلـك يتزايدون بشكل رهيب ، ثم ان مطالب النـاس تتزايد وتتعدد ، وعلى العواصم أن تحمل عبء ذلك كله وتساير الزمن وتتحمـل تبعاته ٠

ولكن العواصم فى غير العالم العربى لا تعانى الا جانبا يسيرا مما تعـانيه عواصمنا العربية وخاصة القاهرة ٠

لان أهل العواصـم الغربية عنـدهم احساس بمدينتهم وعطف عليها ومحبة، وعندهم الوعى الكافى للمحافظة عليها وخدمتها ، أما نحن فنسىء اسـتعمال عواصـمنا ، ونتصرف فيهـا وكانهـا لا تعنينا ٠

فالقاهرة مثلا وهى من أشـهر مدن الدنيا وأولاها بالعناية والمحافظة يقتلها أهلها ، فقد قضوا على كل حدائقها تقريبا وكل شوارعها الجميلة تحولت الى أزقة لأن الشـوارع ملأى بالتجار الطفيليين الذين يقيم الواحد منهـم تجـارة فى « كشك » على الرصيف أو فى صندوق معلق على الحائط أو يحتـل الرصيف كله بصحفه ومجلاته ، وفى الاحيـاء البلدية يزدحم الطريق بتجار العربات: هذا يبيـع خضارا وذاك فاكهة وثالث يبيع البطاطا ويشويها فى الطريق ورابع يشـوى الذرة ويرمى بالورق الاخضر الذى يغطى الكيزان فى الشـارع ، والذين يشترون منه يرمون القوالح فى الطريق ٠

واسوا ما فى الموضـوع أن سلطات البلد تسمح لرجل ان ينشىء كشكا فى وسـط الرصيف لكى يدفع ايجـارا يظنون انه يزيد حصيلتهم ، ويصرحون للناس بالبناء فى كل متر يمكن البنـاء فيه ، حتى اصبحنا نسير وسـط أكوام الرمال والطوب وحديد التسليح ، وكل ذلك يسـمونه تعميرا وهو فى الحقيقة تخريب ٠

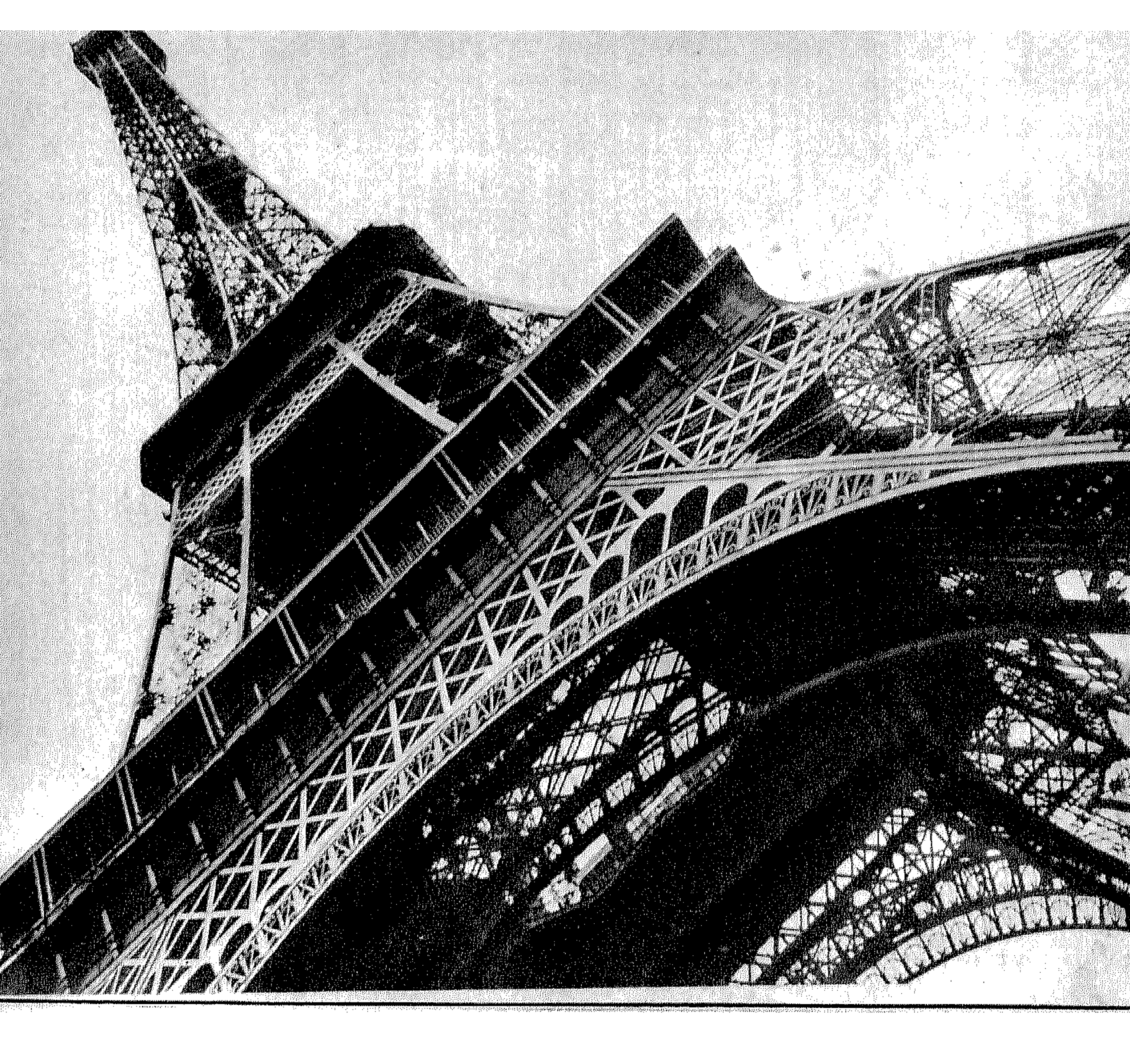
وسنتحدث فى مقال قادم عن القاهرة وجمالها الذى لا نحرص عليه ومتاعبها ، وسنعرض للجرائم التى نرتكبها فى حق ذلك البلد العظيم ، وسنحاول أن نتقدم ببعض الاقتراحات لحل أزمة القاهرة ، أو لانقاذها بتعبير أصح ، أما فى مقالنا هذا فسنتحدث عما يصنعونه فى فرنسا لانقـاذ عاصمتهم الجميلة باريس من التشويه مع السير مع حركة التعمير والنمو والانشاء فى خطوط محسـوبة مرسومة ٠

هنا فى بلادنا لا نبـالى بان نحطم مدننا لكى نوسـع مكانا للافراد ، فاذا اراد رجل أن يبنى عمارة من ثلاثين دورا امام مسجد السيدة زينب رحبنا بالمشروع لأنه يحل أزمة الاسكان فى ظننا ، مع ان هذه المبانى تزيد الازمة ، لأن الغالب أن السكان الذين يحتلون شـقق المبانى الجديدة كان من الممكن ان ينتقلـوا من القاهرة الى مدن جديدة بعيدة ، ثم انهم فى الغالب يحتفظون بشققهم القـديمة لرخص ايجارها ٠٠ ومعنى ذلك اننـا نشوه ميدان السيدة زينب ونقتل ميدانا كان من الممكن ان يكون زينة للقاهـرة لكى نحل ازمة اسكان لبضـع عشرات من الناس ٠

تعال اذن ننظر ماذا يعملـون لحل أزمة التوسـع فى باريس ، وهى دون نزاع أجمل مدن الدنيا ، واذا أردنا أن نتعلم أو نقتبس فلنتعلم ولنقتبس من الاجمل والاحسن ٠

باريس الجميلة هـذه من تخطيط مهندس عبقرى يسمى البارون اوسمان، الذى أطلقوا اسمه على شارع من أجمل شوارع باريس وأوسعها ٠٠

انه هو الذى اخترع فكرة البوليفار ، والبوليفار هو الشارع الواسـع الذى يتراوح اتساعه من ٨٠ مترا الى ١٥٠ ، وتقسم مساحة الشارع الواسـعة الى ممرات مقسمة بخطوط من الاشـجار والارصـفة والحـدائق الممتدة بطـول الشارع ٠

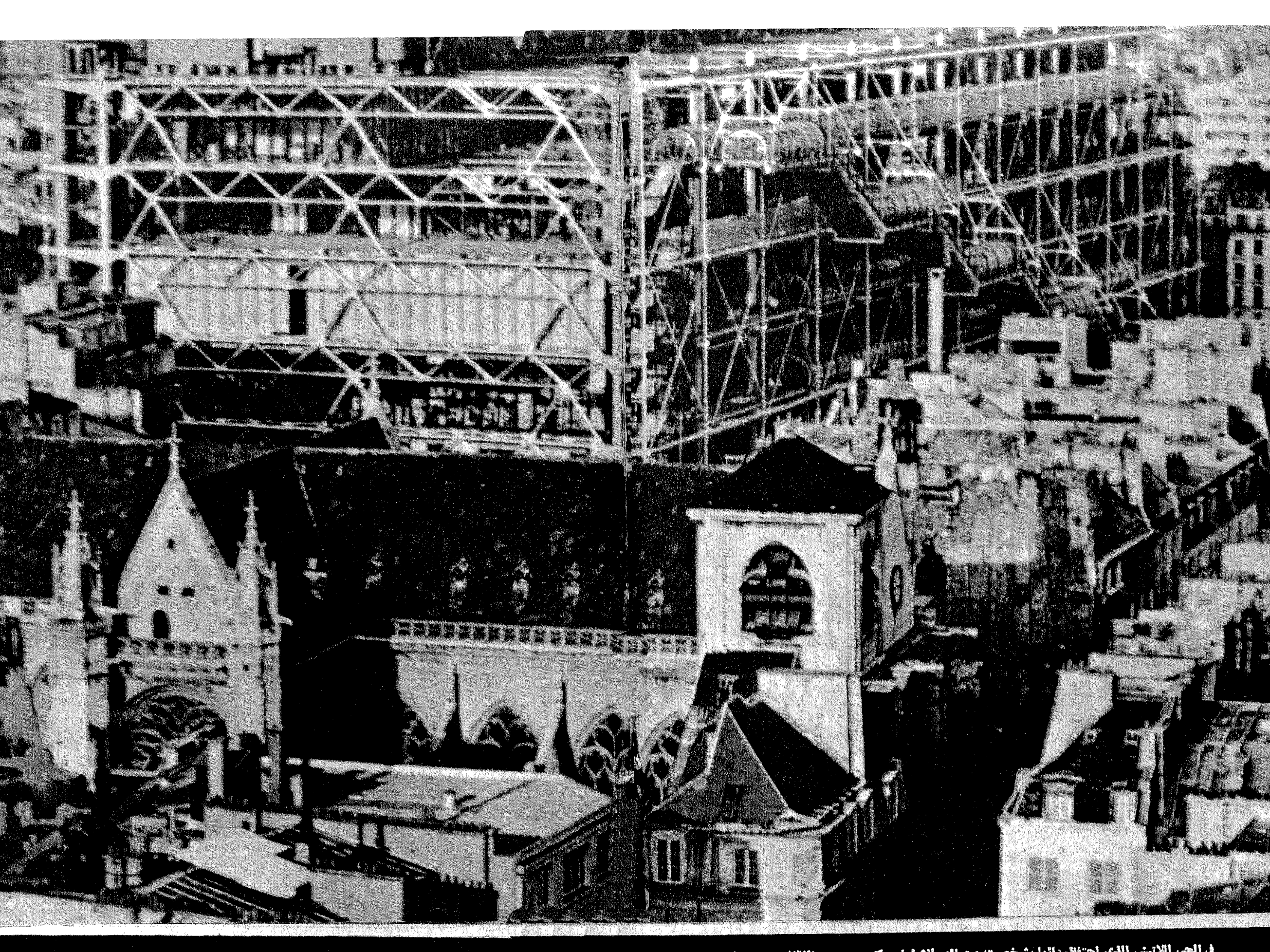


صورة طريفة اخذت لبرج ايفل فى باريس . ان هذا البرج اشهر رمز على مدينة فى الدنيا لانه صنع بذوق يتفق مع تقاليد الفن الفرنسى، ومستوى العلم الهندسى فى فرنسا فى منتصف القرن الماضى .. ومع ذلك فان صورة هذا البرج جديدة دائما ، لانها اصيلة .

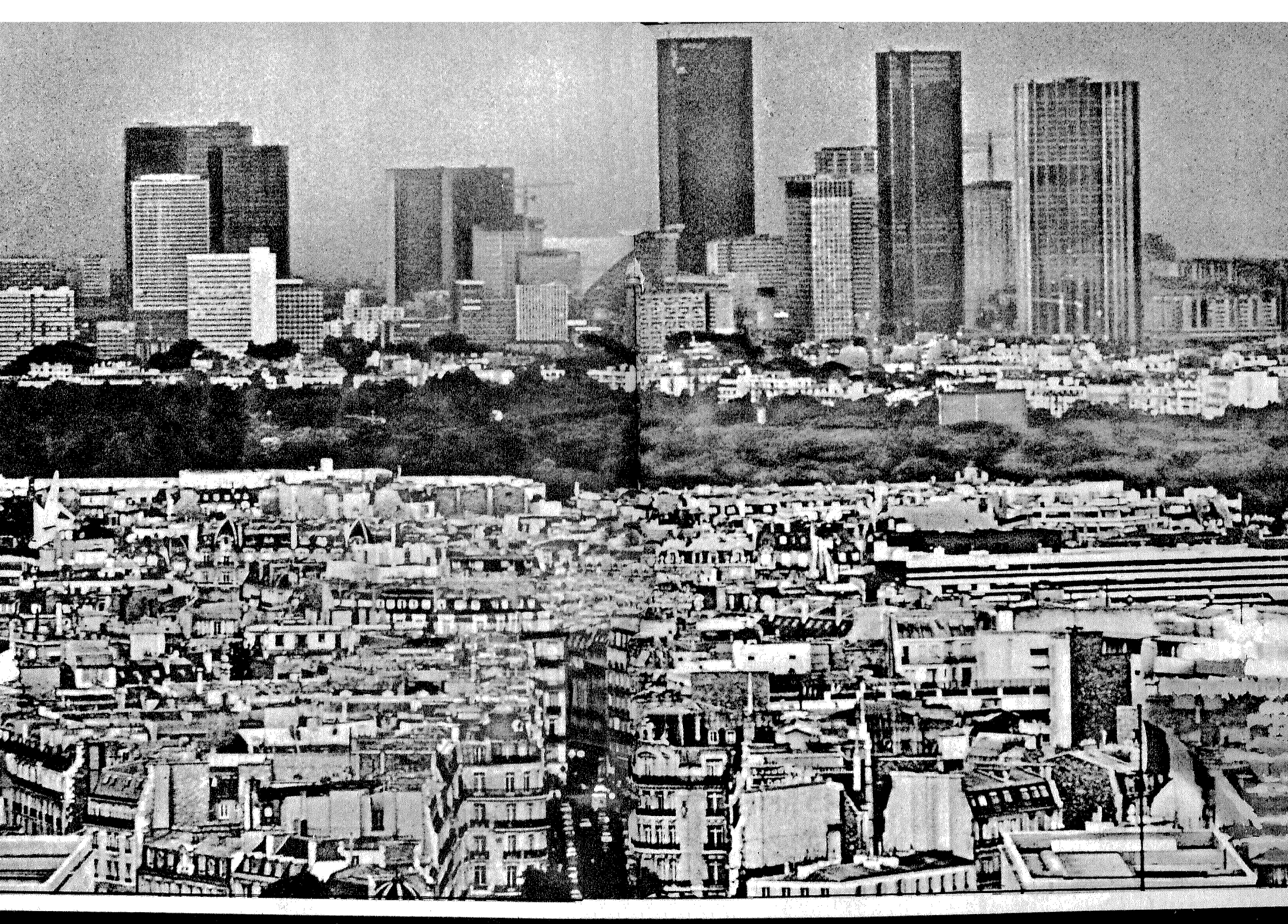
وعندما شرع أوسمان يعمل تؤيده بلدية باريس وحكومة فرنسا ، رسم خريطة باريس الجديدة ثم أخذ يشق البوليفارات فى وسط المساكن بعد اجلاء سكانها وتعويضهم العوض المجزى لأن النظرية الرئيسية التى قام عليها تخطيطه أن العاصمة ينبغي أن تؤدى غرضين لا ثالث لهما : أن تكون مركزا للاعمال والمال والثانى أن تكون « صالونا » لفرنسا كلها ، فكما أننا نخصص للصالون أو بهو الاستقبال أجمل غرف البيت ونضع فيه أجمل الاثاث فكذلك ينبغي أن تكون باريس صالون أوروبا كلها : كل شارع وكل بوليفار ينبغي أن يكون له طابعه وشكله وكل مبنى ينبغي أن يكون زينة للبلد كما أن كل قطعة أثاث فى الصالون زينة للبيت وأهله .

والقاعدة الاساسية تقول : باريس أولا ثم أهل باريس ثانيا .

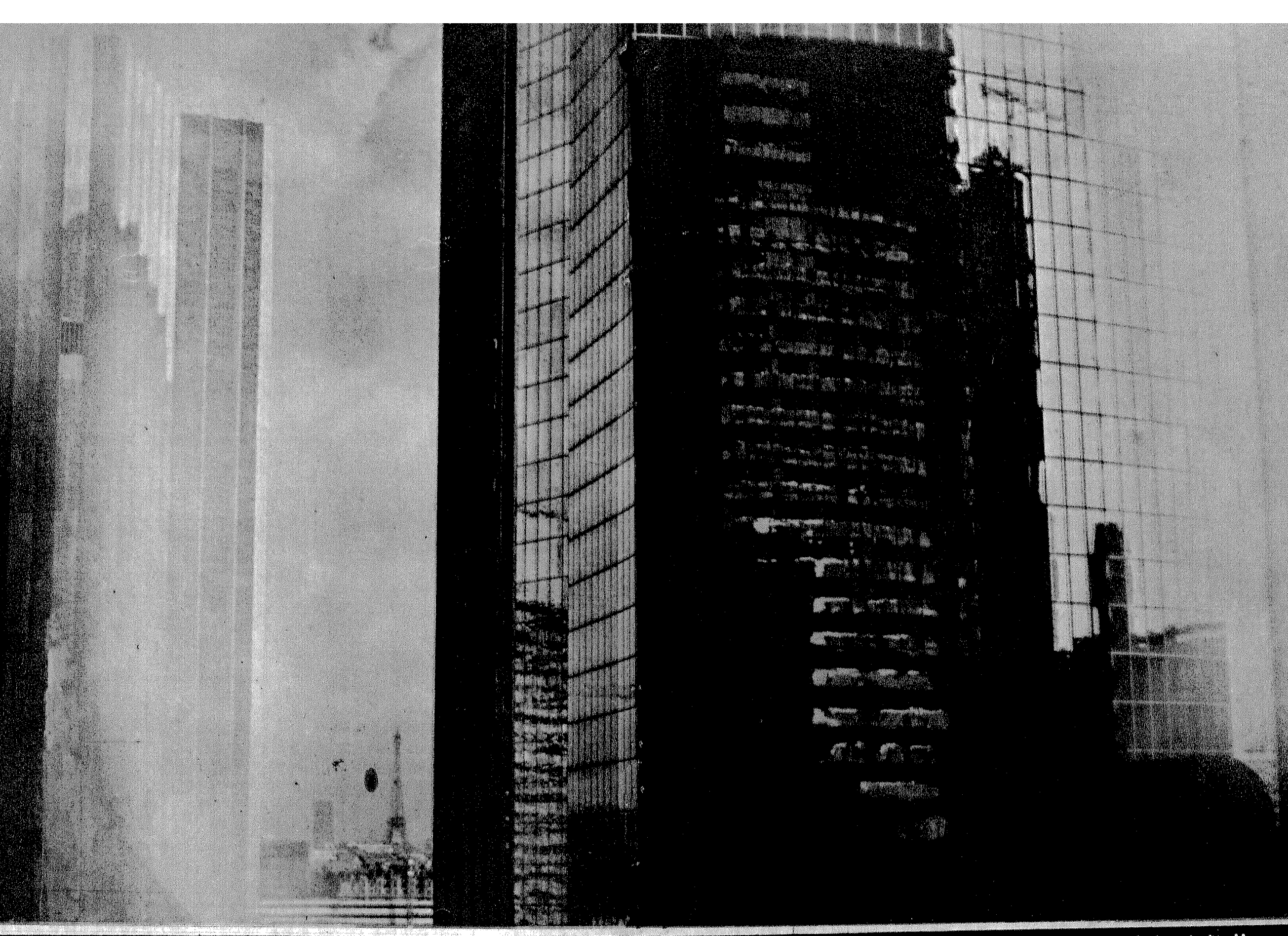
أما نحن فنقول : الناس اولا . وهذا له وجه من الحق ، ولكن ليس فى العاصمة . ليس فى الصالون ومركز الاعمال . ومن خطل الرأى ان ننقل سكان حى الترجمان الى مدينة نصر ، لان الذى سيحدث انهم سينزلون الى القاهرة كل يوم من مدينة نصر ، فكاننا



فى الحى اللاتينى الذى احتفظ دائما بشخصيته وجماله انشاوا مركز بومبيدو الثقافى . بنـــاء رهيب من الحديد ، والزجاج والالومنيوم شوه منظر الحى كله ومع ذلك فان فائدته الثقافيـــة قليلة ، لان الثقافة والفن لا يزدهران فى بيوت الحديد والزجاج والالومنيوم والنحـــاس ، ان المتاحف والمكتبات وقاعات العروض الفنيــة فى حاجة الى شىء آخر يختلف تماما عن هـــذا المبنى الذى انشاوه . لذلك اصدر رئيس فرنسا فاليرى جيســكار ديستان امرا بايقــاف عمليات افساد باريس وتقرر ان تكون كل المنشآت الحديثة خارج باريس فى مدينة قائمة بذاتها سموها باريس.



هذا منظر باريس القديمة فى مقدمة الصورة بشوارعها ومبانيها الجميلة المعروفة ، وبعيدا ترى باريس الجديدة او باريس ٢ بعمائرها السامقة وشوارعها الواسعة وحدائقها . هكذا يظل للقديم جماله وشخصيته ويتوسع الجديد ما شاء له التوسع . هكذا نرجو ان نعمل فى القاهرة : لا نشوه المدينة القديمة بالعمائر السامقة التى تذهب بجمال المساجد ومآذنها مثلا ، ولكن ننقل زيادة السكان والانشاءات الجديدة كلها على مسافة بعيدة عن القاهرة ؛ وتكون المدينة الجديدة مستقلة بذاتها وكل مرافقها ومطالب سكانها كما فعل البارون امبان عندما انشا مصر الجديدة منذ اكثر من نصف قرن. الا يوجد بين من يخططون اليوم لما يسمونه القاهرة الكبرى رجل واحد يفكر بعقلية البارون اوسمان او البارون امبان !.



هذا منظر احدى العمائر الحديثة التى انشاوها فى باريس فشوهوا بها جمال مدينة الجمال والنور. هذه العمائر الضخمة من الاسمنت والزجاج والالومنيوم تقتل النفس الانسانية وتصيبها بالانقباض، وتشوه منظر المدن ولا تحل مشاكل الاسكان ، لان العمائر الضخمة تحتاج الى ادارات فنية ومصاعد ومحركات لرفع المياه ، ثم ان الاعطال فيها كثيرة ولا يخلو يوم من الحاجة الى الاصلاح . لهذا كله يفقد الانسان فيها انسانيته وتفقد المدن جمالها وبهجتها .

لم نخفف عن العاصمة بل زدنا ازمة المواصلات فيها تعقيدا ٠

البارون أوسمان شق البوليفارات ورسم هيئة الميادين وزينها ،واليه يرجع الفضل فى ميدان مثل الكونكورد اتساعه عشرة أفدنة معظمها حدائق ، وهو الذى انشأ بوليفار الشانزليزيه وميدان الاتوال ومجموعة البوليفارات والشوارع البديعة التى تصب فيه ٠٠

لو أردنا انقاذ القاهرة لكان علينا أن نعد أولا على ٢٠٠ كيلو متر منها وفى وسط الصحراء مساحة لمدينة جديدة ننقل اليها من سنخلى القاهرة منهم : مدينة جديدة كاملة فيها كل مطالب الحياة ، ثم ننقل اليها الناس بأسرهم واقاربهم بل اصدقائهم ، وهناك يمارسون حرفهم ، واعمالهم : النجار نجار والطبيب طبيب وموظف الحكومة موظف حكومة ، ثم نهدم كل حى بولاق ومعروف ، وهناك على شاطىء النيل ننشىء « السيتى » أى مدينة الاعمال والصالون ٠٠ نرسم كل شىء مقدما قبل البناء : نعرف اتساع الشوارع وارتفاعات البيوت واشكالها ومواضع الحدائق والاشجار ، بل قد ننشىء خطا للمترو من أول « السيتى » الى آخرها مع خطوط جانبية حتى لا نفاجأ بعد خمسين سنة بأن مدينتنا الجديدة تختنق بمئات السيارات وخطوط الاوتوبيس ٠

هذا ما فكر فيه ونفذه البارون اوسمان واخوه عندما شرعا فى انشاء باريس التى نراها الآن ـ فى منتصف القرن الماضى ٠٠

وبعد مائة سنة ، اى بعد الحرب العالمية الثانية بدأت باريس تعانى ازمة ضغط السكان ، وظهرت الحاجة لانشاء مبان لادارات الشركات ،فأخذوا ينشئون ناطحات سحاب من الحديد والالومنيوم والزجاج وهدموا احياء قديمة تماما مثل حى جوسيو وانشأوا عمائر جديدة ٠٠

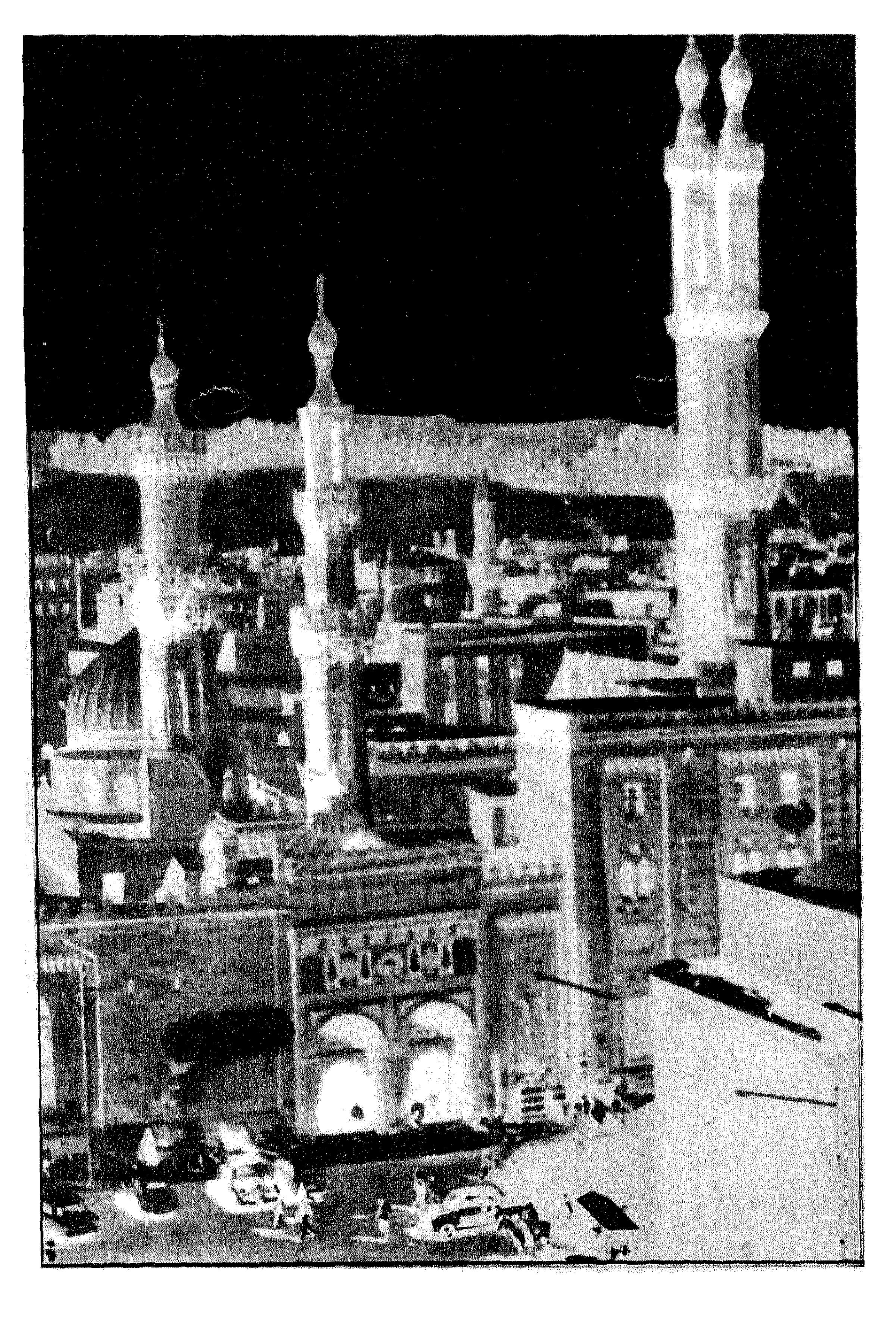
ثم حدث ، من عشر سنوات ، أن انشأوا فى قلب باريس مبنى هائلا من الحديد والاسمنت المسلح والالومنيوم سموه مركز بومبيدو الثقافى ، وبعد أن فرغوا منه تبينوا أنهم ارتكبوا جريمة فى حق باريس ، فقد افسدوا الضفة اليسرى ـ لا ريف جوش ـ من مدينتهم الجميلة ، فتقدم الرئيس ديستان بمشروع تخطيط باريس الكبرى بعيدا عن باريس التقليدية ٠٠ على بعد ٢٠ كيلو مترا أخذوا ينشئون « السيتى » الجديدة بعمائرها السامقة وبوليفاراتها الفسيحة وحدائقها الغناء ٠

وعندما قرروا نقل سوق الخضروات الشهير فى وسط باريس القديمة ، بدأوا بانشاء السوق الجديد خارج باريس ، بنوه على أحدث الطرق : كل المخازن لها ثلاجاتها الضخمة تحت الارض ، انشأوا دورين تحت الارض للمخازن ، وتحت الدورين دورين آخرين للمرافق ، ثم مدوا تحت ذلك كله خط المترو ٠

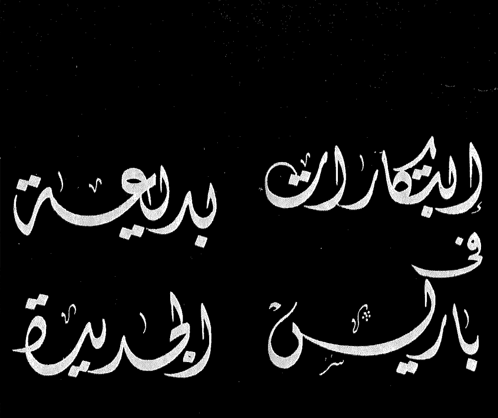
ثم هدموا السوق القديم ٠

وانشأوا محله حيا جديدا مزدانا بالحدائق والمنتزهات والمحلات الجديدة الانيقة ٠

هذا ايضا ينبغى ان نفعله : بدل سوق الخضر الرهيب فى روض الفرج حيث يخاف الانسان أن يتمشى بالليل أو بالنهار لابد من انشاء سوق خضر جديد لا فى شبرا ولا فى وراق الحضر ، بل لابد أن نسير غربا مسافة عشرين كيلو مترا فى الصحراء ونضع خطة السوق الجديد هناك ، وقبل أن ننشئه ننشىء الشارع الواسع الذى سيؤدى الى السوق ، ويستحسن أن نشق نفقا تحت الارض حتى لا يأخذ الشارع مساحة مزروعة نحن فى حاجة اليها ، وينبغى من الآن أن يتغير نوع تاجر الخضر بالجملة وطريقته فى العمل لأنه من العيب أن يظل تموين القاهرة كله فى يد جماعات تفكر بعقلية العصور الوسطى وتدير الاعمال على مقاعد مقاه بلدية سخيفة وتتخذ القرارات وهى تدخن النارجيله ، من العسير جدا أن

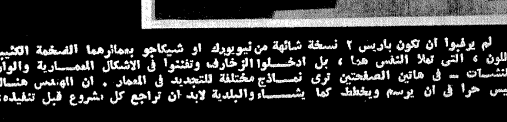


الجامع الازهر ، منارة العلم الخالدة ، المسجد نفسه لا يتميز بجمال فني كبير بسبب كثرة من تعاقبوا على بنائه والاضافة اليه ، ولكنه رمز من رموز القاهرة التقليدية .



ابتكارات بديعة في باريس الجديدة



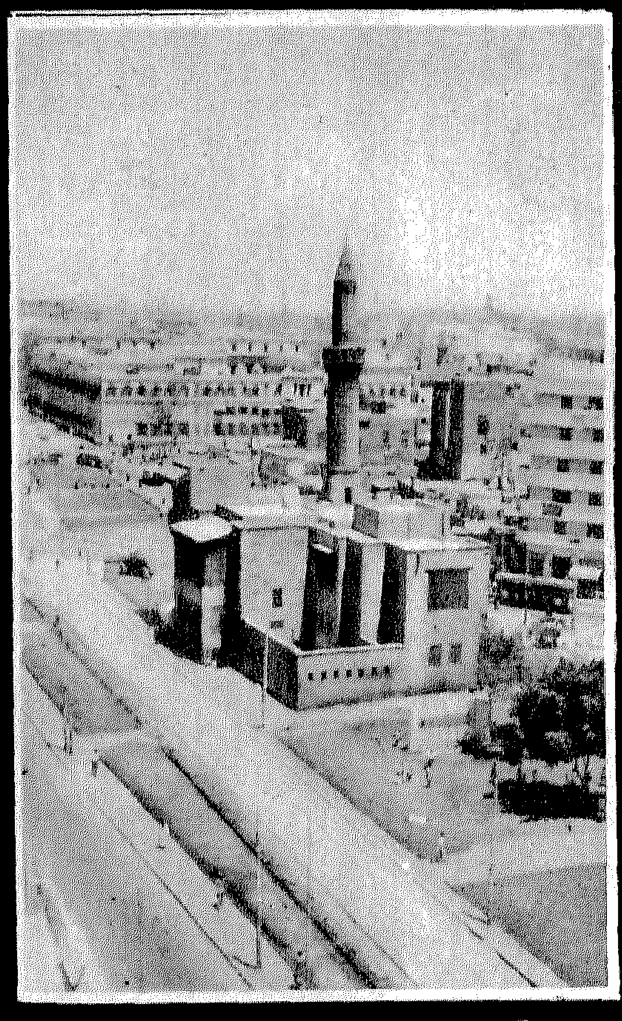


لم يرغبوا ان تكون باريس ٢ نسخة شائهة من نيويورك او شيكاجو بعمائرهما الضخمة الكئيبة اللون ، التى تملأ النفس هماً ، بل ادخلوا الزخارف وتفننوا فى الاشكال المعمارية والوان المنشآت ــ فى هاتين الصفحتين ترى نماذج مختلفة للتجديد فى المعمار . ان المهندس هناك ليس حراً فى ان يرسم ويخطط كما يشاء والبلدية لابد ان تراجع كل مشروع قبل تنفيذه، لان باريس سنة ٢٠٠٠ ينبغى ان تظل باريس مهما كان الامر ، مدينة الفن والجمال ، ترى هل نفكر نحن بهذا الاسلوب الهادىء الهادف الفياض بالابتكار او اننا نعمل على بناء ابراج حمام ندس الناس فيها دساً لكى يختنقوا ولفسد المبانى فى اقل وقت . لقد تحدثنا مع بعض من يضعون رسوم ما يسمونه بالقاهرة الكبرى فوجدنا ان كل غرضهم ان يحلوا مشكلة الاسكان باى شكل ولو كدسوا الناس بعضهم فوق بعض .





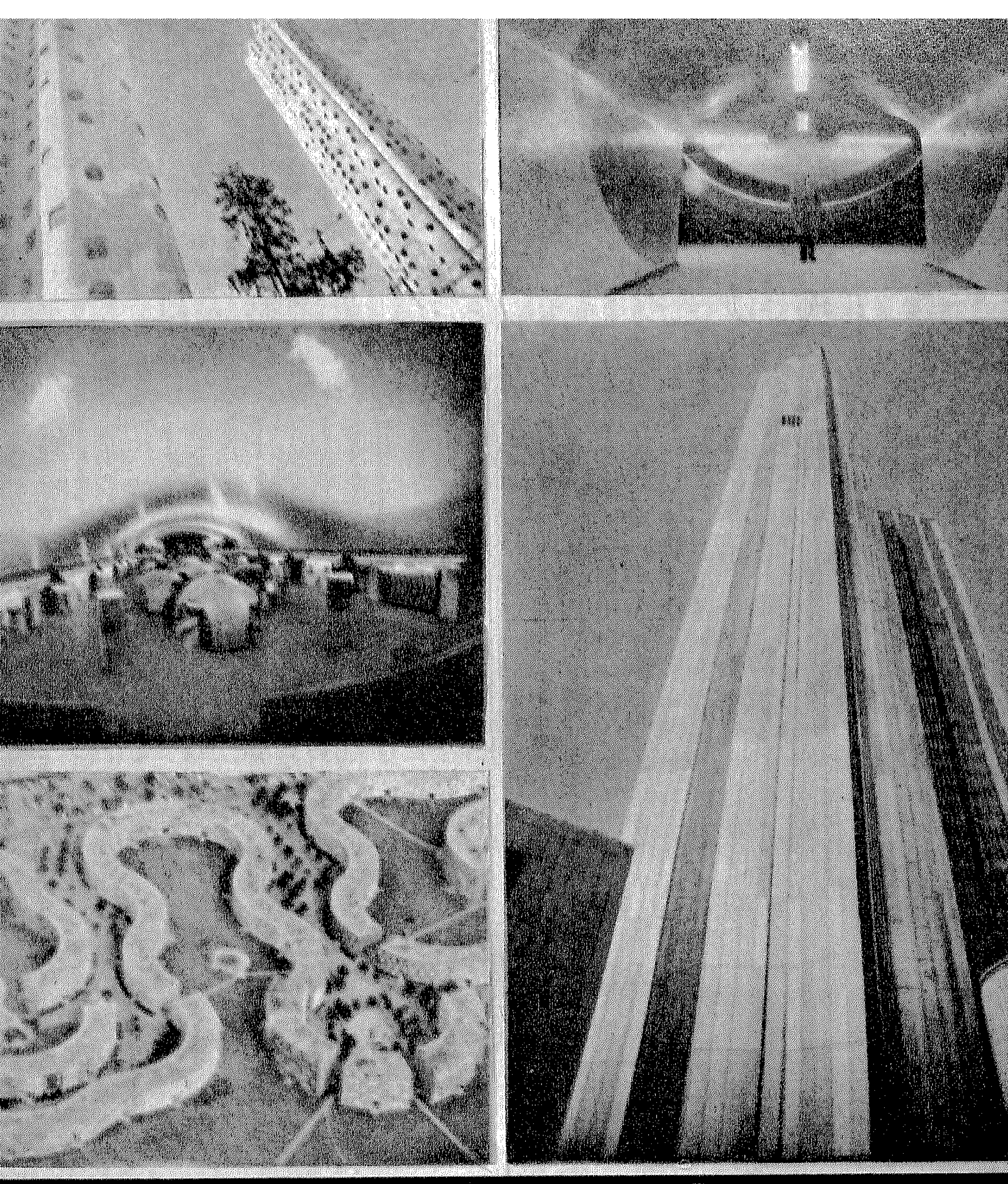
نموذج كانـوا قد عملـوه لمبنى جديد للمتحف المصرى مع تنظيم جديد لميدان التحرير ، وقد رفض التخطيط لان الامر استقر على المحـافظة على مبنى المتحف المصرى كما هو ٠



شارع الخليج المصرى بعد تجديده ، انه يسمى اليوم شارع بورسعيد ، وكنا ننتظر ان يكون من اجمـل شـوارع القاهرة ، ولكن يد الفوضى ما لبثت أن عبثت به ، فاضطرب وضـاع تخطيطه الاصلى ٠



شارع الخيمية المسقوف • طراز قديم اختفى من القاهرة الجديدة • كان من الممكن أن نحافظ عليه مع تجديده وتنسيقه ، ولكن حركة التعمير فى القاهرة تعصف بكل شىء •



نماذج من المبتكرات الهندسية والزخرفية فى انشاء عمائر سنة ٢٠٠٠ فى باريس الكبرى ، انهم يتحرون ان يكون كل شىء جديدا مبتكرا ومتمشيا مع تقاليد الذوق الفرنسى فى نفس الوقت ، الفـرق بين باريس الكبرى كمـا يصممونها هناك والقاهرة الكبرى كما نصممها هنا انهم يضعون صـورة البلد الجديد كاملة ، متناسقا بعضها مع بعض ثم ينفذون ، اما نحن فلا نعرف التصور على الافق الواسع .. تصورنا دائما فى حدود ضيقة ..

تعتمد قاهرة سنة ٢٠٠٠ على هذا الطراز من التجار وعندنا كليات تجارة تخرج شبابا لابد أن يتولواهذه العملية الضخمة الخطيرة ، وكيف نريد والله أن نسيطر على أسعار الخضر والفاكهة ونحن تحت رحمة المعلم فلان والمعلم علان ؟

اتخذ الرئيس ديستان ذلك القرار وبدأوا في التنفيذ . على بعد عشرين كيلو مترا من باريس ،ودون أن يفسدوا جمالها وضعوا تخطيط مدينة كاملة امريكية الشكل فرنسية الروح : الشوارع بوليفارات فسيحة والميادين كثيرة واسعة ، والحدائق بلا عدد ، والارصفة عريضة ، وحددت أماكن المقاهى والمطاعم ، لأن روح باريس هى مقاهيها ومطاعمها ، ولكنهم لا يسمحون لمقهى بأن يأكل من الشارع ليضع كراسيه ، لقد حسبوا قبل البناء المساحة اللازمة لامتداد المقهى وجعلوا هذه المساحة بعيدا عن الرصيف بحيث يكون امتداد المقهى فى نفس مبنى المقهى ويظل الرصيف للمارة .

وقبل أن يشرعوا فى البناء حفروا انفاق المترو وانفاق المرافق تحت الارض . هناك نفق ضخم عرضه ١٥٠ مترا وارتفاعه ٣٠ لانابيب المياه والكهرباء والغاز وحدها . اذا أرادوا الآن اصلاح المواسير لم يحفروا الشارع بل نزلوا الى الشارع السفلى وأصلحوا ما يريدون اصلاحه ، والى جانب هذا النفق نفق المترو . ومحطات المترو انشئت لتخدم باريس سنة ٢٠٠٠ .

بل ان كل توسعات جامعة باريس جعلت خارج باريس ،وبدلا من أن تغص جامعة باريس بمئة وخمسين الف طالب قسموها الى ثمانية جامعات متخصصة كل جامعة فى ضاحية من ضواحى باريس هناك جامعة للاداب وجامعة للعلوم الطبية وجامعة للعلوم التجارية وجامعة للعلوم الهندسية .. وكل جامعة مدينة مستقلة بنفسها بكل مرافقها ومطالبها بحيث لا يحدث ما يحدث عندنا من أن طالبا يقطع كل يوم المسافة من المرج الى كلية التجارة بجامعة القاهرة ، بل الطالب يقيم هناك فى مدينته الجامعية ، ولا ينزل باريس الا لماما ، والغريب انهم حسبوا تكاليف اقامة الطلاب فى مدنهم الجامعية فوجدوا أنها أرخص على أهاليهم من نفقات الانتقال واستهلاك الملابس مع أن نفقات المدينة الجامعية هناك لا تهبط الى ذلك المبلغ الذى لا يصدق الذى نأخذه من ساكن المدينة الجامعية عندنا، فنحن نأخذ خمسة جنيهات فى الشهر من الطالب فى مقابل الاقامة الكاملة مع أن الطالب ينفق الى جانبها ٢٠ جنيها **لكى يعوض على نفسه وجوه النقص الكثيرة فى المدينة من سوء مستوى الطعام وعدم ملاءمة الحمامات ودورات المياه ، ولو اننا درسنا الموضوع جيدا لوجدنا أننا نستطيع أن نقدم للطالب سكنا جامعيا محترما حقا فى حدود ٢٠ جنيها فى الشهر ، وهو مستعد لدفعها لأن المدينة الجامعية الحالية تكلفه خمسة وعشرين وثلاثين ، والجنيهات الخمسة التى يدفعها الطالب أسطورة خادعة ، ونحن عندما نجعل رسوم المدينة** الجامعية خمسة جنيهات نظلم الطالب ، لاننا فى الواقع نقدم له بالجنيهات الخمسة شيئا لا يساوى جنيها واحدا ، ودعنا والله من كلام المسئولين عن هذه المدن ، فهم يعرفون الحقيقة ولكنهم لا يقولونها ، وينبغى أن نتعلم كيف نواجه الحقائق بالصراحة والموضوعية بدلا من أعمال خداع النفس التى لا تنتهى ولا تؤدى الى شىء .

امامك باريس الكبرى فانظر كيف ينشئونها وكيف ينظمونها . انهم يفكرون طويلا قبل أن يبدأوا العمل ، ويتصورون سنة ٢٠٠٠ قبل أن يضعوا حجرا ، وهم متحررون من عقلية موظف الدولة عندنا الذى يعتقد أن وظيفته هى خداع نفسه واقناعها بأنه يعمل مشروعات وينفذ أحسن تنفيذ بينما هو فى الحقيقة لا يعمل شيئا لانه لا يتعب ذهنه ، ومن طريف ما نذكر ان موظفا **كبيرا أعلن ذات مرة عن انشاء مصنع خشب مضغوط وقال انه سيوفر لنا عشرة ملايين جنيه فى السنة ، ثم تبين ان المصنع الذى ينشئه سيادته لا ينتج خشبا الا بمائة الف من الجنيهات واننا نستورد الآن بعشرة ملايين من الجنيهات خشبا من ذلك النوع ..**

● د . حسين مؤنس ●

العربة والقطار

● فؤاد بركات ●

ـ ١ ـ

● على مائدة الغداء ، كانت زوجته ـ على غير العادة ـ تنظر اليه نظرات فاحصة ، وهى تحرض الاولاد على الاسراع فى تناول الطعام .. ولداه يلجأن اليه عند غضبها ، لكنهما على مائدة الطعام يلتزمان بطاعتها ، ومن يتكاسل فغضبها شديد لن ينقذهما هو من عواقبه .

تفادى نظراتها ... ترتدى قميصها الابيض يكشف عن ذراعين عاريتين ، جسدها يزداد امتلاء وترهلا .. الحجرة مبعثرة الظلال ، والعتمة تتسلل الى المائدة على غير العادة ... الابن الصغير نهض ليضيء المصباح فنهره ولاذت هى بالصمت ، رغم انها عادة كانت تنتصر للصغير .

الالوان فى الحجرة كانت غير واضحة ، راح يحملق فى صورة تعتز بها وقد نسجتها من «الكانفاه»

ـ الصورة كانت تبعث اليه بالضيق ، صورة جرو يرتكز على شجرة ويطل ببلاهة الى نهر غير واضح المعالم . وقد نسجتها فى عدة أشهر ، وأحاطتها باطار ثمين ... يقول هو لها : ـ ان الاطار أثمن ما فى اللوحة !

انتهى من الغداء ـ وفى سكون اتجه الى ركن بعيد ، وراح يقرأ جريدته .. تناهى اليه صوتها آمرا :

ـ ذاكر للولد دروس الحساب ...

قال لها فى صوت مرتعد انه لن يفعل فهو متعب ... ثم ان هناك موعدا فى السادسة .

أتاه صوتها حادا قاذفا بموضوع دائم للشجار :

ـ من يوم اشترينا العربة وانت كثير الخروج !

كان الجواب هو الاستغراق فى قراءة الجريدة .. بيد أنه عاد ونهض متثاقلا وراح يحكي لها ان زميله فى المكتب قد دعاه الى زيارة ضرورية لحل مشكلة خاصة مع اشقائه ... نظرت اليه فى استياء وهى تسوى من ملابس مغسولة .

.. العربة .. موضوع النزاع ، كانت هى الاكثر سعادة بشرائها ، دفعت اليه من ثمنها النصف ... كانت تحرص فى البداية الا يخرج بها وحده ، ولكنها منذ عدة أسابيع ـ وفى فترة هدنة ـ قد رضخت لالحاحه أن يذهب بها الى العمل ... عندما يعود فانها تسأله عشرات الاسئلة عن العربة ، وأحيانا تسجل قراءة المسافات وتحاسبه فى صرامة .

اليوم ، حادث جديد غريب صادفه .. عدة مرات من قبل ركبت معه سيدات لتوصيلهن الى مكان فى طريقه . كانت دائما مجازفة منه ـ فهو رجل متحفظ والعاقبة قد تكون وخيمة ... وفى الظهيرة ، اشارت اليه مع بسمة ، ركبت بجواره ، حسناء لعوب ، قالت فى ضحكة :

ـ عربتك قديمة ، وانا احب ركوب العربات القديمة .. احس بالامان !

ثم فى وقار : مشكلة المواصلات معقدة !

واردفت فى صوت مهذب :

ـ آسفة لتعطيلك !

كان عبقها فواحا .. انبرى فى ذلة وكبرياء :

ـ العربة حديثة الطراز ، و .. ثمنها ثلاثة الاف !

قالت له : زوجى يمتلك عربة « مرسيدس » . هو الان مسافر ، ولا اجيد القيادة ...

ـ ٢ ـ

زوجته هتفت بالصغير كى يأتى بكراسة الحساب ، والولد وقف فى الشرفة يشاهد مباراة حامية فى الكرة ... عندما تكرر النداء عدة مرات ، اتاها متباطئا ، ونظراته اليها تتقلب بين الخوف وتصنع اللاأكتراث .

نصره الى داخل الشقة ، وهو يقرأ كعادته الصفحة الاخيرة قبل أن يقرأ أى خبر فى الجريدة ، كان هناك كاتب يتحدث عن الحب ...

النظرة الاولى .. كانت واقفة وحيدة على الطريق فى ركن خال ، على بعد ثوان استرعت التفاته ، قوامها ملفوف ، ساقاها واضحتا الدقة والاستدارة ، والصدر بارز متماسك ، والشعر أسود فاحم مختلط بخيوط الذهب ، وفستانها قرمزى بالغ الاناقة . عيناها نجلاوان . وفى لقاء مع عينيه ، وبسمة تمديه هو مهداة اليه ـ يحس أنها كانت تنتظره وتتاهب لاستقباله كفاتح ، عبر بوابة أسوار قديمة ... بتلقائية مدهشة دون أن تمديدها او تومىء بالراس ... توقف اثرها بخطوات ، من خلال المرآة شاهدها وهى تتقدم الى العربة متلفتة .. يفتح لها الباب ، لتستلقى الى جواره ... سألته فى صوت رقيق : طريقك الى المعادى ؟!

لم يكن طريقه هناك فهو يقطن فى الجيزة ، بيد أنه انطلق قبل ان يجيب ..

احرف المقالة أسفل عينيه انتابها الاعتام ... سجادة الصلاة كانت بجواره ، نهض ليتوضأ وليصلى ... هناك علبة سجائر ، يدخن سيجارة كل عدة أيام ، اثر الصلاة بدقائق ... نهض واشعل سيجارة ، وهو يحس انه اسفل منظار زوجته التى قالت له ، وهى تذاكر لابنها موضوعات الحساب :

ـ هل مشوارك ضرورى يا حلال المشاكل .. ؟!

ـ انه هنا بجوارنا ، وكلها ساعة واعود ...

لم يكن على ملامح زوجته أدنى تعبير للارتياب ، تعبيرات الارتياب تلك اختفت من وجه زوجته منذ

اعوام ، وقد التهمها هو ـ ان امراة لعوب لن تسعى سوى وراء شاب صغير او عجوز موسر ـ وهوليس كذلك

مع انفاس السيجارة ، احس براسه يدور ، شيء ما قد حدث ـ لم يحدث اليوم ... يذكر انه منذ صباه كان يحلم بامراة ما ... كان احيانا يراها في يقظته ، حينما تزوج اقنع نفسه انه تزوجها ...

ومنذ أعوام عاد الحلم القديم غائما مشوشـــا مجهضا ـ اقنع نفسه في حسم انهن ســواء ... وهناك الحرام ، والحرام حرام .. وهـــو اسـوا للجنايات عدا القتل .. الحب اوهام المراهقـــين والعزاب والماجنين من المتزوجـــين ... وانى يكون هناك مستقبل حلال لحب رجل يدنو من الخمســين ويأخذ مصروفا من زوجته خمسة جنيهات ؟!

ضحك . وهو يسترجع هذه الحقيقة ... وركل الجريدة في سام وتمرد ، وعاد ليلتقطها ويهمس :

ـ لم اعقد الامور ... انها مجرد تجربة صغيرة عابرة !

حينما انطلقت العربة تناهى اليه عبقها ، نظراتها الجاذبية كانت طاغية ، جسدها يدق جسده ، انها الفتنة بالتأكيد .. اشعلت سيجارة ، وقال انه لا يدخن ـ همست :

ـ انت نموذج للديد لزوج طيب !

ضحك ... ورجل آخر ضحك في مرح :

ـ الزواج عادة مملة .. اليس كذلك ؟!

اتكات بذراعها على مسند الظهر ، وقالت :

ـ زوجي يعود شهرين كل عام ، اشتاق اليه في جنون ... يعود ، واثر اسبوع واحد يعود الاحساس بالسام ... ويوم يســافر ارجوه في ضراعة ان يبقى ... لسنا في حاجة الى فلوس !

ثم اردفت : سافر منذ شهرين ... يحدثني تليفونيا كل عدة ايام ...

صوبت اليه سؤالا مباغتا : سعيد انت في حياتك الزوجية ؟!

أجابها وهو ياكلها بنظراته : قطار الزواج ما ان ينطلق ، حتى يسير ببطء ... حتى الموت .. !

احس ان شخصا آخر يتحدث في نزق ومرح ... ثم ينبرى :

ـ أنت على فكرة رائعة الجمال .. انت اجمل امراة رايتها !

انتعش وجهها ببسمة حادة ، صارت احلى بكثير ، همست في نعومة :

ـ قال لي الكثيرون انني جميلة ، ولكن أحدا لم يقل انني أجمل من راى ، لعـــلك لم تر الكثير من النساء ؟!

اجابها في اصرار : بل رايت الكثيرات ... انت أجمل من اية نجمة سينمائية في العالم ، ليس فيك كلك نقطة واحدة ليست جميلة ... صدقيني ، تلك حقيقة !

تضرج وجهها بالتورد ... أهدته بسمة واسعة :

ـ انت لطيف ، لطيف جدا ، احتاج ان اجلس اليك واسمعك .. !

سالها في لهفة : متى ؟!

شردت بنظراتها الى بعيد ثم اجابت بسرعة :

ـ اليوم . امام كازينو « .... »

ـ ولكنه في المعادى حيث تسكنين !

قالت له ـ لا أسكن في المعادى بل في أبعد مكان عنها

عندما ودعته ضغطت يده ، لا يزال يحس بالضغطة ويستعيدها همس لنفسه وهو ينهض ليرتدى بدلته قبل الموعد بساعة :

ـ والان ... ماذا ســيحدث ... بداية ، أم نهاية ؟!

ـ ٣ ـ

العربة تنطلق ... الحب والحياة ، وكلام رائع سيقال .. وماذا بعد الكلام ، قد عرضت اللقاء « توقفت العربة في اشارة ، وطال الوقوف ، دعك شاربه ونظر مليا الى وجهه في المرآة ، اتجـــه بذهنه الى موضوع الحرام ، ماذا لو اندلعت الامور حتى النهاية ... لقاء في العــــربة ، قبلات ، والنساء قادرات ، اطراؤه ذهب بلبها ، مضـــرورة تبحث عن معجب مبهور بحسنها ... الحرام ... حتى الصباح كان يقول للاخـرين انه أسوا ما في الحياة .. الان يحس انه بالفعل قد انساق اليه ، قد انهار اثر صراع قصير ... هل كان الاغـــراء قويا ، أم انه كان في انتظار الاغراء متلهفا الى حدوثه ؟!

أحس للحظة بحزن وندم دونما رغبـــــة في النكوص ... ليست كما يدعى مجرد الرغبة في التجربة .

... العربة انحرفت يمينا الى شـــارع كورنيش النيل ، النيل شاعرى الملامح ، أطلق انفـــــاس الصعداء مع اغنية عن الهجر يرددها المذياع ، تذكر زميلا ماجنا ، يقول كل يوم انه يلتقي في عربتـــه ببعضهن ... يعطين غالبا مواعيد زائفة ...

اعترضه الاخر :

ـ انت لا تملك عربة ولا تعلم مغــامراتها .. ثلاث نساء فقط برون بالموعد ، ويبـــــدو انني سأتزوجهن !

توقفت العربة أمام « الكازينو » ـ قبل الموعد بدقائق ، تلفت في تردد ـ ماذا لو رآه شـــخص يعرفه ؟ او شاهد أحدهم العــــربة ... في قوة نفض عنه هذا الخاطر ، وتوقف موجهــــا وجهه الى النيل .

كان يحلم .. بعد دقائق ستمسك بذراعيـــه ، سيلتقي الجســـدان جسدا لجسد ، وعينـــاها في عينيه .. أقفل عينيه طويلا فتحهما .. كان الموعد قد مر بدقائق ، راح يتمشى متفقدا وجهها ، كان هناك شباب ينتظر ، عشاق على موعد ، والنيـــل يسرى في سكون ... عيون تلمع ، أذرع تتشابك ..

مر على الموعد نصف الساعة ... تذكر ، لو لم تحضر الان سيفقد تماما اثرها ... سيكون مثـــل طيف ، حلم ساحر مبتور .

انتابه حزن عارم للحظات ، وهو يهمس :

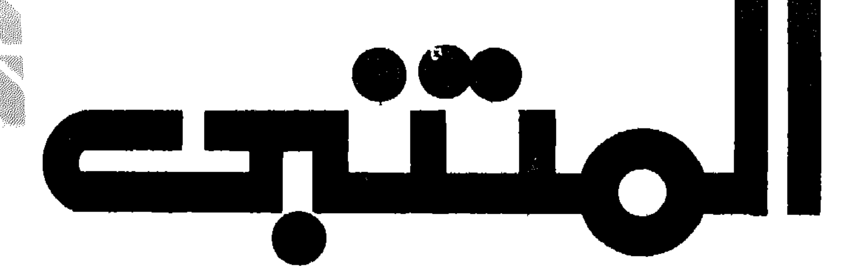
ـ استسلمت ، وأيضا لا تأتى ..

ساد الظلام : لم يعد يرى صفحة النيل .... مر على الموعد ساعتان ، واقف وحده مل من التجوال والبحث ، تضاءلت اللهفة وحل الياس ... مـــن ذاكرته رويدا رويدا تاهت ملامحها ، ـ امراة دلفت الى الكازينو ـ في امل اخير دلف وراءها ... ابدا ليست هي . فقط راى وجــوه نســاء رآهن باعـين مشوشة وعلى شفاههن بسمات سخرية .

... عاد الى الشقة .. انسل في هدوء .. وجهه متغير ، زوجه لم تسله .. الولد حمل كراساته قائلا له :

ـ على فكرة عندى غدا اختبار في الحساب ...

وهو يخلع ملابسه ـ حاول ان ينفض احلامه... عاد اليه الوجه الساحر ، خيل اليه ان قطارا يعدو به بطيئا ، الدوار .. من الخارج الوجه يبتعد ... يبتعد . .يطل وجه زوجته، وذراعـــاها العاريتــــــان !







• تاليف : جورج غريب •
• اعداد : عادل عبد الصمد •

● ما اكثر ما كتب المتنبى ، وما كتب عنه ..

والحق أن من يتناول حياة المتنبى بالدراسة والتحليل ، يجد نفسه امام تاريخ حافل بالتقلبات والتحولات والحياة الصاخبة ، الهادئة حينا والغاصبة غير الآمنة حينا آخر ..

وقد تناول مؤلف كتاب « المتنبى » تلك الحياة بكل تطوراتها منذ البـداية مارا مع مراحل حياته بالكامل ، ثم تناول كل الوان فنه من شعر جيد بلـغ به المجد والشهرة .

وها هو المتنبى الذى ولد فى عصر قلق واضطراب فتأثر بما فيه من استخفاف بالخلق والدين ، ورأى فى الدولة تفسيخا فاتخذ من تفوقه عدة للطموح ..

وهنا يذكر الكاتب انه بالرغم من أن طفولة الشاعر شـبه مجهـولة برغم ما وحـدناه فى الديوان ، وما ذكر الرواة ، فان ديوانه ليس فيه ما ينبىء عن عروبته او عن أبيه أو جده ، فجملة ماعرفه الرواة أن والد المتنبى كان سقاء يبيع الماء ، وكان ذلك سـببا فى أن المتنبى كان يضرب عرض الحائط بكل مقومات الانساب فى التاريخ ــ فيقول :

لا بقـومى شرفت بل شرفوا بى وبنفسى فخـرت لا بجدودى !

والواقع انه ليس هناك شيء ثابت عن حقيقة أبيه وهمدانية أمه ، ولعل مايفيد فى هذا المجال الالتفات الى البيئة الكونية التى عاش فيها الشاعر بعد أن أحاط الغموض بنسبه .

ثم ينتقل بنا الكاتب الى ثقافة شاعرنا ، حيث أن أول مدرسة عرفها الصبى كما ذكر الرواة كانت المدرسة العلوية المختصة بالشيعة ، ففيها تعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن الكريم وتلقى أصول الدين والعلم والادب .

وقد تركت هذه المدرسـة اثرها فى شعر صباه من حيث التقليد والاندماج

منذ العاشرة من عمره •

ثم ننتقل الى مرحلة أخرى استفاد منها الشاعر وهي خروجه مع والده الى البادية بعد ذلك فاستفاد فصاحة اللسان وازداد معرفة بأصول القرامطة

وبعد جلاء القرامطة عن العراق رحل المتنبي مع أبيه عن الكوفة الى بغداد ، ثم تركها الى الشام وهو فى السابعة عشرة وكان لهذا التجوال والحركة القرمطية أثرهما الواضح فى بناء مجده الشعرى •

ومن المعروف انه فى اثناء هذا التجوال ، أعلن دعوته ، فاخذ وسجن فى العام ٣٣٢ بعد أن كثر ممدوحوه ثم قدم اللاذقية ولكنه سرعان ما رحل عنها نتيجة الحقد والحسد ••

وقد ذكر الكاتب هنا ان سبب سجنه ليس نبوءته كما يرى د • طه حسين ، ولا قرآنه المزعوم ، بل الرأى العام الذى تألب ضده ، وهو بعد حبسه لم يستقر به مكان لانه كان قد غاضب الناس جميعا •

وهنا نجد ان حياته ذات شقين ، فهو فى الاولى شقى آمل وفى الثانية شقى يائس •

وأراد الكاتب هنا أن ينبه الى جزء هام من حياة المتنبى ، فمما لا شك فيه ان لعبة سياسية حملت المتنبى الى مصر فقد أراد الاخشيديون أن ينتزعوا من خصمهم الحمدانى صوت الدعاية الصارخ فلم يجدوا أمامهم سوى ابى الطيب المتنبى ••

ولم يفطن الشاعر الى هذه الخدعة لانشغاله بأحلامه الخاصة ، بل انقاد بحيل السياسيين ، وراح يتلمس السراب ، فظن ان كافورا يرى فيه ما يرى هو فى نفسه من غرور وكبرياء ورفعة ، فلم يفطن للخدعة التى قام بها سياسى حاذق كان همه الحاق الضرر بأكبر خصومه ••

وكانت خيبة المتنبى عند كافور فى آماله وطموحه وطمعه قد ضاعت ، فأعطى أعذب وأرق ما عنده من شعر •

والمتنبى كشاعر مثل بقية الشعراء أخذوا من هموم العيش وتصرفات الزمان مادة لقوافيهم ، فما من شاعر الا تلمس دنيا الحكمة وكان للمتنبى فى مجالها الباع الطويل ، فيقول :

اظمتنى الدنيا فلما جئتها مستسقيا مطرت على مصائبا !

ويقول فى موقف آخر :

نبكى على الدنيا وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
اين الاكاسرة الجبابرة الاولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا !

وفى الفخر يقول :

قالت عن الرفد طب نفسا فقلت لها لا يصدر الحر الا بعد مورده
لم أعرف الخير الا مذ عرفت فتى لم يولد الجود الا عند مولده !

ويزداد عنفه فيقول :

امط عنك تشبيهى بما وكانه فما احد فوقى ولا احد مثلى !

وفى الغزل يقول :

كل جريح ترجى سلامته الا فؤادا رمته عيناها
تبل خدى كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها

والمتنبى يعتبر تراثا ضخما من حياة العرب ونبوغهم الفنى والأدبى برغم ما كان يعتريهم من تيارات ضخمة تكون عائقا يطمس الثقافة • ولكن اصالة الثقافة فى البيئة العربية هى التى جعلت هذا التراث حتى اليوم حيا نابضا بالعلم والأدب والفن •

لكل شهر عربى قصة

شهر صفر

● مصطفى الشهابى ●

شهر صفر ، هو اسم الشهر الثانى من شهور السنة القمرية أو الهجرية ، وكان يسمى فى الجاهلية « ناجرا » ثم سمى فيما بعد « صفرا » . وقالوا فى سبب تسميته بصفر : أن العرب كانت تكثر فيه الغارات وتطلب فيه الثارات ، فيتركون الديار صفرا أى خالية من المتاع ومن السكان .

وقيل كذلك ان العرب كانت تشترى تقصد فيه الى أسواق اليمن التى تسمى الصفرية لبيع الصفر ، أى النحاس ، فيها ..

وقيل كذلك أن العرب كانت تشترى فيه من اليمن تمرا يمانيا يسمى الصفرية كان يجفف قبل أن يصبح رطبا ليستعمل فى تحلية السويق وهو طعام يصنع من مدقوق الحنطة أو الشعير .

وكان العرب ينسئون ، اى يؤخرون حرمة المحرم الى صفر ، لأنهم ما كانوا يستطيعون العيش دون غزو ثلاثة اشهر متواليات هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فكانوا يطلبون من الناسىء أن يؤخر حرمة المحرم الى صفر ، لأن معاش أغلبهم كان من الاغارة .

فاذا كان فى السنة المقبلة حرم الناسىء المحرم وأحل لهم صفرا .

ولكثرة ما كان يقع فى شهر صفر من كثرة الغارات والقتال كان يعتبر من الأشهر البغيضة ، ولذلك كانوا يتشاءمون منه ، وظل ذلك التشاؤم ينتقل من جيل الى جيل حتى اصبح بعض المسلمين لا يعقدون فيه زواجا أو يسافرون لتجارة .. الى غير ذلك من الأمور .

وبمرور الأيام حصر العامة الشؤم فى آخره ، وخاصة آخر اربعاء فيه .

وعلى عكس ما ذهب اليه هؤلاء ، فقد وصف هذا الشهر بالخير فقيل : «صفر الخير » .

أهم احداث صفر

وأهم ما وقع فى صفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ هجرته من مكة الى يثرب (المدينة) فيه ، فقد خرج من مكة فى أواخر صفر فى السنة الثالثة عشرة من مبعثه عليه الصلاة والسلام، واختفى فى غار ثور الى أن خرج مع صاحبه أبى بكر قاصدا نحو يثرب..

وفى صفر من السنة الثانية للهجرة وضع الحجر الأساسى لبناء الحرية الانسانية وصرح القوة العربية والعزة الاسلامية عندما أنزل الله سبحانه وتعالى على الرسول الكريم قوله : **« أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير »** . فكان ذلك الأذن اعلانا للجهاد ضد المشركين المعتدين الظالمين للمسلمين ، كما كان استجابة ربانية لرغبة المسلمين فى مجابهة اعدائهم وتبرمهم بالموقف السلبى الذى يقفونه منهم .

وكان هذا الاذن بقتال المشركين لاثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر

فحق أن يسمى « عيد الجهاد الاسلامى » وتوالت بعدهذا الاذن الكريم التشريعات الربانية التى نظمت شئون الحرب ووسائل القتال وكل ما يتعلق به ٠

وفى هذا الشهر من السنة الثانية للهجرة كانت غزوة الأبواء أو (ودان) وهى أول غزوة قادها النبى صلى الله عليه وسلم ضد قريش ، ولو أنه لم يحدث قتال الا أن الغزوة أثمرت ، وذلك لتحالف النبى مع بعض القبائل العربية فى تلك المنطقة ٠

وفى صفر من السنة الرابعة للهجرة كانت سريتا الرجيع وبئر معونة وقد استشهد فى كلتيهما غدرا بعض المسلمين ولكن المسلمين انتقموا من الغادرين ٠

وفى صفر من السنة السابعة للهجرة وقعت غزوة خيبر التى قاد جيشها النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان هدفها القضاء على اليهود فى شمال المدينة ، لاثارتهم المشركين على المسلمين ، وانتهت بتحصن اليهود فى معاقلهم ، ولكن تلك المعاقل سقطت الواحد بعد الآخر واستسلم اليهود وطلبوا الصلح على ان يحقن النبى الكريم دماءهم ٠ وقبل النبى وابقاهم على ارضهم التى آلت له بحكم انتصاره عليهم ، على ان يكون لهم نصف ثمارها مقابل عملهم فيها ، لان ما كان بخيبر من الحدائق والمزارع والنخيل كان يحتاج الى الأيدى العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن زراعته ٠

مواقف واحداث

وجدير بالذكر ما وقع عقب الصلح فقد اهدت زينب بنت الحارث الى النبى الكريم شاة فلما جلس واصحابه حولها ليأكلوها ، وتناول عليه الصلاة والسلام الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها فلفظها وهو يقول : « ان هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » ٠٠

ثم دعا بزينب فاعترفت وقالت : «لقد بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : ان كان ملكا استرحت منه ، وان كان نبيا فسيخبر » ٠

وقد اختلف الرواة فذكر اكثرهم أن **النبى عفا عن زينب وقدر لها عذرها بعد الذى اصابها وأباها وزوجها ٠ وذكر البعض انها قتلت فى بشر بن البراء الذى مات مسموما بسبب ما أساغه وازدرده من تلك الشاة ٠**

وكان لما فعلته زينب أثره فى نفوس المسلمين اذ اصبحوا لا يثقون باليهود بل يخشون غدرهم أفرادا بعد أن قضى على جماعتهم القضاء الأخير ٠

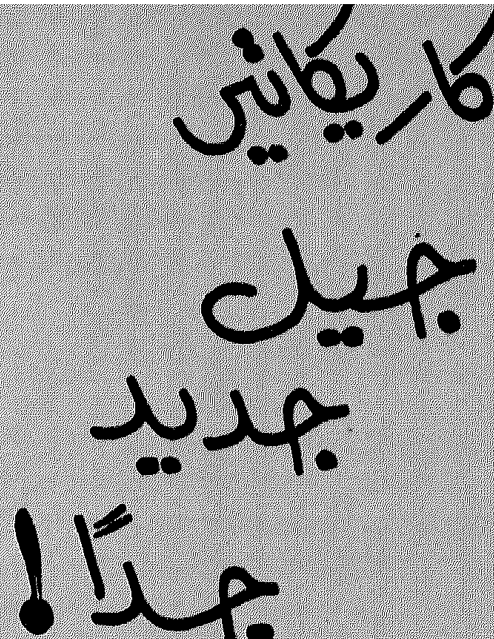
وكانت صفية بنت حيى بن أخطب احدى سبايا تلك الغزوة،وقال المسلمون للنبى : « صفية سيدة بنى قريظة والنضير لا تصلح الا لك » ٠ فأعتقها النبى وتزوجها ٠

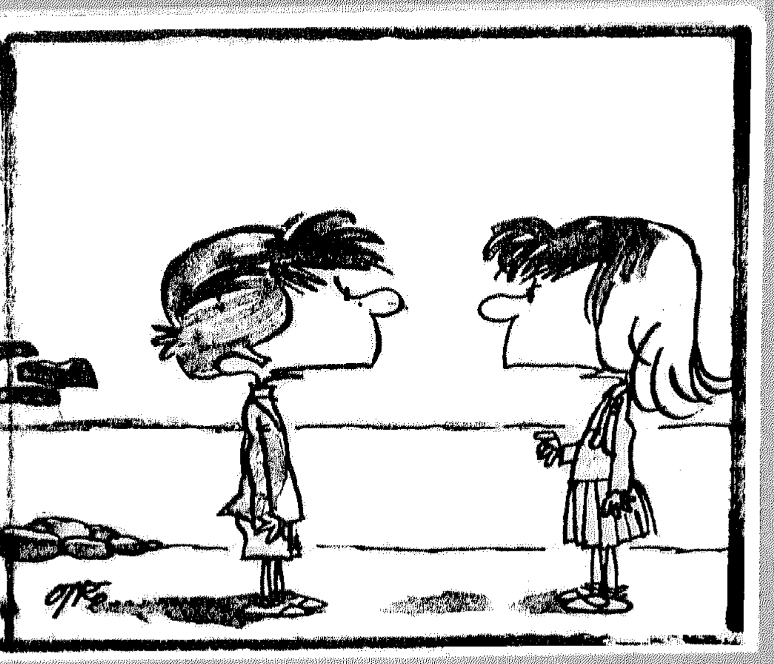
والعظماء الفاتحون كانوا يتزوجون من بنات ونساء عظماء الممالك التى يفتحونها ليخففوا من مصابهن ويحفظوا من كرامتهن ٠

وقد خشى أبو ايوب الأنصارى أن تتحرك الضغينة فى نفس صفية بسبب من قتل من أهلها ولذلك بات حول الخيمة التى اعرس فيها النبى بصفية ، متقلدا سيفه ٠ وفى الصباح رآه النبى فسأله عما دفعه الى هذا الموقف فاجاب بأنه خشى على النبى منها لما أصابها ٠ وقد كانت صفية من أوفى زوجات النبى ٠

وفى هذا الشهر من السنة الحادية عشرة جهز النبى سرية اسامة بن زيد ولكن جيش تلك السرية عاد للمدينة لما علم بوفاة النبى ، غير أن أبا بكر انفذ تلك السرية بعد وفاته عليه الصلاة والسلام عقب المرض الذى اصابه فى أواخر صفر من تلك السنة ٠

ومن أهم الأحداث البارزة فى تاريخ مصر خلال شهر صفر ، جلاء الفرنسيين عن دمياط ، عقب العدوان الصليبى الذى قام به لويس التاسع ملك فرنسا ، فى سنة ٦٤٨ هـ بعد اسره واطلاق سراحه نظير فدية مالية كبيرة ٠ كما وقع الفرنسيون فيه عام ١٢١٦ وثيقة الجلاء عن مصر بعد احتلالهم لها ثلاث سنوات فقد وقع الانجليز اتفاقية الجلاء عن مصر فى ٢١ من صفر سنة ١٣٧٤ (١٩من اكتوبر سنة ١٩٥٤) ٠

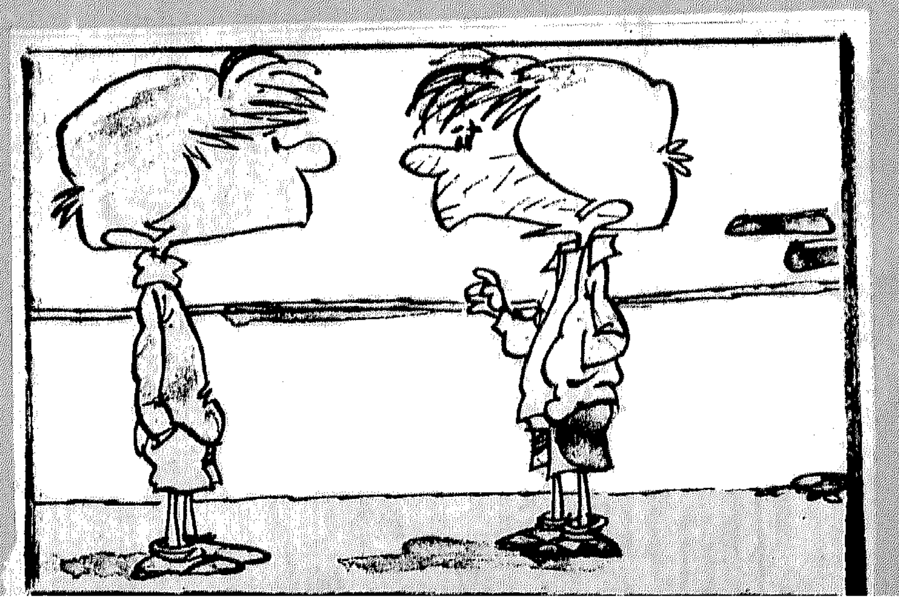




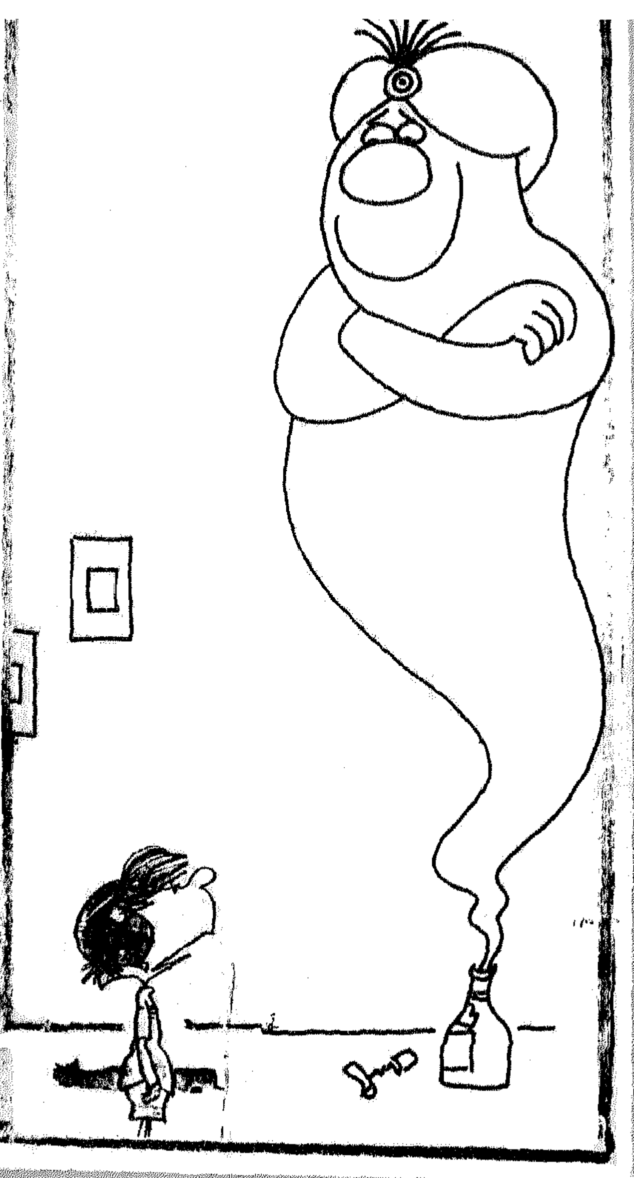
الولد : انا فرحت وحمدت ربنا على خلقتى الملخبطة دى ، علشان استريح من الغيرة ودوشتها ! .. تقسومى حضرتك تيجى وتغيرى على برقه وتدوشينى !؟



الولد لصديقته : هو كل مرة انا اللى ادفع ثمن تذاكر السينما . ماتخليكى واحدة كويسة كده وامريكانية وتدفعى لنا احنا الاتنين !.



الولد لصاحبه : يابختك ياعم .. ابوك بيسافر كل يوم وترتاح من اوامره .. عينى على انا اللى ابويا قاعد لى كل يوم وواخد باله قوى منى !



الولد للمارد : من في ماتتعب نفسك وتقولى شبيك لبيك .. انا طلباتي بسيطة .. عاوز ثانوية عامة بنسبة نجاح ١٠٠٪ وبكالوريوس طب بامتياز ونيابة في قصر العيني ، وعروسة جميلة ومهاودة ، وكام مليون جنيه عملة صعبة ، و .. كفاية كده مؤقتا !.



الولد لوالده : تعرف ليه بقى انا اخدت نمر كويسه النهاردة ؟ ... علشان انت كنت مسافر امبارح وماساعدتنيش في عمل الواجب !



الولد لابيه : قالوا لي في المدرسة روح وماتجيش الا مع ابوك .. يظهر انهم عاوزينك عشان تكمل تعليمك ! ..

تذكرة طبية

انت طبيب نفسك

● د . السيد الجميلي ●

طبيب نفسك

جاءني لأول مرة مستبشرا على غير عادته ، لانه دائما كان يواصل الاتصال بي للاشراف على حالته اذ انه مصاب بضيق الصمام الميترالي بالقلب وارجاع الصمام الأورطي . وقد عانى الكثير والخطير من مضاعفات هذه الحالة مكابدا من آلام شديدة كان الاسى مافيها هو العامل النفسي ..

وكان دواؤه بالعقاقير مقررا من واقع التقدير العلمي .. اما دواؤه النفسي فكان لعلاجه شقان اولهما بالعقاقير ، وثانيهما يتوقف عليه هو نفسه كل التوقف ..

وقد كانت الأعراض العضوية تنهكه فيزورني عابس الوجه مكفهرا ، ولكن بعد حين — ولحسن الحظ استدرك منطق الحياة ، وانتهى الى مايجب الانتهاء اليه ، فاقبل مسرورا وقال :— الآن وثقت تماما بأن العلاج النفسي ضروري ولا يجب اغفاله في تطبيب القلب

قلت له : هذا ما اكدت وتؤكد دائما التذكرة الطبية ضرورته وحتميته .. ولقد وصلك متاخرا ..

فقال : لا بل وصل مبكرا لكن بعد ان اجريت التجارب على نفسي وبمقياس الحساسية وجدتني احسن حالا في المزاج المعتدل عني في المزاج المتكدر ..

أجبته : يا سيدي لو انصفت لقلت ان جميع الأمراض الباطنة والظاهرة في هذا العصر بالذات لاتخلو من العامل النفسي الذي يجب ان يؤخذ باهتمام وجدية .

شلل هستيري

فتاة في الثالثة والعشرين تشكو من آلام شديدة في البطن مع نزول الدورة الحيضية الشهرية وباجراء بعض التحاليل لم تسفر عن اية متاعب عضوية ، ومما هو جدير بالذكر ان هذه العذراء لم يسبق أن عرفت طريق الاطباء ، وبينما هي تحت العلاج البسيط للتقلصات المعدية اذ بها تشكو فجأة من عدم القدرة على تحريك الشق الأيمن من جسمها تماما .. ولم يسفر فحصها عن وجود سبب عضوي ظاهر ..

وعندما فوجئت بعد الفحص بالتشخيص أنه « شلل هستيري » وربما يرجع سببه الى عقدة نفسية معينة انفجرت باكية وكشفت عن اعماقها تروي قصة مثيرة لشاب خدعها بامنية الزواج ثم بغتة واثناء التحضير والاعداد لهذا الزواج ، تركها واهلها الى حيث لايعرفون عنه شيئا ..

ومع مواصلة العلاج ، كانت افضل نصيحة للفتاة أن تحمد الله ليل نهار وتشكره لأن رحمته بها كانت اكبر بأن ازاح عنها هذا الخادع اللعين .

ارح قلبك

على خريطة الجسم يحتل القلب مركزا خطيرا عظيما في خطورته اذ انه قوام الحيوية والنشاط وسر الحياة فلنحافظ على قلوبنا بالتسرية عن النفس والترويح عن الخاطر . وهذا هو سر السعادة ، فان كثيرا من القلوب التالفة لاتحتاج لعلاج اكثر من نفس هادئة او منظر جميل .. وكذلك بالمثل لايعمر نواحيها مثل انفعال مثير او اختلاف حاد على سبب بسيط فارح قلبك فان شفاءه واستواءه في يدك انت ..





● آثار النعمة ●

● شيد محمد بن عمران بناء شامخا بجوار قصر المامون ، فحقد عليه بعض أتباع الخليفة ووشوا به عنده حتى أوغروا صدره عليه ٠٠ فجاء به المامون بين يديه وقال له : ما هذه الجراة يا محمد ؟ أتتحدانى ببناء قصرك الى جوارى ؟!

فقال محمد : والله ما شيدت دارى للمشاكلة أو التحدى ، ولكن لترى بعينيك آثار نعمتك وآياديك على !

● الصمصامه ●

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب أن يريه سيفه المشهور «بالصمصامة» ، فقدمه عمرو له ، ففحصه عمر بن الخطاب وضرب به ثم رماه من يده وقال له : يا عمرو ٠٠ هذا سيفك المشهور بالصمصامة ٠٠ فما هو والله بشىء !

فأجاب عمرو بن معدى كرب : يا أمير المؤمنين ٠٠ أنت طلبت منى السيف ، ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به !

● شجاعة ●

سأل رجل الخليفة عليا كرم الله وجهه وهو يعدو على بغلة له فى ساحة الحرب : حبذا لو اتخذ أمير المؤمنين الخيل مطية له ، فانها أقرب الى النجدة ، وأوسع فى الخطوة ٠٠

فقال على : يا رجل ، انا لا افر ممن كر ، ولا أكر على من فر ، فالبغلة تكفينى ٠٠

● ما الحيلة ! ●

زرع أعرابى برا له ، فلما قام على سوقه وجاء سنبله ، أتت عليه رجل جراد فجعل الرجل ينظر اليه ولا يدرى كيف الحيلة فيه ، فأنشأ يقول :

مر الجراد على زرعى فقلت له   الزم طريقك لا تولع بافساد
فقام منهم خطيب فوق سنبلة   انا على سفر لابد من زاد !

● لا تقل الا خيرا ●

عن أبى هريرة قال ، قال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »

● محسن فهمى ●

روّح عن نفسك

أولا : لغز بالشعر : ما هو ؟

وحـــامل يحـــملني

وما له شـــخص يـــرى

اذا حمـــلت فوقـــه

وهـــو لـــذيذ المتـــطى

ســـريت لا أدرى انى

أرض سريت أم سـما ؟ .

ثانيا : كم دائرة فى هذا الشكل ؟

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ــ من ولد ولم يمت ؟
٢ ــ أين يكون البرغوث فى حجم الصرصار ؟
٣ ــ أى سؤال لا يمكن الاجابة عنه بنعم ؟
٤ ــ متى يكون جيبك فارغا ومع ذلك به شىء ؟
٥ ــ شخص ولد سنة ٣٥ ومات سنة ٢٥ وكان عمره ستين عاما فكيف تم ذلك ؟
٦ ــ من الشخص الذى ليس أخى ولا أختى ولكنه ابن أمى وأبى ؟
٧ ــ ما الذى يسير بين القاهرة والاسكندرية ذهابا وايابا ولا يتحـــرك من مكانه ؟
٨ ــ سفينة فى ميناء الاسكندرية ، لها سلم عدد درجاته عشرون ، بين كل درجة من درجاته ثلاثون سنتيمترا ، فاذا علمت ان الماء يرتفع بمعـــدل ١٣ سنتيمترا فى الدقيقة ، فمتى يغطى الماء السلم ؟
٩ ــ كم مرة احتفلت انت واسرتك بميلادك حتى اليوم ؟
١٠ ــ هناك أناس مشهورون يتزوجون ولكن الزوج والزوجة لا يعيشان معا كما ان بعضهم يموتون ولكنهم لا ينعون ولا يدفنون ، فمن هم ؟

رابعا : اختبر معلوماتك : أين .. ؟

١ ــ أين يوجد مبنى « التاج محل » ؟
٢ ــ اين تقع مدينة تدمر الاثرية ؟

٣ ـ أين توجد « العلمين » فى غير جمهورية مصر العربية ؟
٤ ـ أين تسكن كل من الحيوانات التالية :
الغوريللا ، الدب الرمادى ، الكانجارو ؟
٥ ـ أين ولد نابليون ؟
٦ ـ أين توجد مقاطعة بريتانى ؟
٧ ـ أين توجد محكمة العدل الدولية ؟
٨ ـ أين يتكلم الناس اللغة الأمهرية ؟
٩ ـ أين يقع سد مأرب ؟
١٠ ـ أين تقع بحيرة تانا ؟

الإجابات

أولا : لغز بالشعر :
النوم

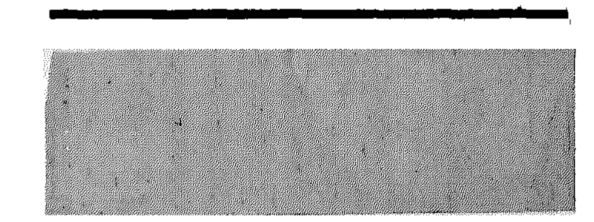
ثانيا : كم دائرة ؟
١٢ دائرة

ثالثا : اختبر ذكاءك
١ ـ انت أيها القارىء ٠
٢ ـ تحت الميكروسكوب ٠
٣ ـ هل أنت نائم ؟
٤ ـ حين يكون به ثقب ٠
٥ ـ ولد سنة ٣٥ قبل الميلاد وتوفى سنة ٢٥ بعد الميلاد
٦ ـ أنا
٧ ـ قضيب السكك الحديدية
٨ ـ السلم ثابت بالنسبة للماء كلما ارتفع الماء ارتفعت السفينة ، وبالتالى ارتفع السلم ٠
٩ ـ مرة واحدة ، أما غير ذلك فكان احتفالا بذكرى عيد الميلاد ٠
١٠ ـ الممثلون ٠

رابعا : اختبر معلوماتك : أين ٠٠ ؟
١ ـ فى مدينة أجرا بالهند
٢ ـ فى سوريا
٣ ـ توجد فى انجلترا اذ انشئت هناك قرية بعد الحرب العالمية الثانية تخليدا لذكرى معركة العلمين ٠
٤ ـ فى افريقيا ، شمال أمريكا ، استراليا ٠
٥ ـ بمدينة اجاكسيو بجزيرة كورسيكا الفرنسية ٠
٦ ـ فى فرنسا
٧ ـ فى لاهاى بهولنده
٨ ـ فى اثيوبيا
٩ ـ باليمن
١٠ ـ فى أثيوبيا ٠

قصة

الطابق الأرضى





● حسين عيد هادى ●

ـ ١ ـ

● تسربت رائحة نفاذة ، حادة اول الامر ، عبرت ببطء اجواء الغرفة على استحياء ..

كنت عندئذ ممدا باسترخاء على الفراش اتصفح جريدة قديمة لم اهتم بها ... لكن الغريب ان نفس الرائحة عادت بعد فترة وجيزة . قوية ، ملحة ، مستمرة ، محاولة أن تفرض نفسها على جو الغرفة .

نهضت مكرها .. كان اشد مايزعجنى دائما اى طارىء مفاجىء.. وتاكدت أن مفاتيح البوتاجاز وانبوبته مغلقة ... أسرعت الى الحمام ، كل شىء هادىء مستقر .. فتشت أركان الغرفة ، تشممت كل جزء من الحوائط والارضية ككلب بوليسى يبحث عن منبع هذه الرائحة ـ دون جدوى ! ..

جلست على كرسى خشبى قديم محنقا .. كانت الرائحة تحكم حصارها حولى، تخدرنى ، تثير غثيانى ، تخنقنى ... سقطت نظراتى على الدولاب المفتوح وبقية قطع الاثاث المتراكمة المبعثرة فى أرجاء الغرفة ... اكتشفت فجأة أنى وحيد ... فهل يعانى الآخرون مثلى ؟ الآخرون ، رباه .. كيف حدث كل ذلك متى تم ؟

لم يعد أحد يذكر متى تم كل شىء ؟. فنحن لم يكن يهمنا التأريخ لاى حدث أو التاكد من وقائعه الماضية . فهل كان ما حدث اتفاقا نفذناه بدقة ، أم كان رغبة فردية تفجرت فى كل منا فى وقت متقارب ليحققها كل فرد منا وفق مزاجه الخاص ؟ ..

لم يعد أحد يدرى ... فقط غدا الامر كأنه حدث منذ زمن بعيد فأصبح كل منا مستقلا بغرفته فى الطابق الارضى .. حتى أختينا الصغيرتين ـ اقامتا حاجزا فى حجرتهما الواسعة فصار لكل منهما حجرة صغيرة ، خاصة كالاخرين ...

تعود نفس الرائحة تثيرنى .. ترى هل يعانى الاخرون منها أيضا ؟!

الامر يستحق محاولة للاستكشاف قد تقود في النهاية الى مصدر هذه الرائحة ؟ ..

- ٢ -

تحاملت ، تحركت ، مشيت ، فنحت باب غرفتي ... سقط مستطيل ضوء وسط ظلام الردهة الدامس ..

الافضل الا يعرف الاخرون بخروجي . اطفأت مصباح الحجرة ، عم الظلام ، اغلقت عيني لوهلة حتى اعتاد الظلام .. الجو راكد خانق .. تحسست طريقي بملامسة الحائط . ينبعث بصيص ضوء من أسفل بعض أبواب الحجرات المجاورة المغلقة . وصلت الى باب الغرفة المجاورة ، دبيب خطوات حائرة بالداخل التصقت بالباب ، انحنيت ، حملقت من ثقب مفتاح الباب .. كان اخي الاكبر يرقد على سريره وسط الفوضى والقذارة ملامح اشمئزاز متجمدة على وجهه العجوز اصبح عجوزا .. منذ متى لم نلتق ؟..

لا أحد يدرى ... فجعتني نفس الرائحة الكريهة ... هل كانت تنساب من ثقب الباب ؟ ... سددت أنفي باصبعي بقوة جريت مهرولا ، تخبطت فى الظلام .. تعثرت .. كدت أقع .. عدت الى حجرتي مسرعا . اندفعت الى الحمام تقيأت بقسوة بالغة ، حتى ظننت أنني سأنتهي لا محالة .

ارتميت على سريرى منهكا . تحاصرني نفس الرائحة العنيفة ، المجهولة ! ..

- ٣ -

استيقظت فى الصباح فزعا . ضوء الشمس يغمر الغرفة . نظرت للساعة .. الثامنة ؟! لا شك تأخرت كثيرا ، كيف ألحق بعملي ؟ كيف ؟ ..

نهضت . برأسي ثقل غامض ... مددت قدمي تحت السرير ، بحثا عن الخف المنزلي . شعرت بابتلالهما .. فتحت عيني المجهدتين . حملقت فى بلاط الارضية . طبقة رقيقة من سائل ما تلتمع عليه ، كأنه ماء .. بلمسة صغيرة من أصبع قدمي اليمنى ايقنت ان هذا السائل ليس لزجا .. لبست خفي ما زلت أتأرجح بين كوابيس النوم واليقظة المفاجئة .. رفعت حقيبة سفر من تحت السرير الى سطح الدولاب تثاءبت .. مضيت مسرعا نحو الحمام ..

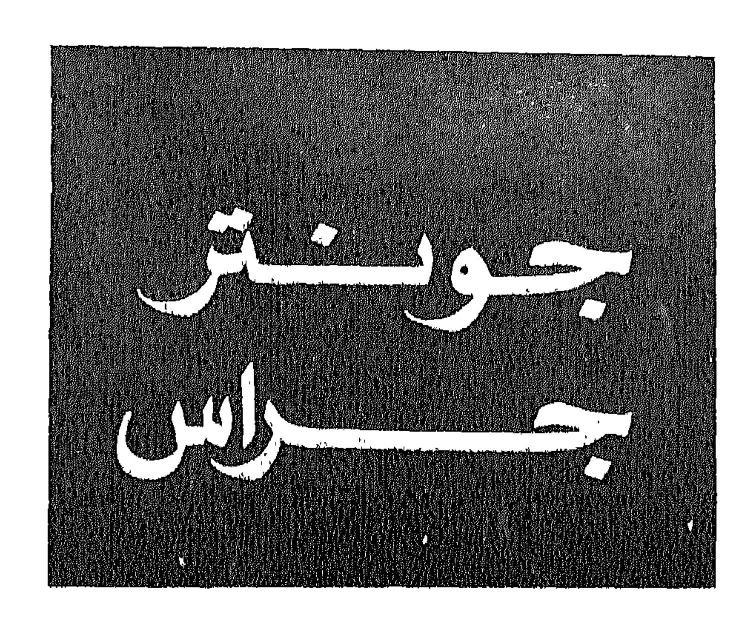
أصاب البلل عدة جرائد مبعثرة على الارضية ، اغتسلت .. فوجئت أثناء تجفيف وجهى بنفس الطبقة السائلة على بلاط الحمام .. لم أستطع تحديد مصدر هذا الماء .. ارتديت ملابسى على عجل . سأتناول الشاى فى العمل .. وأغلقت باب حجرتي دون أن أتلفت يمينا أو يسارا . صفعني سؤال غريب . هل توجد علاقة بين الرائحة النفاذة الكريهة وطبقة المياه الناضحة على الارضية ؟ .. أكانت الرائحة مقدمة ؟ واذا كان الامر كذلك فماذا سيحدث بعدئذ ؟ ..

استنشقت الهواء الطلق بقوة ... تأكدت أنني كنت حبيس نفس الرائحة البغيضة طوال الليل .

- ٤ -

فى المساء غادرت غرفتي وسط الصمت ... اندفع الماء معي حال خروجي للردهة الطويلة .. اطفأت النور ، تلمست طريقي ثانية على الحائط سمعت خرير الماء المنساب من تحت الابواب المغلقة ، ابطأت خطواتي . خشيت أن يتعرفها اى من الاخرين مع صوت ارتطام قدمى بالماء المتجمع فى الردهة ... انحنيت هذه المرة على ثقب باب أخي الاصغر ، كان منكبا على الطعام يأكل بنهم شديد لكن قدميه كانتا غارقتين فى الماء .. ارتفعت المياه الراكدة فى الحجرة بلا شك لأكثر من قدم ... تراجعت الى غرفتي متمهلا ، اضأت المصباح الكهربى . كدت انزلق ... تمددت على سريرى ... تناولت بقايا جريدة قديمة فتحتها امامي كأني اتصفحها . قررت ان اتجاهل الماء المتكاثر والرائحة الفجة ، فكما بدا من العدم يجب أن يعود اليه ! ..

رغم ذلك ظلت الرائحة تتفاقم ، والمياه تتراكم .. لم تكن عنيفة كالطوفان . لكنها تتدفق بهدوء وتدريجيا وترتفع ببطء وثقة ...



ظاهرة فى الأدب الألمانى الحديث

● مارى غضبان ●

●● زار القاهرة خلال شهر اكتوبر الاديب الالمانى المشهور جونتر جراس الذى يعتبر اليوم من أصحاب العلامات فى الأدب الالمانى الحديث ..

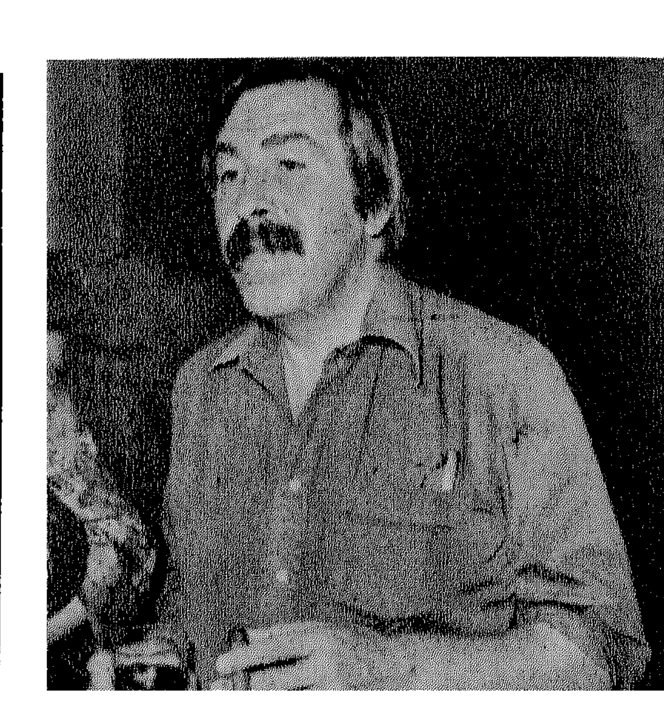
ويشكل جونتر جراس ، مع هنريش بول ، أبرز اعمدة الأدب الالمانى المعاصر ، وهما الامتداد الطبيعى للفكر الالمانى الحديث الذى يمثله برتولد بريخت ، وجورج كيزر ، وروبرت ميوزيل .

● أول كتاب صدر للكاتب الالماني جونتر جراس كان (الطبلة الصفيح) الذى صدر عام ١٩٥٩ فأحدث ضجة فى الاوساط الثقافية وأثار جدلا كبيرا ، وجعل أصحاب الاتجاهات المحافظة يقفون منه موقفا مضادا ،وسبب عندهم مايشبه حالة ذعر بطريقته وأسلوبه فى الكتابة ... بينما وقف منه موقف الاعجاب كل من كافحوا النازية وتصدوا لها وظلوا يتعقبون فكرها حتى بعد انهيارها وانتهائها ..

وكان الكتاب بمثابة تشريح للحياة السياسية والثقافية الالمانية التى اصابها الدمار بالمعنى المادى والمعنوى من خلال شرح يمتاز بفنى الفكر والصياغة .

ولكى يصور الكاتب هذا العالم بما فيه من شروخ وانقسامات ، جعل بطل روايته طفلا يتوقف نموه ، ويتميز برؤية مختلفة .. وتخيل هذا الطفل الذى توقف نموه بارادته نتيجة يأسه من العالم حوله ورغم صغره ، وتوقف نموه .. يعرف جيدا ماذا يريده من خلال ارادة واضحة تبدو فى انهماكه فى الضرب على آلة الطبلة الصفيح التى أفسدت بصوتها الضخم العروض العسكرية التى كان جيش النازى يتباهى بها وبايقاعات موسيقاها العسكرية .

والشعور بالمسئولية ، وفداحة المشاركة فى التطورات التى تصيب العالم ، يجعل الكثيرين يتقوقعون داخل



الأديب الألمانى : جونتر جراس

لقاء بين جونتر جراس
والمخرج صلاح أبوسيف

انفسهم ويرفضون هذه التغيرات التى لا يقبلونها ، ويفضلون البقاء بعيدا عن بؤرة الاهتمام ، والاكتفاء بموقف ارادى فى هامش الاهتمامات .

ومن هنا يقول الدكتور س . ب . ماجيل فى تحليله لأدب جونتر جراس ، انه ينظر الى العالم من زاوية غريبة لكنها موضوعية لا تعرف التحيز ... والبعض يتصوره شعورا غير انسانى لا يتعاطف مع تطورات وانفعالات الجنس البشرى .

وبعد نجاح « الطبلة الصفيح » قدم جونتر جراس الجزء الثانى من ثلاثيته التى سماها « قط وفار » عام ١٩٦١ ، وفيها يلجأ الى رموز الحالة التعيسة التى كانت تعيشها المانيا قبل واثناءالحرب.

وتدور القصة حول تلميذين فى مدرسة بمدينة دانزيج الالمانية التىكانت تتبع بولنده قبل الحرب ، وهى المدينة التى ينتمى اليها الكاتب الالمانى جونتر جراس .

أما القصة الثالثة من الثلاثية «ثلاثية دانزيج .. ضد الاضطهاد والمعاناة » ، فيسميها « سنوات الكلب » ويدور موضوعها حول أحد عملاء هتلر الذى يصحب معه كلبه الخاص فى جولته فى الحياة الالمانية وكيف يبدو اناس يكونون لهم عالما خاصا بعيدا عن عالم النازية الذى يكرهه ويدينه الكاتب ، من خلال نظره تشاؤمية - يلمس الكثيرون مبالغة الكاتب فى التعبير عنها

ومن هنا تبدو التفاصيل العديدة التى يلجأ اليها الكاتب فى تصويره للاحداث والانفعالات التى يتبنى قضيتها .

وفى أعقاب الضجة التى اثارها جونتر جراس بثلاثيته التى استمدت اهميتها من توجيه الضمير الالمانى للاحساس بالذنب تجاه أيام النازية الالمانية - وضع جراس روايته التالية « المخدر المحلى » التى صدرت عام ١٩٦٩ وفيها قدم شخصية مدرس فى مدينة برلين عمره أربعون عامايفشل فى حياته وفى التفاهم مع تلاميذه .. ولما اكتشف فى نفسه عوامل التعاسة والفشل ، فكر فى تخدير نفسه حتى لا يحس بمعاناة الوحدة وعدم الاتصال بالآخرين ..

وفى عام ١٩٧٢ أصدر جونتر جراس روايته « يوميات قوقع » وفيها يتناول موضوع الأجيال الجديدة ، وكيف يمكن للاجيال القادمة ان تتناول امورمستقبلها من خلال المفهوم الاشتراكي ، وفى الرواية يتحدث عن رموز تعبر عن موقف الشعب الالمانى من اليهود خلال حكم النازى .



مشهد من فيلم كتب قصته جونتر جراس

والكاتب الالماني جونتر جراس شخصية متنوعة الاهتمام ، فهو فنان تشكيلي يميل الى التصوير ، فقد تفرغ خلال عامي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ للمعارض الفنية التي اقامها وقدم فيها لوحات من رسومه وبعض قطع من النحت التي وضعها .

وفي عام ١٩٧٦ أصدر مع زميله الكاتب هنريش بول الذى حصل على جائزة نوبل منذ عدة أعوام مجلة (المجلة ل . ١٩٧٦) .

وفى عام ١٩٧٧ أصدر دراسة بعنوان « السمكة » تتناول تاريخ الطعام والماكولات من خلال ما قدمته له تسع طباخات عالميات .. قدم فيها الماكولات وتاريخها منذ القرن الأول الميلادى ومن خلال كل الحضارات القديمة والحديثة .

وفي السنوات الأخيرة اهتم جونتر جراس بالرحلات وبادب الرحلات ، وتعددت رحلاته خاصة الى شرق آسيا حيث زار اندونيسيا واليابان والصين وتكررت رحلاته الى هذه المناطق حيث زار الصين مؤخرا قبل وصوله الى مصر .

●● ولعل الموهبة هى أبرز ما يميز أعمال الكاتب جونتر جراس ، فهو لم يتلق أى قدر من التعليم النظامى ، وهو من مواليد مدينة دانزيج البولندية عام ١٩٢٧ ، وفى سنى طفولته وبعدها استولى هتلر على هذه المقاطعة البولندية والتحق جونتر بفصائل الشباب فى المنظمات الالمانية النازية وعندما قامت الحرب العالمية الثانية جند في الجيش الالمانى والتحق بالاسلحة الميكانيكية . الى أن وجد نفسه أسيرا لدى جيوش الحلفاء ..

وبعد الحرب عاد الى بلدته بدون وظيفة وبدون تعليم ، ولجا الى الاعمال اليدوية فى الزراعة ثم فى أعمال المناجم ثم فى أعمال البناء بجانب اهتماماته الفنية عندما بدأ يتعلم العزف الموسيقى والتحق بفرقة لموسيقى الجاز .

وساعدته ظروف عمله ووجود مدخرات مالية على الالتحاق باكاديمية الفنون فى دوسلدورف ، ثم اكاديمية برلين حيث درس النحت والتصوير ، وأثناء تلك الفترة ظهرت مواهبه في الكتابة والأدب ، وظهر أول كتاب له فى الشعر .

بعدها كون جماعة أدبية عنوانها « مجموعة ١٩٤٧ » وهى حركة ثقافية لاحياء الأدب الالمانى وقد منحت هذه المجموعة الأدبية الكاتب جونتر جراس جائزة عن روايته الأولى«الطبلة الصفيح» وهى نفس المجموعة التي أسهمت باشراف جونتر جراس فى الدعاية الانتخابية لمستشار المانيا السابق فيلى برانت .

وقد ترجمت اعماله الى معظم اللغات ومنها السويدية والتشيكية والمجريه واليوغوسلافية والايطالية والفرنسية والانجليزية والعربية واليابانية والبرتغالية والتركية وغيرها . ●●



جوهرة

● تاج الدين سلامة نوفل ●

حبيبتي كجوهره   كنجمة منوره :
جمالها فوق الرؤى   وحسنها ما اندره !
ووجهها ما ابراه   وقلبها ما اطهره !
وريحها فى طيبه   كزهرة معطره ..
صفاتها مكارم   كانجم مبعثره !
وانها حضارة   بالف الف خاطره
وانها .. وانها   أحلى بنات القاهرة!

***

وخيرها لا ينتهى   وعلمها ما اغزره
وكل آن فى هدى   تعد زاد الآخره
شغوفة بربها   تريد منه المغفره
وصمتها عن فكرة   ونطقها عن تذكره !
وحبها عن عفة   وعفوها عن مقدره
مؤمنة وصابرة   وذاكره وشاكره
وقد تحلت بالحياء   خاتما واسوره

***

مطيعة عفيفة   امينة مدبره
كلامها مرتل   كسورة مفسره
وصوتها مغرد   كنغمة مؤثره
وانها .. وكلها   اغلى واسمى جوهره
ورغم ما سردته   مقصر ـ فمعذره !

ليس بالطعام وحده نعيش..
الاسترخاء
فن الراحه وصفاء العقل

● جورج عزيز ●

● لا يدرك معظم الناس الدور الحيوى الذى يقوم به الاوكسجين فى عملية الهضم ، واستيعاب الطعام .. فالطعام لايمكن ان يهضم بدون مساعدة من الاوكسجين الذى له دوره الهام فى تفتيت جزئيات الاغذية وتحويلها الى طاقة . وهذه العملية تسمى ((التاين)) و ((الايون)) عبارة عن ذرة مشحونة بالكهرباء .

ان كثيرين منا يعتقدون خطأ ان الجسم يتغذى مباشرة بالطعام الذى ناكله . والأمر الذى لاندركه هو ان الغذاء يجب أن يتم هضمه تماما لكى يتحول الى طاقة خالصة . وبعد ان يحدث ذلك فقط يستطيع جسم الانسان ان يستوعب الغذاء الذى يمكنه من البقاء على قيد الحياة .

ومن ثم فان احسن طعام فى العالم لايمكن أن يؤدى وظيفته تماما قبل أن تمد جسمنا بقدر كاف من الاوكسجين بعملية « التاين » . هذا هو السبب الجوهرى الذى يجعل التنفس الايقاعى العميق ضروريا لعملية التمثيل الغذائى وامتصاص الطعام . واذا لم تحدث عملية التمثيل الغذائى ولم يمتص الجسم الطعام بطريقة سليمة ، فانه ـ اى الطعام ـ يتحول الى مادة سامة كثيرا ما تبقى فى الجسم ، وتتسبب فى كثير من الامراض .

ان التنفس يستطيع ان يفعل اكثر من ذلك ، لأنه يمدنا بغذاء من الهواء المشبع بالاوكسجين بحيث لانحتاج فعلا الى كثير من الطعام . وثمة ملاحظة هامة فى هذا الشأن هى ان الذين يخصصون وقتا طويلا للتنفس يأكلون أقل من غيرهم .

مثال ذلك أن الطبيبة الامريكية دكتورة باربارا مور التى ذاعت شهرتها فى الولايات المتحدة لأنها كانت تمشى مسافات طويلة ولا تتغذى الا بالهواء وقليل من الفاكهة وعصير الفواكه ، بل وعصير الحشائش . وفى صيف سنة ١٩٦٠ قطعت المسافة بين سان فرانسيسكو ونيويورك سيرا على قدميها على الرغم من اصابة فى ساقها اليسرى !

ان الكثرة الغالبة من سكان المدن فقدوا المقدرة على التنفس بالطريقة التى تتطلبها الطبيعة . وذلك ان عادات الناس فيما يتعلق بالتنفس قد تغيرت لانهم يعيشون حياة غير طبيعية ، وفى بيئة بعيدة عن الطبيعة .

ويقول الطبيب الامريكى العالم الاستاذ الدكتور «واين» فى هذا

● البدائيون وحدهم هم الذين يتنفسون بطريقة طبيعية ، ولا يحتاجون الى تعليمات في هذا الصدد ، أما معظم الناس فانهم اذ يتنفسون بالجزء الأعلى من رئاتهم لا يستخدمون من طاقة الرئتين سوى الثلث .. !!

الشان ان الاطفال والناس البدائيين هم وحدهم الذين يتنفسون بطريقة طبيعية ، ولا يحتاجون الى تعليمات في هذا الصدد . اما معظم الناس فانهم اذ يتنفسون بالجزء الاعلى من رئاتهم لايستخدمون من طاقة الرئتين سوى الثلث .

ان اية اسباب تؤدى الى سرعة التنفس ـ سواء كانت ارهاقا او اسبابا عاطفية مبهجة أو مؤلمة ، أو كانت تمارين رياضية عنيفة ـ ان اية اسباب من هذا القبيل تجعل المرء يتنفس تنفسا غير سليم . والطريقة الفعالة لتحسين عادات التنفس هى تمارين اليوجا البسيطة التى سنشرحها فيما بعد وممارستها يوميا ، حتى يتعود المرء التنفس العميق بطريقة لا شعورية .

يزيد المراة فتنة

ومن المحقق ان التنفس العميق ليس عاملا حيويا للحفاظ على الصحة السليمة فحسب ، بل هو ايضا يزيد المراة فتنة وجمالا لانه يحرق ما يتراكم فى جسمها من المواد الدهنية وغيرها من النفايات السامة . وهو فضلا عن ذلك يجعل البشرة ناعمة ويزيد العينين بريقا ولمعانا ..

ولعل المغنى الامريكى الشهير روبنصون يمثل أصدق تمثيل ما يمكن ان يفعله التنفس الايقاعى العميق فقد تتلمذ على البروفيسور اليوجوى « جراهال هول » وتعلم منه تمارين التنفس الايقاعى الذى تحدث عنه « هول » فى صحيفة « لوس انجليس اكزامينار » فقال : ان التنفس العميق يؤخر الاصابة بتصلب الشرايين ؛ ومعنى ذلك ان الجسم لا يضمحل وتسوء حالته . وهذا هو السر الذى تعلمه منى روبنصون الذى ادرك بعد ان مارس التمارين خلال فترة غير طويلة ان التنفس السليم يكفل التنسيق بين العقل والجسم ، ويحول دون حدوث اى ضغط على الحبال الصوتية .

تمارين رواد الفضاء والطيارين

وقد ثبت باقوى الادلة أن تمارين اليوجا البسيطة تفيد رواد الفضاء والطيارين ، فقد نشرت مجلة « اوكروز يرو انترناسيونال » على غلاف أحد اعدادها صورة رائد فضاء اثناء تاديته احدى حركات اليوجا . ونشرت فى احدى الصفحات الداخلية بحثا مسهبا عن الفوائد التى يجنيها رواد الفضاء من ممارسة تمارين اليوجا قائلة ان التنفس الايقاعى العميق ، وتمارين الاسترخاء مفيدة جدا لهؤلاء الرجال .

نصيحة نرويجية

وكان الفيلسوف اليوجوى الهندى الشهير « سرى كرشنا ماشاريا » يقول لكل من يتطلب منه النصح : « قم بتمرين التنفس الايقاعى العميق كلما شعرت بالتعب والارهاق ، او كلما توترت اعصابك ، والم بك ضيق نفسى ، أو شعرت بالجوع ، أو ارهقك الحر

الشديد، أو أحسست أن الجو شديد البرودة .. قم بذلك التمرين حين تحتاج الى مزيد من الطاقة،والنشاط، والحيوية ، والقوة او حين يستبد بك اليأس والقنوط » .

وهناك ما هو اهم بمراحل من استرخاء البدن وهو استرخاء الذهن ولعله اصعب جدا من استرخاء الجسم ...

واذا استثنينا بعض حكماء الشرق استطعنا ان نقول ان معظم الناس لايعرفون كيف يوفرون لعقولهم الاسترخاء المنشود .

اذكر اثناء فترة عملي في صحيفة « البلاغ » خلال الثلاثينات كنت الاحظ أن عميد الكتاب السياسيين وصاحب البلاغ فى ذلك الوقت الاستاذ عبد القادر حمزه باشا رحمه الله ، كان اثناء استغراقه فى كتابة مقاله السياسى الذى كان يهز الحكومات ، يمسك عن الكتابة اذا شعر باى ارهاق ذهنى ، ويخرج من درجمكتبه مجموعه من اقلام الرصاص ليبريها بعناية ، لانه تعود أن يكتب بالقلم الرصاص ، وبذلك يريح ذهنه فترة من التركيز الشديد الذى تتطلبه الكتابة السياسية ..

ولاحظت اثناء وجودى فى الولايات المتحدة خلال الستينات أن الكثيرين من الامريكيين يحرصون على تخفيف حدة الارهاق الذهني بوسائل عديدة لاقتناعهم بانه كلما استغرق المرء فى العمل والتفكير ازدادت حاجته الى اية وسيلة من وسائل تحويل الانتباه ..

ولكن الرأى عند « اندرا ديفى » أن هناك وسائل كثيرة افيد واجدى لازالة الشعور بالارهاق الذهنى ، فى مقدمة هذه الوسائل ان يستلقى المرء على السجادة كانه فاقد الوعى ، ويغمض عينيه ، ويحاول الكف عن التفكير ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وان يظل كذلك بضع دقائق .

وتقول « اندرا » : « كلما عمدت الى تأليف كتاب ، وهذا يتطلب طبعا الجلوس فترات طويلة ، أنتصب واقفة بعد جلسة طويلة مرهقة لاتمدد على السجادة ، أو اقف على راسى . ثم استانف العمل بعد فترة قصيرة هادئة الاعصاب ، صافية الذهن . وكثيرا ما كنت افعل ذلك أثناء عملى فى احدى محطات الاذاعة بواشنطون بعد ساعات من العمل المضنى » .

وتتحدث « اندرا » عن الوقوف على الراس فتقول ان المرء عندما يقف على راسه، اذا كان تكوينه الجسمانىيسمح له بذلك — فان تدفق ما يسمىبالنشاط العصبى ينقلبراسا على عقب، وتتضاءل قوة الجاذبية الشديدة وبهذا تتاح فرصة افضل لاراحة الجسم ..

ماذا يفعل « بوب » ؟.

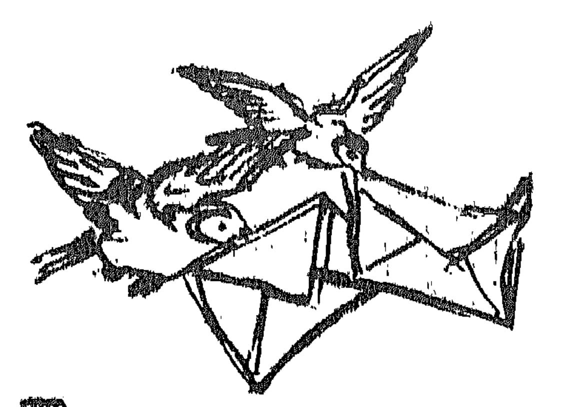
ان بعض الناس يجدون لزاما عليهم أن يبذلوا جهدا لكى يتعلموا فن الاسترخاء ، وهناك اناس آخرون يفعلون ذلك بطريقة طبيعية ، تكاد تكون تلقائية مثل النجم السينمائى الشهير « بوب هوب » الذى يستطيع ان ينعم بالاسترخاء والاستغراق فى النوم فى اى وقت ، فهو يتجه الى اى ركن فى الاستوديو اثناء تصوير الفيلم الذى يمثل فيه ، ويغمض عينيه ليستمتع باغفاءة لمدة خمس أو ست دقائق دون أن يعبا بالضجيج والاصوات والاضواء المبهره والموسيقى الصاخبه ، ثم يعود لاستئناف العمل جم النشاط موفور الحيويه ..

وهو يكرر هذه العمليه خلال العمل فى الاستوديو ساعات طويله فلا يشعر باى ارهاق أو يستبد به التعب او التوتر . ومع أن الادوار التى يسندها اليه المنتجون والمخرجون متعبة مرهقة حقا فانها لاتعبيه ، لانه تعود أن ياخذ قسطا من الاسترخاءبغض النظر عن الظروف والمكان .

لست بخوّان

• محمود خليفة غانم •

أمسكت الريشة فاستعصت
وابى أن يعنو تبيانى
واختلطت السوانى ، ذابت
فى ذاتى كل الالوان ! .
انثى لا يقوى رائيهما
ان يصمد ضد الطوفان !
جاءت بالفتنة صارخة ...
ان ملت فمن منا الجانى ؟
هل تغنى الصورة عن اصل
مهما غالت فى الاتقان ؟ !
هل يغنى اللفظ عن الاحسا
س بوقد لهيب النيران ؟
مهما صورتك آنستى
مثلك لم ترها عينان
والقلب ابى لا يهوى
ابدا من حصن الايمان
مشغول ، ولكل شغل
وكما لك شانك لى شانى !
عندى اخرى ترعى بيتى
سبقتك بقلب حنان
ولديها المفتاح لقلبى
ما عندى مفتاح ثان . !
وملاكى يدفع بالتقوى
عنى نزغات الشيطان
هل فى دنيا الناس ملاك
مثل ملاكى كالريان
عيناها الدنيا ، والاخرى
والحب النائى ، والدانى
اخون بشعرى وخيالى
زوجى ؟ انا لست بخوان ! .
علمنا الله الحب لكى
نرقى فوق الحب الفانى ! .
علمنا الحب لطاعته
تقوى عنوان الاحسان
لا آسف انى اتنحى
عن دربك ... انا ضدان !
والافعى ناعمة لكن
هل تهوى غير الثعبان ؟!



رســـالـــة

● يوسف رحال ●

احيبتى يا قـــرة العـــــين
كنا ومازلنا الغريبـــــين
هـــل نحن اول عاشـــقين نرى
فى هذه الدنيا النقيضــــين
وضريبـــة العشـــاق ندفعهـــا
من قسوة الحرمان ضــــعفين
عشنا كاجمل ما يكـــون هـــوى
الفين وا جـــزعى لالـــفين ٠٠ !

***

يارب انت ارق مرحمــــــة
واحـــن من هـــــدب على عين
جئناك باســـم الحب ، ادمعنـــا
معزوجة بنزيف قلبـــين ٠٠ !
عبدان من روح ومن جســــد
وقفـــا ببـــابك كاليتيمـــين
ضاقت بنا الدنيا بمـــا رحبت
فاصـــنع لنا عشـــا لاثنين

● فى رحـــلة العمـــــر ●

ايقال انى قد بخلت عليـــــه
وانا وعمـــرى والهوى بيـــديه !
ويقال عنى خائف ٠٠ واقـــول لا
انا لم اخف ٠٠٠ انى اخاف عليه
اسقيته ما شاء من شهد الهـوى
ذوبا وكنت ندى على شـــفتيه
تدور بى الدنيا فارجع لاهثـــا
ظمآن اشرب من رؤى عينيـــه
هذى المصابيح التى احترقت معى
اشـــعلتها فى الليـــل من خـــديه
فى رحلة العمـــــر التي تغتالنى
اسمى بشـــوق الحـــائرين اليه !

● يوسف رحال ●
● جدة ـ المملكة السعودية ●

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر ديسمبر ١٩٧٩

هل قرات هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ...

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان ـ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد فبراير ١٩٨٠
آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من يناير ١٩٨٠

● الاسئلة : ●

س١ ـ من المهندس الذى قام بتخطيط باريس ؟
ج ١ :
(مقال)

س٢ ـ من مؤلف قصة « الطبلة الصفيح » ؟
ج٢ :
(مقال)

س٣ ـ ما اسم أول ديوان للشاعر اليونانى أوديسيوس اليتيس ؟
ج ٣ :
(مقال)

س٤ ـ ما أول غزوة قادها النبى صلى الله عليه وسلم ضد قريش ؟
ج ٤ :
(مقال)

س٥ ــ كم تبعد الارض عن الشمس ؟
ج ٥ :

(مقال)

س٦ ــ متى اصدر مصطفى كامل جريدة اللواء ؟
ج ٦ :

(مقال)

س ٧ ــ ما اول مطبعة عربية انشئت فى الشرق ؟
ج ٧ :

(مقال)

س٨ ــ متى سجن المتنبى ؟
ج ٨ :

(مقال)

س ٩ ــ اى شعراء مصر الراحلين سمى « الشاعر البدوى » ؟
ج ٩ :

(مقال)

س١٠ ــ من مؤلف قصة « شيء من الخوف » ؟
ج ١٠ :

(مقال)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد ديسمبر ١٩٧٩

الاسم: ــــــــــ السن: ــــــــــ

العنوان: ــــــــــ

نتيجة مسابقة عدد أكتوبر ١٩٧٩

اقرأ الهلال واكسب جائزة

هذه هى نتيجة المسابقة الأولى : اقرأ الهلال واكسب جائزة ـ عدد اكتوبر ١٩٧٩ ٠

ومسابقات الهلال فى الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا اذا شاء الحظ وكان من الفائزين ٠

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء أن يقرأها ويبدى رأيه فيها ، وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المسابقات ، أما الكسب المادى فرمزى فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة وأجريت القرعة بينها ٠٠

وفيما يلى أسماء الفائزين فى مسابقة شهر أكتوبر ١٩٧٩ فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقات الشهور القادمة .. :

الجائزة الأولى وقدرها خمسة جنيهات : عاصم البكرى شهاب الدين ـ المنصورة

الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة جنيهات : عايدة الوردانى حسين ـ الشرابية

الجائزة الثالثة وقدرها جنيهان : مصطفى رمضان مصطفى ـ طنطا

الجائزة الرابعة : اشتراك سنة فى مجلة الهلال : عادل فتح الله جنيدى : الاقصر

الجائزة الخامسة : اشتراك سنة فى مجلة الهلال : ملاك ميخائيل ـ الاسكندرية

تهنئة للفائزين ، وحظ سعيد للجميع فى مسابقات اعداد الهلال القادمة ٠٠

١٦

كُتَّاب ... وقُرَّاء ...

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● عن الهزيمة فى غير معركة ! ●

الى : م . ى . عزمى :
وما دخلى انا يا سيدى فى امر كامرك هذا ، شخصى جدا ، ومحزن ، وبسيط ؟!

ما دمت تريد كما تقول مؤكدا ومصرا ! ان تنتحر .. فتفضل يا سيدى ـ براحتك ـ وليس الامر فى يدى !

لكن .. لعلمك ، وقبل ان « تذهب » فانى لا اصدق زعمك انك اديب شاب تعيش المعاناة والمصاعب و .. و .. الى آخر هذه « الكاسيت » الواسعة الانتشار هذا الموسم !

لو انك شاب ، فان الشباب لا تقتله مصاعبه !
ولو انك اديب ، فان الادب حياة ، ومعركة حياة .. واعدى اعداء نفسه من يجحد الحياة مرتين فى وقت معا !..

... والذى تقول فى رسالتك عن « هيمنجواى » ، يدل على جهل عظيم .. !

ولن اصحح لك معلوماتك ... ولن احكى لك عنه ـ « هيمنجواى »

ـ بحقيقته الرائعة ... لأن المساحه هنا لا تفى ... ولاننى اخشى ان ... اعطلك .. !

المهم ان « هيمنجواى » ذهب بعد سنوات طويلة مجيـــدة الخصب والعطاء .. ذهب بعد ان قال كل ما عنده ، وبعد أن تبين أنه لم يبق عنده ما يقال ! ..

ويبقى ما ذكرت عن حادث الشهر الماضى ، حادث الانتحار المـــدوى بأنابيب الغاز ، والانفجار ، والنار ، واخبار أخبار الادب ، والوصـــية المشهورة ! ..

ولست أرى فيه لك ، ولا لغيرك ، عبرة ولا قدوة ولا قدره ! ...
انه مجرد اعلان ، بصوت عال ، عن هزيمة فى غير معركة ! ..
ولن أعرض له .. الآن على الاقل ..
هنالك ، لذلك ، واحد وأربعون سببا !
ولا تسأل ...

ففى صحائف الحب والمعرفة ، لا يجيب الشعراء والعشاق من يهـدم بنيان الله(1) ..!
ولا يبقى ، ونحن نفترق ، الا اننى لا ادرى بعد ... :
أاحييك ...
أم اعزيك فيك مقدما .. ؟!

● .. ويقام عليه الحد والمد ! ●

الى : مختار . ز . ص :
تلك اذن قصة قصتك ... :

تجاوزت حياتكما معا « سنة اولى زواج » وتعودت هى اخيراً ان تفتش جيوبك من ورائك ، وجدت منذ أيام مظروفا مفعما بالاوراق ، عالجته لتكتشف محتوياته ، تبعثرت المحتويات ، تطايرت ، وضاعت ... ضاعت القصة التى كتبتها لتبعث بها الى فى « الهلال » ...

وتسألنى ...
وفيم السؤال ...
غيرك من الازواج تصادر فى جيوبه المحتويات ، ويقام عليه الحد والمد ..!
وغيرها من الزوجات بدات التفتيش منذ الليالى الاولى فى الزواج ...
ومن هذه البداية تفجرت فى حياة الزوج والازواج فى كل العصور ، عواصف النكد ، وقلة النوم ، وانعدام راحة البال ..!
... ففى تلك الليلة البعيدة ، تسللت « بندورا » العروس الجميلة ، تمارس غريزة الفضول النسوى الخالد ... ولم تجد لزوجها الســعيد جيوبا .. ووجدت له فى البيت ركنا لاشيائه الخاصة ...

(1) فى الحديث الشريف : « ملعون من يهدم بنيان الله » والجسم البشرى بناه الله ، ولم يبنه غيره . ومن يهدم ما بناه الله ، فهــو ملعون ...

... كانت الحياة الدنيا وقتذاك رخية للناس ناعمة ــ الكلام هنا لاسطورة اغريقية بديعة ــ لا شرور فيها ، لا احقاد ، لا غيرة ولا امراض ... فكل هذه المصائب كانت بعيدة عن حياة الناس ، حبيسة جرة محكمة الغطاء فى بيت ايبمثيوس ، فى الركن الذى تسللت اليه ((بندورا)) فى الليل ...

قبل ذلك بايام ، كان قد وقع الحدث العظيم بين الآلهة والبشر .. فلقد سرق بروميثيوس من الالهة سر اللهب المقدس ــ النار ــ واعطى السر لبنى الانسان .. وتحفز جوبيتر كبير الآلهة ينتقم للآلهة ...

فى البدء قدم الى بروميثيوس ــ « بندورا » ..
« بندورا » ، وقد منحتها فينوس الجمال .. وزودها ميركورى بالغواية والإغراء .. واعطاها أبوللو الرقة والصوت الناغم المعسول ..
ولم يقبل بروميثيوس « الهدية » الجميلة ..
وقبلها أخوه ايبمثيوس ، فاحتفى بها ، وتزوجها ..
وفى الليلة الثالثة من ليالى زواجها ، كانت « بندورا » تقوم بجبولة تفتيشية فى ركن الاشياء الخاصة لزوجها .. وعندما نزعت غطاء الجرة لتكشف محتوياتها ، تدفقت من جوف الجرة كل الشرور الحبيسة ــ الحقد والغيرة والأنانية ، والأوبئة ، والطاعون .. وانطلقت مع الرياح تنتشر فى دنيا الحياة والأحياء ..

وحاولت « بندورا » ان تتدارك الامر وتعيد الى الجرة محتوياتها ، ولكنها اخفقت .. ولم يبق هناك الا الرجاء والامل ..
و .. معذرة فقد ذهب بى الاستطراد بعيداً بعيداً ..

كنت اريد فقط ان اهون عليك ، وان ألفتك الى ان اسلوبك فى رسالتك يغنى عن النظر فى قصتك ! ..
وكنت اريد ان احيى زوجتك الجميلة .. فانا مدين لها بالخلاص من قصتك التى ذهبت .. ومن قصصك التى قد تجىء ...

***

● ما هو ((القبمض)) ●

الى : عبد الكريم البرهامى ــ رمل الاسكندرية

ولكن العربية ياسيدى اغنى واجمل ..
اخشى ان اجبتك بما اعرف او لا اعرف ، ان تجد انفسنا فى موقف كموقف اصحاب المبرد ..

كان المبرد ـ « محمد بن يزيد » ـ عالما لغويا بحرا .. وكان لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم ، احيانا بأنه يصطنع أو يختلق فيها ومنها ! ..
ويقول ابو عبد الله المفجع : اتفقنا يوما على مسالة لا اصل لها ، نسال المبرد عنها .. اخذنا شطر بيت الشعر القائل :
« ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا .. »
وجمعنا على الكلمة الاخيرة منه اخر حرف من الكلمة التى قبلها ، فاصبحت « ق بعضنا »

ورحنا للمبرد نساله : ما هو « القبعض » عند العرب ؟
فقال على الفور : هو القطن ! .. يصدق ذلك قول الشاعر :
« كأن سنامها حشى القبعضا » !
ويعقب ابو عبد الله : فالتفت اقول لاصحابى : ان كان ذلك صحيحا فهو عجيب ! .. وان كان اختلق الجواب فى الحال فهو اعجب ! ..

● خمسون كتابا لاول مرة ! ●

الى ـ : سمير اسماعيل ـ الدقى :
.. هذه قضية لا ينازع الرأى فيها رأى مضاد .. !
ان الرواية الاولى للكاتب الجديد او الكاتب الشاب ، قد تكون هى مفتاح مسيرته فى عالم الادب ، الى ماوراء الظل ، او الى طريق النجوم !..

ولكن السؤال العجوز والمحير الذى يطرح نفسه ارضا ، ولا يجد من يريحه من طرح نفسه .. هو : كيف ، كيف يتاح لاديبنا الجديد وكاتبنا الشاب ان تنشر روايته البكر او كتابه الاول ؟ .
.. قبل ان تصلنى رسالتك ، كنت احاول أن اتزود بمعلومات وافية عن الكتب الجديدة التى نشرت لأول مرة ، لمؤلفين جدد خلال العام الماضى والحالى ـ فتعثرت المحاولات تاخذ منى الوقت والجهد سدى ! .

وفى ذات الوقت ، وبغير محاولات تذكر ، وجدت فى متناولى ، فوق ما سالت ، تعريفات بالكتابات الاولى للادباء الفرنسيين الشبان والجدد خلال الموسم الماضى وما قبله ..

لقد صدر ذلك الموسم وحده ، وفى العاصمة الفرنسية باريس وحدها خمسون رواية وكتابا جديدا لروائيين وكتاب جدد ، تنشر اعمالهم لاول مرة ...
بين هؤلاء الخمسين الجدد اصغرهم سنا ، فرانسيس كرير ، فى الخامسة والعشرين ، مدرس لغة لاتينية فى احدى المدن الصغيرة ...
كتب فى الأعوام الماضية رواية طويلة بعث بنسخ منها الى خمس عشرة

دارا للنشر ، فتلقى ردودا متناقضة ليس بينها دعوة للتعاقد .. فعكف على كتابة روايته الجديدة « امسيات الليالي الرومانية » ، وفى هذه المرة كانت دار « جاليمار » للنشر ، أسبق فى الرد عليه ، وفى التعاقد معه ...

.. بين هؤلاء الخمسين ايضا ، الاكبر سنا ، بيير لويس راى ، مدرس الادب فى نانتير ، فى السابعة والثلاثين من عمره .. تفرغ لدراسة الاشكال الروائية المعاصرة ، قبل ان يكتب « اهون الشرين » ، روايته الاولى ..

كان وهو يكتب هذه الرواية ، يردد لنفسه كثيرا : انه من غير الطبيعي ان نصل الى سن الاربعين ونحن لا نزال نستخدم اساليب الاخرين ، ولا نكتب لانفسنا عن انفسنا ! .. »

ولعلي قد اخذني المقال ، فتخطيت حاجز السؤال ، وابتعدت بالجواب عن السؤال ! ..

● من باب الفكر والادب ●

الى : ر . م . رمضان :

غرقتني فى ثنائك الملح .. وفى ظنك الحسن !

الثناء الملح ، مشغله ...

وحسن الظن ، حسن الظن ليس يكفي وحده مقنعا وشفيعا .. !

.. ثلاث رسائل ، بمعنى واحد ، فى شهر واحد ، والمشكلة هي :

« .. كلما خطبت فتاة ، تغيرت المسائل بعد قليل .. وليس ذنبى تفشل الخطبة ؟! »

ولكن .. الا تعرف يا اخى ، ان المسائل والمشاكل ، تاتى هنا وتمر من باب الفكر والشعر والادب ؟!

على اى حال ، سوف لا نكسفك ، وسنعتبر ان فشلك فى خطبة الفتيات مشكلة ثقافية .. !

ومع الاعتذار والاعتبار لاختلاف المعنى باختلاف الشكل لكلمة «خطبة» ــ فان الحل السعيد لك ان تتعلم كيف تخطب ..

ولكى تتعلم كيف تخطب ، فانك يجب أن « تتحاشى التقعير ،والتعقيب، والتشديق !.. كما يجب ان تؤكد سلامتك من الارتعاش ، والرعدة والبهر ، والتنحنح ، والسعال » ! ..

ثم لا يبقى بعد ذلك الا ان تصح وتبرأ من « ثماني آفات ، هي : التمتمة ــ الفافاة ــ اللثغة ــ اللكنة ــ اللفلف ــ اللجلجة ــ والحبسة »!

الامر بسيط كما ترى ..

والنصيحة عريقة مجربة ، كتبها لك منذ الف ومئة سنة ابو عثمان عمروبن بحر الجاحظ ! ..

.. لا تنس أن تكتب له تشكره .. !

● نصر الدين عبد اللطيف ●



الهلال
يونيــة ١٩٧٩
الهلال
جرجي زيدان
August 1893
١٩٧
دالأول من الهلال والأخيرمنه
عامًا
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة.
لت مجلة الهلال عميدة المجلات
افية وطليعتها وأوفرها مادة
كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!